حياة السلف
بين
القول والعمل

تأليف
أحمد بن ناصر الطيار
إمام وخطيب
جامع عبد الله بن نوفل بالزلفي

امتازت هذه الطبعة بمزيد من التنقيح
وإضافة (١٢٠٠) أثر و(٩٠٠) تعليق

الجزء الأول

الكتاب كامل في ملف واحد
الجزء الثاني صفحه رقم 691

دار ابن الجوزي

حياة السلف

بين

القول والعمل

تأليف

أحمد بن ناصر الطيار

إمام وخطيب

جامع عبد الله بن نوفل بالزلفي

امتازت هذه الطبعة بمزيد من التنقيح

وإضافة (١٢٠٠) أثر و(٩٠٠) تعليق

الجزء الأول

دار ابن الجوزي

حياة السلف

بين

القول والعمل

(١)

دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:

الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان

ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣

٠١٣٨٤١٢١٠٠

ص ب. واصل: ٨١١٤

الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦

الرقم الإضافي: ٤٩٧٣

الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥

جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢

جدة - ت: ٠١٢٦٠١٠٠٦٣

جوّال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:

بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠

فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:

القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

aljawzi@hotmail.com

+966503897671

aljawzi

eljawzi

ibnaljawzi.com

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطيار، أحمد ناصر

حياة السلف بين القول والعمل./أحمد بن ناصر الطيار.- الدمام، ١٤٤٠هـ.

٦٨٨ص؛ ١٧×٢٤سم (ج١)

ردمك: ١ - ٧٨ - ٨٢٤٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الصحابة والتابعون أ. العنوان

ديوي ٢٣٩,٩ ١٤٤٠/٤٦٨٦

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ

١٤٤٤هـ

إمْتَازَتْ هَذِهِ الطَّبْعَةُ بِمَزِيدٍ مِنَ التَّنْقِيحِ

وَإِضَافَةِ (١٢٠٠) أَثَرٍ و (٩٠٠) تَعْلِيقٍ

الباركود الدولي: 9786038245781

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٤٤هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

حياة السلف

بين

القول والعمل

تأليف

أحمد بن ناصر الطيار

غفر الله له ولوالديه

الجزء الأول

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

عند ذكر الصالحين تَنزِل الرحمة.

وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليَّ مِن الفِقه، لأنها آداب القوم.

وقال بعض المشايخ:

الحكايات جند من جنود الله؛ يثبت بها قلوب أوليائه، قال: وشاهده قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠]

ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٣٤)

المُقدِّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فضَّلنا وجعلنا خيرَ الأمم، وأرسل إلينا رسولًا زكَّاه بأحسن الأخلاق وأعظمِ القِيَم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، منَّ على هذه الأمَّةِ بأوفر العطايا وأجمل النِّعم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، من سار على هديه أوصله إلى أعالي القِمم، ومن حاد عن طريقه تجرَّع الذل والصغار والندم، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه سادات العُرْب والعجم، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلقَدْ تركَ لنا علماؤنَا الأجلاءُ علُومًا كثيرةً في شتَّى الفنون، حتَّى كتَبوا في السُّلوك والأخلاق والسِّياسة والمنْطق والطِّب وغيرِها مِن أنواعِ العلُوم المفيدة، والفضل لله ثم لهم في تقييد هذه العلوم والآثار عمن سبقهم، «ولولا ما عقَدَتْه الكتبُ من تجارب الأولين لانْحَلَّ مع النسيان عقودُ الآخرين». [1]

وَمِمَّا كَتَبُوا فِي ذَلِكَ وَصَنَّفُوا:

الكتب التي **تجمع أقوال وأحوال السلف الصَّالح** مِن الصَّحابة والتَّابعينَ وتابعيهِم، ولا شكَّ أنَّ كلامَ علماءِ السَّلف أعظمُ تأثيرًا وفائدةً مِن كلام مَن جاءَ

(١) أدب الدين للماوردي (١٠٥).

بعْدَهم؛ فإنَّهم مِن القُرُون المـُفضَّلة التي شَهِدَ لهُم النَّبيُّ ﷺ بالخيريَّة، حيث قال: (خير الناس: قَرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[١].

فإذا أكثَر المسلمُ **مطالعة كتبهم وأدام النظر في كلامهم وأحوالهم؛ استفاد فائدةً عظيمة، يظهر أثرها عليه في أخلاقه وسلوكه**، وسيعظُم قدْرُه وقَبولُه عِنْد النَّاس.

وحاجة الناس للقدوات ماسّةً جدا خاصة في هذ الزمن الذي كثرت فيه الفتن والشهوات والشبهات، وانتشرت فيه القيم الغربية والشرقية المنحرفة عن الفطرةِ السويّة، ومهما اجتهد المسلم في إصلاح نفسه وأخلاقه وقلبه سيجد صعوبة ومشقة.

وأعظم قدوة لنا في ديننا وأخلاقنا وصلاح ظاهرنا وباطننا -بعد الأنبياء وخاصة نبيّنا صلى الله وسلم عليهم أجمعين-: الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان خاصة في القرون المفضلّة.

وإذا لم نتمكّن من رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم فقد تمكّنا -بحمد الله- من الاطلاع على كمٍّ كثيرٍ من أخبارهم وسيرهم حتى كأننا نعيش معهم ونجالسهم، مما له الأثر الكبير على صلاحنا وتأثرنا بهم.

«فمُنتهى عِلْم عالِمِنا في هذا الزمان أن يأخذ من عِلْمهم، وغايةُ إحسان مُحْسِنِنا أنْ يقْتديَ بسِيرتهم.

وأحسنُ ما يصيب من الحديث محدِّثُنا أن ينظر في كتبهم، فيكون كأنه إياهم يحاور، ومنهم يَسْتمع.

غير أنَّ الذي نجد في كتبهم هو الْمُنْتَخل[٢] من آرائهم، والمنتقى من أحاديثهم.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) أي: المنتقى والمختار.

ولم نجدهم غادروا[١] شيئًا يجد واصفٌ بليغٌ في صفةٍ له مقالًا لم يسبقوه إليه: لا في تعظيم لله عَزَّوَجَلَّ، وترغيبٍ فيما عنده، ولا في تصغيرٍ للدنيا، وتزهيدٍ فيها، ولا في تحريرِ صنوف العلم، ولا في وجهٍ من وجوه الأدب، وضروبِ[٢] الأخلاق.

فلم يبقَ في جليلِ الأمر ولا صغيرِه لقائلٍ بعدهم مَقالٌ».[٣]

وَللغزالِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٠٥)، فِي هَذَا المَعْنَى كَلَامٌ جَمِيلٌ حَيْثُ قَالَ:

«ولقد كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، أشبَه النَّاسِ كلامًا بكلامِ الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وأقربهم هديًا مِن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اتَّفقتْ الكلمةُ في حقِّه علَى ذلك، وكان أكثرُ كلامِه في خواطرِ القلُوب، وفسادِ الأعمال، ووساوسِ النُّفوس، والصِّفاتِ الخفيَّة الغامضة مِن شهواتِ النَّفْس، وقد قِيلَ له: يَا أبَا سَعِيد، إنَّك تتكلَّمُ بكلامٍ لا يُسْمَعُ مِن غيْرِك، فمن أينَ أخذتَه؟ قال: من حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٣٦)، وقيل لحذيفة بن اليمان: نراكَ تتكلَّم بكلامٍ لا يُسْمَعُ مِن غيْرِك مِن الصَّحابة، فمن أين أخذتَه؟ قال: (**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ أَقَعَ فِيه**)[٤]». ا.هـ[٥].

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- (ت: ٧٢٨): «كُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ إِلَى السَّلَفِ وَالأئمَّةِ أَقْرَبَ كَانَ قَوْلُهُ أَعْلَى وَأَفْضَلَ». ا.هـ[٦].

وفي ذكر تراجم الْعلمَاء وسيرهم وحَياتهم عدّة فَوَائِد نفيسة:

---

(١) أي: تركوا وأخلّوا.

(٢) أي: أنواع.

(٣) الأدب الصغير لابن المُقفَّع رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٦-٥٧).

(٤) رواه البخاري: (٣٦٠٦)، ومسلم: (١٨٤٧) بلفظ: «مخافة أن يدركني».

(٥) تهذيب إحياء علوم الدين ص: ٧٦.

(٦) «التدمرية» ص: ١٩٢، تحقيق: د. محمد السعوي.

مِنْهَا: التأدب بآدابهم واقتباس محَاسِن آثَارهم.

ومنها: أَنّ أَئِمَّتنَا وأسلافنا كالوالدين لنا، فهم أعلمُ منّا بمصَالح آخرتنا الَّتِي هي دَار قرارنا، وأنصح لنا فِيمَا هُوَ أَنفع لنا في ديننا ودنيانا.

فيقبح بنا أَن نجهلهم وَنُهْمِل معرفتهم، ونزهد في نصائحهم وتوجيهاتهم وأقوالهم وأعمالهم.

وقد عزّ عليّ أنْ أرى كتابًا حوى سيرهم مرتبة وواضحة وجامعًا لكل ما جاء عنهم فيما يتعلّق بصلاح العقيدة والدين والأخلاق، وسالمًا مما أدخله الكذابون وغيرهم وألصقوا عليهم أقوالا وقصصا لا تصح عنهم.

فعزمت -بتوفيق من الله- على جمع وتدوين ما أقدر عليه من آثارهم وأخبارهم لنفسي، لأعيش حياتهم وكأنني معهم، ودوّنت طرفًا من كلام أهل العلم، فوجدت لذلك أثرًا علِيّ وتغيُّرًا كبيرًا في حياتي، ثم رأيت أنّ من نشرِ العلم طباعتَه ونشره.

ومن توفيق الله لي أن هداني وأعانني على إبراز وعرض حياة السلف الصالح وسَبر أقوالهم وأحوالهم الموافِقة للوحيين المنثورة في كتب السير والتراجم؛ للتأسِّي بهم، والاقتداء بآثارهم، ولبثِّ روح التنافس على الخير والطاعة، ولتقريبِ الفجوة الكبيرة بيننا وبينهم خُلُقًا وعبادةً وسلوكًا.

وَلَا شَكَّ أَنَّ كَلامَ السَّلَفِ وَمَا نُقِلَ عَنْهُمْ مِنْ سِيَرِهِمْ -خاصة أهل القرون المفضّلة- لا يمكن حصرُه واستيعابُه، ولو جُمع كل ما نُقِلَ عَنْهم لبلغ ذلك عشرات الكراريس والمجلدات الضخمة، ولربّما حوى ما لا يَنْبغي ذكْرُه مِن البدعِ والخُرافات والـمُبالغات التي نجزم يقينًا أنَّها لَمْ تَقع منْهم، فقد كُذِبَ علَيهم كما كُذِبَ علَى النَّبيِّ ﷺ، ولا ندّعي العصمةَ لهم، ولكن نُحسن الظنّ بهم.

وأمَّا مَن وقع منه شيءٌ من ذلك فنعتذرُ له ولا نقتدي به.

وهذه الأخطاء -إن وُجدت- مَغْمورةٌ في بحر حسناتِهم رضي الله عنهم ورحمهم.

وَغَرَضِي مِنْ هَذَا الكِتَابِ:

عرض وإبراز ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم في سِيَرهم وحياتهم؛ ليعيشَ المسلمُ حياةَ سلفه الصالح، ويقف على حسُنِ أخلاقِهم، وجميلِ تعاملاتِهم، وعظيمِ عباداتِهم، وصلاحِ سرائرِهم، وسلامةِ صدورِهم، وصفاءِ عقائدهم، وغيرَ ذلك مِمَّا يزيدُ مِن همَّته، ويحثُه على الاقتداءِ بِهم، وَالتَّمَسُّكِ بآثارِهم؛ فعِنْد ذلك سيلاحظ مع الأيامِ تغيُّرًا ظاهرًا في حالِه وقلبِه، وفي تعاملِه وأخلاقِه.

واعتنيْت بتنقِيةِ وتصفيةِ كلّ ما أُلصق بهم كذبًا وبهتانًا، أو ما صَدَر عن بعضهم من الأخطاء التي فعلها باجتهادٍ منه وحُسنَ نيَّة.

الملحوظات عَلَى كُتُب السير والطبقات

وَمِمَّا يُلْحَظُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ الَّتِي كَتَبَت فِي هَذَا المُوضُوعِ:

١- احتواؤها على الغثّ والسَّميْن، والطَّيب والرديء، التي تحتاج إلى تنقيح وتحقيق وتهذيب.

٢- خلوّها من الترتيب والتَنْسيق؛ مما جعل كثيرًا من القرّاء تتقاصر هممهم عن قراءتها.

٣-ضَخامتها وطولها، حتَّى وصل بعْضُها إلى ثلاثين مجلدًا، فلا يستفيد مِنْها إلا القليلُ مِن النَّاس.

٤- خلّوها من التَّنْبيه والتعليق على ما ورد فيها عن بعضهم مِن أخطاء عقدية أو سلوكية أو علميّة أو أخلاقيّة.

٥- صعوبة الإلمام بالموضوع الواحد، فإذا أراد القارئُ أو الباحثُ موضوعًا ما فإنَّه لابد أن يقرأ جميعَ ما في هذه الكتب حتى يُلملم شتات هذا الموضوع؛ لأنَّ طريقةَ العلماءِ في هذا المجال هي أنَّهم يذكرونَ سيرةَ الشَّخص، وأقوالَه، وما قِيلَ عنه، ولم يسلكوا طريقةَ الترتيب بالموضوعات، التي يُذكر تحتها الآثارُ التي تخص كلّ موضوع.

نَعَمْ: قد ألَّفوا في الفِقْه علَى هذه الطَّريقة كما فعل ذلك: ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(ت: ٢٣٥)، ولكنَّ الفِقه ليس موضوع بحثي، وألفوا في العقيدة كما فعل: الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٤٩) -والعقيدة جزء من كتابي هذا- وألفوا في السلوك والأخلاق كما فعل: الغزَالِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٠٥)، ولكن كلام السلف وأحوالهم لم يكن موضوع كتابه وإنما هو ضمن كلامه وبحثه، مع ما حواه كتابه من الآثار التي لا تصح نسبتها عن سلفنا الصالح.

وَمِنْ خِلالِ قِرَاءَتِي لِبَعْضِ كُتُبِ هَؤلاءِ العُلَمَاءِ- عَلَيهِم رَحْمَةُ اللهِ:

وجدْتُ فيها فوائِدَ ودُررًا لا تُوجد في غيرِها، جَمَعَتْ للمسلم ما يحتاجُه في دينِه ودنياه، مِن كلامِ سلَفِه الصَّالح وتوجيهاتِهم وأحوالِهم.

فحاولتُ -حسب قُدْرتي وجُهدي- استيعابَ أكبرَ قدْر ممكن مما نُقِلَ عَنْهم مِن خلالِ ما قرأتُه مِن الكتبِ التي ذكرتُها في المراجع.

ولكن هذه الكتب لا تخلو من الملحوظات التي ذكرت، ولقد تقاصرتْ همَمُ أكثرِ النَّاس عن همِمِ هؤلاءِ العلماء، فصعب على كثير منهم قراءتُها والاطّلاعُ عليها، مع ما فيها من الفوائِدِ العظيمة، والعلوم الكثيرة.

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨)، في آخر كتابِه: «**المُنْتَقى**» الذي اختصر فيه كتابَ شيْخِ الإسْلام ابنِ تَيْمِيَّة: «**منهاج السنة**»: «**وَهَذَا «المُنْتَقى» فِيهِ كِفَايَةٌ بِحَسَبِ هِمَمِ النَّاسِ، وَالأَصْلُ فَبِحَسَبِ هِمَّةِ الشَّيْخِ -أيْ: شَيْخ الإسْلام-**». ا.هـ[1].

فَإِذَا كَانَ هَذَا كَلامُ الذَّهَبِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَكَيْفَ بِنَا، وَنَحْنُ فِي هَذَا العَصْرِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ المُلْهِيَاتُ وَالأَشْغَالُ وَالفِتَنُ؟ نَسْأَلُ اللهَ أنْ يَرْحَمَنَا بِرَحْمَتِهِ.

ومن فضل الله تعالى وكرمه، وإحسانه وجوده، أنْ جعل لهذا الكتاب -بعد

---

(١) «المنتقى»: ص: ٥٩٤.

صدور الطبعة الأولى- قبولًا واسعًا، وإقبالًا مُفرحًا، من مشايخ وطلاب علم ومن عامة الناس، من مختلف البلدان، ونال ثناءَ وإعجابَ الكثير منهم، وكَثُر مَن اسْتفاد وانتفع منه، وهذا من فضل الله أولًا، ثم من كرمهم وحسن خُلُقهم.

وبعد الطبعة الثانيةِ قرأت الكتاب مرة أخرى وعلّقت على الكثير من الآثار.

واستفدت من ملحوظات المحبين والناصحين، وتدارسْتُه مع بعض إخواني طلاب العلم؛ فأصلحتُ العديد من عباراته، وصحَّحت أخطاءه اللغوية، وعلقت عليه التعليقات المفيدة، مع إضافة **الكثير من الآثار** المهمة التي مرّت عليّ خلال قراءتي لبعض كتب السنة والآثار وغيرِها.

ثم قرأت كتب طبقات العلماء الأعلام، من المحدثين والقُرَّاء والمفسِّرين في المذاهب الأربعة، **فوجدتُ في هذه الكتب الكثير من اللَّطائف والقَصص والحِكَم ما لا يُوجد في غيرها**، وإنما غُفل عن أكثرها لكونها في كتب التراجم المطوّلة، ولا يُحتاج إليها إلا على جهة النُّدرة، مِن مُختصٍّ يقصدها لحاجةٍ في فنّه، فربما لم تستوقفه هذه اللطائف لانشغاله بما قَصَدَه وطَلَبَه.

وقرأت كثيرًا من كتب الصحاح والسنن والآثار المتقدّمة المسندة، كصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والدارمي، وكتب الزهد للإمام أحمد وأبي داود وابن المبارك وغيرهم.

فجعلتُ أُقلِّبها ورقةً ورقةً، وأقرؤها بتأملٍ وعِناية، وأُكرِّرُ وأُعيدُ النظر في كثيرٍ مما فيها، وأنتقي أطايبها، وأختار دُرَرها، ووجدت في بعضها آثارا صحيحة كثيرةً نفيسة لا تُوجد في غيرها من الكتب.

فاجتمع عندي كثيرٌ منها، فرتبتها وبوَّبتُها وعلّقت عليها.

وعزوت الآثار المرويّة في الكتب المتأخّرة التي أوردتها في كتابي إلى مصادرها

الأصْلية بقدر الإمكان، مع بيان صحة كثير منها، وقد اتضح لي أنّ كثيرا من الآثار التي جاءت في المصادر المتأخرة فيها زيادات أو تحريفٌ على ما في المصادر المتقدّمة المسندة؛ فأثبتُّ الآثار الصحيحة، وحذفت الآثار الضعيفة، والتي فيها عدم دقّةٍ في نسبتها إلى أصْحبها، أو فيها زيادة أو نقص عما في المصادر المتقدّمة المسندة الصحيحة.

وأضرب مثالا على ذلك:

جاء هذا الأثر في الطبعات السابقة:

* وعن ابن أبي ليلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أدركت عشرين ومئة من **أصحاب رسول الله** ﷺ من الأنصار، إذا سُئِلَ أحدُهم عن شيءٍ، ودَّ أن أخاه كفاه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٩٤ .

وفي الطبعة الرابعة:

* وعن ابن أبي ليلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أدركت عشرين ومائة من **أصحاب النبي** ﷺ، فما كان منهم محدّث إلا ودّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مُفْتٍ إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا. الزهد لابن المبارك (٥١).

فنقلت الأثر عن مصدره الأصلي المسند الصحيح، مع ما فيه من زيادة جاءت بفائدة.

مثال آخر:

جاء هذا الأثر في الطبعات السابقة:

* وقال **سفيان بن زبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يسرني أن يكون لي في كل شيء نيّة حتى في الأكل والنوم. صفة الصفوة ٢/ ٥٧.

وفي الطبعة الرابعة:

وعن **زُبَيد بن الحارث اليامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «يسرني أن يكون لي في كل شيء نية حتى في الأكل والنوم. الزهد لابن المبارك (٦٤)

فقد تبيّن وهْم ابن الجوزي -أو خطأ الناسخ أو غيره- في نسبة القول لسفيان بن زبيد، مع زيادة فائدة وهي صحة الأثر.

وهكذا الحال في مئات الآثار والحمد لله رب العالمين.

وقد حذفت بعض الآثار التي تبيّن عدم صحة نسبتها إلى أصحابها، وفيما صحّ غُنيةٌ عنها.

مثال ذلك: نقلت في الطبعات السابقة ما جاء في الحِلْية (١/ ٢٢٣) عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: إنّ من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالمًا لا ينتفع بعلمه.

فتبيّن أنه ضعيف جدا كما قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مشكاة المصابيح» (١/ ٨٩).

وقرأت بعض كتب الأدب والشعر، فوجدت فيها العديد من كنوز الأدباء والشعراء، وحِكم البلغاء والحكماء، السابقين واللاحقين.

وبهذا أكون قد أتيتُ على حياةِ السَّلف والخَلَف، وأحطتُ بقدرٍ كثيرٍ ثمينٍ من سِيَرهم وأخبارهم، وقصصهم وحكاياتهم، وأحوالهم ومآثرهم، وأقوالهم وحِكَمهم، انتقيتها من أكثر من ستين مصدرا، وغالب هذه المصادر تحوي أكثر من مجلد، أخذت منها صفوها وأعرضت عن كدرها -إن وُجد-.

وقد أغنيتك -أخي القارئ- عن الرجوع إلى جلّ هذه المصادر -خاصة

كتب الزهد والطبقات-، لا تزهيدًا فيها، وإنما تيسيرًا لك؛ لأني فتشتها ودققت وتأملت فيها وجردتها، فاستخرجت أحسن وأنفع ما فيها -وفق منهجي في كتابي-، وتركت ما سوى ذلك.

ولما كان الخاطر حاضرًا حين القراءة: دوّنت وعلَّقتُ بما جاد به، دون تكلُّفٍ واستدعاءٍ لِما أكتب، بل **كنتُ أمْلي ما يجول في خاطري من تأملاتٍ ووقَفات**، فدوَّنتُها ابتداءً لنفسي، ثم رأيتُ بعد أن تأمّلت أن يَعُم نفعها وتُطبع ضمن كتابي هذا.

وقد أكرمني كثير من الإخوة بإعارتي كثيرًا من هذه الكتب، وساعدني آخرون في مراجعة الكتاب وتصحيحه، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

فها هي **الطبعة الرابعة** -ولله الحمد- **تخرج بمزيد عناية ووافر إفادة**، بعد أنْ أمضيتُ في إعداد الكتاب منذ بدأتُ به إلى وقتي هذا قرابةَ **عشرين عامًا**، أقرأ وأجمع فيه ما تناثر من دُرر أقوال وأحوال السَّلف رحمة الله عليهم، فأنتقل من كتاب إلى كتاب، ومن فنٍّ إلى فنٍّ، وأتنزّه في الرياض النضرة، وأسبح في الأنهار الجارية العذبة؛ في كتب التفسير؛ كتفسير القرطبي والسعدي والمنار، وكتب الحديث وشروحها؛ كفتح الباري والمفهم، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن الجوزي، وكتب الآثار؛ كالزهد للإمام أحمد وأبي داود وابن المبارك وغيرهم، وكلّما وقعت عيني على زهرة جميلة قطفتها، وعلى لؤْلؤَةٍ ثمينة أخذتها، فملأت الكتاب بأبهى الزهور وأغلى اللآلئ.

فلا غرو أن كان كتابي هذا هو مشروعَ حياتي؛ والحبيب إلى قلبي، الذي بذلتُ فيه قصارى طاقتي ووسعي.

وهو الكتاب الوحيد الذي أعيد فيه وأكرر ولا أملّ، وأزيد فيه وأصوّب.

أسأل الله العلي العظيم **أن يرزقنا الإخلاص والقبول**، في القول والعمل، **وأن يجعل هذا الكتاب مقبولًا باقيًا بين الناس**، داخلًا في العِلم النافع، دائمَ الأجر والثواب، كما قال رسولنا الكريم ﷺ: «إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو **علمٍ يُنتفَعُ به**، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»(١).

وأسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن **تخرج هذه الطبعة بأبهى حُلَّة، وأحسن صُورة، تنقيحًا وتعليقًا وإضافة**، راجيًا المولى عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بها، كما نفع بما قبلها وأعظم، وأن يجزي خيرًا من أسدى لي نصيحة، أو أهدى إليّ ملحوظة، أو تكرَّم وتلطَّف بشكرٍ وثناء، وتشجيعٍ ودعاء. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

مَنْهَجِي فِي اخْتِيَارِ مَادَّةِ هَذَا الكِتَابِ

١- ذكرت كلَّ ما يتعلَّق بحياةِ السَّلف مِن الصَّحابة والتَّابعيْنَ ومن تبعهم بإحسان، مِمَّا يُفيد المسلمَ في أمْرِ دينِه ودُنياه، وما يعينه على إصلاحِ حالِه وقلبِه، وإصلاحِ خُلُقِه وسلوكِه.

وأما ما سِوى ذلك فلم أذكره لقلة الفائدةِ مِن ذكره.

وَمِنْ ذَلِكَ:

أ- المصطلحات والتعريفات التي لا معنى لها أو يصعب فهمها، **مِثْل قَوْلِ بَعْضِهِمْ**: قلب المحب يهيم بالطيران، وتكلمه لدغات الشوق والخفقان.

وَقَولُ بَعْضِهِمْ: الإخلاص: ارتفاع رؤيتك عن فعلك.

والتوكل: إسقاط رؤية الوسائط والتعلق بأعلى الوثائق.

قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١): في معرض رده على أمثال هذه المصطلحات - كالفَناء والاتصال وجمع الشواهد وجمع الوجود وجمع العين:

«ولم يأتِ له ذكرٌ في القرآن، ولا في السُّنَّة، ولا يعرفُه إلا النَّادر مِن النَّاس، ولا يتصورُه أكثرُهم إلَّا بصعوبة ومشقة، ولو سَمِعه أكثرُ الخلْق لما فَهِموه ولا عرفوا المرادَ مِنْه إلا بترجمة، فأين في كتابِ الله أو سنَّة رسولِه أو كلام الصَّحابة الذين نسبة معارف مَن بعدهم إلى معارفهم كنسبة فضلِهم ودينِهم وجهادِهم إليهم ما يدل على ذلك أو يشير إليه، فصارَ المتأخرون أربابَ هذه الاصطلاحات الحادثةِ

بالألفاظ المجملة والمعاني المتشابهة أعرف بمقامات السَّالكينَ ومنازل السائرينَ وغاياتها مِن أعلم الخلْق بالله بعد رسلِه؟ هذا مِن أعظم الباطل...

فلا تجد هذا التكلُّفَ الشديد والتَّعْقيدَ في الألفاظ والمعاني عند الصَّحابة أصلا، وإنَّما يُوجد عند مَن عَدَلَ عن طريقِهم». ا.هـ بتصرف[1].

ب- ما قِيلَ في مَدْح أعيانِ بعضِ النَّاس والثناء عليهم؛ ككثرة حفظِه، أو حسُنِ صوتِه في تلاوةِ القرآن، أو ما لَه مِن مَنْزلة ومكانة عند العلماء والكبراء، وغيْرِ ذلك، إلا ما كان في ذكره فائدة ظاهرة.

ج- المسائِل الفقهية، والفتاوى، والتَّفاسير التي نُقلتْ عن السَّلف، فلها كتبها الخاصة المفردة بها.

د- ما لا فائدةَ مِن ذكرِه، أو فائدتُه قليلة مِن القَصص والخُطَب وغيرِها.

هـ- الإسرائيليات التي لا نعلم صحَّتَها، وربَّما ذكرتُ بعضها -للاستئناس- إن كان في ذكرها فائدة.

٢- علّقت على كثير من الآثار بما تيسّر، ونقلت كثيرا من أقوال العلماء وتعقيباتهم وتعليقاتهم وجعلتها في الحاشية، وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن الجوزي وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وإذا كان التعليق أو والتعقيب في أصل الكتاب الذي انتقيت منه جعلته في المتن عقيب الأثر مباشرة إلا ما ندر.

ولأهل العلم تعليقات واستدراكات نفيسة جدا، ولا يُمكن الاستفادةُ من أكثرها أو كثيرٍ منها إلا بصعوبة بالغة؛ لأنها في غير مظانّها.

فدوّنتها وسهّلت على القارئ الحصول عليها والاستفادة منها بفضل الله ومنّته وتوفيقه.

---

(١) «مدارج السالكين»: ٤/ ٤١٨-٤١٩.

٣- مهَّدتُ بمدخلٍ للتعريف الموجز بالسلف الصالح، وخصائصهم، وواجبنا تجاههم، وسمات منهجهم في العقيدة.

٤- جعلت جلّ اهتمامي التأكد من صحة وصواب ما نُقل عن السلف، وأما الأسانيد فقد استبعدت ما ظهر لي شدّة ضعفها أو وقفت على عالم ضعّفها.

وانتقيت من كتب الزهد -وهي الزهد للإمام أحمد، وأبي داود، والمعافى الموصلي، وأسد بن موسى، وابن المبارك، وهناد بن السري، ووكيع-، ومسند الدارمي: ما صحّ عند محققيها؛ حيث قام من حققها بتمييز الآثار الصحيحة والحسنة من الضعيفة.

فإذا عزوت الأثر لأحد هذه المصادر فهو أثرٌ صحيح عند من حققها، وأعني بالصحيح الذي هو ضد الضعيف، فيشمل الحسن.

وما سوى ذلك فاكتفيت بصحة وصواب المنقول.

٥- أضفْتُ إلى كُتُب السِّيَر والتَّراجم والتَّواريخ نوعين مِن الكتُب:

* كتب العقيدة.

* كتب الأدب.

حيثُ لم تستوعب كتب التراجم ما نُقل عن السلف في هذين النوعين.

٦- أدخلْتُ في هذا الكتابِ بعْضَ المواضيع التي لا يشملُها عِنوان الكتابِ مِثْل: أحوال المنتكسين؛ للحذر والاعتبار والاتعاظ، وأكون بهذا قد حويت أكبر قدر مِن نقولِهم وأحوالِهم في شتى المواضيع.

٧- تجنَّبْتُ الآثارَ المنقولةَ عن بعْضِ السَّلف، المخالفةَ للكتاب والسنة، **ومِن ذلك:**

أ- ما يقدَحُ في العَقِيدة أو يُضادُّها، مما يُحكى عن بعض العلماء أو الزهاد أو

الوعاظ، فالكثير مما نُقل عنهم لا يثبت، وكثير منه صدر عن اجتهادٍ يُعذر صاحبه، ولا يجوز لمن عَلِمَه أن يقلده ويقتدي به.

وهي وإن كانَتْ قليلةً ونادرةً فقد وُجد شيء من ذلك:كالتَّوسل بالموتى، والاستغاثة بهم، وغير ذلك.

ب- ما يخالفُ الكتابَ والسُّنَّة، والأمثلة على ذلك كثيرة، سأكتفي ببعضها:

١- **ما يُذكر عن بعْضِهم:** أنه لا يسأل اللهَ الجنَّة؛ لشدةِ خوفِه وحيائِه مِنْه، وكذلك **ما يُذكر عن بعْضِهم:** أنَّه يصومُ الدهرَ ولا يتزوجُ النِّساء، وغير ذلك.

٢- ما ذكره القاضي عِياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعضهم أنه أقام فوق أربعين سنة إذا دخل شهر رمضان لم يكلم أحدًا من الناس، لا أهلًا ولا ولدًا، فإذا أراد حاجة كتب بها!.

ولا يخفى أن نبينا وقدوتنا ﷺ قد اعتكف في رمضان في مسجده فجاءت إليه صفية زوجه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تزوره، ثم قامت فقام معها، فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ: على رسلكما إنها صفية بنت حيي(١).

٣- ما نَقله كذلك عن بعضهم قوله: إنما تركت العلم لله؛ لأن أهله أدخلوا فيه ما ليس فيه!.

وهذا حُمق؛ **لأن العلم الشرعيّ لا يُترك لأجل ما أُدخل فيه من الخطأ والبدع، بل الواجب التحري والاجتهاد.**

٤- ما نَقله عن بعضهم أنه قال: كان الرزق أبطأ علي مرة، فقالت لي نفسي: تعرّض للرزق، فخرجت، فسمعت معلمًا يقرئ صبيانًا هذه الآية: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴾ [المؤمنون:١٧] فانتبهت من ذلك ورجعت إلى بيتي، فجلست!.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨١).

وهذا مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح ومَن بَعدهم، فقد أمر الله تعالى بالسَّعي في مناكب الأرض، والنبي ﷺ قد قال: «**جعل رزقي تحت ظل رمحي**»(١).

ومازال الناس سلفًا وخلفًا يخرجون يطلبون الرزق، ولم يجلسوا في بيوتهم حتى يأتيهم.

٥- ما نَقله عن آخر أنه لا يأكل إلا ما عَلم طيبه، وطيب أصله، وتصرفَ المواريث فيه، وانتقال أملاكه على ما يجب، وأن أهله كانوا يزكونه!.

وهذا تنطُّعٌ مُبالغ فيه، مخالف لما جاء عن نبينا ﷺ، قال البخاري في صحيحه: (باب من لم ير الوساوس ونحوها من الشبهات)، ثم ذكر بسنده عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن قوما قالوا: يا رسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أَذَكروا اسم الله عليه أم لا؟!، فقال رسول الله ﷺ: «**سموا الله عليه وكلوه**».

قال الحافظ ابن حجر: هذه الترجمة معقودة لبيان ما يُكره من التنطع في الورع.

وغرض المصنف هنا بيان ورع الموسوسين، كمن يمتنع من أكل الصيد خشية أن يكون الصيد كان لإنسانٍ ثم أَفلت منه، وكمن يترك شراء ما يَحتاج إليه من مجهول لا يدري أماله حلال أم حرام، وليست هناك علامة تدل على الثاني. ا.هـ(٢).

ومثل هذه الحكايات تؤثر في قلوب الضعفاء والجهلاء، وتُفسد أديانهم ودنياهم، فربما عملوا بها فضلُّوا وأضلّوا.

وكثيرًا ما أقفُ على قصص وأحوال بعض العُبَّاد والزهاد وغيرهم، ممن آثر التَّقشُّف وتَرَك الطيِّب من الطعام والشراب والمتاع، حتى أَضَرّوا بأنفسهم، بدعوى تهذيبها وإصلاحها، فإذا قارنتَ حياة نبينا ﷺ وحياة جمهور أصحابه

(١) أخرجه البخاري معلَّقًا قبل حديث (٢٩١٤)، وأخرجه الإمام أحمد (٥٦٦٧).

(٢) فتح الباري، بتعليق ابن باز (٤/ ٢٩٥).

رأيتَ الفارق بينهم، حيث يأكلون الطَّيِّب إذا تيسَّر لهم، ولا يتقصَّدون ردّه إلا نادرًا في حالاتٍ معينة، ويلبسون الثياب الحَسَنة، ويتزوجون ما يشتهون من النساء، ويشترون ويبيعون، ويمزحون ويضحكون، ولا يتكلَّفون.

وإذا تأمَّلتَ القرآن وجدتَه يدعو إلى **الاستمتاع بما أحل الله من الطيبات**، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧]، قال الطبري: يعني بـ«الطيبات»: اللذيذات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب، فتمنعوها إيّاها، كالذي فعله القسِّيسون والرُّهبان، فحرَّموا على أنفسِهم النساءَ والمطاعمَ الطيِّبة، والمشاربَ اللذيذة، وحَبس في الصَّوامع بعضُهم أنفسَهم، وساحَ في الأرض بعضهم.

يقول تعالى ذكره: فلا تفعلوا أيُّها المؤمنون، كما فعل أولئك، ولا تعتدُوا حدَّ الله الذي حدَّ لكم فيما أحلَّ لكم، وفيما حرم عليكم، فتُجاوزوا حدَّه الذي حدَّه، فتُخالفوا بذلك طاعته، فإن الله لا يحبُّ من اعتدى حدَّه الذي حدّه لخلقه، فيما أحل لهم وحرَّم عليهم. ا.هـ(١).

فأيقنت أن طريقة هؤلاء الزهاد المتأخرين على خطأ، وأنهم جَنَوا بذلك على أنفسهم وعلى الدِّين، بزعمهم أن الله تعالى يُحب ذلك!، ولو لم يعتقدوا ذلك ما فعلوه رغم صعوبته وشِدَّته.

ج- ما يدعو إلى تبجيل الشيوخ، **وعدم الاعتراض عليهم ولو أخطَؤوا**، حيث رووا رواياتٍ تُحرِّم على الطالب الاعتراض على شيخه وأستاذه!، بل ومجرد السؤال عن الحجة فيما يقولون أو يفعلون!، وأكثر من يَروي هذه الصوفية والرافضة؛ لكي يبث شيوخهم ضلالاتهم وسمومهم على الناس، ويضْمَنون عدم الاعتراض عليهم.

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٥١٣).

فمن هذه الروايات: ما حُكي عن الشيخ أبي عبدالرحمن السُّلَميّ أنه قال: قلتُ يومًا للأستاذ أبي سهل في كلام يجري بيننا: لم! فقال لي: أما علِمتَ أن من قال لأستاذه: لم! لا يفلح أبدًا.

ورُوي عن أبي سهل كذلك أنه قال: عقوق الوالدين يمحوها الاستغفار، وعقوق الأستاذين لا يمحوها شيء!!.

وهناك مخالفاتٌ في باب العقائد، كالتبرك بالأموات، وغير ذلك، فأعرضتُ عن هذه القَصص والحكايات والأقوال؛ لأنها إما مكذوبة عليهم، وإما أخطاء وقعوا فيها، ولا يجوز لنا أن نقع فيما وقعوا، فالمؤمن يَتبَع الحق لا الرجال، (فاعرف الحق تعرف أهله)[(١)].

د- التواريخ والمعارك والأحداث، فهذه لها كتبها الخاصة.

هـ- ما يخالِفُ العَقْلَ والواقع، **كما يُذكر عن بعْضِهم**: أنه لا يأكل في الشَّهر إلا وجبتين فقط، وبعْضهم احْتَبس بولَه أربعةَ عشر يومًا، **وما يُذكر عن بعْضِهم**: أنه يمشي على الماء، فقد **رُوي عن بعْضِهم**: أنه جاء إلى أحد هؤلاء وهو قائم يصلي على الماء، قال: فلما أحس بي: أوجزَ في صلاتِه، ثم أخذ بيدي، فوقفني على البحر، وحرَّك شفتيه، فقلتُ في نفْسِي: إنْ مَشَى على الماءِ مشيتُ معَه، فما لَبِثَ إلا يسيرًا، فإذا الحيتانُ قد برزت مدَّ البحر، وقد أقبلَتْ إلينا رافعةً رؤوسها مِن الماء، فاتحةً أفواهها، فقلْتُ في نَفْسي: أين ابن بشر الصياد؟ فلمَّا ذكرتُه في نَفْسي تفرَّقت؟!!!... **صفة الصفوة»**: (٢ / ٦٦١).

و- المبالغاتُ والتُّرهات التي لا تليق بكرامةِ الإنسان، فضلًا عن المسلم، فضلًا عن أهْلِ العِلْم والفضل.

---

(١) مقولة مشتهرة عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر تفسير أبو المظفر السمعاني (٤٢٦ - ٤٨٩هـ) عند تفسير سورة البقرة آية ٤٢.

مِن ذلك: ما يُذكر عن **الحَسَنِ الفَلاسِ** أنَّه يلبس ما في المزابل!.

ومثل ذلك: قول **سَرِيٍّ السَّقَطِيِّ**: تُعجبني طريقةُ **الحَسَنِ**، وكان **الحَسَنُ** لا يأكل إلا القمامة!.

ز- الأحكام التي تقال في التَّزهيد من الدنيا، ورغد العيش التي لا دليل عليها، **مِثَالُ ذَلِكَ**: ما رُوي عن **إِبْرَاهِيم التَّيمِي** أنه قال: ما أكل آكل أكلةً تسره ولا شرب شربه تسره إلا نقص بها من حظه من الآخرة، ومثل هذا الكلام يحتاج إلى توقيف ولا مجال فيه للاجتهاد.

ي- ما قيل في المبالغة في الخوف والبكاء إلى حد لا يتصوره عقل ولا يُقره نقل، **مثل ما يُذكر**: عن **سُفْيَان** أنه قال: كان **سَعيدُ بنُ السَّائِب** لا تكاد تجف له دمعة: إن صلى فهو يبكي، وإن طاف فهو يبكي، وإن جلس يقرأ القرآن فهو يبكي، وإن لقيته في الطريق فهو يبكي!.

ومثل ما يُذكر أن بعْضِهم: لم يرفع رأسه إلى السماء ولم يضحك أربعين سنة!.

ومثل ما يُرْوَى أَنَّ أَبَا سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! أَخَذَ قَدَحَ الْمَاءِ لِيَتَوَضَّأَ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ وَعِنْدَهُ ضَيْفٌ، فَرَآهُ لَمَّا أَدْخَلَ أُصْبُعَهُ فِي الْقَدَحِ أَقَامَ لِذَلِكَ مُتَفَكِّرًا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟ قَالَ: إِنِّي لَمَّا طَرَحْتُ أُصْبُعِي فِي الْقَدَحِ تَفَكَّرْتُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [غافر: ٧١]، تَفَكَّرْتُ فِي حَالِي وَكَيْفَ أَتَلَقَّى الْغُلَّ إِنْ طُرِحَ فِي عُنُقِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَا زِلْتُ فِي ذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحْتُ.

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٤١)، **مُعَلِّقًا عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ:**

«فَهَذَا نِهَايَةُ الْخَوْفِ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا، وَلَيْسَ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ الَّذِينَ هُمُ الْحُجَّةُ عَلَى هَذَا الْمِنْهَاجِ، وَقِرَاءَةُ عِلْمِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَمَعَانِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

لِمَنْ يَفْهَمُ وَيُرْجَى نَفْعُهُ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا». ا.هـ[1].

عِلْمًا بأنَّ ما ذُكر مِن أخطاءٍ وزلات لم توجدْ في عهد الصَّحابة والتابعيْنَ غالبًا، بل **حَدَثَت بعدهم**، وفي كثير مِنْها لم تصح، ولم يثبُتْ سندُها كما تقدَّم بيانُه.

٨- اكتفيت من المصادر بمصدَرٍ أو مصدَريْنَ لكلِّ نقل؛ فإنَّ أكثرَ العلماء في هذا الباب يَنْقل بعْضُهم عن بعْضٍ، ولو تتبعتُ هذه المصادر لزاد حجم الكتاب بلا فائدة تُذكر.

٩- اخترت من الأبيات الشّعريّة، والحِكم البليغة، القديمة والحديثة، ما تحمل في طياتِها المعاني الجميلة، والعبارات الهادفة الواضحة، التي تزيد الكتابَ حلاوةً وجمالًا.

١٠- اجتهدت في تدوين وفيات الأعيان، وقد واجهت في ذلك صعوبة بالغة، وخاصة في الأعيان غير المشهورين، والأسماء المتشابهة؛ مثل: سفيان، إبراهيم، فهل سفيان هو الثوري أم ابن عيينة، وهل إبراهيم هو النخعي أم التيميّ، والأسماء التي شحّت كتب التراجم بترجمتها، والأسماء التي اختُلف في سنة وفاة أصحابها.

والأعيان غير المشهورين الذين لم أهتد لتاريخ وفاتهم ولم يكن في ذكرهم أهميّة: حذفتهم وقلت: قال بعض السلف، فالعبرة بأقوالهم وأفعالهم لا بأعيانهم.

وقد سلك هذا ابن تيمية وابن القيم وابن رجب رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وغيرهم.

١١- صححت الأخطاء المطبعيّة، وهذا تطلّب مني الرجوع إلى العديد من المصادر للتأكد والتحقق.

١٢- شرحت معاني الألفاظ؛ واعتمدت في ذلك على كتب اللغة، وفي كثير من الأحيان لا أشير إلى المصدر.

---

(١) «تفسير ابن عطية» المعروف بـ«المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»: (١/ ٥٥٥).

١٣- شرحت الْعبارات الغامضة؛ واعتمدت في ذلك على كتب أهل العلم، وإذا لم أقف على من شرحها اسْتعنت بالله فشرحتُها بما فتح الله علي.

مَنْهَجِي فِي تَرْتِيبِ مَادَّةِ هَذَا الكِتَابِ

١- قسَّمْتُ الكتابَ إلى مواضيعَ وعناوين، وربَّما جعلْتُ عناصرَ تحتَ أحدِ العناوين لكثرةِ فروعِه.

٢- اعتنيتُ بشمولية العناوين، فكلُّ ما يشمله العنوانُ أو يدورُ حولَه جعلْتُه ضمن هذا العنوان، **فَمَثَلًا**: أدخلْتُ تحتَ موضوعِ: «**الرَّجَاءِ، وحُسْنِ الظَّنِّ بالله**» كلَّ ما يتعلَّق بالرَّجَاءِ، فذكرْتُ أقوالَ السَّلف في فضْلِ الرَّجَاءِ، وحُسْنِ الظَّنِّ بالله، والقَصص في ذلك، **وَمَا قِيلَ**: عن رحمةِ الله وعفوه وتجاوزِه، والقَصص في ذلك.

٣- رتبْتُ النُّقول عن السَّلف على حسبِ القُرون، فأبدأ أولًا بقَرْن الصَّحابة، ثم قَرْن التَّابعيْنَ، ثم تابعيهِم، وهكذا بقدْرِ الإمكان.

٤- إذا وجدْتُ كلامًا لأحدِ السَّلف يحتوي على عِدَّة مواضيع، فربَّما جزَّأتُ كلامه، ووضعته تحتَ ما يناسبُه مِن العناوين.

وَأضْرِبُ لَذَلِكَ مَثَلًا:

*** عَنْ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ:**

«إِنَّ الخَشْيَةَ أَنْ تَخْشَى اللهَ حَتَّى تَحُوْلَ خَشْيَتُكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، فَتِلْكَ الخَشْيَةُ، وَالذِّكْرُ طَاعَةُ اللهِ، فَمَنْ أَطَاعَ اللهَ، فَقَدْ ذَكَرَهُ، وَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ، فَلَيْسَ بِذَاكِرٍ، وَإِنْ أَكْثَرَ التَّسْبِيحَ وَتِلَاوَةَ القُرْآنِ». تهذيب الحلية: ٢/١٠٤، السِّير «: ٤/ ٣٢٦.

فَقُمْتُ بِهَذَا التَّرْتِيبِ:

* عَنْ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ:

«إِنَّ الخَشْيَةَ أَنْ تَخْشَى اللهَ حَتَّى تَحُوْلَ خَشْيَتُكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، فَتِلْكَ الخَشْيَةُ». تهذيب الحلية: ٢/١٠٤، السِّيَر: ٤/٣٢٦.

* عَنْ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ:

«الذِّكْرُ طَاعَةُ اللهِ، فَمَنْ أَطَاعَ اللهَ، فَقَدْ ذَكَرَهُ، وَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ، فَلَيْسَ بِذَاكِرٍ، وَإِنْ أَكْثَرَ التَّسْبِيْحَ وَتِلاَوَةَ القُرْآنِ». تهذيب الحلية: ٢/١٠٤، السِّيَر: ٤/٣٢٦.

فكتبتُ الجزءَ الأوَّل تحتَ موضوع: **الخَوْف وَالخَشْيَة**.

والجزءَ الثَّاني تحتَ موضوع: **الذِّكر**.

أربعة تنبيهات مهمة

التنبيه الأول: جَرَتْ عَادَةُ أَهْلِ العِلْمِ:

أَنَّهم ينقلونَ الكلامَ الحسَنَ ممَّن كانتْ عِنْده بعض الأخطاء والزلات، إذا كان الغالبُ عليه استقامةَ الحال، ولو تركنا النَّقل والاستفادة ممَّن عنده مثل هذه الأخطاء لخسرنا آلاف الآثار النَّافعة، والعلوم الصالحة، والنَّصائح المفيدة، والمواعظ المؤثرة، والحكمة ضالّةُ المؤمن.

وَمَا زَالَ أَهْلُ العِلْمِ: -كَابْنِ الجَوْزِيِّ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ القَيِّمِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، وَالذَّهَبِيِّ، وَابْنِ رَجَب- وغيْرِهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ ينقلون عن هؤلاء وأمثالهم ما يُفيد، ويتركون ما صدر عنهم مِن أخطاء، وإنْ ذكروها تعقبوها، دُونَ القدْحِ بأعيانِهم واتِّهام نواياهم.

وَقَدْ ذَكَرَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٧٤):

«عن **إِسْمَاعِيل بْن إِسْحَاقَ السَّرَّاجُ**: أنّه قَالَ: قَالَ لِي **أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ**: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي **الْحَارِثَ الْمُحَاسِبِيَّ** إِذَا جَاءَ مَنْزِلَكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ! وَفَرِحْتُ بِذَلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى **الْحَارِثِ** فَقُلْتُ له: إِنِّي أُحِبُ أَنْ تَحْضَرَ اللَّيلَةَ عِنْدِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ.

فلمَّا كَانَ بَيْنَ العِشَاءيْنِ جَاؤوا، وَكَانَ **الإِمَامُ أَحْمَدُ** قَدْ سَبَقَهُمْ فَجَلَسَ فِي غُرْفَةٍ بِحَيْثُ يَرَاهُمْ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ، فَلَمَّا صَلُّوا العَشَاءَ الآخِرَةَ، سَأَله رَجُلٌ مَسْأَلة، فشَرَعَ **الحَارِثُ** يَتكَلَّمُ عَلَيهَا، وَعَلَى مَا يتعَلَّقُ بِهَا مِن الزُّهْدِ وَالوَرَعِ

وَالْوَعْظِ، فَجَعَلَ هَذَا يَبْكِي، وَهَذَا يَئِنُّ، وَهَذَا يَزْعَقُ، قَالَ: فَصَعِدْتُ إلى **الإمَامِ أحْمَدَ** إلى الغُرْفَةَ فإذَا هو يَبْكِي، حَتَّى كَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ.

فَلَمَّا أَرَادُوا الِانْصِرَافَ قُلْتُ: كَيْفَ رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ **يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ**؟ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِي الزُّهْدِ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ، وَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ، وَمَعَ هَذَا فَلَا أَرَى لَكَ أَنْ تَجْتَمِعَ بِهِمْ..

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِنَّمَا كَرِهَ ذلك؛ لأنَّ في كلامِهم مِن التَّقشفِ وشدةِ السُّلوكِ التي لم يردْ بها الشَّرعُ، والتدقيق والمحاسبة الدقيقة البليغة ما لم يأت بها أَمْرٌ، **وَلِهَذَا لَمَّا وَقَفَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيّ عَلَى كِتَابِ الحَارِثِ الْمُسَمَّى: بِـ«الرِّعَايَةِ»، قَالَ: هَذَا بِدْعَةٌ.**

ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ بِالكِتَابِ: عَلَيْكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ مَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَاللَّيْثِ، وَدَعْ عَنْكَ هَذَا، فَإِنَّهُ بِدْعَةٌ». ا.هـ.

مَعَ أنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١):

يرى في سلوكِ هذه الطَّريقة أنَّها بدعةٌ إلَّا أنَّه تأثر مِن كلامِهم، وبكى ورقّ قلبُه، ولم يحذِّرْ مِن هؤلاء، بل حذَّرَ مِن طريقتِهم المخالفة لطريقةِ أهل السُّنَّة والجماعة مِن الصَّحابة والتَّابعيْنَ وتابعيهم.

وَهَذَا هُوَ المَنْهَجُ الصَّحِيحُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ مَنْ عِنْدَهُ بَعْضُ الأخْطَاءِ فِي السُّلُوكِ أو المَنْهَجِ، مَعَ تَمَسُّكِهِ بِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الجُمْلَةِ، وَهُوَ أَنْ نُبَيِّنَ الخَطَأَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ، مَعَ عَدَمِ الامْتِنَاعِ مِن الاسْتِفَادَةِ مِنَ الجَوَانِبِ النَّافِعَةِ وَالصَّحِيحَةِ فِيهِ، وَعَدَمِ التَّحْذِيرِ مِنْهُ جُمْلَةً؛ لِتَلَبُّسِهِ بِبَعْضِ الأخْطَاءِ الَّتِي لا تُخْرِجُهُ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

التنبيه الثاني: أنّ الأصل في الأخبار التي ثبتت عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن لها

حكم الرفع، أي: أنّ النبي ﷺ هو القائل، لأنها لا تُقال بالرأي، ولا يُظنّ بهم وهم أورع الناس وأخوفهم من الله أن يقولوا عن الله وعن شرعه بالرأي.

وكذلك جل ما ثبتت عن التابعين وتابعي التابعين رَحِمَهُمُاللَّهُ.

وعدم نسبة الصحابي قوله للنبي ﷺ، وعدم نسبة التابعي قوله للصحابي، وعدم نسبة تابع التابعي قوله للتابعي: لها أسباب كثيرة.

إلا من عُرف عنه الرواية عن بني إسرائيل؛ مثل كعب الأحبار، ووهب بن منبّه رَحِمَهُمَااللَّهُ.

وأضرب لذلك مثلا:

جاء في الصحيحين: أن ربيع بن خثيم رَحِمَهُاللَّهُ قال: (من قال عشرا كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل).

فقال له تلميذه الشعبي: ممن سمعته؟ فقال: من عمرو بن ميمون.

فأتيت عمرو بن ميمون فقلت: ممن سمعته؟ فقال: من ابن أبي ليلى.

فأتيت ابن أبي ليلى فقلت: ممن سمعته؟ فقال: من أبي أيوب الأنصاري رَضِيَاللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٠)، يحدثه عن النبي ﷺ.

فقد قال الربيع هذا الخبر ولم ينسبه لأحد، ولا يشك من سمعه منه أنه ليس من قوله؛ لأنّ هذا لا يُقال بالرأي، فلما طلب الشعبي منه أن يخبره عمن سمعه: تبيّن أنه من قول النبي ﷺ.

مثال آخر:

روى البخاري في الأدب المفرد (١٨٤) عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أبي أسماء قال: «من عاد أخاه كان في خرفة الجنة»، قيل لأبي قلابة: عن من حدثه أبو أسماء؟ قال: عن ثوبان، عن رسول الله ﷺ.

ورواه ابن المبارك في الزهد (٧٣٢) بنفس الإسناد عن ثوبان موقوفا عليه.

فهذا الخبر حدّث به مرة أبو أسماء -وهو تابعي- دون أن ينسبه لغيره، ومرة حدّث به ثوبان -وهو صحابي- دون أن ينسبه للنبي ﷺ.

وهكذا حال جلّ الأخبار الثابتة عن الصحابة والتابعين وتابعيهم.

التنبيه الثالث: أنّ الأصل فيمن نقل إلينا هذه الأخبار والقصص الصدق والأمانة.

مثال يشهد على ذلك:

قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مسعر -ولم أسمعه منه- عن سعد بن إبراهيم..

تأمل كيف روى عن مسعر -وهو شيخه وسمع منه وروى عنه- ثم قال ولم أسمعه منه، حتى لا يُوهم أنه سمع الخبر الذي رواه عنه..

فهذا دليل على تحريه للصدق والأمانة، وهذا حال جل العلماء من التابعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان.

وقد وقع في التدليس بعض الرواة وهم قلّة، ومعنى التدليس: أن يروي عن آخرَ لم يسمعْه منه أو لم يُدْرِكْه.

وقد تتبع العلماء هؤلاء المدلسين، وضعفوا رواياتهم إلا إذا صرحوا بالتحديث؛ كأن يقولوا: أخبرنا فلان، ولهم تفصيل ليس هذا موضعه.

التنبيه الرابع: أنّ أهل العلم لا يشدّدون في صحة الآثار المنقولة عن السلف الصالح المتعلقة بالرقائق والأخلاق والآداب والحِكَم، إذا صحّ المعنى وسلم من الخطأ.

وأهل العلم يتساهلون في رواية مرويات المغازي والسِّيَر، والأخلاق والسلوك وأحوال العُبّاد والصالحين، إلا ما كان فيه مخالفةٌ في التشريع والعبادة أو العقيدة.

وإذا كان النبي ﷺ رفع الحرج عن رواية الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل ما لم تُخالف ما جاء في شريعتنا: فمن باب أولى رفع الحرج عن رواية الأخبار المنقولة عن أمّته، التي هي أصدق الأمم وأعلمها.

والغاية منها صلاح الدنيا والدين، فلا ينبغي التشدد في صحة الأسانيد إلا ما تعلّق بالحلال والحرام، أو الأمور الغيبية ونحوها.

وقد حدث أحد السلف مرة بحديث فقال له رجل: عمّن هذا الحديث؟.

فقال له: ما تصنع بعمّن؟.

أما أنت فقد نالتك عِظَته، وقامت عليك حجته. أدب الدين للماوردي (١٠٤).

وإنما أردت بهذه التنبيهات أن يطمئن قلبك لهذه الآثار، وأن يكون لها وقع على نفسك، وأن تكون محل اهتمام وعناية لديك.

ثلاثة أمور لاحظتُها خلال قراءتي في سِيَر وطبقات العلماء

الأمر الأول: أنني لم أجد في القرون الثلاثة المفضلة ما يُخالف الكتاب والسنة في العقيدة والأخلاق والتعامل إلا النَّزر اليسير، ولم أجد فيهم التعصُّب للآراء والمذاهب والرجال، وما نُقل عنهم مِن كراماتٍ فهو قليل جدًّا، بخلاف القُرون التي جاءت بعدها، فقد وجدت الكثير من الأخطاء والبدع والتعصُّب، والحكايات عن الكرامات، **فكلَّما بَعُدَ الزمان عن القرون المفضلة ازداد ذلك**، حتى إنه لا يكادُ يصفو لي من صوابٍ ما نُقل عن القرون المتأخرة إلا القليل.

الأمر الثاني: أن علماء المذهب الحنبلي أكثر عِنايةً بالتوحيد والعقيدة، وأكثر زُهدًا وبُعدًا عن تقلُّد المناصب والقَضاء والجاه، ويأتي من بعدهم علماء المذهب المالكي، ثم علماء المذهب الشافعي، ثم علماء المذهب الحنفي، حيث رأيتُ عند علماء الحنفيَّة كثرة العناية بالكلام والاشتغال بالجِدال، ورأيتُ كثرةَ التَّصوّف والاعتِزال فيهم، وتقلّد المناصب كالقضاء وغيره، وتأليف المصنفات وشرح الكتب.

فكانت أكثر المذاهب التي وجدتُ فيها بُغيتي وحصَّلتُ فيها ضالتي هي **كتب الحنابلة والمالكية** (١)، وكنتُ أَغرِفُ منها العديد من القَصص والعِبَر، واللَّطائف

---

(١) من الشخصيات التي تأثرتُ بها كثيرًا، والتي ما كنت أظن بأصحابها أنهم بهذه المكانة **من العلم والعبادة والورع والزهد والصدع بالحق:**

١- عبدالسلام (سحنون) بن سعيد التنوخي (١٦٠-٢٤٠ هـ). =

والدُّرَر، ثم كتب الشافعية، وأما كتب الحنفية فلم أجد فيها إلا النَّزر اليسير.

الأمر الثالث: كثرة المصنفات، التي تتجاوز الآلاف، وأكثرها قد فُقد، أو هُجر وتُرك، ولم يبقَ إلا القليل، حتى إني كثيرًا ما أجدُ لبعض العلماء أكثر من مائة مُصنَّف، ولا يكاد الكثير من العلماء وطلاب العلم يعرف واحدًا منها.

وفي هذا الزمان كثُرت المؤلفات، وهي أكثر مِن أيِّ زمانٍ مَضى، وإن سعى أصحابها ودور النشر إلى إشهارها؛ فستندثر كما اندثر كثيرٌ من الكتب السابقة، **ولن يبقَى إلا ما كَتَبَ الله لها البقاء والقبول.**

قال صاحب كتاب الفوائد البهية في تراجم الحنفية (٤٣-٤٤): «الحق أن قبول تصنيفٍ في أعين المستفيدين، واعتماده في أبصار الفاضلين: ليس مداره على مقدار فضل المؤلفين، **وإنما هو فضلُ ربِّ العالمين، ومَداره على النيَّة،** فإنما الأعمال بالنيات».ا.هـ.

= ٢- الحافظ عَبْدالغني بن عبد الواحد المقدسي (٥٤١-٦٠٠ هـ).

٣- عماد الدين إِبْرَاهِيم بْن عَبْد الْوَاحِد المقدسي الدمشقي، أَخُو الحافظ عَبْدالغني (٥٤٣-٦١٤ هـ).

٤- شمس الدين أبو الفرج عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبِي عُمَر مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن قدامة المقدسي (٥٩٧-٦٨٢ هـ).

رحمهم الله جميعًا.

مَدخل

التعريف بالسَّلف الصالح، وخصائصهم، وواجبنا تجاههم، وسمات منهجهم:

تَعْرِيفُ السَّلَفِ.

السَّلَفُ: هُمْ صدْرُ هذه الأُمَّة مِن الصَّحابة والتَّابعينَ وأئمةِ الهُدى في القرونِ الثَّلاثة المـُفَضَّلة.

وَيُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى: مَن اهتدى بهدْيهم، وسارَ علَى نَهْجِهم، ولو جاءَ بعْدَهم بقرونٍ طَويلَة.

فَيُقَالُ لَه: سَلَفِيٌّ، نسْبَةً إِليهِمْ.

وَهَذَا الاسْمُ: قد اسْتُعمل في القُرون الثَّلاثة المـُفَضَّلة، لكنْ لَـمْ يَكنْ مَشْهورًا ومُتداولًا، خِلافًا لـمَنْ نفى ذلك، وزعم أنَّه لَـمْ يُوجدْ إِلَّا بعْدهم.

فَقَدْ قَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): «مَا عَلَى الرَّجُلِ إِذَا كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ هَوًى، وَلَا يَشْتُمُ السَّلَفَ، وَلا يُخَالِطُ السُّلْطَانَ».[1].

وَعَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥)، قَالَ: «سُئِلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٣): «هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الخَوْفِ؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَبْكُونَ».[2].

وقِيلَ لِحَمْدُونَ الْقَصَّارِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧١): «مَا بَالُ كَلَامِ السَّلَفِ أَنْفَعُ مِنْ

---

(١) الحِلْية ٨/ ١٠٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٨/ ٣٧٦، الزهد للإمام أحمد (٩٨٤).

كَلَامِنَا؟»، قَالَ: «لِأَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا لِعِزِّ الْإِسْلَامِ، وَنَجَاةِ النُّفُوسِ، وَرِضَا الرَّحْمَنِ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ لِعِزَّةِ النَّفْسِ، وَطَلَبِ الدُّنْيَا، وَقَبُولِ الْخَلْقِ»(١).

وَعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧)، قَالَ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا أُنْشِرَ فِيكُمْ مِنَ السَّلَفِ مَا عَرَفَ غَيْرَ هَذِهِ الْقِبْلَةِ»(٢).

وَقَدِ اسْتُعْمِلَ هَذَا اللَّفْظُ مِن غَيْرِ «ال» التَّعْرِيفِ: اسْتعمالا كثيرا في وقتِهم، فَمِنْ ذلك: قَولُ الأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧): «اُسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ»(٣).

ومِن ذلك مقولتُه المَشْهورة: «عَلَيْك بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بِالقَوْلِ، فَإِنَّ الأَمْرَ يَنجَلِي، وَأَنْتَ عَلَى طَرِيْقٍ مُسْتَقِيْم»(٤).

وَلَفْظَةُ «السَّلَفِ» لَهَا اعْتِبَارَانِ: اعْتِبَارُ زَمَانٍ، وَاعْتِبَارُ مُعْتَقَدٍ:

فَأَمَّا السَّلَفُ بِاعْتِبَارِ الزَّمَانِ: فهم القُرون الثَّلاثة المـُفضلة فقط، الذين شَهِدَ لهم النَّبيُّ ﷺ بالخيريَّة، كما في حَديثِ: عِمْرَانَ بْن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(٥).

وَالحُكْمُ بِالخَيريَّةِ فِي هَذِهِ القُرُونِ حُكْمٌ مُخْتَلِفٌ: فالخيرية في قَرْنِ النَّبيِّ ﷺ، والصَّحابةِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهِم-، هو باعتبار الأعيان، فأعيانُهم خيرٌ مِمَّنْ يأتي بعْدَهم، إذ لا يأتي بعْدَ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَن هو خيرٌ مِنْهم؛ لأنَّ لهم شرفَ الصُّحبة للنَّبيِّ ﷺ، وهذه منزلةٌ وفضيلةٌ لا تكونُ لغيرِهم.

---

(١) الحِلْية (١٠: ٢٣١)، شعب الإيمان (١٧٠١).

(٢) البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي (ت: ٢٨٧ ه): رقم: (١٧٩).

(٣) الحِلْية ٨/ ٢٥٥.

(٤) «الشريعة»، لأبي بكر الآجري، (ت: ٣٦٠ ه): تحقيق: د. عبد الله الدميجي: ١/ ٤٤٥، رقم: (١٢٧)، «السِّيَر» للذهبي، (ت: ٧٤٨ ه): ٧/ ١٢٠.

(٥) «متفق عليه»، البخاري، واللفظ له: (٣٦٥٠)، ومسلم: (٢٥٣٥).

وَأَمَّا الخَيرِيَّةُ فِي القَرْنَيْنِ الآخرَينِ: فهو باعتبار العموم والأغلب، فالأغلبُ أنَّ القَرْن الثاني خيرٌ مِن الثَّالث، والثَّالثَ خيرٌ مِن الرَّابع في الجملة، بغض النَّظر عن الأفراد، فقد يأتي مِن الأفراد في القُرون المُتأخرة، مَن هو خير وأفضل ممَّن قبلَه، عدا قَرْن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهكذا.

وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلاَّ الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ**»[1].

وهذا الحُكْمُ في الغالب لا الأعيان.

فَالسَّلَفُ: هُم أَهْلُ القُرُونِ الثَّلاثَةِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ خَلَفٌ.

وَأمَّا السَّلَفُ بِالاعْتِبَارِ الثَّانِي: فيَدْخُل فِيهم كلُّ مَن سارَ على نَهْجِهم في العَقيدة والعَمَل إلى قيام الساعة.

وَمِنْ أسْمَائِهِمْ أيضًا:

«**أَهْلُ الأَثَرِ**»، و«**أَهْلُ الحَدِيثِ**»، وغيرُها مِن الأسماءِ العظيمة، التي تدل على سلامة هذا المنْهجِ العظيم.

(١) «البخاري»: (٧٠٦٨): عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ فَقَالَ اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ «لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلاَّ الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ: مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

خَصَائِصُ وَمَزَايَا السَّلَفِ عَنْ غَيْرِهِمْ

سَلَفُنَا الصَّالِحُ -عَلَيهِمْ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى-: لهم فضائلُ فُضِّلوا بها، ومزايا تميَّزوا بها، ومِن أعظم مزاياهم وفضائلِهم التي انفردوا بها عن غيرهم:

أوَّلًا: أنَّهُمْ مِنَ القُرُونِ المُفَضَّلَة:

التي قال عَنْهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١).

فهم خيرُ الأُمم على الإطلاق، بدلالة الكتابِ والسُّنَّة والاِتِّفَاقِ، وهُم أزكى وأطهرُ البشر، وأبعدُ النَّاس عن الشوائب والكَدَر، وأصفاهم عقيدة، وأطهرهم سريرة، بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وَالخَيْرِيَّةُ حَاصِلَةٌ: في أعمالِهم وأخلاقِهم، وإخلاصِهم وعقيدتِهم، ولا يُمكن لِمَنْ أتى بعْدَهم أن يبْلغَ مَبلغهم.

قَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٠): «لا يُمْكن أن يبلُغ المتأخرون أبدًا مبالغ المتقدمين، فخيرُ القرون الذين رأوا رسولَ الله ﷺ، وآمنوا به، ثم الذين يَلُونهم، وهكذا يكون الأمر أبدًا إلى قيام الساعة، فأقوى ما كان أهلُ الإسلام في دينِهم وأعمالِهم، ويقينِهم وأحوالِهم في أوَّل الإسلام، ثم لا زال ينقصُ شيئًا فشيئًا إلى آخر الدُّنيا، لكن لا يذهب الحقُّ جملة، بل لا بُدَّ مِن طائفةٍ تقومُ به وتعتقدُه، وتعملُ

---

(١) رواه البخاري واللفظ له: (٣٦٥٠)، ومسلم: (٢٥٣٥).

بمقتضاه على حسبهم في إيمانهم، لا ما كان عليه الأولون مِن كلِّ وجهٍ؛ لأنّه لو أنفقَ أحدٌ مِن المتأخرين وزنَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أحدٍ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ وَلاَ نَصِيفَهُ، وإذا كان ذلك في المال، فكذلك في سائِر شُعَب الإيمان، بشهادة التَّجربة العادية». ا.هـ[١].

وَقَالَ ابنُ رَجَب الحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥): «إنَّ هذه الأمَّة قد أجارَها اللهُ أن يَظْهر أهلُ باطلِها على أهل حقِّها، فما ظهَر العملُ به في القرونِ الثَّلاثة المـُفضلة فهو الحقُّ، وما عداه فهو باطلٌ». ا.هـ[٢].

ثَانِيًا: قُرْبُهُمْ مِنَ العَهْدِ النَّبَوِيِّ، وَالوَحِي الرَّبَّانِيِّ:

فهُم أعلمُ النَّاس بسيِّد الأنبياء، وأشدُّهم تمسكًا بخير الأصفياء، ولا شكَّ أن مَن كان مِن النَّبيِّ ﷺ أقرب، فهو أقرب إلى السُّنَّة، وأبعد مِن البدعة.

ثَالِثًا: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أوْصَى النَّاسَ وَالأمَّةَ بِهَذِهِ القُرُونِ المُفَضَّلَةِ:

فقد روى **التِّرْمِذِيُّ** في: «**سُنَنِه**»[٣]، **وَالحَاكِمُ** في: «**مُسْتَدْرَكِه**»[٤]: عَن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٣): قال: **قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

قولُه ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»: أي: التَّابعيْنَ، «**ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»: أي: أتباعَ التَّابعيْنَ.

فالنَّبيُّ ﷺ إنَّما أوصانا بهذه القُرون المـُفَضَّلَةِ، لنلتزمَ بمنْهَجِهم، ونسيرَ على خُطاهُم، ونقتديَ بآثارِهم، ولا نحيدَ عنْهم أبدا.

(١) «الاعتصام»، للشاطبي: (٢١٠)، طباعة دار المعرفة.

(٢) «جامع العلوم والحكم»: ١/ ٢٨٣.

(٣) (٢١٦٥)، وصححه. وكذا الألباني في صحيح الترمذي.

(٤) (٣٨٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وقال الذهبيُّ: (هذا حديثٌ صحيحٌ)، «السِّير» (٧/ ١٠٣).

رَابِعًا: أَنَّهُمْ تَوَارَثُوا العِلْمَ وَالشَّرْعَ وَالدِّينَ عَنْ قُرْبٍ:

فالصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أخذوه مِن النَّبيِّ ﷺ مباشرةً بِلا واسطة، والتَّابعونَ أخذوه مِن الصَّحابة الكرام غضًّا طريًّا، وتابعو التَّابعيْنَ أخذوه مِن التَّابعيْنَ عَذْبًا نديًّا، فَمَا أَعْظَمَ هؤلاءِ الأجيال، وَمَا أَبْعَدَهُمْ مِن البدعِ والفسادِ والسَّفال، لم تتكدر قلوبُهم بالبدع والمُحدَثات، ولم تتلوث معتقداتُهم بالانحرافات والخُزَعْبَلَاتِ.

ولَمْ يتلوثْ جيلُهم بضلالات المبتدعة، وتُرَّهات المُتصوِّفة، بل كانت قلوبُهم صافية، وأهدافُهم سامية، وهِمَمُهم عالية، كيف لا، **وَأَشْياخُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ:** إمَّا التَّابعون الفضلاء، وإمَّا الصَّحابةُ العظماء، وإمَّا سيدُ الأنبياء، وأشرفُ البشر والأولياء، محمدٌ رسول الله ﷺ.

فَمَا أَعْظَمَ هذهِ القُرون، وهنيئًا لِمَن جعلَهم قُدوةً له في أخلاقِه، وأُسوةً له في سلوكِه واعتقادِه.

وَهَذِهِ الخَصَائِصُ: لهذا الجيل الفريد، وهذه المزايا لهذهِ القُرون المُباركة، جَعَلَتْ جيلَهم ومجتمَعهم أعظَمَ وأفضلَ وأطهرَ مجتمع على وجه الأرض، لِهَدْي نبيهم يطبقون، وبشرع ربهم يعملون، وفيما بينهم متآلفون مُتحابون، ومن البدع والأهواء سالمون.

فَلِهَذَا كَانَ لِزَامًا عَلَينَا:

أن نعرف قدْرَهم، ونهتدي بهدْيهم، ونسيرَ على نَهْجِهم، ونعرفَ أحوالَهم وعبادتَهم وأخلاقَهم، فلَنْ تستقيمَ أحوالُنا، ولَنْ تصلُحَ أُمَّتُنَا إلا بالسير على خُطاهم.

قَال الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): «**لا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا**»(١).

---

(١) «مسند الموطأ» للحسن بن علي الجوهري، (ت: ٣٨١ هـ): ١/ ٥٨٥، «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، (ت: ٥٤٤ هـ): ٢/ ٨٨.

فَالَّذِي صَلُحَ بِهِ الصَّحَابَةُ وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ:

هو الذي يصلُح به مَن بعْدَهم، ولا طريقَ ولا سبيلَ للآخرين أن يَصلحوا، إلَّا بالطريقة التي صلُح بها سلفُهم الصَّالح، **وَذَلِكَ: بِالإِخْلَاصِ وَالمُتَابَعَةِ**، الإخلاص لله وحدَه؛ فتكون العبادةُ خالصةً لوجْهِ الله لَا شِرْكَ لغيره فيها، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، والمتابعة للرَّسول ﷺ.

وَقَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيْضًا: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ عَلَيهِ سَلَفُهَا، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لأَنَّ اللهَ يَقُولُ:** ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، **فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا فَلا يَكُونُ اليَوْمَ دِينًا**»[١].

وَقَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٠): «لا يأتي آخرُ هذه الأمة بأهدى مِمَّا كان عليه أَوَّلُها، ولا هُمْ أعرف بالشريعة منهم».ا.هـ[٢].

وَالمُبْتَدِعُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: هناك حقٌّ أو عملٌ صالحٌ، غابَ عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والسَّلف الصَّالِح، فنحن عرفناه وعلمناه، فنعمل به ونسير عليه.

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): في قولِه تعالَى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣].

«فَمَنْ اتَّبَعَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ كَانَ مِنْهُمْ، وَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَأُولَئِكَ خَيْرُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ...

(١) «الاعتصام»، للشاطبي، تحقيق: مشهور آل سلمان: (١/ ٦٢، ٢/ ٣٦٨)، وذكره بسنده الإمام ابن حزم الأندلسي، (ت: ٤٥٦ هـ)، في كتابه: «الإحكام في أصول الأحكام»: عن عبد الملك بن حبيب أخبرني ابن الماجشون أنه قال: قال مالك بن أنس: (٦/ ٢٢٥).

(٢) «الموافقات»: (٣/ ٤٠٢).

وَلِهَذَا كَانَ مَعْرِفَةُ أَقْوَالِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَأَعْمَالِهِمْ خَيْرًا وَأَنْفَعَ مِنْ مَعْرِفَةِ أَقْوَالِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَأَعْمَالِهِمْ فِي جَمِيعِ عُلُومِ الدِّينِ وَأَعْمَالِهِ، **كَالتَّفْسِيرِ، وَأُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَالزُّهْدِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالْجِهَادِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ**؛ فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ خَيْرٌ مِنَ الِاقْتِدَاءِ بِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَمَعْرِفَةُ إجْمَاعِهِمْ وَنِزَاعِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ خَيْرٌ وَأَنْفَعُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا يُذْكَرُ مِنْ إجْمَاعِ غَيْرِهِمْ وَنِزَاعِهِمْ.

وَذَلِكَ أَنَّ إجْمَاعَهُمْ لَا يَكُونُ إلَّا مَعْصُومًا، وَإِذَا تَنَازَعُوا فَالْحَقُّ لَا يَخْرُجُ عَنْهُمْ، فَيُمْكِنُ طَلَبُ الْحَقِّ فِي بَعْضِ أَقَاوِيلِهِمْ، وَلَا يُحْكَمُ بِخَطَأِ قَوْلٍ مِنْ أَقْوَالِهِمْ حَتَّى يُعْرَفَ دَلَالَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى خِلَافِهِ». ا.هـ[1].

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ:

«لَمْ يَبْقَ مَسْأَلَةٌ فِي الدِّينِ إلَّا وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا السَّلَفُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قَوْلٌ يُخَالِفُ ذَلِكَ الْقَوْلَ أَوْ يُوَافِقُهُ، وَقَدْ بَسَطْنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ: أَنَّ الصَّوَابَ فِي أَقْوَالِهِمْ أَكْثَرُ وَأَحْسَنُ، وَأَنَّ خَطَأَهُمْ أَخَفُّ مِنْ خَطَأِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَأَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ أَكْثَرُ خَطَأً وَأَفْحَشُ، وَهَذَا فِي جَمِيعِ عُلُومِ الدِّينِ». ا.هـ[2].

فَحُقَّ لِمَنْ أَرادَ السَّعَادَةَ وَالرِّضْوَانَ، وَالفَوْزَ بِالجِنَانِ: أن يسيرَ على هدي الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتابعيهم بإحسان، وأن يتمسَّك بهديهم، ويأخذَ عقيدتَه وهَدْيَه مِنْهم.

وَهَذَا مَا دَفَعَنِي: إلى جمع سِيَرهم وسَبْر وأحوالهم، وترتيبها وتهذيبها، لتكون نبراسًا لنا، ونورًا يستضيء به مَن بعدنا.

قَالَ ابنُ رَجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥): «**وَفِي زَمَانِنَا يَتَعَيَّنُ كِتَابَةُ كَلام أئِمَّةِ السَّلَفِ المُقْتَدَى بِهِمْ إِلَى زَمَنِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي عُبَيْدٍ:** ولْيكن الإنسان

(١) مجموع الفتاوى: ١٣/ ٢٣-٢٤.

(٢) المصدر السابق: ١٣/ ٢٧.

على حذر مِمَّا حدَث بعْدَهم؛ فإنَّه حدَث بعْدَهم حوادثُ كثيرةٌ، وحدَث مَن انتسبَ إلى متابعة السُّنَّة والحديث مِن الظَّاهرية ونحوِهم، وهو أشدُّ مخالفة لها لشذوذه عن الأئمة، وانفراده عنهم بفَهْم يفْهَمُه، أو يأخذ ما لم يأخذ به الأئمة من قبله». ا.هـ (١).

فَإذَا كَانَ فِي زَمَانِ ابن رَجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَتَعَيَّنُ كِتَابَةُ كَلامِ أئمَّةِ السَّلَفِ المـُقْتَدَى بِهِمْ!.

فَكَيْفَ بِزَمَانِنَا وَعَصْرِنَا؟!.

(١) «فضل علم السلف على علم الخلف»: ص: ٦٩.

واجبنا تجاه السلف الصالح

يَتَأَكَّدُ عَلَينَا العِنَايَةُ بِكَلامِ وَحَيَاةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَأَهْلِ العِلْمِ الرَّاسِخِيْنَ وَإِبْرَازُهُ؛ لِمَا يَلِي:

أوَّلا: الوَفَاءُ لَهُمْ، وَالقِيَامُ بِحَقِّهِمْ عَلَينَا: حيثُ استفدْنا مِنْهم، وصلُح حالُنا -بعْدَ اللهِ تعَالى- بسببِهم، فَمِنْ حقِّهم علينا أن نُظهر وننشر علومَهم ومآثرَهم، ونَسألُ اللهَ تعالى أن يجمعَنا بهم في الجنَّة.

ثَانيًا: أنَّ العِنَايَةَ بِكَلامِهِمْ وَسِيرِهِمْ وَالتَّعلُّقِ بِهِمْ وَحُبِّهِمْ: تُقَرِّب المؤمن بهم، وتجعله يتشبه بهم، وبقدر القُرب مِن السَّلف الصَّالح يصلُح المؤمن، ويستقيم على السُّنَّة، ويَنْفِر ويبتعد عن الهوى والبدعة، ويكون قليلَ الخطأ والزَّلل.

وما انحرفَ مَن انحرفَ، وكثُرت أخطاءُ بعْضِ النَّاس إلا بسببِ بُعْدِهِمْ عن هدي سلفِهم، وَقِلَّةِ عِنَايتِهم بِسِيرِهِمْ.

فَإنْ شِئْتَ وَصْلَ القَوْمِ فَاسْلُكْ سَبِيلَهُمْ ... فَقَدْ وَضَحَتْ لِلسَّالِكِينَ عِيَانًا

«فلا بُدَّ أن يكونَ سلوك هذا الطريق خلْفَ أئمَّة أهلِه المجمعِ على هدايتِهم ودرايتِهم؛ **كَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي عُبَيْدٍ وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ**، فإنَّ مَن ادَّعى سلوكَ هذا الطريق على غير طريقِهم وقعَ في مفاوزَ ومهالك، وأخذ بما لا يجوزُ الأخذُ به، وتركَ ما يجبُ العملُ به»[(١)].

(١) «جامع العلوم والحكم»: (١/ ٢٥٠).

ثَالِثًا: أنَّ إبْرَازَ كَلامِهِمْ، وَإِحيَاءَ آثَارِهِمْ: يدفعُ اللهُ به الكثيرَ مِن البدعِ والانحرافات، والشُّبهاتِ والشَّهوات، فليس هناك إلَّا حقٌّ أو باطل، فإذا ضَعُفَ الحقُّ قَوِيَ الباطلُ، والحقُّ لا يقوى إلا بقوَّة أهلِه، وأهْلُ الحقِّ هم السَّلف الصَّالح مِن الصَّحابة والتَّابعين ومَن تَبِعَهم بإحسان، المتمسكون بالكتاب والسُّنة، فإبرازُ آثارِهم وأخلاقِهم وعقائدِهم ومناهجِهم يدعُو إلى الأخذِ بما هُم عليهم، وَيُصحِّحُ مسارَ المنتسبين للإسلام، وَيُكثِّرُ سوادَهم، ويؤدي ذلك -ولابد- إلى قوَّتهم، وضعْفِ مَن خالَفَهم.

قَالَ ابنُ رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٩٥): «ما دامَ العِلْمُ باقيًا في الأرض فالنَّاسُ في هدى، وبقاءُ العلم بقاءُ حملتِه، فإذا ذهب حملتُه ومَن يقومُ به وقعَ النَّاسُ في الضلال».ا.ه[(١)].

وَقَالَ ابْنُ حَزْمِ الأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٥٦): «لولا العلماءُ الذين ينقلونَ العلمَ ويعلِّمونَه النَّاسَ جيلًا بعْدَ جيلٍ لهلَكَ الإسلامُ جُملةً؛ ولذلك سُمُّوا ورثةَ الأنبياء».ا.هـ[(٢)].

رابعًا: أنَّ إبْرَازَ كَلامِهِمْ، وَإِحيَاءَ آثَارِهِمْ: يجعلُ المسلمَ يُمَيِّزُ المصيب مِن المخطئ ممَّن ينتسبُ للعلم والدَّعوة، فمن رآه يُخالفُ هديَ سلَفِنا الصَّالح في السلوك أو الأخلاق أو العقائد أو المنهج عَرَفَ خطَأَه أو ضلالَه، فحينئذٍ يكون المسلم على بصيرةٍ وهدى، ويسلم من الضلال والزيغ والانخداعِ بمن حادَ عن جادّة الحق مهما عظُمت شهرته، وحسُن أُسلوبه، وبلَغَ تأثيرُه.

خَامِسًا: أنْ يُجْعَلَ هَدْيُ السَّلَفِ الصَّالِحِ وفهمُهم للمسائلِ وتفسيرهم للنصوص الشرعية هُوَ الحَكَم عِنْدَ الاختِلافِ، وَالفَيصَل عِنْدَ النِّزَاعِ: فحينما يختلفُ النَّاسُ

(١) «جامع العلوم والحكم»: (٢/ ٢٩٨)
(٢) . «رسائل ابن حزم»: (٣/ ١٥٣).

وخاصَّة المنتسبين إلى العلم والدَّعوة والخير في مسائل تتعلَّق بالعقيدة والمنهج والسُّلوك والأخلاق، فإنّ هديَ سلَفِنا هو الحَكَمُ الذي لا يأنف من التَّحاكم إليه إلا زائغٌ ضال.

فَرُبَّمَا اسْتَدَلَّ كُلُّ وَاحِدٍ بَآيَةٍ أو حَدِيثٍ، وَالآخَرُ يُعَارِضُ بِآيَةٍ أو حَدِيثٍ، فَنَقُول لَهُمْ: لِنَنْظُرَ إلى فَهْم الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم الذين ثبتَتْ لهم الخيريَّة بالنَّصِّ القَاطِع، ونأنس بفَهْم مَن تبعهم مِن العلماء الرَّاسخين، الذين لهم لسانُ صِدْق في الأمَّة، فلا يمكن أن تكونَ أفْهامُنا أحسنَ مِنْهم، ولا عقولُنا أفضلَ مِنهم، وعلومُنا أرسخَ منهم، فإذا اتَّفقوا على أمر وَجَبَ علينا التَّسليمُ لهم، فالأمَّة لا تجتمعُ على ضلال.

مَنْهَجُ وَاعْتِقَادُ السَّلَفِ الصَّالِحِ

وَأَمَّا أَبْرَزُ سِمَاتِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاعْتِقَادِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ:

١- مَصْدَرُ العَقِيدَةِ عِنْدَهُمْ: هُوَ كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ الصَّحِيحَة، وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وتابعيهم وتابعي تابعيهم، والعلماء المعتبرين، رَحِمَهُمُ اللهُ أجمعين.

فسلَفُنا الصَّالح -رحمهم الله تعالى-، لا يقدِّمون شيئا مهما كان على كتاب الله تعالى، وسُنَّة نبيِّه ﷺ، ويأخذون بالإجماع المُنعقد، **وَقَدْ اسْتَمَدُّوا ذَلِكَ**: مِن قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٥١): «أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تُفْتُوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمرًا حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويُمْضِيه».ا.هـ(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨): **قَوْلَهُ**: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: **يَقُولُ: «لَا تَقُولُوا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤): **«لَا تَفْتَاتُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِيَهُ اللهُ عَلَى لِسَانِهِ».**

---

(١) «إعلام الموقعين»: (٢/ ٩٤).

وقال **الضَّحَّاكُ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٥): «**يَعْنِي بِذَلِكَ فِي الْقِتَالِ، وَمَا كَانَ مِنْ أُمُورِهِمْ لاَ يَصْلُحُ أَنْ يُقْضَى إِلاَّ بِأَمْرِهِ مَا كَانَ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِمْ**»[١].

وَالقَوْلُ الجَامِعُ فِي مَعْنَى الآيَة: «لا تَعجلُوا بقولٍ ولا فِعْلٍ، قبلَ أنْ يقولَ رسُولُ اللهِ ﷺ، أو يَفْعل»[٢].

وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ: لا يقولونَ كتابُ اللهِ ثم سُنَّةُ رسولِهِ ﷺ بلْ (كتابُ اللهِ وسنَّةُ رسُولِهِ) معًا؛ لأنَّ السُّنَّة مقرونةٌ مع كتابِ الله، ولأنَّ الله فرضَ طاعةَ رسولِه ﷺ، وسنَّتُهُ ﷺ مُبيِّنَةٌ للمعنى الذي أرادَه اللهُ.

وَلِذَا انْقَادُوا للهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ بتسليمٍ وقَبولٍ ظاهرًا وباطنًا، فلا يُعارضونَ شيئًا مِن الكتابِ أو السُّنَّة الصحيحة بقياسٍ، ولا ذوْقٍ، ولا كشْفٍ، ولا قولِ شيْخٍ، ولا إمام ونحو ذلك.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨):

«**فَكَانَ مِنَ الأُصُولِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ:** أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ قَطُّ أَنْ يُعَارِضَ الْقُرْآنَ لَا بِرَأْيِهِ، وَلَا ذَوْقِهِ، وَلَا مَعْقُولِهِ، وَلَا قِيَاسِهِ، وَلَا وَجْدِهِ؛ فَإِنَّهُمْ ثَبَتَ عَنْهُمْ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّاتِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ أَنَّ الرَّسُولَ جَاءَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»[٣].

وَقَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١): وهو في صدد ذكره للأصول التي بُنِيَتْ عليها فتاوى **الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١):

«**أَحَدُهَا: النُّصُوص**، فإذا وُجد النَّص أفتى بموجَبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه،

---

(١) هذه الآثار الثلاثة في: «تفسير الطبري»: ٢١/ ٣٣٥- ٣٣٧، «تفسير ابن كثير»: ٥/ ٦٤٣، نشر دار الكتاب العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

(٢) «إعلام الموقعين»: (٢/ ٩٤).

(٣) «مجموع الفتاوى»: ١٣/ ٢٩.

ولا مَنْ خالَفه -كائنًا مَن كان-، ولهذا لم يلتفتْ إلى خلافِ عُمَرَ في المَـبْتُوتَة لحديثِ فَاطِمَة بِنْتِ قَيْس.

ولا إلى خلافه في التَّيمم للجُنُب لحديث عَمَّار بنِ يَاسِر، ولا إلى خلافه في استدامة المحرِم الطيبَ الذي تطيب به قبل إحرامه لصحة حديث عَائِشَة في ذلك..

وَلَمْ يَكُنْ يُقَدِّمُ عَلَى الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عملًا ولا قولًا ولا رأيا ولا قياسًا، ولا قولَ صاحب، ولا عدمَ علمه بالمخالف الذي يُسمِّيه كثير من الناس إجماعًا، ويقدمونه على الحديث الصحيح، وقد كَذَّبَ أَحْمَدُ مَن ادَّعى هذا الإجماع، ولم يُسْغِ تقديمَه على الحديث الثابت، وكذلك **الشَّافِعي** - أيضا- نصَّ في: «**رِسَالَتِهِ الجَدِيدَةِ**» على أن ما لا يُعْلَم فيه بخلاف لا يُقال له إجماع، **وَلَفْظُهُ:** ما لا يُعلم فيه خلاف فليس إجماعًا».ا.هـ[1].

هَكَذَا كَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِن الأَئمَّةِ وَالعُلَمَاءِ؛ لِشِدَّةِ تَعْظِيمِهِمْ لِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لا يُقَدِّمُونَ عَلَيهَا أَيَّ قَوْلٍ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

وَلْنَأخُذْ مِثَالًا عَمَلِيًّا مِنْ وَاقِعِهِمْ:

رَوَى الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي: «صَحِيحِه»[2]**: عَنِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(ت: ٧٣)**: قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **تَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا: لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟ قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ** ﷺ**: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ».**

الله أكبر! فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع غيرته الشديدة، وعدم رغبته أن تخرج زوجتُه من بيتها، إلَّا أنَّه لَمْ يمنعْها، ولم يُشعرها بعدم رضاه، لِمَ؟ لأنَّه سَمِعَ خليلَه وحبيبَه

---

(١) «إعلام الموقعين»: (٢/ ٥٠-٥٣).

(٢) (٩٠٠).

ﷺ يقول: «**لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ**»، فانتهى الأمر، وطُرحت الغيرة، ونبذ رأيه ورغبته؛ لأنه لا يُقدِّم على قول النَّبِيِّ ﷺ شيئًا أبدًا.

وَخُذْ مِثَالًا آخَرَ لابْنِه عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فقد روى مسلم فِي: «صَحِيحِه»[1]: عن سَالِمِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦): **أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** ﷺ، **يَقُولُ: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا»، فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ.**

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ** ﷺ **وَتَقُولُ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ؟.**

فَتَأَمَّلْ:

كيف غضب ابنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا غضبًا شديدًا على ابنِه بلال؛ لأنَّه قدَّم غيرته ورأيه على قولِ رسولِ اللهِ ﷺ، مع أنَّ بلالًا لم يكنْ يقصدُ مخالفةَ الحديثِ وردَّه، حاشاه من ذلك، ولكنَّه لغيرتِه على نسائِه، وخوفِه عليهنَّ أراد منعهُنَّ مِن ذلك، ومع ذلك أنكر عليه أبوه إنكارًا شديدًا.

نَعَمْ: هَكَذَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، **إِذَا جَاءَهُمُ الدَّلِيلُ الصَّحِيحُ عَمِلُوا بِهِ مُبَاشَرَةً وَدُونَ تَرَدُّدٍ.**

قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١): «**وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الطَّيِّبُ**: يَشْتَدُّ نَكِيرُهُمْ وَغَضَبُهُمْ عَلَى مَنْ عَارَضَ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِرَأْيٍ، أَوْ قِيَاسٍ، أَوْ اسْتِحْسَانٍ، أَوْ قَوْلِ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ -كَائِنًا مَنْ كَانَ- وَيَهْجُرُونَ فَاعِلَ ذَلِكَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ، وَلَا يُسَوِّغُونَ غَيْرَ الِانْقِيَادِ لَهُ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّلَقِّي بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، **وَلَا يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ التَّوَقُّفُ فِي قَبُولِهِ حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ**: عَمَلٌ، أَوْ قِيَاسٌ، أَوْ

(١) (١٠١٧).

يُوَافِقَ قَوْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، بَلْ كَانُوا عَامِلِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...﴾ [الأحزاب:٣٦].

فَدُفِعْنَا إِلَى زَمَانٍ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ:

«ثبتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كَذَا وَكَذَا» يَقُولُ: مَنْ قَالَ بِهَذَا؟ وَيَجْعَلُ هَذَا دَفْعًا فِي صَدْرِ الْحَدِيثِ...

وَلَا يُعْرَفُ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ أَلْبَتَّةَ قَالَ: لَا نَعْمَلُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَعْرِفَ مَنْ عَمِلَ بِهِ، فَإِنْ جَهِلَ مَنْ بَلَغَهُ الْحَدِيثُ مَنْ عَمِلَ بِهِ لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْقَائِلُ». (١).

وَصَدَقَ القَائِلُ (٢):

العِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ ذَوُو العِرْفَانِ
مَا العِلْمُ نَصْبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانِ

٢- يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ كُلَّ مَا صَحَّ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَجِبُ قَبُولُهُ وَالعَمَلُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ آحَادًا فِي العَقَائِدِ وَغَيْرِهَا.

وهم بذلك يطبِّقون قولَه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال الإمامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

«أَجمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدَعَهَا لِقَولِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ»(٣). وتواتر عنه أنَّه قال: **«إِذَا صَحَّ الحَدِيثُ فَاضْرِبُوا**

---

(١) «إعلام الموقعين»: (٦/ ١٧٩).

(٢) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، طبعة: دار عالم الفوائد، المشهورة بـ«نونية ابن القيم»: ص: ١٩٤، رقم البيتين: (٣٥٩٤-٣٥٩٥).

(٣) «الرسالة» (٤٢٥).

بِقَوْلِي الحَائِطَ»(١). وصح عنه أنَّه قال: «إِذَا رَوَيْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَدِيثًا وَلَمْ آخُذْ بِهِ، فَاعْلَمُوا أَنَّ عَقْلِي قَدْ ذَهَبَ»(٢). وصح عنه أنَّه قال: «لا قَوْلَ لأَحَدٍ مَعَ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٣)، فَهَذَا قَوْلُهُ وَاعْتِقَادُهُ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّيْنِ، وَعُلَمَاءِ المُسْلِمِيْنَ»(٤).

٣- يَعْتَقِدُوْنَ أَنَّ المَرْجِعَ فِي فَهْمِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: هُوَ النُّصُوصُ المُبيِّنة لَهَا، وَفَهْمُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَنْهَجِهِمْ مِنَ الأَئِمَّةِ.

فَالسَّلَفُ الصَّالِحُ: لا يضربون القُرآن والسنةَ بعضَها ببعض، بل يَعْتقدونَ أنَّ كُلًّا مِنْهما مكمِّلٌ للآخر، وإذا رأوا مَن سَبَقَهم مِن الأئمَّة المتقدمينَ، قد فَهِمُوا أو فَسَّروا آيةً أو حديثًا، فإنَّهم يتَمسكونَ بهذا التَّفْسير أو الفَهْم.

قَالَ ابْنُ قَيِّم الْجَوزِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان -أي: الإمام أحمد- شديدَ الكراهة والمنع للإفتاء بمسألةٍ ليس فيها أثر عن السَّلف، كما قال لبعْضِ أصحابِه: «إِيَّاكَ أَنْ تتكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ لَيْسَ لَكَ فِيهَا إِمَامٌ»»(٥).

وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ يَعْرِفُونَ لِلْصَّحَابَةِ فَضْلَهُمْ، وَيَسْلُكُونَ سَبِيْلَهُمْ وَهَدْيَهُمْ.

قَالَ ابْنُ قَيِّمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّحِيحِ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْت فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(٦).

---

(١) «آداب الشافعي»: (٦٧ - ٦٨، ٩٣) لابن أبي حاتم، «الحلية»: (٩/ ١٠٦ - ١٠٧).

(٢) «آداب الشافعي»: (٦٧، ٩٣)، «الحلية»: (٩/ ١٠٦).

(٣) «المدخل» (٢٤)، و«مناقب الشافعي»: (١/ ٤٧٣)، «الحلية»: (٩/ ١٧٠). «إعلام الموقعين»: (٤/ ٤٠)، ط/ مشهور آل سلمان.

(٤) «إعلام الموقعين»: (٤/ ٤٠)، ط/ مشهور آل سلمان.

(٥) «إعلام الموقعين»: (٢/ ٦٠)، وقول الإمام أحمد أسندها عنه ابن الجوزي في: «مناقب الإمام أحمد»: (١٧٨)، ونقلها ابن تيمية في: «مجموع الفتاوى»: (٢١/ ٢٩١).

(٦) قال الشيخ العلامة المحدث الفقيه الألباني، (ت: ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م): «وبهذه المناسبة لا بد لي من وقفة أو جملة معترضة قصيرة، وهي: أن الشائع اليوم على ألسنة المحاضرين، =

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ قَرْنُهُ مُطْلَقًا، وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَقْدِيمَهُمْ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وإِلَّا لَوْ كَانُوا خَيْرًا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، فَلَا يَكُونُونَ خَيْرَ الْقُرُونِ مُطْلَقًا، فَلَوْ جَازَ أَنْ يُخْطِئَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِي حُكْمٍ وَسَائِرُهُمْ لَمْ يُفْتُوا بِالصَّوَابِ-، وَإِنَّمَا ظَفَرَ بِالصَّوَابِ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَخْطَأُوا هُمْ- لَزِمَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْقَرْنُ خَيْرًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ؛ لِأَنَّ الْقَرْنَ الْمُشْتَمِلَ عَلَى الصَّوَابِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرْنِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْخَطَأِ فِي ذَلِكَ الْفَنِّ.

فَيَا سُبْحَانَ اللهِ! أَيُّ وَصْمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ الصِّدِّيقُ، أَوْ الْفَارُوقُ، أَوْ عُثْمَانُ، أَوْ عَلِيٌّ، أَوْ ابْنُ مَسْعُودٍ، أَوْ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، أَوْ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَضْرَابُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ حُكْمِ اللهِ أَنَّهُ كَيْتَ وَكَيْتَ فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ- وَأَخْطَأَ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَشْتَمِلْ قَرْنُهُمْ عَلَى نَاطِقٍ بِالصَّوَابِ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ حَتَّى تبع[1] مَنْ بَعْدَهُمْ فَعَرَفُوا حُكْمَ اللهِ الَّذِي جَهِلَهُ أُولَئِكَ السَّادَةُ، وَأَصَابُوا الْحَقَّ الَّذِي أَخْطَأَهُ أُولَئِكَ الْأَئِمَّةُ؟.

سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ». ا.هـ[2].

٤- يَعْتَقِدُوْنَ أَنَّ أُصُولَ الدِّينِ كُلَّهَا، قَدْ بَيَّنَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَلَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يُحْدِثَ شَيْئًا زَاعِمًا أَنَّه مِنَ الدِّيْنِ.

فالسَّلَفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: كانوا أشدَّ نفرةً من البدع، وأشدَّ كراهةً لها؛ وذلك

= والمرشدين، والواعظين، رواية الحديث بلفظ: «خير القرون قرني»، وهذا اللفظ: لا نعرف له أصلا في كتب السنة، مع أن هذا الحديث دخل في زمرة الاحاديث المتواترة لكثرتها، وإنما اللفظ الصحيح الذي جاء في الصحيحين وغيرهما، إنما هو بلفظ: «خير الناس قرني»، وليس: «خير القرون قرني»، إنما هو: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم،...»، «سلسلة الهدى والنور»: شريط: (٣٩٦). نشرتها شبكة سحاب السلفية.

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: نَبَغ.

(٢) «إعلام الموقعين»: (٥/ ٥٧٤).

لأنَّهم فهِموا قول ربِّهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فَالدِّيْنُ كَامِلٌ تَامٌّ، لا يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَزِيدُ وَيُعَدِّلُ عَلَيهِ.

وَهُمْ بَذَلِكَ يَعْمَلُونَ: بقولِهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)].

٥- يَرَوْنَ أَنَّ العَقْلَ الصَّرِيحَ، مُوَافِقٌ لِلنَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَلا يَتَعَارَضُ قَطْعِيَانِ مِنْهُمَا أَبَدًا، وَعِنْدَ تَوَهُّمِ التَّعَارُضِ يُقَدِّمُونَ النَّقْلَ.

فَلا يُقَدِّمُونَ عُقُولَهُمْ: على شريعة ربِّهم، وسنَّةِ نبيِّهم ﷺ، لِيقينهم بأنَّ الوحيَ لا يعتريهِ الخللُ والنُّقصان، بخلاف العقْل، الذي يعتريه التوهُّم والخللُ والضَّلالُ والنِّسْيان.

فَكَانَ السَّلَفُ يَقَدِّمُونَ الشَّرْعَ عَلَى العَقْلِ، ويرون أنَّ العقلَ يوافقُ الشَّرع والنَّقل، ولا يخالفه ولا يُضادُّه، وأنَّ الشَّرع لا يأتي بما يحال في العقل، ولكن قد يأتي بما يحار فيه العقل، وأنَّه لا تعارضَ بيْنَ نقْلٍ صحيح ونظرٍ عقلي سليم، والنَّقل الصحيح حجة، والنَّظر العقلي تابعٌ للدَّليل السَّمعي ولا يتعارضُ معه أبدًا.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): «**وَلِهَذَا لا يُوجَدُ فِي كَلامِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ:** أَنَّهُ عَارَضَ الْقُرْآنَ بِعَقْلٍ وَرَأْيٍ وَقِيَاسٍ، وَلَا بِذَوْقٍ وَوَجْدٍ وَمُكَاشَفَةٍ، **وَلَا قَالَ قَطُّ:** قَدْ تَعَارَضَ فِي هَذَا الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ، **فَضْلًا عَنْ أَنْ يَقُولَ:** فَيَجِبُ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ، وَالنَّقْلُ:- يَعْنِي: **الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ وَأَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ**»[(٢)].

٦- يَرَوْنَ أَنَّ العِصْمَةَ ثَابِتَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَالأُمَّةُ فِي مَجْمُوعِهَا مَعْصُومَةٌ مِنَ الاجْتِمَاعِ عَلَى ضَلالَةٍ:

---

(١) «متفق عليه»: من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، البخاري: (٢٦٩٧)، ومسلم: (٤٥٨٩).

(٢) «مجموع الفتاوى»: ١٣/ ٢٨-٢٩.

وَأَمَّا آحَادُهَا: فلا عِصْمةَ لأحدٍ مِنْهم، وما اختلفَ فيه الأئمَّةُ وغيْرُهم، فمرجعه إلى الكتابِ والسُّنَّة، فما قامَ عليه الدليلُ قُبل، مع الاعتذارِ للمُخْطئِ مِن مجتهدي الأمَّة.

وَهُمْ بِذَلِكَ يَأْخُذُونَ بقولِه تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤): «قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: ومَن سلكَ غيرَ طريقِ الشَّريعة التي جاء بها الرَّسولُ ﷺ، فصارَ في شِقٍّ، والشَّرع في شِقٍّ، وذلك عن عمد منه بعْدَ ما ظهَر له الحقُّ وتبيَّنَ له واتَّضَح له.

وقوله: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصِّفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنَّصِّ الشَّارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمَّةُ المحمديَّة فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم، ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾، أي: إذا سلكَ هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجًا له». ا.هـ[١].

٧- السَّلَفُ الصَّالِحُ يَرَوْنَ أَنَّ الرُّؤيَا الصَّالِحَةَ حَقٌّ، بِشَرْطِ مُوَافَقَتِهَا لِلْشَّرْعِ، وَلَيْسَتْ مَصْدَرًا لِلْعَقِيدَةِ وَلا لِلْتَّشْرِيعِ.

فالمبتدعةُ يرون أن المنام والرؤى مصدرٌ للتشريع، وعند السلف الصالح أنها من المُبشرات لا المـُشرِّعات.

٨- السَّلَفُ الصَّالِحُ يَذُمُّونَ المِرَاءَ فِي الدِّينِ، وَيَرَوْنَ المُجَادَلَةَ بِالحُسْنَى،

(١) «تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٧٦.

اقْتِدَاءً بقولِه تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وقولِه تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

٩- يَعْتَقِدُ السَّلَفُ الصَّالِحُ: أَنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ فِي الدِّينِ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ[(١)].

وَهُمْ بِذَلِكَ يَأْخُذُونَ بقول النَّبيِّ ﷺ: «**فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**»[(٢)].

وَقَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): «**مَنْ أَحْدَثَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ عَلَيهِ سَلَفُهَا، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لأَنَّ اللهَ يَقُولُ:** ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، **فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا فَلا يَكُونُ اليَوْمَ دِينًا**»[(٣)].

١٠- السَّلَفُ الصَّالِحُ يَقرِنُونَ العِلْمَ بِالعَمَلِ، فَإِذَا عَلِمُوا خَيْرًا عَمِلُوه، وَإِذَا سَمِعُوا حَقًّا طَبَّـقُوه، وَإِذَا نَطَقُوا بِقَوْلٍ نَفَّذُوه.

عَمَلًا بقولِه تعالى: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢،٣].

---

(١) يُنظَر: كتاب «مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة»، للشيخ الدكتور: ناصر بن عبد الكريم العقل -حفظه الله-: ١.

(٢) رواه مسلم: (٢٠٤٢).

(٣) «الاعتصام»، للشاطبي، تحقيق: مشهور آل سلمان: ١/ ٦٢، ٢/ ٣٦٨، وذكره بسنده الإمام ابن حزم الأندلسي، (ت: ٤٥٦ هـ)، في كتابه: «الإحكام في أصول الأحكام»: عن عبد الملك بن حبيب أخبرني ابن الماجشون أنه قال: قال مالك بن أنس: ٦/ ٢٢٥.

وَخُذْ مِثَالًا مِنْ وَاقِعِهِمْ -عَلَيهِمْ رَحْمَةُ اللهُ تَعَالَى-:

يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤): «حَدَّثَنَا: مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ».[1].

هَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ الَّذِي سَارَ عَلَيهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، يَرَوْنَ بِأَنَّ العِلْمَ وَالعَمَلَ أَخَوَان، وَأَمْرَانِ مُتَلازِمَانِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): «تَعَلَّمُوا العِلْمَ، فَإِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا»[2]، وَهَذَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١)، يَقُولُ: «مَا بَلَغَنِي عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ حَدِيْثٌ قَطُّ، إِلاَّ عَمِلْتُ بِهِ وَلَوْ مَرَّةً».[3].

فلهذا كلّه: عَمَرُوا حياتَهم بِأحسنِ الأقوال، وأجملِ الأعمَال، فحُقَّ لنا أن نعرفَ أحوالَهم وسيرَهُم، فنقتديَ ونهتديَ بها، فلذا جاءَ عنوانُ هذا الكتاب:

«حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ القَوْلِ وَالعَمَلِ».

أحمد بن ناصر الطيار
خطيب جامع عبد الله بن نوفل بالزلفي
والداعي إلى الله بوزارة الشؤون الإسلامية
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦
شعبان، عام ١٤٤٣ هـ

(١) رواه الإمام أحمد(٢٣٤٨٢)، وحسن إسناده: الأرنؤوط.

(٢) «تهذيب الحلْية»: ١/١١٩.

(٣) «السِّير»: ٧/ ٢٤٢.

العلم والعلماء[1]

أ- توقير العلم والاحتفاء بأهله:

* رأى **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) رجلًا قد أسبل، فقال: ارفع إزارك، فقال: وأَنت يابن مسعود فارفع إزارك، قال: إنّ بساقيَّ حُمُوشَةً وأنا أَؤُمُّ الناس، فبلغ ذلك **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجعل يضرب الرجل، ويقول: أتردُّ على ابن مسعود؟. تهذيب السِّير ١/ ١٩٦.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبّوا أهله، فإن لم تحبّوهم، فلا تبغضوهم. صفة الصفوة ١/ ٢٩٨.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال: تنحّ يابن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا نفعل بعلمائنا، وكبرائنا. صفة الصفوة ١/ ٣٤٣.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وجد أكثر حديث رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار.

---

(١) لا يزال الله تعالى يؤيِّد هذا الدين إلى يوم القيامة بعلماء صادقين مخلصين، يميزون بين الصحيح والسقيم، ولا يزال دينه وشرعُه ظاهرا بالحجة والبيان والسيف والسنان، فلا يقدر مبتدع ولا زنديق ولا منافق ولا كافر أن يزيد فيه ولا أن ينقص منه.
وحفظ الله لهذه الأمة كتابها «القرآن» أن يبدَّل ويغيَّر، بل هو محفوظ، وكذلك الحكمة التي أنزلها الله على رسوله ﷺ، قد أقام الله لها من هذه الأمة طائفةً بعد طائفة يحفظونها وينقلونها، فلو أراد مبتدع أو غيره أن يزيد فيها حرفا أو ينقص حرفا لأقام الله له من يكشف أسراره ويهتك أستاره، وينادي عليه ويفضحه، ويصدع بالحق ويجهر به.
يُنظر: مجموع ورسائل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ص: ٤٣.

والله إن كنت لآتي الرجل منهم فيقال: هو نائم، فلو شئت أن يوقَظ لي، فأدعه حتى يخرج لأستطيب بذلك حديثه. مسند الدارمي (٥٧٦).

* وقال **أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): لو رفقت بابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأصبت منه علما كثيرا. مسند الدارمي (٥٧٧).

* وقال الزُّهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **أبو سلمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يخالف ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فحُرِم لذلك منه علمًا كثيرًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٤٩٩.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت آتي باب **عروة بن الزبير** (ت: ١٠٠) فأجلس بالباب، ولو شئت أن أدخل لدخلت، ولكن إجلالا له. مسند الدارمي (٥٧٨).

* وعن **عكرمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: إن أزهد الناس في عالم أهله. مسند الدارمي: (٦١٥).

* وقال **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): كان أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) يمر بي في طرفَي النهار فأقول: لا أسمع منك حديثًا، خدمت رسول الله ﷺ، ثم جئت إلى الحجاج حتى ولاك، قال: ثم ندمت فصرت أروي عن رجل عنه[1]. تهذيب الحِلْية ٢/١٤٠.

* وكان **ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) إذا جاء قال أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا جميلة ناوليني طيبًا أمس به يدي، فإن ابن أم ثابت لا يرضى حتى يقبل يدي، ويقول: قد مست يد رسول الله ﷺ. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٠٦.

* وقال نافع بن جبير **لعلي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): غفر الله لك! أنت

(١) يحتمل أن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ امتنع من تحديثه عقابا له وعلى سوء أدبه معه؛ فاضطر الأعمش بعد أن ندم وعرف أنه قد أخطأ في حقه: أن يروي الحديث عنه؛ لكن بواسطة من يحدثه، ففاته علو السند. ويحتمل أنه ندم بعد أن مات أنس بن مالك، فصار يروي عمن سمع منه. وهذا يدل على أنه ينبغي لطالب العلم إذا رأى من شيخه أو مِمَّن مَن هو أعلم منه ما يريبه وما ينكره: أن يتهم نفسه ورأيه، ويلتمس العذر لهذا الشيخ.

سيد الناس وأفضلهم، تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه -يعني زيد بن أسلم- فقال: إنه ينبغي للعلم أن يُتَّبع حيث ما كان. تهذيب الحِلْية ٤٨٦/ ١.

* وسئل **ابن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١) بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: إنَّا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٢.

* وكان **عطاء بن أبي رباح** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤) عبدًا لامرأة من أهل مكة، وكان أنفه كأنه باقلاء، وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حوّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قُوما فقاما فقال: يا ابنيّ لا تَنِيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلّنا بين يدي هذا العبد الأسود. صفة الصفوة ٢/ ٥٢٥.

* وذَكر رجلٌ عند بعض السلف عالمًا بشيء فقال: مه لا تذكر العلماء بشيء، فيميت الله قلبك.[1] ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٥.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) قال: يستحب أن لا تقرأ أحاديث رسول الله ﷺ إلا على طهارة. تهذيب الحِلْية ٤٠٨/ ١.

* وكان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) يتمثل الشعر، ويذكر الشيء ويضحك، حتى إذا جاء الحديث من السنة كلح وانضم بعضه إلى بعض. تهذيب الحِلْية ٣٩٠/ ١.

* وقال **الزهري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٤): إن كنت لآتي باب عروة، فأجلس ثم

---

(١) قال الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ ناصحًا لإخوانه المسلمين، ومحذرًا من الطعن والتشكيك في العلماء العاملين، والأئمة المهتدين: اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

أنصرف ولا أدخل، ولو أشاء أن أدخل لدخلت إعظامًا له. تهذيب الحِلْية ٢٣/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خدمت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حتى إنَّ خادمه ليخرج فيقول: من بالباب؟ فتقول الجارية: غلامك الأعيمش -فتظن أني غلامه- وإن كنت لأخدمه حتى لأستقي له وضوءه. تهذيب الحِلْية ٢٣/ ٢.

* وجاء رجلٌ إلى **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) وهو مريض، فسأله عن حديث، وهو مضطجع، فجلس فحدثه، فقال له ذلك الرجل: وددت أنك لم تتعنّ، فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٧.

* وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا ندخلُ على **أيُّوب السَّخْتِيَاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١)، فإذا ذكرنا له حديثَ رسول الله ﷺ بكى حتى نَرْحَمه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٢٦.

* وكان **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) إذا أراد أن يحدِّث توضأ وجلس على صدر فراشه، وسرّح لحيته، وتمكن من الجلوس بوقار وهيبة، ثم حدّث، فقيل له في ذلك، فقال: أحبّ أن أعظّم حديثَ النبي ﷺ ولا أحدّث به إلا على طهارة متمكنًا، وكان يكره أن يحدّث في الطريق وهو قائم أو مستعجِل، فقال: أحب أن يُفهَم ما أحدّث به عن رسول الله ﷺ. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٤، ترتيب المدارك (١/ ١٤٥).

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا رفع أحدٌ صوته عنده قال: اغضض من صوتك، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢] فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٤.

* وكان يقود نافعًا مولى ابن عمر من منزله إلى المسجد، وكان قد كفّ بصره، فيسأله فيحدثه، وكان منزل نافع بناحية البقيع. ترتيب المدارك: ١/ ١٣٢.

* وحكى الطحاوي أن أبا محمد عبدالله بن فروخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٥) قدم المدينة فلبس ثيابه، وأتى قبر النبي ﷺ، ثم أتى **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلما رآه مالك تلقاه بالسلام، وقام إليه، وكان لا يكاد يفعل ذلك بكثير من الناس، وكان للإمام مالك موضع من مجلسه يقعد فيه، فأقعده فيه، وسأله عن أحواله ومتى كان قدومه، فأعلمه أنه في الوقت الذي أتى إليه، فقال له مالك: صدقت لو تقدَّم قدومك لعلمت به ولأتيتك، وجعل مالك لا تَرِد عليه مسألة وعبدالله حاضر إلا قال: أجب يا أبا محمد، فيجيب، ثم يقول مالك: هو كما قال.

ثم التفت مالك إلى أصحابه، فقال: هذا فقيه المغرب.[1] ترتيب المدارك (١/ ٣٧٦).

* وقال عبدالله بن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧): قال لي **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما خلفك عنا منذ ليال؟.

قلت: كنت أرمد.

قال مالك: أَحْسِبُ مِن كَتْب الليل.

قلت: أجل.

فصاح مالك بالجارية: هاتي من ذلك الكحل لصديقي المصري ابن وهب.

قال إسماعيل بن قعنب: كنت مع ابن وهب عند مالك، فكانت الهدية تأتي إلى مالك بالنهار، ويهديها إلى ابن وهب باللّيل.[2] ترتيب المدارك (١/ ٤٦٢).

* ولما قدم هارون الرشيد المدينة دعا الإمام **مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال مالك: منكم

(١) تأمل إلى هذا الأدب الرفيع، والكرم والتواضع، لمن يصغره بأكثر من عشرين عاما، بل ويُحيل الفتوى إليه، ويثني عليه أمام طلابه، فما أجمل أن يقتدي طلاب العلم بهذا الإمام الكبير.

(٢) انظر إلى تفقد الإمام مالك لتلاميذه، وسؤاله عنهم، وإكرامه لهم، وتأمل كيف قال عنه: صديقي، ولم يقل تلميذي، مع أنه أكبر منه بقرابة ثلاثين عاما، فما أجمل أن يُعامل الشيخ طلابه معاملة الصديق لصديقه، لا معاملة المعلّم لتلميذه.

خرج هذا العلم، وأولى الناس بإعظامه، ومن إعظامكم له ألا تَدْعُوا حَمَلَته إلى أبوابكم.

قال: قد فعلتُ يا أبا عبدالله.

وقال بعضهم: حج المهدي فدخل المدينة، فسار إليه[1] مالك، وأظهر من برِّه وإعظامه، وأمر ابنيه موسى وهارون أن يسمعنا منه كتبه.

فبعثوا إليه، فلم يصل إليهم، وأعلموا المهدي.

فبعث إليه لِمَ لَمْ تأتهم؟.

فقال: يا أمير المؤمنين العلم أهلٌ لأن يوَقَّر ويُؤْتَى.

قال: صدق، سيروا إليه.

فلما حضروه قالوا له: اقرأ علينا، قال: إن هذا البلد إنما يُقْرأ فيه على العالم كما يَقرأ الغلام على المعلم، فإذا أخطأ أفتاه، فانصرفوا عنه، وأعلموا المهدي.

فبعث إليه.

فقال: امتنعتَ أن تصير إليهم فصاروا إليك، فامتنعتَ أن تقرأ عليهم!.

قال: يا أمير المؤمنين سمعتُ ابن شهاب[2] رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: جمعنا هذا العلم من رجال في الروضة، وهم سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجة، وسليمان، ونافع، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، ثم نقل عنهم: ابنُ هرمز، وأبو الزناد، وربيعة، والأنصار، وبحر العلم ابن شهاب، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وكل هؤلاء يُقْرَأ عليهم ولا يَقْرَؤون.

قال المهدي: اذهبوا فاقرؤوا، ففي هؤلاء قُدوة.

فكان مؤدِّبُهم يَقرأ عليهم.[3] ترتيب المدارك (١/ ١٤٨-١٤٩).

---

(١) لعله: إلى.

(٢) الزهري.

(٣) كان أهل العلم لا يُحابون في العلم أحدًا، ويُجلّونه ويعظمونه، ولذلك رفعهم الله وأعزهم، وأبقى ذكرهم الحسن.

* وقال الفروي: كان **مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا جلس معنا كأنه واحد منَّا، ينبسط معنا في الحديث، وهو أشد تواضعًا منا له، فإذا أخذ في الحديث تهيبنا كلامه، كأنه ما عَرَفنا ولا عرفناه. ترتيب المدارك (١/ ١٥٢).

* وعن أبي معاوية الضرير قال: أكلت مع **الرشيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ طعامًا يومًا من الأيام فصب على يدي رجل لا أعرفه، فقال هارون: يا أبا معاوية تدري مَنْ يصب عليك؟ قلت: لا، قال: أنا، قلت: أنت يا أمير المؤمنين، قال: نعم إجلالًا للعلم. المنتظم ٣٢٢- ٣٢٣/ ٨.

* وقال الأستاذ ابن العميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كنت أظنُّ أن في الدنيا حلاوةً ألذّ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة **أبي القاسم الطَّبراني** (ت: ٣٦٠) وأبي بكر الجِعابي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ بحضرتي، فكان الطَّبراني يغلب أبا بكر بكثرة حفظه، وكان أبو بكر يغلب بفطنته وذكائه حتى ارتفعت أصواتُهما، ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي فقال: هات، فقال: حدثنا أبو خليفة الجُمَحي، حدثنا سُليمان بنُ أيوب وحَدَّث بحديث، فقال الطَّبراني: أنا[1] سليمان بن أيوب ومني سمعه أبو خليفة، فاسمع مني حتى يَعْلُو فيه إسنادُك، فخجل الجعابي، فوددت لو أن الوزارة لم تكن وكنتُ أنا الطبراني، وفرحت كفرحه، أو كما قال. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٧٣.

* وعن أبي إسحاق الحربي أنه قال: كان **هشيم بن بشير** (ت: ١٩٠) رجلًا كان أبوه صاحب صحناة[2] وكواميخ[3]، فطلب ابنه هشيم الحديث واشتهاه،

(١) في الأصل: أخبرنا، وفي بقية المصادر «أنا» ولعله أصح، وهو الذي ذكره المصنف في تاريخه.

(٢) الصّحْنا والصّحناة: إدام يُتخذ من السمك الصغار، مصلحٌ للمعدة. القاموس المحيط، مادة صَحَنة.

(٣) الكامَخ: نوع من الإدام، وهو معرَّب. ولم يذكر صاحب القاموس واللسان غير هذا.

وكان أبوه يمنعه، فكتب الحديث حتى جالس أبا شيبة القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان يناظر أبا شيبة في الفقه، فمرض هشيم، فقال أبو شيبة: ما فعل ذلك الفتى الذي كان يجيء إلينا؟ قالوا: عليل، فقال: قوموا بنا حتى نعوده، فقام أهل المجلس جميعًا يعودونه حتى جاؤوا إلى منزل بشير، فدخلوا إلى هشيم، فجاء رجل إلى بشير فقال: الحق ابنك، قد جاء القاضي إليه يعوده، فجاء بشير والقاضي في داره فلما خرج قال لابنه: يا بني قد كنت أمنعك من طلب الحديث، فأما اليوم فلا، صار القاضي يجيء إلى بابي، متى أمَّلْت أنا هذا؟ المنتظم ٨٩-٩٠/ ٩.

* وَعَنِ **الْأَعْمَشِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) قَالَ: كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ مِنَ الْفَقِيهِ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى لِبَاسَهُ وَنَعْلَيْهِ.

* وَقِيلَ **لِابْنِ الْمُبَارَكِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: إِلَى الْبَصْرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: **ابْنُ عَوْنٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) آخُذُ مِنْ أَخْلَاقِهِ، آخُذُ مِنْ آدَابِهِ.

وَقَالَ **عبدالرحمن بن مَهْدِيٍّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): كُنَّا نَأْتِي الرَّجُلَ مَا نُرِيدُ عِلْمَهُ لَيْسَ إِلَّا أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ هَدْيِهِ وَسَمْتِهِ وَدَلِّهِ. الآداب الشرعية ٢/ ١٠٥.

* وكان **يحيى بن يحيى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٤) جمع مسائل، سأل عنها أشهب وابن نافع وغيرهما من أصحاب مالك رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وكتبها عنهم، فعرضها على ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليرى فيها مذهبه، فجعل ابن القاسم ينتقص عليهم، فلما رأى يحيى ذلك طوى كتابه، وادخله في كمه، فقال له ابن القاسم: ما بالك؟ فقال: إن هؤلاء لهم عليّ حقٌّ كحقك، وقد كتبتُ عنهم ولم أُرِدْ أن أعرّض بهم للوقوع فيهم، فإذا كان هذا فلا حاجة لي بذلك.[1] ترتيب المدارك (٢/ ٣٤).

---

(١) فأين مَن يقصد مجالس من يقع في أعراض العلماء والفضلاء ويجرّحهم ويطعن فيهم، أو يستمع لهم عبر مواقع التواصل والشبكة العنكبوتية وغيرها؟
كيف يُفلح ويُوفق ويُبارك له؟

* وقال **أبو عُبَيْدٍ القاسِم بن سَلَّام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤): إنّ من شكر العلم أنْ تقعد مع قوم فيذكرون شيئا ولا تحسنه فتتعلّمه منهم، ثم تقعد بعد ذلك في موضع آخر فيذكرون ذلك الشيء الذي تعلمته فتقول: والله ما كان عندي في هذا شيء حتى سمعت فلانا يقول: كذا وكذا فتعلمتُه، فإذا فعلت ذلك فقد شكرت العلم، ولا تُوهمهم أنك قلت هذا من نفسك. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٧٠٥)، الآداب الشرعية ٢/ ١١٨.

* وجاء يحيى بن معين يومًا **لأحمد بن حنبل** (ت: ٢٤١) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فبينما هو عنده إذ مر الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على بغلته، فوثب أحمد فسلَّم عليه وتبعه فأبطأ، ويحيى جالس، فلما جاء قال يحيى: يا أبا عبدالله لم هذا؟ فقال أحمد: دع هذا عنك، إن أردت الفقه فالزم ذَنَب البغلة.

قال **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤): الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَرَفَ قَدرَ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لما عنده من الفقه، ويحيى بن معين لم يكن عنده من ذلك كما عند الإمام أحمد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.[1] طبقات الشافعيين (١/ ٢٨).

* وقَالَ **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ –وذُكِر عنده إبراهيم بن طهمان– وكان متكئًا من علّة فاستوى جالسًا وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فنتكئ. الآداب الشرعية ٢/ ١٩.

* وقال أَبُو بَكْرِ بْنُ جَابِرٍ خادم **أبي دَاوُد السّجستاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٥): كنت مع أبي دَاوُد ببغداد، فصلينا المغرب، إذ قرع الباب ففتحته، فإذا خادم يقول: هذا الأمير أَبُو أَحْمَد الموفق يستأذن، فدخلت إلى أبي داود فأخبرته بمكانه، فأذن له فدخل وقَعَد، ثم أقبل عليه أَبُودَاوُد فقال: ما جاء بالأمير فِي مثل هذا الوقت؟

(١) ومن أراد العلم فلا بد أن يتواضع لأهله، ويحترمهم ويجلّهم.

فقال: خِلالٌ ثلاث، فقال: وما هي؟ قَالَ: تنتقل إلى البَصرة فتتخذها وطنًا، ليرحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بك، فإنها قد خَرِبت وانقطع عنها الناس، لما جرى من محنة الزِّنج، فقال: هذه واحدة، هات الثانية، قَالَ: وتروي لأولادي كتاب السُّنَن، فقال: نعم، هات الثالثة، قَالَ: وتُفرد لهم مجلسا للرواية؛ فإن أولاد الخلفاء لا يَقعدون مع العامة، فقال: **أما هذه فلا سبيل إليها؛ لأن الناس شريفهم ووضيعهم فِي العلم سواء**. طبقات الحنابلة (١/ ٤٣٣-٤٣٤).

* وصنَّفَ **الوزيرُ ابن هبيرة أَبُو المظفَّر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠) كتابَ (الإفصاح عن معاني الصحاح) في عِدَّة مجلَّدات، وهو شرح صحيحي البخاري ومسلم، ولما بلغ فيه إلى حديث «من يرد الله به خيرًا يُفقِّهه في الدين» شَرَح الحديث، وتكلَّم على معنى الفقه، وآل به الكلام إلى ذِكر مسائل الفِقه المتفق عليها، والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين.

وقد أفرده الناس من الكتاب، وجعلوه مجلدة مفردة، وسموه بكتاب «الإفصاح»، وهو قطعة منه، وهذا الكتاب صنَّفه في ولايته الوزارة، واعتنى به وجمع عليه أئمة المذاهب، وأوفدهم من البلدان إليه لأجله، بحيث إنه أنفق على ذلك مائة ألف دينار، وثلاثة عشر ألف دينار، وحدَّث به، واجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه.

كتب به نسخة لخزانة المستنجد، وبعث ملوكُ الأطراف ووزراؤها وعلماؤها، واستنسخوا لهم به نسخًا، ونقلوها إليهم، حتى السلطان نور الدين الشهيد، واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم، يدرسون منه في المدارس والمساجد، ويعيده المعيدون، ويحفظ منه الفقهاء[1].

(١) انظر إلى هذه الهمة العظيمة، والجهد الكبير، الذي بذل فيه الكثير من ماله ووقته، واعتنى به=

ولما وُلِّيَ الوزير أَبُو المظفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوزارة بالغ في تقريب خيار الناس من الفُقهاء والمحدِّثين والصالحين، واجتهد في إكرامهم وإيصال النفع إليهم، وارتفع أهل السُّنّة به غاية الارتفاع. ذيل الطبقات (٢/ ١١٣ - ١٦٩).

* وقال بعضهم: حضرت مجلس **أبي جعفر الطحاوي** (ت: ٣٢١)، وعنده أبو عثمان بن حماد (ت: ٣٢٩) وهو يومئذ قاضي مصر، فدخل إليه رجل، فسأل أبا جعفر عن مسألة، فقال له أبو جعفر: مذهب القاضي أيده الله كذا وكذا، فقال له السائل: ما جئت إلى القاضي، إنما جئت إليك، فقال: يا هذا، مذهب القاضي ما قلت لك، فقال له السائل مثل ما قال له أولًا، فقال أبو عثمان: أفته أيدك الله، فقال أبو جعفر: إذا أذن القاضي أيده الله أفتيه، ثم أفتاه بعد ذلك.[1] ترتيب المدارك (٣/ ٢٣٣).

* وقال أحمد أخو ربيع **القطان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٤)[2]: كنا إذا جلسنا مع

= الأئمة قراءةً وتدريسًا واختصارًا، ومع ذلك لم يَسلم من الطعن والقدح، فمن ذلك ما قاله أبو جعفر المعروف بابن رئيس الرؤساء، يذم الكتاب وصاحبه:

ألا قل ليحيى وزير الزمان	محوت الشريعة محو السطور
كسرت الصحاح بتفسيرها	وأصبحتَ تضربها في الكسور
أكنت دليلا عليها لنا	وهل كان أعمى دليل البصير
وما كنت تقصد تهذيبها	ولكن لتهذي بها في الصدور

والعاقل إذا اجتهد في عملِ شيءٍ؛ لا يَلتفِت إلى المخذِّلين والقادِحين، فلن يخلو زمان ومكان منهم.

(١) انظر إلى أدب وتواضع الإمام أبي جعفر الطحاوي، مع أنه أكبر من القاضي بأكثر من خمس وثلاثين سنة، فما أجمل أن يتحلى طالب العلم بمثل هذا الأدب مع شيوخه وأقرانه، بل ومع مَن يصغُره سنًّا، إذا كانوا من أهل العلم والفضل، ولن يُنقص ذلك من قدره، ويحط من مكانته. فالتواضع والأدب دليل على التوفيق والصدق وسلامة الصدر.

(٢) من الفقهاء المعدودين والعبّاد المجتهدين، والنساك أهل الورع والدين، كان عالمًا بالقرآن وقراءته، وتفسير معانيه، حافظًا للحديث، عالمًا بمعانيه، وعلله ورجاله، وغريبه، معتنيًا بالمسائل والفقه.

والدي[1]، وخَطَر في بالِه شيءٌ من العلم قام من مكانه يبحث بين يدي ربيع ابنه، فيقوم ربيع إليه ويقول: لم فعلت هذا؟ فيقول: أردت أن أسألك عن شيء من العلم، فيقول: وهلَّا وأنت في مكانك؟ فيقول: أردت أن أُعْطي العلم حقَّه. ترتيب المدارك (٣/ ٢٨٢).

* وكان الشيخ محمد بن صالح المطوع رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٩٩) يَلْهَج بذِكْر مشايخه ويدعو لهم، ويخُصُّ الشيخ **عمر بن سِلِيم** رَحِمَهُ اللَّهُ، حتى إنَّ مَن حوله في المسجد لَيَسمع دعاءه لشيخه الشيخ عمر في كلِّ يوم صباحًا ومساءً، وكان يقول: (إنَّ للشيخ عمر عليَّ فضلًا كبيرًا، فبسببه وصلتُ إلى ما وصلتُ إلي).

وله في هذا قصة نسوقها مختَصَرة، وهي أنَّ والده صالح المطوَّع كان من تُجَّار الإبل، ولم يكن له معرفة بالعلم وأهله ولا يُقدِّر ذلك، وكان قد طلَّق والدة الشيخ محمد وبقي الشيخ محمد عند والدته، فلم يلتفت إليه بشيء، ووالده من تُجَّار الإبل الذين يسافرون بالإبل إلى الشام ومصر، وذات يوم بعد أن كبر الشيخ محمد استدعاه أبوه، وأمره بأن يسافر معه للشام ومصر مع الإبل، فما استطاع الولد الامتناع، وذهب مع والده مُرغَمًا على ذلك وسافر، فلمَّا انقطع عن الدرس -ولم يكن ذلك من عادته- استغرب الشيخ عمر عدم حضوره للدرس، فسأل عنه، فقيل: استصحبه والده للشام، فقام الشيخ عمر على الفور إلى الأمير عبدالله بن جلوي أمير القصيم آنذاك فأخبره بالأمر وطلب منه إعادته، وقال للأمير: إنَّ والده قد تركه كلَّ هذه المدة بدون نَفَقةٍ أو رعاية، ولمَّا اتَّجه إلى العلم أراد أن يستفيد منه في تجارته ويضيِّع مستقبله في العلم؟!.

فما كان من الأمير عبدالله بن جلوي إلا أنَّ لبَّىَ طلب الشيخ وبعث إليه فارسًا لَحِق به بعدما تجاوز الطرفية -أي مسافة خمسين كيلًا تقريبًا- فأعاده إلى شيخه

(١) وهو من أهل العبادة.

وأُمِّه، واستمر على ذلك، فكان في ذلك تخليصٌ له من الضياع، ولذلك كان كلما ذَكَر هذه القصة دعا لشيخه وكان يقول: (أنقذني الله بالشيخ عمر من الجهل)، فرحمهما الله تعالى وعفا عنهما. علماء نجد (٦/ ١٥-١٦).

ب- تعريف العلم(١)، وكيفية أخذه، وبيان فضله:

* عن كميل بن زياد قال: أخذ **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) بيدي

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **العلم ثلاثة أقسام:**

علم بالله وأسمائه وصفاته: وما يتبع ذلك، وفي مثله أنزل الله سورة الإخلاص، وآية الكرسي، ونحوهما.

والقسم الثاني: العلم بما أخبر الله به، مما كان من الأمور الماضية، وما يكون من الأمور المستقبلة، وما هو كائن من الأمور الحاضرة، وفي مثل هذا أنزل الله آيات القصص، والوعد، والوعيد وصفة الجنة والنار، ونحو ذلك.

والقسم الثالث: العلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها وأقوال الجوارح وأعمالها، و هذا العلم يندرج فيه العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام ويندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة، وهذا العلم يندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم بأحكام الأفعال الظاهرة، فإن ذلك جزء من جزء من جزء من علم الدين، كما أن المكاشفات التي تكون لأهل الصفا جزء من جزء من جزء من علم الأمور الكونية.

والناس إنما يغلطون في هذه المسائل، لأنهم يفهمون مسميات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، ولا يعرفون حقائق الأمور الموجودة، فرب رجل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن ولا يكون له من الفهم، بل ولا من الإيمان ما يتميز به على من أوتي القرآن ولم يؤت حفظ حروف العلم، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها).

فقد يكون الرجل حافظًا لحروف القرآن وسوره، ولا يكون مؤمنا بل يكون منافقًا. فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه. وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان. وأما الذي أوتي العلم والإيمان فهو مؤمن عليم، فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في الإيمان، فهذا أصل تجب معرفته. مجموع الفتاوى١١/ ١٨٤

ومن أفضل الكتب التي تُبيّن فضل الْعلم وشرفه، وَعُمُوم الْحَاجة إليه، وَتوقف كَمَال العَبْد ونجاته فِي معاشه ومعاده عَلَيْهِ: مفتاح دار السعادة لابن القيم، فقد ذكر أكثر من مائة وعشرين وجهًا في تفضيلِ العلم وأهلِه.

فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة؛ فعالم رباني؛ ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال، العلم يحرسك وأن تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.(١) تهذيب الحِلْية ١/ ٨٦.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية. الحِلْية ١/ ١٣١.

* وعن **معاذ بن جبل** (ت: ١٨) قال: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ تَعْلِيمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةً، وَطَلَبَهُ عِبَادَةً، وَمُذَاكَرَتَهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ(٢)، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً وَأَئِمَّةً يُقْتَصُّ آثَارُهُمْ، وَيُقْتَدَى بِأَفْعَالِهِمْ وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ.(٣) جامع بيان العلم وفضله: (٢٦٨).

* وقال **ابن عباس** (ت: ٦٨) في قول الله تعالى ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ

(١) شرح العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكلام الثمين في كتابه: مفتاح دار السعادة شرحًا وافيًا. [١/ ٤٠٣-٤٢٢].

(٢) فطالب العلم في جهاد وهو في مكتبته يبحث ويحفظ ويقرأ، إذا أخلص لله تعالى وصدق في الطلب.

قال شيخ الإسلام: فجعل البحث عن العلم من الجهاد في سبيل الله. ا.ه مجموع الفتاوى: ١٠/ ٣٩.

(٣) قال شيخ الإسلام في الفتاوى ٤/ ١٠٩: وَهُوَ مَحْفُوظٌ عَنْ مُعَاذٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة:١١]: يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا بدرجات.(١) مسند الدارمي (٣٦٥).

* وعن **أبي الدرداء** (ت: ٣٢) أنه قال: الناس ثلاثة: عالم، ومتعلم، ولا خير فيما بعد ذلك. مسند الدارمي (٢٥٢).

* وقَالَ **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): العلم علمان: فعلم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم.(٢) مسند الدارمي (٣٧٦).

* وقال **الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز** (ت: ١٠١) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح. الزهد لأحمد: ٤٨٦، ٥٠٦.

* **وَعَنِ الزُّهْرِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) قَالَ: «كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ(٣) ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ». الزهد لابن المبارك (٧٦٦)، مسند الدارمي (٩٧) واللفظ له.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما عُبد الله بشيء أفضل من العلم.(٤) تهذيب الحِلْية ٢/ ٢٥.

---

(١) قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الآية: يقول تعالى ذكره: يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين، الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به. تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٦).

(٢) ونسب البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شعب الإيمان: (١٦٨٦) هذا الأثر للْفُضَيْل بْن عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) نَعْشُ الْعِلْم: معناه رفع العلم وإقامته، وتداركه من الهلكة والضياع.

(٤) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأن العلم هو السبيل الوحيد لصلاح الأعمال والأقوال، قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلِهَذَا كَانَ الْجِهَاد نَوْعَيْنِ: جِهَاد بِالْيَدِ والسنان، وَهَذَا المشارك فِيهِ كثير، وَالثَّانِي: الْجِهَاد بِالْحجَّةِ وَالْبَيَان، وَهَذَا جِهَاد الْخَاصَّة من أَتبَاع الرُّسُل، وَهُوَ جِهَاد الأئمة، وَهُوَ أفضل الجهادين؛ لعظم منفعَته، وَشدَّة مُؤْنَته، وَكَثْرَة أعدائه، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَة الْفرْقَان وَهِي مَكِّيَّة: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥١-٥٢]، فَهَذَا جِهَادٌ لَهُم بِالْقُرْآنِ، وَهُوَ أكبر الجهادين، وَهُوَ جِهَاد الْمُنَافِقين أيضا، فَإِن الْمُنَافِقين لم =

وقال **بعض البلغاء**: تعلم العلم فإنه يقومك ويسددك صغيرا، ويقدّمك ويسوِّدك كبيرا، ويصلح زيغك وفاسدك، ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوّم عوجك وميلك، ويصحح همتك وأملك.

وقد قال **ابن المعتز** في منثور الحكم: العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلا، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالما. أدب الدين (٧٢).

* وسأل رجل **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيء فقال: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا!.

فقال: إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بأمر دينه، المداوم على عبادة ربه عَزَّوَجَلَّ. مسند الدارمي (٣٠٢).

* وقال رجل **للشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣): أيها العالم، فقال: العالم من يخاف الله!. مسند الدارمي (٢٦٤)، تهذيب الحِلْية ١١١/ ٢.

* وعن **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩) قال: العالم من يخشى الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٤٥٤/ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ميراث العلم خيرٌ من ميراث الذهب والفضة، والنفس الصالحة خيرٌ من اللؤلؤ. جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٨٤).

* وقال **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): إذا رأيتُ الشيخ لم يطلب الفقهَ أحببتُ أن أَصْفَعَه. عيون الأخبار ٥٣٦ / ٢.

=يَكُونُوا يُقَاتلُون الْمُسلمين، بل كانوا معهم فِي الظَّاهِر، وَرُبمَا كَانُوا يُقَاتلُون عدوهم مَعَهم، وَمَعَ هَذَا فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة:٧٣] وَمَعْلُوم أَنَّ جِهَاد الْمُنَافِقين بِالْحجَّةِ وَالْقُرْآن. مفتاح دار السعادة ١/ ٢٧١.

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا انقطعت الأعمال بالموت، وطويت صحيفة العبد، فأهل العلم حسناتهم تتزايد كلما انْتُفِع بإرشادهم، واهْتُدِيَ بأقوالهم وأفعالهم، فحقيق بالعاقل الموفق أن ينفق فيه نفائس أوقاته، وجواهر عمره، وأن يعده ليوم فقره وفَاقَتِهِ. الفتاوى السعدية. ١/ ١١٣.

* وقال أيضًا: لولا تَعَلُّم هذه الأحاديث كنتُ كبعض بَقَّالي الكُوفة. عيون الأخبار ٥٣٦ / ٢.

* وعن **معاوية بن قرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: لو أن أدنى هذه الأمة علما أخذتْ أمةٌ من الأمم بعلمه لرشدت تلك الأمة. مسند الدارمي (٣٩٦).

* وقال رجل **لأبي مجلز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) وهم يتذاكرون الفقه والسنة: لو قرأتم سورةً.

فقال: ما أرى أنّ قراءة سورة أفضل مما نحن فيه. تهذيب الحِلْية ٤٧١/ ١.

* وقال **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١١٨): باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حول كامل. المنتظم ١٨٤/ ٧.

* وعن **مسروقٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣) قال: كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلًا أن يُعجَب بعلمه. مسند الدارمي (٣٢٢).

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: من ذهب إلى علم يتعلمه، فهو في طريق الجنة حتى يرجع. تهذيب الحِلْية ١٨١/ ٢.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): ليس طلب العلم فلان عن فلان، إنما طلب العلم الخشية لله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٣٦٥/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم. تهذيب الحِلْية ٤٠٤/ ٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أعلم عملا أفضل من طلب العلم وحفظه لمن أراد الله تعالى به خيرا. مسند الدارمي (٣٣٥).

* وعَنْه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: إِنَّمَا فُضِّلَ الْعَالِمُ عَلَى غَيْرِهِ لِأَنَّهُ يَتَّقِي رَبَّهُ.[1] الآداب

---

(١) فالعلم لا يُحمد لذاته، بل لأثره على المتعلّم في إيمانه وأخلاقه وتقواه وعبادته وورعه وزهده وخوفه ورجائه وخشيته، فمن تعلّم ولم يُكسِبه العلم هذه الأمور كان العلم نقصًا في حقّه، وحجة عليه عند ربّه.

الشرعية ٢/ ٢٩.

* وعن محمد بن يوسف الفريابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما من عمل أفضل من طلب الحديث، إذا صحت النية فيه.

قيل للفريابي: وأي شيء النية؟ قال: تريد به وجه الله والدار الآخرة. تهذيب الحِلْية ٣٦٤/ ٢.

* وقال الشاعر:

والعلم فيهِ حياة للقلوب كما تحيا البلاد إذا ما مسها المطر

وقال الآخر:

العلم زين وخير الناس يطلب والجاهلون لأهل العلم أعداء
فعِشْ بعلمٍ ولا تبغِ بهِ بدلًا الناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

وقال آخر:

فكابد إلى أن تبلغ النفس عذرها وكن في اقتباس العلم طلاع انجد

وقال آخر:

اصبر على مرِّ الجفا من معلّمٍ فإن رسوخ العلم في نفَراتِهِ
فمَن لم يذق مر التعلم ساعة تجرع كأس الجهلِ طولَ حياتِه
ومن فاته التعليم وقت شبابِهِ فكَبِّر عليه أربعًا لوفاتِهِ
حياةُ الفتى والله بالعلم والتقى إذا لم يكونا لاعتبار لذاتِهِ

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) - في ديوانه (١٠٦):

تَعلّم فليسَ المرءُ يولدُ عالمًا وليسَ أخو عِلمٍ كمنْ هو جاهِلُ
وإنّ كبيرَ القومِ لا عِلْمَ عنده صغيرٌ إذا ردّتْ إليه المسائلُ
وإنّ صغيرَ القومِ إذ كان عالمًا كبير إذا التفّتْ عليهِ المَحافِلُ

وقال **أبو الأسود الدؤلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٩):

العلم زين وتشريف لصاحبه ... فاطلب هُديت فنون العلم والأدبا
العلم كنز وذخر لا نفادَ له ... نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
يا جامع العلم نِعم الذُّخر تجمعه ... لا تعدلنّ به درًّا ولا ذهبا
قد يجمع المرءُ مالا ثم يُسْلبه ... عما قليل فيلقى الذل والحَربا
وجامع العلم مغبوطٌ به أبدا ... ولا يُحاذِرُ منه الفوت والسَّلبا

تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ٢٠٩).

* وقال **مطر الوراق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]: هل من طالب علم فيُعان عليه؟ مسند الدارمي (٣٥٩)، صحيح البخاري بصيغة الجزم.

* وعن **مطرف بن عبد الله بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) أنه قال لابنه -وكان قد تعبّد-: يا بني، العلم أفضل من العمل.[١] مسند الدارمي (٣٦٢).

* وعنه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة، وخيرُ دينكم الورع.

قال البَيهقيُّ: وهو صحيح من قول مطرف.[٢] [المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٤٥٥)].

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: ليس العالم الذي يعرف الخير من الشر، إنما العالم الذي يعرف الخير فيتبعه ويعرف الشر فيجتنبه. الزهد لأحمد: ٣٠٨.

---

(١) أي: العلم بالله تعالى وبشرعه أفضل من نوافل العبادات، هذا عند التزاحم، وأما مع السعة فالجمع بينهما هو الأفضل، ويكون نصيب العلم أوفر وأكثر؛ لما فيه من النفع المتعدي.

(٢) المقصود بالعلم ما قاله الإمام أحمد: الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ صاحبه فِي أَمْرِ دِينِهِ ويعبُد ويتّقي به ربّه سبحانه، كالصَّلَاة وَالصَّوْم وَالْحَجّ وَالطَّلَاق وَنَحْوُ هَذَا، وليس فضول العلم ومُلَحِه.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يراد للعلم: الحفظ، والعمل، والاستماع، والإنصات، والنشر. مسند الدارمي (٣٤١).

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): الدخول في العمل بالعلم، والثبات فيه بالصبر، والتسليم إليه بالإخلاص، فمن لم يدخل فيه بعلم فهو جاهل. تهذيب الحِلْية ٢/ ٥٠٢.

* وقال بعضهم: -البداية والنهاية ١٢/ ٣٨-.

ربَّ ميْت قد صار بالعلم حيًّا   ومبقًّى قد مات جهلًا وغيًّا

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودًا   لا تعُدُّوا الحياة في الجهل شيًّا

* وقال **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في القلب. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٤.

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينكُمْ، لَقَدْ أَدْرَكْنَا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ سَبْعِينَ مِمَّنْ يَقُولُ: قَالَ فُلَانٌ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَو ائْتُمِنَ عَلَى بَيْتِ مَالٍ لَكَانَ أَمِينًا عَلَيْهِ، فَمَا أَخَذْت مِنْهُمْ شَيْئًا، لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ، وَيَقْدَمُ عَلَيْنَا مُحَمَّدُ بن مُسْلِمِ بن شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ وَهُوَ شَابٌّ فَنَزْدَحِمُ عَلَى بَابِهِ. الآداب الشرعية ٢/ ١٠٤.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): العلم ما نفعَ، ليس العلم ما حُفِظ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل شيئًا أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه. تهذيب الحِلْية ١٣٣/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما طلب أحد العلم بالتعمق وعزّ النفس فأفلح، ولكن

من طلبه بضيق اليد، وذلة النفس وخدمة العالم أفلح. تهذيب الحِلْية ١٢٦/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الطبع أرض، والعلم بذر، ولا يكون العلم إلا بالطلب، فإذا كان الطبع قابلًا زكا مَرْبَع العلم[1]، وتفرعت معانيه.[2] ترتيب المدارك (١/ ٤٣٢).

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أتكلم في العلم فأُخطِئ فيُقال لي: أخطأتَ، خير من أن أتكلم في الكلام فأُخطئ فيقال لي: كفرت. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٧٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم. طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يطلب هذا العلم أحدٌ بالْمُلك وعزة النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس، وضيق العيش وخدمة العلم، وتواضعِ النفس أفلح. [المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٥١٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما تقرب إلى الله بعد الفرائض أفضل من طلب العلم، وقال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. طبقات الشافعيين (١/ ٦٤).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أفلح في العلم إلا من طلبه في القلّة. طبقات الشافعيين (١/ ٦٤).

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتلهّف على ما ضيّع المسلمون مِن الطِّب، ويقول: ضيّعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى. طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

* **وقال محمد بن عبدالله بن عبد الحكم** (ت: ٢٦٨): إني ذاكرت **الشافعي** يومًا بحديث، وأنا غلام، فقال: من حدثك؟ قلت: أنت، فقال: في أي كتاب؟ قلت:

---

(١) أي: موضع وأرض العلم.

(٢) فبقدر قبول طبع طالب العلم للعلم، وحرصه في طلبه، وجودة العلم الذي يتلقاه، وكيفية أخذه: ينبغ ويُعان ويُوفّق ويبرز، ولو كان غيره وأقرانه وشيوخه قد سبقوه، فهذا من أعظم أسرار نبوغ الكثير من العلماء.

في كتاب كذا، فقال: ما حدثتك به من شيء فهو كما حدثتك، وإياك والرواية عن الأحياء. ترتيب المدارك (٢/ ١٧٥).

* وعن الربيع قال: سمعت **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: وذكر من يحمل العلم جزافًا، قال: هذا مثل حاطب، أقبل يقطع حزمة حطب فيحملها، ولعل فيها أفعى فتلدغه وهو لا يدري، قال الربيع: يعني الذي لا يسألون عن الحجة من أين؟ يكتب العلم وهو لا يدري على غير فهم، فيكتب عن الكذاب وعن الصدوق، وعن المبتدع وغيره، فيحمل عن الكذاب والمبتدع الأباطيل، فيصير ذلك نقصًا لإيمانه وهو لا يدري. تهذيب الحِلْية ٣/١٢٩.

* وقَالَ **ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤): الْعِلْمُ أَفْضَلُ مِن الْعَمَلِ لِمَنْ جَهِلَ، وَالْعَمَلُ أَفْضَلُ مِن الْعِلْمِ لِمَنْ عَلِمَ.[١] الآداب الشرعية ٢/ ٣٣.

* وقال **الأصمعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣): من لم يحتمل ذُلَّ التعليم ساعة؛ بقي في ذُلِّ الجهل أبدا. طبقات الشافعيين (١/ ١٤٩).

* وقال عبدالله بْن أَحْمَد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما قدم **أَبُو زُرعة الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤) نزل عند أبي، فكان كثير المذاكرة له، سمعتُ أبي يومًا يقول: ما صليت غير الفرض، استأثرتُ بمذاكرة أبي زرعة عَلَى نوافلي. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥).

* وقالَ **الإِمَامُ أَحْمَدُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): إِنَّمَا يَحْيَا النَّاسُ بِالْمَشَايِخِ، فَإِذَا ذَهَبَ الْمَشَايِخُ فَمَاذَا بَقِيَ؟.

وَقَالَ: إِنَّمَا النَّاسُ بِشُيُوخِهِمْ فَإِذَا ذَهَبَ الشُّيُوخُ فَمَعَ مَنْ الْعَيْشُ؟ الآداب الشرعية ٢/ ١٠٣.

---

(١) فالعلم أفضل للجاهل من العمل؛ لأنّ العمل لا يصح بلا علم، والعمل أفضل للمعلّم من العلم؛ لأنّ المقصود من العلم العمل به.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما العلم مواهب، يؤتيه الله من أحبَّ مِن خلقه، وليس يناله أحد بالحَسَب، ولو كان لعلة الحسب لكان أولى الناس به أهلُ بيت النَّبِيِّ ﷺ. طبقات الحنابلة (١/ ١٧٩).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناس يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء؛ لأن العلم[1] يُحتاج إليه فِي كل ساعة، والخبز والماء فِي كل يوم مرة أو مرتين. طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلم كثير، وهو أمرٌ إن لم تقطعه لم ينقطع، وله مسائل كثيرة.[2] طبقات الحنابلة (٢/ ٩٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علامة المريد قطيعة كلِّ خليط، لا يريد ما تريد. طبقات الحنابلة (١/ ٤٧٧).

* وسُئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الكتابة إلى متى العمل به؟ قَالَ: أخذُه العمل به.

وقال: كتبتُ في كتاب الحيض تسع سنين حتى فهمته. ذيل الطبقات (١/ ٣٠٤-٣٠٦).

---

(١) يعني به:

١- العلم بالله تعالى وأسْمائِه وصِفاته.

٢- والعلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها، كالخوف والرجاء والخشية والحبّ، وهذا العلم يندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الباطنة.

٣- العلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالجوارح، وهذا العلم يندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم بأحكام الأفعال الظاهرة.

والأول والثاني لو خلا القلب منه لحظة لفسد، فحاجته صاحبه إليه أشد من حاجته للطعام والشراب.

(٢) فمن انشغل في تحصيل العلم فسينقضي عمره، ويُفني زمانه ولم يدرك منه إلا القليل، ولكن ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل مهمات العلوم، ويُكثر من العمل به وتعليمه.

* وقال مهنا: قلت **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أفضل الأعمال؟ قَالَ: طلب العلم لمن صحت نيته، قلت: وأي شيء تصحيح النية؟ قَالَ: **ينوي يتواضع فيه وينفي عنه الجهل**. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٧٧).

* وقال يَعْقُوب بن إِسْحَاقَ: سألت **أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ مسألة فقال: **يُقال: إن العلم خزائن، والمسألة تَفْتَحه، دعني حتى أنظر فيها**. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥٦).

* وقَالَ أبو جعفر شامط القطيعي: دخلت عَلَى أبي عبدالله -الإمام **أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فقلت: أتوضأ بماء النُّورة؟[1] فقال: ما أحب ذلك، قلت: أتوضأ بماء الباقلاء؟ قَالَ: ما أحب ذلك، قلت: أتوضأ بماء الورد؟ قَالَ: ما أحب ذلك، قَالَ: فقمت، فتعلق بثوبي ثم قَالَ: إيش تقول إذا دخلت المسجد؟ فسكت، فقال: وإيش تقول إذا خرجت من المسجد؟ فسكت، فقال: **اذهب فتعلَّم هذا**.[2] طبقات الحنابلة (١/ ٨٧).

* وقال القاضي **أَبُو بَكْرِ بن أبي طاهر** (ت: ٥٤٨): **مَن خَدَمَ المحابر خدمتهُ المنابر**. ذيل الطبقات (١/ ٤٣٩).

* وقال **عثمان بن سعيد الدارمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠): قال لي رجل ممن يحسِدُني: ماذا كنت لولا العلم؟ فقلت: أردتَ شيئًا فصار زينًا، سمعت نعيم ابن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: سمعت أبا معاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: سمعت الأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: **لولا العلم لكنت بقَّالًا، وأنا لولا العلم لكنتُ بزازًا من بزازي سجستان**.[3] طبقات الشافعيين (١/ ١٧٣).

---

(١) النُّورَة: حجر يُحرَق ويصبح شبيها بالجص، تُطلى به البيوت، ويُستخدم لإزالة الشعر.

(٢) من الخلل عند بعض طلاب العلم حرصهم على تتبع المسائل الدقيقة، وإهمالهم تعلّم وفهم الكتاب والسنة والفقه واللغة وغيرها من العلوم الضرورية لطالب العلم، والإمام أحمد نبّه هذا الطالب على هذا الخلل، وأرشده إلى الصواب، وهذا يدل على نصحه وشفقته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) لو قارنت -يا طالب العلم- بين حالك قبل طلب العلم وبين حالك الآن: لعلمتَ نعمة الله عليك بالعلم، وماذا سيكون حالك لو لم يمنّ عليك بالعِلم؟

فاحمدِ الله وانسب الفضل له، لا لاجتهادك وذكائك.

* وسُئِلَ **مُحمَّد بن خُزيمةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٣): من أين أوتيتَ العلم؟ فقال: قال رسول الله، ﷺ: «ماء زمزم لما شُرِبَ له»، وإني لمّا شربت ماء زمزم سألتُ الله علمًا نافعًا. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٧).

* وقَالَ **عبدالله بن الْمُعْتَزِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠): الْمُتَوَاضِعُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا، كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ الْمُنْخَفِضَ أَكْثَرُ الْبِقَاعِ مَاءً.

وَقَدْ نَظَمَ هَذَا **أَبُو عَامِرٍ النَّسَوِيُّ** فَقَالَ:

الْعِلْـمُ يَأْتِـي كُـلَّ ذِي خَفْـضٍ وَيَأْبَـى كُـلَّ آبِـي
كَالْمَـاءِ يَنْـزِلُ فِـي الْوِهَـادِ وَلَيْـسَ يَصْعَـدُ فِـي الرَّوَابِـي

الآداب الشرعية ٢/ ٢٠.

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): **يحصل العلم بثلاثة أشياء:**

أحدها: العمل به، فإن من كلف نفسه التكلم بالعربية، دعاه ذلك إلى حفظ النحو، ومن سأل عن المشكلات ليعمل فيها بمقتضى الشرع تعلم.

والثاني: التعليم، فإنه إذا علم الناس كان أدعى إلى تعليمه.

الثالث: التصنيف، فإنه يخرجه إلى البحث، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذي صنف فيه. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٧).

ج- ما قيل في العلم والعلماء:

* قالَ **عُمرُ بنُ الْخطَّابِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) لرجل: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال منافق بالكتاب، وحُكم الأئمة المضلين. أخبار الشيوخ (٣٤٥) واللفظ له، الزهد لابن المبارك (١١٣٧).

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: هل تدرون ما ذهاب العلم؟ قالوا: لا، قال: ذهاب العلماء. مسند الدارمي (٢٤٩).

* وقيل **لسَعِيد بن جُبَيْر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): ما علامةُ هلاك الناس؟ قال: إذا هلك علماؤهم. مسند الدارمي (٢٤٧).

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يقولون: موت العالم ثلمة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار. مسند الدارمي (٣٣٣).

* وقال **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): الفقيه يدخل بين الله وبين عباده فلينظر كيف يدخل؟ تهذيب الحِلْية ٤٩٦/ ١.

* وقال **أبو جعفر محمد بن علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): والله لموتُ عالمٍ أحبُّ إلى إبليس من موت سبعين عابدًا. صفة الصفوة ٢/ ٤٥٨.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد. تهذيب الحِلْية ١/٥٠٧.

* وقال **ابن محيريز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): كنا نرى أن العمل أفضل من العلم، ونحن اليوم إلى العلم أحوج منّا إلى العمل. تهذيب الحِلْية ١٦٩/ ٢.

* وقال **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): إنَّ هذا العلم دِينٌ فانظروا عمَّن تأخذون دينكم. صحيح مسلم في المقدمة.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: من لم ينفعه علمه ضره جهله. تهذيب الحِلْية ١٨٠/ ٢.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: العلم إن لم ينفعك ضرّك. صفة الصفوة ٢/ ٥٤١.

* وقال **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢): «**العلماء ثلاثة:**

١- رجل عاش في علمه، وعاش معه الناس فيه.

٢- ورجل عاش في علمه، ولم يعش معه فيه أحد.

٣- ورجل عاش الناس في علمه، وكان وبالا عليه.(١)".

مسند الدارمي (٣٧٣).

* وقال **عبد الأعلى التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): إن من أوتي من العلم ما لا يُبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩]. الزهد لأحمد: ٣٠٧، مسند الدارمي (٢٩٩) واللفظ له.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: **العلماء ثلاثة:**

١- عالم بالله يخشى الله ليس بعالم بأمر الله.

٢- وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله، فذاك العالم الكامل.

٣- وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا يخشى الله، فذلك العالم الفاجر.

مسند الدارمي (٣٧٥).

* وعنه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأعمال السيئة داء، والعلماء دواء، فإذا فسد العلماء فمن يشفي الداء؟! تهذيب الحِلْية ٣٦٢/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العالم طبيب الدين، والدرهم(٢) داء الدين، فإذا جذب الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوي غيره؟ شعب الإيمان (١٧٤٧).

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما يطلب العلم ليُتّقى الله به، فمن ثم فضل، فلولا ذلك

---

(١) **الأول:** عاش بعلمه فعمل به، وعاش معه الناس فيه، فنشره بينهم وعلّمهم.

والثاني: عاش بعلمه فعمل به، لكنه حبسه لنفسه، وحرم الناس من الانتفاع به.

والثالث: عاش معه الناس فيه، فنشره بينهم وعلّمهم، لكنه لم يعمل به.

فالأول: مثاب، **والثاني:** محروم، **والثالث:** معاقب.

(٢) الدرهم هنا: كناية عن طلبه والسعي في البحث عنه ولو بالحرام والشُّبه، وأن يكون المال هو المقصد الأعظم له، وأما مَن طلب المال ليُعف نفسه وأهله فهو مباح باتفاق العلماء.

لكان كسائر الأشياء. تهذيب الحِلْية ٣٦٢/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أول العلم الصمت، والثاني الاستماع له وحفظه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحديث أكثر من الذهب والفضة وليس يدرك، وفتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذا الحديث عز، من أراد به الدنيا فدنيا، ومن أراد به الآخرة فآخرة. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وعن **مسعر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٢) قال: من طلب العلم لنفسه فقد اكتفى، وإن طلبت للناس فأنت في شغل شاغل.[١] تهذيب الحِلْية ٤٢٢/ ٢.

* وقال ابن السماك: قال **مسعر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أراد الحديث للناس فليجتهد فإن بلاءهم شديد، ومن أراد لنفسه فقد اكتفى.

قال: قال شعبة: لو كان هذا حديثًا كان ينبغي أن يكتب. تهذيب الحِلْية ٤٢٢/ ٢.

وقال **الشاعر**:

رأيت رفيع الناس من كان عالما ... وإن لم يكن في قومه بحسيب

إذا حلّ أرضا عاش فيها بعلمه ... وما عالمٌ في بلدة بغريب

المجالسة وجواهر العلم (٥٥).

* وصحَّ عن **ربيعة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) قال: العلم وسيلة إلى كُلِّ فضيلة.[٢]

---

(١) أي: من طلب العلم لإصلاح نفسه والعمل بالعلم: فقليل من العلم يكفي في إصلاح أخلاقه واستقامته وتقوية إيمانه، وإن طلبه بقصد رياء الناس أو التكاثر به ونحو ذلك: فهو في شغل شاغل بالعلم الذي لا ساحل له، وشغل شاغل بالناس الذين ينتظر مدحهم، وإعجابهم بعلمه وسعة اطلاعه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولو صور العلم صورة لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر، ولكن عشق هذه الصفات إنما يناسب الأنفس الشريفة الزكية. =

تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٣٥.

* وعن **أبي حازم سلمة بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: إن العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم منهم من هو فوقه في العلم كان يومَ غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزْه عليه. تهذيب الحِلْية ١/ ٥٢٧.

* وقال **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧): العلماء هم ضالتي في كل بلدة وهم بغيتي، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء. تهذيب الحِلْية ٢/ ٥٤.

* وقام رجل إلى **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) فقال: يا أبا عبد الرحمن في أي شيء أجعل فضل يومي، في تعلم القرآن أو في طلب العلم؟ فقال: هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟ قال: نعم! قال: فاجعله في طلب العلم الذي تَعْرف به القرآن. تهذيب الحِلْية ٣/ ٣٧.

* وعن **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) قال: إن للعلم طغيانًا كطغيان المال.[1] تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٩.

* وعن **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: كان يقال: ليس شيء أشد على إبليس من العالم الحليم، إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٨٨.

* وقال **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): فتنة الحديث أشد من فتنة

= وأما عشاق العلم فأعظم شغفا به وعشقا له من كل عاشق بمعشوقه، وكثير منهم لا يشغله عنه أجمل صورة من البشر. روضة المحبين/ ٢١٣

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأنّ شرف العلم أعظم من شرف المال ولا مقارنة، فمن لم يحذر من طغيان العلم، ويعمل على إصلاح قلبِه: وإلا هلك وتكبر وازدرى غيره من طلاب العلم والعامة، بل وكثيرًا من العلماء من الخلف والسلف والعياذ بالله.

المال، وفتنة الولد تشبه فتنته، كم من رجل يُظن به الخير قد حمله فتنة الحديث على الكذب. تهذيب الحِلْية ١١٣/ ٣.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.(١) صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن لم يكن الفقهاءُ العاملون أولياء الله فما لله وليٌّ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٠.

* وقيل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من نسأل بعدك؟ قال: **عبد الوهاب الوراق** (ت: ٢٥١)، قيل له: إنه ليس له اتساع في العلم، قال: إنه رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق.

* وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن **معروف الكرخي** (ت: ٢١٠) فقال: كان معه أصل العلم خشية الله. جامع العلوم والحكم/ ١٢٥.

* وسئل **أبو بكر بن طاهر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ت: ٥٨٠) ما بال الإنسان يحتمل من معلمه ما لا يحتمله من أبويه؟ فقال: لأن أبويه سبب حياته الفانية، ومعلمه سبب حياته الباقية.(٢) المنتظم ١٦-١٧/ ١٤.

---

(١) أي: طلب العلم النفل، أفضل من صلاة النافلة عند التزاحم، ولكن لا يعني أن يزهد طالب العلم بالنوافل وينشغل بطلب العلم، ومن فعل ذلك فهو مخذول.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشيخ والمعلم والمؤدب: أبو الروح، والوالد: أبو الجسم. ومعلوم أن الإنسان يجب عليه أن يطيع معلمه الذي يدعوه إلى الخير ويأمره الله، ولا يجوز له أن يطيع أباه في مخالفة هذا الداعي؛ لأنه يدله على ما ينفعه ويقربه إلى ربه، ويحصل له باتباعه السعادة الأبدية.

فظهر فضل الأب الروحاني على الأب الجثماني، فهذا أبوه في الدين، وذاك أبوه في الطين، وأين هذا من هذا؟! ا.هـ مختصر الفتاوى/ ١٧٦

قلت: فشرف المعلم والشيخ المخلص الناصح عظيم وكبير، فالواجب معرفة مكانته، والقيام بحقه، والدعاء له.

* ويقال: غَرِيزة العقل أُنْثى، وما يُستفاد من العلم ذَكَرٌ، ولن يصلُحَا إلاّ معًا. عيون الأخبار ٥٢٦ / ٢.

* وصد القائل:

ما وهب الله لامرئٍ هبةً أحسنُ من علمِه ومِن أدبِه
هما جمالُ الفتى فإنْ فُقِدا فَفَقْدُه للحياةِ أجملُ به

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان مجلس **الحسن بن علي بن العباس الملقب نظام الملك** (ت: ٤٨٥): عامرًا بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل التدين حتى كانوا يشغلونه عن مهمات الدولة، فقال له بعض كتابه: هذه الطائفة من العلماء قد بسطتهم في مجلسك حتى شغلوك عن مصالح الرعية ليلًا ونهارًا، فإن تقدمت أن لا يوصل أحد منهم إلا بإذن، وإذا وصل جلس بحيث لا يضيق عليك مجلسك، فقال: هذه الطائفة أركان الإسلام، وهم جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلست كلًا منهم على رأسي لاستقللت لهم ذلك. المنتظم ٣٠٣/ ١٦.

د- نصائح وتوجيهات للعالم وطالب العلم:

* عن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) قال: تعلّموا العلم وعلِّموه الناس، تعلَّموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلَّمتم منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٦٢٩) وصححه.

* وقال **علي** رضوان الله عليه (ت: ٤٠): تعلموا العلم فإذا علمتموه فاكْظموا عليه، ولا تشوبوه بضحك ولا بلعب فتمجّه القلوب.[1] مسند الدارمي (٦٠٢).

* وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: تذاكروا هذا الحديث، وتزاوروا، فإنكم إن لا تفعلوا، يدرس. مسند الدارمي: (٦٥٠).

---

(١) ورواه أبو نعيم في الحلية عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: لا يكون الرجل من العلم بمكان حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بالعلم ثمنًا.(١) تهذيب الحِلْية ٢١٨/ ١.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة. صحيح مسلم في المقدمة.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان. مسند الدارمي: (٦٤٧).

* وصحِب **سلمانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) رجلٌ من بني عبس، فشرب شربة من دجلة، فقال له سلمان: عُد فاشرب، قال: قد روِيْت، قال: أترى شربتك هذه نقَّصَت من ماء دجلةَ شيئًا؟ قال: وما تُنقص شربةٌ شربتها؟ قال: كذلك العلم لا يفنى، فابتغ من العلم ما ينفعك. الزهد لابن المبارك (٧٧١).

* وقال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ **ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨): ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩] حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: «الرَّبَّانِيُّ: الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ».(٢) فتح الباري: ١/ ٢١١.

---

(١) وكذا قال أبو حازم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٣٦

(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها. فتح الباري «طباعة دار السلام» ١/ ٢١٣

قال ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ: شاهدنا كثيرًا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانًا على التعليم وصوابًا فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله فيخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجًا. ويكون المتعلم أول الأمر عاجزًا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية. ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلًا قليلًا بمخالطة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب=

* وقالَ الشَّاعِرُ:

تَـرقَّ إلـى صَغِيـرِ الأَمْـرِ حتَّـى ... يُرَقِّيـك الصَّغِيـرُ إلـى الْكبيـرِ
فتعْـرِفَ بالتَّفَكُّـرِ فِـي صغِيـرٍ ... كبيـرًا بعـد مَعرفَـةِ الصَّغيـرِ

أدب الدين (٩٢).

* وقال **الزهري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٤): إن هذا العلم إن أخذته بالمكاثرة غلبك ولم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذًا رفيقًا تظفر به. تهذيب الحِلْية ٢٤/ ٢.

* وعن **وكيع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٧) قال: لا يكمُلُ الرجلُ حتى يكتبَ عمَّن هو فوقَه وعمَّن هو مِثْلَه، وعمن هو دونَه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٢.

* وقال **ابن عُيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨): يُستَحَبّ للعالم إذا عَلَّم ألاّ يُعَنِّف، وإذا عُلِّم ألاّ يَأْنَف. عيون الأخبار ٥٢٠ / ٢.

* وعن **علقمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:٦٢) قال: تذاكروا الحديث، فإن ذكره حياته. مسند الدارمي: (٦٢٧).

* وقال **بعض العلماء**: من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم.

وقال **الشاعر**:

إذا لم يذاكر ذُو العلوم بعلمه ... ولم يستفد علمًا نسيْ ما تعلمّا

= الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن. وإذا ألقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كَلَّ ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم. مقدمة ابن خلدون تحقيق / د: محمد الإسكندراني. (طبعة دار الكتاب العربي). ص٤٩٠

فكم جامعٍ للكتب في كلّ مذهب يزيد مع الأيام في جمعه عمَى

أدب الدين (٩٥).

* وعن ربيعة قال: قال لي ابن **خلدة الزرقي** رَحِمَهُ اللَّهُ: إني أرى الناس قد ملكوك أمر أنفسهم، فإذا سُئلت عن المسألة فاطلب الخلاص منها لنفسك، ثم للذي سألك. تهذيب الحِلْية ٥٣٤/ ١.

* وقال **أبو عاصم الضحاك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:٢٢٠): مَن طلب الحديثَ، فقد طلب أعلى الأمور، فيجبُ أن يكون خيرَ الناس. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٠.

* وعن **حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: إن من السنة إذا حدث الرجل القوم أن يقبل عليهم جميعًا، ولا يخص أحدًا دون أحد. تهذيب الحِلْية ١٤٢/ ٢.

* وعن **حبيب بن عبيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: تعلّموا العلم وانتفعوا به، ولا تعلّموه لتتجمّلوا به، فإنه يوشك إن طال بكم عمر أن يتَجمَّل ذو العلم بعلمه، كما يتَجمَّل ذو البزّة ببزته.[1] مسند الدارمي (٣٨١)، الزهد لابن المبارك (١٠٥٦).

* وقال **عطاء بن يسار** (ت: ١٠٣) **وسليمان بن موسى** (ت: ١١٥) رَحِمَهُمَا اللَّهُ: ما جُمع شيء إلى شيء أزين من علم إلى حلم. مسند الدارمي (٥٩٦)، الزهد لأحمد: ٣٧٧.

* وكتب **رجل** إلى أخ له: إنّ الحلم لِبَاسُ العلم فلا تعريَنَّ منه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٩-٦٠.

* وعن **عامر الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: زين العلم حلمُ أهله.[2] مسند

(١) وقد حصل هذا في هذا الزمان، حيث تَجمَّل بعضٌ من ذوي العلم بعلمهم في وسائل التواصل، وزخرفوا أقوالهم، ليكثر متابعوهم، وتزداد شهرتهم، ويعظم الثناء عليهم، وهم أقل الناس بركة ونفعا وتوفيقا.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أعظم الناس انتفاعًا ونفعًا بعلمه: الحليم. =

الدارمي (٥٩٧).

* وقال بعضهم:

الحِلْـمُ والعِلْـمُ خَلَّتـا كَـرمٍ للمـرءِ زَيْـنٌ إذا همـا اجتمعـا

عيون الأخبار ٥١٩/ ٢.

* وقال **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨): كان يقال: إذا لقي الرجل الرجل فوقه في العلم كان يوم غنمية، وإذا لقي من هو مثله دارسه وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث عن كل أحد، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث بالشاذ من العلم، والحفظ: الإتقان. تهذيب الحِلْية ١١١/ ٣.

* وقال **بعض السلف**: من خرج إلى العلم يريد العلم لم ينفعه العلم، ومن خرج إلى العلم يريد العمل بالعلم نفعه قليل العلم.

والعلم موقوف على العمل به، والعمل موقوف على الإخلاص، والإخلاص لله يورث الفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ. الزهد للخطيب (٧١).

* وعن **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩) قال: حَقٌّ على من طلب العلم أن يكون له وقَارٌ وسكينةٌ وخشية، والعلم حسنٌ لمن رُزق خيره، وهو قَسْم مِن الله تعالى، فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يُوفَّقَ للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يُخطئ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٥.

= وأقلّ الناس نفعًا وانتفاعًا بعلمه من لا حلم له؛ فإن الطّيش والحدّة والعنف هي أضداد الحلم، وهي آفة العلم المانعة من الانتفاع به، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وهذا غاية الحلم: أن يعفو عن جانِيهم على حقّه، ويستغفر لمسيئهم فيما بينه وبين الله، ويتألف قلوبهم بالمشاورة، ولا يفعل هذا إلا أحكم الناس وأرحمهم. مجموع رسائل ومسائل ابن القيم ص: ١٠٠.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

اصبرْ على مُرِّ الجفا من معلمٍ فإِن رسوبَ العلمِ في نَفَراتِهِ
ومن لم يذقْ مُرَّ التعلم ساعةً تجرَّعَ ذلَّ الجهلِ طولَ حياتِهِ

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلـم صيـد والكتابـة قيْـدُه قيّـد صيـودك بالحبـال الواثقهْ
فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركهـا بيـن الخلائـق طالقـه

ديوان الشافعي (٥٦، ١٢٥).

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): لا تطلب العلم رياء، ولا تتركه حياء. تهذيب الحِلْية ٢٥٩/ ٣.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ١١٠): من طلب شيئا من هذا العلم فأراد به ما عند الله يدْركْ إن شاء الله، ومن أراد به الدنيا فذاك والله حظّه منه. مسند الدارمي (٢٦٠).

* وقال **الجنيد بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧): متى أردت أن تشرّف بالعلم، وتُنسب إليه، وتكون من أهله، قبل أن تُعطي العلم ماله عليك: احتجب عنك نوره، وبقي عليك وسمه وظهوره. ذلك العلم عليك لا لك، وذلك أن العلم يشير إلى استعماله وإذا لم يستعمل العلم في مراتبه رحلت بركاته. تهذيب الحِلْية ٣٨١/ ٣.

* وكثيرًا ما كان **سفيان بن عُيَينةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) يقول: توفيقٌ قليلٌ خيْر من علمٍ كثير.[1] شعب الإيمان (١٧٣٨).

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلا تظنّ أنّ الوصول إلى الله ومرضاته ونفع عباده بكثرة العلم وقوة الحفظ ودقة الفهم.

لا والله.

بل بتوفيق الله لك وبركته عليك. =

* وذكروا الكُتَّاب ودِقّة ذهنهم عند الإمام **أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) فقال: إنما هو **التوفيق**. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٧٦).

* وسئل **عبادة بن نُسَيّ الكِندي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) عن امرأة ماتت مع قوم ليس لها وليّ، فقال: أدركت أقواما ما كانوا يشددون تشديدكم، ولا يسألون مسائلكم.[1] مسند الدارمي (١٢٩).

* وقال **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): إنكم لتسألونا عن أشياء ما كنا نسأل عنها، وتنقِّرون عن أشياء ما كنا نُنَقِّر عنها، وتسألون عن أشياء ما أدري ما هي، ولو علمناها ما حلّ لنا أن نكتمكموها.[2] مسند الدارمي (١٢٠).

* وقال الخرشي: **وللأعمش** سليمان بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) مُلَحٌ ونوادر، وإساءة خُلُق على المحدِّثين، وهم مع ذلك يحتملون أخلاقه.[3] معرفة القراء (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

* وقال **بعض الشعراء**:

إنّ المعلم والطبيب كلاهما ... لا ينصحان إذا هما لم يُكرما

= فما أكثر مَن عنده سعة في العلم.
وما أقل من وُفِّق.

(١) لأنهم منشغلون بالعمل، فلا يسألون إلا عن المسائل التي ينبني عليها العمل، أو التي فيها صلاح قلوبهم وزيادة إيمانهم.

(٢) إذا كانت همّة طالب العلم في العمل: حرص على تعلّم العلم النافع الواضح في الكتاب والسنة، وانشغل بفهم نصوص الكتاب والسنة والعمل بها، وانصرف عن دقائق المسائل والبحث عن الغرائب والنوادر.
بخلاف من كان همّه جمع العلم: فإنه يُصرف عن فهم الكتاب والسنة والعلم النافع؛ لانشغاله بدقائق المسائل والبحث عن الغرائب والنوادر، ومن ضيّع الأصول حُرم الوصول.

(٣) ما كلّ عالم يُوفق لحسن الأخلاق، والواجب على طالب العلم الصادق أن يَحتمل ما يبدر من شيخه من سوءِ خُلُق وشِدة، ويصبر على ذلك، لأجل تحصيلِ العلم الذي عنده.

فاصبر لدائك إنْ أهنت طبيبه   واصبر لجهلك إنْ جفوت معلّما

أدب الدين (١١٩).

* وقال **أبو بكر بن عياش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) للحسن بن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمدينة: ما أبقت الفتنة مِنك؟ فقال: وأيُّ فتنة رأيتني فيها؟ قال: رأيتُهم يُقبِّلون يَدك ولا تَمنعُهم. معرفة القراء (١/ ٢٨٤).

* وقال **الكسائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٦)، قال: كنت أقرأ على حمزة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٦)، فجاء سليم بن عيسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٨) فتلكأت، فقال لي حمزة: تهاب سليمًا ولا تهابني! فقال لي: يا أستاذ أنت إن أخطأتُ قوّمتني، وهذا إن أخطأتُ عيَّرني. معرفة القراء (١/ ٣٠٧).

* واجتمع **الكسائي** واليزيدي عند الرشيد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فحضرت صلاة، فقدَّموا الكسائي يُصلي، فارتجّ عليه قراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون:١]، فقال اليزيدي: قراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١﴾ ترتجُّ على قارئ الكوفة؟!.

قال: فحضرت صلاة، فقدموا اليزيدي فارتجَّ عليه في الحَمد، فلما سلَّم قال:

احفظ لسانك لا تقول فتُبتلى   إنَّ البلاء موكل بالمنطِق

معرفة القراء (١/ ٣٠١).

* وقَالَ **الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): شِرَارُ عِبَادِ اللهِ يَنْتَقُونَ شِرَارَ الْمَسَائِلِ يُعْمُونَ بِهَا عِبَادَ اللهِ. الآداب الشرعية ٢/ ٥٦.

* وسُئِل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَا عُقُوبَةُ الْعَالِمِ؟ قَالَ: مَوْتُ الْقَلْبِ، قيل: وَمَا مَوْتُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: طَلَبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ. الآداب الشرعية ٢/ ٣٥.

* وقال الشاعر:

ومَا مِنْ كاتِبٍ إلَّا سَتبْقَى   كِتَابَتُهُ وإنْ بَلِيَتْ يَدَاهُ

فَلَا تَنْسَخْ بِخَطِّكَ غَيْرَ عِلْمٍ يَسُرُّكَ فِي الْعَوَاقِبِ أَنْ تَرَاهُ

المجالسة وجواهر العلم (٣٢٢).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): حبِّب إلى نفسك العلم حتى تلزمه وتألفه، ويكون هو هواك، ولذتك، وسلْوتك، وبلغتك.[١] الأدب الكبير (١٠٤).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: اعرف الأصول ثم اطْلب الفصول[٢]، فإن كثيرًا من الناس يطلبون الفصول مع إضاعة الأصول، فلا يكون دَرَكُهم[٣] دَرَكًا.

ومن أحرز الأصول اكتفى بها عن الفصول، وإن أصاب الفصل بعد إحراز الأصل فهو أفضل. الأدب الصغير (٥٨).

* وصدق **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

فَإِنَّ الجُرْحَ يَنْفِرُ بَعدَ حينٍ إذا كانَ البِناءُ على فَسادِ[٤]

ديوان المتنبي (٦٣).

* وصدق **الشاعر**:

إِذا مَا أتيتَ الْأَمر من غير بَابه ضللتَ وَأَن تدخل من الْبَاب تهتدي

* وقال ابن أخي ابن وهب: سمعت **القاضي ابن المنكدر** (ت: ٢١٤) يصيح **بالشافعي** (ت: ٢٠٤) رَحِمَهُمَا اللَّهُ: يا كذا يا كذا، دخلت هذه البلدة وأمرنا ورأينا واحد، ففرّقت بيننا، ودعا عليه.[٥] ترتيب المدارك (٢/ ٧٤).

---

(١) البلغة: ما يكتَفى به من العيش.

(٢) الأصول: القواعد والأدلة العامة التي يُبنى عليها العلم، والفصول: فروع العلم.

(٣) الدرك: اللحاق والوصول إلى الشيء.

(٤) نفر الجرح: إذا تورم وظهر من أسفله فساد.

فإذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد أقرب إليه من الصلاح.

(٥) ظنا منه أن الاختلاف في مسائل الاجتهاد يفرق بين الناس، وهذا خطأ، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جرى بيهم اختلاف كثير حتى في مسائل في العقائد، ولم يؤد اختلافهم في مسائل الاجتهاد إلى اختلاف=

* وقَالَ **الشَّعْبِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣): إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِمَنْ فِيهِ عَقْلٌ وَنُسُكٌ، فَالْيَوْمَ يَطْلُبُهُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا نُسُكَ فِيهِ.(١) الآداب الشرعية ٢/ ٣٢.

* وقيل **لمالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): عند ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحاديث ليس عندك.

فقال: إذا أُحَدِّثُ الناس بكل ما سمعت إني إذًا أحمق.

ولقد خرَجَت مني أحاديث لوددت أني ضُربت بكل حديث منها سوطًا ولم أحدث بها.(٢) ترتيب المدارك (١/ ١٤١).

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ فلانًا يحدثنا بغرائب.

فقال: من الغريب نَفِر.(٣).

وقال: شر العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس. ترتيب المدارك (١/ ١٤٢، ١٧٧).

= قلوبهم، وتقاطعهم وافتراقهم، **وإنما سبب التفرق والتقاطع:**

١- اتباع الهوى، وذلك بتعصب الناس لآرائهم أو آراء غيرهم.

٢- أو بعدم سلامة القلوب من الغل أو الحسد أو الكبر، والصحابة قد سلّمهم الله من ذلك، فكانوا أبعد الناس عن اتباع الهوى، وأطهر الناس قلوبا، فلذلك كانوا متآلفين متحابين رغم كثرة اختلافهم، وتباين آرائهم.

(١) **الجهل يُحمد ويُفضَّل على العلم لرجلين:**

الأول: أحمق ضعيف العقل، جعل العلم سلّمًا للتكبر على الناس والشهرة.

الثاني: صاحب هوى، جعل العلم سلّما لنيل شهواته وحظوظه الدنيئة وترويج آرائه السقيمة وأفكاره المنحرفة.

فالجهل في حق هؤلاء أسلم لهم وللناس، وأستر لحمق الأحمق، وضلال صاحب الهوى.

(٢) إذا كان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحرّج من التحديث بأحاديث رُويت عن النبي ﷺ رأى أن المصلحة ألا يُحدِّث بها، فيكف بمن ينثر خواطره وآراءه وقصصه على الناس، وينشرها بلا تروٍّ ونظر وتحقق من صحتها ونفعها؟!

(٣) وأين مَن يتتبع غرائب الأخبار والأحاديث؟!

* وقيل له: إنَّ قريشًا تقول: إنك لا تذكر في مجلسك آباءها وفضائلها.

فقال مالك: إنما نتكلم فيما نرجو بركته.[1] ترتيب المدارك (١/ ١٤٣).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تسأل عما لا تريد فتنسى ما تريد، فإنه من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه. ترتيب المدارك (١/ ١٧٨).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب. ترتيب المدارك (١/ ١٧٧).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ المسألة إذا سُئل فيها الرجل ولم يُجِب واندفعَتْ عنه، فإنما هي بليَّةٌ صَرَفها الله عنه.[2] ترتيب المدارك (١/ ١٧٨).

* وقيل له: العالم يخطئ؟.

فقال: الذي دل عليه من الخير أكثر، ومن ذا الذي ليس فيه شيء؟ ولو لم يأمر بالمعروف إلا لمن ليس فيه شيء ما أمر أحدٌ بمعروف. ترتيب المدارك (١/ ١٧٨).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: تعلموا الحلم قبل العلم. ترتيب المدارك (١/ ١٧٩).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يستكمل الرجل الإيمان حتى يَخْزُنَ لسانه[3] ترتيب المدارك (١/ ١٧٩).

---

(١) ينبغي أن يتخذ هذا المنهج كلّ من تكلم وكتب، ومن فعل ذلك وُفق وبُورك له وسُدّد.

(٢) الإمام مالك وغيره من أهل العلم يعظمون أمر الفتوى، ويتهيّبون منها، ويتدافعونها، ويرونها بليّة يطلبون خلاص أنفسهم من تبعاتها، قبل خلاص السائل، ولم يكونوا يُبرزون أنفسهم للفتوى، ويجلسون لها، بل كانوا يُفتون على وجه الندرة والتبع، فأين من يرغب في أن يُستفتى، ويفرح إذا سُئل، أو يتباها بذلك، ويسعى في الظهور في الإعلام للفتوى وهو ليس أهلًا لها؟

(٣) أي: يصونه ويحفظه.

ومن لم يَقدر على حفظ لسانه لم يَقدر على حفظ غيره، كما قال الشاعر:

إذا المرء لم يَخْزُنْ عليه لسانه ... فليس على شيء سواه بخزّان

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ لابْنَي أخيه: إن أحببتما أن ينفعكما الله بهذا الأمر؛ فأقِلَّا منه وتفهَّما فيه[١].

وقال: ما أكثرَ أحدٌ قط فأفلح. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وقال له أبو جعفر المنصور رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: إني عزمتُ أن أكتب كتبك هذه نسخًا، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة آمرهم بأن يعملوا بما فيها ولا يتعدّوها إلى غيرها من هذا العلم المحدث؛ فإنني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعَمَلهم.

فقال له: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث وروايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به، ودانوا له من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإنَّ ردهم عما اعتقدوا شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم.

فقال: لو طاوعتني على ذلك لأمرتُ به. ترتيب المدارك (١/ ١٨٨).

* وعن **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) أنه قال: العالم يُسأل عما يعلم وما لا يعلم، فيستثبت ما يعلم، ويتعلّم ما لا يعلم، والجاهل يغضب من التعليم، ويأنف من التعلُّم. طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقدر الفقهاء على المناظرة: من عوَّد لسانه على الركض في ميدان الألفاظ، ولم يتلعثم إذا رَمَقته العيون بالألْحَاظ.[٢] طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

---

(١) نصيحة عظيمة، فمن أراد أن ينفعه الله بالعلم؛ فعليه بإتقان وضبط وتأمل ما يقرأ ويسمع، وليكرر محفوظاته، وليراجع ما قرأ، ولا يكن همّه كثرة القراءة والتوسع فيها.

(٢) أي: أقدر الناس على المناظرة والجدال من كانت فيه خصلتان:

الأولى: تعود على الحديث والخطابة، واكتسب اللغة وأجراها على لسانه بكثرة الاستعمال.

الثانية: رباطة الجأش، وذلك بعدم الخوف والاضطراب عندما تحدق به العيون، ويستطيع اكتساب هذه الخصلة بكثرة ارتجال الكلام والحديث أمام الآخرين.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ضياع الجاهل قلة عقله، وضياع العالم قلة إخوانه[١]، وأضيع منهما مَن آخى من لا عقل له. طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

* وقال **الأصمعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣): إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو، أن يدخل في جملة قول النبي ﷺ: «**مَن كَذَب علي فليتبوّأ مقعده من النار**»؛ لأنه ﷺ لم يكن يَلحن، فمهما رويتَ عنه ولحنتَ فيه كذبت عليه.[٢] طبقات الشافعيين (١/ ١٤٩).

* وقال **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): إن الدنيا داء، والسلطان داء، والعالِمُ طبيب، فإذا رأيت الطبيب يجرّ الداء إلى نفسه فاحذره. طبقات الحنابلة (١/ ٤٤٧).

* وسُئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ رجل يقيم ببلده وينزل فِي الحديث درجة[٣]، قَالَ: ليس يُطْلب العلم هكذا، لو طلب العلم هكذا مات العلم، إنما يؤخذ العلم عَنِ الأكابر. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي للعَدْلِ أن يكون فيه سِتّ خصال: فقيهًا، عالمًا، زاهدًا، وَرِعًا، عفيفًا، بصيرًا بما يأتي، بصيرًا بما يَذر. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٧٤).

* وقال مُحَمَّد بن الحجاج: كتب عني[٤] **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا، قَالَ:

---

(١) من الأصدقاء والطلاب، ولذلك ضاع علم كثير من أقران وشيوخ الشافعي، لقلة إخوانهم ومَن يحمل عنهم العلم، كالليث بن سعد وسفيان الثوري، فحاجة العالِم لطلابه أكثر من حاجتهم له، لأنه لن يبث علمه إلا إذا وجد طلابًا يحضرون عنده، ولن يحمل عنه العلم إلا طلابه، وأما هم فسيجدون غيره من أهل العلم الذين عندهم ما عنده.

(٢) تعلم النحو من ضروريات طالب العلم، ومن الخلل الواضح، والنقص الفاضح أن يقصر فيه مع إمكانية ضبطه ويسر ذلك.

(٣) أي: يأخذ عن صِغار المحدّثين الذين في بلده، ولا يرحل إلى كبار المحدّثين الأعلى إسنادًا، وأكثر علمًا وفهمًا وضبطًا.

(٤) لعل الصواب: كتبتُ عن أحمد.. وقد جزم بنسبة هذا الكلام للإمام أحمد ابن بطة وابن القيم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، قال ابن القيم بعد أن ذكر كلامه: (هذا مما يدل على جلالة أحمد ومحله من العلم=

لا ينبغي للرجل أن يُنَصِّب نفسه للفتوى حتى يكون فِيهِ **خمس خصال:**

أولاها: فأن تكون لَهُ نِيَّة، فإنه إن لم تكن لَهُ نِية؛ لم يكن عَلَيْهِ نور ولا عَلَى كلامه نور.

وأما الثانية: فيكون عَلَيْهِ حلم ووَقار وسكينة.

= والمعرفة؛ فإن هذه الخمسة هي دعائم الفتوى، وأي شيء نقص منها ظهر الخلل في المفتي بحسبه.

فأما النية: فهي رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي عليه يُبنى؛ فإنها روح العمل وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يبنى عليها، يصح بصحتها ويفسد بفسادها وبها يستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة.

وأما قوله: «أن يكون له حلم ووقار وسكينة» فليس صاحب العلم والفتيا إلى شيء أحوج منه إلى الحلم والسكينة والوقار؛ فإنها كسوة علمه وجماله، وإذا فقدها كان علمه كالبدن العاري من اللباس.

فالسكينة فعيلة من السكون، وهو طمأنينة القلب واستقراره، وأصلها في القلب، ويظهر أثرها على الجوارح، وهي عامة وخاصة.

وأما قوله «أن يكون قويا على ما هو فيه، وعلى معرفته» أي مستظهرا مضطلعا بالعلم متمكنا منه، غير ضعيف فيه؛ فإنه إذا كان ضعيفا قليل البضاعة غير مضطلع به أحجم عن الحق في موضع ينبغي فيه الإقدام لقلة علمه بمواضع الإقدام والإحجام، فهو يقدم في غير موضعه، ويحجم في غير موضعه، ولا بصيرة له بالحق، ولا قوة له على تنفيذه؛ فالمفتي محتاج إلى قوة في العلم وقوة في التنفيذ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.

وأما قوله «الرابعة الكفاية وإلا مضغه الناس» فإنه إذا لم يكن له كفاية احتاج إلى الناس وإلى الأخذ مما في أيديهم، فلا يأكل منهم شيئا إلا أكلوا من لحمه وعرضه أضعافه.

وأما قوله «الخامسة معرفة الناس» فهذا أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم، فإن لم يكن فقيها فيه فقيها في الأمر والنهي ثم يطبق أحدهما على الآخر، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فإنه إذا لم يكن فقيها في الأمر له معرفة بالناس تصور له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحق بصورة المبطل وعكسه، وراج عليه المكر والخداع والاحتيال، وتصور له الزنديق في صورة الصديق، والكاذب في صورة الصادق، ولبس كل مبطل ثوب زور تحتها الإثم والكذب والفجور، وهو لجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعرفياتهم لا يميز هذا من هذا، بل ينبغي له أن يكون فقيها في معرفة مكر الناس وخداعهم واحتيالهم وعوائدهم وعرفياتهم، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وذلك كله من دين الله). [إعلام الموقعين ٤/ ١٥٢ - ١٥٧].

وأما الثالثة: فيكون قويًّا عَلَى ما هُوَ فِيهِ، وعلى معرفته.

وأما الرابعة: فالكفاية، وإلا مَضَغَه الناس.

والخامسة: معرفة الناس. طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٨).

* وسُئِلَ **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي اللِّعَانِ فَقَالَ: سَلْ رَحِمَكَ اللهُ عَمَّا اُبْتُلِيتَ بِهِ.

وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ لَهُ: دَعْنَا مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْمُحْدَثَةِ.

قَالَ أَبُو دَاوُد: وَسَأَلْتُهُ عَنْ أُخْرَى فَغَضِبَ وَقَالَ: خُذْ وَيْحَكَ فِيمَا تَنْتَفِعُ بِهِ، وَإِيَّاكَ وَهَذِهِ الْمُحْدَثَةَ، وَخُذْ فِي شَيْءٍ فِيهِ حَدِيثٌ.

وَقَالَ الْأَثْرَمُ: سَمِعْتُ الإمام أَحْمَدَ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فقَالَ: دَعْنَا. لَيْتَ أَنَّا نُحْسِنُ مَا جَاءَ فِيهِ الْأَثَرُ.

وَقَالَ مُهَنَّا: سَأَلْتُ الإمام أَحْمَدَ عَنْ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ مِنْ رَجُلٍ دَارَه سَنَةً بِعَبْدٍ فَلَمْ يَسْكُن الدَّارَ وَأَبَقَ الْعَبْدُ، فَقَالَ لِي: اعْفِنَا مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ.

وَسَأَلْتُ أَحْمَدَ عَن الْمَرِيضِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ يَضْعُفُ عَن الصَّوْمِ قَالَ: يُفْطِرُ، قُلْتُ: يَأْكُلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَيُجَامِعُ امْرَأَتَهُ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ فَحَوَّلَ وَجْهَهُ عَنِّي. الآداب الشرعية ٢/ ٥٢.

* وقال الإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شر الحديث الغرائب التي لا يُعمل بها ولا يعتمد عليها. طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٠).

* كان إِسْحَاق بْن بهلول قد سمى كتابه «كتاب الاختلاف»، فقال له **الإمام أَحْمَد**: سمّه كتاب «السَّعة». طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٧).

* وقَالَ **الأثرم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٠) فِي أثناء كتاب إلى الثغر: إن فِي كثير من الكلام فتنةً، وبحسب الرجل ما بلغ به من الكلام حاجته؛ فإن فِي السكوت لسعة،

وربما كان من الأمور ما يطيق عنه السكوت، وذلك لما أوجب الله من النصيحة، وندب العلماء من القيام بها للخاصة والعامة، ولولا ذلك كان ما دعا إليه من الخمول أصوب فِي دهرٍ قل فيه من يُستراح إليه، ونشأ فيه من يُرغب عنه، ونحن فِي موضع انقطاع عَنِ الأمصار، فربما انتهى إلينا الخبر الذي يزعجنا، فنحرص عَلَى الصبر، فنخاف وجوب الحجة من العلم.

ولقد تبيَّن عند أهل العلم عظم المصيبة بما فقدنا من شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبي عبدالله **أحمد بن محمد بْنِ حنبل**، إمامنا ومعلمنا، ومعلم مَن كان قبلنا منذ أكثر من ستين سنة.

وموتُ العالم مصيبة لا تجبر، وثلمة لا تسد، وما عالِمٌ كعَالِمٍ، إنهم يتفاضلون ويتباينون بونا بعيدًا، فقد ظننت أن عدو الله وعدو المسلمين إبليس وجنوده قد أعدوا من الفتن أسبابًا، انتظروا بها فقده؛ لأنه كان يقمع باطلهم، ويزهق أحزابهم.

وقد رأيت قومًا فِي حياة **أبي عبدالله** كانوا لزموا البيت عَلَى أسباب من النسك، وقلةٍ من العلم، فأكرمهم الناس ببعض ما ظهر لهم من حبهم للخير، فدخلهم العجب مع قلة العلم، فكان لا يزال أحدهم يتكلم بالأمر العجيب، فيدفع الله ذلك بقول الشيخ -جزاه الله أفضل ما جزى مَن تعلمنا منه-، ولا يكون مِن أحد منهم من ذلك شيء إلا كان سبب فضيحته، وهتك ما مضى من ستره.

وإنما هذا من مكايد إبليس مع جنوده، يقول لأحدهم: أنت أنت، ومن مثلك، فقل، قد قَالَ غيرك، ثم يلقي في قلبه الشيء ليس هناك سعة فِي علم، فيزيّن عنده أن يبتدئه ليشمَت به، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فِي النار.

وقد ظننتُ أن آخرين[1] يلتمسون الشهرة ويحبون أن يُذْكَروا، وقد ذُكِر قبلهم

---

(١) ممن يتكلم بالأمر العجيب، وليس عنده سعةٌ في العلم. =

قوم بألوان من البدع فافتضحوا، ولأن يكون الرجل تابعًا فِي الخير، خيرٌ من أن يكون رأسًا فِي الشر، وقد قَالَ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم، كلّ بدعة ضلالة»، وقال: «أيها الناس إنكم ستُحْدِثون ويُحْدَث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول»، وقَالَ: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عَنْ أكابرهم»، وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة». طبقات الحنابلة (١/ ١٦٦-١٦٨).

* وقَالَ الْمَرُّوذِيُّ: قُلْتُ لأَبِي عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ: قِيلَ **لابْنِ الْمُبَارَكِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١): كَيْفَ تَعْرِفُ الْعَالِمَ الصَّادِقَ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَيُقْبِلُ عَلَى أَمْرِ آخِرَتِهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، هكذا يريد[1] أن يكون. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٦٨).

* وقال **أحمد بن أبي سليمان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٦): يا طالب العلم، إذا طلبت العلم فاتخذ له قبل طلبه أدبًا تستعين به على حمله. ترتيب المدارك (٢/ ٣٥٤).

* وقال **يحيى بن يحيى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٤): أَدْخل الحِشمة بينك وبين الناس؛ فإنه أوقر لحرمتك. ترتيب المدارك (٢/ ٣٥).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: من أراد أن يعمل بما يقول اقتصد، ومن لم يرد ذلك لم يُبال ما يقول.[2] ترتيب المدارك (٢/ ٣٥).

* وكتب **أبو زيد ابن أبي الغمر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٤) إلى أبي سنان القيرواني:

= وهذا واقع بعض الناس في هذا الزمان، حيث يتكلمون بالعجائب والغرائب، وليسوا من أهل العلم، وربما كان الدافع لذلك حبّ الشهرة.

(١) لعله: يجب، أو ينبغي.

(٢) المعنى: من أراد أن يعمل بما يقول اقتصد في كلامه، ولم يُكثر؛ حتى يتمكّن من العمل بما يقول، ومن لم يرد ذلك لم يُبال ما يقول، وأكثر الهذر ولو كان الغالب على كلامه الحق.

ولذلك أوصى السلف الصالح بالاقتصاد في الكلام؛ لأنهم يعلمون أن كلامهم من عملهم، وسيُسألون عنه.

عليك يا أخي بنفسك، فلها فاعمل، وعلى حظها فاحرص، وعلى دوام بقائها في النّعيم المقيم فقم لها بذلك.

واعلم أنك لن تقوى على ذلك حتى تترك ما تحب إلى ما تكره، فعند ذلك تقوى على ما تريد، ويهون عليك طلب ذلك، وتقدر عليه إن شاء الله.

وأبعدُ ما تكون منه حين تعطي لنفسك مناها وتدرأ عنها ما تكره.

واعلم أن ذلك بالله ومنه، فعليك بالاستكانة إليه في ذلك، فلعلك تُعْطَاه إنْ حَسُنَتْ فيه نيّتك.(١) ترتيب المدارك (٢/ ٥٨).

* وقال **عنبسة بن خارجة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٠): ثلاثة من أعلام الإحسان: كظم الغيظ، وحفظ الغيب، وستر العيب.

وثلاثة من أعلام المعرفة: الإقبال على الله، والانقطاع إلى الله، والافتخار بالله.

وثلاثة من أعلام الفِكْرة: سرعة الادّكار، وإدمان الاعتبار، وكثرة الاستغفار. ترتيب المدارك (١/ ٥١٧).

* وذُكر أنَّ **أبا بكر الأبهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧٥) قال يومًا لأصحابه: إن الله رضيكم لولاية يجمع لكم بها شرف الدنيا والآخرة، لا يعزلكم عنها أحدٌ ما طلبتم هذا العلم، ونَفَرتم به عن السلطان، فإذا كنتم كذلك تمت لكم الولاية في الدنيا والآخرة، ونلتم بها سُرورَهما، وإن لُذتم بالسلطان، وأصبتم به الدنيا، عزلكم عن ولايته، وصغَّركم في الدنيا والآخرة. ترتيب المدارك (٤/ ١٤).

* وقال **ابن أبي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦١٦): سمعت أبا الحسن النهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: كنت فِي بعض الأيام أمشي مَعَ **القاضي والدك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨)، فالتفت فَقَالَ لي: لا تلتفت إِذَا مشيت، فإنه يُنْسب فاعل ذَلِكَ إلى الحُمق. طبقات الحنابلة (٣/ ٤١١) وذيله (١/ ٢٠١-٢٠٢).

---

(١) وصية جليلة القدر، عظيمة المنفعة.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ النهري: وَقَالَ لي **والدك** يوما آخر وأنا أمشي معه: إِذَا مشيت مَعَ من تعظمه، أينَ تمشي مِنْهُ؟ فقلت: لا أدري، فَقَالَ: عن يمينه تقيمه مقام الإمام فِي الصلاة، وتُخلي لَهُ الجانب الأيسر إِذَا أراد أن يستنثر أو يزيل أذى جعله فِي الجانب الأيسر. طبقات الحنابلة (٣/ ٤١١).

* وقَالَ النهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٤٥): لما قدم الوزير ابن دراست عَبَرتُ أبصره، ففاتني درس ذَلِكَ اليوم، فلما حضرتُ[١] قُلْتُ: يا سيدنا تتفضل وتعيد لي الدرس؟ فَقَالَ: أين كنتَ فِي أمسنا؟ فقلت: مضيتُ أبصرتُ ابن دارست، فأنكر علي ذَلِكَ إنكارًا شديدًا، وَقَالَ: ويحك، تمضي وتنظر إلى الظَّلَمَة؟ وعنَّفني عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ: وَكَانَ ينهانا دائمًا عن مخالطة أبناء الدنيا، والنظر إليهم، والاجتماع بهم، ويأمرنا بالاشتغال بالعلم ومخالطة الصالحين. طبقات الحنابلة (٣/ ٤١١).

* وقَالَ **أبو إسماعيل الأنصاري الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١): المحدِّث يجب[٢] أن يكون سريعَ المشي، سريع الكتابة، سريعَ القراءة. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وقال **الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥) عن أحد الفقهاء: صاحب كتاب «نهاية المطلب في علم المذهب» وهو كتابٌ كبير جدًّا، وعبارته جَزلة، حذا فيه حذو «نهاية المطلب» لإمام الحرمين الجويني الشافعي، وكثر استمداده من كلام ابن عقيل في الفصول ومن المجرد، وفيه تهافتٌ كثير، حتى في كتاب الطهارة، وباب المياه، حتى إنه ذكر في فروع الآجر المجبول بالنجاسة كلامًا ساقطًا يدل على أنه لم يتصوّر هذه الفروع، ولم يفهمها بالكُلية.

---

(١) أي: درس القاضي أبي يعلى.

(٢) هكذا في الشاملة، وفي المطبوع: يحب، والمثبت أقرب للصواب.

قال: وأظن هذا الرجل كان استمداده من مجرد المطالعة، ولا يرجع إلى تحقيق[١].

وقد ذكر في كتابه: أنه قرأ بنفسه على ابن كليب الحراني، ولم أعلم له ترجمة، ولا وجدته مذكورا في تاريخ.[٢] ذيل الطبقات (٣/ ٢٤٨).

* وقال **الخطيب البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٣) في ترجمة أحد العلماء: كتبت عنه أحاديث عن الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ خاصة، وكان يتمنَّعُ من التَّحديث ويأباه، وألححتُ عليه حتى حدثني، ولا أحسبُ سمع منه غيري. [تاريخ بغداد (١١/ ٣٣٢)].

* وقال **السِّلَفي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٧٦) في ترجمة أحد المقرئين: كان من مشاهير الزهاد وأعيان العُبَّاد، فقد كان من أهل العلم ملازمًا للثغر، غير متصرف في أمور الدنيا طول زمنه، وقد كان يَمْتَنِعُ من الرواية، ولم يقرأ أحد عليه قط شيئًا من الحديث غيري، بعد امتناع زائد، وخَطْب طويل جرى بيني وبينه.[٣] [معجم السفر (٢٣٥)].

* وذكر الحافظ **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨) أحد العلماء أنه لو رأى ما رأى قال: هذا سماعي، أو لي من هذا الشيخ إجازة.

ويقول: جمعت كتابا في القراءات، فيه أربعة آلاف رواية، ولم يكن أهل بلده يثنون عليه، وكان فاضلا مقرئًا كيس الأخلاق، مكرما لأهل العلم.

(١) وقد وقع بعض طلاب العلم في مثل هذا، حيث يستمد عمله وكتاباته من الكتب، وجمع المتفرق، دون أن يكون له شيوخ يستعين بهم -بعد الله- على الفهم والتحقيق، ودون أن يحقق بنفسه ويبحث ويُديم النظر.

(٢) فلابد من أخذ العلم عمن عرف عنه العلم والفهم والرسوخ.

(٣) أيُّ حرمان أعظم من حرمان العالم من نشره لعلمه، ومنعه لطالبه، قد حرم نفسه أجر التعليم، وزكاة العلم وبركته، وحرم غيره خيرًا عظيما، والله المستعان.

قال الذهبي: هذا رجل قليل الحياء، مكابر للحس، فأين السبعة آلاف رواية؟.

فالقُرّاء الذين كلهم في التواريخ، ما أظنهم يبلغون سبعة آلاف رجل، فالله يسامحه المسكين.

والشّره يسدّ باب الصواب، وله أنواعٌ من التراكيب.[1] معرفة القراء (٣/ ١٢٠٨-١٢٠٩).

* وكان **أبو علي الراشدي** المقرئ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٨٥) بصيرا بالقراءات وعِلَلِها، عارفا بالعربية، صاحب عبادة وزهد وإخلاص، واشتغال بنفسه.

وقال الإمام أبو حيان: كان مشهورًا بالقراءات، عنده نزر يسير جدًّا من العربية، كألفية ابن معطي، ومقدمة ابن بابشاذ، يحل ذلك لمن يقرأ عليه.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بل كان قويَّ المعرفة بالعربية، ويكفيه أنه يشرح ألفية ابن معطي للناس، ولكنْ شيخنا أبو حيان لا يُثْبِت لأحدٍ شيئًا في العربية، وينظر إلى النُّحاة بعين النقص؛ لسِعة ما هو فيه من التَّبَحُّرِ في علم اللِّسان.[2] معرفة القراء (٣/ ١٣٩٤).

---

(١) كان هذا الرجل مُقرئًا وعلى طريقة مرضية، ولكن بدأ بالانحراف حينما أولع في طلب الكثرة والتباهي بكثرة الشيوخ.

فالواجب الحذر من داء الشَّرَه، وهو شدّة الحرص وَطَلب الْكَثِيرِ، ومن أمثلة الشّره المذموم: الشهرة، والتكثر في عدد المتابعين في مواقع التواصل، والتأليف، وجمع المال، والزواج، والمناصب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التكاثر في كل شيء من مال، أو جاه، أو رئاسة، أو نسوة، أو حديث، أو علم، ولا سيما إذا لم يُحْتج إليه، والتكاثر في الكتب، والتصانيف، وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها.

والتكاثر: أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره، وهذا مذموم إلا فيما يقرب إلى الله تعالى، فالتكاثر فيه منافسة في الخيرات ومسابقة إليها. [مجموع رسائل ومسائل للإمام ابن قيم الجوزية: ص ١٨].

(٢) وهكذا حال من تبحر في كل فنّ في كل زمان ومكان، فإنهم ينظرون إلى من دونهم بعين النقص -غالبا-، وليس ذلك -عند إحسان الظن بهم- من باب الازدراء، وهذا يؤدي إلى إعجاب=

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **أبو العباس الفَزاري المقرئ النحوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٠٥) يجلس لنا وقتًا قليلًا، فلا يتمكن الطالب من الأخذِ عنه، إلا بالملازمة مع الطول، فلهذا لم أقرأ عليه، كان مشغولًا بحضور الوظائف.[١] معرفة القراء (٣/ ١٤٣٦).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أحد العلماء: العلامة، مفتي المسلمين، بقية السلف.. وكان من كبار أئمة العصر: قرأ بالروايات على السخاوي، ولو أراد لما عجز عن إقرائها، فإنه كان إمامًا في العربية، لكنه كان ضيّق الخُلق، فلم يُقْدَر على الأخذ عنه، مشتغلًا بنفسه.[٢] معرفة القراء (٣/ ١٤٤٨)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٦٦).

= بعض الناس وغلوهم بهم، وإلى إحباط وتثبيط آخرين، فعلوّ همة بعض أهل العلم وقوة حفظهم وحِدة ذكائهم قضت على همة من دونهم، حيث يرى من دونهم -حينما يُقارن نفسه بشيخه- أنه لم يحصّل شيئا، ولن يرسخ في العلم مهما اجتهد، ولن يُنتفع به ما دام شيخُه الذي هذا حاله وهذا علمه موجودا.

وإذا كان عند هؤلاء علوٌّ وكِبر طعنوا فيمن دونهم في العلم واحتقروهم، وعمِلوا على إسقاطهم من أعين الناس، وهذا داء خطير، ومرض عضال، نعوذ بالله منه.

ومن وهبه الله همّة عالية، وقوة في الحفظ، وحِدة في الذهن، فلا ينبغي أنْ يبيّن لطلابه وغيرهم ذلك، بسرد محفوظاته، وإظهار سعة اطلاعه، فإن ذلك من حظوظ النفس في الغالب، وقد يُثبّط همم طلابه، وربما حَسَده بعض الناس، إلا عند الحاجة التي تُقدّر بقدرها.

وهذا أبو عمرو بن العلاء إمام العربية قال عنه الأصمعي: كنت إذا سمعته يتكلم ظننت أنه لا يعرف شيئًا، كان يتكلم كلامًا سهلًا.

(١) فقد منع الحافظَ الذهبي من الاستفادة من شيخه والقراءة عليه: انشغالُه بالوظائف والمناصب، وكم حُرم كثير من أهل العلم نفع الناس وخدمة العلم بسبب انشغالهم بالوظائف الحكومية والمناصب.

(٢) **أمران حرما كثيرًا من أهل العلم الانتفاع بعلمهم:**

الأول:

الثاني: اشتغالهم بأنفسهم، بكثرة القراءة والمطالعة، أو بالأهل والأولاد، أو بأمور المعيشة ونحو ذلك. =

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما زال الأئمة يختلفون قديمًا وحديثًا، ولكنْ مِن ذميم أخلاقهم وقيعةُ بعضهم في بعض، وسدُّ باب الاعتذار، نسأل الله العفوَ وتركَ الهوى. معرفة القراء (٢/ ٨٣٢).

* ووصف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أحد العلماء** بالإمام العلامة ثم قال: كان صالحًا ساكنا وقورا، وذِهنُه جيّد من حيث الفهم، لا من حيث التحقيق.

مِن أغرب شيء حدثني به صاحبنا شهاب الدين النابلسي وأعجبه عنه أنه قال في قول الشاطبي «وفي الهمز أنحاء وعند نحاته» البيت، يحتمل قول الناظم في هذا البيت ستمائة ألف احتمال!.

فانظر إلى هذا **الهَوَس المفرط**.[1].

ثم نقلتُ من خطه بيت الشاطبي ما نصّه: هذا البيت يحتمل خمسمائة وجه وأزيد من ذلك إلى غير نهاية من الوجوه، وقد نظرت فيه وتأملته، فوجدته كذلك كما أخبرتك، وما أظن أحدا يهتدي إلى ذلك، إلا من هداه الله تعالى، ونوّر بصيرته. انتهى.

قال الذهبي: نعم هدانا الله وبصَّرنا، فدَع عنك الدَّعاوى والزَم الوَرَع. معرفة القراء (٣/ ١٤٨٣-١٤٨٤).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا أعرف عمن أخذ **ابن مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٢) القراءات والنحو.

= فما قيمة علمك إذا لم يستفد الناس منك؟

فليست البركة بكثرة العلم، ولكن بانتفاع طالب العلم بعلمه، ونشره للناس.

فمع كون هذا العالم موصوفًا بأنه علّامة وبقية السلف، ومفتي المسلمين، ومن كبار أئمة العصر، إلا أنه لم يُنتَفع بعلمه! لهذين الأمرين.

(١) وهذا الهوس موجود عند بعض الناس إلى وقتنا هذا، حيث يضعون الاحتمالات والتوقعات في جميع المجالات، في السياسة، وفي العلم وغير ذلك.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قرأ أبو بكر بن يوسف بن أبي بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٦) القراءات على الشيخ زين الدين الزواوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره، وتلا على الشيخ جمال الدين بن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ جميعا إلى سورة «الحج» فمات.

فسألته عمن قرأ الشيخ جمال الدين فلم يعرف.[١] معرفة القراء (٣/ ١٣٦٣، ١٤٩٣).

* ووصف ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٣٣) **أحد القرّاء** بقوله: العلامة الأوحد المقرئ الفقيه المفتي..

ثم قال: كان ضنينًا بعلمه[٢]، وخلّف جملة من الكتب والدنيا، وهَلكت بعده فلم يُنْتفع بها. [غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٥٩٧)].

* وقال الحافظ أبو سعد السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **الشيخ أبو إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧٦) زاهدًا، ورعًا، متواضعًا، ظريفًا، كريمًا، جوادًا، سخيًّا، طلق الوجه، دائم البشر، حسن المجالسة، مليح المحاورة، وكان يحكي الحكايات الحَسَنة والأشعار المبتدعة المليحة، ويحفظ منها شيئًا كثيرًا، وكان يضرب به المثل في الفصاحة.[٣] طبقات الشافعيين (٢/ ٣٥).

* وقال الفقيه **عبد اللطيف بن أبي العز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢٨): من لم يتحمل ألم التعليم لم يذق لذَّة العِلم، ومَن لم يَكدح لم يفلح.[٤] طبقات الشافعيين (٢/ ٢٨٤).

---

(١) من الدلالة على إتقان العالِم أخذه عن أهل العلم المعروفين بالإتقان، ولكن قد لا يتيسر ذلك لبعض الناس، فيعكف على قراءة كتب أهل العلم، ويستفيد ممن سبقه في العلم، فيفلح ويُوفق، كما هو حال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أهل العلم، كابن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال أبو إسحاق الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ): ولا أعلم عن من أخذ ابن المنذر النيسابوري الفقه.

(٢) ضنينًا: أي الحريص البخيل بعلمه، فلا ينشره أو يعلمه لأحد.

(٣) ما أجمل أن يتحلى طالب العلم بهذه الصفات العظيمة، والأخلاق الكريمة.

(٤) صدق والله.

* وكَانَ الْعَالم الأديب **أَبُو بكر النابلسي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٩٣): يخْطب خطبًا فصيحة بليغة لَكِن لم يكن عَلَيْهَا قبُول.[١] طبقات الشافعية (٢/ ٢٣٠).

* وقال القاضي ابن شهبة رَحِمَهُ اللَّهُ عن **أحد العلماء**: الإِمَام الْعَالم الْحَافِظ.. أخذ عَن الْحَافِظ صَلَاح الدِّين العلائي رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَجَازَهُ بالفتوى والتدريس، وَقَالَ الْحَافِظ شهَاب الدَّين ابْن حجي رَحِمَهُ اللَّهُ: له محفوظات فِي الْفِقْه وَالْأُصُول والعربية، وَأَجَازَهُ بالفتيا ابْن كثير وَالْقَاضِي تَاج الدِّين السبكي رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وَكَانَ ذكيًّا قَلِيل التَّحْصِيل. انتهى.

وَقد تغير بِآخِره تغيرًا كثيرًا، وَنسِيَ حَتَّى الْقُرْآن، وَكَانَ يُقَال: **إِن ذَلِك بوقيعته فِي النَّاس**.[٢] طبقات الشافعية (٢/ ٢٤٦).

* وصنف الشَّيْخ الإِمَام الْعَالم الْعَلامَة **سراج الدِّين ابْن الملقِّن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠٤) التصانيف الْكَثِيرَة فِي أَنْوَاع الْعُلُوم، واشتهرت فِي حَيَاته، ونقلت إِلَى الْبِلَاد، ونفع الله تَعَالَى بهَا.

* قَالَ الْحَافِظ ابْن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٥٢): كانَ فِي أول أمره ذكيًّا فطِنا، رَأَيْت خطوط فضلاء ذَلِك الْعَصْر فِي طَبَقَات السماع بوصفه بِالْحِفْظِ، وَنَحْوه من الصِّفَات العليَّة، وَلَكن لما رَأَيْنَاهُ لم يكن فِي الاستحضار وَلَا فِي التَّصَرُّف بِذَاكَ، فَكَأَنَّهُ لما طَال عمره استروح، وغلبت عَلَيْهِ الْكِتَابَة، فَوقف ذهنه، واعتنى بالتصنيف، وَشرح البُخَارِيّ فِي عشْرين مجلدة، وَعَمله فِي نصفه الأول أقوى من عمله فِي نصف الآخر، وَقد ذكر أَن بَينهمَا مُدَّة عشْرين سنة.

(١) وهذا حال بعض الخطباء، يمتلكون فصاحة وبلاغة، ولكن لا يكون لخطبهم قبول وتأثير، لفقدانهم أمورًا مهمة في الخطابة، ومن أعظمها: الصدق مع الله تعالى في تبليغ دينه، ونشر شريعته، ونصح عباده، والعناية بالأسلوب في الإلقاء، والتفاعل وصدق اللهجة.

(٢) الوقيعة في الناس، وتتبع عثراتهم، والفرح بزلاتهم، والبحث عن سقطاتهم: من أعظم أسباب محق البركة، وزوال النعمة، وخاتمة السوء، نعوذ بالله من ذلك.

وَكَانَت كِتَابَته أَكثر من استحضاره، فَلَمَّا دخل الشَّام فاتحوه فِي كثير من مشكلات تصانيفه، فَلم يكن لَهُ بذلك شُعُور، وَلَا أجاب عَن شَيْء مِنْهُ، فَقَالُوا فِي حَقه: نَاسخ كثير الْغَلَط.[1] طبقات الشافعية (٢/ ٢٨١-٢٨٢).

* وقَالَ الحافِظ ابْن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **أَبُو الْمَعَالِي الْمَنَاوِيّ** (ت: ٨٠٣) كثير التودُّد إِلَى النَّاس، مُهابا، شَهما، مُعظَّما عِنْد الخاص والعام، لَهُ صُورَة كَبِيرَة، وحشمة بَالِغَة، وَكلمَة نَافِذَة، ويسار ظَاهر، وَكَانَ مُنْذُ نَشأ يسْلك طَرِيق برهَان الدِّين ابْن جمَاعَة **فِي التَّعاظم**، ثمَّ أَلان جَانِبه بعد الِاسْتقلال.

وَكَانَ يهاب الملك الظَّاهِر، فَلَمَّا مَاتَ أَمِن على نَفسه، وَتحقّق أَنهم لَا يقدمُونَ على عَزله؛ لما تقرر لَهُ فِي الْقُلُوب من المهابة، فسافر مَعَ الْعَسْكَر إِلَى قتال تَنم فازدادت حرمته، وَعظم فَوق مَا فِي نَفسه، ثمَّ سَافر مَعَهم إِلَى قتال اللنك فانعكس الأَمر، وَأُسر وأهين جدا، وسافروا بِهِ وَهُوَ فِي قيد فغرق فِي نهر الفرات، فِي شَوَّال سنة ثَلَاث وَثَمَانمِائَة، بعد أَن قاسى أهوالا.[2]

---

(١) أي: أن الشيخ ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان أيام شبابه وكهولته ذكيًا فطنا حافظا محققا، وتأليفه في تلك المدّة كان في غاية الحسن والتحقيق والإبداع، ولكنه تغيّر بعد ذلك، فقَلَّ حفظه واستحضاره، وكثر نسيانه، حتى اتُّهم أنّ الكتب المنسوبة له لم تكن من تحقيقه، بل كان ناسخا جمّاعًا!، حيث نسي ما كتبه وحقَّقه فيها، وذكر الحافظ أن من أسباب ذلك: أنه لمّا طال عمره طلب الراحة، وقلّت قراءته وحفظه وبحوثه، وانشغل بالأخف، وهو التأليف والكتابة، فكان ذلك من أسباب توقف ذهنه، لأن الذِّهن يتوقف بل يتراجع إذا لم يُشغَل بالحفظ والتحقيق والتأمل. وهذا مشاهدٌ لكثيرٍ من علماء هذا الزمان، حيث كانوا زمن الشباب والكهولة في غاية الفهم وقوة الحفظ والذكاء، ولكنهم بعد ذلك قلَّت مطالعاتهم وتحقيقاتهم، وانشغلوا بالتأليف، أو الدروس من غير تحضير وإعداد، فدب إليهم داء النّسيان، ولم يكونوا في الاستحضار ولا في التصرف بذاك.

(٢) التعاظم لا يسلم منه إلا من سلَّمه الله، وهو مرض يحل في نفوس كثير من الناس، حتى في نفوس بعض أهل العلم، والواجب على كل مسلم أن يحرص على سلامة قلبه من هذا الداء الخطير، ولا يظن طالب العلم أنه بمنأى عنه مادام يطلب العلم، ويجالس أهله.

وَمن الْعَجَائِب أَنه كَانَ يهاب ركُوب الْبَحْر، فَكَانَ لَا يتَوَجَّه إِلَى منزلهم بالروضة أَيَّام زِيَادَة النّيل خشيَة من ركُوب الْبَحْر، فاتفق أَنه لم يمت إِلَّا غريقا. طبقات الشافعية (٢/ ٢٨٥-٢٨٦).

* وحُبِّبَ إلى الشَّيْخ الإِمَام الْعَلامَة **مُحَمَّد بن أبي بكر ابن جمَاعَة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١٩) الِاشْتِغَال، فأكب عَلَيْهِ، وَلم يلْتَفت إِلَى شَيْء من الْأَشْيَاء إِلَّا إِلَيْهِ، فمهر فِي النَّحْو، والمعاني، وَالبَيَان، والمنطق، وتوغل فِي الْكَلَام، والطب، والتشريح، وَكَانَ آيَة من الْآيَات فِي معرفَة الْعُلُوم الأدبية، والعقلية، والأصلين.

قَالَ لي الشَّيْخ جمال الدّين الطيماني: إِنَّه كَانَ يقْرَأ عَلَيْهِ ويَسمع دروسه، وَكَانَ إِذْ ذَاك نَحْو خمسين درسا فِي الْيَوْم وَاللَّيْلَة فِي دقائق الْعُلُوم، قَالَ: وَكَانَ يستحضر الْكِفَايَة لِابْنِ الرّفْعَة، وَمَعَ ذَلِك فَلَيْسَ هُوَ مِمَّن يشار إِلَيْهِ فِي علم الْفِقْه.

وَقَالَ الْحَافِظ ابْن حجر فِيمَا كتب بِهِ إِلَيّ: إِنَّه **فاق الأقران بذكائه وَقُوَّة حافظته**، وَحسن تَقْرِيره وتصدّى للإشغال، وَقد جمع تصانيفه فِي نَحْو من عشْرين فَنًّا، ورتبها وَهِي تزيد على مِائَتي مُصَنف، ضَاعَ أَكْثَرهَا بأيدي الطّلبَة، وَلم يكن يقرئ كتابا إِلَّا وَيكْتب عَلَيْهِ حَاشِيَة، وَقد صنَّف فِي العَروض، وفنون الْأَدَب، وَلم يكن لَهُ مَلَكَة فِي النَّظم وَلَا فِي حسن الِاخْتِصَار.

وَكَانَ مِن علو همته: لَا ينظر شَيْئا إِلَّا وَأحب أَن يقف على أَصله ويشارك فِيهِ، حَتَّى أَن لَهُ تصنيفا فِي الرمل، وَفِي لعب الرمْح، والنشاب، وتركيب النقط.[1] طبقات الشافعية (٢/ ٢٨٦-٢٨٧).

---

(١) علوّ الهمة وحب العلم والقراءة أمر محمود، ولكن الولوع في تتبع العلوم والفنون قد لا يكون محمودًا، إذا ترتب عليه عدم الإتقان والضبط، أو أدى إلى الدخول في علوم غير نافعة.

فالذي ينبغي لطالب العلم أن يركز اهتمامه على أهم العلوم الشرعية، ويتقنها، ويحرص على ضبط أصولها وفروعها، ولا يكثر التنقل والقراءة والتوسع، بل يحرص على التكرار والضبط.

* وقال تقي الدين ابن قاضي شهبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٥١) عن أحد العلماء: كَانَ كثير التَّغَيُّر، لَا يثبت على حَال، وَلَا يبْقى على كلمة.(١) طبقات الشافعية (٢/ ٣٢٨).

* وقال ابن هشام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٦١):

ومن يصطبر للعلم يظفرْ بنيلِه ... ومن يخطب الحسناء يصبرْ على البذل
ومن لم يذلَّ النفس في طلب العلا ... يسيرا يعشْ دهرًا طويلا أخا ذلِّ

السحب الوابلة (٢/ ٦٦٥).

* وقال بعضهم:

ألا فاسألوا في الفضل من كان بارعا ... وفي العلم أفنى عمره باشتغاله

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٦٥).

* وقال بعضهم:

ما على العالم المهذَّب عار ... إنْ غدا خاملا وذو الجهل سامي
فاللُّباب الشّهيّ بالقشر خافٍ ... ومَصُونُ الثمار تحت الكُمَام
والمقادير لا تلام بحال ... والأماني حقيقة بالملام
وأخو الفهم من تزوّد للمو ... ت وخلَّى الدنيا لنهب الطغام

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٥٣).

* وقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) فِي الْفُنُونِ: لَا يَنْبَغِي الْخُرُوجُ مِنْ عَادَاتِ النَّاسِ إلَّا فِي الْحَرَامِ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ تَرَكَ الْكَعْبَةَ وَقَالَ: «لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ الْجَاهِلِيَّةَ».

---

(١) هذا التذبذب والتغيُّر يحصل لكثيرٍ من الناس وبعض طلبة العلم وممن ينتسب للدعوة والعلم، حيث يكثر أحدهم التنقل من علم إلى علم، ومن كتابٍ إلى كتاب، دون ضبطٍ وإتقان، وبعضهم يُكثر من تغيير فتاويه وآرائه لمصالح دنيوية، والله المستعان.

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْلَا أَنْ يُقَالَ عُمَرُ زَادَ فِي الْقُرْآنِ لَكَتَبْتُ آيَةَ الرَّجْمِ.

وَتَرَكَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ لِإِنْكَارِ النَّاسِ لَهَا.

وَذَكَرَ فِي الْفُصُولِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ وَفَعَلَ ذَلِكَ إِمَامُنَا أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ ثُمَّ تَرَكَهُ بِأَنْ قَالَ: رَأَيْت النَّاسَ لَا يَعْرِفُونَهُ، وَكَرِهَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَضَاءَ الْفَوَائِتِ فِي مُصَلَّى الْعِيدِ وَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ بَعْضُ مَنْ يَرَاهُ. الآداب الشرعية ٢/ ٣٤.

هـ- ذم العجلة في التصدر في المجالس والتعليم والفتوى(١):

* قَالَ **عُمَرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا.(٢) صحيح البخاري معلّقًا بصيغة الجزم، الزهد لوكيع (١٠٢)، وصححه الحافظ في الفتح (١/ ١٦٥).

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠): كنا إذا رأينا الشابَّ يتكلم في المجلس أيسنا من خيره. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٣، البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٨.

---

(١) لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب ضخمٌ سماه: أعلام الموقعين عن رب العالمين، تكلم فيه عن خطر الفتوى وأحكامها ومسائلها، ومما قاله: ولما كان التبليغ عن الله -سبحانه- يعتمد: العلم بما يبلغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق، فيكون عالمًا بما يبلغ، صادقًا فيه، ويكون مع ذلك: حسن الطريقة، مَرْضي السيرة، عدلًا في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا يُنكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟

فحقيق بمن أُقيم في هذا المنصب أن يُعدّ له عدته، وأن يتأهب له أُهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإن الله ناصره وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب، فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [النساء:١٢٧] وكفَى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفا وجلالة إذ يقول في كتابه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء:١٧٦] وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسؤول غدا وموقوف بين يدي الله. أعلام الموقعين ١/ ١٧.

وقد عقد رَحِمَهُ اللَّهُ فصلًا في المجلد الثاني من ص ٤٤٩ إلى ص٥٧٧، ذكر فيه سبعين فائدةً متعلِّقةً بالفتوى، تكلم فيها عن مسائل الفتوى وأحكامها.

(٢) أي: تصبحوا سادة ورؤساء؛ لأنهم ربما استنكفوا عن الفقه والعلم عندئذ.

* وقال **الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): من حدَّث قبل أن يحتاج إليه ذل.[١] تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وقال **سُحنون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠): ما وجدتُ من باع آخرتَه بدنيا غيره إلا المُفتي. تهذيب السِّيَر ٣/ ٩٨٣.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): إذا تصدر الحدث، فاته علم كثير. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

* وقال **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): ما أفتيت حتى شهِد لي سبعون أني أهلٌ لذلك. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني، هل يراني موضعًا لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك، قيل له: يا أبا عبد الله فلو نَهوْك؟ قال: كنتُ أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلًا لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه.[٢] صفة الصفوة ٢/ ٥٠٣.

---

(١) من المصائب على طالب العلم أن يشتهر قبل أن يتمكن، ويشتغل بالردود والدعوة قبل أن يرسخ.
ولو تمكن من العلم قبل أن يبرز ويشتهر: فهو خير له وللناس وأصلح وأنفع من أن يبرز ثم يبدأ بالتمكن والضبط.
فيا طالب العلم تدارك نفسك قبل أن تُشغلك الشهرةُ والمناصب عن تحصيلِ العلم.
قيل للمبرد: لِمَ صار أبو العباس -يعني ثعلبًا- أحفظَ منك للغريب والشعر؟ قال: لأني ترأستُ وأنا حدَثٌ، وترأَّس وهو شيخ.

(٢) قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العالم إذا لم يشهد له العلماء، فهو في الحكم باق على الأصل من عدم العلم، حتى يشهد فيه غيره، ويعلم هو من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم، أو على شك، فاختيار الإقدام في هاتين الحالتين على الإحجام لا يكون إلا باتباع الهوى، إذ كان ينبغي له أن يستفتي في نفسه غيرَه ولم يفعل، وكان من حقه أن لا يقدم إلا أن يُقدِمه غيره ولم يفعل هذا. =

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذا العلم دِين فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين، وأشار إلى المسجد، فما أخذتُ عنهم شيئًا، وإن أحدهم لو ائْتُمن على بيت مال لكان أمينًا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن.

وقال: أدركت بهذه البلدة أقوامًا لو استُسْقي بهم القطر لسُقوا، قد سمعوا العلم والحديث كثيرًا، ما حدَّثت عن أحد منهم شيئًا؛ لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن -يعني الحديث والفتيا- يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة وإتقان وعلم وفهم، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غدًا، فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة ولا يؤخذ عنهم.

وقال أحمد بن صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أعلم أحدًا أشدّ تنقّيًا للرجال والعلماء من مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما أعلمه روى عن أحد فيه شيء، روى عن قوم ليس يُتْرك منهم أحد.[(١)] ترتيب المدارك (١/ ١١١-١١٣).

* وقال ابن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لنا **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا: دعاني الأمير في الحداثة أن أحضر المجلس، فتأخرتُ حتى راح ربيعة بن عبدالرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأعلمته وقلت: لم أحضر حتى جئت أستشيرك، فقال ربيعة: نعم.

قال ابن وهب: فقلت: لو لم يقل لك احضر لم تحضر؟.

قال: لم أحضر.

= قال العقلاء: إن رأي المستشار أنفع؛ لأنه بريء من الهوى، بخلاف من لم يستشر فإنه غير بريء، ولا سيما في الدخول في المناصب العليّة والرتب الشرعية كرتب العلم. الإعتصام: ٤٩٤.

(١) فكيف بحال بعض الناس في هذا الزمان، يأخذون العلم والفتيا من كل أحد، ولم يتحققوا علمه وورعه وتقواه وأمانته!

ثم قال: يا أبا محمد لا خير فيمن يرى نفسه في حالةٍ لا يراه الناسُ لها أهلًا. ترتيب المدارك (١/ ١١٥).

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس كلّ من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس حتى يشاوَرَ فيه أهلُ الصلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه لذلك أهلًا جلس.

وما جلستُ حتى شهد لي سبعون شيخًا من أهل العلم إني موضعٌ لذلك. ترتيب المدارك (١/ ١١٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقبل عليّ ذات يوم ربيعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال لي: مَن السِّفلة يا مالك؟ قلت: الذي يأكل بدينه.

قال لي: فمن سِفْلة السفلة؟ قلت: الذي يأكل غيرُه بدينه. ترتيب المدارك (١/ ١١٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ربما وردت عليّ المسألةُ تمنعني من الطعام والشراب والنوم.

وقال: ربما وردت عليّ المسألة فأسهر فيها عامة ليلي.

قال ابن عبد الحكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا سئل عن المسألة قال للسائل: انصرف حتى أنظر فيها، فينصرف ويتردد فيها، فقلنا له في ذلك، فبكى وقال: إني أخاف أن يكون لي من المسائل يوم، وأيُّ يوم؟.

وقال بعضهم: لكأنما مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ -واللهِ- إذا سُئل عن مسألة ليَعرض نفسه قبل أن يجيب على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة، ثم يجيب.

وقال: ما شيء أشد عليّ من أن أُسأل عن مسألة من الحلال والحرام؛ لأن هذا هو القطع في حكم الله، ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه.

ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام فيه والفتيا، ولو وقفوا على ما يصيرون إليه غدًا لقللوا من هذا، وإن عمر بن الخطاب وعليًّا وعثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خيارَ الصحابة، كانت تتردد عليهم المسائل وهم خير القرون الذي بعث فيهم النبي ﷺ، وكانوا يَجْمعون أصحاب النبي ﷺ ويسألون، ثم حينئذ يفتون فيها، وأهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا، فبقدر ذلك يفتح لهم من العلم.

قال مروان بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت أرى مالكًا رَحِمَهُ اللَّهُ يقول لرجل يسأله: اذهب حتى أنظر في أمرك.

فقلت: إن الفقه مِن باله، وما رفعه الله إلا بالتقوى.

قال سحنون رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ يومًا: اليوم لي عشرون سنة أتفكر في هذه المسألة.

قال ابن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ: سأل رجل مالكًا رَحِمَهُ اللَّهُ عن مسألة وذكر أنه أُرسل فيها من مسيرة ستة أشهر من المغرب.

فقال له: أخبر الذي أرسلك أنه لا علم لي بها.

قال: ومن يعلمها؟ قال: من علَّمه الله.

وسأله رجل عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب فقال: ما أدري، ما ابتلينا بهذه المسألة في بلدنا، ولا سمعنا أحدًا من أشياخنا تكلم بها، ولكن تعود.

فلما كان من الغد جاءه وقد حمل ثقله على بغلة يقودها فقال: مسألتي؟ فقال: ما أدري ما هي.

فقال الرجل: يا أبا عبدالله تركت خلفي من يقول: ليس على وجه الأرض أعلم منك.

فقال مالك غير مستوحش: إذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن.

وسأله آخر فقال: يا أبا عبدالله أجبني، فقال: ويحك، أتريد أن تجعلني حجة بينك وبين الله؟ فأحتاج أنا أولًا أن أنظر كيف خلاصي، ثم أُخَلِّصك.

قال الهيثم ابن جبيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شهدت مالكًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنين وثلاثين: لا أدري.

وقال خالد بن خراش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قدمت من العراق على مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأربعين مسألة، فما أجابني منها إلا في خمس.

قال عمر بن يزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقلت لمالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك، فقال: يرجع أهل الشام إلى شامهم، وأهل العراق إلى عراقهم، وأهل مصر إلى مصرهم، ثم لعلي أرجع عما أفتيتهم به.

قال: فأخبرت بذلك الليث بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فبكى، وقال: مالك والله أقوى من الليث أو نحو هذا.

قال أبو مصعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لنا المغيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تعالوا نجتمع ونستذكر كلما بقي علينا مما نريد أن نسأل عنه مالكًا.

فمكثنا نجمع ذلك وكتبناه في قنداق[١]، ووجّه به المغيرة إليه وسأله الجواب، فأجابه بعضه، وكتب في الكثير منه: لا أدي.

فقال المغيرة: يا قوم، لا والله ما رفع هذا الرجل إلا بالتقوى، من كان منكم يُسأل عن هذا فيرضى أن يقول لا أدري؟[٢].

وقال بعضهم: إذا قلتَ أنت يا أبا عبدالله لا أدري فمن يدري؟.

قال: ويحك ما عرفتني؟ وما أنا؟ وأيُّ شيء منزلتي حتى أدري ما لا تدرون؟[٣].

---

(١) أي: صحيفة الحساب.

(٢) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالإجابة بلا أدري في أكثر من مسألة أمر شاقّ على النفس.

(٣) ما أعظم تواضعه وهضمه لنفسه، وهكذا يجب أن يكون كل مسلم مهما علت منزلته، وكثر علمه.

ثم أخذ يحتج بحديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال: هذا ابن عمر يقول: لا أدري، فمن أنا؟ وإنما أهلك الناسَ العُجبُ وطلبُ الرئاسة، وهذا يضمحل عن قليل.

وقال مصعب رَحِمَهُٱللَّهُ: سئل مالك رَحِمَهُٱللَّهُ عن مسألة فقال: لا أدري، فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة، فغضب مالك وقال: مسألة خفيفة سهلة؟ ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥]، فالعلم كله ثقيل وبخاصة ما يُسأل عنه يوم القيامة. ترتيب المدارك (١/ ١٣٦-١٣٩).

* وكان ابن فروخ رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١١٥) كتب إلى **الإمام مالك** رَحِمَهُٱللَّهُ يخبره أنَّ بلدنا كثيرُ البدع، وأنه ألَّف لهم كتابًا في الرد عليهم، فكتب إليه مالك يقول له: إنْ ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل وتهلك، لا يَرُدُّ عليهم إلا من كان ضابطًا، عارفًا بما يقول لهم، لا يقدرون أن يُعَرِّجوا عليه، فهذا لا بأس به.

وأما غير ذلك فإنني أخاف أن يُكلِّمهم فيُخطئ، فيَمْضُون على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تماديًا على ذلك.[1] ترتيب المدارك (١/ ٣٨٠).

* وسُئِلَ **الْخَلِيلُ بن أحمد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٧٠) عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَبْطَأَ بِالْجَوَابِ فِيهَا، فَقيل له: مَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كُلُّ هَذَا النَّظَرِ!.

قَالَ: فَرَغْتُ مِنْ الْمَسْأَلَةِ وَجَوَابِهَا، وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجِيبَك جَوَابًا يَكُونُ أَسْرَعَ إلَى فَهْمِكَ.

قَالَ أَبُو قُدَامَةَ رَحِمَهُٱللَّهُ: فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عُبَيْدٍ رَحِمَهُٱللَّهُ فَسُرَّ بِهِ. الآداب الشرعية ٢/ ١٠٩.

* وقال **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٦٠): أجرأُ الناس على الفتيا أقلّهم علمًا، يكون عند الرجل بابٌ واحدٌ من العلم فيظن أنَّ الحق كله فيه.

---

(١) كلام الإمام مالك رَحِمَهُٱللَّهُ منهج مؤصّل في باب مناظرة أهل البدع.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني لأُسأل عن المسألة فأعرف في أيِّ كتاب وورقة وصفحة وسطر، فما يمنعني عن الجواب فيها إلا كراهة الجرأة بعدي على الفتيا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأنا أحفظ مسائل، منها ما فيه ثمانية أقاويل من ثمانية أئمة، فكيف يسعني أنْ أَعْجَل بالجواب حتى أتخيّر؟ وهو الأمر في حبس الجواب.

وقيل له: تأتيك المسائل مشهورة مفهومة، فتأبى الجواب فيها! فقال: سرعة الجواب بالصواب أشدُّ فتنةً من فتنة المال.[1] ترتيب المدارك (٢/ ١٠٠-١٠١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تجد الرجل يصبر على[2] الصيام والصلاة، ويتورع عن الحاجات، فإذا جاءت الفتيا لم يصبر. ترتيب المدارك (٢/ ٢٠٧).

* وقال ابن أخي **عبدالله بن وهب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧): كنت معه بالإسكندرية مرابطًا، فاجتمع الناس عليه يسألونه نشر العلم، فقال لي: هذا بلد عبادة، وقلَّما أُمَهِّد لنفسي فيه مع شغل الناس.

فترك الجلوس لهم في الأوقات التي كان يجلس، وأقبل على العبادة والحراسة، فبعد يومين أتاه إنسان فأخبره أنه رأى نفسه في المسجد الحرام، والنبي ﷺ فيه، وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأنت بين يديه، وفي المسجد قناديل تزهر أحسن شيء وأشدها ضياء، إذ خَفَتَ منها قنديلٌ فانطفأ، فقال لك رسول الله ﷺ: قم يا عبدالله أوقده، فأوقدته، ثم آخر كذلك، ثم أقمتَ أيامًا فرأيت القناديل كلَّها همَّت أن تُطْفأ، فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله أما ترى هذه القناديل؟ فقال ﷺ: هذا عمل عبدالله يريد أن يطفئها.

فبكى ابن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال له الرجل: جئت لأبشرك، ولو علمت أنه يغمك لم آتك.

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحريّ بطالب العلم المخلص الصادق أن يحذر من فتنة الفتوى.

(٢) في الأصل: إلى، ولعل المثبت هو الصواب.

فقال: خير، هذه الرؤيا وعَظْتَ بها نفسي، ظننتُ أنَّ العبادة أفضل من نشر العلم، فَتَرَكَ كثيرًا من عمله للعلم، وحبس نفسه لهم يقرؤون عليه ويسألونه. ترتيب المدارك (١/ ٤٦١).

* وسئل **عبدالله بن عبد الحكم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٤) عن مسألة، فسكت ساعة، فقال له عبدالرحمن بن عيسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول فيها كذا، وكذا.

فقال له ابن عبد الحكم: إنما يجب علينا أن نتعرَّف الحق. ترتيب المدارك (٢/ ٢٦٠).

* وقال **الصعلوكيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٧): مَنْ تَصَدَّرَ قبلَ أوانِهِ، فقد تصدّى لِهَوَانِهِ. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٣٣٧.

* وكان الشيخ **أبو إسحاق التونسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] قد امتُحن مع فقهاء القيروان محنة عظيمة في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وذلك أنه استُفتي في مراجعةٍ عَقَدها وليّ من العبيديين، وذلك بعدما جرى عليهم ما جرى بالقيروان، وقيام المسلمين عند ولاية المعزّ بن باديس[٢] صاحبها عليهم، وتقتيلهم كلّ مقتل، وانتصار المعزّ في ذلك.

فرد الفقيه أبو إسحاق في بعض جوابه: أنّ هذه الفرقة على ضربين: أحدهما كافر مباح الدم، والضرب والآخر الذين يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على سائر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لا يلزمهم الكفر، ولا تبطل نكاحاتهم.

---

(١) كان جليلًا فاضلًا، إمامًا صالحًا، منقبضًا متبتلًا، وبه تفقّه جماعة من الإفريقيين. ترتيب المدارك (٤/ ٣٣٢)

(٢) سلطان إفريقية وما والاها من المغرب، وقد خلع طاعة الحاكم العبيدي الرافضي صاحب مصر، وخطب للإمام العباسي القائم بأمر الله أمير المؤمنين، ولم يُخطب لبني عُبيد بعد ذلك بإفريقيّة.

وشاعت فتواه فأنكرها فقهاء إفريقية بالقيروان وغيرها، وكانوا من التشدُّد على هذه الفئة المارقة وكل من يتعلق بهم حيث كانوا، والعامة أشد من ذلك، لاسيما بظهورهم عليهم، وبغضهم فيهم.

وأرسلوا إلى أبي إسحاق في معاودة النظر وأن يرجع، فأبى إباءً شديدًا، فخالف الجميع، واسْتحقر شأن مخالفته..

فأطلق الفقهاء الفتيا عليه بمقالته هذه بالتضليل والتبديع، وقال فيها الشعراء قصائد كثيرة، تضمنت إيذاء أبي إسحاق والتبري منه، وأنشدها الشعراء والطلبة عند الفقهاء غيره، في دورهم وجموعهم، وأطلقوا فيها عليه، وأمر السلطان بسجلٍّ سيءٍ في القصة من التبرؤ من قوله، ونِيل فيه منه ما يُعَظِّم الله به أجره، وأمر بقراءته يوم جمعة على المنبر قبل الصلاة، مستهل صفر عام ثمانية وثلاثين.

وحصلت على الشيخ من ذلك غضاضة، فخرج في صبيحةِ يومه متوجهًا إلى منستير للرباط؛ مستكنًا لقضيته، ومسببًا لها، فتغيب شخصه.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا امتراءَ عند منصف أنَّ الحق ما قاله أبو إسحاق، ولا امتراء أنَّ مخالفته أولًا لرأي أصحابه في حسمِ الباب لمصلحة العامة واللجاج خطأ، وأن رأي الجماعة كان أسدّ للحال، وأولى بعائدةِ الخير، وفتواه جَرى على العلم، وطريق الحكم.[1] ترتيب المدارك (٤/ ٣٣٢-٣٣٤).

و- قصص ووقائع لبعض العلماء:

* جاء رجل نبيل كبير اللحية إلى **الأعْمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨)، فسأله عن مسألة خفيفة في الصلاة فالتفت إلينا الأعمش فقال: انظروا إليه! لحيتُه تحتمل

---

(١) يُستفاد من هذا: أنه ليس من الحكمة الإفتاء بما يراه المفتي أنه الحق حتى يغلب على ظنه عدم ترتب مفاسد على فتواه، لاسيما إذا خالفه جمهور أهل العلم في زمانه، فلابد من التريّث واتهام الرأي، حتى لا يجرّ على نفسه ولا على الأمة مفاسد وأضرار» عظيمة.

حفظَ أربعة آلاف حديث، ومسألتُه مسألة صبيان الكُتاب. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٤٦.

* ومرَّ **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) بشابٍّ يُحدِّثُ امرأةً في الطريق، فقال: يا فتى ما هذا أجرُ نعمة الله عندك.

ورأى رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلًا مع امرأة في خراب وهو يكلمها فقال: إن الله يراكما، سترنا الله وإياكما. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٠٦.

* وعن ثابت أن **صلة بن أشيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٠) وأصحابه أبصروا رجلا قد أسبل إزاره، فأراد أصحابه أن يأخذوه بألسنتهم فقال صلة: دعوني أكفيكموه، فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة، قال: فما ذاك يا عمُّ؟ قال ترفع إزارك، قال: نعم، ونعمت عينٍ.

فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة لقال: لا أفعلُ، وفعل. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٠٦-٢٠٧.

* ورأى **بعض السلف** رجلًا من آل علي يمشي يخطرُ، فأسرع إليه فأخذ بيده فقال: يا هذا! إن الذي أكرمك الله به لم تكن هذه مشيته قال: فتركها الرجل بعد. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٠٨.

* ودعا مالك بن المنذر **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) وكان على شرط البصرة، فقال: اجلس على القضاء، فأبى محمد، فعاوده فأبى، فقال: لتجلس أو لأجلدنك ثلاثمائة.

فقال له محمد: إن تفعل فأنت مُسَلَّط، وإنَّ ذليل الدنيا خيرٌ من ذليل الآخرة. تهذيب الحِلْية ١/ ٤١٤.

* ومر تاجر بعشارين فحبسوا عليه سفينته، فجاء إلى **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١)، فذكر ذلك له، فقام مالك فمشى معه إلى العشارين، فلما رأوه، قالوا:

يا أبا يحيى ألا بعثت إلينا؟ ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل قالوا: قد فعلنا، قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم، فقالوا: ادع الله لنا يا أبا يحيى، قال: قولوا للكوز يدعو لكم! أدعو لكم وألف يدعو عليكم، أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف؟ تهذيب الحِلْية ١/٤٢٦.

* وجاءت امرأة إلى **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) فقالت: إن ابني ضيعني وترك عمله، فقال: في أيِّ شيء أخذ ابنك؟ قالت: في الحديث، قال: احتسبيه. تهذيب الحِلْية ٢/٣٩٩.

* وقيل **لعمر بن عبد العزيز** (ت: ١٠١): لو جمعت الناس على شيء؟ فقال: ما يسرني أنهم لم يختلفوا، ثم كتب إلى الآفاق وإلى الأمصار: ليقض كل قوم بما اجْتمع عليه فقهاؤهم. مسند الدارمي (٦٥٢).

* وقال الإمام **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): شاورني هارون الرشيد في ثلاث؛ في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه، وفي أن ينقض منبر النبي ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضة، وفي أن يقدم نافع بن أبي نعيم إمامًا يصلي في مسجد رسول الله ﷺ. فقلت: يا أمير المؤمنين؛ أما تعليق الموطأ في الكعبة فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق، وكل عند نفسه مصيب، وأما نقض منبر رسول الله ﷺ، واتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة، فلا أرى أن تحرم الناس أثر النبي ﷺ وأما تقدمتك نافعًا إمامًا يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ، فإن نافعًا إمام في القراءة، لا يؤمن أن تندر منه نادرة في المحراب فتحفظ عليه، قال: وفقك الله يا أبا عبد الله. تهذيب الحِلْية ٢/٣٦٠.

* وسأل المأمون **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل لك دار؟ فقال: لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال: اشتر لك بها دارًا.

ثم أراد المأمون الشخوص وقال لمالك: تعال معنا فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن، فقال له: مالكَ إلى ذلك سبيل، وذلك أن أصحاب النبي ﷺ افترقوا بعده في الأمصار، فحدثوا، فعند كل أهل مصر علم، ولا سبيل إلى الخروج معك، فإن النبي ﷺ قال: (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) وقال: (المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد) وهذه دنانيركم فإن شئتم فخذوه، وإن شئتم فدعوه. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ٢.

* وعن الربيع أنه قال: كان **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) عند مالك وعنده سفيان ابن عيينة والزنجي فأقبل رجلان، فقال أحدهما: أنا الربيع القماري وقد بعت هذا قمريًّا، وحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح، فلما كان بعد ساعة أتاني فقال: قد سكت فردّ علي دراهمي، وقد حنثت، فقال مالك: بانت منك امرأتك. فمرّ الشافعي، فقال للبائع: أردت أنه لا يهدأ أبدًا أو أن كلامه أكثر من سكوته؟ فقال: قد علمت أنه ينام ويأكل ويشرب، وإنما أردت كلامه أكثر من سكوته، فقال: ردّ عليك امرأتك، فأخبر مالكًا، فقال للشافعي: من أين قلت؟ فقال: حديث فاطمة بنت قيس قالت لرسول الله ﷺ: إن معاوية وأبا جهم خطباني فقال: إن معاوية صعلوك، وإن أبا جهم لا يضع عصاه عن عاتقه. وقد كان ينام ويستريح، وإنما خرج كلامه على الأغلب، فعجب مالك فقال الزنجي: أفت فقد آن لك أن تفتي، وهو ابن خمس عشرة سنة. المنتظم ١٣٦/ ١٠.

* وكان **أبو يوسف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠) مريضًا شديد المرض، فعاده **أبو حنيفة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٠) مرارًا، فصار إليه آخر مرة فرآه ثقيلًا فاسترجع وقال: كنت

أؤملك للمسلمين بعدي، ولئن أصيب الناس بك ليموتَنّ معك علم كثير، ثم رزق الله أبا يوسف العافية، وأُخبر بقول أبي حنيفة فيه، فارتفعت نفسه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلسًا في الفقه، وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة، فسأل عنه فأخبر أنه قد عقد لنفسه مجلسًا، وأنه بلغه كلامك فيه، فدعا رجلًا كان له عنده قدرٌ فقال: صر إلى مجلس يعقوب فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصَّار[1] ثوبًا ليقصره بدرهم فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصَّار: مالك عندي شيء، وأنكره، ثم إن رب الثوب رجع إليه، فدفع له الثوب مقصورًا، أله أجرة؟.

فإن قال: له أجرة، فقل: أخطأت، وإن قال: لا أجرة له فقل: أخطأت، فصار إليه فسأله فقال له أبو يوسف: له الأجرة، فقال: أخطأت، فنظر ساعة ثم قال: لا أجرة له. فقال: أخطأت، فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة فقال له: ما جاء بك إلا مسألة القصّار؟ قال: أجل، قال: سبحان الله، مَنْ قعد يفتي الناس وعقد مجلسًا يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات!.

فقال: يا أبا حنيفة، علمني.

فقال: إن قصره بعد غصبه فلا أجرة له؛ لأنه قصره لنفسه، وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجرة لأنه قصره لصاحبه.

ثم قال: مَنْ ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه. المنتظم ٨/١٣٠.

* وعن **أبي يوسف** رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: توفي أبي وخلفني صغيرًا في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصّار أخدمه، فكنت أدع القصَّار وأمر إلى حلقة **أبي حنيفة** رَحِمَهُ اللَّهُ، فأجلس فأستمع، وكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي، وتذهب بي

(١) القصَّار: الخياط.

إلى القصَّار، وكان أبو حنيفة يعنى بي، لما يرى من حرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا كسب له، وأنا أطعمه من مغزلي، وآمل أنه يكسب دانقًا يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج[1] بدهن الفستق.

فانصرفت وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك.

ثم لزمته، فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلَّدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد، وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدَّم إليَّ هارون فالوذجة بدهن فقال لي هارون: يا يعقوب، كل منه، فليس كل يوم يعمل لنا مثله. فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت. فقال لي: مم تضحك؟ فقلت: خيرًا، أبقى الله أمير المؤمنين. فقال: لتخبرني وألحَّ عليَّ، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فتعجب من ذلك، وقال: لعمري إن العلم يرفع وينفع دنيا وآخرة. وترحَّم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يرى بعين رأسه. المنتظم ٧٣/ ٩.

* وأُدخل **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) على الخليفة -وكانوا هوَّلوا عليه، وقد كان ضَرَب عنق رجلين- فنظر أحمد إلى أبي عبد الرحمن الشافعي فقال: أيُّ شيءٍ تحفظ عن الشافعي في المسح؟.

فقال ابن أبي دؤاد: انظروا رجلًا هو ذا يُقَدَّم لضرب عنقه، يناظر في الفقه! تهذيب الحِلْية ١٤٧/ ٣.

* وقال **حمزة الكنانيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرَّجت حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ من نحو مئتي طريق، فداخلني لذلك من الفرح غيرُ قليل، وأعجبت بذلك، فرأيتُ **يَحيى**

---

(١) نوع من الحلوى، طيبة الطعم.

ابن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٣) في المنام، فقلت: يا أبا زكريا، خرَّجتُ حديثًا من مئتي طريق، فسكتَ عنِّي ساعة، ثم قال: أخشى أن تدخلَ هذه تحت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ [التكاثر:١]. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٨٠.

* وعن محمد بن سهل أنه قال: كنت بالمصيصة وبها **المأمون** (ت: ٢١٨) أمير المؤمنين، فأذن يومًا للناس فقام إليه شاب وبيده محبرة، فقال: يا أمير المؤمنين، صاحب حديث منقطع به، فقال له المأمون: أي شيء تحفظ من باب كذا؟ فلم يذكر الفتى شيئًا، فما زال المأمون يقول: حدّثنا هشيم، وحدثنا أبو الأحوص، وحدثنا وكيع، حتى ذكر الباب، ثم قال: وإيش تحفظ في باب كذا؟ فلم يذكر الفتى شيئًا، فما زال المأمون يقول: حدثنا حجاج بن محمد، وحدثنا فلان وفلان، حتى ذكر الباب، ثم التفت إلى الفضل، فقال: أحدهم يطلب الحديث ثلاثة أيام ثم يقول أنا من أصحاب الحديث، أعطوه ثلاثة آلاف درهم. المنتظم ٥٣-٥٤/ ١٠.

* وعن أبي القاسم علي بن الحسن بن أبي عثمان أنه قال: إن عضد الدولة كان قد بعث القاضي **أبا بكر الباقلاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٣) في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله في العلم، فأفكر الملك في أمره وعلم أنه لا يفكر له إذا دخل عليه كما جرى رسم الرعية أن يقبل الأرض بين يدي الملوك، ثم نتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يُمَكِّن أحدًا أن يدخل منه إلا راكعًا ليدخل القاضي منه على تلك الحال عوضًا من تفكيره بين يديه، فلما وضع سريره في ذلك الموضع أمر بإدخال القاضي من الباب، فسار حتى وصل إلى المكان فلما رآه تفكر فيه ثم فطن بالقصة، فأدار ظهره وحنى رأسه ودخل من الباب، وهو يمشي إلى خلفه وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب ظهره وأدار وجهه حينئذ إلى الملك، فعجب من فطنته ووقعت له الهيبة في نفسه. المنتظم ٩٦/ ١٥.

* وقرأ الشيخ محمد بن حمد الهُدَيبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ القرآن ثم العلم على الشيخ **إبراهيم ابن حمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٦)، ولازمه ملازمةً كلّيّة، وأحبّه الشيخُ محبّةً أكيدة، وأخبرني أنه قال: خطب إليّ شيخي بنتي فأجبته، فقال لي: لا، أخاف عليك من كلام الناس؛ لأنك قبِلِيّ وأنا لستُ بقبِلِيّ[1]، وهذا عند الناس مُسْتنكرًا.

فقلت: لا أسأل عن كلام الناس.

فقال: لا أرضى أن يتكلّم فيكَ أحد.

وقال: لَمَّا عزمتُ على الرحلة لسُكنى الحرمين الشريفين عذلني وقال لي: أين تفارق أصحابك! تستوحش لهم ويستوحشون لك؟ ولا تجد من يُذاكرك بالفقه، وكلامًا من هذا القبيل، فلم ألتفت، فلما رآني مصممًا بكى، وقال: يا ليتني شعرة في جسدك، فكاد ينخلع قلبي لفراقه، وكدت أرجعُ عن عزمي.[2] السحب الوابلة (٢/ ٩١٠).

* وكان الإمام **مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) يلبس الثياب العدنية الجياد، والخراسانية والمصرية المرتفعة البيض، ويتطيب بطيب جيد، ويقول: ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا ويُرى أثر نعمته عليه، وخاصة أهل العلم، وكان يقول: أحب للقارئ أن يكون أبيض الثياب.

وكان يستعمل الطيب الجيد، المسكَ وغيره.

وكان **مالك** يجلس في منزله على نمارق[3] مطروحة، يمنة ويسرة في سائر البيوت لمن يأتيه من قريش والأنصار ووجوه الناس.

---

(١) جاء في الهامش: القبِلِيّ عند أهل نجد: هو الذي ينتمي إلى أُرومة عربيّة، وغير القبِلِيّ: هو الذي إما لا ينتمي إلى قبيلة عربية، وإما لم يُحفظ انتماؤه إليها.

(٢) هكذا ينبغي أن تكون علامة الشيخ مع تلميذه، فيها المحبة الأكيدة، والتفقد له، والسؤال عن حاله، والإفصاح عن مشاعره تجاهه.

(٣) أي: وسائد.

وقيل له: ما شرابك يا أبا عبدالله؟ قال: في الصيف السكر وفي الشتاء العسل. ترتيب المدارك (١/ ١٠١-١٠٣).

* وكان رؤساء زمان **ابن الخشاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٧) وزراء وقته يودّون مُجالسته، ويتمنّون مُحاضرته فلا يَفعل.[١].

وكان إذا رفعها -أي العمامة- عن رأسه ثم أراد لبسها تركها على رأسه كيف اتفق، فتجيء عذبتها تارة من تلقاء وجهه، وتارة عن يمينه، وتارة عن شماله، فلا يغيرها.[٢].

فإذا قيل له في ذلك، يقول: ما استوت العمة على رأس عاقل قط.[٣].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ظريفًا مَزّاحًا ذا نوادر:**

منها: أنه كان يومًا في داره في وقت القيلولة والحر الشديد وقد نام، إذ طُرق عليه الباب طرقًا مزعجًا، فانتبه فخرج مبادرًا، وإذا رجلان من العامَّة، قَالَ: ما خطبكما؟ فقالا: نحن شاعران، وقد قَالَ كل واحد منا قصيدة وزعم أنها أجود من قصيدة صاحبه، وقد رضينا بحكمك، فقال: ليبدأ أحدكما.

قال: فانشد أحدهما قصيدته وهو مصغٍ إليه، حتى فرغ منها، وهمَّ الآخر بالإنشاد، فقال له ابن الخشاب: على رسلك، فشعرك أجود، فقال: كيف خبرت شعري ولم تسمعه؟.

فقال: لأنه لا يكون شيء أبخس من شعر هذا.. ذيل الطبقات (٢/ ٢٥٣).

* وكان الذين يحضرون مجلس **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠) من

---

(١) رغبة في السلامة مِن تَبِعات الجلوس مع أهل الغنى والترف والسلطة، وهذا محمود لمن لم يثق بقوةِ إيمانه وعلمه وعزيمته وقناعته.

(٢) وهذا يحدث كثيرًا ممن يلبس الغُترة في هذا الزمان.

(٣) في هذا مواساة لمن قلّ اعتناؤه بترتيب لبس الغترة، فله سلف في ذلك.

العُبَّاد أكثر مِمَّن يحضره من طلبة العلم، كانوا يأتونه من أقطار الأرض.[١] ترتيب المدارك (٢/ ٩٩).

* وقال **يحيى بن عمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما قدمت إلى سحنون بن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسألت عنه، فقيل لي: خرج إلى البادية، فجئته، فرأيت رجلًا أشعر، عليه جبة صوف ومنديل، وهو متولٍّ حرثه وشأنه، فاستصْغرته، وندمت على تركي من تركت بالمشرق ومجيئي إليه، وقلت: ما أراه يحفظ شيئًا من العلم، فرحَّب بي، فلما جالسته في العلم رأيت بحرًا لا تكدره الدلاء، والله العظيم ما رأيت مثله قط، كأنما جمع العلم عينيه في صدره.[٢] ترتيب المدارك (٢/ ١٠١).

* وقال ابن حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **ابن العطار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩) متفننًا في علوم الإسلام، وثابتًا في الفقه، لا نظير له، حاذقًا بالشروط، وأملى فيها كتابًا عليه معول أهل زماننا.

وكان يَفْضُل فقهاء وقته بمعرفته بالنحو واللسان، فكان لا يزال يزري بأصحابه المفتين، ويعجب بما عنده، إلى أن تمالؤوا عليه بالعداوة، وحملوا قاضيهم ابن زَرْب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨١)[٣] على إسقاطه، وهو الذي رقَّاه إلى الشورى أول ولايته، فجرى له مع الفقهاء أخبار كثيرة.

وكان الذي يُهَيِّج أحقادهم عليه عجبٌ فيه، وشكاسةٌ في خلقه.

وكان السبب في مطالبة ابن زرب له ومساعدة أعدائه عليه: أنَّ ابن العطار سبق

(١) العالم إذا كان عابدا عظُم نفعه، وكثرت بركته، وبُورك في علمِه، ولذلك قال ابن عجلان الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سحنون بن سعيد العالم العابد الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما بورك لأحد بعد أصحاب رسول الله ﷺ ما بُورك لسحنون في أصحابه، إنهم في كلّ بلد أئمة.

(٢) إذا صدق طالب العلم ابتعد عن التكلف، ولم يتحرج من مباشرة شؤونه في البيت وخارجه، ولا ينبغي احقار الناس لأجل مظاهرهم، فكم من رجل لا يُنبئ مظهرُه عن مخبره.

(٣) العلامة، شيخ المالكية في وقته.

بالفتح عليه يوم الجمعة في خطبته لتوقُّفٍ عراه، فقال ابن زرب: وكفوا ألسنتكم عن الرفث، فلم يكد يقف حتى قال ابن العطار قبيح القول، فنظره ابن زرب شزرًا ومضى في خطبته، وقد توقَّد عليه غضبًا شغله في الصلاة، فأسقط من القراءة، ففتح عليه ابن العطار أيضًا، فكانت سببَ تغيُّرِه عليه.

وكان ابن العطار قد ردّ على ابن أبي عامر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] قولًا قاله، وذلك أنه حكى حكاية قال فيها: فلفَعَه -بالفاء- بعينه أي أصابه ففطن ابن العطار لخطئه، ولم يكن يصبر عليها لشرهه[٢]، فاستطرد بذكر حكايةٍ من ذلك المعنى: فلقعه بعينه -على الصواب-.

ففطن ابن أبي عامر لمراده وقال: لو علمنا سقوط الهيبة لاشترطنا حسن المجالسة.[٣].

فإذا ابن صاعد قد مَثَل، فسأله، فقال: يقال بالقاف والفاء، والقاف أشهرهما، فأخذها ابن أبي عامر حُجَّة، وأَقْبَلَ على توبيخ ابن العطار وتبكيته، وأمر بإخراجه، ومكَّن منه أعداءه، فقاموا في ذلك، وحمل ابن زرب على كشف معايبه.

---

(١) الملك، المنصور، حاجب الممالك الأندلسية، أبو عامر محمد بن عبدالله بن أبي عامر محمد ابن وليد القحطاني، القرطبي، القائم بأعباء دولة الخليفة المرواني المؤيد بالله هشام بن الحكم أمير الأندلس، فإن هذا المؤيد استُخلف ابن تسع سنين، ورُدَّت مقاليد الأمور إلى الحاجب هذا.

وكان بطلا شجاعا، حازما سائسا، غزَّاء عالما، جمَّ المحاسن، كثير الفتوحات، عالي الهمة، عديم النظير.

دام في المملكة نيفا وعشرين سنة، ودانت له الجزيرة، وأمنت به. [السِّيَر (٣٣/ ٨)].

(٢) وعدمُ الصبر هو الذي أورد العقلاء والفضلاء المهالك، وما يُغني كمال عقل الإنسان، وسعة علمه إذا كان قليل الصبر؟

(٣) أي: لو علمنا أنّ أحدًا سيُسقط هيبتي، ويتجرأ عليّ: لاشترطت على من جالسني أن يتحلى بالأدب ومراعاة الجلوس عندي.

واستأذن للحج، فأُذن له فرحل وقضى فرضه، واجتمع في طريقه هذا بجماعة من علماء الأمصار فاعترفوا بفضله.

ثم انصرف إلى الأندلس، وقد كملت خصاله، ونقصت شكاسة خلقه، وكبر سنُّه، واعتدلت حاله، فلاطف ابن أبي عامر فانفسح له، ورحب به.[1] ترتيب المدارك (٤/ ٢٠١-٢٠٤).

* وقد سارت الركبان بقصيدةِ **القاسم بن فِيرُّة الشاطبي** المقرئ الضرير (ت: ٥٩٠) «حرز الأماني» و«عقيلة أتراب القصائد» اللتين في القراءات والرسم، وحفظهما خلقٌ لا يُحصَون، وخضع لهما فحول الشعراء، وكبار البلغاء، وحذّاق القُراء، فلقد أبدع وأوجز، وسهَّل الصعب، وكان موصوفا أيضا بالزهد والعبادة والانقطاع، عاش الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اثنتين وخمسين سنة..

قال السخاوي: جرت بينه وبين الشيطان مخاطبة، فقال لي: [إنْ][2] فعلت كذا فسأُهلِكك، فقلت له: والله ما أبالي بك.

وقال: كنتُ يومًا في طريق وتخلَّف عني من كان معي، وأنا على الدابة، وأقبل اثنان فسبَّني أحدهما سبًّا قبيحًا، وأقبلت على الاستعاذة، وبقي كذلك ما شاء الله، ثم قال له الآخر: دعه، وفي تلك الحال لحقني من كان معي فأخبرته بذلك، فطلب يمينًا وشمالًا فلم يجد أحدًا.

وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوّه، وإذا سُئِل عن حاله قال: العافية، لا يزيد على ذلك.

(١) انظر إلى العجلة وعدم الصبر كيف أدّت بابن العطار إلى عداوةِ أشراف الناس له، وتكالبهم عليه، وحينما كبر سنّه ونقصت شكاسة خلقه: هجر ما كان عليه من العجلة والمواجهة بعنف، فقلّ أعداؤه، وكثر أحبابه.

وقد صدق النبي ﷺ حين قال: إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

وكان مجتنبًا فضول الكلام، فلا يتكلم **إلا فيما تدعو إليه الضرورة**، ويمنع جُلَساءه من الخوض في شيء إلا في العلم والقرآن، ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة في هيئة حَسنة وخضوعٍ واستكانة. معرفة القراء (٣/ ١١١٠-١١١٥).

* وكان **والد أبي حامد الغزّالي** رَحِمَهُمَااللَّهُ يغزِل الصوف، ويبيعه في دكانه بطوس، فلما احتُضر أوصى بولديه محمد وأحمد إلى صديقٍ له صالح يعلِّمهما الخَط، وفَنِيَ ما خلَّف لهما أبوهما، وتعذَّر عليهما القوت، فقال: أرى لكما أن تلجآ إلى المدرسة كأنكما طالبا علم، قال **أبو حامد الغزالي** (ت: ٥٠٥): فصرنا إلى المدرسة نطلب الفِقه، ليس المراد إلا تحصيل القوت، **فأبى أن يكون إلا لله**. طبقات الشافعيين (٢/ ٩٧).

* الحافظ الكبير **أبو القاسم ابن عساكر** رَحِمَهُاللَّهُ (ت: ٥٧١) فخر الشافعية، وإمام أهل الحديث في زمانه، وحامل لوائهم، صاحب تاريخ دمشق، وغير ذلك من المصنفات المفيدة المشهورة، سمِع من مشايخ كبار وصغار نحوًا من ألف وثلاث مائة شيخ، وثمانين امرأة.[1] طبقات الشافعيين (٢/ ١٥٧).

* واتصل القاضي **أَبُو المحاسِنِ ابنِ شداد** رَحِمَهُاللَّهُ (ت: ٦٣٢) بخدمة صلاح الدين رَحِمَهُاللَّهُ سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ثم ولّاه قضاء العَسكر والحكم بالقُدس الشريف..

وكانت حَلَب في ذلك الزمان قليلة المدارس، وليس بها من العلماء إلا نفرٌ يسير، فاعتنى أبو المحاسن المذكور بترتيب أمورها وجمع الفقهاء بها، وعُمرت

(١) كانت الأمة الإسلامية إلى وقت قريب تزخر بالعالِمات الصالحات، اللاتي حملن لواء سنة النبي ﷺ، فعملن بها، وبلَّغنها وحدّثن بها، وكان العلماء الكبار منذ زمن الصحابة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ إلى وقتٍ قريب يستفيدون منهن، ويأخذون العلم منهن، فالإسلام كرَّم المرأة ورفع شأنها، وأعلى قدرها، وشرَّف منزلتها، ولم تكن يومًا مهمَّشة حقيرة، بل عزيزة مصونة، تشارك الرجال في التعلُّم والتعليم والجهاد والدعوة إلى الله تعالى.

في أيامه المدارس الكثيرة. وكان الملك الظاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد قرَّر له إقطاعًا جيدًا يحصل منه جملة مستكثرة، ولم يكن له خرجٌ كثير، فإنه لم يولد له ولا كان له أقارب، فتوفَّر له شيء كثير..

ولما صارت حَلَب على هذه الصورة قصدها الفُقهاء من البلاد، وحصل بها الاشتغال والاستفادة، وكثر الجمع بها..

كان القاضي أبو المحاسن المذكور بيده حلَّ الأمور وعَقدها، لم يكن لأحدٍ معه في الدولة كلام..

كان للفقهاء في أيامه حُرمة تامة ورعاية كبيرة، خصوصًا جماعة مدرسته، فإنهم كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سماطه، وكنا نُسمّع عليه الحديث، ونَتردد إليه في داره، فقد كانت له قبّة تختص به، وهي شتوية، لا يجلس في الصيف والشتاء إلا فيها، لأن الهَرَم[1] كان قد أثَّر فيه حتى صار كفرخِ الطائر من الضَّعف، لا يَقدر على الحركة للصلاة وغيرها إلا بمشقةٍ عظيمة؛ وكانت النَّزلات تعتريه في دماغه فلا يُفارق تلك القُبّة..

وكان لا يخرج لصلاة الجمعة إلا في شدة القَيظ[2]، وإذا قام إلى الصلاة بعد الجهد يكاد يسقط، ولقد كنتُ أنظر إلى ساقيه إذا وقف للصلاة وكأنهما عودان رقيقان لا لحم عليهما..

وكان كلَّما نظر إلى نفسه على تلك الحال مِن الضعف والعجز عن القيام والقعود والصلاة وسائر الحركات، ينشد:

مـن يتمـن العمـر فليـدَّرع صبـرًا علـى فقـد أحبائـه

---

(١) كبر السن.

(٢) الحر الشديد.

ومـن يعمّـر يسـر في نفسـه ... مـا يتمنـاه لأعدائـه

[وفيات الأعيان (٧/ ٨٤-٩٣)].

* وكان **أبو زكريا النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٦) يُتَوسَّم فيه النجابة مِن صِغره، وقدِم دمشق في سنة تسع وأربعين، وقرأ التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وحفِظ ربع المهذَّب في بقية السنة، ولزم شيخه الكمال إسحاق بن أحمد المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومكث قريبًا من سنتين لا يضع جنبه إلى الأرض، وإنما يتقوَّت بجراية الرواحية التي هو مقيمٌ بها.

وكان يقرأ في اليوم اثني عشر درسًا على المشايخ شرحًا وتصحيحًا.

قال: وعزمت مرةً على الاشتغال بالطِّب، فاشتريتُ القانون[1] لأقرأه فأُظلم على قلبي، وبقيت أيامًا لا أشتغل بشيء، ففكرتُ فإذا من القانون فبِعته في الحال، وأخذ العلم عن جماعة من الشيوخ، وبورك له في وقته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على جانبٍ كبير من العِلم والزُّهد والتقشُّف والاقتصاد في العيش والصبر على خُشونته، والورع الذي لم يبلغنا عن أحدٍ في زمانه، ولا قبله بدهرٍ طويل، فكان لا يدخل الحمّام[2]، ولا يأكل من فواكه دمشق لما في بساتينها من الشُّبَه في ضمانها والحيلة فيه، صرَّح بذلك، وكان لا يأكل إلا أكلةً واحدة في اليوم والليلة بعد عشاء الأخيرة، ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السَّحر، ولا يشرب المبرد، ولم يتزوَّج قط[3]، وكان قليل النوم، كثير السهر في العبادة والتلاوة

(١) أي كتاب القانون في الطب لابن سينا.

(٢) وهو الحمام الذي يقصده الناس لأجل الترويح (مثل الحمامات التركية المعروفة الآن).

(٣) كونه لا يأكل إلا أكلةً واحدة في اليوم والليلة بعد عشاء الأخيرة، ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السَّحر، ولا يشرب المبرد، ولم يتزوَّج قط: ليس من السنة، ولكنه رأى ذلك أصلح وأنسب له، وعدمُ زواجه قد يكون لعذر لا نعلمه.

والذِّكر والتَّصنيف، **وكان أمَّارًا بالمعروف نهَّاءً عن المنكر**، يواجه الأمراء والكبار والملوك بذلك ويصدع بالحق.

وقام على الملك الظاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دار العدل في قضية الغوطة لما أرادوا وضع الأملاك على بستانها فردَّ عليهم ذلك، ووقى الله شرها بعد أن غضب السُّلطان، وأراد البطش به، ثم بعد ذلك أحبَّه وعظَّمه حتى كان يقول: أنا أفزعُ منه.

وقد ولي الشيخ محيي الدين مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد الشيخ شهاب الدين أبي شامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة خمس وستين إلى أن تُوفي، **ولم يتناول من مَعلومها فلسًا**، ولم يَقبل لأحدٍ هدية إلا نادرًا، وإنما كان يتقوَّت مما يأتيه مِن أبيه مِن نوى كعكٍ وفطير، وكان لا يؤبَه له بين الناس، وعليه سكينة ووقار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)] طبقات الشافعيين (٢/ ٣٤٧-٣٤٩).

* وكَانَ **أَبُو مُحَمَّد السَّعْدِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٨٢): فَارغًا عَن طلب الرِّئَاسَة فِي الدُّنْيَا، لَيْسَ لَهُ شغل وَلَا لَذَّة إِلَّا فِي الِاشْتِغَال فِي الْعلم والمطالعة.

وَلَا يتَرَدَّد إِلَى أهل الدولة.

وَله أورادٌ لَا يخلّ بهَا من الصَّلاة وَالقِرَاءَة، والمواظبة على صَلَاة الْجُمُعَة بالجامع الْأمَوِي -مَعَ بُعد دَاره عَنهُ- لَا يخل بذلك.

وَلَا يخرج من بَيته إِلَّا على طَهَارَة، وَيُحب التَّوسعَة على أَهله وَعِيَاله فِي النَّفَقَة.

وَلَا يحْسُد أحدًا، ويُجانِب الشَّرّ مَا اسْتَطَاعَ، وَكَانَ محبَّبًا إِلَى النَّاس.[(٢)] طبقات الشافعية (٢/ ٢٢١).

---

(١) إنما رزق الله تعالى النووي القبول والمكانة والبركة بعد توفيق الله بسبب صدقه وإخلاصه وصبره في طلب العلم، وورعه وزهده عما في أيدي الناس، وقوّته في الحق.

(٢) ما أعظم هذه الأخلاق، وما أجل هذا السجايا.

* وقال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حفظ الشيخ **جمال الدين ابن نصر الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٨٩) القُرآن، وعمدة الْأَحْكَام، والخرقي، وألفية النَّحْو، وَعرض على جمَاعَة كشيخنا[١]، وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَشْيَاء، وَكَذَا قَرَأَ على أَبِيه مُسْند إِمَامه[٢] وَغَيره، وَأخذ عَنهُ الْفِقْه غير مرّة، بل ومختصر الطوفي فِي الْأُصُول، والجرجانية فِي النَّحْو، وَعَن الْعِزّ عبد السَّلَام الْبَغْدَادِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الصّرْف وَغَيره، وَعَن أبي الْجُود رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الْفَرَائِض والحساب، وَسمع أَيْضا على الزين الزَّرْكَشِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صَحِيح مُسلم، وعَلى أبي عبدالله بن الْمصْرِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنَن ابْن ماجة..

وَأَجَازَ لَهُ خلق، بل أذن لَهُ وَالِده رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي التدريس والإفتاء، وَأذن لَهُ فِي الْعُقُود والفسوخ، بل وَالْقَضَاء، وَكَذَا أذن لَهُ شَيخنَا وَغَيره فِي الإقراء، وَاسْتقر بعد أَبِيه فِي تدريس الْفِقْه بالمنصورية والبرقوقية، وَحضر عِنْده فيهمَا الْقُضَاة والأعيان.

وَمَعَ ذَلِك فَاحْتَاجَ لقلة تدبيره وسوء تصرّفه إِلَى الْمُبَاشرَة بديوان الْأَمِير لِيَرْتَفِق بمعلُومها، وأَكْثَرَ من التشكّي وامتهان نفسه، ومُخالطِته قبل ذَلِك وَبعده لذوي السّفه..

وَقد درس وَأَفْتى وَحدث باليسير، أَخذ عَنهُ بعض صغَار الطّلبَة، وَكَانَ يستحضر كثيرا من الْفُرُوع وَغَيرهَا، وَفِي تصَوُّره توقف.

ومع ذلك **فلو كان مُتصوّنا ما تقدّم عليه بعد العزّ غيرُه.**[٣] [الضوء اللامع

---

(١) أي: الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أي: الإمام أحمد بن حنبل.

(٣) العبرة من هذا: أن هذا العالم قد حصّل العلم وحفظ ودرس على كبار العلماء، وأجازوه في الإفتاء والتدريس، حتى حضر عِنْده الْقُضَاة والأعيان، لكنه لم يعتن بالمال، وضيّعه بما لا حاجة فيه، حتى احتاج، فاضطر إلى العمل وامتهان نفسه، وكَثُر انشغاله، وضاع كثير من علمه، فأثر ذلك على علوّ همّته، وجودة فهمه، وكثرة محفوظاته، وغزارة علمه. =

لأهل القرن التاسع (١٠/ ٣٠٠).

* وقال الشيخ راشد بن علي بن جريس رَحِمَهُ ٱللَّهُ للعلامة السيد **صدّيق بن حسن خان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠٧) في بهوبال من البلاد الهندية[١]: لي أصحاب ينيفون على خمس مئة ألف نفس من الرجال والنساء والأطفال، كلنا على معتقدكم الطاهر المطهر، ومؤلفات مشايخنا مطابقة لما أنتم عليه وما نحن عليه، فالحمد لله الذي نصر الحق بكم على حين فترة من أنصاره ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

وكنا قبل نحسب أن هذه الطريقة السلفية لنا، ليس لنا فيها مشارك في الدنيا حتى وقفتُ على بعض مؤلفاتكم الشريفة، فازددت بها فرحًا وسرورًا.[٢] علماء نجد (٢/ ١٤٧).

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٣): حدثني سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل شيخ قال: خرج الشيخ **سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣٣) مع بعض أصحابه إلى أحد بساتين الدرعية، فامتحنوه في تمييز شجرة البطيخ من شجرة الدُّباء فلم يميّز بينهما، وحدّث الثقات عنه أنه كان يقول: معرفتي برجال الحديث أكثر من معرفتي برجال الدرعية.

والقصد أنه لم يشغل نفسه بغير العلم تعلّما وبحثا ومراجعة. علماء نجد (٢/ ٢٨٢).

= فليتنبّه لذلك طالب العلم، وليحرص على جمع المال من حلّه، وعدم صرفه إلا عند الحاجة الملحة، ولا يكثر من شراء الكتب التي لا يحتاجها.

(١) جاءت رسالته في كتاب العلامة صدّيق: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (٥١٧)، وقد نقلت نصّه منها.

(٢) هذا يدل على أن كل من تأمل في الكتاب والسنة، وصدق في طلب الحق، وترك التقليد والجمود: فإنه سيهتدي إلى عقيدة السلف الصالح.

* ورحل الشيخ **سليمان بن عليّ بن مقبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠٤) إلى دمشق لطلب العلم، ثم عاد إلى قريته المنسَى التابعة لمدينة بريدة، ووالده يظن أنه سافر لكسب المال، فلما نزل عن راحلته المثقلة بحملها، ظنّ أبوه أنّ هذه هدايا وكسوة ونفقة، فلم يفجأ إلا بفك الحمل عن كتب علمية، فقال: يا بني، كنت أظن أن هذا مال، وإذا به هذه القراطيس!.

فقال الابن: يا أبي، في هذه القراطيس خير الدنيا والآخرة. علماء نجد (٢/ ٣٠٩).

* ويتناقل أهل العلم قصة تدل على عقلية الشيخ **عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٨٢) وبُعد نظره، ذلك أن الشيخ أبا بطين أقام في بريدة عام (١٢٦٩) فدخل شهر رمضان، فوافق إقامته دخول ليلة الثلاثين من شعبان، وكان هناك غيم في الأفق، فأمر قاضي البلد الشيخ سليمان بن عليّ بن مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠٤) بالصيام كما هو الواجب في المشهور من المذهب، فصام الناس وصام معهم الشيخ عبدالله أبا بطين ومن معه، فقال له بعض طلابه: كيف تصوم وأنت في تقريراتك وفتاويك تفتي بكراهة صيام مثل هذا اليوم؟.

فقال: ما دام قاضي البلد يرى هذا فنحن نتبعه، والخلاف شرّ.

مع أنّ هذا القاضي كان أحد تلاميذه! علماء نجد (٢/ ٣١٠-٣١١).

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عاد **الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل سليم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠٢) من الكويت إلى عنيزة وعمره (١٤)، فاشتغل بالعلم من صباه، ولازم الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٦)، الذي كان لا يكبره إلا بثلاث سنوات، وأخبرني أنه أول ما قرأ عليه «ثلاثة الأصول»، وقرأ على غيره من علماء بلده، إلا أنّ الاستفادة والملازمة كانت على الشيخ عبدالرحمن

ابن سعدي.[1] علماء نجد (٣/ ٥٥).

* وقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الشيخ **عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل سليم** وجيها في بلده، ووجيها في أسرته، وكان متحدثا لَبِقًا، لديه فطنة واستحضار وحسن إيراد، فكان طلبة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي دائرين عليه في مكتبة جامع عنيزة في الدرس، وكنت من جملة الحاضرين، فطار عصفور من فرجةٍ بالمكتبة إلى الفرجة الأخرى المقابلة، وكان في منقاره ثمرة فسقطت منه أثناء الطيران، فصار سقوطها في حجر الشيخ ابن سعدي فأخذها، وصار يقلّبها، فقال الشيخ عبدالرحمن: إنّ هذا العصفور لم يعرف آمَن منك على رزقه فاستودعك إياه، فكانت لطيفة، ثم أتْبعها بقصة تشابهها فقال:

ذكر ابن خلكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يدرّس الطلاب في جامع مرو، وكان في يوم شديد البرد، وإذا بحمامة يطاردها صقر في أورقة الجامع، فلما دنا منها وكاد يخطفها دخلت في جبّة الشيخ الرازي، وسلمت من الصقر الجارح، وكان من جملة طلبة الرازي الحاضرين الشاعر ابن عنين، فارتجل في الحال هذه الأبيات:

جاءت سليمانَ الزمانِ حمامةٌ ... والموت يلمع من جناحيْ خاطف
لجأت إليك وقد تدانى حتفها ... فرددته عنها بقلب واجف
مَن علّم الورقاء أنّ محلّكم ... حرمٌ وأنك ملجأٌ للخائف

فاستحسن الشيخ والحاضرون هذه البديهة وسرعة هذا الخاطر. علماء نجد (٣/ ٥٦).

---

(١) فالشيخ قد نبغ وبرز في العلم منذ صغره رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكنه حينها لم يكن وصل إلى درجة الاجتهاد وبلغ رتبة العلماء الكبار، ومع ذلك لم يمنعه ذلك من التدريس ونفع الناس، مع وجود من هو أعلم وأكبر منه في بلده.

* وشرب الشيخ **عبدالله الداود** من مشايخه عداوة الدعوة السلفية، وقد صنّف في الردّ عليها كتابا سماه: الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود، إلا أن الله أبقى هذه الدعوة الطيبة في نموّ وتوسع في المشارق والمغارب، وذهبت رعوده وبروقه، فالحمد لله على المعتقد الحسن.[1] علماء نجد (٤/ ٨٨).

* وكان شخص يقرأ على الشيخ **محمد بن عبدالرحمن الأحسائي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٦٤) مع رفقة له في «قواعد الإعراب»، فلما خرج قال لبعض الطلبة: لم يزدنا الشيخ على ما في الشرح!.

فنُقلت هذه الكلمة إلى الشيخ، فلما كان من الغد وحضر الطلبة قال الشيخ لذلك الشخص: اقرأ الدرس الماضي، فقرأه وشرع الشيخ في التقرير بأبلغ عبارة، وأوسع نقل إلى الضحوة، ثم قال لذلك التلميذ: ما فهمت من هذا؟ فقال: لم أفهم شيئا منه، فقال: لهذا لم أزدك على ما في الشرح. السحب الوابلة (٣/ ٩٢٨).

* وكان الشيخ **فوزان بن سابق بن فوزان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٧٣) من العلماء الأفاضل، ولقد كان مع طلبه العلم يشتغل بتجارة الخيل والمواشي حتى اختاره الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ليكون سفيرًا له بدمشق، ثم نقله إلى القاهرة، وبقي سفيرًا في القاهرة إلى آخر أيام حياته.

وقد طلب من الملك عبدالعزيز عدَّة مرات أن يُعفِيَه من العمل، ولكن الملك عبدالعزيز لا يوافق على ذلك، حتى بلغ أكثر من تسعين عامًا، عندها أعفاه من العمل، وأبقى له شخصيته الاعتبارية هناك.

---

(١) حُوربت الدعوة السلفية منذ قيام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بالدعوة إليها، ولم يدع إلى شيء مبتدع، بل دعا إلى الله وإلى التمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، لا على فهم الخلف وأهل الأهواء والآراء الضالة، ولقد ذهبت جهود المحاربين للدعوة سدى بحمد الله، وبقي الحق كالشمس في وَضَح النهار.

وكان عميدًا للسِّلْك السياسي بمصر مدةً تزيد عن ثلاثين سنة، وله مكانة خاصة عند الملك عبدالعزيز، فهو لا يُعامِله كموظف، وإنَّما يعامله كشخصيةٍ لها مكانتُها في المجتمع.

والشيخ فوزان رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الذي عرَّف المصريين بمُعتَقَد أهل نجد، وأنهَّم على مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وقد شرح هذا الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة للشيخ فوزان بعد وفاته، ذكر فيها فضائله وشيئًا من أعماله وصفاته، والشيخ حامد الفقي هو الذي غسَّل وكفَّن الشيخ فوزان بوصية من فوزان، وهذا دليل على تقدير العلماء للشيخ فوزان.

وكان إذا علم بين أحد من أهل نجد نزاعًا أو خلافًا حَلَّ مشكلتهم برأيه وماله، وله هَيبة عظيمة وتقدير في نفوس الرعايا السعوديين؛ إذ كان تجار الخيل والإبل يرتادون مصر بالألوف سنويًّا، ويُقيم بعضُهم هناك عدَّة شهور للتجارة بالخيل والإبل والأغنام.

وقد هرب من الشام إلى مصر وقتَ ولاية التُّرك على الشام، وهروبه مع إبل للبسام بهيئة بدوي، كما أفاد ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبعض أقاربنا، وهروبه من الحكومة التركية حينما كانت تقبض على رجال العرب الذين لهم نشاط سياسي.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من رجال الدِّين والدنيا، ومن أهل الفضل، فقد كان منزله بمصر أكثر من أربعين عامًا موْئلًا وملجأ لأهل نجد ورجال العرب الذين لهم نشاط سياسي، ولم يكن يجهل أحوال المقيمين هناك، بل كان يتفقَّد أحوالهم ويساعد المحتاجين منهم، وكان يخصِّص للفقراء والمحتاجين منهم مخصَّصات شهرية من ماله الخاص، وكان إذا علم عند أحد من الرعايا السعوديين ما يُوجِب نُصْحَه

استدعاه ونَصَحه، وربما أمره بمغادرة القاهرة. علماء نجد (٥/ ٣٠٦-٣٠٧).

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني الأخ محمد بن يوسف النافع قال: إن **والدك** والشيخ **محمد بن سليمان البصري** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ خرجا من عندي في إحدى الليالي بعد صلاة العشاء الآخرة، وظلا واقفين يتناقشان حتى بَرَق الفجر. علماء نجد (١/ ٣٢٥-٣٢٦).

* وكان الشيخ **صالح بن عبدالعزيز ابن عثيمين** (ت: ١٤١٠) جادًّا في تحصيل العلم، وصادف مع ذلك سرعة في الحفظ وجودة في الفهم وبُطْأ في النسيان، فمن هذا صار من كبار العلماء، وصار متفننًا، فهو مفسِّر ومحدِّث، وله اطلاع في التوحيد وعقائد المخالفين، وهو فقيه أصولي، وله اطلاع واسع في النحو وعلوم اللغة العربية، وله اهتمام في حفظ النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

بعد هذا الإدراك عاد إلى وطنه مدينة بريدة، وهو يظن بسعة اطلاعه أنه سيتصدر بلاده في التعليم والتدريس، إلا أن بعض أهل العلم في ذلك الزمن عندهم انغلاق ووحشة من كل من يأخذ علومه من خارج البلاد النجدية، فصار بينه وبين قاضي بريدة في ذلك الزمن الشيخ عمر بن سليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحشة وجفوة أدَّتْ إلى أن ترك الشيخ صالح بلده، وسافر إلى مكة المكرمة، فقدمها واتخذ مهنة إصلاح الساعات مهنته لإدرار رزقه ورزق أهله، وسكن حي شعب عامر الذي هو مقُّر النجديين.[١] علماء نجد (٢/ ٤٠٤).

---

(١) عدم العناية والتحفيز للمبدعين والنابهين يؤدي إلى قتل مواهبهم، والحط من هممهم، وفتور عزائمهم، وخاصة عندما يرحل هؤلاء إلى خارج بلدانهم، ويسعون في تحصيل العلوم أو الأعمال النافعة، ثم يرجعون إلى بلدانهم، فلا يجدون من يثني عليهم وعلى جهودهم، ولم يجدوا البيئة التي يستثمرون فيها مواهبهم، وينثرون في أهلها علومهم: فإنهم سينصدمون ويُحبطون، ولذلك نرى كثيرا من المبدعين والنابهين قد ماتت هممهم، وفترت عزائمهم لما رجعوا إلى أوطانهم، فبعض الأوطان مقبرةُ الأذكياء والعلماء.

ز- ما قيل في كتم بعض العلم للمصلحة، وعدم بثه لكل أحد[١]:

* قال **عمر بن الخطاب** (ت: ٢٣): بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع. صحيح مسلم في المقدمة.

* وعن **أبي هريرة** (ت: ٥٩) قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين: فأمَّا أحدهما، فبثثتُه في الناس، وأما الآخرُ، فلو بَثَثْتُه، لقُطِعَ هذا البلعوم. صحيح البخاري: (١١٧).

* وكان يقول: رُبَّ كيسٍ عند أبي هريرة لم يَفتحه. يعني من العلم.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): هذا دالّ على جواز كتمان بعضِ الأحاديث التي تحرك فتنةً في الأصول، أو الفروع، أو المدح والذم.

أما حديثٌ يتعلق بحل أو حرام، فلا يحلُ كتمانهُ بوجه، فإنه من البينات والهدى، وفي صحيح البخاري: قول **عليٍّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حدِّثُوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما يُنكرون، أتُحبُّون أن يُكذب الله ورسوله! وكذا لو بثَّ أبو هريرة ذلك

(١) قال ابن العربي في قَوْله تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة:١٥٩] اسْتَدَلَّ بها عُلَمَاؤُنَا عَلَى وُجُوبِ تَبْلِيغِ= =الْحَقِّ وَبيانِ الْعِلْمِ عَلَى الْجُمْلَةِ. وَلِلْآيَةِ تَحْقِيقٌ هُوَ أَنَّ الْعَالِمَ إذَا قَصَدَ الْكِتْمَانَ عَصَى، وَإِذَا لَمْ يَقْصِدْهُ لَمْ يَلْزَمْهُ التَّبْلِيغُ إذَا عَرَفَ أَنَّ مَعَهُ غَيْرَهُ... وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لَا يُحَدِّثَانِ بِكُلِّ مَا سَمِعَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ إلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إلَيْهِ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ أَقَلَّهُمْ حَدِيثًا مَخَافَةَ أَنْ يُوَاقِعَ الْكَذِبَ - وَلَكِنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ الْعِلْمَ عَمَّ جَمِيعَهُمْ فَسَيُبَلِّغُ وَاحِدٌ إنْ تَرَكَ آخَرُ.
فَإِنْ قِيلَ: فَالتَّبْلِيغُ فَضِيلَةٌ أَوْ فَرْضٌ، فَإِنْ كَانَ فَرْضًا فَكَيْفَ قَصَّرَ فِيهِ هَؤُلَاءِ الْجِلَّةُ كَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَالزُّبَيْرِ، وَأَمْثَالِهِمْ، وَإِنْ كَانَ فَضِيلَةً فَلِمَ قَعَدُوا عَنْهَا؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ مَنْ سُئِلَ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ التَّبْلِيغُ لِهَذِهِ الْآيَةِ - وَلِمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**» وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُسْأَلْ فَلَا يَلْزَمُهُ التَّبْلِيغُ إلَّا فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ.. فَالصَّحِيحُ عِنْدِي مَا أَشَرْنَا إلَيْهِ مِنْ أَنَّهُ إنْ كَانَ هُنَاكَ مَنْ يُبَلِّغُ اُكْتُفِيَ بِهِ، وَإِنْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ لَزِمَهُ، وَسَكَتَ الْخُلَفَاءُ عَنْ الْإِشَارَةِ بِالتَّبْلِيغِ - لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْمَنْصِبِ مَنْ يَرُدُّ مَا يَسْمَعُ أَوْ يُمْضِيهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِعُمُومِ التَّبْلِيغِ فِيهِ. أحكام القرآن ١/ ٧٨، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

الوعاء، لأوذي، بل لقُتل، ولكن العالم قد يؤديه اجتهادُه إلى أن ينشُر الحديث الفلاني إحياءً للسنة، فله ما نوى وله أجر -وإن غلط- في اجتهاده. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٠٩.

* وقال **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣): لا تمنعوا العلم أهله فتأثموا، ولا تحدثوا به غير أهله فتأثموا. تهذيب الحِلْية ٢/١١٦.

* وعن **يزيد بن ميسرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: لا تبذل علمك لمن لا يسأله، ولا تنثر اللؤلؤ عند من لا يلتقطه، ولا تنشر بضاعتك عند من يكسدها عليك. تهذيب الحِلْية ٢/١٩٣.

* وعن **كثير بن مرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) قال: لا تحدث الباطل الحكماء فيمقتوك، ولا تحدث الحكمة للسفهاء، فيكذبوك، ولا تمنع العلم أهله، فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل.

إن عليك في علمك حقا، كما أن عليك في مالك حق. مسند الدارمي (٣٩٠).

* وعن **مطرف بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) قال: لا تطعم طعامك من لا يشتهيه. مسند الدارمي (٣٩٢).

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): يا هؤلاء إن الكلب إذا طرح إليه الذهب والفضة لم يعرفهما، وإذا طرح إليه العظم أكب عليه، كذلك سفهاؤكم لا يعرفون الحق. تهذيب الحِلْية ١/٤١٩.

* وعن **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) قال: ذلٌّ وإهانةٌ للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٥.

* وعن ابن وهب قال: قال لي **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع. ولا يكون إماما أبدا، وهو يحدث بكل ما سمع. صحيح مسلم في المقدمة.

* وقال **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): لا يكون الرجل إماما يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع. صحيح مسلم في المقدمة.

* وقال الشيخُ علمُ الدِّينِ: وفي يومِ الخميسِ منتصف ربيعٍ الأوَّلِ اجتَمع قاضي القُضاةِ شمس الدِّين ابنُ مُسَلمٍ بالشيخِ الإمام العَّلامَةِ **تَقيِّ الدِّين ابنِ تَيْميَّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨)، وأشار عليه بتَرْكِ الإفتاءِ في مسألةِ الحَلفِ بالطَّلاقِ، فقبِل الشيخُ نصيحتَه، وأجابَ إلى ما أشار به؛ رعايةً لخاطرِه وخواطرِ الجماعَةِ المُفتين، ثم ورَد البريدُ في مُستَهلِّ جُمادى الأُولَى بكتابٍ مِن السلطان فيه مَنْعُ الشيخِ تقيِّ الدَّينِ مِن الإفتاءِ في مسألةِ الحلفِ بالطلاقِ، وعُقِدَ في ذلك مجلسٌ، وانفَصَل الحالُ على ما رسَم به السلطانُ، ونودِيَ به في البلدِ، وكان قبلَ قُدُومِ المرسُوم قد اجتَمع بالقاضي ابنِ مُسَلَّمٍ الحَنْبَلِيِّ جماعةٌ مِن المفتِينَ الكبارِ، وقالوا له أن يَنصَح الشيخَ في تركِ الإفتاءِ في مسألةِ الطَّلاقِ، فعَلِمَ الشيخ نصيحتَه، وأنَّه إنَّما قصَد بذلك ترْكَ ثَورَانِ فتْنَةٍ وشرٍّ. البداية والنهاية ١٤ / ١٦٣.

م- ما نُقل عن العلماء من سعة العلم والحفظ وكثرةِ التصانيف:

* قال **الشَّعْبيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣): لو أن رجلًا حفِظ ما نَسِيتُ كان عالمًا. عيون الأخبار ٥٢٩ / ٢.

* وأملى علي **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) عشرين ألف حديث حفظًا. تهذيب الحِلْية ١١٠/ ٣.

* وعن علي بن المديني قال: كان علم **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث كالسحر، وقال نعيم بن حماد: قلت لابن مهدي: كيف تعرف صحيح الحديث من سقيمه؟ قال: كما يعرف الطبيب المجنون. تهذيب الحِلْية ١١٢/ ٣.

* وعن أبي أحمد بن عدي الحافظ قال: سمعت عدة مشايخ يحكون أن

محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٦) قدم إلى بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث قلبوا أسانيدها ومتونها وجعلوا متن هذا لإسناد آخر وإسناد هذا لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري، فحضروا فانتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فما زال يلقي عليه واحدًا بعد واحد، حتى فرغ من العشرة، والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان بعض الفهماء يقول: الرجل فهم. وبعضهم يقضي عليه بالعجز. ثم انتدب رجل آخر فسأله عن حديث من الأحاديث وهو يقول في الحديث: لا أعرفه حتى فرغ من عشرته، ثم الثالث، ثم الرابع، إلى تمام العشرة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه، فلما فرغوا التفت البخاري إلى الأول وقال: أما حديثك الأول فهو كذا، والحديث الثاني كذا، والثالث كذا، حتى أتى على تمام العشرة، فردَّ كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل. وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطَّاح! المنتظم ١١٧-١١٨/ ١٢.

* وعن **أبي زرعة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧٥) أنه قال: إن في بيتي ما كتبته منذ خمسين سنة، ولم أطالعه منذ كتبته، وإني أعلم في أي كتاب هو، وفي أي ورقة هو، في أي صفحة هو، في أي سطر هو، وما سمعت أذني شيئًا من العلم إلا وعاه قلبي، وإني أمشي في سوق بغداد فأسمع من الغرف صوت المغنيات فأضع إصبعي في أذني مخافة أن يعيه قلبي. المنتظم ١٩٤/ ١٢.

* وعن أبي العباس محمد بن جعفر الرازي أنه قال: سئل **أبو زرعة الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مائتي ألف حديث هل حنث؟

قال: لا، ثم قال أبو زرعة: أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث. المنتظم ١٩٤/ ١٢.

* وعن أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال: خرج **أبو بكر بن أبي داود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٦) إلى سجستان في أيام عمرو بن الليث، فاجتمع إليه أصحاب الحديث، وسألوه أن يحدثهم فأبى، وقال: ليس معي كتاب، فقالوا له: ابن أبي داود وكتاب؟ قال: فأثاروني، فأمليت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي، فلما قدمت بغداد قال البغداديون: مضى ابن أبي داود إلى سجستان، ولعب بالناس ثم فَيَّجُوا فيجًا اكتروه بستة دنانير إلى سجستان لأكتب لهم النسخة، فكتبت، وجيء بها إلى بغداد، وعرضت على الحفاظ، فخطئوني في ستة أحاديث منها ثلاثة أحاديث حدثت بها كما حدثت، وثلاثة أحاديث أخطأت فيها. المنتظم ٢٧٦/ ١٣.

* وقال أبو بَكْر بن شاذان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُخرج **أَبُو بكر بن أَبِي داود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى سجستان، فاجتمع إِلَيهِ أصحاب الحديث وسألوه أن يُحدِّثَهم فأبى، وَقَالَ: ليس معي كتاب، فقالوا لَهُ: ابْن أَبِي داود وكتاب؟ قَالَ أَبُو بكر: فأثاروني فأمليتُ عليهم **ثلاثين ألف حديث مِن حِفظي**، فلمّا قَدِمت بغداد قَالَ البغداديون: مضى ابْن أَبِي داود إلى سجستان ولعب بالناس، ثُمَّ فيَّجوا فيجًا[1] اكتروه إلى سجستان ليكتب لهم النسخة، فكتبت وجيء بها إلى بغداد، وعُرضت عَلَى الحفاظ، فخطؤُوني فِي ستة أحاديث، منها ثلاثة حَدَّثت بها كما حُدِّثت، وثلاثة أحاديث أخطأتُ فِيهَا. طبقات الحنابلة (٣/ ٩٨-٩٩).

* وقال ابن طاهر الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت **شيخنا الأنصاريَّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١) يقول: إذا ذكرتُ التفسيرَ فإنما أذكرهُ من مائةٍ وسبعة تفاسير.

---

(١) أي: أرسلوا رسولًا.

قَالَ: وجرى يومًا -وأنا بين يديه- كلامٌ، فقال: أنا أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سردًا، قَالَ: وقطّ ما ذكر في مجلسه حديثًا إلا بإسناده، وكان يُشير إلى صحته وسقمه.

وقال ابن طاهر الحافظ: سمعتُ **أبا إسماعيل الأنصاري** يقول: كتابُ أبي عيسى الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندي أفْيَدُ من كتاب البخاري ومسلم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فقلتُ: لِمَ؟ قَالَ: لأن كتاب البخاري ومسلم لا يصل إلى الفائدة منهما إلا من يكون من أهل المعرفة التامة، وهذا كتاب قد شرح أحاديثه وبيّنها، **فَيَصِل إلى فائدته كلُّ أحدٍ من الناس** من الفقهاء والمحدّثين وغيرهم. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لي شيخنا أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الشيخ جمال الدين بن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أُلين للشيخ **المجد أبي البركات** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٥٢) الفقه، كما أُلين لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الحديد.

قال الذهبي: وأُلين **لابن مالك** النحو كما أُلين لداود الحديد، وأُلين **لشيخنا أبي العباس** العلم كما أُلين لداود الحديد. معرفة القراء (٣/ ١٢٩٦).

* وأملى **أَبُو بكر السَّرخسِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٩٠) الْمَبْسُوط من خاطره، من غير مطالعة كتاب، نَحْو خمسة عشر مجلدا، وَهُوَ في السجْن مَحْبُوس، وَعَن أَسبَاب الْخَلَاص في الدُّنْيَا مأيوس، بِسَبَب كلمة كَانَ فِيهَا من الناصحين، سالكا فِيهَا طَرِيق الراسخين، ليَكُون لَهُ ذخيرة إِلَى يَوْم الدّين، وَإِنَّمَا يتَقَبَّل الله من الْمُتَّقِينَ، وَهُوَ يتَوَلَّى الصَّالِحين. طبقات الحنفية (١٩٩).

* وقال ابن حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان في أول حالِ **أبي عمر أحمد بن عبد الملك الإشبيلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠١) لم يأخذ نفسه بتثقيف علم اللسان، فذاعت[1] في

(١) في الأصل: فزاعت، ولعل المثبت هو الصواب.

فتاويه غرائب من لحنه، نفاها عليه أصحابه، ثم فطن لنفسه، فأشاع ذكرَ مرضٍ حبس نفسه فيه شهرًا عاكفًا على كتاب سيبويه، فخرج مكتفيًا من علم النحو؛ لقوة حفظه، وتقرُّب فهمه، فصلحت حالاته. ترتيب المدارك (٤/ ١٩٠).

* وقال محمد بن طولون الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَقْبل **ابن الْمَبْرِد يوسفُ بن عبد الهادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠٩) على التصنيف في عدّة فنون، حتى بلغت أسماؤها مُجلّدا، رتبها على حروف المعجم!.

وأَكْثَرَ من تخريج الأربعينيات حتى قال لي: إنها بلغت أربعمائة![1].

* وكان **جمال الدين يوسف بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٦) يذكر أن تصانيفه بلغت مائة وزادت، في بضعةٍ وعشرين علما. السحب الوابلة (٣/ ١١٦٨، ١١٨١).

* وبلغ مجموع ما حفظ الشيخ **سعد بن محمد بن سعدان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٦) من الأحاديث سبعة آلاف وخمس مئة.

وكان ابنه عبدالله يمسك بالكتاب والشيخ يراجع محفوظاته غيبا، وقد كان يحفظ الأحاديث بأرقام الصفحات.

وكان لا يحضر جمعة أو جماعة إلا وعظهم وذَكَّرهم وأرشدهم ونصحهم نصيحة، وكان يبدؤها بقوله: هذه كلمات يسيرة، أرجو أن تُصغوا إليها وتعوها، وألا تأخذ من وقتكم الكثير، فخير الكلام ما قلّ ودلّ، ولم يَطُلْ فيُمَلّ.

---

(١) خلال قراءتي لسير العلماء وتاريخهم وطبقاتهم لاحظت أنّ لجلهم مصنفات، قد تربوا لأحدهم على خمسمائة، وهذا المبرد بلغت أسماء مصنفاته مجلدا!، وبلغت تصانيف جمال الدين يوسف بن محمد أكثر من مائة.

لكن الذي كان لها القبول والنفع والبركة لا يبلغ عشر عشرها، كحال البحوث العلمية في الجامعات، التي لا يكاد يُستفاد منها إلا القلة القليلة.

فليست العبرة بكثرة التأليف، بل العبرة بالغاية منه، والصدق والإخلاص لله في نفع المصنف نفسه بمؤلَّفه، ثم بنفع غيره، والعبرة كذلك بجودة التصنيف ومدى حاجة الناس له.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عابدا زاهدا، يُخفي عبادته ولا يُظهرها، وكان كثير الصيام، فيصوم الاثنين والخميس، وأيام البيض، وكان كثير القراءة للقرآن الكريم، فقد كان يختم كلّ ثلاثة أيام. علماء نجد (٢/ ٢٠٠-٢٠٣).

* وقال الشيخ يوسف ياسين عن معاصره الشيخ **عبدالله بن أحمد العجيري** (ت: ١٣٥٢) ومرافقه في أسفار الملك عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان آية في الرواية، ومن أعجب ما رويناه أنه رافق الملك في رحلته الأولى يوم فتح الحجاز، وكان الملك يسير على الإبل، وكان يتلو عليه كل ليلة ونحن على ظهور المطايا من كلام الله وحديث رسول الله ﷺ وكلام العرب الأولين وبعض المتأخرين بين الساعة والساعتين، وداوم على ذلك ما يقرب من ستٍّ وعشرين ليلة، لم يُعِد علينا في ليلة ما ذكره في سابقتها، وكان يتخذ لمحاضرته موضوعا من المواضيع من كتاب الله، ثم يروي ما ورد عن رسول الله ﷺ، ثم ما ذكرتْه العرب في أشعارها وما نقلته في مجالسها من منثور ومنظوم، كل ذلك عن ظهر قلب بغير أن يتّبع في ذلك كتابا معيّنا.

وكان يحفظ القرآن الكريم، وكتب الحديث بالسند، لاسيما مسند الإمام أحمد، وكان يحفظ من كتب الأدب: أدب الكاتب، والأغاني، والأمالي، والبيان والتبيين، والآداب الشرعية، ودواوين شعر مختلفة لا يُحصى عددها، يحفظ هذه الكتب برواياتها وسندها. علماء نجد (٤/ ١٨).

ن- ذكر من مات قبل الكهولة من العلماء، وشيءٍ من أحوالهم:

* قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولد الفقيه الإمام **أَبُو القاسم سيف الدين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة سبع وخمسين وخمسمائة بقاسيون.

قال الحافظ الضياء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اشتغل بالفقه والخلاف والفرائض والنحو،

وصار إمامًا عالمًا، ذكيًا فطنًا، فصيحًا مليح الإيراد، حتى إني سمعتُ بعض الناس يقول عن بعض الفقهاء أنه قَالَ: ما اعترض السيف على مستدل إلا ثلم دليله، وكان يتكلَّم في المسألة غير مستعجلٍ بكلامٍ فصيح، من غير توقفٍ ولا تَتَعْتُع.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حسن الخَلق والخُلق، أنكر منكرًا ببغداد، فضربه الذي أنكر عليه، وكسر ثنيَّته، ثم إنه مُكِّن من ذلك الرجل، فلَم يقتَصَّ منه.

قال: وسافرتُ معه إلى بيتِ المقدس، فرأيتُ منه مِن وَرَعِه وحُسنِ خُلُقه ما تعجَّبتُ منه.

وتوفي بها شابًّا في حياة أبيه، توفي سنة ست وثمانين وخمسمائة.[١] ذيل الطبقات (٢/ ٣٧٩- ٣٨٢).

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المقرئ الحنبلي **أبي عبدالله شعلة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٥٦): الإمام، ناظم كتاب الشمعة في القراءات السبعة، كان شابًا فاضِلًا، ومقرئا محققا ذا ذكاء مُفرط، وفهم ثاقب، ومعرفة تامة بالعربية واللُّغَة، وشِعره في غاية الجودة، نَظَم في الفقه وفي التاريخ وغيره، **وكان مع فرط ذكائه صالحًا زاهدًا متواضعًا.**

كان شيخنا التقي المِقصّاتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصف شمائله وفضائله ويثني عليه، وكان قد حضر بحوثه، وسمع أبا الحسن شيخه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كان أبو عبدالله نائما إلى جانبي فاستيقظ، فقال لي: رأيت الساعة رسول الله ﷺ، فطلبتُ منه العلم؛ فأطعَمَني تمرات.

قال أبو الحسن: ومِن ذلك الوقت فُتح عليه وتكلَّم، توفي سنة ست وخمسين

---

(١) مات دون سنّ الثلاثين، ومع ذلك وصفه ابن رجب بأنه الفقيه الإمام، فالعمر ليس عاملًا أساسيا في نبوغ الإنسان، ولا في رفعته في الدنيا والآخرة.

وستمائة بالموصل، **وله ثلاث وثلاثون سنة**، رَحِمَهُ ٱللَّهُ. معرفة القراء (٣/ ١٣٤٠-١٣٤١).

* وقال عن **محمد بن إسرائيل القصاع المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧١): الإمام الأستاذ **أبو عبدالله السلمي**، الدمشقي، مصنف «المغني» و«الاستبصار» في القراءات والكتابات، انتفعتُ بهما كثيرًا، كان شابًّا ذكيًّا، زكيًّا خيرًا صالحًا متواضعًا، عني بهذا الشأن أتم عناية.

وكان يعيش من كسب يمينه، كان شيخنا البرهان أبو إسحاق الجذامي يبالغ في الثناء على دينه ومعرفته.

وقد جلس وأقرأ الناس وسمع الكثير، وعاجلته المنية، فماتَ قبل الكُهولة، سنة إحدى وسبعين وستمائة أو بعدها، **وله خمس وثلاثون سنة**. معرفة القراء (٣/ ١٣٨٣-١٣٨٤).

ح- الهمَّة في طلب العلم:

* عن **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: لما توفي رسول الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ، فإنهم اليوم كثير.

فقال: واعجبا لك يا ابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه، وهو قائل[1]، فأتوسد ردائي على بابه، فتَسْفِي الريح على وجهي التراب، فيخرج، فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث.

قال: فبقي الرجل حتى رآني، وقد اجتمع الناس علي، فقال: كان هذا الفتى أعقل مني. مسند الدارمي (٥٩٠).

---

(١) أي: نائم في وقت الظهر.

* وعن عبد الله بن بريدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن **رجلا** من أصحاب النبي ﷺ، رحل إلى فضالة بن عبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو بمصر، فقدم عليه وهو يمدّ لناقة له، فقال: مرحبا، قال: أما إني لم آتك زائرا، ولكن سمعت أنا وأنت حديثا من رسول الله ﷺ، رجوت أن يكون عندك منه علم.

قال: كذا وكذا. مسند الدارمي (٥٩١).

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: إن كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة، فسمعناها من أفواههم. مسند الدارمي (٥٨٣).

* وتذكر **ابن شهاب الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) ليلة بعد العشاء حديثا وهو جالس، فما زال ذلك مجلسه حتى أصبح. مسند الدارمي: (٦٢٧).

* وقيل **لابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): إلى كم تكتب الحديث؟ قال: لعلّ الكلمة التي أنتفع بها لم أسمعها بعد.[1] شرف أصحاب الحديث: ٦٨.

* وقال ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أفضى بمالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعد.[2] ترتيب المدارك (١/ ١٠٨).

---

(١) وقل أنت: لعلّ الكلمة التي أنتفع بها لم أسمعها ولم أقرأها بعدُ، فأكثِر من سماع العلم والوعظ، فلعل الكلمة التي تنفعك وتكون سببًا في صلاح قلبك وعملك في إحدى هذه الكتب، أو إحدى هذه المسموعات.

ولا يكن همّك كثرة القراءة والسماع، بل ليكن همك الانتفاع بما تقرأ وتسمع.

(٢) لابد لطالب العلم في بداية طلبه للعلم من الصبر على العلم وعلى شظف العيش، ثم بعد ذلك يوسّع الله عليه ويرزقه من فضله، وليحذر من الانكباب على الدنيا إذا هي أقبلت، وليأخذ منها قدر حاجته، فإن انكبّ عليها قلّ نصيبه وتوفيقه، وأخذته مع من أخذت.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت أمي تعمّمني[١] وتقول لي: اذهب إلى ربيعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتعلم من أدبه قبل علمه. ترتيب المدارك (١/ ١٠٨).

* وقال ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **شهدت مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسأل زيدَ بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه حمل على فرس في سبيل الله، فجعل يرفق به، ويسأله عن الكلمة بعد الأخرى، والشيء بعد الشيء، وكان في خلق زيد شيء.[٢] ترتيب المدارك (١/ ١٠٩).

* وقال **الشاعر**:

ومن يجتهد في نيل أمر ويَصْطبر ... ينَلْـه وإلا بعضُـه إن تعسَّـرا

فمادمت حيًّا فاطلب العلم والعُلى ... ولا تأْل جهدًا أن تموت فتُعْذرا

الآداب الشرعية ١/ ١٦٧.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): حفظتُ القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظتُ الموطأ وأنا ابن عشر سنين.

قال **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤): فهذه همة عالية ممن يحفظ الكتاب والسنة وله من العمر عشر سنين، فرضي الله عنه. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠).

* وتزوج **إسحاق بن راهويه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٨) بامرأةِ رجلٍ كان عنده كتب الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتوفي، لم يتزوج بها إلا لحال كتب الشافعي.[٣] طبقات الشافعيين (١/ ٣٠).

* وقال ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما فقدتُ **إِبْرَاهِيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥) من مجلس نحوٍ أو لُغةٍ خمسين سنة. طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٤).

---

(١) أي: تُلبسني العمامة.

(٢) لابد من الصبر على حدّة الشيخ وسوء خلقه.

(٣) الصادقون سخروا دنياهم لأجل الدين، فرفعهم الله وبارك فيهم.

* وقيل **للإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): إلى متى يَكتُبُ الرجل؟ قَالَ: حتى يموت. طبقات الحنابلة (١/ ٣٧٥).

* وقال له رجل: إني أطلب العلم وإن أمي تمنعني من ذلك، تريد مني أن أشتغل بالتجارة، فقَالَ له: دارِها وأرضِها، ولا تَدَعِ الطَّلَب. طبقات الحنابلة (١/ ٣٧٥).

* وقال **أَبُو عبيد القاسِم بن سلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤): مكثتُ فِي تصنيف هذا الكتاب -غريب الحديث- أربعين سَنَة، وربما كنتُ أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها فِي موضعها من هذا الكتاب، فأبيت ساهرًا فَرَحًا مني بتلك الفائدة، وأحدكم يجيئُني فيُقيم عندي أربعة أشهر، وخمسة أشهر، فيقول: قد أقمتُ الكثير!. طبقات الحنابلة (٢/ ٢١٧).

* وكانت **لمحمد بن سحنون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٦) سُرِّيَّة، فكان عندها يومًا، وقد شُغِل في تأليف كتاب إلى الليل، فحضر الطعام، فاستأذنته، فقال لها: أنا مشغول الساعة، فلما طال عليها جعلت تلقمه الطعام، حتى أتى عليه[1]، وتمادى هو على ما هو فيه إلى أن أذَّن لصلاة الصبح، فقال: شُغِلْنا عنك الليلة، هات ما عندك، فقالت: قد والله يا سيدي ألقمتُه لك، فقال لها: ما شعرتُ بذلك!. ترتيب المدارك (٢/ ٢٢١).

* وكَانَ **ابْنُ الأنباري** يتردد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٨) إلى أولاد الراضي[2]، فكان

---

(١) أي حتى أكله كله.

(٢) هو الخليفة أبو إسحاق محمد، بن المقتدر بالله جعفر، بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل الهاشمي، العباسي، ولد سنة سبع وتسعين ومائتين.
قال أبو بكر الخطيب: له فضائل منها: أنه آخر خليفة خطب يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الندماء، وآخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش. وكانت جوائزه وأموره=

يومًا من الأيام وقد سَأَلَتْهُ جارية عن شيءٍ من تفسير الرؤيا فَقَالَ: أنا حاقن، ثُمَّ مضى، فلما كَانَ مِن غدٍ عاد، وقد صار مُعبرًا للرؤيا، وذاك أنه مضى من يومه وقد دَرَسَ كتاب الكرماني وجاء. طبقات الحنابلة (٣/ ١٣٨).

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) دائم التشاغل بالعلم، حتى أني رأيتُ بخطه: إني لا يحل لي أن أُضِيِّع ساعةً مِن عُمري، حتى إذا تعطَّل لِساني عن مذاكرةٍ ومناظرة، وبصري عن مطالعةٍ، أعمَلتُ فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلاَّ وقد خَطَر لي ما أُسِطِّره، وإني لأجدُ من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنتُ أجدُه وأنا ابن عشرين سنة..

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذكر ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فنونه»: قَالَ حنبلي -يعني نفسه-: أنا أُقصِّرُ بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سَفَّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبزة؛ لأجل ما بينهما مِن تفاوت المضغ، توفرًا على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه.. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).

* وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة **عَبْدالرحيم بن عبدالله الزريراتي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤١) البغدادي: الفقيه، الإمام، وولد ببغداد، ونشأ بِهَا وقرأ الْقُرْآن، وحفظ «المحرر» وَسَمِعَ الْحَدِيث واشتغل.

ثُمَّ رحل إِلَى دمشق..

وارتحل إِلَى مصر، وَسَمِعَ بِهَا من مسنِدها يَحْيَى بن الْمِصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره، ولقي بِهَا أبا حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره.

= على ترتيب المتقدمين منهم، وكان سمحا جوادا أديبا فصيحا محبا للعلماء.

وتوفي سنة تسع وعشرين وثلاث مائة، وله اثنتان وثلاثون سنة، سوى أشهر. [السِّيَر (١١/ ٤٠١)].

وأقام بدمشق مدة، يقرأ فِي المحرر عَلَى الْقَاضِي برهان الدين الزرعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثُمَّ رجع إلى بغداد ودرس بِهَا.

ثُمَّ درَّس بالمجاهدية بَعْد موت صهره شافع.

وحضرتُ درسه وأنا إذْ ذاك صَغِير لا أُحِقُّه جيدًا.

وناب فِي الْقَضَاء ببغداد، واشتهرت فضائله، وخطه فِي غاية الْحَسَن، وَقَد اختصر (فروق السامري) وزاد عَلَيْهَا فوائد واستدراكات من كَلام أَبِيهِ وغيره، واختصر (طبقات الأصحاب) للقاضي أبي الْحُسَيْن، وذيل عَلَيْهَا، وتطلَّبتها فلم أجدها، واختصر (المطلع) لابن أَبِي الفتح، وغير ذَلِكَ.

توفي وَلَهُ من العمر نَحْو الثلاثين سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[1] ذيل الطبقات (٥/ ١٠٤- ١١٥).

* وقال ابن السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: قرأ **أبو علي غلام الهراس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3] (ت: ٤٦٨) بالأمصار، وسافر في طلب القراءات، وأتعب نفسه في التجويد والتحقيق، حتى صار طبقة العصر، ورحل الناس إليه من الأقطار.[4] معرفة القراء (٢/ ٨١٥).

* **أبو القاسم الهذلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٠)، المقرئ، الجوَّال، أحد مَن طوَّف الدنيا في طلب القراءات..

---

(١) تأمل إلى همته في طلب العلم، حيث رحل إلى عدة دول لأجل تحصيل العلم، ثم بذله لِمَا حصّله، فدرّس واختصر وألّف، حتى أصبح إماما، واشتهرت فضائله، ومع ذلك لم يتجاوز سن الثلاثين!

(٢) في كتابه: الأنساب ٤/ ٣٢٣

(٣) شيخ القراء ومسند العراق بالأمصار.

(٤) حينما أتعب نفسه في السفر لطلب العلم والتحقيق صار طبقة العصر، ورحل طلاب العلم إليه للاستفادة من علمه، فلن تبلغ المجد والشرف في العلم حتى تتعب وتصبر وتُثابر، وتأخذ العلم من أهله.

وقد ذكر الشيوخَ الذين قرأ عليهم، وعِدَّتهم مئةٌ واثنان وعشرون شيخًا -ثم ساق الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا منهم-: إلى أن قال[1]: فجُملة مَن لقيتُ في هذا العلم ثلاث مئة وخمسة وستون شيخًا، من آخر المغرب إلى باب فرغانة، يمينًا وشمالًا، وجبلًا وبحرًا، ولو علمتُ أحدًا يُقدَّم عليّ في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدتُه.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما ذكرت شيوخه وإن كان أكثرهم مجهولين لتعلم كيف كانت همة الفضلاء في طلب العلم. معرفة القراء (٢/ ٨١٥-٨١٩).

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨) في ترجمة عبدالرحمن بن عبد الحليم المقرئ الملقب بـ «سحنون» رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٩٥): أدركته وهو منقطع قد أضرَّ، وضعف، فشرعتُ عليه في ختمةٍ لورش وحفص، فعرضتها في أحد عشر يومًا.[2].

* وقال عن شيخه ابن الصواف المقرئ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رحلتُ إليه، فأُدخِلتُ عليه، فوجدته قد أضرّ وأصمّ، ولكن فيه جَلادة وشهامة، وهو في سبْعٍ وثمانين سنة، فقرأت عليه جزءًا، ورفعت صوتي فسمع.

وكلَّمته في أن أجمع عليه السبعة، فقال: اشرع، فقرأتُ عليه الفاتحة، وآيات من البقرة، وهو يرد الخلاف ويرد رواية يعقوب وغيره، مما قرأ به، فقلت: إنما قصدي السبعة فقط، فتخيل مني نقص المعرفة.

وقال: إذا أردت أن تقرأ علي فامض إلى تلميذي فلان، فاقرأ عليه ثم اعرض عليّ، فرأيتُ أن هذا شيءٌ يطول.

---

(١) أي: أبو القاسم.

(٢) انظر إلى همة الحافظ الذهبي، كيف ختم القرآن كله برواية ورش وحفص على شيخه في أحد عشر يوما، وهو دون سن الثالثة والعشرين، بل إنه شرع في جمع السبع في سنة إحدى وتسعين، وكان عمره حينها دون العشرين. معرفة القراء (٣/ ١٤٥٥)

ثم ظفرتُ بسحنون المذكور، وقرأت عليه كما ذكرت لك، وكنت قد وعدت أبي وحلفتُ له أني لا أقيم في الرحلة أكثر من أربعة أشهر، فخِفتُ أن أَعُقَّه.[١] معرفة القراء (٣/ ١٣٦٢-١١٧٣).

* ومكث **ابن جرير الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠) **أربعينَ سنةً يكتب كلَّ يومٍ أربعين ورقة**[٢]، وقال صاحبه أبو محمد الفرغاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَسِبَتْ تلامذته ما صنَّف، وقسَّطوه على عُمره منذ احتلم إلى أن مات، فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٩).

* وقال الفرغاني صاحب **ابن جرير الطبري** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: رحل ابن جرير لمّا ترعرع، وسمح له أبوه في السَّفر -وكان طول حياته يفِد إليه بالشيء بعد الشيء- إلى البلدان، فسمعته يقول: أبطأتْ عني نفقة والدي، واضطررت إلى أن فَتَقْتُ كُمَّيْ القميص فبعتهما.[٣] طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٩).

* وكَانَ **الإِمَام أَبُو بكر الْقفَّال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤١٧) إِحْدَى مفاخر خُرَاسَان، نقي القريحة، ثاقب الْفَهم، سديد الاستنباط والتخريج، دَقِيق النّظر، محظوظًا من التَّحْقِيق.

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ابْتَدَأَ التَّعَلُّم على كبر السّن**، بَعْدَمَا أفنى شبيبته فِي صناعَة الأقفال، وَكَانَ ماهرًا فِيهَا.

قَالَ السَّمْعَانِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَسمعت جمَاعَة من مشيختنا يذكرُونَ أَنه **ابْتَدَأَ التَّعَلُّم وَهُوَ ابْن ثَلَاثِينَ سنة**، فَبَارك الله تَعَالَى فِي تعلُّمه حَتَّى فاق الْعلمَاء فِي فِقهه.

---

(١) انظر إلى جَلَده في طلب العلم، وبرّه بوالده.

(٢) وهناك من يتكاثر قراءة أربعين ورقة في اليوم!

(٣) انظر كيف رَحل عن بلده، وترك أهله، وصبر على الجوع وشظف العيش في سبيل الله تعالى، وحرصًا على طلب العلم، فلا يُنال العلم إلا بالصبر في طلبه.

قَالَ أَبُو مُحَمَّد الْجُوَيْنِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَسمعتُ الْقفال يَقُول: ابتدأت التَّعلُّم وَأَنا لَا أفرّق بَين اختصرتُ واختصرتَ.

وَكَانَ الْقفال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مصابا بِإِحْدَى عَيْنَيْهِ.[١] طبقات الشافعية (١/ ٤٩٧).

* وقال **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤): قَرَأْتُ عَلَى شَيخِنا الحافِظِ الكَبيرِ بَقِيَّةِ السَّلَفِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمِزِّيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **فِي رَمَضَانَ** سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ.. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٠).

وقال: أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمِزِّيُّ -أَثَابَهُ اللهُ- **قِرَاءَةً مِنْ لَفظِهِ يَومَ عِيدِ الْفِطرِ**[٢]، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، بِدَارِ الْحَدِيثِ الأَشْرَفِيَّةِ بِدِمَشْقَ.. طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَرَأْتُ عَلَى الْحَافِظِ الْكَبِيرِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمِزِّيِّ فَسَحَ اللهُ فِي أَجَلِهِ..[٣] طبقات الشافعيين (١/ ٣٥٧).

* وقال **أبو إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧٦): كنت **أعيد الدرس مائة مرة**، وإذا كان في المسألة شاهد من شِعرِ العرب حفظتُ تلك القصيدة بكمالها.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلهذا بَرَز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أهل زمانه، وتقدم على ضربائه

---

(١) طلبَ العلم متأخرًا، وكانت به عاهة في عينه، ومع ذلك لَمَّا صدَقَ مع الله في طلب العلم بارك له فيه، وصار إمامًا نفع الله به.

(٢) كان كثير ممن سلف من أهل العلم لا يتوقفون عن العلم والتعليم في رمضان ولا غيره.

(٣) هذا يدل على أن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألف كتابه (طبقات الشافعيين) دون سنّ (٤٢)، لأنه ولد عام (٧٠٠)، وتوفي المزي عام (٧٤٢)، وقد ذكر في الكتاب أنه ألف شرح صحيح البخاري، وقد قال في خاتمة الكتاب: تم الكتاب سنة (٧٠٣).

وهذا يؤكد أن كثيرًا مِن أهل العلم قد ابتدؤوا التصنيف في وقتٍ مبكر، كسِيبويه، وابن تيمية، وابن عبدالهادي، والسيوطي، وسليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب، والسّعدي، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وغيرهم، كلهم ألفوا قبل الأربعين، وبعضهم قبل الثلاثين.

ويدل أيضًا على أن الحافظ ابن كثير لم يزل يطلب العلم عند شيخه حتى بعد أن كبر وصنَّف.

وأقرانه[١] طبقات الشافعيين (٢/ ٣٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت أشتهي ثريدًا بماء الباقلاء أيام اشتغالي، فما صح لي أكله **لاشتغالي بالدرس**.

وقال أبو سعد السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٢): قال أصحابنا ببغداد: كان الشيخ **أبو إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا بقي مُدة لا يأكل شيئًا صَعد إلى النصرية، وله فيها صديق، فكان يثرد له رغيفًا ويشربه بماء الباقلاء، فربما صعد إليه وقد فرغ، فيقول الشيخ **أبو إسحاق**: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [النازعات:١٢].

وقال الفقيه أبو بكر الطرطوشي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبرني أبو العباس الجرجاني القاضي بالبصرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان الشيخ **أبو إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لا يملك شيئًا من الدنيا**، فبلغ به الفقر حتى لا يجد قوتًا ولا مَلبسًا، ولقد كنّا نأتيه وهو ساكنٌ في القطيعة، فيقوم لنا نصف قَومة، كي لا يَظهر منه شيءٌ من العري[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا، وقد نال من رئاسة العلم مبلغًا كبيرًا، وعظم تعظيمًا زائدًا. طبقات الشافعيين (٢/ ٣٧).

* وقال **القاضي عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٤٤): لم أزل منذ سَمَت همتي لمعرفة هذا الفن[٣]، وتحركت نيتي للاطلاع عليه؛ أستقرئ سبل مسالكه، وأفحص عن وجوه مداركه، وأقيد أثناء مطالعتي شوارده، إلى أن اجتمع لي من ذلك بعد طول المباحثة الشديدة، والعناية التامة، والمطالعة المتواترة، ما وجدته بُغية وغُنية،

(١) فلابد لطالب العلم من الجد وتكرار العلم، ولا يكون هدفه كثرة القراءة، بل الإتقان وضبط الأصول من كلّ فن.

(٢) مِن تقطُّع الثياب وتشققها، فصبر أبو إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الفقر والجوع، ولم يثنه ذلك عن طلب العلم، فلذلك بلّغه الله منزلةً عالية في العلم، حتى أصبح إمام الشافعية، وشيخ الدهر، وإمام العصر، فرحل إليه الناس من الأمصار، وقصدوه من كل الجوانب والأقطار.

(٣) أي: فن التراجم والطبقات.

وبسط لي في تحريره أملًا ونية... والنفس تَمطُل بذلك وتُسوِّف، وتوالي القواطع والشواغل تَصْرف عن ذلك وتصدف، إلى أن انبعثت الآن عَزْمة مصمِّمة للتفرغ لتأليفه، وترتيب مضمَّنه وتصنيفه.[١] ترتيب المدارك (١/ ٢٥).

ج- سِيَرُ بعض العلماء وأثرهم وفضلهم:

* قال ابن عبد الحكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأينا مثل **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤)، كان أصحاب الحديث ونُقّاده يجيئون إليه، فيعرضون عليه، فربما أعل نقد النقاد منهم، ويوقفهم على غوامض من نقد الحديث، لم يقفوا عليها، فيقومون وهم متعجبون.

ويأتيه أصحاب الفِقه: المخالفون والموافقون، فلا يقومون إلا وهم مُذعِنون له بالحذق والدراية.

ويجيئوه أصحاب الأدب، فيقرؤون عليه الشعر، فيفسّره.

وكان من أضبط الناس للتاريخ.

وكان يعينه على ذلك شيئان: وفور عقلٍ، وصحة دينٍ، وكان ملاك أمره إخلاصَ العمل لله.[٢] طبقات الشافعيين (١/ ٤٢).

* وقال الرَّبيع بْن سُلَيْمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ لنا الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) **إمام فِي ثماني خصال:**

إمام فِي الحديث، إمام فِي الفقه، إمام فِي اللغة، إمام فِي القرآن، إمام فِي الفقر، إمام فِي الزهد، إمام فِي الورع، إمام فِي السنة.[٣].

(١) التفرغ لقراءة كتاب ولو كان طويلا، أو التأليف، أو البحث: من أعظم العون على الإنجاز والإتقان؛ لأنه يجمع شتات الذهن، ويُعين على التركيز الذي هو من أهمّ أسباب الرسوخ والضبط والفهم.

(٢) وإخلاص العمل لله تعالى هو سرّ التوفيق والبركة.

(٣) وكل مَن طلب العلم فعليه بالعناية بهذه الخصال، حتى يكمل ويوفّق، ومِن الخلل العناية بالعلم دون العمل والزهد وصلاح القلب.

وصدق الشافعي فِي هَذَا الحصر.

أما قوله: «**إمام في الحديث**» فهذا ما لا خلاف فِيهِ ولا نزاع..

قال عَبْد الوهاب الوراق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رَأَيْت مثل **أَحْمَد بْن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالُوا له: وإيش الَّذِي بان لك من علمه وفضله عَلَى سائر من رَأَيْت؟.

قَالَ: رَجُلٌ سئل عَنْ ستين ألف مسألة فأجاب فيها بأن قَالَ: أَخْبَرَنَا وحَدَّثَنَا[1].

وأما الخصلة الثانية وهي قوله: «إمام فِي الفقه» فالصدق فِيهِ لائح، والحق فيه واضح؛ إذ كان أصلُ الفقه كتابَ الله تعالى، وسنةَ رسوله ﷺ، وأقوالَ صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وبعد هَذِهِ الثلاثة القياس، ثُمَّ قد سُلِّم له الثلاث، فالقياس تابع، ولم يكن للمتقدمين من أئمة السنة والدين تصنيفٌ فِي الفقه، ولا يرون وضع الكتب ولا الكلام، إنما كانوا يحفظون السنن والآثار، ويجمعون الأخبار، ويفتون بها.

فَمَنْ نقل عنهم العلم والفقه كان رواية يتلقاها عَنْهُمْ، ودراية يتفهمها منهم..

وأما الخصلة الثالثة وهي قوله: «إمام فِي اللغة» فهو كما قاله، قَالَ المرُّوذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أبو عبد الله لا يلحن فِي الكلام..

وأما الخصلة الرابعة وهي قوله: «إمام فِي القرآن» فهو واضح البيان لائح البرهان..

وأما الخصلة الخامسة وهي قوله: «إمام فِي الفقر»[2] فيا لها خلة مقصودة،

---

(١) إنما نبل وشرف وعظم قدر الإمام أحمد وغيره من الأئمة من السلف والخلف كابن تيمية وابن القيم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ باعتمادهم على النقل من الكتاب والسنة، وعدم اعتدادهم بآرائهم وعقولهم.
وتجد في هذا الزمان خاصة من ملأ كتبه أو مواقع التواصل بغثاء آرائه وذوقه وعقله، فكثر تخبطّه، وكثرت أخطاؤه وزلاته، وقلّ قدره ونفعُه، وخَفَت نورُه بعد أن كان يظنه شمسًا يعمّ نورُها جميع العالمين، ونجمًا هاديًا طريقَ السالكين.

(٢) الأوجه في معنى الفقر: أنه الافتقار إلى الله تعالى، بالتذلل إليه، والانطراح بين يديه، وأما الفقر بمعنى قلة ذات اليد: فهو أمرٌ لم يرد في الشرع مدحه، بل ورد مدح من صبر على الفقر، وهذا إذا كان من غير قصد، كمن يصبر على المصيبة، فهو محمود، ولا يُقال: المحمود قصد المصيبة.

وحالة محمودة، منازل السادة الأنبياء، والصفوة الأتقياء..

وأما الخصلة السادسة وهي قوله: «إمام فِي الزهد» فحاله فِي ذلك أظهر وأشهر، أتته الدنيا فأباها، والرياسة فنفاها، عُرضت عليه الأموال وفُرضت عليه الأحوال وهو يرد ذلك بتعفف وتعلل وتقلل، ويقول: قليل الدنيا يجزئ، وكثيرها لا يجزئ، ويقول: أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء، ويقول: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وأيام قلائل..

وأما الخصلة السابعة وهي قوله: «إمام في الورع» فصدق فِي قوله وبَرَع..

وأجرى المتوكل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَلَى ولده وأهله أربعة آلاف درهم فِي كل شهر، فبعث إليه أَبُو عَبْدِ اللهِ: إنهم فِي كفاية، فبعث إليه المتوكل: إنما هذا لولدك، مالك ولهذا؟.

وقال إسحاق عمّ **أحمد** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: دخلتُ عَلَى **أحمد** ويده تحت خده، فقلت: له يا ابن أخي أي شيء هذا الحزن؟.

فرفع رأسه وقال: **طوبي لمن أخمَلَ الله ذكره..**

وأما الخصلة الثامنة وهي قوله: «إمام في السنة» فلا يختلف العلماء الأوائل والأواخر أنه فِي السنة الإمام الفاخر، والبحر الزاخر، أوذي فِي الله عَزَّوَجَلَّ فصبر، ولكتابه نصر، ولسنة رَسُول اللهِ ﷺ انتصر، أفصح الله فيها لسانه، وأوضح بيانه، وأرجح ميزانه، لا رَهَب ما حُذِّر، ولا جبن حين أُنذر، أبان حقًا، وقال صدقًا، وزان نطقا وسبقا، ظهر عَلَى العلماء وقهر العظماء، ففي الصادقين ما أوجَهَه، وبالسابقين ما أَشبَهَه، وعَنِ الدنيا وأسبابها ما كان أنزَهَه، جزاه الله خيرًا عَنِ الإسلام والمسلمين، فهو للسُّنة كما قَالَ اللهُ فِي كتابه المبين ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف:١٣].

قَالَ علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيد الله هذا الدِّين برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنهُ يوم الردة، **وأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي يوم المحنة..

فهذه الثمان التي ذكرها الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **ويقرن بها أَيْضًا ثماني خصال انفرد بها:**

إحداها: الإجماع عَلَى أصوله التي اعتقدها، والأخذ بصحة الأخبار التي اعتمدها، حتى من زاغ عَنْ هذا الأصل كفّروه وحذروا منه وهجروه، فانتهت إليه فيها الحجة، ووقفت دونه المحجة، وإن كانت كذلك مذاهب المتقدمين من أهل السنة والدين، فصار إماما متبعًا، وعلمًا ملتمِعًا.

الثانية: اتفاق الألسن عليه بالصلاح، وإليه يشار بالتوفيق والفلاح..

الثالثة: أنه ما أحبه أحد: إما مُحِبٌّ صادق، وإما عدو منافق إلا وانتفت عنه الظنون، وأضيفت إليه السُّنن، ولا انزوى عنه رفضًا وأظهر له عنادًا وبغضًا؛ إلا واتفقت الألسن عَلَى ضلالته، وسفهٍ فِي عقله وجهالته..

الرابعة ما ألقى الله عَزَّوَجَلَّ له فِي قلوب الخلق من هيبة أصحابه ومحبيه وأهل مذهبه..

الخامسة: ما أحدٌ من أصحابه المتمسكين بمعتقده قديمًا وحديثًا تابع ومتبوع إلا وهو من الطعن سليم، ومن الوهن مستقيم، لا يضاف إليه ما يضاف إلى مخالف ومجانف مِن وَسْمٍ ببدعة، أو رسمٍ بشنعة، أو تحريف مقال، أو تقبيح فعال.

السادسة: اتفاق القول الأخير والقديم أن له الاحتياط فِي التحليل، والتحريم يعتمد فِي فقهه عَلَى العزائم، كما لم تأخذه فِي أصوله المقربة إلى الله عَزَّوَجَلَّ لومة لائم، يعتمد عَلَى كتاب ناطق، أو خبر موافق، أو قول صحابي جليل صادق، ويقدم ذلك عَلَى الرأي والقياس.

السابعة: أن كلام **أحمد** فِي أهل البدع مسموع، وإليه فيهم الرجوع.. له القَدم العالي فِي شرح فساد مذاهبهم، وبيان قبيح مقالتهم، والتحذير من ضلالهم.

الثامنة: ما أظهره الله تعالى له فِي حياته من المراتب، ونَشَر له بعد مماته من المناقب، ورفع له بذلك العلم بين سائر الأمم، فتنافس حين موته فِي الصلاة عليه العلماء والكبراء والأغنياء والفقراء والصلحاء والأولياء؛ لأنه توفي فِي شهر ربيع الأخر من سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة، فقال المتوكل عَلَى الله لمحمد بْن عَبْدِ اللهِ بن طاهر: طوبي لك صليت عَلَى **أحمد بن حنبل**.

وروى الأئمة الثقات والحفاظ الأثبات أن عبد الوهاب الوراق رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: ما بلغنا أنه كان للمسلمين جمع أكبر منهم عَلَى جنازة **أحمد بن حنبل** إلا جنازة فِي بني إسرائيل..

قَالَ الميموني رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: ما قام أحدٌ بأمر الإسلام بعد رَسُول اللهِ ﷺ ما قام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ: قلت: له يا أبا الحسن ولا أَبُو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

قَالَ: ولا أبو بكر الصديق، إنّ أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب، **وأحمد بن حنبل** لم يكن له أعوان ولا أصحاب.

وقَالَ محمد بن الحسين الأنماطي رَحِمَهُ اللَّهُ: كنا فِي مجلس فيه يَحْيَى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب وجماعة من كبار العلماء، فجعلوا يثنون عَلَى **أحمد ابن حنبل** ويذكرون فضائله، فقال رجل: لا تكثروا، بعض هذا القول، فقال يَحْيَى ابن معين: وكثرة الثناء عَلَى أحمد بن حنبل تستكثر؟ لو جلسنا مجلسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكمالها. طبقات الحنابلة (١/ ٤-٤٣).

* وقَالَ أبو رجاء قتيبة بْن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠)[1]: لما مات الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مات الورع، **ولولا أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لأحدثوا فِي الدين**.

قيل له: يا أبا رجاء تضم أَحْمَد إلى التابعين؟.

قَالَ: إلى كبار التابعين.[2] طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠٧).

* وقال البوشنجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وذُكر **الإمام أَحْمَد بن حنبل** عنده- فقال: هو عندى أفضل من سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك أن سفيان لم يمتحن فِي الشدة والبلوى بمثل ما امتحن به **أَحْمَد بن حنبل**، ولا علم سفيان ومن تقدم من فقهاء الأمصار كعلم **أَحْمَد**؛ لأنه كان أجمع للعلم وأبصر بمتقنهم وغالطهم، وصدوقهم وكذوبهم، ولقد بلغني عَنْ بشر بْن الحارث رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قَالَ: قام أَحْمَد مقام الأنبياء.

وأحمد عندنا امتُحن بالسراء والضراء، وتداوله أربعة خلفاء، بعضهم بالضراء وبعضهم بالسراء، فكان فيها مستعصما بالله عَزَّوَجَلَّ، تداوله المأمون والمعتصم والواثق، بعضهم بالضرب والحبس، وبعضهم بالإخافة والترهيب، فما كان فِي هذا الحال إلا سليم الدين، غير تارك له من أجل ضرب ولا حبس، ثم امتُحن أيام المتوكل بالتكريم والتعظيم، وبسط الدنيا عليه، وإفاضتها عنده، فما ركن إليها ولا انتقل من حاله الأولى رغبة فِي الدنيا، ولا رغبة فِي الذكر، فهذه الحالات لم يمتحن بمثلها سفيان.

---

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هُوَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ، المُحَدِّثُ، الإِمَامُ، الثِّقَةُ، الجَوَّالُ، رَاوِيَةُ الإِسْلاَمِ، أَبُو رَجَاءٍ.

وَارْتَحَلَ قُتَيْبَةُ فِي طَلَبِ العِلْمِ، وَكَتَبَ مَا لاَ يُوْصَفُ كَثْرَةً. وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِيْنَ وَمائَةٍ، فَحَمَلَ الكَثِيْرَ عَنْ مَالِكٍ، وَاللَّيْثِ، وَشَرِيْكٍ، وَحَمَّادِ بنِ زَيْدٍ. [السِّيَر (٩/ ٨٦)].

(٢) انظر إلى شهادة هذا العَلَم الكبير الحافظ للإمام أحمد، فمن تمسّك بهديه واعتقاده ومنهجه فقد سلك سبيل السلف الصالح، السالم من الزلل والبدع والانحرافات.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حضر يومًا عند أَحْمَد جماعةٌ من أصحاب الحديث من إخوانه، فاشترى لهم بما كان عنده من النفقة وأطعمهم وصبر على مقدار ربع سويق ثمانية عشر يوما بعسكر المتوكل[١]، مكتفيا بذلك، حتى أتته النفقة من بغداد، لا يذوق من مائدة المتوكل شيئا. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٢٧-٢٢٨).

* وقال يَحْيَى بْن آدم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٣): أَحْمَد بْن حنبل إمامنا.[٢] طبقات الحنابلة (٢/ ٥١٢).

* وقَالَ إِسْحَاق بْن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلمت يَحْيَى بْن آدم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا»، قَالَ يَحْيَى: من قَالَ به؟.

قلت: قَالَ به سفيان بْن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال به ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال به أَحْمَد ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ إِسْحَاق: ما قلت له: أَحْمَد بن حنبل إلا لأكسره، فقال لي: قاله أَحْمَد؟ قلت: نعم. طبقات الحنابلة (٢/ ٥١٢).

* وقَالَ المروزي: قَالَ لي أَبُو عَبْدِ اللهِ: قد جاءني يَحْيَى بْن خاقان ومعه شُوَيّ[٣]، فرددتها عليه، فبلغ الباب ثم رجع فقال: إن جاءك أحد من أصحابك بشيء تقبله؟ قلت: لا، قَالَ: إنما أريد أن أخبر الخليفة بهذا.

قلت لأبي عبد الله: أي شيء كان عليك لو أخذتها فقسمتها؟.

فكلح وجهه وقال: إذا أنا قسمتها أي شيء كنت أكون له؟ قهرمانا.[٤] طبقات الحنابلة (٢/ ٥٢٤).

---

(١) في سر من رأى (سامراء).

(٢) ظهر نبوغ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ صغره، واشتهرت إمامته منذ بلوغ أشده، حتى شهد له شيوخه بالإمامة، كشيخه يحيى بن آدم.

(٣) تصغير شيء، أي: شيء من المال، ولم يكن كثيرا.

(٤) القهرمان: أمين الملك وخاصّته.

انظر إلى تعففه وتورعه وعزة نفسه، مع شدة حاجته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنما لم يقبل صدقات الخليفة حتى لا يُحابيه ولا يذلّ له.

* وقَالَ عَلِيّ بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٤): لأن أسأل **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ مسألة فيُفتيني، أحبّ إلي مِن أن أسال أبا عاصم النبيل[1]، وابْن دَاوُدَ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، إنّ العلم ليس بالسِّن، إنّ العلم ليس بالسِّن. طبقات الحنابلة (٢/ ١٣٦).

* وقَالَ **أَبُو الخطاب المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنتُ على مذهب الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان عادتي: أن لا أرجّعَ في الأذان، ولا أقنت في صلاة الفجر، غير أنني أجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.

فلما كان في بعض الليالي: رأيتُ كأنني في دار حسنة جميلة، وفيها من الغلمان والخدم والجند خلق كثير، وهم صغار وكبار، فإذا رجل بهي شيخ على سرير، والنور على وجهه ظاهر، وعلى رأسه تاج من ذهب مرصَّع بالجوهر، وثياب خضر تلمع، وكان إلى جنبي رجل يشبه الجند، فقلت له: بالله هذا المنزل لمَن؟ قَالَ لمن ضُرِب بالسوط حتى يقول: القرآن مخلوق.

قلت أنا في الحال: أحمد بن حنبل؟.

قَالَ: هو ذا.

فقلت: والله إن في نفسي أشياء كثيرة، أشتهي أن أسأله عنها، وكان على سرير، وحول السرير خلق قيام.

فأومأَ إليّ أن اجلسْ، وسَلْ عما تريد.

فقلت: يا سيدي، عادتي لا أرجِّع في الأذان، ولا أقنت في صلاة الفجر، غير أنني أجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخشع.

فقال بصوت رفيع عالٍ: **أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ أتقى منك وأخشع، وأكثرهم لم يجهروا بقراءتها.**

---

(١) الضحاك بن مخلد بن الضَّحَّاكِ بن مُسْلِمِ بنِ الضَّحَّاكِ، الإِمَامُ الحَافِظُ شَيْخُ المُحَدِّثِيْنَ الأَثْبَاتِ، (١٢٢-٢١٤). [السِّيَر (٨/ ١٧٢)].

فقلت: عادتي ليلة الغيم أصوم، كما قَالَ الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟.

فقال: **اعتقد ما شئتَ من أي مذهب تدين الله به، ولا تكن مَعْمَعِيًّا.**

فلما أصبحتُ أعلمتُ من يُصَلي ورائي بما رأيتُ، ولم أَجهَر بعدُ، ودعاني ذلك إلى أن قلتُ هذه القصيدة وهي:

وعن مذهبي إن تسألوا فابنُ حنبلٍ ... بـه أقتـدي مـا دمـتُ حيًّـا أُمتَّـعُ
وذاك لأني في المنـــام رأيتـــه ... يـروحُ ويغـدو في الجنـان ويرتـعُ
وفي منـــزلٍ بنيانــه غيـــر مشبهٍ ... لبنيان ذي الدنيا وفي العين أوسعُ
وفيه من الأصحاب ما لا أعدهم ... وحـور وولـدان بهـم يتمتَّـعُ
وفيـه بيـوت مـا استدارت منيـرة ... زرابيُّهـا مبثوثـةٌ فيـه تلمـعُ
وكان إلـى جنبـي نقيـبٌ مُمَنْطَـقٌ ... عليـه ثيـابٌ مسـكها يتضـوّعُ
فقلـتُ لـه: بـالله ذا المنزل الـذي ... أراه لمـن قـل لـي فـإني مـروَّعُ
فقـال: لمن بالسـوط يُضْرب تـارة ... ليرجعَ في الأخرى وما فيه مطمعُ
يقـولُ: كلام الله ليـس بمحـدَثٍ ... وليس بمخلوق فما شئتُم اصنعوا
فقلتُ لـه في الحال ذاك ابنُ حنبلٍ ... إمـامٌ تقـيٌ زاهـدٌ متـورعُ
وإني لمشـتاقٌ إليـه فدلنـي ... ففـي النفـس حاجـاتٌ إليـه تُسـرعُ
فأومـى إليـه، فالتفـتُ إذا بـه ... على سُدةٍ من وجهه النور يسطعُ
ومـن سندسٍ أثوابه في اخضرارها ... علـى رأسـه تـاجٌ بـدرٌ مرصَّـعُ
ومـن حولـه وُلـدٌ صِبـاحٌ وغلمـةٌ ... تُواصل بالكاسات قوما وتقطعُ
أشـار بأطـراف البنـان تعطفًـا: ... أن أقرب فقل ما شئتَهُ منك نسمعُ
فقلـت لـه: يـا أزهـدَ النـاس كلهـم، ... عليك اعتمادي، دلَّني كيف أصنعُ؟
طُبِعـتُ علـى أشـياءَ هُـنّ ثلاثـةٌ ... وكلٌّ علـى مـا قـدَّر اللهُ يُطبـعُ

فمنهـا: إذا غُـمَّ الهـلالُ لليلـة | صبيحتهـا عشـرٌ وعشـرون تتبـعُ
أصومُ، كمـا قَالَ الإمام ابنُ حنبلٍ | فَللصـوم خيـرٌ مـن سـواه وأنفـعُ
وعنـد صلاة الصبح لستُ بقانتٍ | وعنـد ندائـي عادتـي لا أُرجِّـعُ
ولكـن إذا مـا قمـتُ لله طائعـا | أُبسْمِلُ جهرا في الصلاة وأخضعُ
فقـال بصـوت جهـوريٍ، سـمعته: | صحـابُ رَسُـول اللهِ أتقى وأخشعُ
وأكثرهـم لـم يجهـروا بقراتهـا | وهـم قـدوةٌ في الديـن أيضًـا ومَفزعُ
وأن تعتقـد ما شئتَ مِن أي مذهبٍ | بـه الله يرضـى والنبـيُّ المشـفَّعُ
ولا تـكُ فيـه مَعمَعِيًّـا كلاعـبٍ | يديـنُ بمـا يهـوى، وللغـرم يدفـعُ
فقلتُ لـه: في النفسِ شيءٌ أقولُـه | أنـا في صفـات الحـق أيضًـا متعتـع
فقـال تعالـى اللهُ ليس كمثلـه | كمـا قَالَ شيءٌ ثـم للذكـر فاتبعـوا
فما كان فيه من صمْات مليكنا | على الرأسِ والعينين، ما عنه مدفعُ
وما جاء في الأخبار عن سيد الورى | روتـه ثقـاتٌ عنـه لا يتمنـعُ
فليس لترك الحق عندي رخصة | إذا كان جهـالٌ لـه قـد تتبعـوا
فكـن حنبليًّـا تنـجُ مـن كل بدعـةٍ | «فأحمـدُ» عنـدَ الله في الزهـد أبـرعُ

وذكر باقي القصيدة.

ذيل الطبقات ١/ ١٠٥-١٠٨.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت أبا عبدالله -الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ- يقول: **عبد الوهاب الورَّاق** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١) رجلٌ صَالِح، مثله يُوَفَّق لإصابة الحق.[١] طبقات الحنابلة (٢/ ٨٩).

* ولشيخ الإسلام -**أبي إسماعيل الهَرَوي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٨١)- قصيدة نونية

---

(١) فمن صلح قلبه وعملُه؛ فإنّ الله يُسدِّده ويوفقه لإصابة الحق ولو قلّ علمُه.

طويلة مشهورة ذكر فيها أصول السنة، ومدح أحمد وأصحابه، وقد أنبأتني بها زينب بنت أحمد، عن عجيبة بنت أَبِي بَكْرٍ، عن أبي جعفر محمد بن الحسين بن الحسن الصيدلاني رَحِمَهُمُاللَّهُ قَالَ: أنشدنا **شيخ الإسلام** -فذكر القصيدة إلى أن قَالَ-:

وإمامــيَ القَــوّام لله الّـذِي ... دفنـوا حَميـدَ الشـأن في بغـدانِ
جمـع التقـى والزهـد في دُنياهـم ... والعلـم بعـد طهـارة الأردانِ
خَطْـمُ النَّبِــيّ، وصيــرفيٌّ حديثه ... ومُفلِّــقٌ أعرافَهـــا بمعـانِ
حبْرُ العراق، ومحنةٌ لذوي الهوى ... يــدري ببغضتــه ذَوُو الأضغـانِ
عـرفَ الهدى فاختار ثوبي نُصرَة ... وشـجى بمُهجتِـه عُـرَى عِرفـانِ
عُرِضَتْ لـه الدنيا فأعرض سالمًا ... عنهـا كفعـل الراهـب الخمصـانِ
هانــت عليــه نفسُــه في دِينـهِ ... ففـدى الإمـامُ الديـنَ بالجثمـانِ
لله مـا لقـــي ابـن حنبـلَ صابـرا ... عزمـا وينصـره بـلا أعـوانِ

ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وقال أبو محمد جعفر بن محمد السراج رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٥٠٠) لنفسه:

سقى الله قبرًا حلّ فيه ابن حنبل ... من الغيث وسميًّا على إثره ولي
علـى أن دمعـيْ فيـه روًى عظامـه ... إذا فاض ما لم يبلُ منها وما بلي
فللـه رب النـاس مذهـب أحمـد ... فـإن عليـه مـا حييـت معولـي
دعوهُ إلى خلق القران كما دعوا ... سـواه فلـم يسـمع ولـم يتـأوَّل
ولا رده ضرب السياط وسجنه ... عن السنة الغراء والمذهب الجلي
لقد عاش في الدنيا حميدا موفقا ... وصار إلى الأخرى إلى خير منزل

ذيل الطبقات (١/ ٢٣٧).

* وقال يَعْقُوب بن سفيان رَحِمَهُٱللَّهُ: حَدَّثَنِي الفضل بن زياد رَحِمَهُٱللَّهُ عَنْ أَحْمَد

ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: بلغ **ابنُ أبي ذِئب** (ت: ١٦٠) أن **مالكًا** (ت: ١٧٩) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ لم يأخذ بحديث البيِّعان بالخيار فقال: يُستتاب فِي الخيار فإن تاب وإلا ضُرِبت عنقه، ومالكٌ لم يردّ الحديث، ولكن تأوّله عَلَى غير ذلك.

فقال شامي: مَن أعلم مالك أو ابن أبي ذِئب؟.

فقال: ابن أبي ذئب فِي هذا أكبر من مالك، وابن أبي ذئب أصلح فِي دينه وأورع، وأقوم بالحق من مالك عند السلطان، وقد دخل ابن أبي ذئب عَلَى أبي جَعْفَر المنصور فلم يمهله أن قَالَ له الحق، قَالَ له: الظُّلم فاشٍ ببابك، وأبو جَعْفَر أَبُو جَعْفَر!.

وما كان ابن أبي ذئب ومالكٍ فِي موضع عند السلطان إلا تكلَّم ابن أبي ذئب بالحق والأمر والنهي، ومالكٌ ساكت.

قَالَ يَعْقُوب: ابن أبي ذئب قُرَشي ومالك يَماني.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ١٨٩-١٩٠).

---

(١) قال الشيخ عبدالرحمن العثيمين في الهامش: «لعله يقصد أنه لانتسابه إلى قريش يكون أكثر جرأةً على الحكام والسلاطين».

قلت: وهو الظاهر، ومع ذلك فالإمام مالك أخذ بالرخصة، فلا يُلام، وما كلّ أحد يقدر على الصدع بالحق أمام الحاكم الظالم.

وقد ظهر للناس أن ابن ذئب في زمانه أصلح في ظاهره، وأما القلوب فلا يعلم ما فيها من صلاح وصدق وإخلاص إلا الله تعالى، فلذلك اختار الله تعالى بحكمته وعلمه أن ينشر مذهب الإمام مالك، وما ذاك إلا لصدقه وصلاح قلبه وسريرته.

فمذهب ابن أبي ذئب قد اندثر، ومذهب مالك قد علا وانتشر.

ولذلك قال أبو بكر المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يفضل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصوما، وإنما فضلهم بشيء كان في قلبه. الزهد لأبي داود (٥٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَا رَيْبَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَقْوَى إيمَانًا مِن عُمَرَ، وَعُمَرُ أَقْوَى عَمَلًا مِنْهُ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ.

وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ أَقْوَى وَأَكْمَلُ مِن قُوَّةِ الْعَمَلِ، وَصَاحِبُ الْإِيمَانِ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ عَمَلِ غَيْرِهِ. ا.هـ [مجموع الفتاوى: (٧/ ٣٤٢).]

* ولَمَّا عَمل **أَبُو عبيد الْقَاسِم بن سلَّام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤) كتاب «غريب الحديث»، عَرَضَه على عبدالله بن طاهر فاستَحسَنَه، وقال: إن عَقْلًا بعث صاحبَه عَلَى عَمل هذا الكتاب لَحَقيق أن لا يُحْوَج إلى طلبِ المعاش، فأجرى له عشرة آلاف درهم فِي كل شهر.(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٢١٦).

* وقَالَ عُمَر بن محمد الأنصاري: كنت عند أَحْمَد بن حنبل فذَكر **عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٥) فقال: هو ذاك السيد، ثم قَالَ أَحْمَد: عُرض عَلِيّ الكفر فلم أقبل، **وعرض عليه الدُّنيا فلم يقبل**. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣٣).

* وقال عمرو بن عثمان المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيت أحدًا من المتعبدين في كثرة من لقيت منهم، أشد اجتهادًا من **المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤)، ولا أَدْوَم على العبادة منه، ولا رأيتُ أحدًا أشد تعظيمًا للعلم وأهله منه، وكان مِن أشد الناس تضييقًا على نفسه في الورع، وأوسعه في ذلك على الناس. طبقات الشافعيين (١/ ١٣٥).

* وقرأ **أَبُو القاسم الخِرَقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٤) العلم عَلَى من قرأه عَلَى أَبِي بكر المرُّوذي، وحرب الكرماني، وصالح وعبدالله ابني إمامنا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، لَهُ المصنفات الكثيرة فِي المذهب، لم ينتشر منها إلا المختصر فِي الفقه؛ لأنه خرج عن مدينة السَّلام لما ظهر سَبّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وأودع كتبه فِي درب سليمان، فاحترقت الدار التي كانت فِيهَا الكتب، ولم تكن انتشرت، لبُعده عن البلد.(٢) طبقات الحنابلة (٣/ ١٤٧-١٤٩).

---

(١) حينما كان الأمراء والأغنياء يَعرفون قَدرَ العلماء؛ توسَّع العلم وانتشر، وكثُرت التصانيف النافعة.

(٢) والمختصر أصبح عمدةً ومرجعًا عند علماء الحنابلة، ويُستفاد من هذا أن العالم ينبغي له أن يحرص على التأليف في الفنّ الذي يُحسنه، فربما لا يُكتب القبول ولا يُبارك إلا لواحد منها، كما هو الشأن في مؤلفات الخرقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* وقَالَ الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألتُ عَنْهُ - أي عن **غلام الزَّجّاج عبدالعزيز بن أَحْمَد الواعظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: بعد ٣٨٨) الخلَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقَالَ: كَانَ أُميًّا لا يَكتب، وَكَانَ قد جالس أهل العلم، ولقي الشيوخ فحفظ عَنْهُمْ.[١] طبقات الحنابلة (٣/ ٣٠٢).

* وقال **ابن أبي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦١٦): اعلم أن الله سبحانه اصطفى رُسُلًا من خلقه، فبعثهم بالدُّعاء إِلَيْهِ، والصبر عَلَى ما نالهم من جَهَلة خلقه، وامتحنهم من المحن بصنوفٍ من البلاء، وضُروب من المحن واللَّأواء، وكل ذَلِكَ تكريمًا لهم غير تذليل، وتشريفًا غير تخسير ولا تقليل.

وَكَانَ أرفعُ رسله عنده منزلة: أشدَّهم اجتهادًا، وأخذًا فِي إمضاء أمره، مَعَ البلية بأهلِ دَهره، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وقال تعالى: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص:١٧].

ثُمَّ جَعَل سبحانه علماءَ هَذِهِ الأمة أفضلَ علماء الأمم قَسْمًا، وأوفرهم من الخيرات حَظًّا، أعدَّ لهم الكرامات، وقَسَم لهم المنازل والدرجات، مَعَ ابتلائه سبحانه لمؤمنيهم بالمنافقين، ولصادقيهم بالمكذبين، ولخيارهم بالأشرار، ولصالحيهم بالفجار، فلم يكن يُثْني العلماء ما يلقونه من الأذى عن القيام بحقوق الله تعالى فِي عباده وإظهار الحق فِي بلاده..

قَالَ ابْن جدا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألتُ الله تعالى بعد موت القاضي **الإمام أَبِي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨) أن أراه فِي النوم، فرأيته فقلت: ما فعل الله بك؟ فَقَالَ لي: يا أبا الحسين لقد هُدينا لأمرٍ عظيم.

قَالَ ابن جدا: وسألتُ الله أن أرى **القاضي أبا يعلى** في النوم دفعة أخرى،

---

(١) انظر إلى بركة مجالسة أهل العلم كيف رقَّت هذا العاميّ الذي لا يكتب إلى درجتهم، ونفع الله به.

فقلت: يا سيدي كيف المذهب(١) ثَمَّ؟ فَقَالَ لي: يا أبا الحسن المذهب بيننا وبين جهنم سدٌّ من حديد.

قال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَالَ **ابْن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما حدثك الميت بشيء فِي النوم فهو حق لأنه في دار حق».

وسمعتُ أَحْمَد بن علي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: وقرأت بخط شيخنا الشريف أَبِي جَعْفَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: رأيتُ شيخنا -يعني الوالد السعيد- في المنام وهو فِي أحسن صورة، رأيته فِي دار الدنيا وكأنه شابٌّ فِي لحيته طاقات بياض يسيرة جدًا، وهو بمسجده بباب الشعير، فتقدَّمتُ لأسلِّم عَلَيْهِ فَقَالَ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]. طبقات الحنابلة (٣/ ٤٠٨-٤٠٩).

* وظَهَر الشيخ **عبدالقادر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦١)(٢) للناس، وجلس للوعظ بعد العشرين وخمسمائة، وحصل له القبول التام من الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه، وانتفعوا به وبكلامه ووعظه، وانتصر أهل السنة بظهوره، واشتهرت أحواله، وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وهابه الملوك فمن دونهم.

قال الشيخ موفق الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب المغني: لم أسمع عن أحدٍ يُحكى عنه من الكرامات أكثر مما يُحكى عن الشيخ عبدالقادر، ولا رأيتُ أحدًا يُعظِّم من أجل الدين أكثرَ منه.

وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبدالقادر، فإن كراماته نُقِلت بالتواتر.

(١) أي: المذهب الحنبلي المشتمل على العقيدة الصحيحة الخالية من البدع والانحرافات، وأصول المسائل المبنية على الكتاب والسنة.

(٢) عبدالقادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي، الزاهد: شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهل الطريقة في وقته، محيي الدين أَبُو محمد، صاحب المقامات والكرامات، والعلوم والمعارف، والأحوال المشهورة. [ذيل الطبقات]

وكان الشيخ عبدالقادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عصره مُعظَّمًا، يُعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وله مناقب وكرامات كثيرة.

ولكن قد جمع المقرئ أَبُو الحسن الشطنوفي المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أخبار الشيخ عبدالقادر ومناقبه ثلاث مجلدات، وكتب فيها الطم والرمّ، وكفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع.

وقد رأيت بعض هذا الكتاب، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه، فأنقل منه إلا ما كان مشهورًا معروفًا من غير هذا الكتاب، وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه من الشَّطح، والطامات، والدعاوى، والكلام الباطل، ما لا يُحصى، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبدالقادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم وجدتُ الكمال جعفر الأدفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد ذكر أن الشطنوفي نفسه كان مُتَّهَمًا فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه.

وأحسنُ ما قيل في هذا الكلام: ما ذكره الشيخ أَبُو حفص السهروردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عوارفه: «أنه من شطحات الشيوخ التي لا يُقتدى بهم فيها، ولا يقدح في مقاماتهم ومنازلهم، فكل أحد يؤخذ عليه من كلامه ويترك، إلا المعصوم ﷺ».

ومن ساق الشيوخَ المتأخرين مساق الصدر الأول، وطالبهم بطرائقهم، وأراد منهم ما كان عليه الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأصحابه مثلًا من العلم العظيم، والعمل العظيم، والورع العظيم، والزهد العظيم، مع كمال الخوف والخشية، وإظهار الذل والحزن، والانكسار والازدراء على النفس، وكتمان الأحوال والمعارف، والمحبة والشوق ونحو ذلك: فلا ريب أنه يزدري المتأخرين، ويمقتهم، ويهضم حقوقهم.

فالأولى تنزيل الناس منازلهم، وتوفيتهم حقوقهم، ومعرفة مقاديرهم، وإقامة معاذيرهم، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا.

ولما كان الشيخ **أَبُو الفرج ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عظيم الخبرة بأحوال السَّلف، والصدر الأول، قلَّ من كان في زمانه يساويه في معرفة ذلك، وكان له أيضا حظٌّ من ذوق أحوالهم، وقسط من مشاركتهم في معارفهم: كان لا يعذر المشايخ المتأخرين في طرائقهم المخالفة لطرائق المتقدمين، ويَشتَدُّ إنكاره عليهم.

وقد قيل: إنه صنَّف كتابًا، ينقم فيه على الشيخ عبدالقادر أشياء كثيرة، ولكن قد قل في هذا الزمان من له الخبرة التامة بأحوال الصدر الأول، والتمييز بين صحيح ما يُذكر عنهم من سقيمه.

فأما مَن له مشاركة لهم في أذواقهم، فهو نادرُ النادر.

وإنما يلهج أهل هذا الزمان بأحوال المتأخرين، ولا يميزون بين ما يصح عنهم من ذلك من غيره، فصاروا يخبطون خَبط عشواء في ظَلماء. والله المستعان.

وللشيخ عبدالقادر كلام حسن في التوحيد، والصفات والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة.

وله كتاب (الغنية لطالبي طريق الحق) وهو معروف، وله كتاب (فتوح الغيب)، وجمع أصحابه من مجالسه في الوعظ كثيرًا.

وكان متمسكًا في مسائل الصفات، والقَدَر، ونحوهما بالسُّنة، بالغًا في الرد على من خالفها.

قال في كتابه (الغنية) المشهور: **وهو بجهة العلو مستو على العرش،** محتو على الملك محيط علمه بالأشياء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة:٥]! ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قَالَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، وذكر آياتٍ وأحاديث،

إلى أن قَالَ: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش.

وذكر الشيخ أَبُو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشاعر المشهور، عن شيخه العارف علي بن إدريس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه سأل الشيخ عبدالقادر فقال: يا سيدي، هل كان لله وليٌّ على غير اعتقاد أحمد بن حنبل؟ فقال: ما كان، ولا يكون.

قال الحافظ ابن النجار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتب إليَّ عبدالله بن أبي الحسن الجبالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -نقلته من خطه- قَالَ: كان شيخنا **عبدالقادر الجيلي** يقول: الخلق حجابك عن نفسك، ونفسُك حجابك عن ربك[1]، ما دُمتَ ترى الخَلقَ لا ترى نَفسك، وما دمتَ ترى نفسكَ لا تَرى ربَّك.

وقال: ما ثَمَّ إلا خلقٌ وخالِق، فإن اخترتَ الخالق فقُل كما قَالَ: (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ)، ثم قَالَ: من ذاقه فَقد عَرَفه. ذيل الطبقات (٢/ ١٨٨- ٢٠٣).

* وقال الحافظ عبد القادر الرُّهاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شيخنا الحافظ **أَبُو العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٩) أشهر من أن يُعرَّف، بل تَعذَّر وجود مثله في أعصارٍ كثيرة، على ما بلغنا من سيرة العلماء والمشايخ..

وكان **عفيفًا من حب المال**، مُهينًا له، باع جميع ما وَرِثَه، وكان من أبناء التُّجار **فأنفقه في طلب العلم**، حتى سافر إلى بغداد وأصبهان مراتٍ ماشيًا، يحمل كتبه على ظهره.

---

(١) هذا الكلام يُكتب بماء الذهب، والمعنى: الخلق حجابك عن نفسك، وذلك بمراعاتهم، ومُراءاتهم، والتصنُّع لهم، والخوف منهم، ورجائهم والطمع بما عندهم.
ونفسك حجابك عن ربك، بأن تعجب بها، أو تنتقم لها، أو تلبي كل ما تشتهي من المباحات، فضلًا عن المكروهات والمحرمات.
فمَن أراد الفلاح والوصول إلى عَتَبة الولاية والعبودية: فلا ينشغل بالخلق ولا يتعلق بهم، ولْيبع نفسه لله، ولْيقدم رضا الله على هواه.

سمعتُه يقول: كنتُ أبيتُ ببغداد في المساجد، وآكلُ خبزَ الدُّخن.

وسمعتُ أبا الفضل بن نبهان الأديب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: رأيتُ **الحافظ أبا العلاء** في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم على رجليه لأن السراج كانت عالية، ثم نشر الله تعالى ذكره في الآفاق، وعظم شأنه في قلوب الملوك وأرباب المناصب الدنيوية والعلمية والعَوام، حتى إنه كان يمر بهمدان، فلا يبقى أحدٌ رآه إلا قام، ودعا له حتى الصبيان واليهود، وربما كان يمضي إلى بلده مشكان فيصلي بها الجمعة، فيتلقاه أهلها خارج البلد: المسلمون على حِدة، واليهود على حِدة، ويدعون له إلى أن يدخل البلد.

وكان يُفتح عليه من الدنيا جُمَل، فلم يدَّخرها، بل يُنفِقها على تلامذته.

وكان يطلب لأصحابه من الناس، ويُعِزُّ أصحابه ومن يلوذ به، ولا يحضر دعوةً حتى يُحضر جماعة أصحابه، وكان لا يأكل من أموال الظَّلَمة، ولا قبِل منهم مدرسة قط ولا رباطًا، وإنما كان يقرئ في داره ونحن في مسجده سكان، وكان يقرئ نصف نهاره الحديث، ونصفه القرآن والعِلم.

وكان لا يخشى السَّلاطين، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يُمكن أحدٌ أن يعمل في مجلسه منكرًا ولا سَمَاعًا.

قَالَ: سمعته -أي السِّلَفي- يحكي عنه أنه ذُكر له، فقال: قدَّمَه دينُه. ذيل الطبقات (٢/ ٢٧١- ٢٧٦).

* **أَبُو الفتح الفقيه الزاهد ابن الْمِنِّيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٨٣): جمع بعض فضلاء أصحابه له سيرةً طويلة، وهو أَبُو محمد عبدالرحمن بن عيسى الواعظ، وقفتُ على بعضها مما ذكره فيها.

قال: كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير الذِّكر والتلاوة للقرآن لا سيما في الليل، مُكرِمًا

للصالحين، مُحِبًّا لهم، ليس فيه تَيه الفقهاء، ولا عُجب العلماء.

إنْ مرض أحدٌ من تلامذته ومعارفه عاده، أو كانت لهم جنازة شيَّعها ماشيًا غير راكب، على كبر السن، وضعف البِنْية.

زاهدًا في الدنيا، يقنع منها بالبُلغة، وإذا جاءه فتوح أو جائزة من بيت المال وزَّعها بين أصحابه، وإن ناله منها شيء أعاده عليهم في غضون الأيام.

وكان يخدم نفسه بنفسه، لا يُثقل على أحدٍ من أصحابه، ولا يكلِّفهم شيئًا، اللهم إلا أن يعتمد على يد أحدهم في الطريق.

ولقد كُنّا عنده يومًا جماعةً من أصحابه، فأوذن بالصلاة، فنهض بنفسه فاستقى الماء للتطهير، وما ترك أحدًا منا ينوبه في ذلك، ولقد قدَّمتُ له نعله يومًا، فشقَّ عليه، وجعل يقول: إيش هذا؟ مثلك لا نُسامحه في هذا.

وسُئِل عنه الشيخ **موفَّق الدين** المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: شيخنا أَبُو الفتح كان رجلًا صالحًا، حسن النية والتعليم، وكانت له بركة في التعليم، قلّ مَن قرأ عليه إلا انتفع[١]، **وخَرَج مِن أصحابه فُقَهاء كثيرون منهم مَن ساد.**

وكان يَقنع بالقليل، ورُبما يَكتفي ببعضِ قرصة.

وكان يُحبُّنا ويَجبُر قلوبنا، ويظهر منه البِشر إذا سمع كلامنا في المسائل.[٢].

ولما انقطع الحافظ عبدالغني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] عن الدَّرس لاشتغاله بالحديث، جاء إلينا، وظن أن الحافظ انقطع لِضيق صَدره. ذيل الطبقات (٢/ ٣٥٨-٣٥٩).

* وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧) في أول

(١) ومثله في هذا الزمان الشيخ ابن باز والألبانيّ وابن عثيمين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فقلّ من قرأ عليهم أو حضر مجالسهم إلا انتفع وبَرَز.

(٢) ما أجملَ هذه الأخلاق.

(٣) الحافظ المحدث عبدالغني المقدسي، صاحب عمدة الأحكام والكمال في أسماء الرجال.

مشيخته: لما فهمتُ الطلب كنت ألازم من الشيوخ أَعلَمَهم، وأُوثِرُ مِن أرباب النقل أفهَمَهم، **فكانت هِمَّتي تجويد العُدَد، لا تكثير العَدد**[1]..

وَعَظَ وهو صغير جدًا، قال: حَمَلَني ابن ناصر إلى أبي القاسم العَلَوي الهروي رَحِمَهُمَااللَّهُ في سَنة عشرين[2]، فلقَّنَني كلمات من الوعظ، ورقَّاني يومئذ المنبر، فقلتُ الكلمات، وحُرِزَ الجمع بخمسين ألفًا.

واشتُهر أمرُ الشيخ أَبي الفرج من ذلك الوقت، وأخذَ في التَّصنيف والجمع.

وقد كان بدأ بالتصنيف من قبل ذلك.

وذكر: أنه سرد الصوم مدة، واتبع الزهاد، ثم **رأى أن العلم أفضل من كل نافلة**، فانجمع عليه، ونظر في جميع الفنون، وألَّف فيها.

وكانت أكثر علومه يستفيدها من الكتب، ولم يحكم ممارسة أهلها فيها..[3].

قال ابن القطيعي رَحِمَهُٱللَّهُ: سمعتُ مَن أَثِقُ به قَالَ: لما سمع أمير المؤمنين المستضيء **ابن الجوزي ينشد** تحت داره:

ستنقلك المنايا عن ديارك ... وَيُبْدِلُكَ الردى دارًا بدارك

وتترك ما عنيت به زمانا ... وتُنقَل من غناك إلى افتقارك

فدودُ القبر في عينيك يرعى ... وترعى عينُ غيرك في ديارك

فجعل المستضيء يمشي في قصره ويقول: أي والله، **وترعى عَين غيرك في دِيارك**، ويكررها ويبكي حتى الليل.

(١) هذه المنهجية الصحيحة في الطلب، فليست العِبرة بكثرة القراءة، وتنوع فنون العلم، بل العبرة بجودة القراءة، وضبط العلم، وتكراره، ولو مكث الطالب سنتين في فن واحد، أو كتابٍ ذي أجزاء كثيرة.

(٢) أي: أن عمره حين ابتدأ الوعظ اثنتا عشرة سنة.

(٣) وهذا من الأخطاء التي يقع فيها بعض طلاب العلم، حيث يُكثرون من القراءة أو التصنيف في فن لم يأخذوه عن الشيوخ المتقنين.

وحاصل الأمر: أن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يُسمع بمثلها، وكانت عظيمة النَّفع، يتذكر بها الغافلون، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويُسلم فيها المشركون.

وقد ذكر في تاريخه: أنه تكلم مرة، فتاب في المجلس على يده نحو مائتي رجل، وقُطعت شعور مائة وعشرين منهم..

وقال في آخر كتاب القُصَّاص والمذكّرين له: ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى، **فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل**: وقد قُطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة، **وأسلَمَ على يدي أكثر من مائة ألف.**

قال: ولا يكاد يُذكر لي حديث إلا ويمكنني أن أقول: صحيح، أو حسن أو محال.

ولقد أقدر على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ، وربما قرئت عندي في المجلس خمس عشرة آية، فآتي على كل آية بخطبة تناسبها في الحال.

قرأت بخط الإمام ناصح الدين بن الحنبلي الواعظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حق الشيخ أبي الفرج: اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره، وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع ظُرَّاف بغداد، ونُظَّاف الناس، وحُسن الكلمات المسجعة والمعاني المودعة في الألفاظ الرائجة، وقراءة القرآن بالأصوات المرجعة، والنغمات المطربة[1]، وصيحات الواجدين، ودمعات الخاشعين، وإنابة النادمين، وذل التائبين، والإحسان بما يفاض على المستمعين، من رحمة أرحم الراحمين.

---

(١) هذا ظاهر في أن الشيخ لا يسرد الآيات بصوته المعتاد، بل كان يجمِّله ويحسنه، فيكون أثره أبلغ.

ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات، ولم يشغله عن الاشتغال بالعلم شاغل، ولا لعبٍ ولا لها، ولا سافر إلا إلى مكة..

قال الشيخ موفق الدين المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام أهل عصره في الوعظ، وصنَّف في فنون العلم تصانيف حَسَنَة، وكان صاحب قبول.

وكان يدرس الفقه ويصنف فيه، وكان حافظًا للحديث، وصنف فيه، **إلا أننا لم نرض تصانيفه في السُّنة**، ولا طريقته فيها. انتهى.

وكان إذا رأى تصنيفًا وأعجبه صنَّف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل لقوة فهمه، وحِدَّة ذهنه، فربما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدَّمه.

وقد كان شيخه ابن ناصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يثني عليه كثيرًا، ولما صنف أَبُو الفرج كتابه المسمى بـ «التلقيح»[1] وله إذْ ذاك نحو الثلاثين من عمره، عَرَضه على ابن ناصر، فكتب عليه: قرأ عليَّ هذا الكتاب جامعه الشيخ الإمام العالم الزاهد أَبُو الفرج، فوجدتُه قد أجاد تصنيفه، وأحسن تأليفه وجمعه، ولم يُسبق إلى مثل هذا الجمع..

وقال الإمام أَبُو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أجوبته المصرية: كان الشيخ أَبُو الفرج مفتيًا كثير التصنيف والتأليف، وله مصنفات في أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر مِن ألفِ مصنَّف، ورأيت بعد ذلك له ما لم أره.

قال أَبُو الفرج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أول ما صنفت وألفت - ولي من العمر نحو ثلاث عشرة سنة.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما علمت أن أحدًا من العلماء، صنَّف ما صنف هذا الرجل.

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير.

ومن لفظ كلامه الحسن في المجالس، قَالَ: في حديث «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين»: إنما طالت أعمار الأوائل لطول البادية، فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل: حُثّوا المطي.

ومن كلامه الحسن: مَن قَنع طاب عيشه، ومَن طَمع طال طيشه.

وقال: الدنيا دار الإله، والمتصرِّف في الدار بغير أمر صاحبها لِصّ.

وقال يومًا في مناجاته: إلهي لا تعذب لسانًا يُخبر عنك، ولا عينًا تَنظر إلى علومٍ تدُل عليك، ولا قدمًا تمشي إلى خدمتك، ولا يدًا تكتب حديث رسولِك، فبعزتك لا تُدخلني النار، فقد عَلِم أهلها أني كنت أذبّ عن دينك، ارحم عبرةً ترقرق على ما فاتها منك، وكبدًا تحترق على بعدها عنك.

وقد نالته محنة في آخر عمره رَحِمَهُ اللَّهُ. ذيل الطبقات (٢/ ٤٥٨-٥١٨).

* **إِبْرَاهِيم بن عَبْد الْوَاحِد** المقدسي الدمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٥٥)، الفقيه، الزاهد، الورع، العابد، **عِماد الدين**، أَخُو الحافظ عَبْدالغني، ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة: قَالَ الشيخ موفق الدين رَحِمَهُ اللَّهُ -فِي حق العِماد، لما سُئِل عَنْهُ-: كَانَ من خيار أَصْحَابنا، وأعظمهم نفعًا، وأشدهم ورعًا، وأكثرهم صبرًا عَلَى تعليم الْقُرْآن والفِقه، وَكَانَ داعية إِلَى السُّنة، وتعليم العلم والدِّين، وَكَانَ يقري الضعفاء الفقراء، ويُطعمهم ويبذل لَهُمْ نَفْسه.

وَكَانَ من أَكْثَر النَّاس تواضعًا، واحتقارًا لنفسه وخوفًا من الله تَعَالَى، وَمَا أعلمُ أنني رأيتُ أشدَّ خوفًا منه.

وَكَانَ كثير الدعاء والسؤال لِلَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ يُطيل الركوع والسجود فِي الصلاة، ويَقصد أن يقتدي بصلاةِ رسول الله ﷺ، ولا يَقبل من أحد يعذله فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ الحافظ الضياء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ مِن كثرة أشغاله واشتغاله لا يتفرَّغ للتصنيف والكِتابة.

قَالَ: وسمعت الشيخ موفق الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُول: مَا نقدر نعمل مثل العماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كَانَ يتألف النَّاس ويقريهم، حَتَّى إنه ربما ردد عَلَى إِنْسَان كلمات يسيرة من سَحَرٍ إِلَى الفجر.

وَقَالَ الضياء: كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتألَّفُ النَّاس، ويَلطُف بالغرباء والمساكين، حَتَّى صار من تلاميذه جَمَاعَة من الأكراد والعرب والعجم، وَكَانَ يتفقَّدُهم ويسأل عَنْهُم، وعن حالهم، ولقد صحبه جَمَاعَة من أنواع المذاهب، فرجعوا عَن مذاهبهم لما شاهدوا منه.

وَكَانَ **سخيًّا جوادًا، كثير المعروف**، حَتَّى كَانَ بيته مأوى لِلنَّاسِ، وَكَانَ يَنْصَرِفُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى بَيْتِهِ مِنَ الْفُقَرَاءِ جَمَاعَة كثيرة من أَصْحَابه، فيُقدِّم إليهم مَا حضر..

وَكَانَ **كثير الأمر بالمعروف والنهي عَنِ المنكر**، لا يرى أحدًا يُسيء صلاته إلا قَالَ لَهُ وعلَّمه.

ولقد بلغني أَنَّهُ خرج مرة إِلَى قوم من الفُسَّاق فكسر مَا معهم فضربوه، ونالوا منه حَتَّى غُشِي عَلَيْهِ، فأراد الوالي ضرب الَّذِينَ نالوا منه، فَقَالَ: إِن تابوا ولزموا الصلاة فلا تُؤذهم، وَهُمْ فِي حِلٍّ من قِبَلي، فتابوا ورجعوا عما كَانُوا عَلَيْهِ.

قَالَ: ورأيتُه ربما يَكُون فِي مَسْجِد، فإذا أخذ من لحيته شعرةً أَوْ من أنفه شَيْئًا جعل ذَلِكَ فِي عِمامته، وربما برى قَلَمًا فيتحفظ من القلامة، ولا يَدَعها فِي الْمَسْجِد.(١).

وَكَانَ إِذَا أفتى فِي مسألة يتحرَّز فِيهَا احترازًا كثيرًا، حَتَّى كَانَ بَعْض الْفُقَهَاء يتعجب من فتاويه، وكثرة احتِرازه فِيهَا.

---

(١) صيانة من سقوط الوَسَخ من شَعرٍ وغيره في المسجد؛ تعظيمًا له.

وسمعت من يَقُول: كَانَ يَكُون عَلَى ثوبه غُبار، فيَقُول لي: اذهب فانفضه خارج الْمَسْجِد.

وسمعتُ الإمام أبا إِبْرَاهِيم محاسن بن عَبدالْمَلِك التنوخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُول: كَانَ الشيخ العِماد جوهرة العصر، وَذَلِكَ أَن واحدا يصاحب شخصا مدة ربما تغير عَلَيْهِ، وَكَانَ الشيخ العماد مَن صاحَبه لا يَرى منه شَيْئًا يكرهه قط، **كلَّما طالت صحبته ازداد بِشْره**، ورأى منه مَا يسُره، وَهَذَا شَيْء عظيم، وليس يَكُون كرامة أَعْظَم من هَذَا.

قَالَ الضياء: ولعله مَا قعد عنده أحدٌ إلا حصل لَهُ منفعة فِي العلم والزهد، أَوِ اقتباس شَيْءٍ من أخلاقه أَوْ أوراده، وغير ذَلِكَ.

وَكَانَ يذُم نَفْسه ذمًّا كثيرًا، ويحقرها وَيَقُول: إيش يجيء مني؟ إيش أنا؟ وَكَانَ كثير التواضع.

قَالَ: وَلَمْ يزل هَذَا دَأبه من وقت مَا عقلنا، وَكَانَ يتفقد النَّاس، ويسأل عَن أحوالهم كثيرا، وربما بعث إِلَى النَّاس نفقةً سِرًا.

قَالَ: وأوصاني وقت سَفَري، فَقَالَ: أَكْثِر مِن قراءة الْقُرْآن، ولا تتركه، فَإِنَّهُ يتيسر لَكَ الَّذِي تطلبه عَلَى قدر مَا تقرأ، قَالَ: فرأيت ذَلِكَ وجرَّبته كثيرًا، فكنتُ إِذَا قرأتُ كثيرًا تيسر لي مِن سماعِ الحَدِيث وكتابتِه الكثير، وإذا لَمْ أقرأ لَمْ يتيسر لي.

قَالَ: وَكَانَ إِذَا قام إِلَى الصَّلاة المكتوبة، تفل عَن يساره ثلاثًا، واستعاذ بالله من الشَّيْطَان الرجيم، وكبر تكبيرةً يرفع صوته بِذَلِكَ، ثُمَّ يستفتح، قَالَ: فَلَم أرَ أحدًا أَحْسَن صلاة منه، ولا أتم منها بخشوعٍ وخضوع، وحسن قيام وقعود وركوع..

قال: وكان يصوم يومًا ويُفطر يومًا.

قال: وكان كثير الدعاء بالليل والنهار، وكان إذا دعا كأن القلب يشهد بإجابة

دعائه مِن كثرة ابتهاله وإخلاصه، وكان إذا شرع في الدعاء لا يَكاد يَقطعه..

وقد ذكره أبو المظفر سبط ابن الجوزي في تاريخه، وأثنى عليه ثناءً كثيرًا وقال: **ما تحرك بحركة، ولا مشى خطوة، ولا تكلم كلمة؛ إلا لله تعالى**.

وكان يتعبَّد بالإخلاص، ولقد رأيته مرارًا في الحلقة بجامع دمشق، والخطيب يوم الجمعة على المنبر، فيقوم ويأخذ الإبريق ويضع بلبلته على فِيه، على رؤوس الأشهاد، ويوهِمُ الناس أنه يشرب، وأنه لصائم.[1] ذيل الطبقات (٣/ ١٩٨ - ٢١٢).

* وقال سبط ابن الجوزي عن الإمام **موفق الدين ابن قدامة** المقدسي (ت: ٦٢٠) رَحِمَهُمَا اللَّهُ: كان إمامًا في فنون، ولم يكن في زمانه -بعد أخيه أبي عمر والعِماد رَحِمَهُمَا اللَّهُ- أزهد ولا أورع منه، وكان كثير الحياء، عزوفا عن الدنيا وأهلها، هيِّنًا لَينًا متواضعًا، مُحبًا للمساكين، حسن الأخلاق، جوادًا سخيًا، مَن رآه كأنه رأى بعض الصحابة، وكأنما النور يخرج من وجهه، كثير العبادة، يقرأ كل يوم وليلة سُبُعًا من القرآن، ولا يصلي ركعتي السنة في الغالب إلا في بيته، اتباعا للسنة.

وقال أيضا: شاهدت من الشيخ أبي عمر وأخيه **الموفق** ونسيبه العِماد رَحِمَهُمُ اللَّهُ: ما نرويه عن الصحابة والأولياء الأفراد، فأنساني حالهم أهلي وأوطاني.

وقال ابن النجار رَحِمَهُ اللَّهُ: كان الشيخ **موفق الدين** إمام الحنابلة بالجامع، وكان ثقة حُجة نبيلًا، غزير الفَضل، كامل العَقل، شديد التثبُّت، دائم السُّكون، حسن السَّمت، نزهًا وَرِعًا، **عابدًا على قانون السَّلف**، على وجهِه النور، وعليه الوَقار والهيبة، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يَسمع كلامه[2]، صنَّف التصانيف المليحة في

(١) أعظم هبة وكرامة وتوفيق أن يوفق الله عبده للإقبال عليه، وتوحيده وعبادته، والتخلق بالأخلاق الحسنة، ونفع الناس، ولو كان قليل البضاعة بالعلم، مثل هذا الشيخ العارف بالله تعالى، فالأمة تحتاج إلى أمثاله، أكثر من حاجتها إلى عالمٍ قلَّ نصيبه من هذه الأمور العظيمة المباركة.

(٢) يا لها من صفة عظيمة قلّ مَن تُوهَبُ له.

المذهب والخلاف، وقصَدَهُ التلامذة والأصحاب، وسار اسمه في البلاد، واشتهر ذكره، وكان حسن المعرفة بالحديث، وله يدٌ في علم العربية..

قَالَ الضياء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكَانَ لا يناظر أحدًا إلا وهو يَتبَسَّم، حَتَّى قَالَ بَعْض النَّاس: هَذَا الشيخ يقتل خصمه بتبسُّمه[1]..

وَكَانَ يشتغل عَلَيْهِ النَّاس مِن بُكرةٍ إِلَى ارتفاع النَّهار، ثُمَّ يُقرأ عَلَيْهِ بَعْد الظهر، إِمَّا من الْحَدِيث أَوْ من تصانيفه إِلَى المغرب، ورُبما قُرئ عَلَيْهِ بَعْد المغرب وَهُوَ يتعشَّى، **وكان لا يُري لأحدٍ ضَجَرًا**، وربما تضرر فِي نَفْسه ولا يَقُول لأحدٍ شَيْئًا.[2] ذيل الطبقات (٣/ ٢٨٣-٢٨٩).

* **أَبُو الحسن العكبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٨): ذكره ابن شافع في تاريخه فقال: هو الشيخ الصالح، الزاهد، الفقيه، الأمَّار بالمعروف، والنهَّاء عن المنكر.

وقال القاضي أَبُو الحسين وابن السمعاني رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: كان شيخا صالحا، ديِّنًا كثير الصلاة، حسن التلاوة للقرآن..

وتوفي **فجأة في الصلاة** في رمضان سنة ثمان وستين وأربعمائة، ودفن في مقبرة أحمد.

وروى عنه الخطيب فقال: حدثني علي بن الحسين العكبري قال: رأيتُ هبة الله الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قَالَ: غفر لي، قلت: بماذا؟ قَالَ: كلمة خفيفة: بالسُّنّة. ذيل الطبقات ١/ ٢٠.

* **الحافظ أَبُو موسى عبدالله بن عَبْدالغني بن عبدالواحد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢٩): قَالَ عُمَر بن الحاجب الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانَ كثير الفَضل، وافر العقل، متواضعًا،

---

(١) ما أروع هذه الخصلة.

(٢) من علامة توفيق الله للعالِم أن يجعله يُمضي كثيرا من وقته في نشر العلم ونفع الناس، والصبر عليهم وعلى أذاهم، ومعاملتهم معاملة حسنة.

مَهيبًا، وقورًا جوادًا سَخِيًا، له القبول التام، مَعَ العبادة والورع والمجاهدة، كأن كلامه الضياء، وَكَانَ قَدْ عوَّد النَّاس شَيْئًا لَم يروه من غيره، وَذَلِكَ: أَن كُل مَن احتاج إِلَى قرض شَيْء يمضي إِلَيْهِ، فيَحتال لَهُ حَتَّى يحصل لَهُ مَا يطلب، حَتَّى صار عَلَيْهِ من ذَلِكَ ديون، وكثير من النَّاس لا يرجع يُوَفِّيه..

توفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة تسع وعشرين وستمائة.

ورآه بَعْضهم فِي النوم، فَقَالَ له: ما فعل الله بك؟ قَالَ: أسكنني عَلَى بركة رضوان.

ورآه آخر فسأله، فَقَالَ: لقيت خيرًا، فقال له: كَيْفَ النَّاس؟ قَالَ: يتفاوتون عَلَى قدرِ أعمالهم.

ورآه آخر من أَصْحَابه فَقَالَ لَهُ: أوصيك بالدعاء الذي حفَّظتك إياه فاحفظه، فقال لَهُ: مَا بقيتُ أحفظه، فَقَالَ لَهُ: هُوَ مكتوب فِي الورقة الَّتِي كتبتها لَك، فَمَا نفعني الله إلا بِهِ، وَكَانَ الدعاء: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أَنْتَ، خلقتني وأنا عبدك) الْحَدِيث. ذيل الطبقات (٣/ ٣٩٤- ٣٩٨).

* **محمد بن أحمد بن عبدالله اليُونِينيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الشيخ الفقيه المحدث الحافظ، الزاهد العارف الرباني (ت: ٦٨٥): ذكره عُمَر بن الحاجب الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأطنب فِي وصفه وأسهب، وَقَالَ: جَمَع بَيْنَ عِلمَي الشريعة والحقيقة، وكان **حَسَنَ الخَلْق والخُلُق، نَفَّاعًا للخَلق، مُطَّرِحًا للتَّكلُّف**[1]..

وَكَانَ ذا أحوالٍ وكرامات، **وأوراد وعبادات لا يُخِلّ بها**، ولا يُؤَخِّرها عَن وقتها لورود أحدٍ عَلَيْهِ، ولو كَانَ مِن الملوك.

وَكَانَ **لا يرى إظهار الكرامات**[2]، ويقول: كما أوجب الله عَلَى الأنبياء إظهار

---

(١) صفات عظيمة، ومن جَمَعها فقد حاز الفضائل.

(٢) هذا هو منهج أهل السنة والجماعة والسلف الصالح.

المعجزات، أوجب عَلَى الأولياء إخفاء الكرامات. ذيل الطبقات (٤/ ٦٣- ٦٩).

* وقرأتُ بخط الشيخ شمس الدين بن الفخر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ **يَحْيَى بن أَبِي مَنْصُور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٨) إماما كبيرًا مفتيًا، **وَلَهُ مناقب جمة:**

منها: قيام الليل فِي معظم عمره، كَانَ يقوم فِي وقتٍ والله يعجز الشباب عَن ملازمته، وَهُوَ جوف الليل، **يجتهد فِي إسرار ذَلِكَ**، وسائر عمل التقرب.

ومنها: سخاء النفس، وحسن الصحبة، والتعصب فِي حق صاحبه بلحائه واجتهاده وتضرعه، ومساعدته بجاهه وحرمته.

ومنها: التعصب فِي السنة والمغالاة فِيهَا، وقمع أهل البدع، ومجانبتهم ومنابذتهم.

ومنها: قَوْل الحق، وإنكار المنكر عَلَى من كَانَ، لَم يكن عنده من المداهنة والمراءاة شيء أصلًا، يقول الحق، يصدع بِهِ.[1] ذيل الطبقات (٤/ ١٥٠).

* **عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن قدامة المقدسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٨٢)، الفقيه الإمام، الزاهد الخطيب، شيخ الإِسْلام، شمس الدين، أَبُو مُحَمَّد، وأبو الفرج، ابْن الشيخ أَبِي عُمَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسمع من أَبِيهِ، وتفقَّه عَلَى عمِّه شيخ الإِسلام موفق الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعرض عَلَيْهِ كتاب «المقنع» وشرحه عَلَيْهِ، وأذِن لَهُ فِي إقرائه، وإصلاح مَا يرى أَنَّهُ يحتاج إِلَى إصلاحٍ فِيهِ، ثُمَّ شَرَحَهُ بعده فِي عَشر مجلدات، واستمد فِيهِ من «المغني» لعمه.

قَالَ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ رقيق القلب، سريع الدمعة، كريم النفس، كثير الذكر لِلَّهِ، والقيام بالليل، محافظا عَلَى صلاة الضحى، ويصلِّي بَيْنَ العشاءين مَا تيسر، ويؤثر بِمَا يؤتيه من صلة الملوك وغيرهم، وَكَانَ متواضعا عِنْدَ العامة، مترفعا عِنْدَ

(١) هذه أخلاق الأولياء، جعلنا الله منهم.

الملوك[١]، وَكَانَ مجلسه عامرا بالفقهاء والمحدثين وأهل الدين.

وأوقع الله محبته فِي قلوب الخلق، وَلَم يكن فِي زمانه من يُصلِّي أَحْسَن منه، ولا أتم خشوعًا.

وكان كثير الدعاء والابتهال، لا سيما فِي الأماكن المرجو فِيهَا الإِجابة، **كثير الاهتمام بأمور النَّاس**، لا يكاد يعلم بمريض إلا افتقده، ولا مَات أحد من أهل الجبل إلا شيَّعه..

وذكر الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَن أَبِي إِسْحَاق اللّوي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وَكَانَ شيخ المالكية، ومن أهل العلم والدين والحَدِيث- أَنَّهُ قَالَ: كَانَ شيخنا شيخ الإِسلام شمس الدين قدوة الأنام، مِمَّن تفتخر بِهِ دمشق عَلَى سائر البلدان، بَل يزهو بِهِ عصره عَلَى متقدم العصور والأزمان؛ **لما جمع اللّه لَهُ من المناقب والفضائل الَّتِي أوجبت للأواخر الافتخار عَلَى الأوائل:**

منها: التواضع، مَعَ عظمته فِي الصدور.

وتركُ التنازع فيما يفضي إِلَى التشاجر والنفور.

والاقتصاد فِي كُل مَا يتعاطاه من جميع الأمور، لا عَجرفة فِي كلامه ولا تقعّر، ولا تعظّم فِي مشيته ولا تبختر، ولا شطط فِي ملبسه ولا تكثر.

ومع هَذَا فكانت لَهُ صدور المجالس والمحافل، وإلى قَوْله المنتهى فِي الفصل بين العشائر والقبائل، مَعَ مَا أمدَّه الله عَلَيْهِ من سعة العلم، وفَطَره عَلَيْهِ من الرأفة والحلم.

وَكَانَ لا يُوَفِّر جانبه عمَّن قَصَدَه، قريبًا كَانَ أَوْ أجنبيًّا.

ولا يدَّخر شفاعته عمن اعتمده، مسلما كَانَ أَوْ ذِميًّا.

(١) هذا هو خلق الأصفياء والأتقياء، جعلنا الله منهم.

يتناب بابَه الأمراءُ والملوكُ، فيساوي فِي إقباله عَلَيْهِم بَيْنَ المالك والمملوك.[١] ذيل الطبقات (٤/ ١٧٢- ١٨٢).

* **أحمد بن عبدالرحمن بن أَحْمَد بن قدامة المقدسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شيخ الإِسلام، ولد فِي شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة.

قَالَ البرزالي: كَانَ خطيب الجبل، ومدرس أَكْثَر المدارس وشيخ الحنابلة، وَكَانَ فقيها فاضلا، سريع الحفظ، جيد الفهم، كثير المكارم، شهما، شجاعا، ولي الْقَضَاء وَلَمْ يبلغ ثلاثين سنة، فقام بِهِ أتم قيام.

وَقَالَ اليونيني: كانت لَهُ الخطابة بالجامع المظفري، والإمامة بحلقة الحنابلة بجامع دمشق، ونظر أوقاف الحنابلة، وَكَانَ مشكور السيرة فِي ولايته، وعنده معرفة بالأحكام، وفقه نفيس، وفضيلة ومشاركة فِي كثير من العلوم من غَيْر استقلال، وَكَانَ يركب الْخَيْل، ويلبس السلاح، ويحضر الغزوات، وحجَّ مِرارًا.

توفِي سنة تسع وثمانين وستمائة، بمنزله بقاسيون، وصلَّى عَلَيْهِ ضحوة يَوْم الأربعاء خارج جامع الجبل، وحضره نائب السلطنة والأمراء والقضاة والأعيان، وَكَانَ عمره ثمانٍ وثلاثين سنة.[٢] ذيل الطبقات (٤/ ٢٣١-٢٣٣).

* **أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن عَبْد السَّلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الحراني، ثُمَّ الدمشقي، الإِمَام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد، تقي الدين أَبُو الْعَبَّاس، شيخ الإِسْلام وعلم الأعلام، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب فِي أمره.

ولد يَوْم الاثنين عاشر ربيع الأَوَّل سنة إحدى وستين وستمائة بحران.

---

(١) بهذه الصفات رفعه الله، ووضع له القبول والمحبة بين الناس.

(٢) انظر كيف قضى حياته في العلم والتعليم والجهاد، حتى قال عنه ابن رجب: شيخ الإسلام، ومع هذا مات قبل بلوغه سنّ الأربعين، فالإنسان لا يُقاس بعمره، بل بصدقه مع ربه وهمته في نفسه.

وقدم بِهِ والده وبإخوته إِلَى دمشق، عِنْدَ استيلاء التتر عَلَى البلاد، سنة سبع وستين وستمائة..

وعُني بالحَدِيث، وسمع المسند مرات، والكتب الستة، ومُعجم الطبراني الكبير، وَمَا لا يُحصى من الكتب والأجزاء، وقرأ بنفسه، وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل عَلَى العلوم فِي صِغَره، فأخذ الفقه والأصول عَن والده وعن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر والشيخ زين الدين بن المنجا رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وبرع فِي ذَلِكَ، وناظر، وقرأ فِي العربية أيامًا عَلَى سُلَيْمَان بن عَبْدالقوي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، ثُمَّ أخذ كتاب سيبويه، فتأمله ففهمه.

وأقبَلَ عَلَى تفسير الْقُرآن الكريم، فبرز فِيهِ، وأحكم أصول الفقه، والفرائض، والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذَلِكَ من العلوم، ونظر فِي علم الْكَلام والفلسفة، وبرز فِي ذَلِكَ عَلَى أهله، ورد عَلَى رؤسائهم وأكابرهم، ومهر فِي هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس، **وَلَهُ دُونَ العشرين سنة**، وأفتى من قبل العشرين أيضًا، وأمده الله بكثرة الكُتُب وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبُطء النسيان، حَتَّى قَالَ غَيْر واحد: إنه لَمْ يكن يحفظ شَيْئًا فينساه.

قَالَ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي معجم شيوخه: أَحْمَد بن عَبْد الحليم –وساق نسبه–

---

(١) الطوفي (ولد بعد عام ٦٧٠، وتوفي عام ٧١٦)، قال الشيخ عبدالرحمن بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في حاشيته على الذيل: الطوفي من تلاميذ شيخ الإسلام، جاء في شرح مختصر الروضة له: «وقد صنّف شيخنا تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.. كتابا على بطلان المحلل»..

قال: لا مانع أن يستفيد كلّ واحد من الآخر من العلم الذي برع فيه، ولا شك أن الطوفي أكثر حاجة إلى علم الإمام منه. ا.هـ.

قلت: والطوفي أصغر من شيخ الإسلام بأكثر من تسعة أعوام، ومع ذلك قرأ عليه وتتلمذ عليه بالفن الذي يتقنه، وهذا هو ديدن العلماء الصادقين، حيث يستفيدون العلم من أهله ولو كانوا أصغر منهم سنا.

الحراني ثُمَّ الدمشقي، الحنبلي، أَبُو الْعَبَّاس تقي الدين، شيخنا وشيخ الإِسلام، وفريد العصر علما ومعرفة، وشجاعة وذكاء، وتنويرًا إلهيًّا، وكرما ونصحا للأمة، وأمرا بالمعروف ونهيًا عَنِ المنكر، سمع الحَدِيث، وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب وخرج، ونظر فِي الرجال والطبقات، وحصل مَا لَمْ يحصِّله غيره، برع فِي تفسير الْقُرْآن، وغاص فِي دقيق معانيه بطبع سيال، وخاطرٍ إِلَى مواقع الإِشكال ميال، واستنبط منه أشياء لَمْ يُسبق إِلَيْهَا.

وبرع فِي الحَدِيث وحفظه، فقلَّ من يحفظ مَا يحفظه من الحَدِيث، معزوا إِلَى أصوله وصحابته، مَعَ شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق النَّاس فِي معرفة الفقه، واخْتِلاف المذاهب، وفتاوى الصَّحَابَة والتابعين، بحيث إنه إِذَا أفتى لَمْ يلتزم بمذهب، بَل يقوم بِمَا دليله عنده، وأتقن العربية أصولًا وفروعًا، وتعليلًا واخْتِلافًا.

ونظر فِي العقليات، وعرف أقوال المتكلمين، وَرَدَّ عَلَيْهِم، وَنبَّه عَلَى خطئهم، وحذَّر مِنْهُم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين.

وأُوذي فِي ذَات الله من المخالفين، وأُخيف فِي نصر السنة المحضة، حَتَّى أعلى الله مَناره، وجمع قلوب أهل التقوى عَلَى محبته والدعاء لَهُ، وَكَبَتَ أعداءه، وهدى بِهِ رجالًا من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء عَلَى الانقياد له غالبًا، وعلى طاعته، أَحيى بِهِ الشام، بَل والإسلام، بَعْد أَن كاد ينثلم، بتثبيتِ أولي الأمر؛ لما أقبل حزب التتر والبغي فِي خيلائهم، فظُنت بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، واشْرَأَب النفاق وأبدى صفحته.

ومحاسنه كثيرة، وَهُوَ أكبر من أَن يُنَبه عَلَى سيرته مثلي، فلو حلفتُ بَيْنَ الركن والمقام لحلفت: إني مَا رأيت بعيني مثله، وأنه مَا رأى مثل نَفْسه.

وَقَدْ قرأت بخط الشيخ العلامة شيخنا كمال الدين بن الزملكاني رَحِمَهُ اللَّهُ، مَا كتبه سنة بضع وتسعين تَحْتَ اسم (ابْن تيمية) كَانَ إِذَا سُئل عَن فن من العلم ظن الرائي والسامع: أَنَّهُ لا يعرف غير ذاك الفن، وحكم أَن أحدًا لا يعرفه مثله، وكَانَ الْفُقَهَاء من سائر الطوائف إِذَا جالسوه استفادوا منه فِي مذهبهم أشياء، ولا يُعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع منه، ولا تكلم فِي علم من العلوم -سواء كَانَ من علوم الشرع أَوْ غيرها- إلا فاق فِيهِ أهله، واجتمعت فِيهِ شروط الاجتهاد عَلَى وجهها.

وَقَالَ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي معجمه المختصر: كَانَ إمامًا متبحرًا فِي علوم الديانة، صحيح الذهن، سريع الإدراك، سيّال الفهم، كثير المحاسن، موصوفًا بفرط الشجاعة والكرم، فارغا عَن شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة لَهُ فِي غَيْر نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه.

قلت -أي ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ-: وقد عُرض عليه قضاء القضاة قبل التسعين، ومشيخة الشيوخ، فلم يقبل شَيْئًا من ذَلِكَ. قرأت ذَلِكَ بخطه.

قَالَ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكره أَبُو الفتح اليعمري الحافظ -يَعْنِي ابْن سيد النَّاس رَحِمَهُ اللَّهُ-، فَقَالَ: أَلْفيتُه ممن أدرك عن العلوم حظًّا، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا، إِن تكلم فِي التفسير فَهُوَ حامل رايته، وإن أفتى فِي الفقه فَهُوَ مدرك غايته، أَوْ ذاكر بالحَدِيث فَهُوَ صاحب علمه وذو روايته، أَوْ حاضَر بالنحل والملل لَمْ يرَ أوسع من نحلته، ولا أرفع من درايته.

برز فِي كُل فن عَلَى أبناء جنسه، وَلَمْ تر عينُ مَن رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نَفْسه.

وَقَدْ كتب الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تاريخه الكبير للشيخ ترجمه مطولة، وَقَالَ فِيهَا: وَلَهُ خبرة بالرجال، وجرحهم وتعديلهم، وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الْحَدِيث،

وبالعالي والنازل والصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونِه، فلا يبلغ أحد من العصر رتبته ولا يُقاربه، وَهُوَ عجيب فِي استحضاره، واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى فِي عزوه إِلَى الكتب الستة، والمسند، بحيث يصدق عَلَيْهِ أَن يقال: كُل حَدِيث لا يعرفه ابْن تيمية فليس بحَدِيث.

ولقد كَانَ عجيبًا فِي معرفة علم الْحَدِيث، فأما حفظه متون الصحاح وغالب متون السنن والمسند: فَمَا رأيت مَن يُدانيه فِي ذَلِكَ أصلًا.

قَالَ: وَأَمَّا التفسير فمسلَّمٌ إِلَيْهِ، وَلَهُ من استحضار الآيات من الْقُرْآن -وقت إقامة الدليل بِهَا عَلَى المسألة- قوة عجيبة، وإذا رآه المقرئ تحير فِيهِ، ولفرط إمامته فِي التفسير، وعظم اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويُوهي أقوالًا عديدة، وينصر قولًا واحدًا، موافقا لما دل عَلَيْهِ الْقُرآن والحَدِيث، ويكتب فِي اليوم والليلة من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصلين، أَوْ من الرد عَلَى الفلاسفة والأوائلَ: نحوا من أربعة كراريس أَوْ أزيد.

قلت -أي ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وَقَدْ كتب (الحموية) فِي قعدة واحدة، وَهِيَ أزيد من ذَلِكَ، وكتب فِي بَعْض الأحيان فِي اليوم مَا يبيض منه مجلد.

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فريد دهره فِي فَهْم الْقُرْآن، ومعرفة حقائق الإيمان، وَلَهُ يد طولى فِي الْكَلام عَلَى المعارف والأحوال، والتمييز بَيْنَ صحيح ذَلِكَ وسقيمه، ومعوجه وقويمه.

وَقَدْ كتب ابْن الزملكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بخطه عَلَى كتاب (إبطال التحليل) للشيخ ترجمة الكتاب واسم الشيخ، وترجم لَهُ ترجمة عظيمة، وأثنى عَلَيْهِ ثناء عظيمًا.

وكتب أيضًا تَحْتَ ذَلِكَ:

مـاذا يَقُـول الواصفـون لَـهُ   وصفاتـه جلَّـتْ عَـنِ الحصـر

هُـوَ حجـة لِلَّـهِ قـاهـرة   هُـوَ بيننـا أعجوبـة الدَّهـر
هـو آيـة للخَلـق ظاهـرة   أنوارهـا أربـت عَلَـى الفجـر

وللشيخ أثير الدين أَبِي حيان الأندلسي النحوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -لما دَخَلَ الشيخ مصر واجتمع بِهِ- ويقال: إِن أبا حيان لَمْ يقل أبياتًا خيرًا منها ولا أفحل:

لمـا رأينـا تقـي الديـن لاح لنـا   داعٍ إِلَـى الله فـردًا مالـه وزر
عَلَى محيَّاه من سيما الأُلى صحِبوا   خيـر البريـة نـورٌ دونـه القمـر
حَبْـر تسـربل منـه دهـره حِبَـرًا   بحـر تقـاذفُ مـن أمواجـه الـدرر
قـام ابْـن تيميـة فِـي نصـر شِـرعتنا   مقـام سـيد تَيْـمٍ إِذْ عَصَـتْ مُضـر
فأظهـر الديـن إِذْ آثـاره درسـت   وأخمـد الشـرك إِذ طـارت لَهُ شـرر
يا من تحدث عَن علم الكتاب أَصِخْ   هَذَا الإِمام الذي قد كان ينتظر

وحكى الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ لَهُ -عِنْدَ اجتماعه بِهِ وسماعه لكلامه-: مَا كنت أظن أَن الله بقي يَخلق مثلك.

ومما وجد في كتاب كتبه العلامة قَاضِي القضاة أَبُو الْحَسَن السبكي إلى الحافظ عبدالله الذهبي فِي أمر الشيخ تقي الدين المذكور رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: أما قَوْل سيدي فِي الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه فِي العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه فِي كُل من ذَلِكَ المبلغ الَّذِي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول دائمًا وقدره فِي نفسي أكبر من ذَلِكَ وأجل، مَعَ مَا جمعه الله لَهُ من الزهادة والورع والديانة، ونصرة الحق، والقيام فِيهِ لا لغرض سواه، وجريه عَلَى سنن السلف، وأخذه من ذَلِكَ بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله فِي هَذَا الزَّمَان، بَل من أزمان.

وَكَانَ الحافظ أَبُو الْحَجَّاج المزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يبالغ فِي تعظيم الشيخ والثناء عَلَيْهِ، حَتَّى كَانَ يَقُول: لم يُر مثله منذ أربعمائة سنة.

وبلغني من طريق صحيح عَنِ ابْن الزملكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَنَّهُ سُئل عَنِ الشيخ؟ فَقَالَ: لَمْ يُرَ من خمسمائة سنة.

وَكَذَلِكَ كَانَ أخوه الشيخ شرف الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبالغ فِي تعظيمه جدًا، وَكَذَلِكَ المِشايخ العارفون، كالقدوة أَبِي عبدالله مُحَمَّد بن قوام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويحكى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُول: مَا أسلمت معارفنا إلا عَلَى يد ابْن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والشيخ عماد الدين الواسطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَانَ يعظمه جدًا، وتتلمذ لَهُ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ أسن منه، وَكَانَ يَقُول: قَدْ شارف مقام الأئمة الكبار، ويناسب قيامه في بعض الأمور: الصّدِّيقِين.

وكتب رسالة إِلَى خواص أَصْحَاب الشيخ يوصيهم بتعظيمه واحترامه، ويعرفهم حقوقه، ويذكر فِيهَا: أَنَّهُ طاف أعيان بلاد الإِسلام، وَلَمْ يرَ فِيهَا مثل الشيخ علمًا وعملًا وحالًا وخلقًا واتباعًا، وكرمًا وحلمًا فِي حق نَفْسه، وقياما فِي حق الله تَعَالَى، عِنْدَ انتهاك حرماته، وأقسم عَلَى ذَلِكَ بالله ثَلاث مرات.

ثُمَّ قَالَ: أصدق النَّاس عقلًا، وأصحهم علمًا وعزمًا، وأنفذهم وأعلاهم فِي انتصار الحق وقيامه، وأسخاهم كفًّا، وأكملهم اتباعا لنبيه مُحَمَّد ﷺ.

مَا رأينا في عصرنا هَذَا من تُستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هَذَا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح: أَن هَذَا هُوَ الاتباع حقيقة.

قَالَ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وغالب حطِّه عَلَى الفضلاء والمتزهدة فبِحق، وَفِي بعضه هُوَ مجتهد، ومذهبه توسعة العذر للخَلق، ولا يُكفِّر أحدًا إلا بَعْد قيام الحجة عَلَيْهِ.

قَالَ: ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السَّلفية، واحتج لَهَا ببراهين ومقدمات، وأمور لَمْ يُسبق إِلَيْهَا، وأطلق عباراتٍ أحجم عَنْهَا الأولون والآخرون وهابوا، وجَسَر هُوَ عَلَيْهَا، حَتَّى قام عَلَيْهِ خلقٌ مِن علماء مصر والشام قياما لا مزيد عَلَيْهِ، وبدَّعوه وناظروه وكابروه، وَهُوَ ثابتٌ لا يُداهِن ولا يُحابي، بَل يَقُول الحق المرَّ الَّذِي أدَّاه إِلَيْهِ اجتهاده، وحدَّة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مَعَ مَا اشتُهر عَنْهُ من الورع، وكمال الفكر، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله.

فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قَدْ رموه عَن قوس واحدة، فينجيه الله، **فَإِنَّهُ دائم الابتهال**، كثير الاستغاثة، والاستعانة بِهِ، قوي التوكل، ثابت الجأش، لَهُ أوراد وأذكار يُدْمنها بكيفية وجمعية[١].

وَلَهُ من الطرف الآخر مُحبّون من الْعُلَمَاء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلًا ونهارًا، بلسانه وقلمه.[٢].

وَأَمَّا شجاعته: فبها تضرب الأمثال، وببَعْضهَا يتشبه أكابر الأبطال، ولقد أقامه الله تَعَالَى فِي نوبة قازان، والْتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد وطلع، ودخل وخرج، واجتمع بالملك (يَعْنِي قازان) مرتين، و(بقَطْلوشا)، و(بُولاي)، وكان (قبجق)[٣] يتعجب من إقدامه وجراءته عَلَى المغول.

(١) وهي أن يجمع قلبه حال ذكرها بخشوع وتدبر وتفكر.

(٢) فنفع الناس بالعلم والمال والجاه والقيام على شؤونهم يجلب مودّتهم، ويغرس الحبّ والتعظيم في قلوبهم.

(٣) قازان: ملك التتار، واسمه محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولى بن جنكيز خان، تولى الملك على التتار سنة ٦٩٤هـ.

بقَطْلوشاه: نائب قازان، وهو من التتر. =

وَلَهُ حدة قوية تعتريه فِي البحث، حَتَّى كَأَنَّهُ ليثٌ حَرِب، وَهُوَ أكبر من أَن ينبِّه مثلي عَلَى نعوته.

وفيه قلة مداراة، وعدم تؤدة غالبًا، والله يغفر لَهُ.

وَلَهُ إقدام وشهامة، وقوة نفس توقِعه فِي أمور صعبة، فيدفع الله عَنْهُ.

وَلَهُ نظمٌ قليل وسط، وَلَم يتزوج، ولا تسرَّى، ولا لَهُ من المعلوم إلا شَيْء قليل، وأخوه يقوم بمصالحه، ولا يطلب مِنْهُم غذاء ولا عشاء فِي غالب الوقت.

وَمَا رأيت فِي العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عَنِ الدينار والدرهم، لا يذكره، ولا أظنه يدور فِي ذهنه.

وفيه مروءة، وقيام مَعَ أَصْحَابه، وسعي فِي مصالحهم، وهو فقير لا مال لَهُ. وملبوسه كآحاد الْفُقَهَاء: عمامة تكون قيمة ثلاثين درهمًا، ومداس ضعيف الثمن، وشعره مقصوص.

وَهُوَ رَبْع القامة، بعيد مَا بَيْنَ المنكبين، كأن عينيه لسانان ناطقان، ويصلي بالناس صلاة لا تكون أطول من ركوعها وسجود.

وربما قام لمن يجيء من سفر أَوْ غاب عَنْهُ، وإذا جاء فربما يقومون لَهُ، الكل عنده سواء، كَأَنَّهُ فارغ من هذه الرسوم، وَلَمْ ينحنِ لأحدٍ قط، وإنما يسلم ويصافح ويبتسم.

وَقَدْ يعظم جليسه مرة، ويهينه فِي المحاورة مرات.

قلت -أي ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وَقَد سافر الشيخ مرةً عَلَى البريد إِلَى الديار

= بُولاي: من أمراء التتر الذين عاثوا في الأرض فسادًا بعد وقعة قازان.

قبجق: هو الأمير سيف الدين قبجق المنصوري نائب السلطان على دمشق سنة ٦٩٦هـ، فرّ إلى المغول ولحق بهم في أيام (لاجين) خوفًا منه بعد وقعة قازان ودخول التتر دمشق، فجعله قازان نائبًا له على الشام.

المصرية يستنفر السلطان عِنْدَ مجيء التتر سنةً من السنين، وتلا عَلَيْهِم آيات الجهاد، وَقَالَ: إِن تخليتم عن الشام ونصرة أهله، والذبِّ عَنْهُم، فَإِن الله تَعَالَى يقيم لهِم من ينصرهم غيركم، ويستبدل بكم سواكم، وتلا قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد:٣٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وبلغ ذَلِكَ الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وَكَانَ هُوَ الْقَاضِي حينئذ- فاستحسن ذَلِكَ، وأعجبه هَذَا الاستنباط، وتعجب من مواجهة الشيخ للسلطان بمثل هَذَا الْكَلام.

وَأَمَّا مِحَنُ الشيخ: فكثيرة، وشرحها يطول جدًّا.

ذكر وفاته: مكث الشيخ فِي القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إِلَى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، ثُمَّ مرض بضعة وعشرين يومًا، وَلَمْ يعلم أَكْثَر النَّاس بمرضه، وَلَمْ يفجأهم إلا موته.

وكانت وفاته فِي سحر ليلة الاثنين عشرين ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وذكر مؤذن القلعة عَلَى منارة الجامع، وتكلم بِهِ الحرس عَلَى الأبراج، فتسامع النَّاس بِذَلِكَ، وبعضهم أُعلم بِهِ فِي منامه، وأصبح النَّاس واجتمعوا حول القلعة حَتَّى أهل الغوطة والمرج، وَلَمْ يطبخ أهل الأسواق شَيْئًا، ولا فتحوا كثيرا من الدكاكين الَّتِي من شأنها أَن تفتح أول النهار، وفُتح بَاب القلعة.

وَكَانَ نائب السلطنة غائبًا عَنِ البلد، فجاء الصاحب إِلَى نائب القلعة، فعزاه بِهِ وجلس عنده، واجتمع عِنْدَ الشيخ فِي القلعة خلقٌ كثير من أَصْحَابه، يبكون ويثنون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبدالرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَنَّهُ ختم هُوَ والشيخ منذ

دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا فِي الحادية والثمانين، فانتهيا إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

وخرج الرجال، ودخل النِّسَاء من أقارب الشيخ، فشاهدوه ثُمَّ خرجوا، واقتصروا عَلَى من يغسله، ويساعد عَلَى تغسيله، وكانوا جَمَاعَة من أكابر الصالحين وأهل العلم، كالمزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره، وَلَمْ يفرغ من غسله حَتَّى امتلأت القلعة بالرجال وَمَا حولها إِلَى الجامع، فصَلَّى عَلَيْهِ بدركات القلعة: الزاهد القدوة مُحَمَّد بن تمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وضج النَّاس حينئذ بالبكاء والثناء، وبالدعاء والترحُّم.

وأُخرج الشيخ إِلَى جامع دمشق فِي الساعة الرابعة أَوْ نحوها، وَكَانَ قَد امتلأ الجامع وصحنه، والكلاّسة، وباب البريد، وباب الساعات إِلَى الميادين والفوارة.

وَكَانَ الجمع أَعْظَم من جمع الجمعة، ووُضع الشيخ فِي موضع الجنائز، مِمَّا يلي المقصورة، والجند يحفظون الجنازة من الزحام، وجلس النَّاس عَلَى غَيْر صفوف. بَل مرصوصين، لا يتمكن أحد من الجلوس والسجود إلا بكلفة، وكثر النَّاس كثرةً لا توصف.

فلما أذن المؤذن الظهر أقيمت الصلاة عَلَى السدة، بخلاف العادة، وصلوا الظهر، ثُمَّ صلوا عَلَى الشيخ.

ثُمَّ ساروا بِهِ والناس فِي بكاء ودعاء وثناء، وتهليل وتأسف، والنساء فَوْقَ الأسطحة من هناك إِلَى المقبرة يدعين ويبكين أيضًا، **وكان يومًا مشهودًا، لم يعهد بدمشق مثله**، وَلَمْ يتخلف من أهل البلد وحواضره إلا القليل من الضعفاء والمخدَّرات، وصرخ صارخ: **هكذا تكون جنائز أئمة أهل السنة**. فبكى النَّاس بكاء كثيرًا عِنْدَ ذَلِكَ.

وأخرج من بَاب البريد، واشتد الزحام، وصار النعش على الرؤوس، يتقدم

تارة، ويتأخر أُخْرَى، وخرج الناس من أبواب الجامع كلها وَهِيَ مزدحمة، ثُمَّ من أبواب الْمَدِينَة كلها.

ودُفن وقت العصر أَوْ قبلها بيسير، إِلَى جانب أخيه شرف الدين عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بمقابر الصوفية، وحُزر الرجال: بستين ألفًا وأكثر، إِلَى مائتي ألف، والنساء بخمسة عشر ألف، وظهر بِذَلِكَ قَوْل الإمام أَحْمَد: (بيننا وبين أهل البدع يَوْم الجنائز).

وختم لَهُ ختمات كثيرة بالصالحية والمدينة، وتردَّد النَّاس إِلَى زيارة قبره أيامًا كثيرة، ليلًا ونهارا، ورُئِيَت لَهُ منامات كثيرة صالحة.

ورثاه خلقٌ كثير من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدانٍ شتى، وأقطار متباعدة، وتأسف المسلمون لفقده، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ورحمه وغفر لَهُ.

وصُلِّيَ عَلَيْهِ صلاة الغائب فِي غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة، حَتَّى فِي اليمن والصين، وأخبر المسافرون: أَنَّهُ نودي بأقصى الصين للصلاة عَلَيْهِ يَوْم جمعة: (الصلاة عَلَى ترجمان الْقُرْآن). ذيل الطبقات (٤/ ٤٩١ - ٥٢٩).

وَلَهُ -أي ابن إِلْمَى التركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قصيدة حسنة طويلة فِي مدح **الشيخ تقي الدين ابْن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، منها:**

وَقَدْ علم الرحمن أَن زماننا ... تشعب فِيهِ الرأي أي تشعب
فجاء بحبر عالم من سَراتهم ... بسبع مئين بَعْد هجرة يثرب
يقيم قناة الدين بَعْد اعوجاجها ... وينقذها من قبضة المتعصب
فذاك فتى تيمية خير سيد ... نجيب أتانا من سلالة منجب
عليم بأدواء النفوس يسوسها ... بحكمته فِعْلَ الطبيب المجرب
بعيدٌ عن الفحشاء والبغي والأذى ... قريبٌ إلى أهل التقى ذو تحبُّب

يرى نصْرةَ الإسلام أكرم مغنم وإظهارَ دين الله أربحَ مكسب
وكم قَدْ غدا بالفعل والقول مبطلا ضلالة كذاب ورأيَ مكذِّب
وَلَمْ يلقَ من أعداه غَيْر منافق وآخر عَن نهج السبيل منكِّب
وليس لَهُ فِي الزهد والعلم مشبه سِوَى الْحَسَن البصري وابن الْمُسَيِّب

ذيل الطبقات (٥/ ١٧- ١٩).

* وقَالَ الحافظ الضياء رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعتُ أبا سُلَيْمَان بن الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ يقُول: سمعتُ بَعْض أهلنا يَقُول: إِن **الحافظ عَبدالغني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٠٠)[1] سُئِل: لَمْ لا تقرأ الأحاديث من غَيْر كتاب؟ فقَالَ: **إنني أخاف العُجب**.

وَقَالَ: كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مجتهدًا عَلَى طلب الْحَدِيث، وسماعه لِلنَّاسِ من قريب وغريب، فكان كُل غريب يَأْتِي يسمع عَلَيْهِ، أَوْ يعرف **أَنَّهُ يطلب الْحَدِيث يُكرمه** ويبره، ويُحسن إِلَيْهِ إحسانًا كثيرًا..

قَالَ: وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يقرأ الْحَدِيث يَوْم الجمعة بَعْد الصلاة بجامع دمشق، وليلة الخميس بالجامع أيضًا ويجتمع خلق كثير، وَكَانَ يقرأ ويَبكي، ويُبكي الناس بكاءً كثيرًا..

وكَانَ شيخنا الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ، **لا يكادُ يُضيّع شَيْئًا من زمانه بلا فائدة**؛ فإنه كان يُصلي الفجر، ويُلقِّن النَّاس الْقُرْآن، وربما أقرأ شَيْئًا من الْحَدِيث، فَقَدْ حفظنا منه أحاديث جمَّة تلقينا، ثُمَّ يقوم يتوضأ، فيصلي ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إِلَى قبل وقت الظهر، ثُمَّ ينامُ نومةً يسيرة إِلَى وقت الظهر، ويشتغل إمَّا للتسميع بالحَدِيث، أَوْ بالنسخ إِلَى المغرب، فَإِن كَانَ صائما أفطر بَعْد المغرب، وإن كَانَ

(١) عَبدالغني بن عبدالواحد المقدسي، الحافظ الزاهد أَبُو مُحمَّد، صاحب كتاب «عمدة الأحكام» و«الكمال في أسماء الرجال» وغيرهما.

مُفطِرًا صلى من المغرب إِلَى عِشاء الآخرة، فَإِذَا صلَّى العِشاء الآخرة، نام إِلَى نصف الليل أَوْ بعده، ثُمَّ قام كأن إِنْسَانا يوقِظه..

وَكَانَ يَستعمل السواك كثيرًا، حَتَّى كأن أسنانه البرد..

وَكَانَ **لا يَرى منكرًا إلا غيَّره بيده أَو لسانه**، وكَانَ **لا تأخذه في الله لومة لائم**، ولقد رأيته مرة يهريق خمرًا، فجَبذ صاحبُه السَّيْف، فلم يخف من ذَلِكَ وأخذه من يده.

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قويًّا فِي بدنه، وَفِي أمر الله، وكثيرا مَا كَانَ بدمشق يُنكر المنكر، ويكسر الطنابير والشبابات..

وذكر غَيْر واحد: أَنَّهُ وقع بمصر غَلاء وَهُوَ بها، فكان يؤثر بعشائه عِدة ليالي ويطوي.

قَالَ: وَقَالَ لي أَبُو الفتح ولده: والدي يعطي النَّاس الكثير، ونحن لا يبعث إلينا شَيْئًا.

وسمعته يَقُول: أبلغ مَا سأل العبد ربه ثلاثة أشياء: رضوان الله عَزَّوَجَلَّ، والنظر إِلَى وجهه الكريم، والفِردوس الأعلى.

وسمعت أبا مُحَمَّد عبدالرحمن بن إِبرَاهِيم المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: سألتُ الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقُلتُ: هَؤُلاءِ المشايخ يُحْكَى عَنْهُم من الكرامات مَا لا يُحكى عَنِ الْعُلَمَاء، إيش السبب في هذا؟.

فَقَالَ: اشتغال الْعُلَمَاء بالعلم كرامات كثيرة، أَوْ قَالَ: **تُريد للعلماء كرامة أفضل مِن اشتغالهم بالعلم؟!** ذيل الطبقات (٣/ ١ - ٢١).

* **محمود بن عَلِي بن عَبْد الولي البعلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٤)، الفقيه الفَرَضي، ولد في حدود السبعمائة، وَسَمِعَ الْحَدِيث من جَمَاعَة، وتفقَّه على الشيخ مجد

الدين الحراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبرع فِي الفرائض والوصايا، والجبر والمقابلة.

وَكَانَ قيّما بنقل المذهب، واستحضار أَكْثَر المسائل، فقيها مفتيًا، خَيِّرا دَيِّنًا، وَكَانَ متواضعًا متوددًا، ملازمًا للأشغال، حريصًا عَلَى إفادة الطلبة، بارًا بِهِمْ، محسنًا إليهم.[1].

وحدثني بَعْض أَصْحَابه أَنَّهُ رآه فِي النوم بَعْد وفاته فَقَالَ لَهُ: أين أنت؟.

قال: لي أَيَّام هبطتُ إِلَى الفردوس.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فأين كنت قبلها؟.

قال: في الضيافة. ذيل الطبقات (٥/ ١٢٣- ١٢٧).

* مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر الزرعي، ثُمَّ الدمشقي الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف، شمس الدين **أَبُو عبدالله ابْن قيم الجوزية** شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة، تفقَّه فِي المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأخذ عَنْهُ، وتفنَّنَ فِي علوم الإِسلام، وَكَانَ عارفًا بالتفسير لا يُجارى فِيهِ، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، والحَدِيث ومعانيه وفِقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يُلحق فِي ذَلِكَ، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وَلَهُ فِيهَا اليد الطولى، وتعلَّم الْكَلام والنحو وغير ذَلِكَ، وكان عالمًا بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم، ودقائقهم، لَهُ فِي كُل فنٍّ من هذه الفنون اليد الطولى..

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا عبادة وتهجّد، وطول صلاة إِلَى الغاية القصوى، وتألّه ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة، والإِنابة والاستغفار، والافتقار إِلَى اللَّه، والانكسار لَهُ، والإطراح بَيْنَ يديه عَلَى عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله فِي ذَلِكَ، ولا رأيت

(١) ما أجمل أن يتحلى الشيخ بهذه الأخلاق العظيمة، والصفات النبيلة، التي تحبب الطلبة به وبالعلم.

أوسع منه علمًا، ولا أعرف بمعاني الْقُرْآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هُوَ المعصوم، ولكن لَم أرَ فِي معناه مثله.

وقد امتحن وأوذي مرات، وحُبِس مَعَ الشيخ تقي الدين فِي المرة الأخيرة بالقلعة، منفردًا عَنْهُ، وَلَمْ يُفرج عَنْهُ إلا بَعْد موت الشيخ.

وَكَانَ فِي مدة حبسه مشتغلًا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففُتح عَلَيْهِ من ذَلِكَ خير كثير، وحصل لَهُ جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذَلِكَ عَلَى الْكَلام فِي علوم أهل المعارف، والدخول فِي غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بِذَلِكَ، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وَكَانَ أهل مَكَّة يذكرون عَنْهُ من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمرًا يُتعجب منه.

ولازمتُ مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعتُ عَلَيْهِ (قصيدته النونية الطويلة) وأشياء من تصانيفه، وغيرها.

وأخذ عَنْهُ العلم خلق كثير من حياة شيخه وإلى أَن مَات، وانتفعوا بِهِ، وَكَانَ الفضلاء يعظمونه، ويتتلمذون لَهُ، كابن عَبْدالهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره.

وَقَالَ الْقَاضِي برهان الدين الزرعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَا تَحْتَ أديم السماء أوسع علمًا منه، ودرس بالصدرية، وأَمَّ بالجوزية مدة طويلة، وكَتَبَ بخطه ما لا يوصف كثرة.

وصنف تصانيف كثيرة جدًا فِي أنواع العلم، وَكَانَ شديد المحبة للعلم، وكتابته ومطالعته وتصنيفه، واقتناء الكتب، واقتنى من الكتب مَا لَم يحصل لغيره..

توفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، وشيَّعه خلق كثير، ورئيت لَهُ منامات كثيرة حسنة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَكَانَ قَدْ رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي النوم، وسأله عَن منزلته؟ فأشار إِلَى علوها فَوْقَ بَعْض الأكابر.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: وأنت كدتَ تلحق بنا، ولكن أَنْتَ الآن فِي طبقة ابْن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ذيل الطبقات (٥/ ١٧٠- ١٧٦).

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): **قطب الدّين عبد الكريم الحلبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٣٥): مغبوطٌ بالخير، والتواضع، وحسن الأخلاق، وملازمة الاشتغال، وكثرة التصنيف.[1] معرفة القراء (٣/ ١٤٧٩).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **المجد التونسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧١٧) موصوفًا بصحة الذهن، وقوة الذكاء، مع التَّصون والسكينة، والسَّمْت الحسن، والانقباض عن المخالطة، وحسن العقيدة والنسك. معرفة القراء (٣/ ١٤٧٩).

* **مجد الدِّين مُحَمَّد بن يَعْقُوب الشِّيرَازِيّ الفيروز أبادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١٧)، القَاضِي إِمَام عصره فِي اللُّغَة آخر من مَاتَ من الرؤساء الَّذين انْفَرد كلٌّ مِنْهُم بفنٍّ فاق فِيهِ أقرانه على رَأس الْقرن الثَّامِن، وهم:

١- الشَّيْخ سراج الدِّين البُلْقِينِيّ فِي الْفِقْه على مَذْهَب الشَّافِعِي.

٢- وَالشَّيْخ زين الدِّين الْعِرَاقِيّ فِي الحَدِيث.

٣- وَالشَّيْخ سراج الدَّين ابْن الملقن فِي كَثْرَة التصانيف فِي فني الْفِقْه والْحَدِيث.

٤- وَالشَّيْخ شمس الدَّين الغماري فِي الْعَرَبيَّة.

٥- وَالشَّيْخ أَبُو عبدالله بن عَرَفَة فِي فقه الْمَالِكِيَّة وَفِي سَائِر الْعُلُوم بالمغرب.

٦- وَالشَّيْخ مجد الدَّين الشِّيرَازِيّ فِي اللُّغَة.

رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٢٩٨).

* وقال الشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّنا لا ننكر ما بلغه الشيخ **محمد بن**

---

(١) حُقّ له أن يغبطه على هذه الخصال العظيمة، والإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغبوطٌ كذلك على تحلّيه بهذه الخصال وغيرها، نسأل الله من فضله.

عبدالله بن فيروز (ت: ١٢١٦)[١] من سَعَة العلم وقوة الحفظ وكثرة الاطلاع، ولا ننكر أنَّه بلغ من الشهرة والزعامة مبلغًا بعيدًا وصل به إلى مُكاتَبة السلطان محمود خان، وأنَّ السلطان كان يُقدِّر ويعتقد فيه، وأنَّه قام بالتعليم والتدريس بجِدٍّ ونشاط وهمَّة حتى تخرَّجت عليه الأفواج العديدة من العلماء الكبار، كلُّ هذا صحيح وأكثر منه أيضًا، وإنما الذي ننكره ونأخذه عليه هو مُعادّاته الشديدة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومحاربته لدعوته برسائله وقصائده وأجوبته، حتى صار لهذه الدعوة مِن ألَدِّ الخصوم!!.

إنَّها دعوة صحيحة صريحة واضحة، وإنَّ حقيقتها الرجوع بالإسلام إلى جِدته وتنقيته من الشرك والبدع وتصفيته من أكدارها، وإنَّ محمد بن فيروز لو ترك التعصب والهوى ورجع إلى نفسه وعِلمه لعَلِمَ ذلك؛ لأنَّ هذا لا يخفى على من هو أقل منه علمًا ودراية. علماء نجد (٦/ ١٩٩).

* وقال **الجلال السيوطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩١١): وكان محبّ الدين ابن هشام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٩) أوحد عصره في تحقيق النحو، سمعت شيخنا عَلَم الدين البُلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كان والدي يقول: هو أنحى من أبيه.

أقول: أما قوله: «أنحى من أبيه» فهي مبالغة مردودة.[٢] السحب الوابلة

---

(١) هو من ألدّ أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته المباركة، وظل يُحارب بلسانه وبيانه الدعوة السلفية وأهلها، وصار يكاتب السلطان في إستانبول ومشيخة الإسلام حتى عجز. [علماء نجد خلال ثمانية قرون (٦/ ١٩٤)].

(٢) قال الدكتور عبد الرحمن العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صدق الشيخ ابن حميد -رحمةُ الله عليه-، فلا يُمكن أن يكون أنحى من أبيه؛ لأنّ أباه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصل إلى درجة التحقيق والاجتهاد في النحو. فرحم الله ابن حميد الذي ردّ على هذه المقولة وتنبّه لها. ا.هـ.

قلت: تأمل إلى إنصافه وعدله، فقد أثنى هنا عليه حينما قال حقًّا، وردّ عليه وفندّ أقواله في مواضع من كتابه حينما افترى على إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودعوته، ولَمَزه=

(٣/ ٩٨٨-٩٨٩).

* وكان **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) يقول: هذا المذهب -أي الحنبلي- إنما ظلَمَه أصحابه؛ لأن **أصحاب أبي حنيفة والشافعي** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ إذا برع واحد منهم في العلم تولى القضاء وغيره من الولايات، فكانت الولاية لتدريسه واشتغاله بالعلم، فأما **أصحاب أحمد** فإنه قل فيهم من تعلق بطرفٍ من العلم إلا ويخرجه ذلك إلى التعبد والتزهد لغلبة الخير على القوم، فينقطعون عن التشاغل بالعلم.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان مع ذلك -أي ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يتكلَّمُ كثيرًا بلسان الاجتهاد والترجيح، واتباع الدليل الذي يظهر له ويقول: الواجبُ اتباع الدليل، لا اتباع أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان يخونه قلة بضاعته في الحديث، فلو كان متضلعا من الحديث والآثار، ومتوسعا في علومهما لكملتْ له أدوات الاجتهاد.

وكان اجتماعه بأَبِي بَكْرٍ الخطيب، ومن كان في وقته من أئمة الحفاظ، كأبي نصر بن ماكولا، والحميدي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وغيرهم، أولى وأنفع له من الاجتماع بابن الوليد وابن التبان، وتركُه لمجالسة مثل هؤلاء هو الذي حرمه علمًا نافعًا في الحقيقة، ولكن الكمال لله. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).

* وقرأ **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧) بواسط وهو ابن ثمانين سنة بالعشر على ابن الباقلاني، وتلا معه ولده يوسف. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٧٩).

* وكان أبو **إسماعيل الأنصاري الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١) إذا حَضَر المجلس لبِس الثياب الفاخرة، وركب الدواب الثمينة، والمراكب المعروفة،

= وطعنه عليه، وصدق الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة:٨].

وتكلَّف غاية التَّكلّف، ويقول: إنما أفعلُ هذا إعزازًا للدِّين، ورغمًا لأعدائه، حتى ينظروا إلى عزِّي وتجمُّلي، **فيرغبوا في الإسلام إذا رأوا عِزَّه**، ثم إذا انصرف إلى بيته عاد إلى المرقعة والقُعود مع الصوفية، يأكل معهم ما يأكلون، ويلبسُ ما يلبسون، ولا يتميَّز في المطعوم والملبوس عن آحادهم. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وكان الشيخ **عبدالله بن محمد الدويش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠٨) ليِّنًا من غير ضعف، سمحا كريما حليما محبوبا، متقرّبا للطالبين والفقراء والمساكين، صبورا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخاف في الله لومة لائم، معرضا عن القيل والقال، سالكا أهدى سبيل بقدر طاقته، دائم الصمت إلا فيما يعنيه، قليل الكلام، حسن السمت، دائم البشر مبتسمًا. علماء نجد (٤/ ٣٠١).

ط- فضل أصحاب الحديث:

* قال سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **مالكُ بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) معلمَ عبدالرحمن ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩١) في العلم، وكان معلمُه في العبادة **سليمانَ بنَ القاسم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٣)[(١)].

وقال ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رجلان أقتدي بهما في ديني: سليمان بن القاسم في الورع، ومالك بن أنس في العلم.[(٢)] ترتيب المدارك (١/ ٤٧٣).

* وقال الأصمعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت **محمد بن إدريس الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤)، فرأيت فقيهًا عالمًا حسن المعرفة، عذب اللسان، يحتج ويعرف، ولا

---

(١) أبو الربيع الجمحي، المصري الزاهد، أحد السادة الأولياء. [تاريخ الإسلام (٤/ ٣٩٩)

(٢) كان السلف يأخذون العبادة والورع والزهد من أهله، ويتعلّمونه كما يتعلّمون العلم، ولمّا قلّ وندر هذا الصنف في هذا الزمان كان لابدّ من كثرة القراءة في سير هؤلاء العُبّاد الزهاد، والقراءة في كتب الرقائق والسلوك، حتى يرق قلب المؤمن بسماع أخبارهم، ويصلح حاله بتأمل أحوالهم، فيسلك سبيلهم، ويقتفي آثارهم.

يَحْسُن إلا لصدر سرير، أو ذروة منبر، وما علمت أني أفدته حرفًا، فضلًا عن غيره، ولقد استفدت منه ما لو حفظ رجلٌ يسيرَه هكذا لكان عالمًا.[١] ترتيب المدارك (١/ ٤٢٥، ٤٢٧).

* وقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لِابْنِهِ عبدالله: أَفِدْ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ وَأَكْرِمْهُمْ؛ فَإِنَّ **إِبْرَاهِيمَ بن بَكْرِ بن عَيَّاشٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) لَمْ يَكُنْ يُفِيدُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، وَيَجْفُوهُمْ فَلَمْ يُفْلِحْ. الآداب الشرعية ٢/ ٧٧.

* وسُئِل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا عبدالله أيهما أحب إليك: الرجل يكتب الحديث أو يصوم ويصلي؟ قال: يكتب الحديث.

قيل: فمن أين فضَّلت كتاب الحديث على الصوم والصلاة؟ قال: لئلا يقول قائل: إني رأيت قومًا على شيء فاتَّبعتهم.[٢]

* وقال بديل بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت أنا وإبراهيم بن سعيد الجوهري عَلَى **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) فِي اليوم الذي مات فيه أو مات فِي تلك الليلة التي تستقبل ذلك اليوم، قَالَ: فجعل أَحْمَد يقول لنا: **عليكم بالسُّنة**، عليكم

(١) الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من نوادر الرجال، وقد وهبه الله قوة في الحفظ، فقد حفظ القرآن دون سن السابعة، وحفظ الموطأ خلال أسبوع، وقد طُبع على العربية وفهمها منذ صغره، ثم عكف يدرس عند الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم يكن يقلد أحدا، بل جعل يتأمل من النصوص، ويستعين على فهمها بالله أولا ثم بالعربية التي كان مرجعا فيها، فلذلك جاء بما يُبهر العلماء، ويُذعن لفضله الفقهاء، ويسلّم لإمامته الفضلاء.
ولم يكن في تلاميذ الإمام مالك من عنده ما عند الشافعي، فذلك كان الغالب عليهم تقليده والرجوع إلى فتاويه.
ولعل من حكمة الله في أنه لم يُمدّ في عمره، ليستلم قيادة الأمة وريادة العلم وإمامة الدين تلميذُه الإمام أحمد، ويواجه المحنة، لتكون سببا في رفعته واجتماع الأمة عليه.
فرحم الله علماء الأمة، ووفقنا للسير على خطاهم، والثبات على نهجهم.

(٢) أي: لئلا يكون إمّعة يتّبع ما كان عليه آباؤه وأجداده.

بالأثر، عليكم بالحديث، لا تكتبوا رأي فلان ورأي فلان، فسمى أصحاب الرأي. طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٦).

* وقال إِبْرَاهِيم الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل شيء أقول لكم: هذا قول أصحاب الحديث: فهو قول **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هو أَلْقى فِي قلوبنا منذ كنا غلمانا اتِّباع حديث النَّبِيّ ﷺ، وأقاويل الصحابة، والاقتداء بالتابعين. طبقات الحنابلة (١/ ٢٣٤).

* وقال **الخطيب البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٣): طلب الحديث في هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوع؛ لأجل دروس السنن وخمولها، وظهور البدع واستعلاء أهلها. شرف أصحاب الحديث: ٨٦.

* وقال **بعض السلف**: ما أحدٌ من أهل العلم إلا وفي وجهه نضرة؛ لقول النبي ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع».[١] المجالسة وجواهر العلم (٣٥).

* وقال أبو عبدالله الحاكم النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت **أبا بكر النيسابوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٢) وهو يخاطب فقيها، فقال: حدَّثُونا عن سليمان بن حرب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: دعنا من حدَّثنا، إلى متى حدَّثنا وأنبأنا؟.

فقال: يا هذا لست أشمُّ من كلامك رائحةَ الإيمان، فلا يحل لك أن تدخل داري، ثم هجره حتى مات. طبقات الشافعيين (١/ ٢٢٣).

* وكان **أبو إسماعيل الأنصاري الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١) يدخل عليه الجبابرة والأمراء، **فما كان يبالي بهم**، ويرى بعض أصحاب الحديث من الغُرَباء **فيُكرمه إكرامًا** يَعجب منه الخاصُ والعام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[٢] ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٣٣٤٩) وصححه محققو المسند، والترمذي (٢٦٥٧) وصححه.

(٢) هكذا هم الصادقون، وقد عكس هذه الصفة بعض الناس، فأصبح يبالغ في إكرام الوجهاء والأغنياء ويبشّ في وجوههم، ويجفو الفقراء والضعفاء ولا يكاد يبش في وجوههم.

* ومن شعر **جعفر بن محمد السراج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٠٠):

لله درُّ عـــصـــابـــة يسـعون في طلـب الفوائـد
يُدْعَـون أصحـاب الحديـ ـث بهم تجمَّلت المشاهد
يتتبَّعـون مـــن العلـــو م بــكلّ أرض كلَّ شـارد
فهـــمُ النجـــوم الْمُهتَدى بهـمُ إلـى سُبُل المقاصـد

ذيل الطبقات (١/ ٢٤٠).

* وكان **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) من أفاضل العالم، وأذكياء بني آدم، مُفرط الذكاء، متسع الدائرة في العلوم، وكان خبيرا بالكلام، مطلعا على مذاهب المتكلمين، وله بعد ذلك في ذم الكلام وأهله شيء كثير، كما ذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره عنه أنه قَالَ: **أنا أقطع أن الصحابة ماتوا، ما عرفوا الجوهر والعَرَض،** فإن رضيتَ أن تكون مثلهم فكُن، وإنْ رأيتَ أنَّ طريقة المتكلمين أولى مِن طريقة أَبِي بَكْرٍ وعُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فبئس ما رأيتَ.

وذُكِر عنه أنه قَالَ: لقد بالغتُ في الأصول طول عمري، ثم عدتُ القَهقَرى إلى مذهب المكتب.[1].

وقرأتُ بخط الحافظ أبي محمد البرزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: قرأتُ بخط الحافظ ضياء الدين المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كتب بعضُهم إلى **أبي الوفاء بن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول له: صِف لي أصحابَ الإمام أحمد على ما عرفتَ من الإنصاف.

فكتبَ إليه يقول:

١- هُم قوْم خُشُنٌ.

٢- تقَلّصتْ أخلاقهم عن المخالطة، وغلظت طباعهم عن المداخلة.

---

(١) يقصد أنه رجعَ بعد طول البحث في علم الكلام إلى مذهب الذين يكتبون الحديث ويشتغلون به.

٣- وغلبَ عليهم الجدّ، وقلَّ عندهم الهزل.

٤- وعزبتْ نفوسهم عن ذل المراءاة.

٥- وفزعوا عن الآراء إلى الروايات، وتمسكوا بالظاهر تحرجًا عن التأويل.

٦- وغلبت عليهم الأعمال الصالحة، فلم يُدقّقوا في العلوم الغامضة، بل دقَّقوا في الوَرَع، وأخذوا ما ظهر من العلوم، وما وراء ذلك قالوا: الله أعلم بما فيها، من خشية باريها.

٧- لم أحفظ على أحد منهم تشبيهًا، إنما غلبت عليهم الشناعة، لإيمانهم بظواهر الآي والأخبار، من غير تأويلٍ ولا إنكار.

والله يعلم أنني لا أعتقد في الإسلام طائفة مُحِقَّة، خالية من البدع، سوى من سلك هذا الطريق. ذيل الطبقات (١/ ٣٣٦-٣٣٩).

ظ- حال بعض العلماء وأثره في البيان وتصنيف الكتب:

* قال **أَبُو الفضل بن شافع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٦٥):

في زُخرف القول تزيين لباطله ... والقول قد يعتريه سوء تعبير

تقول هذا مُجاج النحل تمدحه ... وإن تَعِبْ قلت هذا قيء زنبور

مدحا وذما وما جاوزت وصفهما ... حسنُ البيان يُري الظلماءَ كالنور

ذيل الطبقات (٢/ ٢٣٣).

* وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ عن **أحد العلماء**: يقال: إنه كان ضيِّق العطن في تصانيفه لا يتمَّها[١]، وأن كلامه كان أجودَ مِن قلمه. ذيل الطبقات (٢/ ٢٥١).

* وقال الحافظ شهاب الدين ابن حجي: طلب **سراج الدين البلقيني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠٥) العلم في صغره، وحصّل الفقه والنحو والفرائض، وشارك

---

(١) ومثله كثير!

في الأصول وغيره، وفاق الأقران في الفقه، ثم أقبل على الحديث وحفظ متونه وحفظ رجاله، فحفظ من ذلك شيئا كثيرا، وبعد صيته، ثم قدم علينا قاضيًا بالشام وهو إذ ذاك كهل، **فبهر الناس بحفظه وحسن عبارته،** وخضع له الشيوخ في ذلك الوقت، واعترفوا بفضله، ثم رجع إلى بلده وبنى مدرسة بالقاهرة، وأثرى وكثر ماله وتصدى للفتوى والإشغال، وكان معوَّلُ الناس في ذلك عليه، ورحلوا إليه، وكثر طلبته في البلاد، وأفتوا ودرسوا وصاروا شيوخ بلادهم في أيامه، وله تصانيف كثيرة لم تتم، **يصنف قطعًا ثم يتركها، وقلمه لا يشبه لسانه..**

والسبب في عدم إكماله لغالب مصنفاته: اشتغاله بالإشغال والتدريس والتحديث والإفتاء. طبقات الشافعية (٢/ ٢٧٨-٢٧٩).

* وقَالَ **ابن الباقلاني** المقرئ الواسطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٣):

كُتْبِي لأهل العلم مبذولة ... أيديهمُ مثل يديْ فيها
حاشاي أن أكتمها عنهمُ ... بُخْلًا كما غيريَ يخفيها
أعارنا أشياخُنا كُتْبَهُم ... وسنةُ الأشياخ نحييها

ذيل الطبقات (٢/ ٥٢٧).

* وترجم الْإِسنَوِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لأحد أهل العلم** وقال: كَانَ لَا يكَاد يَنْقَطِع فِي المباحث، وَكَانَ يبْحَث مَعَ الْكَبِير وَالصَّغِير، إِلَّا أنه قَلِيل المطالعة جدًا، لَا يكَاد أحد يرَاهُ نَاظرا فِي كتاب، وصنف مختصرات فِي عُلُوم مُتعَدِّدَة، واشتهرت وحفظت فِي حَيَاته وعقب مَوته، ثمَّ انطفأت كَأَن لم تكن.[1] طبقات الشافعية (٢/ ١٩).

---

(١) انشغل هذا الرجل بالجدال والمباحثات مع الصغير والكبير، وهذا مرض خطير، لاسيما مع قلة القراءة والاطلاع، وهذا يؤدي إلى قلة البركة، وانظر إلى حال هذا الرجل، حيث ألّف واختصر كتبًا عديدة، واشتهرت في حياته وبعد مماته، ثم انطفأت كأن لم تكن، فليست العبرة بكثرة التأليف، بل العبرة بالإخلاص والصدق مع الله، وتأليف ما ينفع.

ض- حال السلف وأهل العلم عند الاختلاف:

* كَانَتْ بَيْنَ **أَبِي بَكْرٍ** (ت: ١٣) **وَعُمَرَ** (ت: ٢٣) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مُحَاوَرَةٌ[١]، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ».

وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الخَبَرَ، وَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ.[٢] صحيح البخاري (٤٦٤٠).

* وقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَحِمَهُ اللهُ: كُنْتُ أَنَا **وَابْنُ عُمَرَ** (ت: ٧٣) مُسْتَنِدَيْنِ إِلَى حُجْرَةِ **عَائِشَةَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ت: ٥٨)، وَإِنَّا لَنَسْمَعُ ضَرْبَهَا بِالسِّوَاكِ تَسْتَنُّ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَجَبٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ: أَيْ أُمَّتَاهُ أَلَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَتْ: وَمَا يَقُولُ؟ قُلْتُ يَقُولُ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ

---

(١) أيْ: حوار وجدال في موضوع ما.

(٢) رضي الله عن أصحاب محمدٍ ﷺ، وجمعنا بهم في جنات النعيم.

هذان الصحابيان الجليلان، اللذان هما أفضلُ الناس بعد النبيِّين والمُرسلين، يَحدُث بينهما من الخلاف وسوءِ التفاهُم، بل والغضبِ وإغلاقِ الباب في وجه صاحبه، كما يحدث من جميع الناس، والذي يُميِّزُهم عن جميع الناس أنَّ هذا الخلاف الشديدَ لا يدوم طويلًا، ولا يُحدث فُرقةً وعداوة، بل لا يزيدُهما ذلك إلا محبَّةً وأُلفةً وصلة.

فما أعظم قلوب الصحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وسرعةَ عفوهم ومُسامحتهم للمخطئ، مهما بلَغَ وعظُمَ الخطأ، فالصِّدِّيقُ قبِل اعتذار الفاروقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، بل وجعل يُدافع ويُنافح عنه.

فما أجمل أنْ نعفوَ عن الآخرين، وأنْ نقبل عذر من اعتذر إلينا، وأنْ نُسامح من طلب المسامحة منا، وكلَّما عفا العبدُ رفع الله قدره، وضاعف أجره، قَالَ النبيّ ﷺ: «وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا». رواه مسلم

والمعنى: أنَّ الله تعالى، لا يزيد العبدَ إذا عفا وتسامح، إلَّا عِزًّا ورفعةً في الدنيا والآخرة.

ﷺ فِي رَجَبٍ، فَقَالَتْ: «يَغْفِرُ اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَعَمْرِي، مَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ، وَمَا اعْتَمَرَ مِنْ عُمْرَةٍ إِلَّا وَإِنَّهُ لَمَعَهُ» قَالَ: وَابْنُ عُمَرَ يَسْمَعُ، فَمَا قَالَ: لَا، وَلَا نَعَمْ، سَكَتَ. صحيح مسلم (١٢٥٥).[١].

* وعَنْ شَقِيقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٢) قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ **عَبْدِ اللهِ بن مسعود** (ت: ٣٢) **وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ** (ت: ٥٠) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَجْنَبَ فَلَمْ يَجِدِ الْمَاءَ شَهْرًا أَمَا كَانَ يَتَيَمَّمُ وَيُصَلِّي؟ فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:٤٣]؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَوْ رُخِّصَ لَهُمْ فِي هَذَا لَأَوْشَكُوا إِذَا بَرَدَ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ أَنْ يَتَيَمَّمُوا الصَّعِيدَ، قُلْتُ: وَإِنَّمَا كَرِهْتُمْ هَذَا لِذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدِ الْمَاءَ فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا، فَضَرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ نَفَضَهَا ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَفَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَّارٍ؟![٢] صحيح البخاري (٣٤٧)، صحيح مسلم (٣٦٨).

---

(١) إذا صدرت من أحد الصحابة والسلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فتوى تُخالف النص: ردُّوا على الفتوى وبينوا خطأها مع الاحتفاظ لصاحبها بالاحترام والإجلال، والْتمسوا له الأعذار، وأحسنوا الظنّ به.

فلْنتعلم من مدرسة أصحاب النبي ﷺ، كيفيَّة التعامل مع من أفتى بخلاف الحقّ، وخالف النص الصريح، والعجيب أن هؤلاء الصحابة الكرام، كان أحدُهم يُفتي بما يُخالف النصّ الصريح، ومع ذلك لم يكن أحدٌ من أقرانهم وأصحابهم يردّ عليهم بالعنف والغلظة، ولم يقدحوا بالشخص نفسِه، إنما كانوا يردُّون على الفتوى نفسها، ويُبيِّنون غلطها، دون الْمَساس بصاحبها.

(٢) هذا ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الحوار والنقاش، الْمبني على الدليل والاستنباط، من غير أنْ يكون فيه جدالٌ طويل، ولا كلامٌ بذيء، ولا سعيٌ حثيثٌ للإلزام والإقناع بالرأي، بل كان أحدهم يعرض رأيه ودليله دون أنْ يُطالب الآخر بقبول رأيه، أو يتهمه بأنه يميل مع هواه، كما هو حال الكثير في نقاشهم وجدالهم. =

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دَخَلَ أَبُو مُوسَى وَأَبُو مَسْعُودٍ عَلَى عَمَّار بنِ ياسر (ت: ٣٧) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، حَيْثُ بَعَثَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَهْلِ الكُوفَةِ يَسْتَنْفِرُهُمْ، فَقَالاَ: مَا رَأَيْنَاكَ أَتَيْتَ أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدَنَا مِنْ إِسْرَاعِكَ فِي هَذَا الأَمْرِ مُنْذُ أَسْلَمْتَ؟.

فَقَالَ عَمَّارٌ: «مَا رَأَيْتُ مِنْكُمَا مُنْذُ أَسْلَمْتُمَا أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدِي مِنْ إِبْطَائِكُمَا عَنْ هَذَا الأَمْرِ».

فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ، وَكَانَ مُوسِرًا: يَا غُلاَمُ هَاتِ حُلَّتَيْنِ، فَأَعْطَى إِحْدَاهُمَا أَبَا مُوسَى وَالأُخْرَى عَمَّارًا، وَقَالَ: رُوحَا فِيهِ إِلَى الجُمُعَةِ.(١) صحيح البخاري (٧١٠٥)، (٧١٠٢).

* وكان **عبد المغيث بن زهير الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٨٣) صالحًا متدينًا، حميد الأخلاق، مجتهدًا في اتباع السنة والآثار، وجمع، وصنَّف، وحدّث، ولم يزل يفيد الناس إلى حين وفاته، وبورك له حتى حدَّث بجميع مروياته.(٢).

= والحق في هذا الحوار مع أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث ذكر له دليلين صحيحين صريحين، من القرآن والسنة.

ومع ذلك لم يُعنفه أو يتهمه، واقتصر على هذين الدليلين فقط، دون أنْ يسرد له الحجج الأخرى، ودون أن يُلزمه برأيه.

(١) هكذا كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، تختلف آراؤهم ولا تختلف قلوبهم، فأبو مسعودٍ وأبو موسى اختلفا الرأي مع عمَّارٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وخطَّأ بعضهم بعضًا، وتصارحوا بذلك، ومع ذلك لم يُحدث ذلك فيهم شرخًا في المودة والمحبة، بل كسا أبو مسعودٍ عمارًا وأكرمه.

ومن الملاحظ أنَّ ما اختلفوا فيه أمرٌ خطيرٌ يتعلَّق بالأمة، وهو لا يخلو من أنْ يكون نُصرةً للخليفة العادل الحق -أي علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- في حقٍّ من قاتل معه، أو خذلانًا له في حقِّ من تركه وقعد في بيته، ومع ذلك لم يُعنِّف الصحابةُ بعضُهم بعضًا، ولم نرهم في هذه القصة وغيرها يُلزمون مُخالفيهم بلوازم باطلة، بل ولم نرهم يتكلَّفون إقناع مُخالفيهم بالحجج والأدلة، وإنما غاية ما يفعلون: عرضُ رأيهم وأدلّتِهم فقط، دون تعصب ودون رمي من لم يأخذ بقولِهم بأنه يردُّ الحق.

(٢) يا لها من حياة سعيدة، ومنهج موفق، وبركة عظيمة.

اللهم إنا نسألك مثل هذه السيرة العطرة.

قال ابن القطيعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أحد المحدثين مع صلابته في الدين، واشتهاره بالسنة، وقراءة القرآن، وجرت بينه وبين صاحب المنتظم -يعني: أبا الفرج بن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- نفرة كان سببها الطعن على يزيد بن معاوية، كان عبدالمغيث يمنع من سبه، وصنف في ذلك كتابًا، وأسمعه، وصنف الآخر كتابا سماه «الرد على المتعصب العنيد، المانع من ذم يزيد» وقرأته عليه.

ومات عبد المغيث وهما متهاجران.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه المسألة وقع بين عبدالمغيث وابن الجوزي بسببها فتنة.

ووقع أيضا تنازع بين عبدالمغيث وابن الجوزي في صلاة النَّبِيّ ﷺ خلف أَبِي بَكْرٍ الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فصنَّف عبدالمغيث تصنيفين في إثبات ذلك.

ورد عليه ابن الجوزي في كتاب سماه «آفة أصحاب الحديث، والرد على عبدالمغيث».

قال ابن الصيرفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد حكى لي شيخنا محب الدين أَبُو البقاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الشيخ جمال الدين بن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقول: إني لأرجو من الله سبحانه أن أجتمع أنا وعبدالمغيث رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجنة.

قَالَ: وهذا يدل على أنه كان يعلم أن الشيخ عبدالمغيث من عباد الله الصالحين، فرحمة الله عليهما.[1] ذيل الطبقات (٢/ ٣٤٧-٣٥١).

* ووقع بَيْنَ الشيخين -الفخر ابن تيمية (ت: ٦٢٢) وابن قدامة (ت: ٦٢٠) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ- تنازعٌ فِي مسألة تخليد أهل البدع المحكوم بكفرهم فِي النار -وَكَانَ

(١) ويدل كذلك على أن الاختلاف في الآراء والاجتهادات لا يؤثر على صفاء القلوب والمحبة والمودة.

الشيخ الموفق لا يُطلق عَلَيهِم الخلود- فأنكر ذَلِكَ عَلَيْهِ الشيخ الفَخر، وَقَالَ: إِن كَلام الأَصْحَاب مخالفٌ لِذَلِكَ.

وأرسل يَقُول للشيخ **موفق الدين**: انظر كَيْفَ تستدرك هذه الهفوة؟ فأرسل إِلَيْهِ الشيخ موفق الدِّين كتابًا، أوله:

أخوه فِي الله عبدالله بن أَحْمَد يسلم عَلَى أخيه الإمام الكبير فخر الدين جمال الإسلام، ناصر السنة، أكرمه الله بِمَا أكرم بِهِ أولياءه، وأجزل من كُل خير عطاءه، وبلغه أمله ورجاءه، وأطال فِي طاعة الله بقاءه -إِلَى أَن قَالَ-: إنني لَمْ أنهَ عَنِ القول بالتخليد نافيًا لَهُ، ولا عِبْتُ القول بِهِ منتصرًا لضده، وإنما نهيت عَنِ الْكَلام فِيهَا من الجانبين إثباتا أَوْ نفيًا، كَفًّا للفِتنة بالخصام فِيهَا، **واتباعًا للسُّنة فِي السكوت عَنْهَا**؛ إذ كانت هذه المسألة من جُملة المحدثات، وأشرتَ عَلِي مَن قَبل نَصيحتي بالسُّكوت عما سَكَت عَنْهُ رَسُول الله ﷺ وصحابته، والأئمة المقتدى بهم من بعده.

إِلَى أَن قَالَ: وَأَمَّا قَوْله -وفقه الله- إني كنتُ مسألة إجماع، فصرت مسألة خلاف، **فإنني إِذَا كنتُ مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي حِزبه، مُتَّبعًا لسُنَّته، مَا أبالي مَن خالفني**، ولا مَن خالف فِيّ، ولا أَستوحش لِفراقِ مَن فارقني، وإني لمعتقدٌ أَنّ الخلق كلهم لو خالفوا السُّنة وتركوها، وعادوني من أجلِها لما ازدَدتُ لَهَا إلا لُزومًا، ولا بها إلا اغتِباطًا، إِن وفَّقني الله لِذَلِكَ.

فَإِن الأمور كلها بيديه، وقلوب الْعِبَاد بَيْنَ إصبعيه.

وَأَمَّا قَوْله: إِن هذه المسألة مِمَّا لا تَخفى: فَقَدْ صَدَقَ وبَرَّ، مَا هِيَ بحمد الله عندي خَفِيَّة، بَل هِيَ مُنجلية مضِيَّة، ولكن إِن ظهر عنده بسعادته تصويب الْكَلام فِيهَا تقليدًا للشيخ أَبِي الفرج وابن الزاغوني؛ فَقَدْ تيقَّنتُ تصويب السُّكوت عَنِ

الْكَلام فِيهَا، اتباعًا لسيد المرسلين، ومَن هُوَ حجة عَلَى الخلق أجمعين، ثُمَّ لخلفائه الراشدين، وسائر الصَّحَابَة والأئمة المرضيين، لا أُبالي من لامَني فِي اتباعهم، ولا مَن فارقني فِي وِفاقهم، فأنا كَمَا قَالَ الشاعر:

أجِدُ الملامةَ فِي هواكِ لذيذة حُبًّا لِذِكرِكِ فليلُمني اللُّوَّم

وقوله بسعادته: إِن تعلقه بأن لفظ «التخليد» لَمْ ترد: لَيْسَ بشيء، فأقول: لكني عندي أنا هُوَ الشيء الكبير، والأمر الجليل الخطير، فأنا أوافق أئمتي فِي سكوتِهم، كموافقتي لَهُمْ فِي كلامهم.

فأما قَوْله: إِن كُتبَ الأَصْحَاب القديمة والحَدِيثة فِيهَا **القول بتكفير القائل بخلق الْقُرْآن**: فهذا متضمِّنٌ أَن قَوْل الأَصْحَاب هُوَ الحجة القاطعة، وَهَذَا عجب!.

أترى لو أجمع الأَصْحَاب عَلَى مسألةٍ فروعية، أكان ذَلِكَ حُجَّة يقتنع بها، ويكتفي بذكرها؟ فإن كان فخر الذين يَرى هذا، فما يحتاج في تصنيفه إلى ذِكرِ دليلٍ سوى قول الأصحاب.

وإن كَانَ لا يَرى ذَلِكَ حُجةً فِي الفروع فكيف جَعَله حُجَّةً فِي الأصول؟! وهَبْ أنا عذرنا العامة في تقليدهم الشيخ أبي الفرج وغيره من غَيْر نظر فِي دليل، فكيف يُعذر مَن هُوَ إمامٌ يُرجع إِلَيْهِ فِي أنواع العلوم؟!.

ثم إِن سلَّمناه ما قَالَ، فلا شك أَنَّهُ مَا اطلع عَلَى جميع تصانيف الأَصْحَاب.

ثُمَّ إِن ثبتَ أَن جميعهم اتفقوا على تكفيرهم، فهو معارَض بقول مَن لَمْ يكفرهم؛ فَإِن الشَّافِعِي رَحِمَهُ اللَّهُ وأَصْحَابه لا يرون تكفيرهم إلا أبا حامد.

فبِما يثبت الترجّح؟.

ثُمَّ إِن اتفق الكل عَلَى تكفيرهم، فليس التَّخليد مِن لوازِمه؛ فَإِن النَّبي ﷺ قَدْ أطلَقَ التَّكفير فِي مواضِعَ لا تخليدَ فِيهَا وذكر حَدِيث «سِباب المسلم فسوق وقتاله كَفر» وغيره من الأَحاديث.

وَقَالَ: قَالَ أَبُو نصر السجْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلف القائلون بتكفير القائل بخلق القرآن، قال بَعْضهم: كفر ينقل عَنِ الملة، وقال بَعْضهم: كفر لا ينقل عَنِ الملة، ثُمَّ إِن الإمام أَحْمَد رَحِمَهُ ٱللَّهُ -الَّذِي هُوَ أشد النَّاس عَلَى أهل البدع- قَدْ كَانَ يَقُول للمُعتصم: يا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ، ويرى طاعة الخُلفاء الداعين إِلَى القول بخلق الْقُرْآن، وصلاةِ الجُمع والأعياد خَلفهم، ولو سمع الإمام أَحْمَد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من يَقُول هَذَا القول الَّذِي لَمْ يرد عَنِ النَّبِي ﷺ ولا عن أحدٍ قبله: لأنكره أشدَّ الإنكار، فَقَدْ كَانَ ينكر أقل من هَذَا.

ثم إن علمتم أنتم هَذَا، أفيحل لي ولمثلي مِمَّن لَمْ يعلم صحة هَذَا القول أَن يَقُول بِهِ؟.

وهل فرض الجاهل بشيء إلا السكوت عنه؟..

وَأَمَّا قولك بسعادتك: «انظر كَيْفَ تتلافى هذه الهفوة وتزيل تكدير الصفوة»؛ فَإِن قنع مني بالسكوت فَهُوَ مذهبي وسبيلي، وعليه تعويلي، وَقَدْ ذكرت عَلَيْهِ دليلي.

وإن لَمْ يرض مني إلا أَن أقول مَا لا أعلم، وأسلُك السبيل الَّذِي غيره أسد وأسلم، وأخلع عذاري فِي سلوك مَا فِيهِ عثاري، ويسخط عَلَى الباري: ففي هَذَا التلافي تلافي، وتكدير صافي أوصافي، لا يرضاه لي الأخ المصافي، ولا مَن يُريد إنصافي، ولا مَن سعى فِي إسعافي، وَمَا أتابعه ولو أَنَّهُ بشر الحافي.

إِلَى أن قَالَ: واعلم أيها الأخ الناصح أنك قادمٌ عَلَى ربك، ومسؤولٌ عَن مقالتك هذه، فانظر مَنِ السَّائل، وانظر مَا أَنْتَ لَهُ قائل، فأعدَّ للمَسألة جوابًا، وادَّرع للاعتذار جلبابًا، ولا تظن أَنَّهُ يتمنع منك فِي الجواب بتقليد بَعْض الأَصْحَاب، ولا يكتفي منك بالحوالة عَلَى الشيخ أَبِي الفرج وابن الزاغوني وأبي الْخَطَّاب،

ولا يُخلصك الاعتذار بأن الأَصْحَاب اتفقوا عَلَى أنهم من جملة الكفار، ولازمُ هَذَا الخلود فِي النار؛ فَإِن هَذَا الْكَلام مدخول، وجواب غَيْر مقبول.

إِلَى أَن قَالَ: فأنتم إِن كنتم أظهَرَكم الله عَلَى غيبه، وبرَّأكم من الجهل وعيبه، وأطلعكم عَلَى مَا هُوَ صانعٌ بخلقه: فنحن قوم ضعفاء، قد قنِعنا بقول نبينا عَلَيْهِ السَّلَامُ وسلوك سبيله، وَلَمْ نتجاسر عَلَى أَن نتقدَّم بَيْنَ يدي الله ورسوله، فلا تحمِلوا قوَّتكم على ضعفنا، ولا عِلمكم عَلَى جهلنا.

وَهِيَ رسالة طويلة، لخَّصتُ منها هذا القَدْر.(١) ذيل الطبقات (٣/ ٣٢٦-٣٣١).

ز- فوائد أخرى:

* قَالَتْ **عَائِشَةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨): «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ». صحيح مسلم (٣٣٢).

* وَقَالَ **مُجَاهِدٌ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤): لاَ يَتَعَلَّمُ العِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلاَ مُسْتَكْبِرٌ. صحيح البخاري، بَاب: الحَيَاء فِي العِلْمِ.

* وقال **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦): من رقّ وجهه رقّ علمه. مسند الدارمي (٥٦٧).

* وقال **كعب الأحبار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢): يوشك أن تروا جهال الناس يتباهون

---

(١) تأمل قوة حُجَّة الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ وثباته وتمسُّكه بسنة النبي ﷺ وأصحابه، وتركه التقليد دون دليل.

وانظر إلى حُسن عبارته وأدبه الجم الذي بلغ غايته، وإلى ثنائه على الفَخر بقوله: الإمام الكبير فخر الدين جمال الإسلام، ناصر السنة، مع أن الموفق أكبر من الفَخر، وأكثر تصنيفًا وشهرة، وانظر إلى دعائه له بقوله: أكرمه الله بِمَا أكرم بِهِ أولياءه، وأجزل من كُل خير عطاءه، وبلغه أمله ورجاءه، وأطال فِي طاعة الله بقاءه.. وهكذا العظماء والأولياء، كلما ازداد علمهم ازداد أدبهم وتواضعهم.

بالعلم، ويتغايرون عليه، كما يتغاير النساء على الرجال، فذلك حظهم من العلم. تهذيب الحِلْية ٢٥٠/ ٢.

* وقال **الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): مَن طلب الرِّياسة بالعلم سريعًا فاته عِلْمٌ كثيرٌ. عيون الأخبار ٥٢٣ / ٢.

* وقال **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): ضُرب لعلماء السوء مثل، فقيل: إنما مثل عالم السوء كمثل الحجَر في الساقية، فلا هو يشرب الماء، ولا هو يخلّي الماء إلى الشجر، فيحيا به. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٣.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨): إنما منزلة الذي يطلب العلم ينتفع به بمنزلة العبد يطلب كل شيء يُرضي سيده، يطلب التحبب إليه، والتقرب إليه، والمنزلة عنده لئلا يجد عنده شيئًا يكرهه. صفة الصفوة ٢/ ٥٤١.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إن للحكمة أهلًا فإن وضعتها في غير أهلها ضيعت، وإن منعتها من أهلها ضيعت، كن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغي. تهذيب الحِلْية ٤٢٧/ ٢.

* وقال **بلال بن أبي بُرْدَة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): لا يَمنعنَّكم سوءُ ما تعلمون منا أن تَقْبلوا أحسنَ ما تسمعون.[1] عيون الأخبار ٥٢٣ / ٢.

* وقال **أَيّوب السَّخْتِيَانِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إذا أردت أن تعرِفُ خطأ معلِّمك فجَالِس غيره.[2] مسند الدارمي (٦٦٩).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من شروط تمام الانتفاع بالموعظة: العمى عن عيوب الواعظ، فإنه إذا اشتغل به حُرم الانتفاع بموعظته، لأن النفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا ينتفع به. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٢.

(٢) نقل الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأثر في سيره منسوبًا للخليل بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧١٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اعْمَلْ بعلمي ولا تَنْظُرْ إلى عملي يَنفَعْكَ قولي ولا يَضْرُرْكَ تقصيري

عيون الأخبار ٢/٥٢٣.

* وعن حماد بن زيد قال: قَالَ: كَانَ رَجُلٌ قَدْ لَزِمَ **أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيَّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَسَمِعَ مِنْهُ، فَفَقَدَهُ أَيُّوبُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّهُ قَدْ لَزِمَ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ، قَالَ حَمَّادٌ: فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا مَعَ أَيُّوبَ، وَقَدْ بَكَّرْنَا إِلَى السُّوقِ، فَاسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَيُّوبُ، وَسَأَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَيُّوبُ: «بَلَغَنِي أَنَّكَ لَزِمْتَ ذَاكَ الرَّجُلَ»؟.

قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّهُ يَجِيئُنَا بِأَشْيَاءَ غَرَائِبَ، قَالَ: يَقُولُ لَهُ أَيُّوبُ: «إِنَّمَا نَفِرُّ مِنْ تِلْكَ الْغَرَائِبِ». صحيح مسلم في المقدمة.

* وعن **الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) قال: إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة. تهذيب الحِلْية ٢/٢٤.

* وعن **شريح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) أنه قيل له: بأي شيء أصبت هذا العلم، قال: بمقاومة العلماء، آخذ منهم وأعطيهم. تهذيب الحِلْية ٢/٦٨.

* وقال **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): العلم في لمَ؟ تهذيب الحِلْية ٢/١٣٨.

* وقال **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا إلى السلاطين فاتهموهم. تهذيب الحِلْية ١/٥١٢.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١١٢) قال: لا يؤخذ العلم إلا عن من شهد له بالطلب. تهذيب الحِلْية ٢/١٨١.

* وعن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠) قال: الدخولُ في العلم سهلٌ، لكن الخروج منه إلى الله شديدٌ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٨٧.

* وعن **عبيد بن عمير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤) قال: إن الله يبغض القارئ إذا كان لبَّاسًا ركَّابًا ولَّاجًا خرَّاجًا. تهذيب الحِلْية ٢/٩.

* وعن موسى الجهني قال: كان **طلحة بن مصرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) إذا ذكر عنده الاختلاف قال: لا تقولوا الاختلاف، ولكن قولوا السعة. تهذيب الحِلْية ١٣٢/ ٢.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): لو لم يأتني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مسألة وهو يشتري شيئًا فقال: دعني فإن قلبي مع درهمي. تهذيب الحِلْية ٣٩٩/ ٢.

* وعن **أبي يزيد البسْطامِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٠) قال: ما وجدتُ شيئًا أشدَّ علي من العِلم ومتابعتِه، ولولا اختلاف العلماء لتعبت[1]، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد[2]. تهذيب الحِلْية ٢٤٧/ ٣.

* وقيل **لعبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): يا أبا عبد الرحمن إلى متى تكتب هذا الحديث؟ فقال: لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كتَبْتُها بعدُ.[3] صفة الصفوة ٤/ ٣٧٥.

---

(١) في تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠٥٤: لبقيت حائرًا

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي، لا لمجرد الاجتهاد. كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥].

فلا يكون فتنة وفرقة مع وجود الاجتهاد السائغ، بل مع نوع بغيّ. ولهذا نهى النبي ﷺ عن القتال في الفتنة، وكان ذلك من أصول السُّنَّة. وهذا مذهب أهل السنَّة والحديث، وأئمة أهل المدينة من فقهائهم وغيرهم. الاستقامة / ٥٢ - ٥٣.

(٣) فمِن أعظم ثمارِ الإكثارِ مِن حضور دروس العلم والقراءةِ والمُطالعةِ وتنوّعِها: أنّ الفائدةَ التي قد تُغيّر حياتك، والكلمةَ التي قد تُصلح حالك، والعبارةَ التي قد تكونُ سَبَبَ نجاتِك ورفعتك في الدنيا والآخر، والمُوصلةَ إلى الفردوس الأعلى من الجنة: لم تأت بعد، ولم تقع عينُك عليها، فأكثر من القراءة بنيّةٍ صادقةٍ علّك تجدها.

واعلم أنّ الله تعالى أكرم من أن يحرمك إياها إذا كنت صادقًا مُخلصًا.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أول منفعة الحديث أن يفيد بعضهم بعضًا. تهذيب الحِلْية ٣/ ٣٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيتُ أحدًا ارتفعَ مثل **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩)، ليس له كثيرُ صلاة ولا صِيام، إلا أن تكونَ له سريرةٌ.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كان عليه من العلم ونَشْرِه أفضلُ مِن نوافل الصومِ والصلاة لمن أراد به الله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٣.

* وعن يونس بن عبد الأعلى قال: كان **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) يكلمنا بقدر ما نفهم عنه، ولو كلمنا بحسب فهمه ما عقلنا عنه. تهذيب الحِلْية ٣/ ١٣٢.

* وعن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) قال: هذا الذي ترون كله أو عامته من الشافعي، وما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي. تهذيب الحِلْية ٣/ ١٢١.

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): من بلغ رُتبةَ الاجتهاد، وشهد له بذلك عِدَّةٌ من الأئمة، لم يَسُغْ له أن يُقلِّدَ[1]، كما أن الفقيه المُبتدِئَ والعاميَّ الذي يحفظ القرآن أو كثيرًا منه لا يَسوغُ له الاجتهاد أبدًا، فكيف يَجتهدُ وما الذي يقول؟ وعلام يَبني؟ وكيف يَطيرُ ولَمَّا يُرَيِّشْ؟[2] والقِسم الثالث: الفقيه المنتهي اليَقِظُ الفَهِمُ المُحدِّث، الذي قد حفظ مختصرًا في الفروع، وكتابًا في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل مع حفظه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوة مناظرته، فهذه رتبة من بلغ الاجتهادَ المُقيَّد، وتأهَّلَ للنظر في دلائلِ الأئمة، فمتى وَضح له الحقُّ في مسألة، وثَبت فيها النص، وعَمِلَ بها أحدُ الأئمة الأعلامِ كأبي حنيفة مثلًا، أو كمالك، أو الثوريِّ، أو الأوزاعيِّ، أو الشافعيّ وأبي عبيد، وأحمدَ،

---

(١) هذا القسم الأول وهو المجتهد المطلق.

(٢) هذا القسم الثاني.

وإسحاق، فلْيَتَّبِعْ فيها الحقَّ ولا يَسْلُكِ الرُّخصَ ولْيتورَّع، ولا يسعُه فيها بعد قيامِ الحجةِ عليه تقليدٌ، فإن خاف ممن يُشغِّب عليه من الفقهاء فَلْيَتكتَّم بها ولا يتراءى بفعلها، فربّما أعجبته نفسُه، وأحب الظهور، فيعاقَب، ويدخل عليه الداخلُ من نفسه، فكم من رجلٍ نطق بالحقِّ، وأمر بالمعروف، فَيُسلِّطُ الله عليه من يُؤذيه لسوء قصده، وحُبِّه للرئاسة الدينية، فهذا داءٌ خفيٌّ سارٍ في نفوس الفقهاء كما أنه داءٌ سارٍ في نفوس المنفقين من الأغنياء وأربابِ الوقوفِ والتُّربِ المزخرفة وهو دَاء خفيٌّ يسري في نفوس الجند والأُمراء والمجاهدين، فتراهم يَلتقون العدوَّ، ويصطدمُ الجمعان وفي نفوس المجاهدين مُخَبّآتٌ وكمائنُ من الاختيال وإظهار الشجاعةِ.[1] تهذيب السِّيَر ٣/ ١٤٠٠.

---

(١) الأَوْلى لطالب العلم أنْ تكون العزلةُ هي الغالبة عليه، ولْيستثمرها في البحث والقراءة والتفكر والعبادة، وفي ذلك فوائد كثيرة، منها:

١- صيانة العلم؛ فالعامة يُعظمون من لا يُخالطهم كثيرًا، وإذا عظّم العامة العالم وطالب العلم قبلوا كلامه، ووقع في قلوبهم موقعًا كبيرًا.

٢- حفظ الوقت، فكلّما أكثر طالب العلم من مُخالطةِ الناس ولو بُغْيَةَ نفعِهم فاته من العلم ما لا يُمكن تعويضُه.

وبالتجربة: فغالب الناس لا يُريدون من مُجالسةِ طالب العلم أو الداعيةِ سوى الأُنسِ بكلامه، وقضاء وقتهم في الحديث معه، وخاصة إذا عُرف بالمزاح والدُّعَابة.

وليس همُّهمُ الاستفادةَ مِن علمه، وزيادةَ الإيمان بمُجالستِه.

ذم الجهل

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): كيف أنتم إذا لبِستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو[1] فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غُيِّرت قالوا: غيَّرت السنة.

قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟.

قال: إذا كثرت قراؤكم، وقلّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أُمناؤكم، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة. مسند الدارمي (١٩١).

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠): يا بني تعلموا فإنكم إن تكونوا صغراء قوم، عسى أن تكونوا كبراءهم، واسوأتاه ماذا أقبح من شيخ جاهل. تهذيب الحِلْية ١/٣٥٠.

* وكان الحسن والحسين ابنا عيسى يركبان معًا، فيتحير الناس في حسنهما وبزتهما، فاتفقا على أن يُسْلِما، فقصدا **حفص بن عبد الرحمن** لِيُسْلِما على يده، فقال لهما حفص: أنتما من أجلّ النصارى، وعبد الله بن المبارك خارج في هذه السنة إلى الحج، فإذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين وأرفع لكما في عزكما وجاهكما، فإنه شيخ أهل المشرق والمغرب، فانصرفا عنه فمرض الحسين بن عيسى، فمات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك، فلما قدم أسلم الحسن على يده.

---

(١) أي: يكبر وينمو.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا على هذه الرواية: «انظروا ما يعمل الجهل بأهله، فإنه لولا جهل حفص بن عبد الرحمن وقلة علمه لما أمرهما بتأخير الإسلام، لأنه لا يحل تأخيره، لكن الجهل يردي أصحابه.

ولما أسلم الحسن سمع من ابن المبارك ورحل في طلب العلم، وقدم بغداد حاجًا، فحدَّث بها، فسمع منه أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وابن أبي الدنيا، وعدّ في مجلسه بباب الطاق اثنتا عشرة ألف محبرة». المنتظم ٢٧٦-٢٧٧/ ١١.

* وقال الشاعر:

وإنّ عَنـاءً أن تعلّـم جاهـلا   فيَحْسب جهلا أنه منك أعلم

متى يبلـغ البنيـان يومـا تمامَـه   إذا كنتَ تبْنيه وغيرُك يهدم

أدب الدين (١٢١).

* وقال أبو قُبيل: أُسرتُ ببلاد الروم فأصبتُ على ركن من أركانها:

ولا تَصْحَـبْ أخـا الجهـل   وإيّـاك وإيّـاه

فكـم مـن جاهـل أَرْدَى   حليمًـا حيـن آخـاه

يُقَـاسُ المـرءُ بالمـرء   إذا مـا هـو مَـا شَـاهُ

وللشـيء علـى الشـيء   مقـاييسٌ وأشبـاهُ

وللقلـب علـى القلـب   دليـلٌ حيـنَ يلقـاهُ

عيون الأخبار ٣/ ٨٢.

* وخرج الوليدُ بن يزيد حاجًّا ومعه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكانا ببعض الطريق يَلْعَبان بالشِّطْرَنْج فاستأذن عليه رجلٌ من ثَقِيف فأَذِنَ له وسَتَرَ الشِّطْرَنْج بمنْدِيل، فلمّا دخل سلّم فسأله حاجَتَه؛ فقال له الوليد: أقرأتَ القرآن؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين! شغلتني عنه أمورٌ وهَنَات قال: أفتعرف

الفِقْه؟ قال: لا قال: أفَرَوْيت من الشِّعر شيئًا؟ قال: لا قال: أفعلِمتَ من أيام العرب شيئًا؟ قال: لا قال: فكَشَفَ المِنديل عن الشِّطْرَنْج وقال: شاهك. فقال له عبد الله بن معاوية: يا أمير المؤمنين! قال: اسْكُت فما معنا أحد. عيون الأخبار ٥١٨ / ٢.

* وقال **الخليل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): منزلة الجهل بين الحياء والأَنَفة. عيون الأخبار ٥٢١ / ٢.

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): من كان فيه خلة من الجهل، كان من الجاهلين، أما سمعت الله تعالى قال لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) فقال الله: (إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ). تهذيب الحِلْية ٣٩/ ٣.

* وحُكي أن **بعض الحكماء** رأى شيخا كبيرا يحب النظر في العلم ويستحي، فقال له: يا هذا أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوله![1] أدب الدين (٨٠-٨١).

* وصدق **الشاعر**:

وما تَنْفَعُ الأيَّامُ حِينَ تعُدُّهَا ... ولَمْ تَسْتَفِدْ فيهنَّ عِلْمًا ولا فَضْلَا

أدب الدين (٨١).

* وقال **محمد بن منصور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٤): ستّ خصالٍ يعرف بها الجاهل:

---

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٠): ربما امتنع الإنسان من طلب العلم لكبر سنه واستحيائه من تقصيره في صغره أن يتعلم في كبره، فرضي بالجهل أن يكون موسوما به وآثره على العلم أن يصير مبتدئا به.
وهذا من خِدع الجهل وغرور الكسل؛ لأن العلم إذا كان فضيلة فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى، والابتداء بالفضيلة فضيلة.
ولأن يكون شيخا متعلّما أولى من أن يكون شيخا جاهلا. أدب الدين (٨٠-٨١).

الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعِظة في غير موضعها، وإفشاء السرّ، والثقة بكل أحدٍ، ولا يعرف صديقه من عدوه. صفة الصفوة ٢/ ٦٤١.

* وقِيلَ للإمام **أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): رَجُلٌ لَهُ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ تَرَى أَنْ يَصْرِفَهُ فِي الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ أَوْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ جَاهِلًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ أَحَبّ إِلَيَّ. الآداب الشرعية ٢/ ٣٣.

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَجِبْت لِمَنْ يَتَثَبَّطُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَيَحْتَجُّونَ بِالْفُضَيْلِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَلَعَلَّ الْفُضَيْلَ قَدْ اكْتَفَى، لَيْس يَتَثَبَّطُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا جَاهِلٌ. الآداب الشرعية ٢/ ٣٢.

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: ويلٌ لعالمٍ لا يتّقي الجهال بجهده، وهل طاحت دماء الأنبياء والأولياء إلا بأيدي هؤلاء وأمثالهم؟ الآداب الشرعية ١/ ١٦٥.

* وقال **بعضهم**:

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهله — وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشةٍ من جسومهم — وليس لهم حتى النشور نشور

* وقال **آخر**:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم — وعاش قوم وهم في الناس أموات

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم — وعاش قوم وهم في الناس أموات[1]

ديوان المتنبي (٢٣٩).

---

(١) يريد: أن العاقل يشقى وإن كان في نعمة؛ لتفكره في عاقبة أمره، وعلمه بتحول الأحوال، والجاهل ينعم في الشقاوة؛ لغفلته وقلة تفكره في العواقب.

ذم التَّقليد والنهي عنه، وما جاء في التعصب(١):

* عن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: لا يقلّدن رجلٌ منكم دينه رجلًا، فإن آمن آمن، وإن كفر كفر؛ فإن كنتم لابدّ فاعلين فببعض من قد مات، فإنّ الحي لا تُؤْمن عليه الفتنة. الزهد لأبي داود (١٤٠).

* وقال الإمام **مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه. ترتيب المدارك (١/ ١٣٨).

* وقيل للإمام **أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): إن بطرسوس رجلًا قد سمع رأي عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ يفتي به؟.

---

(١) قال العز بن عبد السلام: من العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعًا ومع هذا يقلده فيه، ويترك من شهد الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه، جمودًا على تقليد إمامه، بل يتحيل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة، نضالًا عن مقلِّده، وقد رأيناهم يجتمعون في المجالس، فإذا ذُكر لأحدهم خلاف ما وطّن نفسه عليه تعجب منه غاية التعجب، من غير استرواحٍ إلى دليل، بل لما ألفه من تقليد إمامه، حتى ظن أن الحق منحصر في مذهب إمامه، ولو تدبره لكان تعجبه من مذهب إمامه أولى من تعجبه من مذهب غيره.
فالبحث مع هؤلاء ضائع، مفضٍ إلى التقاطع والتدابر من غير فائدة يجديها، وما رأيت أحدًا منهم رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره، بل يصر عليه مع علمه بضعفه وبُعْده!!
فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين إذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه قال: لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتد إليه!
ولا يعلم هذا المسكين أن هذا مقابَلٌ بمثله، ويَفضُل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح، فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره، حتى حمله على مثل ما ذكرته، وفقنا الله لاتباع الحق أينما كان وعلى لسان من ظهر.
وأين هذا من مناظرة السلف ومشاورتهم في الأحكام، ومسارعتهم إلى اتباع الحق إذا ظهر على لسان الخصم. قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ١٥٩).

قَالَ: هذا مِن ضيق علم الرجل، يُقلِّد دينه رجلًا لا يكون واسِعًا فِي العلم. طبقات الحنابلة (٢/ ١٠٢).

* وقَالَ الفضل بن زياد: سمعت **أبا عبدالله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وسُئل عن الرجل يُسأل عن الشيء من المسائل فيُرْشِدُ صاحبَ المسألة إلى رجلٍ يسأله عنها-: هل عَلَيْهِ شيء فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِذَا كَانَ الرجل متَّبِعًا[1] أرشَدَهُ إِلَيْهِ فلا بأس، قِيلَ لَهُ: فيُفتي بقول مالك وهؤلاء؟ قَالَ: لا، إلا بسنة رسول الله ﷺ وآثاره، وما روي عن أصحابه، فإن لم يكن رُوي عن أصحابه شيء فعن التابعين. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٨).

* وكانَ **أَبُو الْحسن الْبَاجِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧١٤) أعلم أهل الأَرْض بِمذهب الْأَشْعَرِيّ، وكانَ هو بِالقَاهِرَةِ، والصفي الْهِنْدِيّ بِالشَّام، القائمين بنصرة مَذْهَب الْأَشْعَرِيّ.[2] طبقات الشافعية (٢/ ١٨).

---

(١) أي: مُتّبعًا للسنة، والسلف الصالح، وليس صاحب رأي وبدعة وتقليد.

(٢) ليتهما قاما بنصرة الكتاب والسنة، بدلًا من نصرة مذهب رجلٍ يعتريه الحق والصواب، مع ما في نصرته من التعصب له في الغالب.

الأئمة الذين يُقتدى بهم

* رأى **عمر** على طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثوبين مصبوغين بالْمِشْق[١] وهو محرم، فقال: ما هذان الثوبان عليك؟ فقال طلحة: إنهما ليس بهما بأس، إنهما صبغا بمدر.

فقال عمر: إنكم أئمة يقتدي بكم الناس، ولو أن أحدا جاهلا رأى عليك ثوبا مصبوغا في الحرم قال: رأيت طلحة يلبس الثياب المصبوغة وهو محرم، فلا يلبس أحد منكم أيها الرهط من هذه الثياب وهو محرم.[٢] الزهد لابن المبارك (١١٢٩).

* وكان **سعد بن أبي وقاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) إذا خرج إلى الصلاة تجوز وخفف، ويتم الركوع والسجود، وإذا دخل البيت أطال، فقيل له: فقال: إنا أئمة يُقْتدى بنا. الزهد لابن المبارك (١١٣٠).

* وقال **الأوزاعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧): كنا نضْحك ونمزَح، فلما صِرنا يُقتدى بنا خشيتُ أن لا يسعنا التَّبسُّم. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٥.

* وقيل **ليحيى بن يحيى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٤): لم لا تنبسط في الملأ، كانبساطك في الخلاء؟

فقال: لو فعلتُ ذلك لتُلُوعب بين يدي، وأنا أحب أن يُقْتدى بي، كما اقتَديتُ

(١) أي مصبوغ بالطين الأحمر، وَهذه الثياب لَيْسَت بطِيب، فَلذَلِك رخص أَن يلبسهَا الْمحرم.

(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا إسناد صحيح موقوف وهو أصل في سد الذرائع. «المطالب العالية» (٦/ ٣٧٣).

بغيري.[1] ترتيب المدارك (٢/ ٣٥).

العمل بالعلم[2]:

* عن **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»، قَالَ عُمَرُ: فَوَاللهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْهَا ذَاكِرًا، وَلَا آثِرًا.[3] صحيح البخاري (٦٦٤٧)، صحيح مسلم (١٦٤٦).

* وقال عمر **لعبد الله بن سلام** (ت: ٤٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَن أرباب العلم؟ قال الذين يعملون بما يعلمون.

قال: فما ينفي العلم من صدور الرجال، قال: الطمع. مسند الدارمي (٥٩٥).

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إِنَّ النَّاسَ أَحْسَنُوا الْقَوْلَ

---

(١) المعنى: ينبغي على العالم والمتصدِّر لتدريس عامة الناس أن يتنبَّه إلى عدم التوسع في الانبساط لهم؛ حتى لا يجترئ جاهل أو حاقد فيُسيء الأدب ويُجرئ الناس ويُزيل هيبة العلم والعلماء.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: المسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع: فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة. ا.هـ [الاستقامة: ١٠٠].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: **لزكاء الْعلم وَنَحْوه طَرِيقَانِ:**

أحدهما: تَعْلِيمه.

وَالثَّانِي: الْعَمَل بِهِ؛ فَإِن الْعَمَل بِهِ يُنَمِّيه ويُكَثِّره، وَيفتح لصَاحبه أبوابه وخباياه. ا.هـ مفتاح دار السعادة: ١/ ٤١٧.

وَقَالَ ابن حَزْم رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَظُّ لِمَنْ آثَرَ الْعِلْمَ وَعَرَفَ فَضْلَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ جُهْدَهُ، وَيُقْرِئَهُ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ، وَيُحَقِّقَهُ مَا أَمْكَنَهُ، بَلْ لَوْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَهْتِفَ بِهِ عَلَى قَوَارِعِ طُرُقِ الْمَارَّةِ ويدعو إليه في شوارع السَّابِلَةِ وَيُنَادِي عَلَيْهِ فِي مَجَامِعِ السَّيَّارَةِ، بَلْ لَوْ تَيَسَّرَ لَهُ أَنْ يَهَبَ الْمَالَ لِطُلَّابِهِ، وَيُجْرِيَ الْأُجُورَ لِمُقْتَبِسِيهِ، وَيُعْظِمَ الْأَجْعَالَ لِلْبَاحِثِينَ عَنْهُ، صَابِرًا فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَالْأَذَى: لَكَانَ ذَلِكَ حَظًّا جَزِيلًا، وَعَمَلًا جَيِّدًا، وَسَعْيًا كَرِيمًا، وَإِحْيَاءً لِلْعِلْمِ، وَإِلَّا فَقَدْ دَرَسَ وَطُمِسَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا آثَارٌ لَطِيفَةٌ. ا.ه رسائل ابن حزم: ١/ ١٠١.

(٣) أي: لم يقع مني الحلف بها، ولا تحدَّثت بالحلف بها عن غيري، وأثرتُ الحديث: نقلتَهُ عن غيري.

كُلُّهُمْ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ حَظَّهُ، وَمَنْ خَالَفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَإِنَّمَا يُوَبِّخُ نَفْسَهُ. الزهد لوكيع (٢٦٦)، جامع بيان العلم وفضله (١٢٣٣).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تعلموا العلم فإذا علمتم فاعملوا. تهذيب الحِلْية ١١٩/١.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما منكم من أحد إلا أن ربه تعالى سيخلو به، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول يا ابن آدم ما غرك بي؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين، ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟. تهذيب الحِلْية ١٢٠/١.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ويل للذي لا يعلم مرة، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات. الزهد لوكيع (٢١٧).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أخاف على نفسي أن يقال لي: ما علمت، ولكن أخاف أن يقال لي: ماذا عملت؟ مسند الدارمي (٢٧٠).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنك لن تكون عالما حتى تكون متعلّما، ولن تكون عالما حتى تكون بما علمت عاملا. الزهد لوكيع (٢١٧)، مسند الدارمي (٣٠١).

* وقال **سَلْمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ إِذَا وَقَفْتُ عَلَى الْحِسَابِ أَنْ يُقَالَ لِي: قَدْ عَلِمْتَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟. جامع بيان العلم وفضله (١٢٠١).

* وقال **جندب البجلي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٠): مثل الذي يعظ الناس وينسى نفسه مثل المصباح يُضيء لغيره ويحرق نفسه. الزهد لأحمد: ٣٣٠، الزهد لأبي داود (٣٢٦).

* وقال **معاذ بن جبل** (ت: ١٨): اعْلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن ينفعكم الله بعلمٍ حتى تعملوا. الزهد لأبي داود (١٨٠).

* وعن **عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا

حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ»، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي. صحيح مسلم (١٦٢٧).

* وعن ميمون بن مهران قال: تكلم **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) ذات يوم، وعنده رهطٌ من إخوانه، فصح له منطقٌ وعظة حسنة، فنظر إلى رجل من جلسائه، وهو يَخذِفُ دمعته، فقطع دمعته، فقلت له: يا أمير المؤمنين، امض في منطقك فإني أرجو أن يمن الله على من سمعه أو بلغه قال: إليك عني، فإن في القول فتنة، والفعال أولى بالمؤمن من القول. ابن أبي الدنيا ١/ ١٨١.

* وجاء في كتاب الشكر لا بن أبي الدنيا: أخبرنا الشيخ ناصر الدين أبو نصر، قيل له: أخبركم الشيخ أبو الفضل جعفر بن أبي الحسن، قراءةً عليه وأنت تسمع سنة خمس وثلاثين وستمائة، قال: أنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي، قراءة عليه وأنا أسمع سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، قيل له: أخبركم الشيخان؛ الشريف أبو الفضل محمد بن عبد السلام الأنصاري، وأبو سعد محمد ابن خشيش؛ قال الشريف: أنبأ أبو علي الحسن بن شاذان؛ قال: أنبأ أبو بكر أحمد ابن سلمان النجاد، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: حدثنا الجروي، قال: حدثني عمرو بن أبي سلمة، قال: حدثنا أبو عبدة الحكم بن عبدة، قال: حدثني حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن الصنابحي، عن معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال لي النبي ﷺ: «**إني أحبك، فقل: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

قال الصنابحي: قال لي معاذ: إني أحبك، فقل هذا الدعاء، قال أبو عبد الرحمن: قال لي الصنابحي: وأنا أحبك، فقل؛ قال عقبة: قال لي أبو عبد

الرحمن: وأنا أحبك فقل؛ قال حيوة: قال لي عقبة: وأنا أحبك فقل؛ قال أبو عبدة: قال لي حيوة: وأنا أحبك فقل؛ قال عمرو: فقال لي أبو عبدة: وأنا أحبك فقل؛ قال لي حسن يعني الجروي: وأنا أحبك فقل، قال لنا أبو بكر بن أبي الدنيا: وأنا أحبكم فقولوا، قال لنا أبو بكر النجاد: وأنا أحبكم فقولوا، قال لنا الشريف: قال لنا الحرقي: وأنا أنا أحبكم فقولوا، وقال ابن خشيش: وقال لنا ابن شاذان: وأنا أحبكم فقولوا: وقال لنا الشريف وابن خشيش: ونحن نحبكم فقولوا، وقال لنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد: وأنا أحبكم فقولوا: وقال لنا شيخنا أبو الفضل جعفر: وأنا أحبكم فقولوا، وقال لنا شيخنا نصر الدين أبو نصر: وأنا أحبكم فقولوا. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٠١-٥٠٢.

* وقال بعضهم:

إِذَا الْعِلْـمُ لَـمْ تَعْـمَـلْ بِـهِ كَانَ حُجَّـةً ... عَلَيْكَ وَلَـمْ تُعْـذَرْ بِمَـا أَنْتَ جَاهِلُهْ

فَـإِنْ كُنْـتَ قَـدْ أُوتِيتَ عِلْمًـا فَإِنَّمَـا ... يُصَـدِّقُ قَـوْلُ الْمَـرْءِ مَـا هُـوَ فَاعِلُـهْ

جامع بيان العلم وفضله (١٢٤٢).

* وقال **بعض السلف**: «الَّذِي يَفُوقُ النَّاسَ فِي الْعِلْمِ جَدِيرٌ أَنْ يَفُوقَهُمْ فِي الْعَمَلِ». جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرّ (١٢٧٠).

* وقيل **لبعض السلف**: بم أدركت ما أدركت؟.

قال: بالعلم.

قيل له: فإنّ غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت.

قال: ذلك علم حُمل وهذا علم استُعمل[1].

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنك ترى من رفعه الله وانتفع الناس وظهر أثرُه: إنما هو بسبب استعماله لِمَا علم، لا بسبب كثرة حفظه وسعةِ اطّلاعِه.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديثٌ قَطُّ إلا عملتُ به ولو مَرَّة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٦.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل.[1] جامع بيان العلم وفضله (١٢٧٤).

* وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طلب العلم أحب إليك يا أبا عبد الله أو العمل؟ فقال: إنما يراد العلم للعمل، لا تدع طلب العلم للعمل، ولا تدع العمل لطلب العلم. تهذيب الحِلْية ٣٧٨/ ٢.

وقال الشاعر:

ما مَن روى أدبًا فلم يعمل به ... ويكف عن زيغ الهوى بأديب
حتى يكون بما تعلّم عاملا ... من صالح فيكون غير معيب
ولقلما تغني إصابة قائل ... أفعاله أفعال غير مصيب

وقال آخر:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

---

(١) العمل بالعلم من أعظم أسباب بركتِه وزيادتِه، قال شيخ الإسلام: مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.
وَحُسْنُ الْقَصْدِ مِنْ أَعْوَنِ الْأَشْيَاءِ عَلَى نَيْلِ الْعِلْمِ وَدَرْكِهِ.
وَالْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ مِنْ أَعْوَنِ الْأَشْيَاءِ عَلَى حُسْنِ الْقَصْدِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ قَائِدٌ وَالْعَمَلَ سَائِقٌ، وَالنَّفْسَ حَرُونٌ، فَإِنْ وَنَى قَائِدُهَا لَمْ تَسْتَقِمْ لِسَائِقِهَا، وَإِنْ وَنَى سَائِقُهَا لَمْ تَسْتَقِمْ لِقَائِدِهَا، فَإِذَا ضَعُفَ الْعِلْمُ حَارَ السَّالِكُ وَلَمْ يَدْرِ أَيْنَ يَسْلُكُ، فَغَايَتُهُ أَنْ يستطرح لِلْقَدَرِ، وَإِذَا تَرَكَ الْعَمَلَ حَارَ السَّالِكُ عَنْ الطَّرِيقِ فَسَلَكَ غَيْرَهُ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ تَرَكَهُ، فَهَذَا حَائِرٌ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَسْلُكُ مَعَ كَثْرَةِ سَيْرِهِ، وَهَذَا حَائِرٌ عَنْ الطَّرِيقِ زَائِغٌ عَنْهُ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ. ا.ه مجموع الفتاوى: ١٠/ ٥٤٤.

فهناك تعذر إن وعظت ويقتدى بالقول منك ويقبل التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

أدب الدين والدنيا: (٦٦).

* وقال **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): أدركت الناس وما يعجبهم القول، إنما يعجبهم العمل.

قال القاسم: من شاء قال.[1] الزهد لأبي داود (٣٥٤).

* وقال بعض السلف: ما ازداد عبد بالله علمًا إلا ازداد الناس منه قربا. مسند الدارمي (٤٠١).

* وقال **بعض الحكماء**: أفضل العلم وقوف الرجل عند علمه. المجالسة وجواهر العلم (٢٩٧).

* وقيل **لعلقمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢): ألا تقصّ علينا؟ قال: إني لأكره أن آمركم بما لا أفعل. الزهد لأحمد: ٣٧٢.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ١٠٣): يشرف أهل الجنة في الجنة على قوم في النار فيقولون: ما لكم في النار، وإنما كنا نعمل بما تعلِّمونا؟ فيقولون: إنا كنا نعلِّمكم ولا نعمل به. الزهد لأحمد: ٦١٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما من خطيب يخطب إلا عُرضت عليه خطبته يوم القيامة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليتني لم أكن علمتُ من ذا العلم شيئا.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأنه حجة على العالم، فينبغي أن يعملَ به، وينبِّه الجاهلَ، فيأمرُه وينهاه، ولأنَّه مَظِنَّةٌ أن لا يخلصَ فيه، وأن يَفْتَخِرَ به ويُماري به، لينالَ رئاسةً ودُنيا فانيَةً. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٢.

---

(١) أي: القول والنصح والوعظ سهل كلّ يُحسنه، ولكن العمل صعب وما كلّ يُحسنه ويقوى عليه.

* وعن **شعبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ١٦٠): ما أقول لكم إن أحدًا طلب الحديث يريد وجه الله تعالى إلا **هشامًا الدستوائي**، وإن كان يقول: ليتنا ننجو من هذا الحديث كفافًا لا لنا ولا علينا. تهذيب الحِلْية ٣٤٠/ ٢.

* وقيل **لبعض السلف**: ما بال أصحاب الحديث لا يشبعون من الحديث؟.

فقال: إذا أخذ الرجل اللقمة فرمى بها خلف ظهره فمتى يشبع.[١] المجالسة وجواهر العلم (٣٧).

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦): قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته، وإلى هدْيه، وإلى سَمْته. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

* وقال **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩): اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله. تهذيب الحِلْية ٣٩٤/ ١.

* وقال **أبو قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): إِذَا أَحْدَثَ اللهُ لَكَ عِلْمًا فَأَحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً، وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ.[٢] جامع بيان العلم وفضله (١٢٧٩).

* وقال **بعض العلماء**: ثمرة العلم أن يُعمل به، وثمرة العمل أن يُؤجر عليه[٣].

وقال **بعض الصلحاء**: العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه أقام وإلا ارتحل.

---

(١) فالذي يقرأ ويتعلّم ولم يدخل العلم إلى قلبه، بل جعله خلف ظهره، وجعل همّه كثرة التحصيل والجمع: يشعر بالمزيد من النّهم والشغف للعلم، ولو دخل إلى قلبه وعزم على العلم به: لصرف كثيرا من أوقاته إلى العمل به.

(٢) كلام شريف عظيم، وكثيرًا ما يكون همّ طلاب العلم خاصة والناس عامة إذا تحصّلوا على علم وفائدة أن ينشروها في مواقع التواصل ونحوها، والواجب أنْ يكون همّهم العمل بما علموه.

(٣) ولا يُؤجر إلا إذا أخلص لله في عمله.

فالكلام سهل، وأصعب منه العمل، وأصعب منهما الإخلاص لله، إلا لمن أراد الله به خيرًا ووفقه.

وقال **أبو تمام الطائي** (ت: ٢٣١):

ولم يحمدوا من عالم غير عامل خلافا ولا من عامل غير عالم

أدب الدين (١٣٣).

* وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قال: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا. الزهد لأحمد: ٥٣٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنك إذا طلبت العلم لتعمل به كسَرك العلم، وإذا طلبته لغير العمل به لم يزدْك إلا فخْرًا. صفة الصفوة ٣/ ٢٠٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تلقى الرجل وما يلحن حرفًا، وعمله كله لحن. تهذيب الحِلْية ٤٢٩/ ١.

* وقال **عمرو بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٦): إذا سمعت بالخير، فاعمل به ولو مرة واحدة. تهذيب الحِلْية ١٥٥/ ٢.

* وقال **ابن السَّمَّاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠): كم من شيءٍ إذا لم ينفع لم يضرَّ، لكن العلمَ إذا لم ينفع ضَرَّ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦١.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: «مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا». صحيح البخاري، بَاب: خَوْف المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: قد كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه وهديه وفي لسانه وبصره ويده. الزهد لأحمد: ٤٤٥.

* وصح عن **الحسن البصريّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: كان الرجل يسمع الباب من أبواب العلم فيعلمه فيعمل به، فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فوضعها في الآخرة. الآداب الشرعية ٢/ ١١٨.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إذا كنت آمرًا بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلكت، وإذا كنت ممن ينهى عن المنكر فكن من أنكر الناس له وإلا هلكت. الزهد لأحمد: ٤٤٤.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلَانِ:

رَجُلٌ نَظَرَ إِلَى مَالِهِ فِي مِيزَانِ غَيْرِهِ سَعِدَ بِهِ وَشَقِيٍّ هُوَ بِهِ.[١].

وَرَجُلٌ نَظَرَ إِلَى عِلْمِهِ فِي مِيزَانِ غَيْرِهِ سَعِدَ بِهِ وَشَقِيَّ هُوَ بِهِ.[٢] جامع بيان العلم وفضله (١٢٨٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أدركت الناس والناسك إذا نسك[٣] لم يُعرف من قِبل منطقه، ولكن يعرف من قِبل عمله، فذلك العلم النافع. مسند الدارمي (٥٥٨).

* وقال **أبو عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠): ذهابُ الإسلام من أربعة: لا يعملونَ بما يَعلَمون، ويعملونَ بما لا يَعلَمون، ولا يَتعلَّمون مالا يَعْلَمون، ويَمنَعون النَّاس من العلم.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه نعوتُ رؤوس العرب والتُّرك، وخلق من جهلة العامة، فلو عملوا بيسير ما عرفوا، لأفلحوا، ولو وقفوا عن العمل بالبدع لوُفِّقوا ولو فَتَّشوا عن دينهم وسألوا أهل الذِّكر -لا أهل الحِيَلِ والمكر- لسَعِدوا، بل يُعرِضون عن التعلُّم تيهًا وكَسَلاً، فواحدة من هذه الخِلال مُردِيَة، فكيف بها إذا اجتمعت؟! فما ظنُّك إذا انضم إليها كِبْر، وفجورٌ، وإجرامٌ وتَجَهْرُمٌ على الله! نسأل الله العافية. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٢٣.

---

(١) كمن أفنى حياته بجمع المال، ثم مات فورث ماله رجال صالحون، فأدوا حقّ الله فيه.

(٢) كالمعلم والواعظ الذي يُعَلِّم ويعظ ولا يعمل بما يقول، أو لا يبتغي بوعظِه وتعليمه وجه الله، بل يبتغي مصلحةً دنيويةً من وظيفة ونحوها.

(٣) أي: العابد إذا تعبّد.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت ١٩٨): إنما أرباب العلم الذين هم أهله الذين يعملون به. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٢٦.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان رجل عالم وآخر عابد، فقال العالم للعابد: مالك لا تأتيني والناس يأتوني ويحتاجون إلى علمي؟ قال: أنا أُحسن شيئًا قليلًا وأنا أعمل به، فإذا فني أتيتك. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٣٤.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله عَزَّوَجَلَّ. مسند الدارمي (٣٤٢).

* وقال **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): أليس المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب، أليس يجمع له آلته؟ فإذا أفنى عمره في جمع الآلة فمتى يحارب؟ إن العلم آلةُ العمل، فإذا أفنى عمره فيه فمتى يعمل؟! تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٥٨.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): أي حسرة على امرئ أكبر من أن يؤتيه الله عَزَّوَجَلَّ علمًا فلم يعمل به، فسمعه منه غيره فعمل به، فيرى منفعته يوم القيامة لغيره. تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٧.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): لا تسأل عن مسائل تعرف بها عيوب الناس، لا تقع في ألسنة الناس، إذا سألت عن مسألة فاعمل، فإن لم تطق فاستعن بالله. تهذيب الحِلْية ٣/ ٩٩.

* وقال **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): لا يكن همّ أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكنْ همّه في إحكامه وتحسينه، فإن العبد قد يصلّي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه.[1] صفة الصفوة ٢/ ٥٣٥.

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون الإكثار منه؛ فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان، أفضل من الكثير مع الغفلة وعدم الإتقان. فتح الباري: ١/ ٣٥٢.

* وقال المروذي: قال لي **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): ما كتبتُ حديثًا إلا وقد عملتُ به حتى مرَّ بي أن النبيَّ ﷺ، احْتَجَم وأعطى أبا طيْبَة دينارًا، فأعطيتُ الحجَّام دينارًا حين احتجمتُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٩.

* وقال **بعضهم**:

يَـا أَيُّهَـا الرَّجُـلُ الْمُعَلِّـمُ غَيْـرَهُ ... هَــلَّا لِنَفْسِـكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيـمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ مِنَ السَّقَامِ لِذِي الضَّنى ... كَيْمَـا يَصِـحَّ بِـهِ وَأَنْـتَ سَـقِيمُ
وَأَرَاكَ تُلْقِـحُ بِالرَّشَـادِ عُقُولَنَـا ... نُصْحًـا وَأَنْـتَ مِـنَ الرَّشَـادِ عَدِيـمُ

شعب الإيمان (١٧٨٠).

* وعن عبد الرحمن الطبيب -وهو طبيب **أحمد بن حنبل وبشر الحافي** رَحِمَهُمَا اللَّهُ- قال: اعتلَّا جميعًا في مكان واحد، فكنت أدخل على بشر فأقول له: كيف تجدك يا أبا نصر؟ قال: فيحمد الله تعالى، ثم خبرني فيقول: أحمد الله إليك، أجد كذا وكذا، وأدخل على أبي عبد الله فأقول: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ فيقول: بخير. فقلت له يومًا: إن أخاك بشرًا عليل وأسأله بحاله فيخبرني، فيبدأ بحمد الله تعالى ثم يخبرني، فقال لي: سله عمَّنْ أخذ هذا؟ فقلت له: إني أهابه أن أسأله فقال: قل له: قال لك أخوك أبو عبد الله: عمن أخذت هذا؟ قال: فدخلت عليه فعرفته ما قال، فقال لي: أبو عبد الله لا يريد الشيء إلا بالإسناد: أزهر عن ابن عون، عن ابن سيرين: إذا حمد الله تعالى العبد قبل الشكوى لم تكن شكوى، إنما أقول لك: أجد كذا، أُعَرِّف قدرة الله تعالى فيّ.

قال: فخرجت من عنده فمضيت إلى أبي عبد الله فعرفته ما قال. فكنت بعد ذلك إذا دخلت عليه يقول: أحمد الله إليك، ثم يذكر ما يجد. المنتظم ١٦٧-١٦٨/ ١٢.

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): من طلب العلمَ للعمل كسره العلمُ، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء، تحامق، واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العُجْبُ، ومقتَتْهُ الأنفس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠] أي: دسَّسَها بالفُجور والمعصية. قُلِبتْ فيه السينُ ألفًا. تهذيب السِّير ٣/ ١٤٠١.

* وسئل الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) عَنِ الرجل يكتب الحديث فيُكْثِر، قَالَ: ينبغي أن يكثر العمل به عَلَى قدر زيادته فِي الطلب، ثم قَالَ: سبيل العلم مثل سبيل المال، إن المال إذا زاد زادت زكاته.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣).

* ونُقل للإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول شُعبة بن الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ هذا الحديث يَصُدكم عَنْ ذكر الله وعَنِ الصلاة وعن صلة الرحم فهل أنتم مُنتهون؟[2].

فأطرق ساعةً ثم قَالَ: أما نحن فلا نعرف هذا مِن أنفسنا، فإن كان شُعْبَة يَعرف من نفسه شيئًا فهو أعلم.[3] طبقات الحنابلة (٢/ ١٨٧).

* وقَالَ ابْنُ مَنْصُور للإِمَام **أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تَذَاكُرُ بَعْضِ لَيْلَةٍ أَحَبُّ إِلَيْك مِنْ إِحْيَائِهَا؟ قَالَ: الْعِلْمُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ.

قُلْت: الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالْحَجُّ وَالطَّلَاقُ وَنَحْوُ هَذَا؟.

---

(١) فيا طالب العلم: كلما كثر علمك فليَكْثر عملُك، وزِد في عبادتك ونفعك؛ حينها يُبارَك لك في علمك.

(٢) إنما يعني الإكثار منه إلى درجة الانشغال به عن العمل به، والانكباب عليه رغبةً في زيادة العلم فحسب، لا لقصد العمل به وتعليمه. والله أعلم.

والدليل على ذلك: أنه من المحدّثين الذين رووا الحديث وأفنى عمره في تحصيله ونشره، وأخرج له أصحاب الصحاح والمسانيد.

(٣) ولنتعلّم من الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدب والْتماس العذر، حيث لم يشنع على شعبة ولا على كلامه، مع كون ظاهره خطأً فاحش.

قَالَ: نَعَمْ.[١] الآداب الشرعية ٢/ ٢٧.

* وقَالَ **سهل التستري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٣): أفضل العلم ما عُمل به، والعلم كلّه حجة إلا ما عُمل به، والعمل هباءٌ إلا ما صح[٢]، وما صح فلست أقطع به إلا باستثناء ما شاء الله. طبقات الحنابلة (٣/ ٣٦-٣٧).

* وسُئِل **ابْن الْمُبارَكِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١): هلْ لِلْعُلماءِ علامةٌ يُعْرَفُونَ بِهَا؟ قال: **علامَةُ الْعالِمِ:**

١- مَنْ عَمِلَ بِعلْمِهِ.

٢- واسْتَقَلَّ كثيرَ الْعمل مِنْ نَفْسِهِ.

٣- ورَغِبَ فِي عِلْمِ غيرِهِ.

٤- وقَبِلَ الْحقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ أتاهُ به.

٥- وأخذَ العِلمَ حيثُ وجدَهُ.

٦- فهذهِ علامةُ الْعالِمِ وصفَتُهُ.

قال المرُّوذي: فذكرتُ ذلكَ **لأبي عبدالله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) فقال: هكذا هُو. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٦٨).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): لا يتمّ حسن الكلام إلا بحسن العمل، كالمريض الذي قد علم دواء نفسه، فإذا هو لم يتداوَ به لم يُغْنه علمه. الأدب الصغير (٥٠).

* وقال **أبو إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٧٦): العلم الذي لا ينتفع به صاحبه: أن يكون الرجل عالِمًا، ولا يكون عاملًا، ثمّ أنشد لنفسه:

(١) فمن سهر ليله في تعلم وقراءةِ مُلح العلم -ككتب التراجم والسير والأدب والتاريخ- ولم يأخذ حظًّا وافرًا من قيام الليل فقد ترك الفاضل وانشغل بالمفضول.

(٢) ولا يصح العمل إلا إذا كان خالصا لله، صوابا على السنة.

عِلِمْـتَ مـا حلّـل المَوْلَـى وحرَّمـه فاعمـلْ بعِلْمـك إنّ العِلَـم للعَمَـل

وقال: الجاهل بالعالم يقتدي، فإذا كان العالِم لا يعمل؛ فالجاهل ما يرجو من نفسه؟ نعوذ بالله من علمٍ يصيرُ حُجَّةً علينا. طبقات الشافعيين (٢/ ٤٠).

بذل العلم وتعليمه وتدوينه

* قال سَلْمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): علمٌ لا يُقال به ككنز لا يُنْفَق منه. مسند الدارمي (٥٧٤).

* وعَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: غَزَوْنَا غَزَاةً وَعَلَى النَّاسِ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَغَنِمْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً، فَكَانَ فِيمَا غَنِمْنَا آنِيَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، فَأَمَرَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا أَنْ يَبِيعَهَا فِي أَعْطِيَاتِ النَّاسِ، فَتَسَارَعَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، فَبَلَغَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤)، فَقَامَ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «يَنْهَى عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرِّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرِ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحِ بِالْمِلْحِ، إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، عَيْنًا بِعَيْنٍ، فَمَنْ زَادَ، أَوِ ازْدَادَ، فَقَدْ أَرْبَى»، فَرَدَّ النَّاسُ مَا أَخَذُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَقَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَلَا مَا بَالُ رِجَالٍ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَادِيثَ قَدْ كُنَّا نَشْهَدُهُ وَنَصْحَبُهُ فَلَمْ نَسْمَعْهَا مِنْهُ، فَقَامَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ فَأَعَادَ الْقِصَّةَ، ثُمَّ قَالَ: لَنُحَدِّثَنَّ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنْ كَرِهَ مُعَاوِيَةُ، مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَصْحَبَهُ فِي جُنْدِهِ لَيْلَةً سَوْدَاءَ.(١) صحيح مسلم (١٥٨٧).

---

(١) كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يصدعون بالحق، ويُبلغون ما تعلموه من رسول الله ﷺ، ولو كان الحديث الذي ينقلونه فيه نوعٌ من الإغضاء بهم، وهذا يدل على أمانتهم وصدقهم وعدم كتمانهم وإخفائهم ما علموه.

فقد نقل أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النّبيّ ﷺ قَالَ له: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ». متفق عليه.

ونقل عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أتاهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلَةً فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، =

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر. مسند الدارمي (٣٥٥).

* وكان **أبو أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) إذا قعدوا إليه يقول: اسمعوا واعقلوا وبلغوا عنّا ما تسمعون. مسند الدارمي (٥٦١).

* وروي عن حبيب بن أبي ثابت أنه قال: قال لي **سَعِيد بن جُبَيْر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤): لأن أَنشرَ علمي أحبُّ إليَّ من أن أذهب به إلى قبري. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٦.

* وعن **الزهري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٤) قال: العلم يقبض قبضًا سريعًا، فنشر العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله. تهذيب الحِلْية ٢٦/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: إياك وغلول الكتب، قلت: وما غلولها؟ قال: حبسها عن أهلها. تهذيب الحِلْية ٢٥/ ٢.

* وكان **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) في مجلس فقيل لأبي العلاء يزيد بن الشخير تكلم، فاعتذر عن الحديث، ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته.

ثم تكلم الحسن فقال: ودّ الشيطان أنكم أخذتموها عنه، فلم يأمر أحد بخير ولم ينه أحد عن شر. الزهد لأحمد: ٤٢١.

* وعن **عطاء الخراساني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: إن أوثق عملي في نفسي نشري العلم. تهذيب الحِلْية ١٨٦/ ٢.

* وسُئل **ابن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) عن الورع فقال: الورع طلب العلم الذي يُعرف به الورع، وهو عند قوم طول الصمت، وقلة الكلام، وما هو كذلك، إنَّ المتكلم العالم أفضل عندي وأورع من الجاهل الصامت. تهذيب الحِلْية ٤٤٢/ ٢.

=ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤]. متفق عليه.

والأمثلة في ذلك كثيرة، فلولا أمانتهم وصدقهم لَكتموا مثل هذه الأحاديث.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا إذا رأوا الرجل لا يحسن الصلاة علَّموه.[١] الزهد لابن المبارك (١٠٧٤).

* وكان **ابن شهاب الزهري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٤) يحدث الأعراب. مسند الدارمي: (٦٢٨).

* وقال **لقمان** عَلَيْهِ السَّلَامُ: الصمت حكمة وقليل فاعله.

* قال **طاووس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦): من قال واتقى الله عَزَّوَجَلَّ خير ممن صمت واتقى الله عَزَّوَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٢٠٨.

* وكان **إسماعيل بن رجاء** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠) يجمع صبيان الكتاب، يحدثهم، يتحفّظ بذلك. مسند الدارمي: (٦٢٩).

* وقال **بعض السلف**: ليس هديةٌ أفضلَ من كلمةِ حكمةٍ تهديها لأخيك. مسند الدارمي (٣٦٣).

* وكان **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩) يقول: لا ينبغي لأحدٍ عنده علم أن يترك التعليم. ترتيب المدارك (١/ ١٥٣).

* وقدِم **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤) من الحجاز، فبقي أربع سنين بمصر، ووضع هذه الكتب في أربع سنين ثم مات.[٢] طبقات الشافعيين (١/ ٤٦).

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: من رأى من يسيء صلاته فإنه يأمره بإحسان صلاته ويعظه ويبالغ في الوعظ؛ فإن القلوب تستجيب إلى الحق بالموعظة الحسنة ما لا تستجيب بالعنف. فتح الباري (٣/ ١٤٣).

(٢) ماذا لو أخر الشافعي تأليف هذه الكتب النافعة وسوّف؟ لحُرم الناس علمًا عظيمًا، ولربما مات جلّ علمه، واندثر مذهبه.

وماذا لو أخرّ سيبويه الذي توفي وعمره ثلاثٌ وثلاثون سنة تأليف كتابه (الكتاب)؟ لَحُرِمَ أجرا عظيما، ولَحُرِمَ الناس علمًا كثيرًا نافعًا، ولما كانت له هذه المنزلة والمكانة والحبّ في قلوب العلماء خاصة والناس عامة. =

* وقَالَ أَبُو حمزة الصوفي: كان الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) يسألني فِي مجلسه عَنْ مسائل، ويقول: ما تقول فيها يا صوفي؟.

قال ابن أبي يَعلى: أراد -والله أعلم- بسؤاله: إن أصاب أقرَّهُ عليه، وإن أخطأ بيَّنه له.[١] طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣٥).

* وعَنْ **مُحَمَّدِ بن يوسف الفِرْبَرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٠) أنه كان يقول: سمع كتاب الصحيح **لمحمد بن إِسْمَاعِيلَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تسعون ألف رجل، فما بقي أحدٌ يرويه عنه غيري.[٢].

وقال: صنَّفتُ كتابي الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حُجَّة فيما بيني وبين الله تعالى. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٥٠- ٢٥٥).

* وَقَالَ **أَبُو حَاتِم ابْنُ حِبَّانَ البُسْتِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٥٤): «العَاقِلُ لَا يَسْعَى فِي فُنُونِهِ -أي: العِلْم- إِلَّا بِمَا أَجْدَى عَلَيْهِ نَفْعًا فِي الدَّارِيْنِ مَعًا، وَإِذَا رُزِقَ مِنْهُ الحَظّ لَا يَبْخَلُ بِالإِفَادَةِ؛ لأَنَّ أَوَّلَ بَرَكَةِ العِلْمِ الإِفَادَةُ، وَمَا رَأيتُ أَحَدًا قَطُّ بَخِلَ بِالعِلْمِ إِلَّا لَمْ يُنْتَفَعْ بِعِلْمِهِ، وَكَمَا لَا يُنْتَفَعُ بِالمَاءِ السَّاكِنِ تَحْتَ الأَرْضِ مَا لَمْ يَنْبُعْ، وَلَا

= فلا ينبغي لمن عنده أهلية في العلم وقدرة على التأليف أن يتأخر ويسوّف.

تنبيه: أَلَّف الشافعي كتابه الرسالة القديمة في مكة، ولما رجع إلى مصر سنة (١٩٩ هجرية) أعاد تصنيفَ الرسالة، وليس في أيدي الناس اليوم إلا الجديدة، والظاهر أنه أعاد تأليف كتاب «الرسالة» بعد تأليف كتاب «الأم»، وأنه أملاها إملاءً على الربيع المرادي.

قاله الشيخ أحمد شاكر في مقدمة كتاب الرسالة.

(١) هذا من حرص الإمام أحمد على تعليم الناس وتصحيح عقائدهم ودينهم، ومبادرته إلى ذلك.

(٢) إذا كان قد سمع كتاب صحيح البخاري في حياته تسعون ألف رجل، وكثير منهم إن لم يكن أكثرهم من أهل العلم والخبرة بالحديث والرجال، فمعنى ذلك أنه اشتُهر بين الخاص والعام في وقته، واطلع عليه الأئمة، فكيف يأتي في هذا الزمان من يشكك فيه وفي صِحَّته، وقد تلقته الأمة بالقَبول من وقته إلى وقتنا؟ ولكن الهوى يُعمي صاحبه حتى يتفوّه بما يَضحك منه الصبيان.

بِالذَّهَبِ الأَحْمَرِ مَا لَمْ يُسْتَخْرَجْ مِنْ مَعْدَنِهِ، وَلَا بِاللؤلؤ النَّفِيسِ مَا لَمْ يُخْرَجْ مِنْ بَحْرِهِ، كَذَلِكَ لَا يُنْتَفَعُ بِالعِلْمِ مَا دَامَ مَكْنُونًا لَا يُنْشَرُ وَلَا يُفَادُ». روضة العقلاء: ٣٢.

* وكان للقاضي **يعقوبَ بن إبراهيم العكبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨٦) غلمان[1] كثيرون، وكان مباركَ التعليم، لم يَدْرسْ عليه أحد إلا أفلَحَ وصار فقيهًا.[2] طبقات الحنابلة (٣/ ٤٥٤).

* وقال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧): كنتُ أقرأُ على **عبدالوهاب بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحديث وهو يبكي، **فاستفدتُ ببكائه أكثر من استفادتي بروايته.**

وكان على طريقة السَّلف، وانتفعتُ به ما لم أنتفع بغيره، ودخلتُ عليه في مرضه -وقد بَلِيَ وذهَبَ لحمُه- فقال لي: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُتَّهَمُ في قضائه.

وقال أيضًا: كنتُ أقرأ عليه الحديث مِن أخبار الصالحين، فكلَّما قرأتها بكى وانتحَب.

قال: وكانت فيه خُلَّة أخرى عجيبة: لا يَغتاب أحدًا، ولا يُغتاب عنده.

وكان صبورًا على القراءة عليه، يقعُد طول النهار لمن يطلب العلم، وكان سَهلًا في إعارة الأجزاء لا يتوقف[3]، ولم يكن يأخذ أجرًا على العلم، ويعيبُ من يفعل ذلك، ويقول: عَلِّمْ مجانًا كما عُلِّمتَ مجانًا. ذيل الطبقات (١/ ٤٥٧).

* وأقرأ الإمام **علم الدين السخاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٤٣) الناس نيفًا وأربعين سنة، فقرأ عليه خلق كثير. معرفة القراء (٣/ ١٢٤٦).

* وقال **أبو إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧٦): خرجتُ إلى خراسان فما دخلتُ بلدةً ولا قريةً إلا كان قاضيها أو خطيبها أو مفتيها تلميذي أو من أصحابي.[4] طبقات الشافعيين (٢/ ٣٧).

---

(١) يعني تلامذة.

(٢) وهذا قلّ من يوفق له من المشايخ والمعلمين، نسأل الله أن نكون منهم.

(٣) وبعض الناس لا يكاد يُعير أحدًا كتابًا، ولو كان محتاجًا له، مع عدم حاجة المعير له.

(٤) هذا والله من بركة العلم، نسأل الله من فضله.

* واشْتغل الشَّيْخ الْعَالم الْمُفْتِي المقرئ **عَبَّاس بن حُسَيْن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٢) فِي الْعلم، وتميَّز، وَأفْتى، ودرس، وخطب.

قَالَ بعض المؤرخين المصريين: كَانَ الطَّالِب يقْرَأ عَلَيْهِ، فَإِذا تنبَّه[١] ذهب إِلَى حَلقَة الشَّيْخ سراج الدِّين الْبُلْقِينِيّ.[٢] طبقات الشافعية (٢/ ٢٢٤).

* وقال قاسم تلميذ وقريب **أبي إبراهيم التجيبي** (ت: ٣٥٢) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: تركني أبي وإخوتي في حجر أبي إبراهيم، فكفلنا وربّانا وعلّمنا، ففتح الله عليّ ببركته، فلم يكن في قلبي أحد أعظم منه لي.

كنت يومًا خارجًا إلى صلاة العصر، إذ فَتَح بابه، فالْتفتُّ فإذا به ورائي، يريد مثل ما أريده، فتوقفتُ حتى لحقني، فسلمت عليه، فردّ عليّ مغضبًا، وقال لي: يا قاسم، ما كان هذا تقديري فيك، فيا ليتني ثكلتك ولم أرك صنعت ما صنعت، فقلت: وما هو يا سيدي؟ قال: خرجتَ من بيتك إلى الله لتأدية فريضة، فبينا أنت في ذلك وقَعَت عينك على مخلوق مثلك، يريد ما أردته، فحوَّلت وجهك إليه عن قبلتك، ووقفت حتى لحقك؟.

فقلت: يا سيدي، أنا معذور في الهوى إليك، إذ حقك عليّ كوالدي.

فقال: ما أريد أن تفعله به ولا بي، فحقُّ الله أحقُّ من كلِّ حق، لا تعد لمثله.[٣]

---

(١) أي: تعلم عند الشيخ عباس حتى أصبح نبيهًا.

(٢) ما أجمل هذه الطريقة وأحسنها، حيث يسعى هذا الشيخ في تعليم طلابه المبتدئين، وتحصيلهم مهمات العلوم، فإذا مَهَر الطالب منهم وبرع أَمَرَه أن يكمل العلم عند من هو أعلم منه، وهو العلامة البُلقيني.

(٣) بمثل هذه التربية يصلح حال طلاب العلم، فما أحوجهم لشيخ عابد صادق مع الله، معظم لحقه، ليربيهم على تعظيم الله لا على تعظيمه.

وينبغي لطالب العلم أن يختار شيخه بعناية، حيث يبحث عن الشيخ القدوة، صاحب الأخلاق والعلم والعمل والعبادة والتقى، فالغالب أن الطالب يتأثر بشيخه، ويتطّبع بطبعه، ويتخلّق بأخلاقه، ويقتدي بأفعاله، ويمتثل أقواله.

ترتيب المدارك (٣/ ٣٧٨).

* وعن **أبي حاتم الرازي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٧) قال: نشر العلم حياتُه، والبلاغُ عن رسول الله ﷺ رحمةٌ يعتصم به كلّ مؤمن، ويكون حجةً على كلِّ مُصِرٍّ به وملحد. شرف أصحاب الحديث: ١٧.

* وكان **القاضي أبو الوليد الباجي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٧٤) في رحلته وأوّلِ وروده الأندلس مقلًا من دنياه، حتى احتاج في سفره إلى القصد بشعره، واستأجر نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعتُه مستفيضًا لحِرَاسة دربٍ، فكان يستعين بإجارته على نفقته، وبضوئِه على مطالعته.

ثم ورد الأندلس وحاله ضيّقة، فكان يتولّى ضرب ورق الذهب للغزل والإنزال، ويعقد الوثائق، فلقد حدثني ثقة من أصحابه -والخبر في ذلك مشهور- أنه كان حينئذ يخرج إلينا إذا جئنا للقراءة عليه وفي يديه أثر المطرقة وصدأ العمل.

إلى أن فشا علمه، وعُرف وشُهرت تواليفه، فعُرف حقُّه، وجاءته الدنيا، وعظم جاهه، وقرّبه الرؤساء، وقدّروه قدره، واستعملوه في الأمانات والقضاء، وأجزلوا صلاته، فاتّسعت حاله، وتوفَّر كسبه، حتى مات عن مال وافر.[1] ترتيب المدارك (٤/ ٣٧٩).

* وللشيخ **عبدالرحمن السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٧٦) أخلاق أرقّ من النسيم، وأعذب من السلسبيل، لا يُعاتب على الهفوة، ولا يُؤاخذ بالجفوة، يتودّد ويتحبب إلى البعيد والقريب، يقابل بالبشاشة، ويحيّي بالطلاقة، ويُعاشر بالحسنى، ويُجالس بالمنادمة، ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والود، ويعطف

(١) الطالب المخلص الصادق، الذي يسعى في اكتساب العلم ليعمل به، ويبلّغ به رسالات ربه: يبذل في سبيله وقته وماله، ولو كلفه أن يعمل أجيرًا لأجل اكتساب المال الذي يسدّ به جوعه، وينفقه في تحصيل العلم.

على الفقير والصغير، ويبذل طاقاته ووسعه بالخير، ويساعد بماله وجاهه، وينشر علمه ونصحه، ويُدلي برأيه ومشورته بلسان صادق وقلب خالص وسرٍّ مكتوم. علماء نجد (٣/ ٢٠١).

وصرف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوقاته كلّها للتعليم والإفادة والتوجيه والإرشاد، فلا يصرفه عن حلق الذكر ومجالس الدرس صارف، ولا يردّه عنها رادّ، إلا ما يتخلّله من الفترات الضرورية. علماء نجد (٣/ ١٧٩).

وطريقة **الشيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التدريس طريقة مفيدة، أخذها عن شيخه محمد أمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكان يقرأ العبارة، ثم يوضح معناها توضيحا تامًّا، ثم يصوّرها ويذكر دليلها وحكمة التشريع منها، فإن كان يراها أقرّها، وإن كان يرى القول الآخر أصحّ منها ذكر القول الثاني بنفس الطريقة، ثم أخذ في نصرة القول الذي يراه وبيان أدلّته، وتوهين القول الذي لا يراه حتى يُقنع الطالب بما يراه.

كل هذا بأسلوب واضح وترتيب مستقيم، بحيث إنّ تفهيمه لا ينخفض عن مستوى الطالب المُدرك، ولا يرتفع عن مستوى الطالب المبتدئ، فالكل منه يستفيد.

وكانت دروسه من بعد طلوع الشمس، وفي الضحوة، وقبل صلاة العصر وبعدها، ومن بعد المغرب إلى العشاء، هكذا كل يوم.

وكان من طريقة تدريسه أنه يجمع الطلبة على كتاب واحد في الجلسة، وبعد الفراغ من الجلسة يطلب من ثلاثة منهم إعادة ما فهموه من شرحه الذي ألقاه عليهم؛ ليختبر فهمهم وحفظهم، كما كان يسألهم عما مضى لئلا ينسوه.

وكان من طريقة نشره للعلم وتشجيعه عليه أنه كان يُعطي على حفظ المتون الجوائز الثمينة، وكذلك يُعطي الجوائز على سرعة الفهم والجواب على أسئلته التي يُوردها.

ومن طريقته في التدريس أيضا لاختبار ذهن الطلبة المستمعين أنه كان أحيانا يُغلّط نفسه قصدًا؛ ليرى حاضرَ الذهن من الشارد، ثم يبيّن لهم الصحيح، وتلامذته قد عرفوا منه ذلك. علماء نجد (٣/ ١٨١-١٨٢).

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعطيهم -أي طلابه- مسائل علميّة يتناظرون عليها كمسابقات. علماء نجد (٤/ ٣٩٣).

* وعندما أحسّ الشيخ **عبدالعزيز آل مبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٥٩) بدنوّ أجله قال: ما أسفت على شيء أسفي على علمٍ بين جنبيَّ لم أستطع أن أورِّثه لأحدٍ بعدي.[1] علماء نجد (٣/ ٢٦٩).

---

(١) وحُقّ له أن يأسف ويحزن على العلم الذي لم يُوفّق لنشره؛ لأنه يعلم أنه لو نشره لأجرى الله عليه الأجور التي لا تنقطع إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

فانشر علمك يا طالب العلم ما استطعت إلى ذلك سبيلا، قبل أن تندم وتتحسّر على علم تعبت في تحصيله، وتكاسلت في نشره وزكاته.

العقيدة

أ- مكانة السُّنة ومنزلتها، وذم من احتج بالقرآن وردَّ السنة:

* عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) قال: إذا حدّثتم عن رسول الله ﷺ فظنوا به الذي هو أهدى، والذي هو أتقى. مسند الدارمي: (٦١٢).

* وعَنْ عَلْقَمَةَ بنِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): قَالَ: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ[1]، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ[2]، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ[3] لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ»، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ، يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ، وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ؛ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «وَمَا لِيَ لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ»، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الآنَ، قَالَ: «اذْهَبِي فَانْظُرِي»، قَالَ: فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا.

---

(١) الْوَاشِمَات: الوَشْمُ: أن يغْرزَ الجلْد بإبْرة، ثم يحشى بكحل، أو نيل فيزرقّ أثره، أو يخضر.

(٢) الْمُتَنَمِّصَات: جمع المتنمصة، وهي: التي تأمر بنتف الشعر من وجهها.

(٣) الْمُتَفَلِّجَات: جمع متفلجة، وهي: التي تطلبُ الفَلَجَ وهو: فُرْجَة ما بين الثَّنايَا والرُّباعيَّات.

فَقَالَ: «أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا». [صحيح البخاري: (٤٨٨٦)، صحيح مسلم: (٢١٢٥)، واللفظ له.

* وعن **حسان بن عطيّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن. مسند الدارمي: (٦٠٨).

* وَعَنْ **سَعِيد بن جُبَيْر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): أَنَّهُ حَدَّثَ يَوْمًا بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: فِي كِتَابِ اللهِ مَا يُخَالِفُ هَذَا، فَغَضِبَ سَعِيدٌ! غَضبًا شَدِيْدًا، أَلَا أَرَاكَ تُعَارِضُ كِتَابَ اللهِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مِنْكَ». مسند الدارمي: (٦١٠).

* وَقَالَ **أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَبَّارُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٠): «رَأَيْتُ بِالأَهْوَازِ رَجُلًا قَدْ حَفَّ شَارِبَهُ، وَأَظُنُّهُ: قَدِ اشْتَرَى كُتُبًا وَتعيَّنَ لِلْفُتْيَا، فَذَكَرُوا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ: لَيْسُوا بِشَيْءٍ، وَلَيْسَ يَسْوُونَ شَيْئًا، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ: أَنَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قُلْتُ: إِيش تَحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلاَةَ وَرَفَعْتَ يَدَيْكَ؟ فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: وأَيش تَحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا وَضَعْتَ يَدَيْكَ عَلَى رُكْبَتَيْكَ؟ فَسَكَتَ، قُلْتُ: إِيش تَحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا سَجَدْتَ؟ فَسَكَتَ، قُلْتُ: مَا لَكَ لاَ تَكَلَّمُ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي؟ أَنْتَ إِنَّمَا قِيلَ لَكَ: تُصَلَّى الْغَدَاةُ رَكْعَتَيْنِ، وَالظُّهْرُ أَرْبَعًا، فَالْزَمْ ذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَذْكُرَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، فَلَسْتَ بِشَيْءٍ وَلاَ تُحْسِنُ شَيْئًا». تهذيب السِّير ٣/ ١١٠١.

* وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠): «كُنْتُ أَنَا وَأَحْمَدُ بْنُ الحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٠)، عِنْدَ **أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ بنُ الحَسَنِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، ذَكَرُوا لاِبْنِ أَبِي قتيلَةَ بِمكَّةَ أَصْحَابَ الحَدِيْثِ، فَقَالَ: أَصْحَابُ الحَدِيْثِ قَوْمُ سوءٍ، فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللهِ ينفُضُ ثَوْبَه، وَيَقُوْلُ: «زِنْدِيْقٌ،

زِنْدِيْقٌ، زِنْدِيْقٌ،[١] وَدَخَلَ البَيْتَ». عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٣٠٠-٣٠٣.

وقال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سَمِعْتُ الشَّيْخَ **أَبَا بَكْرٍ أَحْمَدَ بنَ إِسْحَاقَ ابنِ أَيُّوبَ الفَقِيهَ الصِّبْغِيَّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٢)، وَهُوَ يُنَاظِرُ رَجُلًا، فَقَالَ الشَّيْخُ: حَدَّثَنَا فُلانٌ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: دَعْنَا مِنْ حَدَّثَنَا، إِلَى مَتَى حَدَّثَنَا؟ فَقَالَ الشَّيْخُ لَهُ: قُمْ يَا كَافِرُ[٢]، فَلا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ دَارِي بَعْدَ هَذَا! ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَا قُلْتُ لأَحَدٍ قَطُّ لا تَدْخُلْ دَارِي إِلاَّ هَذَا».[٣] عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٣٠٠-٣٠٣.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما الزِّنْدِيقُ الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر، فالمراد به عندهم: الْمُنَافِق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن، وسواء كان في باطنه يهوديا أو نصرانيا أو مشركا أو وثنيا، وسواء كان معطلا للصانع وللنبوة أو للنبوة فقط أو لنبوة نبينا فقط، فهذا زِنْدِيْقٌ وهو: مُنَافِقٌ».[«بغية المرتاد»: (٣٣٨)].

وقال: في [«مجموع الفتاوى»: (٤/ ٩٦)]: « فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْحُكُومَةَ الْعَادِلَةَ؛ لِيَتَبَيَّنَ لَك أَنَّ الَّذِينَ يَعِيبُونَ أَهْلَ الْحَدِيثِ، وَيَعْدِلُونَ عَنْ مَذْهَبِهِمْ جَهَلَةٌ زَنَادِقَةٌ مُنَافِقُونَ بِلَا رَيْبٍ، وَلِهَذَا لَمَّا بَلَغَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ عَنْ «ابْنِ أَبِي قتيلة» أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ بِمَكَّةَ فَقَالَ: قَوْمُ سَوْءٍ، فَقَامَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ- وَهُوَ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ وَيَقُولُ: زِنْدِيقٌ، زِنْدِيقٌ، زِنْدِيقٌ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ. فَإِنَّهُ عَرَفَ مَغْزَاهُ».

(٢) إِطْلاَقُ الكُفْرِ على المُعَيَّنِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، لا يتكلمُ فيه إلا الأكابر مِن أهل العلم الربانيين المحققين بعد إقامة الحجة، وتحقق الشروط، وانتفاء الموانع، والشروط هي: العلم، والقصد، والاختيار. فالكفر المعين الذي ورد في كلام علماء السلف محمول على هذه الشروط، أي: عُلِمَ حَالُه، وأُقِيمَتْ عليه الحُجَّة، والله أعلم.

(٣) قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن ذكر مذهب الذين يقولون: لا نقبل إلا ما كان في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه لا يجب الأخذ بما صح عن رسول الله ﷺ- قال: جميع فرائض الله التي فرضها الله في كتابه: لا يُعلم الحكم فيها إلا بسنن رسول الله ﷺ، هذا قول علماء المسلمين، من قال غير هذا خرج عن ملة الإسلام، ودخل في ملة الملحدين. الشريعة ص: ٥٩ .

وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار أو يرد الآثار أو يريد غير الآثار، فاتهمه على الإسلام، ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع. شرح السنة / ١٠٧.

* وقال الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) عندما سُئِل عَنِ الحديث الذي روي «إن السنة قاضية عَلَى الكتاب»[1] فقال: ما أجسُرُ عَلَى هذا أن أقوله، ولكن السُّنة تُفَسِّر الكتاب وتُبيِّنه. طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٢).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٨).

ب- موقف السلف ممن قال: القرآن مخلوق:

* قِيلَ **لجَعْفَر بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): القُرْآنُ: خَالِقٌ، أَوْ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ: «لَيْسَ بخَالِقٍ، وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ». الشريعة: ٨٥.

* وَقَالَ **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): «مَنْ زَعَمَ أَنَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] مَخْلُوقٌ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ».[2] تهذيب الحِلْية ٣٨٤/ ٢.

* وَقَالَ **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): «مَنْ قَالَ: القَرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَلَا تُصَلِّ خَلْفَهُ، وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ، وَلَا تُنَاكِحْهُ». تهذيب الحِلْية ١١٣/ ٣.

* وَقَالَ **مَنْصُوْرُ بنُ عَمَّارِ بنِ كَثِيرٍ أَبُو السَّرِيِّ السُّلَمِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠ هـ تقريبا): «كَتَبَ إِلَيَّ بِشْرُ المَرِيْسِيُّ (ت: ٢١٨)[3]: أَعْلِمْنِي مَا قَوْلُكُمْ فِي القُرْآنِ مَخْلُوقٌ هُوَ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ فَكَتَبْتُ إليهِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ: عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ، فَإِنْ يَفْعَلْ فَأَعْظِمْ بِهَا نِعْمَةً، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ الهَلَكَةُ، كَتَبْتَ إِلَيَّ: أَنْ أُعْلِمَكَ القُرْآنُ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

---

(١) هو مروي عن يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ. مسند الدارمي (٦٠٧)، ابن بطة (٢١٩)، المروزي في السنة (١٠٢).

(٢) ومثله قال يَحيَى بْنُ سَعِيْدٍ القَطَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) تهذيب الحِلْية ١٠٩/ ٣.

(٣) المـُتَكَلِّمُ الضَّالُ شَيْخُ المـُعْتَزِلَة.

فَاعْلَمْ أَنَّ الكَلَامَ فِي القُرْآنَ بِدْعَةٌ، يَشْتَرِكُ فِيهَا السَّائِلُ وَالمُجِيبُ، فَتَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ بِتَكَلُّفٍ، وَالمُجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيهِ، وَاللهُ تَعَالَى الخَالِقُ، وَمَا دُونَ اللهِ مَخْلُوقٌ.

وَالقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَانْتَهِ بِنَفْسِكَ وَبِالمُخْتَلِفِيْنَ فِي القُرْآنِ إِلَى أَسْمَائِهِ الَّتِي سَمَّاهُ اللهُ بِهَا تَكُنْ مِنَ المُهْتَدِيْنَ، وَلَا تَبْتَدِعْ فِي القُرْآنِ مِنْ قَلْبِكَ اسْمًا فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّيْنَ، ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَخْشَوْنَهُ بِالغَيْبِ، وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ». تهذيب الحِلْية ٢٢٠/ ٣.

* وَقَالَ الإِمَامُ **الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٢٠٤): «إِنَّمَا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ بِكُنْ، فَإِذَا كَانَتْ كُنْ مَخْلُوقَةً، فَكَأَنَّ مَخْلُوقًا خُلِقَ بِمَخْلُوقٍ». [«الحلْية»: (٩/ ١١١).

* وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضًا-: «مَنْ قَالَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ».«الحلْية»: (٩/ ١١٣).

* وَقَالَ **هَارُوْنَ الفَرَوِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٣): لَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِالمَدِيْنَةِ وَأَهْلِ السُّنَنِ إِلَّا وَهُمْ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ قَالَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَيُكَفِّرُونَهُ.

قَالَ: وَأَنَا أَقُولُ بِهَذِهِ السُّنَّةِ، ومَنْ وَقَفَ عَلَى القُرْآنِ بِالشَّكِّ، فَلَمْ يَقُلْ: غَيْرَ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ كَمَنْ قَالَ: هُوَ مَخْلُوقٌ. الشريعة: (١٦٢).

* وقيل للإمام **أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): هؤلاء الذين يقولون القرآن مخلوق؟ قَالَ: كفار بالله العلي العظيم، قيل: فابن أبي دؤاد؟[1] قَالَ: كافر بالله.[2]

---

(١) ولي القضاء للمعتصم وللواثق بالله، وكان مصرِّحًا بمذهب الجَهْميّة، داعيةً إلى القول بخلْق القرآن. [تاريخ الإسلام (٥/ ٧٥٨).

(٢) كفّره لأنه قال بالكفر -وهو القول بخلق القرآن- ودعا إلى ذلك، وامتحن الناس، وعذب وسجن، وقتل لأجلها، وأُقيمت عليه الحُجَّة فلم يقبلها، فلذلك كفّره الإمام أحمد.

طبقات الحنابلة (١/ ٣٥٤).

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا عبدالله، القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود؟.

قَالَ: منه بدأ علمه، وإليه يعود حُكمه. طبقات الحنابلة (٢/ ٥١٨).

* وقال **أَبُو زُرعة الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤): القرآن كلام الله غير مخلوق، والذي يقف فيه عَلَى الشك هو والذي يقول مخلوقٌ شيءٌ واحد.

كان **أَحْمَد بن حنبل** يقول: تفرقت الجهمية على ثلاثة أصناف: صنف قالت القرآن مخلوق، وصنف وقفت، وصنف قَالَتْ لفظُنا بالقرآن مخلوق. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٩).

* وقال **قتيبة بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٠): من قَالَ: القرآن مخلوق فهو زنديق كافر بالله العلي العظيم، لا أُصَلِّي خَلفه، ولا أَتبع جنازته، ولا أعوده. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠٧).

* وقال **عبد الملك بن الماجشون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٢): سمعت من أدركت من علمائنا يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق. ترتيب المدارك (١/ ٤٠٠).

ج- موقف السلف في باب الإيمان، وأنه اعتقاد وقول وعمل، يزيد وينقص[1]:

* **عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦١) قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[2]، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ،

(١) ينبغي للمؤمن أن يعتني بإيمانه، وأنْ يتعلّم الإيمان كما يتعلّم القرآن.

(٢) حَزَاوِرَةٌ: قال السندي: جمع الحَزْوَر، بفتح الحاء المهملة، وسكون زاي معجمة، وفتح واو، ثم راء، ويقال له: الحزوَّر -بتشديد الواو- وهو: الغلام إذا اشتد وقوي وحَزُم. كذا في «الصحاح».

فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا». سنن ابن ماجة (٦١)، وصححه الألباني.

* وَعَنْ **عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤)، أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنِ الإِيمَانُ: قَوْلٌ يُعْقَلُ، وَعَمَلٌ يُعْمَلُ». [«السنة لعبد الله بن الإمام أحمد»: (٦٧٥).

* وَعَنْ **سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨)، قَالَ غَيْرَ مَرَّةٍ: «الإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ»، وَقَالَ: «فَأَخَذْنَاهُ مِمَّنْ قَبْلَنَا: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَإِنَّهُ لَا يَكُونُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ»، قِيلَ لِابْنِ عُيَيْنَةَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ إِذًا؟ الشريعة: ١٢٣.

* وَقِيلَ لَهُ - أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ تَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ؟ ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، قِيلَ: يَنْقُصُ؟ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ يَزِيدُ إِلَّا وَهُوَ يَنْقُصُ». الشريعة: ١٣٢.

* وقَالَ **الْأَوْزَاعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧): كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ، العَمَلُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ مِنَ العَمَلِ. تهذيب الحلْية: (٢٩١/ ٢).

* وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الرَّجُلِ يُسْأَلُ أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ حَقًّا؟ قَالَ: إِنَّ المَسْأَلَةَ عَمَّا سُئِلَ مِنْ ذَلِكَ بِدْعَةٌ، وَالشَّهَادَةُ عَلَيْهِ تَعَمُّق، ولَمْ نُكَلَّفْهُ فِي دِينِنَا، ولَمْ يَشْرَعْهُ نَبِيُّنَا-عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ-، لَيْسَ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ فِيهِ إِمَامٌ.

فَاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ بِمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ، وَاسْلُكْ سُبُلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ.

وَلَوْ كَانَ هَذَا خَيْرًا مَا خُصِصْتُمْ بِهِ دُونَ أَسْلَافِكُمْ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدَّخِرْ عَنْهُمْ خَيْرًا حُقَّ لَكُمْ دُونَهُمْ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ، وَهُمْ أَصْحَابُ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ لَهُ،

وبَعَثَهُ فِيهِمْ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ، فَقَالَ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الفتح: ٢٩] تهذيب الحِلْية ٦١/ ٣، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: مختصرا: (٢٨٠).

* وَقَالَ **وَكِيع بْن الْجَرَّاحِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧): «أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: الإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَالمُرْجِئَةُ يَقُولُونَ: الإِيمَانُ: قَوْلٌ، وَالجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ: المَعْرِفَةُ». الشريعة: ١٣٨.

* وقال **يحيى بن سعيد القطان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): كان من أدركت من الأئمة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. تهذيب الحِلْية ١٠٩/ ٣.

* وسأل رجلٌ **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) عَنْ زيادته ونقصانه -يعني الإيمان- فقال: يزيدُ حتى يبلغ أعلى السماوات السبع، وينقص حتى يصير إلى أسفل السافلين السبع. طبقات الحنابلة (٢/ ٢١٠).

* وقَالَ حمدان بن عَلِيٍّ الوراق: سمعتُ **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذُكِر عنده المرجئة، فقلتُ: إنهم يقولون إذا عَرف الرجل ربه عَزَّوَجَلَّ بقلبه فهو مؤمن، فقال: المرجئة لا تقول هذا، الجهمية تقول بهذا. طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣٥).

* وقال **مصعب بن عبدالله بن مصعب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٦): لا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل(١)، فأما الكلام في الله فأحبُّ إلي السكوت عن هذه الأشياء. ترتيب المدارك (١/ ٤١٨).

* وقال **أَبُو زرعة الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤): الإيمان عندنا قولٌ وعمل، يَزِيد وينقص، ومن قَالَ غير ذلك فهو مبتدع مُرجئ. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٩).

---

(١) عمل القلب أو الجوارح.

د- موقف السلف في باب القدر[1]:

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بن فَيْرُوز رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) قَالَ: «وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَأَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي، فَحَدِّثْنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ جَبَلُ أُحُدٍ ذَهَبًا -أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ- تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ،

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقدَر يؤمن به، ولا يُحتج به، بل العبد مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب، ويستغفر الله عند الذنوب والمعايب، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر:٥٥]، ولهذا حج آدم موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لمـَّا لامَ موسى آدمَ؛ لأجل المصيبة التي حصلت له بأكله من الشجرة، فذكر له آدم: (إن هذا كان مكتوبًا قبل أن أخلق، فحج آدم موسى)، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢]، وقال تعالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ [التغابن:١١].

قال بعضُ السَّلف: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم».

فهذا وجه احتجاج آدم بالقدر: ومعاذ الله أن يَحتج آدم، ومن هو دونه من المؤمنين على المعاصي بالقدر، فإنه لو ساغ هذا لساغ أن يَحتج إبليس ومن اتبعه من الجن والإنس بذلك، ويَحتج به قوم نوح وعاد وثَمود وسائر أهل الكفر والفسوق والعصيان، ولم يعاقب ربنا أحدًا، وهذا مِمَّا يعلم فساده بالاضطرار شرعًا وعقلًا.

فإن هذا القول لا يطرده أحد من العقلاء، فإن طرده يوجب أن لا يلام أحد على شيء، ولا يعاقب عليه.

وهذا المحتجُّ بالقدر: لو جنَى عليه جان لطالبه، فإن كان القدر حجة للجاني عليه، وإلا فليس حجة لا لهذا ولا لِهذا.

ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولًا: لم يُمكن للناس أن يعيشوا، إذ كان لكل من اعتدى عليهم أن يَحتج بذلك، فيقبلوا عذره ولا يعاقبوه، ولا يمكن اثنان من أهل هذا القول أن يعيشا، إذ لكل منهما أن يقتل الآخر، ويفسد جميع أموره، محتجًا على ذلك بالقدر. [«اقتضاء الصراط المستقيم»: ٦٢٢-٦٢٤.

مَا قُبِلَ مِنكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ»، وَلا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فتَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ، فَسَأَلْتُهُ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أُبَيٌّ، وَقَالَ لِي: وَلا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُذَيْفَةَ، فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ، فَسألته، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالا، وَقَالَ: ائْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَاسْأَلْهُ، فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَو كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا -أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا- تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأن مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ». سنن ابن ماجة (٧٧)، وأبي داود: (٤٦٩٩) مختصرا، وصححه الألباني.

* وَقِيلَ لِسَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): مَا قَوْلُ النَّاسِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؟ قَالَ: «حِينَ تُؤْمِنُ بِالْقَدرِ، تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَلَا تَقُولُ: لَوْ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا، لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا».الشريعة: ٢٢٠.

* وقال عُبَادَة بْن الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) لولده حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: «يَا بُنَيَّ، أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ اللهَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَلَنْ تَطْعَمَ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ وَلَنْ تَبْلُغَ الْعِلْمَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

فقَالَ له: يَا أَبَتِ، وَكَيْفَ لِي أَنْ أُومِنَ بِالْقَدرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؟.

قَالَ: «تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»، أَيْ بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ قَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ يَا رَبِّ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، فَجَرَى الْقَلَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ». الشريعة: ٢٢٣.

* وَعَنَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣) أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ؟ فَقَالَ: «شَيْءٌ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَلَّا يُطْلِعَكُمْ عَلَيْهِ، فَلَا تُرِيدُوا مِنَ اللهِ تَعَالَى مَا أَبَى عَلَيْكُمْ».

* قَالَ **أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْآجُرِّيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٦٠) -مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْأَثَرِ: «هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١)، فِي رِسَالَتِهِ لِأَهْلِ الْقَدَرِ[1]، قَوْلُهُ: «فَلَئِنْ قُلْتُمْ: قَدْ قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ كَذَا وَكَذَا، يُقَالُ لَهُمْ: لَقَدْ قَرَؤُوا مِنْهُ -يَعْنِي: الصَّحَابَةَ- مَا قَدْ قَرَأْتُمْ، وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ، ثُمَّ قَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ: كُلُّهُ كِتَابٌ وَقَدَرٌ، وَكَتَبَ الشِّقْوَةَ، وَمَا قُدِّرَ يَكُنْ، وَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا وَالسَّلَامُ». الشريعة: ٢٤٥.

* وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى وَضْعُكَ يَدَكَ عَلَى خَدِّكَ». الشريعة: ٢٢٥.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ[2]، فَمَنْ وَحَّدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَآمَنَ

---

(١) أخرجها كاملة مطولة: أبو داود في: «سننه»: (٤٦١٢)، وصححها المحدث العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) هذا يدل على: أنَّ مَن لم يؤمن بالقدر فقد ينتقض توحيدُه؛ لأنَّ الإيمانَ بالقدر أساسُ التوحيد، فهذا معنى قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نظام التوحيد)، أي: به ينتظم، وبه يستقيم، وبه يستقر، فالإيمانُ بالقدر مِن أصول الإيمانِ وأركانِه التي لا يتمُّ إيمانُ أحدٍ إلا بها، والله أعلم.

بِالْقَدَرِ، فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى، وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ، نَقْضَ التَّوْحِيدَ». الشريعة: ٢٢٦.

* وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): أَنَّهُ قَالَ: مَا يُنْكِرُ قَوْمٌ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَلِمَ شَيْئًا فَكَتَبَهُ؟. الشريعة: ٢٣٠.

* وَعَنْ إِيَاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٢)، قَالَ: «لَمْ أُخَاصِمْ بِعَقْلِي كُلِّهِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ غَيْرَ أَهْلِ الْقَدَرِ، قُلْتُ: أَخْبِرُونِي عَنِ الظُّلْمِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا هُوَ؟ قَالُوا: أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ مَا لَيْسَ لَهُ، قُلْتُ: «فَإِنَّ اللهَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ». الشريعة: ٢٣١.

* وقال بعضهم:

وعاجزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لفُرْصَتِهِ ... حتى إذا فات أَمْرٌ عاتبَ القَدَرا[1]

عيون الأخبار ٥٤٠/ ٢.

* وَعَنْ طَاوُوس بْن كَيْسَانَ الفَارِسِيّ (ت: ١٠٦) قَالَ: مَا مِنْ شَيْءٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ ابْنُ آدَمَ إِلَّا أُحْصِيَ عَلَيْهِ حَتَّى أَنِينَهُ فِي مَرَضِهِ. الحلْية: (٤/ ٤).

* ووَقَفَ غَيْلَانُ عَلَى رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٦): فَقَالَ: يَا رَبِيعَةُ، أَيْنَ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُعْصَى؟ فَقَالَ لَهُ رَبِيعَةُ: «وَيْلَكَ يَا غَيْلَانُ، أَوَ يُعْصَى اللهُ قَسْرًا» قَالَ: فَكَأَنَّمَا أَلْقَمَهُ حَجَرًا». تهذيب الحِلْية ٥٣٣/ ١.

* وَقَالَ مُطَرِّفُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): لَوْ أُخْرِجَ قَلْبِي فَجُعِلَ فِي يَدِي هَذِهِ الْيَسَارِ، وَجِيءَ بِالْخَيْرِ فَجُعِلَ فِي هَذِهِ الْيُمْنَى، مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُولِجَ قَلْبِي مِنْهُ شَيْئًا، حَتَّى يَكُونَ اللهُ تَعَالَى يَضَعُهُ. تهذيب الحِلْية ٣٦٠/ ١.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَاقِلُ خَصْمُ نَفْسِهِ، وَالْجَاهِلُ خَصْمُ أَقْدَارِ رَبِّهِ. مدراج السالكين ١/ ١٠١

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَيسَ لِأَحدٍ أَنْ يَصْعَدَ فَيُلْقِي نَفْسَهُ مِنْ فَوْقِ الْبِئْرِ، وَيَقُولُ: قُدِّرَ لِي! وَلَكِنْ يَحْذَرُ وَيَجْتَهِدُ وَيَتَّقِي فَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُصِبْهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ. تهذيب الحِلْية ٣٦٠/ ١.

* ومَاتَ أَخٌ لِصِلَةَ بْنِ أَشْيَمَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٦)، فَأَتَاهُ رَجُلٌ وَهُوَ يَطْعَمُ، فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّهْبَاءِ، إِنَّ أَخَاكَ مَاتَ! قَالَ: هَلُمَّ فَكُلْ، قَدْ نُعِيَ لَنَا!.

فَقَالَ: وَاللهِ مَا سَبَقَنِي إِلَيْكَ أَحَدٌ، فَمَنْ نَعَاهُ؟!.

قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] صفة الصفوة ٣/ ١٥١.

* وَقيل **لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): مَا تَقُولُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِبَادَهُ عَنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، إِنَّمَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ. تهذيب الحِلْية ٤١٥/ ١.

* وَعَنِ **الحَسَنِ البَصْرِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، قَالَ: «مَنْ كَذَّبَ بِالْقَدَرِ فَقَدْ كَفَرَ». الزهد لأحمد: ٤٨١.

* وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الحُسَيْنِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٠)[1] «أَنَّهُ دَعَا **الْحُسَيْنَ ابْنَ الْفَضْلِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٢) وَقَالَ لَهُ: أَشْكَلَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُ آيَاتٍ دَعَوْتُكَ لِتَكْشِفَهَا لِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾ [المائدة:٣١]، وَقَدْ صَحَّ: «أَنَّ النَّدَمَ تَوْبَةٌ»[2]، وَقَوْلُهُ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن:٢٩] وَقَدْ صَحَّ: «أَنَّ الْقَلَمَ جَفَّ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[3]، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم:٣٩]،

---

(١) نَائِبُ خُرَاسَانَ وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْبُلْدَانِ، مِنْ قِبَلِ: الخَلِيفَةِ الْمَأْمُون.

(٢) أخرجه ابن ماجة في «سننه»: (٤٢٥٢)، والإمام أحمد في «مسنده»: (٣٥٦٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) رواه الترمذي: (٢٥١٦)، والإمام أحمد: (٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٣)، وصححه الشيخ العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فَمَا بَالُ الْأَضْعَافِ؟

فَقَالَ الْحُسَيْنُ: يَجُوزُ أَلَّا يَكُونَ النَّدَمُ تَوْبَةً فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ، وَيَكُونُ تَوْبَةً فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِخَصَائِصَ لَمْ تُشَارِكْهُمْ فِيهَا الْأُمَمُ، وَقِيلَ: إِنَّ نَدَمَ قَابِيلَ لَمْ يَكُنْ عَلَى قَتْلِ هَابِيلَ وَلَكِنْ عَلَى حَمْلِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ فَإِنَّهَا شؤون يُبْدِيهَا لَا شؤون يَبْتَدِيهَا[1].

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾، فَمَعْنَاهُ: لَيْسَ لَهُ إِلَّا مَا سَعَى عَدْلًا وَلِي أَنْ أَجْزِيَهُ بِوَاحِدَةٍ أَلْفًا فَضْلًا، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ». [«تفسير القرطبي»: (٢٠/ ١٣٥-١٣٦)، [فتح الباري: (١١/ ٥٩٩)، مختصرا.

* وقال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معتقدنا ومعتقد **الوالد السعيد أبي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨) ومَن تقدَّمه من أئمتنا: **مبني عَلَى حرفين:**

السكوت عن «لم؟» فِي أفعاله عَزَّوَجَلَّ.

وعن «كيف؟» فِي أوصافه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.[2] طبقات الحنابلة (٣/ ٤١٦).

هـ- موقف السلف في باب الاستواء وعلو الله:

* قَالَ عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٦): «قَدِمَ عَلَيْنَا **شَرِيكُ الْقَاضِي**

---

(١) معنى شُوؤنٌ يُبْدِيهَا لَا شُوؤنٌ يَبْتَدِيهَا: (شئون يبديها) يعني: يخرجها الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إلى حيز الوجود على ما عَلِمَهُ الله جَلَّجَلَالُهُ مِن قبلُ في عِلْمِه الأزلي، فما كان غيبًا عنده فيخرج عِلْمَه للشهادة في وقتِه الذي حدَّده الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فـ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ أي: أن هناك تقديرًا لما سيحصل في كلِّ يوم لهذه المخلوقات، وهذا لا يتعارض على الإطلاق مع ما كتبَه في اللوح المحفوظ، فهي شؤون يبديها ويكشفها، وليست شؤون يبتديها، فهذا العلم ليس علمًا مستأنفًا، وليس علمًا مُحْـدَثا، وإنَّما هو موافقٌ لعِلْمِ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(٢) السكوت عن «لم؟»: يسدّ باب الخوض في باب القدر، والاعتراض على أحكامه وسننه وشرعه. والسكوت عن «كيف؟» يسدّ باب الخوض في باب صفات الله تأويلًا وتحريفًا وتشبيهًا. وهذان البابان ضلّ فيهما كثير من الناس.

النَّخَعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٧)، وَاسِطَ فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا يُنْكِرُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»(١)، فَقَالَ شَرِيكٌ: «إِنَّمَا جَاءَنَا بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَنْ جَاءَ بِالسُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَإِنَّمَا عَرَفْنَا اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ». [الشريعة: (٦٩٥).

* وَقَالَ **الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): «اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]». [«السنة» لعبد الله: (١١)، «الشريعة»: (٦٥٢)، مختصرا.

* وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سأل رجل الإمام **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فقال: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى يا أبا عبدالله؟

فقال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب.

وقال الوليد بن مسلم: سألت **مالكًا** عن هذه الأحاديث فقال: اقرأها كما جاءت، وكره أن يحدَّث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه، ولا تبلغه عقولهم، فينكروه، أو يضعوه في غير موضعه. ترتيب المدارك (١/ ١٦٦).

* وعَنِ **الضحاك بن مزاحم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥): ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] قَالَ: هو عَلَى العرش وعِلمه معهم.

قَالَ الإمام **أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه السُّنة. طبقات الحنابلة (٢/ ١٩١).

---

(١) متفق عليه: البخاري: (١١٤٥)، مسلم: (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

و- موقف السلف في باب الصفات[١]:

* عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: سُئِلَ **أَبُو بكر الصديق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ فقال: أَيَّةُ أرضٍ تُقِلّني، وَأَيَّةُ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَينَ أَذهَبُ أَو كَيفَ أَصْنَعُ إِذَا أَنَا قُلتُ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَا؟.

* وعَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ أَنَّ **عُمَرَ بن الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٢٣) قَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾ [عبس:٣١] فَقَالَ: هَذِهِ الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا الأَبُّ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: لَعَمْرُكَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ يَا عُمَرُ.

قال **ابن أبي يعلى** رَحِمَهُ اللَّهُ: حسبك لشيَخَيْ الإسلام، وإمامَيْ الهدى، وخليفتَيْ رسول الله ﷺ، الهادِيَيْن الراشِدَيْن، توقفهما وإحجامهما عن تفسير آية من كتاب الله جل وعز، وهما أعلم الخلق بالله عَزَّ وَجَلَّ بعد رَسُول اللهِ ﷺ، وبرسوله وبكتاب الله وتأويله، فماذا عسى أن نقول في جَسارة المعتزلة والأشاعرة، وبقية المتكلمين

(١) قال البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: وكل ما سمعتَ من الآثارِ مِمّا لم يبلغه عقلك، نحو قول رسول الله ﷺ: (قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن عَزَّ وَجَلَّ). وقوله: (إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينزل إلى سماء الدنيا)، و (ينزل يوم القيامة)، و (جهنم لا يزال يطرح فيها، حتى يضع عليها قدمه جلّ ثناؤه)، و قول الله تعالى للعبد (إن مشيتَ إليَّ: هرولتُ إليك)، وقوله: (إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينزل يوم عرفة) وقوله: (إن الله خلق آدم على صورته)، وقول النبي ﷺ: (رأيتُ ربي في أحسن صورة). وأشباه هذه الأحاديث، فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضا، لا تفسِّر شيئًا من هذه بهواك، فإن الإيمان بهذا واجب، فَمَنْ فَسَّرَ شيئًا من هذا بهواه، أو رَدَّهُ: فهو جهمي. شرح السنة / ٧٤-٧٦.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا، ولا ضربوا لها أمثالا، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم.. أعلام الموقعين ١/ ٥٢.

الضالين فِي تأويل صفات الرحمن عَزَّوَجَلَّ، الَّتِي نَطَق بها القرآن، ونقلها الأئمة الأثبات، والعلماء الثقات؟ طبقات الحنابلة (٣/ ٢٦٣-٢٦٤).

* وقَالَ رَجُلٌ **لِلزُّهْرِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤): يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ»[١]، «وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»[٢]، وَمَا أَشْبَهَ مِنَ الْحَدِيثِ؟.

فَأَطْرَقَ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ العِلْمُ، وَعَلَى الرَّسُولِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ»[٣]. السنة» للخلال (١٠٠١)، وعلقه الإمام البخاري في صحيحه بصيغة الجزم (٩/ ١٥٤)، بلفظ: «مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ».

* وقال الإمام **مُحَمَّد بن إِدْرِيسَ الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -(ت: ٢٠٤) وقد سُئِل عَنْ صفات الله وما ينبغي أن يؤمن به-: لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيُّه ﷺ أمتَه.. فمن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو بالله كافر، فأما قَبل ثُبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمَعذور بالجهل؛ لأنَّ عِلمَ ذلك لا يُدرك بالعقل، ولا بالرَّوِيّة والفِكر، ونحو ذلك أخبار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أتانا أنه سميع، وأن له يَدَيْن، بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له يمينًا بقوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:١١]، وأن له وجهًا بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن:٢٧]، وأن له قَدَمًا بقول النَّبِيِّ ﷺ: «**حتى يضع الرب فيها قدمه**»، يعني جهنم، وأنه يضحك

(١) متفق عليه: البخاري: (١٢٩٤)، مسلم: (١٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في: «مسنده»: (٦٩٣٥- ٦٩٣٧)، وأصله في: «السنن» بلفظ آخر: من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) وَأَسْنَدَهُ الإمامُ ابنُ عبد البر في: «التمهيد»: (٦/ ١٤): عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: «مِنَ اللهِ تَعَالَى التَّنْزِيلُ، وَعَلَى رَسُولِهِ التَّبْلِيغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ».

من عبده المؤمن بقول النَّبِيّ ﷺ للذي قُتِل فِي سبيل الله: «**إنه لقي الله وهو يضحك إليه**»، وأنه يَهبط كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا بخبرِ رَسُول اللهِ ﷺ بذلك، وأنه ليس بأعْور بقول النَّبِيّ ﷺ إذ ذكر الدجال فقال: «**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**»، وأنَّ المؤمنين يَرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وأن له إصبعًا بقول النَّبِيّ ﷺ: «**ما مِن قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّوَجَلَّ**»، فإنَّ هذه المعاني التي وَصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ مما لا يُدْرَك حقيقته بالفِكر والرَّوية، فلا يَكفر بالجهل بها أحدٌ، إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، فإن كان الوارد بذلك خبرًا يقوم فِي الفهم مقام المشاهدة فِي السماع وجبت الدَّيْنونة[1] عَلَى سامعه بحقيقته والشهادة عليه، كما عاين وسمع من رَسُول اللهِ ﷺ، ولكن يُثْبِت هذه الصفات ويَنْفي التشبيه، كما نفى ذلك عَنْ نفسه تعالى ذكره فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٦٨-٢٧٠).

* وقال الإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): من قَالَ إن الله خلق آدم عَلَى صورة آدم فهو جَهمِي، وأيُّ صورةٍ كانت لآدم قبل أن يَخلقه؟ طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣٧).

* وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٥): سَأَلْتُ **الْأَوْزَاعِيَّ**: (ت: ١٥٧)، **وَالثَّوْرِيَّ**: (ت: ١٦١)، **وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ**: (ت: ١٧٩)، **وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ**: (ت: ١٧٥) -رَحِمَهُم اللهُ تعالى- عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الصِّفَاتُ؟ فَكُلُّهُمْ قَالُوا: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا تَفْسِيرٍ»[2]. الشريعة (٧٢٠)، قال الألباني في مختصر

(١) أي: يجب أن يَدِين بها ويعتقدها.

(٢) أي: تفسير الكيفية، لا تفسير معاني الألفاظ، قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومراد السلف بقولهم: بلا كيف، هو نفي التأويل، فإنَّه التكييف الذي يزعمُه أهلُ التأويل، فإنَّهم هم=

العلو: (١٤٢) وإسناده صحيح.

* وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الإمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩)، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: فَمَا رَأَيْنَا مَالِكًا وَجَدَ مِنْ شَيْءٍ كَوَجْدِهِ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَعَلَاهُ الرُّحَضَاءُ[١]، وَأَطْرَقَ، وَجَعَلْنَا نَنْتَظِرُ مَا يَأْمُرُ بِهِ فِيهِ، قَالَ: ثُمَّ سُرِّيَ[٢] عَنْ مَالِكٍ، فَقَالَ: الْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَإِنِّي لَأَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ.[٣] الرد على الجهمية للدارمي: (١٠٤).

* وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) لِفَتًى مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ ابْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيِّ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ وَتَصِفُهُ وَتُشَبِّهُهُ، قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا سَعِيدٍ، نَظَرْنَا فَلَمْ نَرَ مِنْ خَلْقِ اللهِ شَيْئًا أَحْسَنَ وَلَا أَوْلَى مِنَ الْإِنْسَانِ، فَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ فِي

=الذي يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه. وأما أهل الإثبات: فليس أحد منهم يُكيِّف ما أثبته الله تعالى لنفسه، ويقول: كيفيته كذا وكذا حتى يكون قول السلف بلا كيف ردًّا عليه وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل: تحريف اللفظ، وتعطيل معناه». [اجتماع الجيوش الإسلامية: (٣٠٢)

(١) أي: علاه العرق الكثير من عظم السؤال.

(٢) أي: حتى زال عنه ما به من الهمِّ.

(٣) أخرج ابن بطة في: «الإبانة الكبرى»: (١٢٠)، واللالكائي في: «شرح أصول اعتقاد»: (٥٧٧) بنحوه عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ولكن أثرها ضعيف كما قال المحقق أبو مالك الرياشي، وكذلك أخرج ابن بطة في: «الإبانة الكبرى»: (١٢١)، واللالكائي في: «شرح أصول اعتقاد»: (٥٧٩): عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: سُئِلَ رَبِيعَةُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ».

قال المحقق أبو مالك الرياشي: هذا أثر صحيح، ونقل تصحيح شيخ الإسلام ابن تيمية، والذهبي له.

الصِّفَةِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: رُوَيْدَكَ يَا بُنَيَّ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوَّلَ شَيْءٍ فِي المَخْلُوقِ، فَإِنْ عَجزْنَا عَنِ المَخْلُوقِ فَنَحْنُ عَنِ الخَالِقِ أَعْجزُ وَأَعْجزُ.

أَخْبِرْنِي عَنْ حَدِيثٍ حَدَّثَنِيهِ شُعْبَةُ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ زِرًّا، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١٨]: «رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»(١)، قَالَ: نَعَمْ، فَعَرَفَ الحَدِيثَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «صِفْ لِي خَلْقًا مِنْ خَلْقِ اللهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ؟.

فَبَقِيَ الْغُلَامُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا بُنَيَّ، فَإِنِّي أُهَوِّنُ عَلَيْكَ المَسْأَلَةَ، وَأَضَعُ عَنْكَ خَمْسَمِائَةٍ وَسَبْعَةٍ وَتِسْعِينَ، صِفْ لِي خَلْقًا بِثَلَاثَةِ أَجْنِحَةٍ، رَكِّبِ الجَنَاحَ الثَّالِثَ مِنْهُ مَوْضِعًا غَيْرَ المَوْضِعَيْنِ اللَّذَيْنِ رَكَّبَهُمَا اللهُ حَتَّى أَعْلَمَ؟.

فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، نَحْنُ قَدْ عَجزْنَا عَنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ، وَنَحْنُ عَنْ صِفَةِ الْخَالِقِ أَعْجزُ وَأَعْجزُ، فَأُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ رَجَعْتُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ. الحِلْية (٩/ ٨)، شرح أصول اعتقاد (٨١٥).

* وَسُئِلَ أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بْنُ فَضْلٍ البَجَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٢) عَنِ الاسْتِوَاءِ، وَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ؟ فَقَالَ: «إِنَّا لَا نَعْرِفُ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ إِلاَّ مِقْدَارَ مَا كُشِفَ لَنَا، وَقَدْ أَعْلَمَنَا جَلَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ اسْتَوَى». [«عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (١٨٥)، معلقا].

* وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): «إِذَا قَالَ لَكَ الْجَهْمِيُّ: أَنَا أَكْفرُ بِرَبٍّ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ: فَقُلْ: أَنَا أُومِنُ بِرَبٍّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ».[«الإبانة الكبرى»: (١٥٩)، «شرح أصول اعتقاد»: (٦٧٦).

* وَرَوَى يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٦): فِي مَجْلِسه حَدِيثَ إِسْمَاعِيلَ

(١) أخرجه: مسلم: (١٧٤)، ووقع خطأ في رواية أبي نعيم: عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: (سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ)، بدل: (سَمِعْتُ زِرًّا). أفاده المحقق أبو مالك الرياشي.

ابْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥١): فِي الرُّؤْيَة، وَقَول الرَّسُول ﷺ: «**إِنَّكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّكُمْ كَمَا تَنْظُرُونَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»(١)، فَقَالَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِهِ: يَا أَبَا خَالِد مَا مَعْنَى هَذَا الحَدِيث؟ فَغَضِبَ وَحَرِدَ(٢)، وَقَالَ: وَيْلَكَ مَنْ يَدْرِي كَيفَ هَذَا؟ وَمَنْ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُجَاوزَ هَذَا القَوْلَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الحَدِيثُ، أَو يتكَلَّمُ فِيهِ بِشَيْءٍ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ، وَاسْتَخَفَّ بِدِينِهِ، إِذَا سَمِعْتُمْ الحَدِيثَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهِ، فَإِنَّكُمْ إِنْ اتبعْتُمُوه وَلَمْ تُمَارُوا فِيهِ سَلِمْتُمْ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا هَلَكْتُمْ». [«عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (٢٣٦-٢٣٧)، «الحجة في بيان المحجة»: (٧٥).

* **وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩١): «اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ كُلَّ مَا توَهَّمَهُ قَلْبُكَ، أَوْ رَسَخَ فِي مَجَارِي فِكْرَتِكَ، أَوْ خطَرَ فِي مُعَارَضَاتِ قَلْبِكَ مِنْ حُسْنٍ، أَوْ بَهَاءٍ، أَوْ إِشْرَافٍ، أَوْ ضِيَاءٍ، أَوْ جَمَالٍ، أَوْ شَبَحٍ مَاثِلٍ، أَوْ شَخْصٍ مُتَمَثِّلٍ، فَاللهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ كُلِّهِ، بَلْ هُوَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَجَلُّ وَأَكْمَلُ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؟ وَقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]؟ أَيْ: لَا شَبَهَ، وَلَا نَظِيرَ، وَلَا مَسَاوِيَ، وَلَا مِثْلَ». [تهذيب الحِلْية ٣٩٢/ ٣].

* وقال **أَبُو زرعة الرازي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦٤): الأخبار التي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الرؤية، وخلقِ آدم عَلَى صورته، والأحاديث التي فِي النزول، ونحو هذه الأخبار، المعتقد من هذه الأخبار مُراد النَّبِيّ ﷺ، والتسليم بها، حَدَّثَنِي أَبُو مُوسَى الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: قَالَ سفيان بْن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: ما وَصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى به نفسه فِي كتابه فقِراءَتُه تفسيره، ليس لأحدٍ أن يفسره إلا الله. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٩).

* وعن **أبي المظفر السمعاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٨٩) أنه سُئِل عن أحاديث

---

(١) بنحوه عند: ابن ماجة في: «مقدمة سننه»: (١٧٧)، والإمام أحمد في: «مسنده»: (١٩١٩٠).

(٢) أي: أبدى استياءً بتقطيب الجبين.

الصفات، فقال: عليكم بدين العجائز، ثم قال: غُصت في كل بحر، وانقطعت في كل بادية، فوضعت رأسي على كل عتبة، ودخلت من كل باب، ولله وصف خاص لا يعرفه غيره.(١).

* وجرت بالقيروان مسألة في الكفار، هل يعرفون الله أو لا؟ فوقع فيها تنازع عظيم بين العلماء، وتجاوز ذلك إلى العامة، وكثر التمادي بينهم فيها.

فقال قائل: لو ذهبتم إلى **الشيخ أبي عمران الفاسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لشفانا من هذه المسألة، فقام إليه أهل السوق بجماعتهم، حتى أتوا باب داره واستأذنوا عليه، فأذن لهم، فقالوا له: أصلحك الله، أنت تعلم أن العامة إذا حدَثت بها حادثة إنما تفزع إلى علمائها، وهذه المسألة قد جرى فيها ما بلغك، وما لنا في الأسواق شغل إلا الكلام فيها.

فقال لهم: لا يكلّمني منكم إلا واحد، ويسمع الباقون، فقصد واحدا منهم فقال له: أرأيت لو لقيتَ رجلًا فقلت له: تعرف الشيخ أبا عمران، فقال: نعم، فقلت: صفه لي، فقال: هو رجل يبيع البقل والحنطة والزيت في سوق ابن هشام، ويسكن سبتة، أكان يعرفني؟ فقال: لا.

فقال: لو لقيت آخر فقلت: تعرف الشيخ أبا عمران؟ فقال: نعم، فقلت: صفه لي، فقال: هو رجل يُدَرِّس العلم ويَدْرسه، يفتي الناس، ويسكن بقرب السماط، أكان يعرفني؟ قال: نعم، قال: والأول ما كان يعرفني؟ قال: لا.

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طريقة الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري في الصفات بعد أن رجع عن الاعتزال، بل وبعد أن قدم بغداد، وأخذ عن أصحاب الحديث كزكريا الساجي وغيره، فإنها من أصح الطرق، فإنه يُثبت الصفات العقلية والخبرية، ولا ينكر منها شيئًا، ولا يكيف منها شيئًا، وهذه طريقة السلف والأئمة من أهل السنة والجماعة، حشرنا الله في زمرتهم وأماتنا على اتباعهم ومحبتهم، إنه سميع الدعاء جواد كريم.
وعلى هذا المنوال جرى الأئمة من أصحاب الأشعري، كأبي عبدالله بن مجاهد والقاضي أبي بكر الباقلاني وأضرابهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعيين (٢/ ٤٢-٤٣)

قال لهم الشيخ: كذلك الكافر، إذا قال: إنّ لمعبوده صاحبةً، وولدًا، وأنه جسم، وقصد بعبادته مَن هذه صفته فلم يعرف الله، ولم يصفه بصفاته، ولم يقصد بالعبادة إلا مَن هذه صفته، وهو بخلاف المؤمن الذي يقول إن معبوده: الله، الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤًا أحد، فهذا قد عرف الله، ووصف بصفته، وقصد بعبادته من يستحق الربوبية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

فقامت الجماعة وقالوا له: جزاك الله خيرًا من عالم، فقد شفيت ما بنفوسنا، ودعوا له، ولم يخوضوا في المسألة بعد هذا. ترتيب المدارك (٤/ ٢٦١-٢٦٢).

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): تفكَّرْتُ في أخبار الصفات، فرأيت الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ سكتوا عن تفسيرها، مع قوة علمهم، فنظرت السبب في سكوتهم فإذا هو قوة الهيبة للموصوف، ولأن تفسيرها لا يتأتى إلا بضرب الأمثال لله، وقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٥).

ل- موقف السلف في باب التكفير، والتبديع، والتفْسِيق[1]:

* قيل **لأَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ الأَسَدِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢): يَا أَبَا وَائِلٍ أَيُّ

(١) هذا البابُ عظيمٌ وخطيرٌ، مَن دخلَه وهو ليس له بأهل، وليس عنده علمٌ وإنصافٌ ضلّ وأضلّ وأفسد، فلا يجوز أن يتكلمُ فيه إلَّا الأكابرُ مِن أهلِ العلمِ المُحققينَ، الذين هم أعلمُ النَّاسِ بالحق، وارحمُهم بالخلق.
ولا بُدَّ مِن تحقق الشروط وانتفاء الموانع، والشروط هي: العلم، والقصد، والاختيار، وموانعها ضدها وهي: الجهل والتأويل، وعدم القصد، والإكراه.
ولا يكون ذلك: إلَّا بعد إقامة الحُجة عليه.
وليسَ كلُّ مَن وقَعَ في الكفْر وقَعَ الكفْرُ عليه، وكذا البدعة، والفسق، فينبغي التورعُ في هذا الباب، وطلبُ السَّلامة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى»: (١٢/ ١٨٠): «فَـ«التَّكْفِيرُ»: يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ حَالِ الشَّخْصِ فَلَيْسَ كُلُّ مُخْطِئٍ، وَلَا مُبْتَدِعٍ، وَلَا جَاهِلٍ، وَلَا ضَالٍّ يَكُونُ كَافِرًا؛ بَلْ وَلَا فَاسِقًا، بَلْ وَلَا عَاصِيًا». ا.هـ

شَيْءٍ تَشْهَدُ عَلَى الْحَجَّاجِ؟ تَشْهَدُ أَنَّهُ فِي النَّارِ؟ فقال: «سبحان الله! أَتَأْمُرُنِي أَنْ أَحْكُمَ عَلَى اللهِ!». الطبقات لابن سعد (٨/ ٢١٩).

* وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١١): «مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ قَدِ اسْتَوَى فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ بِرَبِّهِ، يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَأُلْقِيَ عَلَى بَعْضِ الْمَزَابِلِ؛ حَيْثُ لَا يَتَأَذَّى الْمُسْلِمُونَ وَالْمُعَاهَدُونَ بِنَتَنِ رِيحِ جِيفَتِهِ، وَكَانَ مَالُهُ فَيْئًا، لَا يَرِثُهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِذِ الْمُسْلِمُ لَا يَرِثُ الْكَافِرَ كَمَا قَالَ ﷺ[1]». معرفة علوم الحديث: (٣٠٠).

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨) معلّقا على كلامه: «مَنْ أَقَرَّ بِذَلِكَ تَصْدِيْقًا لِكِتَابِ اللهِ، وَلأَحَادِيْثِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَآمَنَ بِهِ مُفَوِّضًا مَعْنَاهُ إِلَى اللهِ وَرَسُوْلِهِ، وَلَمْ يَخُضْ فِي التَّأْوِيْلِ وَلاَ عَمَّقَ فَهُوَ المُـسْلِمُ المُـتَّبِعُ، وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدْرِ بِثُبُوْتِ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ مُقَصِّرٌ وَاللهِ يَعْفُو عَنْهُ، إِذْ لَمْ يُوجِبِ اللهُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حِفظَ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ، وَمَنْ أَنكَرَ ذَلِكَ بَعْدَ العِلْمِ وَقَفَا غَيْرَ سَبِيْلِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَتَمعقَلَ عَلَى النَّصِّ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الضَّلاَلِ وَالهَوَى.

وَكَلاَمُ ابْنِ خُزَيْمَةَ هَذَا -وَإِنْ كَانَ حَقًّا- فَهُوَ فَجٌّ، لاَ تَحْتَمِلُهُ نُفُوسُ كَثِيرٍ مِنْ مُتَأَخِّرِي العُلَمَاءِ...، وَلابْنِ خُزَيْمَةَ عَظَمَةٌ فِي النُّفُوْسِ، وَجَلاَلَةٌ فِي القُلُوْبِ؛ لِعِلمِهِ وَدِينِهِ وَاتِّبَاعِهِ السُّنَّةَ». السِّيَر »: (١٤/ ٣٧٣-٣٧٤).

* وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ السَّرَّاجُ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٣): مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِأَنَّ اللهَ -تعَالَ- يَعْجَبُ[2]، وَيَضْحَكُ[3]، وَيَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: مَنْ يَسْأَلُنِي

(١) متفق عليه: البخاري: (٦٧٦٤)، مسلم: (١٦١٤)، واللفظ له: من حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ».

(٢) منها: ما أخرجه البخاري في: «صحيحه»: (٣٠١٠): مِن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ».

(٣) منها: ما أخرجه البخاري في: «صحيحه»: (٣٧٩٨)، وهي قصة الأنصاري الذي استضاف=

فَأُعْطِيَهُ[١]: فَهُوَ زِنْدِيْقٌ كَافِرٌ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلاَّ ضُرِبَتْ عُنُقُه، وَلاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَلاَ يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِيْنَ».

قَالَ **الذَّهَبِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ معقبًا على كلامه: لاَ يُكفَّرُ إِلَّا إِنْ عَلِمَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَهُ، فَإِنْ جَحَدَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهَذَا مُعَانِدٌ -نَسْأَلُ اللهَ الهُدَى- وَإِنِ اعْتَرَفَ أَنَّ هَذَا حَقٌّ، وَلَكِنْ لاَ أَخُوضُ فِي مَعَانِيهِ، فَقَدْ أَحسَنَ، وَإِنْ آمَنَ وَأَوَّلَ ذَلِكَ كُلَّه، أَوْ تَأَوَّلَ بَعْضَهُ، فَهُوَ طَرِيْقَةٌ مَعْرُوْفَةٌ. السِّيَر: (١٤/ ٣٩٦-٣٩٧).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رَأَيْتُ لِلأَشعرِيِّ كَلِمَةً أَعجبَتنِي، وَهِيَ ثَابِتَةٌ رَوَاهَا البَيْهَقِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨): قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ عُمَرَ بْنَ أَحْمَدَ الْعَبْدَوِيَّ الْحَافِظَ يَقُولُ: سَمِعْتُ زَاهِرَ بْنَ أَحْمَدَ السَّرَخْسِيَّ يَقُولُ: لَمَّا قَرُبَ حُضُورُ أَجَلِ **أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٤) فِي دَارِي بِبَغْدَادَ دَعَانِي فَقَالَ: اشْهَدْ عَلَيَّ أَنِّي لَا أُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ القِبْلَةِ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ يُشِيرُونَ إِلَى مَعْبُودٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا هَذَا اخْتِلَافُ الْعِبَارَاتِ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَبنحو هَذَا أَدين، وَكَذَا كَانَ شَيْخُنَا **ابْنُ تيمِيَّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) فِي أَوَاخِرِ أَيَّامه يَقُوْلُ: أَنَا لاَ أُكفِّر أَحَدًا مِنَ الأُمَّة، وَيَقُوْلُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يُحَافِظُ عَلى الْوضُوءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ»[٢]، فَمَنْ لاَزَمَ الصَّلَوَاتِ بوضوءٍ فَهُوَ مُسْلِم».[٣]

=جائعا، وكان الطَّعامُ قليلًا فقدمه للضيف وترك نفسه وأهلَه وصغارَه جائعين، فلما أصبحَ غدا إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: «ضحكَ اللهُ الليلة -أو عجبَ- مِن فَعالِكُما». فأنزلَ اللهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر:٩]».

(١) متفق عليه: البخاري: (١١٤٥، ٧٤٩٤)، مسلم: (٧٥٨): مِن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه: ابن ماجة في: «سننه»: (٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩)، مِن حديث ثَوْبَانَ، وعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وأَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والحديث: صححه الشيخ العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ في الرجل الذي قال: إذا أنا متُّ فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذرُّوني في اليم، فوالله لئن قدرَ الله عليَّ ليعذبني عذابًا لاَ يعذبه=

تهذيب السِّير ٣/ ١١٧٤.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَمَا كَانَ جَمَاعَةٌ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ ﷺ منتسبُوْنَ إِلَى صُحْبَتِهِ وَإِلَى مِلَّتِهِ، وَهُم فِي البَاطِنِ مِنْ مَرَدَةِ المُـنَافِقِين، قَدْ لاَ يَعْرِفُهُم نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَلاَ يَعْلَمُ بِهِم.

قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التَّوبَة:١٠١]، فَإِذَا جَازَ عَلَى سَيِّدِ البشرِ أَنْ لاَ يَعْلَمَ ببَعْضِ المُـنَافِقِينَ، وَهُم مَعَهُ فِي المَـدِيْنَةِ سنوَاتٍ، فَبِالأَوْلَى: أَنْ يَخفَى حَالُ جَمَاعَةٍ مِنَ المُـنَافِقِينَ الفَارِغينَ عَنْ دينِ الإِسْلاَمِ بَعْدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى العُلَمَاءِ مِنْ أُمَّتِه.

فَمَا يَنْبَغِي لَكَ يَا فَقِيْهُ أَنْ تُبَادرَ إِلَى تكفيرِ المُـسْلِمِ إِلاَّ ببُرْهَانٍ قَطعِيٍّ، كَمَا لاَ يسوَغُ لَكَ أَنْ تعتقدَ العِرفَانَ وَالوِلاَيَةَ فِيْمَنْ قَدْ تَبرهنَ زَغَلُهُ، وَانْهَتَكَ بَاطِنُهُ وَزَنْدَقَتُه، فَلاَ هَذَا وَلاَ هَذَا، بَلِ العَدلُ: أَنَّ مَنْ رَآهُ المُـسْلِمُوْنَ صَالِحًا مُحسِنًا، فَهُوَ

=أحدًا من العالمين. فقال الله له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له.
فهذا الرجل اعتَقَدَ أنَّ الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك، أو شك، وأنَّه لا يبعثه. وكل من هذين الاعتقادين كُفْرٌ يكفُر من قامت عليه الحجّة، لكنه كان يجهل ذلك، ولم يبلغه العلم بما يردّه عن جهله، وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده، فخاف من عقابه، فغفر الله له بخشيته. فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد، من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ حالًا من هذا الرجل، فيغفر الله خطأه، أو يعذّبه إن كان منه تفريط في اتّباع الحقّ على قدر دينه. وأمَّا تكفير شخص عُلِم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم.
فقد ثبت في الصحيح عن ثابت بن الضحّاك، عن النبي ﷺ قال: (لعن المؤمن كقتله، ومن رمَى مؤمنًا بالكفر فهو كقتله). وثبت في الصحيح: (أنَّ من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما). وإذا كان تكفير المعيّن على سبيل الشتم كقتله، فكيف يكون تكفيره على سبيل الاعتقاد؟ فإنَّ ذلك أعظم من قتله؛ إذْ كل كافر يُباح قتله، وليس كل من أبيح قتله يكون كافرًا، فقد يُقتل الدّاعي إلى بدعة؛ لإضلاله الناس وإفساده، مع إمكان أنَّ الله يغفر له في الآخرة لما معه من الإيمان، فإنَّه قد تواترت النصوص بأنّه يخرج من النار مَنْ في قلبه مثقال ذرة من إيمان. الاستقامة / ١٣٥- ١٣٦.

كَذَلِكَ، لأَنَّهُم شهدَاءُ اللهِ فِي أَرضِهِ[١]، إِذِ الأُمَّةُ لاَ تَجتمعُ عَلَى ضَلاَلَةٍ[٢]، وَأَنَّ مَنْ رَآهُ المُسْلِمُوْنَ فَاجرًا أَوْ مُنَافقًا أَوْ مُبْطِلًا، فَهُوَ كَذَلِكَ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنَ الأُمَّةِ تُضَلِّلُه، وَطَائِفَةٌ مِنَ الأُمَّةِ تُثْنِي عَلَيْهِ وَتبجِّلُهُ، وَطَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ تقِفُ فِيْهِ وَتتورَّعُ مِنَ الحطِّ عَلَيْهِ، فَهُوَ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُ، وَأَنْ يفوِّضَ أَمرَه إِلَى اللهِ، وَأَنْ يُسْتَغفَرَ لَهُ فِي الجُمْلَةِ؛ لأَنَّ إِسْلاَمَهُ أَصْلِيٌّ بيقينٍ، وضلالُه مشكوكٌ فِيْهِ، فَبِهَذَا تَسْتَرِيحُ، وَيصفُو قَلْبُكَ مِنَ الغِلِّ لِلْمُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ اعلَمْ أَنَّ أَهْلَ القِبْلَةِ كلَّهُم، مُؤْمِنَهُم وَفَاسقَهُم، وَسُنِّيَهُم وَمُبْتَدِعَهُم- سِوَى الصَّحَابَةِ- لَمْ يُجمِعُوا عَلَى مُسْلِمٍ بِأَنَّهُ سَعِيْدٌ نَاجٍ، وَلَمْ يُجمِعُوا عَلَى مُسْلِمٍ بِأَنَّهُ شَقِيٌّ هَالِكٌ، فَهَذَا الصِّدِّيقُ فردُ الأُمَّةِ، قَدْ علمْتَ تَفرُّقَهُم فِيْهِ، وَكَذَلِكَ عُمَرُ، وَكَذَلِكَ عُثْمَانُ، وَكَذَلِكَ عَلِيٌّ، وَكَذَلِكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَكَذَلِكَ الحجَّاجُ، وَكَذَلِكَ المَأْمُوْنُ، وَكَذَلِكَ بشرٌ المَرِيسِيُّ، وَكَذَلِكَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وَالشَّافِعِيُّ، وَالبُخَارِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَهَلُمَّ جرًّا مِنَ الأَعيَانِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ إِلَى يَوْمكَ هَذَا، فَمَا مِنْ إِمَامٍ كَامِلٍ فِي الخَيْرِ، إِلاَّ وَثَمَّ أُنَاسٌ مِنْ جهلَةِ المُسْلِمِيْنَ وَمُبْتَدِعِيهِم يذمُّونَه، وَيحطُّونَ عَلَيْهِ، وَمَا مِنْ رَأْسٍ فِي البدعَةِ وَالتَّجَهُّمِ وَالرَّفضِ إِلاَّ وَلَهُ أُنَاسٌ يَنْتَصِرُوْنَ لَهُ، وَيَذُبُّوْنَ عَنْهُ، وَيدينُوْنَ بِقَولِه بِهوَىً وَجهلٍ، وَإِنَّمَا العِبْرَةُ بِقَولِ جُمْهُوْرِ الأُمَّةِ الخَالينَ مِنَ الهوَى وَالجَهْلِ، المتَّصِفِينَ بِالوَرَعِ وَالعِلْمِ». تهذيب السِّير ٣/ ١١٥٨- ١١٥٩.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَخطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ- مَعَ صِحَّةِ إِيْمَانِهِ، وَتَوَخِّيْهِ لاتِّبَاعِ الحَقِّ- أَهْدَرْنَاهُ، وَبَدَّعنَاهُ، لَقَلَّ مَنْ يَسلَمُ مِنَ الأَئِمَّةِ مَعَنَا، رَحِمَ اللهُ

---

(١) متفق عليه: البخاري: (١٣٦٧، ٢٦٤٢)، مسلم: (٩٤٩): من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حديث: «لاَ تجتمعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ: رواه الترمذي (٢١٦٧)، والحاكم ١ / ١١٥ وأبو داود (٤٢٥٣)، وأحمد في مسنده ٦ / ٣٩٧، وصححه الشيخ العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة (١٣٣١).

الجَمِيعَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ».[١] تهذيب السِّير ٣/ ١١٦٢.

م- موقف السلف من الصحابة، وبيان منزلتهم ومكانتهم[٢]:

* قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣): «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ». فضائل الصحابة للإمام أحمد (١٥)، وحسنه الألباني.

---

(١) هذا الكلام يُكتب بماء الذهب، ويُستفاد منه ما يلي:

[١] أنّ كلّ مسلم ظاهره الصلاح، اختلف العلماء والناس فيه: فبعضهم يمدحُه، وبعضهم يذمه، أنه ينبغي: أَنْ يتورع الإنسانُ عن الكلام فيه.

[٢] أنَّ دليل الإعراض عنه: أنَّ «إسلامَهُ أصليٌّ بيقين، وضلاله مشكوك فيه»، فالأصل فيه: أنه مسلم صالح، فلا يُحكم بخلاف ذلك إلا ببرهان واضح.

[٣] أنّ من ثمرات الإعراض عنه: أنْ«تستريح ويصفو قلبُك من الغِلِّ للمؤمنين»، وهذا ظاهر، فأشدّ الناس غِلًّا ونكدًا: هم القادحون في أعراض الناس، فكيف في أعراض الدعاة والمشايخ الذين لهم الأثر الطيب في الأمة؟

[٤] أنه لن يسلم أحدٌ من القدح، فالصحابة وغيرهم قُدِحَ وتُكِلِّم فيهم، فليس قدح أحدٍ في أحدِ الدعاة والصالحين مُوجبًا لإسقاطه.

[٥] أنّ العبرة في التحذير من أيّ أحد: هو بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى والجهل المتصفين بالورع والعلم.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والمقصود أن أحدا ممن بعدهم لا يساويهم في رأيهم، وكيف يساويهم وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته، كما رأى عمر في أسارى بدر أن تضرب أعناقهم فنزل القرآن بموافقته، ورأى أن تحجب نساء النبي ﷺ فنزل القرآن بموافقته، ورأى أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى فنزل القرآن بموافقته..

وقد قال سعد بن معاذ لما حكمه النبي ﷺ في بني قريظة: «إني أرى أن تَقتل مقاتلتهم، وتسبي ذرياتهم، وتغنم أموالهم» فقال النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات».

وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيرا من رأينا لأنفسنا، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نورا وإيمانا، وحكمة وعلما، ومعرفة وفهما عن الله ورسوله، ونصيحة للأمة، وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا وساطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضا طريا، لم يشبه إشكال، ولم يشبه خلاف، ولم تدنسه معارضة، فقياس رأي غيرهم بآرائهم من أفسد القياس. أعلام الموقعين ١/ ٨٢-٨٣.

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) أنها قالت: والله ما احتقرت أعمال أصحاب رسول الله ﷺ حتى نجم[١] القُرَّآء الذين طعنوا على عثمان[٢]، فقالوا قولا لا تُحسن مثله، وقرأوا قراءة لا تَقْرأ مثلَها، وصلَّوا صلاةً لا تُصَلِّي مثلها.

فأمَا والله ما يقاربون أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا أعجبك حسن قول امرئ فقل: ﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾. الزهد لأبي داود (٢٧٩).

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قِبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قِبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا. الزهد لابن المبارك (٧٦٤).

* ودخل **المقدام بن معدي كرب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) المسجد ورأى الناس يصلون التطوع في المسجد، فقال: صلاة كصلاة الملائكة، والله لأنتم أكثر صلاة منا، ولنحن كنَّا خيرًا منكم. الزهد لأبي داود (٣٣٦).

* وعن **أبي عنبة الخولاني** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) أنه قال: ألا أخبركم عن خلال كان عليها إخوانكم[٣]:

أولها: لقاء الله كان أحب إليهم من الشَّهد.

والثانية: لم يكونوا يخافون عدوا قلوا أو كثروا.

والثالثة: لم يكونوا يخافون عِوزًا من الدنيا، كانوا واثقين بالله أن يرزقهم.

والرابعة: إن نزل بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضي الله فيهم ما قضى. الزهد لابن المبارك (٤٨٠).

---

(١) أي: ظهر.

(٢) تعني الخوارج الذين خرجوا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانوا مكثرين من قراءة القرآن والصلاة والصيام، كما قال رسول الله ﷺ عنهم: يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

(٣) يعني: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

* وكَانَ **الْحَسَنُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) فِي مَجْلِسٍ فَذُكِرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، فَإِنَّهُمْ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ». جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٩٤٧.

* وعَنْ **إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦): قَالَ: «لَمْ يُدَّخَرْ لَكُمْ شَيْءٌ خُبِّئَ عَنِ الْقَوْمِ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ». جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٩٤٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد أدركت أقواما لو لم يجاوز أحدهم ظِفْرا لما جاوزتُه، كفى إزراء على قوم أن تخالف أفعالهم. مسند الدارمي (٢٢٤).

* وقال عبدالله بْن **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: كنتُ بين يدي **أبي** (ت: ٢٤١) جالسًا ذات يوم، فجاءت طائفة من الكرخيين[1] فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عُمَر بن الخطاب وخلافة عُثْمَان بن عَفَّانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فأكثروا، وذكروا خلافة عَلِيّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وزادوا، فطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم فقال: يا هؤلاء قد أكثرتم القول فِي عَلِيّ والخلافة، عَلَى أن الخلافة لم تزيِّن عليًّا بل عَلِيّ زيَّنها.

قَالَ: السياري: فحدَّثت بهذا الحديث بعض الشيعة فقال لي: قد أخرجت نصف ما كان فِي قلبي عَلَى أَحْمَد بن حنبل من البغض. طبقات الحنابلة (٢/ ١٦).

* وقَالَ أَبُو طالب العكبري: سألتُ **أبا عبدالله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمَّن قَالَ: لعَنَ اللهُ يَزِيد بن معاوية؟.

فقال: لا تتكلم في هذا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لعنُ المؤمن كقتله**»، وقال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم»، وقد كان يَزِيد فيهم، فأرى الإمساك أحبّ إلي. طبقات الحنابلة (٢/ ١٧٥).

---

(١) من الشيعة.

* وقال الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما عَلَى الناس إتِّباعُ الآثار عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ومعرفةُ صحيحها من سقيمها، ثُمَّ يَتَّبِعُها إِذَا لم يكن لها مُخالِف، ثُمَّ بعد ذَلِكَ قولُ أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر، وأئمةُ الهدى يُتَّبَعُون عَلَى ما قَالُوا، وأصحابُ النبي ﷺ كذلك لا يُخالَفون، إِذَا لم يكن قول بعضهم لبعضٍ مُخالِفًا، فَإِذَا اختلفوا نَظَر فِي الكتاب، بأي قولهم كَانَ أشبه بالكتاب أَخذ به، أو كَانَ أشبه بقول رسول الله ﷺ أَخذ به، فإن لم يأتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ولا عَن أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ نَظَر فِي قول التابعين، فأيّ قولهم كَانَ أشبه بالكتاب والسنة أَخذ به، وتَرَكَ ما أَحدَثَ الناس بعدهم.[1] طبقات الحنابلة (٣/ ٢٩).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله جل ثناؤه وتقدَّست أسماؤه بعث محمدًا نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره عَلَى الدين كله ولو كره المشركون، وأنزلَ عَلَيْهِ كتابه الهدى والنور لمن اتبعَه، وجعل رسوله ﷺ الدال عَلَى معنى ما أراد من ظاهره وباطنه، وخاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه، وما قصد لَهُ الكتاب.

فكان رسول اللهِ ﷺ هُوَ المعبِّر عن كتاب الله الدال عَلَى معانيه، شاهَدَه فِي ذَلِكَ أصحابُه، من ارتضاه الله لنبيه، واصطفاه لَهُ، ونقلوا ذَلِكَ عَنْهُ، فكانوا هم أعلم الناس برَسُول اللهِ ﷺ، وبما أخبر عن معنى ما أراه[2] الله من ذَلِكَ، بمشاهدتهم ما قصد لَهُ الكتاب، فكانوا هم المعبرين عن ذَلِكَ بعد رَسُول اللهِ ﷺ.

---

(١) ما قرره الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو ما قرره علماء الحديث كلهم، وقد نصر هذا المنهج الصحيح السليم أهل العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، ومن بعدهم إلى يومنا هذا، والحمد لله رب العالمين، فلذلك انعدمت البدع عند أهل السنة والجماعة -أتباع السلف الصالح- في كل زمان ومكان، ولم يغيّروا ولم يبدّلوا، وبقي الدين إلى يومنا هذا نقيّا سالما من الانحرافات والزيادات والبدع.

(٢) وفي بعض الروايات عنه: (أرادَ) بدل (أراه). انظر إعلام الموقعين (٤/ ٥٤).

* وَقَالَ **جابر بن عبدالله** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا (ت: ٧٨): «ورسول الله ﷺ بين أظهُرِنا، عَلَيْهِ ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عَمِلْنا».

فَقَالَ قوم: بل نستعمل الظاهر، وتركوا الاستدلال برسول اللهِ ﷺ، ولم يقبلوا أخبار أصحابه.

وَقَالَ **ابْن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا للخوارج: أتيتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم رسول اللهِ ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم مِنْهُمْ أحد. طبقات الحنابلة (٣/ ١٢٢-١٢٣).

* وسأل رافضيّ **عبد العزيز غلام الخَلَّال** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٣٦٣) عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر:٢٣] من هُوَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَبُو بكر الصديق، فرد عَلَيْهِ وَقَالَ: بل هو علي ابن أَبِي طالب، فهمّ به الأصحاب فَقَالَ: دعوه، ثُمَّ قَالَ: اقرأ ما بعدها: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ [الزمر:٣٤]، وهذا يقتضي أن يكون هَذَا المصدِّق ممن لَهُ إساءة سبقت، وعلى قولك أيها السائل لم يكن لعلي إساءة، فقطَعَه.

* قال **ابن أبي يعلى** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٦١٦): وهذا استنباطٌ حَسَنٌ لا يَعقِله إلا العلماء، فَدَلَّ عَلَى علمه وحلمه وحسنِ خُلُقه، فإنه لم يُقابله عَلَى جَفائه بجفاء، وعَدَل إلى العِلم.[1] طبقات الحنابلة (٣/ ٢٢٣-٢٢٤).

---

(١) وهذه عادة العقلاء والحكماء، أنهم يقابلون جفاء الناس بالحلم، ويردون على جهلهم بالعلم، بخلاف أهل الظلم من الساسة والمنتسبين للعلم، فإنهم يردون بجفاءٍ على من خالفهم ولو كان المخالف لهم قد خالفهم بأدب وحجة.

ن- معنى الشهادة وفضلها وأهميتها، والحذر مما يضادّها[1]:

* قال **شداد بن أوس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): أخوف ما أخاف عليكم الشرك والشهوة الخفية.

قيل له: بعد الإسلام تخاف علينا الشرك؟.

قال: ما من الشرك إلا أنْ تجعل مع الله إلها آخر؟[2] الزهد لأبي داود (٣٠٦).

* وقيل **لوهب بن منبه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى! ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، من أتى الباب بأسنانه فتح له، ومن لم يأت الباب بأسنانه لم يفتح له. تهذيب الحِلْية ٢/ ٥٠.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: ما أنعم الله عَزَّوَجَلَّ على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٩٤.

ي- الولاء والبراء:

* عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت **لعمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إن لي كاتبًا نصرانيًّا، قال: مالكَ؟، أما سَمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [المائدة:٥١] ألا اتَّخذت حنيفًا؟ قال: قلت: يا أمير

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن كَمُل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقّق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كلّ ما سوى الله محبة وتعظيمًا وإجلالًا ومهابة، وخشية ورجاء وتوكلًا، وحينئذٍ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات، كما سبق ذكره في تبديل السيئات حسنات، فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع ذرّة منها على جبال الذنوب والخطايا، لقلبها حسنات. جامع العلوم والحكم / ٥٢٣.

(٢) المعنى: ليس الشرك مقتصرًا على أنْ تجعل مع الله إلها آخر، بل هو أشمل وأعمّ، فقد يقع فيه من يصلي ويسجد لله، كمن يستغيث بالأموات، ويتوسّل إليهم، وكمن يُحبّ أحدا كحبّ الله، أو يخافه كخوفه من الله.

المؤمنين، لِي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانَهم الله، ولا أُعزُّهم إذ أذلَّهم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله.[١] اقتضاء الصراط المستقيم / ٨٤-٨٥.

* وَعَابَ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى **الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤)؛ لِفَرْطِ مَيْلِهِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ، وَشِدَّةِ مَحَبَّتِهِ لَهُمْ، إِلَى أَنْ نَسَبَهُ إِلَى الرَّفْضِ، فَأَنْشَأَ **الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ** فِي ذَلِكَ يَقُولُ:

إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

تهذيب الحِلْية ١٣٤/ ٣.

* وَقَالَ **أَبُو الْفَوَارِسِ شَاهُ بْنُ شُجَاعٍ الْكَرْمَانِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٠): «مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ طَمِعَ فِي عَفْوِهِ، وَرَجَا فَضْلَهُ، وَقَالَ: الْفُتُوَّةُ مِنْ طِبَاعِ الْأَحْرَارِ، وَاللُّؤْمُ مِنْ شِيَمِ الْأَنْذَالِ، وَمَا تَعَبَّدَ مُتَعَبِّدٌ بِأَكْثَرَ مِنَ التَّحَبُّبِ إِلَى أَوْلِيَاءِ اللهِ بِمَا يُحِبُّونَ؛ لِأَنَّ مَحَبَّةَ أَوْلِيَاءِ اللهِ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللهِ». تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ٣.

ز- ذم الحلف بغير الله:

* **عَنْ جَبَلَةَ بْنِ سُحَيْمٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٥)، قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ الْأَسَدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنَ الْكُنَاسَةِ[٢]، فَقُلْتُ فِي كَلَامِي: لَا وَالْأَمَانَةِ، فَجَعَلَ زِيَادٌ يَبْكِي وَيَبْكِي، فَظَنَنْتُ أَنِّي أَتَيْتُ أَمْرًا عَظِيمًا، فَقُلْتُ لَهُ: أَكَانَ يُكْرَهُ هَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، كَانَ يُنْهَى عَنِ الْحَلِفِ بِالْأَمَانَةِ أَشَدَّ النَّهْيِ». ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣٩.

ط- أصول السُّنة مُجمَلَة:

* قال **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبعضه أفضل من بعض، والله في السماء وعلمه في كل مكان.

وقال: القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق، ومن

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح. نفس المصدر.

(٢) الكُناسةُ: الموضعُ الَّذي يُرْمَى فِيهِ التراب وَالأَوْساخُ وَمَا يُكْنَس مِنَ المَنازل.

قال: القرآن مخلوق فهو كافر، والذي يقف أشدّ منه، يستتاب وإلا ضربت عنقه. ترتيب المدارك (١/ ١٦٥).

* وقال **الإمام أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة: أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار، عَلَى أن السُّنة التي توفي عنها رَسُول اللهِ ﷺ:

أولها الرضا بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ، والتسليم لأمره، والصبر عَلَى حُكمه.

والأخذ بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه.

والإيمان بالقدر خيره وشره.

وترك المراء والجدال فِي الدين.

والمسح عَلَى الخفين.

والجهاد مع كل خليفة بَرٍّ وفاجر.

والصلاة عَلَى مَن مات مِن أهل القبلة.

والإيمان قولٌ وعمل يَزِيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والقرآن كلام الله منزل عَلَى قلب نبيه مُحَمَّد ﷺ غير مخلوق، من حيثما تلي.

والصبر تحت لواء السلطان عَلَى ما كان فيه من عدل أو جور، وأن لا نخرج عَلَى الأمراء بالسيف وإن جاروا.

وأن لا نكفر أحدًا من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر.

والكف عما شجر بين أصحاب رَسُول اللهِ ﷺ.

وأفضل الناس بعد رَسُول اللهِ ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ابن عم رَسُول اللهِ ﷺ.

والترحم عَلَى جميع أصحاب رَسُول اللهِ ﷺ وعلى أولاده وأزواجه وأصهاره رضوان الله عليهم أجمعين.

فهذه السنة الزموها تسلموا، أخذُها هدى وتركها ضلالة. طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٩-٣٥٠).

* **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة:**

من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

وأقرَّ بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل.

وعقَدَ عليه على ما أظهر، ولم يشك فِي إيمانه.

ولم يُكفِّر أحدًا من أهل التوحيد بذنب، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وفوّض أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله.

وعلِم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، والخير والشر جميعًا.

ورجا لمحسنِ أمة محمد ﷺ، وتخوَّفَ على مسيئِهم.

ولم يُنزل أحدًا من أمة مُحَمَّد جنةً ولا نارًا، بإحسانٍ اكتسبه ولا بذنب اكتسبه، حتى يكون الله عَزَّوَجَلَّ الذي ينزل خلقه حيث يشاء.

وعَرَفَ حق السَّلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه.

وقدَّم أبا بكر وعمر وعثمان، وعرف حقَّ عَلِيّ بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زَيْدِ بن عَمْرِو بن نُفيل، عَلَى سائر الصحابة؛ فإن هؤلاء التسعة الذين كانوا مع النَّبِيّ ﷺ عَلَى جبل حِراء، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اسكن حراء فما عليك إلا نَبِيّ أو صديق أو شهيد»، والنبي ﷺ عاشرهم.

وترحَّم عَلَى جميع أصحاب مُحَمَّدٍ، صغيرهم وكبيرهم، وحدَّث بفضائلهم، وأمسَكَ عمَّا شَجَر بينهم.

وصلاة العيدين والخوف والجمعة والجماعات مع كلِّ أميرٍ بَرٍّ أو فاجر.

والمسح عَلَى الخُفَّين فِي السفر والحضر. والقصر فِي السفر.

والقرآن كلام الله وتنزيله، وليس بمخلوق.

والإيمان قول وعمل، يَزِيد وينقص.

والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمدًا ﷺ إلى آخر عُصبةٍ يقاتلون الدجال، لا يضُرّهم جور جائر.

والشراء والبيع حلالٌ إلى يوم القيامة، عَلَى حكم الكتاب والسنة.

والتكبير عَلَى الجنائز أربعًا.

والدُّعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك.

ولا تُقاتِل فِي فتنة، والْزم بيتك.

والإيمان بعذاب القبر، والإيمان بمنكرٍ ونكير، والإيمان بالحوض، والشَّفاعة.

والإيمان أن أهل الجنة يَرون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والإيمان أن الموحِّدين يخرجون من النار بعد ما امتُحِشوا، كما جاءت الأحاديث فِي هذه الأشياء عَنِ النَّبِيّ ﷺ، نؤمن بتصديقها ولا نضرب لها الأمثال.

هذا ما اجتمع عليه العلماء فِي جميع الآفاق. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٩٣-٢٩٥).

التمسك بالكتاب والسنة والأثر، وذم الأخذ بالرأي ورواية الأحاديث المكذوبة والواهية(١)

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَأَمَّا تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ فَحَرَامٌ... وَأَمَّا الَّذِي رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وقتادة وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي الْقُرْآنِ وَفَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَسَلَكَ غَيْرَ مَا أُمِرَ بِهِ، فَلَوْ أَنَّهُ أَصَابَ الْمَعْنَى فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَكَانَ قَدْ أَخْطَأَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ الْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ كَمَنْ حَكَمَ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَإِنْ وَافَقَ حُكْمُهُ الصَّوَابَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛ لَكِنْ يَكُونُ أَخَفَّ جُرْمًا مِمَّنْ أَخْطَأَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَهَكَذَا سَمَّى اللهُ تَعَالَى الْقَذَفَةَ كَاذِبِينَ فَقَالَ: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٣﴾ [النور:١٣]، فَالْقَاذِفُ كَاذِبٌ، وَلَوْ كَانَ قَدْ قَذَفَ مَنْ زَنَى فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ بِمَا لَا يَحِلُّ لَهُ الْإِخْبَارُ بِهِ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَلِهَذَا تَحَرَّجَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ عَنْ تَفْسِيرِ مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ؛ كَمَا رَوَى شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَمْ أَعْلَمْ؟..

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنْ آيَةٍ لَوْ سُئِلَ عَنْهَا بَعْضُكُمْ لَقَالَ فِيهَا فَأَبَى أَنْ يَقُولَ فِيهَا. إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ..

فَهَذِهِ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ وَمَا شَاكَلَهَا عَنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ مَحْمُولَةٌ عَلَى تَحَرُّجِهِمْ عَنِ الْكَلَامِ فِي التَّفْسِيرِ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ.

فَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ لُغَةً وَشَرْعًا فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا رُوِيَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَقْوَالٌ فِي التَّفْسِيرِ وَلَا مُنَافَاةَ؛ لِأَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِيمَا عَلِمُوهُ وَسَكَتُوا عَمَّا جَهِلُوهُ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، فَإِنَّهُ كَمَا يَجِبُ السُّكُوتُ عَمَّا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ فَكَذَلِكَ يَجِبُ الْقَوْلُ فِيمَا سُئِلَ عَنْهُ مِمَّا يَعْلَمُهُ... مقدمة في أصول التفسير: ٩٢، بشرح الشيخ ابن عثيمين، نشر مكتبة السنة. =

* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): قلت **لأبي بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) زمن الحديبية: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق. صحيح البخاري (٢٧٣١).

* وقَالَ شَيْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): جَلَسَ إِلَيَّ **عُمَرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَقَالَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لاَ أَدَعَ فِيهَا -أي لِلْكَعْبَةِ- صَفْرَاءَ وَلاَ بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ المُسْلِمِينَ»، قُلْتُ: مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ، قَالَ: «لِمَ؟»، قُلْتُ: لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبَاكَ، قَالَ: «هُمَا المَرْءَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا». صحيح البخاري: (٧٢٧٥).

* وأتى رجلٌ النبي ﷺ فقال: كيف تصوم فغضب رسول الله ﷺ فلما رأى

= وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد انقسم الناس في هذا الباب أقسامًا: فمِن أتباع أهل الحديث من سد باب المسائل حتى قلّ فهمه وعلمه لحدود ما أنزل الله على رسوله وصار حامل فقه غير فقيه، ومن فقهاء أهل الرأي من توسع في توليد المسائل قبل وقوعها، ما يقع في العادة منها وما لا يقع، واشتغلوا بتكلف الجواب عن ذلك، وكثرة الخصومات فيه والجدال عليه حتى يتولد من ذلك افتراق القلوب، ويستقر فيها بسببه الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء، ويقترن ذلك كثيرا بنية المغالبة وطلب العلو والمباهاة وصرف وجوه الناس، وهذا مما ذمه العلماء الربانيون ودلت السنة على قبحه وتحريمه.

وأما فقهاء أهل الحديث العاملون به فإن معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله، وما يفسره من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعن سنة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التفقه فيها وفهمها والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث ومسائل الحلال والحرام وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك، وهذا هو طريق الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانيين، وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما أحدث من الرأي ما لا ينتفع به ولا يقع، وإنما يورث التجادل فيه كثرة الخصومات والجدال وكثرة القيل والقال. جامع العلوم والحكم: ١٢٣-١٢٤.

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غضبه قال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيًّا، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يردّد هذا الكلام حتى سكن غضبه.[1] صحيح مسلم (١١٦٢).

* وقال **ابْنُ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ». مصنف عبد الرزاق: (٢١٣٨٩).

* وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا سئلتم عن شيء فانظروا في كتاب الله، فإن لم تجدوه في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ففي سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن لم تجدوه في سنة رسول الله فما أجمع عليه المسلمون، فإن لم يكن فيما أجمع عليه المسلمون فاجتهد رأيك، ولا تقل: إني أخاف وأخشى؛ فإن الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهة، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك. مسند الدارمي (١٧١).

* وقال **أَبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت:٧٤): «الدِّينَارُ بِالدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمُ بِالدِّرْهَمِ»، فَقيل لَهُ: فَإِنَّ **ابْنَ عَبَّاسٍ** (ت: ٦٨) لاَ يَقُولُهُ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَأَلْتُهُ فَقُلْتُ: سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ وَجَدْتَهُ فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: كُلَّ ذَلِكَ لاَ أَقُولُ، وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي وَلَكِنْ أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ رِبًا

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول عمر: (رضينا بالله...) إلخ: يقتضي تسكين غضب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من حيث: إنه يقتضي الطواعية الكليّة، والانقياد التام، ويتضمن ذلك: مُرْنا بأمرك ننفذه على أيّ وجهٍ كان، وفي أيّ محل.

وقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعل هذا الكلام هِجِّيراه مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما غضب، فإنه قد روي أنه قال له هذا الكلام مرارًا في مواطن متعددة. المفهم: ٣/ ١٨٥-١٨٦.

إِلَّا فِي النَّسِيئَةِ».[1] صحيح البخاري (٢١٧٨).

* وقال **ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا (ت: ٦٨): أما تخافون أن تعذبوا أو يخسف بكم، أن تقولوا: قال رسول الله ﷺ وقال فلان؟ مسند الدارمي (٤٤٥).

* وعَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٧): أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: لاَ تَخْذِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الخَذْفِ[2] وَقَالَ: «إِنَّهُ لاَ يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ، وَلاَ يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ العَيْنَ» ثُمَّ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الخَذْفِ، وَأَنْتَ تَخْذِفُ؟.

لاَ أُكَلِّمُكَ كَذَا وَكَذَا. صحيح البخاري: (٥٤٧٩)، صحيح مسلم: (١٩٥٤).

* وَعَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا (ت: ٧٣): قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا»، فَقَالَ بِلاَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا، وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ؟». [صحيح مسلم: (١٠١٧)].

* وعن **حذيفة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٦) قال: يا معشر القراء استقيموا، [وخذوا طريق مَن كان قبلكم، فوالله لئن استقْمتم][3] فقد سبقْتم سبقًا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا» «صحيح البخاري» (٦٨٥٣).

* وَكَانَ **الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ** رَحِمَهُٱللَّهُ: إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ الزَّائِغُونَ فِي الدِّينِ يَقُولُ:

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: وَفِي السِّيَاقِ دَلِيل على أَن أَبَا سعيد وابن عَبَّاسٍ مُتَّفِقَانِ عَلَى أَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنَ الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ.

وفيه أَنَّ الْعَالِمَ يُنَاظِرُ الْعَالِمَ وَيُوقِفُهُ عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِ وَيَرُدُّهُ مِنَ الِاخْتِلَافِ إِلَى الِاجْتِمَاعِ وَيَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِالْأَدِلَّةِ وَفِيهِ إِقْرَارُ الصَّغِيرِ لِلْكَبِيرِ بفضل التَّقَدُّم. ا.هـ فتح الباري ٤/ ٤٨٢-٤٨٣

(٢) معناه: هُوَ رَمْيك حَصَاة أَوْ نَوَاةً تَأْخُذُهَا بَيْنَ سُبَّابَتَيك وتَرْمي بِهَا، أَوْ تَتَّخِذُ مِخْذَفَةً مِنْ خَشَبٍ ثُمَّ تَرْمِي بِهَا الْحَصَاةَ بَيْنَ إِبْهامك وَالسَّبَّابَةِ.

(٣) ما بين المعقوفتين من الزهد لابن المبارك (٣٩).

قَالَ **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا اتِّبَاعٌ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ تَغْيِيرُهَا، وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا، مَنِ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ تَرَكَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. الشريعة: ٧٢.

* وَكَتَبَ **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَى النَّاسِ: أنه لا رأي لأحد في كتاب الله، وإنما رأي الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب، ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ، ولا رأي لأحد في سنةٍ سنّها رسول الله ﷺ». مسند الدارمي (٤٤٦)، الشريعة: ٦٢.

* وَقَالَ **الحَسَنُ البَصْرِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): «كَانَ وَاللهِ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مَا قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ فَكَذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، كَانُوا وَاللهِ مُوَافِقِينَ لِكِتَابِ رَبِّهِمْ، وَلِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، فَإِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ فَقِيَامٌ عَلَى أَطْرَافِهِمْ يَفْتَرِشُونَ وُجُوهَهُمْ، تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، يَرْغَبُونَ إِلَى رَبِّهِمْ فِي فِكَاكِ رِقَابِهِمْ، إِذَا أَشْرَفَ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ أَخَذُوا مِنْهُ قُوتَهُمْ، وَوَضَعُوا الْفَضْلَ فِي مَعَادِهِمْ، وَأَدَّوْا إِلَى اللهِ فِيهِ الشُّكْرَ، وَإِنْ زُوِيَ عَنْهُمُ اسْتَبْشَرُوا وَقَالُوا: هَذَا نَظَرٌ مِنَ اللهِ، وَاخْتِبَارٌ مِنْهُ لَنَا، إِنْ عَمِلُوا بِالْحُسْنَى سَرَّتْهُمْ، وَدَعَوُا اللهَ أَنْ يَتَقَبَّلَهَا مِنْهُمْ، وَإِنْ عَمِلُوا بِالسَّيِّئَةِ سَاءَتْهُمْ، وَاسْتَغْفَرُوا اللهَ مِنْهَا». ابن أبي الدنيا ١/ ٣٣١.

* وَسُئِلَ **أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١)، عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: «لَمْ يَبْلُغْنِي فِيهِ شَيْءٌ»، فَقِيلَ لَهُ: قُلْ فِيهِ بِرَأْيِكَ، قَالَ: «لَا يَبْلُغُهُ رَأْيِي».[1] تهذيب الحلية ١/٤٣٣.

* وَعَنِ الـمُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧)، قَالَ: «مَاتَ صَاحِبٌ لِي كَانَ يَطْلُبُ مَعِي الْحَدِيثَ فَجَزِعْتُ عَلَيْهِ، فَرَأَى **أَبِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣) جَزَعِي

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله إن لنا شريعةً لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يُقبل منه. تلبيس إبليس: ٢٨١.

عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُعْتَمِرُ كَانَ صَاحِبُكَ عَلَى السُّنَّةِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِ». تهذيب الحِلْية ٤٤٢/ ١.

* وَعَنِ **الزُّهْرِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٤) قَالَ: «كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ». الزهد لابن المبارك (٧٦٦)، مسند الدارمي (٩٧) واللفظ له.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٢٧): الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وكان **ابن عون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠) يقول عند الموت: السنّة، السنّة، وإيّاكم والبدع، حتى مات. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي ﷺ. تهذيب الحِلْية ١٣/ ٢.

* وَعَنْ **إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ النَّخَعِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) قَالَ: كَانَ أَصْحَابُنَا يَكْرَهُونَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ وَيَهَابُونَهُ.[1] تهذيب الحِلْية ٩١/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَسْتَقِيمُ رَأْيٌ إِلَّا بِرِوَايَةٍ، وَلَا رِوَايَةٌ إِلَّا بِرَأْيٍ. تهذيب الحِلْية ٩٢/ ٢.

* وعن الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ما سمعت **إبراهيم النَّخعيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ يقول برأيه في شيء قط. مسند الدارمي (١٠٦).

* وعن **ابن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) أنه كان لا يقول برأيه إلا شيئا سمعه. مسند الدارمي (١٠٥).

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: ما دام على الأثر فهو على الطريق. مسند الدارمي (١٤٣).

---

(١) يعني بذلك: تفسير القرآن بالرأي.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أول من قاس إبليس، وما عُبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس. مسند الدارمي (١٩٥).

* وحدَّث رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلا بحديث عن النبي ﷺ، فقال رجل: قال فلان: كذا وكذا.

فقال ابن سيرين: أحدثك عن النبي ﷺ، وتقول: قال فلان وفلان: كذا وكذا! لا أكلمك أبدا. مسند الدارمي (٤٥٥).

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ١٠٣): والله لئن أخذتم بالمقاييس لتحرّمن الحلال ولَتُحِلُّنَّ الحرام. مسند الدارمي (١٩٨).

* وَعَنَ **قَتَادَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قَالَ: «مَا أَفْتَيْتُ بِرَأْيِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً».(١) تهذيب الحِلْية ١/٤٠٨.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما قلت برأيي منذ ثلاثين سنة. مسند الدارمي (١٠٧).

* وسئل **عطاء بن أبي رباح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) عن شيء فقال: لا أدري، فقيل له: ألا تقول فيها برأيك؟.

قال: إني أستحيي من الله عَزَّوَجَلَّ أن يُدان في الأرض برأيي. مسند الدارمي (١٠٨).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ما ذكر أقوال الصحابة في النهي عن الرأي وذمِّه: فهؤلاء من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يخرجون الرأي عن العلم، ويذمونه ويحذرون منه، وينهون عن الفتيا به، ومن اضطر منهم إليه أخبر أنه ظن، وأنه ليس على ثقة منه، وأنه يجوز أن يكون منه ومن الشيطان، وأن الله ورسوله بريء منه، وأن غايته أن يسوغ الأخذ به عند الضرورة من غير لزوم لاتباعه ولا العمل به، فهل تجد من أحد منهم قط أنه جعل رأي رجل بعينه دينا تترك له السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ ويبدع ويضلل من خالفه إلى اتباع السنن؟. أعلام الموقعين ١/ ٦٣.
وقد عقد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلًا في المجلد الثاني من ص ٤٤٩ إلى ص٤٨٢، تكلم فيه عن جواز الفتوى بالآثار السلفية، والفتاوى الصحابية، وأنها أولى بالأخذ بها من آراء المتأخرين وفتاويهم، وذكر الأدلة على وجوب اتباع الصحابة.

* ورأى **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) رجلا يصلي بعد العصر الركعتين، فقال له يا أبا محمد: أيعذبني الله على الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعذبك الله بخلاف السنة. مسند الدارمي (٤٥٠).

* وَعَنْ **أَبِي الزِّنَادِ عَبْدِ اللهِ بْنِ ذَكْوَانَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالسُّنَّةِ مِنَ **الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨)، وَكَانَ الرَّجُلُ لَا يُعَدُّ رَجُلًا حَتَّى يَعْرِفَ السُّنَّةَ. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٤.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): تعلموا هذه الآثار، فمن قال برأيه فقل: رأيي مثل رأيك. تهذيب الحِلْية ٣٦٤/ ٢.

* وقَالَ **الْأَوْزَاعِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٥٧): لَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْقَوْلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلسُّنَّةِ، وَكَانَ مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ مِنَ الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ: اسْمٌ يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَدْيَانَ اسْمُهَا، وَيُصَدِّقُهُ الْعَمَلُ، فَمَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَعَرَفَ بِقَلْبِهِ، وَصَدَّقَ بِعَمَلِهِ، فَتِلْكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُ بِعَمَلِهِ، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَكَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ. تهذيب الحِلْية ٢٩١/ ٢.

* وَقَالَ- أَيْضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ بِالْقَوْلِ.[1] تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٣.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والواجب على الخلق اتباع الكتاب والسنة. وإن لم يدركوا ما في ذلك من المصلحة والمفسدة. اقتضاء الصراط المستقيم / ٣٩٢-٣٩٣.

وقال أيضًا: فالعلم المشروع والنسك المشروع مأخوذ عن أصحاب رسول الله ﷺ، وأما ما جاء عمن بعدهم، فلا ينبغي أن يجعل أصلًا، وإن كان صاحبه معذورًا، بل مأجورًا، لاجتهاد أو تقليد.

=

* **وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١): «لِيَكُنِ الَّذِي تَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ هَذَا الْأَثَرَ؛ وَخُذُوا مِنَ الرَّأْيِ مَا يُفَسِّرُ لَكُمُ الْحَدِيثَ». تهذيب الحِلْية ٣٧/ ٣.

* وعن **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: ما زال أمر بني إسرائيل معتدلا ليس فيه شيء حتى نشأ فيهم المولدون، أبناء سبايا الأمم أبناء النساء التي سبت بنو إسرائيل من غيرهم، فقالوا فيهم بالرأي فأضلوهم. مسند الدارمي (١٢٢).

* وَقَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَنِي أَبُو حَنِيفَةَ سِمَاكُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي **ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ**، عَنِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ عَامَ الْفَتْحِ: «مَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِنْ أَحَبَّ أَخَذَ الْعَقْلَ، وَإِنْ أَحَبَّ فَلَهُ الْقَوَدُ». فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: فَقُلْتُ **لابْنِ أَبِي ذِئْبٍ**: (ت: ١٥٩): «أَتَأْخُذُ بِهَذَا يَا أَبَا الْحَارِثِ؟» فَضَرَبَ صَدْرِي، وَصَاحَ عَلَيَّ صِيَاحًا كَثِيرًا وَنَالَ مِنِّي، وَقَالَ: «أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ: تَأْخُذُ بِهِ، نَعَمْ، آخُذُ بِهِ وَذَلِكَ الْفَرْضُ عَلَيَّ

= فمن بنى الكلام في العلم: الأصول، والفروع على الكتاب والسنة، والآثار المأثورة عن السابقين، فقد أصاب طريق النبوة، وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية، والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدى الذي كان عليه محمد، ﷺ، وأصحابه فقد أصاب طريق النبوة، وهذه طريق أئمة الهدى.

تجد الإمام أحمد إذا ذكر أصول السنة، قال: هي التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

وكَتَبَ كُتُبَ التفسير المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين. وكتب الحديث والآثار المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وعلى ذلك يعتمد في أصوله العلمية وفروعه، حتى قال في رسالته إلى خليفة وقته المتوكل: لا أحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله، أو في حديث عن رسول الله ﷺ، أو الصحابة أو التابعين، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود. وكذلك في الزهد والرقاق والأحوال، فإنه اعتمد في كتاب الزهد على المأثور عن الأنبياء، صلوات الله عليهم من آدم إلى محمد، ثم على طريق الصحابة والتابعين، ولم يذكر من بعدهم، وكذلك وصفه لآخذ العلم أن يكتب ما جاء عن النبي ﷺ، ثم عن الصحابة، ثم عن التابعين. -وفي رواية أخرى- ثم أنت في التابعين مخير. مجموع الفتاوى ١٠/ ١٩٠.

وَعَلَى مَنْ سَمِعَهُ، إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اخْتَارَ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ النَّاسِ فَهَدَاهُمْ بِهِ، عَلَى يَدَيْهِ وَاخْتَارَ لَهُمْ مَا اخْتَارَ لَهُ، عَلَى لِسَانِهِ فَعَلَى الْخَلْقِ أَنْ يَتَّبِعُوهُ طَائِعِينَ أَوْ دَاخِرِينَ، لا مَخْرَجَ لِمُسْلِمٍ مِنْ ذَلِكَ». قَالَ: «وَمَا سَكَتَ عَنِّي حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ يَسْكُتَ». مسند الشافعي (٢٤٣).

* وَقَالَ **الإِمَامُ مَالِكٌ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): «لَوْ كَانَ لِي سُلْطَانٌ عَلَى مَنْ يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ لَضَرَبْتُ رَأْسَهُ»[١]. تهذيب الحِلْية ٣٥٥/ ٢.

* وَقَالَ- أَيْضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ، وَسَكِينَةٌ، وَخَشْيَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِأَثَرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ». تهذيب الحِلْية ٣٥٧/ ٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ لزِمَ السنّة وسَلِمَ منه أصحاب رسول الله ﷺ ثم مات: كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإن كان له تقصير في العمل. شرح السنة / ١٢٦.

* وَقَالَ له رَجُلٌ: مِنْ أَيْنَ أُحرم؟ قَالَ: «مِنْ حَيْثُ أَحْرَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِرَارًا، قَالَ: فَإِنْ زِدْتُ عَلَى ذَلِكَ! قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفِتْنَةَ»، قَالَ: وَمَا فِي هَذَا مِنَ الْفِتْنَةِ! إِنَّمَا هِيَ أَمْيَالٌ أَزِيدُهَا! قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ﴾ الْآيَة [النور:٦٣]»، قَالَ: وَأَيُّ فِتْنَةٍ فِي هَذَا؟! قَالَ: «وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَرَى أَنَّكَ أَصَبْتَ فَضْلًا قَصَّرَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَوْ تَرَى أَنَّ اخْتِيَارَكَ لِنَفْسِكَ خَيْرٌ مِنِ اخْتِيَارِ اللهِ، واخْتِيَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ». أحكام القرآن ٣/ ٣٢٥.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يتمثل:

وخير أمور الدين ما كان سُنَّة … وشر الأمور المحدثات البدائع

ترتيب المدارك (١/ ١٦١).

---

(١) يقصد بذلك: الذي يفسر القرآن بالرأي والعقل لا بالأثر والنقل.

* وقال رجل للإمام **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): يا أبا عبدالله تأخذ بهذا الحديث؟- فقال: متى رَويت عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا ولم آخذ به فأُشهدكم أن عقلي قد ذَهب.

* وقال الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٩): روى **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا حديثًا، فقلت: أتأخذ به؟ فقال: أرأيتني خرجت من كنيسة وعليّ زنار؟ حتى إذا سمعت من رَسُولِ اللهِ ﷺ حديثًا لا أقول به!.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا وجدتم سُنَّةً فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى قولِ أحد.[1] طبقات الشافعيين (١/ ٤٦-٤٧).

* وَقَالَ -أيْضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُلُّ مَا قُلْتُ، وَكَانَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ خِلافُ قَوْلِي، مِمَّا يَصِحُّ، فَحَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ أَوْلَى، وَلا تُقَلِّدُونِي». آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم: (٨٥)، السِّيَر: (١٠/ ٣٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن يلقى اللهَ المرءُ بكل ذنب خلا الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، خيرٌ له من أن يلقاه بشيءٍ من الأهواء. طبقات الشافعيين (١/ ٤٩).

* قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلُّ متكلمٍ على الكتاب والسنة فهو الجد، وما سواه فهو هذيان.

* وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه أنشد:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدِّين

العلم ما كان فيه قال حدَّثنا ... وما سِوى ذاك وسواس الشياطين

ديوان الشافعي (١٦٢).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلُّ ما قلتُه فكانَ من رسول الله ﷺ خلافُ قولي ممَّا صحَّ، فهو أولى، ولا تُقَلِّدُوني. تهذيب السِّير ٢/ ٨٤٨.

---

(١) كان الشافعي وغيره من الأئمة يَتَّبِعون الدليل ويأخذون به، ويوصون أتباعهم بذلك.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أوردتُ الحقّ والحجة على أحد فقبلهما مني، إلا هبته واعتقدت مودّته، ولا كابرَني على الحق أحد ودافع الحجّة إلا سقَط من عيني. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ، فقولوا بسنة رسول الله ودَعوا ما قلت. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٦.

* وسأل رجل **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث النبي ﷺ فقال له الرجل: فما تقول؟ فارتعد وانتفض وقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ وقلت بغيره. تهذيب الحِلْية ١٢٥/ ٣.

* وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث عن رسول الله ﷺ، فأخبرونا به حتى نرجع إليه. تهذيب الحِلْية ١٣٩/ ٣.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس. الرسالة (٤٢٥).

وتواتر عنه أنه قال: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط.

وصح عنه أنه قال: إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثا ولم آخذ به فاعلموا أن عقلي قد ذهب.

وصح عنه أنه قال: لا قول لأحد مع سنة رسول الله ﷺ. أعلام الموقعين ١/ ٦٠٦.

* وقال **أَبُو عبيد الْقَاسِم بن سلاَّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤): الْمُتَّبِع للسُّنّة كالقابض عَلَى الجمر، وهذا اليوم أفضلُ عندي من ضرب السيف فِي سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.[1] عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٢٥٢، طبقات الحنابلة (٢/ ٢١٨).

(١) يقول هذا الكلام مع أن زمنه قريب من زمن الصحابة والتابعين، حيث توفي سنة ٢٢٤هـ.

* وقال **الإمام أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) طاعة النَّبِيّ ﷺ فِي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فِي ثلاثة وثلاثين موضعًا، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور:٦٣]. طبقات الحنابلة (١/ ٢٥٣).

* وقيل له: أحياك الله يا أبا عبدالله عَلَى الإسلام، قَالَ: والسُّنة. طبقات الحنابلة (١/ ٣٥١).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بلغني عَنْ أخي منصور بن عمّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) أنه كان يقول: اللهم قد أحاطت بنا الشدائد، وأنت ذخرٌ لها، فلا تعذِّبنا وأنت على العفْو قادر، سيدي قد أريتنا قدرتك ولم تزل قادرًا، فأرنا عفوك ولم تزل تعفو.

قال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن اعترض مُعترض بأن إمامنا أَحْمَد محفوظٌ عنه النهي عَنْ كَتْب كلام منصور، والاستماع للقُصَّاص؟.

قيل: إنما رأى إمامنا أَحْمَد الناس لَهِجين بكلامه، قد اشتهروا به، حتى دوَّنوه، وفصَّلوه مجالس يتحفَّظونها، ويُلَقِّنونها، ويُكثرون فيما بينهم دراستها، فَكرِهَ لهم أن يَلْهوا بذلك عَنْ كتاب الله تعالى، ويشتغلوا به عَنْ حِفظ السُّنة، وأحكام الملَّة، لا غَيْر. طبقات الحنابلة (٢/ ٣٤٦).

* وقال الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس مذهب **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا الاتباع فقط، فما قاله السلف قاله، وما سكتوا عنه سكت عنه؛ فإنه كان يكثر أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق، لأنه لم يُقَلْ، وكان يقول في آيات الصفات: تمر كما جاءت. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٥).

(١) قال الذهبي: منصور بن عمار: الواعظ، البليغ، الصالح، الرباني، كان عديم النظير في الموعظة والتذكير، ولم يكن بالمتضلع من الحديث، وكان ينطوي على زهد، وتأله، وخشية، ولوعظه وقع في النفوس. قال أبو حاتم: صاحب مواعظ، ليس بالقوي. وقال ابن عدي: حديثه منكر. لم أجد وفاة لمنصور، وكأنها في حدود المائتين. [السِّير (٧/ ٥٣٠- ٥٣٢)].

* وقال عبدالله ابن **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ أبي: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إذا دخل رمضان فتحت أبواب الرحمة وسلست فيه الشياطين وغلقت أبواب جهنم**»، قلت لأبي: قد نرى المجنون يصرع فِي رمضان!.

فقال: هكذا الحديث، ولا تكلَّمْ فِي هذا.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ١٤).

* وقَالَ مُحَمَّد بن يس: سألت **أبا عبدالله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ النَّظر فِي الرأي، فقال: عليك بالسُّنة، فقلت له: يا أبا عبدالله صاحب حديثٍ يَنظر فِي الرأي إنما يُريد أن يَعرف رأي مَن خالفه؟ فقال: عليك بالسُّنة. طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٣).

* وسأل رجل **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: أكتب كتب الرأي؟ قَالَ: لا تفعل، عليك بالآثار والحديث، فقال له السائل: إن عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد كتبها، فقال له أَحْمَد: ابن المبارك لم ينزل من السماء، إنما أُمرنا أن نأخذ العلم من فوق.

وسُئِل عن عبدالرزاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان له فِقه؟ فقال: ما أقلّ الفِقه فِي أصحاب الحديث.[2] طبقات الحنابلة (٢/ ٣٩٢).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رَوينا عن رَسُول اللهِ ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشدَّدنا في الأسانيد، وإذا رَوينا عَنِ النَّبِيّ ﷺ في فضائل الأعمال، وما لا يضع حُكمًا ولا يرفعه؛ تساهلنا في الأسانيد.[3] ذيل الطبقات (١/ ٣٠٤-٣٠٦).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما الناس إلا من يقول: حَدَّثَنَا، وأَخْبَرَنَا، وسائر الناس لا خير

---

(١) أهل العلم العارفون بالله عندهم يقين لا يعتريه ذرة من شك في صحة ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الصحيحة الصريحة، ولا يردون ما جاء فيهما بآراءٍ يعتريها الخطأ والصواب، كالعقل والطب ونحو ذلك.

(٢) المقصود: ما أقلَّ قولهم ورأيهم في مقابل رواية حديث الرسول وفهمه وتبليغه، فهم أبعد الناس أخذًا بالرأي، وإنما اعتمادهم ومرجعهم إلى الحديث والأثر.

(٣) وأما الآثار التي لا سند لها، أو لا أصل لها، أو تُخالف نصًا صحيحًا: فتُترك ولا تُروى، وفي الصحيح غنيةٌ عنها.

فيهم.[1] ذيل الطبقات (١/ ٣٠٤-٣٠٦).

* وعن إبراهيم بن هاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٥) قال: اختفى عندي **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أيام ثم قال: اطلب لي موضعًا حتى أتحول إليه. قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله، قال: إذا فعلت أفدتك، فطلبت له موضعًا فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام، ثم تحول، وليس ينبغي أن نتبع رسول الله ﷺ في الرخاء ونتركه في الشدة. تهذيب الحِلْية ١٤٤/ ٣.

* وعن أبي الفضل بن إسحاق بن محمود أنه قال: كان **أبو عبد الله الْمَرْوَزِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٩) يتمنى على كبر سنه أن يولد له ابن فكنا عنده يومًا من الأيام، فتقدم إليه رجل من أصحابه فسارَّه في إذنه بشيء فرفع أبو عبدالله يديه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ [إبراهيم:٣٩]. ثم مسح وجهه بباطن كفيه ورجع إلى ما كان فيه فرأينا أنه استعمل في تلك الكلمة الواحدة ثلاث سنن: إحداها أنه سمى الولد، والثانية أنه حمد الله تعالى على الموهبة، والثالثة: أنه سماه إسماعيل لأنه وُلِدَ على كِبَر سِنِّه، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]. المنتظم ٥٥/ ١٣.

* وقال **أَبُو القاسم بن منده** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:٤٧٠) في كتاب «الرد على الجهمية»: التأويلُ عند أصحاب الحديث: نوع من التكذيب. ذيل الطبقات (١/ ٦٤).

* وقال **ابن خزيمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١١): ليس لأحدٍ مع رسول الله ﷺ قولٌ إذا صحَّ الخبر عنه. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٨).

* وقال **أبو زيد المروزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧١): كنتُ نائمًا بين الركن والمقام، فرأيت النبي ﷺ فقال: يا أبا زيد إلى متى تدرس في كتاب الشافعي، ولا تدرس

(١) لعله يقصد: لا خير فيمن لا يرجع إلى سنة النبي ﷺ، وردِّ أمرِ الدين إلى الوحيين، والاشتغال بهما.

كتابي؟ فقلت: يا رسول الله، وما كتابك؟ فقال: جامع محمد بن إسماعيل، يعني: البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.(١) طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٠).

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): ليس ينبغي لمن أُلهم شيئًا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر، فإذا سمعه في الأثر عمل به، وحمد الله عَزَّوَجَلَّ على ما وفَق ما في قلبه. تهذيب الحِلْية ١٩٢/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ربما يقع في قلبي النُّكتة من نُكَت القوم أيامًا فلا أقبل منه إلاَّ بشاهِدَين عدْلين: الكتاب والسنة. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٦.

* وقال **أبو يزيد البسْطامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٠): لله خلقٌ كثيرٌ يمشون على الماء، لا قيمةَ لهم عند الله، ولو نظرتم إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير، فلا تَغْتَرُّوا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي، وحِفْظِ الحدود والشرع. تهذيب السِّير ٣/ ١٥٥.

* وقال **أبو عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠): من أمَرَّ السُّنة على نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أمَرَّ الهوى على نفسه نطق بالبدعة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور:٥٤].

* قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨) -مُعَلِّقًا عَلَيه-: وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص:٢٦]. تهذيب السِّير ٢/ ٧٢٣.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): قليل في سنّة خير من كثير في بدْعة، كيف يقل عملٌ مع تقوى؟. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

---

(١) لو كان بين يديك كتاب وفيه: تأليف محمد بن عبدالله رسول الله ﷺ، فهل ستتركه دون قراءة وتكرارٍ وفهم؟

فهذا كتاب «صحيح البخاري» وكتاب «صحيح مسلم» بين يديك، وفيهما ما ثبت من أقواله وأفعاله وأحواله ﷺ، فلا تزهد في قراءتهما.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط. تهذيب الحِلْية ٢٨٧/ ٣.

* وقال **الجنيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧): علمُنا مضبوطٌ بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. تهذيب الحِلْية ٣٧١/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طريق الخيرات كلها مفتوحة عليه. تهذيب الحِلْية ٣٧٣/ ٣.

* وقال **أبو العباس بن عطاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٩): من ألزم نفسه آداب السنة غمر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه قولًا وفعلًا ونية وعقدًا. تهذيب الحِلْية ٤٠٠/ ٣.

* وكان **عبد العزيز الدارَكي** الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧٥) إذا جاءته مسألة تفكر طويلًا ثم أفتى فيها، فربما كانت فتواه خلاف مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، فيقال له في ذلك، فيقول: ويحكم حدث فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ بكذا وكذا، والأخذ بالحديث عن رسول الله ﷺ أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة إذا خالفاه.[1] المنتظم ٢١٤/ ١٤.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الطَّيِّبُ يَشْتَدُّ نَكِيرُهُمْ وَغَضَبُهُمْ عَلَى مَنْ عَارَضَ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِرَأْيٍ أَوْ قِيَاسٍ أَوْ اسْتِحْسَانٍ أَوْ قَوْلِ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَيَهْجُرُونَ فَاعِلَ ذَلِكَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ، وَلَا يُسَوِّغُونَ غَيْرَ الِانْقِيَادِ لَهُ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّلَقِّي بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَلَا يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ التَّوَقُّفُ فِي قَبُولِهِ حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ عَمَلٌ أَوْ قِيَاسٌ أَوْ يُوَافِقَ قَوْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، بَلْ كَانُوا عَامِلِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].
فَدُفِعْنَا إلَى زَمَانٍ إذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ «ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا» يَقُولُ: مَنْ قَالَ بِهَذَا؟ وَيَجْعَلُ هَذَا دَفْعًا فِي صَدْرِ الْحَدِيثِ، أَوْ يَجْعَلُ جَهْلَهُ بِالْقَائِلِ بِهِ حُجَّةً لَهُ فِي مُخَالَفَتِهِ وَتَرْكِ=

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١): قيل لبعض **الأعراب** -وقد أسلم- لما عرف دعوته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، عن أي شيء أسلمت؟ وما رأيت منه مما دلك على أنه رسول الله؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به، ولا أحل شيئا فقال العقل ليته حرمه، ولا حرم شيئا فقال العقل: ليته أباحه. مدارج السالكين ١/ ٤٢٨.

* وقال **ابن غانم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠): دخلتُ مجلس إبراهيم بن الأغلب[1]، إذ أشرف علينا إبراهيم فقام إليه من كان في البيت غيري، فجلس مغضَبًا ثم قال لي: يا أبا عبدالرحمن ما منعك أن تقوم كما قام أخَواك؟ فقلت: أيها الأمير: حدثني مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نافع رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار.

فنكَّس إبراهيم رأسه وأطرق. ترتيب المدارك (١/ ٣٥٨).

* وقال الفقيه **عبد اللطيف بن أبي العز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢٨): ينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصَّدرِ الأوَّل؛ اقتداءً بسيرة النبي ﷺ، وتتبع أفعاله وأحواله واقتفاء آثاره، وتشَّبه به ما أمكنك، وإذا وقفت على سيرته في مطعمه، ومشربه، وملبسه، ومنامه، ويقظته، وتمرُّضه، وتطبُّبه، وتمتّعه، وتطيُّبه، ومعاملته مع ربه، ومع أزواجه،

=الْعَمَلِ بِهِ، وَلَوْ نَصَحَ نَفْسَهُ لَعَلِمَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ أَعْظَمِ الْبَاطِلِ، وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ دَفْعُ سُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ هَذَا الْجَهْلِ، وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ عُذْرُهُ فِي جَهْلِهِ، إِذْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِجْمَاعَ مُنْعَقِدٌ عَلَى مُخَالَفَةِ تِلْكَ السُّنَّةِ، وَهَذَا سُوءُ ظَنٍّ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، إِذْ يَنْسُبُهُمْ إِلَى اتِّفَاقِهِمْ عَلَى مُخَالَفَةِ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ عُذْرُهُ فِي دَعْوَى هَذَا الْإِجْمَاعِ، وَهُوَ جَهْلُهُ وَعَدَمُ عِلْمِهِ بِمَنْ قَالَ بِالْحَدِيثِ، فَعَادَ الْأَمْرُ إِلَى تَقْدِيمِ جَهْلِهِ عَلَى السُّنَّةِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَلَا يُعْرَفُ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ أَلْبَتَّةَ قَالَ: لَا نَعْمَلُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَعْرِفَ مَنْ عَمِلَ بِهِ، فَإِنْ جَهِلَ مَنْ بَلَغَهُ الْحَدِيثُ مَنْ عَمِلَ بِهِ لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْقَائِلُ. أعلام الموقعين ٢/ ٥٥٤-٥٦٠.

(١) أمير إفريقية.

وأصحابه، وأعدائه، وفعلت اليسير من ذلك، فأنتَ السَّعيد كلّ السَّعيد. طبقات الشافعيين (٢/ ٢٨٤).

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٧١) مع جلالته وحفظه يروي الأحاديث الواهية والموضوعة ولا يبيّنها، وكذا كان عامة الحُفّاظ الذين بعد القرون الثلاثة، إلّا مَن شاء ربكَ، فَلَيَسألَنَّهم الله تعالى عَن ذلك.

وأي فائدةٍ بمعرفة الرجال ومصنفات التاريخ والجرح والتعديل إلّا كشف الحديث المكذوب وهتكه؟ [تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٩٣).

قال ابن كثير: لقد صدق أثابه الله في هذا وبرَّ ورَشَد، وأنزلُ مِن هذا بدرجاتٍ مَن يحتجّ بذلك مع علمه أو بجهله، فيدخل فاعل ذلك في قول القائل:

فإن كنتَ لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنتَ تدري فالمصيبة أعظم

طبقات الشافعيين (٢/ ٢٠٥).

ذم البدع والمبتدعة، والهوى وأهله، والجدال والمراء

أ- ذم البدع:

* دخل **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) على امرأة فرآها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: حجت مُصْمتة[1]، قال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت، فقالت: من أنت؟ قال: امرؤ من المهاجرين، قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش، قالت: من أي قريش أنت؟ قال: إنك لسؤُول[2]، أنا أبو بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح[3] الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟.

قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم.

قالت: وما الأئمة؟.

قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف، يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى.

قال: فهم أولئك على الناس.[4] صحيح البخاري (٣٦٢٢).

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): اتبعوا ولا تبْتدعوا، فقد كُفيتم، كلّ بدعة ضلالة. الزهد لوكيع (٣١٣).

* وقال أبو موسى الأشعري **لعبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رأيت في المسجد

---

(١) أي: صامتة ساكنة.

(٢) أي: كثيرة السؤال.

(٣) تعني: الإسلام وما فيه من العدل ومكارم الأخلاق.

(٤) لأن الناس على دين ملوكهم، فإذا استقام الإمام استقامت رعيّته، وإذا ضلّ ضلوا إلا أن يشاء الله.

قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حَلَقة رجل، وفي أيديهم حصا، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظارَ رأيك.

ثم مضى حتى أتى حلَقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟.

قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملةٍ هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مُفْتتحو باب ضلالة.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم.

فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج. مسند الدارمي (٢١٠).

* وقال **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا (ت: ١٦١): البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.[١] تهذيب الحِلْية ٣٨١/ ٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومعنى قولهم (أن البدعة لا يتاب منها): أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زُين له سوء عمله فرآه حسنًا فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه، أو بأنه ترك حسنًا وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب. =

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يُلقها في قلوبهم.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة والشُّبَه خطَّافة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٨.

* وعن **مطرّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) قال: لأن يسألني ربي عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، فيقول: يا مطرف ألا فعلت؟ أحبّ إلي من أن يقول: لِم فعلت. صفة الصفوة ٣/ ١٥٨.

* وقال **مطر الوراق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): عمل قليل في سنة، خير من عمل كثير في بدعة، ومن عمل عملًا في سنة قبل الله منه عمله، ومن عمل عملًا في بدعة، ردّ الله عليه بدعته. تهذيب الحِلْية ٤٥٧/ ١.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: ما أدري أي النعمتين أفضل؟ أن هداني للإسلام؟ أو عافاني من الأهواء. تهذيب الحِلْية ١٣/ ٢.

* وقال سهل: دخلت على **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] (ت: ٢٤٠)، فقلت: البدعة فاشية، وأهلها أعزَّاء!.

فقال: أما علمت أنَّ الله إذا أراد قطْع بدْعةٍ أظهراها.[2] ترتيب المدارك (٢/ ٩٧).

* وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): مَن تعاطى الكلام لا يُفلح، ومَن تعاطى الكلام لا يخلو مِن بدعة. طبقات الحنابلة (١/ ١٤٩).

= ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال. مجمُوع الفَتاوَى ٧/ ١٠

(١) وكان معتزلا في بيته، حيث دُعي إلى القول بخلق القرآن فأبى، فمُنع من الإفتاء، وأُمر بلزوم بيته.

(٢) وذلك أن كثيرا من البدع لا تظهر شناعتها حتى تظهر للناس ويقوى أنصارها، فيقذف الله بغضها وبغض أهلها في قلوب الناس، فيكون ذلك سببا في انقطاعها وزوالها.

* وقيل له رَحِمَهُ اللَّهُ: يكره أن يجتمع القوم يدعون ويرفعون أيديهم؟.

فقال: ما أكرهه للإخوان إذا لم يجتمعوا على عمْد إلا أن يكثروا.

قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ: كما قال، وإنما معنى إلا أن يكثروا إلا أن يتخذوها عادة حتى يكثروا.

قال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللَّهُ: فقيد أحمد الاجتماع على الدعاء إذا لم يتخذ عادة. الآداب الشرعية ٢/ ٧٦.

* وقال **الجنيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٨): أقلّ ما في الكلام[١]: سقوط هيبة الرب جَلَّجَلَالُهُ من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة عري من الإيمان.[٢] طبقات الشافعيين (١/ ١٦٧).

* وذَكر ابن النجار عن علي الضَّرير قَالَ: رأيتُ **صدقة الناسخ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٧٣) في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟.

قَالَ: غفر لي بعد شِدَّة.

فسألته عن علم الأصول[٣]؟ فقال: لا تشتغل به، فما كان شيءٌ أضرَّ علي منه، وما نفعني إلا خمس تميرات تصدقتُ بها على أرملة.

قال **ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا المنام حق، وما كانت مصيبته إلا مِن علم الكلام. ولقد صدق القائل: ما ارتدى أحدٌ بالكلام فأفلح، وبسببِ شُبَه المتكلمين

---

(١) أي: علم الكلام والجدل.

(٢) وذلك لأنّ من يعتني بعلم الكلام، والرأي، والمنطق، والفلسفة: يقل عنده استحضار نصوص الكتاب والسنة، ويعتاض عنها بالرأي والمنطق وعلم الكلام والجدل، وربما إذا عُورض بنصٍّ من الكتاب والسنة بخلاف ما قرره سعى في رده أو تأويله، فتسقط هيبة الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من قلبه، بخلاف من لا يتكلم إلا بالكتاب والسنة، ولا يعمل ولا يحتج إلا بنص شرعي فإنه يمتلئ قلبه بالإيمان والتعظيم والهيبة لله جَلَّجَلَالُهُ.

(٣) يقصد به: عِلم الكلام.

والمتفلسفة كان يقع له أحيانا حيرة وشك، يذكرها في أشعاره، ويقع له من الكلام والاعتراض ما يقع. ذيل الطبقات (٢/ ٣١٠).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: لما رأينا الشريعة تنهى عن تحريكات الطباع بالرعونات، وكَسَرَتِ الطبولَ والمعازف، ونهتْ عن الندب والنياحة والمدح وجر الخيلاء؛ **عِلِمْنا أنّ الشرع يريد الوقار دون الخلاعة**، فما بال الْوَجْد وتخريق الثياب والصعق والتَّماوت من هؤلاء المتصوفة؟.

وما العلم إلا الحكمة المتلقَّاة مع السكون واعتدالِ الأمزجة.

أما رأيته عَزَل القاضي حين غَضَبِه، وكذلك يُعْزَل حال طربه، أما سمعت: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ [الأحقاف:٢٩]؟.

فأين الطرب من الأدب؟.

والله ما رقص قط عاقل، ولا تعرض للطرب فاضِل، ولا صَغى إلى تلحينِ الشِّعر إلا بَطِر. الآداب الشرعية ٢/ ٢١٦.

* وكان **أبو إسحاق الجُبْنَيَانِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩)[1] قلما يترك ثلاث كلمات، هنّ الخير كله: اتّبع لا تبتدع، اتَّضع لا ترتفع، مَن وَرِع لم يتَّسع.[2] ترتيب المدارك (٤/ ٥٤).

* وقال بعض أصحابه: لما حججت أتيت معي بحصيات من حصباء المسجد الحرام، فقلت لأبي إسحاق: إني أتيت معي بحصيات من حصى المسجد الحرام، أتحب أن أعطيك منهن شيئًا تسبِّح بها؟ فقال لي: ارْم بهن، فعلى أقلّ مِن هذا عُبِدت الحجارة.

---

(١) أحد أئمة المسلمين، وأولياء الله الصالحين.

(٢) أي: لم يتوسع في طلب المباحات والمتع الدنيوية، من الطعام والمسكن والمناصب وغير ذلك.

فعرّفت أبا الحسن القابسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٣) بهذا فأعجبه فِقْهُ أبي إسحاق. ترتيب المدارك (٤/ ٥٥).

ب- ذم المبتدعة[1]:

* قال **عمر بن الخطاب** رضوان الله تعالى عليه (ت: ٢٣): إن ناسًا يجادلونكم بِشُبَه القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ. الشريعة: ٥٧، مسند الدارمي (١٢١).

(١) يجب الحذر من مصاحبة أهل الأهواء والفسق، وعدم متابعتهم في وسائل التواصل والاستماع لكلامهم وقراءة آرائهم، قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **توقير صاحب البدعة مظنةٌ لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:**
إحداهما: التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنَّه أفضل الناس، وأنَّ ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السُّنَّة على سُنتهم.
والثانية: أنَّه إذا وُقِّرَ من أجل بدعته صار ذلك كالحادي الْمُحرِّض له على إنشاء الابتداع في كلِّ شيءٍ.. فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه. ا.هـ [الاعتصام: ٩٠].
وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن أنواع مكايده ومكره: أن يدعو العبد بحسن خلقه وطلاقته وبِشره إلى أنواعٍ من الآثام والفجور، فيلقاه من لا يُخلِّصُه من شره إلا تجهُّمه والتعبيسُ في وجهه والإعراضُ عنه، فيُحسِّن له العدوَ أن يلقاه ببشره، وطلاقة وجهه، وحسن كلامه، فيتعلق به، فيروم التخلص منه فيعجز، فلا يزال العدو يسعى بينهما حتى يصيب حاجته، فيدخل على العبد بكيده من باب حسن الخلق وطلاقة الوجه.
ومن ههنا وصَّى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع، وأن لا يُسلِّم عليهم، ولا يُريهم طلاقة وجهه، ولا يلقاهم إلا بالعبوس والإعراض.
وكذلك أوصوا عند لقاء من تُخاف الفتنة بلقائه من النساء والمردان، وقالوا: متى كَشفْتَ للمرأة أو الصبي بياض أسنانك كشفا لك عما هنالك، ومتى لقيتهما بوجه عابس وُقِيت شرهما.
ومن مكايده: أنه يأمرك أن تلقى المساكين وذوي الحاجات بوجه عبوس، ولا تريهم بشرا ولا طلاقة، فيطمعوا فيك ويتجرؤوا عليك، وتسقط هيبتك من قلوبهم، فيحرمك صالح أدعيتهم، وميل قلوبهم إليك، ومحبتهم لك.
فيأمرك بسوء الخلق، ومنعِ البشر والطلاقة مع هؤلاء، وبِحُسنِ الخلق والبشر مع أولئك، ليفتح لك باب الشر، ويغلق عنك باب الخير. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١/ ١٩٧.

* وعن أبي البختري قال: أخبر رجل **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب وفيهم رجل يقول: كبروا الله كذا وكذا وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كذا وكذا فقال عبد الله: فيقولون؟ قال: نعم، قال: فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم، فأتاهم وعليه برنس فجلس فلما سمع ما يقولون قام وكان رجلا حديدا فقال: أنا عبد الله بن مسعود والذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماء، أو لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علما؟ فقال معضد: والله ما جئنا ببدعة ظلماء ولا فضلنا أصحاب محمد ﷺ علما، فقال عمرو بن عتبة: يا أبا عبد الرحمن نستغفر الله قال: عليكم بالطريق فالزموه فوالله لئن فعلتم لقد سبقتم سبقا بعيدا وإن أخذتم يمينا وشمالا لتضلوا ضلالا بعيدا. الزهد لأحمد: ٢٠٨١.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب. الشريعة: ٧٠.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) أنه جاءه رجل فقال: إن فلانا يَقرأ عليك السلام، قال: بلغني أنه قد أحدث، فإن كان قد أحدث فلا تَقرأ عَلَيْهِ السَّلَامُ. مسند الدارمي (٤٠٧).

* وعن **أيوب السختياني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) قال: ما ازداد صاحبُ بدعةٍ اجتهادًا إلا زاد من الله عَزَّوَجَلَّ بُعدا. صفة الصفوة ٣/ ٢١١.

* وعن شعبة الخياط مولى جابر الجعفي قال: قال لي **أبو جعفر محمد بن علي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) لما ودعته: أبلغ أهل الكوفة أني بريءٌ ممن تبرأ من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهما. تهذيب الحِلْية ٥٠٨/ ١.

* وقال **أبو الجوزاء أوسُ بن عَبْد الله الرَّبَعيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٣): لأن أجالسَ

الخنازير أحبُّ إليَّ من أن أجالسَ أحدًا من أهل الأهواء. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥١٢.

* وعن **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩) قال: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره. الشريعة: ٧٢.

* وقال **أحمد بن سنان القطان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): ليس في الدنيا مبتدع إلاَّ وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نُزعت حلاوة الحديث من قلبه. عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٢٩٨-٢٩٩.

* وقال **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): مَن أَصغى بأذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله، ووُكِلَ إليها -يعني البدع-.(١) شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وقال **بعض السلف**: من عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تُذكر محاسنه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٠٩.

* وقال **يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩): ثلاثة احفظوهن عني؛ لا يدخل أحدكم على سلطان يقرأ عليه القرآن، ولا يخلون أحدكم مع امرأة شابة يقرأ عليها القرآن، ولا يُمَكِّن أحدكم سمعه من أصحاب الأهواء. تهذيب الحِلْية ٤٣٨/ ١.

* وقال **عمرو بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٦): لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك. تهذيب الحِلْية ١٥٥/ ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): من جالس صاحب بدعة لم يُعْطَ الحكمة. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ عَظَّمَ صاحبَ بدعة: فقد أَعانَ على هدم الإسلام. ومن تَبَسَّمَ في وجه مبتدِع: فقد استَخَفَّ بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ على محمد ﷺ. ومن

---

(١) وكذا قال محمد بن النضر الحارثي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في تلبيس إبليس:٢٨.

زَوَّجَ كريمته من مبتدِع: فقد قطع رحمها.

ومن تبع جنازة مبتدِع لم يزل في سخط الله حتى يرجع. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن آكل عند اليهودي والنصراني، أحب إلي من أن آكل عند صاحب بدعة، فإني إذا أكلت عندهما لا يقتدى بي، وإذا أكلت عند صاحب بدعة اقتدى بي الناس، أحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد، وعمل قليل في سنة، خير من عمل صاحب بدعة، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، ومن جلس إلى صاحب بدعة فاحذره، وصاحب بدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه فمن جلس إليه ورثه الله عَزَّوَجَلَّ العمى، وإذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له، وإن قلّ عمله، فإني أرجو له، لأن صاحب السنة يعرض كل خير، وصاحب البدعة لا يرتفع له إلى الله عمل، وإن كثر عمله. تهذيب الحِلْية ٢٠/ ٣.

* وعن محمد بن سهل البخاري قال: كنا عند **القرباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل: لو حدثتنا كان أعجب إلينا فغضب وقال: كلامي في أهل البدع أحب إلي من عبادة ستين سنة. تلبيس إبليس: ٢٧.

* وذكر **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) عمرو بن عبيد[١]، فوقع فيه ونال منه.

فقيل له: ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض!.

فقال: ألا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لنا أنْ نَذْكره حتى يُحْذَر. تاريخ الإسلام (٣/ ٩٤٢).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): أُسِّس التصوف على الكسل. تهذيب الحِلْية ١٣٢/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أنَّ رجلا عاقلا تصوَّف لم يأت الظهر حتى يصيرَ أحمق. تهذيب الحِلْية ١٣٣/ ٣.

---

(١) وهو من المبتدعة الذين ينفون القدر.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): وما رأيت صوفيًّا فيه خير، إلا واحدًا عبد الله بن مرزوق قال: وأنا أرق لهم. تهذيب الحِلْية ١٨٨/ ٣.

* وقالَ المرُّوذي: قُلْتُ **لأبي عبدالله** -يعني الإمام أَحْمَد رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ٢٤١): ترى للرجل أن يشتغل بالصوم والصلاة ويَسكُت عن الكلام فِي أهل البدع؟ فَكَلح وجهُهُ وَقَالَ: إِذَا هُوَ صام وصلى واعتزل الناس أليس إنما هُوَ لنفسه؟ قُلْتُ: بلى، قَالَ: **فَإِذَا تكلَّم كَانَ لَهُ ولغيره، يتكلم أفضل**. طبقات الحنابلة (٣/ ٤٠٨).

* وذُكر **لأبي عبدالله أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجل من أهل العلم، كانت له زلة، وأنه تاب من زلَّتِه، فقال: لا يَقبل الله ذلك مِنه حتى يُظهر التوبة والرجوع عن مقالته، ولْيُعْلِمن أنه قَالَ مقالته كيت وكيت، **وأنه تاب إلى الله تعالى من مَقالتِه**، ورَجَع عنه، فإذا ظَهر ذلك مِنه حينئذ تُقبل، ثم تلا أَبُو عبدالله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٦٠]. ذيل الطبقات (١/ ٣٠٠).

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من دل عَلَى صاحب رأي أو فتنة فقد أعان عَلَى هَدمِ الإسلام. طبقات الحنابلة (١/ ١٣٣).

* وسُئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمرُّ فِي الطريق فأسمع الإقامة ترى أن أصلي؟.

فقال: قد كنت أُسَهِّل، فأما **إذ كثرت البدع** فلا تصل إلا خلف مَن تعرف. طبقات الحنابلة (١/ ١٤٣).

* وقال أَبو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيّ: قلت: لأبي عبدالله **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرى رجلا من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه؟.

قال: لا، أو تُعلِمْهُ أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه فكلّمه وإلا فألحقه به، قال ابن مسعود: «المرء بخدنه». طبقات الحنابلة (١/ ٤٢٩).

* وعن علي بن عبد الصمد الطيالسي قال: مسحت يَدي على **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر، فغضب غضبًا شديدًا وجعل ينفض

يده ويقول: عمن أخذتم هذا؟ وأنكره إنكارًا شديدًا.[١] الآداب الشرعية ٢/ ١٦٢.

* وقَالَ الفضل بن مهران: سألتُ **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قلت: إن عندنا قومًا يجتمعون فيَدعون، ويَقرؤون القرآن، ويَذكرون الله[٢]، فما تَرى فيهم؟ فقال لي أَحْمَد: يقرأ في المصحف، ويذكر الله فِي نفسه، ويَطلب حديث رَسُول اللهِ ﷺ، قلتُ: فأَخٌ لي يفعل هذا، فأنهاه؟ قَالَ: نعم، قلتُ: فإن لم يقبل؟ قَالَ: بلى إن شاء الله؛ فإن هذا مُحدَث، الاجتماع والذي تَصِف. طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٩).

* وقال **أَبُو مُحَمَّد البربهاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٩)، شيخ الطائفة فِي وقته ومتقدِّمها فِي الإنكار عَلَى أهل البدع والمبايَنَةِ لهم باليد واللسان: احذر صِغار المحدثات؛ فإن صِغار البِدع تعود حتى تصير كبارًا، وكذلك كل بدعة أُحدِثت فِي هَذِهِ الأمة كَانَ أَوَّلها صغيرًا يشبه الحق، فاغتر بذلك مَن دَخل فِيهَا، ثُمَّ لم يَستطع المخرج منها، فعَظُمَت وصارت دينًا يُدان به، فخالَفَ الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام!، فانظر رحمك الله كل مَن سمِعتَ كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجَلَنّ ولا تدخلن فِي شيء مِنْهُ حتى تَسأل وتَنظر: هل تكلَّم فِيهِ أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ أو أحد من العلماء؟ فإن أصبت فِيهِ أثرًا عَنْهُمْ فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه[٣] شيئًا؛ فتسقط فِي النار. طبقات الحنابلة (٣/ ٣٨).

وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مثل أصحاب البدع مثل العقارب، يدفنون رؤوسهم وأبدانهم فِي

---

(١) فالتبرك بذوات الصالحين أو قبورهم مِن البِدَع المحدَثة.

(٢) هؤلاء القوم من الصُّوفية في بداية نشأتهم، قبل أن يؤولَ أمرهم إلى الاجتماع على الرقص والغناء والغلو في مدح النبي ﷺ، وإنما نهاهُ الإمام لأن السلف الصالح لم يَفعلوه على طريقة الذكر الجماعي، ولأنّ الغالب على هؤلاء أنهم يكتفون بهذه المجالس عن طلب العلم النافع الذي يبصّرهم، ولأنّ البِدع مع مرور الزمان تَعظُم وتكبُر، حتى تخرج إلى الكفر أو الانحلال، كما هو حال غلاة الصوفية والرافضة وغيرهم.

(٣) ورد لفظ (فيه)، ولعل الصحيح (عليه)، كما أثبتها من كتابه النفيس (شرح السنة). انظر تحقيق الردادي ص: ٦٩

التراب، ويُخْرِجون أذنابهم، فَإِذَا تمكَّنوا لَدَغوا، وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس، فَإِذَا تمكَّنوا بلغوا ما يُريدون. طبقات الحنابلة (٣/ ٧٧).

* وقال **أَبُو عبدالله بن منده** (ت: ٣٩٥): طفت الشَّرق والغرب مرتين، فلم أتقرَّب إلى كلِّ مُذَبْذب، ولم أسمع من المبتدعين حديثًا واحدًا.(١) طبقات الحنابلة (٣/ ٣٠٠).

* وقال **عثمان بن مرزوق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٤): إياكم ومحاكاة أصحاب الأحوال قبل إحكامِ الطريق وتمكُّنِ الأقدام؛ فإنها تَقطَعُ بِكم.

ودليل تَخليطك صُحبتُكَ للمُخلِّطين.

ودليل وحشتِكَ أُنسُكَ بالمستوحشين. ذيل الطبقات (٢/ ٢٢٤).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: ما على الشريعة أضرّ من المتكلمين والمتصوّفين، فهؤلاء يُفسدون العقول بتوهمات شبهات العقول، وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان.

وقد خَبرت طريق الفريقين: غايةُ هؤلاء الشك، وغايةُ هؤلاء الشَّطَح، والمتكلمون عندي خيرٌ من الصوفية؛ لأن المتكلمين قد يردُّون الشك، والصوفية يوهمون التشبيه والأشكال، والثقة بالأشخاص ضلال.

ما لله طائفة أجلُّ من قوم حدَّثوا عنه وما أحدثوا، وعوَّلوا على ما رَوَوا لا على ما رَأَوا. الآداب الشرعية ١/ ١٦١.

---

(١) هذا هو المنهج الصحيح في التلقي، **فالعاقل الذي يرجو النجاة والفوز والفلاح لا يأخذ عن رجلين:**

١- المتذبذب المتقلب، الذي يكون مرة في هذا الاتجاه، ومرة يكون في الاتجاه الآخر، حسب ما تقتضيه مصلحته -لا مصلحة الدين- أو ما يُمليه عليه أسياده.

٢- المبتدع، فإنّ ما عند علماء السنة أصوب وأكثر مما عنده، ولا يتابعه في مواقع التواصل ولا يقرأ له.

وقال أيضًا: إذا أردتَ أن تعلم محلّ الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، **وإنما انظر إلى مُواطَأتهم أعداء الشريعة.**

وهذا المعنى قاله الشيخ **تقي الدين ابن تيمية** (ت: ٧٢٨). الآداب الشرعية ١/ ١٨٢.

ج- ذم الهوى، وفضل من خالفه(١):

* قال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): **الهوى إله معبود** وقرأ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]. عيون الأخبار ٧٨/ ١.

* وقال **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨): **يفتح القرآن على الناس حتى يقرأه**

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبته نفسه وبغضها، لا بحسب محبّة الله ورسوله، وبغض الله ورسوله، وهذا من نوع الهوى، فإن اتّبعه الإنسان فقد اتبع هواه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص:٥٠] فإن أصل الهوى هو محبة النفس، ويتبع ذلك بغضها. والهوى نفسه -وهو الحب والبغض الذي في النفس- لا يُلام العبد عليه، فإن ذلك لا يملكه، وإنما يُلام على اتّباعه. كما قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾. الاستقامة / ٤٥٩.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: اتّباع الأهواء في الديانات أعظم من اتّباع الأهواء في الشهوات. الاستقامة / ٤٦٠.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء؛ وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدي الله الذي بعث به رسوله ﷺ.

ولهذا قال تعالى في موضع ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١١٩] وقال في موضع آخر ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾. الاستقامة/ ٤٦٠-٤٦١

والسبب في اتباع أغلب الناس لأهوائهم أمران:

١- لأنّ سلطانه قويّ، لا يقوى على مخالفته إلا بدين أقوى منه، أو عقل راجح.

٢- لأنّ مدخل مكره خفيّ، حيث ينفذ إلى عقل الإنسان من حيث لا يشعر، فيُفسد عليه دينه ودنياه وهو لا يشعر.

المرأة والصبي والرجل، فيقول الرجل: قد قرأت القرآن فلم أُتَّبَع، والله لأقومنّ به فيهم لعلي أُتَّبع، فيقوم به فيهم فلا يُتَّبع، فيقول: قد قرأت القرآن فلم أُتَّبع، وقد قمت به فيهم، فلم أُتَّبع..

والله لآتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله جَلَّوَعَلَا ولم يسمعوه عن رسول الله ﷺ لعلي أُتَّبع.

قال معاذ: فإياكم وما جاء به؛ فإن ما جاء به ضلالة. مسند الدارمي (٢٠٥).

* وقيل **لعمر بن عبد العزيز** (ت: ١٠١): أي الجهاد أفضل؟ فقال: جهادك هواك. الكامل في اللغة / ١٤٩.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تثاب على ما اتبعته من الحق، وتعاقب على ما خالفته.[1] مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٤٤.

* **وَكَتَبَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ:**

«**أَمَّا بَعْدُ:** فَاتَّخِذِ الْحَقَّ إِمَامًا، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَقْبَلُهُ إِذَا وَافَقَ هَوَاهُ، وَيَدَعُهُ إِذَا خَالَفَ هَوَاهُ؛ فَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُؤْجَرْ فِيمَا قَبِلْتَ مِنْهُ، وَلَم تَنْجُ مِنَ الْإِثْمِ فِيمَا دَفَعْتَ مِنْهُ إِذَا خَالَفَكَ، وَلْيَكُنْ عِلْمُكَ عِلْمَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، وَدَلَّ فِيهِ عَلَى مَحَابِّهِ وَمَكَارِهِهِ، وَعَرَّفَ النَّاسَ فِيهِ أَمْرَهُ، وَدَعَاهُمْ إِلَى كِتَابِهِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى كَرَامَتِهِ،

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو كما قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأنه في الموضعين إنما قصد اتباع هواه لم يعمل لله.
ألا ترى أن أبا طالب نصر النبي ﷺ، وذب عنه أكثر من غيره؛ لكن فعل ذلك لأجل القرابة، لا لأجل الله تعالى، فلم يتقبل الله ذلك منه، ولم يثبه على ذلك؟!
وأبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أعانه بنفسه وماله لله؛ فقال الله فيه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٧-٢١] نفس المصدر.

وَوَقَاهُمْ بِهِ بَأْسَهُ، وَأَوْجَبَ لَهُمْ بِهِ رِضْوَانَهُ، وَأَنْزَلَهُمْ بِهِ أَفْضَلَ مَنَازِلِ خَلْقِهِ عَزَّوَجَلَّ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي لَمْ يَجْهَلْ مَنْ عَلِمَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ جَهِلَهُ، فَآثِرْهُ عَلَى سِوَاهِ، وَانْتَهِ عِنْدَ زَوَاجِرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَحِقُّ عَلَى مَنْ عَلِمَهُ، وَاتَّبِعْ طَاعَةَ اللهِ فِيمَا أَوْصَى بِهِ هُوَ نُورُ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَ وَهَدَى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَظٌّ فِيهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَكَانَ فِي ظُلْمَةٍ مَا بَقِيَ فِي دُنْيَاهُ». ذم الكلام وأهله: (٨١٠).

* وقال الشاعر:

وكَـمْ نعمـةٍ آتاكهـا الله جزلـةٍ ... مبـرّأةٍ مـن كلِّ شـيءٍ يَذيمهـا[١]
فسـلّطتَ أخلاقًـا عليهـا ذميمـةً ... تَعَاوَرْنها[٢] حتى تفرَّى أديمها[٣]
وكنتَ امْرءًا لـو شئتَ أنْ تبلغ المدى ... بلغـتَ بأدنـى نعمـةٍ تسـتديمها
ولكـنْ فطامَ النفسِ أثقلُ محمـلًا ... من الصخرة الصَّماء حين ترومها

ربيع الأبرار (٢/ ٢١٠).

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): أشد الجهاد جهاد الهوى، من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظًا ومعافى من أذاها. تهذيب الحِلْية ٤٨٤/ ٢.

* وكان يقال: الهوى شريك العمى. عيون الأخبار ٧٨ / ١.

* وكان **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥) يقول: كنت بالعراق أمر على تلك القصور والمراكب والملابس والمطاعم التي للملوك فلا تلتفت نفسي إلى شيء من ذلك، وأمر على التمر فتكاد نفسي تقع عليهّ.

فذُكر ذلك لبعض العارفين فقال: تلك الشهوات آيَسَ نفسَه منها فأيسَتْ،

---

(١) أي: يعيبها.

(٢) أي: تداولته وتعاطته وتبادلته.

(٣) أي انشق وانقطع الْجلد.

والتمرة أطمعها فيه فطمعت، كما قيل:

صَبَرْتُ على اللَّذَاتِ حتَّى تولَّت ... وألزمتُ نفسي هَجْرَهَا فاستمرت
ومَا النَّفْسُ إلاَّ حيْثُ يَجْعَلُهَا الفتَى ... فإنْ طَمِعَتْ تَاقَتْ وإلاَّ تسلَّت
وكَانَتْ على الأيَّامِ نَفْسِي عَزِيْزَةً ... فلمَّا رأَتْ عَزْمِي عَلَى الذُّلِّ ذلَّت

الجامع المنتخب/ ١٩٧.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أفضلُ الأعمال خِلافُ هوى النَّفس. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٦٥.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم(١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أشد فطام الكبير. الكامل في اللغة / ١٨٧.

* وقال الشاعر:

أيُّ ماءٍ لحرٍّ وجهك يبقى ... بين ذلّ الهوى وذلّ السؤال

ديوان أبي تمام (١٦١).

* وعن **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) قال: من جعل شهوته تحت قدمه فزع الشيطان من ظله، ومن غلب حلمه هواه فذاك العالم الغلاب. تهذيب الحِلْية ٤٩/ ٢.

* وكان **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) يقول: شرّ داء خالط قلبًا- يعني الهوى-. الزهد لأحمد: ٤٥١.

* وقال بعضهم:

أتاني هواها قبل أن أعرفَ الهوى ... فصادفَ قلبًا فارغًا فتمكَّنا

عيون الأخبار ٣/ ١٤.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن نفسك بمنزلة دابتك، إن عرفت منك الجدّ جدّتْ، وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك، وطلبت منك حظوظها وشهواتها. الجامع المنتخب/ ١٩٧.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): قاتِل هواك أشد مما تقاتل عدوك. تهذيب الحِلْية ٥١٩/ ١.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شيئان إذا عملت بهما أصبت بهما خير الدنيا والآخرة، ولا أطول عليك. قيل: وما هما؟ قال: تحمل ما تكره إذا أحبه الله، وتكره ما تحب إذا كرهه الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٥٢٧/ ١.

* وقيل **لبعض السلف**: إن فلانًا يمشي على الماء، فقال: إن من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء. المنتظم ٣٨٤/ ١٣.

* وقال **أبو بكر ابن الضرير الزاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٥١): دافعت الشهوات حتى صارت شهوتي المدافعة فحسب. المنتظم ١٤٩/ ١٤.

* وقال **الحكماء**: عين الهوى عوراء. ذم الهوى: ٤٢٦.

* وقال **أبو العتاهية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣): لقيتُ **أبا نواس** (ت: ١٩٩) في المسجد الجامع فعذلته، قلت له: أما آن لك أن ترْعَوِي؟! أما آن لك أن تزدجر؟! فرفع رأسه إليّ وهو يقول:

أتــــراني يـــــا عتاهـــي　　　تـــــاركًا تلـــــكَ الملاهِـــي
أتــــراني مفســـــدًا بالنُّـــ　　　ـــسْكِ عنـدَ القَــوْم جاهــي!

قال: فلمّا ألححت عليه في العَذْل أنشأ يقول:

لـن ترجِعَ الأنفُسُ عـن غَيِّهـا　　　مـا لـم يكـنْ منهـا لهـا زاجـرُ

فَوَدِدْتُ أنِّي قلتُ هذا البيت بكل شيء قلته! ذم الهوى: ٧٦.

* وكان بعض **الحكماء** يقول: هبْ أنّ المسيءَ قد غُفر له، أليس قد فاته ثواب المُحسِنِين. ذم الهوى: ١٤٩.

* وقال **عطاء السليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦): بلغنا أن الشهوة والهوى يغلبان العلم والعقل والبيان. تهذيب الحِلْية ٣٢٣/ ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): لن يعمل عبد حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه. تهذيب الحِلْية ٢٧/ ٣.

* وقال **أعرابي**: الهوى هوان ولكن غلط باسمه، فأخذه **الشاعر** وقال:

إنّ الهوان هو الهوى قُلِب اسمه ... فإذا هوَيت فقد لقيت هوانا

وقيل في منثور الحكم: من أطاع هواه أعطى عدوه مناه.

* وقال **الشاعر**:

إذا ما رأيت المرء يعتاده الهوى ... فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

وقد أشْمت الأعداء جهلا بنفسه ... وقد وجدتْ فيه مقالا عواذله

وما يردع النفسَ اللجوجَ عن الهوى ... من الناس إلا حازمُ الرأي كاملُه

أدب الدين (٦٠).

* وقال **بعض أهل العلم**: كن لهواك مسوّفا، ولعقلك مسعفا[١]، وانظر إلى ما تسوء عاقبته فوطّن[٢] نفسك على مجانبته، فإنّ ترك النّفس وما تهوى داؤها، وترك ما تهوى دواؤها، فاصبر على الدّواء لِمَا تخاف من الدّاء. أدب الدين (٦٢).

* وقال **بعض العلماء**: ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب ابن آدم من كليهما؛ فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم.

وقيل **لبعض الحكماء**: من أشجع الناس، وأحراهم بالظفر في مجاهدته؟

قال: من جاهد الهوى طاعة لربه، واحترس في مجاهدته من وُرود خواطر الهوى على قلبه.

---

(١) أي: كن مماطلا إذا دعاك هواك لأمر، ولا تجبه إلى ما يريد، وكن مسرعا إلي إجابة طلب عقلك مستجيبا له.

(٢) أي: هيئها واجعلها مستعدة للبعد عما تكون نتيجته غير مستحبة.

وقال الشاعر:

إذا المرء أعطى نفسه كلما اشتهت ... ولم ينهها تاقت إلى كلّ باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذي ... دعته إليه من حلاوةِ عاجل

أدب الدين (٦٣-٦٤).

* وقال **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦): الرجل عبد بطنه، عبد شهوته، عبد زوجته، لا بقليل يقنع، ولا من كثير يشبع، يجمع لمن لا يحمده، ويقدم على من لا يقدره. تهذيب الحِلْية ١٧/ ٣.

* وقال **أبو يزيد البسطامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٠): لا يعرف نفسه من صحبته شهوته. تهذيب الحِلْية ٢٤٧/ ٣.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه. مسند الدارمي (٤٠٩).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

إذا حار أمرك في معنيين ... ولم تدر فيما الخطا والصواب
فدع ما هويت فإنَّ الهوى ... يقود النفوس إلى ما يُعَاب

ديوان الشافعي (٣٨).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): على العاقل أن يعرف أن الرأي والهوى متعاديان، وأن من شأن الناس تسويف الرأي، وإسعاف الهوى، فيخالف ذلك، ويلتمس أن لا يزال هواه مُسَوَّفًا ورأيه مسعَفًا. الأدب الصغير (٢٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا بدَهك[1] أمران لا تدري أيهما أصوب، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه؛ فإن أكثر الصواب في خلاف الهوى. الأدب الكبير (١١٩).

---

(١) أي: فاجأك.

* وعن **إبراهيم بن داود القصار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٦) أنه قال: أضعف الخلق من ضعف عن رد شهوته، وأقوى الخلق من قوي على ردها. المنتظم ٣٧٤/ ١٣.

هـ- ذم المراء والجدال بوجه عام[1]:

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): المراء لا تعقل حكمته ولا تؤمن فتنته. ابن أبي الدنيا ٧/ ٩٤.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): كفى بك إثما أن لا تزال مماريا. مسند الدارمي (٢٦٠).

* وقال **الأوزاعيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧): إذا أراد الله بقوم شرًّا فتح عليهم الجَدَلَ ومنعهم العَمَلَ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٣.

* وما أنبلَ قولَ **أبي يوسف القاضي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٢): العلمُ بالخصومة والكلام جهلٌ، والجهلُ بالخصومةِ والكلامِ عِلْمٌ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٨٩.

* وعن **ابن أبي ليلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) قال: لا تمارِ أخاك؛ فإنه لا يأتي بخير، وقال: لا أُماري أخي، إما أن أُغْضبه وإما أَكْذبه. الزهد لهناد (١١٥٧).

* وعن **وهب بن مُنبِّه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): دعِ المراء والجَدلَ، فإنَّه لن يعجز أحد رجُلين: رجلٌ هو أعلم منك، فكيف تعادي وتُجادل مَن هو أعلمُ منك؟ ورجلٌ أنت أعلمُ منه، فكيف تعادي وتُجادِل من أنت أعلمُ منه ولا يُطيعُك؟. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٤.

* وعن **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) أنه كان يقول: إياكم والمراء، فإنها

---

(١) منهج الصحابة والسلف الصالح: عرض الرأي والحجة مُختصرةً، دُون إلزام الطرف الآخر بالإذعان والقبول، وبأسلوبٍ في غاية الأدب في عرض الرأي، والاستماع للطرف الآخر.
هذا إذا كان الْمُخالف من أهل السنة والاجتهاد، أما من عداهم فالأمر يختلف.

ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته.[١] الشريعة: ٦٥.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): إذا رأيت الرجل لجوجًا مماريًا معجبًا برأيه، فقد تمت خسارته.[٢] تهذيب الحِلْية ١٩١/ ٢.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): إذا سمعت المراء فأقصر. ابن أبي الدنيا ٧/ ٩٥.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل. مسند الدارمي (٣١٢).

* وقال بعض السلف: والله ما رأيت من شيء أذهب لدينٍ، ولا أنقص لمروءةٍ، ولا أضيع للذَّةٍ، ولا أشغل لقلبٍ من خصومة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٢٥.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): المؤمن لا يداري ولا يماري، ينشر حكمة الله عَزَّوَجَلَّ، فإن قُبلت حمد الله عَزَّوَجَلَّ وإن رُدت حمد الله عَزَّوَجَلَّ وعلا.[٣] الشريعة: ٧٩.

* وقال **سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ** (ت: ١٩٨): مَا رَأَيْتُ فَقِيهًا قَطُّ يُدَارِي وَلَا يُمَارِي،

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاجتهادُ السائغ لا يبلغ مبلْغ الفتنة والفرقة، إلا مع البغي، لا لمجرد الاجتهاد.
كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران:١٩] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].
فلا يكون فتنة وفرقة مع وجود الاجتهاد السائغ، بل مع نوع بغي. الاستقامة: ٥٢.
وقال أيضا: وكل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين -سواء كان قولا أو فعلا-. الاستقامة: ٥٦.

(٢) وكذا قال: القاسم بن مخيمرة. تهذيب الحِلْية ٢٦٩/ ٢.

(٣) قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم -رحمك الله- أَنَّهُ ما كانت زندقة قط، ولا كفر، ولا شرك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين: إلاَّ من الكلام، وأصحاب الكلام، والجدل، والمِراء، والخصومة. شرح السنة / ٨٦.

يَنْشُرُ حِكْمَةَ اللهِ، فَإِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ اللهَ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ اللهَ. شعب الإيمان: (١٦٥٦).

* وقَالَ **البربهاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٩): المجالسة للمناظرة تُغلق باب الفائدة. طبقات الحنابلة (٣/ ٧٦).

و- ذم المراء والجدال في الدين:

* عن سليمان بن يسار قال: إن رجلًا من بني تميم يقال له: صُبيغ بن عِسْل، قدم المدينة، وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فبعث إليه، وقد أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه جلس، فقال له عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وأنا عبد الله عمر، ثم أهوى إليه، فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي. الشريعة: ٨١.

* **وسُئِلَ ابْنُ عُمَرَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣) عَنِ اسْتِلَامِ الحَجَرِ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ» قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ زُحِمْتُ، أَرَأَيْتَ إِنْ غُلِبْتُ، قَالَ: «اجْعَلْ أَرَأَيْتَ بِاليَمَنِ[1]، رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ».[2]. صحيح البخاري: (١٦١١).

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يُعمونَ بها عباد الله. الإبانة الكبرى: (٣٠٤).

---

(١) أي: اترك هذا التعذر واتبع السنة.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومراد ابن عمر أنه لا يكن لك هم إلا في الاقتداء بالنبيّ ﷺ، ولا حاجة إلى فرض العجز عن ذلك أو تعسره قبل وقوعه، فإنه قد يفتر العزم عن التصميم على المتابعة، فإن التفقه في الدين، والسؤال عن العلم إنما يحمد إذا كان للعمل لا للمراء والجدال. جامع العلوم والحكم / ١٢١

* وَقَالَ **جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): «إِيَّاكُمْ وَالْخُصُومَةَ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهَا تَشْغَلُ أو تُفْسِدُ الْقَلْبَ، وَتُورِثُ النِّفَاقَ». الإبانة الكبرى: (٦٣٥).

* وقال **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧): إنّ الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط[1]، فلقد رأيتهم أقلّ الناس علمًا. جامع العلوم والحكم / ١٢٣.

* وانصرف **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) يومًا من المسجد، وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يُتَّهم بالإرجاء، فقال: يا عبد الله، اسمع مني شيئًا، أكلمك به، وأحاجك، وأخبرك برأيي، قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك اتبعني، قال: فإن جاء رجل آخر، فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه، فقال مالك : يا عبد الله: بَعث الله عَزَّ وَجَلَّ محمدًا ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين، **قال عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقُّل. الشريعة: ٦٦.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الجِدال في الدِّين يُنشئ المِراءَ، ويذهبُ بنورِ العلم مِن القلب ويقسِّي، ويُورث الضِّغن. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٥.

* وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَعِيبُ الْجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَيَقُولُ: كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلَ مِنْ رَجُلٍ أَرَادَنَا أَنْ نَرُدَّ مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ الإبانة الكبرى: (٥٨٢).

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرجل له علمٌ بالسُّنة يجادل عنها؟.

قال: لا، ولكن يُخبر بالسنة، فإن قُبل منه، وإلا سَكَت.[2] ترتيب المدارك (١/ ١٦٢).

---

(١) قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي شداد المسائل. وقال عيسى بن يونس: هي ما لا يحتاج إليه من كيف وكيف. جامع العلوم والحكم / ١٢٣.

(٢) مِن الحكمة ألا تُجادل صاحب الباطل، بل اذكر الحق بدليله، فإنْ جادلك فاسْكت؛ لأنّ غرضَه الإثارةُ والثّرثرةُ وتضييعُ الوقت، إلا في حالاتٍ محدودة يقتضيها المقام.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): المِراءُ في الدين يُقَسِّي القلبَ، ويُورِثُ الضغائن. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٤٦.

* وقيل **للحكم بْن عُتَيْبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٣): ما اضطر الناس إلى الأهواء؟

قال: الخصومات. الشريعة: ٦٦.

* وقيل للإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): يا أبا عبدالله، أكون فِي المجلس ليس فيه مَن يعرف السُّنّة غيري، فيتكلم مُبتدع فيه، أردّ عليه؟.

فقال: لا تَنْصِب نفسك لهذا، أخبره بالسنة ولا تُخاصم. طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٦).

ي- التحذير من مجادلة أهل البدع والأهواء(١):

* قال **أبو قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يُلَبِّسُوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّسَ عليهم. الشريعة: ٦٥-٦٦ واللفظ له، مسند الدارمي (٤٠٥).

---

(١) قال أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي (ت: ٥٣٥): قَالَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ: مَا وَجَدْنَا أَحَدًا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي مَاضِي الأَزْمَانِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا رَجَعَ إِلَى قَوْلِ خَصْمِهِ، وَلا انْتَقَلَ عَنْ مَذْهَبِهِ إِلَى مَذْهَبِ مُنَاظِرِهِ، فَدَلَّ أَنَّهُمُ اشْتَغَلُوا بِمَا تَرْكُهُ خَيْرٌ مِنَ الاشْتِغَالِ بِهِ، وَقَدْ ذَمَّ السَّلَفُ الْجِدَالَ فِي الدِّينِ وَرَوَوْا فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ وَهُمْ لَا يَذُمُّونَ مَا هُوَ الصَّوَاب. ا.هـ [الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: ١/ ١١١.

ومُجادلتهم قد تقذف الشبهة على من جادلهم، فتكون سببًا لضلاله وهلاكه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنْ أُشرب القلبُ شُبُهَات الْبَاطِل تَفَجَّرَتْ على لِسَانه الشكوك والشبهات، فيظن الْجَاهِل أَنّ ذَلِكَ لسعة علمه، وَإِنَّمَا ذَلِك من عدم علمه ويقينه، وَقَالَ لي شيخ الإسلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -وَقد جعلت أُورد عَلَيْهِ إيرادًا بعد إِيرَاد-: لا تجعل قَلْبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها، فَلَا ينضح إلا بهَا، وَلَكِن اجْعَلْهُ كالزجاجة المصمتة، تمر الشُّبُهَات بظاهرها وَلَا تَسْتَقِر فِيهَا، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وَإِلَّا فإذا أشربت قَلْبك كل شُبْهَة تمر عَلَيْهَا صَار مقرًّا للشبهات، اَوْ كَمَا قَالَ، فَمَا أعْلَم أني انتفعت بِوَصِيَّة فِي دفع الشُّبُهَات كانتفاعي بذلك. مفتاح دار السعادة: ١/ ١٤٠.

* وجاء رجل إلى **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) فقال: يا أبا سعيد، تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت أضللت دينك فالتمسه. الشريعة: ٦٦.

* وعن **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) أنه قال: لستَ براد عليهم أشد من السكوت. الشريعة: ٦٩-٧٠.

* وقال له رجل من أصحاب الأهواء: يا أبا بكر: أسألك عن كلمة، فولَّى وهو يشير بإصبعه: ولا نصف كلمة. مسند الدارمي (٤١٢).

* وَعَنْ مَعْمَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣)، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ **ابْنِ طَاوُوسٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢)، وَعِنْدَهُ ابْنٌ لَهُ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: صَالِحٌ، يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ، فَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ **ابْنُ طَاوُوسٍ** إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، وَقَالَ لِابْنِهِ: «أَدْخِلْ أَصَابِعَكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ، فَلاَ تَسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ». مصنف عبد الرزاق: (٢١٠١٦).

* وَدَخَلَ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ عَلَى **مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، فَقَالَا: يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَا: فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: «لَا، لِتَقُومَانِ عَنِّي أَوْ لَأَقُومَنَّ»، قَالَ: فَخَرَجَا، فَقَالَ: بَعْضُ الْقَوْمِ، يَا أَبَا بَكْرٍ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْرَآ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْرَآ عَلَيَّ آيَةً فَيُحَرِّفَانِهَا، فَيَقِرُّ ذَلِكَ فِي قَلْبِي». مسند الدارمي (٤١١).

* وقال **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وماراه[1] رجل في شيء-: إني قد أعلم ما تريد، وأعلم بالمماراة منك، ولكني لا أماريك. الشريعة: ٧٠.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): التقرب من أهل الباطل هلكة. ترتيب المدارك (١/ ١٨١).

---

(١) أي: جادله.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس الجدال في الدين بشيء.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب العبد.

وقال: إنه يقسي القلب ويورث الضغن.

قال الزهري: رأيت مالكًا وقومًا يتجادلون عنده فقام ونفض رداءه وقال: إنما أنتم حرب. ترتيب المدارك (١/ ١٦١-١٦٢).

* ويقول إذا جاءه بعض أهل الأهواء: أما أنا فعلى بينةٍ من ربي، وأما أنت فشاكّ، فاذهب إلى مثلك فخاصمه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨].[1] ترتيب المدارك (١/ ١٦٣).

---

(١) قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن ذكر جملة من الآثار التي تنهى عن مناظرة أهل البدع والأهواء-:
فإن قال قائل: وإن كان رجل قد علمه الله عَزَّوَجَلَّ علمًا، فجاءه رجل يسأله عن مسألة في الدين: ينازعه ويخاصمه، ترى له أن يناظره حتى تثبت عليه الحجة، ويرد على قوله؟
قيل له: هذا الذي نهينا عنه، وهو الذي حذرناه من تقدم من أئمة المسلمين.
فإن قال قائل: فماذا نصنع؟.
قيل له: إن كان الذي يسألك مسألته، مسألة مسترشد إلى طريق الحق لا مناظرة، فأرشده بأرشد ما يكون من البيان بالعلم من الكتاب والسنة، وقول الصحابة، وقول أئمة المسلمين. وإن كان يريد مناظرتك ومجادلتك، فهذا الذي كره لك العلماء، فلا تناظره، واحذره على دينك، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين إن كنت لهم متبعًا.
فإن قال: ندعهم يتكلمون بالباطل، ونسكت عنهم؟
قيل له: سكوتك عنهم وهجرتك لِما تكلموا به أشد عليهم من مناظرتك لهم، كذا قال من تقدم من السلف الصالح من علماء المسلمين..
فإن قال قائل: فإن اضطر في الأمر وقتًا من الأوقات إلى مناظرتهم، وإثبات الحجة عليهم ألا يناظرهم؟
قيل: الاضطرار إنما يكون مع إمام له مذهب سوء، فيمتحن الناس، ويدعوهم إلى مذهبه، كفعل من مضى في وقت أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس، ودعوهم إلى مذهبهم السوء، فلم يجد العلماء بدًّا من الذب عن الدين، وأرادوا بذلك معرفة العامة الحق من الباطل، فناظروهم ضرورة لا اختيارًا، فأثبت الله عَزَّوَجَلَّ الحق مع أحمد بن حنبل، ومن كان على=

ز- من طرائق معاملة أهل البدع:

قال الإمام أَحْمَد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): حَدَّثَنَا أبو معاوية -يعني الضرير- رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قيل له: يا أبا عبدالله، تُحدِّثُ عَنْ أبي معاوية وهو مُرجِئ؟.

قَالَ: لم يكن داعية.[1] طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٢).

=طريقته، وأذل الله العظيم المعتزلة وفضحهم، وعرفت العامة أن الحق ما كان عليه أحمد بن حنبل ومن تابعه إلى يوم القيامة. الشريعة: ٦٩-٧١.

وقال الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويبغضون -أي أهل الحديث- أهلَ البدع، الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم، التي إذا مرّت بالآذان، وقرّت في القلوب ضرّت، وجرّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل الله عَزَّوَجَلَّ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]. عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٢٩٨-٢٩٩.

(١) فرّق أهل العلم بين المبتدع الداعي إلى بدعته، وبين الذي لا يدعو إليها، فالأول لا يَروون عنه، بل يُحذِّرون منه؛ خوفًا من تأثر الناس ببدعته التي يدعو إليه، بخلاف الثاني، وهذا مشروط ألا تكون بدعته مكفّرة، كبدعة الرافضة والجهمية وغلاة القدرية.

حال السلف مع ولاة الأمور

أ- طاعتهم، والحث على لزوم الجماعة[1]:

* عن أبي قتادة قال: دخلت على **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) وهو محصور أنا ورجل من قومي، نستأذنه في الحج، فأذن لنا، فلما خرجت استقبلني الحسن بن علي بالباب، فدخل وعليه سلاحه، فرجعت معه فدخل، فوقف بين يدي عثمان، وقال: يا أمير المؤمنين ها أنا ذا بين يديك فمرني بأمرك، فقال له عثمان: يا ابن

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَى جَوْرِ الْأَئِمَّةِ، وَنَهَى عَنْ قِتَالِهِمْ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ.
وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لُزُومُ الْجَمَاعَةِ وَتَرْكُ قِتَالِ الْأَئِمَّةِ وَتَرْكُ الْقِتَالِ فِي الْفِتْنَةِ. [مجموع الفتاوى: ٢٨/ ١٢٨].
وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مِن الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ: الصَّبْرُ عَلَى ظُلْمِ الْأَئِمَّةِ وَجَوْرِهِمْ، كَمَا هُوَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَكَمَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُ لَمَّا قَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**»، وَقَالَ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ**»، إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ.
وَنَهَوْا عَنْ قِتَالِهِمْ مَا صَلَّوْا؛ وَذَلِكَ:
١- لِأَنَّ مَعَهُمْ أَصْلَ الدِّينِ الْمَقْصُودِ وَهُوَ تَوْحِيدُ اللهِ وَعِبَادَتُهُ.
٢- وَمَعَهُمْ حَسَنَاتٌ وَتَرْكُ سَيِّئَاتٍ كَثِيرَةٍ.
وَأَمَّا مَا يَقَعُ مِنْ ظُلْمِهِمْ وَجَوْرِهِمْ بِتَأْوِيلٍ سَائِغٍ أَوْ غَيْرِ سَائِغٍ: فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُزَالَ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ ظُلْمٍ وَجَوْرٍ كَمَا هُوَ عَادَةُ أَكْثَرِ النُّفُوسِ تُزِيلُ الشَّرَّ بِمَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، وَتُزِيلُ الْعُدْوَانَ بِمَا هُوَ أَعْدَى مِنْهُ.
فَالْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ يُوجِبُ مِن الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ أَكْثَرَ مِنْ ظُلْمِهِمْ، فَيُصْبَرُ عَلَيْهِ كَمَا يُصْبَرُ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى ظُلْمِ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان:١٧]. مجموع الفتاوى: ٢٨/ ١٧٩-١٨٠.

أخي وصَلَتْك رحم، إن القوم ما يريدون غيري ووالله لا أتوقى بالمؤمنين، ولكن أوقِّي المؤمنين بنفسي، فلما سمعت ذلك منه قلت له: يا أمير المؤمنين إن كان من أمرك كون فما تأمر؟ قال: انظروا ما أجمعت عليه أمة محمد، فإن الله لا يجمعهم على ضلالة، كونوا مع الجماعة حيث كانت. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣١٥.

* وكتبَ رجل إلى **ابن عُمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) أن اكتُبْ إليَّ بالعلم كله. فكتب إليه: إنَّ العلم كثير، ولكن إن استطعتَ أن تَلْقَى الله خفيفَ الظهر من دماءِ الناسِ، خَمِيصَ البطنِ من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم، لازمًا لأمْرِ جَمَاعتهم فافعل. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٧٠.

* وعن عبد الله بن القاسم قال: جلست إلى **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) فقال: إنه قد نهي عن مجالستي!.

قلت: إني رجل غريب.

قال: إنما أحببت أن أُعلمك. تهذيب الحِلْية ٣٤٨/ ١.

* وقال السجَّان **لابن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): إذا كان اللَّيل فاذهب إلى أهلك، فإذا أصبحت فتعالَ قال: لا واللهِ، لا أكونُ لَكَ عونًا على خيانةِ السُّلطان. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٦٩.

* وقَالَ **أَبُو زرعة الرازي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦٤): الجُمعة والجهاد عندنا مع البر والفاجر ممن يتولى ذلك من الولاة. طبقات الحنابلة (٢/ ٦٠).

* وللشيخ **إبراهيم بن حمد بن جاسر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٣٤) مواقف سياسية ثابتة ربطها بالدين، فإنّ الإمام عبدالعزيز بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ لمَّا استولى على بريدة، ولم يستول على القصر الذي فيه حامية ابن رشيد رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم استمرت المعارك بين الإمام عبدالعزيز والأمير عبدالعزيز بن رشيد على القصيم، بقي محافظا على

بيعته لابن رشيد في القصر، فلما قُتل صاحب البيعة الأولى دخل تحت بيعة الإمام عبدالعزيز بن سعود، فلما نقض أهل بريدة بيعة الإمام عبدالعزيز بن سعود بتدبير من محمد بن عبدالله بن مهنا بقي الشيخ محافظًا على بيعته للإمام عبدالعزيز ابن سعود، ولم يدخل فيما دخلوا فيه من نقض البيعة، مما يدل على أن مواقفه مبنية على قواعد ثابتة، لا على أهواء سياسية ولا أطماع مادية.[١] علماء نجد (١/ ٢٦٤).

ب- مداراتهم، والرفقُ واللينُ في التعامل معهم:

* **قِيلَ لِأُسَامَةَ بن زيدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟ وَاللهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا[٢] أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُهُ.[٣].

وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ لِرَجُلٍ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى رَجُلَيْنِ: أَنْتَ خَيْرٌ، بَعْدَ

(١) كم عصفت الأهواء السياسية، والأطماع المادية برجال لهم عقل وعلم، فجعلتهم يدورون حول هذه الأهواء والأطماع أينما دارت، فكثر تقلبهم وتغيرهم، نسأل الله تعالى الثبات.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ كَلَّمْته فِيمَا أَشَرْتُمْ إِلَيْهِ، لَكِنْ عَلَى سَبِيل الْمَصْلَحَة وَالْأَدَب فِي السِّرّ، بِغَيْرِ أَنْ يَكُون فِي كَلَامِي مَا يُثِير فِتْنَة أَوْ نَحْوهَا.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: يَعْنِي لَا أُكَلِّمهُ إِلَّا مَعَ مُرَاعَاة الْمَصْلَحَة بِكَلَام لَا يَهِيج بِهِ فِتْنَة. وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ أُسَامَة كَانَ يَخْشَى عَلَى مَنْ وُلِّيَ وِلَايَة وَلَوْ صَغُرَتْ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْمُر الرَّعِيَّة بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنْكَر، ثُمَّ لَا يَأْمَن مِنْ أَنْ يَقَع مِنْهُ تَقْصِير، فَكَانَ أُسَامَة يَرَى أَنَّهُ لَا يَتَأَمَّر عَلَى أَحَد، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «لَا أَقُول لِلْأَمِيرِ إِنَّهُ خَيْر النَّاس» أَيْ بَلْ غَايَته أَنْ يَنْجُو كَفَافًا.
وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ: مُرَاد أُسَامَة أَنَّهُ لَا يَفْتَح بَاب الْمُجَاهَرَة بِالنَّكِير عَلَى الْإِمَام لِمَا يَخْشَى مِنْ عَاقِبَة ذَلِكَ، بَلْ يَتَلَطَّف بِهِ وَيَنْصَحهُ سِرًّا فَذَلِكَ أَجْدَر بِالْقَبُولِ. وَقَوْله « لَا أَقُول لِأَحَدٍ يَكُون عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْر النَّاس « فِيهِ ذَمّ مُدَاهَنَة الْأُمَرَاء فِي الْحَقّ وَإِظْهَار مَا يُبْطِن خِلَافه كَالْمُتَمَلِّقِ بِالْبَاطِلِ، فَأَشَارَ أُسَامَة إِلَى الْمُدَارَاة الْمَحْمُودَة وَالْمُدَاهَنَة الْمَذْمُومَة، وَضَابِط الْمُدَارَاة أَنْ لَا يَكُون فِيهَا قَدْح فِي الدِّين، وَالْمُدَاهَنَة الْمَذْمُومَة أَنْ يَكُون فِيهَا تَزْيِين الْقَبِيح وَتَصْوِيب الْبَاطِل وَنَحْو ذَلِكَ. فتح الباري ١٣/ ٦٥-٦٧.

مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الحِمَارِ بِرَحَاهُ[1]، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ[2] فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ». صحيح البخاري (٣٢٦٧)، صحيح مسلم (٢٩٨٩).

* وعن **ابن عُمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: دخلتُ على حفصةَ فقلتُ: قد كانَ من الناس ما تَرين، ولم يُجعل لي من الأمر شيءٌ، قالت: فالحق بهم فإنهم ينتظرونك، وإني أخشى أن يكون في احتباسك عنهم فُرقةٌ، فلم يَرعه حتى ذهب.

فلما تفرَّق الناس، خطب معاويةُ، فقال: من كان يُريد أن يتكلَّم في هذا الأمر، فليُطلعْ إليَّ قرنه، فنحنُ أحقُّ بذلك منه ومن أبيه[3].

قال حبيبُ بنُ مسلمة: فهلاَّ أجبته فِداكَ أبي وأمي؟ فقال ابنُ عمر: حلَلْتُ حبوتي، فهممتُ أن أقول: أحقُّ بذلك منك من قاتَلكَ وأباكَ على الإسلام فخشيتُ أن أقولَ كلمة تُفرِّق الجمع، ويُسفَكُ فيها الدَّمُ، فذكرتُ ما أعدَّ الله في الجنان.[4] صحيح البخاري: (٣٨٨٢).

* وأسر **مصعب بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) رجلًا فأمر بضرب عنقه، فقال: أصلح الله الأمير، ما أقبح بمثلي أن يقوم يوم القيامة فأتعلق بأطرافك الحسنة، وبوجهك الذي يستضاء به، فأقول: يا رب سل مصعبًا فيم قتلني؟ فقال: يا غلام،

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: تَقَدَّمَ فِي رِوَايَة سُفْيَان وَأَبِي مُعَاوِيَة: «فَتَنْدَلِق أَقْتَابه فَيَدُور كَمَا يَدُور الْحِمَار» وَالْأَقْتَاب جَمْع قِتْب بِكَسْرِ الْقَاف هِيَ الْأَمْعَاء، وَانْدِلَاقهَا خُرُوجهَا بِسُرْعَةٍ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ يَجْتَمِعُونَ حَوْلَهُ، يُقَال أَطَافَ بِهِ الْقَوْم إِذَا حَلَّقُوا حَوْلَهُ حَلْقَة وَإِنْ لَمْ يَدُورُوا، وَطَافُوا إِذَا دَارُوا حَوْلَهُ.

(٣) في مصنف عبد الرزاق: يُعرِّضُ بابنِ عُمر.

(٤) فيه أنّ تذكُّر ما أعدّ الله للمؤمن في الجنة يُعينه على التغلّب على الهوى وحظوظ النفس ونزغات الشيطان.

أعف عنه، فقال: أصلح الله الأمير، إن رأيت أن تجعل ما وهبت لي من حياتي في عيشٍ رخي، قال: يا غلام، أعطه مائة ألف، فقال: أيها الأمير، فإني أشهد الله وأشهدك أني قد جعلت لا بن قيس منها خمسين ألفًا، فقال له: ولِمَ؟ قال: لقوله فيك:

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللـ ـه تجلَّتْ عن وجهه الظلماء

المنتظم ١١٥-١١٦/٦.

* وعن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومائة، فقدم المدينة وقال: ابعثْ إلى **جعفر بن محمد** (ت: ١٤٨) من يأتينا به تعِبًا، قتلني الله إن لم أقتله، فتغافل عنه الربيع لينساه، ثم أعاد ذكره للربيع وقال: أرسل إليه من يأتي به متعبًا، فتشاغل عنه، ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة في جعفر، وأمره أن يبعث إليه ففعل. فلما أتاه قال له: يا أبا عبد الله اذكر الله، فإنه قد أرسل إليك التي لا سِوى لها قال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم أعلَم أبا جعفر حضورَه، فلما دخل أوعده وقال: أيْ عدوّ الله اتخذك أهل العراق إمامًا يجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل؟ قتلني الله إن لم أقتلك. فقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أُعطي فشكر، وإن أيوب ابتُلي فصبر، وإن يوسف ظُلم فغفر، وأنت من ذلك السِّنْخ[1]، فقال له أبو جعفر: إليّ وعندي، أبا عبد الله، البريء الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من ذي رحمٍ أفضلَ ما جَزى ذوي الأرحام عن أرحامهم.

ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه، ثم قال: عليَّ بالمِنجفَة، فأُتيَ بدُهن فيه غالية، فغلفه بيده حتى خِلتُ لحيته قاطرة، ثم قال: في حفظ الله وفي كلاءته. ثم قال: يا ربيع ألحِق أبا عبد الله جائزتَه وكسوتَه، انصرفْ أبا عبد الله في حفظ الله وفي

(١) أي: الأصل.

كنفه، فانصرف ولحقتُه، فقلت له: إني قد رأيت قبل ذلك ما لم تره، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت؟ قال: قلت: اللهم احْرُسْني بعينك التي لا تنام، واكنُفني بركْنِك الذي لا يُرام، واغفر لي بقُدْرَتك عليّ لا أهلك وأنت رجائي. اللهم إنك أكبر وأجلّ ممن أخاف وأَحذر، اللهم بك أدفع في نحره، وأستعيذ بك من شرّه.[1] صفة الصفوة ٢/ ٤٩٨.

* وعن **إبراهيم بن أبي عبلة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٢) أنه قال: بعث إليّ هشام بن عبد الملك، فقال: يا إبراهيم، إنا قد عرفناك صغيرًا وخبرناك كبيرًا، ورضينا بسيرتك وحالك، وقد رأيت أن أخلطك بنفسي وبخاصتي، وأشركك في عملي، وقد وليتك خراج مصر، فقال: أما الذي عليه رأيك يا أمير المؤمنين فالله يجزيك ويثيبك وكفى به جازيًا ومثيبًا، وأما الذي أنا عليه فمالي بالخراج تصرف، ومالي عليه قوة، فغضب حتى اختلج وجهه، ثم قال: لَيلِيَنَّ طائعًا أو لَيلِينَّ كارهًا، فأمسكت عن الكلام حتى رأيت غضبه قد انكسر وثورته قد طفئت، فقلت: يا أمير المؤمنين، أأتكلم؟ فقال: نعم، فقلت: إن الله سبحانه قال في كتابه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢]، والله يا أمير المؤمنين ما غضب عليهن إذ أَبَيْنَ، ولا أَكْرههن إذْ كَرِهن، وما أنا بحقيق أن تغضب عليّ إذ أبيت ولا تكرهني إذ كرهت، فضحك وقال: يا إبراهيم، أبيت إلا رفقًا فقد أعفيناك ورضينا عنك. المنتظم ٨/ ١٥٦.

* وقَالَ أَبُو علي بن أَبِي موسى الهاشمي: حَكى لي دُجَي مولى الطائع لله[2] قَالَ: أَمَرني الطائع أن أُوجِّه إلى **ابْن سمعون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧) فأُحضره إلى

(١) توكُّلُ المسلم على ربّه، وثقتُه بفرجِه، ودعاؤه ورجاؤه: مِن أعظم أسباب النجاة مِن البلاء، والنّصرِ على الأعداء.

(٢) هو الخليفة العباسي عبدالكريم بن الفضل (ت: ٣٩٣).

دار الخِلافة، ورأيتُ الطائع عَلَى صفةٍ من الغضب، وَكَانَ يُتقَّى فِي تلك الحال؛ لأنه كَانَ ذا حِدَّة، فبَعثتُ إلى ابْن سمعون وأنا مشغول القلب لأجله، فلما حَضَرَ أعلمتُ الطائع حضوره، فجلس مجلِسه، وأذِنَ لَهُ فِي الدخول، فدخل وسلَّم عَلَيْهِ بالخلافة، ثُمَّ أخذَ فِي وعظه، فأول ما بدأ به أن قَالَ: رُوِيَ عن أمير المؤمنين علي بن أَبِي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذَكَر عَنْهُ خبرًا، ولم يزل يجري فِي ميدان الوعظ حتى بكى الطائع لله، وسُمِع شَهيقه، وابتَلَّ منديلٌ بين يديه بدموعه، فأمسَكَ ابْن سمعون حينئذ، وانصرف، وعُدتُ إلى حضرة الطائع فقلت: يا مولاي رأيتك عَلَى صفةٍ مِن شِدَّة الغضب عَلَى ابْن سمعون، ثُمَّ انتقلت إلى تلك الصفة عند حضوره، فما السبب؟ فَقَالَ: رُفع إِليَّ عنه أنه ينتقص علي بن أَبِي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأحببتُ أن أتيقَّنَ ذَلِكَ لأقابله عَلَيْهِ إن صح ذَلِكَ عَنْهُ، فلما حضر بين يدي افتتح كلامه بذكر علي بن أَبِي طالب، وأعاد وأبدى فِي ذَلِكَ، وقد كَانَ لَهُ مَندوحَةٌ فِي الرواية عن غيره، وتركِ الابتداء به، فعلمتُ أنه وُفّق لما تَزُول به عَنْهُ الظِّنَّة، وتبرأ ساحته.(١) طبقات الحنابلة (٣/ ٢٨١-٢٨٢).

* وقَالَ شكر العضدي: لما دَخَل عضد الدولة(٢) إلى بغداد، وقد هَلَكَ

(١) هذا هو شأن أهل العلم، يصدَعون بالحق برفقٍ ولين أمام الحكام وغيرهم، وسرعان ما يأتيهم الفرج من كل كيد وشر.

وفي القصة علامة على ذكاء العالم ابن سمعون وحسن تصرفه واختيار ألفاظه.

(٢) قال الذهبي: السلطان عضد الدولة، أبو شجاع، فناخسرو، صاحب العراق وفارس، ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي، تملَّك بفارس بعد عمِّه عماد الدولة، ثم كثرت بلاده، واتسَعَت ممالكه، وسار إليه المتنبي ومَدَحه، وأخذ صلاته.

قصد عضد الدولة العراق، والتقى ابن عمه عز الدولة وقتله، وتملَّك، ودانت له الأمم.

وكان بطلا شجاعًا مهيبًا، نحويًا أديبًا عالمًا، جبارًا عسوفًا، شديد الوطأة.

وكان شيعيًا جلدًا، أظهر بالنجف قبرًا زعم أنه قبر الإمام علي، وبنى عليه المشهد، وأقام شعار الرفض، ومأتم عاشوراء، والاعتزال. =

أهلها قتلًا ونهبًا وحرقًا وخوفًا للفتن الَّتِي اتصلت بين السُّنة والشيعة، فَقَالَ: الآفة القصاص، فنادى فِي البلد أن لا يقص أحد فِي جامع ولا طريق، فرُفع إِلَيْهِ أن **أبا الحسين بن سمعون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧) جلس عَلَى كرسيه فِي يوم الجمعة بجامع المنصور وتكلَّم عَلَى الناس، فأمرني بأن أنفذ إِلَيْهِ مَن يحصله عندي ففعلت، فدَخَل عليَّ رجلٌ لَهُ هيبة وعلى وجهِهِ نور، فلم أملك أن قمت إِلَيْهِ وأجلسته إلى جانبي، فلم يُنكر ذَلِكَ، وجلس غير مكترث، وأشفقتُ وَاللهِ أن يجري عَلَيْهِ مكروهٌ عَلَى يدي، فقلت: أيها الشيخ، إنَّ هَذَا الملِكَ جبار عظيم، وما كنتُ أُوثر لك مخالفةَ أمره، والآن فأنا مُوْصِلك إِلَيْهِ، وكما تقعُ عينك عَلَيْهِ فقبِّل التراب وتلطف فِي الجواب إِذَا سألك، واستعن بالله، فعساه أن يخلصك مِنْهُ، فَقَالَ: الخلقُ والأمرُ لله عَزَّوَجَلَّ، فمضيتُ به إلى حُجرةٍ فِي آخر الدار قد جَلَس الملِك فِيهَا مُنفرِدًا؛ خيفة أن يجري مِن أَبِي الحسين بادرة بكلام فِيهِ غلظ فتسير به الركبان، فلما دنوتُ من باب الحجرة وقَّفْته وقلت لَهُ: إيَّاك أن تَبرحَ مِن مكانك حتى أعود فأُدخِلك، وَإِذَا سلَّمتَ فليكن بخشوعٍ وخضوعٍ، فدخلتُ لأستأذن له، فالتفتُّ فَإِذَا هُوَ واقفٌ إلى جانبي، قد حوَّل وجهه نحو دار بختيار[1]، وقرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ

= تملَّك العراق خمسة أعوام ونِصفًا، وما تَلَقَّى خليفةٌ ملكًا من قدومه قبله.

مات في شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائة ببغداد، وعمل في تابوت، ونقل فدفن بمشهد النجف، وعاش ثمانيًا وأربعين سنة، وقام بعده ابنه صمصام الدولة، وقلده الطائع.

قال الذهبي: لقد جرى على الإسلام في المائة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشرق، وبالأعراب القرامطة، فالأمر لله تعالى. [السِّيَر (١٢/ ٢٨٧- ٢٨٩)

(١) هو الملك أبو منصور بختيار، صاحب العراق، ابن الملك معز الدولة أحمد بن بويه بن فناخسرو الديلمي. تسلطن بعد أبيه، وقد خرج عليه ابن عمه عضد الدولة، وجرت بينهما حروب، التقى هو وعضد الدولة في شوال سنة سبع وستين وثلاث مائة، فقُتل في المصاف. وضاع أمر الإسلام بدولة بني بويه، وبني عبيد الرافضة، وتركوا الجهاد، وهاجت نصارى الروم، وأخذوا المدائن، وقَتَلُوا وسَبُوا. السِّيَر (١٢/ ٢٧٧).

وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ [هود:١٠٢]، ثُمَّ حوَّلَ وَجهه نحو الملِكِ وقرأ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ [يونس:١٤]، وأَخَذَ فِي وَعظه، فأتى بالعَجَب، فدمعت عين الملك، وما رأيتُ ذَلِكَ مِنْهُ قط، وترك كمّه عَلَى وجهه، فتراجع أَبُو الحسين، فخرج ومضى إلى حُجرتي، فَقَالَ الملك: امض إلى بيت المال وخذ ثلاثة آلاف درهم، وإلى خزانة الكسوة وخُذ منها عَشرةَ أثواب، وادفع الجميع إِلَيْهِ، فإن امتنع فقل فرِّقها فِي فُقراء أصحابك، فإن قبلَها فجِئني برأسه، فاشتد جَزَعي، وخشيتُ أن يكون هَلاكه على يدي، ففعلتُ وجِئتُه بما أَمَر، وقلت لَهُ: قَالَ لك: استعن بهذه الدراهم فِي نفقتك، والبس هَذِهِ الثياب، فأبى، فقلت: فرِّقها فِي أصحابك، فَقَالَ: أصحابه إلى هَذَا أفقر من أصحابي، فعدتُ فأخبرته فَقَالَ: الحمد لله الَّذِي سلمنا مِنْهُ وسلَّمه منَّا، أو كما قَالَ. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٨٣).

* وقال السلطان ملك شاه **لعلي بن الحسن الصندليّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨٤) في جامع نيسابور: لم لا تجيء إليّ؟.

فقال: أردت أن تكون من خير الملوك حيث تزور العلماء، ولا أكون من شرّ العلماء حيث أزور الملوك.[1] طبقات الحنفية (٢١٧).

* وكانت للمعتضد[2] له حظيّة[3] يحبها، ولها ابن أخت حجر عليه القاضي

---

(١) جواب لطيف، يدل على عالم حصيف.

(٢) الخليفة، أبو العباس أحمد بن الموفق بالله الهاشمي العباسي، ولد سنة اثنتين وأربعين ومائتين، واستُخلف بعد عمه المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين، وكان ملِكًا مهيبًا شجاعًا جبارا، شديد الوطأة، من رجال العالم، يُقْدم على الأسد وحده، وكان أسمر نحيفا معتدل الخلق، كامل العقل.

قال المسعودي: كان قليل الرحمة، إذا غضب على أمير حفر له حفيرة، وألقاه حيا، وطم عليه، وكان ذا سياسة عظيمة، ومات سنة سبع ثمانين ومائتين. [السِّير (١٠/ ٤٨٠).

(٣) المرأة الحظيّة: هي التي تُفضَّل على غيرها في المحبَّة.

إسماعيل بن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٠) بعد موت والده، فشكت أُمُّه ذلك إلى أختها، ورغبت سؤال المعتضد، ليأمر القاضي بفكه من الحجر، فلما جاء المعتضد إلى حظيته سألته في ذلك، فكتب رقعة بخطه إلى إسماعيل يأمره بفك الحجر عن الغلام، وختمها ووجَّهها مع وزيره إليه، فعَظُم ذلك على الوزير، وكتمانه عنه[1]، فلما وصل به إسماعيل فكه، وكتب على ظهره وختمه ورده مع الوزير، فكان ما فعله إسماعيل أشد على الوزير، فلما وصل به الخليفة وفتحه ونظر فيه بكى، وكان بعيد الدمعة[2]، ثم رمى به إلى الوزير، وقال: انظر بما كتب إلينا إسماعيل، فإذا هو قد كتب إليه: بسم الله الرحمين الرحيم: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ الآية [ص:٢٦]، وقال: قل لإسماعيل: يعمل ما يرى، فلا أعترض عليه. ترتيب المدارك (٢/ ٢٨٥).

ج- الصدع بالحق وعدم المداهنة في النصح لهم[3]:

* عن محمد بن سيرين قال: كنا عند **عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) في حلقته في المسجد، إذ مر بنا الحكم بن عمرو الغفاري وقد عقد له زياد بن أبي سفيان على خراسان، فقيل لعمران: هذا الحكم استعمل على خراسان، فقال: عليّ به. فلما جاء قال: يا حكم، أتذكر حديثًا سمعته أنا وأنت من رسول الله ﷺ قال: وما هو؟ قال: سمعناه يقول: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قال: نعم، قال: إذا شئت فقم.

---

(١) أي: شق عليه كتمان المعتضد هذه الرسالة عنه على غير العادة.

(٢) أي: قليل البكاء.

(٣) المداراة خُلُقٌ شريفٌ محمود، بخلاف المداهنة، والفرق بينهما: أنَّ المداراة تنازلٌ عن شيء مِن الدنيا لمصلحةِ الدِّين أو الدّنيا.

والمداهنة: تنازلٌ عن شيءٍ مِن الدِّين لمصلحة الدنيا.

قال: فأتى خراسان فأصاب بها غنائم كثيرة، فكتب إليه زياد: أما بعد، فإن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصطفي له البيضاء والصفراء، ولا أعلمن ما قسمت بين الناس ذهبًا ولا فضة. فلما جاءه الكتاب قال للناس: اغدوا على غنائمكم فخذوها، ثم كتب إلى زياد: جاءني كتاب الأمير يذكر أن أمير المؤمنين كتب إليه أن يصطفي بالصفراء فلا يعلمن ما قسمت بين الناس ذهبًا ولا فضة، وإني وجدت كتاب الله قد سبق كتاب أمير المؤمنين، ووالله الذي لا إله إلا هو لو أن السماوات والأرض كانتا رتقًا على عبد اتقى الله لجعل له من ذلك مخرجًا، والسلام. المنتظم ٢٢٩-٢٣٠/ ٥.

* وعن نافع الطاحي قال: مررت **بأبي ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) فقال لي: مِمَّن أنت؟ قلت: من أهل العراق، قال: أتعرف عبد الله بن عمَّار؟ قلت: نعم، قال: فإنه كان يقرأ معي ويلزمني، ثم طلب الإمارة، فإذا قدمت البصرة فتراء له، فإنه سيقول: لك حاجة؟ فقل: أخلني وقل له: أنا رسول أبي ذر إليك، وهو يقرئك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر، ونشرب من الماء، ونعيش كما تعيش، فلما قدمت تراءيت له، فقال: لك حاجة؟ قلت: أخلني أصلحك الله، ففعل، فقلت: أنا رسول أبي ذر إليك ـ فلما قلتها خشع قلبه ـ وهو يقرأ عليك السلام ويقول: إنا نأكل من التمر، ونروي من الماء، ونعيش كما تعيش قال: فحلّ إزاره ثم أدخل رأسه في جيبه ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء. المنتظم ٣١٣-٣١٤/ ٥.

* وعَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ[1] **مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا**[2] **بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ**

(١) أَمير الْبَصْرَة فِي زَمَن مُعَاوِيَة وَوَلَده يزيد.

(٢) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ يَكْلَؤُهَا أَوْ يَصُنْهَا.

رَائِحَةَ الجَنَّةِ». صحيح البخاري (٧١٥٠)، صحيح مسلم (١٤٢).

* وكان **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣)، مع يزيد بن المهلب بخراسان غازيًا، فاستأذنه للحج فأذن له، فقال له: نأمر لك؟ قال: تأمر به للجيش كلهم؟ قال: لا، قال: لا حاجة لي به. تهذيب الحِلْية ١/٤١٥.

* وعن زيد بن أسلم قال: كنت مع **أبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) في الصائفة فأرسل عبد الرحمن بن خالد إلى أبي حازم أن ائتنا حتى نسائلك وتحدثنا، فقال أبو حازم: معاذ الله، أدركت أهل العلم لا يحملون الدين إلى أهل الدنيا، فلن أكون بأول من فعل ذلك، فإن كان لك حاجة فأبلغنا، فتصدى له عبد الرحمن وسأل منه، وقال له: لقد ازددت علينا بهذا كرامة. تهذيب الحِلْية ١/٥٢٥.

* وبعث سليمان بن عبد الملك إلى **أبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجاءه، فقال له: يا أبا حازم مالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخربتم آخرتكُم وعمَرتُم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنتقِلوا من العمران إلى الخراب، قال: صدقت، فكيف القدوم على الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق[1] يقدم على مولاه، فبكى سليمان، وقال: ليت شعري مالنا عند الله يا أبا حازم؟ قال: اعرض نفسك على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فإنك تعلم مالك عند الله، قال: يا أبا حازم وأنّى أصيب ذلك؟ قال: عند قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار:١٣-١٤]، فقال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦]، قال: ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أعفني عن هذا، قال سليمان: نصيحةٌ تلقيها، قال أبو حازم: إن أناسًا أخذوا هذا الأمر عنوةً من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماعٍ من رأيهم، فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا، ثم

---

(١) هو العبد الذي هرب من سيده.

ارتحلوا عنها، فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم؟ فقال بعض جلسائه: بئس ما قلتَ يا شيخ، قال أبو حازم: كذبتَ، إن الله تعالى أخذ على العلماء ليبيننّه للناس ولا يكتُمونه، قال سليمان: اصحبْنا يا أبا حازم تُصِبْ منّا ونُصِبْ منك، قال: أعوذ بالله من ذلك، قال: ولم؟ قال: أخاف أن أركَن إليكم شيئًا قليلًا، فيذيقَني ضعْفَ الحياة وضعْفَ الممات، قال: فأَشِر علي، قال: اتّق الله أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدَك حيث أمرك، قال: يا أبا حازم ادعُ لنا بخير، قال: اللهم إن كان سليمان وليّك فَيَسِّرْه للخير، وإن كان عدوَّك فخذ إلى الخير بناصيته، فقال: يا غلام هات مائةَ دينار، ثم قال: خذها يا أبا حازم، فقال: لا حاجة لي فيها، إني أخاف أن يكون لِما سمعتَ من كلامي.(١) صفة الصفوة ٢/ ٤٩.

* ولما أراد الحجاج أن يقتل **فضيل بن بزوان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ألم أستعملك؟ قال: بل استعبدتني، قال: ألم أكرمك؟ قال: بل أهنتني، قال: لأقتلنك، قال: بغير ذنب ولا فساد، قال: لأقتلنك، قال: إذًا أُخاصمك، قال: إذًا أَخْصمك، قال: الْحَكَم يومئذ غيرك، قال: لا تذوق الماء أبدا، قال: إذا أسبقك إليه. الزهد لابن المبارك (٦٢٣).

* وقدم الحجاج على عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافدا، ومعه **معاوية بن قرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠)، فسأل عبدُ الملك معاويةَ عن الحجاج، فقال: إن صدقناكم قتلتمونا، وإن كذبناكم خشينا الله، فنظر إليه الحجاج، فقال له عبد الملك: لا تَعْرض له، فنفاه الحجاج إلى السند. الزهد لابن المبارك (١٠٦٥).

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلّقًا على هذه القصة: هَكَذَا يَكُونُ الِاقْتِدَاءُ بِالْكِتَابِ وَالْأَنْبِيَاءِ، انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْإِمَامِ الْفَاضِلِ، وَالْحَبْرِ الْعَالِمِ، كَيْفَ لَمْ يَأْخُذْ عَلَى عَمَلِهِ عِوَضًا، وَلَا عَلَى وَصِيَّتِهِ بَدَلًا، بَلْ بَيَّنَ الْحَقَّ وَصَدَعَ، وَلَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ خَوْفٌ وَلَا فَزَعٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤]. تفسير القرطبي ٢/ ١٨

* ووقع الذباب على المنصور فذَبَّه عنه، فعاد فذَبَّه حتى أضجره، فدخل **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨)، فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله عَزَّوَجَلَّ الذباب؟ قال: ليُذِلّ به الجبابرة. صفة الصفوة ٢/ ٤٩٨.

* ودخل **عطاءُ بن أبي رباح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) على عبد الملك بن مروان[١]، وهو جالس على السرير، وحولَه الأشرافُ، وذلك بمكة في وقت حجِّه في خلافته، فلمَّا بَصُر به عبدُ الملك، قام إليه فسلَّم عليه، وأجلسه معه على السرير، وقعَدَ بين يديه، وقال: يا أبا محمد: حاجَتَك؟ قال: يا أميرَ المؤمنين! اتَّقِ الله في أولادِ المهاجرين والأنصارِ، فإنك بهم جلستَ هذا المجلس، واتَّق الله في أهل الثغور، فإنهم حِصنُ المسلمين، وتفقد أمورَ المسلمين، فإنَّك وحدك المسؤولُ عنهم، واتَّقِ الله فيمن على بابك، فلا تَغْفُل عنهم، ولا تُغْلِقْ دونهم بابَك، فقال له: أفعل، ثم نهض وقام، فقبضَ عليه عبدُ الملك وقال: يا أبا محمد! إنما سألتنا حوائجَ غيرك، وقد قضيناها، فما حاجَتُك؟ قال: مالي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج، فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرفُ، هذا وأبيك السُّؤدُدُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٣.

* وجاء ابنٌ لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب **طاووس** (ت: ١٠٦) فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه، قال: أردتُ أن يعلم أن لله عبادًا يزهدون فيما في يديه. تهذيب الحِلْية ٣٣/ ٢.

* وعن **ابن طاووس** قال: كنت لا أزال أقول لأبي: إنه ينبغي أن تخرج على هذا السلطان وأن تقعد به، قال: فخرجنا حجاجًا فنزلنا في بعض القرى، وفيها عامل لمحمد بن يوسف أو أيوب بن يحيى، يقال له ابن نجيح، وكان من أخبث عمالهم، فشهدنا صلاة الصبح في المسجد، فإذا ابن نجيح قد أخبر **بطاووس**،

---

(١) وفي المنتظم ١٦٨/ ٧: أنه دخل على هشام بن عبدالملك.

فجاء فقعد بين يديه، فسلم عليه فلم يجبه، فكلمه فأعرض عنه، ثم عدل إلى الشق الأيسر فأعرض عنه، فلما رأيت ما به قمت إليه فمددت بيده وجعلت أسأله، وقلت له: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك، قال: بلى، معرفته بي فعل بي ما رأيت، قال: فمضى وهو ساكت لا يقول لي شيئا، فلما دخلت المنزل التفت إليّ فقال لي: يا لكع بينما أنت زعمت أن تخرج عليهم بسيفك لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك. تهذيب الحِلْية ٣٣/ ٢.

* واستيقظ عبد الملك بن مروان لما قدم المدينة من قائلته فقال لحاجبه: انظر في المسجد أحدا من حُدَّاثي؟ فخرج فلم ير إلا **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأشار إليه بإصبعه، فلم يتحرك سعيد، فأتاه الحاجب، فقال: ألم ترني أشير إليك؟ قال: وما حاجتك؟ قال: استيقظ أمير المؤمنين من قائلته، فقال: انظر هل ترى في المسجد أحدا من حُدَّاثي؟ فقال سعيد بن المسيب: فإني لست من حداثه.

فرجع الحاجب فقال ما وجدت في المسجد إلا شيخا فأشرت إليه، فلم يقم، ثم قلت له: إن أمير المؤمنين قال: انظر هل ترى في المسجد أحدا من حداثي؟ قال: فإني لست من حداث أمير المؤمنين، فقال أمير المؤمنين عبد الملك: ذاك سعيد بن المسيب دعه. الزهد لأبي داود (٣٤٨).

* وعن **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧) قال: بعث عبد الله بن علي إليَّ فاشتَدَّ ذلك عليَّ وقدمتُ، فدخلت، والناس سماطان[1] فقال: ما تقولُ في مخرجِنا وما نحنُ فيه؟ قلت: أصلَح الله الأمير! قد كان بيني وبين داود بن عليٍّ[2] مودَّة، قال: لَتُخْبِرَنِّي، فتفكرتُ ثم قلتُ: لأَصْدقَنَّه، واستبسلتُ[3] للموت، ثم رويتُ لهُ عن

(١) قال في الحاشية: سماطان: صفان.

(٢) هو أخو عبد الله.

(٣) قال في الحاشية: يقال: أبسل نفسه للموت، واستبسل: إذا وَطَّن نفسه عليه واستيقنه.

يحيى بن سعيد حديث (الأعمال)[1]، وبيده قضيب ينكُتُ به، ثم قال: يا عبد الرحمن: ما تقول في قتل أهل هذا البيت؟ قلت: حدثني محمد بن مروان، عن مطرِّف بن الشِّخير، عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «لا يَحِلُّ قَتْلُ المُسلِمِ إلا في ثلاثٍ...» وساقَ الحديثَ.

فقال: أخبرني عن الخلافةِ، وصيَّةٌ لنا من رسول الله ﷺ؟ فقلتُ: لو كانت وصيَّةً من رسول الله ﷺ ما ترك عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحدًا يتقدَّمُه، قال: فما تقولُ في أموالِ بني أميَّة؟ قلتُ: إن كانت لهم حلالًا فهي عليك حرام، وإن كانت عليهم حرامًا فهي عليك أَحْرَمُ، فَأَمَرَني، فأخرجتُ.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قد كان عبدُ الله بن عليٍّ ملكًا جبَّارًا، سفَّاكًا للدماء، صعبَ المراسِ، ومع هذا فالإمامُ الأوزاعي يَصْدَعهُ بمُرِّ الحق كما ترى، لا كخَلْقٍ من عُلماء السُّوء، الذين يُحَسِّنُونَ للأُمراء ما يقتحمونَ به من الظُّلم والعَسْف، ويقلِبُون لهم الباطل حقًّا -قاتلهم الله- أو يسكتون مع القُدْرِة على بيان الحقِّ. تهذيب السِّير ٢/ ٦٨٣.

* ولما قدم أبو عون مصر، وقتل بها من قتل، واستولى على البلد، أرسل إلى **حيوة بن شريح** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠): ائتني، فجاء فدخل عليه فقال: إنَّا معشر الملوك لا نُعصى، فمن عصانا قتلناه، قد وليتك القضاء، قال: أو آمر أهلي؟ قال: اذهبَ، فجاء إلى أهله، فغسل رأسه ولحيته ونال شيئًا من الطيب، ولبس أنظف ما قدر عليه من الثياب، ثم جاء فدخل عليه فقال: من جعل السحرة أولى بما قالوا منا؟ اقض ما أنت قاض، لست أتولى لك شيئًا!.

فأذن له فرجع. المنتظم ٨/١٦٩.

---

(١) إنما الأعمال بالنيَّات.

* وعن عيسى بن يونس قال: ما رأينا في زماننا مثل **الأعمش** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٨)، ولا الطبقة الذين كانوا قبلنا، ما رأينا الأغنياء والسلاطين في مجلس قط أحقر منهم في مجلس الأعمش وهو محتاج إلى درهم!! تهذيب الحِلْية ٢/ ١٣٨.

* وقيل للإمام **مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): إنك تدخلُ على السلطان، وهم يظلمون، ويجورون، فقال: يرحمك الله، فأين المكلِّم بالحق. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٦.

* وكان رَحِمَهُ اللَّهُ إذا دخل على الوالي **وَعَظَه وحثَّه على مصالح المسلمين**، ولقد دخل يومًا على هارون الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ فحثه على مصالح المسلمين، قال له: لقد بلغني أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان في فضله وقِدَمه ينفخ لهم عام الرمادة النار تحت القُدور، حتى يخرج الدخان من لحيته، وقد رضي الناس منكم بدون هذا.

وكان يحلف بالله: ما دخلتُ على أحدٍ منهم -يعني السلاطين- إلا أذهبَ الله هيبته من قلبي، **حتى أقول له الحق**. ترتيب المدارك (١/ ٢٠٧).

* وقَالَ أحمد بن سعيد الرباطي: قدمت **على أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) فجعل لا يرفع رأسه إلي، فقلت: يا أبا عبدالله إنه يُكْتَب عني بخراسان، وإن عاملتني بهذه المعاملة رموا بحديثي، فقال لي: يا أحمد هل بدٌّ يوم القيامة من أن يقال: أين عبدالله بن طاهر وأتباعه؟ انظر أين تكون أنت منه.(١).

قَالَ: قلت: يا أبا عبدالله إنما ولاَّني أمر الرباط، لذلك دخلت فيه.

قَالَ: فجعل يكرر علي: يا أحمد، هل بدٌّ يوم القيامة من أين يقال: أين عبدالله ابن طاهر وأتباعه؟ فانظر أين تكون أنت منه. طبقات الحنابلة (١/ ١٠٢).

---

(١) حذره من تبعات الولاية التي تولاها؛ نصحًا له.

* وقال **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنْ عُرضتُ على السيف لا أجيب[1]، وقال: إذا أجاب العالم تقيّة، والجاهل بجهل، فمتى يتبين الحق؟! الآداب الشرعية ١/ ١٢٨.

* وقال ابن الحداد: كنت يومًا عند **سحنون**[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠)، إذ جاءه رسول الأمير محمد بن الأغلب[3]، يأمره بردّ النسوة على حاتم الجزري فإنهن له[4]، قال سحنون: إنْ كنّ إماء فمثل حاتم لا يؤتمن على الفروج، فانصرف، ثم رجع فقال: يقول لك: لا تعبث، ارددهن كما أمرتك.

فقام سحنون على قدميه وقال: إنما يعْبث هو والله الذي لا إله إلا هو، ثلاثًا، والله لا أفعل حتى يفرق بين رأسي وجسدي.

وجاء محمد ابنه وقال له: لا تفعل يا أبت، اكتب إليه ولاطفه، فكتب إليه وابنه يقول: دون ذا، حتى فرغ من طبع كتابه، وبعث إليه.

فأخذه ابن الأغلب وضرب به الأرض، ثم قال: ما أدري هو علينا أنْ نحنّ عليه، واسودّ وجهه ولم يدخل عليه أحدٌ إلى بعد العصر.

---

(١) أي لا أجيبهم بجوابٍ -وهو مخالف لدين الله- يريده الوالي أو الأمير، إرضاءً لهم، أو خوفًا منهم.

(٢) هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، من أهل إفريقية وأقصى المغرب، كان ثقة حافظًا للعلم، اجتمعت فيه خلال قلّما اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والسماحة، وكان لا يقبل من السلاطين شيئًا، ولي قضاء إفريقية سنة أربع وثلاثين ومائتين، وسنُّه إذ ذاك أربع وسبعون سنة، فلم يزل قاضيًا إلى أن مات.

(٣) هو محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب التميمي القيرواني، الأمير أبو العباس، متولي القيروان وسائر المغرب، ولي سنة ست وعشرين ومائتين بعد والده، ودانت له إفريقية، توفي كهلا في غرة المحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

(٤) وكان سحنون مر به حاتم ومعه سبي من سبي تونس، فقال سحنون لأصحابه: قوموا فأتوا بهم، حتى خلّوصهنّ من حاتم.

فأذِنَ لأصحابه بالدخول، وقال لهم: ما أظن هذا الرجل يريد بنا إلا خيرًا ونحن لا نعلم[١]، أرسِلوا إليه، يرسل إلينا المحتسبة، لنكتب لهم السجلات، حتى يذهبوا بها إلى أقصى عملي؛ ليأخذوا من يجدوه من الحرائر، فكان ذلك.

ولم يرض سحنون حتى فضَّ الكتب التي كتبها لهم، وقرأها، ورضيها.

وكتب سحنون إلى أبي زكي البربري: أن يفتش الرفاق، فاعترضها، وكشف البراقع، فمن زعم أنه من سبي تونس رفعه إلى سحنون فأطلق منهم عدة.

وقيل لسحنون: هذا منصور دخل من تونس بالحرائر، فركب وانتزع منه ما بيده، فدخل منصور على ابن الأغلب وقد شق ثوبه، وذكر إليه ما نزل به، فأرسل ابن الأغلب إلى سحنون، أن تصرفهم على منصور، مرة وثانية وثالثة، فقال: لا أفعل.

فدعا فتى قال له: اذهب إلى سحنون فقل له: فاردد السبي على منصور وإلا فأتني برأسه، فجاء الفتى إلى سحنون يبكي ويتضرع ويقول له: أُمرت فيك بعظيم، فأخذ سحنون ورقًا فكتب فيه بعد الاسم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١﴾ الآية [غافر:٤١]، ودفع الكتاب للفتى، ثم قال: ادفعه لابن الأغلب.

فاحتجب ثلاثًا، ثم قال لمنصور: سلني عما شئت من حوائجك، واعرض عن خبر سحنون.

وكان ابن الأغلب يقول في قضيته مع سحنون: إنَّ سحنونًا لم يركب لنا دابة، ولا أثقل كُمَّه بصُرَّة، فهو لا يخافنا.[٢] ترتيب المدارك (٢/ ٩١-٩٣).

---

(١) هذا هو العقل والصواب.

(٢) نستفيد من هذا القصة أنّ القضاة والعلماء ينبغي لهم ألا تأخذهم في الحق لومة لائم، وأنّ الحاكم الموفق لا يعترض عليهم فيما يحكمون ويقضون بالحق؛ وبهذا يسود العدل، ويدوم الحكم.

* وقال **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أقبح بالعالم أن يُؤْتى إلى مجلسه فلا يوجد فيه، فيُسأل عنه، فيقال: هو عند الأمير، هو عند الوزير، هو عند القاضي، فإن هذا وشبهه شرٌّ من علماء بني إسرائيل، وبلغني أنهم يحدثونهم من الرخص ما يحبون(١)، مما ليس عليه العمل، ويتركون ما عليه العمل وفيه النجاة لهم؛ كراهة أن يستثقلوهم.

ولعمري لو فعلوا ذلك لنجوا، ووجب أجرهم على الله، فوالله لقد ابتُليت بهذا القضاء وبهم، ووالله ما أكلت لهم لقمة، ولا شربت لهم شربة، ولا لبست لهم ثوبًا، ولا ركبت لهم دابة، وما أخذت لهم صلة، وإني لأدخل عليهم فأكلمهم بالتشديد وما عليه العمل وفيه النجاة، ثم أخرج عنهم، فأحاسب نفسي، فأجد عليّ الدرك مع ما ألقاهم به في الشدة والغلظة، وكثرة مخالفتي هواهم، ووعظي لهم، فوددت أنْ أنجو مما دخلت فيه كفافًا. ترتيب المدارك (٢/ ١٠١).

* وعن علي بن الجعد أنه قال: لما أحضر المأمون أصحاب الجوهر، فناظرهم على متاع كان معهم، ثم نهض المأمون لبعض حاجته، ثم خرج فقام له كل مَنْ كان في المجلس إلا **ابن الجعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٠)، فإنه لم يقم، فنظر إليه المأمون كهيئة المغضب، ثم استخلاه، فقال له: يا شيخ، ما منعك أن تقوم لي كما قام أصحابك؟ قال: أجللت أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي ﷺ، قال: وما هو؟ قال علي بن الجعد: سمعت المبارك بن فضالة يقول: سمعت الحسن يقول: قال النبي ﷺ: «**مَنْ أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**».

---

(١) أي: أن علماء بني إسرائيل يُحدّثون ملوكهم بما يُحبون ويهوون ويميلون إليه من الرُّخَص التي يستعينون بها على ارتكاب المحرمات، ولا يُناصحونهم ويعظونهم.

قال: فأطرق المأمون مفكرًا في الحديث، ثم رفع رأسه، فقال: لا يُشترى إلا من هذا الشيخ، قال: فاشترى منه ذلك اليوم بقيمة ثلاثين ألف دينار. المنتظم ١٦٠-١٦١/ ١١.

* وعن أبي عثمان الرازي قال: جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى **إبراهيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥) بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد، يسأله عن أمر أمير المؤمنين تفرقة ذلك، فرده فانصرف الرسول، ثم عاد فقال له: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك: فقال: عافاك الله، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه، فلا نشغلها بتفرقته، قل لأمير المؤمنين: إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك. المنتظم ٣٨٣/ ١٢.

* وعن نمير المدني أنه قال: قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة، و**محمد بن عمران الطلحي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٤) على قضائه وأنا كاتبه، فاستعدى الحمالون على أمير المؤمنين في شيء ذكروه، فأمرني أن أكتب إليه كتابًا بالحضور معهم وإنصافهم، فقلت: أعفني من هذا فإنه يعرف خطي، فقال: اكتب، فكتبت ثم ختمه، وقال: لا يمضي به والله غيرك، فمضيت به إلى الربيع وجعلت أعتذر إليه، فقال: لا تفعل، فدخل عليه بالكتاب ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم: إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: إني قد دعيت إلى مجلس الحكم فلا أعلمن أحدًا قام إليّ إذا خرجت أو بدأني بالسلام.

قال: ثم خرج المسيب بين يديه والربيع وأنا خلفه في إزار ورداء، فسلم على الناس، فما قام إليه أحد، ثم مضى حتى بدأ بالقبر فسلم على الرسول ﷺ، ثم التفت إلى الربيع، فقال: يا ربيع، ويحك أخشى إن رآني محمد بن عمران أن

يدخل قلبه هيبة فيتحول عن مجلسه، وتالله لئن فعل لا وَلِي لي ولاية أبدًا.

قال: فلما رآه ـ وكان متكئًا ـ أطلق رداءه على عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم وبالحمالين، ثم دعا بأمير المؤمنين، ثم ادَّعوا وحكم عليه لهم، فلما دخل الدار قال للربيع: اذهب فإذا قام وخرج من عنده من الخصوم فادعه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما دعا بك حتى تفرغ من أمر الناس جميعًا، فدعاه، فلما دخل عليه سلم، فقال: جزاك الله عن دينك وعن بنيك وعن حسبك وعن حليفتك أحسن الجزاء، قال: قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار فاقبضها، فكانت عامة أموال محمد بن عمران الطلحي من تلك الصلة. المنتظم ١٨١-١٨٢/ ٨.

* وقال **ابن أبي ذئب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠) للمنصور ذات يوم: يا أمير المؤمنين، قد هلك الناس، فلو أعنتهم بما في يديك من الفيء؟ قال: ويلك لولا ما سددت من الثغور وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح، فقال ابن أبي ذئب: فقد سدَّ الثغور وَجيَّش الجيوش، وفتح الفتوح، وأعطى الناس أعطياتهم مَنْ هو خير منك! قال: ومن هو ويلك؟ قال: عمر بن الخطاب، فنكس المنصور رأسه، والسيف بيد المسيب، والعمود بيد مالك بن الهيثم، ولم يعرض له، والْتفت إلى محمد بن إبراهيم الإمام، قال: هذا الشيخ خير أهل الحجاز. المنتظم ٢٣٢-٢٣٣/ ٨.

* ولَمَّا وصل أبو طاهر إسماعيل[1] إلى سوسة، وجَّه جوهرًا فتاه إلى **أبي علي الحسن بن نصر السّوسي** (ت: ٣١٤)[2] بالليل، ليأتيه به، فجاءه وهو في

(١) هو أبو طاهر إسماعيل، بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي صاحب المغرب، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما.

وقد عهد بالأمر إلى المعز الفاطمي الذي بعث مولاه جوهر القائد فبنى له القاهرة المتاخمة لمصر، واتخذ له فيها دار الملك. [البداية والنهاية (١١/ ٢٥٦).

(٢) كان شيخًا صالحًا، فاضلًا، ثقة ورعًا، زاهدًا فقيهًا، عدلًا في أحكامه، صادقًا في الحق، لا يهاب سلطانًا، مشهورًا بالعلم، كثير الاجتهاد في العبادة، وقيام الليل، وصيام النهار، وتلاوة كتاب الله تعالى، كثير الخشوع، والتواضع.

ورده، فخرج ابنه إليه، ورجع إلى الشيخ وأعلمه بمكان جوهر، فلم يلتفت إليه، حتى قضى ورده، وقد اعتذر ابنه إليه، فقال: لا أبرح حتى أراه، وجوهر في هذا كله واقف على الباب، وقد فَرَق[١] مِن ذلك كلُّ مَن بالجهة، فلما ألحّ[٢] انتهرَ ابنَه، وقال له: أكون بين يدي الله وتقول جوهر بالباب؟.

وقام يخرج إليه، فجاءه ابنه بقميصه ومنديله، وكان عليه فرو مغلوف، وقال له: الْبس هذا، يراهم عليك، فقال له: ما أقلّ حياءك، أكون بين يدي الله في هذه الحال، وأتهيب لجوهر؟.

فخرج إلى جوهر، واعتذر له باعتذار[٣]، حتى قال له جوهر: أنا أجتمع بمولاي وأعتذر له عنك، فمضى، فرجع إليه في الحين، وأخبره بقبوله عذرَه، ومشقةِ عدم اجتماعه به عليه، وأنه يُقْرئه السلام ويسأله الدعاء، فقال له: قل له: أصلحك الله للمسلمين، وأصلح جميع قُضاتك.

وجاء جوهر بمال كثير من عند إسماعيل ليفرقه على الفقراء، فلم يقبله ورجع به جوهر. ترتيب المدارك (٣/ ٣١٦).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن مناقبه -أي: **فرج بن فضالة التنوخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٠)- أنَّ المنصور دخل يومًا إلى قصر الذهب، فقام الناس إلا فرج بن فضالة، فقال له وقد غضب عليه: لِمَ لَم تقم، قال: خفت أن يسألني الله عن ذلك، ويسألك لِمَ رضيت بذلك، وقد كره رسول الله ﷺ القيام للناس، قال: فبكى المنصور، وقربه، وقضى حوائجه. البداية والنهاية ١٠/ ٢٤٠.

* وكان **أبو الوفاء ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): شَهمًا مِقدامًا، **يُواجه الأكابر**

---

(١) أي: خاف، وذلك لأن جوهرًا ظالم شديد البطش والإجرام.

(٢) في الأصل: أحلّ، ولعل المثبت هو الصواب.

(٣) أي: عن القدوم إلى أمير الشيعة إسماعيل.

بالإنكار بلفظه وخطِّه.. وكتبَ مرة إلى الوزير عميد الدولة ابن جَهِير لما بنى سور بغداد[١]، وأظهر العوام في الاشتغال ببنائه المنكرات: لولا اعتقاد صحة البعث، وأن لنا دارًا أكون فيها على حالٍ أحمدها، لما نصبت نفسي إلى مالك عصري، وعلى الله أعتمد في جميع ما أُورده، بعد أن أُشهده: أني محبٌّ متعصبٌ[٢]، لكن إذا تقابل دين محمد ودولة بني جهير، فوالله ما أزن هذه بهذه، ولو كنت كذلك كنتُ كافرًا..

ترى بأي وَجهٍ تلقى محمدًا ﷺ؟ بل لو رأيته في المنام مقطبًا كان ذلك يزعجك في يقظتك؟..

يا شرف الدين: اتقِ سَخط الله تعالى؛ فإن سخطه لا تُقاومه سماء ولا أرض، وإن فسَدَت حالي بما قلتُ فلَعَلَّ اللهَ يلطف بي، ويكفيني هوائج الطباع، ثم لا تلُمنا على ملازمة البيوت، والاختفاء عن العوام؛ لأنهم إن سألونا لم نقل إلا ما يقتضي الإعظام لهذه القبائح، والإنكار لها، والنياحة على الشريعة..

فاتَّقِ الله تقوى مَن عَلِم بمقدار سخطه، فقد قَالَ: (فَلَمَّا آسَفُونا انتقَمْنَا مِنْهُم)، وقد ملأَتْكم في عيونكم مدائح الشعراء، ومداجاة المتمولين بدولتكم، الأغنياء الأغبياء، الذين خسروا الله فيكم، فحسَّنوا لكم طرائقكم.

والعاقل مَن عَرَفَ نفسه، ولم يغرّه مدحُ مَن لا يَخْبُرُها. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤)، المنتظم ١٦-١٧/ ١٧.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أبو عبد الله البالسي يومَ قازان في جملة من كان مع الشيخ **تقي الدين ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) لمَّا تكلم مع قازان، فحكى عن

(١) وذلك أنه اختطّ سورًا على الحريم، وأذن للعوام في العمل والتفرج فأظهروا منكرات كثيرة، وسخافاتِ عقولٍ ضعيفة وعملوا أشياء منكرة.

(٢) أي: مُحبٌّ وموالٍ له، ولست أكرهه، وإنما نصيحتي له شفقة به وحبًّا له.

كلام شيخ الإسلام تقي الدين لقازان، وشجاعته، وجرأته عليه، وأنه قال لترجمانه: قل لقازان: أنت تزعم أنك مسلم، ومعك مؤذنون، وقاضي، وإمام، وشيخ على ما بلغنا، فغزوتنا، ودخلت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك هولاكو كانا كافرين، وما غزوا بلاد الإسلام بل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفَّيت، قال: وجرت له مع قازان وقُطْلوشاه وبولاي أمورٌ ونُوَب، قام ابن تيمية فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلا الله عَزَّوَجَلَّ، قال: وقُرِّب إلى الجماعة طعام، فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم، وكلُّه مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس، قال: ثم إن قازان طلب منه الدعاء، فقال في دعائه: اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا، وليكون الدين كله لك فانصره، وأيده وملِّكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء، وسمعة، وطلبًا للدنيا، ولتكون كلمته هي العليا، وليذل الإسلام، وأهله فاخذْله، وزلزله، ودمِّره، واقطع دابره، قال: وقازان يؤمِّن على دعائه، ويرفع يديه، قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفًا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله، قال: فلمَّا خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وغيره: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك. فقال: وأنا والله لا أصحبكم، قال: فانطلقنا عصبة وتأخَّر هو في خاصة نفسه، ومعه جماعة من أصحابه فتسامعت به الخواتين والأمراء من أصحاب قازان، فأتوه يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه، قال: والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبَو أن يصحبوه، فخرج عليهم جماعة من التتر فشلحوهم عن آخرهم. هذا الكلام أو نحوه. وقد سمعت هذا الحكاية من جماعة غيره. البداية والنهاية ١٤/ ١٦٦.

* وقال أبو الفرج بنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقام جوهر -القائد لأبي تميم صاحب مصرَ- **أبا بكر النَّابُلسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٦٥)، وكان ينزل الأكواخ فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرةُ أسهم، وجب أن يَرميَ في الرُّوم سَهمًا، وفينا تسعة، قال: ما قلتُ هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرةُ أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرميَ العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيرتم الملَّة، وقَتَلْتُم الصَّالحين وادَّعيتُم نورَ الإلهية، فشهرهُ ثم ضربه، ثم أمر يهوديًا فَسَلَخَه وحُشِيَ تِبنًا، وصُلب.

قال معمر بنُ أحمد الصُّوفي: أخبرني الثقة، أن أبا بكر سُلخ من مفرق رأسه حتَّى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاَّخ، فوكزه بالسِّكين موضع قلبه فقضى عليه، وأخبرني الثقةُ أنه كان إمامًا في الحديث والفقه، صائمَ الدَّهرِ، كبيرَ الصولةِ عند العامَّة والخاصَّة، ولما سُلخ كان يُسمع من جسده قراءةُ القرآن.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يوصف ما قلبَ هؤلاء العُبَيْدِيَّةُ الدِّينَ ظهرًا لبطن واستوَلَوا على المغرب، ثمَّ على مصرَ والشام، وسَبُّوا الصحابة.

حكى ابنُ السّعساع المصريّ، أنه رأى في النوم أبا بكر بن النابلسي بعدما صلب وهو في أحسن هيئة، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال:

حبـاني مالِكـي بـدَوامِ عـزٍّ ... وَوَاعَـدَني بقُـربِ الانتصـارِ

وقرَّبَنـي وأدنـاني إليـه ... وقـال: انْعَـمْ بعيـشٍ في جِـواري

تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٧٦.

* ووَعَظَ **أبو سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٠٦)[1] نظامَ الملك الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرةً بجامع

(١) المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمامة البقال البغدادي، الفقيه الواعظ، ريحانة البغداديين، وُلد سنة تسع وعشرين وأربعمائة. وسمع من ابن غيلان، وأبي محمد الخلال والجوهري، وأبي القاسم الأزجي، وغيرهم. [ذيل الطبقات].

المهدي، فقال: أنت يا صدر الإسلام، وإن كنت وزير الدولة، فأنت أجير الأمة، استأجرك جلال الدولة بالأجرة الوافرة لتنوب عنه في الدنيا والآخرة، **فأما في الدنيا**: ففي مصالح المسلمين، **وأما في الآخرة**: فلِتُجيب عنه رب العالمين، فإنه سيقفه بين يديه، فيقول له: ملَّكتك البلاد، وقلَّدتك أزمّة العباد، فما صنعتَ في إفاضة البذل، وإقامة العدل؟.

فلعله يقول: يا رب اخترتُ من دولتي شجاعًا عاقلًا، حازمًا فاضلًا، وسميته قَوام الدين ونِظامَ الملك، وها هو قائم في جملة الولاة، وبسطتُ بيده في الشُّرط والسيف والقلم، ومكَّنتُه في الدينار والدرهم، فاسأله يا رب: ماذا صَنعَ في عبادك وبلادك؟.

أفتُحسِن أن تقول في الجواب: نعم تقلَّدتُ أمور البلاد، وملكتُ أزمة العباد، وبثثتُ النوال، وأعطيتُ الإفضال، حتى إذا قربتُ من لقائك، ودنوتُ من تلقائك؛ اتخذتُ الأبواب والبوَّاب، والحِجَاب والحُجَّاب؛ ليصدوا عني القاصد، ويردوا عني الوافد؟.

فاعمُر قبرك كما عَمَرتَ قَصرك، وانتهِز الفُرصة ما دام الدَّهر يَقبل أمرك، فلا تعتذر، فما ثَمَّ مَن يَقبل عُذرك.

وهذا ملك الهند، وهو عابد صنم ذَهَبَ سَمعُه، فدخل عليه أهل مملكته يُعَزُّونه في سمعه، فقال: ما حَسرتي لذَهابِ هذه الجارحة مِن بدني، ولكن تأسُّفي لصوتِ المظلوم لا أسمعُه فأُغيثه، ثم قال: إن كان قد ذَهَب سمعي فما ذهب بَصَري، فليؤمر كلّ ذي ظلامة أن يلبس الأحمر، حتى إذا رأيته عرفتُه فأنصفته.

وهذا أنوشروان قال له رسول ملك الروم: لقد أقدرتَ عدوك عليك بتسهيل الوصول إليك، فقال: إنما أجلسُ هذا المجلس لأكشفَ ظلامة وأقضي حاجة.

وأنتَ يا صَدر الإسلام، أحقُّ بهذه المأثرة، وأولى بهذه وأحرى مَن أعدَّ جوابًا لتلك المسألة، فإنه الله الذي ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ [مريم:٩٠] ، في موقفٍ ما فيه إلا خاشع، أو خاضع؛ لينخلعُ فيه القلب، ويحكم فيه الرَّب، ويعظُم فيه الكَرب، ويشيب فيه الصغير، ويُعزَل فيه الملك والوزير، يوم ﴿يَوۡمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ [الفجر:٢٣]، ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٍ مُّحۡضَرًا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠].

وقد استجلبتُ لك الدُّعاء، وخلَّدتُ لك الثناء، مع براءتي من التُّهمة، فليس لي -بحمد الله تعالى- في أرضِ الله ضَيعة ولا قَرية، ولا بيني وبين أحدٍ خصومة، ولا بي -بحمد الله تعالى- فقرٌ ولا فاقة.

فلما سمِع نظام الملك هذه الموعظة بكى بُكاءً شديدًا، وأمر له بمائة دينار، فأبى أن يأخذها، وقال: أنا في ضِيافة أمير المؤمنين، ومَن يكن في ضيافة أمير المؤمنين يَقبُح عليه أن يأخذ عطاءَ غيره، فقال له: فضها على الفقراء، فقال: الفقراء على بابك أكثر منهم على بابي، ولم يأخذ شيئًا. ذيل الطبقات (١/ ٢٤٩-٢٥٢).

* وأنكر **أَبُو الفتح بن عبدوس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٩) مرةً على مُظفَّر الدين صاحب أربل لما كانت له حَران، وأراقَ له خَمرًا، فأحضره، وقال: أتعرفني؟.

قَالَ: نعم، بالظُّلم والفِسق!.

فهَمَّ بضربه، فأُشير عليه: أن لا يَفعل؛ لأجلِ العامَّة ومَيلهم إليه. ذيل الطبقات (٢/ ٥٥٣).

* وطلع سلطان العلماء **عز الدين بن عبد السلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦٠) يوم العيد إلى القلعة والعساكر مصطفين بين يدي السلطان والأمراء تقبّل الأرض له، فنادى في ذلك الموكب العظيم: يا أيوب، ما حجّتك عند الله إذا قال لك: ألم أُوَلِّك ملك

مصر ثم تبيح الخمور؟ فقال السلطان: هل جرى هذا؟ فقال: نعم، الحانة الفلانيّة يباع فيها الخمر وغيره من المنكرات، وأنت تتقلّب في نعمة هذه المملكة، وذلك بأعلى صوته، والعساكر واقفون، فقال: يا سيدي، هذا شيء لم أعمله، وهو من زمان أبي فقال: أنت من الذين يقولون يوم القيامة إذا سئلوا ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٣]؟ فرسم السلطان بإبطال ما يعمل في تلك الحانة.

فلما انصرف الشيخ من المجلس قال له تلميذه الباجيّ رَحِمَهُمَااللَّهُ: يا سيّدي كيف تجرأت على السلطان وفاجأته بهذا الجواب؟ فقال: يا بنيّ رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه، لئلا تكبر نفسه.

فقال له: يا سيدي أما خفت منه؟ قال: والله با بنيّ استحضرت هيبة الله تعالى في قلبي، فصار السلطان قدّامي كالقطّ. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣١٧).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر لي الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ أَنَّ السُّلْطَانَ محمد بن قلاوون لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ **الشَّيْخُ تَقِيُّ الدين بن تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) نَهَضَ قَائِمًا لِلشَّيْخِ أَوَّلَ مَا رَآهُ، وَمَشَى لَهُ إِلَى طَرَفِ الْإِيوَانِ وَاعْتَنَقَا هُنَاكَ هنيهة، ثم أخذ معه ساعة إلى طبقة فِيهَا شُبَّاكٌ إِلَى بُسْتَانٍ فَجَلَسَا سَاعَةً يَتَحَدَّثَانِ، ثُمَّ جَاءَ وَيَدُ الشَّيْخِ فِي يَدِ السُّلْطَانِ، فَجَلَسَ السُّلْطَانُ وَعَنْ يَمِينِهِ ابْنُ جَمَاعَةَ قَاضِي مصر، وعن يساره ابن الخليلي والوزير، وَتَحْتَهُ ابْنُ صَصْرَى، ثُمَّ صَدْرُ الدِّين عَلِيٌّ الْحَنَفِيُّ، وَجَلَسَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ عَلَى طَرَفِ طُرَّاحَتِهِ، وَتَكَلَّمَ الْوَزِيرُ فِي إِعَادَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِلَى لُبْسِ الْعَمَائِمِ الْبِيضِ بِالْعَلَائِمِ، وَأَنَّهُمْ قَدِ الْتَزَمُوا لِلدِّيوَانِ بِسَبْعِ مِائَةِ أَلف في كل سنة، زيادة على الحالية، فَسَكَتَ النَّاسُ

وَكَانَ فِيهِمْ قُضَاةُ مِصْرَ وَالشَّامِ وكبار الْعُلَمَاءِ مَنْ أَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ مِنْ جُمْلَتِهِمُ ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ.

قَالَ ابْنُ الْقَلَانِسِيِّ: وَأَنَا فِي مَجْلِسِ السُّلْطَانِ إِلَى جَنْبِ ابْنِ الزَّمْلَكَانِيِّ، فَلَمْ يَتكَلَّمْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَلَا مِنَ الْقُضَاةِ، فَقَالَ لَهُمُ السُّلْطَانُ: مَا تَقُولُونَ؟ يَسْتَفْتِيهِمْ فِي ذلك، فَلَمْ يتكلم أحد، فجثا الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَتَكَلَّمَ مَعَ السلطان في ذلك بِكَلَامٍ غَلِيظٍ، وَرَدَّ عَلَى الْوَزِيرِ مَا قَالَهُ رَدًّا عَنِيفًا، وَجَعَلَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ وَالسُّلْطَانُ يَتَلَافَاهُ ويسكته بترفق وتؤدة وتوقير.

وبالغ الشَّيْخُ فِي الْكَلَامِ، وَقَالَ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أحد أن يقوم بمثله، ولا بقريب مِنْهُ، وَبَالَغَ فِي التَّشْنِيعِ عَلَى مَنْ يُوَافِقُ في ذَلِكَ.

وَقَالَ لِلسُّلْطَانِ: حَاشَاكَ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ مَجْلِسٍ جَلَسْتَهُ فِي أُبَّهَةِ الْمُلْكِ تَنْصُرُ فِيهِ أَهْلَ الذِّمَّةِ لِأَجْلِ حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَاذْكُرْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكَ إِذْ رَدَّ مُلْكَكَ إِلَيْكَ، وَكَبَتَ عَدُوَّكَ وَنَصَرَكَ عَلَى أَعْدَائِكِ، فَذَكَرَ أَنَّ الْجَاشْنكِيرَ هُوَ الَّذِي جَدَّدَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَالَّذِي فَعَلَهُ الْجَاشْنكِيرُ كَانَ مِنْ مَرَاسِيمِكَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ نَائِبًا لَكَ، فَأَعْجَبَ السُّلْطَانَ ذَلِكَ وَاسْتَمَرَّ بِهِمْ عَلَى ذَلِكَ. البداية والنهاية (١٤/ ٦٠).

* وفي إحدى زيارات الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود الدرعية في آخر حياة الشيخ **عبدالعزيز بن علي بن موسى النجدي** (ت: ١٣٤٤) أخذ الملك عبدالعزيز يتكلم في أناس إلى أن قال: (الله يعاملنا وإياهم بعدل)، فنبّهه الشيخ أن يقول بدل: (عدل) (بفضله وعفو)، فشكره الملك عبدالعزيز على ذلك. علماء نجد (٣/ ٤٠٠).

د- توجيهات ونصائح السلف لمن أراد الدخول معهم:

* عن **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير، فيصدّقه بالكذب ويقول ما ليس فيه. صفة الصفوة ١/ ٢٩٢.

* وقال **مسلم بن عمرو** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦٠): ينبغي لمن خدم السلطان ألا يغترَّ بهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغيرَ لهم إذا سخطوا عليه ولا يستثقلَ ما حمَّلوه ولا يلحف في مسألتهم. عيون الأخبار ٦٢/ ١.

* وقَالَ: **الأَوْزَاعِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧): مَنْ حَضَرَ سُلْطَانًا، فَأَمَرَ بِأَمْرٍ لَيْسَ بِحَقٍّ، وَلا يَتَخَوَّفُ فِيهِ الْفَوْتَ، فَلا يُكَلِّمْهُ فِيهِ عِنْدَ تِلْكَ الْحَالِ، وَلْيَخْلُ بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يَأْمُرُ بِأَمْرٍ يَخَافُ فِيهِ الْفَوْتَ فَلابُدَّ لَكَ مِنْ كَلامِهِ، أَصَابَكَ مِنْهُ مَا أَصَابَكَ. أخبار الشيوخ (٣٠).

هـ- مواقف بعض العلماء تجاه السلاطين:

* عن **سعيد بن المسيِّب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظَّلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكَيلا تحبَطَ أعمالُكم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٥.

* وعن آدم بن إياس قال: شهدت **حماد بن سلمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٧) ودعوه -يعني السلطان- فقال: أحْمِل لحيةً حمراء لهؤلاء؟! لا والله لا فعلت. تهذيب الحِلْية ٣٣٦/ ٢.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): إذا لم يكن لله في العبد حاجة، نبذه إليهم -يعني السلطان-. تهذيب الحِلْية ٣٧١/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: لو خيرت بين ذهاب بصري وبين أن أملأ بصري منهم لاخترت ذهاب بصري!!. تهذيب الحِلْية ٣٧١/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النظر إلى وجه الظالم خطيئة، ولا تنظروا إلى الأئمة المضلين إلا بإنكار من قلوبكم عليهم، لئلا تحبط أعمالكم. تهذيب الحِلْية ٣٨٨/ ٢.

* وعن يحيى بن سليم الطائفي قال: بعث محمد بن إبراهيم الهاشمي إلى **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمائتي دينار فأبى أن يقبلها، فقلت: يا أبا عبد الله كأنك لا تراها حلالًا؟ قال: بلى، ما كان آبائي وأجدادي إلا في العطية، ولكن أكره أن أذل لهم. تهذيب الحِلْية ٣٨٩/ ٢.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو دخلت عليهم؟ قال: إني أخشى أن يسألني الله عن مقامي ما قلت فيه، قيل له: تقول وتتحفظ، قال: تأمروني أن أسبح في البحر ولا تبتل ثيابي؟[1] تهذيب الحِلْية ٣٩٠/ ٢.

* وقيل **لداود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): أرأيت رجلًا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، قال: أخاف عليه السوط، قال: إنه يقوى، قال: أخاف عليه السيف، قال: إنه يقوى، قال: أخاف عليه الداء الدفين: العُجب.[2] الحِلْية ٧/ ٣٥٨.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): إن ابتليت بصحبة والٍ لا يريد صلاح رعيته، فاعلم أنك قد خُيّرت بين خَلتين[3]، ليس منهما خيار:

إما الميل مع الوالي على الرعية، وهذا هلاك الدين.

وإما الميل مع الرعية على الوالي، وهذا هلاك الدنيا.

---

(١) مَن خالط الملوك والأمراء ليترفَّع بهم، ويتكسَّب منهم، ويُداهنهم ويُجاملهم: فهو مذموم خاسر، وأما من صدع بالحق عندهم، وناصحهم وذكَّرهم بالله فهو على خيرٍ عظيم.

(٢) وداء العُجب داء خفيّ قلّ من يسلم منه إلا من عصم الله.

(٣) أي: خصلتين.

ولا حيلة لك إلا بالموت أو الهرب. الأدب الكبير (٧٨).

و- الصبر على ظلمهم، وعدم الخروج عليهم، وذم من فعل ذلك[١]:

* ذُكر **لابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن؟ فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يؤمنون بمحكمه، ويضلون عند متشابهه، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون: آمنا به. الشريعة: ٣٥.

* وذُكر له الخوارج واجتهادهم وصلاحهم فقال: ليسوا هم بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى، وهم على ضلالة. الشريعة: ٣٥.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) في خطبته: يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله عَزَّوَجَلَّ الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة. الشريعة: ١٩.

* وقال **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) حين أتته بيعة يزيد: إن كان خيرًا رضينا، وإن كان بلاء صبرنا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٦٠.

* وعَنْ نَافِعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَمَّا خَلَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَشَمَهُ[٢] وَوَلَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمَلِك الظَّالِم: لَا بُدَّ أَنْ يَدْفَعَ اللهُ بِهِ مِن الشَّرِّ أَكْثَرَ مِن ظُلْمِهِ.
وَقَد قِيلَ: سِتُّونَ سَنَةً بِإِمَامٍ ظَالِمٍ: خَيْرٌ مِن لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِلَا إمَامٍ.
وَإِذَا قُدِّرَ كَثْرَةُ ظُلْمِهِ: فَذَاكَ ضَرَرٌ فِي الدِّينِ، كَالْمَصَائِبِ تَكُونُ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِم وَيُثَابُونَ عَلَيْهَا، وَيَرْجِعُونَ فِيهَا إلَى اللهِ، ويستغفرونه وَيَتُوبُونَ إلَيْهِ، وَكَذَلِك مَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِم مِن الْعَدُوِّ.
وَلِهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِ مَن يُقَاتِلُ عَلَى الدِّينِ الْفَاسِدِ مِن أَهْلِ الْبِدَعِ، كَالْخَوَارِجِ، وَأَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَى جَوْرِ الْأَئِمَّةِ، وَنَهَى عَن قِتَالِهِمْ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، وَلِهَذَا قَد يُمَكِّنُ اللهُ كَثِيرًا مِن الْمُلُوكِ الظَّالِمِينَ مُدَّةً. مجموع الفتاوى: (١٤/ ٢٦٨-٢٦٩).
قلت: فمهما نقم الناس على وليّ أمرهم المسلم: فلن يكون حالهم إذا خرجوا عليه بالقوة أحسن وأفضل من حالهم تحت حكمه.

(٢) أي: خَدَمه وَمَنْ يَغْضَب لَهُ.

لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ[١]، وَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ غَدْرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ الْقِتَالُ، وَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ، وَلاَ بَايَعَ فِي هَذَا الأَمْرِ، إِلَّا كَانَتِ الْفَيْصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ.[٢] صحيح البخاري (٧١١١).

* وجاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ[٣] حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ[٤]، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».[٥] صحيح مسلم (١٨٥١).

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: ما اختلفت أمةٌ بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها. تهذيب الحِلْية ٢/١١٢.

* وقيل **للحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ: (ت: ١١٠) يا أبا سعيد، خرج خارجي

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ عَلَى شَرْط مَا أَمَرَ الله وَرَسُوله بِهِ مِنْ بَيْعَة الْإِمَام، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ بَايَعَ أَمِيرًا فَقَدْ أَعْطَاهُ الطَّاعَة وَأَخَذَ مِنْهُ الْعَطِيَّة فَكَانَ شَبِيه مَنْ بَاعَ سِلْعَة وَأَخَذَ ثَمَنهَا.

(٢) أَيْ الْقَاطِعَة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي هَذَا الْحَدِيث وُجُوب طَاعَة الْإِمَام الَّذِي اِنْعَقَدَتْ لَهُ الْبَيْعَة وَالْمَنْع مِنْ الْخُرُوج عَلَيْهِ وَلَوْ جَارَ فِي حُكْمه وَأَنَّهُ لَا يَنْخَلِع بِالْفِسْقِ. فتح الباري ١٣/ ٨٨-٩٠ .

(٣) الذي خلع يزيد بن معاوية، وحرّض أهل المدينة النبوية على ذلك.

(٤) حيث أرسل يزيد سنة ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ مُسْلِم بْنَ عُقْبَةَ، الَّذِي يَقُولُ فِيهِ السَّلَف مسرف بن عقبة إلى المدينة، فأَبَاحَها ثلاثة أَيَّام، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَشْرَافِهَا وَقُرَّائِهَا وَانْتَهَبَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً مِنْهَا، وَوَقَعَ شَرٌّ عَظِيمٌ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ عَلَى مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ. [البداية والنهاية: ٨/ ٢٤١.

(٥) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: تحديثُ ابن عمر لابن مطيع بالحديث الذي سمعه من رسول الله ﷺ إنَّما كان ليبيِّن له أنه لم ينكث بيعةَ يزيد، ولم يخلعها من عنقه؛ مخافة هذا الوعيد الذي تضمَّنه هذا الحديث. المفهم ٤/ ٦١.

بالخريبة -محلة عند البصرة- فقال: المسكين رأى منكرًا فأنكره، فوقع فيما هو أنكر منه.[(١)] الشريعة: ٣٥.

* وقال الواقدي: لما سُوِّد **الإمام مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) وسُمِع

---

(١) قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم، لأنهم قوم يتأوّلون القرآن على ما يهوون، ويموِّهون على المسلمين. وقد حذرنا الله عَزَّ وَجَلَّ منهم، وحذرنا النبي ﷺ، وحذرَناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان رحمة الله تعالى عليهم.

والخوارج هم الشُّراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين. الشريعة: ٢٩.

قال الآجري: فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام، عدلًا كان الإمام أم جائرًا، فخرج وجمع جماعة وسل سيفه، واستحل قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج. الشريعة: ٣٥.

وقال الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويرى أصحاب الحديث الجمعة، والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم، برًّا كان أو فاجرًا. ويرون جهاد الكفرة معهم، وإن كانوا جورة فجرة.

ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح.

ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف. عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٢٩٤.

وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمِنْ السنة لُزُومُ الجَمَاعَةِ، فَمَنْ رَغِبَ عَن الجَمَاعَة وفارقَها: فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام مِنْ عُنُقَه، وكانَ ضالًا مُضِلًا. شرح السنة / ٥٩.

وقال: ومَنْ خرجَ على إمام من أئِمّةِ المسلمين: فهو خارجي، وقد شَقّ عصا المسلمينَ، وخالفَ الآثارَ، وميتته مِيتةً جاهلية. شرح السنة / ٧٠.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: والأئمة لا يقاتَلون بمجرد الفسق، وإن كان الواحد المقدور قد يقتل لبعض أنواع الفسق: كالزنا وغيره، فليس كلما جاز فيه القتل جاز أن يقاتل الأئمة لفعلهم إياه، إذ فساد القتال أعظم من فساد كبيرة يرتكبها ولي الأمر. مجموع الفتاوى ٢٢/ ٦١.

منه، وقُبِل قوله، حسده الناس وبغوا عليه، فلما ولي جعفر بن سليمان على المدينة سعوا به إليه وأكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه شيئًا، ويأخذ بحديث يرويه ثابت الأحنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طلاق الْمُكره أنه لا يجوز.

فغضب جعفر ودعا به فاحتج عليه فيما رفع إليه، ثم جرَّده ومدَّه، فضربه بالسياط، ومُدَّت يده حتى انخلعت كتفه.

وقال الحنيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بقي مالك بعد الضرب مطابق اليدين لا يستطيع أن يرفعهما، وارتُكب منه أمرٌ عظيم، فوالله ما زال مالكٌ بعد ذلك الضرب في رفعة في الناس وعلوٍّ وإعظام، حتى كأنما كانت تلك الأسواطُ حليًّا حُلِّيَ بها.

قال أبو الوليد الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما حج المنصور قاد مالكًا من جعفر بن سليمان وأرسله إليه ليقتص منه، فقال: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوطٌ عن جسمي إلا وأنا أجعله في حلٍّ من ذلك الوقت لقرابته من رسول الله ﷺ. ترتيب المدارك (١/ ٢٢٩-٢٣٠).

* ولما أُخرج الإمام **أحمد بن حنبل** (ت: ٢٤١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى المعتصم يوم ضُرب قَالَ له العون الموكل به: ادع عَلَى ظالمك، قَالَ: ليس بصابرٍ مَن دَعا عَلَى ظالم. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٤١).

* ووَشَى رَجُلٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ المتوكّل شَيْئًا فَقَالَ: إِنَّ رَجُلًا من العلويين قد أوى إِلَى مَنْزِلِ **أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَهُوَ يُبَايِعُ لَهُ النَّاسَ فِي الْبَاطِنِ.

فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ نَائِبَ بغداد أن يكبس منزل أحمد من الليل، فلم يشعروا إِلَّا وَالْمَشَاعِلُ قَدْ أَحَاطَتْ بِالدَّارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى مِنْ فَوْقِ الْأَسْطِحَةِ، فَوَجَدُوا الْإِمَامَ أَحْمَدَ جَالِسًا فِي دَارِهِ مَعَ عِيَالِهِ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا ذُكِرَ عَنْهُ فَقَالَ: لَيْسَ عِنْدِي مِنْ هذا علم، وليس من هذا شيء، وَلَا هَذَا مِنْ نِيَّتِي، وَإِنِّي لِأَرَى طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَفِي عُسْرِي وَيُسْرِي، وَمَنْشَطِي وَمَكْرَهِي، وَأَثَرَةٍ عليَّ، وَإِنِّي لَأَدْعُو الله بِالتَّسْدِيدِ وَالتَّوْفِيقِ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ.[(١)]

فَفَتَّشُوا مَنْزِلَهُ حَتَّى مَكَانَ الْكُتُبِ وَبُيُوتَ النِّسَاءِ وَالْأَسْطِحَةَ وَغَيْرَهَا فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا.

فَلَمَّا بَلَغَ الْمُتَوَكِّلَ ذَلِكَ وَعَلِمَ بَرَاءَتَهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ كَثِيرًا. البداية والنهاية: ١١/ ٥٠.

* وقال لِابْنِ الْكَلْبِيِّ صَاحِبِ الْخَلِيفَةِ: مَا أَعْرِفُ نَفْسِي مُذْ كُنْتُ حَدَثًا إِلَى سَاعَتِي هَذِهِ إِلَّا أَدَّى الصَّلَاةَ خَلْفَهُمْ، وَأَعْتَدُّ إِمَامَتَهُ، وَلَا أَرَى الْخُرُوجَ. السنة للخلال: ٨٦.

* وقال أَبو الْحَارِثِ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ فِي أَمْرٍ كَانَ حَدَثَ بِبَغْدَادَ، وَهَمَّ قَوْمٌ بِالْخُرُوجِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا تَقُولُ فِي الْخُرُوجِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟.

فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ، الدِّمَاءَ، الدِّمَاءَ، لَا أَرَى ذَلِكَ، وَلَا آمُرُ بِهِ، الصَّبْرُ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْفِتْنَةِ يُسْفَكُ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَيُسْتَبَاحُ فِيهَا الْأَمْوَالُ، وَيُنْتَهَكُ فِيهَا الْمَحَارِمُ، أَمَا عَلِمْتَ مَا كَانَ النَّاسُ فِيهِ، يَعْنِي أَيَّامَ الْفِتْنَةِ.

قُلْتُ: وَالنَّاسُ الْيَوْمَ، أَلَيْسَ هُمْ فِي فِتْنَةٍ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟.

قَالَ: وَإِنْ كَانَ، فَإِنَّمَا هِيَ فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ، فَإِذَا وَقَعَ السَّيْفُ عَمَّتِ الْفِتْنَةُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، الصَّبْرَ عَلَى هَذَا، وَيَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ خَيْرٌ لَكَ، وَرَأَيْتُهُ يُنْكِرُ الْخُرُوجَ عَلَى الْأَئِمَّةِ.

وَقَالَ: الدِّمَاءَ، لَا أَرَى ذَلِكَ، وَلَا آمُرُ بِهِ. السنة للخلال: ٨٩.

* وقال حَنْبَل فِي وِلَايَةِ الْوَاثِقِ: اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَجَاءُوا

---

(١) هذا وقد ناله الكثير من الأذى في أيام حكم أخيه الواثق وأبيه المعتصم، ومع ذلك لم يخرج عليهم، وكان يرى السمع والطاعة لهم في غير معصية الله.

إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، هَذَا الْأَمْرُ قَدْ تَفَاقَمَ وَفَشَا، يَعْنُونَ إِظْهَارَهُ لِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ: «فَمَا تُرِيدُونَ؟.

قَالُوا: أَنْ نُشَاوِرَكَ فِي أَنَّا لَسْنَا نَرْضَى بِإِمْرَتِهِ، وَلَا سُلْطَانِهِ!.

فَنَاظَرَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ سَاعَةً، وَقَالَ لَهُمْ: عَلَيْكُمْ بِالنَّكِرَةِ بِقُلُوبِكُمْ، وَلَا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، وَلَا تَشُقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسْفِكُوا دِمَاءَكُمْ وَدِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَعَكُمْ، انْظُرُوا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ، وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، أَوْ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ. السنة للخلال: ٩٠.

ز- الدعاء لهم، والبعدُ عن الثناء عليهم إلا بحقّ:

* قال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): لو أنَّ لي دعوةً مستجابة ما جعلتها إلا في إمامٍ، فصلاحُ الإمام صلاحُ البلاد والعباد.[1] تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٧.

* وعن عُمَر بن الفضل قال: سألت **أبا العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -والحجاج في عِبائه[2]- فقلت: يا أبا العلاء أسب الحجاج؟ فقال: ادع له بالصلاح فإن صلاحه خير لك. الزهد لأحمد: ٤٢٢.

* ورحل الشيخ الإمام العلامة **عز الدين بن عبد السلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦٠) إلى بغداد سنة سبع وتسعين وخمس مائة، فأقام بها أشهرًا، **وكان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر**، وقد ولي الخطابة بدمشق، فأزال أشياء كثيرة من بدع الخُطباء،

(١) قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان: فاعلم أنَّه صاحب هوى، وإذا رأيتَ الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنَّهُ صاحبُ سُنَّةٍ -إن شاء الله-. شرح السنة / ١٠٥-١٠٦.

(٢) عَبَا المَتاعَ عَبْوًا وعَبَّاه: هَيَّأه، وعَبَّى الجيش: أَصْلَحه وهَيَّأه تَعْبيَةً وتَعْبِئَةً وتَعْبيئًا، وقال أَبو زيد: عَبَّأْتُه بالهمزة. لسان العرب، مادة عبا.

وفي الأصل: عِبَاتة، بالتاء. ولعل المثبت هو الصواب.

ولم يلبس سودًا ولا سَجَع خطبة، بل كان يقولها مسترسلًا، **واجْتَنب الثناء على الملوك، بل كان يدعو لهم**، وأبطل صلاة الرغائب والنصف. طبقات الشافعيين (٢/ ٣٢٣).

ل- الدخول على الأمراء والولاة، والتورع من قبول الأموال منهم:

* قال ابن حارث: رأيت في بعض الكتب، أن **محمد بن بشير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) لما وُجِّه فيه[1]، عدل في بعض طريقه إلى صديق له عابد، فنزل عليه، وتحدَّث معه في شأن نفسه، وتوقُّعه أنه وُجِّه إليه في الكتابة التي قد تخلى عنها.

فقال له صديقه: ما أرى بعث فيك إلا للقضاء، فقد مات قاضي قرطبة.

فقال له ابن بشير: فإذا قبلتها فما ترى؟ فانصح لي وأشر علي.

قال له العابد: أسألك عن ثلاثة أشياء فاصدقني فيها:

كيف حبُّك لأكل الطيِّب، ولباس اللين، وركوب الْفِاره؟.

فقال ابن بشير: والله ما أبالي ما رددت به جوعي، وسترت به عورتي، وحملت به رجلي.

فقال: هذه واحدة.

فكيف حبك للوجوه الحسان وشِبْه هذا من الشهوات؟.

فقال ابن بشير: هذه حالة والله ما استشرفت نفسي إليها قط، ولا خطرت ببالي.

قال: هذه ثانية.

كيف حبك للمدح والثناء وكراهتك للعزل، وحب الولاية؟

قال: والله ما أبالي في الحق مَن مدحني أو ذمني، وما أُسَرُّ بالولاية ولا أستوحش للعزل.

---

(١) أي: طلبه الأمير.

فقال له: اقْبل القضاء، ولا بأس عليك.[1] ترتيب المدارك (١/ ٥٢٤).

* وقال أَبُو بكر المرُّوذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) -وقال له عمُّه: لو دخلتَ إلى الخليفة فإنك تَكْرُم عليه- قَالَ: إنما غَمِّي من كرامتي عليه. طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٩).

* وذكر أَبُو النصر عبدالرحمن بن عبدالجبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخ هراة **شيخ الإسلام الأنصاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١)، فقال: لا يأخذ من السلاطين والظلمة والأعوان وأركان الدولة شيئًا، وقلَّما يُراعيهم، **ولا يدخل عليهم، ولا يبالي بهم، فبقي عزْيزًا مقبولًا**، قبولا أتم مِنَ المُلك على الحقيقة، مُطاعَ الأمر قريبًا من ستين سنة، من غير مزاحمةٍ ولا فتورٍ في الحال. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢).

* وقال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت خالي عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: حضرت مَعَ **القاضي الإمام والدك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨) فِي دار رئيس الرؤساء بعد مجيء طغرلبك[2]، وقد أنفذ إِلَيْهِ غير مرة ليحضر، فلما حَضَر قرَّبَه رئيس الرؤساء وزاد فِي إكرامه وإعظامه، وأجلسه حتى مس بعضه بجنب المخدة، وَقَالَ لَهُ: ما هَذَا الانقطاع؟ فَقَالَ لَهُ القاضي الإمام: يُروى عن شيخنا إبراهيم الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه اسْتزاره المعتضد وقرَّبه وأجازه، فردَّ جائزته، فَقَالَ لَهُ: اكتُم مجلسنا، ولا تُخْبر بما فعلنا بك، وبما قابلتَنا به، فَقَالَ لَهُ الحربي: لي إخوان لَوْ علِموا باجتماعي معك هَجَروني.

فَقَالَ لَهُ رئيس الرؤساء كلامًا أسرَّه إِلَيْهِ، ومدَّ كُمَّه إِلَيْهِ، فتأخَّر القاضي الإمام عَنْهُ، وسمعتُه يقول: **أنا فِي كِفاية ودَعَة**، فقلت لَهُ: يا سيدنا ما قَالَ لك؟ قَالَ: قَالَ لي: معي شيءٌ من بقيّة ذَلِكَ الإرث المستطاب، وليس مما قد تلوثنا به من الدنيا،

---

(١) ينبغي أن يقف على هذه الأسئلة ويُجيب عنها كلّ من طُلب لولاية أو رئاسة، وإنها والله لصعبة.

(٢) هو السلطان السلجوقي محمد بن ميكائيل السلطان الكبير ركن الدين أبو طالب.

فأحِبُّ أن تأخذه وتصرفه فِي بعض حوائجك، فقلت لَهُ: أنا فِي كفاية ودَعَة، أو كما قال.[1] طبقات الحنابلة (٣/ ٤١١).

ي- فوائد أخرى:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): «لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ -يَعْنِي أَمْرَ النَّاسِ- إِلَّا رَجُلٌ فِيهِ أَرْبَعُ خِلَالٍ: اللِّينُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَالشِّدَّةُ فِي غَيْرِ عُنْفٍ، وَالْإِمْسَاكُ فِي غَيْرِ بُخْلٍ، وَالسَّمَاحَةُ فِي غَيْرِ سَرَفٍ، فَإِنْ سَقَطَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَسَدَتِ الثَّلَاثُ». مصنف عبدالرزاق: (١٥٢٨٨).

* وأغْلظ رجلٌ على **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) فحلُم عنه فقيل له: أتحلُم عن هذا؟ فقال: إني لا أَحُول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يَحُولوا بيننا وبين سلطاننا. عيون الأخبار ٥٤/ ١.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إذا كان الإمام عادلًا فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائرًا فعليه الوزر وعليك الصبر. عيون الأخبار ٤٩/ ١.

* وقال **عبد الملك بن مروان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٦): أنصِفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا! ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر! نسأل الله أن يعين كلًا على كل. عيون الأخبار ٥٣/ ١.

* وعن **عمرو بن شرحبيل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٠) قال: لا يزال الناس بخير ما لم يكن عليهم أمراء لا يرون لهم من الحق شيئًا إلا ما شاءوا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٦.

* وعن محمد بن أبي جميلة قال: أرادني عبد الله بن عبد الملك على صحبته، فشاورت **عبد الله بن أبي زكريا** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧) فقال: أنت حر فلا تجعل نفسك مملوكًا. أخبار الشيوخ (٢٥).

---

(١) كان كثير من أهل العلم والوَرَع والصدق يتورعون عن عطايا الأمراء والحكام؛ رغبة في اكتساب المال الحلال، وترفعًا عن ذلِّ الأخذ، فاليد العليا خير من اليد السفلى.

* وكان يقال: إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا، وإن زادك فزدْه. عيون الأخبار ٦٢/ ١.

* وعن ابن هشام أنه قال: قال لي **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٨): يا علي، الملوك تحتمل لأصحابها كل شيء خلا ثلاث خصال، قلت: وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: القدح في الملك، وإفشاء السر، والتعرض للحرمة. المنتظم ٥٩/ ١٠.

سياسة الرعية(١)

* لما أراد **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) المسير إلى مصر، قال لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين؛ إني أريد أن أوصيك، قال: أجل فأوصني، قال: انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدِّها، وطغيان السّفلة فاعمل في قَمعها، واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع. الآداب الشرعية ١/ ١٤١.

* ومن كلام الفرس: لا مُلك إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

ومن كلامهم أيضا: الْمَلِكُ الذي يأخذ أموال رعيته ويجحف بهم؛ مثل من يأخُذ الطين من أصول حيطانه فيطين به سطوحه، فيوشك أن تقع عليه السطوح. الآداب الشرعية ١/ ١٤١.

---

(١) من أفضل من تكلم عن هذا الموضوع شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: السياسة الشرعية.

ذم التفاخر بالأحساب

* قال رجلٌ **للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): يا أبا عبدالله بَلَغَني أنك رجلٌ من العَرب، فمن أي العرب أنت؟ فقال: نحن قومٌ مساكين، وما نصنع بهذا؟ طبقات الحنابلة (٢/ ١٨٣)، الآداب الشرعية ٢/ ٢٢.

* وقال **ابن مفلح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٦٣): بعض الناس يترك الصفات المطلوبة التي هي سببٌ لحصول الرتب العالية؛ اتكالًا على حَسَبه ونَسَبه، وفعل آبائه، فهذا أعمى، فلله درُّ القائل:

لسنا وإن كَرُمت أوائلنا ... أبدًا على الأحساب نتَّكل
نَبْني كما كانت أوائلنا ... تَبْني ونفعلُ مثل ما فعلوا

الآداب الشرعية ١/ ١٦٦.

* ولقد أحسن **ابنُ الرُّومي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣) في قوله:

فلا تفتخر إلَّا بِما أنت فاعلٌ ... ولا تحسبنَّ المَجْد يُورَثُ كالنّسَب
وليسَ يَسُود المرءُ إلَّا بفعْلِهِ ... وإن عَدَّ آباء كرامًا ذَوِي حَسَب
إذا العود لم يُثْمِرْ وإن كان شُعبَةً ... من الْمُثْمِرات اعْتَدَّه النّاسُ في الحَطَب[١]

[الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (١٦٦).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

إذا لم تكُنْ نَفْسُ النّسيبِ كأصْلِهِ ... فماذا الذي تُغني كرامُ المَناصِبِ[٢]

(١) أي أنّ الناس يجعلون الغصن الذي لم يُثمر حطبًا، ولو كان نابتًا من أصل شجرة مثمرة.

(٢) **النسيب**: ذو النسب الكريم، والمناصب جمع منصب، والمنصب: الأصل. =

ديوان المتنبي (٣٠).

* ومما يُسْتحسن في هذا المعنى قول القائل:

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

ولله در القائل:

لسنا وإن أحسابنا كرمت ... أبدًا على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ... ونفعل مثل ما فعلوا

الجليس الصالح والأنيس الناصح (١٠٩)

= يقول: إذا لم يكن الرجل كريمًا في نفسه وفعله لم ينفعه كرم أصله. معجز أحمد (١٨٩).

ترك التكلّف

* قال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): اجْعل لنفسك في كلِّ شيءٍ غايةً ترجو القوة والتَّمام عليها.[١].

واعْلم أنك إنْ جاوزت الغاية في العبادة صرت إلى التقصير.

وإنْ جاوزتها في حمل العلم لحقت بالجهال.

وإن جاوزتها في تكلّف رضى الناس والخفة[٢] معهم في حاجاتهم كنت المخْسُور الْمُضَيِّع. الأدب الكبير (١١٤).

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨) في كتابه (تاريخ الإسلام) عن أحد العلماء: كان على طريقة السَّلف من طَرْح التّكلُّف..

وقال عن آخر: كان على طريقة السَّلَف، ورِعًا نَزِهًا..

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه طبقات الشافعيين عن أحد العلماء: تَارِك للتكلف على طَرِيقَة السّلف.

وقال ابْن السَّمْعَانِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أحدهم: تارك التكليف، على طريقة السلف.

وقَالَ الْإِسْنَوِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أحدهم: كَانَ متواضعا مَاشِيا على طَرِيقَة السّلف فِي طرح التَّكَلُّف.

---

(١) أي: اجْعل لنفسك في العلم، والعمل، والأخلاق، والعبادة، والمال، وكلّ شيء: غاية تنتهي إليها، وتثبت عليها، فإنْ لم تفعل خرجت عن حدّ الاعتدال إلى الغلوّ والتنطّع، أو الملل والسآمة.

(٢) أي: الطيش وعدم الترصّن.

وقال ابن قاضي شهبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه طبقات الشافعية عن أحدهم: مطرح الكلفة على طَريقَة السّلف.

وقال عن آخر: كان ريّض الْأَخْلَاق متواضعًا على طَريقَة السّلف.

وقَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة عن أحدهم: كانَ متواضعًا على طَريقَة السّلف فِي طرح التَّكَلُّف..[1].

---

(١) شدتني هذه العبارة وهي: طرح التكلف، وأنها طريقة ومنهج السلف الصالح، وقد تواطأ عليها كثير من العلماء، وهذا يدل على أن هدي السلف وطريقتهم ومنهجهم ليس قاصرا على مسائل الاعتقاد، بل يشمل ذلك الأخلاق كالتواضع وعفة اللسان والأدب والرحمة والرفق، والزهد، والورع، وترك التكلف في كلّ شيء، في المأكل والمشرب، والأخلاق، والمسكن، والتعامل، وغير ذلك.

فما أجمل أن تعيش حياتك بلا تكلف في مشيك، وكلامك، وتعاملك، وابتسامتك، وكن كما أنت، بلا تثاقل ممقوت، وتصنّع ممجوج؛ فإن الناس يكرهون مَن هذا طبعه، ويحبون مَن كان سهلًا سمحًا في تعامله وأخلاقه وجميع شؤونه.

والعالم أو طالب العلم ممن لم يذُق طعم السماحة واطِّراح التكلّف والدخول مع الناس وتقبل عاداتهم وطباعهم: قد خَنْدق نفسه بخنادق لم يُنْزل الله بها من سلطان، وحرم نفسه من لذة السماحة واطِّراح التكلّف التي تُوَلِّد التواضع والسعادة والرحمة في قلبه.

علوّ الهمة[1]

* عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: لما قُبِض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلمّ، فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فتركت ذلك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليَبلُغني الحديث عن الرجل، فآتي بابه وهو قائل، فأتوسَّد التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا بن عمّ رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقّ أن آتيك فأسألك عن الحديث.

فعاش ذلك الفتى الأنصاري حتى رآني، وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني. المستدرك للحاكم: (٣٦٣)، مسند الدارمي.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَلَلْتُ طالبًا، فعزَزْتُ مطلوبًا، وكان يقول: وجدْتُ عامّة عِلْم رسول الله ﷺ عند هذا الحيّ من الأنصار، إنْ كنتُ لأَقِيل بباب أحدهم ولو شئتُ

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وكمالُ كلِّ إنسانٍ إنَّما يَتِمُّ بهذين النَّوعين، هِمَّةٌ تُرقِّيهِ، وعلمٌ يُبصِّرهُ ويَهديهِ؛ فإنّ مَراتَب السَّعادَةِ والفَلاحِ إنَّما تفوتُ العَبدَ من هاتَين الجهتَين، أو مِن إحداهُما، إمَّا أنْ لا يكونَ له علمٌ بها، فلا يتحرَّكُ في طَلَبها، أو يكونَ عالمًا بها ولا تنهَضُ هِمَّتُهُ إليها، فلا يَزالُ في حضيضِ طَبعه محبوسًا، وقلبُهُ عن كمالِهِ الذي خُلِقَ له مصدودًا منكوسًا، قد أسامَ نفسَهُ مع الأنعام راعيًا مع الهَمَلِ، واستطابَ لُقَيماتِ الرَّاحَةِ والبطالَةِ، واسْتَلاَنَ فِراشَ العجزِ والكَسَلِ، لا كَمَن رُفِعَ له عَلَمٌ فشمَّرَ إليه، وبُورِكَ له في تفرُّدِهِ في طريقِ طلبِهِ، فَلَزِمَهُ واستقامَ عليه، قد أَبَتْ غَلَباتُ شوقِهِ إلاّ الهجرَةَ إلى الله ورسولِهِ، ومقَتَتْ نفسُهُ الرُّفقاء إلاّ ابنَ سبيلٍ يُرافِقهُ في سبيلِهِ. مفتاح دار السعادة ٢١٤-٢١٥/ ١.

أُذِن لي، ولكن أبتغي بذلك طِيب نفسه. عيون الأخبار ٥١٩-٥٢٠/ ٢.

* ونظر رجل إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو غلام صغير، فقال: إني أظن هذا الغلام سيسود قومه، فقالت **هند بنت عتبة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ١٤): ثكلتُه إن كان لا يَسُود إلا قومَه. عيون الأخبار ٢٥٦ / ١.

* وعن أبي الزناد قال: اجتمع في الحجر **مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير، وعبد الله بن عمر**، فقالوا: تمنوا، فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا، فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا، فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا، فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين قال عبد الله ابن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة قال: فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر غفر له. صفة الصفوة ١/ ٢٦٧.

* وعن الشعبي قال: خرج **مسروق** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٣) إلى البصرة، إلى رجل يسأله عن آية، فلم يجد عنده فيها علما، فأخبر عن رجل من أهل الشام فقدم علينا ها هنا، ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها. تهذيب الحِلْية ٣٠٥/ ١.

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: ربما أتيتُ ابنَ عباس، فكتبتُ في صحيفتي حتى أملأها، وكتبتُ في نعلي حتى أملأها، وكتبتُ في كفّي. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٧.

* وقال **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤): إن كنت لأسير الأيام والليالي في طَلَبِ الحديث الواحد. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٢.

* وقال معن بن عبد الرحمن: ما رأيت **مسعرًا** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٢) في يوم إلا قلت: هو أفضل منه قبل ذلك. تهذيب الحِلْية ٤٢٠/ ٢.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١): كانت لي نفس تواقة، فكنت

لا أنال منها شيئًا إلا تاقت إلى ما هو أعظم، فلما بلغت نفسي الغاية، تاقت إلى الآخرة. تهذيب الحِلْية ٢٣٧/ ٢.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: من استطاع منكم أن يكون إماما لأهله، إماما لحيه، إماما لمن وراء ذلك، فإنه ليس شيء يؤخذ عنك إلا كان لك منه نصيب. الزهد لابن المبارك (٨٠٣).

* وعن فرقد إمام مسجد البصرة قال: دخلوا على **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤١) في مرضه الذي مات فيه، فحدثه رجل بحديث فأعجبه، وضرب يده إلى تحت فراشه فأخرج ألواحًا له فكتب ذلك الحديث، فقالوا له: على هذه الحال منك؟ فقال: إنه حسن، إن بقيت فقد سمعت حسنًا، وإن مت فقد كتبت حسنًا. تهذيب الحِلْية ٤٠٤/ ٢.

* وقال **بعضهم**:

فكن رجلًا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا

المنتظم ١٥ / ٢٣٢.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): من عرف ما يَطلب هان عليه ما يَبذل. صفة الصفوة ٢/ ٦٣٠.

* وعن أبي محمد بن أخت الشافعي قال: قالت أمي: ربما قدمنا في ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح إلى بين يدي **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤)، وكان يستلقي ويتفكر، ثم ينادي يا جارية هلمي المصباح، فتقدمه ويكتب ما يكتب، ثم يقول: ارفعيه. فقلت لأبي محمد: ما أراد برد المصباح؟ قال: الظلمة أجلى للقلب. تهذيب الحِلْية ١٢٤/ ٣.

* وقال **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه. تهذيب الحِلْية ٣٥٤/ ٢.

* وقَالَ أبو سعيد الحداد: دخلت عَلَى **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) الحبس قبل الضرب(١)، فقلت له فِي بعض كلامي: يا أبا عبدالله عليك عيال، ولك صبيان، وأنت معذور -كأني أُسهِّل عليه الإجابة(٢)- فقال لي أحمد بن حنبل: إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد استرحتَ.(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٩٤)، الآداب الشرعية ٢/ ١٤.

* وقال مُحَمَّد بن حسنويه: حضرتُ **أبا عبدالله أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجاءه رجل من أهل خراسان فقال: يا أبا عبدالله قصدتك من خراسان أسألك عَنْ مسألة، قَالَ له: سَلْ، قَالَ: متى يجدُ العبد طعم الراحة؟ قَالَ: عند أوَّلِ قدم يضعها فِي الجنة. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٩٠).

* وعن محمد بن يوسف قال: كنت عند **محمد بن إسماعيل البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٦) في منزله ذات ليلة، فأحصيت أنه قد قام وأسرج يستذكر أشياء يُعلِّقُها في ليلة ثماني عشرة مرة. المنتظم ١١٥/ ١٢.

* وقال **قَتَادَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١١٨): يا ابن آدَمَ، إِنْ كُنْتَ لَا تُرِيدُ أَنْ تَأْتِيَ الْخَيْرَ إِلَّا عَنْ نَشَاطٍ فَإِنَّ نَفْسَكَ مَائِلَةٌ إِلَى السَّآمَةِ وَالْفُتُورِ وَالْمَلَلِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ الْمُتَحَامِلُ، وَالْمُؤْمِنُ هُوَ الْمُتَقَوِّي. الحِلْية ٣٣٥/ ٢.

* وقيل **للعتّابيّ كلثوم بن عمرو** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٨): فلان بعيدُ الهمة قال:

---

(١) وذلك حينما حبسه المعتصم في فتنة القول بخلق القرآن -والعياذ بالله-، قبل أن يضربه بالسياط.

(٢) أي: إجابة الخليفة في القول بخلق القرآن.

(٣) أي: إذا كان نظرك وهمّك في سلامة العيال والصبيان، والأخذ بالرخصة؛ فقد استرحتَ في الدنيا من الهموم والغموم، وهذا يقدر عليه كلّ أحد، ولكن الحزم وكمال العقل في عدم الاقتصار على هذا النظر، بل ينظر العاقل المؤمن إلى سلامة الدين، والأخذ بالعزيمة عند الضرورة، وهذا ما فعله الإمام أحمد.

فصاحب الهِمّة، الذي يحمل رسالة عظيمة شريفة؛ لا يرتاح حتى يبلّغها ويعمل بها.

* وقال **بعضهم**:

والنفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتَها ... وإذا تُرَدُّ إلى قليل تَقْنَعُ

عيون الأخبار ٢/ ٥٨٨.

* وقال **عبد الرحمن بن أبي حاتم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٧): كنا بمصرَ سبْعَة أشهر، لم نأكل فيها مرقة، كُلُّ نهارِنا مقسّم لمجالس الشُّيُوخ، وبالليل: النَّسْخُ والمقابلة، قال: فأتينا يومًا أنا ورفيق لي شيخا، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتْنا، فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت، حضر وقتُ مجلسٍ بعض الشيوخ، فلم يُمْكِنَّا إصلاحُه، ومضَيْنا إلى المجلس، فلم نَزَلْ حتى أتى عليه ثلاثة أيام، لم يكن لنا فراغ أن نُعْطِيَه من يشويه.

ثم قال: لا يستَطاعُ العِلمُ براحةِ الجَسَد. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠٧٩.

* وقال **أبو جعفر الطَّبريُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠) لأصحابه: هل تَنشَطُون لتاريخ العالم من آدمَ إلى وقتِنا؟ قالوا: كم قدرُه؟ فذكر نحو ثلاثينَ ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمارُ قبل تمامه! فقال: إنَّا لله! ماتت الهِمَمُ. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة ولمَّا أن أراد أن يمليَ التفسير قال لهم نحوًا من ذلك، ثم أملاه على نحوٍ من قدر التاريخ. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٥١، طبقات الشافعيين (١/ ٢١٠).

* وقال **ابن حِبَّان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٥٤) في أثناء كتاب «الأنواع»: لعلَّنا قد كتَبنا عن أكثرَ من ألفي شيخ.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كذا فلتكن الهمم، هذا مع ما كانَ عليه من الفقهِ والعربيَّةِ، والفضائل الباهرة، وكثرة التصانيف. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٦٩.

* وقال **أبو حاتم الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٧) لابنه عبد الرحمن: أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، لم أزل أُحصي حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٣٥٩).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

وإذا كانَــتِ النُّفُــوسُ كِبــارًا ... تَعِبَــتْ في مُرادِهــا الأجْســامُ

* وقال:

لَـوْلا المَشَـقّةُ سَـادَ النّـاسُ كُلُّهُـمُ ... الجُـودُ يُفْقِـرُ وَالإقْـدامُ قَتّـالُ

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْم تأتي العَزائِمُ ... وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارمُ(١)

وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها ... وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ(٢)

ديوان المتنبي (١٩٤، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٣٨).

* وذكر **أبو محمد بن حزم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٦) أن سبب تعلمه الفقه أنه شهِد جِنازة، فدخل المسجدَ، فجلس ولم يركع، فقال له رجل: قُم فصلِّ تحية المسجد، وكان قد بلغ ستًّا وعشرين سنة.

قال: فقُمتُ وركعتُ، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة، دَخَلْتُ المسجد فبادرتُ بالركوع، فقيل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة -وكان بعدَ العصر-، فانصرفتُ وقد حزِنت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دار الفقيه

---

(١) يقول: عزيمة كل إنسان على قدر همته وشهامة قلبه، إن كان عظيم القدر والخطر، جد أمره ومضت عزائمه، وإن كان الرجل فشلًا اضمحلت وبطلت، وكذلك المكارم: تكون على حسب فاعليها، فهي من الشريف شريفة، ومن الوضيع وضيعة.

(٢) الضمير في صغارها للمكارم والعزائم.

يقول: الرجل الصغير النفس يستكبر الصغير، والعالي الهمة يصغر في عينه ما يفعله وإن كان عظيمًا. معجز أحمد (٣٢١).

أبي عبد الله ابن دحون، فقصدته، وأعلمته بما جرى، فدلني على «موطأ» مالك، فبدأتُ به عليه، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحوًا من ثلاثة أعوام، وبدأتُ بالمناظرة. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٤٠١.

* وكان **الحافظُ الخطيب البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٣) يمشي وفي يده جزءٌ يُطالعه. تهذيب السِّيَر ٢/ ١٤١٣.

* وذكر ابن خلكان في «الوفيات» أن سبب انتقال **الطحاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢١) إلى مذهب أبي حنيفة ورجوعه عن مذهب خاله المزني، أن خاله قال له يوما: والله لا يجيء منك شيءٌ. فغضب واشتغل على أبي جعفر بن أبي عمران الحنفيّ، حتى برع وفاق أهل زمانه، وصنف كتبا كثيرة منها «أحكام القرآن»، و «اختلاف العلماء»، و «معاني الآثار» و «التاريخ الكبير». البداية والنهاية ١١/ ٢٤٨.

* وقال ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما فقدت **إبراهيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥) من مجلس نحوٍ أو لغةٍ خمسين سنة. المنتظم ١٢/ ٣٨١.

* وقال بعضهم:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران

أقبلْ على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

البداية والنهاية ١١/ ٣٦٤.

* وعن أبي الحسن العروضي قال: كان يتردد **ابن الأنباري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٨) إلى أولاد الراضي، فسألته جارية عن تفسير رؤيا فقال: أنا حاقن، ثم مضى فلما كان من غد عاد وقد صار معبراً للرؤيا، وذلك أنه مضى من يومه، فدرس كتاب الكرماني وجاء. المنتظم ١٣/ ٣٩٩.

* وعن **عيسى المتوكلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٦٣) قال: مكثت ثلاثين سنة أشتهي

أن أشارك العامة في أكل هريسة السوق فلا أقدر على ذلك، لأجل البكور إلى سماع الحديث. المنتظم ٢٣٣/ ١٤.

* وعن **عبد الله بن عمر القواريري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ الله (ت: ٢٣٥) أنه قال: لم تكن تكاد تفوتني صلاة العتمة في جماعة فنزل بي ضيف فشغلت به، فخرجت أطلب الصلاة في قبائل البصرة، فإذا الناس قد صلوا.

فقلت في نفسي: قد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ إحدى وعشرين درجة»، وروي: «خمسًا وعشرين»، وروي: «سبعًا وعشرين»، فانصرفت إلى منزلي فصليت العتمة سبعًا وعشرين مرة ثم رقدت، فرأيتني مع قوم راكبي أفراس وأنا راكب فرسًا كأفراسهم، ونحن نتجارى وأفراسهم تسبق فرسي، فجعلت أضربه لألحقهم، فالتفت إلي أحدهم فقال: لا تجهد نفسك، فلست تلاحقنا، قلت: ولِمَ ذاك؟ قال: لأنا صلينا العتمة في جماعة. المنتظم ٢٣٢/ ١١.

* ودخل على **عبد العزيز بن مروان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٥) رجل يشكو صهرًا له، فقال: إن ختني فعل بي كذا وكذا، فقال له عبد العزيز: من خَتَنَك؟ فقال له: خَتَنَني الختان الذي يختن الناس، فقال عبد العزيز لكاتبه: ويحك، ما أجابني، فقال له: أيها الأمير، إنك لحنت وهو لا يعرف اللحن، كان ينبغي أن تقول له: من خَتَنُك، فقال عبد العزيز: أراني أتكلم بكلام لا يعرفه العرب، لا شاهدت الناس حتى أعرف اللحن.

فأقام في البيت جمعة لا يظهر، ومعه من يعلمه العربية، فصلى بالناس الجمعة وهو من أفصح الناس. المنتظم ٢٦٤/ ٦.

* وكَانَ **أَبُو يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨): يقسم ليله كله أقسامًا، فقِسم للمنام،

وقسم للقيام، وقسم لتصنيف الحلال والحرام. طبقات الحنابلة (٣/ ٣٨٠).

* وكَانَ **أَحْمَد بن عَبْدالدايم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦٧) يكتب خطًّا حسنًا، ويكتب سريعا، فكتب مَا لا يوصف كثرة من الكتب الكبار، والأجزاء المنثورة لنفسه وبالأجرة، حَتَّى كَانَ يكتب فِي اليوم إِذَا تفرغ تسعة كراريس أَوْ أَكْثَر، ويكتب مَعَ اشتغاله بمصالحه الكراسين والثلاثة، وكتب «الخرقي» فِي ليلة واحدة، وكتب «تاريخ الشام لابن عساكر» مرتين، و«المغني للشيخ موفق الدين» مرات.

وذكر: أَنَّهُ كتب بيده ألفي مجلدة، وأنه لازم الكتابة أزيد من خمسين سنة. ذيل الطبقات (٤/ ٩٨).

* ولزم العلامة **النَّووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٦) المشايخ تصحيحًا وشرحًا، فكان يقرأ في كل يوم اثني عشر درسًا على المشايخ.

وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتحري والانجماع عن الناس على جانب كبير لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره، وكان يصوم الدهر، ولا يجمع بين إدامين، وكان غالب قوته مما يحمله إليه أبوه من نوى، وكان لا يضيع شيئا من أوقاته، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم.[1] [البداية والنهاية (١٧/ ٥٤٠).

* وقال **بعضهم**:

إذا كان الفتى ضخمَ المعالي … فليس يضرُّه الجسمُ النحيل

تراه من الذكاء نحيفَ جسم … عليه من تَوَقُّدِه دليل

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٦٤).

---

(١) حينما جد واجتهد وصدق في طلب العلم ونشره والعمل به: بارك الله له في علمه، ونشر كتبه، مع قصر عمره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* وكانت حلقات الدروس[1] التي يعقدها الشيخ **محمد بن إبراهيم آل شيخ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٨٩) تبدأ بعد صلاة الفجر مباشرة، ويحضرها أكثر من مئة وخمسين طالبًا من طلاب العلم، ويقوم سماحته بسماع واحد من الطلاب المتفوقين يقرأ عليه من كتب النحو، مثل «ألفية ابن مالك» وشروحها، بعد ذلك يقوم الشيخ محمد بتقرير المسائل، وشرح العبارات تقريرا واسعا حتى قبيل شروق الشمس، ثم ينصرف إلى منزله المجاور للمسجد، ويقوم الشيخ عبدالله بن دهيش -والذي كان يجلس بجانب سماحته- بالاستماع إلى حفظ بعض الطلاب، ثم يعيد الدرس الذي قرره الشيخ محمد، حرفيًّا أو بالمعنى أو خلاصة له، لمدة ساعة تقريبا، ثم ينصرف الجميع لمدة نصف ساعة تقريبا لتناول الإفطار في مساكنهم.

وفي الصباح يجلس الشيخ محمد في منزله يحضر عنده كبار الطلبة، ويبدأ أحد الطلاب بقراءة متن الزاد، ثم الكتب المطولة في الفقه، مثل الإنصاف، وشرح المنتهى، وشرح الإقناع، وشرح المفردات، وبعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، كالفتاوى، وكتب الفقه الأخرى، وكتب ابن القيم، مثل كتاب: الهدي النبوي، ومفتاح دار السعادة، لمدة ساعتين إلى ثلاث ساعات، ثم ينصرف الجميع إلى منازلهم وقضاء حاجاتهم.

وبعد صلاة الظهر والعصر يدرّس الطلاب بعض كتب الحديث، مثل: الصحيحين، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وأبي داود، وابن ماجه، والدارقطني، ومسند الإمام أحمد، وبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، مثل: الرسائل، والمنتقى في أحاديث الأحكام للمجد ابن تيمية.

وبعد صلاة المغرب والعشاء تستمرّ الدروس في كتب كثيرة، مثل: الواسطية،

(١) التي يلقيها في مسجد دخنة بالرياض.

والحموية، والهدي النبوي، وإعلام الموقعين، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي من أمهات الكتب.[١] علماء نجد (٤/ ٢٧٠-٢٧١).

* وتوفي والد الشيخ **إبراهيم بن عبد الملك بن حسين آل الشيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٣٦) وعُمْرُه خمسةَ عشر عامًا، فأتَى وجهاءُ الحوطة إلى الشيخ صالح بن محمد الشثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليكون قاضيًا لهم بعد الشيخ عبد الملك، فاعتذر عن القضاء، ودلّهم على ابنِه إبراهيم، فأرسل إليه، وقال له: إنك من أسرة مباركة، وقد توفي والدك وأنت مكانه في القضاء، فهاب الشيخ إبراهيم القضاء لصغر سنّه، وقال: لا أستطيع القضاء، فقال له الشيخ صالح: يا بنيّ كن في القضاء وأنا معك أسدّد أمورك، فالتزم ومكث حوالي (٥٢) سنة. علماء نجد (١/ ٣٤١).

* وقال **بعضهم**:

لا تــدع خدمــة الأكابـر واعلـم … أنَّ في خدمــة الصّغــار صَغــارا[٢]

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٥٢).

* وقال **ابن جزيّ المالكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤١):

لـكلّ بنـي الدّنيـا مـراد ومقصـد … وإن مـرادي صحّـة وفـراغ

لأَبْلُـغ في علـم الشـريعة مبلغـا … يكـون إلـى بـرِّ الجِنـان بـلاغ

فمـا الفـوز إلا في نعيـمٍ مؤبّـد … بـه العيش رغْـدٌ والشـراب يُسـاغ

طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٧).

---

(١) انظر إلى همة هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكيف بذل جلّ أوقاته للعلم والتعليم، ولهذا كان زمانه زمانٌ كثر فيه العلماء، وازدهرت الحياة العلمية والدعوية، فكم نحتاج في كل زمان ومكان إلى علماء بذلوا أوقاتهم للتعليم والدعوة إلى الله تعالى.

(٢) فإنّ خدمة العبد لأمثاله العبيد لن يخلّصه من رق الذل والفقر والصغار، وإنما يُخلّصه خدمة سيّده الغني الكريم الرحيم به.

فكن مع الله ولله، وكلّ ما سواه ينقطع ويزول.

ذم الكسل(١)

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٢): «إني لأبغض الرجل أن أراه فارغًا، ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة». مصنف ابن أبي شيبة: (٣٤٥٦٢).

* وقال **محمد بن علي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١١٨) لابنه: يا بني، إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقًا، وإن ضجرت لم تصبر على حق. تهذيب الحِلْية ٥٠٧/ ١.

* ومما قيل:

نَهارُك يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ ... ولَيْلُكَ نومٌ والرَّدَى لك لازمُ
وتتعب فيما سوف تَكرَهُ غِبَّهُ ... كَذَلِكَ في الدُّنيا تعيشُ البَهَائِمُ

العمدة في محاسن الشعر: ١/ ٣٧.

* ومرّ **شريح** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٨٠) بقوم وهم يلعبون، فقال: مالكم؟ قالوا: فرغنا يا أبا أمامة اليوم، قال: ما بهذا أُمر الفارغ(٢). الزهد لوكيع (٣٦٨)، تهذيب الحِلْية ٦٨/ ٢.

(١) الكسل أساس السّقم وضيق الصدر وضعفِ الهمّة والتفريط، قال ابن القيم: «ولهذا تجد الكسالى أكثر الناس همًّا وغمًّا وحزنًا، ليس لهم فرحٌ ولا سرورٌ، بخلاف أرباب النشاط والجدِّ في العمل أيِّ عملٍ كان، فإن كان النشاطُ في عملٍ هُمْ عالمون بحسن عواقبه وحلاوة غايته: كان الْتذاذُهم بحبِّه ونشاطُهم فيه أقوى. روضة المحبين ص: ١٦٨.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح:٧].

وهذا حال كثير من الناس في الإجازات، فلا يخطر في بالهم إلا ملأ فراغهم بالنزهات واللعب، وما بهذا أمر الله الفارغ.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): لا يُستطاع العِلْمُ براحة الجسد[١]. صحيح مسلم (٦١٢).

* وقال **ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٥):

إذا كُنتَ تُؤذى بحرِّ المَصِيف ... ويُبس الخريفِ وبَرْدِ الشِّتا
ويُلْهِيكَ حُسْنُ زَمانِ الرَّبيع ... فأَخذُكَ لِلْعِلْمِ قُل لي مَتَى؟

تهذيب السِّيَر ٣/ ١٣٢٥.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوانُ عَلَيهِ ... ما لجُرْحٍ بمَيِّتٍ إيلامُ

ديوان المتنبي (٢٣٢).

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدْرَك بالنعيم، وأن من رافق الراحة فارق الراحة، فإنه على قدر التعب تكون الراحة. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٤٥.

نساء السلف

* عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرض ابنٌ لأبي طلحة من **أم سليم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٤٠)، قال: فمات الصبي في المخدع فسجته، ثم قامت فهيأت لأبي طلحة إفطاره كما كانت تهيء له كل ليلة، فدخل أبو طلحة وقال لها: كيف الصبي؟ قالت: بأحسن حال، فحمد الله ثم قامت فقربت إلى أبي طلحة إفطاره، ثم قامت إلى ما تقوم إليه النساء فأصاب أبو طلحة من أهله، فلما كان السحر قالت: يا أبا طلحة ألم تر آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت منهم شق عليهم، قال: ما أنصفوا قالت: فإن ابنك كان عارية من الله عَزَّ وَجَلَّ وإن الله تعالى قد قبضه، فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «**يا أبا طلحة بارك الله لكما في ليلتكما**»، فحملت بعبد الله بن أبي طلحة. مسند الإمام أحمد: ١٢٠٢٨، وصحح إسناده محققوه.

* وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رَحِمَهُ اللَّهُ قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأةٍ من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعُوا لها قالت: فما فعل رسول الله؟ قالوا: خيرًا يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرُونِيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كلُّ مصيبة بعدك جلل![1] تاريخ الطبري (٢/ ٥٣٣).

(١) أي هيّن، ويكون في غير ذا بمعنى عظيم. السِّيَر (١/ ٤٢٤)

والحديث بهذا الإسناد مرسلٌ حسنٌ إلى إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص. =

* وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أريك **امرأة من** أهل الجنة؟ قلت بلى! قال: هذه المرأة السوداء أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت أن يعافيك) قالت: أصبر ولكن ادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها. صحيح البخاري (٥٣٢٨).

* وقال الذهبي: **أم عمارة نَسيبَةُ بنت كعب بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ١٣)، الفاضلة المجاهدة الأنصارية.

شَهِدتْ أمُّ عمارة ليلة العقبة، وشهدت أُحدًا، والحديبية، ويوم حُنين، ويومَ اليمامة، وجاهدت، وفعلت الأفاعيل، وقُطعت يدُها في الجهاد.

وكان ضَمرةُ بن سعيد المازنيُّ يُحدث عن جَدَّتِه، وكانت قد شَهدت أُحدًا، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لمُقامُ نَسِيْبَةَ بنت كعبٍ اليوم خَيرٌ من مُقام فُلان وفُلان».

وكانت تَراها تُقاتِلُ أشدَّ ما يكون القتال، وإنَّها لحاجزةٌ ثوبها على وسطها، حتى جُرحت ثلاثةَ عشرَ جُرحًا، وكانت تقول: إني لأنظُر إلى ابن قمِئة وهو يضربُها على عاتقها وكان أعظم جراحها، فداوتهُ سنةً. ثم نادى منادي رسول الله ﷺ: إلى حَمراء الأسد. فشدَّت عليها ثيابَها، فما استطاعت من نزف الدم. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورحمها.

وعن عُمارة بن غَزيَّة قال: قالت أُمُّ عمارة: رأيتُني وانكشف النَّاسُ عن رسول

= هذا مع التنبيه إلى أنّ أهل العلم يتساهلون في أمر الأسانيد في أبواب السير والمغازي والتواريخ ما لا يتساهلون في غيرها، فتُذكر المراسيل ونحوها في هذه الأبواب للاعتبار، لا سيما إذا اشتهرت عند أهل الفن - السير والمغازي -، وتواردوا على ذكرها في كتبهم. يُنظر: موقع: الإسلام سؤال وجواب (٢٦٩٧٨٣).

الله ﷺ، فما بقي إلا نُفَير ما يُتِمُّون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نَذُبُّ عنه، والناسُ يمرون به مُنْهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلًا موليًا ومعه تُرس، فقال: ألقِ تُرسكَ إلى مَن يقاتلُ، فألقاه فأخذتُهُ. فجعلت أُتَرِّسُ به عن رسولِ الله. وإنَّما فعل بنا الأفاعيل أصحابُ الخيل، لو كانوا رجَّالةً مثلَنا أصبناهم، إن شاء الله.

فيُقبلُ رجلٌ على فرسه فيضربُني، وترَّستُ له، فلم يصنع شيئًا، فأضربُ عُرقوب فرسه، فوقع على ظهره. فجعل النبيُّ ﷺ يصيح: يا ابن أُمِّ عُمارة، أُمَّكَ! أُمَّكَ! قالت: فعاونني عليه، حتى أوردتُه شعوب[1]». تهذيب السِّيَر ١/ ٢٥٨ - ٢٥٩.

روى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما التفتُّ يوم أُحد يمينًا ولا شمالًا إلا وأراها** -أي أم عمارة- **تقاتل دوني**».

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال علماء السير: فلم تزل الحرب إلى قبيل مقتل ابن الزبير[2]، فتفرق عامة أصحابه وخذلوه، وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان حتى ذُكر أن ولديه حمزة وحبيب أخذوا لأنفسهما أمانًا، فدخل عبد الله بن الزبير على أمه **أسماء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٣) حين رأى من الناس ما رأى من الخذلان، فقال لها: خذلتني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا من ليس عنده من الدفع أكثر من ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، وقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك فينقلب بها غلمان بني

---

(١) قال في الحاشية: شعوب: من أسماء المدينة.

(٢) وذلك أن عبد الملك بن مروان بعث الحجاج بن يوسف لقتال عبد الله بن الزبير، فحاصره وهو في المسجد الحرام في مكة ثمانية أشهر.

أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك، وإن قلت: كنت على الحق فلما وهن أصحابك ضعفت، فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل الدين، وكم خلودك في الدنيا! القتل أحسن.

فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي، والذي قمت به ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله عَزَّوَجَلَّ أن تستحل حرمته، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك في مثل ذلك، فانظري يا أمي فإني مقتول في يومي هذا، فلا يشتد حزنك، وسلمي الأمر لله عَزَّوَجَلَّ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر، ولم يجُرْ في حكم الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته، ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي عَزَّوَجَلَّ، اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي، أنت أعلم بي، ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلوَ عنِّي، فقالت: إني لأرجو من الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون عزائي فيك حسنًا إن تقدمتني، أخرج حتى أنظر ما يصير أمرك، فقال: جزاكِ الله يا أماه خيرًا، ولا تدعي الدعاء لي قبل وبعد، فقالت: لا أدعه أبدًا، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق، ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، ذلك النحيب في الظلماء، وذلك الصوم في هواجر المدينة ومكة، وبره بأبيه وبي، اللهم إني قد أسلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين. المنتظم ١٢٥-١٢٦/٦.

* وعن إبراهيم بن عقبة قال: سمعت **أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص**(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول لنسائها في الليل: أحلُلْنَ عقد الشيطان، ليس هذا ساعة نوم. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٠.

---

(١) مشهورة بكنيتها، لها ولأبويها صحبة، وكانا ممن هاجر إلى الحبشة، وقدما وهي صغيرة.

* وعن ثابت البناني: أن صلة بن أشيم كان في مغزًى له، ومعه ابن له فقال: أيْ بنيّ تقدّم فقاتل حتى أحتَسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم تقدّم فقتل، فاجتمعت النساء عند امرأته **مُعاذة العَدَوِيّة** رَحِمَهَا ٱللَّهُ (ت: ٨٣)، فقالت: مرحبًا، إن كنتنّ جئتُنّ لتهنّئْنني فمرحبًا بكم، وإن كنتُنّ جئتنّ لغير ذلك فارجعْن. صفة الصفوة ٢/ ١٥٣.

* وعن **جويرية بنت أسماء** رَحِمَهَا ٱللَّهُ (ت: ٥٦) قالت: إن إخوة ثلاثة من بني قطيعة شهدوا يوم تُستَر، فاستُشهِدوا، فخرجت أمهم يومًا إلى السوق لبعض شأْنها، فتلقَّاها رجل قد حضَر أمْرَ تُستَر فعرَفَته فسألته عن بَنيها، فقال: استشهدوا، فقالت: أمُقْبلين أم مُدْبرين؟ فقال: مُقْبِلين.

فقالت: الحمد لله نالوا الفوز وحاطُوا الذمارِ، بنفسي هم وأبي وأُمِّي. صفة الصفوة ٤/ ٥٨٩.

* وعن السري بن بكير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أدركت **عواتق الحي** يقمن بالليل. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٩.

أطفال السلف

* عن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم، ودعاني معهم، وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني. فقال: ما تقولون: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر:١] حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله تعالى ونستغفره، إذا جاء نصر الله وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري؟ ولم يقل بعضهم شيئًا. فقال لي: يا ابن عباس كذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك، ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر:٣]، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. صحيح البخاري (٤٠٤٣).

* وقال أسلم: بينا أنا مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يَعُسّ المدينةَ إذْ عيِيَ فاتّكأ إلى جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول **لابنتها**: يا ابنتاه قُومي إلى ذلك اللَّبن فامذُقيه بالماء، فقالت لها: يا أُماه أو ماعلمتِ ما كان من عزْمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عَزمته يا بنيّة؟ قالت: إِنّه أمر مناديه فنادَى: أن لا يُشابَ اللَّبن بالماءِ. فقالت لها: يا بنيَة قُومي إلى ذلك اللّبن فامذُقيه بالماءِ، فإنّك بموضعٍ لا يراكِ عُمر ولا مُنادِي عمر، فقالت الصبية لأمها: يا أمَّاه والله ما

كنتُ لأطيعه في الملأ وأعْصِيه في الخلاءِ. صفة الصفوة ٤/ ٥٩٣.

* ومرّ عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالصبيان وفيهم **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، ففرّوا ووقف، فقال له عمر: ما لك لم تَفِرّ مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم أَجْرِم فأخافَك، ولم يكن بالطريق ضِيقٌ فأُوسعَ لك. عيون الأخبار ٢ / ٥٩٥.

* وعن أيوب، عن أبي قلابة، عن **عمرو بن سلمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٥) قال[1]: قال لي أبو قلابة: ألا تلقاه فتسأله؟ قال فلقيته فسألته فقال: كنا بماء ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم: ما للناس، ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله، أوحى إليه. أو: أوحى الله بكذا، فكنت أحفظ ذلك الكلام، وكأنما يقر في صدري، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح، بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقا، فقال: (صلوا كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنا). فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني، لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم، وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة، كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا است قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص. صحيح البخاري (٤٠٥١).

* وقدم **إياس بن معاوية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٢) الشام وهو غلام فقدّم خصما له إلى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخًا كبيرًا، فقال له القاضي: أتقدّم شيخًا كبيرًا؟ فقال له إياس: الحق أكبر منه، قال: اسكت، قال: فمن ينطق

(١) القائل: هو أيوب.

بحجتي؟ قال: ما أظنك تقول حقًّا حتى تقوم، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر، فقال: اقضِ حاجتَه وأخرجه من الشام لا يفسدْ عليَّ الناس. عيون الأخبار ١١٢/ ١.

* وقدم وفد على عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العراق، فنظر إلى **شاب** منهم يتحَوّز يريد الكلام، فقال عمر: كبِّروا، فقال الفتى: يا أمير المؤمنين إن الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسنّ منك، قال: صدقتَ فتكلّم. عيون الأخبار ٢٦٤ / ١.

الجهاد والتضحية في سبيل الله[1]

* كان النبي ﷺ يصلي يوما في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر:٢٨]. صحيح البخاري (٣٨٥٦).

* ووجّه عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جيشا إلى الروم، فأسروا **عبد الله بن حُذَافَة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣)، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد، فقال: هل لك

---

(١) لابد للمؤمن أن يُجاهد في سبيل الله تعالى بلسانِه أو بمالِه أو ببدنِه، وأن يُضحي لإعلاء كلمة الله قدر ما يستطيع، وقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فلا بد أن يبذل المؤمن من الجهد والعلم والعمل والمال ما يُقدمه مهرًا للجنة.

وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]: والحكمة من تنكير الجهاد: بيانُ أَنَّ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَلَّ أَوْ كَثُرَ: فإنَّ تاركَهُ لِأجْلِ حُبِّ شيءٍ مِنْ تلك الْأَصْنافِ الثَّمانِيةِ وتفْضِيلِها عليْهِ يَسْتَحِقُّ الْوعيدَ الَّذي في الْآية.

قال بعض المفسرين: هذه آية شديدة لا ترى أشدّ منها، كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عِقْد الدين، واضطراب حبل اليقين، فليُنْصف أوْرع الناس وأتقاهم من نفسه، هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينَه على الآباء، والأبناء، والإخوان، والعشائر، والمال، والمساكن، وجميع حظوظ الدنيا، ويتجرّد منها لأجله؟.

وقال آخر: هذهِ الْآيةُ تدُلُّ على أنَّهُ إذا وقعَ التَّعارضُ بيْنَ مصْلحةٍ واحِدةٍ مِنْ مصالحِ الدِّين وبيْنَ جميعِ مصالحِ الدُّنْيا: وجَبَ على الْمُسْلمِ تَرْجيحُ الدِّينِ على الدُّنْيا.

أن تَتَنَصَّر وأعطيَكَ نصفَ ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تَملكُ، وجميع ملك العرب، ما رجعت عن دين محمد طرفةَ عين، قال: إذًا أقتلَك، قال: أنت وذاك، فأمر به فصُلِبَ، وقال للرُّمَاة: ارمُوهُ قريبًا من بدَنِهِ، وهو يَعرِضُ عليه، ويأبى، فأنزله، ودعا بقدْر، فصب فيها ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرَيْن من المسلمين، فأمر بأحدهما، فأُلقي فيها، وهو يَعرِضُ عليه النصرانية، وهو يأبى، ثم بكى، فقيل للملك: إنَّهُ بكى، فظنَّ أنَّه قد جزع، فقال: رُدُّوه، ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدَةٌ تُلقى الساعةَ فتَذهبُ، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفسٌ تُلقى في النار في الله، فقال له الطاغية: هل لك أن تقبِّل رأسي وأخلِّي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم، فقبَّلَ رأسَه، وقدم بالأُسارى على عُمر، فأخبرَه خبره، فقال عمر: حقٌّ على كل مسلم أن يقبّل رأسَ ابن حُذافَةَ، وأنا أبدأ، فَقبَّل رأسَه. تهذيب السِّيَر ١/ ٢١١.

* وعن ابن عمر قال: فقدنا **جعفر بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨) يوم مؤتة فطلبناه في القتلى، فوجدنا به بين طعنة ورمية بضعًا وتسعين، ووجدنا ذلك فيما أقبل من جسده.

* وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد ابن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «**إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة**».

قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا **جعفر بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨)، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية. صحيح البخاري (٥/ ١٤٣).

* وعن جعفر بن عبد الله بن أسلم، قال: لما كان يوم اليمامة، واصطفّ

الناس كان أول من جُرح **أبو عَقِيل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١)، رُمي بسهم، فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مقتل، فأخرج السهم ووهَن له شقُّه الأيسر في أول النهار، وجُرّ إلى الرحل.

فلما حميَ القتال، وانهزم المسلمون، وجاوزوا رحالهم، وأبو عَقيل واهن من جرحه، سَمِع معن بن عدي يصيح: يا للأنصار! اللهَ اللهَ، والكرّة على عدوكم قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد: ما فيك قتال قال: قد نوَّه المنادي باسمي قال ابن عمر: فقلت له: إنما يقول: يا للأنصار، ولا يعني: الجرحى، قال أبو عقيل: أنا من الأنصار وأنا أجيبه، ولو حَبْوًا.

قال ابن عمر: فتحزَّم أبو عقيل، وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي: يا للأنصار! كرّةً كيوم حُنين، فاجتمعوا رحمكم الله جميعًا، تقدّموا، حتى أقحموا عدوّهم الحديقة، فاختلطوا، واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عَقيل وقد قُطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت إلى الأرض، وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا كلّها قد خلصت إلى مَقتل، وقتل عدو الله مسيلمة.

قال: فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت: يا أبا عقيل! قال: لبيك -بلسان ملتاث- لمن الدَبرة؟ قلت: أبشر قد قتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات رَحِمَهُ اللَّهُ. صفة الصفوة ١/ ٢١٤.

* وقال **خالد بن الوليد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨): ما مِن ليلة يُهدى إليَّ فيها عروسٌ أنا لها مُحِبٌّ أَحبّ إِليَّ من ليلة شديدةِ البرد، كثيرةِ الجليد في سريَّةٍ أُصبّحُ فيها العَدُوَّ. تهذيب السِّيَر ١/ ١٧٩.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي

يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ». صحيح البخاري (٤٢٦٥).

* وقال قيس بن أَبي حازم: سمعت **خالد بن الوليد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: منعني الجهادُ كثيرًا مِن القراءة، ورأيته أتي بِسُمٍ، فقالُوا: ما هذا؟ قالوا: سُمٌّ، قال: باسم الله، وشربه.

قال الذهبي: هذه والله الكرامة، وهذه الشجاعةُ. تهذيب السِّيَر ١/ ١٧٩.

* ولَمَّا خرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أهل الردة كان **خالد بن الوليد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحمل لواءه، فلما تلاحق الناس به استعمل خالدًا، ورجع إلى المدينة وكان خالد يقول: ما أدري من أي يومي أفرّ؟ من يوم أراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهدي لي فيه شهادة أو من يوم أراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهدي لي فيه كرامة؟. صفة الصفوة ١/ ٣١٣.

* وعن أبي هريرة قال: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرة رهط عينًا وأمر عليهم **عاصمًا بن ثابت الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤) جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدة، بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه قالوا: نوى يثرب، فاتبعوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه، لجؤوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم، وقالوا لهم: انزلوا وأعطوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق لا نقتل منكم أحدًا. فقال عاصم بن ثابت أمير القوم: أما أنا والله لا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا في سبعة، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم **خبيب الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزيد بن الدثنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة -يريد القتلى-، فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه، وانطلقوا

بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف خبيبًا، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها، فأعارته إياها، فدرج بني لها حتى أتاه قالت: وأنا غافلة فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، قالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: دعوني أركع ركعتين، فتركوه ثم قال: والله لو لا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت، اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا ثم قال:

فلست أبالي حين أقتل مسلمًا على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب أول من سنّ لكل مسلم قتل صبرًا الصلاة. صحيح البخاري (٣٧٦٧).

* وعن أنس أن **أبا طلحة الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) قرأ سورة براءة فلما أتى على هذه الآية: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] قال: أرى ربنا عَزَّ وَجَلَّ يستنفرنا شيوخًا وشبانًا جهزوني أي بني، فقال بنوه: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فنحن نغزو عنك، فأبى فجهزوه فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير فدفنوه فيها. الزهد لأحمد: ٤٢٩-٤٣٠.

* ولما صافَّ **قتيبةُ بنُ مسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) للترك، وهاله أمرُهم سأل عن محمد بن واسع، فقيل: هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه يُبصبصُ بأصبعه نحوَ السماء قال: تلك الأصبعُ أحبُّ إليّ من مئة ألف سيف شهيرٍ وشاب طرير. تهذيب السِّير ٢/ ٦٣٨.

* وعن محمد بن إبراهيم بن أبي سُكَينة، قال: أملى عليَّ **ابنُ المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) سنة سبع وسبعين ومئة، وأنفذها معي إلى الفُضيل بن عياض من طرَسُوس:

يـا عَابـدَ الحَرميـن لَـوْ أبْصَرتَنَـا ... لَعَلِمْـتَ أنَّـكَ في العبَـادةِ تَلْعَـبُ
مَـن كانَ يَخضِـبُ جيدَه بِدُمُوعِـه ... فنحورُنـا بدمائِنـا تتخضَّـبُ
أو كانَ يُتعِـبُ خيلـه في بَاطـلٍ ... فَخُيولُنـا يَـومَ الصَّبيحَـةِ تَتعَـبُ
ريـحُ العَبيـرِ لكـم ونحـنُ عبيرُنـا ... رهـجُ السَّـنابِكِ والغُبـارُ الأطيـبُ
وَلَقَـد أتانـاَ مـن مَقَـالِ نَبيِّنـا ... قـولٌ صحيـحٌ صـادقٌ لا يُكـذَبُ
لا يَسـتوي وغُبَـارُ خيـل الله في ... أنـفِ امـرئ ودُخـانُ نـار تلهـبُ
هـذا كِتَـابُ الله ينطـقُ بَيننَـا ... ليـس الشـهيدُ بميـتٍ لا يُكـذَبُ

فلقيت الفُضيل بكتابه في الحرم، فقرأ وبكى، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح. تهذيب السِّير ٢/ ٧٧٠.

* وقال **خالد بن معدان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): كانوا لا يفضلون على الرباط شيئًا. تهذيب الحِلْية ١٨٨/ ٢.

* ونظر **يونس بن عُبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩) عند موته إلى قدميه فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت أنهما لم تغبرا في سبيل الله!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٨.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعتمد السلطان **ألْب أرْسلان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٦) في

الوزارة على نظام الملك، وكان وزيرَ صدق، يُكرم العلماء والفقراء، ولما عصى الملك شهاب الدولة قُتُلْمش، وخرج عن الطاعة، وطمع في أخذ الملك من ألب أرسلان فجمع وحشد له ألب أرسلان، فقال له الوزير: أيها الملك، لا تخف؛ فإني قد استخدمت لك جندًا ليليًّا يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم، وهم العلماء والصلحاء، فطابت نفسه بذلك، فحين التقى مع قُتلْمش لم ينتظره أن كسره، وقتل خلقًا من جنوده، وقُتل قتلْمش في المعركة، واجتمعت الكلمة على ألْب أرسلان. البداية والنهاية ١٢/ ١٦٢- ١٦٣.

* وقال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبرنِي حَاجِب من الْحجاب الشاميين أَمِير من أمرائهم ذُو دين متين وَصدق لهجة مَعْرُوف فِي الدولة قَالَ: قَالَ لي الشَّيْخ **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) يَوْم اللِّقَاء وَنحن بمرج الصفر، وَقد تراءى الْجمْعَانِ: يَا فلَان أوقفني موقف الْمَوْت! قَالَ: فسقته إِلَى مُقَابلَة الْعَدو وهم منحدرون كالسيل تلوح أسلحتهم من تَحت الْغُبَار المنعقد عَلَيْهِم.

ثمَّ قلت لَهُ: يَا سَيِّدي هَذَا موقف الْمَوْت وَهَذَا الْعَدو قد أقبل تَحت هَذِه الغبرة المنعقدة فدونك وَمَا تُرِيدُ.

قَالَ: فَرفع طرفه إِلَى السَّمَاء وأشخص بَصَره وحرك شَفَتَيْه طَويلا، ثمَّ انْبَعَثَ وأقدم على الْقِتَال، وَأما أَنا فخيل إِلَيّ أَنه دَعَا عَلَيْهِم، وَأَن دعاءه اسْتُجِيبَ مِنْهُ فِي تِلْكَ السَّاعَة.

قَالَ: ثمَّ حَال الْقِتَال بَيْننَا والالتحام وَمَا عدت رَأَيْته حَتَّى فتح الله وَنصر وانحاز التتار إِلَى جبل صَغِير عصموا نُفُوسهم بِهِ من سيوف الْمُسلمين تِلْكَ السَّاعَة وَكَانَ آخر النَّهَار.

قَالَ: وَإِذا أَنا بالشيخ وأخيه يصيحان بِأَعْلَى صوتيهما تحريضا على الْقِتَال

وتخويفا للنَّاس من الْفِرَار. العقود الدرية: ١٩٣- ١٩٤.

* ولما وَشَوْا به إلى السلطان الأعظم الملك الناصر وأحضره بين يديه، قال من جملة كلامه: إنَّني أُخبِرت أنَّك قد أطاعك الناس، وأنَّ في نفسك أخْذَ الملك»، فلم يكتَرِث به؛ بل قال له بنفسٍ مطمئنَّة، وقلب ثابت، وصوت عالٍ، سمِعَه كثيرٌ ممَّن حضر: أنا أفعل ذلك؟! والله إنَّ ملكك وملك المغل لا يساوي عندي فلسًا. الكواكب الدرية للإمام مرعي الكرمي، ص ٩٨ - ٩٩.

الدعوة إلى الله(١)

* عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا طلحة خطب **أم سليم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٤٠)، فقالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده خشبة نبتت من الأرض نَجَرَها حبشيُّ بني فلان؟ إنْ أنت أسلمت لم أُرِد منك من الصداق غيره.

قال: حتى أنظر في أمري، فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، قالت: يا أنس زوّج أبا طلحة. السنن الكبرى للنسائي (٥/ ١٧٩)، المستدرك للحاكم (٢/ ١٩٥) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

* وعن **الْحَسنِ البصريِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): أنَّهُ كان إذا تلَا هذهِ الآيةَ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣] قَالَ:

(١) **الدعاة إلى الله الصادقون نوعان:**

النوع الأول: من يُحفزه إلى الدعوة خوفُ الإثم من عدم نشرع العمل وتبليغِ الرسالة، والرغبةُ في الأجر والثواب المترتب على الدعوة.

النوع الثاني: من يُحفزه إلى الدعوة الغيرةُ على دين الله، والرغبةُ في نشر نور الله وشرعه ودينه، ويَؤزُّه حبّ الله تعالى إلى نشر دين محبوبه أزًّا، ويدفعه إلى دعوة الناس إلى ربهم ما ذاقه من لذة العلم وطعم الإيمان دفعًا، ومن ذاق ذلك فلا بدّ أنْ يُحركه ذلك إلى نشر ما ذاقه؛ لأنه يُحب للناس ما يُحبه لنفسه.

وكلّ الناس يُعَرِّف الآخرين بما يُحب ويُعَظِّم، ومَن أحبّ الله حبًّا عظيمًا مَلَك سويداء قلبه فلا يهنأ بعيشٍ إلا إذا عرَّف الناس بأحبِّ محبوب، وأعظم مطلوب، وأكرم مسؤول، وأجود مأمول.

فما بين النوعين كما بين السماء والأرض، وكلاهما على خير.

هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته وقال: إنني من المسلمين لربه، هذا خليفة الله.

وكان إذا تلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت:٣٠] قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة. الزهد لابن المبارك (١١٢٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أفاد أخًا في الله رفعه بها درجة. الزهد لوكيع (٣٣٠).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما مرض **الشِّبْلِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٤) بعث إليه المقتدر طبيبًا نصرانيًّا، فقال له الطبيبُ: فلو علمتُ أن قطع بعض جسدي يشفيك لقطعتُه، فقال له: يشفيني قطع ما هو أيسر عليك من ذلك، فقال: وما هو؟ قال: قطع زنّارك، فقطعه وأسلم، فبلغ ذلك الخليفة فقال: بعثنا طبيبًا إلى عليل، فإذا هو عليلٌ إلى طبيب. البداية والنهاية ١١/ ٢٩٦.

* إنّ للشيخ **عبدالله بن جار الله آل جار الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ت: ١٤١٤) أثرًا كبيرا في مجال الدعوة إلى الله تعالى، فهو باذلٌ جهده من بدنه ووقته وراحته وماله، فكان كلّ أوقاته شاغلا لها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي النصح والتوجيه، وكان يتحيّن الفرصة في كلّ مناسبة ليرشد ويُنبّه ويعظ.

وكان يجعل مسجده وبيته ومدرسته وسوقه وحلَّه وسفره كلّه مجالا للدعوة إلى الله تعالى. علماء نجد (٤/ ٤٨).

* ولَمَّا عاد الشيخ **عبدالله بن محمد القرعاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٨٩) من الهند شرع في القراءة على شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم آل شيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فسمع في مجالس شيخه الجهل المطبق، والظلام الدامس في جنوب المملكة العربية السعودية، قال عن نفسه: «فاستخرت الله تعالى، واستشرت شيخي بالتوجه إلى

تلك المنطقة، فاستحسن ذلك وأوصاني بتقوى الله، ودعا لي وودَّعته، وحججت ذلك العام، وتوجّهت إلى صامطة».

فتوجّه الشيخ عبدالله إلى تلك البلدان الغارقة في الجهل.

وبفضل الله تعالى ورعايته، ثمّ عناية حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتوجيه وإرشاد صاحب السماحة محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونية صادقة من الشيخ عبدالله القرعاوي وإخلاص، فقد قام بدعوة إسلامية سلفية صحيحة في تلك الأمة الجاهلة، وفتح فيها المدارس، وأنشأ لديهم المجالس العلميّة، بتوصية من الملك عبدالعزيز، وبثّ فيهم العقيدة السلفية.

وهكذا فتح عام (١٣٦٠) خمسين مدرسة، وفي عام (١٣٦١) بلغت مائتي مدرسة، وفي عام (١٣٦٣) بلغت ثلاث مائة مدرسة، وفي عام (١٣٧٣) بلغت سبع مائة مدرسة، ثم إلى ألف وخمس مائة مدرسة، وهو جادٌّ في الإشراف والعمل التعليمي والإرشاد التوجيهي، هو ونخبة من أعيان الخريجين.

وزادت عدد المدارس حتى بلغت ألفين ومائتي مدرسة، يتعلّم فيها خمس مائة وسبعون ألف طالب، منهم عشرة آلاف طالبة، ويقوم على تعليمهم ثلاثة آلاف معلم ومعلمة.

ووالله إنني لا أعلم عملا صالحا يتقرب به الإنسان إلى ربه أولى من هذا العمل الذي قام به هذا المجاهد.[1] علماء نجد (٤/ ٣٠٩-٣١١).

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنّ الدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة الأنبياء، ولا يقوم بها بصدق وإخلاص إلا الُخلّص من عباد الله، جعلنا الله منهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أعظم ما عُبد الله به نصيحةُ خلقه، وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين، ولا نصيحة أعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه. مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٥)

وقال العلامة عبدالله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا نجد في القرآن آيات الدعوة أكثر بكثير من آيات=

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أ- أهمية وفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعاقبة من تركه:

* قرأ **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة:١٠٥]، ثم قال: إن الناس يضعون هذه الآية على غير موضعها، ألا وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن القوم إذا رأوُا الظالم فلم يأخذوا على يديه، والمنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقابه**». سنن أبي داود (٤٣٣٨) والترمذي (٢١٦٨)، وصححه الترمذي والألباني.

* وقال **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): إن الرجل ليدخل المدخل الذي يجب عليه أن يتكلم فيه لله، فلا يتكلم، فلا يعود قلبه إلى ما كان أبدًا. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٣.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ

= الصوم والحج، واللذين هما ركنان من أركان الإسلام، فالحج ليس في القرآن إلا أربع آيات، ومثله الصوم، وأما الدعوة فالقرآن مملوء من أوله إلى آخره بآيات الدعوة، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:٣]، ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩]، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف:١٠٨]، ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥]، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

إلى غير ذلك من الآيات التي لا تُحصى، كلُّها في الدعوة، مما يدل على عظمتها، وأن الدين لا يقوم إلا بالدعوة، بذكر محاسنِه وفضائله، وتنبيه الناس على كلِّ ما يُخالفه، وأعظم ما يُخالفه هو الشرك بالله. [شرح كتاب التوحيد ١١٢

فيصير بها منافقا، وإني لأسمعها من أحدكم اليوم في المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر، ولتَحاضُّن[1] على الخير، أو ليُسْحتنكم[2] الله جميعا بعذاب، أو ليؤمرن عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم. مسند الإمام أحمد (٢٣٣١٢)، وحسّنه محققوه.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ من موعظة يعظ بها قومه، فيفترقون قد نفعهم الله عَزَّ وَجَلَّ بها.[3] صفة الصفوة ١/ ٣٠١.

* وعن **أبي بكرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال (ت: ٥٢): والله ما من نفس تخرج أحب إلي من نفسي هذه، ولا نفس هذا الذباب الطائر، ففزع القوم، فقالوا: لِمَ؟ فقال: إني أخشى أن أدرك زمانًا لا أستطيع أن آمر بمعروف، ولا أنهى عن منكر، وما خير يومئذ. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٠٦.

* وعن **علي بن الحسين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥) قال: التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كنابذ كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقي تقاة، قيل: وما تقاته؟ قال: يخاف جبارًا عنيدًا أن يفرط عليه أو أن يطغى. الطبقات الكبرى (٥/ ١٦٥).

* وقال **أبو عبد الرحمن العُمريُّ** الزاهدُ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٤): إنَّ مِن غفلتك عن نفسك إعراضَك عن الله، بأن ترى ما يُسخطه فتجاوزَه، ولا تأمر ولا تنهى خوفًا من المخلوق، من ترك الأمر بالمعروف خوف المخلوقين نُزِعَتْ منه

---

(١) الحض: الحث والتشجيع على فعل الخير.

(٢) يسحت: يهلك.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه صدقة الأنبياء وورثتُهم العلماء؛ ولهذا كان الله وملائكته وحيتانُ البحر وطيرُ الهواء يُصَلُّون على معلم الناس الخير، كما أنَّ كاتِمَ العلم يلعنه الله ويلعنه اللاعنون. مجموع الفتاوى (١٤/ ٢١٢).

الهيبةُ، فلو أمر ولدَه لاستخفَّ به. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٥.

* وقال **الفضيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة. تهذيب الحِلْية ٢٠/ ٣.

* وقال **إسماعيل ابن علية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) في قول أبي بكر المزني: ما فاق أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أصحاب محمد ﷺ بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء كان في قلبه، قال: الذي كان في قلبه الحبّ لله عَزَّوَجَلَّ والنصيحة في خلقه. جامع العلوم والحكم / ١٠٧.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. ابن أبي الدنيا ٢١/ ٢.

* وعن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) قال: كان يُقال: إن الله لا يعذِّبُ العامةِ بذنب الخاصة، ولكن إذا عُمل المنكر جهارًا استحقُوا العقوبة كلُهم. الزهد لابن المبارك (١٠٦٢)، ابن أبي الدنيا ٢/ ٣١٢.

* وقال الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): لو أن رجلًا أحسنَ الصلاة فأتمها وأحكمها، ثم نظر إلى مَن أساء في صلاته وضيَّعها وسَبَق الإمام فيها، فسَكَت عنه ولم يُعْلِمه فِي إساءته فِي صلاته ومُسابقته الإمام فيها، ولم يَنهه عَنْ ذلك ولم ينصحه: **شاركه فِي وزرها وعارها**، فالمحسن فِي صلاته شريكُ المسيء فِي إساءته؛ **إذا لم ينهه ولم ينصحه**، وجاء الحديث عَنْ بلال بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قَالَ: الخطيئة إذا خَفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا ظَهَرت فلم تُغيَّر ضرت العامَّة؛ لتركهم ما لزمهم وما وجب عليهم مِن التغيير والإنكار على مَن ظَهرت منه الخطيئة، وجاء عن النبي ﷺ أنه قَال: «**ويل للعالم من الجاهل حيث**

لا يُعْلِمه»، فلولا أن تعليم الجاهل واجب عَلَى العالم لازم وفريضة وليس بتطوع ما كان له الويل فِي السكوت عنه وفي ترك تعليمه، والله تعالى لا يُؤاخذ من ترك التطوع، **إنما يؤاخذ من ترك الفرائض**، فتعليم الجاهل فريضة، فلذلك كان له الويل فِي السكوت عنه وترك تعليمه. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٣).

ب- آداب ونصائح للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر[١]:

* مرّ **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) على رجل قد أصاب ذنبًا، فكانوا يسبّونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليبٍ ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبّوا أخاكم، واحمدوا الله عَزَّ وَجَلَّ الذي عافاكم.

قالوا: أفلا تبغضه؟.

قال: إنما أُبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي. الزهد لأبي داود (٢٣٢).

* وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: **قلت لابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): آمر

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فلابد من العلم بالمعروف والمنكر، والتمييز بينهما، ولا بد من العلم بحال المأمور وحال المنهي، ومن الصَّلاح أن يأتي بالأمر والنهي على الصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود.

ولابد في ذلك من الرفق، كما قال النبي ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شَانَه**». وقال ﷺ: «**إنَّ الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله**»..

ولابد أيضًا أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى، فلابد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح. كما قال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان:١٧].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فلابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده. وإن كان كل من الثلاثة لا بد أن يكون مستصحبًا في هذه الأحوال.

وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعًا: ذكره القاضي أبو يعلى في (المعتمد): (لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه). الاستقامة / ٤٦٤ - ٤٦٦.

السلطان بالمعروف وأنهاه عن المنكر؟ قال: إن خفت أن يقتلك فلا، قال: ثم عدت، فقال لي مثل ذلك، ثم عدت، فقال لي مثل ذلك، وقال: إن كنت لا بدّ فاعلًا ففيما بينك وبينه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٥، جامع العلوم والحكم / ١٠٨.

* وقال طاووس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتى رجل **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: ألا أقوم إلى هذا السلطان فآمره وأنهاه؟ قال: لا تكن له فتنة، قال: أفرأيت إن أمرني بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: ذلك الذي تريد، فكن حينئذٍ رجلًا.[1] ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٩، جامع العلوم والحكم / ١٠٨.

* وقال **عبد العزيز بن أبي رواد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٩) كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئًا يأمره في رفق، فيؤجر في أمره ونهيه، وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه فيستغضب أخاه ويهتك ستره.[2] جامع العلوم والحكم / ١٠٧-١٠٨.

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومع هذا فمتى خاف منهم على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال أو نحو ذلك من الأذى، سقط أمرهم ونهيهم، وقد نص الأئمّة على ذلك: منهم مالك وأحمد وإسحاق وغيرهم.
فإن خاف السبّ أو سماع الكلام السيئ لم يسقط عنه الإنكار بذلك. نصّ عليه الإمام أحمد، وإن احتمل الأذى وقوي عليه فهو أفضل، نصّ عليه أحمد أيضًا. جامع العلوم والحكم / ٤٢٧.

(٢) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كان الآمر بالمعروف جاهلا: فإن الشيطان يتلاعب به، وإنما كان إفساده في أمره أكثر من إصلاحه؛ لأنه ربما نهى عن شيء جائز بالإجماع، وربما أنكر ما تأوَّل فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب، وربما كسر الباب وتسور الحيطان، وضرب أهل المنكر وقذفهم، فإن أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه.
وربما كشف ما قد أَمر الشرع بستره، وقد سُئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر فقال: إذا كان مغطى فلا تكسره، وقال في رواية أخرى: اكسره، وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشيء خفيف يصفه فيتبين، والأُولى على أنه لا يتبين، وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال: ولا عليك! ما غاب عنك فلا تفتش، وربما رفع هذا الْمُنكِر أهلَ المنكر إلى من يظلمهم، وقد قال أحمد بن حنبل: إن علمت أن السلطان يقيم الحدود فارفع إليه. تلبيس إبليس: ١٦٦.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): المؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويعير ويفشي.(١) تهذيب الحِلْية ١٤/ ٣.

* وقال **الفُضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما تأمر من يقبل منك، أرأيت إن لقيت سلطانًا أكنت تقول له: اتق الله، لو قلت هذا لأهلكتَ أهل بيتك ونفسك وجيرانك، ولكن احفظ نفسك وأخف مكانك. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٠٨.

* وعن محمد بن أبي عثمان قال: رأى **الفضيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلًا يفقع أصابعه في صلاته فزبره ونهره، فقال له الرجل: يا هذا! ينبغي لمن قام لله عَزَّوَجَلَّ بأمر أن يكون ذليلًا، فبكى الفضيل، وقال له: صدقت. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٠.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): لا ينبغي أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، إلا من يصبر على الأذى. تهذيب الحِلْية ٩٠/ ٣.

* وقال **ابن شبرمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد، يجب على الواحد أن يصابر فيه الاثنين، ويحرم عليه الفرار منهما، ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك. جامع العلوم والحكم / ٤٢٧.

* وسُئل **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١١٠) عن الرجل يأمر والديه بالمعروف وينهاهما عن المنكر؟.

قال: يأمرهما إن قَبِلا، وإن كَرِها سكت عنهما. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٠٥.

* ومَرَّ **طلحة بن مصرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) على حجر بن وائل، وهو جالس على باب داره، فأصغى إليه، ثم مضى، فقال حجر: جزاك الله خيرا ودعا له، ثم قال: أتدرون ما قال؟ قال: رأيتك في الجمعة تلتفت، لا تفعل. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٠.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرًّا حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخه. جامع العلوم والحكم / ١٠٧-١٠٨.

* وقيل **للإمام مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): إن من الناس من إن أمرتهم يطيعونني، ومنهم من إن أمرتهم أتأذى منهم، فكيف أصنع؟.

فقال: إن خفت وظَنَنْت أنهم لا يطيعونك فدع، وأنكر بقلبك، ولك في ذلك سعة.

ومن لم تخش منه فأمرهُ وانهه، وخاصة إذا أردت به الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإذا كنت كذلك لم تر إلا خيرًا، وبخاصة إذا كان فيك شيءٌ مِن لين.

ألا ترى قول الله تعالى لموسى وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ الآية [طه:٤٤].

فإذا قسوتَ في أمرك لم يُقبل منك، وتعرّضتَ لِمَا تكره، وخرجت من جملة أهل القرآن. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وعن أبي عبد الله بن الربيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: دخلتُ على **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤١) بالبصرة، فقلت: يا أبا عبد الله، إني أكون مع هؤلاء المحتَسِبة فندخل على هؤلاء الخبيثين(١)، ونتسلّق على الحيطان؟.

قال: أليس لهم أبواب؟ قلت: بلى، ولكن ندخل عليهم لكيلا يفِرُّوا، فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا، وعابَ فِعالَنا.

فقال رجل: من أَدْخل ذا؟(٢).

قلت: إنما دخلتُ إلى الطبيب لأخبره بدائي.

فانتفض سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال: إنما أَهلَكَنا أَنَّا نحن سقْمى، ونُسَمَّى أطباء.(٣).

ثم قال: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث:

---

(١) يعني: أصحاب المعاصي والفسق والمجون.

(٢) يعني: ابن الربيع، كأنه غضب عليه لغضب سفيان.

(٣) العلماء الربانيون أشد الناس تواضعا وهضما للنفس.

رفيقٌ بما يأمر رفيق بما يَنهى، عدلٌ بما يَأمر عدل بما ينهى، عالمٌ بما يأمر عالم بما يَنهى. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (٢٤).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

تعمَّدْني بنصحِكَ في انفرادي وَجِّنبْني النصيحةَ في الجماعة
فإن النصحَ بين الناسِ نوعٌ من التوبيخِ لا أرضى استماعَه
وإن خالفتني وعصيتَ قولي فلا تجزعْ إذا لم تُعْطِ طاعه

ديوان الشافعي (١١٣).

* وسُئِل **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) عن رجل له جارٌ يعمل بالمنكر، لا يَقوى يُنكِر عليه، وضعيفٌ يعمل بالمنكر أيضًا يقوى يُنكر عليه، قال: نعم يُنكِر عليه. الآداب الشرعية ١/ ١٢٩.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناس يحتاجون إلى مداراة، ورفق في الأمر بالمعروف، بلا غلظة، إلا رجلًا معلنًا بالفسق فإنه لا حرمة له. الجامع المنتخب/ ٦٨.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يتعرّض إلى السلطان؛ فإن سيفه مسلول.[1] جامع

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله: فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: «لا ما أقاموا الصلاة»، وقال: «من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدا من طاعته».
ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، فطَلَب إزالته فتولَّد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومَنَعه من ذلك -مع قدرته عليه- خشية وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وُجد سواء. =

العلوم والحكم / ٤٢٧.

* وقال أبو العباس: صلى بأبي عبد الله **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا جوين، فكان إذا سجد جمع ثوبه بيده اليسرى، وكنت بجنبه، فلما صلينا قال لي -وقد خفض من صوته-: قال النبي ﷺ: «إذا قام أحدكم في الصلاة فلا يكف شعرًا ولا ثوبًا»، فلما قمنا قال لي جوين: أيُّ شيء كان يقول لك؟ قلت: قال لي: كذا وكذا، وما أحسب المعنى إلا لك.(١) الآداب الشرعية ١/ ١٥٠.

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): أين رائحة الإيمان منك وأنت لا يتغيّر وجهك، فضلًا عن أن تتكلم، ومخالفة الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ واقعةٌ من كلّ مُعاشِرٍ ومُجاوِرٍ، فلا تزال معاصي الله عَزَّ وَجَلَّ والكفر يزيد، وحريم الشرع يُنْتَهك، فلا إنْكارَ ولا مُنْكَر؟(٢).

ولا مفارقةَ لمرتكب ذلك ولا هجران له؟.

= **فإنكار المنكر أربع درجات: الأولى:** أن يزول ويخلُفه ضده، **الثانية:** أن يقلّ وإن لم يزل بجملته، **الثالثة:** أن يخلُفه ما هو مثله، **الرابعة:** أن يخلفه ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة.

فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج، كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة، إلا إذا نقَلْتَهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله..

وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية، فإن نقَلْتَهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تُفرِّغهم لما هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها، وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر، فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم. أعلام الموقعين ٢/ ١٤.

(١) انظر إلى هذا الأدب والرفق في النصيحة.

(٢) أي: لم تنكر ولا منكرا واحدا؟

وهذا غاية بَرْد القلب وسكون النفس، وما كان ذلك في قلبٍ قطُّ فيه شيءٌ من إيمان؛ لأنَّ الغيرة أقلُّ شواهد المحبة والاعتقاد. الآداب الشرعية ١/ ١١٠.

* وقال القاضي عياض: بلغني أنّ **أبا جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٢) كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سُكْناهم في مملكة بني عبيد، وبقاؤهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة بذلك، فأجابوه: اسكت، لا شيخ لك، أي: لأنَّ درسه كان وحده.

ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور، وإنما وصل إلى ما وصل بإدراكه، ويشيرون أنه لو كان له شيخٌ يفقهه حقيقة الفقه لعلم أن بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيتٌ لهم على الإسلام، وبقيَّةٌ صالحةٌ للإيمان، وأنهم لو خرج العلماء عن إفريقية لتشرّق[1] من بقي فيها من العامة آلاف الآلاف، فرجحوا خير الشرين، والله أعلم.[2] ترتيب المدارك (٤/ ١٧٥).

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠) لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستر العصاة؛ فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٧).

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): الصَّدعُ بالحق عظيم، يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمُخْلِص بلا قوة يعجِزُ عن القيام به، والقويُّ بلا إخلاص يُخْذَلُ، فمن قام بهما كاملًا، فهو صِدِّيق، ومن ضَعُفَ فلا أقلَّ مِن التألم والإنكار بالقلب، ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٣١.

---

(١) أي: دخلوا في دين الرافضة.

(٢) وهذا هو الفقه والنظر الصحيح.

ج- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان مقصرا[1]:

* قال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): لو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه، ويكمل الذي خلق له من عبادة ربه: إذن لتواكل الناس الخير، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقل الواعظون والساعون لله عَزَّوَجَلَّ بالنصيحة في الأرض. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٢٢.

د- وجوب الأمر بالمعروف وإن لم يعمل بكل ما يقول:

* عن **أبي الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إني لآمركم بالأمر وما أفعله، ولكن لعلَّ الله يأجُرُني فيه. تهذيب السِّيَر ١/ ٢٧١.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إني آمركم بأشياء لا يبلغها عملي، ولكني إذا نهيتكم عن شيء ثم خالفتكم إليه فأنا يومئذ كذاب. تهذيب الحِلْية /٤٢٨.

هـ- قصص ووقائع:

* عن عمرو بن مهاجر قال: قال لي **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): إذا رأيتني قد ملتُ عن الحق، فضع يدك في تلبابي، ثم هزَّني، ثم قل: يا عمر ما تصنع؟. صفة الصفوة ٢/ ٤٦٧.

* وقال شجاع بن الوليد: كنت أحجُّ مع **سُفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١)، فما يكادُ لسانهُ يفترُ من الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، ذاهبًا وراجعًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٦.

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد لبَّس إبليس على بعض المتعبدين، فيرى منكرا فلا ينكره ويقول: إنما يأمر وينهى من قد صلح وأنا لست بصالح، فكيف آمر غيري؟ وهذا غلط؛ لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه، إلا أنه متى أنكر متنزِّها عن المنكر أثَّر إنكاره، وإذا لم يكن متنَزِّها لم يكد يعْمل إنكاره، فينبغي للمنكِر أن يُنزِّه نفسه ليؤثِّر إنكاره. تلبيس إبليس: ١٦٧.

* وكان **صلة بن أشيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٠) يخرج إلى الجبانة فيتعبد فيها، فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فحادوا النهار عن الطريق وناموا بالليل متى يقطعون سفرهم؟.

فكان كذلك يمر بهم ويعِظهم، فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة، فانتبه شاب منهم فقال: يا قوم إنه لا يعني بهذا غيرنا، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام، ثم اتّبع صلة فلم يزل يختلف معه إلى الجبانة فيتعبد معه حتى مات. الزهد لابن المبارك (٨٩٥)، تهذيب الحِلْية ٣٧٥/ ١ واللفظ له.

* وعن موسى بن إبراهيم قال: حضرت **معروفًا الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٠) وعنده رجل يذكر رجلًا وجعل يغتابه، وجعل معروف يقول له: اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك. تهذيب الحِلْية ١٠٣/ ٣.

* وقال أبو بكر الجلاء: كان **النوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٩) إذا رأى منكرًا غيَّره، ولو كان فيه تَلَفُهُ، نزل يومًا، فرأى زورقًا فيه ثلاثون دنًّا، فقال للملاَّح: ما هذا؟ قال: ما يلزمك؟ فألحَّ عليه، فقال: أنت والله صوفيٌّ كثير الفضول، هذا خمر للمُعتضد، قال: أعطِني ذلك المِدْرى فاغتاظ وقال لأجيره: ناوِله حتى أبصرَ ما يصنع، فأخذه، ونزل فكسَّرها كلَّها غير دَنّ، فأُخِذَ وأدخلَ إلى المعتضد، فقال: مَن أنتَ ويلك؟ قال: محتسِب، قال: ومَن ولاَّك الحِسبَة؟ قال: الذي ولاَّك الإمامة يا أميرَ المؤمنين! فأطرق: وقال: ما حَمَلَك على فِعلك؟ قال: شفقة منِّي عليك! قال: كيف سَلِم هذا الدَّنّ؟ فذكر أنه كان يكسر الدنان ونفسُه مُخلِصَةٌ خاشِعةٌ، فلمَّا وصل إلى هذا الدَّنِّ أعجبَتْهُ نفسُه، فارتاب فيها، فتركه. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٣٤.

* ومرَّ **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) بشاب يقاوم امرأةً، فقال: يا بني، ما هذا جزاء نعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليك!؟. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٩١.

* وكان **ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠) ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، مع عظيم ما يلحقه من الأذى، والشَّناعات، من جاهل، وحاسد، ومُلحد. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٩).

* وكان **جعفر بن الحسن المقرئ الفقيه الزاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠٥) مِن عِباد الله الصالحين، أمَّارًا بالمعروف، **قوالًا بالحق، ناهيًا عن المنكر**، لا تأخذه في الله تعالى لومة لائم، مهيبًا وقورًا، له حرمة عند الملوك والسلاطين، **ولا يتجاسر أحد أن يُقْدم عليه إذا أنكر مُنكرًا**.

وله المقامات المشهودة في ذلك، مداومًا للصيام والتهجد والقيام، له ختمات كثيرة جدًا، توفي في الصلاة ساجدًا. ذيل الطبقات (١/ ٢٥٥).

* **ولابْن وضاح الشَّهراباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٢) جزء في أن الإيمان يَزِيد وينقص، كتبه جوابًا عَن سؤال فيمن حلف بالطلاق عَلَى نفي ذَلِكَ، فأفتى بوقوع طلاقه، وبسط الْكَلام عَلَى المسألة، وقد أوذي بسبب ذَلِكَ، هُوَ والمحدث عبدالعزيز القُحَيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بغداد، فَإِنَّهُ وافق عَلَى هَذَا الجواب، وأُخرج الشيخ من المدرسة الَّتِي كَانَ مقيمًا بها، وأُخرج القُحَيطي من بغداد.

وبذلك تحقق قوة إيمانهما، وكونهما إِن شاء الله من خلفاء الرسل فِي وقتهما.[1] ذيل الطبقات (٤/ ١١٣).

و- فوائد أخرى:

* جاء رجلٌ إلى **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) فقال: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال: بل هلك من لم يعرفْ قلبُه المعروف،

---

(١) فكلّ من صدع بالحق بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يخف في الله لومة لائم، وأوذي فصبر: فهو دليل على تحقق الإيمان في قلبه، وأنه من خلفاء الرسل، الذي صدعوا بالحق وأوذوا بسبب ذلك.

وينكرْ قلبه المنكر.[1] المعجم الكبير للطبراني (٨٥٦٤)، وصححه الألباني في تخريج الطحاوية (٢٧٥).

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قال: إن في الجنة كوىً إلى النار، فيطلّع أهل الجنة من تلك الكُوى إلى النار فيقولون: ما بال الأشقياء؟ وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم! فقالوا: إنا كنا نأمركم ولا نأتمر، وننهاكم ولا ننتهي. صفة الصفوة ٣/ ١٨٥.

* وقال **إِبْرَاهِيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥) لجماعة عنده: من تعدّون **الغريب** فِي زمانكم هذا؟.

فقال واحد منهم: الغريب من نأي عَنْ وطنه، وقال آخر: الغريب من فارق أحبابه، وقال كل واحدٍ منهم شيئًا.

فقال **إِبْرَاهِيم**: الغريب فِي زماننا رجلٌ صالح عاش بين قومٍ صالحين، إن أمر بالمعروف آزروه، وإن نهى عَنِ المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مانوه[2]، ثم ماتوا وتركوه.[3] طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٧).

* وقال **معمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣): كان يقال: أنصح الناس إليك من خاف الله فيك. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٠.

* وكان **نصر بن زياد القاضي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٦) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقول: لولا هذا لم أتلبس لهم بعمل لكني إذا لم ألي القضاء لم أقدر عليه، وكان يُحيي الليل، ويصوم الاثنين، والخميس، والجمعة، ولا يرضى من

---

(١) يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض، لا يسقط عن أحد؛ فمن لم يعرفه هلك، وأما الإنكار باللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة. جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٤٥).

(٢) أي: قاموا بكفايته وحاجته.

(٣) صدق والله، وما أشدّ هذه الغربة على صاحبها.

العمال حتى يؤدوا حقوق الناس إليهم، فدخل عليه أحمد بن حرب يومًا فوعظه، وأشار في موعظته بأن يستعفي مما هو فيه، فقال: يا أبا عبد الله، ما يحملني على ما أنا فيه إلا نصرة الملهوفين، والقدرة على الانتصار للمظلومين من الظالمين، ولعل الله عَزَّوَجَلَّ قد عرف لي ذلك. المنتظم ٢٤٦-٢٤٧/ ١١.

* وقَالَ له مُحَمَّد بن بنْدَار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّه ليَشتَدّ عَليّ أَن أَقُول: فلَانٌ ضَعِيف وَفُلَانٌ كَذَّاب، فَقَالَ: **إِذا سكتَّ أَنْت وَسكتُّ أَنا؛ فَمَتَى يَعْرِف الْجَاهِلُ الصَّحِيحَ من السقيم؟** طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٩).

عبادة السلف

أ- الحث على العبادة والخشوع، وأقوالهم في ذلك[1]:

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ما دمتَ في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له. مصنف عبدالرزاق: (٤٧٣٥).

* وصلّى **عمار بن ياسر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧) ركعتين، فقيل له: يا أبا اليقظان، لا أراك إلا قد خففتهما! قال: هل نقصت من حدودها شيئا؟ قال: لا، ولكن خففتهما، قال: إني بادرت بهما السهو.[2] مسند أحمد (١٨٨٧٩) وصححه محققوه، الزهد لابن المبارك (١٠٣١).

* وسمع **عامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) ما يذكرونه من أمر الضيعة في الصلاة، قال: أتجدونه؟ قالوا: نعم! قال: والله لأن تختلف الأسنة في جوفي أحب إليّ من أن يكون هذا مني في صلاتي. تهذيب الحِلْية ٣٠٣/ ١.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الذنوب إنما تقع إذا كانت النفس غير ممتثلة لما أمرت به، ومع امتثال المأمور لا تفعل المحظور، فإنهما ضدان قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ الآية [يوسف: ٢٤] وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فعباد اللّه المخلصون لا يغويهم الشيطان، والغي خلاف الرشد، وهو اتباع الهوى، فمن مالت نفسه إلى محرم؛ فليأت بعبادة اللّه كما أمر اللّه مخلصًا له الدين، فإن ذلك يصرف عنه السوء والفحشاء. مجموع الفتاوى١٠/ ٣١٤.

(٢) أحبّ الصلاة إلى الله طول القنوت، أي طول القيام فيها، ولكنّ كلّ أحد أعلم بحاله، فمن وجد أنه إذا أطال شرد ذهنه وجاءته الوساوس فالأفضل ألا يطيل، بل يخفف صلاته مع العناية الشديدة بالخشوع فيها.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) في قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩]: ليس بهذا الأثر الذي في الوجه، ولكنه الخشوع. الزهد لوكيع (٣٢٧).

* وقيل **لسعيد بن المسيِّب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): ما رأيتُ أحسنَ ما يصنع هؤلاء.

قال: وما يصنعون؟.

قال: يُصلِّي أحدُهم الظهر، ثم لا يزالُ صافًّا رجليه حتى يُصَلِّي العصر.

فقال: أما والله ما هِي بالعبادة[1]، إنَّما العبادة التفكُّر في أمر الله، والكفُّ عن محارم الله. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٨.

* وعن **مطرِّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) أنه كان يقول: يا إِخْوتاه اجتهدوا في العمل، فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله، وعفوه كانت لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر شديدًا كما نخاف ونحاذر لم نقل: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر:٣٧]. نقول: قد عملنا فلم ينفعنا ذلك. صفة الصفوة ٣/ ١٥٨.

* وقيل **لأبي مسلم الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢) حين كَبِرَ ورقَّ: لو قصرتَ عن بعض ما تصنع، فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة ألستم تقولون لفارسها: دعْها وارفُق بها، حتى إذا رأيتم الغاية لم تَسْتَبْقُوا منها شيئًا؟ قالوا: بلى، قال: فإنِّي قد أبصرت الغاية، وإنَّ لكل ساعةٍ غايةً، وغايةُ كلّ ساعةٍ الموتُ، فسابقٌ ومسبوقٌ. صفة الصفوة ٤/ ٤٢٧.

* وقال **أحمد بن حرب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٤): عبدتُ الله خمسين سنة، فما وجدت حلاوةَ العبادة حتى تركتُ ثلاثة أشياء:

١- تركت رِضى الناس حتى قَدَرت أن أتكلم بالحق.

٢- وتركتُ صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبةَ الصالحين.

٣- وتركت حلاوةَ الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة.

تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٠٦.

---

(١) ما هِي بالعبادة التامّة التي يرتضيها الله.

ب- الصلاة وأهميتها وفضلها، وحالهم فيها[(١)]:

(١) نُقل عن بعض السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ أنه يقوم الليل كلّه طاعة وصلاة، وبعضهم مرض من كثرة العبادة، وبعضهم يُصلي خمسمائة وبعضهم ستمائة ركعة في اليوم، وبعضهم يصلي الفجر بوضوء العشاء سنوات طويلة، ونحوها من العبادات التي تُدخل المشقة والكلفة على صاحبها، وقد أعرضتُ عنها، لأنّ كثيرًا مما نُقل لا يصح عنهم، ولأنه لا يُشرع الاقتداء بهم في هذا العمل؛ لأنه مُخالفٌ لما جاءت به الشريعة من ذمّ الغلوّ والتكلّف والعمل بما لا نُطيق، وفي هذا يقولُ العلامةُ الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: الدخول في عمل على نية الالتزام له، إن كان في المعتاد بحيث إذا داوم عليه أورث مللًا: ينبغي أن يعتقد أن هذا الالتزام مكروه ابتداءً، **إذ هو مؤد إلى أمور جميعها منهي عنه:**

أحدها: أن الله ورسوله أهدى في هذا الدين التسهيل والتيسير، وهذا الملتزم يشبه من لم يقبل هديته، وذلك يضاهي ردَّها على مهديها، وهو غير لائق بالمملوك مع سيده، فكيف يليق بالعبد مع ربه؟!.

والثاني: خوف التقصير أو العجز عن القيام بما هو أولى وآكد في الشرع.

والثالث: خوف كراهية النفس لذلك العمل الملتَزَم.

وكراهية العمل مظنة للترك الذي هو مكروه لمن ألزم نفسه، لأجل نقض العهد.

وهو الوجه الرابع.

والخامس: الخوف من الدخول تحت الغلو في الدين: فإن الغلو هو المبالغة في الأمر، ومجاوزة الحد فيه إلى حيز الإسراف، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[النساء:١٧١].

فتأملوا هذا المعنى! فهو الذي يجري عليه عمل السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بمقتضى الأدلة، وبه يرتفع إشكال التعارض الظاهر لبادي الرأي، حتى تنتظم الآيات والأحاديث وسِيَر من تقدم، والحمد لله.

غير أنه يبقى بعدها إشكالان.. الإشكال الأول:

أن ما تقدم من الأدلة على كراهية الالتزامات التي يشق دوامها معارض بما دل على خلافه، فقد «كان رسول الله ﷺ يقوم حتى تورمت قدماه».

فإن أبيتم هذا الدليل بسبب أنه ﷺ كان مخصوصًا بهذه القضية.. فما قولكم فيما ثبت من ذلك عن الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين العارفين بتلك الأدلة التي استدللتم بها على الكراهية؟ حتى أن بعضهم قعد من رجليه من كثرة التبتل، وصارت جبهة بعضهم كركبة البعير من كثرة السجود..

والجواب: أن ما تقدم من أدلة النهي صحيح صريح، **وما نقل عن الأولين يحتمل ثلاثة أوجه:**

أحدها: أن يُحمل على أنهم إنما عملوا على التوسط، الذي هو مظنة الدوام، فلم يلزموا أنفسهم بما لعله يدخل عليهم المشقة حتى يتركوا بسببه ما هو أولى، أو يتركوا العمل، أو يبغضوه لثقله=

* قال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إذا رأيتم الرجل يضيع الصلاة، فهو والله لغيرها من حق الله أشد تضييعًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٤٠.

* ودخل عليه المسْور بن مَخْرَمَة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلما أصبح أفزعوه، فقالوا: الصلاة، الصلاة، فقال: نعم، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فخرج والجرح يثعب دمًا. موطأ الإمام مالك: (١٠١).

* وتزوج رجل امرأة **عبد الله بن رواحة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨) فقال لها: تدرين لم تزوجتك؟ لتخبريني عن صنيع عبد الله بن رواحة في بيته، قالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين، وإذا دخل بيته صلى ركعتين، لا يدع ذلك أبدا.[١] السِّيَر (٢/ ٩١).

* وقَالَ **عَبْدُ اللهِ بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من سرَّه أن يلقى الله غدا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهنّ؛ فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهدى، وإنهن من سُنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما مِن رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعْمِد[٢] إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له

=على أنفسهم، بل التزموا ما كان على النفوس سهلًا في حقهم، فإنما طلبوا اليسر لا العسر.
والثاني: يحتمل أن يكونوا عملوا على المبالغة فيما استطاعوا، لكن لا على جهة الالتزام، لا بنذر ولا غيره، وقد يدخل الإنسان في أعمال يشق الدوام عليها ولا يشق في الحال، فيغتنم نشاطه في حالة خاصة، غير ناظر فيها فيما يأتي، ويكون جاريًا فيه على أصل رفع الحرج، حتى إذا لم يستطعه تركه ولا حرج عليه، لأن المندوب لا حرج في تركه في الجملة.
والثالث: أن دخول المشقة وعدمه على المكلف في الدوام أو غيره ليس أمرًا منضبطًا، بل هو إضافي مختلف بحسب اختلاف الناس في قوة أجسامهم، أو في قوة عزائمهم، أو في قوة يقينهم، أو نحو ذلك من أوصاف أجسامهم أو أنفاسهم، فقد يختلف العمل الواحد بالنسبة إلى رجلين، لأن أحدهما أقوى جسمًا، أو أقوى عزيمة أو يقينًا بالموعد، والمشقة قد تضعف بالنسبة إلى قوة هذه الأمور وأشباهها، وتقوى مع ضعفها.. الاعتصام: ٢٤٨-٢٦٠.

(١) صحح سنده الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الإصابة: ٦ / ٧٨ - ٧٩

(٢) أي: يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما.

بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين[1] حتى يقام في الصف». صحيح مسلم (٦٥٤).

* وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: المصلي يقرع بابه، ومن يدم قرع باب الملك يوشك أن يفتح له. الزهد لأبي داود (١٤٧).

* وقال عمرو بن دينار: رأيت **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) يصلي في الحِجْر خافضًا بصرَه، فجاءه حَجر قدّامه فذهب ببعض ثوبه فما انفتل. الزهد لأبي داود (٣٢٤).

* وقال محمد بن المنكدر: لو رأيت **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلي تحت ظل شجرة كأنه غصن من أغصانها، ويجيئه المنجنيق من هاهنا، فما يلتفت إليه. الزهد لأبي داود (٣٢٤).

* وقال ثابت: كنت أمر **بعبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة، أو حجر منصوب لا يتحرك. الزهد لأبي داود (٣٢٥).

* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جذم حائط. الزهد لأحمد: ٣٥٨.

* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا قام إلى الصلاة كأنَّه عُود، وحدَّث أنَّ **أبا بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان كذلك. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٩.

* وعن **عدي بن حاتم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٠) قال: ما دَخَل وقتُ صلاةٍ قطّ حتى أشتاق إليها. الزهد لابن المبارك (١٠٣٢).

* وعن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: «إذا كان الرجل بأرض قِيّ[2]

---

(١) أي: يقصد.

(٢) الأرض القِيُّ: هي الأرض القفر الخالية.

فتوضأ، وإن لم يجد الماء فتيمّم، ثم ينادي بالصلاة، ثم يقيمها، ثم يصليها، إلا أمّ من جنود الله عَزَّوَجَلَّ صفًّا ما يَرى طرفاه، يركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده، ويؤمّنون على دعائه». الزهد لابن المبارك (٣٢٥)، وصحّحه البيهقي في السنن الكبرى (١٩٢٨).

* وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: والذي نفسي بيده، إنّ الحسنات اللاتي يمحو الله بهن السيئات كما يَغسل الماءُ الدَّرن: الصلوات الخمس. الزهد لابن المبارك (٨٥٤).

* وقال **عطاء الخراساني** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٤٠): «ما من عبد يسجد سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها يوم القيامة، وبكت عليه يوم يموت». الزهد لابن المبارك (٣٢٤).

* وقال **مسروق** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٦٣): ما من الدنيا شيء آسى عليه إلا السجود لله عَزَّوَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٥٧٩.

* وقال عطاء بن السائب: رأيت مُصلَّى **مُرَّة بن شراحيل الهمدانيّ** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٨٥) مثل مبركِ البعير.

قال **الذهبي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): ما كان هذا الوليُّ يكاد يتفرغ لنشر العِلم، ولهذا لم تكثر روايتُه، وهل يُراد من العلم إلا ثَمرتُه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٤٧.

* وقال **إبراهيم النخعي** (ت: ٩٦) **ووكيع بن الجراح** (ت ١٩٧) رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسلْ يدك منه. صفة الصفوة ٣/ ٦٠، تهذيب الحِلْية ٣/١٠٧.

* وعَنْ **إبْرَاهِيمَ النخعي** رَحِمَهُٱللَّهُ قَالَ: كَانُوا إِذَا أَتَوْا الرَّجُلَ لِيَأْخُذُوا عَنْهُ نَظَرُوا إِلَى صَلَاتِهِ وَإِلَى سَمْتِهِ وَإِلَى هَيْئَتِهِ ثُمَّ يَأْخُذُونَ عَنْهُ. مسند الدارمي (٤٣٥).

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: كنا نأتي الرجل لنأخذ عنه، فننظر إذا صلى، فإن أحسنها جلسنا إليه، وقلنا: هو لغيرها أحسن، وإن أساءها قمنا عنه، وقلنا: هو لغيرها أسوأ. مسند الدارمي (٤٣٧).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنتُ أرحَلُ إلى الرجل مسيرَة أيامٍ لأسمع منهُ، فأتفقَّد صَلاتَه، فإن وجَدتُه يُحسِنها، أقمتُ عليه، وإنْ أجِدْهُ يُضيِّعُها، رحلت ولم أسمع منه، وقلتُ: هو لِما سواها أضْيَع. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٩.

* وقيل **لعامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠): أتحدِّث نفسك في الصلاة؟ قال: أحدِّثُها بالوقوف بين يدي الله، ومنصرفي. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٣٣.

* وكان **عليّ بن عبد الله بن عباس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) يسجد كل يوم ألف سجدة.(١) الزهد لأبي داود (٣٦٣).

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: يابن آدم وماذا يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك؟. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٤١.

* وعن هشام بن عروة أن أباه **عروة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) كان إذا دخل على أحد من أهل الدنيا فيرى من دنياهم ما يرى رجع إلى منزله فقرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣١-١٣٢]، ويقول: الصلاة الصلاة. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٤٥.

* وكان **سَعيدُ بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٦) إذا فاتَتْه صلاةُ الجماعة بكى. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٢٣.

---

(١) يعني: يصلي كل يوم مائتين وخمسين ركعة.
ولذلك سمّي بالسجاد لكثرة سجوده وصلاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* وقيل له: ما هذا البكاءُ الذي يعرض لك في الصلاة؟ فقال: ما قمتُ إلى صلاة إلا مَثُلَتْ لي جهنمُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٢٣.

* وكان **علي بن الحسين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) إذا توضأ يصفرّ، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٦.

* وقال **بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦): مَن مثلك يابن آدم؟ خلّي بينك وبين المحراب والماء؟ كلما شئت دخلتَ على الله عَزَّوَجَلَّ ليس بينك وبينه ترجمان. صفة الصفوة ٣/ ١٧٦.

* وعن **أبي عبد الرحمن السلمي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤) أنه كان يأمرهم أن يحملوه في الطين والمطر إلى المسجد وهو مريض.

ودخلوا عليه وهو يقضي -أي ينزع- في المسجد، فقالوا له: لو تحولت إلى الفراش فإنه أوثر؟ قال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة**». الزهد لابن المبارك (٤٠٠-٤٠١).

* وقال ابنُ أخي **بشر بن منصور** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٠): ما رأيت عمي فاتَتهُ التكبيرةُ الأُولى. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٤.

* وقال وكيع: كان **الأعمش** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٨) قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريبًا من سنتين فما رأيته يقضي ركعة. المنتظم ٨/ ١١٣.

* وعن **سعيد بن المُسيِّب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: ما فاتَتْني الصلاةُ في جماعة منذ أربعين سنة. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أذَّن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة. تهذيب الحِلْية ٣٤٣/ ١.

* واشتكى عينه فقالوا له: لو خرجت إلى العقيق فنظرتَ إلى الخُضرة، لوجدت لذلك خِفَّةً، قال: فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٨.

* وكان بعض السلف إذا صلى كأنه يخاطب رجلًا من إقباله على صلاته.[1] مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٠٥).

* وعن **عمرو بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٦) قال: كان يقال: الصلاة رأس العبادة. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٤٩.

* وكان **أبو بكر بن عبد الرحمن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) يأمر مولاه يقوده إلى المسجد -وقد كان كُفَّ بصره- فيقوم فيصلي لنفسه فيقرأ بالبقرة. الزهد لأبي داود (٣٥٣).

* وكان الإمام **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) يطيل الركوع والسجود في ورده، وإذا وقف في الصلاة كأنه خشبة يابسة لا يتحرك منه شيء.

فلما ضرب قيل له: لو خفّفت في هذا قليلًا، فقال: ما ينبغي لأحد أن يعمل لله عملًا إلا حسَّنه، والله تعالى يقول: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧]. ترتيب المدارك (١/ ١٧٠).

* وقال الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): تخوفتُ أن يكون هذا الزمان لو صليتُ فِي مائة مسجد ما رأيتُ أهل مسجدٍ واحد يُقيمون الصلاة عَلَى

---

(١) وحقيقة المصلي أنه يُخاطب الله تعالى بتلاوة كلامه، وتسبيحه وتكبيره وحمده ودعائه، فينبغي له أنْ يوقن أنّه يُخاطب ربه الذي يراه ويسمعه، فلا يأتي بها ساردا لها بلا روح ولا حماس ولا نشاط.

ما جاء عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وعن أصحابه رحمة الله عليهم، فاتقوا الله، وانظروا فِي صلاتكم وصلاةِ من يُصلّي معكم. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٢).

* وسُئِل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ الرجل يسمع النفير(١) وتقام الصلاة؟.

قَالَ: يصلي ويخفف.

قَالَ له الرجل: يُخفف الركوع والسجود؟.

قَالَ: لا، ولكن يقرأ سورًا صغارًا، ويتم الركوع والسجود.(٢) طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٢).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن حظَّك من الإسلام وقَدرَ الإسلام عندك بقدرِ حَظِّك من الصلاة وقَدرها عندك، واحذر أن تلقى الله عَزَّوَجَلَّ ولا قَدرَ للإسلام عندك؛ **فإن قَدرَ الإسلام فِي قلبك كقَدرِ الصلاة فِي قلبك**. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٥).

* وقال أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **عاصم بن أبي النجود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٨) إذا صلى ينتصب كأنه عود، وكان يكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر.

وكان عابدًا خيِّرًا، يصلي أبدًا (٣)، ربما أتى حاجة فإذا رأى مسجدًا قال: مِلْ بنا؛ فإنَّ حاجتنا لا تفوت، ثم يَدخل فيصلي.

ودخلتُ على عاصم، وهو في الموت فقرأ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام:٦٢]. معرفة القراء (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

---

(١) أي: نفير ومنادي الجهاد.

(٢) وإذا كان الإمام أحمد لم يرخص لمن سمع النفير بتخفيف الركوع والسجود فكيف بمن يخففهما في حال السّعة والرخاء، وينقرهما على عجل؟

(٣) أي: يديم الصلاة ويُكثر منها.

وفي الأصل: أبدا يصلي، والتصويب من السِّيَر ٥/ ٢٥٩

* وقال **ابن العربي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٤٣): صليت المغرب ليلة، ومعنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي الزاهد، فلما سلمنا تمارى رجلان كانا عن يمين أبي عبد الله المغربي وجعل أحدهما يقول للآخر: أسأت صلاتك، ونقَرت نقر الغراب والآخر يقول له: كذبت بل أحسنت وأجملت فقال المعترض لأبي عبد الله الزاهد: ألم يكن إلى جانبك فكيف رأيته يصلي؟

قال أبو عبد الله: لا علم لي به، كنت مشتغلا بنفسي وصلاتي عن الناس وصلاتهم. فخجل الرجل وأُعجب الحاضرون بالقول.

وصدق شيخنا أبو عبد الله الزاهد؛ لو كان لصلاته قدر أو له بها شغل وإقبال بالكلية لما علم من عن يمينه أو عن يساره فضلا عن معرفته كيفية صلاته، وإلا فأحد الرجلين أساء صلاته في حذف صفاتها، واختصار أركانها، وهذا أساء صلاته في الاشتغال بصلاة هذا، حتى ذهب حفظ صلاته وخشوعها. أحكام القرآن ٣/ ٢٣٦

* وكان **أبو القاسم الجنيد بن محمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٧) كثير الصلاة، ثم رأيناه في وقت موته وتقدم إليه الوسادة، فيسجد عليها، فقيل له: ألا روحت عن نفسك؟ فقال: «طريق وصلت به إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا أقطعه». الزهد الكبير للبيهقي (٢٩٣).

* وجَاءَتِ امْرَأَةٌ يَوْمًا إِلَى **سَرِيٍّ السّقطي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١) فَقَالَتْ: إن ابني قد أخذه الحرس، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَبْعَثَ إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ لئلا يضرب، فقام فصلى فطول الصلاة، وجعلت الْمَرْأَةُ تَحْتَرِقُ فِي نَفْسِهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَتِ الْمَرْأَةُ: اللهَ اللهَ فِي وَلَدِي.

فقال لها: إني إنما كنت في حاجتك.

فما قام من مجلسه الذي صلى فيه حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى تِلْكَ الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ لها: أبشري، فقد أُطلق ولدك، وها هو في المنزل.[1] البداية والنهاية ١١/ ٨٠.

* وقال البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): أما تعبُّده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فإنه قلَّ أن سُمِع بمثله؛ لأنه كان قد قطع جل وقته وزمانه فيه، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله -تعالى- ما يراد له، لا من أهل ولا من مال.

وكان في ليله متفردًا عن الناس كلهم، خاليًا بربه عَزَّوَجَلَّ ضارعًا، مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا ذهب الليل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر، يأتي بسنتها قبل إتيانه إليهم، وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تتخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعدُ أعضاؤه حتى يميله يمنة ويسرة، وكان إذا قرأ يمد قراءته مدًّا كما صح في قراءة رسول الله ﷺ، وكان ركوعه وسجوده وانتصابه عنهما من أكمل ما ورد في صلاة الفرض.

فَإذا فرغ من الصَّلَاة أثنى على الله عَزَّوَجَلَّ هُوَ وَمن حضر بِمَا ورد.. ثمَّ يَدْعُو الله تَعَالَى لَهُ وَلَهُم وللمسلمين.

وَكَانَ غَالب دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ انصرنا وَلَا تنصر علينا، وامكر لنا وَلَا تَمْكُر علينا، واهدنا وَيسر الْهدى لنا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لَك شاكرين، لَك ذاكرين، لَك أَوَّاهين، لَك مخبتين، إليك راغبين، إليك راهبين، لَك مطاويع، رَبنَا تقبل توباتنا، واغسل حوباتنا، وَثَبت حجَجنَا، واهد قُلُوبنَا، واسلل سخيمة صدورنا.

يفتتحه ويختمه بِالصَّلَاةِ على النَّبِي ﷺ، ثمَّ يشرع فِي الذّكر.

وَكَانَ قد عرفت عَادَته لَا يكلمهُ أحدٌ بِغَيْر ضَرُورَة بعد صَلَاة الْفجْر، فَلَا يزَال

(١) كان السلف الصالح يرون أنّ الصلاة من أعظم أسباب سعادتهم وقضاء حوائجهم وإجابة دعواتهم، فلذلك أقبلوا بقلوبهم فيها.

فِي الذّكر يُسْمِع نَفسه، وَرُبمَا يَسْمَع ذكرُه من إِلى جَانِبه، مَعَ كَونه فِي خلال ذَلِك يكثر من تقليب بَصَره نَحْو السَّمَاء، هَكَذَا دأبه حَتَّى ترْتَفع الشَّمْس وَيَزُول وَقت النَّهْي عَن الصَّلَاة.

وَكنت أسْمَع مَا يَتْلُو وَمَا يذكر، فرأيته يقْرَأ الْفَاتِحَة ويكررها، وَيقطع ذَلِك الْوَقْت كُله، أعني من الْفجْر إِلى ارْتِفَاع الشَّمْس فِي تكْرِير تلاوتها. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٣٦-٣٨).

* وكان الشيخ **عبدالله بن جار الله آل جار الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤١٤) يُبكّر للصلاة ويُطيل الجلوس في المسجد، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصوم مع ما به من أمراض، ويُصرّ على الصوم حتى إنه يتعب كثيرا من الصوم، ومع ذلك فهو صابر محتسب.

أما قيام الليل فهو من الأمور التي اتصف بها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع ما كان به من مرض، يقول ابنه محمد: «لقد اعتاد الوالد أن يقوم كلّ ليلة مبكّرًا لكي يُوتر في الثلث الأخير». علماء نجد (٤/ ٤٧).

ت- فضل قيام الليل وقصص المتهجّدين:

* كان **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلّي، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله، يقول لهم: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢﴾ [طه:١٣٢]. الزهد لأبي داود (٩٤).

* وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الشتاء غنيمة العابدين.[١] مصنف ابن أبي شيبة: (٣٤٤٦٨).

* وقام **عثمان بن عفان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) بعد العشاء فقرأ القرآن كلّه في ركعة، لم يصل قبلها ولا بعدها. الزهد لابن المبارك (١٠٠٧).

(١) لأنّ الليل فيه يكون أطول من النهار، والجو في النهار ليس حارًا، والمؤمن يستغلّ هذه الفرصة والغنيمة العظيمة فيصوم نهاره ولو يوما في الأسبوع، ويقوم ليله ولو نصف ساعة.

* وعن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ **تميمًا الداري** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) كان يقرأ القرآن في ركعة.

* قال: وقالت امرأة **عثمان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) حين دخلوا عليه ليقتلوه: إنْ تقتلوه فإنه قد كان يحيي الليل كله بالقرآن في ركعة. الزهد لابن المبارك (١٠٠٩).

* وعن **عبد الله بن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، أنه كان إذا دخل الشتاء قال: يا أهل القرآن طال الليل لصلاتكم، وقصر النهار لصيامكم، فاغتنموا. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٢٣.

* وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على النبي ﷺ قال: وكنت غلامًا عزبًا، فكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان، وأرى فيها ناسًا قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن تُرعْ، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**»، قال سالم: فكان عبد الله بعد لا ينام من الليل إلا قليلًا. صحيح البخاري (١١٠٥).

* وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة، أحيا بقية ليلته. تهذيب الحِلْية ٢١٧/ ١.

* وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يحيي الليل صلاةً، ثم يقول: يا نافع أسْحَرْنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة، ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: نعم، فيقعد، ويستغفر، ويدعو حتى يصبح. المعجم الكبير للطبراني: (١٣٠٤٣).

* وعن **أُسَيْد بْن حُضَيْرٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٠) أنه بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ[1]، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟**»، قلت: لَا، قَالَ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**». صحيح البخاري (٥٠١٨)، صحيح مسلم (٧٩٦).

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٢) قال: فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية. مصنف عبدالرزاق: (٤٧٣٥).

* وقال أيضا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: بحسب الرجل من الخيبة أن يبيت ليلته لا يذكر الله حتى يصبح، فيصبح وقد بال الشيطان في أذنه. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٢٨.

* **وقال عمرو بن العاص** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٤٣): ركعةٌ بالليل خيرٌ من عشرين بالنهار. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٤٧.

* وعن أبي عثمان النهدي قال: تضيّفت **أبا هريرة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٩) سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يتعقّبون الليل أثلاثًا، يصلي هذا، ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا، ثم يوقظ هذا. صحيح البخاري (٥٤٤١).

* وعن عبد الله بن أبي مليكة قال: سافرت مع **ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٦٨) من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة، فكان يقوم شطر الليل. الزهد لأبي داود (٢٨٩).

---

(١) هو الموضع الذي يُيَبَّس فيه التمر.

* وقيل **لحسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١) في مرضه: كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار، قيل: فما تشتهي؟ قال: ليلةً بعيدةً ما بين الطرفين، أُحيي ما بين طرفيها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٧.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: قيام الليل شرف المؤمنين، وعزهم الاستغناء عما في أيدي الناس. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٤٨.

* وقال له رجل: يا أبا سعيد ما أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من الأعمال؟ قال: ما أعلم شيئًا يتقرب به المتقربون إلى الله أفضل من قيام العبد في جوف الليل إلى الصلاة. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٤٨.

* وقال الشاعر:

تَيقَّظْ مِن مَنامِكَ إنَّ خَيرًا ... مِنَ النَّومِ التَّهجُّدُ بالقُرانِ

* وعن بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال كانت **امرأة** متعبدة باليمن، وكانت إذا أمست قالت: يا نفس الليلة ليلتك، لا ليلة لك غيرها، فاجتهدت، وإذا أصبحت قالت: يا نفس اليوم يومك لا يوم لك غيره، فاجتهدت. الزهد لوكيع (٩).

* وعن **عطاء الخرساني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٥) قال: كان يقال: قيام الليل محياة للبدن، ونور في القلب، وضياء في البصر، وقوة في الجوارح، وإن الرجل إذا قام من الليل متهجدًا: أصبح فرحًا يجد لذلك فرحًا في قلبه، وإذا غلبته عيناه فنام عن حزبه: أصبح حزينًا منكسر القلب كأنه قد فقد شيئًا، وقد فقد أعظم الأمور له نفعًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٤٩.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): قيام الليل يشرف به الوضيع، ويعز به الذليل، وصيام النهار يقطع عن صاحبه الشهوات، وليس للمؤمن راحةٌ دون دخول الجنة. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٥٠.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: بطول التهجد تقر عيون العابدين، وبطول الظمأ تفرح قلوبهم عند لقاء الله. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٥٠.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: أدركت أقوامًا يستحيون من الله في سواد هذا الليل أن يناموا من طول الضجعة. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٥٩.

* وقال **الحسن بن صالح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٩): إني لأستحي من الله أن أنام تكلفًا حتى يكون النوم هو الذي يصرعني، وكان يقال له: حية الوادي. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٦٠.

* وعن **أبي إسحاق السبيعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٧) قال: ذهبت الصحة مني وضعفت ودق عظمي، وإني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٦٦.

* وكان **منصور بن المعتمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢) إذا جاء الليل اتزر إزارًا إن كان صيفًا، وإن كان شتاءً التحف فوق ثيابه، ثم قام إلى محرابه فكأنه خشبة منصوبةٌ حتى يصبح. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧١.

* وعن أم سعيد بن علقمة النخعي قالت: كان بيننا وبين **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) حائط قصير أسمع حسه عامة الليل لا يهدأ قالت: وربما سمعته يقول: هَمُّكَ عَطَّل عليَّ الهموم وخالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوبق مني الشهوات، وحال بيني وبين اللذات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب.

قالت: وربما ترنم بالآية، فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنمه. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٨٠.

* وكان **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقوم في شهر رمضان فيقرأ بهم الربع من القرآن، ثم ينصرف، فيقولون: قد خففت بنا الليلة. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٨٣.

* وقالت جارية ابنة لجار **منصور بن عمار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: يا أبه أين الخشبة التي كانت في سطح منصور؟ قال: يا بنية ذاك منصور كان يقوم الليل. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧٢.

* وقال ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قرأت في كتاب أبي جعفر الآدمي بخطه قال: كنت باليمن فإذا **رجل** معه ابنٌ له **شاب**، فقال: إنَّ هذا **أبي** وهو من خير الآباء، وقد يصنع شيئًا أخاف عليه منه، قلت: وأي شيء يصنع؟ قال: لي بقر تأتيني مساءً فأحلبها، ثم آتي أبي وهو في الصلاة فأحب أن يكون عيالي يشربون فضله، ولا أزال قائمًا عليه والإناء في يدي، وهو مقبل على صلاته، فعسى أن لا ينفتل ويقبل عليَّ حتى يطلع الفجر، قلت للشيخ: ما تقول؟ قال: صدق، وأثنى على ابنه، وقال لي: أخبرك بعذري، إذا دخلت في الصلاة، فاستفتحت القرآن ذهب بي مذاهب، وشغلني حتى ما أذكره حتى أصبح.

قال سلامة: فذكرت أمرهما لعبد الله بن مرزوق فقال: هذان يُدفع بهما عن أهل اليمن.

قال: وذكرت أمرهما لابن عيينة فقال: هذان يُدفع بهما عن أهل الدنيا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٢٢.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: صلوا من الليل، ولو قدر حلب شاة. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٢٨.

* وكان **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) يقوم من الليل فيخفي نفسه، فإذا كان قبيل الصبح رفع صوته. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٣٨.

---

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الواعظ، البليغ، الصالح، الرباني، أبو السري السلمي، كان عديم النظير في الموعظة والتذكير.

لم أجد وفاة لمنصور، وكأنها في حدود المائتين. السِّيَر (٩/ ٩٣ - ٩٨).

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ١١٨): كان يقال: قلما ساهرٌ بالليل منافق. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٤١-٣٤٢.

* وقال **سفيان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يقومون أول الليل، وينامون آخره. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٩٥.

* وقال **عمر بن ذر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣): لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ونظروا إلى أهل السَّآمة والغفلة قد سكنوا إلى فرشهم ورجعوا إلى ملاذهم من الضجعة والنوم: قاموا إلى الله فرحين مستبشرين مما قد وهب لهم من خير على السهر وطول التهجد، فاستقبلوا الليل بأبدانهم، وباشروا ظلمته بصفاح وجوههم، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذتهم من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من طول العبادة، فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم الليل بربحٍ وغبنٍ، أصبح هؤلاء قد ملوا النوم والراحة، وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعبادة، شتان ما بين الفريقين، فأعملوا أنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإنما المغبون من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، إنما جُعلا سبيلًا للمؤمنين إلى طاعة ربهم وبالًا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم فأحيوا أنفسكم فيه فإنما تحيا القلوب بذكر الله تعالى، كم من قائم لله تعالى في هذا الليل وقد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طُول نومه عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدًا، فاغتنموا من الساعات والليالي والأيام رحمكم الله. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٣.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): والله ما رجل تخلى بأهله عروسًا، أقر ما كانت نفسه وآنس ما كان بأشد سرورًا منهم بمناجاته إذا خلوا به. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٣.

* وقال **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١):

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم وقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٤.

* وعن **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) قال: لن يبرح المتهجدون من عرصة القيامة حتى يؤتوا بنجائب من اللؤلؤ قد نفخ فيها الروح فيقال لهم: انطلقوا إلى منازلكم من الجنة ركبانًا، قال: فيركبونها فتطير بهم متعالية، والناس ينظرون إليهم، يقول بعض لبعض: من هؤلاء الذين قد منَّ الله عليهم من بيننا؟ قال: فلا يزالون كذلك حتى ينتهي بهم إلى مساكنهم وأفنيتهم من الجنة. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٥.

* وعن سفيان، قال: كان **محمد بن جحادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) من العابدين وكان يقال: إنه لا ينام من الليل إلا أيسره قال: فرأت امرأة من جيرانه كأن حُللًا فرقت على أهل مسجدهم، فلما انتهى الذي يفرقها إلى محمد بن جحادة دعا بسفطٍ مختوم فأخرج منه حلة خضراء قالت: فلم يقم لها بصري فكساه إياه وقال: هذه لك بطول السهر، قالت تلك المرأة: فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأتخايلها عليه، يعني الحلة. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٦.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: أدركت الجفاة وهم يقومون الليل. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٩.

* وقال بعضهم: طول التهجد مهور الحور العين في الجنة. الجامع المنتخب/ ٦٩.

* وكان بعض السلف يحيي الليل بالصلاة ففتر عن ذلك، فأتاه آتٍ في منامه، فقال له: قد كنتَ يا فلان تدأب في الخطبة، فما الذي قصر بك عن ذلك؟ قال:

وما ذلك؟ قال: كنت تقوم من الليل، أو ما علمت أن المتهجِّد إذا قام إلى تهجده، قالت الملائكة: قد قام الخاطب إلى خطبته. الجامع المنتخب/ ٦٩.

* ورأى بعضهم في منامه امرأة لا تشبه نساء الدنيا، فقال لها: من أنتِ؟ قالت: حوراء أَمَةُ الله، فقال لها: زوِّجيني نفسكِ، قالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني، قال: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد. الجامع المنتخب/ ٦٩، ابن أبي الدنيا ١/ ٢٩٦.

* ونام بعض المتهجدين ذات ليلة، فرأى في منامه حوراء، تنشده:

أَتَخْطبُ مِثْلِي وعنِّي تَنَامُ ... ونَوْمُ المحبينَ عنّا حرامُ
لأَنَّا خُلِقْنَا لكلِّ امْرِيءٍ ... كثير الصَّلاة براهُ الصِّيامُ

الجامع المنتخب/ ٦٩.

* وكان لبعض السلف وِرْد من الليل فنام عنه ليلة، فرأى في منامه جارية كأنّ وجهها: القمرُ، ومعها رقّ فيه كتاب مكتوب، فقالت: أتقرأ؟ قال: نعم. فأعطته إياه، ففتحه فإذا فيه مكتوب:

أَلْهَتْكَ اللَّذائِذُ والأماني ... عَنِ الفِرْدوْس والظُلَلِ الدَّواني
أتلهو بالكرَى عنْ طِيْب عَيْشٍ ... معَ الخَيرات في غُرَفِ الجِنانِ
تَعيشُ مخلدًا لا موتَ فيهَا ... وتنعم في الجنان مع الحسان
تيقَّظْ مِنْ مَنامكَ إنَّ خيرًا ... مِنَ النَّومِ التَّهَجُّدُ بالقُرانِ

فاستيقظ قال: فوالله ما ذكرتها إلا ذهب عني النوم. الجامع المنتخب/ ٦٩، ابن أبي الدنيا ١/ ٢٩٥.

* وكان بعض الصالحين له وردٌ فنام عنه، فوقف عليه فتى في منامه، فقال له بصوت محزون:

تيَقَّظْ لِساعَاتٍ مِنَ الليْلِ يا فَتى ... لَعَلّك تَحْظى في الجِنَان بحُورِهَا
فَتَنْعَمُ في دارٍ يَدُومُ نعيمُها ... مُحَمَّدُ فيها والجليلُ يزُورُها
فَقُمْ وتيقَّظْ ساعةً بعدَ ساعَةٍ ... عَسَاكَ توفِّي ما بَقى مِنْ مُهورِها

الجامع المنتخب/ ٦٩.

* وكان بعض السلف الصالح كثير التهجد، فبكى شوقًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ ستين سنة، فرأى في منامه كأنه على ضفة نهر يجري بالمسك به شجرُ لؤلؤ ونبت من قضبان الذهب، فإذا بحورٍ مزيناتٍ يقلن بصوت واحد: سبحان المسبح بكل لسان سبحانه، فقال لهن: ما تصنعن هاهنا؟ فقلن:

ذَرَانا إلهُ الناس ربُّ مُحَمّدٍ ... لِقَومٍ على الأقدام بالليل قُوَّمُ
يُنَاجُونَ ربَّ العَالَمينَ إلهَهُمْ ... وتَسْري همومُ القوم والنَّاسُ نوَّمُ

فقال: بخ بخ لهؤلاء، من هم لقد أقر الله أعينهم بكنّ؟ فقلن: أوما تعرفهم؟! قال: لا، فقلن: بلى! هؤلاء المتهجدون، أصحاب القرآن والسهر. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٦-٣٠٧، الجامع المنتخب/ ٦٩.

* وكان بعض الصالحين ربما نام في تهجده فتوقظه الحوراء في منامه، فيستيقظ بإيقاظها.(١) الجامع المنتخب/ ٦٩.

* وكان **أبو عُبَيْد القاسم بن سلاّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤) يقسم الليل أثلاثًا فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويصنّف الكتب ثلثه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٨٧.

* وعن سُحنون الفقيه قال: كان **عبدالله بن وهب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧) قد قَسَمَ دهْرهُ أثلاثًا ثُلُثًا في الرِّبَاط، وثُلثًا يُعلِّم النَّاس بمصر، وثُلُثًا في الحجِّ، وذكر أنه حجَّ

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومما يُجزَى به المتهجِّد في الليل: كثرةُ الأزواج من الحور العِيْن في الجنة، فإن المتهجد قد ترك لذة النوم بالليل، ولذة التمتع بأزواجه طلبًا لما عند الله عَزَّوَجَلَّ، فعوّضه الله تعالى خيرًا مما تركه، وهو الحور العين في الجنة. الجامع المنتخب/ ٦٩.

ستًّا وثلاثين حجَّة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٩.

* وكان **عطاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم ما يزول منه شيء ولا يتحرك. الزهد لأحمد: ٦٢٥.

* وكان **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) بعد ما سقط شقُّه يُهادى بين رجلين إلى مسجد قومه، وكان أصحاب عبد الله يقولون له: يا أبا يزيد لقد رخَّص الله لك لو صليت في بيتك، فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي: «حيَّ على الفلاح» فمن سمع منكم، فليجِبه ولو زحفًا، ولو حبوًا. صفة الصفوة ٣/ ٤٢.

* وكان **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) إذا قام إلى الصلاة كأنه وَتَدٌ. صفة الصفوة ٣/ ٥٣.

* وقال ميمون بن جابان: ما رأيت **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) ملتفتًا في صلاته قطّ، خفيفةً ولا طويلة، لقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدّتها، وإنه لَفي المسجد في الصلاة فما التفَت. الزهد لابن المبارك (٩٢٠)، صفة الصفوة ٣/ ١٦٩.

* وقال عبد الجبار بن النضر السلمي: حدّثني رجل من آل محمد بن سيرين قال: رأيت **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ رفع رأسه من السجود في المسجد الجامع، فنظرتُ إلى موضع سجوده، كأنه قد صُبّ فيه الماء من كثرة دموعه. صفة الصفوة ٣/ ١٦٩.

* وقال **ثابت البناني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٣): كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعّمت بها عشرين سنة. صفة الصفوة ٣/ ١٨٦.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقوم الليل ويصوم النهار، وكان يقول: ما شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧٧.

* وعن هشام قال: ما رأيت أحدًا قط أصبر على طول القيام والسهر من **ثابت البناني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صحبناه مرةً إلى مكة، فكنا إن نزلنا ليلًا فهو قائم يصلي حتى يصبح، وإلا فمتى شئت أن تراه أو تحس به مستيقظًا ونحن نسير إما باكيًا وإما تاليًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧٧.

* وعن واصل بن سليم، قال: صحبت **عطاء بن السائب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) إلى مكة، فكان يختم القرآن في كل ليلتين. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٢٢.

* وعن **ابن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: كابدتُ نفسي أربعين سنةً حتى استقامت. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٠٧.

* وحبس الأسد الناس ليلة في طريق الحج، فدق الناس بعضهم بعضًا، فلما كان السحر ذهب عنهم، فنزل الناس يمينًا وشمالًا فألقوا أنفسهم فناموا، وقام **طاووس بْن كَيْسَانَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦) يصلي، فقال له ابنه: ألا تنام فقد نصبت الليلة؟ فقال طاووس: ومن ينام السحر؟! المنتظم ١١٥/ ٧.

* وعن يحيى بن يمان قال: رأيت **سفيان الثوريّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) يخرج يدور بالليل، وينضح في عينيه الماء، حتى يذهب عنه النعاس. تهذيب الحِلْية ٤٠١/ ٢.

* وقال **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧): من أطال قيام الليل، هوَّن الله عليه وقوفَ يوم القيامَة.(١) تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٣.

* وقال الربيعُ بنُ سُليمان: كانَ **الشافعيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) قد جزَّأ الليل،

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفوائد: للعبد بين يدي الله موقفان؛ موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإنسان:٢٦-٢٧].

فثُلُثه الأول يكتُب، والثاني يُصَلِّي، والثالث ينام.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): أفعالُه الثلاثةُ عبادةٌ بالنيَّة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٤٨.

* وعن إبراهيم بن شماس قال: كنت أعرف **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) وهو غلام يُحيى الليل. صفة الصفوة ٢/ ٦٠٩.

* وقال عبد الله بن **أحمد بن حنبل**: كان أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرأ كل يومٍ سُبعًا، وكان ينام نومةً خفيفة بعد العشاء، ثم يقوم إلى الصباح يُصلي ويدعو. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٩.

* وقال المروذي: رأيتُ أبا عبد الله[1] يقوم لِورده قريبًا من نصف الليل حتى يقاربَ السَّحَر، ورأيتُه يركع فيما بينَ المغرب والعشاء. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٣٠.

* وقَالَ عبد الصمد ابن أبي مطر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بِتُّ عند **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوضع لي صاخرة ماء[2]، فلما أصبحتُ وجدني لم أستعمله، فقال: صاحب حديثٍ لا يكون له وردٌ بالليل؟!.

قلت: مسافر.

قَالَ: وإن كنتَ مسافرًا، حجَّ مَسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ فما نام إلا ساجدًا. طبقات الحنابلة (٢/ ١٠٣).

قال الشَّيخُ تَقيُّ الدِّينِ **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): فيه أنَّه يُكْرهُ لأهل العلمِ تَركُ قِيامِ اللَّيل، وإن كانُوا مُسافرين. الآداب الشرعية ٢/ ١١٧.

* وكان **أبو عبيد القاسم بن سلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤) قد جزَّأ الليل ثلاثة أجزاء: ثلثًا ينام، وثلثًا يصلي، وثلثًا يطالع الكتب. طبقات الشافعيين (١/ ١٥٤).

---

(١) يعني: أحمد بن حنبل.

(٢) الصاخرة: إناء من خزف.

* وقال أبو الوليد بن أبي الجارود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **البويطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣١) جاري، فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا أسمعه يَقرأ ويُصلي. طبقات الشافعيين (١/ ١٥٩).

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): لَأَهلُ الطاعة في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو بلَهوِهم، ولَولا الليل ما أحببت البقاءَ في الدنيا. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٥.

* وقال محمدُ بن أبي حاتِم: دُعي **محمدُ بن إسماعيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠) إلى بستانِ بعضِ أصحابه، فلما صلَّى بالقومِ الظهر، قام يتطوَّعُ، فلما فرغ من صلاته، رفعَ ذيلَ قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئًا؟ فإذا زنبورٌ قد أَبَرَهُ في ستة عشر أو سبعة عشر موضعًا، وقد تورم من ذلك جسدُهُ فقال له بعضُ القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أَبَرَك؟ قال: كنتُ في سورةٍ، فأحببتُ أن أُتِمَّها!!. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠١٦.

* وعن القاسم بن راشد الشيباني قال: كان **زمعة بن صالح المكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) نازلًا عندنا، وكان له أهل وبنات، وكان يقوم فيصلي ليلًا طويلًا، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته: أيها الركب المعرسون، أكل هذا الليل ترقدون، ألا تقومون، فترحلون، فيسمع من ها هنا باكٍ، ومن ها هنا داع، ومن ها هنا قارئ، ومن ها هنا متوضئ. فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: عند الصباح يحمد القوم السُّرى. المنتظم ٢٤٣/ ٨.

* وعن محمد بن إبراهيم قال: رأيت **الجنيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧) في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار. تهذيب الحِلْية ٣٧٣/ ٣.

* وكَانَ بدر الدِّين أَبُو مُحَمَّد بن الْخَطِيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠٠): يقوم اللَّيْل، ويتحرى وَسطه وينام.

ويصوم يَوْمًا وَيفْطر يَوْمًا، وَتارَة يفْطر أَيَّامًا ويصوم مثلهَا، ويواظب على صَوْم الْأَيَّام الثَّلَاثَة.

وَيكثر من تِلَاوَة الْقُرْآن وَالتَّسْبِيح.

وَإِذا خلا وَحده فَلَا ترَاهُ إِلَّا مُصَليا أَو تاليًا اَوْ ذَاكِرًا أَو مَا شَاءَ الله من أَنْوَاع الْخَيْر.(١) طبقات الشافعية (٢/ ٢٢٢).

* وقال الحافظ ابن حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **زين الدين العراقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠٦): لا يترك قيام الليل، وإذا صلّى الصبح ذكر الله في مجلسه حتى تطلع الشمس، ويصلي الضحى، ولم أر في جميع مشايخي أحسن صلاةً منه.

قال رفيقه الشيخ نور الدين الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت النبي ﷺ في النوم وعيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن يمينه والشيخ زين الدين العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن يساره. طبقات الشافعية (٢/ ٢٧٣).

* وقال الشيخ **عبدالله البسام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٣): أخبرني بعض خواص الشيخ **صالح بن عبدالله الزغيبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٢) أنه كان من العُبَّاد المنقطعين للعبادة، وأنه كان كثير التلاوة، وسمعه مرة في صلاة الليل يقرأ في أول الليل في سورة البقرة، ثم عاد في آخر الليل إلى المسجد فوجده يقرأ في سورة النحل. علماء نجد (٢/ ٤١٩).

* وكان الشيخ **عبدالعزيز بن حمد بن عتيق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٥٩) يُكثر ويُطيل من قيام الليل والتعبد فيه مع حسن الصوت بتلاوة القرآن، ولما سافر إلى الهند

(١) العبادة والإقبال على الله تعالى بالقلب واللسان والبدن من أعظم ثمرات العلم.

وركب السفينة في البحر جعل يقرأ القرآن، فالتفّ حوله أهل المركب يستمعون لقراءته، وكان منهم صاحب المركب، فجعل للشيخ غرفة خاصة ورفع منزلته، وجعل يحضره غالبَ الأوقات للاستماع، ولما وصل إلى الميناء لم يأخذ منه أجرةً إكراما له.

أما طريقته في تهجّده: فكان له وردٌ يقوم به من الليل، يطيل في الصلاة القراءة والركوع والسجود، فكان إذا أتى مضجعه للنوم بعد العشاء الآخرة بدأ بالصلاة، فصلى بعض ورده، ثم نام، فإذا بقي ثلث الليل قام وشرع في الصلاة حتى يُكمل وِرْده، لا يترك ورده لا في الحضر ولا في السفر، حتى إنه بعدما كبرت سنُّه كان في سفر إلى الحج وغيره من الأسفار إذا أدلجوا من الليل وعرّسوا في أثناء الليل -وقت كَسَلِ وعجزِ الأقوياء ورغبتهم في النوم- فلا يكاد رفقاؤُه يتمكَّنون من الاضطجاع للنوم إلا وقد انتصب هذا الشيخ قائما في الصلاة، وأقبل على تلاوة القرآن والتهجّد، كأنه في وقت الراحة والاطمئنان، حتى يُكمل ورده المعتاد، ثم عندما يبقى ثلث الليل إذا هو قد قام إلى صلاته. علماء نجد (٣/ ٢٧١).

ث- فضل صلاة الضحى:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): من فاته ورده من الليل فليصل به في صلاةٍ قبل الظهر[١]، فإنها تَعْدل صلاةَ الليل. الزهد لابن المبارك (٩٨٨).

* وكان **عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يصلي قبل الظهر صلاة طويلة، فإذا سمع الأذان شد عليه ثيابه وخرج.[٢] الزهد لابن المبارك (٩٩٠).

* وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ: كان **عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) وهي صلاة الضُّحى.

(٢) كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطيل في صلاة الضحى، ولا يشعر بدخول وقت النهي -وهو قبل زوال الشمس بعشر دقائق تقريبا إلى زوالها-.

يسبح قبل صلاة الظهر حتى يفيء الفيء أربع ركعات يطيلهن، حتى أقول قد قرأ في بعضهن بسورة البقرة. الزهد لابن المبارك (٩٩١).

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: أحبُّ الصلاة إلى أصحابنا بالهاجرة. الزهد لابن المبارك (٩٩٤).

د- شهر رمضان، والصيام:

* خرج علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أول ليلة من شهر رمضان والقناديل تزهر، وكتاب الله يُتلى في المساجد، فقال: نور الله لك يا **عمر بن الخطاب** (ت: ٢٣) في قبرك، كما نورت مساجد الله بالقرآن. قيام الليل للمَرْوَزِي/ ٢١٧.

* وكان **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) وأصحابه إذا صاموا جلسوا في المسجد، قالوا: نطهّر صيامنا. الزهد لهناد (١٢٠٤).

* وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان **أبو طلحة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) لا يصوم على عهد النبي ﷺ من أجل الغزو، فلما قُبض النبي ﷺ لم أره مفطرا إلا يوم فطر أو أضحى. صحيح البخاري (٢٦٧٣).

* وكان **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) يريد الصوم، فقيل له في ذلك، فقال: إني أعده ليوم شرّه طويل، ثم تلا: (فوقاهم الله شر ذلك اليوم). ابن أبي الدنيا ٦/ ١٣٦.

* وكان **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ يختم القرآن في رمضان في كل ليلة، وينام بين المغرب والعشاء.

وبعضهم يختمه في رمضان في ليلتين، وينام فيما بين المغرب والعشاء. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٦٨، ١/ ٣٣٤.

* وعن **أبي بكر بن أبي مريم** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سمعت **مشيختنا** يقولون إذا حضر

شهر رمضان: قد حضر مطهِّر، ويقولون: انبسطوا بالنفقة فيه، فإنها تضاعف كالنفقة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ويقولون: التسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٦٨.

* وقال **محمد ابن الحنفية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠): ليصم سمعك وبصرك ولسانك وبدنك، فلا تجعل يوم فطرك مثل يوم صومك، واتق أذى الخادم. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٧١.

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: الصائم في عبادة ما لم يغتب وإن كان نائما على فراشه. الزهد لهناد (١٢٠١).

* وقال مُسبِّح بنُ سعيد: كان **محمدُ بن إسماعيل البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠) يختمُ في رمضان في النهار كُلَّ يومٍ خَتمة ويقومُ بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بخَتْمَة. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠١٥.

هـ- التهيؤ للعبادة والاستعداد لها:

* اشْتَرَى **تميم الداريّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) رِدَاءً بِأَلْفِ درهمٍ فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ. رواه الطبراني (١٢٤٨)، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره ٣/ ٤٠٦.

* وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا قام من الليل دعا بسواكه، ثم دعا بأطيب حلة كان لا يلبسها إلا إذا قام من الليل يتهجد. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١١.

* وقال **وكيع بن الجراح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧): من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها، لم يكن وقّرها. تهذيب الحِلْية ١٠٧/ ٣.

* وكان **المغيرة بن حكيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) إذا أراد أن يقوم للتهجد لبس من أحسن ثيابه وتناول من طيب أهله، وكان من المتهجدين. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١١.

* وكان **بعض السلف** يشتري الحلة بمائتين، ويصبغها بدينار، ويخمرها النهار كله، ويقوم فيها الليل كله. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١١.

و- فوائد أخرى:

* قال **عليّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): كونوا لقبول العمل أشدَّ همًّا منكم بالعمل؛ ألم تسمعوا الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧] ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٥.

* وعن **محمد بن أبي عميرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وكان من أصحاب رسول الله ﷺ- قال: «لو أن عبدا خرّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرما في طاعة الله لحقَّره ذلك اليوم[1]، ولودّ أنه زيد كيما يزداد من الأجر والثواب». الزهد لابن المبارك (٣١).

* وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: لو قيل **لحماد بن سلمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٧) إنك تموت غدًا، ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا. تهذيب الحِلْية ٣٣٥/ ٢.

* وقيل **للحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): رجلان تفرغ أحدهما للعبادة والآخر يسعى على عياله أيهما أفضل؟ قال: الذي تفرغ للعبادة أفضل.[2] الزهد لأحمد: ٤٦١.

* وسئل **سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) عن الرجل يصلي أي شيء ينوي بصلاته؟ قال: ينوي أن يناجي ربه.[3] تهذيب الحِلْية ٤٠٢/ ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): كلام المؤمن حكم، وصمته

---

(١) أي: يوم القيامة؛ وذلك لما يرى من أهوال ذلك اليوم، ولما يرى من تقصيره في أعماله، وعِظَم حق الله عليه.

(٢) هذا إذا كان السعي في طلب فضول العيش وما زاد عن الحاجة. أما إذا كان في تحصيل لقمة العيش وسد الجوع: فقد أجمع أهل العلم من السلف الصالح ومن بعدهم على وجوب السعي في طلب الرزق.

(٣) وإذا نوى المصلي بصلاته أنه يناجي ربه: تأدّب في مُخاطبته له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في دعائه وتلاوة كلامه وذكرِه، وأَخْرَج سؤاله له مخرج المحتاج المتلهّف الصادق في سؤاله، وتلا كلام ربّه تلاوةً فيها غاية الأدب والتأني والترتيل، ولم يسرد ما يقول سردًا.
ولم يستعجل في حركات صلاتِه، وفي ركوعِه وسجودِه وجلوسه وحركات انتقالِه.
وبهذا يذوقُ حلاوةَ الصلاة، ويتأمّل ما يقول.

تفكر، ونظره عبرة، وعمله بر، وإذا كنت كذا لم تزل في عبادة. تهذيب الحِلْية ٣/١٦.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): إذا لذّت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد، وإذَا لذَّ لك السجود فلا تركع ولا تقرأ، الأمر الذي يفتح لك فيه فالزمه. تهذيب الحِلْية ٣/١٨٩.

القصد في العبادة، والتَّيسيرُ وعدمُ التَّشدّد والتَّنطّع(١)

....

(١) من وصايا أهل الحكمة: اعْمل وأنت راغبٌ مُقبل، ودعه وأنت تحبّه، واعمل عملًا صالحًا دائمًا وإنْ قلّ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السلف يذكرون هذين الأصلين كثيرا -وهما الاقتصاد في الأعمال والاعتصام بالسنة- فإن الشيطان يشمُّ قلب العبد ويختبره: فإذا رأى فيه داعية للبدعة وإعراضا عن كمال الانقياد للسنة: أخرجه عن الاعتصام به. وإن رأى فيه حرصا على السنة وشدة طلب لها: أمره بالاجتهاد والجور على النفس، ومجاوزة حد الاقتصاد فيها قائلا له: إن هذا خير وطاعة، فلا تفتر مع أهل الفتور، ولا تنم مع أهل النوم. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٣٤٢.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قول بعض الناس: الثواب على قدر المشقة ليس بمستقيم على الإطلاق، كما قد يستدل به طوائف على أنواع من الرهبانيات، والعبادات المبتدعة، التي لم يشرعها اللّه ورسوله من جنس تحريمات المشركين وغيرهم ما أحل اللّه من الطيبات، ومثل التعمق والتنطع الذي ذمه النبي ﷺ، حيث قال: (هلك المتنطعون).

وأما الأجر على قدر الطاعة فقد تكون الطاعة للّه ورسوله في عمل ميسر، كما يسر اللّه على أهل الإسلام: الكلمتين، وهما أفضل الأعمال؛ ولذلك قال النبي ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان اللّه وبحمده، سبحان اللّه العظيم) أخرجاه في الصحيحين.

ولو قيل: الأجر على قدر منفعة العمل، وفائدته؛ لكان صحيحًا..

فأما كونه مشقًّا، فليس هو سببًا لفضل العمل ورجحانه، ولكن قد يكون العمل الفاضل مشقًا، ففضله لمعنى غير مشقته، والصبر عليه مع المشقة يزيد ثوابه وأجره، فيزداد الثواب بالمشقة، كما أن من كان بعده عن البيت في الحج والعمرة أكثر، يكون أجره أعظم من القريب كما قال النبي ﷺ لعائشة في العمرة: (أجرك على قدر نصبك) لأن الأجر على قدر العمل في بعد المسافة، وبالبعد يكثر النصب فيكثر الأجر، وكذلك الجهاد...

ولهذا تجد هؤلاء مع من شابههم من الرهبان يعالجون الأعمال الشاقة الشديدة المتعبة من=

* عن طارق بن شهاب قال: أتيت **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣)، فقلت: لأنظرن كيف صلاته، فكان ينام من الليل ثلثه، وقال: حافظوا على هذه الصلوات المكتوبات فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تصب المقتلة[١]، فإذا صلى الناس العشاء كانوا على ثلاثة منازل: منهم من له ولا عليه، ومنهم من عليه ولا له، ومنهم من لا له ولا عليه.

فقلت: من عليه ولا له؟.

فقال: رجل صلى العشاء فاغتنم غفلة الناس وظلمة الليل فركب رأسه في المعاصي، ورجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل، فركب رأسه فقام يصلي، فذلك له ولا عليه، ورجل نام فذلك لا له ولا عليه.

وإياك والحقحقة[٢]، وعليك بالقصد ودوام. [٣] الزهد لأبي داود (٢٣١).

=أنواع العبادات والزهادات، مع أنه لا فائدة فيها ولا ثمرة لها، ولا منفعة إلا أن يكون شيئًا يسيرًا لا يقاوم العذاب الأليم الذي يجدونه.

ونظير هذا الأصل الفاسد، مدح بعض الجهال بأن يقول: فلان ما نكح ولا ذبح. وهذا مدح الرهبان الذين لا ينكحون ولا يذبحون، وأما الحنفاء فقد قال النبي ﷺ: (لكني أصوم وأفطر وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني). مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٠٧.

(١) يعني الكبائر.

(٢) هو المتعب من السير، وقيل هو أن تُحمل الدابة على ما لا تطيقه.

وهو إشارة إلى الرفق في العبادة. [النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤١٢).

(٣) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في تلبيس إبليس: وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثروا من صلاة الليل، وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض، ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة، أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة، أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته، ولقد رأيت شيخًا من المتعبدين يقال له حسين القزويني، يمشي كثيرا من النهار في جامع المنصور، فسألت عن سبب مشيه فقيل لي: لئلا ينام، فقلت: هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل؛ أما الشرع فإن النبي ﷺ قال: «**إن لنفسك عليك حقا، فقم ونم**».... وأما العقل فإن النوم يجدد القوى التي قد كلَّت بالسهر، فمتى دفعه الإنسان وقت=

* وآخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذِّلة(١)، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا(٢)، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كل؟ قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال: سلمان قم الآن، فصلَّيَا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كلّ ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**». صحيح البخاري (١٩٦٨).

* وقال **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه (ت: ٣٢): الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة. الزهد لأحمد: ٢٩٣، مسند الدارمي (٢٢٣).

* وقال رضي الله عنه: والذي لا إله إلا هو ما رأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ، وما رأيت أحدا كان أشد عليهم [بعده] من أبي بكر رضي الله عنه. مسند الدارمي (١٤٠)، مسند ابن أبي شيبة (٤٢٨) وما بين المعقوفتين منه.

* وكَانَ رضي الله عنه يُذَكِّرُ الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكَّرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أنْ أُمِلَّكم، وإني

=الحاجة إليه أضرّ في بدنه وعقله، فنعوذ بالله من الجهل.

فإن قال قائل: فقد رويتَ لنا أنّ جماعة من السلف كانوا يحيون الليل؟

فالجواب: أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك، وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر في الجماعة، وكانوا يستعينون بالقائلة، مع قلة المطعم، وصح لهم ذلك، ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها، فسنته هي المتبوعة. تلبيس إبليس: ١٥٩.

(١) أي: لابسة ثياب البذلة وهي المهنة، أي: تاركة لباس الزينة.

(٢) أي: ومنها زينة المرأة لزوجها، وهو لا يأبه لذلك.

أتخوَّلكم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتخوَّلنا بها[١]، مخافة السآمة علينا.[٢] صحيح البخاري (١٩٦٨)، صحيح مسلم (٢٨٢١).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا تغالبوا هذا الليل فإنكم لا تطيقونه، فإذا نعس أحدكم فلينصرف إلى فراشه فإنه أسلم له. الزهد لأبي داود (١٤٤).

* وعن **عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) قال: جمعتُ القرآن، فقرأتُه كلَّه في ليلة، فقال رسول الله ﷺ **«اقرأْهُ في شهر»** قلتُ: يا رسول الله، دعني أستمتع من قُوَّتي وشبابي، قال:**«اقرأه في عشرين»** قلتُ: دعني أستمتع، قال: **«اقرأه في سبع ليال»** قلت: دعني يا رسول الله أستمتع، قال: فأبى. رواه الإمام أحمد (٦٥١٦) وصححه محققوه.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨): صحَّ أنَّ رسول الله ﷺ نازله إلى ثلاث ليالٍ، ونهاهُ أن يقرأَهُ في أقلَّ من ثلاثٍ وهذا كان في الذي نَزَلَ من القرآن، ثم بعدَ هذا القول نزل ما بقي من القرآن. فأقلُّ مراتب النهي أن تُكرَهَ تلاوةُ القرآن كُلِّه في أقلَّ من ثلاث، فما فقه ولا تَدبَّر من تلى في أقلَّ من ذلك، ولو تلا ورتَّلَ في أسبوع، ولازم ذلك، لكان عملًا فاضلًا، فالدين يُسْر، فوالله إن ترتيلَ سُبع القرآن في تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة، والضحى، وتحية المسجد، مع الأذكارِ المأثورة الثابتة والقول عند النوم واليقظة، ودُبُرَ المكتوبة والسحر، مع النَّظَرِ في العلم النافع والاشتغالِ به مخلصًا لله، مع الأمر بالمعروف، وإرشادِ الجاهلِ وتفهيمِه، وزجرِ الفاسق، ونحوِ ذلك، مع أداء الفرائض في جماعةٍ بخشوع وطمأنينة وانكسارٍ وإيمان، مع أداء الواجب، واجتنابِ الكبائر، وكثرةِ الدعاءِ والاستغفار، والصدقة وصلةِ الرحم والتواضع والإخلاصِ في جميع ذلك،

(١) يَعنِي: فَيُذكِّرهم أيَّامًا ويتركهم أيَّامًا.
(٢) أي: مخافةَ أنْ تقع منَّا السَّآمة.

لَشُغْلٌ عظيمٌ جسيم، ولَمَقامُ أصحابِ اليمين وأولياءِ الله المتقين، فإنَّ سائر ذلك مطلوب، فمتى تَشَاغَلَ العابدُ بختمةٍ في كُلِّ يوم، فقد خالف الحنيفيَّة السمحةَ، ولم ينهضْ بأكثر ما ذكرناه ولا تدَبَّر ما يتلوه.

هذا السيدُ العابدُ الصاحبُ كان يقول لما شاخَ: ليتني قبلتُ رُخصةَ رسول الله ﷺ، وكذلك قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصوم، وما زالَ يناقصُه حتى قال له: «صُمْ يومًا وأفْطِرْ يَوْمًا، صَوْمَ أخي داود عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وكلُّ من لم يَزُمَّ نَفْسَه في تعبُّده وأوراده بالسُّنَّة النبوية، يندمُ ويترَهّبُ ويسوءُ مزاجُهُ، ويفوتُه خيرٌ كثيرٌ من متابعة سُنَّة نبيِّه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، الحريص على نفعهم، وما زال ﷺ مُعلِّمًا للأمة أفضل الأعمال، وآمرًا بهجر التَّبتُّل والرهبانية التي لم يُبْعث بها، فنهى عن سرد الصوم، ونهى عن الوصال، وعن قيام أكثر الليل إلا في العشر الأخير، ونهى عن العُزبة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم إلى غير ذلك من الأوامر والنَّواهي. فالعابدُ بلا معرفةٍ لكثير من ذلك معذور مأجور والعابدُ العالم بالآثار المحمدية، المتجاوز لها مفضولٌ مغرورٌ، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى أدومُها وإن قلَّ. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٣٩.

* وجاء رجل إلى **أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) فقال: إنه أتاني آتٍ فقال: اعمل مثل عمل أبي أمامة، فقال أبو أمامة: وما عسى أن يبلغ عمل أبي أمامة، أصلي الخمس، وأصوم رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر، وإذا صوتت الطير صوت معها، يعني من السحر. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٨.

* وعن عمير بن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ -وكان أدرك أكثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- قال: ما رأيت قوما أيسر سيرة، ولا أقلّ تشديدا من **أصحاب رسول الله** ﷺ. مسند الدارمي (١٢٨).

* وعن يحيى بن أَكْثَم قال: صَحِبْتُ **وكيعًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٧) في الحَضَرِ والسَّفَرِ، وكان يَصومُ الدَّهْرَ، ويَخْتِمُ القرآن كُلَّ ليلة.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٧٤٨): هذه عبادةٌ يخضعُ لها، ولكنَّها من مثلِ إمامٍ من الأئمةِ الأثَرية مفضُولةٌ، قد صحَّ نهيُه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن صَومِ الدَّهر، وصحَّ أنَّه نهى أن يُقرأ القرآنُ في أقلَّ من ثلاث، والدِّين يُسرٌ، ومتابعةُ السُّنَّة أولى، فرضي الله عن وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأين مثلُ وكيع؟! ومعَ هذا فكان مُلازِمًا لشُربِ نبيذِ الكوفة الذي يُسكِرُ الإكثارُ منه فكان مُتأولًا في شُربه، ولو تركه تورُّعًا، لكان أولى به، فإنَّ مَنْ تَوقَّى الشُّبهات، فقد استبرأ لدينِهِ وعِرْضِه، وقد صحَّ النهيُ والتحريمُ للنَّبيذِ المذكور. وليس هذا موضعَ هذه الأمور، وكل أحدٍ يُؤْخَذُ من قوله ويُترك، فلا قُدوةَ في خطأ العالِم، نَعَم، ولا يُوَبَّخُ بما فعله باجتهاد، نسأل الله له المُسَامحة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٠٩.

* وعن أبي عبيدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما رأيت أحدًا أشدّ تلطّفًا للعبادة من **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٩٠). الزهد لابن المبارك (١٠٤٩).

* **وقال بعض الحكماء**: إن لهذه القلوب تنافرًا كتنافر الوحش، فتألّفوها بالاقتصاد في التعليم، والتوسط في التقديم؛ لتحسن طاعتها، ويدوم نشاطها.

* **وقال بعض الحكماء**: إياك ومفارقة الاعتدال؛ فإن المسرف مثل المقصر في الخروج عن الحدّ.

* **وقالت الحكماء**: طالب العلم وعامل البرِّ كآكل الطعام، إن أخذ منه قوتا عصمه، وإن أسرف فيه أبْشَمه.[1].

وربما كان فيه منيته، كآخذ الأدوية التي القصد فيها شفاء، ومجاوزة القصد فيها السمّ المميت. أدب الدين (١٠٦، ١١٤).

---

(١) أي: أتْخمه، وقد يُمرضه أو يقتله شدّة الانتفاخ.

* وعن **مخلد بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩١) قال: ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين: ما يبالي بأيهما ظفر: إما غلوًا فيه، وإما تقصيرًا عنه. [1] تهذيب الحِلْية ٣/ ٦٣.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١١٠) أنه قال: وضع دين الله دون الغلو وفوق التقصير. الزهد لأحمد: ٤٧٧.

(١) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أمر الله بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريطٍ وإضاعة، وإما إلى إفراطٍ وغلو، ودين الله وسطٌ بين الجافي عنه والغالي فيه. [مدارج السالكين: ٢/ ٤٦٤].

القرآن الكريم

أ- حال السلف مع القرآن وتعليمه، وأثره عليهم[1]:

---

(١) كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يهتمون اهتمامًا كبيرًا بفهم وتدبر القرآن، وكم هو من المحزن أن تجد من ملأ أوقاته بالقراءة والمطالعة وحضور الدروس وغيرها، ولا يكون لكتاب الله نصيب من وقته، وحظٌّ من قراءته.
قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أشدها من حسرة، وأعظمها من غبنة، على مَن أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبَه أسرارُه ومعانيه». بدائع الفوائد: ١/ ١٩٤
وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ملأ الدنيا علمًا ونصحًا وجهادًا، وشغل وقته كلّه بتدبر القرآن والسنة، والنظر في العلوم الشرعية ليستفيد منها، والعلوم البدعية ليردّ على أصحابها ومُحبيها، لمَّا حبس فِي آخر عمره طلب منه أحد طلابه أَنْ يكْتبَ على جَمِيع الْقُرْآن تَفْسِيرًا مُرَتَّبًا على السُّور، فَكتب له تفسير وشرح بعض الْآيَات التي أشكل تَفْسِيرهَا على جمَاعَة من الْعلمَاء، بعد أَنْ أطال في تدبرها وتأملها والنظر فيها، ثم قال: «قد فتح الله عَليّ فِي هَذِه الْمرة من مَعَاني الْقُرْآن، وَمن أُصُول الْعلم بأَشْيَاء كَانَ كثير من الْعلمَاء يتمنونها، وندمت على تَضْيِيع أَكثر أوقاتي فِي غير مَعَاني الْقُرْآن»!. العقود الدرية: ٤٣- ٤٤
فكيف بمن ضيّع أوقاته باللهو والسهر واللعب؟ بل كيف بمن ضيع أوقاته بغيبة العلماء والدعاة والمصلحين، وانشغل بعيوبهم عن عيوبه؟
وإنّ القرآن لم يُنزل لأجل التلاوة المجردة، بل أنزل لحكم عظيمة، ومقاصد نبيلة، وكثير من الناس يتطلب ختم القرآن دون فهمه وتدبره والعمل به، وليس هذا من فعل السلف الصالح، الذين كان همُّهم فهمَ كلام ربهم، والعمل به.
وقد قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].
قال القرطبي: «دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤] عَلَى وُجُوبِ التَّدَبُّرِ فِي الْقُرْآنِ لِيُعْرَفَ مَعْنَاهُ». تفسير القرطبي (٦/ ٤٧٧) =

* كان **عمرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) إذا جلس عنده أبو موسى، ربما قال له: ذكِّرنا يا أبا موسى، فيقرأ. مصنف عبدالرزاق (٤١٨٠).

* وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ **عمرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ،

= فقد أوجب القرطبي تدبر القرآن لظاهر الأمر، وكذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية والشوكاني ومحمد رشيد رضا وغيرهم من أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ. يُنظر: فتح القدير: ١/ ٥٦٧، تفسير المنار ٥/ ٢٥٤

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «**آيَاتُهُ سُبْحَانَهُ تُوجِبُ شَيْئَيْنِ:**
أَحَدُهُمَا: فَهْمَهَا وَتَدَبُّرَهَا لِيُعْلَمَ مَا تَضَمَّنَتْهُ.
وَالثَّانِي: عِبَادَتَهُ وَالْخُضُوعَ لَهُ إذَا سُمِعَتْ.
فَتِلَاوَتُهُ إيَّاهَا وَسَمَاعُهَا يُوجِبُ هَذَا وَهَذَا، فَلَو سَمِعَهَا السَّامِعُ وَلَمْ يَفْهَمْهَا كَانَ مَذْمُومًا، وَلَو فَهِمَهَا وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهَا كَانَ مَذْمُومًا، بَل لَا بُدَّ لِكُلِّ أَحَدٍ عِنْدَ سَمَاعِهَا مِن فَهْمِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا».
مجموع الفتاوى: (٢٣/ ١٤٧).

وإنّ مَن عَلِم حاجته للقرآن، وفهم كلام الواحد المنان، وعَظُم قدر ربه في قلبه: فلا بد أن يسعى إلى فهم كلامه، ولو تطلب ذلك قراءة تفسير أو أكثر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِن الْمَعْلُوم أَنَّ كُلَّ كَلَام فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ فَهْمُ مَعَانِيهِ دُونَ مُجَرَّدِ أَلْفَاظِهِ، فَالْقُرْآنُ أَوْلَى بِذَلِكَ، وَأَيْضًا: فَالْعَادَةُ تَمْنَعُ أَنْ يَقْرَأَ قَوْمٌ كِتَابًا فِي فَنٍّ مِن الْعِلْمِ؛ كَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ وَلَا يستشرحوه، فَكَيْفَ بِكَلَامِ اللهِ الَّذِي هُوَ عِصْمَتُهُمْ، وَبِهِ نَجَاتُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ، وَقِيَامُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؟». مجموع الفتاوى: ١٣/ ٣٣٢.

«وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ».[١] صحيح البخاري (٤٦٤٢).

* ولَقِيَ **عُمَرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**». صحيح مسلم (٨١٧).

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس فرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلُطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

وينبغي لحامل القرآن: أن يكون باكيًا محزونًا حليمًا حكيمًا سِكّيتًا، ولا ينبغي لحامل القرآن: أن يكون جافيًا، ولا غافلًا، ولا سخّابًا، ولا صيّاحًا، ولا حديدًا. مصنف ابن أبي شيبة: (٣٥٥٨٤).

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن هذا القرآن مأدُبة الله**[٢]**، فمن دخل فيه فهو آمن**». الزهد لابن المبارك (٧٣٦).

---

(١) أي: إذا سمع آياته التزم أحكامه ووقف عندها ولم يتجاوزها.

وقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا سمعوا نصّ كلام الله تعالى أو كلامِ رسول الله ﷺ وقفوا مع النصّ، وقبلوه وعمِلوا به، ولم يُقدِّموا على نصوص الكتاب والسنة عقلًا ولا قياسًا، ولا ذوقًا، ولا سياسةً ولا تقليدَ مقلِّد.

(٢) المأدُبة: هي الطعام الذي يصنعه الرجل يدعو إليه الناس.

فشبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع. النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٣٠).

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره. الزهد لأحمد: ٢٩٨.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن؛ فإن فيه علم الأولين والآخرين.[١] الزهد لابن المبارك (٧٦٣).

* وقال له رجلٌ: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ له: «هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ؟[٢] إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ». صحيح مسلم (٨٢٢).

* وسُئل علي بن أبي طالب عن **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: قرأ القرآن ثم وقف عنده، وكفى به. تهذيب الحِلْية ١١٨/ ١.

* وَعَنِ **ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣) قَالَ: «لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا، وَإِنَّ أَحَدَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيهَا كَمَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمُ الْقُرْآنَ»، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ[٣]». مستدرك الحاكم:

---

(١) «أي: ليُنَقِّر عنه ويُفكّر في مَعانِيه وتَفْسيره وقراءتِه». النهاية لابن الأثير ١/ ٢٢٩.
وأصله مِنْ ثَارَ الشَّيْءُ يَثُور إِذَا انْتَشر وارْتَفع.

(٢) أراد: أتَهُذُّ القُرْآن هذًّا فتُسْرع فيه كما تُسْرع في قراءةِ الشِّعْر؟
وإنما أنكر عليه ذلك لأنه -والله أعلم- علم من حاله أنه يُسرع سرعةً تُخلُّ بترتيل القرآن وتجويده، وفهمه وتدبّره.
وأما من قرأ بالْحَدر -وهُوَ سُرْعةُ الْقراءةِ وتخْفيفِها معَ إقامةِ الْإعْرابِ ومُراعاةِ تَقْويم اللَّفظِ، وتَمكُّن الْحرُوفِ وَهُوَ ضِدُّ التَّحْقِيق- مع فهمٍ لِمَا يقرأ: فلا بأس به، فقد كان كثير من السلف الصالح يفعلون ذلك لاسيما في رمضان.

(٣) الدَّقَل: هو رديء التمر ويابسه، فتراه ليُبسه لا يجتمع ويكون منثورا.

(١٠١)[١].

* وعن **ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٦٨) قال: لأنَ أقرأ البقرة في ليلة وأتفكّر فيها أحبُّ إلي من أن أقرأ القرآن هذْرمةً[٢]. صفة الصفوة ١/ ٣٧٢.

* وقال له رجل: إني رجل في قراءتي وكلامي عجلة، فقال: لأنْ أقرأ البقرة أرتّلها أحبّ إليّ مِن أنْ أقرأ القرآن كلّه. الزهد لابن المبارك (٩٤٣).

* وسمع الناس بالمدائن أن **سلمان الفارسي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٣) في المسجد، فأتوه فجعلوا يثوبون إليه، حتى اجتمع إليه نحو من ألف، قال: فقام فجعل يقول: اجلسوا اجلسوا، فلما جلسوا فتح سورة يوسف يقرؤها، فجعلوا يتصدعون ويذهبون حتى بقي في نحو من مائة، فغضب وقال: الزخرف من القول أردتم؟ ثم قرأت عليكم كتاب الله فذهبتم! تهذيب الحِلْية ١٦٣/ ١.

* وقال **أبو هريرة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٩): إن البيت ليتسع على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره؛ إن يقرأ فيه القرآن.

وإن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين، ويقل خيره؛ إن لا يقرأ فيه القرآن. مسند الدارمي (٣٣٥٢).

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٩٣) أنه جمع أهله عند الختم. الزهد لابن المبارك (٧٥٨).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «فَهُم كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْإِيمَانَ ثُمَّ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ.. وَلِهَذَا كَانَ الْإِيمَانُ بِدُونِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ وَيَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَالْقُرْآنُ بِلَا إيمَانٍ لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ، بَل صَاحِبُهُ مُنَافِقٌ». ا.ه مجموع الفتاوى: (١٥/ ٧١).
وقال رَحِمَهُٱللَّهُ: «وَالدِّينُ الْقَائِمُ بِالْقَلْبِ مِن الْإِيمَانِ عِلْمًا وَحَالًا هُوَ الْأَصْلُ، وَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ هِيَ الْفُرُوعُ، وَهِيَ كَمَالُ الْإِيمَانِ... وقال: وإِنَّ الشَّخْصَيْنِ قَدْ يَتَمَاثَلَانِ فِي الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، بَلْ يَتَفَاضَلَانِ، وَيَكُونُ الْمَفْضُولُ فِيهَا أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِن الْآخَرِ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ فِي الْإِيمَانِ الَّذِي فِي الْقَلْبِ». ا.هـ مجموع الفتاوى: (١٠/ ٣٥٥)، (٧/ ٣٤١).
(٢) الهَذْرَمَةُ: هو السرعة في القراءة والكلامِ والمشْي. لسان العرب، مادة: هذرم.

* وردّد **تميمُ الداري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت:٤٠) هذه الآية حتى أصبح: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية:٢١].

وفي رواية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١٢٨]. الزهد لوكيع (١٥٠-١٥١).

* وقدم **صعصعة بن ناجية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩) جده الفرزدق على النبي ﷺ، فسمعه يقرأ هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، فقال: حسبي حسبي، لا أبالي أن أسمع غيرها. الزهد لابن المبارك (٧٣).

* وعن سَعْد بْن عُبَيْدَةَ عَنْ **أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤)، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

قَالَ سَعْد بْن عُبَيْدَةَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا.(١) صحيح البخاري (٥٠٢٧).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ أَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَ بِهِ عُثْمَانُ فِي أَفْضَلِيَّةِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ حَمَلَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ قَعَدَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْقُرْآنَ لِتَحْصِيلِ تِلْكَ الْفَضِيلَةِ.

وبَيْنَ أَوَّلِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ وَآخِرِ وِلَايَةِ الْحَجَّاجِ: اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ سَنَةً إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَبَيْنَ آخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ وَأَوَّلِ وِلَايَةِ الْحَجَّاجِ الْعِرَاقَ ثَمَانٍ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَعْيِينِ ابْتِدَاءِ إِقْرَاءِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَآخِرِهِ فَاللهُ أَعْلَمُ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ. ا.هـ [فتح الباري لابن حجر ٩/ ٦٧-٧٧.

قلت: وقد مكث أبو عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ يُقرئ القرآن ويُعلّمه على أقلّ تقدير: ثَمانًا وَثَلاثينَ سَنَةً!

فهنيئًا لمعلّمي القرآن هذه التزكية من النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

وإذا أُصيب معلمُ القرآن بالفتورِ والملل: فلْيتذكّر أسلافه الذي أفنوا أعمارهم في تعليم الناس كتاب الله تعالى.

* وعن **أبي عبدِ الرحمن السُّلمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أخذنا القرآن عن قومٍ أخبرونا أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا عَشرَ آياتٍ لم يجاوزوهُنَّ إلى العَشر الأُخَرِ حتى يعلمُوا ما فيهنّ، فكُنَّا نتعلّم القرآن والعَملَ به، وسيرِثُ القرآنَ بعدنا قوم يشربونَهُ شرب الماء لا يجاوزُ تراقِيَهُم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٩٥.

* وأقرأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ القرآن في المسجد أربعين سنة. تهذيب الحِلْية ٨٢/ ٢.

* وقال بعض السلف: «من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن».[١].

* وعن **شقيق بن سلمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) قال: مثل قُرّاء هذا الزمان كغنمٍ ذات صوف، عجاف[٢]، أكلت من الحمض، وشربت من الماء، حتى انتفخت خواصرها، فمرت برجل فأعجبته، فقام إليها فعبط[٣] شاة منها، فإذا هي لا تُنْقي[٤]، ثم عبط أخرى فهي كذلك.[٥] الزهد لابن المبارك (١٩٤).

* وقال **عمر بن ذر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣): من سره أن ينظر إلى يوم القيامة في الدنيا فليقرأ: (إذا الشمس كورت). ابن أبي الدنيا ٦/ ١٣٧.

* وردّد **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) هذه الآية -وهو يؤم الناس في شهر رمضان-: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر:٧٠-٧١]، قرأ الآية. الزهد لوكيع (١٥٦).

(١) فاعرض نفسك على كتاب الله:
فإذا كنت تحب تلاوته، وتتأثر بمواعظه، وتفعل ما يأمرك به، وتترك ما نهاك عنه: فقدرك عنده عظيم، ومنزلتك عنده رفيعة.
وإن لم تكن كذلك فراجع نفسك وحاسبها قبل أن تُحاسب..

(٢) أي: هزيلة.

(٣) أي: ذبح.

(٤) أي: ليس فيها لحم وشحم.

(٥) فقد كان القرّاء في عهد الصحابة والتابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ صادقين مخلصين، إذا دُعوا إلى العمل الصالح والخير والبرّ سابقوا وبادروا، وأما من جاء بعدهم فقد حسّن وجمّل كثير منهم ظواهرهم، وقلت عنايتهم ببواطنهم، فضعفت هممهم وعزائمهم.

* وقال **نافع بن أبي نعيم المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٩): إنّ هذا القرآن عظيم، جاء من عند عظيم، فإذا قرأتَ فلا تنشغلنّ بغيره، وانظر من تُخاطب. معرفة القراء (١/ ٢٤٤).

* وكان **أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢) يقوم الليل، فإذا أصبحَ جَلس يقرئ الناس، فيقعُ عليه النوم، فيقول لهم: خذوا الحصا فضعوه بين أصابعي، ثم ضمُّوها، فكانوا يفعلون ذلك. معرفة القراء (١/ ١٧٥).

* وقال له رجل: هنيئًا لك ما أتاك من القرآن، فقال: ذاك إذا أحللتُ حلاله، وحرمتُ حرامه، وعمِلت بما فيه. معرفة القراء (١/ ١٧٥).

* وكان **ابن كثير المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٢) إذا أراد أن يُقرئ أصحابه جمعهم ووعظهم، ويقول: إنما أفعل هذا حتى تتقدموا إلى تلاوة القرآن بقلوب خاشعة، ونفوس خاضعة، وعيون دامعة. معرفة القراء (١/ ٢٠١).

* ورُوي من غير وجهٍ عن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) أنه مكث أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا سمعتُ مثل هذا عن الرجل يَعظم في عيني وأغبطه، ولكن متابعة السُّنة أرفع.

فقد نهى النبي ﷺ أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث، وقال: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[1].

صدق نبينا ﷺ، فلعل هؤلاء ما بلغهم النهي عن ذلك. معرفة القراء (١/ ٢٨٦).

* وجاء رجل إلى **سليم بن عيسى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٨) فقال: يا أبا عيسى، جِئتُك لأقرأ عليك بالتَّحقيق، فقال يا ابن أخي، شهدتُ **حمزة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٦)

(١) أخرجه أبو داود (١٣٩٤)، والترمذي (٢٩٤٩)، وأحمد (٦٥٣٥).

وأتاه رجل في مثل هذا فبَكى، وقال: يا ابن أخي إنما التحقيق صون القرآن، فإن صِنتَه فقد حقَّقتَه، هذا هو التحقيق. معرفة القراء (١/ ٣٠٧).

* ولما احتُضر **عبدالله بن إدريس المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٢) بَكَت بنتُه، فقال لها: لا تبكي، فقد ختمتُ القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة. معرفة القراء (١/ ٣١١).

* وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): عزيز عليّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورُهم القرآنَ.[1] الآداب الشرعية ٢/ ١٨.

* وقال **القاضي عبدالله بن طالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٥): إنما العزُّ لمن كان معه القرآن والعلم، هذا العزيز، وأمَّا من كان معه عزُّ السلطان فليس بعزيزٍ. ترتيب المدارك (٢/ ٣١٦).

* وكان **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقوم من الليل للتهجد، فربما ردد هذه الآية ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام:٢٧] ويبكي، حتى يذهب ليلٌ طويل، وكان إذا قام للتهجد قام مسرورًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٥٧.

* وقال **الفضل الرقاشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): ما تلذذ العابدون ولا استطارت قلوبهم بشيء كحسن الصوت بالقرآن، وكل قلب لا يجيب على حسن الصوت بالقرآن فهو قلب ميت.

وقال الفضل: وأيُّ عينٍ لا تَهْمُل[2] على حسن الصوت إلا عينُ غافلٍ أو لاهٍ. ابن أبي الدنيا ٣/ ١٨٥.

---

(١) أهل القرآن لا يشعرون بالفقر ولا يتعلّقون بالدنيا، ففي صدورهم أغلى وأنفس ما فيها.
ولا تتراكم عليهم الأحزان والهموم والوساوس، ففي صدورهم الشفاءُ منها.
فمن أكل الهم والحزن قلبه لأجل الدنيا فالقرآن لم يدخل قلبه بعدُ.

(٢) أي: **فاضت دموعًا وسالت.**

* وعن مقاتل بن حيان قال: صليت خلف **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) فقرأ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات:٢٤] فجعل يكررها، لا يستطيع أن يجاوزها. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٥٥.

* وقرأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ [التكاثر:١] فبكى ثم قال ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ [التكاثر:٢] ما أرى المقابر إلا زيارة، ولا بد لمن يزورها أن يرجع إلى الجنة أو إلى النار. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٥٥.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: قَرَّاءُ القرآن ثلاثة: فرجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر، يطلب به ما عند الناس.

وقوم قرؤوا القرآن فحفظوا حروفه، وضيعوا حدوده، استدرجوا به الولاة، واستطالوا به على أهل بلادهم، فتجد أكثر[1] هذا الضرب في حملة القرآن لا أكثرهم الله.

ورجل قرأ القرآن فبكى بما يعلم من دواء القرآن، فوضعه على داء قلبه، فسهر لله وهملت عيناه، تسربلوا الحزن، وارْتَدَوا بالخشوع، وكدُّوا في محاريبهم، فبهم يسقي الله الغيث، وينزل النصر، ويرفع البلاء، والله لهذا الضرب في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٩٠.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن ههنا قوما إذا استمعوا القرآن بكوا حتى تعلو أصواتهم، فقال الحسن: لم يزل الناس على ذلك يبكون عند الذكر وقراءة القرآن. ابن أبي الدنيا ٣/ ١٩٠.

* وعن عبد الله بن إسماعيل قال: حدثني رجل من قيس يكنى أبا عبد الله، قال: بينا أنا ذات ليلة عند **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقام من الليل يصلي، فلم يزل يردد هذه

---

(١) في الأصل: كثر، ولعل المثبت هو الصواب.

الآية حتى أسحر: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم:٣٤]، فلما أصبح قلنا: يا أبا سعيد لم تكن تجاوز هذه الآية سائر الليلة قال: إن فيها معتبراً، ما أن نرفع طرفًا ولا نرد إلا وقع علينا نعمة، وما لا نعلم من نعم الله أكثر. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٥٧.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة، فيقول: يا رب، جعلتني في جوفه فأسهرتُ ليله، ومنعتُ جسده من شهوته، ولكل عامل من عمله عُمَالة[1]، فيُوقف له عَزَّوَجَلَّ: فيقول: ابسط يدك، فتُملأ من رضوان الله، فلا يسخط عليه بعدها أبدا.

ويقال له: اقرأ وارقه، فيُرفع بكلّ آية درجة، ويُزاد بكلّ آية درجة. الزهد لابن المبارك (٧٥٥).

* وعن **عامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٩) قال: ما أبالي ما فاتني من الدنيا بعد آيات في كتاب الله قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ [هود:٦].

وقوله: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [فاطر:٢]. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧٩.

* وقَالَ **إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢١): مَثَلُ الَّذِينَ يَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَهُ كَمَثَلِ قَوْمٍ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِهِمْ لَيْلًا وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِصْبَاحٌ، فَتَدَاخَلَتْهُمْ رَوْعَةٌ وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَعْرِفُ التَّفْسِيرَ كَمَثَلِ رَجُلٍ جَاءَهُمْ بِمِصْبَاحٍ فَقَرَؤوا ما في الكتاب. تفسير القرطبي ١/ ٤٧.

* وعن **أبي الزناد عَبْدِ اللهِ بْنِ ذَكْوَانَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قال: كنت أخرج من السحر إلى مسجد رسول الله ﷺ فلا أمر ببيت إلا وفيه قارئ.

(١) العُمالة: مُكافأة العامِل وأجرُه.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا ونحن فتيان نريد أن نخرج لحاجة فنقول: موعدكم قيام القراء. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٠.

* وقيل **لرجل** بطرسوس: ما هنا أحد تستأنس إليه؟ قال: نعم، قيل: فمن؟ فمد يده إلى المصحف ووضعه في حجره، وقال: هذا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٩.

* وقال **فضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): من لم يستأنس بالقرآن؛ فلا آنس الله وحشته. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥١٠.

* وقال بعض السلف: ربما كان المطر وقُرَّاء القرآن من الليل فلا يدرون أي الصوتين أرفع: المطر أو قراءة القرآن. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٠.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: من قرأ القرآن لم يخرف. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٧١.

* وعن **عبد الملك بن عمير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٣) قال: أبقى الناسِ عقولا: قَرَأةُ القرآن. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٧١.

* وقال **محمد بن كعب القرضي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة:١] و﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١﴾ [القارعة:١] لا أزيد عليهما، وأفكر فيهما وأتردّد أحبُّ إلي من أن أهذّ القرآن هذًّا. أو قال: أنثره نثرًا. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٤.

* وعن عمر بن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنت أمسك على **أبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) المصحف، فمرت مولاة له فكلمها فضحك إليها؛ ثم أقبل يقول: إنا لله إنا لله! حتى ظننت أنه قد حدث شيء، فقلت: ما لك؟ فقال: أما كان لي في القرآن شغل حتى مرت هذه فكلمتها. تهذيب الحِلْية ٤٩٣/ ١.

* وكان **خيثمة بن عبد الرحمن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) يختم القرآن في ثلاث. تهذيب الحِلْية ٦٣/ ٢.

* وكان **ابن محيريز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) يختم القرآن في كل سبع. تهذيب الحِلْية ٢/١٦٩.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه. تهذيب الحِلْية ٢/١٨٠.

* وقال **أبو العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣): كنا نعدّ من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجلُ القرآن، ثم ينام عنه حتى ينساه. صفة الصفوة ٣/١٤٨.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) أنه كان يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة. فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة. تهذيب الحِلْية ١/٤١٠.

* وكان يقال: شر الأمراء أبعدهم من القرَّاء، وشر القرّاء أقربهم من الأمراء. عيون الأخبار ١/٥٦.

* وقال **بعضُ المفسرين** في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦] أحْرِمهُم فَهْم القرآن. عيون الأخبار ٢/٥٣٣.

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين. الزهد لأحمد: ٦١٤.

* وعن القاسم بن أبي أيوب قال: سمعت **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١]. الزهد لأحمد: ٦١٤.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إن الصّدّيقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة. صفة الصفوة ٣/٢٠٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن

ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض، فإن الله ينزل الغيث من السماء إلى الأرض، فيصيب الحش فتكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن، فيا حملة القرآن ماذا زرع في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟. تهذيب الحِلْية ١/٤١٨.

* وقيل لأخت **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف، التلاوة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٦.

* وقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): القرآن بستان العارفين، فأينما حلوا منه حلوا في نزهة. تهذيب الحِلْية ١/٤١٢.

* وقال **نصر بن يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ -وكان من الحكماء-: يهيج من حب الخلوة: الوحشة من الناس، والاستثقال لكلامهم، والأنس بكلام رب العالمين وهو القرآن الذي جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين وحجة ووبالا على المنافقين؛ فاجعله مفزعك الذي إليه تلجأ، وحصنك الذي به تعتصم، وكهفك الذي إليه تأوي، ودليلك الذي به تهتدي، وشعارك ودثارك ومنهجك وسبيلك، وإذا التبست عليك الطرق، واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك؛ فارجع إلى عَجب القرآن الذي لا حيرة فيه، فقف على دلائله من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والتشويق، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية؛ فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحدتك، وتقوى بعد ضعفك، فليكن دليلك دون المخلوقين تفز مع الفائزين، ولا تَهُذَّه كهذ الشعر، وقف عند عجائبه، وما أشكل عليك فرده إلى عالمه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٤٤-٥٤٥.

* وعن **زاذان أبي عمر الكندي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٢) قال: من قرأ القرآن، ليتأكل

به الناس، جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم. تهذيب الحِلْية ٨٥/ ٢.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): كان يقال: يا حملة القرآن لا تتعجلوا منفعة القرآن. تهذيب الحِلْية ٣٧٣/ ٢.

* وقال **عمرو بن مرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٦): أكره أن أمر بمثل في القرآن فلا أعرفه لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣]. تهذيب الحِلْية ١٥٣/ ٢.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): من قرأ القرآن يُسأل عما يُسأل عنه الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ إلا تبليغ الرسالة. تهذيب الحِلْية ٤٣٢/ ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى الخلق حاجة، لا إلى الخلفاء فمن دونهم. تهذيب الحِلْية ١٢/ ٣.

* وعن الصلت بن حكيم قال: قرأ لنا قارئ بمكة: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ [ق:١٩]، ونحن على باب **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجعلنا نسمع نشيجه من العلو. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٣٤.

* وعن **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) قال: نظرنا في هذا الحديث، فلم نجد شيئًا أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلابًا للحق، من قراءة القرآن لمن تدبره. تهذيب الحِلْية ٣١/ ٣.

* وقيل **لعبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤): إنا نقرأ بهذه الألحان، فقال: إنما كره لكم منها، إنا أدركنا القراء وهم يؤتون تسمع قراءتهم، وأنتم تُدْعون اليوم كما يدعى المغنون. تهذيب الحِلْية ٣٩/ ٣.

* وقال **بعض السلف**: كنت أقرأ القرآن ولا أجد له حلاوة، فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعتِه من رسول الله ﷺ، فجاءت حلاوة قليلة، فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعتِه من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين يخبر به النبي ﷺ، قال: فازدادت الحلاوة، ثم قلت لها: اقرئيه كأنك سمعتِه حين تكلم به قال: فازدادت الحلاوة كلها. تهذيب الحِلْية ٦٩/ ٣.

* وعن **يحيى بن أكثم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤٢) أنه قال: كان المأمون قبل تقلده الخلافة يجلس للنظر، فدخل يهودي حسن الوجه، طيب الرائحة، حسن الثوب، فتكلم فأحسن الكلام، فلما تقوَّض المجلس دعاه المأمون فقال له: اسرائيلي؟ قال: نعم، قال: أسلم حتى أفعل لك وأصنع، فقال: ديني ودين آبائي فلا تكشفني، فتركه، فلما كان بعد سنة جاءنا وهو مسلم فتكلم في الفقه، فأحسن الكلام، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال: ألست صاحبنا؟ قال: نعم، قال: أي شيء دعاك إلى الإسلام، وقد كنت عرضته عليك فأبيت؟ قال: إني أحسن الخط، فمضيت فكتبت ثلاث نسخ من التوراة، فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة، فبعتها، فاشتُريت، قال: وكتبت ثلاث نسخ من الإنجيل، فزدت فيها ونقصت فأدخلتها إلى البيعة فاشتُريت مني، قال: وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها إلى الوراقين، فكلما تصفحوها قرؤوا الزيادة والنقصان ورموا بها، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ، فكان سبب إسلامي.

فحججت فرأيت سفيان بن عيينة فحدثته بهذا الحديث فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قلت: في أي موضع؟ قال: في قوله عَزَّوَجَلَّ في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة:٤٤] فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩]، فحفظه الله تعالى علينا فلم يضع. المنتظم ٥١/ ١٠.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان عبد الملك بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ -أبو نصر التمار- (ت: ١٥٠) ممن أجاب في المحنة، وكان **الإمام أحمد** (ت: ٢٤١) ينهى عن الكتابة عنه ولم يخرج للصلاة عليه، كل ذلك ليعظم أمر القرآن عند الناس. المنتظم ١١/١٣٩.

* وقَالَ **أَبُو عَلِيٍّ الجَرَوِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٧): من لم يردعه القرآن والموت فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع. طبقات الحنابلة (١/ ٣٦٢).

* وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **أبو منصور الخياط** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٩٩) إمامًا بمسجدٍ ببغداد، اعتكف فيه مدة طويلة، يعلم العميان[1] القرآن، لوجه الله تعالى، ويسأل لهم، وينفق عليهم، فختم عليه القرآن خلقٌ كثير، حتى بَلَغَ عدد مَن أقرأهم القرآن من العميان[2] سبعين ألفًا..

وقد زعم بعض الناس[3] أن هذا مستحيل، وأنه مِن سَبقِ القلم، وإنما أراد: سبعين نفسًا، وهذا كلام ساقط؛ فإن أبا منصور قد تواتر عنه إقراء الخلق الكثير في السنين الطويلة.

وهذا أمر مشهور عن أبي منصور، ونحن نرى آحاد المقرئين يختم عليه أكثر من سبعين نفسا.

وإنما كان الشيخ أبو منصور يقرئ هو بنفسه وبأصحابه هذه المدد الطويلة، فاجتمع فيها إقراء هذا العدد الكثير.

قال القاضي أبو الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعته يقول: أول يومٍ جلسَ والدك القاضي الإمام للقضاء واجتمع الناس: حضرت صلاة الظهر فتأخرت وقلت: يا سيدنا

---

(١) لعله الصبيان.

(٢) لعله الصبيان.

(٣) يعني الذهبي في كتابه: معرفة القراء (٢/ ٨٨١).

نتجمل بالصلاة وراءَك، فَقَالَ لي: تقدَّم يا أبا منصور جمالك صلاتي وراءك.

فغرس لَهُ فِي قلوب العامة والخاصة نباهة وجلالة.(١).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أبو منصور من كبار الصالحين الزاهدين المتعبدين، كان له وردٌ بين العشاءين، يقرأ فيه سُبعًا من القرآن قائمًا وقاعدًا، حتى طعن في السن.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مات وسنُّه سبع وتسعون سنة، ممتعًا بسمعه وبصره وعقله.

وحضر جنازته ما لا يحد من الناس، حتى إن الأشياخ ببغداد كانوا يقولون: ما رأينا جمعًا قط هكذا، لا جمع ابن القزويني، ولا جمع ابن الفرّاء، ولا جمع الشريف أبي جعفر رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.(٢).

وهذه الجموع التي تناهت إليها الكثرة وشغل الناس ذلك اليوم وفيما بعده عن المعاش، فلم يقدر أحد من نقاد الباعة في ذلك الأسبوع على تحصيل نقده.

قال السِّلفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال لي علي بن محمد بن الأيسر العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وكان رجلًا صالحًا-: حضرتُ جنازة الشيخ الأجل أبي منصور بن يوسف وأبي تمام بن أبي موسى القاضي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فلم أر قط خلقًا أكثر ممن حضر جنازة الشيخ أبي منصور.

قال: واستَقبَلَنا يهوديٌّ فرأى كثرة الزحام والخلق، فقال: أشهد أن هذا الدين هو الحق، وأسلم.

ورُئي الشيخ أبو منصور الخياط في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر

---

(١) ما أجمل أن يتخلق الشيوخ والمعلمون بهذه الأخلاق، ويرفعوا من قدر طلابهم، ليغرسوا لهم في العامة والخاصة نباهة وجلالة.

(٢) وهؤلاء من كبار العلماء، وهذا يدل على أن من اشتغل بالقرآن تعلُّمًا وإقراءً؛ رفعه الله وجعل له في قلوب الناس محبةً وودًا، فهنيئًا لمن كان جُلّ وقته في قراءة القرآن وإقرائه.

لي بتعليمي الصبيان(١) **فاتِحةَ الكتاب.**

قال الشيخ أبو منصور: كنت في ابتدائي شافعيًا، وكنت أتفقَّه على القاضي الإمام أبي الطيب الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأسمع الخلاف عليه، فحضرتُ يومًا عند الشيخ أبي الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد الصالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأقرأ عليه القرآن، فابتدأت أقرأ عليه القرآن، فقطع علي القراءة مرة أو مرتين، ثم قال: قالوا وقلنا، وقلنا وقالوا، فلا نحن نرجع إليهم، ولا هم يرجعون إلى قولنا، ورجعنا إلى عادتنا، فأيُّ فائدة من هذا؟ ثم كرر عليّ هذا الكلام، فقلت في نفسي: والله ما عنى الشيخ بهذا أحدًا غيري، فتركت الاشتغال بالخلاف، وقرأت مختصر أبي القاسم الخِرقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على رجلٍ كان يُقرئ القرآن.

قال: ورأيت بعد ذلك ما زادني يقينًا، وعلمتُ أن ذلك تثبيتٌ من الله وتعليم؛ لأعرف حقّ نعمة الله عليَّ وأشكره، والله المسؤول الخاتمة بالموت على الإسلام والسُّنّة آمين. ذيل الطبقات (١/ ٢٢٥-٢٣١)، طبقات الحنابلة (٣/ ٤٧٢).

* وكان **أَبُو بكر الخيّاط** المقرئ البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٧) من البكَّائين **عند الذكر،** أثرت الدموع في خديه.

وكان ثقة ديِّنًا، يُقْرَأ عَلَيْهِ القرآن والحديث فِي كل يوم فِي بيته، وفِي مسجده، وفِي جامع المنصور، ويَكثُر عنده الناس.(٢) طبقات الحنابلة (٣/ ٤٣٣)، ذيل الطبقات ١/ ١٨.

* ورُئي **بعض العلماء** بعد موته بنحو من شهر في المنام، وكأن عليه ثيابًا بيضاء شديدة البياض، وعِمامة بيضاء، وهو يمضي إلى الجامع لصلاة الجمعة، فقيل له: إيش لقيت؟ قَالَ لي: عُرضتُ على الله تعالى خمسين مرة، وقال لي:

(١) قال محقق الكتاب: هذا يؤكد أن العبارة السابقة «الصبيان»، لا «العميان».
(٢) بَذَلَ جُلّ وقته في تعليم الكتاب والسنة، وهذا من أعظم الجود وأفضل الأعمال.

إيش عملت؟ فقلت له: قرأت القرآن وأقرأته، قَالَ لي: أنا أتولاك، أنا أتولاك. ذيل الطبقات (٢/ ٢٢).

* وكان **الشيخ إبراهيم بن سعود السياري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٨٠) شجاعا في الحق، غيورا على دينه، كثير الصلاة وتلاوة القرآن.

يقول بعض من سافر معه: لقد قام في ليلة بأربعة عشر جزءًا من القرآن، وكان يُكثر من قراءة القرآن، فكان يختم كلّ أسبوع، وفي رمضان كلّ يوم ختمة. علماء نجد (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

ب- من أحوال أهل القرآن:

* قسَم مصعب بن الزبير مالا في قراء أهل الكوفة حين دخل شهر رمضان، فبعث إلى **عبد الرحمن بن معقل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٨) بألفي درهم، فقال له: استعن بها في شهرك هذا، فردها عبد الرحمن بن معقل وقال: لم نقرأ القرآن لهذا. مسند الدارمي (٥٩٤).

* وجاء رسوله إلى **أحد السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين حضره رمضان، بألفي درهم، وقال له: إن الأمير يقرئك السلام، وقال: إنا لم ندع قارئا شريفا، إلا وقد وصل إليه منا معروف، فاستعن بهذين على نفقة شهرك هذا.

فقال: أقرئ الأمير السلام، وقل له: إنا والله ما قرأنا القرآن نريد به الدنيا، ودرهمها. مسند الدارمي (٦٠٥).

* وقال **خلف بن هشام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٩): قدمت الكوفة فصرت إلى سليم بن عيسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٨) فقال: ما أقدمك؟ قلت: أقرأ على أبي بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣)، فدعا ابنه وكتب معه ورقة إلى أبي بكر لم أدرِ ما كتبَ فيها[1]،

---

(١) لعله كتب فيها ثناء على خلف، وأنه لم يُخلِّف ببغداد أحدًا أقرأ منه.

فأتيناه، [وكان لخَلَفٍ تسع عشرة سنة][1] فقرأ الورقة وصعّد فيّ النظر ثم قال: أنت خَلَف؟ قلت: نعم، قال: أنت لم تخلِّف ببغداد أحدًا أقرأ منك؟ فسَكتُّ، فقال لي: اقعد، هات اقرأ، قلت: عليك؟ قال: نعم، قلت: لا والله، لا أقرأ على من يستصغر رجلًا من حملة القرآن، ثم خرجتُ، فوجه إلى سليم يسأله أن يَردَّني فأبيتُ، ثم ندِمتُ واحتجت[2]، فكتبتُ قراءة عاصم عن يحيى بن آدم عنه.

قلت: لِمَا تفعل حدّة الشباب لصاحبها. معرفة القراء (١/ ٤٢١).

* وقال **أبو الفتح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا نقرأ على أبي عثمان الضرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: بعد ٣١٠)، وكان لا يُقرئ أحدا إلا خمسين آية، فكنت إذا قرأت عليه الخمسين قطع عليّ فقمت، ثم آتيه بعد ذلك فأبتدئ عليه، وأخالف صوتي، وأبدّل حلقي فلا يَفطن لي، وأقرأ خمسين آية أخرى، ففعلت ذلك كثيرًا حتى ختمت عليه ختمة، ففطِن لي وقال: أنت أبو الحلاقيم؟[3] معرفة القراء (١/ ٤٧٧).

* وسأل رجل **ابن مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4] (ت: ٣٢٤): لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفًا يُحْمَل عنه؟ فقال: نحن أحوج إلى أن نُعْمِل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا، أحوج منَّا إلى اختيار حرفٍ يَقْرَأ به مَن بعدنا.

وكان أبو الحسن بن شَنَبُوذ (ت: ٣٢٨) ثقة في نفسه صالحا ديّنا متبحرًا في هذا الشأن، لكنه كان يحطُّ على ابن مجاهد، ويقول: هذا العطشي لم تَغْبَرّ قدماه في طلب العلم، ويُشير إلى سَعة رحلة نفسه، ويصيح بالشاذّ[5]، وأنه -أي ابن

---

(١) ما بين المعكوفين من: السِّيَر (١٠/ ٥٧٩).

(٢) أي: احتجت إلى أن آخذ قراءة عاصم، فلم أتمكن إلا بواسطة، وكان يقدر أن يأخذها من تلميذ عاصم مباشرة، وهو أبو بكر، وهذا من تبعات غضب الطلاب وعدم احتمالهم لأشياخهم.

(٣) انظر إلى همته وحرصه على الإتقان.

(٤) البغدادي العطشي المقرئ، مصنف كتاب القراءات السبعة.

(٥) أي: بالقراءات الشاذة، ويقرأ بها في الصلاة، ولو كانت مخالفة لرسم المصحف، وقد أنكر عليه علماء عصره.

مجاهد- لم يرحل من بغداد، وليس الأمر كذلك، قد حج، وقرأ على قُنبل بمكة.

وهذا خُلقٌ مذموم لا يليق بعالِمٍ.(١) معرفة القراء (٢/ ٥٣٧، ٥٤٨).

* وُلد **العلامة تاج الدين أبو اليمن** الكندي البغدادي، التاجر المقرئ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سنة عشرين وخمسمائة، وقرأ القرآن على أبي محمد سبط الخياط، وله نحو من سبع سنين، وهذا نادر.

وأندر منه أنه قرأ بالروايات العشر، وهو ابن عشرة أعوام، وما علمتُ هذا وقع لأحدٍ أصلًا.

وأعجبُ من ذلك أنه عُمِّر الدهر الطويل، وانفرد في الدنيا بعلو الإسناد في القراءات، وعاش بعد أن قرأها بعدة كتب، ثلاثا وثمانين سنة.

وهذا لا نظير له في الإسلام.

توفي تاج الدين الكندي سنة ثلاث عشرة وستمائة. معرفة القراء (٣/ ١١٤١).

---

(١) انظر إلى تواضع ابن مجاهد، وازدرائه لنفسه، في عدم رغبته أن تكون له قراءة كبقية العشرة، وأن همّه أن يحفظ علم من سبقه، وانظر إلى ترفع ابن شنبوذ -عفا الله عنه- وتنقصه لابن مجاهد، كيف رفع الله ابن مجاهد وأعلى ذكره، ونفع بعلمه، بخلاف ابن شنبوذ.

عناية السلف بالقلب، والحذر من قسوته

أ- ضعف القلب وسرعة تقلبه وتغيره:

* عن **أبي عبيدة بن الجراح** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) قال: مثل قلب المؤمن مثل العصفور يتقلب كل يوم كذا وكذا مرة. مصنف ابن أبي شيبة: (٣٤٦٢٣).

* وعن **أبي موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: إنما سمي القلب من تقلبه، ألا وإن القلب مثل ريشة معلقة بشجرة في فضاء من الأرض، تفيؤها الريح ظهرًا لبطن. مصنف ابن أبي شيبة: (٣٤٨١٩).

ب- الحذر من قسوة ومرض القلب، وأسباب ذلك:

* باع **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، جملًا فقيل: لو أمسكته فقال: قد كان لنا موافِقا، ولكنه قد أذهب بشعبةٍ من قلبي، فكرهت أن يشتغل قلبي بشيء. الْحلْيَة (٨/ ١٤٨).

* وعن **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: «إِنَّ الْفِتْنَةَ لَتُعْرَضُ عَلَى الْقُلُوبِ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُقِطَ عَلَى قَلْبِهِ نُقَطٌ سُودٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُقِطَ عَلَى قَلْبِهِ نُقْطَةٌ بَيْضَاءُ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا، فَلْيَنْظُرْ: فَإِنْ رَأَى حَرَامًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَلَالًا، أَوْ يَرَى حَلَالًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ الفتنة»[1]. مصنف ابن أبي شيبة: (٣٧٣٤٣).

* وكان **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يقول: اللهم إني أعوذ بك من تفرقة

(١) هذا إذا كان عن هوىً، وأما إذا كان عن علم واتباع للدليل فهذا هو الواجب.

القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يوضع لي في كل وادٍ مال. الزهد لأبي داود (٢٢٣).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى الجسد خاشعًا، والقلبُ ليس بخاشع. شعب الإيمان للطبراني (٦٥٦٧).

* وعن **أبي حازم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: إن العبد ليعمل الحسنةَ تسرُّه حين يعملها، وما خلق الله من سيئة هي عليه أضرُّ منها، وإن العبد ليعمل السيئة تسوؤه حين يعملها، وما خلق الله عَزَّوَجَلَّ من حسنة أنفع له منها، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتجبّر فيها، ويرى أن له فضلًا على غيره، ولعل الله عَزَّوَجَلَّ يُحبطها ويحبط معها عملًا كثيرًا، وإن العبد ليعمل السيئة تسوؤه، ولعل الله عَزَّوَجَلَّ يُحدث له فيها وجِلًا، فيلقى الله وإنّ خوفَها لفي جوفه باقٍ.[1] الزهد لهناد (٨٩٧)، صفة الصفوة ٢/ ٤٩٣ واللفظ له.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وحجابهم -أي حجاب أهل الكبائر الظاهرة- أرقُّ من حجاب إخوانهم من أهل الكبائر الباطنة، مع كثرة عباداتهم وزهاداتهم واجتهاداتهم، فكبائر هؤلاء أقرب إلى التوبة من كبائر أولئك، فإنها قد صارت مقامات لهم لا يتحاشون من إظهارها وإخراجها في قَوالب عبادةٍ ومعرفةٍ، فأهل الكبائر الظاهرة أدنى إلى السلامة منهم، وقلوبهم خير من قلوبهم.
فترى أحدَهم أزهد ما يكون، وأعبد ما يكون، وأشده اجتهادا، وهو أبعد ما يكون عن الله.
وأصحاب الكبائر أقرب قلوبًا إلى الله منه، وأدنى منه إلى الإخلاص والخَلاص.
فانظر إلى السَّجاد العبّاد الزاهد، الذي بين عينيه أثر السجود، كيف أورثه طُغيان عملِه أن أنكر على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأورث أصحابَه احتقار المسلمين، حتى سَلُّوا عليهم سيوفهم، واستباحوا دماءهم.
وانظر إلى الشِّريب السِّكير، الذي كان كثيرًا ما يُؤتى به إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيَحُدُّه على الشراب، كيف قامت به قوة إيمانه، ويقينه، ومحبته لله ورسوله، وتواضعه، وانكساره لله، حتى نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن لعنه.
فظهر بهذا أن طُغيان المعاصي أسلم عاقِبةً من طُغيان الطاعات. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٤/ ٦٩-٧٢.

* وخرج **سيار بن سلامة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٩) إلى البصرة، فقام يصلي إلى سارية في المسجد الجامع، وكان حسنَ الصلاة، عليه ثياب جياد، فرآه مالك بن دينار، فجلس إليه، فسلّم سيار، فقال له مالك: هذه الصلاة وهذه الثياب؟[1] فقال له سيار: هذه ترفعني عندك أو تضعني؟ فقال: تضعك، قال: هذا أردت، ثم قال له: يا مالكُ إني لأحسب ثوبيك هذين قد أنزلاك من نفسك ما لم يُنزلك الله.

فبكى مالك، وقال له: أنت سيار؟ قال: نعم، فعانقه. صفة الصفوة ٣/ ٩.

* وقسم أمير البصرة[2] على أهل البصرة، فبعث إلى **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١)، فقبِل، وأتاه محمد بن واسع، فقال: يا مالك قبلت جوائز السلطان؟ قال: يا أبا بكر سل جلسائي، فقالوا: يا أبا بكر اشترى بها رقابًا فأعتقهم، فقال له محمد بن واسع: أنشدك الله أقلْبك الساعة له على ما كان قبل أنْ يُجيزك؟ قال: اللهم لا، قال: ترى أيّ شيء دخل عليك؟ فقال مالك لجلسائه: إنما يعبد الله مثلُ محمد بن واسع. صفة الصفوة ٣/ ١٩٢.

* وسُئِل **الْحسَنُ البصريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): ما عقوبة العالم؟

قال: موت القلب.

قيل: وما موت القلب؟.

قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة. الآداب الشرعية ٢/ ٣٥.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: والله لقد أدركت أقوامًا لو شاء أحدهم أن يأخذ هذا المال من حله أخذه، فيقال لهم: ألا تأتون نصيبكم من هذا المال فتأخذونه حلالًا؟ فيقولون: لا، إنا نخشى أن يكون أخذه فسادًا لقلوبنا. الزهد لأحمد: ١٠٤.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): ما أسرَّ عبدٌ سريرةَ خير إلا ألبسه الله

---

(١) في الحلية: إني لأرغب بك عن هذا اللباس.

(٢) في البيان والتبيين ١/ ٢٢٨: أنه الحجاج بن يوسف.

رداءها، ولا أسرَّ سريرةَ سوء إلا ألبسه الله رداءها. ترتيب المدارك (١/ ١٨١).

* وعن **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: أربع يُمتن القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مثافنة[1] النساء وحديثهن، وملاحاة[2] الأحمق، تقول له ويقول لك، ومجالسة الموتى، قيل: وما مجالسة الموتى؟ قال: مجالسة كل غني مترف، وسلطان جائر. تهذيب الحِلْية ٤١٤/ ١.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): كم من مستغفر ممقوت وساكتٍ مرحوم، ثم قال يحيى: هذا المستغفر وقلبُه فاجر، وهذا ساكتٌ وقلبُه ذاكِر. الزهد للخطيب (٦٩).

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَفَاوِز الدنيا تُقْطع بالأقدام، ومَفَاوِز الآخرة تُقْطع بالقلوب. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٢.

* وقال أحمد بن أبي الحواريّ: قلت **لأبي سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): إن فلانًا وفلانا لا يقَعان على قلبي[3] قال: ولا على قلبي، ولكن لعلّنا أُتينا من قلبي وقلبك، فليس فينا خير، وليس نحبُّ الصالحين. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٧.

* وقال **حذيفة المرعشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٧): ما أصيب أحد بمصيبةٍ أعظم من قَسَاوة قلبه. صفة الصفوة ٤/ ٤٧٦.

* وقال بشر بن الحارث: كتب **حذيفة المرعشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى يوسف بن أسباط: يا أخي إني أخاف أن يكون بعض مَحاسننا أضرّ علينا في القيامة من مساوئنا. صفة الصفوة ٤/ ٧٧٤.

* وعن محمد بن عُبادة المعافري قال: كُنَّا عند **أبي شُرَيْح الخزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) الثَّفِنَةُ: ملازمة الشّيءِ الشّيءَ، وثافَنْتُ الرَّجُلَ: هو أنْ تَصْحَبه وتُجَالِسَه.

(٢) أي: منازعة ومخاصَمة.

(٣) أي لا أجد في قلبي محبة لهما.

(ت: ٦٨) فكثرت المسائل، فقال: قد دَرِنَتْ قُلُوبُكم، فقوموا إلى خالد بن حُمَيد المهري استَقِلُّوا قلوبكم، وتعلَّموا هذه الرغائبَ والرقائق فإنها تُجدِّد العبادة، وتورث الزهادة، وتجر الصَّداقة، وأَقِلُّوا المسائل، فإنها في غير ما نزل تُقسِّي القلب، وتُورِث العداوة.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): صدق والله، فما الظنُ إذا كانت مسائل الأصول، ولوازم الكلام في معارضة النَّص، فكيف إذا كانت مِن تشكيكات المنطق، وقواعد الحكمة، ودين الأوائل؟!. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩١.

* وعن **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧) قال: خصلتان تقسِّيان القلب: كثرةُ الكلام، وكثرةُ الأكل. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٩.

ج- نصائح وتوجيهات وقصص في إصلاح القلب وتصحيح النية والصدق مع الله[١]:

جاء ناس من الدهاقين[٢] إلى **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢)، فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم، فقال عبد الله: «إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا وأمرضه قلبًا، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبًا وأمرضه جسمًا، وأيم الله لو مرضتْ قلوبكم وصحَّت أجسامُكم لكنتم أهون على الله من الجُعْلان». صفة الصفوة ١/ ١٩٠.

* وخرج **عبد الله بن سلام** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) من حائط له بحزمة حطب يحملها، فلما أبصره الناس، قالوا: يا أبا يوسف، قد كان في ولدك وعبيدك من

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأصل صلاح القلب: صلاح إرادته ونيته، فإن لم يصلح ذلك لم يصلح القلب، والقلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد. الاستقامة / ٣٥٠.

(٢) الدّهقان: كلمة فارسيّة مُعرّبة، ومعناها: الرئيس.

يكفيك هذا، قال: أردت أن أجرّب قلبي، هل يُنكر هذا؟ الزهد لابن المبارك (٧٨٢).

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤): رُبَّ عمل صغير تُكثِّره النية، ورب عمل كثير تُصغِّره النيةُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٩.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): عند تصحيح الضمائر تُغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح[1]. صفة الصفوة ٢ / ٤٩٣.

* وقال **جعفر بن حيان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٥): «ملاك هذه الأعمال النيات؛ فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغ بعمله». الزهد لابن المبارك (١٨٩).

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجوْر. صفة الصفوة ٢/ ٥٤١.

* وقال **بعض السلف**: من سره أن يَكْمل له عملُه فليُحسن نيته، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يأجر العبد إذا أحسن نيته. الزهد لابن المبارك (١١٧٥).

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧) لرجل: لأعلّمنك كلمة هي خير من الدنيا وما فيها: والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره، لم تسأله شيئا إلا أعطاك. صفة الصفوة ٢/ ٥٤٦.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إنّ الأبرار لتغلي قلوبهم بأعمال البرّ، وإن الفجّار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم، فانظروا ما همومكم رحمكم الله. صفة الصفوة ٣/ ٢٠٤، ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٨٢.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ قال: كانت العلماء إذا التقوا تواصوا بهذه

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يشير إلى ما يُفتح عليه، بتيسير الإنابة، والطاعة، ومقامات العارفين. مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٣٤٨).

الكلمات، وإذا غابوا كتب بها بعضهم إلى بعض أنه: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن اهتم بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٧، تهذيب الحِلْية ٩٧/ ٢.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): تقويم الأعمال في تصحيح العزائم. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دواءُ القلب خمسة أشياء: قراءةُ القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين. صفة الصفوة ٤/ ٣٤١[1].

* وقال رجل **لمورق العجلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): إني أشكو إليك قسوة قلبي لا أستطيع الصوم ولا أصلي، فقال له مورق: إن ضعفت عن الخير، فاضعف عن الشر فإني أفرح بالنومة أنامها. تهذيب الحِلْية ٣٧٤/ ١.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): إذا كانت الآخرة في القلب جاءَت الدنيا تزحَمها، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تَزْحَمها الآخرة، لأنَّ الآخرة كريمة والدنيا لئيمة. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٣.

* ووقف رجل مرة على **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) فقال: يا أبا إسحاق، لم حُجبت القلوب عن الله عَزَّوَجَلَّ؟.

قال: لأنها أحبّت ما أبغض الله، أحبت الدنيا ومالت إلى دار الغرور، واللهو، واللعب، فتركت العمل لدارٍ فيها حياة الأبد، في نعيم لا يزول ولا ينفذ، خالدٍ مخلد، في مُلْكٍ سرمد لا نهاية له، ولا انقطاع. الزهد للخطيب (٥٥).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا صارت المعاملة إلى القلب استراحت

---

(١) وكذا قال إبراهيم الخواص رَحِمَهُ ٱللَّهُ. تهذيب الحِلْية ٤٢١/ ٣.

الجوارح.(١) تهذيب الحِلْية ٣/٢٠١.

* وقال عبد الله ابن **الإمام أحمد** (ت: ٢٤١) رَحِمَهُمَاٱللَّهُ لأبيه يومًا: أوصني يا أبت، فقال: يا بني انوِ الخير، فإنك لا تزال بخيرٍ ما نَويتَ الخير.

قال **ابن مفلح** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٦٣): هذه وصيةٌ عظيمةٌ، سهلةٌ على المسؤول، سهلة الفهم والامتثال على السائل، وفاعلها ثوابه دائم مستمر لدوامها واستمرارها، وهي صادقةٌ على جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعًا، سواء تعلقت بالخالق أو بالمخلوق، وأنها يُثاب عليها، ولم أجد في الثواب عليها خلافًا..

فيالها من وصيةٍ ما أشد وقعها، وما أعظم نفعها، فنسأل الله تعالى لنا ولإخواننا المسلمين العمل بها، والتوفيق لها، فمثل هذا تكون وصايا أئمة المسلمين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين. الآداب الشرعية ١/ ٨٨.

* وقيل **للإمام أَحْمَد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٢٤١): **كيف يرِقّ قلبي؟**.

قَالَ: أُدْخل المقبرة وامسح رأس اليتيم. طبقات الحنابلة (١/ ٨٢).

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): حكى لي تقي الدين المقصاتي رَحِمَهُٱللَّهُ قال: قرأت على شيخنا **موفّق الدّين الكواشي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٦٨٠) تفسيرَه، فَلَمَّا وصلتُ إِلَى سورة «والفجر» منعني من ختْم الكتاب، وقال: أَنَا أجيزه لك، ولا تقول قرأته كلّه على المصنّف؛ يعني أنّ للنّفس فِي ذلك حظًّا.(٢) معرفة القراء (٣/ ١٣٦٢).

د- أهمية انصراف القلب إلى الله، وتعلقه به، والثقة به:

* **عن أبي الدرداء** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٢) قال: «لا يزال نفسُ أحدكم شابّة في حبّ

---

(١) فمن اعتنى بصلاح قلبه وصدقِه مع ربّه: خفَّ على الجوارح القيام بالأعمال الصالحة، وتلذّذ القلب والبدن بذلك.

(٢) البعد عن حظوظ النفس من سمات الصادقين المخلصين الموفقين، جعلنا الله منهم.

الشيء ولو الْتقت ترقوتاه من الكبر، إلا الذين امتحن الله قلوبهم للآخرة، وقليل ما هم». الزهد لابن المبارك (٢٤٣).

* ودخل سعد بن أبي وقاص على **سلمان الفارسيّ** (ت: ٣٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يعوده، فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، وترد عليه الحوض، فقال سلمان: أما إني ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: «ليكن بُلْغة[١] أحدكم مثلَ زاد الراكب»، وحولي هذه الأساود.[٢].

وإنما حوله إجَّانة[٣] أو جفنة[٤] أو مطهرة.[٥].

فقال له سعد: يا أبا عبد الله اعهد إلينا بعهد نأخذ به بعدك، فقال: يا سعد اذكر الله عند همّك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت. الزهد لهناد (٥٦٦).

* وعن **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ اللَّهُ قال (ت: ٩٤): من استغنى بالله افتقر إليه الناس. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٨.

* وقال **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٩): مالي تَضيع لي الدجاجة فأجدُ لها[٦]، وتفوتني الصلاة فلا أجد لها!!. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٠.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: لو أن رجلًا انقطع إلى رجل لعرف ذلك فكيف

---

(١) ما يتبلغ ويتوصل به إلى الشيء المطلوب.

(٢) يريد الشخوص من المتاع الذي كان عنده، وكل شخص من إنسان أو متاع أو غيره سواد. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤١٩)

(٣) إناء يغسل فيه الثياب.

(٤) مائدة.

(٥) إناء التطهير والنظافة.

(٦) أي أحزن لها.

بمن له السموات والأرضون. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٧٠.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٧٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بقدر ما يصغر الذَّنبُ عندك يَعْظُمُ عند الله، وبقدر ما يَعْظُمُ عندك يصغُر عند الله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٤.

* وعن شقيق بن إبراهيم قال: كنتُ شاعرًا، فرزقني الله التوبةَ، وخرجتُ من ثلاث مئة ألف درهم، ولبستُ الصُّوف عشرين سنة، ولا أدري أنِّي مُرَاءٍ حتى لقيتُ **عبدَ العزيز بن أبي روَّاد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٩)، فقال: ليس الشأنُ في أكل الشعير ولُبْس الصوفِ، الشأنُ أنْ تَعرِفَ اللهَ بقلبكَ، ولا تُشرِكَ به شيئًا، وأن تَرْضى عن الله، وأن تكونَ بما في يدِ اللهِ أوثقَ مِنك بما في أيدي الناس.[1] السِّيَر ٨/ ٧١.

* وشكاَ رجلٌ إلى قوم ضِيقًا، فقال له بعضهم: شكوتَ مَنْ يَرْحَمُكَ إلى منْ لا يرحَمُك. عيون الأخبار ٣/ ١٨٨.

* وقال **بعضُ المفسّرين** في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٧٢﴾ [المؤمنون:٧٢]: أي المخلوقُ يرزُقُ فإذا سخِط قطع رِزقَه، والله عَزَّوَجَلَّ يَسْخَط ولا يَقطَعُ[2]. عيون الأخبار ٣/ ١٩٠.

---

(١) كان شقيقٌ يظنّ أنّ الإيمان والصلاح بإصلاح المظهر، فمال إلى الزّهد ولبس الرديء من الثياب، وغفل عن صلاح الباطن الذي لا يطّلع عليه إلا الله تعالى.

(٢) إسنادُ الرزق إلى المخلوق جائز بشرط أن يعتقد أنه سبب، قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٧٢﴾ [المؤمنون: ٧٢] وَصِيغَةُ التَّفْضِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٧٢﴾ نَظَرًا إِلَى أَنَّ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ يَرْزُقُ بَعْضَهُمْ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ [النساء:٥] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٣]، وَلَا شَكَّ أَنَّ فَضْلَ رِزْقِ اللهِ خَلْقَهُ عَلَى رِزْقِ بَعْضِ خَلْقِهِ بَعْضِهِمْ كَفَضْلِ ذَاتِهِ، وَسَائِرِ صِفَاتِهِ عَلَى ذَوَاتِ خَلْقِهِ، وَصِفَاتِهِمْ. [أضواء البيان: ٥/ ٣٤٣].

* وقال بعضهم:

لا تضرعـنّ لمخلوقٍ على طمعٍ فـإنّ ذلـك وَهْـنٌ منـك بالدِّيـنِ
واسـترزِق اللهَ رزقًـا مـن خزائنـه فإنمـا هـو بيـن الـكافِ والنـونِ

عيون الأخبار ٣/ ١٩٠.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): من أشخص بقلبه إلى الله انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه وجرت على لسانه. تهذيب الحِلْية ٣/٢٥٨.

* وقال **سهل بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣): ما من ساعة إلاّ والله عَزَّوَجَلَّ مطّلع على قلوب العباد، فأيّ قلبٍ رأى فيه غيرَه سلّط عليه إبليس. ذم الهوى: ٧٧.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حرامٌ على قلبٍ أن يشمّ رائحةَ اليَقين وفيه سُكون إلى غير الله، وحرام على قلب أن يَدْخُله النورُ وفيه شيء مما يكره الله عَزَّوَجَلَّ. الزهد للخطيب (٥٩).

* وقال **عبد الجبار بن خالد بن عمران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨١): من كان في الله همُّه قلّ في الدنيا والآخرة غمّه. ترتيب المدارك (٢/ ٣٧١).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تركتموه، وأقبل بعضكم على بعض! لو أقبلتم عليه لرأيتم العجائب!. ذم الهوى: ٧٧.

* وقال **بعض الحكماء**: إن الناس سمعوا بالله ولم يعرفوه.

وقال **بعض السلف**: إنما رجع القوم من الطريق قبل الوصول، ولو وصلوا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما رجعوا. المجالسة وجواهر العلم (٤٣).

* وقال **ابن سَمعون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧): ما سمعتَ قول رسول الله ﷺ: «**إنّ الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة أو تمثال**»؟ فإذا كان الملكُ لا يدخل بيتًا فيه

صورة أو تمثال، فكيف تدخل شواهدُ الحقِّ قلبًا فيه أوصافُ غيرِه منَ البشر؟!.[١]

ذم الهوى: ٧٨.

* وقال أَبو بَكْرٍ الأثرم: سمعت **أبا عبد الله الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُسأل عن قول النبي ﷺ: أعوذ بك من الفقر، كيف هذا، وفي الفقر ما فيه من الفضل؟.

فقال: إنما استعاذ النبي ﷺ من فقر القلب[٢].

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في قول النبي ﷺ (لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة): إذا كانت الملائكة المخلوقون يمنعها الكلب والصورة عن دخول البيت، فكيف تلج معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، ومحبته، وحلاوة ذكره، والأنس بقربه، في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها.

ومن هذا: أن طهارة الثوب الطاهر والبدن إذا كانت شرطًا في صحة الصلاة، والاعتداد بها، فإذا أَخَلَّ بها كانت فاسدة، فكيف إذا كان القلب نجسًا ولم يُطَهِّره صاحبه؟ فكيف يُعْتَدُّ له بصلاته، وإن أسقطت القضاء؟ وهل طهارة الظاهر إلا تكميلا لطهارة الباطن؟.

ومن هذا: أن استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها، وهي بيت الرب، فتوجُّه المصلي إليها ببدنه وقالَبِه: شرط، فكيف تصح صلاة من لم يتوجه بقلبه إلى رب القبلة والبدن؟ بل وجَّه بدنه إلى البيت ووجْهُ قلبه إلى غير رب البيت. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٢٥٠-٢٥١.

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا ريب أنّ لفظ «الفقر» في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يكونوا يريدون به نفس طريق الله وفعل ما أمر به وترك ما نُهي عنه، والأخلاق المحمودة ولا نحو ذلك؛ بل الفقر عندهم ضد الغنى.

والفقراء هم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠] وفي قوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٣] وفي قوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [الحشر:٨] والغني هو الذي لا يحل له أخذ الزكاة أو الذي تجب عليه الزكاة أو ما يشبه ذلك.

لكن لما كان الفقر مظنةَ الزهد طوعًا أو كرهًا؛ صار المتأخرون كثيرا ما يقرنون بالفقر معنى الزهد.

والزهد قد يكون مع الغنى وقد يكون مع الفقر، ففي الأنبياء والسابقين الأولين ممن هو زاهد مع غناه كثير.

والزهد المشروع: ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة، وأما كلُّ ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع. مجموع الفتاوى: (١١/ ٢٧).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: والله ما أعتمدُ على أني مؤمن بصلاتي وصومي، بل أعتمدُ إذا رأيت قلبي في الشدائد يفزع إليه، وشكري لما أنعم علي.[1] الآداب الشرعية ١/ ١٢٣.

* وقال رجل **لبعض السلف**: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟.

قال: كانوا يعملون يسيرا ويؤجرون كثيرا.

قال: ولم ذاك؟.

قال: لسلامة صدورهم.[2].

هـ- فوائد أخرى:

* قال **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): والله لقد لان قلبي في الله حتى لهو ألين من الزبد، ولقد اشتد قلبي في الله حتى لهو أشد من الحجر. تهذيب الحِلْية ٧١/ ١.

* وعن **سلمان الفارسيّ** (ت: ٣٣) قال: مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعد، قال المقعد: إني أرى ثمرة ولا أستطيع أن أقوم إليها فاحملني، فحمله فأكل وأطعمه. تهذيب الحِلْية ١٦٤/ ١.

* وعن **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ بعبده خيرًا جعل له واعظًا من قلبه يأمره وينهاه. صفة الصفوة ٣/ ١٧٢.

* وعن **أبي قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: ما من أحد يريد خيرًا أو شرًا إلا وجد في قلبه آمرًا وزاجرًا، آمرًا يأمر بالخير وزاجرًا ينهى عن الشر. تهذيب الحِلْية ٣٩١/ ١.

---

(١) إنّ عبادات الإنسان من صلاة وصيام وذكر ليست دليلا كافيًا على قوة إيمانه، وصدقه وصلاح قلبه، وإنما الدليل الواضح: إذا ألَمّت به شدة أو انفتحت عليه الدنيا كان قلبه متعلقًا بالله عائذًا به في زوال الشدة، وكبح جماح نفسه عن التعلق بزخارف الدنيا والميل إليها.

(٢) حيث سلمت من الكبر والغرور والنفاق والرياء والتعلق بغير الله والحسد والحقد ونحوها من الأمراض.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ جعل قوة المؤمن في قلبه، ولم يجعلها في أعضائه، ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفًا يصوم الهواجر، ويقوم الليل، والشاب يعجز عن ذلك. تهذيب الحِلْية ٤٨٠/ ١.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٧): القلوبُ جوَّالة، فإمَّا أنْ تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحُشِّ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٦٢.

* وعن **ثابت البناني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٣) قال: نية المؤمن أبلغ من عمله، إن المؤمن ينوي أن يقوم الليل، ويصوم النهار، ويخرج من ماله، فلا تتابعه نفسه على ذلك، فنيته أبلغ من عمله. تهذيب الحِلْية ٤٠٦/ ١.

* وعن **حسان بن عطية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: إن القوم ليكونون في الصلاة الواحدة، وإن بينهم كما بين السماء والأرض، وتفسير ذلك: أن الرجل يكون خاشعا مقبلًا على صلاته، والآخر ساهيًا غافلًا. تهذيب الحِلْية ٢٦٦/ ٢.

* وعن **خالد بن معدان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: ما من عبد إلا وله أربع أعين، عينان في وجهه يبصر بهما أمر دنياه، وعينان في قلبه يبصر بهما ما وعد الله بالغيب، فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعد الله بالغيب -وهما غيب-، فأبصر الغيب بالغيب، وإذا أراد الله بعبد سوى ذلك ترك القلب على ما فيه، وقرأ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤]. الزهد لأبي داود (٣٩٨).

* وعن **شهر بن حوشب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: إذا حدث الرجل القوم، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه. تهذيب الحِلْية ٢٦٣/ ٢.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي، لطار فرحًا وحزنًا شوقًا إلى الجنة، أو خوفًا من النار. تهذيب الحِلْية ٣٧٩/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بصر العينين من الدنيا، وبصر القلب من الآخرة، وإن الرجل ليبصر بعينه فلا ينتفع ببصره وإذا أبصر بالقلب انتفع. تهذيب الحِلْية ٢/٣٩٩.

* وقال: قال رجل **لمحمد بن النضر الحارثي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٣): أين أعبد الله؟ قال: أصلح سريرتك، واعبده حيث شئت. تهذيب الحِلْية ٣/٥٠.

* وسئل **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كانت أعمال القوم؟ قال: كانت أعمالهم قليلة، وكانت قلوبهم سليمة. تهذيب الحِلْية ١٢٣/ ٢.

* وقال **محمد بن يوسف** (ت: ٣٢٠) لعبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: بلغني أنك جلست تحدث الناس، فقال له: إن أحببت حلفت أن لا أحدث بحديث أبدًا، فقال: حدِّث الناس وعلِّمهم، ولكن انظر إذا اجتمع الناس حولك كيف يكون قلبك؟ تهذيب الحِلْية ٥٥/ ٣.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): واللهِ ما يريد اللهُ منَّا أنْ تيبس جلودنا على عظامنا، ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده. تهذيب الحِلْية ١٨٦/ ٣.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): تصفية العمل من الآفات أشد من العمل.[1] تهذيب الحِلْية ٢٨٧/ ٣.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا إله إلا الله، كم في النفوس من عِلل وأغراض وحظوظ، تمنع الأعمال أن تكون لله خالصة، وأن تصل إليه، وإن العبد ليعمل العمل حيث لا يراه بشر ألبته وهو غير خالص لله، ويعمل العمل والعيون قد استدارت عليه نطاقًا وهو خالص لوجه الله، ولا يميز هذا إلا أهل البصائر وأطباء القلوب العالمون بأدوائها وعللها.
فبين العمل وبين القلب مسافة، وفي تلك المسافة: قُطَّاع تمنع وصول العمل إلى القلب، فيكون الرجل كثير العمل وما وصل منه إلى قلبه محبة، ولا خوف، ولا رجاء، ولا زهد في الدنيا، ولا رغبة في الآخرة، ولا نور يفرق به بين أوليائه وأعدائه، وبين الحق والباطل، ولا قوة في أمره، فلو=

* وسئل **بعض السلف**: ما خير ما أعطي العبد؟ قال: فراغ القلب عما لا يعنيه ليتفرغ إلى ما يعنيه. تهذيب الحِلْية ٤٥٤/ ٣.

* وقال **عبد الجبار بن خالد بن عمران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨١): من أصبح وأمسى وهمه بغير الله مجتمع، لم يُبال الله تعالى في أي وادٍ من أودية الدنيا وقع. ترتيب المدارك (٢/ ٣٧١).

* وقال بعض حكماء العرب: كل إناء يُفَرَّغُ فيه يضيق ويمتلئ إلا القلب؛ فإنه كلما أُفْرِغ فيه اتسع، وهذا من أدل الدلائل على اللطيف الخبير.(١) المجالسة وجواهر العلم (٢٩٤).

= وصل أثر الأعمال إلى قلبه لاستنار وأشرق، ورأى الحق والباطل، وأوجب له ذلك المزيد من الأحوال.

ثم بين القلب وبين الرب مسافة، وعليها قطاع تمنع وصول العمل إليه من كبر، وإعجاب، وإدلال، ورؤية العمل، ونسيان المِّنَّة، وعلل خفية لو استقصى في طلبها لرأى العجب العجاب، ومن رحمة الله تعالى سترها على أكثر العمال، إذ لو رأوها وعاينوها: لوقعوا فيما هو أشد منها من اليأس، والقنوط، وترك العمل، وفتور الهمة. ا.هـ بتصرف مدارج السالكين ٢/ ١٤-١٥

(١) ومثل ذلك: الأجهزة الحديثة، فإنها تمتلئ كلما أُفرغ فيها من المعلومات، وأما العقل والقلب فإنه يتسع كلما أُفرغ فيه، فسبحان الله العلي العظيم.

الصدق مع الله(١)

* قال بكر بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنّ أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) لم يَفْضُل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصومًا، وإنما فَضَلهم بشيء كان في قلبه. الزهد لأبي داود (٥٩).

* وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهادًا من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا أفضل منكم!.

قيل له: بأي شيء؟ قال: إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم.(٢)

(١) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حقيقة الإخلاص: توحيد المطلوب، وحقيقة الصدق: توحيد الطلب والإرادة، ولا يُثمران إلا بالاستسلام المحض للمتابعة.
فهذه الأركان الثلاثة -وهي الإخلاص والصدق والمتابعة-: هي أركان السير وأصول الطريق التي من لم يَبْنِ عليها سلوكه وسيره فهو مقطوع وإن ظن أنه سائر. مدارج السالكين (٢/ ٩٧)
ولو تأملت فيمن رفعه الله من أهل العلم والفضل لوجدت أن من أعظم أسباب رفعتهم وقبول الناس لهم: صدقهم مع الله تعالى، الذي جرهم إلى أن باعوا أنفسهم وأموالهم وأعراضهم لله تعالى، لا ينتقمون لأنفسهم، ويبذلون أوقاتهم له ولدينه.
وإنّ عملًا يسيرًا يقوم به الصادق في حال مشاهدته منَّةَ الله عليه، وكمالَ افتِقاره إليه، وعدمَ استغنائه عنه في ذرةٍ من ذراته، وقد خالط قلبَه حالُ المحبة، والفرح بالله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، وشهود سعة رحمته وحلمه وعفوه، وقد أشرقت على قلبه أنوار الأسماء والصفات: خيرٌ وأفضل وأعظم أجرًا من جبال من الأعمال يقوم بها غيره.
(٢) فأصل وأساس السباق إلى الله بالقلب لا بالبدن.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِمَّا ينبغي أنْ يُعرَف أنَّ الله ليس رضاه أو محبَّته في مجرَّد عَذاب النفس وحملها على المشاقِّ؛ حتى يكونَ العمل كلَّما كان أشقَّ كان أفضل، كما يحسبُ كثيرٌ من الجهال أنَّ الأجر على قدر المشقَّة في كلِّ شيء، لا، ولكن الأجر على قدر منفعة العمل، ومصلحته، وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله، فأي العملين كان أحسن، وصاحبه أطوع، وأتبع - كان أفضل؛ فإنَّ الأعمال لا تتفاضَلُ بالكثرة، وإنما تتفاضَلُ بما يحصل في القلوب حالَ العمل. مجموع الفتاوى: ٢٥/ ٢٨٢ =

الزهد لابن المبارك (٤٦٢)، الزهد لأبي داود (١٣٣).

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): إن الصدق يبدو في القلب ضعيفًا، كما يبدو نبات النخلة يبدو غصنًا واحدًا، فإذا نتفها صبي، ذهب أصلها وإن أكلتها عنز ذهب أصلها فتسقى فتنشر، وتسقى فتنشر حتى يكون لها أصل أصيل يوطأ، وظل يستظل به، وثمرة يؤكل منها، كذلك الصدق يبدو في القلب ضعيفًا، فيتفقده صاحبه ويزيده الله تعالى. ويتفقده صاحبه فيزيده الله حتى يجعله الله بركة على نفسه، ويكون كلامه دواء للخاطئين.

ثم يقول: أما رأيتموهم؟ ثم يرجع إلى نفسه، فيقول: بلى! والله لقد رأيناهم؛ الحسنُ، وسعيدُ بن جبير وأشباههم، الرجل منهم يحيي الله بكلامه الفئام من الناس. تهذيب الحِلْية ١/٤١٨.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: قولوا لمن لم يكن صادقًا: لا يتعنّى. صفة الصفوة ٣/ ٢٠١.

* وقال **قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ٣] قال: «أتاهم والله من أمر الله ما وقذهم عن الباطل».[1] الزهد لابن المبارك (٧٥٠).

* وقال أبو زرعة رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟.

= وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وهل أراد اللهَ أحدٌ بصدقٍ فلم يُرِدْه الله؟ الاستقامة ص: ٥٣.

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنَّ العبد إنما يقطَعُ منازل السير إلى الله بقلبه وهمَّته لا ببدنه، والتَّقوى في الحقيقة تقوى القُلوب لا تقوى الجوارح؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [الحج:٣٢]. الفوائد ص: ١٤١.

(١) معنى وقذهم: سكّنهم، أَي: أنّ المؤمن التقي يبلغ منه الإيمان بالله والخوف منه ومحبته والأنس به مبلغا يَمنعه مِن انتهاك مَا لَا يَحِلّ وَلَا يَجْمل، ويُشغله عن سفاسف الأمور، ويُؤنسه عن الأنس بغيره وبغير ما يُحبه. «تهذيب اللغة» (٩/ ٢٠٣):

فقال لي: يا أبا زرعة لو جُعل الصدق على جرح لبرأ. تاريخ دمشق لابن عساكر (٥/ ٣٢١).

* وقيل **للإمام أَحْمَد بْن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ: بم نال مَن نال ما نال حتى ذُكر به؟. فقال: **بالصِّدْق**. طبقات الحنابلة (١/ ١٤١).

* وذَكَر له رجلٌ **الصدق والإخلاص** فقال: **بهذا ارتفع القوم**.(١) طبقات الحنابلة (١/ ١٤٧).

* وعن **معروف الكرخي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢١٠) قال: ما أكثر الصَّالحين، وما أقل الصّادقين. السِّيَر: ٨/ ٨٧.

* وقال **وكيع بن الجراح** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٧): هذه بضاعة لا يرتفع فيها إلا صادق. تهذيب الحِلْية ١٠٧/ ٣.

* وقال **أبو يعقوب إسحاق بن محمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٣٠): الصِّدْقُ موافقةُ الحقِّ في السرِّ والعلانية، وحقيقةُ الصدْقِ القولُ بالحقِّ في مواطن الهَلَكَةِ. السِّيَر: ١١/ ٤٦٥.

* وقال **أبو سُلَيْمَانَ الداراني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٥): مَنْ صَدَقَ في تَرْكِ شَهْوةٍ ذَهبَ الله بِها مِنْ قلْبِهِ. الزهد للبيهقي (٧٢٧).

---

(١) الإخلاص: أن يقصد بالعمل وجه الله وحده.

والصدق: أن يبذل وقته وجهده وطاقته في مرضاته.

ومن كان كذلك: كان من الصّدِّيقين الأولياء، ورفعه الله، وبارك فيه وفي علمه ووقته، جعلنا الله منهم.

الأولياء

* عن **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إن من الناس مفاتيح ذكر الله، إذا رُؤوا ذكر الله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩٤.

* وعن **عبدالله ابن أبي أوفى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) قال: خيار عباد الله الذين يحبون الله والذين يحببون الله إلى عباده. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩٤.

* وعن أبي عوانة قال: رأيت **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) يمر في السوق وكبَّر الناس قال خلف: كان محمد بن سيرين قد أعطي هديًا وسمتًا وخشوعًا فكان إذا رأوه ذكروا الله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩٥.

* وقال ابن أبي الدنيا: كتب إلي أبو عبد الله محمد بن خلف عن **إسحاق ابن أبي نباتة** رَحِمَهُ اللَّهُ: مكث سنين يؤذن لقومه في مسجد بني عمرو بن سعد، وكان يعلِّم الغلمان الكتاب ولا يأخذ الأجر، ومات قبل أن يحفر الخندق بثلاثين سنة، فلما حفر الخندق وكان بين المقابر ذهب بعض أصحابه يستخرجه، ووقع قبره في الخندق فاستخرجوه كما دفن لم يتغير منه شيء إلا أن الكفن قد جف عليه ويبس والحنوط محطوط عليه، وكان خضيبًا، فرأوا وجهه مكشوفًا وقد فصل الحناء في أطراف لحيته. فمضى المسيب ابن زهير إلى أبي جعفر وهو في قصر أم موسى بنت هشام بن عبد الملك على شاطئ الفرات فأخبره، فركب أبو جعفر في الليل حتى رآه، فأمر به فدفن بالليل؛ لئلا يفتتن الناس. ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٠٥.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: وليُّ الله إذا زاد جاهه زاد تواضعه وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده. الحِلْية ١٠/ ٣١٥.

الإخلاص، وذم النفاق والرياء، والخوف منهما[1]

* كتب عمر (ت: ٢٣) إلى أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ يُخْلِصْ نِيَّتَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ يَكْفِهِ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ.

وَمَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللهُ مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ شَانَهُ اللهُ».[2] سنن الدارقطني (٤٤٧٢).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللهِ الَّتِي لَا تُبَدَّلُ وَسُنَّتُهُ الَّتِي لَا تُحَوَّلُ أَنْ يُلْبِسَ الْمُخْلِصَ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالنُّورِ وَالْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ وَإِقْبَالِ قُلُوبِهِمْ إلَيْهِ مَا هُوَ بِحَسَبِ إخْلَاصِهِ وَنِيَّتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِرَبِّهِ، وَيُلْبِسَ الْمُرَائِيَ اللَّابِسَ ثَوْبَيْ الزُّورِ مِنَ الْمَقْتِ وَالْمَهَانَةِ وَالْبِغْضَةِ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ، فَالْمُخْلِصُ لَهُ الْمَهَابَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَلِلْآخَرِ الْمَقْتُ وَالْبَغْضَاءُ. إعلام الموقعين ٢/ ٥٢٠.

وينبغي التنبيه إلى أنّ السلف الصالح لا يقصدون بالنهي عن العمل لغير الله: صرف العبادات لغيره فحسب، بل يشمل ذلك حظوظ النفس، فمن انتقم لنفسِه وغضب لها فقد عمل لحظِّ نفسِه لا لله، ومن انتظر من الناس الثناء والمدح على عملِه فقد عمل لغير الله، ومن سعى لإشهارِ نفسِه ليكثر متابعوه ومحبُّوه فقد عمل لغير الله.

وتمام الإخلاص والصدق مع الله تعالى: ألا تُريد بقول ولا عمل إلا وجه الله، وهذه منزلة العبوديّة لله، وأكمل الناس منزلة: أعظمهم عبوديّة لله تعالى.

(٢) يشمل ذلك من تزيّن للناس بأقواله أو أحواله وهو في الواقع بخلاف ذلك.

وقد ثبت في صحيح مسلم (١١٠) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**مَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلاَّ قِلَّةً**»، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: يعنى -والله أعلم-: أَنَّ مَنْ تظاهَرَ بشيء مِنَ الكمال، وتعاطاه، وادَّعَاهُ لنفسه، وليس موصوفًا به، لم يَحْصُلْ له مِنْ ذلك إلاَّ نقيضُ مقصودِهِ، وهو النقص: فإنْ كان المُدَّعَى مالًا، لم يبارَكْ له فيه، أو علمًا أظهَرَ اللهُ تعالى جَهْلَهُ، فاحتقَرَهُ الناس، وقَلَّ مقدارُهُ عندهم.

وكذلك لو ادَّعَى دِينًا أو نَسَبًا أو غَيْرَ ذلك، فضَحَهُ اللهُ، وأظهَرَ باطلَهُ، فقَلَّ مقدارُهُ، وذَلَّ في نفسه، فحصَلَ على نقيضِ قصده، وهذا نحوُ قوله ﷺ: «**المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**».

وفائدةُ الحديث: الزجرُ عن الرياءِ وتعاطيه، ولو كان بأمورِ الدنيا. المفهم ١/ ٣١٥.

* ودُعي **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى وليمةٍ، فلما أكل وخرج قال: وددت أني لم أحضر هذا الطعام، قيل له: لم يا أمير المؤمنين؟ قال: إني أظن صاحبكم لم يعمله إلا رياءً. ابن أبي الدنيا ١/ ١٨٢.

* وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي ﷺ: «**مِن أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبدا**»، فبلغ ذلك **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأتاها يشتد فقال لها: أنشدك بالله، أنا منهم؟ قالت: لا، ولن أبرئ بعدك أحدا أبدا. مسند الإمام أحمد (٢٦٥٤٩) وصححه محققوه.

* وعن **حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: مر بي **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنا جالس في المسجد، فقال لي: يا حذيفة، إن فلانا قد مات فاشهد، قال: ثم مضى حتى إذا كاد أن يخرج من المسجد، التفت إليّ فرآني وأنا جالس فعرف، فرجع إليّ فقال: يا حذيفة أنشدك بالله أمِن القوم أنا؟ قال: قلت: اللهم لا، ولن أبري أحدا بعدك، قال: فرأيت عيني عمر جادتا.[1] الزهد لوكيع (٤٧٧).

* وقال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): من كان ظاهره أرجح من باطنه: خفَّ ميزانُه يومَ القيامة، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره: ثقل ميزانه يوم القيامة. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٧.

* وقال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من راءى في الدنيا راءى الله به يوم القيامة، ومن يسمع في الدنيا يسمع الله به يوم القيامة. تهذيب الحِلْية ١٢٤/ ١.

* وقال **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ، كانوا يومئذ يُسِرّون واليوم يجهرون. صحيح البخاري (٧١١٣).

---

(١) أي: سالتا من الدموع فرحًا؛ حيث لم يذكره النبي ﷺ من ضمن المنافقين الذين أخبر بأسمائهم حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وقال له رجل: أخشى أن أكونَ منافقًا، فقال: لو كنتَ مُنافقًا لم تخشَ. عيون الأخبار ٢ / ٧٣٩.

* وقال أناس **لابن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): إنا ندخل على سلطاننا، فنقول لهم خلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: كنا نعدّها نفاقًا. صحيح البخاري (٧١٧٨).

* وعن أبي العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: قال لي **أصحاب محمد** ﷺ: لا تعمل لغير الله فيكِلَك الله عَزَّوَجَلَّ إلى مَن عملت له. صفة الصفوة ٣/ ١٤٨.

* وقال الوليد بن مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألتُ الأوزاعيَّ وسعيدَ بن عبد العزيز وابن جريج رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: لم طلبتم العلم؟ كلهم يقول: لنفسي، غير أن **ابن جريج** (ت: ١٥٠) فإنه قال: طلبتُه للناس.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): ما أحسنَ الصدق! واليوم تسأل الفقيه الغبي: لم طلبت العلم؟ فيبادر ويقول: طلبته لله، ويكذب إنما طلبه للدنيا، ويا قِلَّةَ ما عرف منه. السِّيَر ١/ ٤٥.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نيَّة، ثم رَزَق الله بعدُ فيه النيَّة. مسند الدارمي (٣٧١).

* وقال **أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٩): كان يُقال: إن الرَّجل يطلبُ العلمَ لغير الله فيأبَى عليه العِلمُ حتى يكون لله.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم يطلبه أولًا والحاملُ له حبُّ العلم، وحبُّ إزالة الجهل عنه، وحب الوظائف، ونحوُ ذلك. ولم يكن عَلِمَ وجوب الإخلاص فيه ولا صِدْقَ النية فإذا عَلِمَ حاسبَ نفسَه وخاف من وَبَالِ قصدِه فتجيئُه النِّية الصَّالحة كلُّها أو بعضها وقد يتوبُ من نيته الفاسدة ويندمُ. وعلامة ذلك أنه يُقْصِر

من الدعاوى وحبِّ المناظرة ومِن قصد التَّكثُّر بعلمه ويُزري على نفسه فإن تكثَّر بعلمه أو قال: أنا أعلمُ مِن فلان فبعدًا له. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٧٢.

* وقال **هشام الدَّستُوائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٢): والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبتُ يومًا قطُّ أطلبُ الحديث أُريدُ به وجهَ الله عَزَّوَجَلَّ.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واللهِ ولا أنا، فقد كان السَّلَفُ يطلبون العلم لله فَنَبلوا، وصاروا أئمةً يُقتدى بهم، وطلبه قومٌ منهم أولًا لا لله، وحصَّلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرَّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطَّريق، كما قال مُجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبيرُ نِيَّة، ثم رزق الله النيةَ بعدُ، وبعضهم يقولُ: طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكونَ إلا لله، فهذا أيضًا حسن، ثم نشروه بِنِيَّةٍ صالحة.

وقومٌ طلبوه بِنيَّة فاسدة لأجل الدُّنيا وليُثْنَى عليهم فلهم ما نووا، قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «من غَزا ينوي عِقالًا فلهُ ما نَوَى». وترى هذا الضرب لم يستضيؤوا بنورِ العلم ولا لهم وقعٌ في النُّفوس، ولا لِعلمهم كبيرُ نتيجة من العمل، وإنما العالِمُ من يخشى الله تعالى.

وقومٌ نالوا العلم وولُوا به المناصِبَ، فظلموا، وتركوا التَّقيُّد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتبًّا لهم، فما هؤلاء بعلماء.

وبعضهم لم يتَّق الله في علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرُّخص وروى الشَّاذَّ من الأخبار، وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فَهَتكَه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٧.

* وعن **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٩٠) قال: كلّ ما لا يُبْتغى به وجْهُ الله عَزَّوَجَلَّ يضمحلّ. صفة الصفوة ٣/ ٤١.

* وعن **أبي الجوزاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) قال: نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن. تهذيب الحِلْية ٤٥٩/ ١.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: من ابتغى شيئًا من العلم يبتغي به وجه الله عَزَّوَجَلَّ آتاه الله منه ما يكفيه.(١) مسند الدارمي (٢٧٣).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنْ أقرب الناس من الرياء آمنهم له. تهذيب الحِلْية ٢٧٨/ ٢.

* وقال **مطرّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): إن أقبح ما طُلب به الدنيا عمل الآخرة. صفة الصفوة ٣/ ١٥٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصحة النية. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ١.

* وعن **الربيع بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) قال: علامة الدين الإخلاص لله، وعلامةُ العلم خشية الله. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٤.

* وقيل **لعطاء السليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦): ما الحذر؟ قال: الاتقاء على العمل ألا يكون لله. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٧.

* وعن **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: لا تكن وليًا لله في العلانية وعدوه في السرّ. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٨.

* وقال **بعض السلف**: إنّ المؤمن تلقاه الزمانَ بعد الزمان بأمر واحد، ووجه واحد، ونصيحة واحدة، وإنما يبدّل المنافق، يُشاكل كلّ قوم(٢)، ويسعى مع كلّ ريح.

---

(١) فيجد في العلم الذي تعلّمه ابتغاء وجه الله ما يكفيه في إصلاح قلبه، وتحسين أخلاقه، ونفع الناس في التأليف والخطابة والدعوة، وأما من طلب العلم لجمع المسائل ويستمتع بحضور الدروس أو بالقراءة فهو على خير، ولكنه لن يجد كفايته، ولن يكون العلم مُؤثِّرًا تأثيرًا كبيرًا على سلوكه وإيمانِه وتمكّنِه من العلم والتأليف ونفع الناس نفعًا كبيرًا.

(٢) أي: يُوافق كلّ قوم على ما هم عليه من خير أو شرّ.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١): يا معشر المسترين: اعلموا أن عند الله مسألةً فاضحةً؛ قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٨.

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٣) قال: اجتمع إليّ أصحاب محمد ﷺ فقالوا: يا أبا العالية، لا تعمل عملًا تريدُ به غير الله فيجعل الله ثوابك على من أردت. ابن أبي الدنيا ١/ ١٨٢.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): والله ما أصبحَ ولا أمسَى مؤمن إلا وهو يخاف النفاق عَلَى نفسه. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٢).

* وكان شاب يقرأ عند **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ وكان يعجبه صوته فقال: يا أبا سعيد إني قد رزقت هذا الصوت وإني أقوم من الليل فيجيء الشيطان فيقول: إنما تريد أن تُسَمِّع، فقال الحسن: نيتك حين تقوم من فراشك. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٢.

* وقيل **للإمام مالك بن أنس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): شغلت نفسك بهذا الكتاب، وقد شاركك فيه الناس وعملوا أمثاله.

فقال: لتعلمنّ ما أريد به وجه الله تعالى.[1] ترتيب المدارك (١/ ١٨٩).

---

(١) وقد اندثرت تلك الموطآت ولم يبق إلا موطأ الإمام مالك، وأجمع الأكابر من أهل العلم على جلالته، واعتنوا به اعتناء منقطع النظير، حتى قال عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما نعرف كتابًا في الإسلام بعد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أصح من موطأ مالك)، وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما كتاب بعد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أنفع من موطأ مالك رَحِمَهُ اللَّهُ).

قال ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمته: (وتلقت الأمة هذا الكتاب بالقبول في مشارق الأرض ومغاربها).

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في السِّيَر: (وإن للموطأ لوقعًا في النفوس، ومهابة في القلوب لا يوازنها شيء)، وقال في موضع آخر: (وما زال العلماء قديما وحديثا لهم أتم اعتناء برواية «الموطأ» ومعرفته، وتحصيله).

وقد صنفت موطآت كثيرة في زمن الإمام مالك، ولكن لم يكتب الله لها الدوام والقبول كما كتب له.

* وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فرأيته من الخاشعين، وإنما رفعه الله بسريرة بينه وبينه، وذلك أني كثيرًا ما كنت أسمعه يقول: من أحبَّ أن يفتح له فرجة في قلبه وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة؛ فليكن في عمله في السر أكثر منه في العلانية.

قال ابن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان أكثر عبادة مالك في السر بالليل والنهار حيث لا يراه أحد. ترتيب المدارك (١/ ١٧٠، ١٧٢).

* وقال معروف **الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): رأيتُ **أَحْمَد بن حنبل** (ت: ٢٤١) فتى عليه آثار النسك، سمعتُه يقول كلامًا جمع فيه الخير، سمعتُه يقول: **مَن عَلِم أنه إذا مات نُسي أحسن ولم يُسِئ**. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٧٨).

* وكَانَ **ابْن بشار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٣) يفتتح مجلسه إذا أراد أن يتكلم بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩﴾ [هود:٧٩]، فقام إِلَيْهِ رجل فَقَالَ لَهُ: رضي الله عنك، وما الَّذِي تريد؟ فَقَالَ لَهُ: **هُوَ يعلم أني ما أُريد فِي الدنيا والآخرة سِواه**. طبقات الحنابلة (٣/ ١١٣).

* وعن **عبد الرحمن بن شريح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٧) قال: من قام إلى شيء من الخير لا يريد به إلا الله ثم عرض له من يريد أن يرائيه بذلك أعطاه الله بالأصل، ووضع عنه الفرع، ومن قام إلى شيء من الخير لا يريد به إلا المراءاة، ثم فكر أو بدا له فجعل آخر ذلك لله: أعطاه الله الفرع ووضع عنه الأصل. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٢.

* وعن أحمد بن عاصم قال: التقى **سفيان الثوري** (ت: ١٦١) **وفضيل بن عياض** (ت: ١٨٧) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ فتذاكرا فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة، قال له فضيل: ترجو؟ لكني أخاف أن

يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤما، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك فتزينت به لي وتزينت لك به؟ فبكى سفيان حتى علا نحيبه ثم قال: أحييتني أحياك الله. تهذيب الحِلْية ٢/٤٠٤.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحبُّ إلي من أن أطلبها بالعبادة. صفة الصفوة ٢/ ٥٤٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن يطلب الرجل الدنيا بأقبح ما تطلب به، أحسن من أن يطلب بأحسن ما تطلب به الآخرة. تهذيب الحِلْية ١٧/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو قيل لك: يا مُرائي، غَضِبْتَ، وشقَّ عليك، وعسى ما قيل لك حق، تَزَّينتَ للدنيا وتصنَّعتَ، وقصّرتَ ثيابك، وحسنتَ سمتك، وكففتَ أذاك حتى يُقال: أبو فلان عابدٌ، ما أحسنَ سمْتَه فيكرمونك وينظرونك، ويقصدونك ويهدون إليك، مثل الدرهم السُّتُّوق(١) لا يعرفه كلُّ أحد فإذا قُشر، قُشر عن نحاس. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تكن مرائيًا وأنت لا تشعر، تصنعت وتهيأت حتى عرفك الناس فقالوا: هو رجل صالح فأكرموك، وقضوا لك الحوايج، ووسعوا لك في المجلس، وإنما عرفوك بالله. لو لا ذلك لهنت عليهم كما هان عليهم الفاسق لم يكرموه ولم يقضوه ولم يوسعوا له المجلس. تهذيب الحِلْية ١٣/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المؤمن قليل الكلام، كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل. تهذيب الحِلْية ١٦/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧]: أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن

(١) قال في الحاشية: هو الرديء الزيف الذي لا خير فيه.

خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة. تهذيب الحِلْية ١٤/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تركُ العملِ من أجل الناس رياءٌ، والعملُ من أجل الناس شِرْكٌ، والإخلاصُ أن يعافِيَكَ الله عنهما.[١] تهذيب السِّير ٢/ ٧٧٤.

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤): لو أن رجلين اصطحبا في الطريق فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين، فتركهما لأجل صاحبه، كان ذلك رياء، وإن صلاهما من أجل صاحبه فهو شرك. تهذيب الحِلْية ٤٠/ ٣.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من سفلة الناس؟ قال: من يأكل بدينه. تهذيب الحِلْية ٣٩/ ٣.

* وقال **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩): إياكم والرياء؛ فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلَّته. تهذيب الحِلْية ٣٩٥/ ١.

* وعن عبد الرحمن بن مَهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنتُ أجلسُ يومَ الجمعة، فإذا كثر الناسُ فرحتُ، وإذا قلُّوا حزنتُ، فسألتُ **بِشْرَ بنَ منصور** (ت: ١٨٠)، فقال: هذا مجلسُ سَوْءٍ، فلا تَعُدْ إليه، فما عُدتُ إليه.[٢] تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٧.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أراد بعلمه وجه الله أقبل الله عليه بوجهه،

---

(١) تركُ العمل خوفًا من قول الناس إنه مراء: هو عين الرياء، فلولا حبُّه لمدحهم وخوفه من ذمهم: لَمَا الْتفت إليهم، وخاف من سوء ظنّهم، فماله ولقولهم؟! قالوا: إنه مراء أو قالوا: إنه مخلص؟ أما إذا ترك العمل خوفًا من أن يكون مرائيًا به: فهو خطأ، وموافقة لمراد الشيطان، لكنه لا يُطلَق على فاعلِه أنه مراءٍ؛ لأنَّ الرياء هو فعل العمل الصالح أو تحسينه لأجل الناس، والله أعلم.

(٢) قد يشعر بهذا بعض الدعاة وطلاب العلم، فإذا دُعي أحدهم إلى مُحاضرة أو درس وكان الحضور كثيرًا فرح، وإذا كان قليلا حزن، وربما انقطع عن الدرس في المستقبل، وهذا يدل على ضعف الإخلاص، وعدم سلامة القلب من حظوظ النفس، والمؤمن يبحث عما يُرضي الله، وينشر علمه ويدعو إلى الله تعالى، ولا يُهمه قلَّ الحضور أو كثروا.

وأقبل بقلوب العباد إليه، ومن عمل لغير الله تعالى صرف عنه وجهه، وصرف بقلوب العباد عنه. تهذيب الحِلْية ١/٤٥١.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): تعلَّموا النية فإنها أبلغ من العمل. تهذيب الحِلْية ١/٤٥٦.

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن يحمل شوكًا، ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكًا وهو يطمع أن يحصد تمرًا، هيهات هيهات. تهذيب الحِلْية ٢/٥٠٢.

* وعن **أبي سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥) أنه قال: أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله أنْ يطَّلع على قلبك وأنت لا تريد مِن الدنيا والآخرة غيره.[1] تهذيب الحِلْية ٣/١٨٢.

* وقيلَ **لِأَحْمَدَ بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): الرَّجُلُ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَرَى قَوْمًا فَيُحْسِنُ صَلَاتَهُ؟ يَعْنِي الرِّيَاءَ.

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه منزلة لا يبلغها إلا من وفقه الله، واشتغل على تهذيب نفسِه وتنقيتِها من حظوظ النفس وأمراض القلب.

ولو تفرغ المؤمن -وخاصة طالب العلم- خمس سنين في إصلاح قلبِه وتخليصِه من الأمراض والشوائب: لَمَا كان كثيرًا، ولكانت هذه السنوات القليلةُ بركةً عليه وعلى ما تبقّى من عمره، ورفعةً في درجاتِه.

والسبيل إلى ذلك:

١- تدبّر القرآن وفهمُه والعزيمةُ على العمل بجميع ما فيه.

٢- قراءة الصحيحين قراءةً مُتأنِّية، فينظر إلى أخلاق النبي ﷺ وإلى عباداتِه وسيرتِه، ويُطبق كلّ ما قرأ بقدر استطاعتِه.

٣- قراءة كتب السلف الصالح وأهل العلم التي تعتني بصلاح القلب، وقد ذكرتُها في مصادر هذا الكتاب.

٤- المبادرةُ بإصلاح عباداتِه الظاهرة والباطنة، والعناية بصلاح سريرتِه، وسلامةِ قلبِه، والإكثار من التفكر في عظمة الله وآياتِه وأسمائه وصفاتِه.

قَالَ: لَا، تِلْكَ بَرَكَةُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ.[1] الفروع لابن مفلح (٢/ ٢٩٨).

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن رجلًا قال: يا رسول الله إني أعمل العمل أسره فيطلع عليه فيعجبني؟[2].

فقال: لَمَّا أسرَّ العمل فأظهر الله عَزَّوَجَلَّ له الثناء الحسن فأعجبه، فلم يعبْ ذلك أنَّ الرجل يعجبه أن يُقال فيه الخير.

قال **إسحاق بن راهويه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلما اطّلع عليه فأعجبه، فإذا كان ذلك منه ليَقتدي به الناس، وليُذْكر بخير، صار له أجرُ سرِّه وأجرُ ما نوى مِن اقتداء الناس به، وذكرِهم إياه بخير.[3] مسائل الكوسج (٢/ ٦٦٦).

(١) هذا الفهم العميق للإمام أحمد قلّ من يتنبّه له، ويتبادر إلى أذهان كثير من طلاب العلم فضلا عن عامة الناس أنَّ فعل هذا الرجل من الرياء، والمسلم لا يثاب على عملٍ مشوب.
وإنما مقصود الإمام أحمد -والله أعلم- أنّ الرجل حينما يدخل المسجد فيرى حرص الناس على صلاتهم يُؤثِّر ذلك عليه من حيث يشعر أو لا يشعر، فيحرص على حسن صلاته، لا قصدًا منه بمراءاتهم، بل لبركة المسلم على أخيه.

(٢) روى ابن ماجه في سننه (٤٢٢٦) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قال الرجل: يا رسول الله إني أعمل العمل، فيطلع عليه، فيعجبني، قال: لك أجران أجر السر وأجر العلانية».
ورواه الترمذي في سننه (٢٣٨٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) قال ابن القيم: لا بأس أنْ يُعجِب الإنسانُ ما قيل عنه من الخير إذا كان مقصده في عمله اللهُ؛ لأن النبي ﷺ قال: «**المؤمن تسره حسنة**». بدائع الفوائد ٤/ ١٤٦١-١٤٦٢.

الاحتساب

* قال **معاذ بن جبلٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨): أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. صحيح البخاري (٤٣٤١).

* وعن الطفيل بن أبي كعب أنه كان يأتي **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمرّ عبد الله بن عمر على صاحب بيعة، ولا مسكين، ولا أحد إلا وسلم عليه.

فقلت: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس؟.

قال: إنما نغدو من أجل السلام، فسلّم على من لقيت. تهذيب الحِلْية ١/٢٢١.

* ومَرّ أصحاب نجدة الحروري[1] على إبل **لابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاستاقوها، فجاء راعيها فقال: يا أبا عبد الرحمن، احتسب الإبل.

قال: ويحك وما لها؟ قال: مر بها أصحاب نجدة فذهبوا بها.

قال: كيف ذهبوا بالإبل وتركوك؟ قال: قد كانوا ذهبوا بي معها، ولكن انفلت.

قال: وما حملك على أن تركتهم وجئتني؟ قال: كنتَ أحبَّ إليّ منهم.

قال: آلله الذي لا إله إلا هو، لأنا أحب إليك؟ قال: فحلف له.

قال: فإني أحتسبك معها، فأعتقه.

---

(١) من الخوارج.

فمكث ما مكث، فأتاه آت، فقال: هل لك في ناقتك الفلانية، وسماها، ها هي تباع في السوق؟.

قال: أرِني ردائي، فلما وضعه عليه وقام: جلس ووضع ردائه، فقال: دعها قد كنت احتسبتها. الزهد لأبي داود (٢٦٨).

* وعاد **مكحولٌ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) رجلا مريضا فقال له: أتراك مرابطًا العام؟ قال: كيف تسألني عن هذا، وأنا على ذي الحال؟ قال: وما عليك أن تنوي ذاك، فإن شفاك الله مضيت لوجهك، وإن حال بينك وبينه أجل كتب لك نيتك. تهذيب الحِلْية ٢/١٨١.

* وكان **جابر بن زيد أبو الشعثاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) لا يماكس في ثلاث: في الكراء إلى مكة، وفي الرقبة يشتريها للعتق، وفي الأضحية.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يماكس في كل شيء يَتقرَّب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١/٤٦١.

* وعن **زُبَيد بن الحارث اليامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٢) قال: يسرني أن يكون لي في كل شيء نية حتى في الأكل والنوم. الزهد لابن المبارك (٦٤).

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: ما ضربت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر: على طاعة أو على معصية، فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣١.

* وعن **عبد الرحمن بن مَهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: لولا أَنِّي أَكْرَهُ أن يُعصى الله، لتمنَّيتُ ألا يبقى أحدٌ في المِصْرِ إلاَّ اغْتابني! أيُّ شيءٍ أهنأُ من حَسنةٍ يجدُها الرجلُ في صحيفَتِه لم يَعْمَلْ بها؟!. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٧.

* وقال **محمد بن الفضل البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٩): ما خطوت منذ أربعين

سنة خطوة لغير الله عَزَّوَجَلَّ.(١) جامع العلوم والحكم / ١٠٠-١٠١.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): من عمل شيئًا من أنواع الخير بلا نية، أجزأته النية الأولى، حين اختار الإسلام على الأديان كلها؛ لأن هذا العمل من سنن الإسلام، ومن شعائر الإسلام. تهذيب الحِلْية ٣/١٩٣.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهؤلاء القوم لما صلحت قلوبهم، فلم يبق فيها إرادة لغير الله، صلحت جوارحهم فلم تتحرك إلا لله عَزَّوَجَلَّ وبما فيه مرضاته، والله أعلم. جامع العلوم والحكم / ١٠٠-١٠١.

رفعة الله للمؤمنين والصالحين

* قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): كان أبو بكر سيدنا وأعتق **بلالًا** (ت: ٢٠) سيدنا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. صحيح البخاري: (٣٧٥٤).

* وعن الحسن قال: حضر بابَ **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سهيل بن عمرو، والحارثُ وبلال، وتلك الموالي الذين شهدوا بدرًا، فخرج آذِن عمر فأذن لهم، وترك هؤلاء. فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قطّ، يأذَنُ لهؤلاء العبيد، ونحن على بابه لا يلتفت إلينا؟ فقال سهيل بن عمرو، وكان رجلًا عاقلًا: أيها القوم إني والله لقد أرى الذي في وجوهكم، إن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودُعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دُعوا يوم القيامة وتركتم؟ أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل مما لا تروْن أشدُّ عليكم فوتًا من بابكم هذا الذي كنتم تنافسونهم عليه، قال: ونفض ثوبه وانطلق.

قال **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): وصدق والله سهيل، لا يجعل الله عبدًا أسرع إليه كعبدٍ أبطأ عنه. صفة الصفوة ١/ ٣٥٩.

* وحجّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافةَ، فاجتهد أن يستلم الحجَر فلم يمكنه قال: وجاء **علي بن الحسين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥)، فوقف له الناس، وتنحَّوْا حتى استلم، فقال الناس لهشام: مَن هذا؟ قال: لا أعرفه.

فقال الفرزدق: لكني أعرِفه، هذا علي بن الحسين.

هـذا ابـنُ خَيـر عبـادِ الله كلِّهـم ... هـذا التقـيُّ النقـيُّ الطاهـرُ العلَـمُ
هـذا الـذي تعـرفُ البطحـاءُ وطأتَـه ... والبيـتُ يعرِفـه والحِـلُّ والحَـرَمُ
يـكاد يُمسـكه عرفـانَ راحتِـه ... رُكْـنُ الحطيـم إذا مـا جـاء يَسـتلمُ
إذا رأتـه قريـشٌ قـال قائلهـا ... إلـى مـكارم هـذا ينتهـي الكـرَمُ
إن عُـدَّ أهـل التُّقـى كانـوا أئمتَهـم ... أو قيل من خير أهل الأرض؟ قيل: همُ
هـذا ابـنُ فاطمـةٍ إن كنـت جاهلَـه ... بجـدّه أنبيـاء اللهِ قـد خُتِمـوا
وليـس قولُـك: مَـن هـذا؟ بضائـره ... العُرْبُ تَعرف من أنكرت والعجَمُ
يُغضـي حيـاءً ويُغضـى مِـن مَهابتـه ... ولا يُكلَّـم إلاّ حيـنَ يَبتسـمُ

تهذيب السِّيَر ٢/ ٤٥٠.

* وقدم هارون الرشيد الرّقة فانْجَفَل الناس خلف **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١) وتقطَّعت النِّعال وارْتَفَعَتْ الغبرة، وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برجٍ من قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدِم الرّقة يقال له: عبد الله بن المبارك.

فقالت: هذا والله الملْك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَطٍ وأعوان. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٦.

* ودخل **سالم بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) على سُليمان بن عبد الملك، وعلى سالم ثيابٌ غليظة رثَّة فلم يزل سليمان يُرحِّب به، ويرفعُه حتى أقعده معه على سريره، وعمر بن عبد العزيز في المجلس، فقال له رجل من أُخريات الناس: ما استطاع خالُكَ أن يلبَسَ ثيابًا فاخرةً أحسنَ مِن هذه، يدخل فيها على أمير المؤمنين؟ قال: وعلى المتكلم ثيابٌ سَرِيَّةٌ، لها قيمة، فقال له عُمر: ما رأيتُ هذه الثيابَ التي على خالي وضَعَتهُ في مكانك، ولا رأيتُ ثيابَك هذه رفعتك إلى مكان خالي ذاك. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٣٢.

كرامات العلماء والصالحين وحفظ الله لهم

* عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط عينا سرية، وأمر عليها **عاصم بن ثابت** الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٤) فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدْأة[(١)]؛ بين عسفان ومكة؛ ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مئة رجل رام، فاقتصوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه، لجؤوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم، فقالوا: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدا.

فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم، أما أنا، فلا أنزل على ذمة كافر: اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب، وزيد بن الدثنة ورجل آخر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم، فربطوهم بها، قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة، يريد القتلى، فجروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب، وزيد بن الدثنة، حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر؛ فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف خبيبا، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته، فدرج بُنيّ لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة

(١) الهدأة: موضع.

عرفها خبيب. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، قالت: والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب، فوالله لقد وجدته يوما يأكل قِطفا من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبا.

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم **خبيب** (ت: ٤): دعوني أصلي ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا.

وقال:

فلست أبالي حين أقتل مسلما … على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ … يبارك على أوصال شِلْو ممزع

وكان خبيب هو سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة.

وبعث ناسٌ من قريش إلى عاصم بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حدثوا أنه قتل أن يؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قتل رجلا من عظمائهم، فبعث الله لعاصم مثل الظُلّة من الدّبَر(١) فحمته من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئا. صحيح البخاري (٣٩٨٩).

* وعن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهى ما يضره منعه وقال لا تقربه، فإنك إن أتيته أهلكك، فلا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة مما قد فضل به غيره من العيش، فيمنعه الله عَزَّوَجَلَّ إياه، ويحجزه حتى يتوفاه، فيدخله الجنة. صفة الصفوة ١/ ٢٥٨.

* وقال **حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): إن الله تعالى ليحمي المؤمن من الدنيا،

---

(١) الظلة: السحاب، والدبر: النحل.

كما يحمي أهل المريض مريضهم الطعام. تهذيب الحِلْية ٢٠٦/١.

* وقال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسِّر له، فينظر الله إليه فيقول للملائكة: اصرفوه عنه، فإني إن يسّرته له أدخلته النار فيصرفه الله عنه، فيظلُ يتطير، يقول: سبقني فلان، دهاني فلان، وما هو إلا فضل الله عز جل. الجامع المنتخب/ ١٤٠.

* وقَالَ **عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢): قَدْ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ، حَتَّى اكْتَوَيْتُ، فَتُرِكْتُ، ثُمَّ تَرَكْتُ الْكَيَّ فَعَادَ».[1] صحيح مسلم (١٢٢٦).

* وأرسل الأسود بن قيس العنسي إلى **أبي مسلم الخولاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢) فقال له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فتشهد أني رسول الله قال: ما أسمع، قال: فأمر بنار عظيمة فأججت، فطرح فيها أبو مسلم فلم تضره، فقال له أهل مملكته: إن تركت هذا في بلادك أفسدها عليك. فأمره بالرحيل، فقدم المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر، فقام إلى سارية من سواري المسجد يصلي، فبصر به عمر ابن الخطاب فقال: من أين الرجل؟ فال: من اليمن، قال: فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار فلم تضره؟ فقال: ذاك عبدالله بن ثوب.

قال: نشدتك بالله أنك هو؟ قال: اللهم نعم، فقبَّل ما بين عينيه، ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر، وقال: الحمد الله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد ﷺ مَنْ فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ. المنتظم ٣٣١/٥.

---

(١) كانت بعمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بواسير، فكان صابرًا مُحتسبًا، وكانت الملائكة تسلم عليه إكرامًا له واحترامًا، فاكتوى، فانقطع سلامهم عليه، ثم ترك الكيّ فعاد سلامُهم عليه.

* وعن **محمد بن كعب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) قال: من قرأ القرآن مُتّع بعقله، وإن بلَغ مائتي سنة. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٣.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): مَن أحسن عِبادَةَ الله في شبيبته لقّاه الله الحكمة في سِنِّه، وذلك قولُه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص:١٤]. عيون الأخبار ٥٢٠ / ٢.

* وعن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: إن الله ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته، والدويرات التي حوله ما دام فيهم. الزهد لابن المبارك (٣١٤)، صفة الصفوة ٣/ ٤٨٠.

* وعن **صلة بن أشيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٠) قال: كنت أسير على دابة بهذه الأهواز إذ جعت جوعًا شديدًا فلم أجد أحدًا يبيعني طعامًا، وجعلت أتحرج أن أصيب من أحد من الطريق شيئًا، قال: فبينا أنا أسير أدعو ربي عَزَّوَجَلَّ وأستطعمه إذ سمعت وجْبة[1] خلفي، فالتفت فإذا أنا بمنديل أبيض، فنزلت عن دابتي فأخذت الثوب فإذا فيه دَوْخَلة[2] من رطب في زمان ليس في الأرض رطبة، فأكلت منه، فلم آكل رطبا قط أطيب منه، وشربت من الماء. الزهد لأحمد: ٣٦٨، الزهد لابن المبارك (٨١٤).

* وعن **خيثمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) قال: طوبى للمؤمن كيف يحفظ في ذريته من بعده. تهذيب الحِلْية ٦٤/ ٢.

* وعن **عُبيد الله بن أبي جعفرٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) قال: غزونا القُسْطَنْطِينِيَّة فكُسِر بنا مركبُنا، فألقانا الموجُ على خشبةٍ في البحر، وكنا خمسةً أو سِتة فأنبت الله

(١) أي: وقعة.

(٢) أي ثوب رقيق.

لنا بعَدَدِنا ورقة لِكل رجل منا، فكنا نمصُّها فتُشبِعنا وتَروينا، فإذا أمسينا، أنبت الله لنا مكانها. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٢٥.

* وجمعتِ الرِّحلةُ بين **ابنِ جرير** (ت: ٣١٦)، **وابن خُزَيْمة** (ت: ٣١١)، **ومحمد بن نصر المَرْوزي** (ت: ٢٩٤)، **ومحمدِ بن هارون الرُّوياني** (ت: ٣٠٧) رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بمصر، فأرملوا ولم يبْقَ عندهم ما يقوتُهم، وأضَرَّ بهم الجوع فاجتمعوا ليلةً في منزلٍ كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيُهم على أن يستهموا ويضربوا القُرعة، فمن خرجت عليه القُرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال لأصحابه أمهلوني حتى أصلِّيَ صلاة الخِيرَة، فاندفع في الصَّلاة، فإذا هم بالشُّموع وخصيٍّ من قبل والي مصر يدقُّ الباب، ففتحوا، فقال: أيُّكم محمدُ ابنُ نصر؟ فقيل: هو ذا، فأخرج صرَّة فيها خمسون دينارًا، فَدَفعها إليه، ثم قال: وأيُّكم محمد بنُ جرير؟ فأعطاه خمسين دينارًا، وكذلك للرُّوياني، وابنُ خزيمة، ثم قال: إن الأميرَ كان قائلًا [1] بالأمس، فرأى في المنام أنَّ المحامد جياع قد طَوَوْا كشحهم، فأنفذَ إليكم هذه الصُّرَرَ، وأقسمَ عليكم: إذا نفدَت فابعثوا إليَّ أحدَكَم. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٥٠.

* وعن **محمد بن نصر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: خرجت من مصر، ومعي جارية لي فركبت البحر أريد مكة فغرقت وذهبت مني ألفا جزء، وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي، قال: فما رأينا فيها أحدًا، قال: وأخذني العطش فلم أقدر على الماء وأجهدت فوضعت رأسي على فخذ جاريتي مستسلمًا للموت، فإذا رجل قد جاءني ومعه كوز، فقال لي: هاه، فأخذت وشربت وسقيت الجارية ثم مضى، فما أدري من أين جاء ولا أين ذهب. المنتظم ١٣/ ٥٥.

---

(١) قال في الحاشية: أي: نائمًا في القائلة، وهي نصف النهار.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أبو نصر المروزي إمامًا في القراءات، وله فيها المصنفات، وسافر في ذلك كثيرا، واتفق له أنه غرق في البحر في بعض أسفاره، فبينما الموج يرفعه ويضعه إذ نظر إلى الشمس قد زالت فنوى الوضوء، وانغمس في الماء ثم صعد فإذا خشبة فركبها وصلى عليها ورزقه الله السلامة ببركة الصلاة، وعاش بعد ذلك دهرا. البداية والنهاية ١٢/ ٢١٣.

* وكان **أبو الطيب الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٠) قد جاوز المائة سنة وهو ممتَّع بعقله وقوته، فوثب يومًا من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة، فعوتب على ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر. الجامع المنتخب/ ١٣١.

* وعن أبي علي الروذباري قال: كان سبب دخولي مصر، حكاية **بنان بن محمد البغدادي الزاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٦)، وذلك أنه أَمر ابن طولون بالمعروف، فأمر أن يُلقى بين يدي السبع، فجعل السبع يشمه ولا يضره، فلما أُخرج من بين يدي السبع قيل له: ما الذي كان في قلبك حين شمك السبع؟ قال: كنت أتفكر في اختلاف الناس في سؤر السباع ولعابها.(١) تهذيب الحِلْية ٣/ ٤١٨.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: استدعى **علي بن محمد بن الفرات** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٢) يومًا ببعض الكتاب، فقال له: ويحك! إن نيتي فيك سيئة، وإني في كل وقت أريد أن أقبض عليك، وأصادرك مالك، فأراك في المنام تمنعني برغيف، وقد رأيتك في المنام من ليالٍ، وإني أريد القبض عليك، فجعلت تمتنع مني، فأمرت

(١) الذي في السير: أن بنانًا الحمّال قام إلى وزير خمارويه -صاحب مصر- وكان نَصرَانِيًّا، فأنزله عن مركوبه وقال: لا تركب الخيلَ، كما هو مأخوذ عليكم في الذِّمَّة، فأمر خمارويه بأن يُؤخذ ويُوضع بين يدي سَبُع، فطُرِح، فبقي ليلةً، ثم جاؤوا والسَّبُعُ يلحَسُه وهو مستقبل القِبْلَة، فأطلقَهُ خُمارويه واعتذر إليه. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٦٩.

جندي أن يقاتلوك، فجعلوا كلما ضربوك بشيء من سهام وغيرها تتقي الضرب برغيف في يدك فلا يصل إليك شيء، فأعلمني ما قصة هذا الرغيف.

فقال: أيها الوزير إن أمي منذ كنت صغيرا، كل ليلة تضع تحت وسادتي رغيفا، فإذا أصبحت تصدقت به عني، فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت فلما ماتت، فعلت أنا ذلك مع نفسي فكل ليلة أضع تحت وسادتي رغيفا، ثم أصبح أتصدق به، فعجب الوزير من ذلك، وقال: والله لا ينالك مني بعد اليوم سوءً أبدا، ولقد حسنت نيتي فيك وقد أحببتك. البداية والنهاية ١١/ ٢٢٤.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بلغني عن قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي أنه حكى أن الحريقَ وقع في دارهم، فأحرق ما فيها إلا كتابًا كان فيه شيء بخطِّ **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) قال: ولما وقع الغرق ببغداد في سنة ٥٥٤، وغرقت كتبي، سَلِم لي مجلدٌ فيه ورقتان بخطِّ الإمام.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): وكذا استفاض وثبت أن الغرق الكائن بعد العشرين وسبع مئة ببغداد عامَ(١) على مقابرِ مقبرةِ أحمد، وأن الماء دخل في الدهليز عُلُوَّ ذِراع، ووقف بقُدرة الله، وبقيت الحصرُ حول قبر الإمام بغُبارها، وكان ذلك آية. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٣١.

* وقَالَ أحمد بْن أبي عبيد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت فِي الدار يوم المحنة، وأنا أنظر إلى **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ والسوط قد أخذ كتفيه، وعليه سراويل فيه خيط، فانقطع الخيط، ونزل السراويل، فلحظته وقد حرك شفتيه، فعاد السراويل كما كان، فقمت إليه وسألته عَنْ ذلك، فقال لي: لما انقطع الخيط قلت: اللهم إلهي وسيدي أوقَفْتَني هذا الموقف فلا تهتكني عَلَى رؤوس الخلائق، فعاد السراويل كما كان. طبقات الحنابلة (١/ ٢١٦).

---

(١) أي: طفَا.

* وحكى ابن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن رجلًا جاء إلى **سهل التستري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣) فقال له: بلغني أنك تمشي على الماء، فادعُ الله لي، قال: لا أدعو لك حتى تذهب إلى فلانٍ الملاح، فتسأله عن خبري يوم كذا.

فمضى وسأله، قال: إنه صعد هنالك فتوضأ للصلاة على النهر، فزهِق فغرق، واضطرب بثيابه، فتراميت عليه، فأخرجته، وقد كاد يهلك.

فرجع الرجل إلى سهلٍ فأخبره، فقال له سهل: أما بعدَ هذا فأدعو لك، فدعا له.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا من سهلٍ فضلٌ كثير، وتواضع، واعتراف.[1] ترتيب المدارك (٤/ ١٩).

* ومن العجائب أن **عبد الرحيم بن أبي القاسم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٤) اعتُقل لسانه في آخر عمره عن الكلام إلّا عن الذّكر، فكان يتكلم بآي القرآن. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٩٩).

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): قَفَلْت في صحبة أمير المؤمنين المقتفي من الكوفة بعد وداع الحاج، فشاهدنا في الطريق برَدا كبارا قد وقع أمامنا- وكان الجماعة يأكلون منه- فلم أستطبه على الريق، فلما نزلنا الخيام وأمسينا وحضر العشاء وأكلنا الطعام ذكرت ذلك البرَد ووددت أن لو كان الآن منه شيء، وأظن أني دعوت الله عَزَّوَجَلَّ أن يأتينا منه شيء، فما كان إلا لحظة والسحاب همى[2]، وإذا البرَد فيه كثير، وشرع الغلمان وجمعوا منه شيئا كثيرا، وجاءوا به، فأكلت منه حتى تركته، وحمدت الله عَزَّوَجَلَّ على إجابة الدعاء، وإعطائه لما خطر في النفس. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٨).

---

(١) وهكذا ينبغي أن يحرص المسلم على دفع ما يُشاع عنه من كرامات، واجتهادات في الطاعات، حتى لا يُصاب بالغرور والفتنة.

(٢) همى السحاب يهمى: سال.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت جالسا في سطح أصلي على النبي ﷺ، وعيناي مغمضتان، فرأيت كاتبا يكتب في قرطاس أبيض بمداد أسود ما أذكره، وكلما قلت: اللهم صل على محمد: كتبَ الكاتب: اللهم صل على محمد.

فقلت لنفسي: افتح عينك وانظر بها، ففتحت عيني، فخطف عن يميني حتى نظرت بياض ثوبه. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٩).

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): قال لي تقي الدين المقصاتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: غِبت عن الشَّيْخ **موفّق الدّين الكواشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٨٠) سنةً ونصفًا، فَجئتُ ودققت الباب، وكان قد أضرّ، فجاء ليفتح فقَالَ: مَن ذا، أبو بكر؟ فاعتقدتُها له كرامةً. معرفة القراء (٣/ ١٣٦٢).

* وقال البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جرى بيني وَبَين بعض الْفُضَلَاء مُنَازعَة فِي عدَّة مسَائِل وَطَالَ كلامنا فِيهَا، وَجَعَلنَا نقطع الْكَلَام فِي كل مَسْأَلَة بِأَن نرْجِع إِلَى **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨)، وَمَا يرجحه من القَوْل فِيهَا.

ثمَّ إن الشَّيْخ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حضر، فَلَمَّا هممنا بسؤاله عَن ذَلِك سبقنَا هُوَ وَشرع يذكر لنا مَسْأَلَة مَسْأَلَة كَمَا كُنَّا فِيهِ، وَجعل يذكر غَالب مَا أوردناه فِي كل مسأله، وَيذكر أقوال الْعلمَاء، ثمَّ يرجح مِنْهَا مَا يرجحه الدَّلِيل، حَتَّى أَتَى على آخر مَا أردنَا أن نَسْأَلهُ عَنهُ، فَبَقيت أَنا وصاحبي وَمن حَضرنَا أَولا مبهوتين متعجبين مِمَّا كاشفنا بِهِ وأظهره الله عَلَيْهِ مِمَّا كَانَ فِي خواطرنا.

وَكنت فِي خلال الأيام الَّتِي صحبته فِيهَا إِذا بحَثَ مسألةً يحضر لي إِيرَاد، فَمَا يستتم خاطري بِهِ حَتَّى يشرع فيورده، وَيذكر الْجَواب من عدَّة وُجُوه.

وحَدثني الشَّيْخ الصَّالح المقرئ أَحْمد بن الحريمي أَنه سَافر إِلَى دمشق، قَالَ: فاتفق أَني لما قدمتها لم يكن معي شيء من النَّفَقَة الْبَتَّة، وأنا لَا أعرف أحدا من

أَهلهَا، فَجعلت أَمْشِي فِي زقاق مِنْهَا كالحائر، فَإِذا بشيخ قد أقبل نحوي مسرعا، فَسلم وهش فِي وَجْهي وَوضع فِي يَدي صرة فِيهَا دَرَاهِم صَالِحَة، وَقَالَ لي: أنفق هَذِه الْآن واخْل خاطرك مِمَّا أنت فِيهِ، فَإِن الله لَا يضيعك، ثمَّ رد على أَثَره كَأَنَّهُ مَا جَاءَ إِلَّا من أَجلي، فدعوت لَهُ وفرحت بذلك.

وَقلت لبَعض من رَأَيْته من النَّاس: من هَذَا الشَّيْخ؟.

فَقَالَ: وكأنك لَا تعرفه! هَذَا ابْن تَيْمِية، لي مُدَّة طَوِيلَة لم أره اجتاز بِهَذَا الدَّرْب.

وَكَانَ جلّ قصدي من سَفَرِي إِلَى دمشق لقاءه، فتحققت أَن الله أظهره عَليّ وعَلى حَالي، فَمَا احتجت بعْدهَا إِلَى أحد مُدَّة إقامتي بِدِمَشْق، بل فتح الله عَليّ من حَيْثُ لَا أحتسب.

وَمن أظهر كراماته أَنه مَا سُمع بِأحد عَادَاهُ أَوْ غض مِنْهُ إِلَّا وابتُلي بعدة بلايا غالبها فِي دينه، وَهَذَا ظَاهر مَشْهُور لَا يحْتَاج فِيهِ إِلَى شرح صفته. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٥٦-٦٣).

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد شاهدت من فراسة **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمورا عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سفرا ضخما.

أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام، وأن كلب الجيش وحدته في الأموال.

وهذا قبل أن يهمّ التتار بالحركة.

ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام:

أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين. وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا.

وسمعته يقول ذلك، قال: فلما أكثروا علي قلت: لا تكثروا، كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكرة، وأن النصر لجيوش الإسلام.

قال: وأطْمَعْت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو.

ولما طلب إلى الديار المصرية، وأريد قتله -بعدما أنضجت له القدور، وقلبت له الأمور- اجتمع أصحابه لوداعه، وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك، فقال: والله لا يصلون إلى ذلك أبدا، قالوا: أفتحبس؟ قال: نعم، ويطول حبسي، ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رءوس الناس، سمعته يقول ذلك.

ولما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك أخبروه بذلك، وقالوا: الآن بلغ مراده منك، فسجد لله شكرا وأطال، فقيل له: ما سبب هذه السجدة؟ فقال: هذا بداية ذلّه ومفارقة عزه من الآن، وقُرب زوال أمره، فقيل: متى هذا؟ فقال: لا تربط خيول الجند على القرط حتى تغلب دولته، فوقع الأمر مثل ما أخبر به، سمعت ذلك منه.

وقال مرة: يدخل علي أصحابي وغيرهم، فأرى في وجوههم وأعينهم أمورا لا أذكرها لهم.

فقلت له -أو غيري-: لو أخبرتهم؟ فقال: أتريدون أن أكون معرِّفًا كمعرّف الولاة؟.

وقلت له يوما: لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح.

فقال: لا تصبرون معي على ذلك جمعة، أو قال: شهرا.

وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه، ولم ينطق به لساني.

وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل، ولم يعين أوقاتها، وقد رأيت بعضها، وأنا أنتظر بقيتها.

وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته. مدارج السالكين (٢/ ٤٥٨-٤٥٩).

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٣): حدثني والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان الشيخ **سليمان بن عليّ بن مقبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠٤) مع أعماله القضائية قائما بفلاحة بستانهم في قريتهم، فدخل القرية ذات ليلة لصوصٌ ليسرقوا ما يجدونه، فرأوا إبل الشيخ التي يسقي عليها نخله وزرعه، فلما قربوا منها عموا عنها، وصاروا لا يبصرونها، فلما بعدوا عنها رأوها، ولما قربوا منها لم يروها، وهكذا حتى مضى هزيع من الليل، فلما يئسوا من سرقتها دخلوا مسجد القرية وناموا، حتى جاءت صلاة الصبح وصلّوا مع الناس ودخلوا البستان الذي فيه الإبل التي حاولوا سرقتها، فعلموا أنها إبل الشيخ سليمان وبستانه، فجاؤوا إليه وأخبروه بقصتهم، فقال: إني قد قرأت وردي على نفسي وأهلي ومالي، فتابوا على يديه. علماء نجد (٢/ ٣١٢).

الفرج بعد الشدة

* عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن **وليدة**(١) كانت سوداء لحي من العرب فأعتقوها، فكانت معهم، قالت: فخرجت صبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور، قالت: فوضعته أو وقع منها، فمرت به حُدَيَّاة(٢) وهو ملقى فحسبته لحما، فخطفته، قالت: فالتمسوه فلم يجدوه، قالت: فاتهموني به، قالت: فطفقوا يفتشون حتى فتشوا قبلها، قالت: والله إني لقائمة معهم إذ مرت الحدياة فألقته، قالت: فوقع بينهم، قالت: فقلت: هذا الذي اتهمتموني به زعمتم وأنا منه بريئة وهو ذا هو، قالت: فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت، فكانت تأتيني فتحدث عندي، قالت: فلا تجلس عندي مجلسا إلا قالت:

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني.

قالت عائشة: فقلت لها: ما شأنك لا تقعدين معي مقعدا إلا قلت هذا؟ قالت: فحدثتني بهذا الحديث.(٣) صحيح البخاري (٤٣٩).

(١) هي الفتاة الصغيرة.

(٢) طائر يقال له: الحدأة.

(٣) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري: **الوشاح**: قيل: أنه ضرب من الحلي، **وجمعه**: وشح، **ومنه**: توشح بالثوب واتشح به، **والظاهر**: أنه كان شيئا من لباس المرأة الذي تتوشح به، وفيه حلي وسيور حمر. والله أعلم.

والحدياة: الحدأة. والرواية المشهورة: حدياة بضم الحاء وتشديد الياء، وقيل: إن الصواب: حديأة بتخفيف الياء وبعدها همزة، وهو تصغير حدأة.

وفي الحديث: دليل على أن الله تعالى قد يفرج كربات المكروبين ويخرق لهم العوائد وإن كانوا =

* وحاصر **هارون الرشيد** (ت: ١٩٣) أمير المؤمنين حصنًا، فإذا سهم قد جاء ليس له نصل، حتى وقع بين يديه مكتوب عليه:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب.

فقال **هارون**: اكتبوا عليه ورُدُّوه:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب.

فافتتح الحصن بعد ذلك بيومين أو ثلاثة، فكان الرجل صاحب السهم ممن خُلِّص، وكان مأسورًا محبوسًا فيه سنتين. ابن أبي الدنيا ٢/ ١٣٣.

* وقال **بعضهم**:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ ... وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنَت الْمَكَارِهُ وَاطْمَأَنَّتْ ... وَأَرْسَتْ فِي أَماكِنِها الْخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا ... وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وإِنْ تَنَاهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ

ابن أبي الدنيا ٢/ ١٣٥.

* وقال **بعضهم**:

ألم تر أن ربك ليس تُحصى ... أياديه الحديثة والقديمة

= كفارا، كما روي أن جيشا من المسلمين حاصروا حصنا من الكفار، فعطش الكفار واشتد بهم العطش، فجأروا إلى الله يسألونه أن يسقيهم، فجاءت سحابة فمطرت على حصنهم حتى شربوا فارتحل عنهم المسلمون.

وقد ذكرها ابن أبي الدنيا بإسناده في (كتاب: مجابي الدعوة).

فإن كان الكافر مظلوما كهذه المرأة فهو أقرب إلى تفريج كربته وإجابة دعوته، فإن دعوة المظلوم قد تجاب من الكافر، كما ورد في أحاديث مرفوعة متعددة؛ فإن عدل الله يسمع المؤمن والكافر، والبر والفاجر.

وظاهر هذا الحديث: يدل على أن هذه المرأة إنما أسلمت بعد قصة الوشاح.

تسل عن الهموم فليس شيء يقيم وما همومك بالمقيمة
لعل الله ينظر بعد هذا إليك بنظرة منه رحيمة

ابن أبي الدنيا ٢/ ١٣٦.

* وأُتي زياد برجل فأمر به ليقتل، فلما أحس الرجل بالموت قال: ائذنوا لي أتوضأ وأصلي ركعتين فأموت على توبة، لعلي أنجو من عذاب الله، فقال زياد: دعوه فليتوضأ وليصل ما بدا له، فتوضأ وصلى كأحسن ما يكون، فلما قضى صلاته أُتي به ليُقتل، فقال له زياد: هل استقبلت التوبة؟ قال: إيْ والذي لا إله غيره، فخلّى سبيله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٤.

* وقَالَ بَعضُ الشُّعراء:

هُمُومُك بالْعَيْشِ مَقْرونَةٌ فَما تَقْطَعُ الْعَيشَ إلَّا بِهَمّ
إذا تَمَّ أمْرٌ بَدا نَقْصُهُ تَرقَّبْ زَوالًا إذا قِيلَ تَمّ

أدب الدين (٣٩١).

* وقَالَ أَبُو بكر النجاد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٤٨): ضقتُ وقتا من الزمان فمضيت إلى إبراهيم الحربي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٥) فذكرت لَهُ قصتي، فَقَالَ: اعلم أنني ضِقتُ يومًا حتى لم يَبق معي إلا قيراط[1]، فقالت الزوجة: فَتِّش كتبك وانظر ما لا تحتاج إِلَيْهِ فَبِعه، فلما صلّيتُ العشاء الآخرة جلست فِي الدهليز أكتب، إذ طرق الباب طارقٌ فقلت: من هَذَا؟ فَقَالَ: كلِّمني، ففتحت الباب فقال لي: أطفئ السراج، فطفيتها فدخل الدهليز فوضع فِيهِ كارة[2]، وَقَالَ لي: اعلم أننا أصلحنا للصبيان طعاما فأحببْنا أن يكون لك وللصبيان فِيهِ نصيب، وهذا أيضا شيء آخر فوضعه إلى جانب الكارة، وَقَالَ: تَصْرفه فِي حاجتك، وأنا لا أعرف الرجل، وتركني

(١) قال ابن الأثير: القيراط: جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عُشره في أكثر البلاد.
(٢) الكارة: مقدار كبير من الثياب أو من الأمتعة.

وانصرف، فدعوت الزوجة وقلت لها: أسرجي، فأسرجت، وجاءت، وَإِذا فِي الكارة منديل لَهُ قيمة، وفيه خمسون وَسَطًا، فِي كل وسط لون من الطعام، وإلى جانب الكارة كيس فِيهِ ألف دينار.

قَالَ النجاد: فقمتُ من عنده، فبينما أنا أمشي إذ لقيتني عجوز من جيراننا فقالت لي: يا أَحْمَد، فأجبتها، فقالت: ما لك مَغموم؟ فأخبرتها، فقالت لي: اعلم أن أمك أعطتني قبل موتها ثلاثمائة درهم، فقالت لي: أخبئي هذِهِ عندك، فَإِذا رأيتِ ابْني مضيقًا مغمومًا فأعطيه إياها، فتعالَ معي حتى أُعطيك إياها، فمضيتُ معها فدفَعَتها إليّ.[1] طبقات الحنابلة (٣/ ١٧-١٨).

* وذكر أَبُو علي بن شَوكة قَالَ: اجتمعنا جماعة من الفُقَهاء فدخلنا عَلَى **القاضي أَبي علي بن أَبِي موسى الهاشمي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٢٨)، فذكرنا لَهُ فقرنا

(١) جاء الفرج لهما بعدما يئسا من الخلق، واشتد الكرب، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج حينئذٍ قريبًا في الغالب.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠] وقال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤].

وأخبر عن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه لم ييأس من لقاء يوسف، وقال لإخوته: ﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ [يوسف: ٨٧] وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ [يوسف: ٨٣].

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج باشتداد الكرب: أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى: وُجِدَ الإياسُ من كشفه من جهة المخلوق ووقع التعلق بالخالق وحده، ومن انقطع عن التعلق بالخلائق وتعلَّق بالخالق استجاب الله له وكشف عنه؛ فإن التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين، كما قال الإمام أحمد، واستدل عليه بقول إبراهيم لما عَرض له جبريل في الهواء وقال: ألك حاجة؟ فَقَالَ: أما إليك فلا!.

والتوكل من أعظم الأسباب التي تُطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي مَن توكل عليه، كما قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣].

قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا لأعطاك مولاك كل ما تريد. [مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٧٣)].

وشِدَّة ضُرِّنا، فَقَالَ لنا: اصبروا فإن الله سيرزقكم ويوسع عليكم، وأحدثكم فِي مثل هَذَا بما تطيب به قلوبكم، أذكر سنةً من السنين وقد ضاق بي الأمر شيء عظيم، حتى بِعت رَحْلَ داري، ونفدَ جميعه، ونقضت الطبقة الوسطى من داري وبعتُ أخشابها، وتَقَوَّتُّ بثمنِها، وقعدتُ فِي البيت فلم أَخرج، وبقيت سنةً، فلما كَانَ بعد سنةٍ قالت لي المرأة: الباب يدُق، فقلتُ لها: افتحي الباب، فدخل رجل فسلَّم علي، فلما رأى حالي لم يجلس حتى أنشدني وهو قائم:

ليس من شدة تصيبك إلا ... سوف تمضي وسوف تُكشَف كشفا
لا يضقْ ذرعك الرحيب فإن النـ ... ـار يعلو لهيبها ثُمَّ تُطفا
قد رأينا من كان أشفى على الهلا ... ك فوافت نجاتُه حِينَ أشفى

ثُمَّ خرج عني ولم يقعد، فتفاءلتُ بقوله، فلم يخرج اليوم عني حتى جاءني رسول القادر بالله ومعه ثياب ودنانير وبَغلة بمركب، ثُمَّ قَالَ لي: أَجِب أمير المؤمنين، وسَلَّم إليَّ الدنانير والثياب والبَغلة، فغيَّرت عن حالي، ودخلتُ الحمّام وصِرتُ إلى القادر بالله، فرَدَّ إليَّ قضاء الكوفة وأعمالها، وأَثْرى حالي أو كما قَالَ. طبقات الحنابلة (٣/ ٣٣٩-٣٤٠).

* وأنشد **أبو العباس ثعلب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩١):

رُبَ ريحٍ لأناسٍ عَصَفَتْ ... ثمَ ما إنْ لبثت أن رَكَدتْ
وكذاك الدَّهرُ في أفعاله ... قَدمٌ زلَّتْ وأُخرى ثبتتْ

ذيل الطبقات (١/ ١٥٣).

* وقال الشاعر:

عواقب مَكْرُوه الْأُمُور خِيَار ... وَأَيَّام سوءٍ لَا تدوم قصارُ
وَلَيْسَ بباق بؤسها وَنَعِيمهَا ... إِذا كرّ ليل ثمَّ كرّ نَهَار

الفرج بعد الشدة للتنوخي (١/ ٢٩٤).

* وحبس بعض الملوك رجلا ثم غفل عنه إلى أنْ مضى عليه زمان، فقال للموكَّل به: قل له: إنّ كلّ يوم يمضي من نعيمك يمضي من بؤسي، والأمر قريب، والحَكَم اللهُ عَزَّوَجَلَّ. عيون الأخبار (٢/ ٤٠٥).

* وقال الشاعر:

كَمْ نِعْمَةٍ لا تَسْتقِلُّ بِشُكرها ... لِلَّهِ في طَيِّ الْمَكارِهِ كامِنهْ

* وَقَالَ الآخر:

إذا بُلِيتَ فَثِقْ بِاللهِ وارْضَ بهِ ... إنَّ الَّذِي يَكْشِفُ الْبلْوَى هُوَ اللهُ

إذا قَضَى اللهُ فاسْتَسْلِمْ لِقُدْرَتِهِ ... ما لِامْرِئٍ حِيلَةٌ فِيما قضَى اللهُ

الْيأْسُ يَقْطَعُ أحْيانًا بِصاحِبِهِ ... لا تَيْأسَنَّ فإنَّ الْفَارج اللهُ

* وَقَالَ الآخر:

وإذا الأمور تعذّرت ثم الْتوَتْ ... هبَطَ القضاء من السماء فحلّها

فاصبر لها ولعلّها أنْ تنْجلي ... وعسى الذي عقَد الأمور يَحُلُّها

أدب الدين (٤٨١-٤٨٢).

التخفي وكتمان الأعمال الصالحة(١)

....

(١) انقسم السلف الصالح في مسألة الشهرة من عدمها، وإظهار الأعمال الصالحة أو كتمانها إلى ثلاثة أقسام:

قسم يفضِّل الخمول وعدم الظهور أبدا، وأدّى ذلك ببعضهم إلى كتم العلم وعدم القيام بالدعوة إلى الله بحجة كراهة الشهرة.

وقسمٌ لا يرى الخمول وعدم الظهور أبدًا، وربما أدّى ذلك إلى تشتّت القلب وحبّه للثناء والمدح. وقد بالغ بعضهم في إظهار صالح أعماله، وربما أذاع ذلك عبر وسائل التواصل، ولا شك أنّ هذا يدعو إلى الرياء ويُفسد صفاء الإخلاص والصدق مع الله تعالى.

وقسمٌ يرى الخمول وعدم الظهور بلا تكلُّف، لكنه لا يفضل الشهرة والذكر ولا يكرهه، ويحرص على نفع الناس بالعلم والدعوة والنصيحة.

وهذا هو الصواب، وهو الوسط، وهو ما عليه أكثر أهل العلم.

فإذا كانت في إظهار العمال مصلحة: فالمشروع الإظهار، وإذا لم يكن مصلحة: فالمشروع الإخفاء.

وقد كان النبي ﷺ يعمل أعمالًا في السرّ، كقيام الليل، ولا يتكلّف إخفاءها، فقد كان يصلي معه بعض الصحابة أحيانًا.

وقد أثنى الله تعالى على من يُظهر العمل الصالح فقال: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [البقرة: ٢٧١] قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي فنعم شيء هي، وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية، فلا يتوهم مبديها بطلان أثره وثوابه فيمنعه ذلك من إخراجها، وينتظر بها الإخفاءَ فتفوت أو تعترضه الموانع ويحال بينه وبين قلبه، أو بينه وبين إخراجها، فلا يؤخّر صدقة العلانية بعد حضور وقتها إلى وقت السرّ، وهذه كانت حال الصحابة.

ثم قال: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، فأخبر أن إعطاءَها للفقير في خفية خير للمنفق من إظهارها وإعلانها. =

أ- الحرص على الخمول وعدم البروز والظهور[1]:

* عن بريدة بن الحصيب (ت: ٦٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شهدتُ خيبر، وكنتُ فيمن صعد الثُّلمة، فقاتلتُ حتى رُئي مكاني، وعليَّ ثوبٌ أحمر، فما أعلم أني ركبتُ في الإسلام ذنبًا أعظمَ عليَّ منه -أي الشهرة-.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨): بلى، جُهَّال زماننا يعدُّون اليومَ مثلَ هذا الفعل من أعظم الجهاد، وبكلِّ حالٍ فالأعمالُ بالنيّات، ولعل بريدةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بازدرائه على نفسه، يصيرُ له عملُه طاعةً وجهادًا! وكذلك يقعُ في العمل الصالح، رُبَّما افتخر به الغِرُّ ونوَّهَ به، فيتحولُ إلى ديوان الرياء قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣]. تهذيب السِّير ١/ ٢٩١.

* وكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ (ت: ١٨)؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،

= وتأمل تقييده تعالى الإخفاءَ بإيتاءِ الفقراءِ خاصة، ولم يقل: وإن تُخفوها فهو خير لكم، فإنَّ من الصدقة ما لا يمكن إخفاؤه؛ كتجهيز جيش، وبناءِ قنطرة، وإجراءِ نهر، أو غير ذلك. طريق الهجرتين / ٥٥٦.

(١) البروز والشهرة من أعمال الباطن لا الظاهر، ومن أعمال القلوب لا الجوارح.
فليس من البروز والشهرة نشر العلم والخير بنيّة خالصة؛ لأنه إبراز للعلم والخير لا للنفس، والمذموم: إبراز النفس وشهرتُها، فالحذر من مداخل الشيطان.
فقد يكون الرجل متّصفًا بصفة البروز والشهرة المذمومة إذا كان مُحبًّا لها، ولو لم يشتهر؛ لعدم تمكّنه من ذلك.
ومن علامات ذلك: أنه يُحب من يُثني عليه ولو بغير حق، ويكره من ينقده ولو بحق.
وقد يكون الرجل المشهور، الذي عرفه الخاص والعام: غيرَ متصفٍ بصفة البروز والشهرة المذمومة إذا لم يكن مُحبًّا لها لذاتها، بل لقصد نشر العلم والخير والنفع للناس.

يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ» فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.[(١)] صحيح مسلم: ٢٥٤٢.

* وعن خالد بن دريك قال: كانت في **ابن محيريز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) خصلتان ما كانتا في أحد ممن أدركت من هذه الأمة: كان أبعد الناس أن يسكت عن حق، بعد أن يتبين له حتى يتكلم فيه، غضب من غضب ورضي من رضي، وكان من أحرص الناس أن يكتم من نفسه أحسن ما عنده.[(٢)] تهذيب الحِلْية ١٧٠/٢.

(١) قال العلماء: أَيْ ضِعَافِهِمْ وَأَخْلَاطِهِمُ الَّذِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، وَهَذَا مِنْ إِيثَارِ الْخُمُولِ وَكَتْمِ حَالِهِ.
الذي جعل أويسًا بهذه المنزلة الرفيعة، والمكانة العظيمة، التي جعلتِ النبيَّ ﷺ يُوصي عمرَ الفاروق: ما تحلَّى به مِن أخلاقٍ وخِصالٍ عظيمة، ومن أهمّها: صلاحُ سريرته، وبُعده عن الشهرة والبروز، ورغبته أن يكون مع ضعفاء الناس وأوساطهم.
ففي صحيح مسلم، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ.
قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ يَحْتَقِرهُ وَيَسْتَهْزِئ بِهِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يُخْفِي حَاله، وَيَكْتُم السِّرّ الَّذِي بَيْنه وَبَيْن الله عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَظْهَر مِنْهُ شَيْءٌ يَدُلّ لِذَلِكَ، وَهَذِهِ طَرِيق الْعَارِفِينَ، وَخَوَاصّ الْأَوْلِيَاء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. ا.هـ
فأويسٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكن من خير الناس لأنه أعلمُهم أو أعبدُهم، فهناك من هو أعلم منه بكثير، بل لحرصِه على صلاح قلبه، وعدم انتقامه لمن يُؤذيه، وبعده عن حظوظ نفسه.
(٢) قال العلامة القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَيْسَ مِنَ الرِّيَاءِ قَصْدُ اشْتِهَارِ النَّفْسِ بِالْعِلْمِ لِطَلَبِ الِاقْتِدَاءِ، بَلْ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ؛ فَإِنَّهُ سَعْيٌ فِي تَكْثِيرِ الطَّاعَاتِ، وَتَقْلِيلِ الْمُخَالَفَاتِ، وَكَذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء:٨٤] قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ: يَقْتَدِي بِي مَنْ بَعْدِي». الذخيرة: ١/ ٤٩
قلت: مع ضرورةِ مُجاهدةِ النفسِ في التجرد من حظوظها وأهوائها، فإن الشيطان يغزوها من كلّ جانب.

* وكان **بشر بن منصور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٠) يصلي يومًا فأطال الصلاة، ورأى رجلًا ينظر إليه ففطن له بشر، فقال للرجل: لا يعجبك ما رأيت مني، فإن إبليس قد عبد الله مع الملائكة كذا وكذا. تهذيب الحِلْية ٣٣١/ ٢.

* وذُكر **لمسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) قلّة التفاته في الصلاة، فقال: وما يدريكم أين قلبي؟. صفة الصفوة ٣/ ١٦٩.

* وعن الأعمش قال: كان **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) يتوقى الشهرة، فكان لا يجلس إلى الأسطوانة، وكان إذا سئل عن مسألة لم يزد عن جواب مسألته، فأقول له في الشيء يسأل عنه، أليس فيه كذا وكذا؟ فيقول: إنه لم يسألني عن هذا. تهذيب الحِلْية ٨٩/ ٢.

* وقال **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنْ كانوا ليكْرَهون إذا اجتمعوا أن يُخرج الرجل أحسن ما عنده.[1] الزهد لابن المبارك (١٣٣).

* ودخل عليه رجلٌ وهو يقرأ في المصحف فغطّاه، وقال: لا يرى هذا أني أقرأ فيه كلّ ساعة. الزهد لوكيع (٣١٧).

* وقيل **لعلقمة بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢): ألا تغشى هذا المسجد فتجلس وتفتي الناس؟.

فقال: تريدون أن يطأ الناس عقبي ويقولون: هذا علقمة بن قيس؟![2] الزهد لابن المبارك (١٠٨٣).

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): ذُكرت وما أحب أن أُذكر. صفة

---

(١) وهذا من أشق ما يكون على النفس، ولكنه يسيرٌ على من كان صادقًا مع الله تعالى، مُعتنيًا بصلاح قلبِه، مُتخلِّصًا من حظوظ نفسِه.

(٢) السلف الصالح كانوا يهربون من الشهرة ولو بالخير، ومن التصدّر إلا عند الاضطرار والحاجة، وبعض الناس يسعى سعيا حثيثا للتصدر.

الصفوة ٣/ ٢١٠.

* وعن **إبراهيم بن أدهم** (ت: ١٧٠) **وأيوب السختياني** رَحِمَهُمَاٱللَّهُ قالا: ما صدق اللهَ عبدٌ أحبَّ الشُّهرة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٠٨، ٢/ ٦٢٥.

قال **الذهبي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): علامةُ المخلص الذي قد يحبُّ شهرةً، ولا يشعُرُ بها، أنه إذا عُوتِبَ في ذلك، لا يحرَدُ ولا يُبرِّئ نفسه، بل يعترِفُ، ويقول: رَحِمَ اللهُ مَنْ أهدى إليَّ عيوبي، ولا يكن معجبًا بنفسه، لا يشعرُ بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داءٌ مُزمِن. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٠٨.

* وقال **سفيان الثوري** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٦١): أحب أن أعرف الناس ولا يعرفوني. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٢٩.

* وقال الحسن: كنت مع **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٨٤) يومًا فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزَحَموه ودفعوه فلما خرج قال لي: ما العيش إلاّ هكذا - يعني: حيث لم نُعْرَف ولم نُوقَّر- . صفة الصفوة ٤/ ٣٧٢.

* وقال عبدة بن سليمان المروزي: كنا سريَّةً مع **ابن المبارك** رَحِمَهُٱللَّهُ في بلاد الروم، فصادفنا العدوّ، فلما التقى الصفَّان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البِراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعةً فطعنَه فقتله فازدحم إليه الناسُ، فنظرتُ فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتُم وجهه بكُمِّه، فأخذت بطرف كمه فمددتُه، فإذا هو هو، فقال: وأنتَ يا أبا عمرو ممن يُشَنِّع علينا! تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٧.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٨٧): من أحبَّ أن يُذكَرَ لم يذكر، ومن كره أن يُذكر ذُكِرَ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٧.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن قدرت أن لا تُعرف فافعل، وما عليك إن لم يُثْن عليك، وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت عند الله محمودًا؟ تهذيب الحِلْية ٧/ ٣.

* وعن **سُحنون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠) قال: كان بعضُ من مضى يُريد أن يتكلَّم بالكلمة ولو تكلَّم بها لا انتفع بها خلقٌ كثير، فيحبسها، ولا يتكلَّم بها مخافةَ المباهاة. تهذيب السِّيَر ٣/ ٩٨٣.

* وكان **أبو العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام فتركهم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٩.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): لا أعلم رجلًا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح. تهذيب الحِلْية ٣/ ٩٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس. تهذيب الحِلْية ٣/ ٩٤.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن كان الرجل ليكون فقيهًا جالسًا مع القوم فيرى بعض القوم أن به عِيًّا وما به من عيٍّ إلا كراهية أن يشتهر. الزهد لأحمد: ٤٤٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يَشْعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فَقُه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزُّوَّر وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواما ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سرٍّ فيكون علانية أبدا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم عَزَّوَجَلَّ، وذلك أنّ الله تعالى عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾

[الأعراف:٥٥]، وذلك أن الله تعالى ذكر عبدا صالحا فرضي قوله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم:٣]. تفسير الطبري (١٢/ ٤٨٥).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): لوددت أن الخلق يتعلمون مني ولا يُنْسَب إليّ منه شيء. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

* وعن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) قال: أدنى نفع السكوت السلامةُ، وكفى به عافية.

وأدنى ضرر المنطق الشهرةُ، وكفى بها بليَّة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٨٧.

* وعن **حسان بن عطية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: صلاة الرجل عند أهله من عمل السرّ.[1] تهذيب الحِلْية ٢٦٦/ ٢.

* وقال ابن الْمَبْرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُخبرت عن القاضي علاء الدين بن اللحام أنه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر لنا مرة الشيخ -يعني **الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥)- مسألة فأطنب فيها، فعجبتُ من ذلك، ومِن إتقانه لها، فوقعت بعد ذلك بمحضرٍ من أرباب المذاهب وغيرهم، فلم يتكلَّم فيها الكلمة الواحدة، فلما قام قلت له: أليس قد تكلمت فيها بذلك الكلام؟.

قال: إنما أتكلم بما أرجو ثوابه، وقد خفت من الكلام في هذا المجلس. الجوهر المنضد: ٥٢.

ب- كتمان الأعمال الصالحة:

* قال **الزبير بن العوام** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): من استطاع أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل. الزهد لأبي داود (١٢٢).

---

(١) وكذلك صومه وجميع طاعاته؛ لأن أهل بيته يقتدون به، فإذا أظهر أعماله لهم اقتدوا به وتأثروا به.

* وبكى **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) في صلاته، فلما فرغ التفت فإذا رجل خلفه، فقال: لا تُعلمن هذا أحدًا. المنتظم ١٠٦/ ٥.

* وقال **عبدالله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إذا كان يومُ صوم أحدكم فليصبح دهينًا مترجّلا.[١] الزهد لأحمد: ٢٩٢، صحيح البخاري موقوفا.

* وعَنْ **أَبِي مُوسَى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قالَ: خرجنا مع النبي ﷺ في غزوةٍ ونحن ستةُ نفر، بيننا بعير نعتقبه[٢]، فنَقِبت[٣] أقدامنا، ونقِبت قدماي، وسقطتْ أظفاري، وكنا نلفُّ على أرجلنا الخِرق، فسُمّيت غزوة ذات الرقاع؛ لما كنا نعصب[٤] من الخرق على أرجلنا.

* وأتى **أبو أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو ربه، فقال أبو أمامة: أنت أنت، لو كان هذا في بيتك. الزهد لابن المبارك (١٥٠).

* وكان **عمرو بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٦) إذا حضرته الرِّقّة يحول وجهه إلى الحائط، ويقول لجلسائه: ما هذا الزكام. صفة الصفوة ٣/ ٨٧.

* وكان **أيوب السختياني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) يقوم الليل يُخفي ذلك، فإذا كان قبيل الصبح رفع صوته، كأنه إنما قام تلك الساعة. صفة الصفوة ٣/ ٢١٠.

* وكان رَحِمَهُ اللَّهُ ربما حُدِّث بالحديث فيرِقّ، فيلتفت فيمتخط ويقول: ما أشد الزكام. صفة الصفوة ٣/ ٢١١.

* وكان في قميصه رَحِمَهُ اللَّهُ بعضُ التذييل، فقيل له، فقال: الشهرةُ اليوم في التَّشمير. تهذيب السِّيَر ٢/ ٢٦٢.

---

(١) لئلا يرى الناس أنه صائم.

(٢) أي: نركبه بالتناوب.

(٣) أي: تشققت.

(٤) أي: نلف ونشدّ.

* وكان **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) إذا رقَّ فخاف أن يظهر ذلك منه قام، وربما أخذ في حديث آخر. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٠١.

* وكان **حسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١) يحضر مسجد مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإذا تكلم مالك بكى حسان حتى يبل ما بين يديه، لا يُسمع له صوت. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٠٢.

* وقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): لقد أدركت رجالًا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالًا يقوم أحدهم في الصف، فتسيل دموعه على خده، ولا يشعر به الذي إلى جانبه. تهذيب الحِلْية ١/ ٤١٢.

* وكان عمل **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٩٠) كله سرًّا، كان يجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه. المنتظم ٨-٩/ ٦.

* وكان **أبو وائل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) إذا صلى في بيته ينشج نشيجًا، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله. تهذيب الحِلْية ٥٩/ ٢.

* وعن الأَعمش قال: كنت عند **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦)، وهو يقرأ في المصحف، واستأذن عليه رجل، فغطّى المصحف، وقال: لا يرى هذا أنني أقرأ فيه كلّ ساعة. صفة الصفوة ٣/ ٥٩.

* وكان **عبد الرحمن بن أبي ليلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٣) يصلي، فإذا دخل الداخل نام على فراشه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٩٤.

* وعن **أبي حازم** (ت: ١٤٠) **وبشر بن الحارث** (ت: ٢٢٧) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ قالا: اكتُم حسناتِك، كما تكتم سيئاتِك.[1] تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٣٧، ٢/ ٨٨٦.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إظهار الحال للناس عند الصادقين: حمق وعجز، وهو من حظوظ النفس والشيطان، وأهل الصدق والعزم لها أستر وأكتم من أرباب الكنوز من الأموال لأموالهم. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٢٩٠. =

* وكان **منصور بن المعتمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢) إذا صلى الغداة أظهر النشاط لأصحابه فيحدثهم ويكثر إليهم، ولعله إنما بات قائمًا على أطرافه كل ذلك ليخفي عليهم العمل. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧٢.

* وعن **عبد الله بن داوود الخُريبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣) قال: كانوا يستَحبُّون أن يكون للرجل خبيئةٌ من عملٍ صالحٍ لا تَعلَم به زوجته ولا غيرُها. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٢٧.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام. الزهد لأحمد: ٤٤٨.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا ابن آدم إن لك قولًا وعملًا، وسرًا وعلاني، وعملك أولى بك من قولك، وسرك أولى بك من علانيتك. الزهد لأحمد: ٤٧٦.

* وعن الربيع بن صبيح قال: كنا عند **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوعظ فانتحب رجل فقال الحسن: أما والله ليسألنك الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة: ما أردت بهذا؟ الزهد لأحمد: ٤٥٩.

* وبكى رجلٌ إلى جنب **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: قد كان أحدهم يبكي إلى جنب صاحبه فما يعلم به. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٩.

* وقال ابن نافع: كان في آل الزبير رجلٌ يشتم **عبدالله بن مصعب بن ثابت** رَحِمَهُ ٱللَّهُ

= وقد فصّل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة فقال: كَمْ مِن صَاحِبِ قَلْبٍ وَجَمْعِيَّةٍ وَحَالٍ مَعَ اللهِ تَعَالَى قَد تَحَدَّثَ بِهَا وَأَخْبَرَ بِهَا فَسَلَبَهُ إِيَّاهَا الْأَغْيَارُ؛ وَلِهَذَا يُوصِي الْعَارِفُونَ وَالشُّيُوخُ بِحِفْظِ السِّرِّ مَعَ اللهِ تَعَالَى، وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَالْقَوْمُ أَعْظَمُ شَيْئًا كِتْمَانًا لِأَحْوَالِهِمْ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَا وَهَبَ اللهُ لهم مِن مَحَبَّتِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ وَجَمْعِيَّةِ الْقَلْبِ عليه، وَلَا سِيَّمَا لِلْمُهْتَدِي والسَّالِكِ.

فَإِذَا تَمَكَّنَ أَحَدُهُم وَقَوِيَ وَثَبَتَتْ أُصُولُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ، الَّتِي أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ فِي قَلْبِهِ، -بِحَيْثُ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ مِن الْعَوَاصِفِ، فَإِنَّهُ إِذَا أَبْدَى حَالَهُ مَعَ اللهِ تَعَالَى لِيُقْتَدَى بِهِ وَيُؤْتَمَّ بِهِ-: لَمْ يُبَالِ. مجموع الفتاوى (١٥/ ١٨).

قلت: أي: لم يُبال بكتمان حاله وإظهاره للمصلحة الراجحة، كأنْ يُقتدى به في ذلك.

(ت: ١٨٤)، لا يضعه من فيه، فكان عبدالله بن مصعب يدفع في كل هلال[1] دينارين ويأمرني أن أعطيه إياها، ويقول: لا أحب أن يعلم أني وصلته، فلما مات عبدالله بن مصعب استبطأني[2] فأخبرته فعاد يدعو له.[3] ترتيب المدارك (١/ ٤٠٤).

* وحضر **عيسى بن دينار** (ت: ٢١٢) ويحيى بن يحيى (ت: ٢٣٤) رَحِمَهُمَاٱللَّهُ جنازة، فلما صلى عليها أقبل الناس على عيسى وحَفُّوا به، قال له يحيى: ما أشك أنَّ الذي ألقى الله لك في قلوب الناس لخبيئةٍ صالحة عند الله. ترتيب المدارك (٢/ ١٢٨).

* وقال سحنون رَحِمَهُٱللَّهُ: كان الذِّكرُ لرباح بن يزيد رَحِمَهُٱللَّهُ، فلما مات صار **لبُهلول بن راشد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٨٣)، وما ذلك إلا من خبيئةٍ كانت له. ترتيب المدارك (١/ ٣٦٨).

ج- الحذر من تصنع الزهد والخمول وصالحِ الأعمال:

* عن علقمة رَحِمَهُٱللَّهُ قال: كنا عند **عبد الله بن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٢)، فأُتي بشراب، فقال: ناولوا القوم، فقالوا: نحن صيام، فقال: «لكني لست بصائم، ثم قرأ: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ [النور:٢٧]. الزهد لابن المبارك (١١٠٤).

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٨١): كن محبًّا للخمول كراهية الشهرة، ولا تظهر من نفسك أنك تحبّ الخمول فترفَع نفسك، فإنَّ دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد؛ لأنّك تجرّ إلى نفْسك الثناء والمدْحة. صفة الصفوة ٤/ ٣٧٢.

* وقال **أيوب السَّختياني** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٣١): ليتَّق الله رجلٌ، فإن زهد فلا يَجْعَلَنَّ زُهدَه عذابًا على الناسِ، فلأَن يُخْفيَ الرجلُ زهدَهُ خيرٌ من أنْ يُعلِنه. تهذيب السِّير ٢/ ٦٢٦.

---

(١) أي: في كل شهر.

(٢) الذي كان يشتمه.

(٣) ما أعظم سلامة قلبه، وكرم أخلاقه.

د- حال بعض السلف الذين يرون إظهار الأعمال الصالحة[1]:

(١) إن المتأمل في سيرة نبينا الكريم محمد ﷺ يرى أنّه كان لا يتقصد إخفاء العمل الصالح، وإن أخفى عملا من الأعمال الصالحة لم يكن دافعُه -والله أعلم- الخوفَ من الرياء، بل ليكون أقرب إلى جمعيّة قلبه على الله تعالى، واشتماله على جميع حواسه وأعضائه بلا منازعٍ ولا مشتت، إلى غير ذلك من المقاصد الشريفة الكثيرة.

فكان ﷺ يصلي النوافل أحيانًا ببعض أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبحضرتهم.

و حين أصبح يومًا ولم يجد ما يأكله في بيته قال: «فإني إذن صائم»، وحين أصبح يوما فقالت إحدى زوجاته: يا رسول الله، أهدي لنا حَيْس -وهو التمر مع السمن والأقط- فقال: «أرينيه، فلقد أصبحت صائما» فأكل. رواه مسلم (١١٥٤).

فأخبر عن عزمه على الصيام حينما لم يجد طعامًا، وعن قطع صومه حينما وجد ما يأكل.

وقال ﷺ: «**وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخَب، فإن سابّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم**». متفق عليه.

قال أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية والقرطبي وابن عثيمين رَحِمَهُمُ اللَّهُ: يقول ذلك بلسانه، في صيام الفرض والنفل.

وسأل ﷺ يومًا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن عبادات عمِلوها لله، فقال: «من أصبح منكم اليوم صائما؟» فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينا» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضا» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة**». رواه مسلم (١٠٢٨).

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصر.

وقد يقول قائل: إنما أظهر تلك الطاعات والقربات ليُقتدى به.

فيقال: وهو كذلك للاقتداء به بالعمل الصالح والاقتداء به بعدم الحرج والحساسية المفرطة من إظهار العمل الصالح والطاعة ما دام أنّ باعثه وجه الله وابتغاء مرضاته.

وقد أدّت المبالغة في إخفاء عمل الطاعات إلى عدة محاذير:

منها: تجفيف منابع القدوة الصالحة، حتى إن بعضهم يُخفي صيام وصلاة النافلة حتى عن أهله وذريته، فحرم نفسه من أن يكون قدوة صالحة وحرم أهله وذريته من الاقتداء به وتنشيط هممهم.

ومن المحاذير: الإصابة بالتحسس والوسواس من الرياء، حتى وصل الحال ببعض الناس إلى ترك العمل خوفًا من الرياء، والشك في إخلاصهم بأعمال عملوها وظهرت للناس، وسبب ذلك أن إبليس يأتيهم وقد لبس عباءة الناصح، واعتم بعمامة الورع، فيقذف في قلوبهم ترك العمل الصالح خشية الوقوع في الرياء، ولو تفطنوا لعلموا أنه نصب لهم حبلا من حبائله، وتلبيسة من تلابيسه، فإن طاوعوه ظفر منهم بترك العمل الصالح، نعوذ بالله منه ومن حبائله.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ينبغي للإنسان أن يُبْعد عن نفسه مسألة الرياء في العبادات؛ لأن مسألة الرياء إذا انفتحت للإنسان لعب به الشيطان. =

* قال **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢): ما عملتُ عملًا أبالي مَن رآه إلا أن يخلو الرجل بأهله أو يقضي حاجة غائطٍ. صفة الصفوة ٤/ ٤٢٨.

* وكان **عبد الله بن غالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٦) إذا أصبح يقول: لقد رزقني الله البارحة خيرًا، قرأت كذا، وصليت كذا، وذكرت كذا، وفعلت كذا.

فيقال له: يا أبا فراس: إن مثلك لا يقول مثل هذا!.

فيقول إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى:١١] وأنتم تقولون: لا تحدث بنعمة -. تهذيب الحِلْية ٣٨٤/ ١.

* وقدم **سعيد بن إياس الجُرَيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤) من سفر فأتاه إخوانه يسلمون عليه فجعل يخبرهم بما أبلاه الله في سفره مما يحب وصرف عنه مما يكره وتكلم في ذلك فأحسن وأبلغ وقال: إنه كان يقال: إن من الشكر تعداد النعم. الزهد لأحمد: ٦١٠.

= والله -سبحانه- مدح الذين ينفقون أموالهم سرًّا وعلانية حسب الحال قد يكون السر أفضل وقد تكون العلانية أفضل. ا.ه الشرح الممتع (٦/ ٤٣٣).

فلا ينبغي المبالغة في إخفاء العمل الصالح خوفًا من الرياء.

بر الوالدين وصلة الرحم

* قال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): تعلّموا أنسابكم لتصلوا أرحامكم. الزهد لهناد (٩٩٦).

* وقال **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥): كان عمر يمنع أَقْرِباءه ابتغاء وجه الله، وأنا أُعطِي قَرَاباتي لوجه الله، ولن يُرى مثلُ عمَر. عيون الأخبار ٣/ ٨٨.

* وإنما منع **أويسَ بن عامر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨) أنْ يَقْدَم على رسول الله ﷺ برُّه بأمه. تهذيب الحِلْية ٣٠٠/ ١.

* وقيل **لعليّ بن الحسين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤): أنت من أبَرِّ الناس ولا نراك تؤاكِل أمّك قال: أخاف أن تسيرَ يدي إلى ما قد سبقتْ عينُها إليه فأكونَ قد عَقَقْتُها. عيون الأخبار ٣/ ١٠١.

* وقيل **لعمرَ بن ذرّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٣): كيف كان بِرّ ابنك بك؟ قال: ما مشيتُ نهارًا قط إلا مشى خلفي، ولا ليلًا إلا مشى أمامي، ولا رَقِيَ سطحًا وأنا تحته. عيون الأخبار ٣/ ١٠١.

* وقال المأمون: لم أر أحدًا أبرَّ من **الفضل بن يحيى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٢) بأبيه، بلغ من برّه به أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخَّن وهما في السجن، فمنعهما السجّان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مَضْجَعه إلى قُمْقُم كان يُسَخّن فيه الماءُ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائمًا وهو في يده حتى أصبح. عيون الأخبار ٣/ ١٠٢.

* وقال **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): بات عمر، يعني: أخاه، يصلي وبتّ أغمز رجْل أمي، وما أحب أنّ ليلتي بليلته. صفة الصفوة ٢/ ٤٨٠.

* وكان **محمد سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كلّه تخشّعًا لها. صفة الصفوة ٣/ ١٧٣.

* ودخل عليه رجلٌ وهو عند أمه، فقال: ما شأن محمد؟ يشتكي شيئًا؟ فقالوا: لا ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه. صفة الصفوة ٣/ ١٧٣.

* وعن محمد بن عمر بن حرب، قال لنا بعض أصحابنا عن **ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): أنه نادته أمه فأجابها فعلا صوتُه صوتَها، فأعتق رقبتيْن. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٢.

* وعن **عُروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: ما بَرَّ والدَهُ من شَدَّ الطرف إليه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٢٨.

* وقال **بُندار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٢): أردتُ الخروجَ -يعني: الرحلة- فمنعتني أُمِّي، فأطعتُها، فبُورك لي فيه. تهذيب السِّيَر ٣/ ٩٨٩.

* وقال أبو إسحاق الفزاري لعبد الله بن المبارك رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: يا أبا عبد الرحمن كان **رجل** من أصحابنا جَمع من العلم أكثر مما جمعتَ وجمعتُ، فاحتُضر فشهَّدُته، فقلت له: قل: لا إله إلا الله، فيقول: لا أستطيع أن أقولها!، ثم تكلم فيتكلم، قال ذلك مرتين، فلم يزل على ذلك حتى مات!، قال: فسألت عنه فقيل: كان عاقا بوالديه، فظننت أنه حُرم كلمةَ الإخلاص لعقوقه بوالديه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦٠.

* وعن الأشجعي قال: استسقت أم **مسعر بن كِدام** (ت: ١٥٥) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ ماء منه في بعض الليل، فذهب فجاء بقربةِ ماءٍ، فوجدها قد غلبها النوم، فثبت بالشربة على يديه حتى أصبح. تهذيب الحِلْية ٢/٤٢٣.

* وعن أبي بكر بن عياش قال: ربما كنت مع منصور بن المِعتمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢) في منزله جالسًا، فتصيح به أمه، وكانت فظة غليظة، فتقول: يا منصور يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى عليه؟! وهو واضع لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها. تهذيب الحِلْية ٢/ ١٣٦.

* وقال ابن محيريز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): من مشى بين يدي أبيه فقد عقه، إلا أن يمشي فيميط له الأذى عن طريقة، ومن دعا أباه باسمه أو كنيته فقد عقه، إلا أن يقول: يا أبت. تهذيب الحِلْية ٢/ ١٦٨.

* وكان أبو العباس أحمد بن علي الأَبّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠) من أزهد الناس، استأذن أُمَّه في الرحلة إلى قُتَيْبَة، فلم تأذن له، ثم ماتت، فخرج إلى خراسان، ثم وصل إلى بلخ وقد مات قُتَيْبَة، فكانوا يُعزُّونه على هذا، فقال: هذا ثمرةُ العلم، إني اخترتُ رضى الوالدة. تهذيب السِّيَر ٢/ ١١٠١.

* وقال الشاعر لابنه:

غَذَوْتُكَ مَوْلودًا وعُلْتُكَ يافِعًا ... تُعَلُّ بما أَجْني عليك وتُنْهَلُ
إذا ليلةٌ نالتك بالشكو لم أَبِتْ ... لشكواكَ إلاّ ساهرًا أَتَمَلْمَلُ
كأنّي أنا المطروقُ دونك بالذي ... طُرِقْتَ به دوني وعينيَ تَهْمُلُ
فلمّا بلغتَ الوقت في العدّة التي ... إليها جَرَى ما أبتغِيه وآمُلُ
جَعَلْتَ جَزَائي منك جَبْهًا وغِلْظَةً ... كأنكَ أنتَ المنعمُ المتفضِّلُ
فليتكَ إذ لم تَرْعَ حقَّ أُبُوَّتي ... كما يفعل الجارُ المجاورُ تَفْعَلُ

عيون الأخبار ٣/ ٩٠.

* وسأل رجل ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: إن أمي لم تزل تقول: تزوج حتى تزوجت، فالآن قالت لي: طلقها، فقال: إن كنت عملت عمل البر كله وبقي هذا

عليك فطلقها، وإن كنت تطلقها وتأخذ إلى مشاغبة أمك فتضرَّ بها فلا تطلقها. تهذيب الحِلْية ٩٥/ ٣.

* وقال **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): برّ الوالدين كفارةٌ للكبائر. الآداب الشرعية ١/ ٤٦٣.

* وكان **سليم الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٤٧) في صِغَره بالري وله نحو عشر سنين، فحضر بعض الشيوخ وهو يلَقِّن[1]، فقال لي: تقدّم فاقرأ، فجهدتُ أن أقرأ الفاتحة، فلم أقدر على ذلك لانغلاق لساني، فقال لي: لك والدة؟ قلت: نعم، قال: قل لها تدعو لك أن يرزقك الله قراءة القرآن والعلم، قلت: نعم، **فرجعتُ فسألتها الدعاء**، فدَعت لي، ثم إني كبرت، ودخلت بغداد، وقرأتُ بها العربية والفقه، وعُدت إلى الري، فبينا أنا في الجامع أقابل مختصر المزني، وإذا الشيخ قد حَضَر، وسلَّم علينا وهو لا يَعرفني، فسمع مقابلتنا وهو لا يعلم ما نقول، ثم قال: متى يُتَعَلَّم مثل هذا؟ فأردتُ أن أقول: إن كانت لك والدة قل لها تدعو لك، فاستحييت منه. طبقات الشافعيين (١/ ٣٥٥-٣٥٦).

---

(١) أي: يُلقِّن الأطفال القرآن.

حال السلف مع الفتن والمحن(١)

أ- حالهم مع فتن المصائب والأمراض، والصبر عليها(٢):

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): وجدنا خير عيشنا الصبر. صحيح البخاري معلّقا في بَاب: الصَّبْر عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، الزهد لوكيع (١٩٨).

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا كان الرجل مقصرا في العمل ابتُلي بالهم ليكفِّر عنه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٩٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: كما أن الله نهى نبيه أن يصيبه حزن أو ضيق ممن لم يدخل في الإسلام في أول الأمر، فكذلك في آخره، فالمؤمن منهي أن يحزن عليهم أو يكون في ضيق من مكرهم.
وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكل وناح كما ينوح أهل المصائب وهو منهي عن هذا؛ بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن العاقبة للتقوى، وأن ما يصيبه فهو بذنوبه، فليصبر إنّ وعد الله حق، وليستغفر لذنبه وليسبح بحمد ربه بالعشي والإبكار. مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٥).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن يُنزل بهم الشدة والضر وما يُلْجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه لا يرجون أحدا سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذوق طعمه والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف، أو الجدب، أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة؛ فإن ذلك لذّات بدنية ونعم دنيوية، قد يحصل للكافر منها أعظم مما يحصل للمؤمن.
وأما ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من أن يُعبَّر عن كنهه مقال، أو يستحضر تفصيله بال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه. مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣٣)

* وقال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): ألا إنّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس باد الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الْأَثَرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي شَيْءٍ تَطَلَّبَهُ ... وَاسْتَشْعَرَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ

الآداب الشرعية ٢/ ١٢٣.

* وعطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال لي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أريك **امرأة** من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ، قالت: إني أُصرع وإني أتكشّف، فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها. صحيح البخاري (٥٦٥٢)، صحيح مسلم (٢٥٧٦) واللفظ له.

* وعن **سعد بن أبي وقاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ، وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى يضع أحدنا كما تضع الشاة. صحيح البخاري (٣٧٢٨).

* وعن سعيد بن وهب قال: دخلت مع **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) على صديق له من كندة نعوده، فقال له سلمان: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يبتلي عبده المؤمن بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كفارةً لما مضى، فَيستعتِب[1] فيما بقي، وإن الله عَزَّ وَجَلَّ يبتلي عبده الفاجر بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كالبعير عَقَله[2] أهله، ثم أطلقوه فلا يدري فيم عقلوه، ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه؟. صفة الصفوة ١/ ٢٦٠.

(١) أي يرجع عن الإساءة ويتوب.
(٢) أي: ربَطه وشدَّه أهلُه.

* وابتلي **عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) في جسده، فقال: ما أراه إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر، وتلا (ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم). ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٩٣.

* وقال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) في قوله: «إنما أموالكم وأولادكم فتنة»: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مُضِلات الفتن.[١] تفسير الطبري ١٣/ ٤٨٧.

* ومرض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعاده عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: ما تشتكي؟ قال: ذُنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمةَ ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيبُ أمرضني قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجةَ لي فيه. تهذيب السِّيَر ١/ ١٩٧.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سلوا الله العافية فلستم بعُبّاد بلاء، إن كان الرجل من قبلكم ليُسأل الكلمة فيأباها، حتى يوضع المنشار على رأسه، فيشق بنصفين وما يعطِيها. الزهد لهناد (٤٤٠).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله. الزهد لوكيع (٢٠٣).

* وقال رجل **لعائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨): أنه بلغني أنك تقولين: إذا مرض المسلم كتب له عمله الذي كان يعمل من آخر مرضه، فقالت: ليس هكذا قلت، إنما قلت: يكتب له أحسن عمله مع آخر مرضه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٥٢.

* وقال **عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر. رواه الترمذي وحسّنه (٢٤٦٤).

* وقال بعضهم: فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر، ولا يصبر عَلَى فتنة السراء إلا صِدِّيق.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: يشير إلى أنه لا يستعاذ من المال والولد، وهما فتنة. الجامع المنتخب/ ١٠٤.

* وقال **النعمان بن بشير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): إن الهلكة كل الهلكة أن تعمل بالسيئات في زمن البلاء. البداية والنهاية ٩/ ٣٧.

* ومرض **كعب الأحبار** (ت: ٣٢) فعاده رهط من أهل دمشق، فقالوا كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال: بخير، جسد أُخذ بذنبه، إن شاء ربه عذبه، وإن شاء رحمه، وإن بعثه بعثه خلقا جديدا لا ذنب له. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣٧.

* ولما ابتلي الإمام **أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) بفتنة الضراء صبر ولم يجزع، وقال: كانت زيادة في إيماني، فلما ابتلي بفتنة السراء جزع وخشي أن يكون نقصًا في دينه. المنتخب من رسائل ابن رجب: ٨٠.

* وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يصلي بعبدالرزاق فَسَهى يومًا فِي صلاته، فسأله عبدالرزاق فأخبره أنه لم يَطعَم شيئًا مُنذ ثلاث. طبقات الحنابلة (١/ ٢٥٨).

* وقال **الشاعر**:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وتَجَلَّدِ ... واعْلَمْ بأَنَّ الْمَرْءَ غَير مُخَلَّدِ
واصْبِرْ كَما صَبَرَ الْكِرامُ فإِنَّهَا ... نُوَبٌ[1] تَنُوبُ الْيومَ تُكْشَفُ في غدِ
فإذا ذَكَرْتَ مُصِيبةً تَشجى[2] بِهَا ... فَاذْكُرْ مُصابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحمَّدِ

وقال **الآخر**:

إذا أَنْتَ لَمْ تَسْلُ اصطبارا وحِسبة ... سلوت على الأَيَّامِ مِثْلَ الْبهائِمِ

المجالسة وجواهر العلم (١٣٢).

* ودخلوا على **ربيعة بن الحارث** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧) يعودونه وهو ثقيل، فقال: إنه من كان في مثل حالي هذه ملأت الآخرة قلبه، وكانت الدنيا أصغر في عينه من ذباب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣٩.

---

(١) أي: مصائب.

(٢) أي: تحزن.

* وقال **أعرابي**: الحمد لله الذي لا يحمد على المكروه غيره. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٩١.

* ودخلوا على **رجل** من أفاضل أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأهلُه يقول له: نفسي فداؤك، ما نطعمك؟ ما نسقيك؟، فأجابها بصوت ضعيف: بليت وطالت الضجعة، والله ما يسرني أن الله نقصني منه قلامة ظفر. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٧٩.

* وقال **شُرَيح القاضي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٨): إنِّي لأصاب المُصيبة، فأحمَدُ الله عليها أربعَ مرَّات، أحمدُ إذ لَم يكُن أعظم منها، وأحمَدُ إذ رزقَني الصَّبْر عليها، وأحمدُ إذ وفَّقني للاسترجاع لِماَ أرجو مِن الثواب، وأحمَدُ إذ لم يجعلْها في ديني.[1] تهذيب السِّيَر ١/ ٤٥٧.

* وعن **طلق بن حبيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٢) قال: مكتوب في الإنجيل: يا ابن آدم إذا ظُلمت فاصبر؛ فإن لك ناصرًا خيرًا منك لنفسك ناصرًا. تهذيب الحِلْية ٤٥٣/ ١.

* وقال **الشاعر**:

وإني إذا لم أَلْزم الصّبر طائعا ... فلا بد منه مكرها غيرَ طائع

أدب الدين (٢٧٣).

* ولما وقعت الأكلة في رجل **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ، قيل له: ألا ندعو لك

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **والحمد على الضراء يوجبه مشهدان:**
أحدهما: علم العبد بأن الله ـ سبحانه ـ مستوجب لذلك، مستحق له لنفسه، فإنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وهو العليم الحكيم، الخبير الرحيم.
والثاني: علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن، خير من اختياره لنفسه، كما روى مسلم في صحيحه، وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**». مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٩.

طبيبا؟ قال: إن شئتم، فجاء الطبيب، فقال: اسقيك شرابا يزول فيه عقلك، فقال: امض لشأنك، ما ظننت أن خلقًا يشرب شرابا يزول فيه عقله، حتى لا يعرف ربه، قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله، فما سمعنا له حسا، فلما قطعها أخذها بيده، وقال: اللهم إنك تعلم أني لم أنقلها إلى معصية لك قط، وجعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت، وما ترك جزْءه بالقرآن تلك الليلة.

وأُصيب بابن له في ذلك السفر، دخل اصطبل دواب من الليل ليبول فركضته بغلة فقتلته، وكان من أحب ولده إليه، ولم يُسمع من عروة في ذلك كلمة، حتى رجع، فلما كان بوادي القرى قال: (لقينا من سفرنا هذا نصبا) اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت منهم واحدا وبقيت ستة، وكانت لي أطراف أربعة فأخذت مني طرفا وبقيت لي ثلاث، وأيمك لئن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت، فلما قدم المدينة جاء رجل من قومه فقال: يا أبا عبد الله، والله ما كنا نحتاج أن نسابق بك، ولا أن نصارع بك، ولكنا كنا نحتاج إلى رأيك، والأنس بك، فأما ما أُصبت به فهو أمر ذخره الله لك، وأما ما كنا نحب أن يبقى لنا منك فقد بقي. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٦٠-٢٦٣.

* وسُئل **ربيعة بن أبي عبد الرحمن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦): ما منتهى الصبر؟ قال: أن يكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه. تهذيب الحِلْية ٥٣٤/ ١.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): ما من أعمال البر شيْء إلا دونه عقَبةٌ، فإنْ صبرَ صاحبها أفْضَتْ إلى رَوْح، وإن جزَع رجَع. صفة الصفوة ٣/ ١٩٧.

* وقال **بعضهم**:

إن الأمـور إذا انسـدّت مَسَـالِكُها فالصبرُ يفتحُ منها كلَّ مـا ارتُتِجَـا

أخلقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمنِ القرعِ للأبواب أن يلجَا
لا تيأسنّ وإن طالتْ مطالبةٌ ... إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فرجاَ

عيون الأخبار ٣/ ١٢٢.

* وعن **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) قال: إن الجسد إذا لم يمرض أشر، ولا خير في جسد يأشر. تهذيب الحِلْية ٤٨٣/ ١.

* وحَبَسَ السلطانُ ابنَ أخي **مُطرِّف بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) فلبِس مُطرِّفٌ خُلْقان ثيابه، وأخذ عُكَّازًا وقال: أستكين لربِّي لعلّه أن يُشفِّعني في ابن أخي. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٦.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): كلّ نعمة لا تقرّب من الله عَزَّوَجَلَّ فهي بليّة. صفة الصفوة ٢/ ٤٨٩.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): على قناطر الفِتن جاوزوا إلى خزائن المِنَن. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

* وقال أحمد بن أبي الحَواريّ: قال لي **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): من أيّ وجه أزالَ العاقلُ الْلاَّئمةَ عمّن أساءَ إليه؟ قلت: لا أدري قال: من أنه قد علم أن الله تعالى هو الذي ابتلاه به. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٢.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: إن الرجل ليظلمني فأَرحمه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما من عبد وهب الله له صبراً على الأذى، وصبراً على البلاء، وصبراً على المصائب، إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيه أحد بعد الإيمان بالله. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤.

* ولما أُدخل سجن الحجاج رأى قومًا مقرنين في الأغلال يقومون جميعًا

ويقعدون جميعًا، فقال: يا أهل بلاء الله في نعمته، ويا أهل نعمته في بلائه، إن الله قد رآكم أهلًا أن يختبركم، فأروه أهلًا أن تصبروا له. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧.

* وعن **طاووس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦) قال: لم يجهد البلاء من لم يتول اليتامى، أو يكون قاضيًا بين الناس في أموالهم، أو أميرًا على رقابهم. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣١.

* وعن **أبي سعيد الخراز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٧) قال: العافية سترت البر والفاجر، فإذا جاءت البلوى يتبين عندها الرجال.(١) المنتظم ١٢/ ٢٨٢.

* وكان رجل بالبصرة من بني سعد، وكان قائدًا من قواد عبيد الله بن زياد فسقط عن السطح، فانكسرت رجلاه، فدخل عليه **أبو قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) يعوده، فقال له: أرجو أن تكون لك خيرة، فقال له: يا أبا قلابة وأيّ خيرٍ في كسْر رجليّ جميعًا؟ فقال: ما ستر الله عليك أكثر.

فلما كان بعد ثلاث ورد عليه كتاب من ابن زياد: أن يخرج فيقاتل الحسين، فقال للرسول: قد أصابني ما ترى، فما كان إلا سبعًا حتى وافى الخبر بقتل الحسين، فقال الرجل: رحم اللهُ أبا قلابة لقد صدق، إنه كان خِيرة لي. صفة الصفوة ٣/ ٦٨.

* وقال **بعضهم**:

كَمْ مِنْ يدٍ لا يُسْتَقلُّ بشكرها ... للهِ في ظِلِّ المّكارِهِ كامِنَهْ

عيون الأخبار ٣/ ٥٧ .

* وقال **محمودُ الورّاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢١):

يُمَثِّلُ ذُو اللُّبِ فِي نَفْسهِ ... مَصائِبَهُ قَبلَ أنْ تَنْزِلا

فإنْ نَزلَتْ بَغْتةً لَم تَرُعْهُ ... لِمَا كانَ في نَفْسهِ مَثَّلا

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْفِتَنُ إِنَّمَا يُعْرَفُ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ إِذَا أَدْبَرَتْ. فَأَمَّا إِذَا أَقْبَلَتْ فَإِنَّهَا تُزَيَّنُ، وَيُظَنُّ أَنَّ فِيهَا خَيْرًا، فَإِذَا ذَاقَ النَّاسُ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ وَالْمَرَارَةِ وَالْبَلَاءِ، صَارَ ذَلِكَ مُبَيِّنًا لَهُمْ مَضَرَّتَهَا، وَوَاعِظًا لَهُمْ أَنْ يَعُودُوا فِي مِثْلِهَا. منهاج السنة ٤/ ٤٠٩.

وذُو الْجَهلِ يأمَنُ أيَّامَهُ ... ويَنْسى مَصارِعَ منْ قدْ خلا

عيون الأخبار ٣/ ٥٨.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو كان الصبر من الرجال لكان كريمًا.[1] ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يرجون في حمى ليلة كفارة لما مضى من الذنوب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣٢.

* وعن ثابت قال: انطلقنا مع **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى صفوان بن محرز نعوده، فخرج إلينا ابنه، فقال: هو مبطون لا تستطيعون ان تدخلوا عليه، فقال الحسن: إن يُؤخذ اليوم من لحمه ودمه فيؤجر فيه خير من أن يأكله التراب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣٨.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ذكر الوجع، فقال: أما والله ما هو بشر أيام المسلم، أيامٌ ذكر فيها ما نسي من معاده، وكُفر بها عنه خطاياه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٠.

* وعاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلا في مرض، فقال له: إنا إن لم نؤجر إلا فيما نحب قلَّ أجرنا، وإن الله كريم يبتلي العبد وهو كاره، فيعطيه عليه الأجر العظيم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عليه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤.

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: الصبر صبران: الصبر على المصيبة حسن، وأفضل من ذلك الصبر عن المعاصي. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤.

---

(١) قالَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قولِه تَعالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة:٢٤]: فَمَن أُعطِيَ الصَّبرَ واليَقينَ: جَعَلَهُ اللهُ إمَامًا في الدِّينِ. مجموع الفتاوى (٦/ ٢١٥).

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما نال أحد شيئًا من جسيم الخير، نبيٍّ فمن دونه إلا بالصبر. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤.

* وعن **ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) قال: كل عمل له ثواب يُعرف إلا الصبر، قال الله ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر:١٠]. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٢.

* وقال **الشاعر**:

والحادثات وإن أصابك بؤسها ... فهو الذي أنباك كيف نعيمها

أدب الدين (٢٣٢).

* وكان **صالح المري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٢) يدعو: اللهم ارزقنا صبرًا على طاعتك، وارزقنا صبرًا عن معصيتك، وارزقنا صبرًا عند عزائم الأمور. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٥.

* وقيل **لعبد الله أبي يحيى البطال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): ما الشجاعة؟ قال: صبر ساعة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٠.

* وقال **الشاعر**:

إذا لم تسامح في الأمور تعقدت ... عليك فسامح واخْرجِ العسر باليسر
فلم أر أوفى للبلاء من التقى ... ولم أر للمكروه أشفى من الصبر

ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٠.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصَّبر اليوم عن معاصي الله خيرٌ من الصَّبر على الأغلال في نار جهنم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٠.

* وصدق **القائل**:

إنّي رأيتُ وفي الأيامِ تجربةٌ ... للصَّبرِ عاقبةً محمودةَ الأثرِ
وقلَّ منْ جدَّ في أمرٍ يحاولهُ ... واستصحبَ الصَّبرَ إلاَّ فازَ بالظَّفرِ

العقد الفريد: ١/ ٢٠١.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): الصبر صبران: فاللئام أصبر أجساما، والكرام أصبر نفوسا.

وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون الرجل قوي الجسد على الكد والعمل؛ لأن هذا من صفات الحمير، ولكن أن يكون للنفس غلوبا، وللأمور متحمّلا. أدب الدين (٤٦٢)، الأدب الكبير (١٠٤).

* وتلا **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) هذه الآية ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان:٢٠]، فقال: جعل بعضكم لبعض فتنة فاصبروا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨.

* وعن **سعيد بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٦) قال: إذا رأيت أمرًا لا تستطيع غيره فاصبر وانتظر فرج الله. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جعل الله رأس أمور العباد العقل، ودليلهم العلم، وسائقهم العمل، ومقويهم على ذلك الصبر. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨.

* وقال أبو عبد الرحمن المغازلي: دخلت على رجل مبتلى بالحجاز، فقلت: كيف تجدك؟.

قال: أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به، وأجد نعمه علي أكثر من أن أحصيها.

فقلت: أتجد لما أنت فيه ألمًا شديدًا؟.

فبكى، ثم قال: سَلا بنفسي عن ألم ما بي: ما وعد عليه سيدي أهلَ الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير.

إني لأحسب أن لأهل الصبر عند الله غدًا في القيامة مقامًا شريفًا، لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء إلا ما كان من الرضا عن الله جل وعز. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: سب رجل **رجلًا** من الصدر الأول،

فقام الرجل وهو يمسح العرق عن وجهه، وهو يتلو ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى:٤٣].

قال الحسن: عَقَلها والله وفهمها، إذ ضيعها الجاهلون!. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٧.

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣.

* وقال العسولي العابد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت مع **عبدالله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غزاةٍ في ليلة ذات برد ومطر، فبكى، فقلت: أتبكي من مثل هذا؟ فقال: إنما أبكي على ليال سلفت ليس فيها مثل هذا من الشِّدة لنُؤْجَر عليها. ترتيب المدارك (١/ ٣٣٩).

* وقال أبو العباس المبرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: توفيت والدة **القاضي إسماعيل بن إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠)، فركبت إليه أعزّيه، وأتوجّع له، فألفيت عنده الجلّة من بني هاشم، والفقهاء، والعدول، وميسوري بغداد، ورأيت من ولَهِه ما أبداه، ولم يقدر على ستره، وكلٌّ يعزيه، وقد كاد لا يسلُو.

فلما رأيت ذلك منه ابتدأت بعد التسليم فأنشدته:

لعمري لئن غال ريب الزما ... ن فينا لقد غال نفسًا حبيبه
ولكنّ علمي بما في الثوا ... ب عن المصيبة ينسي المصيبه

فتفهم كلامي، واستحسنه، ودعا بدواة وكتبه، ورأيت بعدُ قد انبسط وجهه، وزال عنه ما كان فيه من تلك الكآبة، وشدة الجزع. ترتيب المدارك (٢/ ٢٨٣).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعطي الصابرون الصلاة من الله عليهم، والرحمة منه لهم، فمن ذا الذي يدرك فضلهم إلا من كان منهم؟ هنيئًا للصابرين ما أرفع درجتهم، وأعلى هناك منازلهم، والله ما نال القوم ذلك إلا بمنِّه وتوفيقه،

فله الحمد على ما أعطى من فضله وأسدى من نعمه، وله الحمد كثيرًا علينا وعلى جميع خلقه، فهو الغني فلا يمنعه نائل، وهو الكريم فلا يحفيه سائل، وهو الحميد فلا يبلغ مدحه قائل، ونحن عباده، فمن بين مخذول حرم طاعته فلم يصبر عن معصيته، ومِن بين مطيع وفقه لمرضاته وصبره عن الدنيا وما فيها من معصيته، ثم غمرنا بعد ذلك بتفضله فقال ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] فنحن نرجو أن ننالها بتفضله وإن لم نكن من أهلها بسوء أعمالنا القبيحة، واسوأتاه من كريم يكرمك وأنت متعرض لما يكره صباحًا ومساءً. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣.

* وقال **بعضهم**:

وَلَسْتَ بِغَالِبِ الشَّهَوَاتِ حَتَّى ... تُعَدَّ لَهُنَّ صَبْرًا واحْتِسَابَا

فَكُلُّ مُصيبَةٍ عَظُمَتْ وجَلَّتْ ... تَخفُّ إذا رَجَوْتَ لَهَا ثَوَابًا

* وقال **قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨): الصبر من الإيمان بمنزلة اليدين من الجسد، من لم يكن صابرًا على البلاء لم يكن شاكرًا على النعماء، ولو كان الصبر رجلًا لكان كريمًا جميلًا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٩.

* وعن ليث قال: أخبرت **طلحةَ بن مصرف** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠) عن طاووس رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يكره الأنين، فما سُمع له أنين في مرضه حتى مات!. ابن أبي الدنيا ٤/ ٦٣.

* وكتب **ابنُ السَّمَّاك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٣) إلى الرشيد يعزيه بابن له: أما بعدُ، فإن استطعتَ أن يكون شكرُك لله حينَ قَبضه أكثرَ من شكرِك له حينَ وهبه، فإنَّه حينَ قبضه أحرز لك هِبتَه، ولو سلِم لم تَسْلَم من فِتْنتِه؛ أرأيتَ حزنَك على ذهابه وتلهُّفَك لِفراقه! أرضِيتَ الدارَ لنفسك فتَرْضَاها لابنك! أمّا هو فقد خلَص من الكدر، وبقيتَ أنت معلَّقًا بالخطَر.

واعلم أن المصيبةَ مصيبتان إن جزِعْتَ، وإنما هي واحدة إن صبَرت، فلا تجمعِ الأمرين على نفسِك. عيون الأخبار ٣/ ٥٩.

* واشتكى بعضُ أهل **أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) فَجزع عليه، ثم أُخبِر بموته فسُرِّيَ عنه؛ فقيل له في ذلك، فقال: ندعو اللهَ فيما نحبّ، فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما أَحَبّ. عيون الأخبار ٣/ ٦٢.

* وعن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) قال: ما أحب أن تهون علي سكرات الموت لأنها أخر ما يكفر به عن المسلم. تهذيب الحِلْية ٢٢٩/ ٢.

* وكان **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) إذا حدث كأنما يقرأ سورة من القرآن، وكان فصيحًا، فمرض مرضًا شديدًا فقال: اللهم إن كان هذا لك رضى فزد.

فبلغ ذلك **إدريس الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠)، فبعث إليه يا أبا عبد الله! لست أنا ولا أنت من رجال البلاء، فبعث إليه: يا أبا عمرو! ادع الله لي بالعافية. تهذيب الحِلْية ١٣٢/ ٣.

* وقال **ذو النون أبو الفيض المصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦): البلاء ملح المؤمن، إذا عدم البلاء فسد حاله. تهذيب الحِلْية ٢٣٤/ ٣.

* ولما دُعِيَ **مالكٌ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩)، وسُمعَ منه، وقُبل قولُه، حُسد، وبَغَوه بكل شيء، فلما وَلِي جعفُر بن سليمان المدينة، سَعَوا به إليه، وكَثُروا عليه عنده، وقالوا: لا يَرى أيمانَ بيعتكم هذه بشيء، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت ابن الأحنف في طلاق المُكرَه: أنه لا يجوز عنده، فغضب جعفرُ، فدعا بمالك، فاحتجَّ عليه بما رُفعَ إليه عنه، فأمر بتجريده، وضَرْبِه بالسّياط، وجُبِذَتْ يَدُه حتى انخلعتْ مِن كتفه، وارتُكبَ منه أمرٌ عظيم، فوالله ما زال مالك بعدُ في رِفعة وعُلُوٍّ.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): هذا ثمرةُ المحنة المحمودَة، أنها ترفعُ العبدَ

عند المؤمنين، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا، ويعفو الله عن كثير: «**وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»، وقال النبي ﷺ: «**كل قضاء المؤمن خير له**» وقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد:٣١]، وأنزل تعالى في وقعة أحد قوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران:١٦٥] وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى:٣٠]. فالمؤمن إذا امْتُحِنَ صَبَر واتَّعظَ، واستغفر ولم يتشاغل بذمِّ من انتقم منه، فالله حَكَمٌ مُقسِطٌ، ثم يَحمَدُ اللهَ على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهونُ وخيرٌ له. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٠.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨): لولا أن الله طأطأ من ابن آدم بثلاث، ما أطاقه شيء، وإنهن لفيه، الفقر، والمرض، والموت. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٢٩.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): إذا أحب الله عبدًا أكثر غمه، وإذا أبغض الله عبدًا أوسع عليه دنياه. تهذيب الحِلْية ٨/ ٣.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في رمضان من سنة تسع عشرة ومائتين امتحن المعتصم **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) فضربه بين يديه بعد أن حبسه مدة، ووطن أحمد نفسه على القتل، فقيل له: إن عرضت على القتل تجيب؟ قال: لا، ولقيه خالد الحداد فشجعه، وقال له: إني ضربت في غير الله فصبرت، فاصبر أنت إن ضربت في الله عَزَّوَجَلَّ، وكان خالد يُضرب المثل بصبره، فقال له المتوكل: ما بلغ من جَلَدك؟ فقال: أُملئ لي جراب عقارب، ثم أدخل يدي فيه، وإنه ليؤلمني ما يؤلمك، وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط، ولو وضعت في فمي خرقة وأنا أضرب لاحترقت من حرارة ما يخرج من جوفي، ولكني وطنت نفسي

على الصبر، فقال له الفتح: ويحك مع هذا اللسان والعقل، ما يدعوك إلى ما أنت فيه من الباطل؟ قال: أحب الرئاسة. المنتظم ٤٢-٤٣/ ١١.

* وقال أبو عمرو الكندي: أغارت الروم على جَواميس **لبشير الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ نحوًا من أربعمائة جاموس، فركبتُ معه أنا وابن له، فلقينا عَبيدَهُ الذين كانَتْ مَعَهُم الجواميس معهم عِصِيُّهم، فقالوا: يا مولانا ذهبت الجواميس فقال: وأنتم أيْضًا اذهبوا معها، فأنتم أحرار لوجهِ الله تعالى، فقال له ابنه: يا أبهْ أفقَرتنا قال: إنّ ربّي اختَبرني فأردتُ أن أزيده.[1] صفة الصفوة ٤/ ٤٥١.

* وقال الأصمعي: شهدت **صالح المُرِّيَّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٢)، عَزَّى رجلًا، فقال: لئن كانت مصيبتُك بابنك لم تُحدِثْ لك موعظةً في نفسك، فهي هيِّنة في جنب مصيبتك بنفسك، فإيَّاها فَابْكِ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٢٥.

* وضرب رجلٌ **أحد الصالحين** فشجَّ رأسه، قال: فسألت الله له الجنة. قيل: كيف وقد ظلمك؟ فقال: علمت أنني أؤجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر. إحياء علوم الدين ١/ ٩٣٣.

* وقتل **للمعافى بن عمران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤) ابنان في وقعة الموصل، فجاء إخوانه يعزونه من الغد، فقال لهم: إن كنتم جئتم لتعزوني فلا تعزوني، ولكن هنئوني، فهنّوه، فما برحوا حتى غدّاهم وغلفهم بالغالية. المنتظم١٠١/ ٩.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سئل **أبو عثمان الواعظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٨): أي أعمالك أرجى عندك؟ فقال: إني لما ترعرعت وأنا بالري وكانوا يريدونني على

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر: أنّ الكرب إذا اشتدّ وعظم وتناهى، حصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]. جامع العلوم والحكم / ٢٦٤.

التزويج فأمتنع، فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان، قد أحببتك حبًا أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب، وأتوسل به إليك لما تزوجتني. فقلتُ: ألك والد؟ قالت: نعم فأحضرته، فاستدعى بالشهود فتزوجتها، فلما خلوت بها إذا هي عوراء، عرجاء، مشوهة الخلق، فقلتُ: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي. وكان أهل بيتي يلومونني على تزويجي بها، فكنت أزيدها برا وإكراما، وربما احتبستني عندها، ومنعتني من الحضور إلى بعض المجالس، وكأني في بعض أوقاتي على الجمر، وأنا لا أبدي لها من ذلك شيئا، فمكثت كذلك خمس عشرة سنة، فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي. البداية والنهاية١١/ ١٨٨.

* وكان بعضهم إذا فتح له في الدعاء عند الشدائد لم يحب تعجيل إجابته خشية أن ينقطع عما فتح له.[1] الجامع المنتخب/ ٢١٠.

---

(١) ذكر ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ شيئًا من لطائف البلايا **وفوائدها وحكمها:**

منها: تكفير الخطايا بها، والثواب على الصبر عليها، وهل يثاب على البلايا بنفسه؟ فيه اختلاف بين العلماء.

ومنها: تذكير العبد بذنوبه فربما تاب ورجع منها إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ومنها: زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها.

ومنها: انكساره لله عَزَّوَجَلَّ وذله له، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

ومنها: أنها توجب للعبد الرجوع بقلبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد البلاء، وقد ذم الله من لا يستكين له عند الشدائد، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون:٧٩].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام:٤٢].

ومنها: أن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر عليه أو الرضا به، وذلك مقام عظيم جدًا، وقد تقدمت الإشارة إلى فضل ذلك وشرفه.

ومنها: أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى مخلوق ويوجب له الإقبال على الخالق وحده. =

* ودخلوا على **أحد السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد رفسته بغلة فكسرت رجله فقال: لولا مصائب الدنيا لقدمنا على الله مفاليس. تهذيب الحِلْية ٣١٦/ ٣.

* وقال **أبو العباس بن عطاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٩): القلب إذا اشتاق إلى الجنة أسرعت إليه هدايا الجنة، وهي المكروه؛ لأن المكاره هدايا الجنة إلى أبدان الصادقين. تهذيب الحِلْية ٤٠١/ ٣.

* وقال **إبراهيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥): ما شكوتُ إلى أمي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي حُمَّى قط وجدتها، الرجلُ هو الذي يدخل غَمَّه عَلَى نفسه ولا يغمّ عياله، وكان بي شقيقةٌ[1] خمسًا وأربعين سنة، ما أخبرتُ بها أحدًا قط، ولي عشرون سنة أُبْصر بفردِ عين، ما أخبرت بها أحدًا قط، وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيفين، إن جاءتني بهما أمي أو أختي أكلت، وإلا بقيت جائعًا عطشانًا إلى الليلة الثانية، وأفنيت ثلاثين سنة من عمري برغيف فِي اليوم والليلة، إن جاءتني به امرأتي أو إحدى بناتي أكلته، وإلا بقيت جائعًا عطشانا إلى الليلة الأخرى. طبقات الحنابلة (١/ ٢١٩).

* وقال **بعضهم**:

ومن قلَّ فيما يتَّقيه اصطباره … فقد قلَّ فيما يَرْتَجيه نصيبُه

طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ١٧٢).

= وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف بالمؤمن؟!
فالبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه، وذلك أعلى المقامات وأشرف الدرجات.
ومنها: أن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولا سيما بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها: إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت.
وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه ليس بأهل لإجابة دعائه فلذلك يسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله، على قدر الكسر يكون الجبر. الجامع المنتخب/ ٢١٠ - ٢١٣.

(١) ألمٌ يصيب نصف الرأس ونصف الوجه.

* وقال **ابن أبي يعلى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦١٦) في قول ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذىً يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ**»[١]: إذا كان البارئ عَزَّوَجَلَّ يصبر عَلَى ما يقول فِيهِ الجاحدون والمشركون، مَعَ قُدرتِه عَلى إهلاكِهم وإفنائهم ومنعهم مما يتفوَّهون به؛ لِما سَبَقَ في علمه من الإملاء لهم ليزدادوا إثما، والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قد صَبَروا عَلَى ما أُوذوا به، والصالحون قد تأسَّوا بهم فِي ذَلِكَ: **فالواحد مِنّا -مَعَ علمه بتقصيره فِي كل معنى- لا ينبغي لَهُ أن يَقلق لكلمة تسوؤُه**، وَإِذَا كَانَ القيام بالذّبِّ عن أهل الحق دينًا واحتسابًا، فالصبر عَلَى ما يُصيبه هُوَ من تمام الاحتساب، وقد جاء فِي الحديث: «إن الرجل ليُعطى كتابه يوم القيامة منشورًا، فينظر فِيهِ حسنات لم يَعملها فيقول: يا رب أيُّ شيءٍ هَذَا؟ فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تَشعر»[٢].

طبقات الحنابلة (٣/ ٣٩٧).

* وذكر **أبو شامة** (ت: ٦٦٥) أنه جرت له محنة سنة خمس وستين وست مائة، وهو أنه دخل عليه رجلان جليلان في صورة مستفتيين، ثم تناولاه ضربًا إلى أن عيل[٣] صَبره، ولم يغثه أحد، ولكن ألهمه الله الصبر واللُّطف، وقيل له: اجتمِع بولاة الأمر، فقلت: أنا قد فوَّضتُ أمري إلى الله وهو يكفينا، وقلتُ في ذلك:

قلت لمن قال ألا تشتكي	**ما قد جرى فهو عظيم جليل**
يقيـــض الله تعالـــى لنـــا	**مَن يأخذ الحق ويشفي الغليل**

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤)، واللفظ له، وقد أثبته بدلًا من اللفظ الذي ساقه المؤلف.

(٢) قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (كتاب الصبر والشكر): أخرجه أَبُو مَنْصُور الديلمي فِي مُسْند الفردوس وفيه ابن لهيعة.

(٣) أي غلب، يقال: عالني يعولني إذا غلبني.

إذا توكلنا عليه كفى | فحسبنا الله ونعم الوكيل

طبقات الشافعيين (٢/ ٣٣٤).

* وقال أبو حيان الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٥).

عِداي لهم فضل عليّ ومنّة | فلا أذهب الرحمن عنّي الأعاديا

همُ بحثوا عن زلتي فاجتنبتها | وهمْ نافسوني فاكتسبت المعاليا

طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٩١).

ب- موقفهم من قتال الفتنة، وتوجيههم فيها[1]:

* عن سليمان بن صرد قال: دخلتُ على عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠)، فاستبطأني في حربه[2]، فجعلتُ أعدهُ بطولِ الحرب، فجعل ذلك يسوؤه، فلقيتُ الحسن بن على رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فذكرتُ ذلك له فقال: لا يغرَّنَّك ذلك منه، فلقد رأيتُه حين أخذتِ السيوفُ مأخذها من الرجالِ يبغون من يبغُون يقول: يا حسن، ليتني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٥٤.

* وأَجْلَسَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ طَلْحَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ فَمَسَحَ التُّرَابَ عَنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ الْتَفَتَ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عامةُ الفتن التي وقعت من أعظم أسبابها: قلة **الصبر**؛ **إذ الفتنة لها سببان:**

أ- إما ضعف العلم.

ب- وإما ضعف الصبر.

فإن الجهل والظلم أصل الشر، وفاعل الشر إنما يفعله لجهله بأنه شر، وتكون نفسه تريده، فبالعلم يزول الجهل، وبالصبر يحبس الهوى والشهوة فتزول تلك الفتنة. الفروع لابن مفلح: (١٠/ ١٨١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين تبين له أنه ما دخل فيها أحدٌ فحمد عاقبة دخوله؛ لِمَا يحصل له من الضرر في دينه ودنياه، ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به. منهاج السنة: ٤/ ٤١٠.

(٢) أي: وجَدني بَطيئًا في حربه وقتاله.

إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا بِثَلَاثِينَ سَنَةً». مستدرك الحاكم (٥٥٩٧).

* وقَالَ يَوْمَ الْجَمَلِ لَمَّا رَأَى الْقَتْلَى وَالرُّؤوسُ تَنْدُرُ: «يَا حَسَنُ، أَيُّ خَيْرٍ يُرْجَى بَعْدَ هَذَا»، قَالَ: نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا قَبْلَ أَنْ نَدْخُلَ فِيهِ.[١] مستدرك الحاكم (٥٥٩٨).

* وعن عبدالله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت **لعثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) يوم الدار: قاتلهم الله، فوالله لقد أحلَّ الله لك قتالهم، فقال: لا، والله لا أقاتلهم أبدًا، فدخلوا عليه فقتلوه وهو صائم.

وكان عثمان أمر عبد الله بن الزبير على الدار فقال عثمان: من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير.[٢] الزهد لأحمد: ٢٤٦.

* وقيل **لسعد بن أبي وقاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): ألا تقاتل فإنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ فقال: لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان، يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد. تهذيب الحِلْية ٩٥/ ١.

* ولَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ **سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٤) إِلَى الرَّبَذَةِ[٣]، وَتَزَوَّجَ هُنَاكَ امْرَأَةً، وَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادًا، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا، حَتَّى قَبْلَ أَنْ

(١) لو يستطيعُ أحدٌ أنْ يتخلّص من الفتنة إذا وقعت، أو يسلم منها أو يُخمدها لقوّته أو حنكتِه أو كثرةِ أعوانِه: لاستطاع ذلك الصحابةُ وهم خير الناس دينا وعقلا وحكمةً وعلمًا، ولكنّ الفتنة إذا حلّت ببلد أو بقومٍ أخذت تصول وتجول وتموج ولا يسلم منها إلا من اعتزلها.
والعاقل لا يسعى في تأجيج الفتن، وتأليب الناس على وليّ الأمرِ المسلم.

(٢) خاطر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسِه لأجل حقن دماء المسلمين، فشتان بينه وبين بعض الطغاة من الحكام الذين قتلوا وشرّدوا الملايين من شعوبهم، لا لأجل حقن دماء أنفسِهم، بل لأجل الحفاظ على مناصبهم وكراسيّهم!

(٣) هو مَوْضِع بِالْبادِيَةِ بَيْنَ مَكَّة والْمَدِينَة.

يَمُوتَ بِلَيَالٍ، فنَزَلَ المَدِينَةَ. صحيح البخاري (٧٠٨٧).

* وعن **حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: إياكم والفتن، لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفته، كما ينسف السيل الدمن، إنها مُشَبِّهَة مُقْبلة، حتى يقول الجاهل: هذه تشبه، وتَبِيْنُ مدبرة. فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتاركم. مُستدرك الحاكم: ٨٣٨٥، وصحَّحه الذهبي.

* وعن **عبد الله بن عمر** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (ت: ٧٣) قال: إنما كان مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها، فبينما هم كذلك، إذ غشيتهم سحابة وظلمة، فأخذ بعضهم يمينا وشمالًا فأخطأ الطريق، وأقمنا حيث أدركنا ذلك، حتى جلى الله ذلك عنا، فأبصرنا طريقنا الأول، فعرفناه وأخذنا فيه، وإنما هؤلاء فتيان قريش، يقتتلون على هذا السلطان، وعلى هذه الدنيا، ما أبالي أن يكون لي ما يقتل بعضهم بعضا بنعلي هاتين الجرداوين. تهذيب الحِلْية ٢٢٠/ ١.

* وأَتَاهُ رَجُلاَنِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالاَ: إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ، وَصَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ «يَمْنَعُنِي أَنَّ اللهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي» فَقَالاَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[1] [الأنفال: ٣٩]، فَقَالَ: «قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ[2]، وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللهِ». صحيح البخاري (٤٥١٣).

وفي رواية: «إِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ فِي دِينِهِمْ

(١) يُرِيد أَنْ يَحْتَجَّ بِالْآيَةِ عَلَى مَشْرُوعِيَّة الْقِتَال فِي الْفِتْنَة وَأَنَّ فِيهَا الرَّدّ عَلَى مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ كَابْنِ عُمَر. وَحَاصِل جَوَاب اِبْن عُمَر لَهُ أَنَّ الضَّمِير فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾ لِلْكُفَّارِ، فَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ الْكَافِرِينَ حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ يُفْتَن عَنْ دِين الْإِسْلَام وَيَرْتَدّ إِلَى الْكُفْر. [فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٦٠].

(٢) أَيْ لَمْ يَبْقَ فِتْنَة أَيْ مِنْ أَحَد مِنْ الْكُفَّار لِأَحَدٍ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ. [فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٦٠].

فِتْنَةً، وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ».[١] صحيح البخاري (٤٦٥١).

* وقيل له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زمن ابن الزبير والخوارج: أتصلي مع هؤلاء، ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضا؟ قال: من قال: حي على الصلاة أجبته، ومن قال: حي على الفلاح أجبته، ومن قال: حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت: لا!. تهذيب الحِلْية ٢٢٠/١.

* وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا: سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ». صحيح البخاري (٦٨٦٣).

* وقالت **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨): لوددتُ أني كنتُ غصنًا رطبًا وأني لم أَسِرْ في هذا الأمر، تعني يومَ الجمل. ابن أبي الدنيا ٥٥٧/٢.

* وعن حَرْمَلَةَ مَوْلَى أُسَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: أَرْسَلَنِي **أُسَامَةُ بن زيدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩)[٢]: إِلَى عَلِيِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠)[٣]: وَقَالَ: إِنَّهُ سَيَسْأَلُكَ الآنَ فَيَقُولُ: مَا خَلَّفَ صَاحِبَكَ؟[٤] فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ: «لَوْ كُنْتَ فِي شِدْقِ..........

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ فِي طَلَب الْمُلْك، يُشِير إِلَى مَا وَقَعَ بَيْنَ مَرْوَان ثُمَّ عَبْد الْمَلِك اِبْنه وَبَيْنَ اِبْن الزُّبَيْر وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَكَانَ رَأْي اِبْن عُمَر تَرْك الْقِتَال فِي الْفِتْنَة وَلَوْ ظَهَرَ أَنَّ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ مُحِقَّة وَالْأُخْرَى مُبْطِلَة، وَقِيلَ: الْفِتْنَة مُخْتَصَّة بِمَا إِذَا وَقَعَ الْقِتَال بِسَبَبِ التَّغَالُب فِي طَلَب الْمُلْك، وَأَمَّا إِذَا عُلِمَتْ الْبَاغِيَة فَلَا تُسَمَّى فِتْنَة وَتَجِب مُقَاتَلَتهَا حَتَّى تَرْجِع إِلَى الطَّاعَة، وَهَذَا قَوْل: الْجُمْهُور. ٦٠/١٣»

(٢) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ مِنْ الْمَدِينَة.

(٣) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ بِالْكُوفَةِ، لَمْ يَذْكُر مَضْمُون الرِّسَالَة وَلَكِنْ دَلَّ مَضْمُون قَوْله « فَلَمْ يُعْطِنِي شَيْئًا « عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَرْسَلَهُ يَسْأَل عَلِيًّا شَيْئًا مِنْ الْمَال.

(٤) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا هَيَّأَهُ أُسَامَة اِعْتِذَارًا عَنْ تَخَلُّفه عَنْ عَلِيّ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يُنْكِر عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، وَلَا سِيَّمَا مِثْل أُسَامَة الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْل الْبَيْت، فَاعْتَذَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّف ضَنًّا مِنْهُ بِنَفْسِهِ عَنْ عَلِيّ وَلَا كَرَاهَة لَهُ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي أَشَدّ الْأَمَاكِن هَوْلًا لَأَحَبَّ أَنْ يَكُون مَعَهُ فِيهِ وَيُوَاسِيه بِنَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا تَخَلَّفَ لِأَجْلِ كَرَاهِيَته فِي قِتَال الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْله: «وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ».

الأَسَدِ[(١)] لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِيهِ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ».[(٢)] صحيح البخاري (٧١١٠).

* وقالَ سَهلُ بنُ حُنَيفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٨): يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ.[(٣)] صحيح البخاري (٣١٨١)، صحيح مسلم (١٧٨٥).

* وعن يسير بن عمرو: أن أبا مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٢) لما قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ احتجب في بيته، فدخلت عليه فسألته فقال: عليك بالجماعة، فإن

---

(١) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ جَانِب فَمه مِنْ دَاخِل، وَهُوَ كِنَايَة عَن الْمُوَافَقَة حَتَّى فِي حَالَة الْمَوْت، لِأَنَّ الَّذِي يَفْتَرِسهُ الْأَسَد بِحَيْثُ يَجْعَلهُ فِي شِدْقه فِي عِدَاد مَنْ هَلَكَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَالَ: لَوْ وَصَلْت إِلَى هَذَا الْمَقَام لَأَحْبَبْت أَنْ أَكُون مَعَك فِيهِ مُوَاسِيًا لَك بِنَفْسِي.
يُنظر: فتح الباري ١٣/ ٨٥-٨٦.

(٢) فيه أن الصحابة لا يُحابون ولا يُجاملون في الحق، ولو كان الطالب منهم من أحب الناس إليهم، فأسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يمتثل ما طلبه منه عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصارحه بأنه لا يرى ذلك، معَ قوله بأنه يُحبه، فالمحبة لا تعني الموافقة في كل شيء، فقد يختلف الصديق مع صديقه في الرأي، وقد لا يُطاوعه في بعض الأمور، وهذ لا يعني أنه قليل الشأن عنده.
وفيه أنّ الخلاف بينهم لا يصل إلى حدّ القطيعة، فكلّ واحد منهما فعل ما لا يُحبّ صاحبُه، ومع ذلك بقيا إخوةً في الدين.

(٣) اتَّهِمُوا رأْيكُم على دِينكُمْ» أي لَا تَعمَلُوا فِي أَمْر الدِّين بالرَّأْيِ الْمُجَرَّد الَّذِي لَا يَسْتَنِد إِلى أصل مِن الدِّين. فتح الباري ١٣/ ٣٥٢

وعظ سَهلُ بنُ حُنَيفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس أن لا يقاتلوا في معركة صفين، التي وقعت بين جماعتين مسلمتين، وأن يتهموا رأيهم في هذا القتال؛ لأن كلا منهما يقاتل عن رأي رآه، واجتهاد اجْتهده، فهو يحذرهم من هذا القتال؛ لأنه قتال الإخوة في الإسلام، وكان سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متَّهما بالتقصير في القتال، فأخبرهم أنه لا يقصر في نصرة الجماعة المسلمة، كما لم يقصر يوم الحديبية، إذ لو استطاع أن ينصر أبا جندل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لنصره، حين جاء من مكة مسلما يجر قيوده، وكان قد عُذِّب على الإسلام، فرده رسول الله ﷺ لأنه جاء بعد عقد الصلح مع قريش. شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري.

الله لن يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة، واصبر حتى يستريح برٌّ، ويُستراح من فاجر. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٢.

* وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: عَنْ خَلَفِ بْنِ حَوْشَبٍ[١]: كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ عِنْدَ الفِتَنِ[٢]، قَالَ امْرُؤُ القَيْسِ[٣]:

الحَـرْبُ أَوَّلُ مَـا تَكُـونُ فَتِيَّـةً[٤] ... تَسْـعَى بِزِينَتِهَـا لِـكُلِّ جَهُـولِ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ[٥] وَشَبَّ ضِرَامُهَا[٦] ... وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ[٧]
شَمْطَاءَ[٨] يُنْكَرُ لَوْنُهَا[٩] وَتَغَيَّرَتْ ... مَكْرُوهَـةً لِلشَّـمِّ وَالتَّقْبِيلِ[١٠]

* وقال **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): إنَّ الفتنة ليست تأتي تهدي الناس، ولكن إنما تأتي تقارع المؤمن عن دينه، ولأن يقول الله لم لا قَتَلت فلانًا؟ أحب إليّ من أن يقول: لم قتلت فلانًا. تهذيب الحِلْية ٢/٣٦٢ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن آخُذ بالثِّقة في القعود أحبُّ إليَّ مِن أن ألتمس فضل

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خَلَف كَانَ مِنْ أَهْل الْكُوفَة رَوَى عَنْ جَمَاعَة مِنْ كِبَار التَّابِعِينَ وَأَدْرَكَ بَعْض الصَّحَابَة لَكِنْ لَمْ أَجِد لَهُ رِوَايَة عَنْ صَحَابِيّ، وَكَانَ عَابِدًا.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ عِنْدَ نُزُولهَا.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمَحْفُوظ أَنَّ الْأَبْيَات الْمَذْكُورَة لِعَمْرِو بْن مَعْدِ يكَرِب الزُّبَيْدِيّ كَمَا جَزَمَ بِهِ أَبُو الْعَبَّاس الْمُبَرِّد فِي الْكَامِل، وَبِذَلِكَ جَزَمَ السُّهَيْلِيُّ فِي « الرَّوْض ».

(٤) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ شَابَّة.

(٥) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كِنَايَة عَنْ هَيَجَانهَا.

(٦) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شَبَّتْ الْحَرْب إِذَا اتَّقَدَتْ وَضِرَامهَا: أَيْ اِشْتِعَالهَا.

(٧) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمَعْنَى أَنَّهَا صَارَتْ لَا يَرْغَب أَحَد فِي تَزْوِيجهَا.

(٨) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هُوَ وَصْف الْعَجُوز، وَالشَّمْط اِخْتِلَاط الشَّعْر الْأَبْيَض بِالشَّعْرِ الْأَسْوَد.

(٩) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ يُبَدَّل حُسْنهَا بِقُبْحٍ.

(١٠) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَصِف فَاهَا بِالْبَخْرِ مُبَالَغَة فِي التَّنْفِير مِنْهَا.

يُنظر: فتح الباري ١٣/ ٦٠-٦٣

الجهاد بالتغرير.[1] تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٥.

* وقيل ليزيد بن العلاء: ما كان يصنع **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا هاج في الناس هيج؟ قال: كان يلزم قعر بيته ولا يأتي لهم صفا ولا جماعة، حتى تنجلي عما انجلت. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٤٣.

* وقال ابن الجوزي: رأى **طلحة بن مصرّف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) رجلًا يضحك فقال له: أما إنك تضحك ضحك من لم يحضر الجماجم[2]، فقيل له: وشهدت الجماجم؟، فقال: نعم ورميت فيها بسهم وليت يدي قطعت ولم أرم فيها. المنتظم ٢٤٥-٢٤٦/ ٦.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) قد لقي جماعة من الصحابة، وكان من العلماء المتعبدين، وكان حسن الخشوع في الصلاة، فوقع مرة إلى جانبه حريق فما شعر به حتى طفئ.

وكان أرفع عند الناس من الحسن البصري حتى خرج مع ابن الأشعث فوضعه ذلك.

وكان يقول: ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح، فقال له قائل: فكيف بمن رآك واقفًا في الصف وقال: هذا مسلم بن يسار، ما وقف هذا الموقف إلا وهو على الحق فقاتل فقتل، فبكى بكاء شديدًا. المنتظم ٦٢/ ٧.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله: من الابتلاء والمحن ما يتعرض به المرء للفتنة، صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السَّلامة من الفتنة. الاستقامة / ٤٩٩.

(٢) هي معركة وقعت بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن الأشعث سَنَة ثِنْتَيْنِ وَثَمَانِينَ، فَانتصر عليه الحجاج، وَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وقُتل من الفريقين خلقٌ كثير.

* وقيل **للأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) أيام زيد بن علي[١]: لو خرجت؟ قال: ويلكم والله ما أعرف أحدًا أجعل عرضي دونه، فكيف أجعل ديني دونه. تهذيب الحِلْية ٢/١٣٩.

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: لما كان قتال علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كنت رجلًا شابًا فتهيأت، ولبست سلاحي ثم أتيت القوم فإذا صفان لا يُرى طرفاهما، فتلوت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣]، فرجعت وتركتهم. تهذيب الحِلْية ١/٣٦٧.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قال: إياكم والتكلف والتنطع والغلو والإعجاب بالأنفس، تواضعوا لله عَزَّ وَجَلَّ لعل الله يرفعكم، قد رأينا والله أقوامًا يسرعون إلى الفتن، وينزعون فيها، وأمسك أقوام عن ذلك، هيبة لله ومخافة منه. فلما انكشفت إذا الذين أمسكوا أطيب نفسًا، وأثلج صدورًا، وأخف ظهورًا، من الذين أسرعوا إليها وينزعون فيها، وصارت أعمال أولئك حزازات على قلوبهم كلما ذكروها.

وايم الله! لو أن الناس يعرفون من الفتنة إذا أقبلت، كما يعرفون منها إذا أدبرت، لعقل فيها جيل من الناس كثير، والله ما بعثت فتنة قط إلا في شبهة وريبة إذا شبت، رأيت صاحب الدنيا لها يفرح ولها يحزن، ولها يرضى ولها يسخط، ووالله لئن تشَبَّث بالدنيا وحَدَب عليها، ليوشك أن تلفظه وتقضي منه.[٢] تهذيب

(١) ابن الحسين بن علي بن أبي طالب. خرج على هشام بن عبد الملك سنة: ١٢١، وقتل بالكوفة حيث بايعوه على القتال معه، ثم رفضوه لمَّا رأوه يتولى أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. المنتظم ٧/ ٢٠٧.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وغالب من يتعرض للمحن والابتلاء ليرتفع بها ينخفض بها، لعدم ثباته في المحن، بخلاف من ابتلاه الحق ابتداءً، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران:١٤٣]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف:٢].

=

الحِلْية ٤٠٩/ ١.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا يقولون ويرجون إذا لقي الله الرجل المسلم وهو نقي الكف من الدم أن يتجاوز الله عنه ويغفر له ما سوى ذلك من ذنوبه. تهذيب الحِلْية ٩١/ ٢.

* وقال **الإمام أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): **يأتي عَلَى المؤمن زمانٌ إن استطاع أن يكون حِلْسًا فليفعل**، قيل: ما الحلس؟[١] قَالَ: **قطعةُ مِسْح[٢] فِي البيت مُلقى.**[٣] طبقات الحنابلة (٢/ ١٠٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفتنة: إذا لم يكن إمامٌ يقوم بأمر المسلمين.[٤] طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣٩).

* وكان **طالوت بن عبد الجبار**[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن استخفى من أعلام فقهاء قرطبة، في ثورة أهل قرطبة على أميرهم الحكم بن هشام[٦]، وظفر بهم، وهو صاحب

= وقال النبي ﷺ: (**يا عبد الرحمن! لا تسأل الإمارة، فإنَّك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها**). وقال: (**إذا سمعتم بالطاعون ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منها**). الاستقامة: ٣٦٢-٣٦٣

(١) هو كساءٌ يُبْسَطُ في البيتِ تَحْتَ كريم الْمَتَاع، وَيُقَال: هُوَ حلْس بَيته لَا يبرحه.

(٢) المِسْحُ: ثَوْبٌ من الشَّعرِ غليظٌ.

(٣) وهذا في زمان الفتن.

(٤) أي: الفتنة الكبرى أنْ يبقى الناس بلا إمام يقوم بمصالحهم، وتُصان دماؤهم، وتُحفظ أعراضهم.

(٥) المعافري الأندلسي، دخل مصر، وحج، ولقي الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعاد إلى قرطبة. نفح الطيب ٢/ ٦٣٩.

(٦) هو الحكم بن هشام بن الداخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم الأموي، أمير الأندلس، بويع بالملك عند موت أبيه سنة ثمانين ومائة.

وكان من جبابرة الملوك، وفساقهم، ومتمرِّديهم، وكان فارسا، شجاعا، فاتكا، ذا دهاء، وحزم، وعتو، وظلم، تملك سبعا وعشرين سنة.

وكان في أول أمره على سيرة حميدة، تلا فيها أباه، ثم تغير، وتجاهر بالمعاصي. =

القصة المشهورة المضروب بها المثل في الوفاء بالذمة.

وكان طالوت قد استخفى خوفًا على نفسه عند رجل من اليهود من جيرانه وثق به، فتقبله أحسن قبول، ومكث عنده بأفضل حال حولًا، حتى طفئت الثائرة وظن الفقيه أنه أملّ اليهودي، وكانت بينه وبين أبي البسّام الوزير وصِلْةٌ حنّ بها إليه، رجاء الأخذ له الأمان.

فساء اليهودي تحوّله عنه، ونصحه.. فقصد الوزير خفية بين العشاءين، فأظهر القبول، وسأله أين كان قبل، فأخبره، فصوّب رأيه في انتقاله إليه، ووعده الشفاعة له، وبادر بالركوب في وقته، وقد وكَّل به من يحرسه، فقال للأمير: هذا طالوت رأس المنافقين عندي، قد أظفرك الله له.

قال: قم فعجّل به، ووثب فجلس على كرسي بباب مجلسه يتوقد غيظًا عليه، فلم يلبث أنْ أدخل طالوت عليه، فجعل يتقرَّعه بذنوبه، ويقول: طالوت!

= مات ست ومائتين، وله ثلاث وخمسون سنة.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كثرت العلماء بالأندلس في دولة الحكم بن هشام، حتى قيل: إنه كان بقرطبة أربعة آلاف مُتَزَيِّيْنَ بزي العلماء، فلما أراد الله فناءهم عزّ عليهم انتهاك الحكم للحرمات، وائتمروا ليخلعوه، ثم جيشوا لقتاله، وجرت بالأندلس فتنة عظيمة على الإسلام وأهله، فلا قوة إلا بالله. السِّيَر (٧/ ٢٨٠).

لقد جرت في الأمة فتن بسبب الخروج على الحاكم المسلم أدت إلى سفك الدماء، واختلال الأمن، وضعف المسلمين واضطرابهم وخوفهم، نعوذ بالله من ذلك، ولذلك اتفق العلماء على تحريم الخروج على الحاكم المسلم الذي يقيم الصلاة مهما ظلم وفسق، قَالَ الإمام أَحْمَد بن حنبل إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع تسعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار عَلَى أن السنة التي توفي عنها رَسُول اللهِ ﷺ.. ثم ذكر منها: والصبر تحت لواء السلطان عَلَى ما كان فيه من عدل أو جور، وأن لا نخرج عَلَى الأمراء بالسيف وإن جاروا. طبقات الحنابلة (١/ ١٣٠)

وقال سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السنّة: الصبر على الولاة وإن جاروا وإن ظلموا. ترتيب المدارك (٢/ ١٨٤). والنقل عن أهل العلم أكثر من أن يُحصر.

الحمد الله الذي أظفرني بك، ويحك! أخبرني، لو أن أباك أو ابنك قعد مقعدي بهذا القصر، أكانا يزيدانك من البر والإكرام على ما فعلته أنا بك؟ هل رددتُ قط حاجة لك أو لغيرك؟ ألم أشاركك في حلوك ومرِّك؟ ألم أعُدْك مرات في علاَّتك؟ ألم أشاركك في حزنك على زوجتك؟ ومشيت في جنازتها؟ وانصرفت معك كذلك إلى منزلك؟ وغير شيء من التوقير فعلته بك؟.

ما حملك على ما قابلتَ به إجمالي؟ ولم ترض مني إلا بخلع سلطاني، والسعي لسفك دمي، واستباحة حرمتي؟.

فقال له طالوت: ما أجد لي في هذا الوقت مقالًا أنجى من صدقك، أبغضتك لله وحده، فلم ينفعك عندي كلُّ ما صنعتَه، هي حظوظ دنياك.

فسرِّي عن الأمير وسكن غيظه، وملئ عليه رقّة.

فقال: والله لقد أحضرتك، وما في الدنيا عذابٌ إلا وقد عرَضْتُه أختار بعضه لك، وقد حيل بيني وبينك، فأنا أُعْلمك أنَّ الذي أبغضتني له صرفني عنك، فانصرف في أمان الله تعالى، وانصرف حيث شئت، وارفع إليّ حاجتك، فلن تعدم فيّ برًّا ما بقيت، فيا ليت الذي كان لم يكن.

فقال له طالوت: صدقت، فلو لم يكن كان خيرًا لك، ولا مرد لأمر الله.

فلم يزل طالوت لديه بعدُ مبرورًا إلى أن توفي عن قريب، فأسى له الحكم، وحضر جنازته، وأثنى عليه به بصدقه.

وسأل الحكم طالوتًا بعد أن أمَّنه في ذلك المجلس: كيف ظفر بك صاحبك الوزير؟.

قال: أنا أظفرتُه بنفسي عن ثقة، لوصلة بيني وبينه، ليشفع لي عندك، فكان منه ما رأيت.

فقال له: فأين كان مثواك قبل؟.

فأخبره بخبر اليهودي.

فقال الحكم للوزير: سوءةً لك، رجلٌ في أعداء الملة حفظ لهذا الشيخ محله في الدين والعلم، فأخطر بنفسه فيه، وناقضت أنت ذلك وهو من خيار أهل ملّتك، وأردت أن تزيدنا فيما نحن قائمون عليه في سوء الانتقام؟.

أخرج عني قبّحك الله، ولا تُرني وجهًا ووفَّر أرزاقه، وطويت في بيت الوزارة فراشه، فسقط آخر الدهر، وذهب عقبه، وما زالوا في ارتكاس وخمول. ترتيب المدارك (١/ ٥٣٢-٥٣٣).

* وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: امتحن **البُهلول بن راشد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣) على يد العكيّ أمير القيروان، وقيل له: إنه يقع في سلطانك، وضُعِّف عنده أمره[1]، فأمر به، فتحاشد الناس معه، فزاده ذلك حنقًا عليه، وأَخرج إليهم الأجناد ففضُّوهم، وأمر بتجريده وضربه بالسياط، ورمى جماعة أنفسهم فضُربوا، وضُرب هو نحو العشرين وحبَسَه، وكان عندما همّ به وسيق لقيه قوم متلثِّمون فشاوروه في القيام عليه وتخليصه فجعل يقول: لا، لا.

قال أبو زرجونة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت عند بهلول بعد ضربه إذ سمعت بكاء رجل داخل من الباب، وإذا ابن فروخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فجلس أمامه، يبكي، فقال له بهلول: ما أبكاك يا أبا عمر؟ قال: أبكي لظهر ضرب بغير حق، فقال: قضاء وقدر.

وندم العكي بعد ذلك، وقال للقاضي ابن غانم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل تستطيع أن ترينيه؟ فقال: أما على أن يأتيك فلا، ولكن أستدعيه أنا واستشرف أنت من حيث تراه، ففعل.

(١) أي: قللوا من شأنه ومكانته، واحتقروه، فلذلك تجرأ عليه.

فلما بصر به جعل يقول: تبارك الله، كأنه سفيان الثوري في شأنه، فعن قريب عزل العكي أسوأ عزل.

قال البهلول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقمت ثلاثين سنة أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض وهو السميع العليم، فنسيتها يومي مع العكي، فابتُليت.

وذكر أن العكي وجه إليه ثيابًا وكيسًا، فلم يقبل ذلك، فلما أبى سأله أن يحلّله فقال له: ما حَلَلْت يدي من العقالين حتى جعلتك في حل.[1] ترتيب المدارك (١/ ٣٧٣-٣٧٤).

* وقال **القاضي عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٤٤): كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام والتستر، كأنهم ذِمّة، تجري عليهم في أكثر الأيام محن شديدة.

ولما أظهر بنو عبيد أمرهم، ونصَّبوا حسينًا الأعمى السبّاب -لعنه الله تعالى- في الأسواق للسبّ بأسجاعٍ لُقِّنها، تُوُصِّل منها إلى سبّ النبي ﷺ، في ألفاظ حفظها، كقوله لعنه الله: العنوا الغار وما وعى، والكساء وما حوى، وغير ذلك، وعلقت رؤوس الأكباش والحمر، على أبواب الحوانيت، عليها قراطيس معلقة، مكتوب فيها أسماء الصحابة: اشتد الأمر على أهل السنة، فمن تكلم أو تحرك قُتل ومثّل به، وذلك في أيام الثالث من بني عبيد، وهو إسماعيل الملقب بالمنصور[2] -لعنه الله تعالى- سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

---

(١) الصادقون لا يحملون في قلوبهم الأحقاد على إخوانهم المسلمين ولو نالهم ما نالهم من الأذى والظلم.

(٢) هو أبو طاهر إسماعيل، بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي صاحب المغرب وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما. =

وكان في قبائل زناتة رجل منهم يكنى بأبي يزيد، وكان يتحلّى بنسك عظيم، وقومه له على طاعة عظيمة، ويَتَمَذْهَبُ بمذهب الخوارج، فقام على بني عبيد، والناسُ يتمنَّون قائمًا عليهم، فتحرَّك الناسُ لقيامه، واستجابوا له، وفتح البلاد، ودخل القيروان، وفرّ إسماعيل إلى مدينة المهدية، فنفر الناس مع أبي يزيد إلى حربه، وخرج بهم فقهاء القيروان، وصلحاؤهم، ورأوا أن الخروج معه متعيّن، لكُفرهم؛ إذ هو مِن أهل القبلة، وقد وجدوه يقاتلوهم معهم، وكذلك كان أبو إسحاق السَّبَائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول -ويشير بيده إلى أصحاب أبي يزيد-: هؤلاء من أهل القبلة لقتالهم، وهؤلاء ليسوا من أهل القبلة -يريد بني عبيد-، فعلينا الخروج مع هذا الذي من أهل القبلة لقتالهم، فإن ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد، والله يسلط عليه إمامًا عادلًا يخرجه عنَّا.

فخرج الناس مع أبي يزيد لجهادهم، فرزقوا الظفر بهم، وحصروهم في مدينة المهدية.

فلما رأى أبو يزيد ذلك ولم يشكّ في غلبته أظهر ما أكنّه من الخارجية.

فقال لأصحابه: إذا لقيتم القوم فانكشفوا عن علماء القيروان، حتى يتمكن أعداؤهم منهم، فقتلوا منهم من أراد الله سعادته، ورزقه الشهادة، في خمسة وثلاثين رجلًا من الفقهاء والصالحين، وذلك في رجب سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

ففارق الناسُ أبا يزيد، وظهر منه نكران وفسوق، فانقلب الناس كلّهم عليه، وانكسرت شوكتُه.[1] ترتيب المدارك (٣/ ٢٦٨-٢٧١).

= وقد عهد بالأمر إلى المعز الفاطمي الذي بعث مولاه جوهر القائد فبنى له القاهرة المتاخمة لمصر، واتخذ له فيها دار الملك. البداية والنهاية (١١/ ٢٥٦).

(١) في هذا درس وعبرة لأهل السنة، ألا يدخلوا مع الخوارج في نصرة عدوهم؛ لأن الخوارج يتوصلون بهم إلى مآربهم، ومتى تمكنوا استأصلوهم وساموهم سوء العذاب، كما حدث هذا=

ج- حالهم مع فتن الشهوات والنساء[١]:

* عن **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) قال: إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وستبتلون بفتنة السراء، وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسوّرن الذهب، ولبسن ريط[٢] الشام، وعَصْب اليمن[٣]، فأَتْعبن الغني، وكلّفن الفقير ما لا يجد. الزهد لابن المبارك (٧٣٤).

* وقال **سعيد بن المسيّب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤): ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قِبَل النساء.

وقال -وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبتْ إحدى عينيه وهو يعشو

=في الشام والعراق، حيث كانت دولة للخوارج، واغترّ بهم كثير ممن قلّه نصيبه من العلم فالتحق بهم لقتال الروافض والمشركين، وبعد أن تمكنوا فتكوا بأهل السنة، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، إلى أن أراح الله المسلمين من شرهم.

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان من سنة النبي ﷺ وسنة خلفائه: التمييز بين الرجال والنساء، والمتأهلين والعزاب، فكان المندوب في الصلاة أن يكون الرجال في مقدم المسجد والنساء في مؤخره.
وقال النبي ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»، وقال: «**يا معشر النساء لا ترفعن رؤوسكن حتى يرفع الرجال رؤوسهم من ضيق الأُزر**»، وكان إذا سلم لبث هُنيهة هو والرجال لينصرف النساء؛ أولا لئلا يختلط الرجال والنساء، وكذلك يوم العيد كان النساء يصلين في ناحية، فكان إذا قضى الصلاة خطب الرجال، ثم ذهب فخطب النساء فوعظهن وحثهن على الصدقة..
وكذلك لما قدم المهاجرون المدينة كان العزاب ينزلون دارا معروفة لهم، متميزة عن دور المتأهلين، فلا ينزل العزب بين المتأهلين، وهذا كله لأن اختلاط أحد المصنفين بالآخر سبب الفتنة، فالرجال إذا اختلطوا بالنساء كان بمنزلة اختلاط النار والحطب، وكذلك العزب بين الآهلين فيه فتنة لعدم ما يمنعه، فإن الفتنة تكون لوجود المقتضي وعدم المانع. الاستقامة: ٢٦١-٢٦٢.

(٢) هو الثوب الرقيق اللين.

(٣) العَصْبُ: ضربٌ من بُرود اليمن. الصحاح: (١/ ١٨٢).

بالأخرى-: ما من شيء أخوف عندي من النساء. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٨.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما بعث الله نبيا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٤٠.

* وعنه قال: إذا رأيتم الرجل يلحّ بالنظر إلى غلام أمرد فاتهموه. ذم الهوى: ٩٧.

* وعن **عطاء بن أبي رباح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: لو ائتمنت على بيت مال لكنتُ أمينًا، ولا آمن نفسي على أمة شوهاء.

* قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ففي الحديث: «**ألاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرأةٍ، فإنَّ ثالِثَهُما الشَّيطانُ**». تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٣.

* وخرج **حسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١) يوم العيد، فلما رجع قالت له امرأته: كم امرأة حسنة قد رأيت اليوم؟ فلما أكثرت قال: ويحك ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك. المنتظم ١٥٢ /٨.

* وقال **حسّان بن عطِية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): ما أتِيتْ أُمّةٌ قط إلاّ من قِبَل نسائهم.[1] ذم الهوى: ١٣٤.

* وقال **الحسن بن صالح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٩): سمعت أن الشيطان قال للمرأة: أنت نصف جندي، وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ، وأنت موضع سري، وأنت رسولي في حاجتي. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣٩.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: لا يَبِيت الرجل في بيت مع المرد. ذم الهوى: ٩٧.

---

(١) أي: ما ذلّت أمّة، وافتقرت، وكثرت فيها الفتن، وتسلّط عليها عدوّها إلا بسبب تبرّج نسائها وترفهنّ وافتتان الرجال بهنّ.

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: ثلاث لا تبلونّ نفسك بهنّ، لا تدخل على السلطان وإن قلت: آمره بطاعة الله، ولا تدخل على امرأة وإن قلت: أعلمها كتاب الله، ولا تصغين بسمعك لذي هوى، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه؟ تهذيب الحِلْية ٢/٥٤.

* وكان **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) لا يَدَع أمردا يجالسه.[1] ذم الهوى: ٩٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما بعثَ الله عَزَّ وَجَلَّ نبيًّا إلاّ وقد تخوّف عليه الفتنة من النساء. ذم الهوى: ١٣٥.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلِهَذَا كَانَ النَّظَرُ الَّذِي قَد يُفْضِي إِلَى الْفِتْنَةِ مُحَرَّمًا إِلَّا إِذَا كَانَ لِحَاجَةٍ رَاجِحَةٍ؛ مِثْل نَظَرِ الْخَاطِبِ وَالطَّبِيبِ وَغَيْرِهِمَا فَإِنَّهُ يُبَاحُ النَّظَرُ لِلْحَاجَةِ مَعَ عَدَمِ الشَّهْوَةِ.
وَأَمَّا النَّظَرُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى مَحَلِّ الْفِتْنَةِ فَلَا يَجُوزُ.
وَمَن كَرَّرَ النَّظَرَ إِلَى الْأَمْرَدِ وَنَحْوِهِ وَأَدَامَهُ وَقَالَ: إِنِّي لَا أَنْظُرُ لِشَهْوَةٍ كَذَبَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُن لَهُ دَاعٍ يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى النَّظَرِ لَمْ يَكُن النَّظَرُ إِلَّا لِمَا يَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ مِن اللَّذَّةِ بِذَلِكَ.
وَأَمَّا نَظَرُ الْفَجْأَةِ فَهُوَ عَفْوٌ إِذَا صَرَفَ بَصَرَهُ..
وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّ غَضَّ الْبَصَرِ عَن الصُّورَةِ الَّتِي يُنْهَى عَن النَّظَرِ إلَيْهَا: كَالْمَرْأَةِ وَالْأَمْرَدِ الْحَسَنِ يُورِثُ ذَلِكَ **ثَلَاثَ فَوَائِدَ جَلِيلَةِ الْقَدْرِ:**
إحداها: حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ وَلَذَّتُهُ، الَّتِي هِيَ أَحْلَى وَأَطْيَبُ مِمَّا تَرَكَهُ لِلَّهِ، فَإِنَّ مَن تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ..
وَأَمَّا الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ فِي غَضِّ الْبَصَرِ: فَهُوَ نُورُ الْقَلْبِ وَالْفِرَاسَةِ قَالَ تَعَالَى عَن قَوْمِ لُوطٍ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝﴾ [الحجر:٧٢] فَالتَّعَلُّقُ بِالصُّوَرِ يُوجِبُ فَسَادَ الْعَقْلِ وَعَمَى الْبَصِيرَةِ وَسُكْرَ الْقَلْبِ بَل جُنُونَهُ..
وَذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ آيَةَ النُّورِ عَقِيبَ آيَاتِ غَضِّ الْبَصَرِ فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥].
الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: قُوَّةُ الْقَلْبِ وَثَبَاتُهُ وَشَجَاعَتُهُ، فَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ سُلْطَانَ الْبَصِيرَةِ مَعَ سُلْطَانِ الْحُجَّةِ..
وَلِهَذَا يُوجَدُ فِي الْمُتَّبِعِ هَوَاهُ مَن ذُلِّ النَّفْسِ وَضَعْفِهَا وَمَهَانَتِهَا مَا جَعَلَهُ اللهُ لِمَن عَصَاهُ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ الْعِزَّةَ لِمَن أَطَاعَهُ وَالذِّلَّةَ لِمَن عَصَاهُ. مجموع الفتاوى (١٥/ ٤١٧- ٤٢٦).

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ائتمنِّي على بيتٍ مملوء مالًا، ولا تأتمِنِّي على جارية سوداء لا تحلّ لي. ذم الهوى: ١٣٥.

* وجاءته امرأة فقالت: إنِّي أريد أن أسألك عن شيء، فقال لها: أجيفي الباب ثم تكلّمي من وراء الباب. ذم الهوى: ١٣٥.

* وقال ابن **المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): اعلم أنّ من أوقع الأمور في الدِّين، وأنهكها للجسد، وأتْلفها للمال، وأضرّها بالعقل، وأزْراها للمروءة، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار: الغرامَ بالنساء.

ومن البلاء على المغرم بهن، أنه لا ينفك يأْجِم[1] ما عنده، وتطْمح[2] عيناه إلى ما ليس عنده منهن.

إنما النساء أشباه، وما يُرى في العيون والقلوب من فضل مجْهولاتهن على معروفاتهنّ باطلٌ وخدعة.

بل كثير مما يَرْغب عنه الراغب[3] مما عنده: أفضل مما تتوق إليه نفسه منهن.

وإنما الْمُرْتَغب عما في رحله[4] منهن إلى ما في رحال الناس: كالْمُرْتَغب عن طعام بيته إلى ما في بيوت الناس، بل النساء بالنساء أشْبه من الطعام بالطعام، وما في رحال الناس من الأطعمة أشدّ تفاضلًا وتفاوتًا مما في رحالهم من النساء.

ومن العجب أن الرجل الذي لا بأس في لبّه ورأيه يرى المرأة من بعيد مُتلفّفة في ثيابها، فيصوِّر لها في قلبه الحُسن والجمال، حتى تعْلَق بها نفسُه من غير رؤية، ولا خبرِ مُخبر، ثم لعلّه يهجم منها على أقبح القبح، فلا يعظه ذلك، ولا يقطعه

(١) أي: يكره ويمَلّ.

(٢) أي: تمتدّ

(٣) أي: يتركه ويزهَد فيه.

(٤) الرحل: أراد به المثوى، والمنزل، وارْتغب عنه: لم يرده.

عن أمثالها، ولا يزال مشغوفًا بما لم يذق، حتى لو لم يبق في الأرض غير امرأة واحدة لظن لها شأنًا غير شأن ما ذاق، وهذا هو الحمق والشقاء والسفه. الأدب الكبير (١١٠-١١٢).

* وجاء رجل إلى أبي عبدالله **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) ومعه غلام حسن الوجه، فقال له: من هذا؟ قَالَ: ابني، فقال أَحْمَد: لا تجئ به معك مرة أخرى، فلما قام قيل: أيَّد الله الشيخ، رجلٌ مستور وابنه أفضل منه، فقال أَحْمَد: عَلَى هذا رأَيْنا أشياخنا، وبه خبَّرونا عَنْ أسلافهم.[1] طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٣).

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا عبد الله بن المبارك -وكان عاقلًا- عن **أشياخ أهل الشام** رَحِمَهُمُ اللَّهُ، قالوا: من أعطى أسباب الفتنة من نفسه أولًا لم ينجُ آخرًا وإن كان جاهدًا.[2] ذم الهوى: ١٤٤.

* وكانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه لا يفتتن به، قال: نعم، قالت: ومن؟ قال **عبيد بن عمير** (ت: ٧٧)، قالت: فأذن لي فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لك.

فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: استتري يا أمة الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك قال: أخبريني، لو أن ملك الموت أتاك ليقبض

(١) ومقصود الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ألا يَسمح بمخالطة الأحداث والمردان والغِلمان الحِسان للأشياخ، فإنها فتنة لهم، هَلَكَ فيها أقوام كبعض المتصوفة، ففيها شهوةٌ كشهوة النساء.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه. عدة الصابرين / ٨٦.

روحك كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا قال: صدقت، فلو أدخلت قبرك فأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فلو أن الناس أعطوا كتبهم فلا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أو بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فلو أردتِ الممرّ على الصراط فلا تدرين تنجين أم لا تنجين، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا قال: صدقت، فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفِّينَ أم تَثْقُلين، أيسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقتِ، فاتق الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك.

فرجعت إلى زوجها، قال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون.

فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة.

فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت لي في كل ليلة عروسًا، فصيرها راهبة. المنتظم ١٩٧-١٩٨/ ٦.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حكى السِّبط عن **الأشرف موسى بن العادل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣٥) قال: كنت يومًا بهذه المنظرة من خلاط[1] إذ دخل الخادم، فقال: بالباب امرأة تستأذن، فدخلت فإذا صورة لم أر أحسن منها، وإذا هي ابنة الملك الذي كان بخلاط قبلي، فذَكَرَت أن الحاجب عليًا قد استحوذ على قرية لها، وأنها قد احتاجت إلى بيوت الكِراء، وأنها إنما تتقوت من عمل النقوش للنساء، فأمرْتُ بردّ ضيعتها إليها، وأمرت لها بدار تسكنها، وقد كنت قمت لها حين دخلت، وأجلستها بين يدي، وأمرتها بستر وجهها حين أسفرت عنه، ومعها عجوزٌ، فحين

(١) هي البلدة العامرة المشهورة، ذات الخيرات الواسعة، والثمار اليانعة، وهي وسط أرمينية الوسطى. معجم البلدان (٢/ ٣٨٠).

قضيْت شغلها قلت لها: انهضي على اسم الله تعالى. فقالت العجوز: إنما جاءت لتحظى بخدمتك هذه الليلة. فقلت: معاذ الله، لا يكون هذا. واستحضرت في ذهني ابنتي ربما يصيبها نظير ما أصاب هذه، فقامت وهي تقول: سترك الله مثل ما سترتني. وقلت لها: مهما كان لك من حاجة فانهيها إلي أقضِها لك. فدعت لي وانصرفت. فقالت لي نفسي: ففي الحلال مندوحة عن الحرام، فتزوَّجْها. فقلت: والله لا كان هذا أبدًا، أين الحياء والكرم والمروءة؟!.

ولما توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رآه بعض الناس وعليه ثياب خضر وهو يطير مع جماعة من الصالحين، فقال له: ما هذا وقد كنت تعاني الشراب في الدنيا، فقال: ذاك البدن الذي كنا نفعل به ذاك عندكم، وهذه الروح التي كنا نحب بها هؤلاء فهي معهم، ولقد صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال رسول الله ﷺ «**المرء مع من أحب**». البداية والنهاية ١٣/ ٢٢٨-٢٢٩.

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): احذروا مصارع العقول عند التهاب الشهوات. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٨).

د- ذكر بعض القصص في العشق والحب، وما قيل في ذلك[1]:

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن قال قائل: فكيف يتخلص مِن هذا مَن قد نشب فيه؟
قيل له: بالعزم القوي في هجران ما يؤذي والتدرج في ترك ما لا يؤمن أذاه، وهذا يفتقر إلى صبر ومجاهدة، **يهونهما سبعة أشياء:**
أحدها: التفكر في أن الإنسان لم يخلق للهوى، وإنما هيئ للنظر في العواقب والعمل للآجل.
ويدل على هذا أن البهيمة تصيب من لذة المطعم والمشرب والمَنْكح ما لا يناله الإنسان، مع عيش هني خال عن فِكرٍ وهمٍّ، ولهذا تُساق إلى مَنْحَرِها وهي منهمكة على شهواتها، لفقدان العلم بالعواقب. والآدمي لا ينال ما تناله لقوَّة الفكر الشاغل، والهمّ الواغل، وضعف الآلة المستعملة.
فلو كان نيل المشتَهَى فضيلة لما بُخِسَ حظّ الآدميّ الشريف منه، وزيد حظ البهائم، وفي توفير حظّ الآدمي من العقْل وبَخْسِ حظه من الهوى، ما يكفي في فضل هذا وذمّ ذلك. =

....

= **والثاني:** أن يُفكِّر في عواقب الهوى، فكم قد أفات من فضيلة، وكم قد أوْقعَ في رذيلة، وكم من مطْعَم قد أوقع في مرض، وكم من زلّةٍ أو جبتِ انكِسار جاهٍ وقبح ذِكْر مع إثم! غير أنّ صاحب الهوى لا يرى إلاّ الهوى!

فأقرب الأشياء شبهًا به من في المَدْبغَةِ، فإنّه لا يجد ريحها حتى يخرج فيعلم أينَ كان.

والثالث: أن يتصوّرَ العاقلُ انقضاء غرضه من هواه، ثم يتصورَ الأذى الحاصلَ عَقِيب اللّذة، فإنّه يراه يُرْبِي على الهوى أضعافًا.

وَالرَّابِعُ: أَنْ يَتَصَوَّرَ ذَلِكَ فِي حَقِّ غَيْرِهِ ثُمَّ يَتَلَمَّحَ عَاقِبَتَهُ بفكره فَإِنَّهُ سير مَا يَعْلَمُ بِهِ عَيْبَهُ إِذَا وَقَفَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ.

والخامس: أن يتدبّر عزَّ الغلبةِ وذلّ القهر، فإنّه ما مِن أحدٍ غلَب هواه إلاّ أحسّ بقوةِ عزّ، وما من أحد غلبه هواه إلاّ وجد في نفسه ذلّ القهر.

والسادس: أن يتفكَّرَ في فائدةِ المخالفة للهوى، من اكتساب الذِّكْرِ الجميل في الدنيا، وسلامة النفس والعرض، والأجْر في الآخرة. ثم يعكس، فيتفكر لو وافق هواه، في حصولِ عكس ذلك على الأبد، وليفرض لهاتَيْن الحالَتَيْن حالتيْ آدم ويوسف عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، في لذّة هذا، وصبر هذا.

والسابع: أن يتفكر فيما يطلبه من اللذات؛ فإنه سيخبره العقل أنه ليس بشيء، وإنما عين الهوى عمياء.

ويا أيها الأخ النصوح: أحضر لي قلبك عند هذه الكلمات، وقل لي بالله عليك: أين لذة آدم التي قضاها، من هَمَّةِ يوسف التي ما أمضاها، مَنْ كان يكون يوسف لو نال تلك اللذة؟، فلما تركها وصبر عنها بمجاهدة ساعة صار من قد عرفت. ا.هـ بتصرف. ذم الهوى: ٢٩ - ٣٠.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن أَصَابَهُ جُرْحٌ مَسْمُومٌ فَعَلَيْهِ بِمَا يُخْرِجُ السُّمَّ، وَيُبْرِئُ الْجُرْحَ بِالتِّرْيَاقِ وَالْمَرْهَم، **وَذَلِكَ بِأُمُورٍ:**

مِنْهَا: أَنْ يَتَزَوَّجَ أَوْ يَتَسَرَّى؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّمَا مَعَهَا مِثْلُ مَا مَعَهَا**»، وَهَذَا مِمَّا يُنْقِصُ الشَّهْوَةَ وَيُضْعِفُ الْعِشْقَ.

الثَّانِي: أَنْ يُدَاوِمَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَقْتَ السَّحَرِ، وَتَكُونُ صَلَاتُهُ بِحُضُورِ قَلْب وَخُشُوعٍ، وَلْيُكْثِرْ مِن الدُّعَاءِ بِقَوْلِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوب ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك، يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قَلْبِي إلَى طَاعَتِك وَطَاعَةِ رَسُولِك»، فَإِنَّهُ مَتَى أَدْمَنَ الدُّعَاءَ وَالتَّضَرُّعَ لِلَّهِ صَرَفَ قَلْبَهُ عَنْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف:٢٤].

الثَّالِثُ: أَنْ يَبْعُدَ عَن مَسْكَنِ هَذَا الشَّخْصِ وَالِاجْتِمَاعِ بِمَن يَجْتَمِعُ بِهِ؛ بِحَيْثُ لَا يَسْمَعُ لَهُ خَبَرًا، وَلَا يَقَعُ لَهُ عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَثَرٍ؛ فَإِنَّ الْبُعْدَ جَفَا، وَمَتَى قَلَّ الذِّكْرُ ضَعُفَ الْأَثَرُ فِي الْقَلْبِ. مجموع الفتاوى (٣٢/ ٥-٦).

* عن عِكْرمة قال: إنّا لَمَعَ **عبد الله بن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) عشيّةَ عرفة إذ أقبل فتية يحمِلون فتى من بني عُذْرة قد بلي بدنُه، وكانت له حلاوة وجمال، حتى وقَفُوه بين يديه، ثم قالوا: استشفِ لهذا يا ابن عمّ رسول الله ﷺ. فقال: وما به؟ فترنَّم الفتى بصوتٍ ضعيف لا يتبين وهو يقول:

بنا من جَوَى الأحْزانِ والحُبِّ لوعةٌ ... تكادُ لها نفس الشِّفيق تذوبُ
ولكنما أبقَى حشاشةَ مُعْولٍ ... على ما به عود هناك صَلِيبُ
وما عَجَبٌ موتُ المُحِبِّين في الهوى ... ولكن بقاء العاشِقين عَجيبُ

ثم شهَق شهقة فمات قال عكرمة: فما زال ابن عباس بقية يومه يتعوّذ بالله من الحبّ!. ذم الهوى: ٣٣٤.

* وقال بعضهم:

وما في الأرض أَشْقَى من محب ... وإن وجَد الهوى عذْبَ المَذاقِ
تراه باكيًا في كل حين ... مخافَة فُرقةٍ أو لاشتياقِ
فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوفَ الفراقِ
فتسخن عينه عند التنائي ... وتسخنُ عينه عند التلاقي

ذم الهوى: ٣٩٢.

* وقال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٩٧): حدثني بعض إخواني عن صديق له، أنّه عشق امرأةً كانت في نهاية الحسن والجمال، وأنّه كان يخاطر بنفسه ليجتمع بها قال: فقال لي يومًا: والله لو اجتمعتُ بها ثم قُدِّمْتُ فضرِبَتْ عُنقي ما باليت. ثمّ إنّه تزوّجها، فمضى عليه قليل ثم طلّقها قال: فمررتُ يومًا أنا وهو في بعض الطريق بحَمْأة[1] مُنْتِنة، فقال لي: يا فلان، والله إنّ فلانة اليوم أقبحُ عندي حالًا من

(١) أي: طين أسود مُنْتن.

هذه الحمأة!.[1] ذم الهوى: ٤٢٩.

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبهذا السبب يعرض الإنسان عن زوجته ويؤثر عليها الأجنبية، وقد تكون الزوجة أحسن. والسبب في ذلك أنّ عيوب الأجنبية لم تبِنْ له وقد تكشفها المُخالطة، ولهذا إذا خالط هذه المحبوبة الجديدة وكشفتْ له المُخالَطةُ ما كان مستورًا، ملّ وطلب أُخرَى إلى ما لا نهاية له.

ولهذا المعنى الذي أشرتُ إليه شكا خَلْق من العُشّاق معشوقهم، وملّوهم وأعرضوا عنهم، وما كان السبب إلاّ أنّ المخالطة أظهرَت المعايب الآدمية، فنفَروا عنهم ومضى ما مضى منَ القلق ووهن الجاه مجّانًا! ذم الهوى: ٤٢٦ - ٤٢٧

عيادة المريض

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): ليس من مسلم يعود مسلما إلا شايعه سبعون ألف ملك، وجُعل في خَرفة الجنة. الزهد لابن المبارك (٦٨٢).

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٣) أنه دخل عليه غالب القطان يعوده، فلم يلبث إلا يسيرا حتى قام، فقال أبو العالية: ما أرفق العرب، لا تطيل الجلوس عند المريض، فإن المريض قد تبدو له حاجة فيستحي من جلسائه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٢.

* وقال **بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨): المريض يعاد، والصحيح يزار. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٢.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: عيادة حمقى القراء: أشد على أهل المريض من مريضهم، يجيئون في غير وقت العيادة، ويطيلون الجلوس. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٣.

* وقال **طاووس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦): خير العيادة أخفها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٢.

* وعن عبد الله بن أبي صالح قال: دخل عليَّ **طاووس** رَحِمَهُ اللَّهُ وأنا مريض، فقلت: يا أبا عبد الرحمن أدع لي، قال: أدع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٤.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: من تمام العيادة: أن تضع يدك على المريض. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٤.

* وقال **الشاعر**:

عليك بإقلال الزيارة إنّها إذا كثرت صارت إلى الهجر مَسلكا

ألم تر أنّ الغيث يُسأم دائما ويُسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

أدب الدين (٢٨٦).

موقف السلف من الحاجات الضرورية والكمالية

أ- موقف السلف من العمل والسعي في طلب الرزق(١):

* قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) من أَتْجَر قريش حتى دخل في الإمارة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٣.

---

(١) قال العلامة ابن عبد البرّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمَالُ الْمَذْمُومُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ وَالْمَأْخُوذُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَالْآثَارُ الْوَارِدَةُ بِذَمِّ الْمَالِ: فَوَجْهُ ذَلِكَ كُلِّهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ فِي الْمَالِ الْمُكْتَسَبِ مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُبِحْهَا، وَفِي كُلِّ مَالٍ مَا لَمْ يُطِعِ اللهَ جَامِعُهُ فِي كَسْبِهِ، وَعَصَى رَبَّهُ مِنْ أَجْلِهِ وَبِسَبَبِهِ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ وَغَضَبِهِ، وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللهِ وَفَرَائِضَهُ فِيهِ وَمِنْهُ، فَذَلِكَ هُوَ الْمَالُ الْمَذْمُومُ وَالْكَسْبُ الْمَشْئُومُ.
وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمَالُ مُكْتَسَبًا مِنْ وَجْهِ مَا أَبَاحَ اللهُ، وَتَأَدَّتْ مِنْهُ حُقُوقُهُ، وَتَقَرَّبَ فِيهِ إِلَيْهِ بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ وَمَرْضَاتِهِ: فَذَلِكَ الْمَالُ مَحْمُودٌ مَمْدُوحٌ كَاسِبُهُ وَمُنْفِقُهُ، لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ، وَلَا يُخَالِفُ فِيهِ إِلَّا مَنْ جَهِلَ أَمْرَ اللهِ، وَقَدْ أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى إِنْفَاقِ الْمَالِ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَمُحَالٌ أَنْ يُنْفِقَ مَا لَا يَكْتَسِبُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٢] الْآيَةَ، وَقَالَ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]. جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧١١

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين (١/ ٤٦٣): الأصل هو قطع علائق الباطن، فمتى قطعها لم تضره علائق الظاهر. فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك: لم يضرك ولو كثر، ومتى كان في قلبك: ضرك ولو لم يكن في يدك منه شيء.

قيل لسفيان الثوري: أيكون ذو المال زاهدًا؟ قال: نعم إن كان إذا زيد في ماله شكر، وإن نقص شكر وصبر. ولهذا كان الصحابة أزهد الأمة مع ما بأيديهم من الأموال.

وإنما يُحمد قطع العلائق الظاهرة في موضعين: حيث يخاف منها ضررا في دينه أو حيث لا يكون فيها مصلحة راجحة.

* وكان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) إذا أتاه رجل من العرب قال له: مالك لا تتجر؟ كان **أبو بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تاجر قريش. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥١.

* وعن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) قال: ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ مِيتة أموتها بعد القتل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ أحب إلي من أن أموت بين شعبتي رَحْل أضرب في الأرض، أبتغي من فضل الله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٠.

* وقال أيضا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٧٥.

* وعن الحسن قال: بينما **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يمشي ذات يوم في نفرٍ من أصحابه، إذا صبية في السوق يطرحها الريح لوجهها من ضعفها، فقال عمر: يا بؤس هذا من يعرف هذه؟ قال له عبد الله: أو ما تعرفها! هذه إحدى بناتك! قال: وأي بناتي؟ قال: بنت عبد الله بن عمر، قال: فما بلغ بها ما أرى من الضيعة؟ قال: إمساكك ما عندك، قال: إمساكي ما عندي عنها يمنعك أن تطلب لبناتك ما تطلب الأقوام! أما والله ما لك عندي إلا سهمك من المسلمين، وسعك أو عجز عنك، بيني وبينكم كتاب الله. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٢٩.

* ولما كان زمن **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فكثر المال، وحدثت الأعطية، وكف الناس عن طلب المعيشة، قال عمر: أيها الناس أصلحوا معايشكم؛ فإن فيها صلاحا لكم، وصلة لغيركم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٦.

* وكان الرجل تُنْتَجُ فرسُه فينحرها ويقول: أنا أعيش حتى أركب هذا؟.

فجاءهم كتابُ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفيه: أصلحوا ما رزقكم الله. الأدب المفرد (٤٧٨) وصححه الألباني.

* وعن الزهري قال: تصدق **عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) على

عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة. تهذيب الحِلْية ١/٩٧.

* وعن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: إني لأحب أن آكل من كدّ يدي. تهذيب الحِلْية ١٦١/١.

* ومرّ **سلمان الفارسي** على رجل في السوق وقد اشترى وسقا من طعام، فقال له: يا أبا عبد الله، تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟.

فقال: إنّ النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت وتفرغت للعبادة وأيس منها الوسواس. تهذيب الحِلْية ١٦٦/١ ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٢٢.

* وكانت غلّةُ **طلحة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) كل يوم ألفًا وافيًا، وكان يسمى طلحة الفياض. تهذيب الحِلْية ٩١/١.

* وكان **سعد بن عبادة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥) يدعو: اللهم هب لي حمدًا ومجدًا، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحني القليل، ولا أصلح عليه. المنتظم ١٩٩/ ٤، ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٣.

* وقال **الزبير بن العوام** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): إن المال فيه صنائع المعروف، وصلة الرحم، والنفقة في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، وعون على حسن الخلق، وفيه مع ذلك شرف الدنيا ولذتها.(١) ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٢٥.

* وعن **قيس بن عاصم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٧) أنه أوصى بنيه قال: عليكم بالمال

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد.. بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء. تلبيس إبليس: ٢٠٣.

واصطناعه، فإنه منبهة للكريم، ويستغني به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس، فإنه آخر كسب الرجل. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٤٧.

* وكان **أصحاب رسول الله** ﷺ يتجرون في بحر الروم، منهم **طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٤.

* وقال **سعيد بن المسيِّب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤): لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يعطي منه حقه، ويصل به رحمه، ويكف به وجهه عن الناس. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٨، ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٣.

* ولَمَّا مات ترك ألفين أو ثلاثة آلاف دينار، وقال: ما تركتها إلا لأصون بها ديني وحسبي. تهذيب الحِلْية ٣٤٨/ ١.

* وقال **بعض الحكماء**: ليس من الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون العرض فيها. أدب الدين (٢١٤).

* وقيل **لعبد الله بن ذكوان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): لِمَ تُحبُّ الدراهم وهي تُدنيك من الدنيا؟ فقال: إنها وإن أدنتني منها، فقد صانتني عنها. السِّيَر ٦/ ١٦٣.

* وعن حنظلة قال: رأيت **سالم بن عبد الله بن عمر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) يخرج إلى السوق، فيشتري حوائج نفسه. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٥.

* وكانوا يدخلون على **علقمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢)، وهو يقرع غنمه ويحلب ويعلف. تهذيب الحِلْية ٣٠٧/ ١.

* وقال مسلم: لقيني **معاوية بن قرّة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠)، وأنا جاءٍ من الكلأ، فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: اشتريت لأهلي كذا وكذا قال: وأصبت مِن حلال؟ قلت: نعم قال: لأن أغدو فيما غدوتَ به أحبّ إليّ من أن أقوم الليل وأصوم النهار. صفة الصفوة ٣/ ١٨٢، ابن أبي الدنيا ٨/ ٩١.

* وقال سهيل بن علي: كنت أجالس **خير بن نعيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧)، فرأيته يتجر في الزيت، فقلت له: وأنت أيضًا تتجر؟ فضرب بيده على كتفي، ثم قال: انتظر حتى تجوع ببطن غيرك، فقلت في نفسي: كيف يجوع الإنسان ببطن غيره، فلما بليت بالعيال إذا أنا أجوع ببطونهم. المنتظم ١٧ /٨.

* وعن **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) أنه قال: لا أرى لصاحب عشرة آلاف درهم أن يدع الكسب، فإنه إن لم يفعل لم آمن أن لا يعطف على جاره، ولا يوسع على عياله. المنتظم ٦١/ ٩.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتجر في البحر؟ قال: اتجر في البر والبحر، واستغن عن الناس. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٥.

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): الزم سوقك فإنك لا تزال كريمًا على إخوانك ما لم تحتج إليهم. تهذيب الحِلْية ٤٣٤/ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أعلم أن عيالي يحتاجون إلى جُرْزة بقل ما قعدت معكم.[1] ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٤.

* وعن **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) قال: المسألة مسألتان، مسألة على أبواب الناس، ومسألة يقول الرجل: ألزم المسجد وأصلي وأصوم وأعبد الله، فمن جاءني بشيء قبلته، فهذه شر المسألتين، وهذا قد ألحف في المسألة. تهذيب الحِلْية ٤٨٠/ ٢.

---

(١) هذا هو فهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى، وقد حاد عن طريقتهم بعض من ينتسب للزهد والتصوف، فتركوا السعي في طلب الرزق لهم ولأولادهم بدعوى التوكل أو بدعوى الرضا بقضاء الله، مثل ما رَوَى أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٩٢) أنّ بنتًا لبعض المتصوفة عريت، فقيل له: ألا تطلب من يكسوها؟ فقال: لا، أدعها حتى يرى الله عَزَّوَجَلَّ عريها وصبري عليها!!
فهذا عجز وكسل لا توكُّل، والمؤمن مأمورٌ بأنْ يسعى في الأرض لطلب الرزق، ولا يجوز أنْ يرى أولاده في فقر ثم لا يسعى في سدّ جوعهم، وستر عوراتهم.

* وقال **أبو قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): الْزَمْ سُوقَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْغِنَى مُعَافَاةٌ. جامع معمر بن راشد (٢١٠٢١).

* وعن **أبي وائل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) قال: الدرهم من تجارة أحب إلي من عشرةٍ من عطايا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٤.

* ولقي رجل **أحد السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأرض الحبشة معه تجارة، فقال له: ما الذي بلغ بك ها هنا؟!، أكلُّ هذا طلبٌ للدنيا، وحرص عليها؟!.

فقال له: يا هذا: إن الذي حملني على هذا: كراهة الحاجة إلى مثلك. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٦.

* وقال **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): نِعْم العون على تقوى الله عَزَّوَجَلَّ الغِنى. صفة الصفوة ٢/ ٢٨٠، ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٥.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): المال في هذا الزمان سلاح المؤمن. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٢٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها، أحب إليّ من أن أحتاج إلى الناس. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٦٩.

* وجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله تمسك هذه الدنانير؟ فقال: اسكت، لولا هذه الدنانير لتمَنْدل بنا هؤلاء الملوك.[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من كان في يده من هذه شيء فليصلحه، فإنه زمان من احتاج كان أول ما يبذل دينه.

وجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الحج، قال: لا تصحب من يكرم عليك، فإن ساويته في النفقة أضرّ بك، وإن تفضل عليك استذلك. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٦٩.

---

(١) تمندل بالمنديل: مسَح به وجهَه أو غيرَه.

ويشير سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنه لولا الغنى لتذللوا للملوك.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليك بعمل الأبطال، الكسب من الحلال، والإنفاق على العيال. تهذيب الحِلْية ٣٧٠/ ٢، ابن أبي الدنيا ٨/ ٢١.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): إن المؤمن أخذ عن الله أدبًا حسنًا إذا وسع عليه أوسع وإذا أمسك عليه أمسك. الزهد لأحمد: ٤٥٧.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس من حبك الدنيا طلبك ما يصلحك فيها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٢٠.

* وكان يقال: الحفظ للمال في غير بخل من لطيف نعماء الله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٩.

* وقيل **لبعض الحكماء**: العلماء أفضل أم الأغنياء؟ فقال: العلماء، فقيل له: فما بال العلماء بأبواب الأغنياء أكثر من الأغنياء بأبواب العلماء؟! قال: لمعرفة العلماء بفضل الغِنى[1] وجهل الأغنياء بفضل العلم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٢١.

* وقال **بعض الحكماء**: من أصلح ماله فقد صان الأكرَمين: الدين والعرض.

وقيل في منثور الحكم: من استغنى كرُم على أهله.

وكان يقال: الدراهم مراهم؛ لأنها تُداوي كلّ جرح، ويطيب بها كل صلح.

أدب الدين (٣٥٠-٣٥١).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

يا لَهْف نفسيْ على مالٍ أفرِّقه ... على المقلِّين من أهل المروءات
إنَّ اعتذاريْ إلى من جاء يسألني ... ماليس عنديْ لمن إحدى المصيبات

ديوان الشافعي (٥٦).

* ولما خرج **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة، فأكرى نفسَه من بعض الجمّالين، إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه

(١) في الأصل: العلماء، والمثبت هو الذي يتناسب مع السياق.

عرَضوا عليه المواساة، فلم يقبل من أحد شيئًا. صفة الصفوة ٢/ ٦٠٦.

* وكان كثيرًا ما يقول في دُبُر الصلاة: اللهم كما صنتَ وجْهي عن السجود لغيرك صُنه عن المسألة لغيرك. صفة الصفوة ٢/ ٦١٠.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

لِمَنْ تَطْلُبُ الدّنْيا إذا لم تُرِدْ بها ... سُرُورَ مُحِبٍّ أوْ مَساءَةَ مُجرِمِ[(١)]

ديوان المتنبي (٢٤٢).

وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): لولا عموم فقراء الناس ما استغنوا؛ فإن الإنسان لما افتقر احتال فسافر لجلب الثياب والمطاعم والأدوية والحطب وغير ذلك، فانتفع بذلك المقيم، فلو أن الناس استغنوا عن الكسب لافتقروا، لكنهم لما افتقروا تم الغناء. ذيل الطبقات (٢/ ١٦٨).

ب- موقف السلف من اللباس والمتاع[(٢)]:

* قال **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إذا وسّع الله فأوْسِعوا. صحيح البخاري (٣٦٥).

---

(١) كأنه يخاطب نفسه أو صاحبه فيقول: إن المال إنما يراد به أن تسر الودود، وترغم أنف الحسود، فإذا لم ترد هذين فلماذا تطلب المال؟! وأي معنى في طلب الجاه وحسن الحال؟!

(٢) كان بعض السلف يلبس الرديء من الثياب، وبعضهم يلبس أجود الثياب، وبعضهم يلزم لبسًا معيّنا كالصوف، والصواب: أن يلبس الإنسان ما وجد، ولا يتكلّف ما فقد، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر اختلاف السلف في اللبس: وأما النبي ﷺ فكان يلبس ما وجد، فتارة يلبس لباس الأغنياء من حلل اليمن وثياب الشام ونحوها، وتارة يلبس لباس المساكين، فيلبس جُبَّة من صوف أحيانًا، وأحيانًا يتَّزر بعباءة ويهنُؤ إبل الصدقة بيده -يعني أنَّه يطليها بيده ويُصلحها- كما يفعل أرباب الإبل بها. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب: ٤/ ٦٨-٦٩.

تنبيه: روى أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧) أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأى على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا درعًا جديدًا أعجبها، فقال: إن الله ليس بناظر إليك!! أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه عَزَّ وَجَلَّ حتى يفارق تلك الزينة.

وهذا الأثر لا يصح، فيه: إسحاق بن بشر، وهو كذاب كما قرره أئمة الحديث والجرح والتعديل. وإذا لبس المسلم لباسًا جديدا وأعجبه واستحسنه فإنه لا يُلام على ذلك.

* وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت بين كتفي **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أربع رِقاع. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٨٧.

* وقال الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ: ما كذبت منذ أسلمت إلا مرة واحدة، فإن **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سألني عن ثوب: بكم أخذته؟ فأسقطت ثُلُثي ثمنه، فقال: إن رداءك هذا لحسن لولا كثرة ثمنه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٠.

* وعُوتب **علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) في لبسه فقال: إنّ لَبوسي هذا أبعدُ من الكبر، وأجدرُ أنْ يَقتدي بي المسلم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٨٩.

* وعن قَزَعَة قال: رأيتُ على **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) ثيابًا خشنةً فقلتُ له: إني قد أتيتُكَ بثوب ليِّنٍ مما يصنع بخراسان، وتقرّ عيناي أنْ أراه عليكَ قال: أرنيه، فَلَمَسَه، وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا، إنه من قُطْن قال: إني أخاف أن ألبَسَه، أخافُ أن أكون مختالًا فخورًا، والله لا يُحبُ كُلَّ مختالٍ فخور.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨): كلُّ لباسٍ أوجد في المرء خُيَلاء وفخرًا فتركه مُتعيِّن ولو كان من غير ذهبٍ ولا حرير، فإنا نرى الشابَّ يلبَسُ الفَرَجية[1] الصوف بفَرْوٍ من أثمان أربع مئة درهم ونحوها، والكِبْرُ والخُيلاء على مشيته ظاهر، فإنْ نصحته ولُمتَه برفقٍ كابَرَ وقال: ما فيّ خُيلاء ولا فخرٌ، وهذا السيد ابنُ عمر يخافُ ذلك على نفسه، وكذلك ترى الفقيهَ المترف إذا لِيمَ في تفصيلِ فَرَجية تحت كعبيه، وقيل له: قد قال النبيُّ ﷺ: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**»، يقول: إنما قال هذا فيمن جرَّ إزاره خُيلاء، وأنا لا أفعلُ خُيَلاء، فتراه يُكابِرُ، ويُبرِّئ نفسَه، ويعمَدُ إلى نصٍّ مُستَقِلٍ عام فيخصُّهُ بحديث آخر مُستَقِلٍ بمعنى الخُيلاء، ويترخصُ بقول الصِّدِّيق: إنه يا رسول الله يسترخي إزاري، فقال: «**لستَ يا أبابكر**

(١) قال في الحاشية: الفرجية: ثوب واسع طويل الأكمام، يُتخذ من قطن أو حرير أو صوف.

ممن يفعله **خُيَلاء**»، فقلنا: أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يكن يُشدُّ إزاره مَسْدُولًا على كعبيه أولًا، بل كانَ يَشُدُّهُ فوق الكعب، ثم فيما بعد يسترخي. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٧٢.

* ودخل **عبد الله بن الزبير** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٧٣) على امرأته بنت الحسن، فرأى ثلاثة فرش في بيته، فقال: «هذا لي، وهذا لابنة الحسن، وهذا للشيطان، فأخرجوه».[1] الزهد لابن المبارك (٧١٢).

* وعن حنظلة بن أبي سفيان: قال: رأيت **سالم بن عبد الله** رَحِمَهُٱللَّهُ عيه (ت: ١٠٦) إزارٌ ثمنه أربعة، وقميصٌ ثمنه خمسة وهو موسر. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٠.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: كانوا يكرهون الشهرتين: الثياب الجياد التي يَشتهر فيها ويرفع الناس فيها أبصارهم، والثياب الرديئة التي يُحتقرُ فيها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩١.

* ودخل مسلمة بن عبد الملك على **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٠١) يعوده فقال لأخته فاطمة: إني أرى أمير المؤمنين قد أصبح باريا فلو غيرتم ثيابه، فسكتت عنه، ثم أعاد عليها فقالت: والله ما لِأمير المؤمنين قميص غيره. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩١.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُٱللَّهُ لجلسائه: رأيتموني أخرت الصلاة! إنما ذاك ثيابي غُسِلت فانتظرت جفوفها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩١.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: الْبس من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعيبه عليك العلماء. تهذيب الحِلْية ١١٥/ ٢.

* وقال غيلان: كان **مُطَرِّف بن الشخير** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٩٥) يلبس البرانس،

(١) هذا محمول على أنَّ بيته غير مهيّأ لمبيت الضيف عنده؛ لصغره أو لغير ذلك من الأسباب، وأما من يأتيه الضيوف وينامون عنده أحيانا فلا بأس بزيادة الفُرش في البيت.

ويلبس المطارف، ويركب الخيل، ويغشى السلطان، غير أنك كنت إذا أفضيتَ إليه أفضيت إلى قُرّة عَين. صفة الصفوة ٣/ ١٥٧.

* وقال **أبو العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣): زارني رجل وعليه ثياب صوف، فقلت: هذا زي الرهبان، إن المسلمين إذا تزاوروا تجملوا. تهذيب الحِلْية ٣٦٧/ ١.

* وعن **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) قال: إذا لبست ثوبًا فظننت أنك في ذلك الثوب أفضل مما في غيره؛ فبئس الثوب هو لك. تهذيب الحِلْية ٣٩٥/ ١.

* وقال **ابن السَّمّاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣) لأصحاب الصوف: والله إن كان لباسُكم هذا موافقًا لسرائركم لقد أحببتم أن يطَّلع الناسُ عليها، وإن كان مخالفًا لها فقد هلكتم. عيون الأخبار ٣٤٨ / ١.

* وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: ما أعلم أني رأيت أحدًا أنظف ثوبًا، ولا أشدّ تَعاهُدًا لنفسه في شاربه، وشَعر رأسه، وشَعر بدَنه ولا أنقى ثوبًا، وأشدَّه بياضاً من **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١). صفة الصفوة ٢/ ٦٦.

ج- موقف السلف من بعض العلوم غير الشرعية:

* قال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): لا أعلم علمًا بعد الحلال والحرام أنبلَ من الطبِّ، إلا أنّ أهل الكتاب قد غلبونا عليه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٠.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتلهَّفُ على ما ضَيَّعَ المسلمون من الطِّبِّ، ويقول ضيَّعوا ثلثَ العلم، ووكَلُوه إلى اليهود والنصارى. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٠.

د- موقف السلف من النكاح:

* عن **طاووس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦) قال: لا يتِمُّ نُسكُ الشَّابِّ حتى يتزوج. تهذيب السِّيَر ١/ ٥٧٩.

* وعن إبراهيم بن مَيْسرةَ قال: قال لي **طاوُوس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَتَنْكِحَنّ أو لأَقُولَنّ

لك ما قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) لأبي الزوائدِ: ما يَمنَعُك من النكاح إلا عجزٌ أو فجور. عيون الأخبار ٤/ ٣٠٩.

هـ- موقف السلف من بناء البيوت والقصور:

* عن عبد الله الرومي قال: دخلتُ على **أم طلق**، فرأيت سقف بيتها قصيرًا، فقلت لها: يا أم طلق، ما لي أرى سقف بيتك قصيرًا؟ قالت: إن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) كتب إلينا: لا تطيلوا بناءكم، فإنه من شر أيامكم. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٦٤.

* وعن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على **خباب بن الأرت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧) نعوده وقد اكتوى سبع كيات، فقال: إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا، وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعا إلا التراب[1]، ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به، ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبني حائطا له فقال: إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب -يعنى البنيان-.[2] صحيح البخاري (٥٦٧٢).

* وقال **سعد بن أبي وقاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): ثلاثة سعادة، وثلاثة شقاوة، فأما السعادة: فامرأة صالحة مواتية، ودابة تضعك من أصحابك حيث أحببت، ومسكن واسع كثير المرافق، وأما الشقاوة: فامرأة سيئة الخلق، ودابة سوء، إن أردت أن تلحق أصحابك أتعبتك، وإن تركتها خلَّفتك عن أصحابك، ومسكن ضيق قليل المرافق. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٦٧.

---

(١) أي الإنفاق في البنيان

(٢) قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى الحديث أن من بنى ما يكنه ولا غنى به عنه فلا يدخل في معنى الحديث بل هو مما يؤجر فيه، وإنما أراد خباب من بنى ما يفضل عنه ولا يضطر إليه فذلك الذى لا يؤجر عليه لأنه من التكاثر الملْهي لأهله. شرح صحيح البخاري ٩/ ٣٨٩.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: إن الرجل إذا كان له مال، فمنع حقه، سُلِّط على أن يُنفقه في الماء والطين، وإن العبد ليؤجر في نفقته كلها إلا فيما يجعله في البناء والطين. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٥٤.

* وابتنى مِلِكٌ من الملوك قصرًا وقال: انظروا من عاب منه شيئًا فأصلحوه وأعطُوه درهمين، وكان فيمن أتاهم رجل فقال: في هذا القصر عيبان اثنان، قالوا: وما هما؟.

قال: ما كنت أخبر بهما إلا الملِك، فأدخل عليه فقال: ما هذان العيبان؟ قال: يموت الملك ويخرب القصر!.

قال: صدقت، ثم أقبل على نفسه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٦٨.

و- الموازنة بين أعمال الدنيا وأعمال الآخرة:

* عن عمر بن قيس قال: كنت إذا نظرت إلى **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) في أمر دنياه قلت: هذا رجل لم يرد الله طرفة عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين. تهذيب الحِلْية ١/ ٢٥٣.

* وقال **عبد الله بن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٢.

* وعن **كعب الأحبار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢) أنه كان يقول: اعمل عمل العبد الذي لا يرى أنه يموت إلا هرمًا، واحذر حذر المرء الذي يرى أنه يموت غدًا. تهذيب الحِلْية ٢٥٣/ ٢.

* وقالت أم عباد: كنا نسمع بكاء **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) بالليل وضحكه بالنهار. صفة الصفوة ٣/ ١٧٥.

* وعن **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: أدركتهم يشتدون بين الأغراض،

ويضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل كانوا رهبانًا. الزهد لأحمد: ٣٧٠.

* وكان **ضمرة بن حبيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠) إذا قام إلى الصلاة قلت: هذا أزهد الناس في الدنيا، فإذا عمل للدنيا قلت: هذا أرغب الناس في الدنيا. تهذيب الحِلْية ٢/ ٢٧٥.

* وعن **سعيد بن إياس الجُريري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤) قال: كانوا يجعلون أول نهارهم لقضاء حوائجهم، وإصلاح معايشهم، وآخر النهار لعبادة ربهم وصلاتهم. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣١٥.

* وعن **معاوية بن قرّة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) قال: مَن يدلّني على بكّاءٍ بالليل بسّام بالنهار؟. صفة الصفوة ٣/ ١٨١.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): ليس من حبك الدنيا: طلبك ما يصلحك فيها، ومِن زهدك فيها: ترك الحاجة يسدها عنك تركها، ومن أحب الدنيا وسرته: ذهب خوف الآخرة من قلبه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٩٠.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) قال: كان من دعائهم: اللهم زهدنا في الدنيا، ووسع علينا منها، ولا تُزْوِها عنا فتُرَغِّبنا فيها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٩٤.

ز- الاقتصاد وعدم الإسراف[1]:

* قال **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): ما رأيت تبذيرا إلا وإلى جانبه حق يضيع. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٧٩.

* وسئل **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) عن الإسراف؟ فقال: الإنفاق

(١) قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي الشَّهَوَاتِ زَائِدًا عَلَى الْحَاجَاتِ، وَعَرَّضَهُ بِذَلِكَ لِلنَّفَادِ فَهُوَ مُبَذِّر، وَمَنْ أَنْفَقَ رِبْحَ مَالِهِ فِي شَهَوَاتِهِ، أَوْ غَلَّتَهُ، وَحَفِظَ الْأَصْلَ أَوْ الرَّقَبَةَ، فَلَيْسَ بِمُبَذِّرٍ، وَمَنْ أَنْفَقَ دِرْهَمًا فِي حَرَام فَهُوَ مُبَذِّرٌ يُحجَرُ عَلَيْهِ فِي نَفَقَةِ دِرْهَم فِي الْحَرَام، وَلَا يُحْجَرُ عَلَيْهِ بِبَذْلِهِ فِي الشَّهَوَاتِ، إِلَّا إِذَا خِيفَ عَلَيْهِ النَّفَادُ. أحكام القرآن: ٣/ ١٤٧.

في غير حق. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٧٨.

* وكان يقال: حسن التدبير: مفتاح الرشد، وباب السلامة: الاقتصاد. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٤٧.

* وكان يقال: الاقتصاد في كل شيء حسن حتى في المشي والقعود. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٤٨.

* وكان يقال: فقير مُسدَّد أفضل من غني مسرف، وما كثر مال رجل قط إلا أحدث كبرا، وما قل إلا زال عنه ما هو فيه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٤٨.

ي- فوائد أخرى:

* قال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يُصب فيه فليتحول إلى غيره. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٥.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: إذا لم يُرزق أحدكم في البلد فليتجر إلى بلدٍ غيره. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٥.

* وقال **أبو العالية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٣): إذا اشتريت شيئا فاشتر من أجوده. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٦٤.

* وعن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) أنه كان لا يرى بالمكايسة والمماكسة في البيع والشراء بأسا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٦٥.

موقف السلف من المال

أ- ذم تعلق القلب بالمال[1]:

* قُدِم على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) بمال في ولايته فجعل يتصفحه وينظر إليه، فهملت عيناه دموعا فبكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا لمن مواطن الشكر، فقال عمر: إن هذا المال والله ما أُعطيه قوم إلا أُلقي بينهم العداوة والبغضاء. الزهد لابن المبارك (٧١٧)، ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٠٢ واللفظ له.

* وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ذو الدرهمين أشد حسابًا من ذي الدرهم. الزهد لأحمد: ٢٧٥.

* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إن عادًا أُهلكت بكذا وكذا، وإن ثمودًا أُهلكت بكذا وكذا، إنّ هلاككم أنتم في هذا -يعني المال-. الزهد لهناد (٦٨٢).

* وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: إنما أهلك من كان

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: المال ظل زائل وعارية مسترجَعة، وليس في كثرته فضيلة، ولو كانت فيه فضيلة لخص الله به من اصطفاه لرسالته، واجتباه لنبوته، وقد كان أكثر أنبياء الله تعالى -مع ما خصهم الله به من كرامته وفضلهم على سائر خلقه- فقراءَ لا يجدون بُلْغة، ولا يقدرون على شيء، حتى صاروا في الفقر مثلا، فقال البحتري:

فقرٌ كفقر الأنبياء وغربةٌ ... وصبابةٌ ليس البلاءُ بواحد

أدب الدين (٧٩-٨٠)

قبلكم هذا الدينار وهذا الدرهم وهما مهلكاكم. الزهد لهناد (٦٨٣).

* وعن **العلاء بن زياد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) قال: رأيتُ الناسَ في النَّوم، يتبعون شيئًا فتبعتُه، فإذا عجوزٌ كبيرةٌ هتماء عوراء، عليها من كُلِّ حِلية وزينة، فقلتُ: ما أنتِ؟ قالت: أنا الدنيا. فقلتُ: أسأل الله أن يُبغِّضَك إليَّ، قالت: نعم، إن أبغضت الدراهم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٨.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): والله لقد أدركت أقوامًا وإن كان أحدهم ليرث المال العظيم قال: وإنه والله لمجهود شديد الجهد قال: فيقول لأخيه: يا أخي إني قد علمت أن ذا ميراث وهو حلال ولكني أخاف أن يفسد علي قلبي وعملي فهو لك لا حاجة لي فيه قال: فلا يرزأ منه شيئًا أبدًا، قال: وهو والله مجهود شديد الجهد. الزهد لأحمد: ٤٤٤.

* وكان يحلِفُ بالله: ما أعزَّ أحدٌ الدِّرهم إلاَّ أذلَّهُ الله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٦١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُوقف ابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَج[1]، فيقول الله تعالى: ابن آدم أين ما خولتك؟ فيقول: أي رب قد وفرته وثمرته، وتركته أوفر ما كان.[2] الزهد لأسد بن موسى (٦٧).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

إنَّ الذي رُزق اليسار فلم ينل ... أجرًا ولا حمدًا لغير مُوَفَّق

ديوان الشافعي: ١٢.

---

(١) هو الصغير من الضأن.

(٢) المعنى: يقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة من أغناه الله ووسّع له في رزقه لكنه بخل بماله ولم ينفقه في سبيل الله، يقف ذليلا حقيرا كأنه صغير الضأن، فيقول الله له: ما صنعت فيما أعطيتك من المال والمتاع؟ فيقول: يا رب جمعته وثمّرته وتمتّعت به، فارْجعني آتك به كلّه، فيقول له: ما قدمت منه؟ فلا يجيب!

فيا خيبة مَن ملّكه الله المال ولم يؤدّ حقّ الله فيه.

* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

يَجْني الغِنى لِلِّئَامِ لَوْ عَقَلُوا ... ما لَيس يَجني عَلَيهِمُ العُدُمُ[١]

هُمُ لأمْوالِهِمْ ولَسْنَ لَهُمْ ... والعارُ يَبقَى والجُرْحُ يَلْتَئِمُ[٢]

* وقال:

ومَنْ يُنفِقِ السّاعاتِ في جمعِ مالِهِ ... مَخافَةَ فَقْرٍ فالذي فَعَلَ الفَقْرُ

ديوان المتنبي (٩٩، ٢٢٦).

وقال أبو نواس (ت: ١٩٩).

أنت للمال إذا أمسكته ... وإذا أنفقته فالمال لك

عيون الأخبار ٣/ ١٨٣.

ب- الحرص على وفاء الدَّين:

* عن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: من مات وعليه دين حُوسب به يوم القيامة، فيُؤخذ من حسناته، فيُجعل في حسنات غريمه، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحب الدين، فيُجعل على الغريم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٤٥.

ج- إبقاء شيءٍ من المال للورثة[٣]:

* مرض **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) فذُكر له الوصية فقال: أما مالي فالله

(١) يقول: يجلب الغنى على اللئيم ما لا يجلب عليه الفقر؛ لأن اللئيم إذا صار غنيًّا يبخل فيُذم، وإذا كان فقيرًا لم يذمه أحد. معجز أحمد (٧٨).

(٢) يقول: اللئام مملوكون لأموالهم لأنهم يتْعبون في حفظها وجمعها ومنعها.
ثم ذكر: أنَّ العار أبقى من الجرح، لأن جرح السيف يلتئم ولا يبقى بقاء جرح العار الذي لا يزول. شرح ديوان المتنبي للواحدي (٧٧).

(٣) روى ابن أبي الدنيا (٧/ ٤٩٥) أنّ ميراثَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي اقتسمه ورثته: سبعون ألفا. وهذا لا يصح، فقد ثبت في صحيح البخاري (٣٧٠٠) أنه قَالَ لابنه قبل موته: انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، فقَالَ له: إِنْ وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.. وهذا يدلّ على أنه لم يكن له مالٌ ليُوفّي منه دَينه.

أعلم ما كنت أفعل فيه، وأما رباعي وأرضي فإني لا أحب أن يشارك ولدي فيها أحدٌ. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٦.

* وترك **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) سبعين ألفا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٥.

* وكان جميع مال **الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) خمسين ألف ألف. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٥.

* وصُولحت امرأة **عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) على ثمنها، ثلث الثمن: بثلاثمائة وثمانين ألفا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٦.

* وعن **عامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) قال: ما من مال أعظم أجرا من مالٍ تركه الرجل لولده يغنيهم عن الناس. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٦.

* ومات **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) وترك عشرة آلاف. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٦.

د- ذم الفقر:

* عن **عبد الله بن أبي أوفى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٦) قال: الفقر الموت الأكبر. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٦.

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): جهد البلاء: أن تحتاجوا إلى ما في أيدي الناس فيمنعوكم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٣.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: جهد البلاء: كثرة العيال وقلة الشيء. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٣.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: دعيت إلى عرس، فأتيتهم في ثيابي هذه، فردني البواب، فرجعت وأبدلت ثيابي ثم جئت فدخلت، قال: فأرسل كمه، فقال: كل، كل! فقيل له: سبحان الله الكم يأكل! غفر الله لك، فقال: إنما دُعيَتْ ثيابي هذه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٨.

* **وقال حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠):**

رُبَ حِلم أزرى به عدم المال وجهلٌ غطى عليه النعيم

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠١.

* وقال الشاعر:

يجيء الناسُ كلَّ غنيٍّ قوم ويُبْخَل بالسلام على الفقير
ويُوسَع للغنيِّ إذا رأوه ويُحيا بالتحية كالأمير

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠١.

* وقال آخر:

إذا قل مال العبد قل صفاؤه وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدري وإن كان حازما أَقُدَّامه خيرا له أو وراؤه

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٢.

* وقال آخر:

إذا قل مال المرء قل صديقه وضاق به عما يريد طريقه

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٢.

* وقال آخر:

ألم تر أن الفقير يُهجر بيته وأن الغني يُهدى له ويُزار

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٤.

* **وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):**

فلا مجد في الدّنيا لمن قلّ ماله ولا مال في الدّنيا لمن قلّ مجده(١)

ديوان المتنبي (٧١).

---

(١) يعني: كما لا يقوم المجد من دون المال، كذلك المال لا ينفع إلا مع المجد، فمن له المال بلا مجد فهو بمنزلة الفقير الذي لا مال له.

تقديم الأولويات

* عن عبد الرحمن بن يزيد قال: ما رأيت فقيهًا قط أقل صومًا من **عبد الله ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢)، فقيل له: لم لا تصوم؟ قال: إني أختار الصلاة على الصوم، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة. صفة الصفوة ١/ ٨٥.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: لأن أعوُل أهلَ بيتٍ من المسلمين شهرًا أو جمعةً أو ما شاء الله، أحبّ إلي من حجّة بعد حجة، ولَطَبَقٌ بدانقٍ أهديه إلى أخٍ لي في الله أحبّ إلي من دينارٍ أنفقه في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ. صفة الصفوة ١/ ٣٧٣.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): كنتُ تاجرًا قبل المَبْعث، فلما جاء الإسلامُ، جمعتُ التِّجارةَ والعِبادةَ، فلم يجتمعا، فتركتُ التجارة، ولزمتُ العبادة.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨): الأفضل جَمْعُ الأمرين مع الجهاد، وهذا الذي قاله هو طريقُ جماعة من السَّلفِ والصوفية، ولا ريبَ أن أمزجة الناس تختلفُ في ذلك، فبعضُهم يَقوى على الجمع، كالصِّدِّيق، وعبدِ الرحمن بن عوفَ، وكما كان ابنُ المبارك.

وبعضُهم يَعجِزُ، ويقتصِرُ على العبادة، وبعضُهم يقوى في بدايته، ثم يَعجِزُ، وبالعكس، وكلٌّ سائغ. ولكن لابُدَّ من النهضة بحقوق الزَّوجَة والعيال. تهذيب السِّيَر ١/ ٢٦٩.

* وقيل **لمالك بن أنس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): ما تقول في طلب العلم؟ قال:

حسَن جميل، ولكن انظر إلى الذي يلزَمك مِن حينِ تُصبح إلى حين تمسي فالزمْه. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٤.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): الكيِّس من عمال الله يلهج بتقويم الفرائض، والجاهل يُعْنى بطلب الفضائل. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لست آمركم بترك الدنيا، آمركم بترك الذنوب، ترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة، وأنتم إلى إقامة الفريضة أحْوج منكم إلى الحسنات والفضائل. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٥.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): كل من كان في شيء من التطوع يلذُّ به فجاء وقت فريضة فلم يقطع وقتُها لذَّةَ التطوع فهو في تطوعه مخدوع.[١] تهذيب الحِلْية ١٩٢/ ٣.

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هنا مسألةٌ مُختلف فيها: هل طَلَبُ العلم أفضلُ، أو صلاةُ النَّافلة والتلاوة والذِّكر؟ فأما من كان مخلصًا لله في طلب العلم، وذهنُه جيد، فالعلم أولى، ولكن مع حَظٍّ من صلاة وتَعَبُّدٍ، فإن رأيته مُجِدًّا في طلب العلم لا حظَّ له في القُربات، فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق في حسن نيته.

وأما من كان طلبُه الحديث والفقه محبَّةً نفسانية[٢]: فالعبادة في حقه أفضل، بل ما بينهما أفْعلُ تفضيلٍ، وهذا تقسيمٌ في الجملة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٠.

(١) كمن يكون في القراءة وطلب العلم، فيؤذّن المؤذن ويُدعى إلى صلاة الفرض فيتأخر لانهماكه بالقراءة.

(٢) أي: تميل نفسُه إلى طلب العلم والقراءة وحضور دروس العلم، ويُحب ذلك ويهواه، ولكنه ليس جادًّا مُفرّغًا وقته لطلب العلم والحفظ وجردّ الكتب وبحث المسائل، فكثرةُ العبادة في حقّ هؤلاء أفضل وأنفع لهم، بل ما بينهما أفْعلُ تفضيلٍ كما قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

حسن الخلق(١)

* عن أم الدرداء قالت: بات **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) الليلة يصلي فجعل يبكي ويقول: «اللهم أحسنت خَلْقي فأحسن خُلُقي»، حتى أصبح، فقلت: يا أبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق؟.

قال: يا أم الدرداء، إنّ العبد المسلم يَحْسُن خُلُقه حتى يُدْخله حسنُ خلقه الجنة، ويَسُوء خُلُقه حتى يُدْخله سوء خلقه النار. الزهد لأحمد: ٢٦٤.

* وعن أبي إدريس الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سمعت **أبا الدرداء** يحلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأيم الله ما سمعته يحلف قبلها: ما عمل آدمي عملا خيرا من مشي إلى صلاة، ومن خُلُق جائز، ومن صلاح ذات البين. الزهد لابن المبارك (٦٩٠).

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ومدار حسن الخلق مع الحَقِّ ومع الخلق على حرفين ذكرهما عبد القادر الكيلاني فقال: كن مع الحق بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس.

فتأمَّل ما أجَلَّ هاتين الكلمتين مع اختصارهما، وما أجمعهما لقواعد السلوك ولكل خُلق جميل؟، وفساد الخُلق إنما ينشأ من توسط الخَلق بينك وبين الله تعالى، وتوسط النفس بينك وبين خلقه، فمتى عزلت الخَلق حال كونك مع الله تعالى، وعزلت النفس حال كونك مع الخَلق: فقد فزت بكل ما أشار إليه القوم، وشمروا إليه وحاموا حوله، والله المستعان. مدارج السالكين ٣/ ١٠٧.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: بَين العَبْد وَبَين الله وَالْجنَّة قنطرةٌ تُقطع بخطوتين: خطْوَة عَن نَفسه، وخطوة عَن الْخلق، فَيُسْقط نَفسه ويلغيها فِيمَا بَينه وَبَين النَّاس، وَيُسْقط النَّاس ويلغيهم فِيمَا بَينه وَبَين الله، فَلَا يلْتَفت إِلَّا إِلَى من دلَّه على الله وعَلى الطَّرِيق الموصلةِ إِلَيْهِ. الفوائد/ ٥٥.

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: حسن الخلق له خاصيةٌ في فرح النفس، لا يعرف ذلك حقَّ معرفته إلا المجرِّبون. انتصار الحق ص: ٤٦.

* وكان **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) من أمزح الناس وأضحكه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٣٠.

* وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال. جامع معمر بن راشد (٢٠٩٧٦).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٠٠.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسيا؛ ذلك لأن الله عز و جل يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦].[1] ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٦.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لو قال لي فرعون خيرًا: لرددت عليه. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٧.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) أنه كان يقول: من لم ير أن كلامه من عمله، وأن خلقه من دينه: هلك وهو لا يشعر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢١.

* وعن معاذ بن سعيد قال: كنا عند **عطاء بن أبي رباح** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠) فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله، ما هذه الأخلاق؟! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به، فأريه أني لا أحسن منه شيئًا. المنتظم ٧/ ١٦٥.

* وعن **عطاء** رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]: قال: للناس كلهم، المشرك وغيره. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٦.

---

(١) اخْتَلَف العلماء فِي وُجُوبِ الرّدّ عَلَى اليهود والنصارى، فَالْجُمْهُورُ عَلَى وُجُوبِهِ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ الصَّوَابُ. (زاد المعاد ٢/ ٣٨٨).

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): أو لا أخبركم بأدوأ الداء: اللسان البذيء، والخلق الدنيء. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢١٢.

* وقال **عكرمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٥): لكل شيء أساس وأساس الإسلام: الخلق الحسن. صفة الصفوة ٢/ ٤٥٥.

* وقال حماد بن زيد: ما رأيت رجلًا قطّ أشدّ تبسمًا في وجوه الرجال من **أيوب السختياني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١). صفة الصفوة ٣/ ٢١١.

* وقال **بعض الحكماء**: الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوانح. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٧.

* وعن **سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٦) قال: إنه ليعجبني من القُرَّاء كلُّ سهل طَلِق مضحاك، فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس، كأنه يمنُّ عليك، فلا أكثر الله في القُرَّاء مثله. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٣٠.

* وكان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) يضحك حتى تدمع عيناه.

* وكان رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب ضحك ومزاح. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٣١.

* وقال **بعض الحكماء**: كل كلام لا يُوتِغ دينك[1]، ولا يُسخط ربك، إلا أنك ترضي به جليسك: فلا تكن به عليه بخيلا، فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٧.

* وعطس نصراني طبيب عند **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) فقال له: رحمك الله، فقيل له: إنه نصراني؟ فقال: إن رحمة الله على العالمين. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٨.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٣٩٢/ ١.

---

(١) يُفسده.

لَعَمْـرُكَ مـا ضـاقـت بـلادٌ بأهلهـا ولكـنّ أخـلاقَ الرجـال تَضِيـقُ

* وعن **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) أنه كان يقول: المؤمن موالف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤْلف. تهذيب الحِلْية ٩٨/ ٢.

* وسَفِهَ رجل على **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فسكت عنه، وقال: يا أخي لو نقَصْتَني كلّ نقْص لم تَنتقصْني كنَقصي عندي، ثم قال: سفِهَ رجلٌ على **إسحاق بن راهويه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٨) فاحتمله وقال: لأيِّ شيءٍ تَعلَّمنا العِلْم؟. صفة الصفوة ٤/ ٢٦٣.

* وقال قَبِيْصة: كان **سُفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) مَزَّاحًا، كنت أتأخر خلفه، مخافةَ أن يحيِّرني بمُزاحه. تهذيب السِّيَر ١/ ٦٩٩.

* وقَالَ حِرمي بْن يُونُسَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتيتُ **أبا عبدالله - الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)- فسألتُه عَنْ حديث فقال: نعم، حتى أُخرجه لك، قال: فلمَّا كان في نصف النهار إذا رجل يدق عَلِيّ الباب، فخرجت فإذا أَبُوعبدالله! فقلت: حاجة؟ قَالَ: نعم، قلت: تدخل، قَالَ: نعم، فدخل فأخرج إليَّ رُقعة فيها أحاديث فقرأها عَلِيّ، ثم أبرد[1] عندي ومضى.[2] طبقات الحنابلة (١/ ٤٠٣-٤٠٤).

* وقال **لقمان** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لابنه: يا بُنَيَّ! لِتكُن كَلمتكَ طيبةً، ووجهك منبسطًا، تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة.[3] الجامع المنتخب/ ٦٦.

* وسئل بعضهم عن حسن الخلق فقال: بذل الندى، وكف الأذى.[4] الجامع المنتخب/ ٦٧.

---

(١) أي: أقام عندي حتى دخل وقت البرد (المساء).

(٢) هذا من أدبه وتواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث يأتي بنفسه إلى هذا الطالب، ويدخل بيته ويحدثه، ويطيب خاطره بمكثه عنده بعض الوقت.

(٣) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وربما كان معاملة الناس بالقول الحسن أحب إليهم من إطعام الطعام والإحسان بإعطاء المال. الجامع المنتخب/ ٦٦.

(٤) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الوصف المذكور في القرآن أكمل من هذه؛ لأنه وصفهم ببذل الندى، واحتمال الأذى. الجامع المنتخب/ ٦٧.

* ورئي بعضُ السّلف في المنام، فسئل عن بعض إخوانه الصالحين، فقال: وأين ذلك، رُفع في الجنة بحسن خلقه. الجامع المنتخب / ٦٧.

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الضحكُ اليسيرُ والتبسُّمُ أفضلُ وعدم ذلك من مشايخ العلم **على قسمين:**

أحدهما: يكونُ فاضلًا لمن تركَهُ أدبًا وخوفًا من الله، وحُزنًا على نفسه المسكينة.

والثاني: مذمومٌ لمن فعله حمقًا وكبرًا وتصنُّعًا، كما أَنَّ من أكثر الضحكَ استخفَّ به، ولا ريبَ أن الضحكَ في الشباب أخفُّ منه وأعذرُ في الشيوخ.

وأما التبسم وطلاقةُ الوجه فأرفعُ من ذلك كلِّه، قال النبيُّ ﷺ: «**تبسُّمكَ في وجه أخيك صدقةٌ**» وقال جريرٌ: «ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسَّم» فهذا هو خلقُ الإسلام، فأعلى المقامات من كان بَكَّاءً بالليل، بَسَّامًا بالنهار.

بقي هنا شيءٌ: ينبغي لمن كان ضحوكًا بسَّامًا أن يقَصِّر من ذلك، ويلوم نفسَه حتى لا تمجَّهُ الأنفس، وينبغي لمن كان عبوسًا مُنقبضًا أن يتبسَّم، ويُحسِّن خلقَه، ويمقتَ نفسَه على رداءة خُلُقِه، وكل انحرافٍ عن الاعتدال فَمَذمومٌ، ولابدَّ للنفسِ من مجاهدة وتأديب. تهذيب السِّيَر ١/ ٨٥٨.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٣/ ١٩٧.

ومـا ابـنُ آدمَ إلاّ ذكـرُ صالحـةٍ ... أو ذكـرُ سـيِّئةٍ يَسـرِي بهـا الكَلِـمُ

أمـا سـمعتَ بدهـرٍ بـاد أمّتُـه ... جـاءت بأخبارهـا مـن بعدهـا أمَـمُ

* وقال الوزيرُ أبو الفرج يعقوبُ بنُ يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لي الأستاذ كافور (ت ٣٥٧)[1]: اجتمِع بالقاضي **أبي الطاهر محمد الذهلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٦٧)،

(١) كافور أبو المسك الإخشيدي صاحب مصر، الخادم، الأستاذ.

فسلِّم عليه وقل له: إنه بلغني أنَّك تنبسط مع جلسائِك، وهذا الانبساطُ يُقِلُّ هَيْبَةَ الحكم، فأعلمتُه بذلك، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قل للأستاذ: لستُ ذا مالٍ أفيضُ به على جلسائي، فلا أقلَّ من خُلقي، فأخبرتُ الأستاذ، فقال: لا تعاوِدْهُ. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٨٨.

* وكان **أبو عبد الله بن المهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٩) يصلي الصلوات في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأقيمت الصلاة يومًا، فقال أعرابي: يا أمير المؤمنين، لست على طهر وقد رغبت إلى الله في الصلاة خلفك فأمر هؤلاء ينتظروني، فقال: انتظروه رحمكم الله، ودخل المحراب ووقف إلى أن قيل له: قد جاء الرجل، فكبر فتعجب الناس من سماحة أخلاقه. المنتظم ٨/ ٢١٤.

* وقال بعضهم:

وما اكتسب المحامدَ طالِبوها ... بمثل البشْر والوجه الطَّليق

عيون الأخبار ١/ ٧٨.

* وقال بعضهم:

لا تسأَلِ المرءَ عن خلائقه ... في وجههِ شاهدٌ من الخَبرِ

عيون الأخبار ٣/ ١٥٧.

* وقال زهير بن عباد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كنت أقول **لمالك بن أنس** (ت: ١٧٩): رحمك الله إلا قال: وأنت رحمك الله.

وإذا قلت له: عافاك الله قال: وأنت عافاك الله.

حُسْنُ أدب.

قالوا: كان أحسن الناس خُلُقًا مع أهله وولده، ويقول: في ذلك مرضاة لربك.

قال عبدالله بن عبد الحكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هيّأ **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوة للطلبة،

وكنت فيهم، فمضينا معه إلى داره، فلما دلنا الدار قال: هذا المستراح، وهذا الماء، ثم دخلنا البيت، فلم يدخل معنا، ودخل بعد ذلك فأتانا بالطعام.

فلما خرج الناس سألته عما رأيت، قال: أما إعلامي لكم بالمستراح والماء فإنما دعوتكم لأبركم، ولعل أحدكم يصيبه بول أو غيره فلا يدري أين يذهب فيَصِل إليه الضرر، وأما تَركي الدخول معكم في البيت فلعلي أقول: هاهنا أبا فلان اجلس، وهاهنا أبا فلان اجلس، وقد أنسى بعضكم فيظن ذلك نقصًا فيه، فتركتُكم حتى أخذتم مجالسكم ودخلتُ عليكم.[1] ترتيب المدارك (١/ ١٠٦).

* وقال الشاعر:

قد يمكـث الناس دهرًا ليس بينهمُ ... ودٌّ فيزرعـه التَّسـليم واللَّطَـفُ[2]

* وسُئل **حكيم**: من أدَّبك؟ قال: نظرت إلى جهل الجاهل فاجْتنبته.[3] المجالسة وجواهر العلم (٤٥٠).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): حقٌّ على العاقل أن يتخذ مرآتين؛ فينظر من إحداهما في مساوئ نفسه، فيتصاغر بها، ويصلح ما استطاع منها، وينظر في الأخرى في محاسن الناس، فيأخذ ما استطاع منها.[4] الأدب الصغير (٣٧).

---

(١) انظر إلى إكرامه واحترامه لطلابه، وأدبه الرفيع معهم، حيث عاملهم معاملة الأصحاب لا الطلاب.

(٢) اللَّطَفُ: البِرُّ والتَّكْرِمةُ. العين (٧/ ٤٢٩)

(٣) العاقل يستفيد من سيِّئ الأخلاق أكثر من استفادته من حَسَن الأخلاق؛ لأنّ تصرّفاته معه أو مع غيره أكبر منفّر له عن سوء أخلاقه، التي تكون ماثلةً أمامه دائمًا، وكأنها تقول له: إياك أنْ تكون مثله، وأنْ تُعامل الناس كما يُعاملهم.

فكم للناس -محسنهم أو مسيئهم- من فضل وخيرٍ على غيرهم بصورةٍ مُباشرة أو غير مباشرة، إذا أحسنوا استثمار المواقف، ورغبوا في اكتساب الأخلاق الحسنة، وهجرِ الأخلاق السيئة.

(٤) ومتى فعل ذلك تواضع وانشغل بعيوبه عن عيوب الناس، واستفاد من محاسن الناس وآدابهم وأخلاقهم، فصلح أمره، وإذا كان العكس: تكبر وازدرى الآخرين واحتقرهم.

* وقال **أبو إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٧٦): كنت نائمًا ببغداد، فرأيت رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقلت: يا رسول الله، بلَغني عنك أحاديث كثيرة عن ناقلي الأخبار، فأريد أن أسمع منك خبرًا أشرُفُ به في الدنيا، وأجعله ذخيرة للآخرة، فقال: قل عني: «من أراد السَّلامة فليطلبها في سلامة غيره».

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا المنام عليه لوائح الصدق، ولِمَا رواه في المنام شاهد في الصحيح، وهو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1]، أي: من أراد أن يَسلم فليَسلم الناس منه؛ فإنّ الجزاء من جنس العمل. طبقات الشافعيين (٢/ ٣٩).

* وقَالَ **ابْنُ عَقِيلٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣) قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]: شهد الحقّ للنبيّ ﷺ [أنه] لولا تخلّقه للخلق الجميل لانفضوا عنه، ولم يقنع بِالْمُعْجِزِ[2] في تحصيلهم، [فـ]لا تقْنع أنت بالعُلوم وتظن أنها كافية في حَوْشِ الناس إلى الدين، بل حُسْنُ ذلك وجلُّه بالأخلاق الجميلة. الآداب الشرعية ٢/ ٨٠[3].

---

(١) رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤١).

(٢) وهو القرآن.

(٣) ما بين المعكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

ذمّ سوء الخلق وبيان شرّ عواقبه

* قال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): من ساء خُلقه عذَّب نفسه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٧.

* وقال **بعض السلف**: الْحَسَنُ الْخُلُق: ذو قرابة عند الأجانب، والسَّيِّءُ الخلق: أجنبيٌّ عند أهله.(١) المستطرف/ ١٦٥.

* وعن **أبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: السيّءُ الخُلُق أشقى الناس به نفسُهُ التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخُلُ بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه، فرقًا منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه لَيَراه فينزو على الجدار، حتى إن قِطَّه ليفرّ منه. تهذيب السِّيَر ١/ ٦٣٧.

* وقال عَمرو بنُ زرارة النَّيْسابوري: صحبتُ **إسماعيل بنَ عُلَيَّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) أربع عشرة سنة، فما رأيتُهُ تبسَّم فيها.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): ما في هذا مدح، ولكنه مُؤذِنٌ بخشيةٍ وحُزن. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٠٣.

* وقال **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): ليتق الرجل دناءة الأخلاق كما يتقي الحرام. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٣٠.

* ودخل رجلٌ من الزهاد على **هارون الرشيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) يومًا، فقال:

---

(١) هذا من أفضل ما قيل في مدح حَسَنِ الخُلُق وذمِّ سيِّئ الخلق.

يا هارون، اتق الله، فأخذه فخلا به، وقال: يا هذا أنصفني، أنا شرٌ أم فرعون؟ قال: بل فرعون، قال: فأنت خير أم موسى؟ قال: بل موسى، قال: أفما تعلم أن الله تعالى لما بعثه وأخاه إليه قال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٤] وقد جبهتني بأغلظ الألفاظ، فلا بأدب الله تأدبت، ولا بأخلاق الصالحين أخذت قال: أخطأت وأنا أستغفر الله، فقال: غفر الله لك، وأمر له بعشرين ألف درهم، فأبى أن يأخذها. المنتظم ٣٢٨/ ٨.

* وكَانَ **أَبُو الحسين بن المنادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٦) صلب الدِّين، خشن الطريقة، شرس الأخلاق، فلذلك لم تَنتشر الرواية عَنْهُ.[١] طبقات الحنابلة (٣/ ٧).

* وترجم ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لأحد العلماء** وقال: تفقه عَلى التقي بن العز، ومهر فِي المذهب، وعُني بالسُّنة، وجمع فِيهَا.. وَكَانَ صاحب جرأة، وتحرق عَلَى الأشعرية، فرموه بالتَّجسيم.

قَالَ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: قلَّ من سمع منه؛ لأنّه كان فِيهِ زعارَّة.[٣].

وكان **كثيرَ الدَّعَاوي، قليل العِلم**.[٤] ذيل الطبقات (٤/ ١٥٦).

---

(١) وكثيرا ما يُحرم العالم من انتفاع طلاب العلم خاصة والناس عامة به بسبب سوء خُلُقه، وشراسة طبعه، وعدم احتماله وصبره، وقد مات عِلمه في حياته، فكيف بعد مماته؟ نعوذُ بالله من سوء الخلق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعظم الناس انتفاعًا ونفعًا بعلمه: الحليم.

وأقلّ الناس نفعًا وانتفاعًا بعلمه من لا حلم له؛ فإن الطّيش والحدّة والعنف هي أضداد الحلم، وهي آفة العلم المانعة من الانتفاع به، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وهذا غاية الحلم: أن يعفو عن جانيهم على حقّه، ويستغفر لمسيئهم فيما بينه وبين الله، ويتألف قلوبهم بالمشاورة، ولا يفعل هذا إلا أحكم الناس وأرحمهم. مجموع رسائل ومسائل ابن القيم ص: ١٠٠.

(٢) نقلته بتمامه من كتابه تاريخ الإسلام (١٥/ ٣٧٤)؛ لأنه أتمّ.

(٣) الزّعارَّة: الضيق وشراسة الخُلُق.

(٤) سوء الخلق، وقلة العلم، والشراسة مع الخصم: ثلاثة أمراض هي من أعظم أسباب ضيق=

* وقال الشاعر:

إذا الْمرْءُ لَمْ يَدْنَسْ منَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُــلُّ رِداءٍ يَرْتَديـــهِ جَميــلُ

المجالسة وجواهر العلم (٢٥٧).

* وقال الآخر:

إذَا أَعْجَبَتْـك خِصَـالُ امْـرِئٍ ... فَكُنْـهُ يَكُـنْ مِنْـك مـا يُعْجِبُـكْ

فليسَ علـى الْمَجـدِ والْمَكْرُمـاتِ ... إذا جِئْتها حاجِـبٌ يَحْجبُـكْ

أدب الدين (٥٨٢).

* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): اعلم أنَّ المستشار ليس بكفيل، وأنّ الرأي ليس بمضمون، بل الرأي كلُّه غرر[1]؛ لأن أمور الدنيا ليس شيءٌ منها بثقة، ولأنه ليس من أمرها شيء يدركه الحازم إلا وقد يدركه العاجز، بل ربما أعْيا الحَزَمة ما أمكن العَجَزة.

فإذا أشار عليك صاحبك برأي، ثم لم تجد عاقبته على ما كنت تأمل: فلا تجعل ذلك عليه ذنبًا، ولا تُلْزمه لومًا وعذلًا، بأن تقول: أنت فعلت هذا بي، وأنت أمرتني، ولولا أنت لم أفعل، ولا جرم لا أطيعك في شيء بعدها، فإن هذا كله ضجر ولؤم وخفّة.

فإن كنت أنت المشير فعمل برأيك أو تركه فبدا صوابك: فلا تمنّن به، ولا تكثرن ذكره إن كان فيه نجاح، ولا تلمه عليه إن كان قد استبان في تركه ضررٌ، بأن تقول: ألم أقل لك: افعل هذا، فإن هذا مجانب لأدب الحكماء. الأدب الكبير (١٢١-١٢٢).

=الصدر، والعداوة والفرقة، وقلة التوفيق والبركة.

وقد وُجد في هذا الزمان من اجتمعت فيهم هذا المصائب الثلاثة، فكثر شرّهم، وعمّ ضررهم، ومُحقت بركتهم، نعوذ بالله من الخذلان.

(١) أي: عُرْضةٌ للخداع والجهالة.

الحلم، والعفو، والصفح، وذم الغضب وعلاجه(١)

....

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد عشر مشهدًا للعبد فيما يصيبه من أذى الخَلْق وجنايتهم عليه منها:
أحدها: مشهد القَدَر، وأن ما جرى عليه: بمشيئة الله وقضائه وقدره، فيراه كالتأذي بالحر والبرد، والمرض والألم، وهبوب الرياح، وانقطاع الأمطار؛ فإن الكل أوجبته مشيئة الله.
المشهد الثاني: مشهد الصبر. فيشهده ويشهد وجوبه، وحسن عاقبته، وجزاء أهله، وما يترتب عليه من الغِبطة والسرور، ويُخَلِّصه من ندامة الُمقابَلة والانتقام، فما انتقم أحدٌ لنفسه قط إلا أعقبه ذلك ندامة، ويعلم أنه إن لم يصبر اختيارا على هذا وهو محمود، صبر اضطرارا على أكبر منه وهو مذموم.
المشهد الثالث: مشهد العفو والصفح والحلم. فإنه متى شهد ذلك وفضْله وحلاوته وعِزته: لم يَعْدل عنه، فإنه ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا كما صح ذلك عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعُلم بالتجربة والوجود. وما انتقم أحدٌ لنفسه إلا ذلَّ.
المشهد الرابع: مشهد الرضا. وهو فوق مشهد العفو والصفح، وهذا لا يكون إلا للنفوس المطمئنة.
المشهد الخامس: مشهد الإحسان. وهو أرفع مما قبله، وهو أن يقابل إساءة المسيء إليه بالإحسان، فيحسن إليه كلما أساء هو إليه. ويُهَوِّن هذا عليه عِلْمه بأنه قد ربح عليه، وأنه قد أهدى إليه حسناته ومحاها من صحيفته وأثبتها في صحيفة من أساء إليه، فينبغي لك أن تشكره وتحسن إليه بما لا نسبة له إلى ما أحسن به إليك.
ويهونه عليك أيضا: علمك بأن الجزاء من جنس العمل. فإن كان هذا عملك في إساءة المخلوق إليك، عفوت عنه وأحسنت إليه، مع حاجتك وضعفك وفقرك وذُلِّك، فهكذا يفعل المحسن القادر العزيز الغني بك في إساءتك، يقابلها بما قابلت به إساءة عبده إليك، فهذا لابد منه، وشاهده في السنة من وجوه كثيرة لمن تأملها.
المشهد السادس: مشهد السلامة وبَرْد القلب. وهذا مشهد شريف جدًا لمن عرفه وذاق حلاوته، وهو أن لا يشتغل قلبُه وسِرُّه بما ناله من الأذى وطلب الثأر، وشفاء نفسه، بل يُفرغ قلبه من =

= ذلك، ويرى أن سلامته وبَرْده وخُلُوَّه منه أنفع له وألذُّ وأطيب وأعون على مصالحه، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه فيكون بذلك مغبونا.

المشهد السابع: مشهد الأمن. فإنه إذا ترك المقابلة والانتقام: أمِن ما هو شرٌّ من ذلك.

المشهد الثامن: مشهد الجهاد. وهو أن يشهد تولد أذى الناس له من جهاده في سبيل الله، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإقامة دين الله، وإعلاء كلماته.

وصاحب هذا المقام: قد اشترى اللهُ منه نفسَه ومالَه وعرضَه بأعظم الثمن، فإن أراد أن يُسلَّم إليه الثمن فليسلِّم هو السلعة ليستحق ثمنها، فلا حق له على من آذاه ولا شيء له قِبَله إن كان قد رضي بعقد هذا التبايع، فإنه قد وجب أجره على الله.

فمن قام لله حتى أوذي في الله: حَرَّم الله عليه الانتقام، كما قال لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان:١٧].

المشهد التاسع: مشهد النعمة. **وذلك من وجوه:**

أحدها: أن يشهد نعمة الله عليه في أن جعله مظلومًا يترقب النصر ولم يجعله ظالما يترقب المَقْت والأَخْذ، فلو خُيِّر العاقل بين الحالتين ولابد من إحداهما لاختار أن يكون مظلوما.

ومنها: أن يشهد نعمة الله في التكفير بذلك من خطاياه.

ومنها: أن يشهد كون تلك البليَّة أهون وأسهل من غيرها، فإنه ما من مِحنة إلا وفوقها ما هو أقوى منها وأَمَرّ، فإن لم يكن فوقها محنة في البدن والمال فلينظر إلى سلامة دينه وإسلامه وتوحيده، وأن كلَّ مصيبة دون مصيبة الدين فهيِّنة، وأنها في الحقيقة نعمة، والمصيبة الحقيقية: مصيبة الدين.

ومنها: توفية أجرها وثوابها يوم الفقر والفاقة، وفي بعض الآثار: أنه يتمنى أناس يوم القيامة لو أن جلودهم كانت تُقرَض بالمقاريض لِما يرون من ثواب أهل البلاء.

هذا، وإن العبد ليشتدُّ فرحه يوم القيامة بما له قِبَلَ الناس من الحقوق في المال والنفس والعرض، فالعاقل يَعُدُّ هذا ذُخرًا ليوم الفقر والفاقة، ولا يُبطله بالانتقام الذي لا يُجدي عليه شيئا.

المشهد العاشر: مشهد الأُسْوة. وهو مشهد شريف لطيف جدا، فإن العاقل اللَّبيب يرضا أن يكون له أسوة برُسُل الله وأنبيائه وأوليائه، وخاصته من خلقه؛ فإنهم أشد الخلق امتحانا بالناس، وأذى الناس إليهم أسرع من السيل في الحدور.

المشهد الحادي عشر: مشهد التوحيد. وهو أجَلُّ المشاهد وأرفعُها، فإذا امتلأ قلبه بمحبة الله، والإخلاص له، ومعاملته وإيثار مرضاته، والتقرب إليه، وقُرَّة العين به، والإنس به، واطْمَأن إليه، وسكن إليه، واشتاق إلى لقائه، واتخذه وليًا دون من سواه، بحيث فوَّض إليه أموره كلها، ورضي به وبأقضيته: فإنه لا يبقى في قلبه مُتَّسع لشهود أذى الناس له ألبتة، فضلًا عن أن يشتغل قلبه وفكره وسِرُّه بتطلب الانتقام والمقابلة؛ فهذا لا يكون إلا من قلب ليس فيه ما يغنيه عن ذلك، ويعوضه منه، فهو قلب جائع غير شبعان. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٩٥-١٠٢.

* قال **عليّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): أوّلُ عِوَضِ الحليم مِنْ حِلمِه أنّ الناسَ أنصارُه على الجَهُول. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٩.

* وجاء رجل إلى **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) فقال: يا أبا عبد الله أوصني، قال: لا تغضب، قال: أمرتني أن لا أغضب وإنه ليغشاني ما لا أملك، قال: فإن غضبت فاملك لسانك ويدك. جامع العلوم والحكم / ١٩٣.

* وارتكب خَادِمه خطأً فَقَالَ له: لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ الْقِصَاصَ لَأَوْجَعْتُكَ. الأدب المفرد (١٨٢).[١]

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): منْ يُتبِعْ نَفسَهُ كُلَّ ما يَرى في النَّاس: يَطُلْ حُزْنه ولا يُشْفَ غَيظُه. مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٦٣٥).

* ووشى رجلٌ من أهل الكوفة **بعمار بن ياسر** (ت: ٣٧) إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: فقال له عمار: إن كنت كاذبًا فأكثر الله مالك وولدك وجعلك مُوَطَّأَ العَقِبَين.[٢] الزهد لأحمد: ٢٢٩، الزهد لأبي داود (٢٤٠):

* وشتم رجلٌ **الحسنَ بن علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) وأَربَى عليه، فقال له: أمّا أنتَ فما أبقيتَ شيئًا، وما يعلم الله أكثرُ. عيون الأخبار ١/٣٣١.

* وقال **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): يا بني أمية قارعوا قريشًا بالحلم، فوالله إن كنت لألقى الرجل في الجاهلية يوسعني شتمًا، وأوسعه حلمًا، فأرجع وهو لي صديق أستنجده فينجدني، وأُثيره فيثور معي، وما [وَضَعَ][٣] الحلمُ عن شريفٍ شرَفه[٤]، ولا زاده إلا كرمًا. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩-٤٠.

---

(١) صححه الألبانيّ.

(٢) أي: كثير الأتباع.

(٣) في الأصل: دفع! والتصويب من البداية والنهاية، طبعة: الفكر (٨/ ١٣٦).

(٤) فالحلم لا يضع من قدر الشريف، بل يزيده شرفًا وسُؤددًا باتفاق العقلاء.

* وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٠.

* وقال **عمرو بن العاص** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٤٣): إني لأصبر على الكلمة لهي أشد عليّ من القبض على الجمر، ما يحملني على الصبر عليها إلا التخوف من أخرى شر منها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨.

* وقال أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**»، فطلع رجل من الأنصار، فلما كان الغد، قال النبي ﷺ، مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله ابن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فقال: إني لاحَيت[1] أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت؟ قال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئا، غير أنه إذا تعارّ[2] وتقلب على فراشه ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحقر عمله، قلت: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ، فقال: ما هو إلا ما رأيت.

---

(١) أي: خاصمت.

(٢) أي: أرِق وتقلّب في فراشه ليلا.

قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق. مسند أحمد (١٢٦٩٧) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، الزهد لابن المبارك (٦٩٤).

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢): لستُ بحليم ولكنِّي أتحالم. السِّيَر ٥/ ٤٣.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنّ من السؤدد الصبرَ على الذل، وكفى بالحلم ناصرًا. المنتظم ٩٥/ ٦.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ لم يصبر على كلمةٍ سَمِعَ كلماتٍ، ورُبَّ غيظٍ قد تجرّعتُه مَخَافَةَ ما هو أشدُّ منه. عيون الأخبار ٣٢٨ / ١.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد اختلفنا إلى **قيسِ بن عاصم** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٧) في الحِلْم كما نَخْتَلِفُ إلى الفقهاء في الفقه. عيون الأخبار ٣٣١/ ١.

* وشتمه رجلٌ وجعل يتبعُه حتى بلغ حَيَّه، فقال الأحنف: يا هذا إن كان بقِي في نفسك شيء فهاتِه وانصِرْف لاَ يَسمَعْكَ بعضُ سُفَهائنا فتَلْقَى ما تَكْرهُ. عيون الأخبار ٣٣١/ ١.

* وجاء رجل فشتمه فسكتَ عنه، وأعاد فسكت، فقال: والهَفْاه! ما يمنعُه مِنْ أن يَرُدَّ عليّ إلاّ هَوَانِي عليه. عيون الأخبار ٣٢٦/ ١.

* وصدق **القائل**:

أوَكُلَّما طَنَّ الذُّبابُ طَرَدْتُهُ ... إنَّ الذُّبابَ إذًا علَيَّ كَرِيمُ

أدب الدين (٤٠٤).

* وقال **بعض العلماء**: لا سمير كالعلم، ولا ظهير كالحلم. أدب الدين (١٤٣).

* وقال بعض البلغاء: ما ذبّ عن الأعراض كالصفح والإعراض. أدب الدين (٤٠٢).

* وقالَ بَعضُ الشُّعراءِ:

وفِي الْحِلْمِ رَدْعٌ لِلسَّفِيهِ عَنِ الأذى ... وفِي الْخُرْقِ[١] إغْراءٌ فلَا تَكُ أَخْرَقَا

فَتَنْدَمَ إذْ لا تَنْفعَنْكَ نَدامَةٌ ... كما نَدِمَ الْمَغْبُونُ لَمَّا تفَرَّقَا

أدب الدين (٤٠٧).

* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

تَرَفّقْ أيّهَا المَوْلى عَلَيهِمْ ... فإنّ الرِّفْقَ بِالجاني عِتَابُ[٢]

وقال:

وأحلم عن خلّي وأعلم أنّه ... متى أجزه حلمًا عن الجهل يندم[٣]

وإن بذل الإنسان لي جود عابسٍ ... جزيت بجود التّارك المتبسّم[٤]

ديوان المتنبي (١٥، ٢٤١).

* وعن معمر قال: صك رجل ابنًا **لقتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨)، فاستعدى عليه عند بلال بن أبي بردة فلم يلتفت إليه، فشكاه إلى خالد القسري، فكتب إليه: إنك لم تنصف أبا الخطاب، فدعاه ودعا وجوه أهل البصرة يتشفعون إليه فأبى أن

---

(١) الْخُرْق: الْجَهْلُ والحُمقُ.

(٢) يقول: أرفق بهم وإن جنوا، فإن من رفق بمن جنى عليه: كان ذلك الرفق عتابا؛ وذلك أن الرفق بالجاني والصفح عنه يجعله عبدا لك، كما قال: وما قتل الأحرارَ كالعفو عنهم. شرح ديوان المتنبي للعكبري (١/ ٧٩)

(٣) يقول: إذا جهل علي خليلي حلمت، وعلمت أني إذا قابلته بالحلم، ندم على ما بدر منه وعاد إلى الوصل.

(٤) يقول: إذا شاب الإنسان جوده بالعبوس، جدت له بترك نواله، وتركته وقابلت عبوسه بالتبسم. معجز أحمد (٣٨٦).

يشفعهم، فقال له: صكه كما صكك، فقال لابنه: يا بني احسر عن ذراعيك وارفع يديك وشد قال: فحسر عن ذراعيه ورفع يديه، فأمسك قتادة يده وقال: قد وهبناه لله؛ فإنه كان يقال: لا عفو إلا بعد قدرة. تهذيب الحِلْية ٤٠٩/١.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): لا يعجبك حلم امرئ حتى يغضب، ولا أمانته حتى يطمع. تهذيب الحِلْية ٤٥٥/١.

* وقال **الشاعر** عن رجل:

صَفُوحٌ عنِ الإِجْرامِ حتَّى كأنَّهُ مِن العفوِ لم يَعرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجرِما
ولَيْسَ يُبالي أنْ يكُونَ به الأذَى إذَا ما الأذَى بالكُرْهِ لم يَغْشَ مُسْلما

المجالسة وجواهر العلم (٢٩٤).

* وجاء رجل إلى **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) فقال له: إن فلانًا قد آذاك، ووقع فيك قال: فانطلق بنا إليه، فانطلق معه، وهو يرى أنه سينتصر لنفسه فلما أتاه قال: يا هذا إن كان ما قلتَ فيَّ حقًا فغفر الله لي، وإن كان ما قلتَ فيَّ باطلًا فغفَر الله لك. صفة الصفوة ٤٤٨/٢.

* وكان بين حسَنٍ وبين **علي بن الحسين** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ بعضُ الأمر، فجاء حسَن بن حسَن إلى علي بن الحسين، وهو مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئًا إلا قاله له، وعليٌّ ساكت، فانصرف حسَن، فلما كان في الليل أتاه في منزله، فقرَع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له علي: يا أخي إن كنت صادقًا فيما قلتَ لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفَر الله لك، السلام عليكم، وولّى، فاتّبعه حسن، فالتزمه مِن خلفه، وبكى حتى رثى له، ثم قال: لا جَرم لا عُدت في أمرٍ تكرهه، فقال علي: وأنت في حِلٍّ مما قلتَ لي. صفة الصفوة ٤٤٨/٢.

* وكان **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ خارجًا من المسجد، فلقيه رجل فسبّه،

فثارت إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلًا على الرجل، ثم أقبل على الرجل، فقال: ما سُتِر عنك من أمرنا أكثر، ألكَ حاجة نعينك عليها؟ فاستحْيا الرجل، فألقى عليه خَمِيصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ﷺ. صفة الصفوة ٢/ ٤٥١.

* وكان عند علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قومٌ، فاستعجل خادمٌ له بشِواء كان له في التنّور، فأقبل به الخادم مسرعًا وسقط السَّفُّود[1] من يده على بُنَيٍّ لعلي أسفلَ الدّرجة، فأصاب رأسه فقتله، فقال علي للغلام: أنت حرٌّ، لم تعمده، وأخذ في جهاز ابنه. صفة الصفوة ٢/ ٤٥١.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتَب الوليدُ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ بأن يُوقِفَ هشامَ بنَ إسماعيلَ للناسِ عندَ دارِ مروانَ، وكان سيِّئَ الرَّأْيِ فيه؛ لأنه أساءَ إلى النَاسِ بالمدينةِ في مدَّةِ وِلايتِه عليهم، وكانت نحوًا مِن أربع سنينَ، ولاسيَّما إلى سعيد بنِ المسيَّبِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) وإلى عليِّ بنِ الحسينِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) وأهلِ بيتِه، فلمَّا أُوقفَ للنّاسِ قال هشامُ: ما أخافُ إلاَّ مِن سعيدٍ وعليِّ بنِ الحسينِ.

فقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ لابنِه ومَوالِيه: لا يَعرِضْ منكم أحدُ لهذا الرجلِ، فإنِّي تركتُ ذلك لله وللرَّحم، وأمَّا كلامُه فلا أكلِّمُه أبدًا.

وأمَّا عليُّ بنُ الحسينِ فإنَّه مرَّ به وهو موقوفٌ عند دارِ مَروانَ فلم يَتَعرَّضْ له، وكان قد تقدَّم إلَىَ خاصَّته أنْ لا يَعرِض لَه أحدٌ منهم، فلمّا اجتاز به عليُّ بنُ الحسينِ، وتجاوَزَه، ناداه هشامُ بنُ إسماعيل، فقال: (اللهُ أعلَمُ حيثُ يجعلُ رِسالته). البداية والنهاية ٩/٢٢٤.

* وكان يقال: إياك وعِزَّةَ الغضب فإنها مُصيِّرتُك إلى ذلّ الاعتذار. عيون الأخبار ١/ ٣٣٥.

---

(١) هي الحديدة التي يُشوى بها اللحم.

* وقال **بعض الأدباء**: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

وقال **بعض الحكماء**: إذا سكتَّ عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عقابا.

وقال **بعض الشعراء**:

وَلَلْكفُّ عن شتمِ اللئيم تكرمًا أضرُّ له من شتمه حين يَشْتُم

أدب الدين (٤٠٨).

* وقال **بعض السلف**: «الْمُؤْمِنُ لَا يَنْتَصِرُ لِنَفْسِهِ، يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، فَهُوَ مُلْجَمٌ».[1] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخَلَّال: ٢٩.

* وشكا رجل إلى **أبي مسلم الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢) ما يلقى من الناس من الأذى، فقال له أبو مسلم: إنك إنْ تُنافر الناس ينافروك[2]، وإن تتركهم لا يتركوك، وإن تفر منهم يدركوك.

قال: فما أصنع؟.

قال: هب عرضك ليوم فقرك، وخذ شيئًا من لا شيء - يعني الدنيا.[3] الزهد لأبي داود (٣٨٤).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رسول الله ﷺ ما انتقمَ لنفسِه قَطُّ، فإذا كان هذا خير خلق الله وأكرمهم على الله لم يكن ينتقم لنفسه مع أنَّ أذاه أذًى لله ويتعلق به حقوق الدين، ونفسه أشرف الأنفس، وأزكاها، وأبرها وأبعدها من كل خُلقٍ مذموم، وأحقها بكل خُلقٍ جميل، ومع هذا فلم يكن ينتقم لها، فكيف ينتقم أحدُنا لنفسه التي هو أعلم بها وبما فيها من العيوب والشرور، بل الرجل العارف لا تساوي نفسه عنده أن ينتقم لها، ولا قدر لها عنده يوجب عليه انتصاره لها. جامع المسائل: ١/ ١٧١.

(٢) أي: إذا خاصمتهم خصموك، وإذا حاكمتهم غلبوك.
والمُنافَرَة: المُفاخَرَة، يُقَال: نافَرْتُ الرجلَ مُنافرَةً: إذا قاضَيْتَه.

(٣) أي: خذ الأجر والحسنات من الدنيا التي لا تسوى عند الله جناح بعوضة.

تنبيه: جاء هذا الأثر في صفة الصفوة ١/ ٣٠١، وموسوعة ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢١ منسوبًا إلى أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والأصوب أنه لأبي مسلم.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الناس ورقًا لا شوك فيه، وأنتم اليوم شوك لا ورق فيه، إن ساببتهم سابوك، وإن نافرتهم نافروك، وإن تركتهم لم يتركوك. الزهد لأبي داود (٣٨٤).

* وقال بعضهم:

لا ترجعن إلى السفيه خطابه ... إلا جواب تحية حياكها

فمتى تحركه تحركْ جيفة ... تزداد نتْنًا إن أردت حراكها

ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٦.

* وقال **خالد بن صفوان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاثة يُعرفُونَ عند ثلاثةٍ: الحَلِيمُ عند الغَضَب.. تهذيب السِّيَر ٦/ ٦٤٣.

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): رُبَّ كلمة ذُلٍّ احتملتها أورثَتْني عزًّا طويلًا. صفة الصفوة ٢/ ٤٤١.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): اعلم أنك لا تصيبُ الغلبةَ إلا بالاجتهاد والفضل، وأنّ قلة الإعداد لمدافعة الطبائع المتطلّعة هو الاستسلام لها.

فإنه ليس أحدٌ من الناس إلا وفيه منْ كلِّ طبيعةِ سوء غريزةٌ، وإنما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء.

فأما أن يَسْلم أحدٌ من أن تكون فيه تلك الغرائز: فليس في ذلك مطمع.

إلا أنّ الرجل القوي إذا كابرها بالقمع لها[1] كلما تطلّعت: لم يلبث أن يميتها، حتى كأنها ليست فيه، وهي في ذلك كامنة كمون النار في العود، فإذا وجدت قادحًا[2] من علّة، أو غفلة اسْتَوْرَت[3]، كما تستوري النار عند القدح، ثم لا يبدأ

(١) أي: قهرها بالقهر والإرغام والإذلال.

(٢) القادح: الذي يقدح بالزند أي يروم إخراج ناره.

(٣) أي:: اتَّقدت واستعرت.

ضرّها إلا بصاحبها، كما لا تبدأ النارُ إلا بعُودها الذي كانت فيه. الأدب الكبير (١٠٣-١٠٤).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أنك ستُبلى من أقوام بسَفه، وأنَّ سفه السفيه سيُطْلِع لك منك حقدًا، فإن عارضته أو كافأته بالسفه فكأنك قد رضيت ما أتى به، فاجتنب أن تحتذي مثاله، فإن كان ذلك عندك مذمومًا فحققّ ذمك إياه بترك معارضته، فأما أن تذمَّه وتمتثله[1] فليس ذلك لك سدادًا. الأدب الكبير (١١٦).

* وصدق الشاعر:

ليست الأحْلام في حال الرّضا إنما الأحلام في حال الغضب

وكان **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أوْلع الناس بهذا البيت. أدب الدين (٤٠٩)، تهذيب الحِلْية ٢/١١٧.

* وقال **الخليل بن أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): كان يقال: من أساء فأحسنَ إليه: حصل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته. ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٥.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: أفضل أخلاق المسلمين العفو. الزهد لابن المبارك (٦٥٢).

* وقال **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): ما عليك أن تُنزل الناس منزلة أهل البيت، فتنزل من كان أكبر منك منزلة أبيك، وتنزل من كان منهم قرينك منزلة أخيك، وتنزل من كان أصغر منك منزلة ولدك، فأي هؤلاء تحب أن يُهتَك سترُه؟. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٨.

* ودخل رجل على **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١)، فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه، ويقع فيه، فقال له عمر: إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير

---

(١) أي: تسلك طريقه.

لك من أن تلقاه وقد انتقصتها.(١) ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٥.

* وجاء رجل إلى **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: إن فلانا يقع فيك، قال: أقرئه السلام، وأعلمه أنه قد هيَّجني على الاستغفار. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٥.

* وقال **الشاعر**:

وَلَرُبَّمَا ابْتَسَمَ الْوَقُورُ مِنَ الأَذى ... وَضَمِيرُهُ مِنْ حَرِّهِ يَتَأَوَّهُ

المجالسة وجواهر العلم (٤١٨).

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: المؤمن حليم لا يجهل، وإن جُهل عليه حليم لا يظلم، وإن ظُلم غفر لا يقطع، وإن قُطع وصل لا يبخل، وإن بُخل عليه صبر. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٥.

---

(١) ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ينبغي على من ظُلم وأُوذي أن يصبر ويحتسب، وأنه بصبره ينال الرفعة والأجر، وأنه لا يجوز أن يجور ويظلم على من جار عليه وآذاه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلاما نفيسا: ولكن المُصيب العادل: عليه أن يصبر على جهل الجهول وظلمه إن كان غير متأوِّل -أي أن الذي ظلم كان غير متأوِّلٍ، أي أنه معتقدٌ أنه على غير حق، وقد تقصَّد الظلم والجور-، وأما إن كان ذاك أيضا متأولا -أي أن الذي ظلم كان متأوِّلا، أي أنه معتقدٌ أنه على حق، وليس قصده الظلم والجور-: فخطؤه مغفور له، وهو فيما يصيب به من أذى بقوله أو فعله له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له، وذلك محنة وابتلاء في حق ذلك المظلوم، فإذا صبر على ذلك واتقى الله: كانت العاقبة له، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران:١٨٦]. فأمر سبحانه بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى، وذلك تنبيه على الصبر على أذى المؤمنين بعضهم لبعض، متأولين كانوا أو غير متأولين.

وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]. فنهى أن يَحمل المؤمنين بُغضُهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البُغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالما له. الاستقامة: ٥٦

* وقال بعضهم:

لا يبلغ المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرة لا عفو ذل ولكن عفو أحلام

ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٦.

* وقال بعضهم:

وليس يتمُّ الحلمُ للمرء راضيًا إذا هو عند السُّخطِ لم يتحلّم
كما لا يتمُّ الجود للمرء مُثريًا إذا هو لاقى العسر لم يتجشّم

ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٧.

* وقال **أسماء بن خارجة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢): ما شتمت أحدًا قط؛ لأن الذي يشتمني أحد رجلين: كريم كانت منه زلة وهفوة، فأنا أحق من غفرها، وأخذ الفضل فيها، أو لئيمٌ فلم أكن لأجعل عرضي له غرضا.

وكان يتمثل:

وأغفر عوراء الكريم وأعر ض عن شتم اللئيم تكرما

ابن أبي الدنيا ٢/ ٧٦.

* ولما سُيِّر **عامر بن عبد الله بن عبد قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠)[1] شيَّعه إخوانه فقال: إني داع فأمنوا، قالوا: هات فقد كنا نشتهي هذا منك، قال: اللهم من وشى بي وكذب عليّ وأخرجني من مصري، وفرق بيني وبين إخواني، اللهم أكثر ماله وولده، وأصحّ جسمه وأطل عمره. تهذيب الحِلْية ٣٠٣/ ١.

* وكان رجلٌ يقع في **عمر بن ذر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣) ويشتمه، فلقيه عمر بن ذر فقال: يا هذا لا تفرط في شتمنا وأبقِ للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله

(١) طلب الأمير منه أن يُغادر بلده بسبب وشاية كاذبة.

فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه. تهذيب الحِلْية ١٥٧/ ٢.

* وسُرِق **للربيع بن خيثم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) فرس[1]، فقال أهل مجلسه: ادع الله عليه، قال: بل أدع الله له؛ اللهم إن كان غنيًّا فأقبل بقلبه، وإن كان فقيرًا فأغنه. تهذيب الحِلْية ٣١١/ ١.

* وأمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نَذر إن أمكنه الله منه ليفعلنّ به وليفعلن، فقال له **رَجَاء بن حَيْوة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢): قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو. عيون الأخبار ١٤١/ ١.

* وعن **رجاء بن حيوة** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: الحلم أرفع من العقل؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ تسمى به. الزهد لأحمد: ٣٩٦.

* ولما سُمَّ **عمر بن عبد العزيز** (ت: ١٠١) قال للخادم الذي سمه: لم سممتني؟ قال: أعطاني فلان ألف دينار على أن أسُمّك، قال: أين الدنانير؟ قال: هي ها هنا، فأتى بها فوضعها في بيت مال المسلمين، وقال للخادم: اذهب، ولم يعاقبه. المنتظم ٧٠/ ٧.

* وجاءه رجل كان واجدًا عليه، فقال: لولا أني غضبان لعاقبتُك، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلًا حبسه ثلاثة أيام، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه، كراهةَ أن يَعْجَل عليه في أول غضبه. عيون الأخبار ٣٣٤ / ١.

* وأسمعه رجلٌ كلامًا فقال له: أردتَ أن يستفِزّني الشيطانُ بعِزِّ السلطان فأنالَ منك اليوم ما تناله منّي غدًا، انصرفْ رحمك الله. شعب الإيمان (٨٣٢٤).

* وعن إبراهيم بن أبي عَبْلة قال: غضب **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ يوما على رجل غضبًا شديدًا فبعث إليه فأتى به فجرده ومده في الحبال ثم دعا بالسياط حتى

---

(١) أُعطِي به عشرين ألفا. صفة الصفوة ٣/ ٤١.

إذا قلنا: هو ضاربه قال: خلوا سبيله، أما إني لولا أني غضبان لسُؤْته، قال: وتلا هذه الآية: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤]. الزهد لأحمد: ٥٠٤.

* وغضب يومًا فقال له ابنه **عبد الملك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب؟ فقال له: أو ما تغضب يا عبد الملك؟ فقال له عبد الملك: وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أُرَدِّدْ فيه الغضب حتى لا يظهر؟ جامع العلوم والحكم / ١٩٢.

* **وكان ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) لا يغضب، فإذا أغضبه الرجل قال: بارك الله فيك. تهذيب الحِلْية ٤٤٣/ ١.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): أربع من كنّ فيه عصمه الله من الشيطان، وحرمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب.(١) جامع العلوم والحكم / ١٩٣.

* والعرب تقول: احْلُمْ تَسُدْ. عيون الأخبار ٣٢٦/ ١.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: كان **عيسى ابن مريم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول:

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذه الأربع التي ذكرها الحسن هي مبدأ الشرّ كله، فإن الرغبة في الشيء هي ميل النفس إليه لاعتقاد نفعه، فمن حصل له رغبة في شيء، حملته تلك الرغبة على طلب ذلك الشيء من كل وجه يظنّه موصلًا إليه، وقد يكون كثير منها محرمًا، وقد يكون ذلك الشيء المرغوب فيه محرّمًا. والرهبة: هي الخوف من الشيء، وإذا خاف الإنسان من شيء تسبب في دفعه عنه بكلّ طريق يظنّه دافعًا له، وقد يكون كثير منها محرّمًا. والشهوة: هي ميل النفس إلى ما يلائمها وتلتذّ به، وقد تميل كثيرًا إلى ما هو محرّم كالزنا والسرقة وشرب الخمر، بل وإلى الكفر والسحر والنفاق والبدع. والغضب: هو غليان دم القلب طلبًا لدفع المؤذي عند خشية وقوعه، أو طلبًا للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرّمة كالقذف والسبّ والفحش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر. جامع العلوم والحكم / ١٩٣-١٩٤.

إن الإحسان ليس أن تحسن إلى من أحسن إليك، إنما تلك مكافأة بالمعروف، ولكن الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك. الزهد لأحمد: ١٣٩.

* وقال بعض الشعراء:

إني لأُعْرِضُ عن أشياء أسمعُها ... حتى يقولَ رجالٌ إنّ بي حُمُقَا

أَخْشَى جوابَ سفيهٍ لا حياء له ... فَسْلٍ وظنَّ أناسٍ أَنه صدَقَا

عيون الأخبار ٣٢٨/ ١.

* وقال **أكثم بن صيفيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩): العِزُّ والغلبةُ للحِلم. عيون الأخبار ٣٢٨/ ١.

* وقال **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): الغضب مفتاح كلّ شرّ.[(١)] جامع العلوم والحكم/ ١٩١.

* وقيل **لابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) اجمع لنا حسن الخلق في كلمة، قال: ترك الغضب. جامع العلوم والحكم/ ١٩١.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلًا فقل: يا أخي اعف عنه، فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عَزَّوَجَلَّ، قل: فإن كنت تحسن تنتصر مِثلًا بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب أوسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله،

---

(١) عندما ترى مِن أحدٍ ما تكره: فتذكر وصية الله لنبيه ﷺ: «**ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**» أي: لا يحملنك أعداؤُك على الخفّة والقلق وترك الصبر.

والخفيف يهتزّ ويضطرب عند أدنى تأثير ومكدّر، وخاصةً إذا رأى العاقل عنادَ من يرشده إلى الصلاح، وذلك مما يستفزّ غضب الحليم، فيكون خفيف العقل قليل الصبر.

والجاهل يعتقد أنّ ذلك لا يكون إلا من مهانةٍ وخَوَر، ولقد قال الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى: «وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا».

وصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور. تهذيب الحِلْية ٢٨/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حسناتك من عدوك أكثر منها من صديقك، قيل: وكيف ذاك يا أبا علي؟ قال: إن صديقك إذا ذُكرت بين يديه قال: عافاه الله، وعدوك إذا ذُكرت بين يديه يغتابك الليل والنهار، وإنما يدفع المسكين حسناته إليك، فلا ترض إذا ذُكر بين يديك أن تقول: اللهم أهلكه، لا، بل ادع الله: اللهم أصلحه، اللهم راجع به، ويكون الله يعطيك أجر ما دعوت به، فإنه من قال لرجل: اللهم أهلكه فقد أعطى الشيطان سؤاله؛ لأن الشيطان إنما يدور على هلاك الخلق. تهذيب الحِلْية ١٦/ ٣.

* وقال بعضُهم:

لن يُدرِكَ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُمُوا ... حتَّى يذِلُّوا وإن عَزُّوا لأقوام

ويُشْتَمُوا فتَرَى الألْوانَ مُشْرِقَةً ... لا صَفْحِ ذُلٍّ ولكِن صَفْح أَحْلَامِ

عيون الأخبار ٣٣١/ ١.

* وأغلظَ عبدٌ لسيده فقال: إني أَصْبِرُ لهذا الغلامِ على ما تَرُونَ لأَرُوضَ نَفسِي بذلك، فإذا صَبَرْتُ للمملوك على المكروه كانَتْ لغير المملوك أصبرَ. عيون الأخبار ٣٣٢/ ١.

* وجاء رجل إلى وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) فقال: إني مررت بفلان وهو يشتمك!.

فغضب وقال: ما وجد الشيطان رسولًا غيرك، فما برحَ حتى جاءه ذلك الشاتم فسلَّم على وهبٍ فرد عليه ومد يده وصافحه وأجلسه إلى جنبه. المنتظم ١٤٢/ ٧.

* وقال أحمد بن أبي الحَواريّ: قال لي **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): من أيّ وجه أزالَ العاقلُ الْلائمةَ عمّن أساءَ إليه؟ قلت: لا أدري قال: من أنه قد علم أن الله تعالى هو الذي ابتلاه به. صفة الصفوة ٤/ ٢٤٤.

* وعن عبد الله بن البواب أنه قال: كان **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٨) يحلم حتى يغيظنا، وإنه في بعض الأوقات جلس يستاك على دجلة من وراء ستر ونحن قيام بين يديه، فمرّ ملاّح وهو يقول بأعلا صوته: أتظنون أن هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه!؟ قال: فوالله ما زاد على أن تبسم، وقال: ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل!؟ المنتظم ١٠/ ٦٤.

* وقال **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنا والله أستلذ العفو حتى أخاف أن لا أؤجر عليه، ولو علم الناس مقدار محبتي للعفو لتقربوا إليّ بالذنوب. المنتظم ١٠/ ٦٥.

* ومات بعض كبار قرطبة، فمشى **أحمد بن بقيّ بن مخلد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٤) إلى داره، وقال لبعض مَن ماشاه: لقد كان يُؤذيني في حياته، وهو اليوم أحوجُ إلى أن أصبر عليه، فأُشهدك أنه في حلٍّ مما فعل. ترتيب المدارك (٣/ ١٧٠).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قالوا: كان **أبو بكر النحوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٧) الملقب بالوجيه لا يغضب قط، فتراهن جماعة مع واحد أنه إن أغضبه كان له كذا وكذا، فجاء إليه فسأله عن مسألة في العربية فأجابه فيها بالجواب، فقال له السائل: أخطأت أيها الشيخ، فأعاد عليه الجواب بعبارة أخرى، فقال: كذبت، وما أراك إلا قد نسيت النحو، فقال الوجيه: أيها الرجل فلعلك لم تفهم ما أقول لك، فقال بلى، ولكنك تخطيء في الجواب، فقال له، فقل أنت ما عندك لنستفيد منك، فأغلظ له السائل في القول، فتبسم ضاحكًا، وقال له: إن كنت راهنت فقد غُلبت، وإنما مثلك مثل البقّة ـ يعني الناموسة ـ سقطت على ظهر الفيل فلما أرادت أن

تطير قالت له: استمسك فإني أحب أن أطير، فقال لها الفيل: ما أحسستُ بك حين سقطتِ فما أحتاج أن أستمسكِ إذا طرت. البداية والنهاية ١٣/ ١٤٤.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعث بُجْكم الأمير (ت: ٣٢٩) إلى **سنان بن ثابت** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٣) الطبيب بعد موت الراضي، وسأله أن ينحدر إليه إلى واسط، فانحدر إليه فأكرمه، وقال له: إني أريد أن أعتمد عليك في تدبير بدني: وفي أمر آخر هو أحب إليّ من أمر بدني وهو أمر أخلاقي لثقتي بعقلك ودينك فقد غمتني غلبة الغضب والغيظ، وإفراطهما فيّ حتى أخرج إلى ما أندم عليه عند سكونهما من ضرب وقتل، وأنا أسالك أن تتفقد لي ما أعمله فإذا وقفت لي على عيب لم تحتشم أن تصدقني عنه، وتنبهني عليه، ثم ترشدني إلى علاجه.

فقال له: السمع والطاعة، أنا أفعل ذلك، ولكن يسمع الأمير مني بالعاجل جملة علاج ما أنكره من نفسه إلى أن آتي بالتفصيل في أوقاته، اعلم أيها الأمير أنك قد أصبحت وليس فوق يدك يدٌ لأحد من المخلوقين، وأنك مالك لكل ما تريده قادر على أن تفعله أي وقت أردته، لا يتهيأ لأحد من المخلوقين منعك منه، ولا أن يحول بينك وبين ما تهواه، أي وقت أردت، واعلم أن الغيظ والغضب يحدث في الإنسان سكرًا أشد من سكر النبيذ بكثير، فكما أن الإنسان يفعل في وقت السكر من النبيذ ما لا يعقل به ولا يذكره إذا صحا، ويندم عليه إذا حُدِّثَ به، ويستحيي منه، كذلك يحدث له في وقت السكر من الغيظ بل أشد.[1].

(١) سبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها، وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها.
والغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه، والحزن يتحرك من خارج الجسد إلى داخله.
فلذلك قتل الحزن ولم يقتل الغضب؛ لبروز الغضب وكمون الحزن.
وصار الحادث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه، والحادث عن الحزن المرض والأسقام لكمُونه.
ولذلك أفضى الحزن إلى الموت ولم يفض إليه الغضب، فهذا فرق ما بين الحزن والغضب.
أدب الدين (٤١٢).

فإذا ابتدأ بك الغضب، فضع في نفسك أن تؤخر العقوبة إلى غد، واثقًا بأن ما تريد أن تعمله في الوقت لا يفوتك عمله، فإنك إذا بت ليلتك سكنت فورة غضبك، وقد قيل: أصحُّ ما يكون الإنسان رأيًا إذا استدبر ليله واستقبل نهاره.

فإذا صحوت من غضبك فتأمل الأمر الذي أغضبك، وقدِّم أمر الله عَزَّوَجَلَّ أولًا، والخوف منه، وترك التعرض لسخطه، واشف غيظك بما لا يؤثمك، فقد قيل: «ما شفى غيظه مَنْ أثم»، واذكر قدرة الله عليك، فإنك تحتاج إلى رحمته وإلى أخذه بيدك في أوقات شدائدك، فكما تحب أن يغفر لك، كذلك غيرك يحب أن تعفو عنه، واذكر أي ليلة بات المذنب قلقًا لخوفه منك، وما يتوقعه من عقوبتك، واعرف مقدار ما يصل إليه من السرور بزوال الرعب عنه، ومقدار الثواب الذي يحصل لك بذلك، واذكر قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢] وإنما يشتد عليك ذلك مرتين أو ثلاثًا، ثم تصير عادة لك وخلقًا.

فابتدأ بُجْكم فعمل بما قال له، ورفق بالرعية.(١) المنتظم ١٠-١٢/ ١٤.

* وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

وأقلل عتابًا فما فيه مَن يُعاتَب حين يحقُّ العتاب

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذ سبني نذلٌ تزايدتُ رفعةً وما العيبُ إلا أن أكونَ مسابِبُه
ولو لم تكن نفسي عليَّ عزيزةً لمكنتُها من كلِ نذلٍ تحاربُه

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخاطبني السفيه بكل قبحٍ فأكره أن أكون له مجيبا

---

(١) من توفيق الله للإنسان أن يبحث عن ناصح أمين حكيم، يستشيره في شؤونه، ويُوقفه على عيوبه، ويرشده إلى الصواب في أموره.

يزيد سفاهةً فأزيد حلمًا ... كعودٍ زاده الإحراق طيبا

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخيرٌ من إجابته السكوت
فإنْ كلمتَه فرجَّت عنه ... وإنْ خلَّيته كمَدًا يموت

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قالوا سكتَّ وقد خوصمتَ قلتُ لهم ... إنَّ الجوابَ لبابِ الشرِّ مفتاحُ
والصمَّتُ عن جاهلٍ أو أحمقٍ شرفٌ ... وفيه أيضًا لصونِ العرضِ إصلاحُ
أما تَرَى الأُسْدَ تُخْشى وهْي صَامِتة ... والكلبُ يخْسَى لعمري وهو نبَّاحُ

ديوان الشافعي (٣٨، ٤٢، ٤٣، ٥٤، ٦٧).

* وقد امْتُحن الإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ ثُمَّ الْمُعْتَصِمِ ثُمَّ الْوَاثِقِ بسبب القرآن العظيم، وَناله الكثير من الأذى، وأُودِعَ السِّجْنَ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ شَهْرًا، وضُرب أكثر من ثَلَاثِينَ سَوْطًا، لَكِنْ كَانَ ضَرْبًا مُبرِّحًا شَدِيدًا جِدًّا.

وأُغْمِيَ عَلَيه وَذَهَبَ عَقْله مِرَارًا خلال الضرب.

وَجَعَلَ كُلَّ مَنْ سَعَى فِي أَمْرِهِ فِي حِلٍّ إِلَّا أَهْلَ الْبِدْعَةِ، وَكَانَ يَتْلُو فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النُّور: ٢٢]، وَيَقُولُ: مَاذَا يَنْفَعُكَ أَنْ يُعَذَّبَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ بسببك؟ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشُّورَى: ٤٠] وَيُنَادَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ»، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا. البداية والنهاية: ١١/ ٤٥-٤٧.

* وقال **بعض السلف**: العافية عَشرة أجزاء، تسعة منها في التغافل.

فنُقل كلامه **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) فقال: العافية عَشرة أجزاء،

كلها في التغافل. الآداب الشرعية ٢/ ١٤.

* وقال **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): التغافل يطفئ شرًّا كثيرًا. شعب الإيمان ٦/ ٣٤٧.

* وقال **الشاعر** في هذا المعنى:

ليس الغبيّ بسيد في قومه لكنَّ سيّد قومه المتغابي

* وأحلّ **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) مَن حضر ضرْبَه، وكلَّ من شايع فيه، والمعتصم، وقال: لولا أن ابن أبي دُؤاد داعية لأحْلَلْتُه. صفة الصفوة ٢/ ٦١٢.

* وكان رجلٌ يعرِّض بالقاضي **محمد بن بشير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨)، حتى بلغ ذلك ابن بشير، فقال له: إنَّ الشر لا يعجز عنه أحد، وإنَّ الخير لا يناله إلا أهل الصبر الجميل، فاقصُر عما بلغني عنك فإنه أجمل بك. ترتيب المدارك (١/ ٥١٧).

* وجاء رجل يومًا يقودُ **عاصمَ بن أبي النجود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٧)[1] فوقع وقعة شديدة، فما كَهَرَهُ[2]، ولا قال له شيئًا. معرفة القراء (١/ ٢٠٧).

* وشهد **سعيد بن سليمان** (ت: ١٨٩) عند سليمان بن عمران الطلحي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ وهو قاضٍ فردَّ شهادته.

فلما وُلي سعيدٌ شهد عنده ابنُ عمران، فنظر في شهادته ففكر قليلًا ثم قال لكاتبه: أَجِز شهادته؛ فإن المؤمن لا يشفي غيظه.[3] ترتيب المدارك (١/ ٣٢٩)، المنتظم ٩/١٦٧.

---

(١) وكان أعمى.

(٢) أي: نهره.

(٣) الإنصاف والعفو وعدم التشفّي والانتقام للنفس ابتغاء وجه الله من أخلاق الصّدّيقين الأولياء، والعقلاء الحكماء، جعلنا الله منهم.

* وقال محمد بن محبوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا عند **القاضي عبدالله بن طالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٥) يومًا، فخاطبه بعض أهل مجلسه بخطابٍ خشن لا يخاطَبُ مثلُه بمثله، فنظر بعضهم إلى بعض، وتمادى ابن طالب في مكالمته كأنه ما سمع مكروهًا، فلما قام الرجل قال لنا ابن طالب: رأيت نظر بعضكم إلى بعض، وقلت في نفسي: رجلٌ قصَدَني، يؤدِّي الذي يجب من حقِّي، هفَا عليّ، أصول عليه بسلطاني؟ هذا من اللؤم.[1] ترتيب المدارك (٢/ ٣١٥).

* ودخل يوما تُركيّ على **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠) فقال لحاجبه: أما قلت لك: أعْط هذا عشرين دينارًا، وكذا من الطعام، وقل له: لا يحضر ههنا؟ فقال: قد أعطيناه، قَالَ: عُدْ وأعطه، وقل له: لا يحضر، ثم التفت إلى الجماعة، وقال: لا شك أنكم ترتابون بسبب هذا؟ فقالوا: نعم، فقال: هذا كان شِحْنة[2] في القرى، فقتل قتيلٌ قريبًا من قريتنا، فأخذ مشايخ القرى وأخذني مع الجماعة، وأمشاني مع الفرس، وبالغ في أذاي وأوثقني، ثم أخذَ من كل واحد شيئا وأطلقه، ثم قَالَ لي: أي شيء معك؟ قلت: ما معي شيءٌ، فانْتَهرني، وقال: اذهب.

فأنا لا أريد اليوم أذاه، وأُبغِض رؤيته. ذيل الطبقات (٢/ ١١٣ - ١٦٩).

* وقال **بعضهم**:

لما عفوتُ ولم أحقد على أحدٍ … أرحتُ نفسيَ مِن همِّ العداوات
إني أحيّيْ عدويْ عند رؤيته … لأدفع الشرّ عنّي بالتحيّات
وأُظهِر البشر للإنسان أبغضه … كأنه قد حَشَى قلبي محبات

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنّ الذي يستعمل منصبه وسلطته للانتقام على من أخطأ في حقّه أو أبغضه لأسباب شخصيّة: إنسان قليل الأدب، سفيه، دنيء، ضعيف الدين، قليل العلم، نعوذ بالله من هذه الصفة الدنيئة، والخلّة الرديئة.

(٢) الشّحنة: هو الذي يتولى أمر الشرطة في القرى وغيرها.

ولست أَسْلم ممن لستُ أعرفه ... فكيف أسلم من أهل المودّات
الناس داءٌ وداء الناس قُرْبهم ... وفي الجفاء بهم قطع الأُخوات
فجامِل الناس وأَجْمل مااستطعت وكن ... أصمّ أبكم أعمى ذا تقيات

الآداب الشرعية ١/ ٥١.

* وقال ابن القلانسي: سمعت الشيخ **تقيَّ الدين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه، وأن السلطانَ استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشْنكير، وأنهم قاموا عليك وآذوْك أنت أيضًا! وأخذ يحُثُّه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم-وإنما كان حنقُه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير- ففهم الشيخ مراد السلطانِ، فأخذ في تعظيم القضاةِ والعلماء، وينكرُ أنْ ينال أحدًا منهم سوءٌ، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم. فقال له: إنهم قد آذوك؛ وأرادوا قتْلَك مرارًا، فقال الشيخُ: من آذاني فهو في حِلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فاللهُ ينتقمُ منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حلُم عنهم وصفح.

قال: وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابنِ تَيْميَّةَ، حرَّضْنا عليه، فلم نَقْدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجَجَ عنا. البداية والنهاية ١٤/ ١٢٩.

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه. وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم.

وجئت يوما مبشرا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني

وتَنكَّر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسروا به ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه. مدارج السالكين ٣/ ١٣٩.

* وكان الشيخ المقرئ الفقيه النحويّ **عبدالله بن عائض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢٢) سليم الصدر، طيب القلب، جمّ التواضع، فمع ما ناله من أذيّةِ أعدائه وتعرُّضهم له، فإنه يقول: لم أَبِت ليلةً وفي قلبي حقد على أحد. علماء نجد (٤/ ١٤٢).

مداراة الناس[1]

* قال **أبو الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إنّا لَنَكْشِرُ في وجوه أقوام، ونضحك إليهم، وإنّ قلوبنا لَتلعَنُهمْ. عيون الأخبار ٣/ ٢٧، ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٢.

* وقال **محمد ابن الحنفية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١): ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بدًّا من معاشرته، حتى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا. تهذيب الحِلْية ١/٥٠٤.

* وعن الأصمعي قال: لما حضرت جدي **علي بن الأصمع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوفاة، جمع بنيه فقال: أي بَنيَّ عاشروا الناس معاشرةً إن عشتم حنُّوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٥.

* وعن **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: مكتوب في الحكمة: لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطا، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٦.

* وكان يقال: إذا بلغك عن أخيك ما تكره فالقه بما يحب؛ فإنك تقضمه جمرته وهو لا يشعر. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٦.

* وكان **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) أشد الناس مدارةً للناس وتركَ ما لا يعنيه. ترتيب المدارك (١/ ١٠٥).

---

(١) المداراة: هي بذلُ الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين، وهي مباحة ومستحسنةٌ في بعض الأحوال، والمداهنة المذمومة المحرمة: هي بذل الدين لصلاح الدنيا.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): سياسة الناس أشد من سياسة الدواب. طبقات الشافعيين (١/ ٦٤).

* وقال **أبو سليمان الخطابي** (ت: ٣٨٨):

ما دمتَ حيًّا فدار الناس كلَّهم ... فإنما أنتَ في دار المداراة

من يَدْر داری ومن لم يَدْر سوف يُرَى ... عما قليل نديمًا للندامات

الآداب الشرعية ١/ ٥٢.

* وقال **زهير بن أبي سلمى** (ت: ٣ قبل الهجرة):

ومن لم يصانع في أمور كثيرة ... يضرَّسْ بأنياب ويوطأْ بِمَنْسِم [١]

[شرح المعلقات السبع للزوزني (١٤٩)].

* وشكا رجل إلى **مخلد بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩١) رجلًا من أهل الكوفة، فقال: أين أنت عن المداراة، فإني أداري، حتى أداري هذه -جارية حبشية تغربل شعير الفرس له-. تهذيب الحِلْية ٦٣/ ٣.

---

(١) المنسم: خف البعير.

الفهرس

المقدمة ٧
الملحوظات عَلَى كُتُبِ السير والطبقات ١٢
مَنْهَجِي فِي اخْتِيَارِ مَادَّةِ هَذَا الكِتَابِ ١٩
مَنْهَجِي فِي تَرْتِيبِ مَادَّةِ هَذَا الكِتَابِ ٢٩
أربع تنبيهات مهمة ٣١
ثلاثة أمور لاحظتُها خلال قراءتي في سِيَر وطبقات العلماء ٣٦
مدحل التعريف بالسَّلف الصالح، وخصائصهم، وواجبنا تجاههم، وسمات منهجهم .. ٣٨
خَصَائِصُ وَمَزَايَا السَّلَفِ عَنْ غَيْرِهِمْ........................ ٤١
واجبنا تجاه السلف الصالح ٤٧
مَنْهَجُ وَاعْتِقَادُ السَّلَفِ الصَّالِحِ........................ ٥٠
العلم والعلماء ٦١
أ- توقير العلم والاحتفاء بأهله........................ ٦١
ب- تعريف العلم، وكيفية أخذه، وبيان فضله ٧٣
ج- ما قيل في العلم والعلماء........................ ٨٥
د- نصائح وتوجيهات للعالم وطالب العلم ٩١
هـ- ذم العجلة في التصدر في المجالس والتعليم والفتوى ١١٩
و- قصص ووقائع لبعض العلماء........................ ١٢٨
ز- ما قيل في كتم بعض العلم لمصلحة، وعدم بثه لكل أحد ١٥١
م- ما نُقل عن العلماء من سعة العلم والحفظ وكثرةِ التصانيف....... ١٥٣

ن- ذكر من مات قبل الكهولة من العلماء، وشيءٍ من أحوالهم ١٥٨
ح- الهمَّة في طلب العلم ١٦٠
ج- سِيَرُ بعض العلماء وأثرهم وفضلهم ١٧٠
ط- فضل أصحاب الحديث...................................... ٢٢٠
ظ- حال بعض العلماء وأثره في البيان وتصنيف الكتب ٢٢٤
ض- حال السلف وأهل العلم عند الاختلاف ٢٢٦
ز- فوائد أخرى ٢٣٣
ذم الجهل **٢٣٩**
ذم التَّقليد والنهي عنه، وما جاء في التعصب ٢٤٣
الأئمة الذين يُقتدى بهم **٢٤٥**
العمل بالعلم ٢٤٦
بذْلُ العِلم وتعليمه وتدْوينه **٢٦٠**
العقيدة... **٢٦٩**
أ- مكانة السُّنة ومنزلتها، وذم من احتج بالقرآن ورد السنة ٢٦٩
ب- موقف السلف ممن قال القرآن مخلوق ٢٧٢
ج - موقف السلف في باب الإيمان، وأنه اعتقاد وقول وعمل، يزيد وينقص ٢٧٤
د - موقف السلف في باب القدر ٢٧٧
هـ - موقف السلف في باب الاستواء وعلو الله....................... ٢٨٢
و - موقف السلف في باب الصفات.............................. ٢٨٤
ل- موقف السلف في باب التكفير، والتبديع، والتفسيق ٢٩١
م- موقف السلف من الصحابة، وبيان منزلتهم ومكانتهم ٢٩٦
ن- معنى الشهادة وفضلها وأهميتها، والحذر مما يضادّها............. ٣٠١
ي- الولاء والبراء ٣٠١
ز- ذم الحلف بغير الله... ٣٠٢

ط- أصول السُّنة مُجمَلَة ٣٠٢
التمسك بالكتاب والسنة والأثر، وذم الأخذ بالرأي ورواية الأحاديث المكذوبة والواهية ٣٠٦
ذم البدع والمبتدعة، والهوى وأهله، والجدال والمراء ٣٢٥
أ- ذم البدع ٣٢٥
ب- ذم المبتدعة ٣٣٠
ج- ذم الهوى، وفضل من خالفه ٣٣٧
هـ- ذم المراء والجدال بوجه عام ٣٤٤
و- ذم المراء والجدال في الدين ٣٤٦
ي- التحذير من مجادلة أهل البدع والأهواء ٣٤٨
ز- من طرائق معاملة أهل البدع ٣٥١
حال السلف مع ولاة الأمور ٣٥٢
أ- طاعتهم، والحث على لزوم الجماعة ٣٥٢
ب- مداراتُهم، والرفقُ واللينُ في التعامل معهم ٣٥٤
ج- الصدع بالحق وعدم المداهنة في النصح لهم ٣٦١
د- توجيهات ونصائح السلف لمن أراد الدخول معهم ٣٨٢
هـ- مواقف بعض العلماء تجاه السلاطين ٣٨٢
و- الصبر على ظلمهم، وعدم الخروج عليهم، وذم من فعل ذلك ٣٨٤
ز- الدعاء لهم، والبعدُ عن الثناء عليهم إلا بحقّ ٣٨٩
ل- الدخول على الأمراء والولاة، والتورع من قبول الأموال منهم.... ٣٩٠
ي- فوائد أخرى ٣٩٢
سياسة الرعية ٣٩٤
ذم التفاخر بالأحساب ٣٩٥
ترك التكلف ٣٩٧

علو الهمة ٣٩٩
ذم الكسل ٤١٠
نساء السلف ٤١٢
أطفال السلف ٤١٧
الجهاد والتضحية في سبيل الله ٤٢٠
الدعوة إلى الله ٤٢٨
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٣١
أ- أهمية وفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعاقبة من تركه ٤٣١
ب- آداب ونصائح للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ٤٣٤
ج- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان مقصرا ٤٤١
د- وجوب الأمر بالمعروف وإن لم يعمل بكل ما يقول ٤٤١
هـ- قصص ووقائع ٤٤١
و- فوائد أخرى ٤٤٣
عبادة السلف ٤٤٦
أ- الحث على العبادة والخشوع، وأقوالهم في ذلك ٤٤٦
ب- الصلاة وأهميتها وفضلها، وحالهم فيها ٤٤٨
ت- فضل قيام الليل وقصص المتهجّدين ٤٥٨
ث- فضل صلاة الضحى ٤٧٣
د- شهر رمضان، والصيام ٤٧٤
هـ- التهيؤ للعبادة والاستعداد لها ٤٧٥
و- فوائد أخرى ٤٧٦
القصد في العبادة، والتَّيسيرُ وعدمُ التَّشدّد والتَّنطّع ٤٧٨
القرآن الكريم ٤٨٥
أ-حال السلف مع القرآن وتعليمه، وأثره عليهم ٤٨٥

ب-من أحوال أهل القرآن ٥٠٤
عناية السلف بالقلب، والحذر من قسوته ٥٠٧
أ- ضعف القلب وسرعة تقلبه وتغيره ٥٠٧
ب- الحذر من قسوة ومرض القلب، وأسباب ذلك ٥٠٧
ج- نصائح وتوجيهات وقصص في إصلاح القلب وتصحيح النية ٥١١
د- أهمية انصراف القلب إلى الله، وتعلقه به، والثقة به ٥١٤
هـ- فوائد أخرى ٥١٩
الصدق مع الله ٥٢٣
الأولياء ٥٢٦
الإخلاص، وذم النفاق والرياء، والخوف منهما ٥٢٧
الاحتساب ٥٣٨
رفعة الله للمؤمنين والصالحين ٥٤١
كرامات العلماء والصالحين وحفظ الله لهم ٥٤٣
الفرج بعد الشدة ٥٥٥
التخفي وكتمان الأعمال الصالحة ٥٦١
أ- الحرص على الخمول وعدم البروز والظهور ٥٦٢
ب- كتمان الأعمال الصالحة ٥٦٧
ج- الحذر من تصنع الزهد والخمول وصالحِ الأعمال ٥٧١
د- حال بعض السلف الذين يرون إظهار الأعمال الصالحة ٥٧٢
بر الوالدين وصلة الرحم ٥٧٤
حال السلف مع الفتن والمحن ٥٧٨
أ- حالهم مع فتن المصائب والأمراض، والصبر عليها ٥٧٨
ب- موقفهم من قتال الفتنة، وتوجيههم فيها ٥٩٧
ج- حالهم مع فتن الشهوات والنساء ٦١١

د- ذكر بعض القصص في العشق والحب، وما قيل في ذلك ٦١٧
عيادة المريض ٦٢١
موقف السلف من الحاجات الضرورية والكمالية ٦٢٣
أ- موقف السلف من العمل والسعي في طلب الرزق ٦٢٣
ب- موقف السلف من اللباس ٦٣٠
ج- موقف السلف من بعض العلوم غير الشرعية........... ٦٣٣
د- موقف السلف من النكاح ٦٣٣
هـ- موقف السلف من بناء البيوت والقصور ٦٣٤
و- الموازنة بين أعمال الدنيا وأعمال الآخرة ٦٣٥
ز- الاقتصاد وعدم الإسراف ٦٣٦
ي- فوائد أخرى.................................. ٦٣٧
موقف السلف من المال............................ ٦٣٨
أ- ذم تعلق القلب بالمال ٦٣٨
ب- الحرص على وفاء الدَّين ٦٤٠
ج- إبقاء شيء من المال للورثة........................ ٦٤٠
د- ذم الفقر...................................... ٦٤١
تقديم الأولويات................................ ٦٤٣
حسن الخلق ٦٤٥
ذمّ سوء الخلق وبيان شرّ عواقبه ٦٥٣
الحلم، والعفو، والصفح، وذم الغضب وعلاجه.......... ٦٥٦
مداراة الناس ٦٨١
الفهرس ٦٨٣

دار ابن الجوزي 8428146
9 786038 245781

حياة السلف

بين

القول والعمل

تأليف

أحمد بن ناصر الطيار
إمام وخطيب
جامع عبدالله بن نوفل بالزلفي

امتازت هذه الطبعة بمزيد من التنقيح
وإضافة (١٢٠٠) أثر و(٩٠٠) تعليق

الجزء الثاني

دار ابن الجوزي

حياة السلف

بين

القول والعمل

(٢)

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الطيار، أحمد ناصر
حياة السلف بين القول والعمل./أحمد بن ناصر الطيار.- الدمام، ١٤٤٠هـ.
٦٨٨ص؛ ١٧×٢٤سم (ج٢)
ردمك: ١ - ٧٨ - ٨٢٤٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - الصحابة والتابعون أ. العنوان
ديوي ٢٣٩,٩ ١٤٤٠/٤٦٨٦

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:
الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان
ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣
٠١٣٨٤١٢١٠٠
ص ب. واصل: ٨١١٤
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦
الرقم الإضافي: ٤٩٧٣
الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥
جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٠١٢٦٠١٠٠٦٣
جوّال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:
بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:
القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

aljawzi@hotmail.com
+966503897671
aljawzi
eljawzi
ibnaljawzi.com

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرابعة
١٤٤٤هـ

امتازت هذه الطبعة بمزيد من التنقيح
وإضافة (١٢٠٠) أثر و(٩٠٠) تعليق

الباركود الدولي: 9786038245781

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٤٤هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

حياة السلف

بين

القول والعمل

تأليف

أحمد بن ناصر الطيّار

غفر الله له ولوالديه

الجزء الثاني

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

الورع

أ- أهميّة الورع ومعناه:

* عن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: إن الناس قد ضيعوا أعظم دينهم: الورع. الزهد لأحمد: ٣٦١.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٩): يقول الناس: فلان الناسك، وإنما الناسك الورع. تهذيب الحِلْية ٤٥٤/ ١.

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١): لأن أرُدَّ درهمًا مِن شُبهة أحبّ إليّ من أن أتصدّق بمائةِ ألف، حتى بلغ ستمائة ألف. صفة الصفوة ٣/ ٣٧٥.

* وقيل **للفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): ما الزهد؟ قال: القُنوع، قيل: ما الوَرع؟ قال: اجتنابُ المحارم. قيل: ما العبادة؟ قال: أداء الفرائض. قيل: ما التَّواضعُ؟ قال: أنْ تخضع للحق، وقال: أشدُّ الورع في اللسان. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٧.

* وقال **حسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥١): ما شيء أهون علي من الورع إذا رابني شيء تركته. تهذيب الحِلْية ٤٤٠/ ١.

* وقال **يوسف بن أسباط** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٩): يجزي قليل الورع عن كثير العمل. تهذيب الحِلْية ٥٩/ ٣.

* وجاء رجل إلى **أبي عبد الرحمن العُمريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٤) فقال: عظني،

فأخذ حصاة من الأرض، فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك: خير لك من صلاة أهل الأرض، قال: زدني، قال: ما تحب أن يكون الله لك غدًا فكن له اليوم. ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٨-١٩٩.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: أدركت الناس وهم يتعلمون الورع. ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٩ واللفظ له، الزهد لوكيع (٢٢٣).

* وعن **ضمرة بن حبيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: لا يعجبكم كثرة صلاة امرئ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى ورعه، فإن كان ورعًا مع ما رزقه الله من العبادة، فهو عبد الله حقًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٤.

ب- قصص وأخبار السلف في الورع:

* عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كان **لأبي بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) غلام يُخرج له الخراج[١]، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت[٢] لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه. صحيح البخاري (٣٦٢٩).

* وعن نعيم بن أبي هند، أن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) كان يدفع إلى امرأته طيبًا للمسلمين كانت تبيعه، فتزن فترجح وتنقص فتكسر بأسنانها، فتُقوم لهم الوزن، فعلق بأصبعها منه شيء فقالت بأصبعها في فيها، فمسحت به خمارها، وأن عمر جاء فقال: ما هذه الريح؟ فأخبرته خبرها، فقال: تطيبين بطيب المسلمين! فانتزع خمارها، فجعل يقول بخمارها في التراب ثم يشمه ثم يصب عليها الماء ثم يقول به في التراب، حتى ظن أن ريحه قد ذهبت، ثم جاءتها العطارة

(١) أي: يأتي له بما يكسبه من الخراج، وهو ما كان يقرره السيد على عبده من مال يدفعه من كسبه.
(٢) الكهانة: هي الإخبار عما سيكون من غير دليل شرعي.

مرة أخرى فباعت منها فوزنت لها فعلق بأصبعها منها شيء، فقالت فأصبعها في فيها ثم قالت بأصبعها في التراب، فقالت العطارة: ما هكذا صنعت أول مرة! فقالت: أو ما علمت ما لقيت منه؟ لقيت منه كذا ولقيت كذا وكذا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٩-٢١٠.

* وكانت **لمعاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم الذي أصابهما بالشام والناس في شغل، فدفنتا في حفرة، فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر. تهذيب الحِلْية ١٨٤/ ١.

* وجاءَ رَجُلٌ **لابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) فَقَالَ: أَيَصْلُحُ لِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ آتِيَ الْمَوْقِفَ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَا تَطُفْ بِالْبَيْتِ حَتَّى تَأْتِيَ الْمَوْقِفَ، فَقَالَ **ابْنُ عُمَرَ**: فَقَدْ حَجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَوْقِفَ، فَبِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَقُّ أَنْ تَأْخُذَ، أَوْ بِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؟[1] صحيح مسلم (١٢٣٣).

* وكان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) إذا حدّث كأنه يتقي شيئًا، كأنه يحذر شيئًا. صفة الصفوة ٣/ ١٧١.

* وقال ابن عون: سمعت **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في شيء راجعته فيه: إني لم أقل لك ليس به بأس، إنما قلت لك: لا أعلم به بأسًا. صفة الصفوة ٣/ ١٧٢.

* وعن هشام بن حسان قال: ترك **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ أربعين ألف درهم في شيء ما ترون به اليوم بأسًا. صفة الصفوة ٣/ ١٧٣.

* وأعطى ابنُ هبيرة **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ ثلاث أعطيات، فأبى أن يقبل.

---

(١) هذا ورع منه؛ لئلا يذكر ابن عباس بشيء لم يثبت عنه.

فقيل له: ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة؟.

قال: إنما أعطاني على خير كان يظنه فيَّ، فلئن كنت كما ظن فما ينبغي أن أقبل[1]، وإن لم أكن كما ظن فبالحري أنه لا يجوز لي أن أقبل. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣٢.

* وأتي **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) بماء قد سخن في فحم الإمارة، فكرهه ولم يتوضأ به. تهذيب الحِلْية ٢٢١/ ٢.

* واشتهى رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفاحًا فقال: لو أن عندنا شيئًا من تفاح فإنه طيب؟ فقام رجل من أهله فأهدى إليه تفاحًا، فلما جاءه به الرسول قال: ما أطيبه وأطيب ريحه وأحسنه، ارفع يا غلام واقرأ على فلان السلام وقل له: إن هديتك قد وقعت عندنا بحيث تحب.

فقيل له: يا أمير المؤمنين ابن عمك رجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، قال: إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية، وهي لنا رشوة. تهذيب الحِلْية ٢٢١/ ٢.

* وأتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بغنائم مِسك فأخذ بأنفه، فقالوا: يا أمير المؤمنين! تأخذ بأنفك لهذا! قال: إنما يُنتفع من هذا بريحه، فأكره أن أجد ريحه دون المسلمين. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٩.

* وعن الشعبي قال: جاء رجلان إلى **شريح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٨)، فقال أحدهما: اشتريت من هذا دارًا فوجدت فيها عشرة آلاف درهم فقال خذها، فقال: لم! إنما اشتريت الدار، فقال للبائع: خذها أنت، قال: لم! وقد بعته الدار بما فيها، فأدارا الأمر بينهما، فأبيا، فأتى زيادًا فأخبره، فقال: ما كنت أرى أن أحدًا هكذا بقي، وقال لشريح: ادخل بيت المال فألق في كل جراب قبضة، حتى يكون للمسلمين، ثم قال للشعبي: كيف ترى الأمير؟.

(١) لأن الخير والطاعة التي عملها ينتظر أجرها من الله لا من غيره.

قال أبو بكر بن عياش: أعجبه ما صنع. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣٣.

* وقال مطرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) يستعمل في نفسه ما لا يلتزمه الناس، ويقول: لا يكون العالم عالمًا حتى يكون كذلك، وحتى يحتاط لنفسه بما لو تركه لا يكون عليه فيه إثم. ترتيب المدارك (١/ ١٧٢).

* وقَالَ سليمان بْن دَاوُدَ الشاذكوني: رأيت **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) أتى فاميًّا[1]، فرهن عنده سَطلًا على شيءٍ يقوته، ثم شاهدته أتاه فِي فكاك الرهن، وقال: أخرِج سَطلي، فأتاه بسَطلين، وقال: قد اشتبه سَطلك عليَّ فخذه منهما، فقال: أنت من السطل فِي حِل ومن الفكاك فِي حِلّ، وانصَرَفَ عنه، فخاصمتُ الفاميّ وقلتُ له: لِمَ حملتَه عَلَى هذا؟ فقال: الذي ناولته هو -والله- سَطله وأنا أعرفه، ولكني أردتُ أن أمتحِنه. طبقات الحنابلة (١/ ٤٣٧).

* وأراد **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) الخروج إلى مكة، فاحترق دكان القصار والثياب، فجاء القصار ومعه قوم يتحمل بهم على الشافعي في تأخيره ليدفع إليه قيمة الثياب، فقال له الشافعي: قد اختلف أهل العلم في تضمين القصار، ولم أتبين أن الضمان يجب، فلست أضمنك شيئًا. تهذيب الحِلْية ١٢٩/ ٣.

* وكتب غلامٌ **لحسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١) إليه من الأهواز: إن قصب السكر أصابته آفة فاشتر السكر فيما قِبَلك، فاشترى من رجل، فلم يأت عليه إلا قليل، فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفًا!.

فأتى صاحب السكر فقال: يا هذا، إن غلامي كان كتب إليّ ولم أعلمك فأقِلْني فيما اشتريت منك، قال الآخر: قد أعلمتني الآن وطيَّبته لك.

---

(١) الفامي: هو الذي يبيع الفواكه اليابسة، وما أشبهها، وهو والبقال سواء.
من تعليقات الدكتور المحقق عبدالرحمن العثيمين في الهامش.

فرجع فلم يحتمل قلبه، فأتاه فقال: يا هذا، إني لم آت الأمر من وجهه فأحب أن تسترد هذا البيع، فما زال به حتى رده عليه. المنتظم ٨/١٥٢.

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: لا يسلم للرجل الحلال، حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال. تهذيب الحِلْية ٥٤/ ٢.

* وخرج **ابن محيريز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) إلى بزاز يشتري منه ثوبًا، والبزاز لا يعرفه، قال: وعنده رجل يعرفه، فقال: بكم هذا الثوب؟ قال الرجل: بكذا وكذا، فقال الرجل الذي يعرفه: أحسن إلى ابن محيريز، فقال ابن محيريز: إنما جئت أشتري بمالي، ولم أجيء أشتري بديني، فقام ولم يشتر. تهذيب الحِلْية ١٦٦/ ٢.

* ودخل **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) السوق، فساوم رجلا بثوب، فقال: هو لك بكذا وكذا، والله لو كان غيرك ما أعطيته.

فقال: فعَلْتموها؟.

فما رئي بعدها مشتريا من السوق ولا بائعا حتى لحق بالله عَزَّوَجَلَّ. مسند الدارمي (٥٩٢).

* وكان **أبو عبد الله الأصبهاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤) لا يشتري خبزه من خباز واحد، ولا بَقْلَه من بقال واحد، كان لا يشترى إلا ممن لا يعرفه، يقول: أخشى أن يحابوني فأكون ممن يعيش بدِينه. البداية والنهاية ١٠/ ٢٥٥.

* وخرج **ابن حامد الورَّاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٣) إلى الحج، فلما عطش الناس في الطريق استند هو إلى حجر هناك في الحرّ الشديد، فجاءه رجلٌ بقليل من ماء فقال له ابن حامد: من أين لك هذا؟ فقال: ما هذا وقته، اشربْ، فقال: بلى، هذا وقته عند لقاء الله تعالى، فلم يشرب ومات من فوره رَحِمَهُ ٱللَّهُ. البداية والنهاية ١٢/ ٦١.

* وحكى السمعاني أن الشيخ **أبا إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧٦) دَخَل إلى بعض المساجد، فأكل شيئًا ثم انصرف، وقد نسي فيه دينارًا، فلمَّا رجع وجده، فأبى أن يأخذه، وقال: لعل هذا سقط من غيري، والذي نسيته أخذه آخذ. طبقات الشافعيين (٢/ ٣٦).

* وقال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعتُ جماعة من أهلي يحكون: أن فِي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة لما وقع النهب ببغداد بالجانب الغربي منها، وَكَانَ فِي داره -أي والده **القاضي أبي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨)- خبزٌ يابس، فنقله معه، وترك نقل رَحْله لتعذر من يحمله، واختار حمل الخبز اليابس على الرحل النفيس، وكان يقتات مِنْهُ ويبلّه بالماء، وَقَالَ: هَذِهِ الأطعمة اليوم نهوب وغصوب، ولا أطعم من ذَلِكَ شيئا، فبقي ما شاء الله يتقوت من ذَلِكَ الخبز اليابس المبلول، ويتقلَّلُ من طعمه إلى أن نَفد، ولحق الوالدَ السعيدَ من ذَلِكَ الخبز اليابس المبلول مرض. طبقات الحنابلة (٣/ ٤١٣).

* واشترك **دخيل بن رشيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع رجل في شرا نخلة، فخرج هو وشريكه لِلْجَنْي منها، فلما نزل إناء الأمير وفيه الرطب لم يأكل منها، ولما نزل إناء شريكه أخذ يأكل هو وشريكه من إناء الشريك، فأراد شريكه أن يُمازحه وقال: رطبك لم تأكل منه وتأكل من رطبي؟ فقال دخيل: هذا الرطب ليس لي، وإنما هو تبع قصر الإمارة، ولا أبيح لنفسي شيئا منه، وأما رطبك فأنت حاضر، وأعلم أن نفسك طيبة بذلك.

وهكذا يبلغ به الورع والابتعاد عن الشبهات. علماء نجد (٢/ ١٣٨).

ج- التنبيه على الورع الصحيح والخاطئ، ومن يليق به الورع:

* سأل رجل **ابن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟

فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ وسمعت النبي ﷺ يقول: (هما ريحانتاي من الدنيا). صحيح البخاري (٥٩٩٤).

* وقال محمد بن إبراهيم الأنماطي: كنتُ عند **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) وبين يديه محبرة، فذكر حديثًا، فاستأذنته في أن أكتب مِن محبرته، فقال لي: اكتب يا هذا، فهذا وَرعٌ مُظلم.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣٢).

* وسئل الإمام **أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجل يشتري بقلًا، ويشترط الخوصة: يعني التي تربط بها حزمة البقل، فقال أحمد: أيش هذه المسائل؟ قيل له: إن إبراهيم بن أبي نعيم يفعل ذلك، فقال أحمد: إن كان إبراهيم بن أبي نعيم، فنعم، هذا يشبه ذاك.[2] جامع العلوم والحكم/ ١٤٤.

* وسأل رجل **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧) عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها، فقال: إن كان بَرَّ أمه في كلّ شيء ولم يبقَ من برّها إلا طلاق زوجته فليفعل، وإن كان يبرّها بطلاق زوجته، ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل.[3] جامع العلوم والحكم/ ١٤٤.

---

(١) تورّع محمد بن إبراهيم عن الكتابة من المحبرة التي بين يديه، ولم يعرف لمن هي، فطلب أن يكتب من محبرة الإمام أحمد، فلذلك سماه تورّعا مُظلمًا.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهاهنا أمر ينبغي التفطّن له، وهو أنّ التدقيق في التوقف عن الشبهات إنّما يَصْلُحُ لمن استقامت أحواله كلها، وتشابهت أعمالُه في التقوى والورع، فأما من يقع في انتهاك المحرّمات الظاهرة ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبَه، فإنه لا يحتمل له ذلك بل يُنكر عليه. كما قال ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض. جامع العلوم والحكم/ ١٤٤

(٣) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما أنكر هذه المسائل ممن لا يشبه حاله، وأما أهل التدقيق في الورع فيشبه حالهم هذا، وقد كان الإمام أحمد نفسه يستعمل في نفسه هذا الورع، فإنه أمر من يشتري له سمنًا، فجاء به على ورقة، فأمر بردّ الورقة إلى البائع. جامع العلوم والحكم/ ١٤٤

د- الورع في القضاء:

* كان **القاضي عبدالله بن غانم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠) يلبس من الثياب أرفعها، ويجعل لخصومات النساء يومًا يجلس فيه للنظر بينهن، فيلبس يومئذ الفرو الخشن، وخَلِقَ الثياب(١)، وينظر ببصره إلى الأرض، فلا يشك من لا يعرفه أنه أعمى، ويُزيل الحُجَّاب والكُتَّاب عنه.

وكان له حظٌّ من صلاة الليل فإذا قضاها وجلس في التشهد آخرها عرض كل خصم يريد أن يحكم له على ربه، يقول في مناجاته: يا رب فلان منازع فلانًا وادعى عليه بكذا فأنكر دعواه فسألته البينة فأتى ببينة شهدت بما ادعى، ثم سألته تزكيتها فأتاني بمن زكاهم وسألت عنهم في السر فذكر يعني خيرًا، وقد أشرفت أن آخذ له من صاحبه حقه الذي تبين لي أنه حق له، فإن كنتُ على صواب فثبّتني، وإن كنت على غير صواب فاصرفني، اللهم سلمني، فلا يزال يعرض الخصوم على ربه حتى يفرغ منهم.(٢) ترتيب المدارك (١/ ٣٤٣).

* وقيل **للقاضي إسماعيل بن إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠): ألا تؤلّف كتابًا في أدب القُضاة؟.

فقال: اعدِل ومدّ رجليك في مجلس القضاء، وهل للقاضي أدبٌ غير الإسلام؟ ترتيب المدارك (٢/ ٢٨٩).

---

(١) أي: البالية القديمة.

(٢) ما أجمل أدب هذا القاضي، فقد احتاط لنفسه بعدم التجمُّل في اليوم الذي يكون للنساء، وغضّ بصره، وأخرج الحُجَّاب والكُتَّاب عنه لئَلّا يطلعوا على شيءٍ منهن ومن خصوماتهن، ولِئَلا يُصبن بالحرج من سماعهم لهن.

وانظر إلى تعلّقه بالله والتجائه إليه، في أحكامه وقضاياه، ولذلك سلّمه الله وسدَّده وأعانه، وخلّصه مما ابتُلي به بعض القُضاة من الجور والظلم والطمع والانغماس في الترف والدنيا.

الأدب والمروءة[1]

* **عن عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قال: ما مسست فرجي بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ. الزهد لأحمد: ٢٧٧.

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: المروءة: هي مراعاة الأحوال التي تكون على أفضلها، حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجه إليها ذمٌّ باستحقاق.

والداعي إلى استسهال ذلك شيئان:

أحدهما: علو الهمة.

والثاني شرف النفس.

أما علو الهمة: فلأنه باعث على التقدم وداع إلى التخصيص؛ أنفةً من خمول الضَّعة، واستكبارًا لمهانة النقص.

وأما شرف النفس: فإن به يكون قبولُ التأديب، واستقرارُ التقويم والتهذيب؛ لأن النفس ربما جمحت عن الأفضل وهي به عارفة، ونفرت عن التأديب وهي له مُستحسنة؛ لأنها عليه غير مطْبوعة، وله غير ملائمة، فتصير منه أنفر، ولضده الملائم آثر.

وقد قيل: ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه.

وإذا شرفت النفس كانت للآداب طالبة، وفي الفضائل راغبة، فإذا مازجتها صادفت طبعًا ملائمًا فنمت واستقرت. أدب الدين (٥١٤-٥١٦)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبَواره. فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب، فانظر إلى الأدب مع الوالدين: كيف نَجَّى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة، والإخلال به مع الأم تأويلا وإقبالا على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته، وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة. وانظر أدب الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الصلاة أن يتقدم بين يديه فقال: (ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ) كيف أورثه مقامه والإمامة بالأمة بعده. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٢٠٩-٢١٠

* وعن **الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) قال: كنا نأتي العالم فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من علمه. تهذيب الحِلْية ٢٣/ ٢.

* وقال **عبد الله بن المبَارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): كاد الأدب يكون ثُلثَي الدِّين[١]. صفة الصفوة ٤/ ٣٧٩.

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: إذا دخلت على قوم فألقوا إليك فاجلس بحيث ألقي لك الوسادة فإن القوم أعلم ببيتهم. الزهد لأحمد: ٥٠٩.

* وقال الإمام **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) لفتى من قريش: يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالْبس ثياب العلم.

فألبستني وعمَّمتني.

ثم قالت لي: اذهب إلى ربيعة فتعلَّم من أدبه قبل علمه. ترتيب المدارك ١/ ١٣٠.

* وأفتى رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبعض الشعراء بما لا يوافقه، فقال: لأقطّعن جلدك هِجاءً.

فقال له مالك: يا هذا أتدري ما وصَفْتَ به نفسك؟ وصفتَها بالسَّفه والدناءة، وهما اللذان لا يَعجز عنهما أحد، فإن استطعت فأتِ غيرَهما مما تنقطع دونه الرقاب من الكرم والمروءة. ترتيب المدارك (١/ ١٨٤).

* وقال ابن وَهب: ما نقلنا من أدب مالك أكثرُ مما تعلمنا من علمه. تهذيب السِّير ٢/ ٧٣٧.

---

(١) وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأدب هو الدين كله. مدارج السالكين ٣/ ٢٠٠

قلت: الأدبُ مُقدمٌ على العلم والعمل، وسابق عليهما، فإذا قدم الإنسان العلم أو العمل على الأدب: شابَ علَمه وعمَله الكثيرُ من الهوى والفساد.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته إلا حارًّا، وقال: أهل المروءة في جَهْد. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يا لهف نفسي على مالٍ أجودُ به ... على المقلّين من أهلِ المروءات

إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما لستُ أملك إحدى المصيبات

طبقات الشافعيين (١/ ٦٤).

* وقال الذهبي: كان يجتمعُ في مجلس **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) زُهاء خمسة آلاف أو يزيدون، نحو خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلَّمون منه حُسْنَ الأدب والسَّمْت. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٤٧.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٢٨٣/ ١.

إذا المرء أعيتْه المُروءة ناشئًا ... فمطلبُها كهلًا عليه شديدُ

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): لا يعجبنّك إكرام من يكرمك لمنزلة أو سلطان؛ فإنّ السلطان أوشك[1] أمور الدنيا زوالًا، ولا يعجبنّك أكرام من يكرمك للمال؛ فإنه هو الذي يتلو السلطان في سرعة الزوال، ولا يعجبنك إكرامهم إياك للنسب؛ فإن الأنساب أقلّ مناقب الخير غناء عن أهلها في الدين والدنيا.

ولكن إذا أُكْرِمْت على دينٍ أو مروءة فذلك فلْيعجبك؛ فإنَّ المروءة لا تزايلك[2] في الدنيا، وإن الدين لا يزايلك في الآخرة. الأدب الكبير (١١٧-١١٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيت رجلًا يحدث حديثًا قد علمته، أو يخبر خبرا قد سمعته، فلا تشاركه فيه، ولا تتعقّبه عليه؛ حرصًا على أنْ يعلم الناس أنك قد علمته، فإنَّ في ذلك خفةً وشُحًّا وسوء أدب وسخفًا. الأدب الكبير (٩٨).

---

(١) أي: أسرع.

(٢) أي: لا تفارقك.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تصاحبن أحدًا وإن استأنست به - أخًا ذا قرابة، أو أخًا ذا مودة، ولا ولدًا ولا والدًا إلا بمروءة، فإن كثيرًا من أهل المروءة قد يحملهم الاسترسال[١] والتبذل[٢] على أن يصحبوا كثيرًا من الخلطاء بالإدلال[٣] والتهاون والتبذل.

ومن فقد من صاحبه صحبةَ المروءة ووقارها وجلالها: أحدث ذلك له في قلبه رقَّةَ شأنٍ، وخفّةَ منزلةٍ. الأدب الكبير (٩٨).

* وقال **بعض الحكماء**: الأدب صورة العقل، فصوِّر عقلك كيف شئت. أدب الدين (٣٦٨).

* وقال **بعض الشعراء**:

أُحِبُّ مَكارِمَ الأَخْلاقِ جَهْدِي   وأَكْرَهُ أَنْ أَعِيبَ وأَنْ أُعابَا
وأَصْفَحُ عَنْ سِبابِ النَّاسِ حِلْمًا   وشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السِّبَابَا
ومَنْ هابَ الرِّجالَ تَهَيَّبُوهُ   ومَنْ حقَرَ الرِّجالَ فلن يُهابا

أدب الدين (٤٠٢).

* وسئل **بعض الحكماء** عن المروءة فقال: إنصافُ من هو دونك، والسموُّ إلى من هو فوقك. المجالسة وجواهر العلم (٥٢٧).

* وقالَ **بَعضُ الشُّعراءِ**:

إذا أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ لِنفْسكَ حَقَّها   هَوانًا بِها كانَتْ علَى النَّاسِ أَهْوَنَا

* وقال **الآخر**:

---

(١) أي: لا تفارقك.

(٢) أي: الانبساط والاستئناس.

(٣) أي: الاجتراء.

إنَّ الْمُـرُوءَةَ لَيْـسَ يُدْرِكُهَـا امْـرُؤٌ وَرِثَ الْمَـكَارِمَ عَـنْ أبٍ فأَضَاعَهَـا
أمَرَتْـهُ نَفْـسٌ بالدَّنـاءَةِ والْخَنـا ونَهَتْـهُ عَـنْ سُـبُلِ الْعُـلَا فأَطَاعهَـا
فـإذَا أصَـابَ مِـن الْمَـكَارِمِ خَلَّـةً يَبْنِـي الْكرِيـمُ بِهـا الْمَكارِمَ باعهَـا

أدب الدين (٥١٨-٥١٩).

الحياء(1)

أ- الحياء من الله:

* خطب **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) الناس فقال: يا معشر المسلمين استحيوا من الله عَزَّوَجَلَّ، فوالذي نفسي بيده، إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعًا بثوبي استحياء من ربي عَزَّوَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٣٧١، الزهد لابن المبارك (٣٠١).

* وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال -وذكر **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) وشدة حيائه- فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه. تهذيب الحِلْية ٧٦/ ١.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَيَاءُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةُ خُلُقِ الْحَيَاءِ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، فَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أَحْيَى كَانَ الْحَيَاءُ أَتَمَّ.. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٦٠٥.

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن الخير والشر معانٍ كامنةٌ تعرف بسماتٍ دالة.

فسمة الخير الحياء، وسمة الشرّ القِحَة والبَذاء.

وكفى بالحياء خيرا أن يكون على الخير دليلا، وكفى بالقِحَة والبذاء شرا أن يكونا إلى الشر سبيلا.

وليس لمن سُلب الحياء صادٌّ عن قبيح ولا زاجرٌ عن محظور، فهو يُقْدم على ما يشاء ويأتي ما يهوى، وبذلك جاء الخبر.

قال رسول الله ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**».

أدب الدين (٣٩٤ - ٣٩٥).

* وقال **أبو موسى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠): إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي آخذًا ثوبي حياء من ربي عَزَّوَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٣٥٤.

* وعن **مطرف بن الشخير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥) قال: ليعظم جلال الله في صدوركم، فلا تذكرونه عند مثل هذا: قول أحدكم للكلب: اللهم أخزه، وللحمار والشاة. الزهد لابن المبارك (٢١٠).

* وعن **عبد الله بن أبي الهذيل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٢) قال: أدركنا أقوامًا وإن أحدهم يستحيي من الله تعالى في سواد الليل.

قال سفيان: يعني التكشف. تهذيب الحِلْية ١٢٢/ ٢.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٥): إذا استحيى العبد من ربه عَزَّوَجَلَّ فقد استكمل الخير. تهذيب الحِلْية ١٨٣/ ٣.

ب- الحياء من الناس[1]:

* خرج **زيد بن ثابت** (ت: ٤٥) يريد الجمعة، فاستقبله الناس راجعين، فدخل دارًا فقيل له: أتستحي من الناس؟ فقال: إنه من لم يستح من الناس لم يستح من الله. الزهد لهناد (٢/ ٦٢٩)، صفة الصفوة ١/ ٣٤٣.

* وعن **سلمان** (ت: ٣٣) قال: إن الله تعالى إذا أراد بعبد شرًّا أو هلكة نزع منه الحياء، فلم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا، فإذا كان مقيتًا ممقتًا نزعت منه الرحمة، فلم تلقه إلا فظًّا غليظًا، فإذا كان كذلك نزعت منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائنًا مخونًا، فإذا كان كذلك نزعت ربقة الإسلام من عنقه فكان لعينًا مُلْعَنًا. تهذيب الحِلْية ١٦٤/ ١.

* وقال **يزيد بن أبي حبيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٨): من لم يستح من الحلال

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أكمل ما يكون من الحياء: حياء المرء من نفسه، فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة: من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدُّون، فيجد نفسه مُسْتَحيِيًا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحي بإحداهما من الأخرى، فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحي من غيره أجدر. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٦٠٨.

خفّت مُؤْنته، وقلّ كبرياؤه.[1] الزهد لابن المبارك (٥٩١).

❊ وقال **بعض الحكماء**: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

وقال **بعض الشعراء**:

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه ... ولا خير في وجهٍ إذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك وإنما ... يدلّ على فعل الكريم حياؤه

وقال **الشاعر**:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقي اللحاء

أدب الدين (٣٩٥).

ج- الحياء من النفس[2]:

❊ قال **بعض الحكماء**: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك.

❊ وقال **بعض الأدباء**: من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس

---

(١) فبعض الناس يتحرج من كثير من الحلال؛ كشراء حاجاته من السوق، وهذا باعثه في الغالب الكبر والتكلّف.
وقد كان رسول الله ﷺ: يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويلعق أصابعه بعد الأكل، ويأكل على الأرض، ويقول: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وتأخذ الأمة بيده فتنطلق به حيث شاءت.
هذا وهو أطهر وأفضل وأكرم البشر.
الشافع لهم يوم الكرب الأعظم.
وأول من يدخل الجنة.

(٢) حياء المرء من نفسه: هو حياء النُّفوس الشريفة العزيزة مِن رضاها لنفسها بالنقص وقَنَعِها بالدُّون، فيجد نفسه مستحييًا من نفسه، حتّى كأنَّ له نفسان، يستحيي بإحداهما من الأخرى.
وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإنَّ العبد إذا استحيا من نفسه، فهو بأن يستحيي من غيره أجدر.
مدارج السالكين (٢/ ٦٢٠)

لنفسه عنده قدر.

* وقال بعض الشعراء:

فسـرِّي كإعـلاني وتلـك خليْقَتـي ... وظلمـةُ ليلـي مثـلُ ضـوء نهـاري

أدب الدين (٣٩٩).

الكرم، والجود، والإيثار

* قال عروة بن الزبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أسلم **أبو بكر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ١٣) وله أربعون ألف درهم، فأخبرتني عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالت: توفي أبو بكر ولم يترك دينارا ولا درهما. الزهد لأحمد: ٢١٤، الزهد لأبي داود (٥٨).

* وأخذ **عمر بن الخطاب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٣) أربعمائة دينار، فجعلها في صرَّة، فقال للغلام اذهب بها إلى **أبي عبيدة بن الجراح** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ١٨).

فذهب الغلام، قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك قال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالَيْ يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها.

فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره، فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى **معاذ بن جبل** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ١٨)، فذهب بها إليه قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: رَحِمَهُ ٱللَّهُ ووصله، تعالَيْ يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا.

فاطلعت امرأته، فقالت: ونحن والله مساكين فأعطِنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران، فدحا بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره بذلك فقال: إنهم إخوةٌ بعضهم من بعض. الزهد لابن المبارك (٤٧٢).

* وكان أبو موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول لولده: اذكروا **صاحب الرغيف**،

ثم ذكر أن رجلًا من بني إسرائيل عبدَ الله سبعين سنة، ثم إن الشيطان حسَّن في عينيه امرأة فأقام معها سبعة أيامٍ، ثم خرج هاربًا فأقام مع مساكين فتُصُدِّق عليه برغيف كان بعض أولئك المساكين يريده، فآثره به ثم مات، فوِزن عبادته بالسبعة الأيام التي مع المرأة فرجحت الأيام السبعة بعبادته، ثُمّ وُزن الرغيف بالسبعة الأيام فرجح بها. اختيار الأولى لابن رجب (٧٦) وصححه في جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٢١).

* وعن سعدى بنت عوف امرأة **طلحة بن عبيد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قالت: لقد تصدق طلحة يومًا بمائة ألف درهم، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه. تهذيب الحِلْية ٩١/ ١.

* وكان **للزبير بن العوام** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء. تهذيب الحِلْية ٩٢/ ١.

* وكان **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) أعتق جاريته التي يقال لها رُمَيثة، فقال: إني سمعت الله عَزَّوَجَلَّ قال في كتابه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، وإني والله إن كنت لأحبّك في الدنيا، اذهبي، فأنت حرة لوجه الله. صفة الصفوة ١/ ٢٦٩.

* وعن نافع قال: كان **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا اشتد عُجبه بشيء من ماله قرّبه لربه عَزَّوَجَلَّ.

قال نافع: كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمر أحدهم فلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن، والله ما بهم إلا أن يخدعوك، فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله انخدعْنا له. صفة الصفوة ١/ ٢٦٩.

* ولما اشتكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشتهى حوتًا فصُنع له، فلما وُضع بين يديه جاء سائل فقال: أعطوه الحوت فقالت امرأته: نعطيه درهمًا فهو أنفع له من هذا، واقْض أنت شهوتك منه، فقال: شهوتي ما أريد. الزهد لهناد (٦٣٥)، صفة الصفوة ١/ ٢٧٠.

* واشتكى يوما، فاشتَرى له عنقودًا بدرهم، فأتاه مسكين يسأل، فقال: «أعطوه إياه»، فخالف إنسان، فاشتراه منه بدرهم، ثم جاء به إليه، فلو علم ابن عمر بذلك العنقود لما ذاقَه. الزهد لابن المبارك (٧٣١).

* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليقسم في المجلس الواحد ثلاثين ألفًا، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم. تهذيب الحِلْية ١/٢١٢.

* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجمع أهل بيته على جفنته كل ليلة، فسمع بكاء مسكين، فأخذ نصيبه من اللحم والخبز فدفعه إليه، ورجع إلى مكانه وقد فرغوا مما في الجفنة ثم يصبح صائما. الزهد لأبي داود (٢٦٥).

* وأُتي بعشرين ألفًا، فما قام من مجلسه حتى أعطاها. الزهد لأبي داود (٢٦٧).

* وقال بعضهم:

اشْـتر العـزَّ بمـا شـئْت ... فَمـا العِـزُّ بِغَـالِ

بالقصـارِ الصُّفْـرِ إن شـئتَ ... أو السُّمْـرِ الطِّـوالِ

ليس بالمَغبـونِ عقـلًا ... مَـن شـرَى عِـزّا بمـالِ

إنمـا يُدَّخـرُ المـالُ ... لحاجـاتِ الرجـالِ

والفتـى مَـن جعَـل الأمـوالَ ... أثمَـانَ المعالـيَ

البداية والنهاية ١٢/ ٧٠.

* وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): إني لأستحي من الرجل يطأ بساطي

ثلاث مرات ثم لا يُرى عليه أثر من آثار برِّي. المنتظم ٦/٧٤.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **ثلاثة لا أكافئهم:**

رجل وسع لي في المجلس لا أقدر أن أكافئه ولو خرجت له من جميع ما أملك.

والثاني من اغبرت قدماه بالاختلاف إلي فإني لا أقدر أن أكافئه ولو قطرت له من دمي.

والثالث لا أقدر أكافئه حتى يكافئه رب العالمين عني من أنزل بي الحاجة لم يجد لها موضعا غيري. شعب الإيمان (١٠٣٨٢).

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صاحبُ المعروفِ لا يقعُ، فإن وَقَع وجد مُتَّكَأً.

هذا نحوُ قول النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المعروف يَقِي مَصَارعَ السُّوءِ**». عيون الأخبار ٣/ ١٧٧.

* وعن أبي حازم قال: انصرفت من العصر إلى **سهل بن سعد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩١)، -وكان صائما- فلما أمسى قلت لغلامه: هات فطره، قال: ما عنده شيء[1]، قال: فتمر، قال: ولا تمر، قال: فجعلت أسبه، وأقول: شيخ من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضيعته؟.

قال: وما ذنبي؟ فتح اليوم خزانته فما ترك فيها بُرَّة ولا شعيرة إلا قسمه. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٢٦.

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠): إذا جعل أحدكم لله عَزَّ وَجَلَّ شيئًا، فلا يجعل له ما يستحي أن يجعله لكريمه، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أكرم الكرماء، وأحق من اخْتِير له. صفة الصفوة ١/ ٢٧٠.

---

(١) في الأصل:...... علامة على أن الكلام في النسخة غير واضح.

* وقال الشاعر:

أفْسَدْتَ بالْمَنِّ ما أسْدَيْتَ مِن حَسَنٍ ... لَيسَ الكرِيمُ إذا أسْدَى بِمَنَّانِ

أدب الدين (٣٢٨).

* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

إذاالجُودُلم يُرْزَقْ خَلاصًا من الأذَى ... فَلاالحَمدُ مكسوبًا وَلا المالُ باقِيَا[1]

ديوان المتنبي (٢٧٢).

* وقال **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): **لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله وتصغيرهِ وسَترِه**[2]. صفة الصفوة ٢/ ٤٩٧.

وقال الشاعر:

إنّ الحوائج ربما أزرى بها ... عند الذي تُقضَى له تطْويلُها

فإذا ضمنت لصاحبٍ لك حاجةً ... فاعلم بأنّ تمامَها تعجيلُها

أدب الدين (٣١٦).

وقال الآخر:

زادَ مَعْروفَك عندي عِظَمًا ... أنَّهُ عِنْدكَ مَحْقُورٌ صَغيرُ

تتناساهُ كأنْ لمْ تأتِهِ ... وهْو عند الناسِ مَشهورٌ كبيرُ

عيون الأخبار ٣/ ١٧٨.

---

(١) شبه (لا) بـ(ليس) في نصب الخبر؛ فلهذا نصب مكسوبًا وباقيًا.

يقول: إذا لم يكون الجود خالصًا من الأذى، وما يكدره من المن والتكدير، فلم يكسب فاعله حمدًا، وذهب ماله هدرًا.

(٢) نقل ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكلام وجعله من كلام ابن عباس وقال: يعني أن تعجَّلَ العطِيَّةُ للمُعطَى، وأن تصْغُرَ في عينِ المُعْطِي، وأن تسترَها عن النَّاسِ فلا تُظهِرَها؛ فإنَّ في إظهارِها فتح بابِ الرياءِ وكسرَ قلبِ المُعْطى، واستحياءَه من النَّاسِ. البداية والنهاية ٩/ ١٠٠.

* وقال **بَعْضُ الْحُكماءِ**: إذا اصْطَنَعْتَ الْمعْروفَ فاسْتُرْه، وإِذا اصْطُنِعَ إلَيْكَ فانْشُرْه. تفسير القرطبي (٤/ ٣٦٢).

* وكانت غلة **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠) في زيتونه خمسمائة دينار في السنة، فما تنقضي السنة إلا والديون عليه لكثرة صدقته ومعروفه. ترتيب المدارك (٢/ ١٠٤).

* وقال **الشاعر**:

ويُظهر عيبَ المرء في الناس بخلُه ... ويستره عنهم جميعا سخاؤه
تغطَّ بأثواب السخاء فإنني ... أرى كلَّ عيب فالسخاء غطاؤه

أدب الدين (٢٩٦).

* وحُكي أنَّ أبا بكْرِ بْن دُريدٍ قصَدَ بعضَ الوُزراءِ فِي حَاجةٍ فلم يَقْضِهَا له وظَهرَ له منه ضجَرٌ، فقال:

لا تَدخُلَنَّك ضَجْرَةٌ مِنْ سائِلٍ ... فلِخَيْرِ دهْرِك أنْ تُرَى مَسْئُولَا
لَا تَجْبَهَنْ[1] بالرَّدِّ وجْهَ مُؤَمِّلٍ ... فَبقَاءُ عِزِّك أنْ تُرَى مَأْمُولَا
تَلْقَى الكرِيمَ فَتسْتَدِلُّ بِبِشْرِهِ ... وتَرَى الْعُبُوسَ علَى اللَّئِيمِ دَلِيلَا
واعْلَمْ بأنَّك عَن قَليلٍ صَائِرٌ ... خَبَرًا فكُنْ خبَرًا يَرُوقُ جَمِيلَا

أدب الدين (٣١٣).

* وكان **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) يُبخَّل فلما مات، وجدوه يَقُوت مائة أهل بيت بالمدينة. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩.

* وكان ناس من أهل المدينة يَعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقدوا ما كانوا يُؤتَوْن به بالليل. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩.

---

(١) أي: لا تواجه.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحمل جرابَ الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به، ويقول: إن صدقة السرّ تطفئ غضَب الربّ عَزَّوَجَلَّ. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩.

* ولما مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ فغسَّلوه جعلوا ينظرون إلى آثارٍ سُود في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل جُرُبَ الدقيق ليلًا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩.

* وقال **الشاعر**:

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه ... أنا السيد الْمُفْضَى إليه الْمُعمَّمُ
ولم يعطهم شيئًا أبوا أن يسودَهم ... وهَان عليهم زعمُه وهْو ألْوَمُ

* وقال **المهلب بن أبي صفرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢): العجب لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه. الكامل في اللغة / ٤١٣.

* وقال **بعضهم**:

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه ... أنا السيد الْمُفْضَى إليه الْمُعمَّمُ
ولم يعطهم شيئًا أبوا أن يسودَهم ... وهَان عليهم زعمُه وهْو ألْوَمُ

البيان والتبيين ٣/ ٤٥٦.

* وباع **عبد الله بنُ عتبةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) أرضا بثمانين ألفًا، فقيل له: لو اتخذتَ لولدك من هذا المال ذُخْرًا!.

قال: أنا أجعلُ هذا المالَ ذخرًا لي عند الله وأجعلُ الله ذخرًا لولدي، وقَسمَ المالَ. عيون الأخبار ٣٨٤/ ١.

* وقال **الشاعر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: -عيون الأخبار ٣٩٠/ ١-.

أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إلى أمور ... ويَقْصُرُ دون مَبْلَغِهِنَّ حالِي
فنفسِي لا تُطاوِعُني ببخلٍ ... ومالي لا يُبَلِّغُنِي فَعَالي

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: لئن أتصدق بدرهم في حياتي، أحب إليّ من أن يُتَصَدق عني بعد موتي بمائة درهم. تهذيب الحِلْية ٥٥/ ٢.

* وقال بعضهم:

تـراه إذا مـا جِئْتَـه مُتَهَلِّـلاً ... كأنكَ تُعطِيهِ الذي أنتَ سَائِلُهْ

عيون الأخبار ٣٩١/ ١.

* وقال بعضهم:

ومَـن تَكَرُّمهـمْ في المَحْـلِ أنّهـمُ ... لا يَحْسَـبُ الجارُ فيهم أنه جارُ

عيون الأخبار ٣٩١/ ١.

* وقال الشاعر:

فإن يَقْتسِمْ مالي بَنِيَّ ونسوَتي ... فلن يَقْسِمُوا خُلْقِي الكريمَ ولا فعلي

وما وجدَ الأضيافُ فيما يَنُوبُهُمْ ... لهم عند عِلاَّت النفوس أبًا مِثلي

أُهِينُ لهم مالي وأعْلَمُ أنّني ... سَأُورِثُه الأحياءَ سِيرةَ مَنْ قَبلي

عيون الأخبار ٣٩٣/ ١.

* وجاء رجلٌ إلى **شُرَيح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٨): يَستقرِضُ دراهمَ؛ فقال له شريحٌ: حاجتُك عندنا فأْتِ منزلَكَ فإنّها ستأتيكَ، إنّي لأكره أن يَلْحَقَكَ ذُلُّها. عيون الأخبار ٣/ ١٩٢.

* وجاء سائل يسأل على باب **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) فقال: أطعموا هذا السائل سكرًا، فقال أهله: إنما يريد نطعمه كسرة، قال: أطعموه سكرًا فإن الربيع يحب السكر. الزهد لأحمد: ٥٤٩.

* ومرّ **الحسنُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) برجلٍ يقلّب درهمًا، فقال له: أتُحِبّ دِرهَمك هذا؟ قال: نعم، قال: أما إنه ليس لك حتى يخرجَ من يدك. عيون الأخبار ٣/ ١٨٢.

* وقال **أبو عبدالله المهدي** (ت: ١٦٩): ما توسل أحد بوسيلة ولا تذرع

بذريعة هي أقرب إلي وأحب من أن يذكرني يدًا سلفت مني إليه أتبعها أختها وأحسن ربها، لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل.(١) المنتظم ٢١٠/٨.

* وعن عبد الله بن صالح قال: صحبت **الليث بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٥) عشرين سنة لا يتغدى ولا يتعشى وحده إلا مع الناس. تهذيب الحِلْية ٤٤٧/ ٢.

* وكان دخْل **الليث بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كل سنة ثمانين ألف دينار، ما أوجب الله تعالى عليه درهمًا بزكاة قط. تهذيب الحِلْية ٤٤٨/ ٢.

* وقام رجل من مجلس **خالد بن عبد الله القسريّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٦)، فقال خالد: إني لأُبغِض هذا الرجل وما له إليّ ذنب. فقال رجل من القوم. أَوْلِهِ أيّها الأمير معروفًا، ففعل، فما لبِث أن خفّ على قلبه وصار أحدَ جلسائه. عيون الأخبار ٣/ ١٧٨.

* وقال رجل **لابن شُبْرُمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): فعلتُ بفلانٍ كذا وفعلتُ به كذا. فقال: لا خيرَ في المعروف إذا أُحصِيَ. عيون الأخبار ٣/ ١٧٩.

* وكان يقال: بذلُ الجاهِ زكاةُ الشرف. عيون الأخبار ٣/ ١٧٩.

* وقال **ابن المقفع** (ت: ١٤٤): الجود بالمَجْهود منتهى الجود. البيان والتبيين ٣/ ٥٠٠.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أحدُهم يَحْقِر الشيءَ فيأتي ما هو شرٌّ منه -يعني المنع-. عيون الأخبار ٣/ ١٨٠.

* وقال بعضهم:

مَنْ يفعَلِ الخيرَ لا يَعْدمْ جوازيَه ... لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناس

عيون الأخبار ٣/ ١٨١.

---

(١) نسب ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عيون الأخبار ٣/ ١٧٨ هذا الكلام لجعفر بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* وأمر الرشيد **لمحمد بن إدريس الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) بألف دينار فقبلها، فأمر الرشيد خادمه سراجًا باتباعه، فما زال يفرقها قبضة قبضة، حتى انتهى إلى خارج الدار وما معه إلا قبضة واحدة، فدفعها إلى غلامه وقال: انتفع بها، فأخبر سراج الرشيد بذاك فقال: لهذا فرغ همه وقوي متنه. تهذيب الحِلْية ٣/١٣٠.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

وَأَحْسِنْ إِلَى الإِخْوَانِ تَمْلِك رِقَابَهُمْ فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الرِّجَال اكْتِسَابُهَا

ديوان الشافعي (٤١).

* وصدق **القائل**:

أحسنْ إلى الناسِ تَسْتَعبِدْ قلوبَهمُ فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
من جادَ بالمالِ مالَ الناسُ قاطبةً إليه والمالُ للإنسانِ فتانُ
أَحْسِنْ إِذا كانَ إِمكانٌ وَمَقْدِرَةٌ فلن يدومَ على الإِنسانِ إِمكانُ

* وقال **الشاعر**:

ظِلُّ الفتَى يَنْفعُ مَنْ دُونهُ وما لهُ في ظلِّهِ حَظُّ[1]

أدب الدين (٣٢٩).

* وجاء رجل إلى **عبدالله بن أبي حسان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧) فأعلمه أن داره تهدَّمت، وشاوره في بنيانها، ومن يبني عنده، فدفع ابن أبي حسان إليه ثلاثين دينارًا، وقال: استعن بها على بنائك.

---

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من المعروف ما لا كلفة على موليه، ولا مشقة على مسديه، وإنما هو جاه يستظل به الأدنى ويرتفق به التابع. أدب الدين (٣٢٩)

قلت: ومثال ذلك: عبارات الثناء والمدح الصادقة لمن يستحقها، فلا كلفة على قائلها، وهي جاه يستظلّ بها من قيلت له، تزيده همة ونشاطًا، وتدفعه للنجاح والعمل دفعًا.

فقال له بعض ولده: أتاك يشاورك فأعطيته!.

قال: لست ببنَّاء، وإنما تعرَّض لمعروفي.[١] ترتيب المدارك (١/ ٥١٣).

* وقَالَ إِسْمَاعِيل بْن العلاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دعاني الكلوذاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقدَّم إلينا طعاما كثيرًا، وكان فِي القوم **أَحْمَد بن حنبل** (ت: ٢٤١)، وَيَحْيَى بْن معين، وأبو خيثمة، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وجماعة، فقدَّم لوزينج[٢] أنفق عليها ثمانين درهمًا، فقال أبو خيثمة: هذا إسراف، فقال أَحْمَد: لا، لو أنّ الدنيا جمعت حتى تكون فِي مقدار لقمة، ثم أخذها امرؤ مسلم، فوضعها فِي فم أخيه المسلم؛ لما كان مسرفًا، فقال يَحْيَى بن معين: صدقت يا أبا عبدالله. طبقات الحنابلة (١/ ٢٧٩).

* وقَالَ حبيش بْن مبشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قعدتُ مع أَحْمَد بن حنبل وَيَحْيَى بْن معين** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ **والناس متوافرون**، فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلًا صالحًا بخيلًا. طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٢).

* وحملَ **ابنَ الفرّاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٨٠) بذلُ يده، وكرم طبعه على أنه استَدان ما لا يمكنه الوفاء، فغلبه الأمر حتى باع مُعظم كتبه، وخرج عن يده أكثر أملاكه، واختفى في بيته لِما فدعه من الديون.[٣] ذيل الطبقات (٢/ ٣٣٨).

* وكان **أبو عبدالله بن أبي ذهل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧٨) كثير الصدقة والإحسان إلى المستورين من أهل العلم، وكان ذا ثروة، ومروءة، وأخلاقٍ جميلة، وكان يُصِرُّ الدينار الثقيل في الكاغد[٤]، ويدفعه إلى الفقير، ويقول: إني لَأُسَرُّ له إذا ظن

---

(١) هذا من ذكائه وكرمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) اللوزينج: من الحلويات شبه القطائف، تُؤْدم بدهن اللوز.

(٣) وهذا حال بعض الناس، يتكلَّف الكرم، فيستدين، ولا يزال كذلك حتى تتراكم عليه الديون، ثم يُبتلى بالفقر، ويُطالبه الناس بحقوقهم، وتعتريه الهموم من كل جانب، ولا يزال كذلك حتى يمل من الحياة، وتعظم مشاكله مع الناس ومع أهله.

(٤) أي: الوَرَق.

أنه وَرِقٌ[١] فإذا هو ذهب.[٢] طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٢).

* وقال **ابن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١):

يَدُ المعروف غُنْمٌ حيث كانت ... تحمَّلها شكورٌ أو كفور

ففي شُكْرِ الشَّكور لها جزاءٌ ... وعند الله ما كفَرَ الكَفُور

الآداب الشرعية ١/ ٢٣٤.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: مرض **نظام الملك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٨٥) فكان يداوي نفسه بالصدقة، فيجتمع عنده خلق من الضعفاء فيتصدق عليهم، فعوفي. المنتظم ١٦/ ٢٩٨.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: كان **أبو الحارس الأولاسي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٧) شابًّا يغني في أول أمره وقال: بينا أنا في غَفْلتي رأيت عليلًا مطروحًا على قارعة الطريق، فدنوت منه فقلت: هل تَشتَهي شيئًا؟ قال: نعم رمّانًا. فجِئْته برمّان، فلما وضعتُه بين يديه رفع بصره، وقال: تاب الله عليك، فما أمسيتُ حتى تغّير قلبي عما كنت عليه. صفة الصفوة ٤/ ٤٨٥.

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: فعل الخير مع الأشرار تقويةٌ لهم على الأخيار، كما لا ينبغي أن يُحرَم الخيرُ أهله لا ينبغي أن يُحرَم الخيرُ حقّه، فإن وضع الخير في غير محلّه ظلمٌ للخير، كما قيل: لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، ولا تضعوها في غير أهلها فتظلموها، كذلك البِرُّ والإنعام مُفْسد لقوم حسب ما يفسد الحرمان قوما، فهو كالنار كلما أُطِيب لها مأكلا سَطَت فأفسدت، قال المتنبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) أي: فضة.

(٢) يتفنن في إدخال السرور على قلوب الفقراء، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

ووضعُ النَّدى في موضع السيف بالعلا مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

فالسياسة الكلية افتقاد محال الإنعام قبل الإنعام. الآداب الشرعية ١/ ٢٣٥.

* وقالوا: لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه. الآداب الشرعية ١/ ٢٣٩.

* وقال الحافظ ابن فضل الله العُمري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت تأتيه - أي: **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) - القَناطيرُ المقنطرةُ من الذهب والفضة والخيلِ المُسَوَّمةِ والأنعامِ والحرثِ، فيَهَبُه بأجمعِه، ويَضعُه عند أهل الحاجةِ في موضعِه، لا يأخذ منه شيئًا إلاَّ ليهَبه، ولا يَحفظُه إلاَّ ليُذْهِبَه كُلَّه في سبيل البرّ، وطريق أهلِ التواضع لا أهلِ الكِبْر، لم يَمِلْ به حُبُّ الشهوات، ولا حُبِّبَ إليه من ثلاثِ الدنيا غير الصلاة. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٥/ ٦٩٥).

* وكان يجيئه من المال في كلّ سنة ما لا يكاد يُحصى، فيُنفقه جميعه آلافًا ومئين، لا يلتمس منه درهمًا بيده، ولا يُنفقه في حاجته، بل كان إذا لم يقدر يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إلى السائل. ثلاثة كتب في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية: ٧٤.

* وكان الشيخ **منصور البهوتي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥١) في كل ليلةِ جُمعة يجعل ضيافة ويدعو جماعته المقادسة، وإذا مرض أحدٌ منهم عادَهُ، وأخذه إلى بيته ومرَّضه إلى أنْ يُشفى، وكان الناس تأتيه بالصَّدَقات فيُفرّقها على طلبته في المجلس، ولا يأخذ منها شيئًا. السحب الوابلة (٣/ ١١٣٣).

* وكان الشيخ **إبراهيم بن حمد بن جاسر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٣٤) سخيًّا جدا، بحيث إنه يأتيه المال الكثير فلا تغرب شمس يومه ذلك إلا وقد فرّقه بين تلاميذه ومستحقيه، لا يدّخر لنفسه شيئًا من ذلك، وكان ربما يأتيه الفقير يسأله فلا يجد ما يعطيه، فيعطيه أحدَ ثيابه إذا كان عليه ثوبان.

ووجد يوما فقيرًا في المسجد في الشتاء في شدة البرد وهو يرتعش من البرد، فأعطاه عباءته التي على ظهره، ورجع إلى بيته بدون عباءةٍ، وكان محبًّا للفقراء والمساكين، منبسطا إليهم واصلا لهم، ليّن الجانب جدًّا، لا يخلو بيته يوما من الفقراء، ولا يأكل طعامه وحده، بل يجتمع عليه من الخمسة إلى العشرين في كل وجبة. علماء نجد (١/ ٢٦٥-٢٦٦).

* وكان الشيخ **عبدالله بن جار الله آل جار الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤١٤) متواضعا، طليق الوجه بشوشا، يُحادث طلابه ويُجاذبهم أطراف الحديث بما يُؤنسهم ويقلّل الهيبة منهم له، كما كان لطيفا يُكرم زوَّاره ويرحب بهم مهما كان مستواهم في مجتمعهم.

وكان كريما جوادًا طبعا لا تطبُّعا، وسجية لا استكراها، فكان يبذل ما يستطيع من جهده وماله ووقته بلا منٍّ ولا أذى، وإنما بطيب نفس وإيثار.

وكان عطوفًا رحيما بكلّ ذي روح، لاسيما الضعاف من الصغار والكبار، والمعوزين والمحتاجين، فكان يبذل في ذلك كلّ ما يملك. علماء نجد (٤/ ٤٨).

التواضع وذم الكبر[1]

* خرج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) في يوم حار واضعا رداءه على رأسه قال: فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام احملني معك، قال: فوثب الغلام عن الحمار، فقال: اركب يا أمير المؤمنين قال: لا، اركب، وأركبُ أنا خلفك، تريد أن تحملني على المكان الخشن، وتركب على المكان الوطيء؟، ولكن اركب أنت، وأكون أنا خلفك، قال: فدخل المدينة وهو خلفه، والناس ينظرون إليه. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٦.

* ولما أتاه الخبر بنزول رستم القادسية كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية

(١) أصل التواضع: ما كان في القلب لا ما كان في الظاهر، فليس التواضع بنزول الإنسان إلى من هو أقلّ وأدنى منه، ولكن بألا يرى في نفسه ما يُميّزها عن غيرها لتنزل إليهم، فيتعاملُ مع الصغير والفقير مُعاملةَ الأخ مع أخيه والصديق مع صديقِه.
فشعورُه بأنّه متواضعٌ عند تعامله مع من هو أقل منه- في الظاهر- دليلٌ على أنّه يرى نفسه أرفع منه، ومن أخبره بذلك؟ فهذا نوعٌ من الترفع الخفيّ.
بل إنّ التظاهر بالتواضع نوعٌ من الكبر، والمتواضع حقًّا لا يتصنّع، والمبالغة في ذمّ الإنسان نفسه ليس محمودًا، والغالب أنّ صاحبه لا يسلم من الكبر، وعلامة ذلك: أنه لو نقده أحدٌ بمثل ما نقد نفسه لَمَا رضي بذلك، وكرهه واسْتثقله وربما ردّ عليه وخاصمه!
قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وها هنا نكتة دقيقة وهي: أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يري أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم، ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء. شرح حديث «ما ذئبان جائعان» ص٨٨ مجموع رسائله.
والتواضع مع الجهل والبخل والجُبن أحمد وأسلم وأحسن من الكبر مع الأدب والسخاء والشجاعة.

من حين يصبح إلى انتصاف النهار، ثم يرجع إلى أهله، فلما لقيه البشير سأله: من أين جاء؟ فأخبره، قال: يا عبد الله، أخبرني، قال: هزم الله العدو، وعمر يحث معه ويستخبره، والبشير يسير يحث ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة، فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، فقال الرجل: فهلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين، فجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لا عليك يا أخي. المنتظم ١٧٨-١٧٩/ ٤.

* ولما قدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشام عرضت له مخاضةٌ[١]، فنزل عن بعيره، وأخذ بخطامه ونزع مُوقيه[٢] فأخذهما بيديه وخاض الماء، فقال أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صنعت اليوم صنيعًا عظيما عند أهل الأرض!.

فصك عمر في صدره فقال: إنه لو غيرك يقول هذا، إنكم كنتم أقل الناس وأذل الناس وأضعفَه، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلّكم. الزهد لابن المبارك (٥٣٩)، الزهد لأبي داود (٨٢).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر: إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمتَه، فهو في نفسه صغير أو فقير وفي أنفس الناس كبير.

وإن العبد إذا تكبر وعدا طوره[٣] وضعه الله، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس صغير، حتى أنه أحقر وأصغر في أعين الناس من الخنزير. الزهد لأبي داود (٨٥).

* وعن أَبِي المِنْهَالِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ **الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ** (ت: ٧١) **وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ** (ت: ٦٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ الصَّرْفِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ: هَذَا خَيْرٌ مِنِّي، فَكِلَاهُمَا يَقُولُ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالوَرِقِ دَيْنًا».[٤] صحيح

---

(١) الْمَخاضَة: مكان ضحل الماء يخوضه النَّاس مشاةً أو رُكبانًا.

(٢) أي: خفّيه.

(٣) أي: تجاوز حدّه.

(٤) من عادة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: رجوع بعضهم إلى بعض عند الفتوى، ومعرف الواحد منهم قدر=

البخاري (٢١٨٠).

* وأَتَى سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ **ابْنَ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) فَسَأَلَهُ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨)، فَأْتِهَا، فَاسْأَلْهَا، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. صحيح مسلم (٧٤٦).

* وسُئِلَ **أَبُو مُوسَى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) عَنْ رجلٍ مات عن بِنْتٍ، وَابْنَةِ ابْنٍ وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَأْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ (ت: ٣٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَيُتَابِعُنِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ: «لِلِابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ».

فَأَتَوا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَروه بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ.[1] صحيح البخاري (٦٧٣٦).

* وكان **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) أميرًا على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام، ومعه حِمل تُبْنٍ وعلى سلمان أندرا ورْدٍ، وعباءة، فقال لسلمان: تعالَ احمل، وهو لا يعرف سلمان. فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير. فقال: لم أعرفك. فقال له سلمان: لا حتى أبلغ منزلك. وفي رواية أخرى:

=من هو أعلم منه، والتصريح بفضله وعلمه، والرجوع إلى قوله إذا ظهر له رجحانه، ويُحيل السائل إلى من هو أعلم منه، ويُشير عليه بأن يستفتيه إنْ رآه أهلًا لذلك.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي الْحَدِيثِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ مِنَ التَّوَاضُعِ وَإِنْصَافِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَمَعْرِفَةِ أَحَدِهِمْ حَقَّ الْآخَرِ، وَاسْتِظْهَارُ الْعَالِمِ فِي الْفُتْيَا بِنَظِيرِهِ فِي الْعِلْمِ. ا.ه فتح الباري ٤/ ٤٨٣.

(١) قَالَ ابن بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْصَافِ وَالِاعْتِرَافِ بِالْحَقِّ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَشَهَادَةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بِالْعلمِ وَالْفضل. ا.ه شرح ابن بطال للبخاري ٨/ ٣٥٠.

إني قد نويت فيه نيةً فلا أضعه حتى أبلغ بيتك. صفة الصفوة ١/ ٢٥٦.

* وقال **عتبة بن غزوان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧): أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما، وعند الله صغيرا. صحيح مسلم (٢٩٦٧).

* وأقبل **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسِع الطريقَ للأمير. صفة الصفوة ١/ ٢٥٦.

* وخرج **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) ذات يوم، فاتّبعه ناس، فقال لهم: ألكم حاجة؟ قالو: لا، ولكن أردنا أن نمشي معك قال: ارجعوا فإنه ذلّة للتابع، وفتنة للمتبوع. مصنف ابن أبي شيبة (٢٦٣١٤).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من تطاول تعظّما خفَضَه الله، ومن وضع نفسه خشوعًا رفعه الله عَزَّ وَجَلَّ. الزهد لهناد (٨٣٢).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأسُ التواضع أن تَبدأ مَنْ لَقِيتَ بالسّلام، وأن تَرضَى بالدُّون من المجلس. عيون الأخبار ٣٠٩/ ١.

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: إنكم لتُغْفِلون أفضلَ العبادة: التواضع. الزهد لابن المبارك (٣٧٣)، الزهد لأحمد: ٣٠٤.

* وقال رجل **لابن عُمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): يا خيرَ الناسِ وابنَ خير الناسِ، فقال: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عبادِ الله، أرجو الله، وأخافُه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تُهلِكُوه. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٧٣.

* وجاءه رجل فسأله عن فريضة، فقال له: ائت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني. المنتظم ٦/ ٧.

* وقدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكة فسألوه، فقال: تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح؟ تهذيب الحِلْية ١٤/ ٢.

* وعن مجاهد قال: كنت أصحب ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في السفر فإن أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي وإذا ركبت سوى ثيابي، قال مجاهد: فجاءني مرة فكأني كرهت ذلك. فقال يا مجاهد إنك ضيق الخلق. تهذيب الحِلْية ١١/ ٢.

* وقال أيضًا: صحبت ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وإني أريد أن أخدمه، فكان هو يخدمني. تهذيب الحِلْية ١١/ ٢.

* وسَأَله رَجُلٌ: أَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَقَدْ أَحْرَمْتُ بِالْحَجِّ؟ فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُكَ؟ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ ابْنَ فُلَانٍ يَكْرَهُهُ وَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُ، رَأَيْنَاهُ قَدْ فَتَنَتْهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ: وَأَيُّنَا لَمْ تَفْتِنْهُ الدُّنْيَا؟ صحيح مسلم (١٢٣٣).

* وعن الرباب قال: سألت **ابن عباس** ما (ت: ٦٨) عن شيء فقال: تسألوني وفيكم جابر بن زيد؟ تهذيب الحِلْية ١/ ٤٦٠.

* وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: كُنْت أُقْرِئُ رِجالًا من المهاجِرينَ منهم عبدالرحمن بن عَوفٍ..

قَالَ **ابْنُ الْجَوْزِيِّ** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٥٩٧): فِيهِ تَنْبِيهٌ على أَخذ الْعلم من أَهله وَإِن صغرت أسنانهم أَو قلت أقدارهم.

وَقد كَانَ حَكِيم بْن حزَام يقْرَأ على معَاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فَقيل لَهُ: تقْرَأ على هَذَا الْغُلَام الخزرجي؟ فَقَالَ: إِنَّمَا أهلكنا التكبر. كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٦٣).

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٢): عجبتُ لمن يجري في مَجرى البَول مرَّتين كيف يتكبَّر!. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٥١.

* وعن **محمد بن علي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١١٨) أنه قال: ما دخل قلبَ امرئ شيء من الكِبْر، إلا نَقص من عقله مثلُ ما دخله من ذلك، قلّ أو كثُر. صفة الصفوة ٢/ ٤٥٨.

* وكان **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ يشتري الشيء من السوق فيحمله، فيقال: هات نحمله فيأبى، ويقول: «إنه لا يحب المستكبرين». تهذيب الحِلْية ٢/١٥١.

* وكان **الربيع بن خيثم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) يكنس الحش بنفسه، فقيل له: إنك تُكفَى هذا، قال: إني أحب أن آخذ بنصيبي مَن المهنة. الزهد لأحمد: ٥٦٥.

* ولما دفَن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) سليمان بن عبد الملك، وخرج من قبره سمَع للأرض هدّة أو رجّة، فقال: ما هذه؟ فقيل: هذهِ مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قُرّبت إليك لتركبها. فقال: ما لي ولها؟ نحُّوها عني، قَرّبوا إليَّ بغلتي، فقُرّبت إليه بغلته فركبها، فجاءه صاحب الشُرَط يسير بين يديه بالحرْبة، فقال: تنحَّ عنّي ما لي ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين. صفة الصفوة ٢/ ٤٦٢.

* وعن عبد العزيز بن عمر قال: قال لي رجاء بن حَيْوَة: ما أكمل مروءةَ أبيك! سمَرْت عنده، فعَشِيَ السِّراجُ، وإلى جانبه وصِيفٌ نامَ، قلت: ألا أُنبِّهُهُ؟ قال: لا، دَعْهُ، قلتُ: أنا أقومُ، قال: لا ليس من مروءة الرجل استخدامُه ضَيفَه، فقام إلى بطَّةِ الزيت وأصلحَ السِّراجَ، ثم رجع، وقال: قُمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعتُ وأنا عُمر بنُ عبد العزيز. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٩٠.

* وقيل **لعمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ: جزاك الله عن الإسلام خيرًا قال: بل جزى الله الإسلام عني خيرًا. الزهد لأحمد: ٥٠٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: من كانت معصيته في الشهوة، فارج له التوبة، فإن آدم عصى مشتهيًا فغفر له، فإذا كانت معصيته في كِبْرٍ، فاخْشَ(١) على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبرًا فُلعِن.(٢) صفة الصفوة ٢/ ٥٤٠.

---

(١) في الحلية ٤٢٦/ ٢: فاحث، ولعله تصحيف.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وأكثر الناس من المتنزهين عن الكبائر الحسية والقاذورات في الكبائر مثلها أو أعظم منها أو دونها ولا يخطر بقلوبهم أنها ذنوب ليتوبوا منها فعندهم من الإزراء على=

* وقال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): كفى بك من الكبر أن ترى لك فضلًا على من هو دونك. تهذيب الحِلْية ٩٧/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: من كانت ولايته فوق قدرة تكبر لها، ومن كانت ولايته دون قدرة تواضع لها. أدب الدين (٣٨٥).

* وقال **بعض البلغاء: الناس في الولاية رجلان:**

١- رجل يجِلّ به العمل لفضله ورياسته.

٢- ورجل يجلّ بالعمل لتقصيره ودناءته.

فمن جلّ به العمل ازداد تواضعا وبشرا، ومن جلّ بالعمل ازداد ترفّعا وكبرا. نهاية الأرب في فنون الأدب (٦/ ١١٩).

* وقد **قيل**: من تكبّر في ولايته ذلّ في عزْلِه.

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): إن قومًا يريدون أن يرتفعوا، فيأبى الله إلا أن يضعهم، وآخرين يريدون أن يتواضعوا، ويأبى الله إلا أن يرفعهم. صفة الصفوة ٣/ ٢٠٩.

* وعن ابن ميسرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال ما رأيت أحدا من الناس، الشريف والوضيع عنده سواء غير **طاووس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦). مسند الدارمي (٤١٧).

* ومرَّ المهلب بن أبي صفرة على **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) متبخترًا، فقال: أما علمتَ أنها مِشية يكرهها الله إلا بينَ الصَّفينِ؟ فقال المهلَّبُ: أما

=أهل الكبائر واحتقارهم وصولة طاعاتهم ومنتهم على الخلق بلسان الحال واقتضاء بواطنهم لتعظيم الخلق لهم على طاعاتهم اقتضاء لا يخفي على أحد غيرهم وتوابع ذلك ما هو أبغض إلى الله وأبعد لهم عن بابه من كبائر أولئك فإن تدارك الله أحدهم بقاذورة أو كبيرة يوقعه فيها ليكسر بها نفسه ويعرفه قدره ويذله بها ويخرج بها صولة الطاعة من قلبه فهي رحمة في حقه كما أنه إذا تدارك أصحاب الكبائر بتوبة نصوح وإقبال بقلوبهم إليه فهو رحمة في حقهم وإلا فكلاهما على خطر. مدارج السالكين ١/ ٣٤٨.

تعرفني؟ قال: بلى، أَوَّلُك نُطفة مَذِرَة، وآخِرُك جيفةٌ قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمِل العَذِرَة. فانكسر، وقال: الآن عرفتني حقَّ المعرفة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧١٣.

* وكان **الخليل بن أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) إذا أفاد إنسانًا شيئًا لم يُرِهِ بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئًا أراه بأنه استفاد منه.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: صار طوائف في زماننا بالعكس. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧١٣.

* وعن عبيد بن جناد قال: ما رأيت أحدًا مثل **ابن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١)، إذا ذكر أصحابه فخَّمهم، يقول: وأين مثل فلان؟ تهذيب الحِلْية ٣٩/ ٣.

* وقيل **لجبير بن نفير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥): أي الكبرين أشر؟ قال: كبر العبادة. تهذيب الحِلْية ١٦٥/ ٢.

* وعن الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ قال: جهدنا **بإبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) أن نجلسه إلى سارية فأبى. مسند الدارمي (٥٣٥).

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كانوا يكرهون أن تُوطأ أعقابهم. مسند الدارمي (٥٤٣).

* وكان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) إذا مشى معه الرجل قام فقال: ألك حاجة؟ فإن كانت له حاجة قضاها، وإن عاد يمشي معه قام فقال: ألك حاجة؟ مسند الدارمي (٥٤٢).

* ورأى **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) أناسا يتبعون فنهاهم وقال: إنّ مشيكم هذا مذلة للتابع، وفتنة للمتبوع. مسند الدارمي (٥٤٤).

* وعن **ميمون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧) أنه أتاه رجل فقال له: لا يزال الناس بخير ما كنت فيهم، قال: لا يزال الناس بخير ما اتقوا الله. تهذيب الحِلْية ٥٦/ ٢.

* وسُئِلَ **يوسفُ بن أسباط** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٩): ما غايةُ التَّواضع؟ قال: ألا تلقى أحدًا إلا رأيت له الفَضْل عليك. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجزي قليل التواضع عن كثير الاجتهاد. تهذيب الحِلْية ٣/٥٩.

* وعن **سليمان الشاذكوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٤) قال: جاءني محمد بن مسلم بن واره[1] فقعد يتقعر في كلامه قال: قلت له: من أي بلد أنت؟ قال: من أهل الري، ثم قال: أو لم يأتك خبري، أولم تسمع بنبأي؟ أنا ذو الرحلتين، قلت: مَنْ روى عن النبي ﷺ: «**إن من الشعر حكمة، وإن من البيان سحرًا**»؟ قال: فقال: حدَّثني بعض أصحبنا قال: قلت: مَنْ أصحابك؟ قال: أبو نعيم، وقبيصة قال: قلت: يا غلام، ائتني بالدرة، قال: فأتاني الغلام بالدرة فأمرته فضربه خمسين، فقلت: أنت تخرج من عندي ما آمن تقول حدَّثنا بعض غلماننا. المنتظم ٢٠٥/ ١٢.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): من رأى أنه خير من غيره فهو مستكبر؛ وذلك أن إبليس قال: (أنا خير منه) فكان ذلك استكبارا.[2] ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٤٤.

* وقال أبو وهب المروزي: سألت **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): ما الكبر؟ قال: أنْ تزدري الناس، فسألته عن العُجْب؟ قال: أنْ ترى أنَّ عندك شيئًا ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئًا شرًا من العُجْب.[3] السِّيَر (١٥/ ٣٩٥).

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان معجبًا بنفسه متكبرًا على أبناء جنسه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلْيَحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ طُغْيَانِ «أَنَا»، «وَلِي»، «وَعِنْدِي»، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الثَّلَاثَةَ ابْتُلِيَ بِهَا إِبْلِيسُ وَفِرْعَوْنُ، وَقَارُونُ، فَـ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف:١٢] لِإِبْلِيسَ وَ ﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ [الزخرف:٥١] لِفِرْعَوْنَ و ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص:٧٨] لِقَارُونَ

وَأَحْسَنُ مَا وُضِعَتْ «أَنَا» فِي قَوْلِ الْعَبْدِ أَنَا الْعَبْدُ الْمُذْنِبُ الْمُخْطِئُ الْمُسْتَغْفِرُ الْمُعْتَرِفُ وَنَحْوُهُ.

«وَلِي»، فِي قَوْلِهِ لِي الذَّنْبُ وَلِي الْجُرْمُ وَلِي الْمَسْكَنَةُ وَلِي الْفَقْرُ والذلّ.

«وَعِنْدِي» فِي قَوْلِهِ «اغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطَئِي، وَعَمْدِي، وَكُلّ ذَلِكَ عِنْدِي». زاد المعاد ٢/ ٤٣٤، طباعة مؤسسة الرسالة.

(٣) إعجاب الرجل بنفسه: هو ملاحظته لها بعين الكمال والاستحسان، مع نسيانِ منَّة الله تعالى، فإنْ رَفَعَها على الغير واحتقره فهو الكبر المذموم. المفهم للقرطبي: ٥/ ٤٠٦

* وقيل **لشقيق بن سلمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٢): أيما أكبر أنت أو الربيع بن خيثم؟ فقال: أنا أكبر منه سنًّا، وهو كان أكبر مني عقلًا. المنتظم ٢٥٤/ ٦.

* وقال **عبد الملك بن مروان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٦): أفضل الرجال من تواضع عن رفعةٍ، وزَهِدَ عن قُدرةٍ، وأنصف عن قوّةٍ. عيون الأخبار ٣٠٧ / ١.

* وقال المفضّل بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت آتي **عاصم بن أبي النجود** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٧) أقرأ عليه، فإذا لم آته أتاني في بيتي. معرفة القراء (١/ ٢٧٦).

* وقال الأصمعي: كنتُ إذا سمعت **أبا عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٤) يتكلم ظننت أنه لا يعرف شيئًا، كان يتكلم كلامًا سهلًا.[1] معرفة القراء (١/ ٢٣٣).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لَقِيَني **أبو عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ اللَّهُ فأخذتُ بيده لأقبِّلها فسبقني فقبّل يدي، ثم قال: أنتَ أحقُّ بهذا؛ لأنك خَلَفٌ ونحن سَلَف.[2] معرفة القراء (١/ ٢٣٣).

* ومرَّ رباح بن يزيد الزاهد رَحِمَهُ اللَّهُ وبيده قَسط[3] زيت على **ابن غانم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٠) وهو قاضٍ، فقال له ابن غانم: أحمله لك؟ فقال رباح: شأنك، فرفع القسط إليه وجعل يشق به مجامع الناس، فسلك به حوانيت البزازين، حتى انتهى إلى داره.

فقال رباح: إنما فعلت هذا لأنه بلغني عنكَ أنك تجد بنفسك، فأحببتُ أن أضعَ منك.

---

(١) هذا وهو رأسٌ في معرفة النحو والعربية، ومع ذلك لم يكن يُباهي بذلك، بل يتحدث مع الناس بالكلام السهل الواضح الذي يفهمه كلّ أحد، وهذا دليل على عقله وتواضعه وسلامة قبله من العُجب والغرور وحب الظهور.

(٢) أهل القرآن من أحسن الناس خُلقًا، وأرفعهم أدبًا، ولا يزيد العبد تواضُعُه إلا رفعة وشرفا.

(٣) القِسْط: وعاء من الجلد المدبوغ يحفظ فيه الزيت والدهن والعسل.

فجزاه ابن غانم خيرًا.[١] ترتيب المدارك (١/ ٣٥٨).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤) في مقدّمة كتابه الأدب الكبير (٦٠): أنا واعظك في أشياء من الأخلاق اللطيفة، والأمور الغامضة، التي لو حنَّكَتْك[٢] سنٌّ كنت خليقًا[٣] أن تعْلَمها، وإن لم تُخْبر عنها.[٤].

ولكنني قد أحببت أن أقدم إليك فيها قولًا؛ لتروِّض[٥] نفسك على محاسنها، قبل أن تجري على عادة مساوئها.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تكونن نزْر[٦] الكلام والسلام، ولا تُفرطنّ بالهشاشة والبشاشة[٧]؛ فإن إحداهما من الكبْر، والأخرى من السُّخف. الأدب الكبير (٧٠).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن استطعت أن تُنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس، ومقام، ومقال، ورأي، وفعل: فافعل، فإنَّ رفْعَ الناسِ إياك فوق المنزلة التي تَحُطّ إليها نفسك، وتقريبَهم إياك إلى المجلس الذي تباعدت منه، وتعظيمَهم من أمرك

(١) لا يزال الناس بخير إذا كان فيهم من ينصح ولا يُحابي، وكان العلماء والأمراء يقبلون النصح ولا يتكبرون.

(٢) أي: راضَتك وهذبتك.

(٣) أي: جديرًا.

(٤) ما أعظم أدبه وتواضعه، حيث ذكر أنّ كلّ ما قاله سيعرفه من كبر سنه وكثرت تجاربه، وليس هو شيئًا انفرد به عن غيره، وعرفه بذكائه واطلاعه.

(٥) أي: تذلّلها وتجعلها مطيعة منقادة.

(٦) أي: قليل.

(٧) الهشاشة، من هش له: تبسم له، والبشاشة، من بش له: أقبل عليه، وفرح به.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: الهاء والشين: أصل صحيح يدل على رخاوة ولين. والرخو اللين هش، ومنه رجل هش: طلق المحيا.

والباء والشين أصل واحد، وهو اللقاء الجميل. والضحك إلى الإنسان سرورا به. مقاييس اللغة (١/ ١٨٢)، (٦/ ٩)

ما لم تُعَظِّم، وتزيينهم من كلامك ورأيك وفعلك مالم تزين: هو الجمال. الأدب الكبير (١١٢).

* وقال **بعضهم**:

تواضع وكن في الناس سهلا ميسَّرا ... لِتُلْقي لهمْ مِن فِيك دُرًّا وجَوهرا

وإياك يُبْس الطبع فيهم ترفُّعا ... عليهم فتُرمَى بالقبيح وتُزْدَرى

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٠).

* وأقبل قوم إلى **معن بن عيسى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) بالمدينة يستأذنون عليه في داره، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم أسوَد ليدخل داره، فسألوه الإذن لهم، فدخل فنادى: يا معن، فاستجاب له، فأعلمه، فأذن ودخلوا.

فقالوا: عجبنا من تسمية هذا الأسود لك! قال: أما إنه مع ذلك مملوكي. قالوا: هذا أكبر.

قال: وما أردتم؟ أكان يدعوني بأفضل من اسمي الذي رضيه الله لي؟[1] ترتيب المدارك (١/ ٤٠٦).

* وعن **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤) قال: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الرَّاحة، وقال: أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٥.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قالوا يزورك أحمدُ وتزوره ... قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارني فبفضله أو زرته ... فلفضله فالفضل في الحالتين له

ديوان الشافعي (١٣٤).

---

(١) غاية في التواضع وعدم التكلف.

* وقال يحيى بن معين: ما رأيت مثل **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٩.

* وقال إِبْرَاهِيم بْن سعيد الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت عَلَى **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسلِّمُ عليه، فمددتُ يدي إليه فصافحني، فلما أن خرجت قَالَ: ما أحسن أدب هذا الفتى، لو أنكبّ علينا كنا نحتاج أن نقوم.[1] طبقات الحنابلة (١/ ٢٤١).

* وقيل **للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجيئُك بِشر -يعنون بشر بن الحارث- فقال: لا تعنّوا الشيخ، نحن أحق أن نذهب إليه.

قيل له: نجيء به؟ قَالَ: لا، أكره أن يُجاء به إلي، أو أذهب إليه؛ فيتصنع لي وأتصنع له؛ فنهلَك. طبقات الحنابلة (١/ ٣٦٩).

* وقال سندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيتُ **أبا عبدالله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قام له رجل من موضعه، فأبى أن يَقعد فيه، وقال للرجل: ارجع إلى موضعك، فرجع الرجل إلى موضعه، وقعد أَبُوعبدالله بين يديه. طبقات الحنابلة (١/ ٤٥٦).

* وقال عبد الكريم بن الهيثم: كنت مع **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجعلت أتأخر عنه فِي الصَّفِّ إجلالًا له، فوضع يده عَلَى يدي فقدَّمني إلى الصف. طبقات الحنابلة (٢/ ١٠١).

* وقال مُحَمَّد بن زهير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتيتُ أبا عبدالله -**الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فِي شيءٍ أسأله عنه، فأتاه رجل فسأله عَنْ شيء فقال له: جزاك الله عَنِ الإسلام خيرًا، فغَضِبَ أَبُو عبدالله وقال له: مَن أنا حتى يجزيني الله عَنِ الإسلام خيرًا!، بل جزى الله الإسلام عني خيرًا. طبقات الحنابلة (٢/ ٣٠٣).

---

(١) وما أعظم تواضع وأدب الإمام أحمد، حيث عقد العزم على القيام إليه لو انكبّ عليه يقبِّلُه.

* وقَالَ أَحْمَدُ بن الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رَأَيْتُ **الإِمَام أَحْمَدَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَشْتَرِي مِن السُّوقِ الْخُبزَ وَيَحْمِلُ بِنَفْسِهِ فِي الزِّنْبِيلِ، وَرَأَيْتَهُ يَشْتَرِي الْبَاقِلَّا غَيْرَ مَرَّةٍ وَيَجْعَلُهُ فِي زُبْدِيَّةٍ أَوْ شَيْءٍ آخَرَ فَيَحْمِلُهُ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عبدالله ابْنِهِ، وَقَالَ صَالِحٌ: كَانَ أَبِي رُبَّمَا خَرَجَ إِلَى الْبَقَّالِ فَيَشْتَرِي جِرْزَةَ حَطَبٍ فَيَحْمِلُهَا. الآداب الشرعية ٢/ ٢٢.

* وسئل **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧) عن التواضع فقال: يخضع للحق وينقاد له، ويقبله ممن قاله.(١) مدارج السالكين ٣/ ١١٣.

* وقيل لبعضهم: ما الكِبر؟ قال: حُمْقٌ لم يدر صاحبُه أين يضعُه.(٢) عيون الأخبار ١/٣١١.

* وقال **بعضهم**: عيون الأخبار ٣١٣/ ١.

يا مُظْهِرَ الكِبْرِ إعجابًا بصورته ... انظر خَلاءَكَ إن النَّتْنَ تثريب

لو فكّر الناسُ فيما في بطونهم ... ما استشعر الكِبْرَ شُبَّانٌ ولا شِيبُ

يا ابنَ التراب ومأكولَ التراب غدًا ... أَقصِرْ فإنك مأكولٌ ومشروبُ

* وقال القصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **القاضي عبدالله بن طالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٥) يذكر تنازع أصحابنا في المسائل، فربما ذكر في المسألة خمسة أقوال أو ستة. ثم تسيل دموعه، ويقول: أردتَ أن يُقال فقيه؟ فهل معك عمل صالح تنجو به من

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: التكبر شَرٌّ من الشرك، فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى، والمشرك يعبد الله وغيره..
ومن تكبر عن الانقياد للحق -ولو جاءه على يد صغير أو من يُبغضه أو يُعاديه- فإنما تكبُّره على الله، فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته ومنه وله، فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله: فإنما رد على الله وتكبر عليه. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ١٢٠

(٢) لا يتكبر أحدٌ إلا لِشُعوره بالنقص في داخله، فالمتكبر ناقصٌ مهزوز الثقة بنفسه، يرى أنَّ فيه عيبًا ونقصًا، لا يُزيله إلا بإظهارِه للناس عكسَ ذلك، فَيَتَصَنَّعُ الكبر والغرور، فيرى أنه بهذا قد كمُل، وهو عند الناس في غاية الحقارة والمقت، وعند الله تعالى أحقر وأمقت.

عذاب الله؟ وإلا فما يُغني هذا عنك؟[١].

وكان يقول: ربما أعجبتني نفسي فأقول: يا ابن طالب، هبك أعظم الناس قدرًا، وأكثرهم علمًا، أليس وراء ذلك كله الموت؟[٢] ترتيب المدارك (٢/ ٣١٥).

* وقال **بعضهم**:

ولا تمشِ فوق الأرض إلاَّ تواضعًا ... فكم تحتها قومٌ هُمُ منك أرفعُ
فإنْ كنتَ في عزٍّ وحرزٍ وَمَنْعةٍ ... فكم مات مِن قومٍ هُمُ منك أمنعُ

ذيل الطبقات (١/ ١٩٨).

* وقال **ابن الجوزي** (ت: ٥٩٧): وكان ابن الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا استفاد شيئا قَالَ: **أفادَنِيهِ فُلان**، حتى إنه عرض له يوما حديث، وهو «من فاته حزب من الليل فصَلَّاهُ قبل الزَّوال؛ كان كأنه صلى بالليل» فقال: ما أدري ما معنى هذا؟.

فقلتُ له: هذا ظاهر في اللغة والفقه.

أما اللغة: فإن العرب تقول: كيف كنت الليلة، إلى وقت الزوال.

وأما الفقه: فإن أبا حنيفة يُصحح الصوم بنيَّةٍ قبل الزوال، فقد جعل ذلك الوقت في حُكم الليل، فأعجبه هذا القول.

وكان يقول بين الجمع الكثير: ما كنتُ أدري معنى هذا الحديث حتى عرَّفنيه ابن الجوزي، فكنتُ أستَحي مِن الجَماعة. ذيل الطبقات (٢/ ١١٣ - ١٦٩).

* وصدق **القائل**:

إِذَا أفـادك إِنْسَان بفائدة ... من العلوم فأَدْمِن شكره أبدا

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فما يُغني عن طالب العلم أن يُقال عنه: حافظ، عالم، فقيه، ذكيّ، إن لم يكن معه عمل صالح ينجو به من عذاب الله.

(٢) بلى والله.

وقل: فُلان جزاه الله صالحة[١] أفادنيها وألق الكِبر والحسدا

ذيل الطبقات (٣/ ١٨٣).

* وكان **ابن الأنباري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] (ت: ٣٢٨) زاهدا متواضعا، حكى الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه حضره في مجلس يوم الجمعة، فصحَّف اسمًا، فأعظمتُ له أنْ يُحْمَل عنه وهْمٌ وهِبْتُه، فلما انقضى المجلس عرَّفت مستمليه، فلما حضرت الجمعة الثانية قال ابن الأنباري للمستملي: عرِّف الجماعة أنا صحفنا الاسم الفلاني، ونبَّهَنا ذلك الشاب على الصواب. معرفة القراء (٢/ ٥٥٨).

* وكان **أبو إسحاق الجُبْنيانيُّ البكري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩) قلَّما يترك ثلاث كلمات جامعة للخير، وهي: اتّبع ولا تبتدع، اتَّضع ولا ترتفع، مَن وَرِع لم يقع.[٣] طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤).

* وقال بعضهم:

فلا تحقرنّ خلْقًا من الناس علّه ... وليُّ إله العالمين وما تدري

فذو القدر عند الله خافٍ عن الورى ... كما خفِيت عن علمهم ليلة القدر

طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣١٢).

* وكان **أبو شامة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦٥) مع فرط ذكائه وكثرة علمه، متواضعًا مُطَّرِحًا للتكلف، ربما ركب الحِمار. معرفة القراء (٣/ ١٣٣٦).

* وعُيّن الشيخ **صالح بن عبدالله الزغيبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٢) في إمامة المسجد النبوي الشريف وخطابته والتدريس عام (١٣٥٠)، وكان متواضعا جدا،

---

(١) لو قال: جنَّته لكان أحسن وأبين وأبلغ.

(٢) أبو بكر ابن الأنباري المقرئ النحوي البغدادي صاحب التصانيف.

(٣) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهذه الكلمات جامعة لكل خير، ومُجنّبة لكل شر، فحريّ بالمسلم أن يحفظها، ويعمل بها، ويُوصي بها غيره.

وكان يقضي حوائجه من السوق بنفسه، وإذا أراد أحدٌ أن يحمل عنه الحاجات التي معه لا يُمَكِّنه، وينقلها إلى بيته بنفسه. علماء نجد (٢/ ٤١٩).

* ولمَّا توفي الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تتلمذ **الشيخ عبد الكريم الناصر الجربوع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٤٠) لابنه الشيخ عمر بن سليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو أكبر منه بثلاثين سنة، وقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك إظهارَ مكانة الشيخ عمر أمام طلبة العلم والناس، فإذا قيل: إنّ عبد الكريم الناصر يقرأ على الشيخ عمر كان لذلك شأنٌ في نفوس الخاص والعامّ، وأدركوا مكانةَ الشيخ عمر، فقد كان عمره دون الثلاثين عندما كان الشيخ عبد الكريم يقرأ عليه.[1] علماء نجد (٣/ ٤٤٣).

---

(١) انظر إلى هذا الخلق والأدب العظيم الرفيع، وتأمل كيف أداه حبه لرفعة مكانة هذا الشاب إلى أن يتتلمذ عليه، ويجلس بين يديه، لا رغبة في علمه، بل رغبة في رفعته وعلو شأنه.
وهكذا شأن أهل الفضل والإيمان، يحبّون الخير لغيرهم كما يحبونه لأنفسهم.

هضم النفس(١)

* قال **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) في خطبته التي خطبها أول إمرته: وُلِّيت أمركم ولستُ بخيركم، فإن أنا أحسنت فأعينوني، وإن أنا أسأت فسددوني.

قال سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: بلغنا عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «بلى والله إنه لخيرهم، ولكن المؤمن يهضم نفسه». الزهد لأبي داود (٥٦).

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثَيْتم على رأسي التراب. صفة الصفوة ١/ ١٨٦.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والذي لا إله غيره ما أصبح عند آل عبد الله شيء يرجون أن يعطيهم الله به خيرا، أو يدفع عنهم به سوءا إلا أن الله قد علم أن عبد الله لا يشرك به شيئا. الزهد لأبي داود (١٤٥).

* وزحم **سالمَ بنَ عبدالله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) رجلٌ فقال له سالم: بعض هذا

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: مقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله تعالى في لحظة واحدة أضعاف أضعاف ما يدنو بالعمل. إغاثة اللهفان١/ ١٥٥.

قلت: وكلّما ازدادتْ معرفةُ العبدِ بربّه وعظمتِه وحقوقِه عليه، ونظر إلى تقصيرِه في جنب الله، ونظر إلى نعم الله عليه في دينه ودنياه: ازداد هضمًا لنفسِه، واستصغر ما عمل، وتعاظم تفريطَه وذُنوبَه.

ولا يُوفَّق لهذا إلا مَنِ امْتَنّ الله عليه، واصطفاه إليه، اللهم اجعلنا منهم.

ومَنْ وقف على أحوال وأقوال الأئمة العلماء الأجلاء رَحِمَهُمُ اللَّهُ الذين سأذكر تواضعهم وهضمهم لأنفسهم: لا يُمكن له أنْ يغتر بثناءِ الناس، أو يغترّ بأعمالِه، وأقوالِه، وطاعاتِه.

رحمك الله، فقال له الرجل: ما أراك إلا رجل سوء، فقال له سالم: ما أحسبك أبعدت. المنتظم ١١٤/ ٧.

* وقال **مطرِّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): ما مدَحني أحد قطّ إلا تصاغرتْ إليّ نفْسي. صفة الصفوة ٣/ ١٥٨.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو بعرَفة: اللهم لا تردّ الجميع من أجلي. صفة الصفوة ٣/ ١٥٨.

* وقال **بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): إذا رأيت من هو أكبر منك، فقل: هذا سبقني بالإيمان، والعمل الصالح، فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقتُه إلى الذنوب والمعاصي، فهو خير مني، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظّمونك فقل: هذا فضلٌ أُخِذوا به، وإذا رأيت منهم تقصيرًا، فقل: هذا ذنْب أحدثتُه. صفة الصفوة ٣/ ١٧٥، ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٧.

* وقال عبد الله بن **بكر المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعتُ إنسانًا يُحدِّث عن أبي أنّه كان واقفًا بعرفة، فرقَّ فقال: لولا أنِّي فيهم لقلتُ: قد غُفِر لهم.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): كذلك ينبغي للعبد أن يُزريَ على نفسِه ويَهضِمَها. تهذيب السِّيَر ٣/ ٥٥٠.

* وقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تَدنوا مني، من نَتن رِيحي. صفة الصفوة ٣/ ١٩٢.

* ورأى رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابنًا له وهو يخطر بيده(١)، فقال: ويحك تعالَ، تَدري من أنت؟ أمُّك اشتريتها بمائتيْ درهم، وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين مِثْلَه. تمشي هذه المشية؟. صفة الصفوة ٣/ ١٩٣.

---

(١) أي يتمايل ويمشي مشية المعجَب.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إذا ذُكر الصالحون فأُفٍّ لي وتُفٍّ. صفة الصفوة ٣/ ١٩٨.

* وقال له رجل: يا مرائي! فقال: متى عرفت اسمي؟ ما عرَف اسمي غيرُك. الزهد للخطيب (٩٣).

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إذا ذكر الصالحون كنت منهم بمعزل. صفة الصفوة ٣/ ٢١٠.

* وقال أبو عمرو بن مطر: حضرت مجلس **أبي عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠) فخرج، ثم قعد على موضعه الذي كان يقعد فيه للتذكير، فسكت حتى طال سكوته فناداه رجل: ترى أن تقول في سكوتك شيئًا؟ فأنشأ يقول:

وغَيْـر تقـيّ يأمـر النـاس بالتّقـى طبيـبٌ يُـداوي والطبيـب مريـض

فارتفعت الأصوات بالبكاءِ والضجيج. صفة الصفوة ٤/ ٣٥٢.

* وقرِئ على **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) كتاب المناسك، فانتهى إلى حديث وفيه: قال عبد الله وبه نأخذ، فقال: مَن كتب هذا من قولي؟ قيل: الكاتب الذي كتبه، فلم يزل يحكّه بيده حتى درَسَ، ثم قال: ومن أنا حتى يُكتب قولي؟. صفة الصفوة ٤/ ٣٧٢.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): لو اجتَمَعَ الخلْقُ جميعًا على أن يَضَعُوني كاتِّضَاعي عند نفسي ما قدروا على ذلك. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٥.

* وعن **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧) قال: يا مسكين، أنت مسيءٌ وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك عالم، وتبخلُ وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل، أجلُكَ قصير، وأملُك طويل.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): إي واللهِ، صدق، وأنت ظالم وترى أنك

مظلومٌ، وآكل للحرام وترى أنك متورِّع، وفاسق وتعتقِدُ أنك عَدْلٌ، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبُه لله.. تهذيب السِّير ٢/ ٧٧٩.

* ومرَّت امرأتان وبُهلول بن راشد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٣) يصلي، فقالت إحداهما للأخرى: هذا البهلول، فقالت: لئن تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه[١]، فقال البُهلول: **هذه عَرَفتني**.

وقال له رجل يومًا: يا مُرائي، فقال له البُهلول: قد أخبرتها بذلك -يعني نفسه- فأبت عليّ ولم تَقبل، فاجتمع عليها شهادتك وعِلمي.[٢] ترتيب المدارك (١/ ٣٦٨).

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٩٨): إني لأغضب على نفسي إذا رأيتكم تأتوني، أقول: لم يأتني هؤلاء إلا من خير يظنون بي. تهذيب الحِلْية ٤٣٤/ ٢.

* وقال الربيع رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤) -ودخلتُ عليه وهو مريض- فذكر ما وَضع من كتبه فقال: وددت أنَّ الخلق تَعلَمَه ولا يُنْسب إليّ منه شيء أبدًا.[٣] طبقات الشافعيين (١/ ٤٥).

* وقال المرُّوذي: قلت **لأبي عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١)[٤]: ما أكثر الداعيَ لك! قال: أخافُ أن يكون هذا استدراجًا بأي شيء هذا؟ وقلت له: قدم رجل من طَرَسُوس، فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبد الله، وكنا نَمُدُّ المنجنيق ونرمي عن أبي عبد الله. ولقد رُمي عنه بحجر، والعِلج على الحصن مترس بَدَرَقَة فذهب برأسه وبالدَّرَقَةِ، قال: فتغير

(١) يضرب مثلًا للذي رؤيته دون السماع به.

(٢) انظر إلى هضمه لنفسه، وسلامة صدره، وصدقه مع ربّه.

(٣) هذا من أعظم الدلالة على إخلاصه وصدقه، وإلا فمن يقوى على هذا؟

(٤) يعني: أحمد بن حنبل.

وجه أبي عبد الله وقال: ليته لا يكون استدراجًا. تهذيب السِّير ٢/ ٩٢٧.

* وقال رجلٌ **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمدُ لله الذي رأيتُك، قال: اقعُد، أيُّ شيءٍ ذا؟ مَن أنا؟. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٣٠.

* وعن رجل قال: رأيتُ أثر الغَمِّ في وجه **أبي عبد الله**(١)، وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، قال: بل جزى الله الإسلامَ عني خيرًا. من أنا وماَ أنا؟!. تهذيب السِّير ٢/ ٩٣٠.

* وقيل له: إنّي لأرجو أن يكون يُدعى لك في جميع الأمصار، فقال: إذا عرف الرجلُ نفسه فما ينفعه كلام النّاس. تاريخ الإسلام للذهبي: ٥/ ١٠١٣.

* ونَقَلَ الْأَثْرَمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ سَأَلَ **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ شَيْءٍ فَقُلْتُ: كَيْفَ هُوَ عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَمَا عِنْدِي أَنَا؟ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إنَّمَا هُوَ -يَعْنِي الْعِلْمَ- مَا جَاءَ مِنْ فَوْقٍ. الآداب الشرعية ٢/ ٤٥.

* وقال رجل **للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أريد أن أكتب هذه المسائل فإني أخاف النسيان؟.

قَالَ له أحمد: لا تكتب شيئًا، فإني أكره أن يُكتب رأيي.

وأحسَّ مرة بإنسان يكتب ومعه ألواح فِي كمه، فقال: لا تكتب رأيي، لعلي أقول الساعة بمسألة ثم أرجع غدًا عنها. طبقات الحنابلة (١/ ٨٠).

* وقال الميموني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت أبا عبدالله -**الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عَنْ مسائلَ، فكتبتُها، فقال: إيش تكتب يا أبا الحسن؟ فلولا الحياءُ منك ما تركتُك تكتبها، وإنه عليَّ لشديد، والحديث أحبُّ إليَّ منها.

قلت: إنما تطيب نفسي في الحمل عنك، إنكَ تعلم أنه منذ مضى رسول الله

(١) يعني: أحمد بن حنبل.

ﷺ قد لزم أصحابَه قوم، ثم لم يزل يكون للرجل أصحاب يلزمونه، ويكتبون.

قال: مَن كتب؟.

قلت: أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «وكان عبدالله بن عَمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتب ولم أكتب، فحفظ وضيَّعت».

فقال لي: فهذا الحديث.

فقلت له: فما المسائل إلا الحديث، ومن الحديث تُشتَق.

قَالَ لي: أعلم أن الحديث نفسه لم يكتبه القوم، إنما كانوا يحفظون ويكتبون السُّنن، إلا الواحد بعد الواحد الشيء اليسير منه، فأما هذه المسائل تدون وتكتب فِي ديوان الدفاتر فلستُ أعرف فيها شيئا، وإنما هو رأي، لعله قد يدعه غدًا وينتقل عنه إلى غيره، والرأي قد يخطئ.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ٩٤-٩٥).

* وقال أبو عثمان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ له يوما: لا يزال الناس بخير ما منَّ الله عليهم ببقائك، فقال: لا تقل هذا يا أبا عثمان. طبقات الحنابلة (٢/ ٣٥١).

* وكان **موهوب بن أحمد الجواليقي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٤٠) متواضعًا في ملبسه ورئاسته، طويل الصمت، لا يقول الشيء إلا بعد التحقيق والفِكر الطويل، وكثيرًا ما كان يقول: لا أدري. ذيل الطبقات (٢/ ٣).

* ولَمَّا قدم **عيسى بن مسكين بن منصور** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٥) إلى القيروان، أتى على حمار، فقام الناس إليه على أقدامهم، فقال: مكانكم رحمكم الله، إنما

(١) في هذا الحوار بين الإمام أحمد وتلميذه فوائد منها:

١- أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ كان يُشدد في الكتابة عنه أولًا، ثم سهّل بعد ذلك.

٢- أدب الإمام مع تلميذه، وذلك بقوله له: لولا الحياء منك، فما أجمل بالشيخ والمعلم أنْ يقدّر تلميذه ويُحسن تعامله وأدبه معه.

٣- تورّع الإمام، وهضمه لنفسه، وذلك بتحرجه من تدوين آرائه.

٤- اللطف في الحوار، واستماعه لاعتراضات تلميذه.

يقوم الناس لرب العالمين، ولَمَّا رأته امرأة على حمار وحوله مشايخ القيروان قالت: انظروا أيّ قاض وأيّ شكل؟.

فسمعها، فقال لهم: والله لقد قلتها لهم.[١] ترتيب المدارك (٢/ ٣٣٦).

* ولما جلس **أبو الحسن ابنُ القابسيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٠٣) للناس وعُزِمَ عليه في الفتوى تأبّى وسدّ بابه دون الناس، فقال لهم أبو القاسم ابن شَبْلون رَحِمَهُ اللَّهُ: اكسروا عليه بابه؛ لأنه قد وجب عليه فرض الفتيا، هو أعلم من بقي بالقيروان، فلما رأى ذلك خرج إليهم ينشد:

لعمر أبيك ما نُسِب المعلَّى إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكنَّ البلاد إذا اقْشعرّت وصَوَّح نبتُها رُعِيَ الهشيم[٢]

ترتيب المدارك (٤/ ١٦٩).

* وسأل رجل **أبا عبدالله محمد بن عتاب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٦٢) عن مسائل انتخبها وأعدها فأجابه أحسن جواب، فأثنى عليه الرجل فقال له: يا ابن أخي لا تتخذ هذا عادة، فلولا أني طالعتها البارحة ما أجبتك بمثل هذا.[٣] ترتيب المدارك (٤/ ٣٨٧).

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: كان **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨) كثيرًا يقول: مالي شيء، ولا مني شيء، ولا فيَّ شيء. وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المُكدِّي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي

---

(١) هذا هو هضم النفس الذي لا تصنّع فيه، وما أقلّ من يوفق لذلك.

(٢) إذا صدق العبد مع ربه تعالى كان من أشد الناس تواضعا وهضما لنفسه، وبُعدا عن التصدر للفتوى؛ ليقينه بخطرها.

(٣) المؤمن الصادق الورع حريص على ألا يُعظّمه الناس ويرفعوه فوق منزلته، وإذا علم أنّ أحدًا فعل ذلك بيّن له أنه دون ما اعْتقده به صدقًا لا تصنّعًا، وحقيقة لا تكلّفًا.

وكان إذا أُثني عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أُجدِّد إسلامي كلّ وقت، وما أسلمت بعدُ إسلاما جيدا![(١)]

وقد بعث إلي في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه:

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ ... أَنَا الْمُسَيْكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي ... وَالْخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَاتِي
لا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ ... وَلا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ الْمَضَرَّاتِ
وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي ... وَلا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي
وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا ... وَلا شَرِيكٌ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَّاتِ
وَلا ظَهِيرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِهِ ... كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ
وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٍ أَبَدًا ... كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي
وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ ... وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي
فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ ... فَهُوَ الْجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ ... مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي

مدارج السالكين ٢/ ١٥٥-١٥٧.

* وكانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يدني الْفَقِير الصَّالح ويكرمه، ويؤنسه ويباسطه بحَديثه

(١) تأمل إلى هذا التواضع غيرِ الْمتكَلَّف، وإلى هضْمِ النفسِ غيرِ الْمصطَنَع.
ومن يستطيع أن يقول هذه العبارة ولو على جهة التواضع المتكلَّف!
لقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِن أبعد الناس رؤيةً لنفسِه، واعتدادًا بها، ومن أشدهم تهذيبًا لها، ومن أعرفهم بربه وما يستحقه سبحانه.
ومن كان على هذه الصفة لا شك أنه سيرى أنه مُقصّرٌ في حق الله تعالى عبادةً ودعوةً وإسلامًا خالصًا، ويُوجب عليه ذلك أن يُجدّد صدقَ إسلامه لله تعالى كلّ وقت، ويرى من نفسِه أنها لم تُسلم الإسلام الكامل بعدُ.

المستحلى، زِيَادَةً على مثله من الأغنياء، حَتَّى إنه رُبمَا خدمه بِنَفسِهِ، وأعانه بِحمْل حَاجته؛ جبراً لِقَلْبِهِ، وتقربًا بذلك إلى ربه.

وكانَ لَا يسأم مِمَّن يستفتيه، أَو يسْأَله، بل يُقْبل عَلَيْهِ ببشاشةِ وَجه، ولين عَرِيكَة، وَيقف مَعَه حَتَّى يكون هُوَ الَّذِي يُفَارِقهُ، كَبِيرًا كَانَ أَو صَغِيرًا، رجلًا أَو امْرَأَة، حرًّا أَو عبدًا، عَالِمًا أَو عاميًّا، وَلَا يَجْبَهْه(١)، وَلَا يُحْرِجْه، وَلَا ينفِّره بِكَلَامٍ يوحشه، بل يجِيبه، ويفهمه، ويعرفه الْخَطَأ من الصَّوَاب بلطفٍ وانبساط. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبزَّار (٥٠).

(١) أي: لم يستقبله بكلام فيه غِلَظ وجفاء.

الهدايا والهبات

* عن عَبْد اللهِ بْن السَّعْدِيِّ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى **عُمَرَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٣) فِي خِلاَفَتِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا، فإِذَا أُعْطِيتَ العُمالَةَ[1] كَرِهْتَهَا؟.

فَقلتُ: بلَى.

فقالَ عُمرُ: فَما تُرِيدُ إِلَى ذلكَ؟.

قُلْتُ: إنَّ لِي أَفْرَاسًا وأَعْبُدًا وأَنا بِخَيْرٍ، وأُرِيدُ أنْ تَكُونَ عُمالَتِي صَدقَةً على المُسْلِمِينَ.

قَالَ عُمَرُ: لاَ تَفْعلْ، فإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذي أردتَ، فكانَ رسُولُ الله ﷺ يُعْطِينِي العطَاءَ فأَقُولُ: أعْطِهِ أفقَرَ إليه منِّي، حتَّى أعطانِي مَرَّةً مالًا فَقُلتُ: أعْطِهِ أفْقَرَ إِلَيهِ مِنِّي، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إذَا أُعْطِيتَ شيئًا مِن غيْرِ أنْ تسأَلَ فكُلْ وتَصدَّقْ**». صحيح البخاري (٧١٦٣)، صحيح مسلم (١٠٤٥).

قالَ سالِمٌ: فَمِنْ أجْلِ ذلِكَ كانَ **ابْنُ عُمرَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٧٣) لا يسأَلُ أحدًا شيئًا، ولا يَرُدُّ شيئًا أُعْطِيه. صحيح مسلم (١٠٤٥).

* وكان المختار بن أبي عبيد يرسل إلى **عبد الله بن عمر** بالمال فيقبله، ويقول: لا أسأل أحدًا شيئًا، ولا أرد ما رزقني الله تعالى. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٤٠-٢٤١.

---

(١) أي: أجرة العمل.

* وعن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ما آتاك من هذا المال من غير إسراف ولا مسألة فكله وتموله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٤٩.

* وسئل **الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) عن الرجل يُهدَى إليه الشيء أفترى أن يقبل؟ فقال: قد «كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها»[1]، أرى له إن هو قبل أن يُثِيب. الآداب الشرعية ١/ ٢٢٣.

* ويقال: ما ارتُضي الغضبان، ولا استُعطف السلطان، ولا سُلَّت السخائم، ولا دُفعت المغارم، ولا تُوُقِّي المحذور، ولا استُميل المهجور، بمثل الهدية والبر. الآداب الشرعية ١/ ٢٢٤.

* وقال **الشاعر**:

هدايا الناس بعضهم لبعض ... تولد في قلوبهم الوِصَالا
وتزرع في الضمير هوىً وَوُدًّا ... وتُلْبسهم إذا حضروا جمالا

الآداب الشرعية ١/ ٢٢٤.

(١) رواه البخاري (٢٤٤٥).

المدح والثناء

أ- موقف السلف من المدح والثناء[1]:

* عن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) قال: المدح الذبح. الزهد لأحمد: ٢٢٦.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إذا أثنيتَ على الرجل بما فيه في وجهه لم تُزكِّه. عيون الأخبار ٣١٧/ ١.

* وأثنى رجل على **علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) في وجهه، وكان قد بلغه أنه يقع فيه، فقال له علي: أنا دون ما قلتَ، وفوق ما في نفسك. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣١.

---

(١) لا يُلام المسلم على ما يجده من محبةٍ للذكر الحسن، والشهرة في الخير ونفع الناس.

ففي صحيح مسلم أنه قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**».

فأخبر أن حَمْد الناس للمؤمن بشارة معجلة في الدنيا، فكيف لا يفرح أحدٌ ببشارةٍ معجلةٍ له في الدنيا؟

وعند الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح على شرط مسلم بلفظ: «**يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ فَيُحِبُّهُ النَّاسُ**»، وهذا القيد لا بدّ منه، فلو عمل أحدٌ عملاً للناس قاصدًا الثناء فلا أجر له في ذلك، ولكنه يعمله لنفسه في الأصل، فينتشر ذكره عند الناس فيحمدونه.

وعلامةُ صدق هؤلاء: أنهم يقبلون النُّصح والعتاب، ويرجعون إلى الحق والصواب، ولا تضيق صدورهم بقلة الأتباع والمحبِّين، ولا يُعجَبون بأنفسِهم ولا بأعمالهم.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا عمل العمل لله خالصًا ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضرّه ذلك، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ، أنه سُئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه، فقال: (تلك عاجل بشرى المؤمن) خرجه مسلم. جامع العلوم والحكم / ٢٧.

* وعن **رجل** من أصحاب رسول الله ﷺ من صدر هذه الأمة وكان له فضل أنه كان إذا أثنى عليه أو مدح فسمع قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي ما لا يعلمون. الزهد لأحمد: ٣٦٤.

* وسمع **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) رجلًا يقول: ما أُبالي أَمُدِحتُ أم هُجِيت، فقال الأحنف: استَرحتَ مِنْ حيثُ تعِبَ الكرامُ. عيون الأخبار ٤٤١ / ٢.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: ذَمُّ الرجلِ نفسَه في العلانية مَدحٌ لها في السرّ. عيون الأخبار ٣١٧ / ١.

* وكان يقال: مَنْ أظهر عيبَ نفسه فقد زكّاها.[1] عيون الأخبار ٣١٧ / ١.

* وقال **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) لابنه: لا يغرنك كثرة ثناء الناس من نفسك، فإنه خالص إليك عملك. تهذيب الحِلْية ٣١١/ ١.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٩٨): ليس يضر المدحُ من عرف نفسه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣٠.

* وكان يقال: لا يَغلِبنَّ جهلُ غيرك بك عِلمَك بنفسك. عيون الأخبار ٣١٧ / ١.

* وقال بعضهم:

إذَا الْمَرْءُ لَمْ يَمْدَحْهُ حُسْنُ فِعالِهِ ... فَمادِحُهُ يَهْذي وإنْ كانَ مُفْصِحا

عيون الأخبار ٣١٩/ ١.

* والعرب تقول: «لا تَهْرِف قبل أن تَعْرِف» أي لا تُطنِبَنّ في الثّناء قبل الاختبار. عيون الأخبار ٣/ ١٧١.

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وها هنا نكتة دقيقة وهي: أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يري أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم، ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلف الصالح، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: كفى بالنفس إطراء أن تذمها على الملأ، كأنك تريد بذمها زينتها، وذلك عند الله شينها. شرح حديث «ما ذئبان جائعان» ص٨٨ مجموع رسائله.

*وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قال: إنَّ الرجلَ إذا ذهب يمدحُ نفسه، ذهب بهاؤهُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٠٩.

*وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: منذ عرفتُ الناس لم أفرح بمدحهم، ولم أكره ذمَّهم؛ لأن حامدهم مُفرِطٌ، وذامهم مُفْرِطٌ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٠٩.

* وكان **ابن محيريز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) إذا مُدح في وجهه: غضب، يقول: ما علمك؟ ما يدريك؟. الزهد لأحمد: ٦٤٥.

* وقال **بعض الشعراء**:

لا تحمدنّ امْرأً حتى تجربَه ... ولا تذُمَنَّه من غير تجريب

فحمدك المرءَ ما لم تبْلُه خطأ ... وذمُّه بعد حمدٍ شرٌّ تكذيب

أدب الدين (٢٧٣).

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): سكون النفس إلى المدح، وقبول المدح لها، أشد عليها من المعاصي. تهذيب الحِلْية ٩٥/ ٣.

* وقال **وهب بن منبه** (ت: ١١٤) **وعوف بن أبي جميلة** (ت: ١٤٦) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: من أخلاق المنافق أنْ يحب الحمد ويكره الذم.[1] الزهد لأحمد: ٦١٩.

*وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إذا سمعت من يمدحُك بما ليس فيك، فلا تأمنه أن يَذُمَّك بما ليس فيك**. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٧٩، ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣٠.

* وعن مطرف قال: قال لي **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): ما يقول الناس فيّ؟. قلت: أما الصديق فيثني، وأما العدو فيقع.

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من علامات الزهد في الدنيا، واحتقارها، وقلة الرغبة فيها: أن يستوي عند العبد حامده وذامُّه في الحق؛ فإن من عظمت الدنيا عنده اختار المدح وكره الذمّ، فربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذمّ، وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح، فمن استوى عنده حامده وذامه في الحق: دلّ على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه، وامتلائه من محبة الحقّ، وما فيه رضا مولاه.. جامع العلوم والحكم / ٣٨٩- ٣٩٠.

قال: ما زال الناس كذا لهم صديق وعدو، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألْسِنَة كلِّها. تهذيب الحِلْية ٣٥٤/ ٢.

* وقال رجل **لمعاوية بن قرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠): إني لأحبك فقال: لم لا تحبني ولست لك بجار ولا قرابة؟[1] تهذيب الحِلْية ٣٩٨/ ١.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): ما أحد إلا وله محب ومبغض، فإن كان لابد من ذلك، فليكن المرء مع أهل طاعة الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١٢٦/ ٣.

* وقالَ الشَّاعرُ:

يَهْوى الثَّناءَ مُبَرِّزٌ ومُقَصِّرٌ   حُبُّ الثَّناءِ طَبيعةُ الإنسانِ

أدب الدين (٣٧٢).

ب- ثناؤهم على من يستحق بلا إطراء:

* ترجم الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمجموعة من تلاميذه، فأثنى عليهم ثناءً عطِرًا، منهم:

١- أبو العباس الحسامي الدمياطي (-٧٠٠): الإمامُ، المفيدُ، الحافظُ، محدِّثُ مصر.

كتب، وألَّف، وخرَّج، وتميَّز، وصار من أعيان الطلبة، خرَّج لجماعة، قدم علينا عام أربعين، واستفدنا منه، وظهرت معرفته، وحسن مشاركته، خرجت له جزءا، سمع مني وسمعت منه.

٢- الحافظ ابن كثير (٧٠٢-٧٧٤): الإمام، الفقيه، المحدث، الأوحد، البارع، فقيه متقن، ومتحدث متقن، ومفسر نقال، وله تصانيف مفيدة، يدري الفقه، ويفهم العربية والأصول.

---

(١) قصده بذلك: أنك لم تر عيوبي حيث لم تكن جارًا لي ولا قريبا لي. فالجار في الغالب يعرف جاره ويداخله ويعرف من حاله ما لا يعرفه غيره، وكذلك القريب.

٣- صلاح الدِّينِ الصَّفدِيّ (٦٩٩-٧٦٤): الإمامُ، العادلُ، الأديبُ، البليغُ، الأكْملُ، وجمع وصنف، والله يمده بتوفيقه، سمع مني وسمعت منه، له تواليف، وكتب، وبلاغة.

٤- خليل بن كليكدي (٦٩٤- ٧٦١) الإمام، الحافظ، الفقيه، البارع، المفتي، وحفظ كتبا، وقرأ، وأفاد، وانتقى، ونظر في الرجال والعلل وتقدم في هذا الشأن، مع صحة الذهن وسرعة الفهم.

٥- عبد العزيز بن محمد بن جماعة (٦٩٤-٧٦٠): الإمام، المفتي، الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام.

وقدم علينا بولده طالبَ حديث، فقرأ الكثير، وسمع وعني بهذا الشأن.

وكان خيرا، صالحا، حسن الأخلاق، كثير الفضائل.

سمعت منه وسمع مني، والله يحسن إليه بمنه.

٦- عبد القادر بن محمد (٧١٧-): الشيخ، الفقيه، المحدث، العالم، علقت عنه فوائد.

٧- محمد بن عبد البر (٧٠٧-٧٧٧): القاضي العلامة بهاء الدين أبو البقاء السبكي.

إمام، متبحر، مناظر، بصير بالعلم، محكم للعربية وغيرها، مع الدين والتقوى والتصوف.[1] المعجم المختص بالمحدثين (١٤، ٧٥، ٩١، ٩٢، ١٤٧، ١٤٩، ٢٣٧).

* وقال **بعض الحكماء**: إذا قصرت يدك عن المكافأة؛ فليطل لسانك بالشكر. المجالسة وجواهر العلم (١٢١).

---

(١) وأثنى على كثير من طلابه وأقرانه، فضلا عن شيوخه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فانظر وتأمل كيف يفيض بالثناء العجيب على تلاميذه، الذين يكبرهم بأكثر من عشرين عاما، وتجد بعض الناس يبخل بكلمة ثناء على أقرانه، أو طلابه الذين يكبرهم بسنوات قليلة، والقلب إذا سلم من الحسد والكبر وحظوظ النفس كرم اللسان وجاد بالثناء والمدح والشكر، وأذاع محاسن الآخرين، ولهج بذكر فضائلهم، وأحجم عن معايبهم.

الغيرة والعفّة(١)

* عن أبي عبد الله محمد بن أحمد القاضي قال: حضرت مجلس **موسى بن إسحاق القاضي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧) بالري سنة ست وثمانين ومائتين، فتقدمت امرأة فادعى وليها على زوجها خمسمائة دينار مهرًا، فأنكر، فقال القاضي: شهودك، قال: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة. قومي! فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: فإني أشهد القاضي أن لها عليّ هذا المهر الذي تدعيه ولا يسفر عن وجهها، فأخبرت المرأة بما كان من زوجها، فقالت: فإني أشهد القاضي أني قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة! فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق. شعب الإيمان (١٠٣١٣).

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في حق مَن لا يغار إذا انتُهكت محارم الله، ولا يغضب لله، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يجاهد في سبيل الله-: فهذا فاسق مارق، بل كافر وإن أظهر الإسلام فهو منافق، وإن كان له نصيب من الزهد والعبادة ما كان فيه.

ومعلوم أن المؤمن لا يخلو من ذلك بالكلية، ومن خلا من ذلك بالكلية فهو منافق محض، وكافر صريح، إذ المؤمن لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ولا بد أن يتبرأ من الإشراك بالله وأعداء الله، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] الاستقامة: ٣٥٠ .

التأني والتروي، والرفق، وذم العجلة

* شهد أعرابي عند **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): بشيء كرهه، فقال له معاوية: كذبت، فقال الأعرابي: الكاذب والله متزمل في ثيابك. فقال معاوية وتبسم: هذا جزاء من عجل. الكامل في اللغة / ٢٧٧.

* ومن أمثال العرب: رب عجلةٍ تهب ريثا.[1] الكامل في اللغة / ١٨٤.

* وكان يقال: أناة في عواقبها دَرَك، خير من معاجلة في عواقبها فَوت. عيون الأخبار ٧٥ / ١.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٧): كان يقال: العجلة من الشيطان إلا في خمس، إطعام الطعام إذا حضر الضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب. تهذيب الحِلْية ٥٠٩ / ٢.

* وقَالَ **إبراهيم الْخَوَّاص** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩١): «الْعَجَلَةُ تَمْنَعُ مِنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ». شعب الإيمان (٦٤٧٧).

* وعن **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: مكتوب في الحكمة: الرفق رأس الحكمة. الزهد لوكيع (٤٥٨).

---

(١) يُضرب مثلا للرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف، والريث الإبطاء والتأخّر. الكامل في اللغة / ١٨٤

الزهد وذم الدنيا(١)

أ- فضل الزهد:

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات. ابن أبي الدنيا ٢/ ٩٢.

* وقال **أبو واقد الليثي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): تابعنا الأعمال ولم نجد شيئا أبلغ في طلب الآخرة من الزهد في الدنيا. الزهد لوكيع (٢)، الزهد لأبي داود (٣٢٢).

* وكان **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) يقول: الحمد لله الذي جعل مفر الأغنياء إلينا عند الموت، ولا نحب أن نفر إليهم عند الموت، إنّ أحدهم ليقول: ليتني صعلوك من صعاليك المهاجرين. الزهد لابن المبارك (٦١٣).

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أنّ الذمّ الوارد في الكتاب والسنّة للدنيا ليس هو رجعًا إلى زمانها الذي هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم القيامة، فإن الله تعالى جعلهما خِلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورًا.....
وليس الذم راجعًا إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهادًا ومسكنًا، ولا إلى ما أودع الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن، ولا إلى ما أنْبته فيها من الزرع والشجر، ولا إلى ما بثّ فيها من الحيوانات وغير ذلك، فإن ذلك كله من نعمة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع، ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته، وإنما الذمّ راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا، لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته، بل يقع على ما تضرّ عاقبته، أو لا تنفع كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ﴾ [الحديد:٢٠]. جامع العلوم والحكم / ٣٩٢- ٣٩٣.

* وقال **محمد ابن الحنفية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠): من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قَدْر. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٥.

* وقال رجل **لمحمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): أوصني قال: أوصيك أن تكون ملكًا في الدنيا والآخرة قال: كيف؟ قال: ازهد في الدنيا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٣٨.

* وقال **ابن السَّمَّاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣): الدُّنيا كلها قليلٌ، والذي بقي منها قليلٌ، والذي لكَ من الباقي قليلٌ، ولم يبقَ من قليلِك إلا قليل.[١].

وقد أصحبتَ في دار العزاء، وغدًا تصير إلى دار الجزاء، فاشترِ نَفسك لعلَّك تنجو. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٢.

---

(١) لو قارن العاقل حياته الدنيويّة بالحياة البرزخية لعلم أنه مغبونٌ ظالمٌ لنفسِه إن سخَّر اهتماماته في تحصيل لذائذه الدنيويّة فحسب.

وحياته الدنيويّة الحقيقية ليست هي كلّ عمره، فلو فرضنا رجلًا عُمِّر ثمانين سنة، فإن معدل عمرِه الحقيقي ما بين (١٥ - ٢٠) سنةً، وتفصيل ذلك: أننا لن نحسب (١٥) عامًا من عمره؛ لأنه زمن لا يُكلّف فيه غالبًا، والناس كلهم متشابهون في قضاء أوقات هذا العمر.

وسيقضي ثلث عمره نائمًا، إضافة إلى جزء من يومه يخلد فيه إلى الراحة بعد عناء التعب والإرهاق من العمل، أي حوالي (٢٥) سنة، وهذه الأوقات لا تُحسب عمره -في الأغلب الأعم-؛ لأنّ النوم أخو الموت، ويشترك الناس فيها.

فبقي من عمره (٤٠) عامًا.

وسيقضي أكثر من نصف عمره المتبقي في العمل، والسفر، والتنقل، وفي أكله وشربه، وقضاء حاجته.

فغالب الناس يعملون من الصباح إلى الظهر، وفترة الظهر يقضونها في الأكل والراحةِ والنوم.

فبقي من عمره الحقيقي في أعلى تقدير: (٢٠) عامًا.

فهل يليق بعاقلٍ أن يُفني هذا العمر القصير في اللهو واللعب، وفعلِ الحرام، وهو يعلم أنّ ضياعه يعني خسارته في الآخرةِ وندامته الشديدة؟

وهل يُقدِّم التمتع في هذا العمر القصير، ويخسر الحياة الباقية التي لا حدّ لها ولا عدّ؟

* وعن **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): حرامٌ على قلوبكم أن تُصيبَ حلاوةَ الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٧.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: إذا زهد العبد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها. تهذيب الحِلْية ٢/٣٧٢.

ب- معنى الزهد، وأنواعه، وبيان أخطاء بعض الناس في الزهد:(١)

* قال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): ليس الزُّهد بأكل الغَليظ، ولبس الخشن، ولكنه قِصَرُ الأمل، وارتقابُ الموت. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٦.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيكون الرجل زاهدًا ويكون له المال؟ قال: نعم! إن كان إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر.(٢) تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٧١.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يَقَعُ الْغَلَطُ فِي الزُّهْدِ مِن وُجُوهٍ كَمَا وَقَعَ فِي الْوَرَعِ:**
أَحَدُهَا: أَنَّ قَوْمًا زَهِدُوا فِيمَا يَنْفَعُهُم بِلَا مَضَرَّةٍ، فَوَقَعُوا بِهِ فِي تَرْكِ وَاجِبَاتٍ أَو مُسْتَحَبَّاتٍ، كَمَن تَرَكَ النِّسَاءَ وَاللَّحْمَ وَنَحْو ذَلِكَ..
وَالثَّانِي: أَنَّ زُهْدَ هَذَا أَوْقَعَهُ فِي فِعْلِ مَحْظُورَاتٍ، كَمَن تَرَكَ تَنَاوُلَ مَا أُبِيحَ لَهُ مِنَ الْمَالِ وَالْمَنْفَعَةِ وَاحْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ فَأَخَذَهُ مِن حَرَامٍ، أَو سَأَلَ النَّاسَ الْمَسْأَلَةَ الْمُحَرَّمَةَ، أَو اسْتَشْرَفَ إِلَيْهِمْ، وَالِاسْتِشْرَافُ مَكْرُوهٌ.
وَالثَّالِثُ: مَن زَهِدَ زُهْدَ الْكَسَلِ وَالْبَطَالَةِ وَالرَّاحَةِ، لَا لِطَلَبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ زَاهِدًا بَطَّالًا فَسَدَ أَعْظَمَ فَسَادٍ، فَهَؤُلَاءِ لَا يُعَمِّرُونَ الدُّنْيَا وَلَا الْآخِرَةَ. مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٥٠).
وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الزُّهْدُ لَا يَدُلُّ عَلَى صَلَاحٍ، فَإِنَّ بَعْضَ الرهبان قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الزُّهْدِ مَا لَا يطيقه كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. البداية والنهاية ١٠/ ١٤١.
(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأصل هو قطع علائق الباطن، فمتى قطعها لم تضره علائق الظاهر. فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك: لم يضرك ولو كثر، ومتى كان في قلبك: ضرك ولو لم يكن في يدك منه شيء.
وإنما يُحمد قطع العلائق الظاهرة في موضعين: حيث يخاف منها ضررا في دينه أو حيث لا يكون فيها مصلحة راجحة. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٥٨
وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت شيخ الإسلام يقول: الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما =

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): الزهد في الدنيا ثلاثة أشياء؛ أحبها إلى الله وأعلاها عند الله وأعظمها ثوابًا عند الله تعالى، الزهد في عبادة من عبد دون الله من كل ملك، وصنم، وحجر، ووثن.

ثم الزهد فيما حرم الله تعالى من الأخذ والإعطاء.

ثم يقبل على القرآء فيقول: زهدكم هذا يا معشر القرآء فهو والله أخسه عند الله؛ الزهد في حلالا الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٤٣٢/ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن زهد رجل فلا يجعلن زهده عذابا على الناس. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٩١.

* وسأل رجل **ربيعة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) فقال: يا أبا عثمان ما رأس الزهادة؟ قال: جمع الأشياء من حلها، ووضعها في حقها. الزهد لابن أبي الدنيا ٢/ ١٢٩، تهذيب الحِلْية ٥٣٣/ ١.

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: قلت **لأبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) يومًا: إني لأجد شيئًا يحزنني قال: وما هو يا ابن أخي؟ قلت: حبي الدنيا.

فقال لي: اعلم يا ابن أخي أن هذا الشيء ما أعاتب نفسي على حب شيء حببه الله تعالى إلي؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد حبب هذه الدنيا إلينا، ولكن لتكن معاتبتنا

= يخاف ضرره في الآخرة..

وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان وداود عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة، وكان عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وكذلك كان ابن المبارك والليث بن سعد. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ١٧٨-١٨٢

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة: ما الأفضل: الزهد فيما أباحه الله من هذه النعم أم التزود بها واستعمالها، قال: التحقيق: أنه إن شغلته هذه النعم عن الله فالزهد فيها أفضل، وإن لم تشغله عن الله وكان شاكرا لله فيها: فحاله أفضل، والزهد فيها: تجريد القلب عن التعلق بها والطمأنينة إليها. مدارج السالكين ٢/ ١٨٤.

أنفسنا في غير هذا، أن لا يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئًا من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئًا من شيء أحبه الله، فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرنا حبنا إياها. تهذيب الحِلْية ٥٢٧/ ١.

* وقال **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

* وقال **يحيى بن معاذ الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): كيف لا أحبّ دنيا قُدّر لي فيها قوتٌ، أكتسب بها حياةً، أُدركُ بها طاعةً أنالُ بها الآخرة. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن، وذلك أنه عمل قليلًا وأخذ زاده منها إلى الجنة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنه ضيّع لياليه، وكان زاده منها إلى النار. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨): ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لا بد منه. تهذيب الحِلْية ٤٢٧/ ٢.

* وقيل له: أي شيء الزهد في الدنيا؟.

قال: من إذا أنعم الله عليه نعمة فشكرها، وابتلي ببلية فصبر، فذلك الزهد.

قيل له: فإن أنعم عليه بنعمة فشكر، وابتلي فصبر وهو ممسك للنعمة، كيف يكون زاهدًا؟.

قال: من لم تمنعه البلوى من الصبر والنعمة من الشكر فذلك الزاهد. تهذيب الحِلْية ٤٢٧/ ٢.

* وسئل **ابن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الزهد ما هو؟ قال: الزهد فيما حرم الله، فأما ما

أحل الله فقد أباحه الله، فإن النبيين قد نكحوا وركبوا وأكلوا، ولكن الله نهاهم عن شيء فانتهوا عنه وكانوا به زهادًا.[(١)] تهذيب الحِلْية ٢/٤٤١.

* وقيل **لأبي صفوان الرعيني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وكان سفيان بن عيينة يجيء فيسلم عليه ويقف عليه-: ما الدنيا التي ذمها الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن التي ينبغي للعاقل أن يجتنبها؟ قال: كل ما أصبت من الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٨٥، جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): اختلفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال: الزهد في ترك لقاء الناس، ومنهم من قال: في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع، وكلامهم قريب بعضه من بعض، قال: وأنا أذهب إلى أنّ الزهد في ترك ما يشغلك عن الله عَزَّوَجَلَّ.[(٢)] تهذيب الحِلْية ٣/١٨٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تشهد لأحد بالزهد، فإن الزهد في القلب. جامع العلوم والحكم / ٣٨٩.

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن تلبيسه عليهم: أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات، فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير، ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد، وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم، وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئا فإذا وجدوا أكلوا، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فإن الماء الجاري يؤذي المعدة ولا يروي..

وينبغي للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود، فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط في تناول الشهوات فإن ذلك يؤذي البدن والدين. تلبيس إبليس:١٧١.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الذي قال أبو سليمان حسن، وهو يجمع جميع معاني الزهد وأقسامه وأنواعه. جامع العلوم والحكم / ٣٩٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح فيها، إنما الزاهد من ألقى غمها وتعب فيها لآخرته. تهذيب الحِلْية ١٩٤/ ٣.

* وسئل **فضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): ما الزهد في الدنيا؟ قال: القُنوع هو الزهد، وهو الغنى. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٧.

* وقال **يوسف بن أسباط** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٩): الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا.[1] تهذيب الحِلْية ٥٧/ ٣.

* وجاء رجل إلى **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠)، فجعل كأنه يذكر الزهد، فأقبل عليه وهيب فقال: لا تحمل سعة الإسلام على ضيقة صدرك. تهذيب الحِلْية ٣٥/ ٣.

* وقال **عبدالله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): الزاهد الذي إذا أصاب الدنيا لم يفرح، وإذا فاتته لم يحزن. ترتيب المدارك (١/ ٣٣٨).

* وقال ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مات **مالك بن أنس** (ت: ١٧٩) عن مائة عمامة، فضلًا عن سواها.

وقال ابن أبي أويس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جميع ما في منزله يوم مات من منصات وبرادع وبُسط ومخادد محشوة بريش وغير ذلك، بنيِّفٍ على خمسمائة دينار.

قال محمد بن عيسى بن خلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خلَّف مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسمائة زوج من النعل، وقد اشتهى يومًا كساء قومسيًّا[2]، فما بات إلا وعنده منه سبعةٌ بُعثت إليه.

---

(١) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن للرياسة سكرة كسكرة الخمر أو أشد، ولو لم يكن للرياسة سكرة لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقية، فسكرتها فوق سكرة القهوة بكثير، ومحال أن يُرى من السكران أخلاق الصاحي وطبعه، ولهذا أمر الله تعالى أكرم خلقه عليه بمخاطبة رئيس القبط بالخطاب اللين، فمخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب شرعا وعقلا وعرفا. بدائع الفوائد: ٣/ ١٣٢.

(٢) القومسي: نسبة إلى قومس، وهي مدينة كبيرة واسعة في ذيل جبال طبرستان. معجم البلدان ٤/ ٤١٤.

فاجتمع في تركته ثلاثة آلاف وثلاثمائة ونيّف.[١] ترتيب المدارك (١/ ٢٤٧).

---

(١) الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون والعلماء والصالحون **ينقسمون إلى قسمين:**

قسم لا يرون بأسًا في انبساط الدنيا عليهم، بل إنّ بعضهم يسعى في التجارة واكتساب المال والمتاع الحلال كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابن المبارك والليث بن سعد رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

وبعضهم يَقبل هبات وعطايا الحكام، كالإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره.

وهؤلاء يرون التوسعة على أنفسهم وأهليهم وأكل الطيب من الطعام والشراب ولبس حَسَن الثياب.

وقِسم يرون في ذلك بأسًا وحرجًا، ويرون التضييق على أنفسهم والتقشف والزهد في كثير من الحلال.

ويقنعون بأقل القليل من الدنيا والطعام والشراب والمتاع والمسكن.

ومنهم من لا يقبل هبات وعطايا الحكام، كالفضيل بن عياض وسفيان الثوري وبشر الحافي والإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وقد اختلفوا في سياساتهم للحياة، وتعددت آراؤهم في التعامل مع النفس والناس، كاعتزال الحكام والدخول عليهم، ولزوم بعض العبادات أكثر من غيرها، ولازال الصالحون على هذا الاختلاف إلى يومنا هذا.

ومن المصيب منهم؟

كلهم مصيب في ذلك؛ لأنّ كلّ واحد منهم أخذ بما هو الأصح أو الأصلح له ديانةً أو دنيا.

ولكنهم اتفقوا على شيء واحد، وهو طلب رضا الله تعالى، والصدق والإخلاص في العلم والعمل والدعوة إليه.

وقد ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الزهد ليس برفض الدنيا من الملك، بل رفضها من تعلق القلب بها، وتقديم محبتها على محاب الله، وعلامة ذلك: أنه لو تعارض شيء منها مع أوامر الله: تُقدم أوامر الله عليها وعلى كل شيء.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين عند منزلة الزهد: فقد كان سليمان وداود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة، وكان عثمان وعلي وعبدالرحمن بن عوف والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وكذلك كان ابن المبارك والليث بن سعد رَحِمَهُمُ اللَّهُ. ا.هـ.

وما الأفضل: الزهد فيما أباحه الله من هذه النعم أم التزود بها واستعمالها؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: التحقيق: أنه إن شغلَتْه هذه النعم عن الله فالزهد فيها أفضل، وإن لم تشغله =

* وسئل **الإمامُ أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): **ما الزهد فِي الدنيا؟**.

قَالَ: قصر الأمل، والإياس مما فِي أيدي الناس. طبقات الحنابلة (١/ ٨٢).

* وقيل **لأبي الحسين بن سمعون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧): أيها الشيخ تدعو الناس إلى الزُّهد فِي الدنيا، والترك لها، وتلبسُ أحسَنَ الثياب، وتأكلُ أطيبَ الطعام، فكيف هَذَا؟.

فَقَالَ: كُلُّ ما يُصلحك لله فافعله، إِذَا صلح حالك مَعَ الله بلبس لَيِّن الثياب وأكْلِ طَيِّب الطعام فلا يَضُرّك.[١] طبقات الحنابلة (٣/ ٢٧٩).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): إنْ رأيت نفسك تصاغَرَت إليها الدنيا، أو دعتك إلى الزهادة فيها على حالٍ تعَذُّرٍ منها عليك، فلا يغرَّنك ذلك في نفسك على تلك الحال، فإنها ليست بزهادة، ولكنها ضَجر، واسْتِخْذاء[٢]، وتغيُّر نفس عندما أعجزك من الدنيا، وغضَبٌ منك عليها مما الْتوى[٣] عليك منها.

ولو تَمَّمْت[٤] على رفضها، وأمسكت عن طلبها: أَوْشَكْت أن ترى من نفسك من الضَّجر والجزع أشدّ من ضجرك الأول بأضعاف.

ولكن إذا دعتك نفسك إلى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك: فأسرعْ إلى إجابتها. الأدب الكبير (١٢٣).

=عن الله وكان شاكرا لله فيها: فحاله أفضل، والزهد فيها: تجريد القلب عن التعلق بها والطمأنينة إليها. ا.ه

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا هو الصحيح في فهم معنى الزهد، فالمعنى الحقيقي للزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، وتجريد القلب عن التعلق بالدنيا والطمأنينة والركون إليها.

(٢) أي: خُضوع، وذلٌّ، وانْقِياد.

(٣) أي: صعب عليك الوصول إليه.

(٤) أي: أمضيت وأنفذت.

ج- ذم الركون إلى الدنيا والفرح بمتاعها[(١)]:

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة أمثلة تبين حقيقة الدنيا، **أكتفي بأربعةِ أمثلة:**

١- رجل هيأ دارا وزينها ووضع فيها من جميع الآلات ودعا الناس إليها: فكلما دخل داخل أجلسه على فراش وثير وقدم إليه طبقًا من ذهب عليه لحم، ووضع بين يديه أوان مفتخرة فيها من كل ما يحتاج إليه وأخدمه عبيده فاستمتع بتلك الآلات والضيافة مدة مقامه في الدار، ولم يعلق قلبه بها ولا حدث نفسه بتملكها، بل اعتمد مع صاحب الدار ما يعتمده الضيف يجلس حيث أجلسه، ويأكل ما قدمه له ولا يسأل عما وراء ذلك اكتفاء منه بعلم صاحب الدار وكرمه وما يفعله مع ضيوفه، فدخل الدار كريمًا وتمتع فيه كريمًا وفارقها كريمًا، ورب الدار غير ذام له.

وأما الأحمق، فحدَّث نفسه بسكني الدار وحوز تلك الآلات إلى ملكه وتصرفه فيها بحسب شهوته وإرادته، فتخير المجلس لنفسه وجعل ينقل تلك الآلات إلى مكان في الدار يخبِّئُها فيه، وكلما قدم إليه ربها شيئًا أو آلة حدَّث نفسه بملكه واختصاصه به عن سائر الأضياف، ورب الدار يشاهد ما يصنع وكرمه يمنعه من إخراجه من داره حتى إذا ظن أنه قد استبد بتلك الآلات وملك الدار وتصرف فيها وفي آلاتها تصرف المالك الحقيقي واستوطنها واتخذها دارًا له أرسل إليه مالكها عبيده فأخرجوه منها إخراجا عنيفًا وسلبوه كل ما هو فيه ولم يصحبه من تلك الآلات شيء وحصل على مقت رب الدار له وافتضاحه عنده وبين مماليكه وحشمه وخدمه.

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل، فإنه مطابق للحقيقة، والله المستعان.

٢- قوم سلكوا مفازة فاجأهم العطش فانتهوا إلى البحر وماؤه أمر شيء وأملحه فلشدة عطشهم لم يجدوا طعم مرارته وملوحته فشربوا منه فلم يرووا، وجعلوا كلما ازدادوا شربا ازدادوا ظمأ حتى تقطعت أمعاؤهم وماتوا عطشًا، وعلم عقلاؤهم أنه مر مالح وأنه كلما ازداد الشارب منه ازداد ظمؤه فتباعدوا عنه مسافة حتى وجدوا أرضا حلوة فحفروا فيها قليبا فنبع لهم ماء عذب فرات فشربوا وعجنوا وطبخوا ونادوا إخوانهم الذين على حافة البحر: هلموا إلى الماء الفرات، وكان منهم المستهزئ، ومنهم المعرض الراضي بما هو فيه، وكان المجيب واحدًا بعد واحد. وهذا المثل بعينه قد ضربه المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال: (مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يقتله).

٣- مثل الإنسان ومثل ماله وعشيرته وعمله مثل رجل له ثلاثة إخوة فقضى له سفر بعيد طويل لابد له منه، فدعا إخوته الثلاثة وقال: قد حضر ما ترون من هذا السفر الطويل وأحوج ما كنت إليكم الآن، فقال أحدهم: أنا كنت أخاك إلى هذه الحال، ومن الآن فلست بأخ ولا صاحب وما عندي غير هذا، فقال له: لم تغن عني شيئًا، فقال للآخر: ما عندك؟ فقال: كنت أخاك وصاحبك إلى الآن وأنا معك حتى أجهزك إلى سفرك وتركب راحلتك ومن هنالك لست لك بصاحب، =

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): يا معشر المهاجرين، لا تكثروا الدخول على أهل الدنيا، فإنه مسخطة للرزق. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٣.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب.(1) ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٥.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن. ابن أبي الدنيا ٥/ ٨٧.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أراد الآخرة أَضَرَّ بالدُّنيا، ومن أَراد الدنيا أَضرَّ بالآخرة، فأَضِرُّوا بالفاني للباقي. الزهد لهناد (٦٦٤)، الزهد لوكيع (٧٠).

* وقيل **لعليّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): يا أبا الحسن صف لنا الدنيا؟

= فقال له: أنا محتاج إلى مرافقتك في مسيري، فقال: ما عندك أنت؟ فقال: كنت صاحبك في صحتك ومرضك وأنا صاحبك الآن وصاحبك إذا ركبت راحلتك وصاحبك في مسيرك فإن سرت سرت معك وإن نزلت نزلت معك وإذا وصلت إلى بلدك كنت صاحبك فيها لا أفارقك أبدا، فقال: إن كنت لأهون الأصحاب علي وكنت أوثر عليك صاحبيك فليتني عرفت حقك وآثرتك عليهما.

فالأول: ماله، **والثاني:** أقاربه وعشيرته وأصحابه، **والثالث:** عمله.

٤- **وهو من أحسن الأمثلة:** ملك بنى دارا لم ير الراؤون ولم يسمع السامعون أحسن ولا أوسع ولا أجمع لكل ملاذ النفوس منها، ونصب إليها طريقًا وبعث داعيًا يدعو الناس إليها وأقعد على الطريق امرأة جميلة قد زينت بأنواع الزينة وألبست أنواع الحلي والحلل، وممر الناس كلهم عليها، وجعل لها أعوانًا وخدمًا، وجعل تحت يدها ويد أعوانها زادا للمارين السائرين إلى الملك في تلك الطريق، وقال لها ولأعوانها: من غض طرفه عنك ولم يشتغل بك عني وابتغى منك زادا يوصله إلي فاخدميه وزوديه ولا تعوقيه عن سفره إلي، بل أُعينه بكل ما يبلغه في سفره، ومن مد إليك عينيه ورضى بك وآثرك على وطلب وصالك فسوميه سوء العذاب وأوليه غاية الهوان، واستخدميه واجعليه يركض خلفك ركض الوحش، ومن يأكل منك فاخدعيه به قليلًا ثم استرديه منه واسلبيه إياه كله وسلطي عليه أتباعك وعبيدك، وكلما بالغ في محبتك وتعظيمك وإكرامك فقابليه بأمثاله، قِلىً وإهانةً وهَجْرا، حتى تتقطَّع نفسُه عليك حسرات. عدة الصابرين/ ٢٧٦-٢٧٧.

(١) أي كوثبته من مكانه، يريد تقليل مدتها.

قال: أطيل أم أقصر؟ قالوا: بل أقصر قال: حلالها حساب، وحرامها النار. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٦.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): ما من أحد إلا وفي عقله نقص عن علمه وحلمه، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بزيادة في مال، ظل فرحًا مسرورًا، والليل والنهار دائبان في هدم عمره، ثم لا يُحْزِنُهُ[1] ذَلِكَ، ضل ضلاله، ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص؟. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٣.

* وقال أيضا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الحمد لله الذي جعل الأغنياء يتمنون أنهم مثلنا عند الموت، ولا نتمنّى أننا مثلهم عند الموت، ما أنصفَنا إخوانُنا الأغنياء: يحبوننا على الدين، ويعادوننا على الدنيا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٤.

* وعن **عبد الله بن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: لا يصيب عبدٌ شيئًا من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كان عليه كريمًا. الزهد لابن أبي الدنيا: ٢٩٧،.

* وعن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: مررت مع **عبد الله بن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بخربة فقال: يا مجاهد، ناده: يا خربة، أين أهلك؟ قال: فناديت، فقال ابن عمر: ذهبوا، وبقيت أعمالهم. الزهد لابن المبارك (٥٩٣).

* **وقال الشاعر:**

يُؤَمِّـلُ دُنْيـا لِتبقَـى لـهُ ... فمـاتَ الْمُؤَمِّـلُ قَبـل الأمـلْ
يُرَبِّـي فسـيلا ويُعْنَـى بـه ... فعاشَ الْفَسِيلُ وماتَ الرَّجُلْ

* وقال الآخر:

وَكَـمْ نائـمٍ نـام فِـي غِبطَـةٍ ... أَتَتْـهُ الْمَنيَّـةُ في نَـوْمتِهِ

(١) في الأصل: يجزيه، والصواب المثبت.

وَكَـمْ مِـن مُقِيـمٍ علـى لَـذَّةٍ دَهَتْـهُ الْحَـوادِثُ في لَذَّتِـهِ
وكُلُّ جديـدٍ علـى ظهرهـا سـيأتي الزَّمـانُ على جِدَّتِـه

* وقال الآخر:

هي الدُّنْيا تُعذِّبُ من هواها وتُـورِثُ قلْبـه حُزنًـا وداء

المجالسة وجواهر العلم (٦٨).

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية، مشوهة خلقها، فتشرف على الخلائق، فيقال: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها، بها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم، واغتررتم، ثم تقذف في جهنم، فتنادي: أي رب أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: أَلْحِقُوا بها أتباعها وأشياعها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٧٢.

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: جاء ملك الموت إلى نوح، فقال: يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها؟ قال: كرجل دخل بيتا له بابان، فقام وسط البيت هُنَيَّة، ثم خرج من الباب الآخر. ابن أبي الدنيا ٥/ ١١٧.

* ولما كبر **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) خرجت له قرحة في ظهره، فكان إذا لبس دثارا ثقيلا -والشام أرض باردة- أثقله ذلك وغمَّه، فقال: اصنعوا لي دثارا خفيفا دفيئا، فصُنع له، فلما ألقي عليه تسار إليه ساعة ثم غمه، فقال: جافوه عني، ثم لبسه، ثم غمه، فألقاه، ففعل ذلك مرارا، ثم قال: قبحك الله من دار! ملكتك أربعين سنة؛ عشرين خليفة، وعشرين أميرا، ثم صيرتني إلى ما أرى؟! قبحك الله من دار. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٢.

* وقال **أبو ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٥): إِنَّ خَلِيلِي أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ دَعَانِي فَأَجَبْتُهُ،

فَقَالَ: «أَتَرَى أُحُدًا؟» فَقُلْتُ: أَرَاهُ، فَقَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي مِثْلَهُ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ».

قال أبو ذر: ثُمَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا، لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا.

فقيل له: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الْعَطَاءِ؟.

قَالَ: خُذْهُ؛ فَإِنَّ فِيهِ الْيَوْمَ مَعُونَةً، فَإِذَا كَانَ ثَمَنًا لِدِينِكَ فَدَعْهُ. صحيح مسلم (٩٩٢).

* وعن **أبي موسى الأشعري** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: ما يُنتظر من الدنيا إلا كلّ محزن أو فتنة تُنتظر. الزهد لوكيع (٦٦).

* وقال **عمرو بن حريث** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٥) وغيره: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصُفّة[1]: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشور:٢٧]، وذلك أنهم قالوا: لو أنّ لنا الدنيا، فتمنوا الدنيا.[2] الزهد لابن المبارك (٥٠٩).

* وكتب **زر بن حبيش** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٣) إلى عبد الملك بن مروان كتابًا يعظه فيه، وكان في آخر كتابه:

ولا يُطْمعنك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك، فأنت أعلم بنفسك، واذكر ما تكلم به الأولون:

إذا الرجال وُلُدت أولادُها … وبَليت مِن كبر أجسادها

وجعلت أسقامها تعتادها … تلك زروعٌ قد دنا حصادها

فلما قرأ عبد الملك الكتاب، بكى حتى بل طرف ثوبه، ثم قال: صدق زر،

---

(١) الصفة: موضع في مؤخر مسجد النبي ﷺ، كان يأوي إليه مِن فقراء أصحاب النبي ﷺ الذين ليس لهم أهل ولا مكان يأوون إليه، فسموا أهل الصفة.

(٢) فإياك أن تسأل الله أن يبسط لك الدنيا، وأن يُكثر مالك، فربما طغيت وبغيت، كما هو حال أكثر من بسط الله له الدنيا، واسأل الله رزقا يكفيك، وأن يبارك لك فيه.

ولو كتب إلينا بغير هذا لكان أرفق. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٣.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): عجبًا لقوم يعملون لدارٍ يرحلون عنها كلَّ يوم مرحَلة، ويدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كلَّ يوم مرحلة!. صفة الصفوة ٢/ ٤٩٤.

* وكان يُقال: مثل الذي يريد أن تجتمع له الدنيا والآخرة كمثل عبد له ربَّان، لا يدري أيهما يرضي. الزهد لهناد (٦٦٢).

* وكان **عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية** (ت: ٨٩) خِلًّا لعبد الملك بن مروان رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فلما مات عبد الملك وتصدع الناس عن قبره، وقف[1] عليه، فقال له: أنت عبد الملك الذي كنت تَعدني فأرجوك، وتُوعدني فأخافك؟ أصبحتَ وليس معك من مُلْكك غير ثوبك، وليس لك منه غير أربعة أذرع في عرض ذراعين!.

ثم انكفأ إلى أهله، واجتهد في العبادة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٣.

* وكان **بشير بن كعب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١) يقول: انطلقوا حتى أريكم الدنيا!، فيجيء بهم إلى السوق -وهي يومئذ مزبلة- فيقول: انظروا إلى دجاجهم، وبطهم، وثمارهم. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٦٧.

* وقال **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): كم بينكم وبين القوم؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا منها، وأدبرت عنكم فاتبعتموها. الزهد لابن المبارك (٥٠٦).

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): فرحك بالدنيا يذهب بحلاوة العبادة، وهمك بالدنيا يذهب بالعبادة كلها.[2] ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٦٤.

---

(١) في المطبوع: وقل، ولعله خطأ مطبعي.

(٢) وإذا كان المريض ينظر إلى طيِّب الطعام فلا يشتهيه من شدة الوجع، ولو أكله ما تلذّذ به:=

* وقال الشاعر:

رأيت أخا الدنيا وإن بات آمنا　　على سفر يسري به وهو لا يدري

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٣.

* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

أَشَدُّ الغَمّ عِنْدي في سُرورٍ　　تَيَقّنَ عَنهُ صاحِبُهُ انْتِقالا[1]

ديوان المتنبي (١٨٢).

* وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) قال: مات بشر بن مروان فدفن، ثم مات أسود فدفن إلى جنبه، فمررت بقبرهما بعد ثالثة فلم أعرف أحدهما من قبر صاحبه، فذكرت قول الشاعر:

والعطيَّاتُ خساس بينهم　　وسواء قبر مُثْرٍ ومُقِلّ

ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣١.

* وقال الشاعر:

جهول ليس تنهاه النواهي　　ولا تلقاه إلا وهو ساهي
يُسَرُّ بيومه لعِبًا ولهوًا　　ولا يدري وفي غده الدواهي
مررت بقصره فرأيت أمرًا　　عجيبًا فيه مزدجَرٌ وناهي
بدا فوق السرير فقلت: من ذا　　فقالوا: ذلك الملك المباهي
رأيت الباب سُوِّد والجواري　　ينحن وهن يكسرن الملاهي
تبيَّنْ أي دار أنت فيها　　ولا تسكن إليها وادر ما هي

=فكذلك صاحب الدنيا، الذي صرف جلّ همّه لها، لا يلتذُّ بالعبادة، ولا يجد حلاوتها، وليس في الدنيا وأحلى ولا ألذّ منها.

(١) يقول: السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه فهو عندي أشد الغم لأنه يراعي وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور. شرح ديوان المتنبي للواحدي (١١١).

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٤٢.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما في الدنيا شيء يسرّك، إلا وقد ألزق به شيء يسوءك. صفة الصفوة ٢/ ٤٩٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما مضى من الدنيا فحلم، وما بقي فأمانيّ. المنتظم ٣٢/ ٨.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن قليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة، وإن كثيرها ينسيك قليلها، وإن كنت تطلب من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يجزيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس فيها شيء يغنيك. تهذيب الحِلْية ٥٢٠/ ١.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعمةُ الله فيما زوى عني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها، لأني رأيتُه أعطاها قومًا فهلكوا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٣٧.

* وقال **بعض السلف**: ما أدري أنعمة الله عليّ فيما بسط أعظم، أو نعمته علي فيما زوى عني؟ الزهد لابن المبارك (٤٠٤).

* وقد **قيل**: إذا أقْبلت الدنيا على إنسان أعارتْهُ محاسن غيره، وإذا أدْبرتْ عنه سلبتْهُ محاسن نَفْسِهِ.(١) درر الحكم لأبي منصور الثعالبي (٣٣).

* وقال **محمد بن كعب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): الدنيا دار فناء ومنزل بُلْغة، رَغِبت عنها السعداء، وأسرعت من أيدي الأشقياء، فأشقى الناس بها أَرْغب الناس فيها، وأسعد الناس فيها أزهد الناس بها، هي المعذِّبة لمن أطاعها، المهلكة لمن اتَّبعها، الخائنةُ لمن انقاد لها، عِلْمُها جهل، وغناؤها فقر، وزيادتها نقصان، وأيامها دول.

(١) صدق وأحسن من قال: متاع الدنيا من الزينة والجاه والغِنى إنما هو لباسٌ لغيرك خُلِع منه وأُلْبِسْتَ إيّاه.
فلا تغترّ به فسوف يُخلع منك كما خُلِع من غيرك.

تهذيب الحِلْية ٦ ٥١/ ١.

* ومر **بعض السلف** على قوم فقيل: هؤلاء زهّاد، فقال: ما قدْر الدنيا حتى يُحمد من زهد فيها؟ أدب الدين (١٩٨).

* وقال **الشاعر**:

لَـو كَانَ عُمـرُكَ أَلْـفَ حَولٍ كامِلٍ ... لَـم تَذْهـبِ الأَيَّـامُ حتَّـى تَنْقَطِـعْ
إنَّ الْمَنِيَّـةَ لا تَـزَالُ مُلِحَّـةً ... حَتَّـى تُشَـتِّتَ كُلَّ أمْـرٍ مُجْتَمِـعْ
لَعِبَـتْ بِنـا الدُّنْيـا وكيـفَ تَغُرُّنـا ... أم كيفَ تَخْدَعُ من تشاءُ فَيَنخَدِعْ
والْمَـرءُ يُوطِنُهـا ويَعلـمُ أنَّـهُ ... عنهـا إلـى وطَـنٍ سِـواها مُنْقلِـعْ

المجالسة وجواهر العلم (٣٩٨).

* وأخذ **مسروقٌ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣) بيد ابن أخ له فارتقى به على كناسة بالكوفة قال: ألا أريك الدنيا، هذه الدنيا أكلوها فأفنوها، لبسوها فأبلوها، ركبوها فأنضوها[1]، سفكوا فيها دماءهم، واستحلوا فيها محارمهم، وقطعوا فيها أرحامهم. تهذيب الحِلْية ٣٠٥/ ١.

* وقال **أبو العتاهية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣):

أرى الدنيـا لمـن هـي في يديـه ... عَذابـا كلمـا كثـرت لديـه
تهيـن المكرميـن لهـا بصُغْـر ... وتكـرم كل مـن هانـت عليـه
إذا استغنيت عـن شـيء فدعـه ... وخـذ مـا أنـت محتـاجٌ إليـه

* وبعث إلي هارون الرشيد، وقد زخرف مجالسه، وبالغ فيها وفي بنائها، ووضع فيها طعامًا كثيرًا، ثم وجه إلى **أبي العتاهية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأتاه، فقال: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا؟ فأنشأ يقول:

(١) أنضى البعير: أي هزَله.

عش ما بدا لك سالمًا في ظل شاهقة القصور.

فقال: أحسنت! ثم ماذا؟ فقال:

يُسعى عليك بما اشتهيت مع الغدوّ وفي البكور.

فقال: أحسنت أيضًا! ثم ماذا؟ فقال:

فإذا النفوس تقعقعت في ضيق حشرجة الصدور.

فهناك تعلم موقنًا ما كنت إلا في غرور.

فبكى هارون، فقال: الفضل بن يحيى: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره، فأحزنته! فقال هارون: دعه، فإنه رآنا في عمى، فكره أن يزيدنا عمى. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٢.

* وقال **بعضهم**: ترك التلبس بالدنيا قبل التشبث بها أهون من رفضها بعد ملابستها. أدب الدين (١٩١).

* **ووُجد في حجر مكتوب**: يا بن آدم، لو إنك رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو من أملك، ولرغبت في الزيادة في عملك، ولقصَّرت في حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، وتبرأ منك القريب، وانصرف عنك الحبيب، فلا أنت إلى أهلك بعائد، ولا في عملك بزائد. البيان والتبيين (٣/ ١١٤).

* وقال **بعض السلف**: ابن آدم، إنما أنت جيفة منتنة، طيَّبَ نسيمَك ما رُكِّب فيك من روح الحياة، فلو قد نزع منك روحُك أُلقِيتَ جثةً ملقاه، وجيفةً منتنة، وجسدًا خاويًا، وقد جَيَّف بعد طيبِ ريحه، واستُوحش منه بعد الأنس بقربه، فأيُّ الخليقة ابن آدم منك أجهل؟ وأي الخليقة منك أعجب؟ إذا كنت تعلم أنَّ هذا مصيرك، وأن التراب مقيلك، ثم أنت بعد هذا لطول جهلك تَقَرُّ بالدنيا عينًا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٤٧.

* وقال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): إنّ مَن كان قبلنا كانوا يجعلون

للدنيا ما فضلَ من آخرتهم، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم. صفة الصفوة ٣/ ٧١.

* واحتُضر رجل بالمدينة فقال: لا تغرنكم الدينا فقد غرتني!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٨٦.

* ودخلوا على رجل وهو في الموت فقال: سخرت بي الدنيا حتى ذهبت أيامي!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٨٦.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء - يعني الدنيا-. تهذيب الحِلْية ١/٤٢١.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): يابن آدم بعْ دنياك بآخرتك تربحْهما جميعًا، ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعًا. صفة الصفوة ٣/ ١٦٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لقد أدركت أقوامًا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم، ولقد كانوا أشفق من حسناتهم أن لا تقبل منهم منكم أن تؤاخذوا بسيئاتكم. الزهد لأحمد: ٤٤٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لقد أدركت أقوامًا وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب، فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها، فما زالوا كذلك على ذلك فوالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، وإنكم أصبحتم في أجل منقوص، والعمل محفوظ، والموت والله في رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عَزَّوَجَلَّ في كل يوم وليلة. الزهد لأحمد: ٤٨١.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا ذكر صاحب الدنيا يقول: والله ما بَقِيتْ له ولا بقي لها، ولا سَلِم من تَبِعَتِها ولا شرِّها ولا حِسَابها، ولقد أُخْرج منها في خِرْقة! تهذيب الحِلْية ٣٣٠/ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله ما أحدٌ من الناس بسط الله عَزَّوَجَلَّ له دنيا فلم يخف أن يكون قد مُكر به فيها إلا كان قد نَقَصَ عِلْمُه وعَجَزَ رأْيُه، وما أمسكها الله عَزَّوَجَلَّ عن عبدٍ فلم يظن أنه قد خِير له فيها إلا كان قد نَقَصَ عِلْمُه وعَجَزَ رأْيُه.[١] الزهد لأحمد: ١٠٤.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قول الله ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الليل:٨]: بخل بما لا يَبْقى، واستغنى بغير غَناء.[٢] الزهد لابن المبارك (١١٩٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: منهومان[٣] لا يشبعان: منهوم في العلم لا يشبع منه، ومنهوم في الدنيا لا يشبع منها.

فمن تكن الآخرة همّه، وبثّه[٤]، وسَدَمه[٥]: يكفي الله ضيعته[٦]، ويجعل غناه في قلبه.

ومن تكن الدنيا همّه، وبثّه، وسَدَمه: يُفشي[٧] الله عليه ضيعته، ويجعل فقره

(١) قال ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْآثَارُ عَنِ السَّلَفِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي فَضْلِ الصَّبْرِ عَلَى الدُّنْيَا وَالزُّهْدِ فِيهَا، وَفَضْلِ الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا بِالْكَفَافِ، وَالِاقْتِصَارِ عَلَى مَا يَكْفِي دُونَ التَّكَاثُرِ الَّذِي يُلْهِي وَيُطْغِي: أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا كِتَابٌ، أَوْ يَشْتَمِلَ عَلَيْهَا بَابٌ، وَالَّذِينَ زَوَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُمُ الدُّنْيَا مِنَ الصَّحَابَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً. جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٢٧.

(٢) بخل بما لا يَبْقى، وهي الدنيا الفانية، واستغنى بغير غناء، أي: بغير نفع، وكلّ ما سوى الله فليس غناء ولو كان ملْءُ الأرض، ومن استغنى بالله فهو الغني ولو كان لا يملك من الدنيا إلا ثوبه.

(٣) النّهم: الولوع بالشيء ومحبته والميل إليه.

(٤) أي: أكْثر من ذكره ونشره والتحدّث به.

(٥) أي: لهجه وهمّه وولوعه به.

(٦) ضيعة الرجل: ما يكون منه معاشه، كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك.

(٧) أي: يُكثر معاشه وأشغاله وهمومه.

بين عينيه، ثم لا يصبح إلا فقيرا، ولا يمسي إلا فقيرا. مسند الدارمي (٣٤٣).

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: إن هؤلاء الملوك قد تركوا لكم الآخرة، فاتركوا لهم الدُّنيا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٠٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: إنما سميت الدنيا لأنها دنية، وإنما سمي المال لأنه يميل بأهله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٣.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينشد من قول ابن حطان:

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها … على أنهم فيها عراة وجوع

أراها وإن كانت قليلا كأنها … سحابة صيف عن قليل تقشع

ابن أبي الدنيا ٥/ ١٢٠.

* وقال له رجل: أوصني، قال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها، والسلام. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٠٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أردت أن تعرف قدر الدنيا؛ فانظر عند من هي![1] ابن أبي الدنيا ٥/ ١٥١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ازداد عبدٌ علما، فازداد في الدنيا رغبة، إلا ازداد من الله بعدا. مسند الدارمي (٤٠٠).

* وسئل **سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣): بِمَ يَسْهُلُ على الْعَبْدِ تَركُ الدُّنْيا وَكُلِّ الشَّهواتِ؟ قال: بِتشاغُلهِ بما أُمِر به.[2] تفسير القرطبي (٥/ ٥٧).

---

(١) عند أهل الغفلة والشّره والجهل والطمع -غالبًا-، فهل يليق بالمؤمن اللبيب أنْ يكون في صفّهم، ويتمنى أن يكون مثلهم؟

(٢) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فبقدر انشغال المؤمن بما أُمر به وجوبًا واستحبابًا انصرف قلبه عن الدار الدنيا وملذّاتها إلى الدار الآخرة، وسهلت عليه الطاعات، وعافت نفسُت مقارفة المعاصي واللهو، وعلت همّتُه، وزكت نفسُه.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): رَهبَةُ العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادتُه في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالًا، لا أحاسب بها في الآخرة، لكنت أتقذرها، كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٥١، تهذيب الحِلْية ٩/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليست الدار دار إقامة، وإنما أهبط آدم إليها عقوبة. تهذيب الحِلْية ١٠/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مالكم وللملوك؟ ما أعظم منّتهم عليكم، قد تركوا لكم طريق الآخرة، فاركبوا طريق الآخرة، ولكن لا ترضون، تبيعونهم بالدنيا ثم تزاحمونهم على الدنيا، ما ينبغي لعالم أن يرضى هذا لنفسه. تهذيب الحِلْية ١٩/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدخول في الدنيا هين، لكن التخلص منها شديد. ابن أبي الدنيا ٥/ ١١٥.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيت أحدا عظم الدنيا فقرت عينه فيها، ولا انتفع بها، وما حقَّرها أحد إلا تمتَّع بها. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٤٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علامة الزهد في الناس إذا لم يحبّ ثناء الناس عليه، ولم يبال بمذمتهم، وإن قدرت أن لا تعرف فافعل، وما عليك ألا يثنى عليك؟ وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله عَزَّوَجَلَّ؟ الآداب الشرعية ٢/ ١٦٧.

* وعن **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): قال: أوحى الله تعالى إلى الدنيا أن أخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك. تهذيب الحِلْية ١/ ٥١١.

* وكان **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا، فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار، قرأ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣١-١٣٢].

قال: الصلاة الصلاة رحمكم الله.

وكان يقول: إذا رأى أحدكم من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله فليأمرهم بالصلاة وليصطبر عليها، فإن الله يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ..﴾ ثم قرأ إلى آخر الآية الزهد لأبي داود (٣٥٦- ٣٥٧).

* وقال **أحمد بن أبي الحواريِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٠): من نظر إلى الدنيا نظرَ إرادة وحبٍّ أخرج الله نورَ اليقين والزهدِ من قلبه. تهذيب السِّير ٣/ ٩٨٥.

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): عملت في القرآن عشرين سنة، حتى ميزت الدنيا من الآخرة، فأصبته في حرفين وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ﴾ [القصص:٦٠] تهذيب الحِلْية ٤٩٧/ ٢.

* وقال **بعض الحكماء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما يكفي أهل الدنيا ما يعانون من كثرة الفجائع، وتتابع المصائب في المال والإخوان، والنقص في القوى والأبدان. ابن أبي الدنيا ٥/ ٨٣.

* وقال **بعضهم**:

إذا أبقت الدنيا على المرء دينَه ... فما فات من شيءٍ فليس بضائر

فما تعدلُ الدنيا جناحَ بعوضةٍ ... ولا وزن ريشٍ مِنْ جناحٍ لطائر

فما رضي الدنيا ثوابًا لمؤمنٍ ... وما رضي الدنيا عقابًا لكافر

البيان والتبيين ٣/ ٥٠٠.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): ألا إن العاقل المصيب من عمل ثلاثًا: تركَ الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى ربه قبل أن يلقاه. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدنيا أمير من طلبها، وخادم من تركها، الدنيا طالبة ومطلوبة فمن طالبها رفضته ومن رفضها طلبته، الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها، ليس من العقل بنيان القصور على الجسور، وخذ من الدنيا ما يبلغك الآخرة، ولا تأخذ من الدنيا ما يمنعك الآخرة. تهذيب الحِلْية ٢٦٠/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكرتك في الدنيا تلهيك عن ربك وعن دينك فكيف إذا باشرتها بجميع جوارحك. تهذيب الحِلْية ٢٦١/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيها المريدون إن اضطُررتم إلى طلب الدنيا، فاطلبوها ولا تحبّوها، وأشغلوا بها أبدانكم وعلِّقوا بغيرها قلوبكم، فإنَّها دار مَمَرّ وليست بدار مقرّ، الزاد منها والمَقِيل في غيرها. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدنيا خمرُ الشيطانِ، مَن سكِرَ منها لا يُفيق إلا في عَسكر الموتى نادمًا بين الخاسرين. صفة الصفوة ٤/ ٣٤١.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا ابن آدم لا يزال دينك متمزّقًا ما دام قلبك بحب الدنيا مُتعلقًا. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٢.

* وقال **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): إن الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها، ووضعها في غير سبيلها. تهذيب الحِلْية ٣٤٦/ ١.

* وعن **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: والله لكفى به ذنبًا أن الله يزهدنا

في الدنيا ونحن نرغب فيها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦، تهذيب الحِلْية ١٩٠/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: ألا صابر كريم لأيام قلائل، حرام على قلوبكم أن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا. تهذيب الحِلْية ٣٠٩/ ٢.

* وقال **الشاعر**:

أيا جامع الدنيا لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

ابن أبي الدنيا ٦/ ٩٨.

* وعن **محمد بن سوقة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: أمران لو لم نعذب إلا بهما، لكنا مستحقين بهما العذاب، أحدنا يزداد في دنياه فيفرح فرحًا، ما علم الله منه قط أنه فرح بشيء قط زيد في دينه مثله، وأحدنا ينقص من دنياه، فيحزن حزنًا ما علم الله منه قط أنه حزن على شيء نقصه من دينه مثله. تهذيب الحِلْية ١٢٧/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: كما لا تنظر الأبصار إلى شعاع الشمس، كذلك لا تنظر قلوب محبي الدنيا إلى نور الحكمة أبدًا. تهذيب الحِلْية ٣١٣/ ٢.

* وأتى رجلٌ **بعضَ الزهاد** فقال له الزاهد: ما جاء بك؟ قال: بلغني زهدك، قال: أفلا أدلك على من هو أزهد مني؟ قال: ومن هو؟ قال: أنت! قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك زهدت في الجنة وما أعد الله فيها، وزهدت أنا في الدنيا على فنائها وذم الله إياها، فأنت أزهد مني!! تهذيب الحِلْية ٣٤٤/ ٢.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): ليس من أعلام الحب أنْ تحب ما يبغض حبيبك، ذمّ مولانا الدنيا فمدحناها، وأبغضها فأحببناها، وزهَّدنا فيها فآثرناها ورَغِبنا في طلبها، وعَدَكم خراب الدنيا فحصَّنْتُموها، ونُهِيتُم عن طلبها فطلبتموها، وأُنْذِرْتم الكنوز فكنزتموها. تهذيب الحِلْية ٤٨٧/ ٢.

* وقال **أبو معاوية الأسود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٨): الخلق كلهم برهم وفاجرهم، يسعون في أقل من جناح ذباب.

فقال له رجل: ما أقل من جناح ذباب؟.

قال: الدنيا.(١) تهذيب الحِلْية ٦٧/ ٣.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): قال **عيسى ابن مريم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للحواريين: بحق أقول لكم ـ وكان عيسى كثيرًا ما يقول بحق أقول لكم ـ: أن أشدكم حبًا للدنيا أشدكم جزعًا على المصيبة. الزهد لأحمد: ١٤٤.

* وعن **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩) قال: ما شبهت الدنيا إلا كرجل نائم فرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك إذ انتبه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨.

* وقيل **لبعض الحكماء**: أي شيء أشبه بالدنيا؟ قال: أحلام النائم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨.

* ونزل **أعرابي** بقوم، فقدموا له طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك، فاقتلعوا الخيمة، فأصابته الشمس، فانتبه وقام وهو يقول:

ألا إنما الدنيا كظلٍّ بنيتَه ... ولا بدّ يومًا أنّ ظلَّك زائلُ

ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٩.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): من سأل الله تعالى الدنيا، فإنما يسأله طول الوقوف.(٢) تهذيب الحِلْية ٩٠/ ٣.

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد روى الترمذي وصحّحه (٢٣٢٠) أنّ رَسُول اللهِ ﷺ قال: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**».

وثبت في صحيح مسلم (٢٩٥٧) أنّ رسول الله ﷺ مَرَّ بِجَدْيٍ ميِّتٍ مقطوع الأذنين فقَالَ لأصحابِه: «**وَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**».

فكيف يركن عاقلٌ إلى الدنيا، ويجعل أكثر همّه بها، وجلّ شغله لها!

(٢) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد ثبت في صحيح مسلم (٣٧) أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا**».

وإذا كان هذا حال أغنياء الصحابة المهاجرين الفضلاء، فكيف بغيرهم؟

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي لنا أن لا نحبّ هذه الدار؛ لأنها دار يُعصى الله فيها، والله لو لم يكن منا إلا أنا أحببنا شيئا أبغضه الله تعالى لكفانا. الزهد للخطيب (١٣١).

* وعن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) قال: رأيت في النوم عجوزا شمطاء، مشوهة، تصفق بيديها، وخلفها خلق يتبعونها، ويصفقون ويرقصون، فلما كانت بحذائي أقبلت علي، فقالت: لو ظفرت بك صنعت بك ما صنعت بهؤلاء. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣١.

* وقَالَ **مُطَرِّف بن الشخّير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): لَوْ كَانَتْ لِيَ الدُّنْيَا كَمَا هِيَ، ثُمَّ سُئِلْتُهَا بِشَرْبَةٍ أُسْقَاهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَافْتَدَيْتُ بِهَا. تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٣١٨).

* وقال **الشاعر**:

وكم نائم نام في غبطة ... أتته المنية في نومته
وكم من مقيم على لذة ... دهته الحوادث في لذته
وكل جديد على ظهرها ... سيأتي الزمان على جِدتّه

ابن أبي الدنيا ٥/ ٨٢.

* وقال الشاعر:

وحَسْبك مِن صفاتِ الوا ... صفين بأنْ تُعَاينَها
أليس جديدُها يبلى ... ويفني الموتُ ساكنها؟

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٢٢.

* وقال **الشاعر**:

لا تغبطن أخا حِرصٍ على سعة ... وانظر إليه بعين الماقت القالي

إن الحريـص لمشـغول لشـقوته عن السرور بما يحوي من المال

ابن أبي الدنيا ٥/ ٨٥.

* وعن **عبيد بن عمير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧)،قال: الدنيا أمد، والآخرة أبد. ابن أبي الدنيا ٥/ ٨٩.

* وخطب **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) هذه الخطبة، وكان آخر خطبة خطبها: حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولم تتركوا سُدى، وإن لكم معادًا ينزل الله فيه، ليحكم بينكم ويفصل بينكم، وخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحرم جنة عرضها السموات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدًا إلا من حَذِر الله اليوم وخافه، وباع نافدًا بباق، وقليلًا بكثير، وخوفًا بأمان؟ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وستصير من بعدكم للباقين، وكذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين.

ثم إنكم تُشيِّعون كل يوم غاديًا ورائحًا، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، حتى تغيبوه في صدع من الأرض، ثم في شقٍّ صدع، ثم تتركوه غير ممهد ولا موسد، فارق الأحباب، وباشر التراب، ووجه للحاسب، مرتهنٌ بما عمل، غنيٌّ عما ترك، فقير إلى ما قدم.

فاتقوا الله وموافاته وحلول الموت بكم، أما والله إني لأقول هذا وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي، وأستغفر الله، وما منكم من أحد يبلغنا حاجته لا يسع له ما عندنا إلا تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي، حتى يكون عيشنا وعيشه واحدًا، أما والله لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولًا، وكنتُ بأسبابه عالمًا، ولكن سبق من الله كتاب ناطق، وسنة عادلة، دل فيها على طاعته، ونهى فيها عن معصيته ثم رفع طرف ردائه فبكى وأبكى من حوله. تهذيب الحِلْية ٢/ ٢٢٢.

* وخطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به إنكم لحمقى، وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكى، إنما خلقتم للأبد، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون.

عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غُصص، ومن شرابكم شرَق، لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه، وخالدون فيه، ثم غلبه البكاء فنزل. ابن أبي الدنيا ٥/ ١١٨.

* وقال **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): إن من كان قبلكم كانت الدنيا مقبلة عليهم وهم يفرون منها، ولهم من العزم مالهم، وإنكم تطلبون الدنيا وهي مدبرة عنكم، ولكم من الأحداث مالكم، فقيسوا أمركم وأمرهم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٩٥.

* وقال الشاعر:

هذه الدار مُلِّكها قبلنا ... عصبةٌ بادوا وخلوها لنا
فملكناها كما قد ملكوا ... وسيملكها أناس بعدنا
ثم تفنيهم وتفنى بعدهم ... ليست الدنيا لحي وطنا
عجبا للدار كم تخدعنا ... حسرة يا حسرة يا حزنا

ابن أبي الدنيا ٥/ ١٠٠.

* وقيل **لبعض الحكماء**: صف لنا قدر الدنيا ومدة البقاء؟.

فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك؛ لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، ومالم يأت فلا علم لك به، الدهر يوم مقبل تنعاه ليلته، وتطويه ساعته، وأحداثه تنتصل في الإنسان بالتغيير والنقصان، والدهر موكل بتشتيت الجماعات، وانخرام الشمل، وتنقل الدول، والأمل طويل، والعمر قصير، وإلى الله تصير الأمور. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٠٣.

* وقال **بعض الحكماء**: عجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة إليه، يشتغل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة.(١) ابن أبي الدنيا ٥/ ١٢٠.

* وقال **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك، وإنما بُلْغَتُه بانقضاء مدة أجلك، ثم سوَّفت بعملك، كأنَّ منفعته لغيرك. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٢١.

* وكتب **رجل عالم** إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد: فإن الدنيا ليست بدار مقامة، وإنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة، ومثلها مثل الحية مسها لين وفيها الموت، فكن فيها كالمريض الذي يُكره نفسه على الدواء رجاء العافية، وتدع ما تشتهي من الطعام رجاء العافية. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٢٣.

* وقال **الشاعر**:

عجبا لأمنك والحياة قصيرة ... وبفقدِ إلْفٍ لا تزال تُرَوَّع
أفَقَدْ رضيتَ بأنْ تُعلَّل بالْمُنى ... وإلى المنية كلَّ يوم تُدْفَع
لا تخدعنَّك بعد طولِ تجاربٍ ... دنيا تَكَشَّف للبلاء وتَصْرَع
أحلامُ نومٍ أو كظلٍّ زائلٍ ... إنَّ اللبيب بمثلها لا يُخْدع
وتزودنَّ ليومِ فقرك دائبا ... ألغيرِ نفسك لا أبالك تجْمَع؟

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٢٤.

* وكان **ابن السماك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣) يقول: من أذاقته الدنيا حلاوتها لميله إليها: جرعته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٢.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): إنما زهد الزاهدون في الدنيا اتقاء أن يشاركوا الحمقى والجهال في جهلهم. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٥٢.

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا الكلام يُكتب بماء الذهب، ولكن أين المتّعظ؟

* وقال بعض الحكماء: كل شيء فاتك من الدنيا غنيمة. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٥٢.

* وقال الشاعر:

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... عذابا كلما كثرت لديه
تُهين المكرَمين لها بصُغْر ... وتكرم كلَّ من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما كنت محتاجا إليه

ابن أبي الدنيا ٥/ ١٨٣.

* وقال الشاعر:

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدُّون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

ابن أبي الدنيا ٥/ ١٨٥.

* وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) أنه كان إذا تلى هذه الآية: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ⑤﴾ [فاطر:٥] قال: من قال ذا؟.

من خلقها، ومن هو أعلم بها.

قال: إياكم وما شَغل من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الأشغال، لا يفتح رجل على نفسه بابَ شغل، إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب. ذم الدنيا: (٦٠).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب، وحرامها عذاب، إن أخذه من حله حوسب بنعيمه، وإن أخذه من حرام عذب به، ابن آدم يستقل ماله، ولا يستقل عمله. ابن أبي الدنيا ٥/ ١١٠.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: أنه لم

يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٩٠.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): لو أن رجلا دخل على ملك من ملوك الدنيا، فقال: سلني، فقال: أسألك جزرَةَ بقْل! أكان حازما؟.

فوالله لَلدُّنْيا أهونُ على الله عَزَّوَجَلَّ مِن جزرَةِ البقْل على الملك.[1] ابن أبي الدنيا ٥/ ١٩٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله من الآخرة. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٥.

* وقال **بعض العلماء**: من زهد في الدنيا ملكها، ومن رغب فيها عبدها، فمن شاء فليعش فيها ملكا، ومن شاء فليعش فيها عبدا. الزهد للخطيب (١٣٤).

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): إنّ بُغيَتك منها ما يكفيك، فأقلّ عيشها يُغنيك، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما أكثر وألهى. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وسُئِل **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) فقيل له: مَن الناس؟ قال: العلماء.

قيل: فمَن الملوك؟ قال: الزهاد.

قيل: مَن السفلة؟ قال: من باع آخرته بدنيا غيره.

وقيل له: مَن أحسن الناس حالًا؟ فقال: من انقطع إلى ربه. ترتيب المدارك (١/ ٣٤٣).

---

(١) فلا يليق بالمؤمن أن يُكثر من سؤال الله تعالى من متاع الدنيا الزائل، ولْيُكثر من سؤال ما ينفعه في آخرته، كالهداية والعلم والثبات على الدين، وسؤال الجنة ورضا الرب جَلَّوَعَلَا.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

وَمَـنْ يَـذُقِ الدُّنْيَـا فَإِنّـي طِعْمَتُهَـا ... وَسِـيْقَ إِلَيْنَـا عَذْبُهَـا وعَذَابُهَـا
فَلَـمْ أَرَهَـا إِلَّا غُـرُوْرًا وبَاطِـلًا ... كَمَـا لَاحَ فِي ظَهْـرِ الفلَاةِ سَـرَابُهَا
وَمَـا هِـيَ إِلَّا جِيفَـةٌ مُسْـتَحِيْلَةٌ ... عَلَيْهَـا كِلَابٌ هَمُّهُـنَّ اجْتِذَابُهَـا
إِنْ تَجتنبها كُنْتَ سِلْمًا لأَهْلِهَا وَ ... إِنْ تَجْتَذِبْهَـا نَازَعَتْـكَ كِلَابُهَـا

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إنَّ لِلَّـه عِبَـــاداً فُطَنـــا ... تَرَكـوا الدُّنيـا وَخافـوا الفِتَنـا
نَظَـروا فيهـا فَلَمّـا عَلِمـوا ... أَنَّهـا لَيسَـت لِحَـيٍّ وَطَنـا
جَعَلوهـا لُجَّـةً[1] وَاتَّخَـذوا ... صالِـحَ الأَعمـالِ فيهـا سُـفُنا

ديوان الشافعي (٤٠، ١٦٣).

* وقالَت أم ولد **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): لَمَّا وَلَدتُ حَسَنًا أعطى مولاي كرامته امرأةً درهمًا وقال لها: اذهبي إلى ابن شجاع -جارٍ لنا قصَّاب- يشتري لك بهذا رأسًا، قَالَتْ: فاشترى لنا رأسًا وجاءت به فأكلنا، فقال لي: يا حُسْن: ما أَمْلك غير هذا الدرهم.

وقالت أيضًا: **كان إذا لم يكن عند مولاي أبي عبدالله شيء فَرِح**. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٨٥-٥٨٦).

* وقال **أَبُو زرعة الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤): ترك النَّبِيّ ﷺ الدنيا وهو واجدٌ لها، وقد ذمَّها، وقد عُرِضت عليه مفاتيحُ خزائنِ الدنيا والخلدُ فيها ثم الجنة، فأبى ذلك ﷺ. طبقات الحنابلة (٢/ ٦١).

* وقال **أبو الحسن البزار المحدث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤١٢): والله ما أحب الحياة

(١) اللجة: الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه.

للكسب ولا لتجارة، ولكن لذكر الله وللتَّحديث.[١] طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٢).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣): من عجيب ما نقدت أحوال الناس كثرة ما ناحوا على خراب الديار، وموت الأقارب والأسلاف، والتحسر على الأرزاق بذم الزمان وأهله، وذكر نكد العيش فيه، وقد رأوا من انهدام الإسلام، وتشعّث الأديان، وموتِ السُّنن، وظهور البدع، وارتكابِ المعاصي، وتقَضِّي العمر في الفارغ الذي لا يُجْدي، فلا أحد منهم ناح على دينه ولا بكى على فارط عمره ولا تأسى على فائت دهره، ولا أرى لذلك سببًا **إلا قلة مبالاتهم بالأديان وعظم الدنيا في عيونهم**، ضد ما كان عليه السلف الصالح: **يرضون بالبلاغ**[٢] **وينوحون على الدين**. الآداب الشرعية ٢/ ١٦٧.

* وقال **القاضي عبدالله بن طالب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٥): لَمَّا وُلِّيتُ وخرجت: وجدت أهل الأرض وقوفًا ينتظروني على الباب، فعلمت هوى الناس للدنيا.[٣] ترتيب المدارك (٢/ ٣٠٩).

* وقال الشاعر:

وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ نَعْرِفُهُ ... وَمِثْلُ ذَاكَ الْغِنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالِ

الآداب الشرعية ٢/ ١٠٢.

* وقال **الجنيدُ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٧): ما أخذنا التَّصوّف عن القال والقيل، بل عن الجوعِ، وتَرْكِ الدُّنيا، وقطعِ المألوفات.

(١) كل من كان صادقًا مع الله تعالى مُقبلًا عليه: قال مثل ذلك بلسانِ حاله أو مَقاله.

(٢) أي الشيء اليسير الذي يتبلّغون به في هذه الحياة القصيرة الفانية.

(٣) فعلى كلّ من تولى منصبًا مهما كان كبيرا أن يوقن أن الناس إنما عظَّموه ومدحوه واحترموه -بعدما تولى منصبه- لأجل منصبه، ولو تركَه لَنَسَوْه وهجروه، فلا ينبغي له أن يغتر بثنائهم، ولا يركن إلى تعظيمهم له.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): هذا حسن، ومُرادُه: قطعُ أكثر المألوفات، وتركُ فضول الدُّنيا وجوعٌ بلا إفراط، أمَّا من بالغ في الجوع كما يفعله الرُّهبان، ورفَضَ سائر الدُّنيا، ومألوفاتِ النَّفس، من الغذاء، والنوم والأهل، فقد عرَّض نفسه لبلاء عريض، وربما خُولِطَ في عقله، وفاته بذلك كثير من الحنيفيَّة السَّمحَة، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا، والسَّعادة في متابعة السُّنَنِ. فزِن الأمورَ بالعدل، وصُم وأفطِر، ونَم وقُمْ، والزمِ الورعَ في القوت وارضَ بما قسم الله لك، واصمُت إلاَّ من خَير، فرحمة الله على الجُنيد وأين مثلُ الجنيد في علمه وحاله؟.[1] تهذيب

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا يُنكر على من يتقرَّب إلى الله بترك جنس اللذات، كما قال النبي ﷺ للذين قال أحدهم: أمَّا أنا فأصوم لا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم لا أنام، وقال الآخر: أمَّا أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أمَّا أنا فلا آكل اللحم. فقال النبي ﷺ: «**لكنِّي أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليس مني**»..

والتحقيق: أنَّ العمل لا يُمدح ولا يُذمّ لمجرد كونه لذَّة، بل إنَّما يُمدح ما كان لله أطوع وللعبد أنفع، سواء كان في لذَّة أو مشقة، فربّ لذيذ هو طاعة ومنفعة، وربَّ مُشِقّ هو طاعة ومنفعة، وربَّ لذيذ أو مشقّ صار منهيًا عنه. الاستقامة / ٢٤٨

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا تبيَّن هذا، فاعلم أنَّ اللذَّة والسرور أمرٌ مطلوب، بل هو مقصود كل حيّ، وكونه أمرًا مطلوبًا ومقصودًا أمرٌ ضروريٌّ من وجود الحي، وهو في المقاصد والغايات بمنزلة الحس والعلوم البديهية في المبادئ والمقدمات..

وإذا كانت اللَّذَّة مطلوبة لنفسها، فهي إنّما تُذَمُّ إذا أعقبت ألمًا أعظم منها، أو منعت لذَّة خيرًا منها، وتُحمد إذا أعانت على اللَّذَّة المستقرَّة، وهو نعيم الآخرة التي هي دائمة عظيمة)..

وإذا عُرِفَ أنَّ لذَّات الدنيا ونعيمها إنَّما هي متاع ووسيلة إلى لذات الآخرة، وكذلك خُلقت، فكل لذَّة أعانت على لذَّات الآخرة فهو مما أمر الله به ورسوله، ويُثاب على تحصيل اللَّذَّة بما يثوب إليه منها من لذَّات الآخرة التي أعانت هذه عليها، ولهذا كان المؤمن يُثاب على ما يقصد به وجه الله من أكله وشربه، ولباسه ونكاحه، وشفاء غيظه بقهر عدوه في الجهاد في سبيل الله، ولذَّة علمه وإيمانه وعبادته وغير ذلك، ولذَّات جسده ونفسه وروحه من اللَّذَّات الحسيَّة والوهمية والعقلية.

وكل لذَّة أعقبت ألمًا في الدار الآخرة، أو منعت لذَّة الآخرة، فهي محرَّمة.

وأمَّا اللَّذَّة التي لا تعقب لذَّة في دار القرار ولا ألمًا، ولا تمنع لذَّة دار القرار، فهذه لذَّة باطلة؛ إذ=

السِّيَر ٣/ ١١٣٣.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ركب - أي: الملك **نور الدين محمود زنكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٨) - يومًا مع بعضِ أصْحابه والشمسُ في ظُهورِهما، وظِلُّها بين أيْدِيهما لا يدْرِكانِهِ، ثم رجَعا فصار الظل وراءَهم، فَساقَ الملكُ نور الدينِ وجعَل يلتَفِتُ وظلُّه يتْبَعهُ، ثم قال لصاحبِه: قد شَبَّهْتُ ما نحنُ فيه بالدنيا، تَهْرُبُ ممَّن يطْلُبُها، وتطلُبُ مَن يُهْرُبُ منها. وقد أنشَد بعضُهم في هذا المعنى:

مثَـلُ الـرِّزْقِ الـذي تطلُبُـه ... مثلُ الظلِّ الذي يمشي معكْ
أنـتَ لا تُـدْرِكُه مُتَّبِعًـا ... فـإذا وَلَّيْـتَ عنـه تَبِعَـك

البداية والنهاية ١٢/ ٣٦١.

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠):

يلذُّ بهذا العيش مَن ليس يعقل ... ويزهدُ فيه الألمعيُّ الْمُحَصِّلُ

ذيل الطبقات (٢/ ١٦٦).

د- قصص الزاهدين:

* عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: صليت مع **أبي بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) العصر، ثم انكفأت معه إلى منزله، فقال لامرأته أسماء بنت عميس: هل عندك طعام؟ قالت: لا والله ما من شيء، قال انظري، قالت: لا والله ما من شيء، فاعتقل شاة كانت وضعت من يومها، - وكان ذا شاة - فحلب من لبانها، ثم أفرغه في برمة، ثم أمر

= لا منفعة فيها ولا مضرَّة، وزمانها يسير، ليس لتمتع النفس بها قَدْر، وهي لا بد أن تشغل عمَّا هو خير منها في الآخرة، وإن لم تشغل عن أصل اللَّذَّة في الآخرة..

ومحبّة النفوس للباطل نقص، لكن ليس كل الخلق مأمورين بالكمال، ولا يمكن ذلك فيهم، فإذا فعلوا ما به يدخلون الجنة، لم يَحْرم عليهم ما لا يمنعهم من دخولها. الاستقامة / ٤١٧ - ٤٢١.

جاريته فطبخت، ثم أُتينا به، فأكل وأكلنا، ثم صلى وصلينا، ما توضأ ولا توضأنا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٢.

* وعن عتبة بن فرقد السلمي قال: قدمت على **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣)، وكان ينحر جزورا[1] كل يوم أطايبها للمسلمين وأمهات المؤمنين، ويأمر بالعنق والعلباء[2] فيأكله هو وأهله، فدعا بطعام، فأتي به، فإذا هو خبز خشن، وكسور من لحم غليظ، فجعل يقول: كل، فجعلت آكل البضعة[3] فألوكها فلا أستطيع أن أُسيغها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٣.

* وعن سعد بن أبي وقاص قال: قالت حفصة بنت عمر **لعمر** : يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبًا هو ألين من ثوبك، وأكلت طعامًا هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله عَزَّوَجَلَّ من الرزق، وأكثر من الخير؟! فقال: إني سأخصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان يلقى رسول الله ﷺ من شدة العيش، فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها: والله إن قلت ذلك، أما والله لئن استطعت لأشاركنهما[4] بمثل عيشهما الشديد، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي. تهذيب الحِلْية ١/ ٧٠، ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٨٥.

* وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيت **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقّع بين كتفيه أربع رقاع بعضها فوق بعض. الزهد لابن المبارك (٣٣٣)، الزهد لأبي داود (٧٤).

* وعن الحسن قال: رأيت **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) نائمًا في المسجد في

---

(١) الجَزُور: البَعِير.

(٢) وهي العصبة الممتدة في العنق.

(٣) أي: القطعة من اللحم.

(٤) يعني: النبيّ ﷺ وأبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ملحفة ليس حوله أحد، وهو أمير المؤمنين. تهذيب الحِلْية ٧٧/ ١.

* وعن عبد الملك بن شداد بن الهاد قال: رأيت **عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ، ثمنه أربعة دراهم أو خمسة دراهم. تهذيب الحِلْية ٧٨/ ١.

* وعن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: دخلت على **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) وهو يرعد تحت سَمَلِ قطيفة[١]، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع! فقال: والله ما أرزأكم[٢] من مالكم شيئًا، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي. تهذيب الحِلْية ٨٧/ ١.

* وعن علي بن الأرقم عن أبيه قال: رأيت **عليًا** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يبيع سيفًا له في السوق، ويقول من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته. تهذيب الحِلْية ٨٨/ ١.

* وكانت **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) تقسم في اليوم سبعين ألفًا، وإنها لترقع درعها. الزهد لابن المبارك (٧٠٥)، الزهد لأبي داود (٢٨٣).

* وعن **أبي ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: كان قُوتي على عهد رسول الله ﷺ صاعًا، فلا أزيد عليه حتى ألقى الله عَزَّ وَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١٣٨/ ١.

* وجاء رجل إلى **أبي ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعرض عليه نفقة، فقال أبو ذر: عندنا أعنز نحلبها، وحمر تنقل، ومحرَّرة تخدمنا، وفضل عباءة من كسوتنا، إني أخاف أن أحاسب على الفضل. تهذيب الحِلْية ١٣٩/ ١.

---

(١) السمل: القديم البالي من الثياب، والقطيفة: نسيج من القُطن.

(٢) أي: ما آخذ.

* وبيع متاع **سلمان** (ت: ٣٣) فبلغ أربعة عشر درهمًا. تهذيب الحِلْية ١/١٥٩.

* وعن ميمون بن مهران قال: دخلت منزل **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، فما كان فيه ما يسوي طيلساني[١] هذا. تهذيب الحِلْية ٢١٦/١.

* وقَالَ **أَبُو هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الْمُصْلِحِ أَجْرَانِ**»، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ[٢].

قَالَ سَعِيد بْن الْمُسَيِّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَبَلَغَنَا أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَمْ يَكُنْ يَحُجُّ حَتَّى مَاتَتْ أُمُّهُ لِصُحْبَتِهَا. صحيح البخاري (٢٥٤٨)، صحيح مسلم (١٦٦٥).

* وقيل **للأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): ألا تأتي الأمراء؟.

فأخرجَ جرّةً مكسورة فكبّها فإذا كِسَرٌ، فقال: مَن كان يُجزئه مثلُ هذا ما يصنع بإتيانهم؟. صفة الصفوة ٣/ ١٤٠.

* ودخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو **بسالم بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦)، فقال له: يا سالم سَلْني حاجةً، فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله.

فلما خرج في أثره، قال له: الآن قد خرجتُ، فسلني حاجةً، فقال له سالم: حوائج الدنيا أم حوائج الآخرة؟ فقال: بل حوائج الدنيا، فقال له سالم: ما سألت من يملكها[٣]، فكيف أسأل من لا يملكها؟. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٦.

---

(١) الطَيْلَسان: كساء يضعه بعض العلماء والمشايخ على الكتف.

(٢) لأنّ المملوك له أجران، ولأنه سيُحاسب عن نفسه وعن سيّده فقط، فيرد يوم القيامة خفيف الظهر، وفقراء المسلمين يسبقون أغنياءهم في دخول الجنة.

(٣) وليس ذلك لأنه لا يرى سؤال الله تعالى مصالح الدنيا التي يحتاجها كالصحة وصلاح الأهل =

* وعن مسلمة بن عبد الملك، قال: دخلت على **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) أعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسِخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين، قالت: نفعل إن شاء الله ثم عُدتُ، فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة ألَمْ آمرُكم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين، فإن الناس يعودونه؟ قالت: والله ماله قميصٌ غيره. صفة الصفوة ٢/ ٤٦٥.

* وعن مالك بن دينار قال: الناس يقولون: مالك بن دينار زاهد. إنما الزاهد **عمر بن عبد العزيز** الذي أتته الدنيا فتركها. تهذيب الحِلْية ١٩٨/ ٢.

* ودخل **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ على امرأته فقال: يا فاطمة عندك درهم أشتري به عنبًا؟ قالت: لا، فأقبلت عليه فقالت: أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري بها عنبًا!!.

قال: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدًا في نار جهنم. تهذيب الحِلْية ١٩٩/ ٢.

* وعن سهل بن صدقة، مولى **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: حدثني بعض خاصة آل عمر: أنه حين أفضت إليه الخلافة سمعوا في منزله بكاء عاليًا، فسألوا عن البكاء فقالوا: إن عمر خير جواريه فقال: قد نزل بي أمر قد شغلني عنكن[1]، فمن أحب أن أعتقه أعتقته، ومن أحب أن أمسكه أمسكته إن لم يكن مني إليها شيء، فبكين إياسًا منه. تهذيب الحِلْية ١٩٩/ ٢.

=والمعاش، فإن ذلك خلاف السنة كما سيأتي في آداب الدعاء، ولكنه كان في أتم الصحة والعافية والغنى، فلم تكن به حاجة لسؤال الله المزيد على ما أعطاه.

(١) لأنه اتخذ الإمارة تكليفًا لا تشريفًا، وشغلًا في مصالح المسلمين، ومن كانت هذه نيّته فلن ينشغل بالمتع والشهوات واللذات.

* وعن عبد الله بن مسلم، يحدث عن أبيه قال: دخلت على **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعنده كاتب يكتب، قال: وشمعة تزهر وهو ينظر في أمور المسلمين، قال: فخرج الرجل، وأطفئت الشمعة وجيء بسراج إلى عمر، فدنوت منه فرأيت عليه قميصًا فيه رقعة، قد طبق ما بين كتفيه قال: فنظر في أمري. تهذيب الحِلْية ٢٣٢/ ٢.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): أدركت أقواما كانت الدنيا تعرض لأحدهم حلالها فيدعها، فيقول: والله ما أدري على ما أنا من هذه إذا صارت في يدي. الزهد لابن المبارك (٤٧١).

* وقال رجل **لسُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): يا أبا عبد الله إن فيك لعَجَبًا، قال: يا ابن أخي ما الذي بان لك مني حتى عجبت؟ قال: تنقلك من بلد إلى بلد، إن للناس مأوى، وللسبع مأوى، ومالك مأوى تأوي إليه! فقال له سفيان: أي رجل كان المغيرة بن مقسم الضبي؟ قال: رجل صالح إن شاء الله، قال: وأي الرجال كان إبراهيم النخعي؟ قال: بخ بخ، قال: فأي الرجال كان علقمة؟ قال: لا تسأل، قال: فأي الرجال كان عبد الله بن مسعود؟ قال: الثقة الصدوق، فقال سفيان: حدثنا المغيرة بن مقسم عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: اقتحم على أهل الجنة نور في قبابهم كاد أن يخطف نوره أبصار القوم، فإذا نور سن حوراء ضحكت في وجه وليها، فما كنت أدع هذا الخير أبدًا لقولك، ثم أنشأ سفيان يقول:

ما ضر من كانت الفردوس مسكنَه ... ماذا تجرَّع من بؤسٍ وإقتار

تراه يمشي كئيبًا خائفًا وجلًا ... إلى المساجد يمشي بين أطمار

ثم أقبل على نفسه فقال:

يا نفس مالك من صبر على النار ... قد حان أن تُقْبلي من بعد إدبار

تهذيب الحِلْية ٣٦٦/ ٢.

* وحجّ الحَجَّاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغَداءِ، فقال لحاجبه: انظر من يتغدّى معي وأسأله عن بعض الأمر، فنظر نحو الجبل، فإذا هو **بأعرابيّ** بين شملتَين من شعرٍ، نائم، فضربه برجله وقال: إيت الأمير، فأتاه فقال له الحَجّاج: اغسل يَدَيْك وتغدَّ معي، فقال: إنه دعَاني من هو خيرٌ منك فأجبتُه قال: ومَن هو؟ قال: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، دعاني إلى الصوم فصُمت قال: في هذا الحرّ الشديد؟ قال: نعم صُمت ليومٍ أشدّ حرًّا من هذا اليوم قال: فأفطِر وصُمْ غدًا قال: إن ضَمِنْتَ لي البقاء إلى غدٍ قال: ليس ذاك إليَّ قال: فكيف تسألني عاجلًا بآجل لا تقدِر عليه؟ قال: إنه طعام طيّب، قال: لم تطيّبه أنت ولا الطباخ، إنما طيبته العافية. صفة الصفوة ٤/ ٥٥٢.

* وحكى حَرْمَلةُ بن يحيى أن **سفيان بن عُيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨) قال له -وأراه خبزَ شعير-: هذا طعامي منذ ستين سنة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٨٣.

* وعن شيخ أنه كان عنده كتاب بخطِّ **أحمدَ بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)، فقال: كنا عند ابن عيينة سنة، ففقدت أحمد بن حنبل أيامًا، فدُلِلت على موضعه، فجئتُ فإذا هو في شبيه بكهف في جياد[1]. فقلت: سلام عليكم، أدخلُ؟ فقال: لا ثم قال: ادخلْ، فدخلتُ، وإذا عليه قطعةُ لِبْدٍ خَلِق، فقلت: لم حجبتني؟ فقال: حتى استتَرت. فقلتُ: ما شأنك؟ قال: سُرِقت ثيابي قال: فبادرتُ إلى منزلي فجئتُه بمئة درهم، فعرضتُها عليه، فامتنع، فقلت: قرضًا، فأبى، حتى بلغت عشرين درهمًا، ويأبي، فقمت، وقلت: ما يحل لك أن تقتلَ نفسك قال: ارجعْ، فرجعت، فقال: أليس قد سمعت معي ابن عُيينة؟ قلت: بلى قال: تحب أن أنسخَه لك؟ قلت: نعم قال: اشترِ لي ورقًا قال: فكتب بدراهم اكتسى منها ثوبين. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٥.

(١) قال في الحاشية: موضع بمكة يلي الصفا.

* وكان **أحمدُ بنُ حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصلي بعبد الرزاق، فسها، فسأل عنه عبد الرزّاق، فأخبر أنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام شيئًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٥.

* وقال ابن أبي حاتم: حدثنا صالح بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ربما رأيتُ أبي يأخذ الكِسَر، ينفُضُ الغبار عنها، ويُصيِّرها في قصعة، ويَصُبُّ عليها ماءً ثم يأكُلُها بالملح. وما رأيتُه اشترى رمانًا ولا سفرجلًا ولا شيئًا من الفاكهة، إلا أن تكون بطيخة فيأكلها بخبز وعِنبًا وتمرًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٦.

* وعن عبد الملك الميموني أنه قال: حدَّثت أبا عبد الله أحمد بن حنبل: لما رأيت قَدْر عمي -**عمرو بن ميمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٥)- عند أبي جعفر قلت: يا عم، لو سألت أمير المؤمنين أن يقطعك قطيعة، فسكت عني، فلما ألححت عليه قال: يا بني، إنك لتسألني أن أسأله شيئًا قد ابتدأني به هو غير مرة، فقد قال لي يومًا: يا أبا عبد الله، إني أريد أن أقطعك قطيعة وأجعلها لك طيبة، وإن أحبابي وولدي وأهلي يسألوني ذلك، فآبى عليهم، فما يمنعك أن تقبلها؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إني رأيت لَهُمُّ الرجل على قدر انتشار ضيعته[1]، وإني يكفيني من همّي ما أحاطت به داري، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني فعل، قال: قد فعلت. فقال أحمد بن حنبل: أعده عليَّ. فأعدته عليه حتى حفظه. المنتظم ٩٣-٩٤ / ٨.

* وقال البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): أما زهده فِي الدُّنْيَا ومتاعها فَإِن الله تَعَالَى جعل ذَلِك لَهُ شعارا من صغره.. وَلَقَد اتّفق كلّ من رَآهُ خُصُوصا من أَطَالَ ملازمته أَنه مَا رأى مثله فِي الزّهْد فِي الدُّنْيَا، حَتَّى لقد صَار ذَلِك مَشْهُورا بِحَيْثُ قد اسْتَقر فِي قلب الْقَرِيب والبعيد من كل من سمع بصفاته على وَجههَا، بل لَو سُئِلَ عَامي من أهل بلدٍ بعيد من الشَّيْخ: من كَانَ أزهد

(١) في الأصل: صيته، وهو تصحيف، والمُثبت من كتاب: تاريخ الرقة لأبي علي محمد بن سعيد القشيري الحراني.

أهل هَذَا الْعَصْر وأكملهم فِي رفض فضول الدُّنْيَا وأحرصهم على طلب الآخرة؟ لقَالَ: مَا سَمِعت بِمثل ابْن تَيْمِية رَحْمَة الله عَلَيْهِ.

وَمَا اشْتهر لَهُ ذَلِك إِلَّا لمبالغته فِيهِ مَعَ تَصْحِيح النِّيَّة، وَإِلَّا فَمن رَأينَا من الْعلمَاء قنع من الدُّنْيَا بِمثل مَا قنع هُوَ مِنْهَا أَو رَضِي بِمثل حَالَته الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا؟.

لم يسمع أنه رغب فِي زَوْجَة وَلَا سُرِّيَّة وَلَا دَار وَلَا مماليك وَلَا بساتين وَلَا عقار وَلَا شدّ على دِينَار وَلَا دِرْهَم، وَلَا رغب فِي دَوَاب وَلَا نعم، وَلَا ثِيَاب ناعمة فاخرة، وَلَا حشم، وَلَا زاحم فِي طلب الرئاسات، وَلَا رئي ساعيا فِي تَحْصِيل الْمُبَاحَات، مَعَ أَن الْمُلُوك والأمراء والتجار والكبراء كَانُوا طوع أمره، خاضعين لقَوْله وَفعله، وادِّين أن يتقربوا إلى قلْبه مهما أمكنهم، مظهرين لإجلاله. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٤٥-٤٦).

هـ- أقوال وحكم في القناعة[(١)]:

* قال **سعد بن أبي وقَّاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) لابنه عمر: يا بنيّ إذا طلبت الغِنى فاطْلُبْه بالقناعةِ، فإن لم تكن لك قناعةٌ فليس يُغنيكَ مالٌ. عيون الأخبار ٣/ ١٨٧.

* وَسَأَلَ رَجُلٌ **عَبْدَ اللهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: «أَلَكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ»، قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا، قَالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ».[(٢)] صحيح مسلم (٢٩٧٩).

---

(١) ما بين المؤمن وبين عيشة وسعادة الملوك والأغنياء إلا القناعة! بل إنه بالقناعةِ يزيد عليهم أنسًا وسعادةً وراحة.

إذا ما كنت ذا قلب قنوع … فأنت ومالكُ الدنيا سواء

(٢) لأنه بالزوجة والخادم مطاع في أمره، وفي الدار محجوب إلا عن إذنه. أدب الدين (٣٤٣).

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): أهل الأموال يأكلون ونأكل، ويشربون ونشرب، ويلبسون ونلبس، ويركبون ونركب، لهم فضولُ أموالٍ ينظرون إليها، وننظر إليها معهم، عليهم حسابها، ونحن منها براء. الزهد لابن المبارك (٥٤٧).

* وقال **علي بن سهل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٠٧): اِلتَمَسْتُ الراحة فوجدتُها في اليأس. ذم الهوى: ٣٨٨.

* وقال **بعضهم**:

والنَّفسُ رَاغِبَةٌ إذا رَغَّبتَها ... وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

* وقال **الآخر**:

إن كان لا يُغنيكَ ما يكفيكا ... فكلّ ما في الأرضِ لا يُغنِيكا

عيون الأخبار ٣/ ١٨٦ -١٨٧.

* وقال **الآخر**:

غِنى النَّفْسِ ما يَكْفيكَ منْ سَدِّ فاقَةٍ ... فإنْ زادَ شيئًا عادَ ذاكَ الْغنَى فقرًا

المجالسة وجواهر العلم (٥٨٧).

* وقيل **لبعض العُباد** رَحِمَهُ اللَّهُ: قد نلت الغناء؟ قال: إنما نال الغناء من أُعتق من رق الدنيا. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٢.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٥): القناعة أول الرضا. تهذيب الحِلْية ٣/١٨٣.

* وقال **بعض السلف**: الناس ثلاثة أصناف: أغنياء وفقراء وأوساط.

فالفقراء موتى إلا من أغناه الله بعزّ القناعة.

والأغنياء سُكارى إلا من عصمه الله تعالى بتوقع الغِيَر[1].

---

(١) أي: تغيّر الزمان، وتقلّب الأحوال.

مأخوذ من قولك: غيّرت الشيء فتغيّر، فغِيَر الزمان: تغيّره وتقلّبه بقدرة الله.

وأكثر الخير مع أكثر الأوساط، وأكثر الشرّ مع أكثر الفقراء والأغنياء؛ لسخف الفقر وبَطَرِ الغني.[١] عيون الأخبار (١/ ٤٥٣).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

إِذا كنتَ ذا قلبٍ قنوعٍ فأنت ومالكُ الدنيا سواءُ

* **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رأيتُ القناعةَ رأسَ الغِنى فصرتُ بأذيالِها مُتْمَسِكْ
فلا ذا يراني على بابهِ ولا ذا يراني به مُنْهمِكْ
فصرتُ غنيًّا بلا درهمٍ أمُرُّ على الناسِ شِبْه الملكْ

ديوان الشافعي (٣٢، ١٣٣).

* وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): أتدري إذا سألك أهلُك حاجةً لا تقدر عليها، أيّ شيء لك من الأجر؟ **ما قلّ من الدنيا كان أقلَّ للحِساب.**

وقال: لو ترك الناس التزويج من كان يدفع العدو؟.

لبكاء الصبي بين يديْ أبيه متسخطًا يطلب منه خبزًا أفضل من كذا وكذا. الآداب الشرعية ٢/ ١٧٢-١٧٣.

* وقال **الشاعر**:

قنّع النفس بالكفاف وإلا طَلَبتْ منك فوق ما يكفيها

أدب الدين (١٩٩).

* وقال ابن الأنباري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنشدنا **إسماعيل بن إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠):

لا تعتبن على النوائب فالدهر يرغم كلَّ عاتب
واصبر على حدثانه إنَّ الأمور لها عواقب

---

(١) هذا الكلام يكتب بماء الذهب.

فلكلِّ صافية قذى ... ولكلِّ خالصةٍ شوائب

كم نعمة مطوية ... لك تحت أنياب النوائب

قال القاضي إسماعيل: ما عرض لي همٌّ فادح فذكرت هذه الأبيات إلا رجوت من رَوْح الله ما يحلُّ عقالي وينعم بالي، ثم تؤول عاقبة ما أحذره إلى فاتحة ما أُوثره. ترتيب المدارك (٢/ ٢٨٤).

* ومر **فتح الموصلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٠) بصبيين مع أحدهما كسرة عليها عسل، ومع الآخر كسرة عليها كامخ[١]، فقال الذي معه الكامخ للذي معه العسل: أطعمني من خبزك، قال: إن كنت كلبًا لي أطعمتك، قال: نعم! فأطعمه من خبزه وجعل في فمه خيطًا وجعل يقوده.

فقال فتح: لو رضيت بخبزك، ما كنت كلبًا لهذا.

قال أبو موسى: فهكذا الدنيا. تهذيب الحِلْية ٧٥/ ٣.

* وقال **الشاعر**:

ما كلُّ ما فوق البسيطةِ كافيًا ... فإذا اقتنعت فكلّ شيء كافي

نهاية الأرب ٣/ ٦٨.

* وقال الفتح بن خاقان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] (ت: ٢٤٧): دخلت يومًا على **المتوكل**[٣] (ت: ٢٤٧) فرأيته مطرقًا يتفكر فقلت له: ما هذا الفكر يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما على الأرض أطيب منك عيشًا ولا أنعم منك بالًا، فقال: أطيب عيشًا مني رجل له دار واسعة، وزوجة صالحة، ومعيشة حاضرة، لا يعرفنا فنؤذيه، ولا يحتاج إلينا فنزدريه. المنتظم ١٨٢/ ١١.

---

(١) نوع من الطعام، وهو لفظ غير عربيّ، ويُطلَق على المخللات.

(٢) وزير المتوكّل.

(٣) هو الخليفة جعفر بْن محمد بْن هارون.

* وقيل **بعض السلف**: متى يكون العبد عبدا؟ فقال: إذا رضي بالله وباختياره له. الزهد للبيهقي (٢٨٧).

* وقال **الشاعر**:

وَمَنْ كلَّفَتْهُ النَّفْسُ فوقَ كَفافِهَا فَما يَنْقَضي حتَّى الْمَماتِ عناؤُهُ

وقال **الآخر**:

إذا شِئْتَ أَنْ تَحْيا غَنِيًّا فلَا تكنْ علَى حالَةٍ إلَّا رضيتَ بدُونِها

* وقال **بعض الأدباء**: ربّ ضِيق أفضلُ من سَعة، وعَناءٍ خيرٌ من دَعة. أدب الدين (٣٥٤، ٣٦١).

* وقال **الشاعر**:

أَفَادَتْنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ وهَلْ عِزٌّ أعَزُّ مِنَ الْقناعَه؟
فَصَيِّرْها لِنفْسكَ رأْسَ مالٍ وصَيِّرْ بَعدهَا التَّقْوى بِضاعَه

الزهد الكبير للبيهقي (١١٦).

* وقال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧): من قنع طاب عيشه، ومن طمع طال طيشه.

وقال **الناظم**:

إن شِئْت عَيْشًا طيبا صفوًا بِلَا مُنَازع
فاقنع بِمَا أُوتِيتهُ فالعيش عَيْش القانع

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٧٩، ٢٩٦).

و- ترك ما في أيدي الناس:

* قال عبدالرزاق بن همّام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١١) -وذكر **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)- فدمعت عيناه، فقال: بلغني أنَّ نفقته نفدت، فأخذتُ

بيده فأقمته خلف هذا الباب -وأشار إلى بابه-، وما معي ومعه أحد، فقلت: إنه لا يجتمع عندنا الدنانير، وإذا بعنا الغلّة شَغَلْناها فِي شيء، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها، فأرجو أن لا تُنْفِقها حتى يتهيأ عندنا شيء، قَالَ: فقال لي: يا أبا بكر لو قَبِلْتُ شيئًا من الناس قَبِلْتُ منك. طبقات الحنابلة (٢/ ٨٤).

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **الشريف أَبُو جعفر عبدالخالق بن أبي موسى الهاشمي العباسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧٠): عالِمًا فقيهًا، ورعًا عابدًا، زاهدًا، **قوَّالا بالحق، لا يحابي، ولا تأخذه في الله لومة لائم.**

قال ابن عَقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان عند الإمام -يعني الخليفة- معظَّمًا، حتى إنه وَصَّى عند مَوته بأن يُغسِّله، تبركًا به.

وكان حول الخليفة ما لو كان غيره لأخذه، وكان ذلك كفايةَ عُمره، فوالله ما التفتَ إلى شيءٍ منه، بل خَرَج ونَسِيَ مئزره حتى حُمل إليه.

قَالَ: ولم يُشهَد منه أنه شرب ماءً في حلقة على شدة الحر، ولا غمس يده في طعام أحدٍ من أبناء الدنيا.

قال أَبُو الحسين ابن أبي يعلى وابن الجوزي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: لما احْتُضِر القاضي أَبُو يعلى أوصى أن يُغَسله الشريف أَبُو جعفر، فلما احتضر القائم بأمر الله قَالَ: يغسلني أَبُو جعفر، ففعل، ولم يأخذ مما هُناك شيئًا.

فقيل له: قد وصى لك أميرُ المؤمنين بأشياء كثيرة، فأبى أن يأخذَ.

فقيل له: فقميص أمير المؤمنين تتبرك به، فأخذ فوطة نفسه، فنشفه بها، وقال: قد لَحِقَ هذه الفوطَة بركةُ أميرِ المؤمنين، ولم يأخذ القميص.

قال أبو محمد التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما حسدتُ أحدًا إلاَّ الشريف أبا جعفر في ذلك اليوم، وقد نلتُ مرتبة التدريس والتذكير والسفارة بين الملوك، ورواية الأحاديث،

والمنزلة اللطيفة عند الخاص والعام، فلمَّا كان ذلك اليوم خرج الشريفُ علينا، وقد غسل القائم عن وصيته بذلك، ثم لم يقبل شيئًا من الدنيا، ثم انسلَّ طالبًا لمسجده، ونحنُ كلٌّ منا جالسٌ على الأرض متَحَفٍّ، متغيرٌ لونُه، مخرِّقٌ لثوبه، يهوله ما يَحدث به بعد مَوت هذا الرجل على قدر ما له تعلق بهم، فعرفتُ أن الرجل هو ذلك.

ورآه بعضهم في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قَالَ: لما وُضعتُ في قبري رأيتُ قبة من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب، وقائل يقول: هذه لك، أُدخل من أي أبوابها شئت.

ورآه آخر في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ قَالَ: التقيتُ بأحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال لي: يا أبا جعفر، لقد جاهدتَ في الله حق جهاده، وقد أعطاك الله الرضى. ذيل الطبقات ١/ ٢٩-٤٧.

* وكان **أبو الحسن بن داود المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٢) إمام داريّا، فمات إمام الجامع، فخرج أهل البلد إلى داريّا ليأتوا به، فلبس أهل داريا السلاح وقالوا: لا نمكنكم مِن أخذِ إمامنا، فقال أبو محمد عبدالرحمن بن أبي نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أهل داريا ألا ترضون أن يُسْمع في البلاد أن أهل دمشق احتاجوا إليكم في إمام؟ فقالوا: قد رضينا، فقُدّمت له بغلة القاضي فأبى وركب حماره، ودخل معهم، فسَكن في المنارة الشرقية، وكان يُقرئ، ولا يأخذ على الإمامة رِزْقا، ولا يَقبل ممن يقرأ عليه بِرًّا. معرفة القراء (٢/ ٦٩٣).

* وكان **الحسن بن الفضل أبو علي المقرئ المؤدّب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥١) من العالمين بالقراءات ووجوهها.

رآه ابن العلاف رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) (ت: ٤٤٢) يأكل الورَق، فأخبر الوزير ابن المسلمة(٢)

(١) العالم، الواعظ، أبو طاهر محمد بن علي.

(٢) وزير القائم بأمر الله، الصدر المعظم، رئيس الرؤساء، أبو القاسم، علي بن الحسن بن الشيخ أبي الفرج ابن المسلمة.

(٣٩٧-٤٥٠) فقال: أرسل إليه شيئًا، قال: ما يَقبله، قال: فتحيَّل، وأمر غلامًا له أن يعمل لذلك المسجد مفتاحًا آخر، وقال: احمل إليه كل يوم رغيفًا ودجاجة وقطعة حلاوة، فكان أبو علي يجيء فيفتح فيجد ذلك فيَعجب، ويقول: لعل هذا من الجنَّة، وكتم أمره، فأخصَب جسمه وسمن، فقال له ابن العلاف: ما لك قد سمنت؟ فتمثَّل بهذا الشعر:

من أطلعوه على سرٍّ فباح به ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

ثم أخذ يُوَري ولا يُصَرِّح، فما زال به العلاف حتى أخبره بالكرامة، فقال له: ينبغي أن تدعو للوزير، ففَهِم القضية، وانكسر قلبه، ولم تطُل بعدها مدته.[1] معرفة القراء (٢/ ٧٨٧).

* وكان **أبو الفضل الرازي المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٤) من أفراد الدهر عِلمًا وورعًا.

قال عبد الغافر الفارسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخه: كان لا ينزل الخوانق، بل يأوي إلى مسجدٍ خراب، فإذا عُرِف مكانه تركه، وإذا فُتِح عليه بشيء آثر به.

قال أبو عبدالله الخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرج الإمام أبو الفضل الرازي من أصبهان متوجهًا إلى كرمان، فخرج الناس يشيعونه، فصرفهم وقصد الطريق وحده، وقال:

إذا نحنُ أدْلَجْنا وأنْتَ أمامَنا ... كَفَى لِمَطايانا بذكراك حادِيا

قال الخلال: كان أبو الفضل في طريقٍ ومعه خبز، فقصده قُطّاع الطريق، وأرادوا أن يأخذوا ذلك، فدفعهم بعصاه، فقيل له في ذلك، فقال: إنما منعتهم منه لأنه كان حلالا، وربما كنت لا أجد حلالا مثله.

ودخل كرمان في هيئةٍ رثَّة، فحُمل إلى الملك وقالوا: هو جاسوس، فسأله

(١) كان ينبغي لابن العلاف حينما صنع له المعروف ألا يُحرجه بالسؤال، وألا يخبره عن مصدر الطعام.

الملك ما الخبر؟ فقال: إنْ كنتَ تسألني عن خبر الأرض فـ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن:٢٦]، وإنْ كنتَ تسألني عن خبر السماء فـ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩] فتعجب الملك من كلامه وهابه وأكرمه، وعرض عليه مالًا فلم يقبله[1]. معرفة القراء (٢/ ٧٩٥-٧٩٨).

* وقال الفرغاني صاحب **ابن جرير الطبري** رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: كتب **ابن جرير** (ت: ٣١٠) إلى المراغي رَحِمَهُٱللَّهُ يذكر أن المكتفي[2] قال: إني أريد أن أوقف وقفًا، تجتمع أقاويل العلماء على صحّته، ويَسلم من الخِلاف، قال: فأُحضر ابن جرير فأملى عليهم كتابًا لذلك، فأُخرجت له جائزة سَنيَّة فأبى أن يقبله، فقيل له: لابُد من جائزةٍ، أو قضاءِ حاجة، فقال: نعم الحاجة أسأل أمير المؤمنين أن يتقدَّم إلى الشّرط أن يمنعوا السُؤَّال من دخول المقصورة يوم الجمعة فتقدم بذلك، وعظم في نفوسهم.

قال الفرغاني: وأرسل إليه العباس بن الحسن الوزير: قد أحببتُ أنْ أنظُر في الفِقه، وسأله أن يعمل له مختصرًا، فعمل له كتابَ «الخفيف»، وأنفذه، فأرسل ألف دينار فلم يقبلها، فقيل له: تصدق بها، فلم يفعل. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٩-٢١٠).

---

(١) أهل القرآن العاملون به من أشد الناس بحثا عن أكل الحلال، وبعدا عن حظوظ النفس، وحبِّ العلو والظهور.

(٢) الخليفة أبو محمد علي بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل العباسي (٢٦٤-٢٩٥).

الرضا

أ- رضا العبد عن الله وعن أقداره، وعدم الشكوى للمخلوق(١):

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يمكن للعبد أنْ تستوي النعمة والبلية عنده في الرضا، إذا استحضر هذه الأمور:

١- أنه مُفوض، والمفوض راض بكل ما اختاره له مَنْ فوض إليه، ولاسيما إن علم كمال رحمته ولطفه، وحسن اختياره له.

٢- أن يعلم أن كُلًا من البلية والنعمة بقضاء سابق وقَدَر حَتْم.

٣- أنه عبد محض، والعبد المحض لا يسخط جريان أحكام سيده البار الناصح المحسن، بل يتلقاها كلها بالرضا به وعنه.

٤- أنه مُحب، والمحب الصادق من رضي بما يعامله به حبيبه.

٥- أنه جاهل بعواقب الأمور، وسيده أعلم بمصلحته وبما ينفعه.

٦- أنه مسلم، والمسلم من قد سَلَّم نفسه لله ولم يعترض عليه في جريان أحكامه عليه ولم يسخط ذلك.

٧- أنه حَسَنُ الظن بربه، فحُسن ظنه به يوجب له استواء الحالات عنده، ورضاه بما يختاره له سيده سبحانه.

٨- أن يعلم أنه إذا رضي: انقلب في حقه نعمة ومِنْحَةً، وخفَّ عليه حمله وأُعين عليه، وإذا سخطه: تضاعف عليه ثقله، ولم يزدد إلا شدةً وهمًّا وغمًّا.

٩- أن يعلم أن رضاه عن ربه سبحانه في جميع الحالات يُثمر رضا ربه عنه.

١٠- أن السخط يوجب تلون العبد وعدم ثباته مع الله، فإنه لا يرضا إلا بما يلائم طبعه ونفسه، والمقادير تجري دائما بما يلائمه وبما لا يُلائمه.

١١- أن السخط يفتح عليه باب الشك في الله وقضائه وقدره وحكمته، فَقلَّ أن يَسْلم الساخط من شك يُداخل قلبه ويتغلغل فيه، وإن كان لا يشعر به.

١٢- أن الرضا ينفي عنه آفات الحرص على الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة، وأصل كل بلية.=

* مرض **أبو بكر** (ت: ١٣) فعادوه، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد. مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٤٤٠).

* وقال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): ما أبالي على أي حال أصحبت، على ما أحب، أو على ما أكره؛ لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره. ابن أبي الدنيا ١/ ٤١٤.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: إن الرجل ليستخير الله فيختار له فيتسخط على ربه، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو خير له. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٣٢.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إن الرجل ليشرف على الأمر من التجارة أو الإمارة، حتى يرى أنه قد قدر عليه، ذكره الله فوق سبع سموات، فيقول للملك: اذهب فاصرف عن عبدي هذا، فإني إن أيسره له أدخله

= ١٣- أن المخالفات كلها أصلها من عدم الرضا، والطاعات كلها أصلها من الرضا.
١٤- أن كل قدر يكرهه العبد ولا يُلائمه لا يخلو من أمرين:
أ- إما أن يكون عقوبة على الذنب، فهو دواء لمرض لولا تدارك الحكيم إياه بالدواء لترامى به المرض إلى الهلاك.
ب- وإما أن يكون سببًا لنعمة لا تُنال إلا بذلك المكروه.
١٥- أن الرضا يقوم مقام كثير من التعبدات التي تشق على البدن، فيكون رضاه أسهل عليه وألذُّ له وأرفع في درجته.
١٦- أن الرضا يفتح باب حسن الخلق مع الله ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.
١٧- أن الرضا يفرغ قلب العبد، ويُقلل همه وغمه، فيتفرغ لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٥٠٧-٥١١.

جهنم، فيجيء الملك فيعوقه فيصرف عنه، فيظل يتطير بجيرانه: إنه دهاني فلان، سبقني فلان، وما صرفه عنه إلا الله. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٣٣.

* وقال **عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) لما مرض: والله إنّ أحبه إليّ أحبه إلى الله تعالى. الزهد لابن المبارك (٤٣٦).

* وقيل **للحسن بن علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠): إن **أبا ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول (ت: ٢٥): الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة. فقال: رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء. البداية والنهاية ٨/ ٢٠٤-٢٠٥.

* واشتكى ابن أخي الأحنف إلى **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) وجَع ضرسه، فقال له الأحنف: لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتُها لأحد. صفة الصفوة ٣/ ١٤٠.

* وطُعن **عبد الرحمن بن معاذ بن جبل** رَحِمَهُ اللَّهُ -أي أصيب بمرض الطاعون- فدخل عليه أبوه فقال له: كيف تجدك أي بني؟ قال له: يا أبه: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة:١٤٧] فقال له معاذ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات:١٠٢]. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤١.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: عاد نفرٌ من الصدر الأول رجلا، فوجدوه في الموت، فقال له بعض القوم: ما عندك في مصرعك هذا؟ قال: الرضا والتسليم لأمر الله، قال: فما برح القوم حتى قضى، قال الحسن: عرف والله وأن مَوْئِلَهما إلى خير. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣٩.

* وقال **ابن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٩٨): ما يكره العبد خير له مما يحب؛ لأن ما يكرهه يهيجه الدعاء، وما يحبه يلهيه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٩٧.

* وقال **محمد بن علي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨): ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع الذي نكره لم نخالف الله عَزَّوَجَلَّ فيما أحب. تهذيب الحِلْية ١/ ٥١٠.

* وقال عبد الله بن عمر الكوفي: كان عندنا بالكوفة **رجل** قد خرج عن دنيا واسعة وتعبّد، قال: وكان الفضيل بن عياض بالكوفة في أيامه، قال: فقدم ابن المبارك، فقال له الفضيل: إن ها هنا رجلًا من المتعبدين قد خرج عن دنيا فامض بنا إليه ننظر عقله.

قال: فجاؤوا إليه وهو عليل، وعليه عباء، وتحت رأسه قطعةُ لبنة، قال: فسلّم ابن المارك عليه، ثم قال: يا أخي بلغنا أنه ما ترك عبدٌ شيئًا لله، إلا عوّضه الله ما هو أكثر منه، فما عوّضك؟ قال: الرضا بما أنا فيه. فقال ابن المبارك: حسبك، وقاما على ذلك. صفة الصفوة ٣/ ١٢٩.

* وعن عبد العزيز بن أبي روّاد قال: رأيت في يد **محمد بن واسع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): قرْحَة، فكأنه رأى ما شقّ عليّ منها، فقال: تدري ما لله عليّ في هذه القرحة من نعمة؟ قال: فسكت، فقال: حيث لم يجعلها على حدَقتي، ولا طرَف لساني، ولا على طَرف ذكَرِي قال: فهانت عليّ قرحته. صفة الصفوة ٣/ ١٩٢.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): إني لأغبطُ الرجل يكون عيشه كفافًا فيقنع به، فقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ اللَّهُ: أغبَط والله عندي من ذلك أن يصبح جائعًا، ويمسي جائعًا وهو عن الله عَزَّوَجَلَّ راضٍ. صفة الصفوة ٣/ ١٩٣.

* وقال **عبد الله بن عون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠): لن يصيب العبدُ حقيقة الرّضا حتى يكون رضاه عند الفقر كرضاه عند الغنى، كيف تستقضي[1] الله في أمرك، ثم

(١) أي تطلب من الله أن يقضي لك.

تسخط إن رأيت قضاءه مخالفًا لهواك، ولعلّ ما هويت من ذلك لو وُفّق لك فيه هُلْكك، وترضى قضاءه إذا وافق هواك؟ ما أنصفت من نفسك، ولا أصبت باب الرضا. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٣، ابن أبي الدنيا ١/ ٤٤١.

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إذا لم يكن ما تريد، فأرد ما يكون. تهذيب الحِلْية ٤٣٤/ ١.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): إذا كنت لا ترضى عن الله كيف تسأله الرضا عنك. صفة الصفوة ٤/ ٣٤١.

* وعن الربيع قال: لما مات عبد الملك بن **عمر بن عبد العزيز** (ت: ١٠١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسهل بن عبد العزيز، ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة، دخل الربيع بن سبرة عليه وقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، فما رأيت أحدًا أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة، والله ما رأيت مثل ابنك ابنًا، ولا مثل أخيك أخًا، ولا مثل مولاك مولى قط، فطأطأ عمر رأسه، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت عليه قال: ثم رفع رأسه فقال: كيف قلت الآن يا ربيع فأعدت عليه ما قلت أولًا قال: لا والذي قضى عليه بالموت ما أحب أن شيئًا من ذلك كان لم يكن. تهذيب الحِلْية ٢٣٧/ ٢.

* ولما مات عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز قال **عمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله، فإن ذلك لا يصلح لي في بلائه عندي وإحسانه إليّ. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٤٨.

* ودخل رجل على **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) في مرضه الذي مات فيه فقال: إن أحبه إلي، أحبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ١/ ٤١٨-٤١٩.

* وعن سفيان قال: كنا نعود **زبيد اليامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٢) فنقول: استشف الله؟ فيقول: اللهم خِر لي، اللهم خر لي.[1] ابن أبي الدنيا ١/ ٤١٩.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: احْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ تَسْأَلَهُ -سبحانه- شَيْئًا مُعَيَّنًا خِيرَتُهُ وَعَاقِبَتُهُ مُغَيَّبَةٌ =

* وقال **أبو معاوية الأسود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٨) في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل:٩٧] قال: الرضا والقناعة. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٢٤.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): من رضي بما قسم الله له وَسِعه، وبارك الله له فيه، ومن لم يرض لم يَسَعْه ولم يبارك له فيه. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٥٦.

* وقال **بعض الحكماء**: اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لا يخطر ببالك فلم تَنَلْه.

وقال **بعض الشعراء**:

إذا مَلَكَ القضاءُ عليك أمرا فليس يَحُلُّه غيرُ القضاء

فما لك والْمُقامَ بدارِ ذلٍّ ودارُ العزِّ واسعةُ الفضاء

وقال **بعض الحكماء**: إن كنت تجزع على ما فات من يدك فاجزع على ما لا يصل إليك. أدب الدين (٤٦٥).

ب- رضا الله عن العبد، وأسباب ذلك:

* قال **أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٤): إذا كان رضى الخلق معسورًا لا يُدرك، كان رضى الله ميسورًا لا يُترك. تهذيب السِّير ٣/ ١٣٣٧.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٧): من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله، أولها: الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة، والأشياء كلها تتم بالمعرفة. تهذيب الحِلْية ٢/ ٥٠٤.

= عَنْكَ، وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنْ سُؤَالِهِ بُدًّا فَعَلِّقْهُ عَلَى شَرْطِ عِلْمِهِ تَعَالَى فِيهِ الْخِيَرَةَ، وَقَدِّمْ بَيْنَ يَدَيْ سُؤَالِكَ الِاسْتِخَارَةَ، وَلَا تَكُنِ اسْتِخَارَةٌ بِاللِّسَانِ بِلَا مَعْرِفَةٍ، بَلِ اسْتِخَارَةُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَصَالِحِهِ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهَا، وَلَا اهْتِدَاءَ لَهُ إِلَى تَفَاصِيلِهَا، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، بَلْ إِنْ وُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ هَلَكَ كُلَّ الْهَلَاكِ، وَانْفَرَطَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ. مدارج السالكين ١/ ١٠١.

فضل الذكر وبيانُ أثره[1]

* كان **عبد الله بن رواحة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨) يأخذ بيد بعض أصحابه ويقول: تعال نؤمن ساعة[2]، إن القلب أسرعُ تقلّبا من القِدر إذا استَجْمعت غليانًا. الزهد لابن المبارك (١٠٨٧).

* وقال **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) لأصحابه وهم يمشون: اجلسوا بنا نُؤمِنُ ساعة. صفة الصفوة ١/ ٢٣٢.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأن أذكر الله تعالى من بكرة حتى الليل، أحب إلي من أن أحمل على جياد الخيل في سبيل الله من بكرة حتى الليل. تهذيب الحِلْية ١٨٤/ ١.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لأن أكبر مائة مرة أحب إلى من أن أتصدق بمائة دينار. الزهد لأحمد: ٢٥٩.

---

(١) اعلم أنّ تدبّر الأذكار وفهمها هو المقصودُ من مشروعيّتها، وفضل الذكر الذي جاء على لسان السلف الصالح إنما الذكر بالقلب واللسان.
قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكلُّ قولٍ رَتَّبَ الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن قال في يوم سُبحَانَ الله وبِحَمْدِه مائة مرّة، حُطّت عنه خطاياه ولو كانت مثل زَبَد البحر**»، وليس هذا مُرتَّبًا على مجرّد قول اللسان». ا.هـ مدارج السالكين ١ / ٣٣١.
وواقعُ كثيرٍ مِمّن يقول الأذكار على خلاف ذلك، حيث يقولُونها بعجلةٍ وعدمِ تأمُّلٍ بمعانيها ومدلولاتِها، وهذا سببٌ في عدم حصول الأجر الوافر للذاكر، وعدمِ تأثير الذكر عليه، فللذِّكرِ لذّةٌ وحلاوةٌ وبركةٌ على الذاكر الذي يذكر الله بقلبه قبل لسانه.

(٢) أي: تعال نجلس نذكر الله تعالى حتى نزداد إيمانا.

* وقال **أبو بردة الأسلمي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٢): لو أن رجلًا في حجره دنانير يعطيها وآخر ذاكرًا لله لكان الذاكر أفضل. الزهد لأحمد: ٣٣٨.

* وقال **عبد الله بن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) في قوله تعالى: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس:٤]: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سهى وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس. الزهد لأبي داود (٢٩٥).

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من ضن منكم بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وخاف الليل أن يكابده فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر.[1] الزهد لأبي داود (١٤٩).

* وعن **عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) قال: ما اجتمع ملأ يذكرون الله إلا ذكرهم الله في ملأ أعز منهم وأكرم، وما تفرق قوم لم يذكروا الله عَزَّ وَجَلَّ في مجلسهم إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة. الزهد لأحمد: ٢٧٨.

* وعن **سلمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: الحمد لله كثيرًا، قال: فأعْظمها الملَك أن يكتبها حتى راجع فيها ربه عَزَّ وَجَلَّ، قال: اكتبها كما قال عبدي كثيرًا. الزهد لأحمد: ٢٨١.

* وقال **كعب بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠): من أكثر ذكر الله برئ من النفاق.[2] جامع العلوم والحكم / ٥٧٨.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الكلام الطيب حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر صاحبه. الزهد لأحمد: ٤١٩.

---

(١) قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الأدب المفرد (٢٧٥): صحيح موقوف في حكم المرفوع.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: ويشهد لهذا المعنى أنّ الله وصف المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلاّ قليلًا، فمن أكثر ذكر الله، فقد باينهم في أوصافهم، ولهذا ختمت سورة المنافقين بالأمر بذكر الله، وأن لا يُلهي المؤمن عن ذلك مال ولا ولد، وإن من ألهاه ذلك عن ذكر الله فهو من الخاسرين. جامع العلوم والحكم / ٥٧٨.

* وقال جعفر بن **محمد بن علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد **أبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) بغلةً له، فقال: لئن ردّها الله عَزَّوَجَلَّ لأحمدنّه محامدَ يرضاها، فما لبث أن أُتيَ بها بسرْجها ولجامها، فركبها، فلما استوى عليها وضمّ عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء، وقال: الحمد لله، لم يزد عليها!.

فقيل له في ذلك فقال: وهل تركتُ أو أبقيت شيئًا؟ جعلتُ الحمد كلّه لله عَزَّوَجَلَّ. صفة الصفوة ٢/ ٤٦٠.

* وعَنِ **الحسن البصري** (ت: ١١٠) **وقَيْسِ بْنِ عُبَادَةَ** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ -وهما من كبار التابعين- قَالَا: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْتَحِبُّونَ خَفْضَ الصَّوْتِ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَعِنْدَ الْقُرْآنِ، وَعِنْدَ الْجَنَائِزِ».[1] مصنف عبدالرزاق (٦٢٨١).

* وقال **سَعِيد بن جُبَيْر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله، فقد ذكَره، ومن لم يُطعه فليس بذاكرٍ، وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن. صفة الصفوة ٣/ ٥٥.

* وعن **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): أنه لحق **حمالًا** عليه حمله وهو يقول: الحمد لله وأستغفر الله، قال: فانتظرته حتى وضع ما على ظهره، وقلت له: أما تحسن غير ذي؟ قال: بلى، أحسن خيرًا كثيرًا؛ أقرأ كتاب الله، غير أن العبد بين نعمة وذنب، فأحمد الله على نعمائه السابغة، وأستغفره لذنوبي. فقلت: الحمال أفقه من بكر. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٦.

* وعن **أبي سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ٢٠٥): ما يسرني أن لي من أول

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك سائر الآثار تقتضي أنهم كانت عليهم السكينة في هذه المواطن، مع امتلاءِ القلوب بذكر الله، وإجلاله وإكرامه، كما أنَّ حالَهم في الصلاة كذلك. وكان رفع الصوت في هذه المواطن الثلاثة من عادة أهل الكتاب والأعاجم، ثم قد ابْتُلِيَ بها كثيرٌ من هذه الأمة. اقتضاء الصرط المستقيم: ٣٥٨.

الدنيا إلى آخرها أنفقه في وجوه البر وأني أغفل عن الله طرفة عين. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩٧.

* وقال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): الذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلْف الفارين. الزهد لابن المبارك (٣٢٥).

قال: ولولا ذلك الرجل هُزمت الفئة، ولولا مَن يذكر الله في غفلة الناس هَلك الناس. صفة الصفوة ٣/ ٧٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن لكل رجل سيدًا من عمله، وإن سيد عملي الذكر. تهذيب الحِلْية ٢/ ٩٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مجالس الذكر شفاء القلوب. تهذيب الحِلْية ٢/ ٩٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يتلاقون فيتساءلون وما يريدون بذلك؛ إلا أن يحمدوا الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٢/ ٩٥.

* دخل **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢) المسجد فنظر إلى نفر قد اجتمعوا جلوسا، فرجا أن يكونوا على ذكر، على خير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدم غلام لي، فأصاب كذا وكذا، وقال الآخر: قد جهزت غلامي، فنظر إليهم.

فقال: سبحان الله! هل تدرون يا هؤلاء ما مثلي ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين، فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني أذى هذا المطر، فدخل فإذا بيت لا سقف له.

جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير، على ذكر، فإذا أنتم أصحاب دنيا!.

فقام عنهم. الزهد لابن المبارك (٨٩٤).

* وقال **رجل من العُبّاد** يومًا لإخوانه: إني لأعلم متى يذكرني ربي عَزَّوَجَلَّ؟ قال: ففزعوا من ذلك، فقالوا: تعلم حين يذكرك ربّك؟ قال: نعم، قالوا: متى؟ قال: إذا ذكرتُه ذكرني. شعب الإيمان (١٠٩٩).

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): ما تنعّم المتنعمون بمثْل ذكْرِ الله تعالى. صفة الصفوة ٣/ ١٩٥.

* وكان **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) إذا أصبح قال: مرحبًا بملائكة الله، اكتبوا، بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. صفة الصفوة ٣/ ٤٥.

* وعن **أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١) قال: ما دام قلب الرجل يذكر الله فهو في الصلاة، وإن كان في السوق فإن يحرك به شفتيه فهو أعظم. تهذيب الحِلْية ٨٦/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أن رجلًا جلس على ظهر الطريق ومعه خرقة فيها دنانير لا يمر إنسان إلا أعطاه دنانير وآخر إلى جانبه يكبر لكان صاحب التكبير أعظم أجرًا. الزهد لأحمد: ٦٥١.

* وقال **عبيد الله بن عمير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧): إن بخلتم بالمال أن تنفقوه وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه وأعظمكم الليل أن تساهروه فاستكثروا من قول سبحان الله وبحمده، فوالذي نفسي بيده هذا أوجه عند الله من جبلي ذهب وفضة.[1] الزهد لأحمد: ٦٢٨.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا. تهذيب الحِلْية ١١/ ٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مِمَّا هُوَ كَالْإِجْمَاعِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ بِاَللهِ وَأَمْرِهِ: أَنَّ مُلَازَمَةَ ذِكْرِ اللهِ دَائِمًا هُوَ أَفْضَلُ مَا شَغَلَ الْعَبْدُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْجُمْلَةِ. مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٠).

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: كان يقال: الذكر ذكران، ذكر الله باللسان، وأفضل من ذلك أن تذكره عند المعصية، إذا أشرفت عليها. تهذيب الحِلْية ٥٥/ ٢.

* وعن **حسان بن عطية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): قال: ما عادى عبد ربه بأشد من أن يكره ذكره ومَنْ ذَكَرَهُ. تهذيب الحِلْية ٢٦٦/ ٢.

* وعن **ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) قال: ذِكْرُ الناسِ داءٌ، وذكْرُ الله دواءٌ.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): إي والله، فالعجبُ منا ومن جهلنا كيف ندعُ الدواء ونقتحمُ الداء؟! قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢] وقال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨] ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق الله. ومَنَ أدمن الدعاء ولازَمَ قَرْع البابِ فُتح له. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٥٧.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أراد الله بعبده خيرًا حبب إليه ذكره. تهذيب الحِلْية ٤٦٨/ ١.

* وكان حجام يأخذ من شارب **معروف الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤)، وكان معروف يسبح فقال الحجام: لا يتهيأ أخذ الشارب وأنت تسبح، فقال معروف: أنت تعمل وأنا لا أعمل؟ تهذيب الحِلْية ١٠٢/ ٣.

* وقيل **لمحمد بن النضر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١) كأنك تكره أن تزار؟ قال: أجل، قيل: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: «**أنا جليس من ذكرني**»؟[1] المنتظم ٢٦٩/ ٨.

---

(١) روى البيهقي في شعب الإيمان (٦٧٠)عن كعب الأحبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فقال له: يا موسى، أنا جليس من ذكرني.

* وكان **أبو يعقوب البويطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣١) أبدًا يُحرِّك شفتيه بذكر الله. طبقات الشافعيين (١/ ١٥٩).

* وقال ابن القيم: رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحادية والستون[١] أنَّ الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه.

وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) في مشيته وكلامه وإقدامه وكتابته أمرًا عجيبا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة أو أكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرا عظيمًا.

وقال: وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد هذا الغداء لسقطت قوتي، أو كلاما قريبا من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلاما هذا معناه. الوابل الصيب/ ٤٢، ٧٧.

---

(١) من فضائل الذكر التي عددها ابن القيم.

الدعاء

أ- أهمية الدعاء، والتضرع إلى الله والتذلل له، وما قيل في ذلك:

* جاء رجل إلى **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فقال: يا أمير المؤمنين احْملني فإني أريد الجهاد، فقال عمر لرجل: خذ بيده فأدخله بيت المال يأخذ ما شاء، فدخل فإذا هو بيضاء وصفراء، فقال: ما هذا؟ مالي في هذا حاجة إنما أردت زادا وراحلة، فردوه إلى عمر فأخبروه بما قال، فأمر له بزاد وراحلة وجعل عمر يَرْحل له بيده، فلما ركب رفع الرجلُ يده فحمد الله وأثنى عليه بما صنع به وأعطاه.

وعمر يمشي خلفه يتمنّى أن يدعو له، فلما فرغ قال: اللهم وعمر فاجْزه خيرا، وأومأ بيده إلى رحله.[1] الزهد لهناد (٥٦٠).

* وعن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: «إِذَا كَانَ الْعَبْدُ يَذْكُرُ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَيَحْمَدُهُ فِي الرَّخَاءِ فَأَصَابَهُ ضُرٌّ فَدَعَا اللهَ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتٌ مَعْرُوفٌ مِنِ امْرِئٍ ضَعِيفٍ فَيَشْفَعُونَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ الْعَبْدُ لَا يَذْكُرُ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَلَا يَحْمَدُهُ فِي الرَّخَاءِ فَأَصَابَهُ ضُرٌّ فَدَعَا اللهَ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتٌ مُنْكَرٌ فَلَمْ يَشْفَعُوا لَهُ». مصنف بن أبي شيبة (٣٤٦٦٤).

* وقال : إن الله حَيِيٌّ كريم يستحي من عباده أن يرفع إليه يده يدعوه فيردها صفرا ليس فيها شيء. الزهد لهناد (١٣٦١).

---

(١) اختبر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلاح الرجل وصدقه، فلما تحقق ذلك طمع أن يدعو له؛ لأنّ دعاء الصالحين أقرب للإجابة من غيرهم، ولم يطلب منه صراحة ذلك؛ لأنه قد جاء النهي عن سؤال الناس الدعاء وغيره.

* وعن **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق. صفة الصفوة ١/ ٢٩٠.

* وقال **أبو الدرداء** (ت: ٣٢): ادْع الله تعالى في يوم سرَّائك، لعله أن يستجيب لك في يوم ضرائك. تهذيب الحِلْية ١٧٨/ ١.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن العبد المسلم ليُغفر الله له وهو نائم.

قيل له: وكيف ذاك يا أبا الدرداء؟.

قال: يقوم أخوه من الليل فيتهجد فيدعو الله فيستجيب له، ويدعو لأبيه فيستجيب له. الزهد لأحمد: ٢٦٤.

* وقال **عبد الله بن مسعود** (ت: ٣٢): لَا يَسمعُ اللهُ مِن مُسمِّع[1]، ولا مِن مُراءٍ، وَلَا لاعِبٍ، ولا من داعٍ إِلَّا داعٍ دَعَاءً ثبتًا مِن قَلبه. الزهد لأحمد: ٢٩٤، الأدب المفرد (٦٠٧) وصححه الألباني.

* وعن ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ عن **رجل من العُبّاد** رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه قال يومًا لإخوانه: إني لأعلم حين يستجيب لي ربّي عَزَّوَجَلَّ، فعجبوا من قوله وقالوا: وكيف تعلم ذلك؟ قال: إذا وَجِل قلبي، واقشعرّ جلْدي، وفاضت عيني، وفُتح لي في الدعاء، فَثمّ أعلم أنْ قد استُجيب لي. شعب الإيمان (١٠٩٩).

* وقال **طاووس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦): إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونك حجابًا، وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، طلب منك أن تدعوه ووعدك الإجابة. تهذيب الحِلْية ٣٠/ ٢.

* وقال **أبو العتاهية** (ت: ٢١٣):

لا تَسْأَلَنَّ أَخَاكَ يَوْمًا حَاجَةً ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

(١) أي من فعل فعلا أراد به التسميع للناس والاشتهار.

اللهُ يَغْضَبُ إن تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وبني آدم حين يسأل يغضب
فاجْعَل سُؤَالَكَ للإلهِ فإنَّمَا ... في فضل نِعمةِ ربنا نتقلب

الجامع المنتخب/ ١٥٨.

* وقال **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): نظرت في بدء هذا الأمر ممن هو؟ فإذا هو من الله تعالى، قلت: فعلى من تمامه؟ فإذا هو على الله تعالى، ونظرت ما ملاكه؟ فإذا ملاكه الدعاء. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ١.

* وقال **بعضهم**:

مَنْ يسألِ الناسَ يَحْرِمُوه ... وسَائِلُ الله لا يَخِيبُ

عيون الأخبار ٥٨٩/ ٢.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): ما بالنا نشكو فقرنا إلى مثلنا، ولا نطلب كشفه من ربنا. تهذيب الحِلْية ٤٨٩/ ٢.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): تعبّد رجل زمانًا، ثم بدت له إلى الله حاجة، فصام سبعين سبتًا، يأكل في كلّ سبت إحدى عشرة تمرة، ثم سأل الله حاجته فلم يعطها، فرجع إلى نفسه فقال: منك أتيت، لو كان فيك خير أُعطيت حاجتك، فنزل إليه عند ذلك ملك فقال: يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت، وقد قضى الله حاجتك. الزهد لأحمد: ٦٢١.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا، لأعطاك مولاك كلّ ما تريد.[1] جامع العلوم والحكم / ٢٦٤.

---

(١) سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما السبب في أن الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق؟ فقال: سبب هذا تحقيق التوحيد: «توحيد الربوبية» و«توحيد الإلهية». مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣١)

وذلك بأن تُوْقن حقّ اليقين وتشهد بقلبك انفرادَ الله تعالى بالخلق، وأنَّ ما يحصل من خير وشرّ،=

❊ وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرّعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة يرجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما

= ونفع وضرّ، إنما هو بمشيئة الله وتقديره وعلمِه، وجرى به قلمُه، وأنّ كل مصيبة وبليّة وقعت عليك فالله الرحيم العليم الحكيم قَصَدها وساقها إليك، واختارك لها من بين الناس؛ ابتلاء واختبارًا لك؛ لينظر صبرَك عليها، ورضاكَ به، وتوجّهك والْتفاتَ قلبك حينها يكون لمن؟

وبهذا تكون قد حقّقت توحيد الربوبيّة.

وهذا يفتح لك باب الاسْتعاذة به في كلِّ أمورك، ودوامَ الالتجاء إليه والافتقار إليه في كلّ شؤونك.

وبهذا تكون قد حقّقت توحيد الألوهيّة.

فإذا أُصبت بمصيبة، أو تسلّط عليك عدوّك، أو جفاك صديقك، أو عقّك ولدك، أو كرهك حبيبك: شهدت بقلبك تسلّط عدوّك الشيطاني أو الإنسيّ عليك، وأنت مع ذلك ملتفتٌ إلى ربك وناصرِك ووليك، عالمٌ بأنّ نجاتك بيديه، وناصيته بين يديه، وأَنه لو شاءَ لأعانك وخلَّصك من يديه، فتتضرع إليه وتتذلّل بين يديه وحده.

ومثلك في هذه الحالة كمَثَل عبدٍ مملوكٍ لدى سيّد غنيّ كريم محبّ له، مُشْفق عليه، فأخذه بنفسِه، وقدَّمه ليضرب عنقه بيده، فأَحْكم رَبْطه وأغْمَض عينيه، وقد أَيقن العبد أنه في قبضته، وأنه هو قاتله لا غيره، وقد علم مع ذلك برَّه به ولطفَه ورحمتَه ورأفتَه وجودَه وكرمَه، فجعل يناشده ويتوسّل إليه بأوصافِه، ويَدْخل عليه به: يا سيدي، أنت المشفق علي، والرؤوف بي، والكريم علي، والمحسن إلي، قد أُغلِقت عليّ الأبواب إلا بابك.

قد انْقَطَعت كلّ السُّبل لنجاته إلا السبيل إليه، وتلاشت فرص الحياة إلا من قِبَله، وذهب عن خاطره وفِكْرِه كلُّ سبب، فانقطع تعلُّقه بكلّ شيء إلا به، فهو مُعْرض عن عدوِّه الذي سلّطه سيّدُه عليه عقوبةً أو ابتلاءً واختبارًا لصبره وقوة محبته له، وتعلّقه ورضاه به.

فحاله كحال من جاءته مصيبةٌ ومحنةٌ على يد عدوٍّ من الإنس أو الجنّ، فهو يعلم أنّ الله تعالى هو الذي سلّط ذلك العدوّ، فهو مشغول بالتوبة والرجوع إلى الله، وطَلَبِ العون منه، ولم ينشغل بالطعن في عدوه، وسبِّه وعيبه.

ومتى فعلت ذلك: قرّبك ربك الرحيم الودود من عتبة العبودية، وطرحك عند بابه فقيرًا عاجزًا مسكينًا، لا تملك لنفسك ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فقرّبك وأجاب دعاءك وقضى حاجتك.

يُنظر: طريق الهجرتين لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (٣٨٢-٣٨٤)

أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأُجبت.[1] جامع العلوم والحكم / ٢٦٥.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

أَتهـزأُ بِالدُعـاءِ وَتَزدَريـهِ ... وَما تَدري بِما صَنَعَ الدُّعاءُ
سِهامُ اللَيلِ نافِذَةٌ وَلَكِن ... لَها أَمَدٌ وَلِلأَمَدِ انقِضاءُ
فيمسكها إذا ما شاء ربي ... ويرسلها إذا نفذ القَضاء

ديوان الشافعي (٣٢).

* **وسُئِل الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): كم بيننا وبين عرش ربنا؟.
قَالَ: دعوة مسلم يجيب الله دعوته. طبقات الحنابلة (١/ ١٢٠).

* وقيل لأبي **إسحاق الجُبْنَيَانِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩): عندي دعاء الخليل حين ألقي في النار، ودعاء يونس حين الْتقمه الحوت، فقال له: يا مسكين، إن كنت تدعو دعاء الأنبياء وتفعل فعل الفراعنة فمن تُخَادِع؟[2] ترتيب المدارك (٤/ ٥١).

ب- الحذر من دعاء المظلوم، وذكر بعض القصص في ذلك:

* عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ **سَعْد بن أبي وقاص (ت: ٦٠)** إِلَى عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فقَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ!.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا اللوم أحبّ إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذٍ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله. جامع العلوم والحكم / ٢٦٥.

(٢) فليست العبرة بصيغة الدعاء، مهما كان عظيما وبليغا، بل العبرة بصدق وإخلاص الداعي، وقوة يقينه وإيمانه، وصلاح سريرته وعلانيته، ومن كان كذلك أجاب الله دعاءه.

قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ.

وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.[1] صحيح البخاري (٧٥٥).

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إياكم ودعوة اليتيم، ودعوة المظلوم فإنها تسري بالليل والناس نيام. صفة الصفوة ١/ ٣٠١.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إياكَ ودعواتِ المظلوم، فإنهُنَّ يصعدْن إلى الله كأنهن شرارتٌ من نار. تهذيب السِّيَر ١/ ٢٧٢.

* وادَّعت أروى بنت أويس أنَّ **سعيد بن زيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥١) أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ؟ قال: وما سمعتَ من رسول الله ﷺ؟ قال سمعته يقول: «من أخذ شيئًا من الأرض طُوِّقه إلى سبع أرضين» قال مروان: لا أسألك بيِّنةً بعد هذا، فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبةً، فأعم بصرها، واقتلها في أرضها.

قال الراوي: فَرأيتُها عَمْياءَ تَلْتمسُ الْجُدُرَ تقولُ: أصابَتْني دَعْوةُ سَعيدِ بْنِ زيدٍ، فبَيْنما هي تَمشي في الدَّارِ مَرَّتْ على بئْرٍ في الدَّارِ فوقَعتْ فيها، فكانتْ قَبْرَهَا. صحيح مسلم: (١٦١٠)،(٣٠٢٢).

* وكان **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢) إذا انصرف من المسجد إلى

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنَّ سَعْدًا مَعَ كَوْنِ هَذَا الرَّجُلِ وَاجَهَهُ بِهَذَا وَأَغْضَبَهُ حَتَّى دَعَا عَلَيْهِ فِي حَالِ غَضَبِهِ رَاعَى الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِ؛ إِذْ عَلَّقَهُ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ كَاذِبًا، وَأَنْ يَكُونَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ الْغَرَضُ الدُّنْيَوِيُّ. فتح الباري ٢/ ٣١١.

أهله كبّر على باب منزله، فتكبر امرأته، فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته. فانصرف ذات ليلة، فكبر عند باب داره، فلم يجبه أحد، فلما كان في الصحن كبر، فلم يجبه أحد، فلمّا كان في باب بيته كبّر فلم يجبه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه، ثم أتته بطعامه قال: فدخل، فإذا البيت فيه سراج، وإذا امرأته جالسة منكسة تنكث بعودٍ معها، فقال لها: مالك؟ قالت: أنت لك منزلة من معاوية، وليس لنا خادم، فلو سألته فأخدمنا وأعطاك. فقال: اللهم من أفسد عليّ امرأتي فأعم بصره قال: وكانت قد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت: زوجك له منزلة من معاوية، فلو قلت له كتب إلى معاوية بخدمة ويعطيه عشتم قال: فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها أنكرت بصرها، فقالت: ما لسراجكم طفئ؟ قالوا: لا، فعرفت ذنبها، فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو لها الله عَزَّوَجَلَّ أن يرد عليها بصرها. فرحمها أبو مسلم، فدعا الله عَزَّوَجَلَّ فردّ عليها بصرها. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٦١.

* وكذب رجل على **مطرّف بن عبد الله بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥)، فقال له مطرف: إن كنت كاذبًا، فعجّل الله حتفك، فمات الرجل مكانه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٦٣.

* وكان رجل من الخوارج يغشى مجلس **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) فيؤذيهم فقيل للحسن: يا أبا سعيد ألا تكلم الأمير حتى يصرفه عنا؟ قال: فسكت عنهم.

فأقبل ذات يوم والحسن جالس مع أصحابه فلما رآه قال: اللهم قد علمت أذاه لنا فاكفناه بما شئت.

فخر الرجل والله من قامته فما حل إلى أهله إلا ميتا على سرير.

فكان الحسن إذا ذكره بكى وقال للناس: ما كان أغره بالله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٦٤.

* ووشى رجل **ببسر بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) إلى الوليد، فأرسل إليه

الوليد، والرجل عنده، قال: فجيء به ترعد فرائصه، فأدخل عليه، فسأله عن ذلك، فأنكره بسر، وقال: ما فعلت؟.

فالتفت الوليد إلى الرجل، فقال: يا بسر، هذا يشهد عليك بذلك، فنظر إليه بسر، وقال: أهكذا؟ فقال: نعم. فنكس رأسه، وجعل ينكث في الأرض، ثم رفع رأسه، فقال: اللهم قد شهد بما قد علمت أني لم أقله، اللهم فإن كان صادقا فأرني به على ما قال. فانكب الرجل على وجهه، فلم يزل يضطرب حتى مات. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٨٠.

* وعن عبد الواحد بن زياد، قال: كنا عند **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١)، ومعنا محمد بن واسع، وحبيب أبو محمد، فجاء رجل فكلم مالكًا وأغلظ له في قسمة قسمها، وقال: وضعتها في غير حقها، وتتبعت بها أهل مجلسك ومن يغشاك، ليكثر غاشيك، وتصرف إليك الوجوه.

قال: فبكى مالك، وقال: والله ما أردت هذا، قال: بلى والله لقد أردته.

فجعل مالك يبكي، ثم قال: اللهم إن كان هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت.

قال: فسقط والله الرجل على وجهه ميتًا، فحمل إلى أهله على سرير. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٨٠.

* ومر الأمير يومًا فصاحوا: الطريق، ففرج الناس، وبقيت عجوز كبيرة لا تقدر أن تمشي، فجاء بعض الجلاوذة فضربها بسوط ضربة، فقال **حبيب أبو محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٩): اللهم اقطع يده.

فما لبث إلا ثلاثًا، حتى مرّ بالرجل قد أُخذ في سرقة، فقطعت يده. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٨٠.

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **خالد بن برمك البرمكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٥) مِن رجال العلم، توصَّل إلى أعلى المراتب في دولةِ أبي جَعْفر المنصور، ثم كان ابنُه يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠) كاملَ السُّؤْدد، جَليلَ المِقْدار، بحيث إنَّ المهديَّ ضمَّ إليه ولدَه الرَّشيدَ، فأحسنَ تربيتَه وأدَّبه، فلما أفْضَتِ الخلافةُ إلى الرَّشيد، ردَّ إلى يحيى مقاليدَ الأمور، ورفعَ محلَّه، وكان يُخاطبهُ يا أبي، فكان من أعظمِ الوزراء، ونشأَ لهُ أولادٌ صاروا مُلُوكًا، ولا سيَّما جعفر، وما أدراكَ ما جعفر؟ له نَبأٌ عجيبٌ، وشأْنٌ غريبٌ، بقي في الارتقاء في رتبةٍ، شَركَ الخليفةَ في أموالهِ ولَذَّاتِهِ وتصرُّفه في الممالك، ثم انقلب الدَّستُ في يومٍ. فقُتِل، وسُجِنَ أبوه وإخوتُه إلى الممات، فما أجهلَ من يَغْترّ بالدُّنيا!.

قيل: إنَّ ولدًا ليحيى قال له وهُم في القيود: يا أَبَةِ بعدَ الأَمْرِ والنَّهْيِ والأموالِ صِرْنَا إلى هذا؟ قال: يا بُنيَّ دعوةُ مَظْلومٍ غَفَلْنا عنها، لم يَغْفُلِ الله عنها. السِّيَر ٢/ ٧٩٧.

* وعن أبي عون الفرائضي قال: خرجت إلى مجلس أحمد بن منصور الزيادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة اثنتين وستين ومائتين، فرأيت رجلًا قد أمر بالقبض **على امرأة** وأمر بجرها، فقالت له: اتق الله. فأمر أن تجر، فلم تزل تناشده الله وهو يأمر بجرها إلى أن بلغت باب القنطرة، فلما يئست من نفسها رفعت رأسها إلى السماء ثم قالت: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزمر:٤٦] إن كان هذا الرجل يظلمني فخذه. قال أبو عون: فوقع الرجل على ظهره ميتًا، وأنا أراه، فحُمِل على جنازة، وانصرفت المرأة. المنتظم ١٢/ ١٧٤.

* وقال الحاكم: سمعت أبي يقول: لما قتلَ أحمدُ بن عبد الله السّجستاني

-الذي استولى على البلاد- الإمامَ حيكان بن الذهلي، أخذ في الظُّلم والعَسف، وأمر بحَرْبةٍ رُكزت على رأس المِرْبَعَة [١]، وجمع الأعيان، وحلف: إن لم يصبوا الدراهم حتى يغيبَ رأسُ الحربة، فقد أحلُّوا دماءَهم، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم، فَخُصَّ تاجرٌ بثلاثين ألف درهم، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم فحملها إلى **أبي عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠) وقال: قد حلف هذا كما بلغك ووالله لا أهتدي إلاّ إلى هذه.

قال: تأذنُ لي أن أفعلَ فيها ما ينفعُك؟ قال: نعم، ففرَّقها أبو عثمان، وقال للتاجر: امكُث عندي، وما زال أبو عثمان يترددُ بين السِّكَّةِ والمسجدِ ليلتهُ حتى أصبح، وأذَّنَ المؤذِّن، ثم قال لخادمه: اذهب إلى السُّوق، وانظر ماذا تسمع، فذهبَ، ورجعَ فقال: لم أر شيئًا، قال: اذهب مرَّة أخرى، وهو في مناجاته يقول: وحقِّكَ لا أقمتُ ما لم تُفَرِّجْ عن المكروبين، قال: فأتى خادمه الفرغانيُّ يقول: وكفى الله المؤمنين القتال، شُقَّ بطنُ أحمدَ بن عبد الله، فأخذ أبو عثمانَ في الإقامة.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بمثل هذا يعظُمُ مشايخ الوقت. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٣٢.

* واحتال على **بنان الحمال البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٦) أبو عبيد الله القاضي حتى ضُرب سبع درر فقال: حسبك الله بكل درة سنة، فحبسه ابن طولون سبع سنين. تهذيب الحِلْية ٤١٨/ ٣.

ج- قصص من أجاب الله دعاءَه [٢]:

* عن أسلم قال: بينا **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يعرض للناس، إذ مر به رجل معه ابن له على عاتقه. فقال عمر: ما رأيت غرابًا بغراب أشبه بهذا

---

(١) المِرْبَعَةُ: عصا تُحمل بها الأثقال.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا اجْتمع عَلَيْهِ قلبه وصدقت ضَرُورَته وفاقته وَقَوي رجاؤه: فَلَا يكَاد يُرَدُّ دعاؤه. الفوائد/ ٤٧.

من هذا. فقال الرجل: أما والله يا أمير المؤمنين، لقد ولدته أمه وهي ميتة قال: ويحك، وكيف ذاك؟.

قال: خرجت في بعث كذا وتركتها حاملًا، وقلت: أستودع الله ما في بطنك، فلما قدمت من سفري أُخبرت أنها قد ماتت.

فبينا أنا ذات ليلة قاعد في البقيع مع بني عم لي، إذ نظرت فإذا ضوء يشبه السراج في المقابر.

فقلت لبني عمي: ما هذا؟ قالوا: لا ندري، غير أننا نرى هذا الضوء كل ليلة عند قبر فلانة.

فأخذت معي فأسًا، ثم انطلقت نحو القبر، فإذا القبر مفتوح، وإذا هذا في حجر أمه. فدنوت، فناداني مناد: أيها المستودع ربه: خذ وديعتك، أما لو استودعت أمه لوجدتها. فأخذت الصبي، وانضم القبر. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٣٨-٣٣٩.

* وعن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: أخرجوا بنا إلى أرض قومنا قال ابن عباس: فخرجنا، فكنت أنا **وأُبي بن كعب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مؤخرة الناس، فهاجت سحابة، فقال أبي: اللهم اصرف عنا أذاها.

فلحقناهم وقد ابتلت رحالهم. فقال عمر: ما أصابكم الذي أصابنا؟.

قلت: إن أبا المنذر دعا الله أن يصرف عنا أذاها، فقال عمر: ألا دعوتم لنا معكم؟. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٣٢.

* وصدق **القائل**:

أَلَيْسَ اللهُ في كُلٍ قَرِيْبًا؟ بَلَى! مِن حَيثُ ما نُودِي أَجَابَا
ولم تَرَ سَائِلًا للهِ أَكْدَى ولَمْ تَرَ رَاجِيًا للهِ خَابَا

* وشكى قَيِّم[1] **لأنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) في أرضه العطش، فصلى

(١) أي: الخادم القائم على شؤونه.

أنس فدعا، فثارت سحابة حتى غشيت أرضه فملأت صهريجه، فأرسل غلامه فقال: انظر أين بلغت هذه، فنظر، فإذا هي لم تَعْدُ أرضه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٣٧، المنتظم ٣٠٤- ٣٠٥/ ٦.

* وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل، فلم نبرح حتى قضى، فبسطنا عليه ثوبه، **وأم له عجوز** كبيرة عند رأسه، فالتفت إليها بعضنا، فقال: يا هذه، احتسبي مصيبتك عند الله قالت: وما ذاك؟ أمات ابني؟ قلنا: نعم.

فمدت يدها إلى الله، فقالت: اللهم إنك تعلم أني أسلمت، وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تعينني عند كل شدة ورخاء، فلا تحملني على هذه المصيبة اليوم.

قال: فكشفت عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٤٠.

* وعن عمرة قالت: كنت عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فجاءتها **امرأة** متعلقة برجل، تزعم أنه أخذ خاتما لها، ويزعم أن لا، فقالت: أمِّنوا رحمكم الله، اللهم إن كنتُ كاذبة فأيبس يدي، وإن كان كاذبا فأيبس يده، فأصبح الرجل ويمينه يابسة، قالت عمرة: وحججت حجتين أو ثلاثة وأنا أسمع الرجل من أهل مكة وأهل المدينة يقول الرجل منهم: إن كنتُ فعلت كذا وكذا فأظهر الله عَزَّ وَجَلَّ علي كما أظهر على صاحب الخاتم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٢١.

* وعن **أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رجل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأنصار يُكنى: **أبا معلق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان تاجرًا يتجر بمال له ولغيره، يضرب به في الآفاق، وكان ناسكًا ورعًا، فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح، فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك قال: ما تريد إلى دمي؟ شأنك بالمال، قال: أما المال فلي، ولست أريد

إلا دمك قال: أما إذا أبيت، فذرني أصلي أربع ركعات، قال: صل ما بدا لك.

فتوضأ ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك، أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني، قال: دعا بها ثلاث مرات.

فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها بين أذني فرسه، فلما بصره اللص أقبل نحوه، فطعنه، فقتله ثم أقبل إليه، فقال: قم.

قال: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم، قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة، دعوت بدعائك الأول، فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثاني، فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث، فقيل لي: دعاء مكروب، فسألت الله تعالى أن يوليني قتله.

قال أنس: فاعلم أنه من توضأ، وصلى أربع ركعات، ودعا بهذا الدعاء، استجيب له مكروبًا كان، أو غير مكروب. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٢١-٣٢٣.

* وعن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: كانت لي سارية في مسجد رسول الله ﷺ أجلس أصلّي إليها بالليل، فقَحط أهل المدينة سنة، فخرجوا يستسقون فلم يُسقَوْا، فلما كان من الليل صلّيتُ عشاء الآخرة في مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت فتساندت إلى ساريتي، فجاء **رجل أسود** تعلوه صفرة متَّزِر بكساءٍ، وعلى رقبته كساء أصغر منه. فتقدم إلى السارية التي بين يدي وكنتُ خلفه، فقام فصلى ركعتين، ثم جلس، فقال: أيْ ربِّ خرج أهل حَرم نبيك يستسقون فلم تَسقهم، فأنا أقسم عليك لما سقَيتهم.

قال ابن المنكدر: فقلت: مجنون قال: فما وضع يده حتى سمعتُ الرعد،

ثم جاءت السماء بشيءٍ من المطر، فلما سمع المطر حِمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها قطّ قال: ثم قال: ومن أنا وما أنا حيث استجبتَ لي، ولكن عُذْتُ بحمدك، وعُذْتُ بَطوْلك. ثم قام فلم يزل قائمًا يصلّي حتى إذا أحسَّ الصبح سجد وأوتر، وصلى ركعتي الصبح، ثم أقيمت صلاة الصبح، فدخل في الصلاة مع الناس ودخلتُ معه.

فلما سلّم الإمام خرج من المسجد وخرجت خلفه، فجعل يمشي وأتبعه حتى دخل دارًا قد عرفتها من دُور المدينة، ورجعتُ إلى المسجد.

فلما طلعت الشمس وصلّيت خرجت حتى أتيت الدار، فإذا أنا به قاعد يَخْرز، وإذا هو إسكاف.[1] صفة الصفوة ٢/ ٥١١.

* وعن **بكر بن خنيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: خرجنا مرة لنستقي، وخرج الأمير والقاضي، فدعا القاضي ثم أذن الأمير للناس بالانصراف، قال: وما نرى في السماء سحابًا وإلى جنبي أسود.

قال: فالتفت إليه فسمعته يدعو وأعجبت بدعائه، فقال في دعائه لما نظر إلى الناس منصرفين: اللهم اسقنا الساعة وأقلب عبادك مسرورين، قال: فوالله إن كان إلا انقضاء قوله حتى أقبلت السماء بأشد ما يكون من المطر، قال بكر: فحرصت على أن أعرفه أو أدركه فلم أقدر على ذلك. ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٠١.

* وعن **عمرو السريا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنت أُغير في بلاد الروم وحدي، فبينا أنا ذات يوم نائم، ورد علي علج فحركني برجله، فانتبهت فقال: يا عربي، اختر إن شئت مطاعنة، وإن شئت مسايفة، وإن شئت مصارعة.

فقلت: أما المسايفة، والمطاعنة، فلا بقاء لهما، ولكن المصارعة.

---

(١) صَانِع أَوْ مُصْلِح الْأَحْذِيَة.

فنزل فلم ينهنهني[١] أن صرعني وجلس على صدري فقال: أي قتلة أقتلك؟.

فذكرت (الدعاء)[٢] فرفعت طرفي إلى السماء فقلت:

أشهد أن كل معبود دون عرشك إلى قرار الأرضين باطل غير وجهك الكريم، قد ترى ما أنا فيه ففرج عني، فأغمي عليَّ ثم أفقت، فإذا الرومي قتيل إلى جنبي.

قال إسحاق ابن بنت داود: جربته وعلمته الناس، فوجدته نافعًا وهو الإخلاص بعينه. ابن أبي الدنيا ٢/ ١١٩-١٢٠.

* وأمر الحجاج بن يوسف برجل كان جعل على نفسه إن ظفر به أن يقتله.

فلما أدخل عليه، تكلم بشيء فخلى سبيله، فقيل له: أي شيء قلت؟ قال: قلت: يا عزيز يا حميد، يا ذا العرش المجيد، اصرف عني شر كل جبار عنيد. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٧٢.

* وقال عباس الدوري: حدثنا علي بن أبي فزارة - جارنا - قال: كانت أمي مقعدة من نحو عشرين سنة، فقالت لي يوما: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فسله أن يدعو لي.

فأتيت، فدققت عليه وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟.

قلت: رجل سألتني أمي -وهي مقعدة- أن أسألك الدعاء.

فسمعت كلامه كلام رجل مغضب، فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا.

فوليت منصرفا، فخرجت عجوز، فقالت: قد تركته يدعو لها. فجئت إلى بيتنا ودققت الباب، فخرجت أمي على رجليها تمشي.

---

(١) قال ابن فارس: النون والهاء كلمةٌ واحدة. يقال: نَهْنَه فلانٌ فلانًا: كفّه وزَجَره.[مقاييس اللغة: مادة: نه.

والمعنى ليس بواضح، والأنسب أن تكون بدلها: يُمهلني.

(٢) هذه اللفظة ليست في المطبوع، لكن السياق يقتضيه.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): هذه الواقعة نقلها: ثقتان، عن عباس. السِّيَر (١١/ ٢١٢).

* وعن داود بن أبي هند، قال: لما أخذ الحجَّاجُ **سعيدَ بن جُبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) قال: ما أراني إلا مقتولًا وسأخبركم: إني كنتُ أنا وصاحبان لي دعَونا حين وَجَدنا حلاوةَ الدُّعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكِلا صاحبيَّ رُزِقَها، وأنا أنتظِرُها.

قال: فكأنَّه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدُّعاء.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولمّا علم مِن فضل الشهادة ثَبَت للقَتل ولم يَكْتَرِثْ، ولا عامل عدوَّه بالتقيَّة المباحة له. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٧.

* وعن الأوزاعي قال: خرج الناس يستسقون وفيهم **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠)، فقال: يا أيها الناس ألستم تقرون بالإساءة؟ قالوا: نعم! قال: اللهم إنك قلت: (ما على المحسنين من سبيل)، وكل يقر لك بالإساءة فاغفر لنا واسقنا، قال: فسقوا. تهذيب الحِلْية ١٩٠/ ٢.

* وقال ثابت البناني: أخذ عبيد الله بن زياد ابنَ أخٍ **لصفوان بن محرز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤)، فحبسه في السجن، فلم يدع صفوان شريفًا بالبصرة يرجو منفعته إلا تحمّل به عليه، فلم يرَ لحاجته نجاحًا، فبات في مصلاه حزينًا قال: فهوّم من الليل فإذا آتٍ قد أتاه في منامه، فقال: يا صفوان قم فاطلب حاجتك من جهتها قال: فانتبه فزِعًا فقام فتوضأ، ثم صلّى ثم دعا. فأرِق ابنُ زياد، فقال: عليَّ بابن أخي صفوان بن محرز، فجاء بالحرس وجيء بالنيران، ففُتحت تلك الأبواب الحديد في جوف الليل، فقال: ابن أخي صفوان أَخرِجوه، فإنّي قد مُنعت من النوم منذ الليلة، فأخرج فأتي به ابن زياد، فقال: انطلق بلا كفيلٍ ولا شيء، فما شعر صفوان حتى ضرب عليه ابنُ أخيه بابَه، قال صفوان: مَن هذا؟ قال: أنا فلان قال: أيّ ساعةٍ هذه الساعة؟ فحدّثه الحديث. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٤٧.

* وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان **العلاء بن الحضرمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١) في سرية، فعطشوا فصلّى ثم قال: اللهمّ يا عليم يا حكيم يا عليّ يا عظيم، إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوَّك، فاسقنا غيثًا نشرب منه ونتوضأ، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا غيرنا، فساروا قليلًا فوجدوا نهرًا من ماء السماء يتدفق فشربوا وملؤوا أوعيتهم، ثم ساروا فرجع بعض أصحابه إلى موضع النهر، فلم يرَ شيئًا، وكأنه لم يكن في موضعه ماء قط. جامع العلوم والحكم / ٤٨٥-٤٨٦.

* وكان **صِلة بن أشيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ له (ت: ٧٠) في سرية، فذهبت بغلته بثقلها، وارتحل الناس، فقام يصلي، وقال: اللهمّ إني أقسم عليك أن تردّ عليّ بغلتي وثقلها، فجاءت حتى قامت بين يديه. وكان مرة في برية فقر فجاع، فاستطعم الله، فسمع وجبة خلفه، فإذا هو بثوب أو منديل فيه دوخلة رطب طريّ، فأكل منه وبقي الثوب عند امرأته معاذة العدوية، وكانت من الصالحات. جامع العلوم والحكم / ٤٨٥-٤٨٦.

* وخرج **أبو قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) صائمًا حاجًا فتقدّم أصحابه في يوم صائف، فأصابه عطش شديد فقال: اللهمّ إنك قادر على أن تذهب عطشي من غير فطر، فأظلّته سحابة، فأمطرت عليه حتى بلت ثوبه، وذهب العطش عنه، فنزل فحوّض حياضًا فملأها، فانتهى إليه أصحابه فشربوا، وما أصاب أصحابه من ذلك المطر شيء. جامع العلوم والحكم / ٤٨٥-٤٨٦.

* وعن أبي محمد الحسن بن علي بن صليح أنه قال: إن **أبا حمدون الطيب بن إسماعيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ كف بصره، فقاده قائد له ليدخله المسجد فلما بلغ إلى المسجد قال له قائده: يا أستاذ، اخلع نعلك قال: لم يا بني أخلعها؟ قال: لأن فيها أذى، فاغتم أبو حمدون، وكان من عباد الله الصالحين، فرفع يده ودعا بدعوات ومسح بها وجهه فردَّ الله عليه بصره ومشى. المنتظم ١١/٣٠١.

* وعن عَبْد اللهِ بْن كَثِيرٍ قَالَ: قَدِمَ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْمَدِينَةِ وَالِيًا عَلَيْهَا، قَالَ: فَأَتَاهُ عَلِيُّ ابْنُ الْحُسَيْنِ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَذَكَرَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ **سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ** (ت: ٩٤)؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ: إِنَّ سَعِيدًا لَيَلْزَمُ مَسْجِدَهُ، وَيَجْفُو الْأُمَرَاءَ، فَقَالَ: تَأْتِينِي أَنْتَ، يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَالْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَسَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَسَمَّى أُولَئِكَ الَّذِينَ أَتَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ يَأْتِنِي؟ وَاللهِ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، ثُمَّ وَاللهِ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، ثُمَّ وَاللهِ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَضَاقَ بِنَا الْمَجْلِسُ حَتَّى قُمْنَا، فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، وَذَكَرْتُ لَهُ مَا قَالَ، وَقُلْتُ: تَخْرُجُ إِلَى الْعُمْرَةِ؟ فَقَالَ: مَا حَضَرَتْنِي فِي ذَلِكَ نِيَّةٌ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ مَا نَوَيْتُ، قَالَ: فَقُلْتُ فَتَصِيرُ إِلَى مَنْزِلِ بَعْضِ إِخْوَانِكَ؟ قَالَ: فَمَا أَصْنَعُ بِهَذَا الْمُنَادِي الَّذِي يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ؟ وَاللهِ لَا يُنَادِينِي إِلَّا أَتَيْتُهُ.

قُلْتُ: أَيْ أَخِي، أَمَا تَخَافُ؟.

قَالَ: أَمَّا إِذْ ذَكَرْتَ يَا أَخِي فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيَعْلَمُ أَنِّي لَا أَخَافُ شَيْئًا غَيْرَهُ، وَلَكِنَّ أَوَّلَ مَا أَقُولُ وَأَوْسَطَهُ وَآخِرَهُ حَمْدًا لِلَّهِ، وَثَنَاءً عَلَيْهِ، وَصَلَاةً عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُنْسِيَهُ ذِكْرِي.

قَالَ: فَمَكَثَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمَدِينَةِ مَا شَاءَ اللهُ لَمْ يَذْكُرْهُ، قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى مَنْزِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَغُلَامٌ لَهُ يُوَضِّئُهُ، إِذْ قَالَ لِلْغُلَامِ: أَمْسِكْ وَاسْوَأْتَاهُ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَسَالِمٍ، إِنِّي حَلَفْتُ أَنْ أَقْتُلَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، وَاللهِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ حَتَّى سَاعَتِي هَذِهِ، فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ: أَيْ مَوْلَايَ، فَمَا أَرَادَ اللهُ بِكَ خَيْرٌ مِمَّا أَرَدْتَ بِنَفْسِكَ. كرامات الأولياء للالكائي (١٢١).

* وقال موسى بن طريف: ركب **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) البحر، فأخذَتْهم ريح عاصف، فأشرفوا على الهلكة، فلفَّ إبراهيم رأسه في عباءةٍ ونام،

فقالوا له: ما ترى ما نحن فيه من الشدة؟ فقال: ليس ذا شدة، قالوا: ما الشِّدَّة؟ قال: الحاجة إلى النّاس، ثم قال: اللهم أَرَيتَنا قُدرتَك فأرِنا عَفْوَك، فصار البحر كأنه قَدَح زيتٍ. صفة الصفوة ٤/ ٣٨٨.

* ودخل **أبو الحسين النوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٥) يومًا الماء فجاء لص فأخذ ثيابه، فبقي في وسط الماء فلم يلبث إلا قليلًا حتى رجع إليه اللص معه ثيابه، فوضعها بين يديه وقد جفت يمينه، فقال النوري: رب قد رد علي ثيابي فرد عليه يمينه. فرد الله عليه يده ومضى. تهذيب الحِلْية ٣٦٩/ ٣.

* وذكر صاحب سيرةِ **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٦٠): أنه سمعه يذكر: أنه لما استطال السلطان مسعود وأصحابه وأفسدوا، عزم هو والخليفة على قِتاله، قَالَ: ثم إني فكَّرت في ذلك، ورأيت أنه ليس بصوابٍ مجاهرته، لقُوةِ شوكته، فدخلت على المقتفي، فقلت: إني رأيتُ أن لا وجْه في هذا الأمر إلا الالتجاء إلى الله تعالى، وصِدق الاعتماد عليه، فبادَر إلى تصديقي في ذلك، وقال: ليس إلا هذا، ثم كتبتُ إليه: أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قد دعا على رَعل وذَكوان شهرًا، وينبغي أن ندعو نحن شهرًا، فأجابني بالأمر بذلك.

قال الوزير: ثم لازمتُ الدعاء في كلّ ليلة وقتَ السَّحر، أجلِس فأدعو الله سبحانه، فمات مسعود لتمام الشَّهر، لم يَزِد يومًا ولم يَنقص يومًا، وأجاب الله الدعاء، وأزال يَد مسعود وأتباعه عن العراق، وأورثنا أرضهم وديارهم.(١) وهذه القصة تُذكر في **كرامات الخليفة والوزير** رحمهما الله تعالى. ذيل الطبقات (٢/ ١١٣ - ١٦٩).

* وكان بالمهدية نصرانيٌّ ابن أخ لخاصة بَادِيْس بن حَبُوْسَ صاحب القيروان(٢)، فافتضّ هذا النصرانيُّ صبيةً شريفة، فلما سمعت بذلك العامة

---

(١) ذكرها الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٩١).

(٢) من قادة البربر، له شرف وعشيرة، تملك غرناطة، وجيَّش الجيوش، وحارب المعتصم صاحب المريَّة، والمعتضد صاحب إشبيلية، وكان سفاكا للدماء، فيه عدل بجهل. =

رجعوا إليه فقتلوه، وبلغ ذلك باديس، فعظُم ذلك عليه، وأرسل قائدًا بعسكر إلى المهدية، وقال لهم: اقتلوا من هو قدّ السيف إلى فوق، وبلغ ذلك **أبا الحسن ابنَ القابسيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٣)، فدخل المحراب وأقبل على الدعاء في كشف هذا، فلما وصل القائد إلى قصرٍ مسوَّر قرب المهدية بات فيه، فقام بالليل وهو سكران يمشي على السطح فمشى في الهواء وسقط على رأسه وانتثر دماغه، وجاءت البُرد[1] إلى باديس بذلك، وأُعلم بدعاء الشيخ أبي الحسن فرُعِب لذلك، وقال لابن أبي العرب وكبراء رجاله: تمشون للشيخ.

فجعل القُواد يقول بعضهم لبعض: والله ما السلطان إلا هذا الشيخ. ترتيب المدارك (٤/ ١٧١).

* ولَمَّا جرت للفقيه الإمام **أبي محمد ابن التبّان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] (ت: ٣٧١) المسألة التي تكلم فيها في الإيمان[3]، وخالفه أبو محمد ابن أبي زيد، وأبو الحسن القابسيّ (ت: ٤٠٣)، وأبو إسحاق السَّبائي (ت: ٣٥٦)، والجماعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ[4]، وحدَث بينهم وبين بعضهم وحشة بسببها: جعل موعدًا للإلقاء، وألقى عليهم كتاب الوضوء، فخالفوه في مسألة، فقال لهم: اسمعوا ما أقول: درست هذا الكتاب

= وقفت له امرأة، فقالت: يا مولانا، ابني يعقني، فطلبه، ودعا بالسيف، فقالت المرأة: إنما أردت تهديده، فقال: ما أنا بمعلم كُتَّاب، وأمر به، فضربت عنقه. [السِّيَر (٣٦/ ٧٠)

(١) أي: الرسل.

(٢) كان من العلماء الراسخين، والفقهاء المبرزين، ضربت له أكباد الإبل من الأمصار؛ لعلمه بالذب عن مذهب أهل الحجاز ومصر ومذهب مالك، وكان من أحفظ الناس بالقرآن والتفنن في علومه، والكلام على أصول التوحيد، مع فصاحة اللسان، وكان مستجاب الدعاء، رقيق القلب غزير الدمعة.

(٣) وهي الاستثناء في الإيمان، أي: هل يقول: أنا مؤمن، أو يستثني فيقول: إن شاء الله.

(٤) وهؤلاء من علماء المالكية، فكلهم على مذهب واحد، ومع ذلك جرى بينهم من الاختلاف والافتراق بسبب هذه المسألة، التي لو حُررت لعلموا أنّ الاختلاف فيها لفظي.

ألف مرة، فأبوا إلا مخالفته، فقام بهم إلى داره، وأخرج الكتاب وأراهم المسألة كما قال، ثم دعا على نفسه، وقال: اللهم لا تقضِ عليَّ أنْ أُلْقِيَ عليهم بعد هذا شيئًا، اللهم اقبضني إليك، وأرحني منهم، فما قام إلا يسيرًا حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.(١) ترتيب المدارك (٤/ ٦٠).

* وحدَثت عداوة بين **القاضي الجليس بن الحبّاب**(٢) والمهذب بن الزبير رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فبلغ شاورَ(٣) أن ابن الزبير يمدح شيركوه(٤) ويحرضه على قتله، فلما سار شيركوه عن القاهرة قبض شاور على ابن الزبير واعتقله وعزم على قتله، فدخل عليه القاضي الجليس بن الحبّاب وما زال به حتى أفرج عنه، فلما كان الليل وقف ابن الزبير على باب ابن الحبّاب واستأذن عليه، فبعث إليه يقول: العداوة باقية، وما فعلت هذا إلا سترا للحرمة والفضيلة، وقد حدث منك قبل هذا ما هو أعظم من هذه فما حفظتَها.

والله لا اجتمعنا إلا يوم القيامة، فاتفق موت القاضي الجليس في أول السنة، ومات بعده ابن الزبير. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٤٠).

---

(١) كلّ مَن شق طريقه نحو القمة سيواجه من المثبطين والْمُنتقدين والحاسدين من يسعى جاهدا في ثَنْيِ عزيمته، وإعاقةِ مسيره، قصدًا أو من غير قصد، فلا ينبغي أنْ يلقي لهم بالا، ولا يعيرهم اهتمامًا.

فانظر إلى هذا الإمام كيف فتّ في عضده انتقاد مَن هم على مذهبه، وكان الأحرى بهم أن يكونوا عونًا له، لا حربًا عليه، ولو لم يُعِرْهم اهتمامًا لاستراح من الهم الذي دعا الله أن يموت بسببه، فما أثخن جرح الحاسدين والْمُثبّطين والْمُكثرين من الانتقاد في قلب من يُصغي لهم، وما أهونه على من أعرض بقلبه وسمعه عنهم.

(٢) هو: عبدالعزيز بن الحسين بن الحباب أبو المعالي القاضي الجليس السعدي، كان يجالس خلفاء مصر من بني عبيد فسُمّيَ الجليس، وكان أديبًا مترسّلا شاعرا. مات سنة (٥٦١).

(٣) شاور أبو شجاع وزير الديار المصرية في دولة بني عُبيد الرافضية.

(٤) أسد الدين شيركوه، أول من ولي مصر من الأكراد الأيوبيين.

وهو عمُّ السلطان صلاح الدين، وكان من كبار القواد في جيش نور الدين زنكي.

د- نماذج من دعاء السلف[1]:

* كان **معاذ بن جبل** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (ت: ١٨) إذا تهجد من الليل قال: اللهم قد

(١) قاعدة هامة في الأذكار والأدعية التي لم ترد في الكتاب والسنة، وحُكم تقييد الأذكار والأدْعية الشرعية بزمان أو مكان:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غايةُ المطالب الصحيحة، ونهايةُ المقاصد العليّة.

والأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحرَّاه المتحرِّي من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبِّر عنه لسان، ولا يحيط به إنسان. ا.هـ.

وأما ما سواها من الأذكار والأدعية فقد ذكر فيها تفصيلا:

١- أنْ يَسُنَّ للناس نوعا من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها، كما يواظبون على الصلوات الخمس: فهذا ابتداعُ دينٍ لم يأذن الله به.

٢- أن يدعو به الإنسان أحيانا من غير أن يجعله للناس سنة، ولم يُعْلم أنه يتضمن معنى محرما: فهذا لا يَجُوز الجزم بتحريمه، وهذا كما أنّ الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت.

٣- أن يتخذ وردًا أو ذكرًا غير شرعي: فهذا مما يُنهى عنه.

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قاعدةً في تقييد الأدعية والأذكار الشرعية زمانًا ومكانًا:**

١- إنْ دلت أدلة الشرع على استحباب ذلك، كالذكر والدعاء يوم عرفة بعرفة، أو الذكر والدعاء المشروعين في الصلوات الخمس، والأعياد والجُمع وطرفي النهار، وعند الطعام والمنام واللباس، ودخول المسجد والخروج منه، ونحو ذلك: صار ذلك الوصف الخاص مستحبًّا مشروعا استحبابا زائدا على الاستحباب العام المطلق.

٢- وإن دلت أدلة الشرع على كراهة ذلك كان مكروها، مثل اتخاذ ما ليس بمسنون سنةً دائمة؛ فإنَّ المداومة في الجماعات على غير السنن المشروعة بدعة؛ كالأذان في العيدين، والقنوت في الصلوات الخمس، والدعاء المجتمع عليه أدبار الصلوات الخمس، والمداومة على الاجتماع لصلاة تطوع، أو قراءةٍ أو ذكرٍ كلَّ ليلة، ونحو ذلك: فإنَّ مضاهاةَ غير المسنون بالمسنون بدعةٌ مكروهة.

٣- وإن لم يكن في الخصوص أمر ولا نهي: بقي على وصف الإطلاق، كفعلها أحيانا على غير وجه المداومة، مثل التَّعْريف -أي الجلوس في المسجد يوم عرفة لغير الحاج للدعاء والذكر- أحيانا كما فعلت الصحابة، والاجتماع أحيانا لمن يقرأ لهم، أو على ذكر أو دعاء.

يُنظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٩٦- ١٩٨)، (٢٢/ ٥١١)، الرد على الشاذلي ص: ٢٧، ٣٠.

نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حي قيوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف؛ اللهم اجعل لي عندك هدى تَرُدُّه إليَّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. تهذيب الحِلْية ١٨٣/ ١.

* وكان **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢) يقول : اللهم إن تعذبني فأنا أهل ذاك وإن تغفر لي فأنت أهل ذاك . الزهد لأحمد: ٤٠٥.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): إلهي كيف أفرح وقد عصيتُك؟ وكيف لا أفرح وقد عَرَفتك؟ وكيف أدعوك وأنا خاطئ؟ وكيف لا أدعُوك وأنت كريم؟. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إلهي إنَّ إبليس لك عدوّ وهو لنا عدو، وإنَّك لا تَغِيظه بشيءٍ هو أنكأُ له من عفْوك، فاعف عنَّا يا أرحم الرّاحمين. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٤.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥) في مناجاته: إنّك إن طالَبتني بِشَرّي طالبتُك بكرَمك، وإن أخذتَني بذُنوبي أتيتك بتوحيدك، وإن أسكنتَني النار بين أعدائك لأخبرنّهم بحبي لك. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٣.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حممت بنيسابور، فانْطَبَقت علي الحمى، فدعوت بهذا الدعاء: إلهي، كلما أنعمت علي نعمةً قلَّ عندها شكري، وكلما ابتليتني ببلية قل عندها صبري، فيا من قل شكري عند نعمته فلم يخذلني، ويا من قل عند بلائه صبري فلم يعاقبني، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني، اكشف ضرِّي.

قال: فذهبت عني. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٩١.

* وكان **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) يقول في دعائه: اللهم ارزقنا من فضلك رزقًا يزيدنا لك به شكرًا، وإليك فاقة وفقرًا، وبك عمَّن سواك غنى وتعفًا. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٧١.

* وعن **عبد العزيز بن أبي رواد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٩) أنه كان خلف المقام جالسًا فسمع **داعيًا** دعا بأربع كلمات، فعجب منهن وحفظهن قال: فالتفت فلم أر أحدًا، وهو يقول: اللهم فرِّغني لما خلقتني له، ولا تُشْغلني بما تكفَّلْت لي به، ولا تحرمني وأنا أسألك، ولا تعذبني وأنا أستغفرك. ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٧١.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): اللهم إن لم أكن أهلًا أن أبلغ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغني، رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنك خلقت قومًا فأطاعوك فيما أمرتهم، وعملوا في الذي خلقتهم له، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين. تهذيب الحِلْية ٢٢٣/ ٢.

* وكان من دعاء **معروف الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): لا تجعلنا بين الناس مغرورين، ولا بالستر مفتونين، اجعلنا ممن يؤمن بلقائك، ويرضى بقضائك، ويقنع بعطائك، ويخشاك حق خشيتك. تهذيب الحِلْية ١٠١/ ٣.

* وقَالَ عبدالرحمن بن زاذان: كنتُ فِي المدينة وقد صلينا ونحن قُعود، **وأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) حاضر، فسمعته يقول: اللهم مَن كان على هوى أو عَلَى رأي وهو يظن أنه عَلَى الحق، وليس هو عَلَى الحق، فرُدَّه إلى الحق، حتى لا يُضَلّ به من هذه الأمة أحد، اللهم لا تُشْغِل قلوبنا بما تكفَّلْت لنا به، ولا تجعلنا في رزقك خولًا[1] لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بِشَرِّ ما عندنا، ولا ترانا حيث نهيتنا، ولا تَفْقدنا من حيث أمرتنا، أعِزَّنا ولا تُذِلنا، أعِزَّنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعاصي. طبقات الحنابلة (٢/ ٧٢).

* وقال **يحيى بن يحيى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٤): اللهم لا تُخِفْ بنا أحدًا من

---

(١) أي: عبيدًا.

خلقك، إنَّ رجلًا يُخيفه الله خيارَ خلقه رجلُ سوءٍ. ترتيب المدارك (٢/ ٣٥).

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) لأصحابه: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكنِفنا برُكنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلكُ وأنت رجاؤنا.

قال **خلف بن تميم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما زلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لي لصٌّ ولا غيره. الزهد للخطيب (١٢٦).

هـ- بعض الآداب في الدعاء، وبعض الأخطاء فيه(١):

* عن **عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٩) قالت: سلوا ربكم حتى الشسع فإنه إن لم

---

(١) من المعلوم أنّ إجابةَ الدُّعاءِ لا بُدَّ لهَا مِنْ شُرُوطٍ، **ومن أعظم وأهمّ شروطها:**

١- أَنْ يدْعُوَ المسلم ربّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنيَّةٍ صادِقةٍ، وحُضُورِ قَلْبٍ، «فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ».

٢- أَنْ يكون أكلُه حلالًا.

٣- أَنْ يدعوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خُفْيةً، قال تَعالَى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف:٥٥] فقد أَمَرَ تعالى بِإِخْفَاء الدعاء وَإِسْرَارِه.

٤- أن يدعوه تضرُّعًا، وَهُوَ التَّذَلُّلُ وَالتَّمَسْكُنُ وَالِانْكِسَارُ، كما قال تَعالَى في الآية السابقة: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾.

ومما يُلاحظ على كثير من الناس في دعائهم أنهم لا يستشعرون التضرع والتذلل لله، بل يدعون الله وهم في غفلة، وبعضهم يتثاءب، وبعضهم يلتفت يمنةً ويسرةً وينشغل بالناس وبما حوله!

وعدم التضرّع يدخل الاعتداء المنهي عنه في قَوْله تَعالَى ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف:٥٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمِنِ الْعُدْوَانِ أَنْ يَدْعُوَهُ غَيْرَ مُتَضَرِّعٍ، بَل دُعَاءُ هَذَا كَالْمُسْتَغْنِي الْمُدَلِّي عَلَى رَبِّه، وَهَذَا مِن أَعْظَمِ الِاعْتِدَاءِ لِمُنَافَاتِهِ لِدُعَاءِ الذَّلِيلِ، فَمَن لَمْ يَسْأَلْ مَسْأَلَةَ مِسْكِينٍ مُتَضَرِّعٍ خَائِفٍ فَهُوَ مُعْتَدٍ.

وَقَوْله تَعَالَى ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ عَقِيبَ قَوْلِه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَن لَمْ يَدْعُهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً فَهُوَ مِن الْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ لَا يُحِبُّهُمْ. ا.هـ.

٥- ألا يستعجل ربه في الإجابة، ويترك الدعاء إذا لم يُستجب له.

يُنظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ١٠-٢٧)، بدائع الفوائد: ٣/ ٨٥١.

يسره والله لم ييسر. الزهد لأحمد: ٣٦١.

* وسئل **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) عن الرجل يدعو يقول: يا سيدي؟ فقال: يعجبني أن يدعو بدعاء الأنبياء، ربنا ربنا. تهذيب الحِلْية ٣٥٣/ ٢.

* وكان بعض السلف يسأل الله في صلاته كلّ حوائجه حتى ملح عجينه وعلف شاته.[1] جامع العلوم والحكم/ ٣٠٣.

* ومر **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا له: يا أبا إسحاق إن الله تعالى يقول في كتابه: (ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ) ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا.

قال: فقال إبراهيم: **يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء:**

أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

---

(١) هذا هو السنة، وهو أن يسأل المسلم ربّه مصالح الدنيا والآخرة، وقد كان بعض السلف يستحي من الله أن يسأله شيئًا من مصالح الدنيا، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والاقتداء بالسنّة أولى. جامع العلوم والحكم/ ٣٠٣.

وقد قال الله تعالى مُثنيًا على عباده المؤمنين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١]: قال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَمِيعًا، لَا حُظُوظَ الدُّنْيَا وَحْدَهَا كَيْفَمَا كَانَتْ كَالْفَرِيقِ الْأَوَّلِ..

وَلَمْ يَذْكُرْ فِي التَّقْسِيمِ مَنْ لَا يَطْلُبُ إِلَّا حَسَنَةَ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ التَّقْسِيمَ لِبَيَانِ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْوَاقِعِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ بِحَسَبِ دَاعِي الْجِبِلَّةِ وَتَأْثِيرِ التَّرْبِيَةِ وَهَدْيِ الدِّينِ، وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ فِي الْبَشَرِ مَنْ لَا تَتَوَجَّهُ نَفْسُهُ إِلَى حُسْنِ الْحَالِ فِي الدُّنْيَا مَهْمَا يَكُنْ غَالِبًا فِي الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ، لِأَنَّ الْإِحْسَاسَ بِالْجُوعِ وَالْبَرْدِ وَالتَّعَبِ يَحْمِلُهُ كَرْهًا عَلَى الْتِمَاسِ تَخْفِيفِ أَلَمِ ذَلِكَ الْإِحْسَاسِ، وَالشَّرْعُ يُكَلِّفُهُ ذَلِكَ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِهِ، وَقَدْ جَعَلَ عَلَيْهِ حُقُوقًا لِبَدَنِهِ وَلِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَلِرَحِمِهِ وَلِزَائِرِيهِ وَإِخْوَانِهِ وَأُمَّتِهِ لَا تَصِحُّ عُبُودِيَّتُهُ إِلَّا بِدُعَاءِ اللهِ تَعَالَى فِيهَا.

وَفِي الْآيَةِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ هَذَا الْغُلُوَّ مَذْمُومٌ خَارِجٌ مِنْ سُنَنِ الْفِطْرَةِ وَصِرَاطِ الدِّينِ مَعًا، وَمَا نَهَى اللهُ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَذَمَّهُمْ عَلَى التَّشَدُّدِ فِيهِ إِلَّا عِبْرَةً لَنَا. تفسير المنار ٢/ ٢١٥-٢١٦.

الثاني: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به.

الثالث: ادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

الرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه.

والخامس: قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها.

والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها.

والسابع: قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له.

الثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم.

التاسع: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها.

العاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٨٢.

* وقال **بعضهم**: جامع العلوم والحكم / ١٤٠.

نحنُ ندعو الإله في كلّ كربٍ ... ثم ننساهُ عندَ كشفِ الكروبِ

كيفَ نرجو إجابة الدعاء ... وقد سددنَا طريقَها بالذنوبِ

* وقال **عبد الواحد بن زيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٧): الإجابة مقرونة بالإخلاص، لا فرقة بينهما. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٤.

* ومرَّ **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) برجل في يده حصى يلعب به وهو يقول: اللهم زوجني من الحور العين! فقام عليه عمر فقال: بئس الخاطب أنت، ألا ألقيت الحصى، وأخلصت لله الدّعاء؟ ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٥.

* وقَالَ **الْأَوْزَاعِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٥٧): يُقَالُ: أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْإِلْحَاحُ عَلَى اللهِ وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ. التمهيد لابن عبد البرّ ٥/ ٣٤٦.

* وقال **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): «ينبغي أن يسر دعاءه؛ لقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] قال: هذا في الدعاء.

وقال: وكانوا يكرهون أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء.

* وقَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ لِأَبِي عبدالله **الإمام أَحْمَدَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُكْرَهُ أَنْ يَجْتَمِعَ الْقَوْمُ يَدْعُونَ وَيَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ؟ فقَالَ: مَا أَكْرَهُهُ لِلْإِخْوَانِ إِذَا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى عَمْدٍ إِلَّا أَنْ يَكْثُرُوا.

قَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ: قَالَ إِسْحَاقُ بن رَاهْوَيْهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَمَا قَالَ، وَإِنَّمَا مَعْنَى إِلَّا أَنْ يَكْثُرُوا إِلَّا أَنْ يَتَّخِذُوهَا عَادَةً حَتَّى يَكْثُرُوا.

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ: فَقَيَّدَ أَحْمَدُ الِاجْتِمَاعَ عَلَى الدُّعَاءِ إِذَا لَمْ يُتَّخَذْ عَادَةً. الآداب الشرعية ٢/ ٧٦.

* وسمع **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) رجلا رافعًا صوته بالدعاء فرماه بالحصى. الزهد لوكيع (٣٤٠).

* وعن **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) قال: أحدث الناس الصوت عند الدعاء.[1] قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اقتضاء الصراط المستقيم: (٤٢٩): رواه الخلال بإسناد صحيح.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَفِي إِخْفَاءِ الدُّعَاءِ فَوَائِدُ عَدِيدَةٌ:**

أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَعْظَمُ إِيمَانًا؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ الدُّعَاءَ الْخَفِيَّ.

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ أَعْظَمُ فِي الْأَدَبِ وَالتَّعْظِيمِ؛ لِأَنَّ الْمُلُوكَ لَا تُرْفَعُ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُمْ، وَمَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ لَدَيْهِمْ مَقَتُوهُ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى.

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي التَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ الَّذِي هُوَ رُوحُ الدُّعَاءِ وَلُبُّهُ وَمَقْصُودُهُ، فَإِنَّ الْخَاشِعَ الذَّلِيلَ إِنَّمَا يَسْأَلُ مَسْأَلَةَ مِسْكِينٍ ذَلِيلٍ قد انْكَسَرَ قَلْبُهُ، وَذَلَّتْ جَوارِحُهُ، وَخَشَعَ صَوْتُهُ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي الْإِخْلَاصِ.

وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي جَمْعِيَّةِ الْقَلْبِ عَلَى الذِّلَّةِ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ يُفَرِّقُهُ.

وَسَادِسُهَا: أَنَّهُ دَالٌّ عَلَى قُرْبِ صَاحِبِهِ مِن الله، وأنه لاقترابه منه وشدَّة حضوره يسأله مَسْأَلَةَ أقرب شَيْءٍ إليه، فيسأله مَسْأَلَةَ مُنَاجَاةِ الْقَرِيبِ لِلْقَرِيبِ، لَا مَسْأَلَةَ نِدَاءِ الْبَعِيدِ لِلْبَعِيدِ؛ وَلِهَذَا أَثْنَى اللهُ عَلَى عَبْدِهِ زَكَرِيَّا بِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم:٣].

فَلَمَّا اسْتَحْضَرَ الْقَلْبُ قُرْبَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِن كُلِّ قَرِيبٍ أَخْفَى دُعَاءَهُ مَا أَمْكَنَهُ.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ١٠-٢٧)

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): كل حالٍ خصّ الله تعالى في قلب المؤمن فينبغي أن يَغتنم تلك اللحظة فإنها ساعة إجابة، ومن اشتدت فاقته فدعا، أو اشتدّ خوفه فبكى، فذلك الوقت الذي ينبغي أنْ يدعو فيه فإنه ساعة إجابة، وساعة صدق في الطلب، وما دعا صادقٌ إلا أُجيب. الآداب الشرعية ٢/ ١٩٣.

الخوف والخشية والرجاء

أ- الخوف والخشية[1]:

* لَمَّا طُعن عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) جعَلَ يَأْلَمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَئِنْ كَانَ ذَاكَ، لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صَحَبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ، قَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللهِ تَعَالَى مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَخَافَ اللهَ وَحْدَهُ وَلَا يَخَافَ أَحَدًا؛ فَإِنَّ مَنْ لَا يَخَافُ اللهَ أَذَلُّ مِنْ أَنْ يُخَافَ، فَإِنَّهُ ظَالِمٌ وَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، فَالْخَوْفُ مِنْهُ قَدْ نَهَى اللهُ عَنْهُ.
وَإِذَا قِيلَ: قَدْ يُؤْذِينِي؟
قِيلَ: إِنَّمَا يُؤْذِيك بِتَسْلِيطِ اللهِ لَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ دَفْعَ شَرِّهِ عَنْك دَفَعَهُ، فَالْأَمْرُ لِلَّه، وَإِنَّمَا يُسَلَّطُ عَلَى الْعَبْدِ بِذُنُوبِهِ، وَأَنْتَ إِذَا خِفْتَ اللهَ فَاتَّقَيْتَهُ وَتَوَكَّلْتَ عَلَيْهِ كَفَاكَ شَرَّ كُلِّ شَرٍّ وَلَمْ يُسَلِّطْهُ عَلَيْك، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، وَتَسْلِيطُهُ يَكُونُ بِسَبَبِ ذُنُوبِك وَخَوْفِك مِنْهُ، فَإِذَا خِفْتَ اللهَ وَتُبْتَ مِنْ ذُنُوبِك وَاسْتَغْفَرْتَهُ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْك كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال:٣٣]. ا.هـ مجموع الفتاوى: ١/ ٥٦-٥٧
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الخشية أخص من الخوف، فهي خوف مقرون بمعرفة، فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين...
والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإن تجاوز ذلك خيف من اليأس والقنوط. مدارج السالكين ٢/ ١٤٠.

فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ، وَاللهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلاَعَ الأَرْضِ ذَهَبًا لاَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ».

وَجَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدَمٍ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي.(١) صحيح البخاري: (٣٤١٦)، (٣٧٠٠).

* وقال لأَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَلْ يَسُرُّكَ إِسْلاَمُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهِجْرَتُنَا مَعَهُ، وَجِهَادُنَا مَعَهُ، وَعَمَلُنَا كُلُّهُ مَعَهُ، بَرَدَ لَنَا، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا مِنْهُ، كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ؟ فَقَالَ: لاَ وَاللهِ، قَدْ جَاهَدْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَصَلَّيْنَا، وَصُمْنَا، وَعَمِلْنَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَسْلَمَ عَلَى أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَإِنَّا لَنَرْجُو ذَلِكَ، فَقَالَ عمر: لَكِنِّي أَنَا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَرَدَ لَنَا(٢)، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ».(٣) صحيح البخاري: (٣٩١٥).

* وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رأس **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حِجري، فقال: يا عبد الله ضع رأسي بالأرض، قال: فجمعت ردائي فوضعته تحت رأسه، فقال: ضع رأسي بالأرض لا أمّ لك، ثم قال: ويلُ عمر وويلُ أمّه إن لم يغفر الله له. الزهد لأبي داود (٦٦).

---

(١) يتمنى عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يخرج من الدنيا سالمًا من تبعات الإمارة لا له ولا عليه، وهو الذي جاع لتشبع رعيّته، وافتقر لتغنى رعيّته، وكان يتجول في المدينة ينظر في شؤونهم، ويسهر الليل في قضاء حوائجهم، ومات مديونًا بأكثر من ثمانين ألفًا، وجاهد في سبيل الله وفتح الله على يديه بلاد الشام والعراق وخراسان وغيرها.

فكيف بمن تولّى منصبًا فخان وسرق وفرّط؟

(٢) أَيْ ثَبَتَ لَنَا وَدَامَ.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ هَضْمًا لِنَفْسِهِ، وَإِلَّا فَمَقَامُهُ فِي الْفَضَائِلِ والكمالات أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ. الفتح ٧/ ٣١٨

* وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لما طُعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لو أنّ لي ما في الأرض من شيء لافتديت به من عذاب الله قبل أن أرى.

قال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: لم أتَّقِ عذاب الله كما أحب.[1] الزهد لأبي داود (٧٠).

* وقال **عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢): وددت أني رمادٌ تذروني الرياح. الزهد لأحمد: ٢٧٧.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): وددتُ أن الله غفر لي خطيئةً من خطاياي وأنه لم يُعرفْ نسبي. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٣٩.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أنْ يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرّ على أنفه، فقال به هكذا.

قال أبو شهاب الزهري بيده فوق أنفه. صحيح البخاري (٦٣٠٨).

* وقال **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. صحيح البخاري: (٣٣٣٨).

* ولما نزل **بحذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الموت جزع جزعا شديدا، فقيل له: ما يبكيك؟.

قال: ما أبكي أسفا على الدنيا، بل الموت أحب إلي، ولكني لا أدري على ما أقدم على الرضا أم على سخط؟. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٣.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: لن يلج النارَ من بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع. الزهد لوكيع (٢٣).

* وبكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري، وقلة زادي، فإني أمسيت في صعود مهبطة على جنة ونار، ولا أدري أيتهما يُؤخذ بي. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٤.

---

(١) هذا شرحٌ لكلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* واسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ، فقَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ![1]، فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ، قَالَ: «فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ».

فَقَالَتْ: وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا. صحيح البخاري: (٤٧٥٣).

* وعاد **خبابَ بن الأرتّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧) بقايا من أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: أبشر أبا عبد الله، إخوتك تقدَم عليهم غدا، فبكى، وقال: «عليها من حال، أما إنه ليس بي جزع، ولكنّكم ذكّرتموني أقوامًا، وسمّيتموهم لي إخوانًا، وإنّ أولئك قد مضوا بأجورهم كما هي، وإني أخاف أن يكون ثوابُ ما تذكرون من تلك الأعمال ما أتينا بعدهم. الزهد للمعافى (٣٠١)، الزهد لأبي داود (٢٣٧).

* وعن **كعب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: لوددت أني كبش أهلي فأخذوني فذبحوني فأكلوا وأطعموا أضيفتهم. الزهد لأحمد: ٣٦٣.

* وعن **شداد بن أوس الأنصاري** (ت: ٦٠) أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه، لا يأتيه النوم فيقول: اللهم إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلي حتى يصبح. تهذيب الحِلْية ٢٠٢/ ١.

* وعن أبي رجاء العطاردي قال: رأيت **ابن عباس** (ت: ٨٦) وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من الدموع. الزهد لأحمد: ٢٧١.

* وعن **ابن عباس** في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢] قال: «الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت وصاروا إلى الله تعالى

---

(١) عائشة الصديقة بنت الصديق تخشى أن يَمدحها ويُثني عليها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبعض الناس يغضب لو لم يُمدح، ويُقرِّب من يمدحه، ويُبغض من يُبصِّره بعيوبه، فشتان بين الحالين!

استأنفوا[(١)] في بكاءٍ لا ينقطع عنهم أبدا. الزهد لأسد بن موسى (١٤).

* وقال **فضالة بن عبيد** (ت: ٥٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأنْ أعْلَم أنَّ الله تقبَّل مني مثقالَ حبَّة، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، لأنه تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧]. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٤٧.

* ودخل **ابن عمر** (ت: ٧٣) الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك. تهذيب الحِلْية ٢١٠/ ١.

* وشرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ماء مبرّدًا، فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤]، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئًا، شهوتهم الماء، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف:٥٠]. صفة الصفوة ١/ ٢٧٤.

* وقال **كعب الأحبار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢): لأن أبكي من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إليّ من أن أتصدق بوزني ذهبًا. الزهد لأبي داود (٣٧٤).

* وعن ابنةٍ **للربيع بن خُثيم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) قالت: كنتُ أقول: يا أبتاه، ألا تنام؟ فيقول: كيفَ ينامُ مَن يخاف البَيات.[(٢)] تهذيب السِّيَر ٣/ ٤٣.

* وقال **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣): وددت أني نجوت من عملي كفافا لا لي ولا عليّ. مسند الدارمي (٥٤٨).

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): وددت أن أنجو من هذا الأمر كفافًا، لا علي ولا لي. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت إذا رأيت الرجال يجتمعون إلى أحد غبطته، فلما ابتليت بها وددت أني نجوت منهم كفافًا لا عليَّ ولا ليَ.[(٣)] تهذيب الحِلْية ٣٨٧/ ٢.

---

(١) أي: ابتدؤوا.

(٢) أي: يُبيّته العدوّ بغتة، ويقصد بذلك هجوم ملك الموت عليه في أيّ لحظة.

(٣) وكذا قال الشعبي وأحمد بن حنبل وهشام الدستوائي رَحِمَهُمُ اللَّهُ. انظر تهذيب الحِلْية ١١٢-١٤٥-٣٤٠/ ٢. =

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أطاق أحد العبادة، ولا قوي عليها إلا بشدة الخوف. تهذيب الحِلْية ٣٦٢/ ٢.

* وعن **يزيد بن ميسرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: البكاء من خشية الله تطفئ الدمعة منه مثل أمثال البحور من النار. الزهد لأبي داود (٣٩٤).

* وقيل في بعض المواعظ: عجبا لمن يخاف العقاب كيف لا يكف عن المعاصي، وعجبا لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل. أدب الدين (٢٠٠).

* واشتكى **ثابت البناني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٣) عينه، فقال له الطبيب: اضمن لي خصلة تبرأ عينك، قال: وما هي؟ قال: لا تبك، قال: وما خيرٌ في عين لا تبكي؟. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢١٠.

* وقيل **لعامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠): إنك تبيتُ خارجًا، أما تخافُ الأسد؟ قال: إنِّي لأستحيي من ربِّي أن أخافَ شيئًا دونه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٣٤.

* وكان **هرِم بن حيَّان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦) يخرجُ في بعض اللّيل ويُنادي بأعلى صوته: عجبتُ من الجَنَّة كيف نامَ طالبُها؟ وعجبتُ من النار كيف نام هاربُها؟ ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ [الأعراف: ٩٧]. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٤٠.

* وكان **سعيد بن المسيِّب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) يكثر أن يقولَ في مَجلسِه: اللَّهمَّ سلِّم سلِّم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٢.

* وقال الشَّاعِر:

وإنَّ اللهَ ذُو حِلْـــمٍ ولَكِـــنْ ... بِقَـدْرِ الْحلـمِ يَنتقِـمُ الْحلِيـمُ

المجالسة وجواهر العلم (٣١١).

= يقولون هذا وهم الذين أفنوا أعمارهم في طلب العلم وتحصيلِه، ثم في تزكيتِه ونشرِه وتبليغِه، وعَمَروا أوقاتهم بالتعليم والعمل والعبادة، فكيف بمن كتم علمه، ولم يعمل بعملِه!
اللهم ارحمنا يوم العرض عليك، وأمِّنَّا يوم الفزع الأكبر.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن الرجل يذنب فما ينساه وما يزال متخوفًا منه حتى يدخل الجنة. الزهد لأحمد: ٤٦٩.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول النبي ﷺ «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[1]: «والله إنْ أصبح فيها مؤمن إلا حزينًا، وكيف لا يحزن المؤمن وقد حدَّث الله عَزَّوَجَلَّ أنه واردٌ جهنم، ولم يأته أنه صادر عنها، والله ليلقين أمراضا، ومصيبات وأمورا تغيظه، وليُظلَمن فما ينتصر، يبتغي من ذلك الثواب من الله عَزَّوَجَلَّ، وما يزال فيها حزينًا خائفا حتى يفارقها، فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة».

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: نضحك ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئًا. الزهد لابن المبارك (١١٤١).

* وبكى رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني غدًا في النار ولا يبالي.[2] المنتظم ١٣٧/ ٧.

* وقيل له: إن عندنا قوما يبكون ليسوا بذلك، ونرى قوما أفضل منهم لا يبكون؟ فقال الحسن: أولئك تبكي قلوبهم.[3] ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٨٤.

* وقيل له كذلك: كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٢) قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُلُّ مَنْ لَمْ يَخْشَ أَنْ يَكُوْنَ فِي النَّارِ فَهُوَ مَغْرُوْرٌ قَدْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ بِهِ. السِّير ٦/ ٢٩١.

(٣) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولذلك تجد بعض الوعاظ كثير البكاء، وتصدر منه مخالفات شرعية تدل على ضعف في الورع والتقوى، وتجد عالمًا أو صالحًا قليل البكاء أمام الناس، ولكنه قوي في دينه، شديد الورع والتمسك بالكتاب والسنة.

والبكاء من علامات رقة القلب غالبًا، ولكنه ليس دليلا على قوة الإيمان وصلابته.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْخَائِفُ مِنَ اللهِ تَعَالَى هُوَ أَنْ يَخَافَ أَنْ يُعَاقِبَهُ إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قِيلَ: لَيْسَ الْخَائِفُ الَّذِي يَبْكِي وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ، بَلِ الْخَائِفُ الَّذِي يَتْرُكُ مَا يَخَافُ أَنْ يُعَذَّبَ عَلَيْهِ. تفسير القرطبي (٥/ ٤٢٨).

الحسن: والله لئن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى يدركك الأمن، خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى يلحقك الخوف. تهذيب الحِلْية ١/٣٣٦.

* وعن **عبد الأعلى التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): قال: من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه، لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نعت العلماء فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩]. تهذيب الحِلْية ٢/١٤٩.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المخافة قبل الرجاء، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق جنة ونارًا، فلن تخوضوا إلى الجنة حتى تمروا على النار. تهذيب الحِلْية ٢/١٧٢.

* واجتمع بنو مروان على باب **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١)، وجاء عبد الملك بن عمر ليدخل على أبيه، فقالوا له: إما أن تستأذن لنا، وإما أن تبلغ أمير المؤمنين عنا الرسالة، قال: قولوا: فقالوا: إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا، وإن أباك قد حرمنا ما في يديه قال: فدخل على أبيه فأخبره عنهم، فقال له عمر: قل لهم إن أبي يقول لكم: إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. تهذيب الحِلْية ٢/٢٠٣.

* وعن عطاء بن أبي رباح قال: حدثتني فاطمة امرأة **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنها دخلت عليه، فإذا هو في مُصَلاَّه يَدُهُ على خدِّه، سائلة دموعه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين! ألشيءٍ حدث؟ قال: يا فاطمةُ! إني تقلَّدت أمرَ أمَّة محمد ﷺ، فتفكَّرْتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائعِ، والعاري المجهود، والمظلوم المقهُور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض، فعلمتُ أنَ ربِّي سيسألني عنهم، وأن خَصْمَهُمْ دونهم محمَّدٌ ﷺ فخشيتُ ألا تثبتَ لي حُجَّة عند خصومته، فَرَحِمْتُ نفسي فَبَكَيْتُ. تهذيب السِّير ٢/ ٥٨٩.

* وبكى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فبكت فاطمة فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلى عنهم العَبْرُ قالت فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة مُنْصرفَ القوم من بين يدي الله فريق في الجنة وفريق في السعير!. ابن أبي الدنيا ٣/ ١٨١.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوما ساكتا وأصحابه يتحدثون، فقالوا له: مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت مفكرا في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها، ثم بكى. ابن أبي الدنيا ٣/ ١٨٢.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كان بُدوُّ إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لي فقال: يا عمر اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٣٠.

* وقالت فاطمة بنت عبد الملك: قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصوما من **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكن لم أر رجلا من الناس قط كان أشدّ فرَقًا[1] من ربه من عمر بن عبد العزيز، كان إذا دخل بيته ألقى نفسه في مسجده، فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه، ثم يستيقظ، فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع. الزهد لابن المبارك (٨٣٣).

* وعن **مسروق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣) قال: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة، فليأخذ حذْره من الله عَزَّوَجَلَّ. صفة الصفوة ٣/ ١٦.

* وقال **بعض السلف**: ليس الخائف من بكى وعصر عينيه، ولكن الخائف من ترك الأمر الذي يَخاف أن يعذَّب عليه. المجالسة وجواهر العلم (٣٦).

* وعن **إبراهيم بن شيبان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٨) أنه قال: الخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشهوات فيه، وطرد عنه رغبة الدنيا. المنتظم ١١٩/ ١٤.

---

(١) أي: خوفًا.

* وعن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠): أنه بينما هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى، فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله، فسألوه: ما الذي أبكاك؟ فاستعجَمَ عليهم، فتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم وأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه، فإذا هو يبكي، فقال: يا أخي ما الذي أبكاك قد رُعْتَ أهْلك؟ فقال له: إني مرت بي آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ قال: ما هي؟ قال: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر:٤٧] قال: فبكى أبو حازم معه، واشتدّ بكاؤهما قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرّج عنه فزِدْته قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٩.

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: إن الخشية أن تخشى الله حتى تَحُول خشيتهُ بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية. صفة الصفوة ٣/ ٥٤.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]. وينبغي لمن لا يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور:٢٦]. صفة الصفوة ٣/ ٦٢.

* وعن **مطرف بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥) قال: لو كان لي نفسان، لقدمت إحداهما قبل الأخرى، فإن هجمت على خير، أتبعتها الأخرى وإلا أمسكتها. ولكن إنما لي نفس واحدة ما أدري على ما تهجم؟ خير أو شر. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ١.

* وعن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع **ابن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١) فكثيرًا ما كان يخطر ببالي، فأقول في نفسي: بأيِّ شيءٍ فُضِّل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إناَّ لنصلي، ولئن كان يصوم إناَّ لنصوم، وإنْ كان يغزُو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إناَّ لنحجّ.

قال: فكنَّا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلةً نتعشَّى في بيتٍ إذ طفِىءَ السراجُ، فقام بعضنا، فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة، ثم جاءَ بالسّراج، فنظرتُ إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلّت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا، ولعله حين فَقدَ السراج فصار إلى الظُلمة ذكر القيامة. صفة الصفوة ٣/ ٣٧٩.

* وقالَ **ابْنُ الْمُبارَكِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَكْثرُكُمْ عِلمًا يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَكُمْ خَوْفًا. جامع بيان العلم وفضله (١٢٧١).

* وقال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: قلت **ليزيد بن مرثد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٩): مالي أرى عينيك لا تجفّ؟ قال: وما مَسْألتك عنه؟ قلت: عسى الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعَني به، قال: إِنَّ اللهَ قَدْ تَوَعَّدَنِي إِنْ أَنَا عَصَيْتُهُ أَنْ يَسْجِنَنِي فِي النَّارِ، وَاللهِ لَوْ لَمْ يَتوَعَّدْنِي أَنْ يَسْجِنَنِي إِلَّا فِي الْحَمَّامِ لَكُنْتُ حَرِيًّا أَنْ لَا تَجِفَّ لِي عَيْنٌ. شعب الإيمان (٨٧٨).

* وقال **حذيفة المرعشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٧): إن لم تخش أن يعذّبك الله على أفضل عملك فأنت هالِكٌ.[1] صفة الصفوة ٤/ ٤٧٥.

---

(١) لأن العمل الفاضل قد يمنعه من القبول: الرياء، أو ضعفٌ في الإخلاص، أو عُجبٌ، أو محبةٌ لاطلاع الناس عليه، وغير ذلك من الآفات التي تمنع قبول الأعمال، وأعظمها أن يمُنَّ به على الله تعالى بلسان الحال أو بلسان المقال.

والله تعالى يقول عن المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم؛ لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشرط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط، كما قال الإمام أحمد.. عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عَزَّوَجَلَّ» وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول بنحوه، وقال: «لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم». ا.هـ كلامه.

* وقال **الفُضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): مَنْ خاف الله لم يضرَّه أحدٌ، ومن خَاف غيرَ الله لم ينفعه أحد. تهذيب السِّير ٢/ ٧٧٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّمَا الْفَقِيهُ الَّذِي أَنْطَقَتْهُ **الْخَشْيَةُ**، وَأَسْكَتَتْهُ الْخَشْيَةُ، إِنْ قَالَ قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَقَفَ عِنْدَهُ وَرَدَّهُ إِلَى عَالِمِهِ.

قال **ابن أبي يعلى** (ت: ٦١٦): هذه والله المحمودة، صفة إمامنا **أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن سلك طريقه، وقليل ما هم، فيا ويح من يدّعي مذهبه[1]، ويتحلى بالفتوى عَنْهُ، وهو سِلْم لمن حاربه، عون لمن خالفه، الله المستعان عَلَى وحشة هَذَا الزمان. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٦٧).

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): واحُزْناه على أَنّي لا أحزن.[2] صفة الصفوة ٤/ ٤٣٥.

---

(١) أي: مذهب الإمام أحمد.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الحزن فلم يأمر اللّه به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلق بأمر الدين، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ١٢٧﴾ [النحل: ١٢٧]، وأمثال ذلك كثير؛ وذلك لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر اللّه به، نعم! لا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم، كما يحزن على المصائب، كما قال النبي ﷺ: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَا رَبَّنَا»، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ٨٤﴾ [يوسف: ٨٤].

وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه، فيكون محمودًا من تلك الجهة لا من جهة الحزن، كالحزين على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عمومًا، فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير، وبغض الشر، وتوابع ذلك، ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة نُهي عنه، وإلا كان حَسْبُ صاحبهِ رفعَ الإثم عنه من جهة الحزن، وأما إن أفضى إلى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر اللّه ورسوله به، كان مذمومًا عليه من تلك الجهة، وإن كان محمودًا من جهة أخرى. مجموع الفتاوى (١٠/ ١٦-١٧).

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): من حَسُنَ ظنُّه بالله عَزَّوَجَلَّ ثم لا يخاف الله فهو مَخْدوع. صفة الصفوة ٤/ ٤٧٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لِكُلِّ شيءٍ عَلَمٌ، وعَلَمُ الخِذْلانِ تركُ البُكاء. السِّير ٨/ ٣٢٧.

* وكان يُقال: ما استعان عبد على دينه، بمثل الخشيةِ من الله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٢٥.

* وقال المَرُّوذي: كان **أبو عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ [1] (ت: ٢٤١) إذا ذكر الموت خَنَقَتْه العَبرة، وكان يقول: الخوف يمنعُني أكْلَ الطعام والشراب، وإذا ذكرتُ الموت هان عليّ كلُّ أمرِ الدنيا، إنما هو طعامٌ دونَ طعام، ولباسٌ دون لباس وإنها أيامٌ قلائل، ما أعدِلُ بالفقر شيئًا، ولو وجدتُ السبيل لخرجتُ حتى لا يكون لي ذكر. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٩.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **دخلت يوما عَلَى أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقلت: كيف أصبحت؟.

فقال: كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطالبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يطالبه بقبض روحه، وعياله يطالبونه بنفقتهم؟ طبقات الحنابلة (١/ ١٤٤).

* وقال أَبُو حامد الخُلْقاني: قلتُ **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما تقول في القصائد؟ فقال: في مثل ماذا؟ قلت: مثل ما تقول:

إذا ما قَالَ لي ربِّي … أمَا استحييت تعصيني
وتُخفي الذنب من غيري … وبالعصيان تأتيني

قال: فرد الباب، وجعل يقول:

(١) يعني: أحمد بن حنبل.

إذا ما قَالَ لي ربِّي أما استحييتَ تعصيني
وتُخفي الذنبَ مِنْ غَيْري وبالعصيان تأتيني

فخَرَجتُ وتركته. ذيل الطبقات (١/ ٢٩٩).

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولقد كنت أقرأ على شيخنا **عبد الوهاب الأنماطي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٣٥) الحديث في زمان الصّبا، ولم أذق بعدُ طعم العلْم، فكان يبكي بكاءً متّصلًا، وكان ذلك البكاء يَعمل في قلبي، وأقول: ما يبكي هذا هكذا إلا لأمر عظيم، فاستفدت ببكائه ما لم أستفد بروايته. صفة الصفوة ٢/ ٧٠٣.

* وقَالَ **أبو الحسن بن بشار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٣): ما ينبغي لِمَنْ عصا الله أنْ يستكثر نِقَمَ الله. طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٩).

* وقَالَ **الْقَاضِي الفقيه عُمَر بن سَعْد اللَّه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٩): لَمْ أقضِ قضية إلا وَقَدْ أعددت لَهَا الجواب بَيْنَ يدي اللَّه تَعَالَى. ذيل الطبقات (٥/ ١٤٣).

* وقال بعض **السلف**: من أراد أن يعرف قدر معرفته بالله فلينظر قدر هيبته له وقت عبادته، والتهاون بالأمر من قلة المعرفة بالآمر.[1] الزهد للبيهقي (٢٨٩).

* وذُكر في مجلس الإمام أَحْمَد **معروفٌ الكرخي** رَحِمَهُمَا اللَّهُ (ت: ٢٠٤) فقال بعض من حضره: هو قصير العلم.

قَالَ أَحْمَد: **أمسك عافاك الله**، وهل يُراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف.

كان معه رأسُ العلم: **خشية الله تعالى**. الآداب الشرعية ٢/ ١٦٣، طبقات الحنابلة (٢/ ٤٧٨).

* وقيل لمعروف الكرخي رَحِمَهُ اللَّهُ: طلبتَ العلم؟ فقال لي: **كيف يخاف الله مَن لم يَعلم**؟ كيف يخاف الله مَن لم يَعلم؟ طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٧).

---

(١) فالعالم بالله العارف به، ليس هو العالم بالحلال والحرام، بل هو الذي يمتلئ قلبُه هيبة ووقارًا وخشية عند قيامه بالعبادة، والمبادر إلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

* وكان **يحيى بن وثاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٣) ثقة إمامًا كبير القدر، قال الأعمش: كنت إذا رأيتُه قلت: هذا قد وُقف للحساب[1]، يقول: أي ربِّ أذنبتُ كذا فعفوتَ عني، فلا أعود معرفة القراء (١/ ١٦٢)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٢٩٥).

ب- الرجاء وإحسان الظن بالله:

* قال **علي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): أي آية في القرآن أوسع؟ قال: فجعلوا يذكرون آيًا من القرآن: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠] أو نحوها فقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما في القرآن آية أوسع من ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣]. ابن أبي الدنيا ١/ ٨٤-٨٥.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر. ابن أبي الدنيا ١/ ٨٣.

* وقال أيضا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والذي لا إله غيره ما أعطي عبد شيئا خير من حسن الظن بالله، والذي لا إله غيره ما يحسن عبد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ذلك، فإن الخير في يده. ابن أبي الدنيا ١/ ٩٤.

* وقال أيضا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والله لو تعلمون من الله ما نعلم لاتَّكَلْتم. الزهد لأبي داود (١٣٩).

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): الجبن والبخل والحرص غرائز سوء، يجمعها كلها سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ. الآداب الشرعية ١/ ٤٧.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: يدني الله العبد يوم القيامة فيضع عليه

---

(١) كان علماء السلف أهل عبادة وخوف وزهد، ومحاسبة لأنفسهم.

كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر فيقول: اقرأ يا ابن آدم كتابك قال: فيمر بالحسنة فيبيض وجهه ويسر بها قلبه قال: فيقول الله عَزَّوَجَلَّ له: تعرف يا عبدي، فيقول: نعم أي رب أعرف، قال فيقول: فإني تقبلتها منك، قال: فيخر لله ساجدًا قال: فيقول: ارفع رأسك يا ابن آدم وعد في كتابك قال: فيمر بالسيئة فيسود وجهه ويوجل منها قلبه فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: أتعرف يا عبدي؟ قال: فيقول: نعم يا رب أعرف، قال: فيقول: إني قد غفرتها لك، قال: فلا يزال حسنة تقبل فيسجد وسيئة تغفر فيسجد ولا يرى الخلائق منه إلا السجود قال: حتى ينادي الخلائق بعضها بعضًا طوبى لهذا العبد لم يعص الله قط، قال: ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين الله مما قد وقفه عليه. الزهد لأحمد: ٣١٦.

* ومرض **أعرابي** فقيل له: إنك تموت، قال: إلى أين يُذهب بي؟ قال: إلى الله، قال: فما كراهتي أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه؟. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٠٩.

* وعن **المعتمر بن سليمان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧) قال: قال **أبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣) حين حضرته الوفاة: يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا أحسن الظن به. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٠٩.

* وقال بعضُهم:

وإني على خوفي من الله واثق ... بإنعامه واللهُ أكرم منعم

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٦٢).

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته، لكي يحسن ظنه بربه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٠٩.

* وقال **مطرِّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): وجدت الغفلة التي ألقاها الله

عَزَّوَجَلَّ في قلوب الصدّيقين من خَلْقه رحمةً رحِمهم بها، ولو ألقى في قلوبهم الخوف على قدْر معرفتهم به ما هنأهم العيش. شعب الإيمان (١٠٣٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنّ الله ليرحم برحمةِ العصفور.

وأصاب مطرفٌ حمَّرة فأرسلها، قال: أتصدّق بك اليوم على فِراخك. الزهد لوكيع (٤٩٧)، الزهد لهناد (١٣٣٣).

* وقال **الْفُضَيْلُ بْنُ عِياضٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): ما يَسُرُّنِي أنْ أعرِفَ الأمْرَ حقَّ معْرِفتهِ؛ إذًا لطاشَ عَقلي. شعب الإيمان (١٠٣٣).

* وصلى **ابن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) على رجل! فقيل له: تصلي على فلان؟ فقال: إني أستحي من الله أن يعلم مني أن رحمته تعجز عن أحد من خلقه. تهذيب الحِلْية ١/٤٩٤.

* وقال **بعض السلف**: أنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو. المجالسة وجواهر العلم (٢٦٢).

* وعن الزبرقان قال: كنت عند **أبي وائل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) فجعلت أسب الحجاج وأذكر مساوئه، فقال: لا تسبه وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي، فغفر له؟!. تهذيب الحِلْية ٢/٦٠.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: يؤمر بالعبد إلى النار يوم القيامة فيقول: ما كان هذا ظني! فيقول: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تغفر لي، فيقول: خلوا سبيله. تهذيب الحِلْية ٢/١٢.

* وكان **أبو الجوزاء أوسُ بن عَبْد الله الرَّبَعيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٣) يقول: لو أن أناسًا من فقهائكم وأغنيائكم، انطلقوا إلى رجل فقيه غني، فسألوه كوزًا من ماء أكان يعطيهم؟ قالوا: يا أبا الجوزاء، ومن يمنع كوزًا من ماء، قال أبو الجوزاء:

والله لله أجود بجنته من ذلك الرجل بذلك الكوز من ماء. تهذيب الحِلْية ٤٥٨/ ١.

* وقال بعضهم:

وإني لأرجـو الله حتـى كأنَّنـي ... أرى بجميل الظن ما الله صانع

* وقال الآخر:

فـلا تفـرح بأمـر قـد تدنَّـى ... ولا تيأس مـن الأمر السَّحِيقِ

فـإن القـرب يبعـدُ بعـد قـرب ... ويدنو البعد بالقَدَر المَسُوق

ومن لـم يتق الضَّحْضَاح زلَّتْ ... بـه قَدمـاه في البحـر العميـق

عيون الأخبار ٧٨/ ١.

* وعن **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: إن لكم ربًّا ليس إلى عقاب أحدكم بسريع، يقيل العثرة، ويقبل التوبة، ويقبل من المقبل، ويعطف على المدبر. تهذيب الحِلْية ١٩٠/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يأمر الله تعالى بإخراج رجلين من النار، قال: فيخرجان من النار، قال: فيخرجان بسلاسلهما وأغلالهما فيوقفان بين يديه، فيقول: كيف وجدتما مقيلكما ومصيركما؟ فيقولان: شر مقيل وأسوأ مصير، فيقول: بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، فيأمر بهما إلى النار، فأما أحدهما فيمضي بسلاسله وأغلاله حتى يقتحمها، وأما الآخر فيمضي وهو يتلفت، فيأمر بردهما فيقول للذي غدا بسلاسله وأغلاله حتى اقتحمها: ما حملك على ما فعلت وقد اختبرتها؟ فيقول: يا رب قد ذقت من وبال معصيتك، ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانيًا، ويقول للذي مضى وهو يتلفت: ما حملك على ما صنعت؟ قال: لم يكن هذا ظني بك يا رب، قال: فما كان ظنك؟ قال: كان ظني حيث أخرجتني منها أنك لا تعيدني إليها، قال: إني عند ظنك بي، وأمر بصرفهما إلى الجنة. تهذيب الحِلْية ١٩١/ ٢.

* وقال **عمرو بن ميمون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٥): ما يسرني أن أمري يوم القيامة إلى أبوي[1]. تهذيب الحِلْية ٧٢/ ٢.

* وقال **حماد بن سلمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٧): والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لاخترت محاسبة الله على محاسبة أبوي، وذلك أن الله تعالى أرحم بي من أبوي. تهذيب الحِلْية ٣٣٦/ ٢.

* وقال **بعض العُبّاد** رَحِمَهُ اللَّهُ: لما علمت أن الله عَزَّوَجَلَّ يلي محاسبتي: زال عني حزني، لأن الكريم إذا حاسب عبده تفضل. ابن أبي الدنيا ١/ ٦٠.

* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما هو طاعة الله أو النار، فقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): إنما هو عفو الله أو النار. تهذيب الحِلْية ٤١٣/ ١.

* وعن بشر بن المفضل قال: رأيت **بشر بن منصور** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٠) في المنام فقلت: يا أبا محمد ما صنع الله بك؟ قال: وجدت الأمر أهون مما كنت أحمل نفسي. الزهد لأحمد: ٥٣٣-٥٣٤.

* وقال **سهل بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٣): لا يذنب المؤمن ذنبًا حتى يكتسب معه مائة حسنة.

فقيل: يا أبا محمد، وكيف هذا؟.

قال: نعم، إن المؤمن لا يكتسب سيئة إلا وهو يخاف العقوبة عليها، ولو لم يكن كذلك لم يكن مؤمنا، وخوفه العقاب عليها حسنة، ويرجو غفران الله لها، ولو لم يكن هكذا لم يكن مؤمنًا، ورجاؤه لغفرانها حسنة، وهو يرى التوبة منها، ولو لم يرها لم يكن مؤمنًا، ورؤيته التوبة منها حسنة، ويكره الدلالة عليها، ولو لم يكره الدلالة عليها لم يكن مؤمنًا، وكراهة الدلالة عليها حسنة. ويكره

---

(١) لعلمه رَحِمَهُ اللَّهُ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أرحم وألطف وأبر وأكرم به من والديه.

الموت عليها، ولو لم يكره الموت عليها لم يكن مؤمنًا، وكراهته للموت عليها حسنة، فهذه خمس حسنات، وهي بخمسين حسنة، الحسنة بعشر أمثالها، لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام:١٦٠] فهذه تصير مائة حسنة فما ظنكم بسيئة تعتورها مائة حسنة وتحيط بها، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود:١١٤] وما ظنكم بثعلب بين مائة كلب أليس يمزقونه.

ثم بكى سهل وقال: لا تحدثوا بهذا الجهال من الناس فيتكلوا ويغتروا، فإن هذه السيئة هي شيء عليه، وحسناته هي أشياء له، وما عليه: فلله أن يأخذه به، ويكون عادلًا بعقوبته عليه، وماله: لا يظلمه الله عَزَّوَجَلَّ، بل يوفيه ثوابه وإن كان بعد حين. ومن يصبر على حر نار جهنم ساعة واحدة؟ ولكن بادروا بالتوبة من هذه السيئة حتى تأمنوا العقوبة، وتصيروا أحباب الله، فإن الله يحب التوابين.(١) تهذيب الحِلْية ٣٣٨/ ٣.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): لولا أن العفو من أحبِّ الأشياء إليه ما ابتلَى بالذنب أكرَم الخلق عليه. الزهد للخطيب (١٣٣).

* وقال سهيل القطعي: رأيت **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) في منامي فقلت: يا أبا يحيى بماذا قدمت به على الله عَزَّوَجَلَّ؟.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب: أن يتوب فيتوب اللّه عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، أو يستغفر فيغفر له، أو يعمل حسنات تمحوها، فإن الحسنات يذهبن السيئات، أو يدعو له إخوانه المؤمنون ويستغفرون له حيًّا وميتًا، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه اللّه به، أو يشفع فيه نبيه محمد ﷺ، أو يبتليه اللّه تعالى في الدنيا بمصائب تكفر عنه، أو يبتليه في البرزخ بالصعقة فيكفر بها عنه، أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه، أو يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هذه العشرة، فلا يلومن إلا نفسه، كما قال تعالى فيما يروي عنه رسوله ﷺ: **«ياعبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد اللّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»**. مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٩-٣٠.

فقال: قدمت بذنوب كثيرة محاها عني حسن الظن بالله. ابن أبي الدنيا ١/ ٥١.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) قال: ما كان الله لينعم على عبد في الدنيا فيفضحه في الآخرة، وحق على المنعم أن يتم على من أنعم عليه. ابن أبي الدنيا ١/ ٥١١.

* وعن عبد الله بن المبارك قال: كنت آتي **سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ عشية عرفة، وهو جاث على ركبتيه، وعيناه تهملان، فبكيت، فالتفت إلي فقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ أهل الجمع حالًا؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم. ابن أبي الدنيا ١/ ٨٩-٩٠.

* وكان **عمر بن ذر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٣) إذا تلا ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل:٣٨] قال: ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن من يموت، أتراك تجمع بين القسمين في دار واحدة؟ وبكى أبو حفص بكاء شديدًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٤.

* ولما احتُضر **بشر بن منصور** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٠) ضحك، وقال: أخرج من بين ظهراني من أخاف فتنته وأقدم على من لا أشك في رحمته. ابن أبي الدنيا ١/ ١٠٠.

* وكان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يبغض **الحجاج** (ت: ٩٥)، فنفَّس عليه بكلمة قالها عند الموت: اللهم اغفر لي فإنهم زعموا أنك لا تفعل، فبلغ ذلك الحسن البصري فقال: أقالها؟ قال: نعم قال: عسى. ابن أبي الدنيا ١/ ١٠٨.

* وعن **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣] قال: إني لأرجو أن لا يعيدكم الله فيها بعد أن أنقذكم منها. ابن أبي الدنيا ١/ ١٢٠.

* وقال **أَيُّوبُ السَّخْتِيانِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): إنَّ رحْمَةً قَسَّمها فِي دارِ الدُّنْيا

وأصابَنِي مِنْها الْإِسْلامُ، وإِنِّي لَأَرْجُو مِنْ تِسْعٍ وتِسْعِينَ رَحْمةً مَا هُو أَكْثَرُ مِنْ ذلك. شعب الإيمان (١٠٠٨).

* وقَالَ **ابْنُ عَقِيلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) فِي الْفُنُونِ: مِنْ أَحْسَنِ ظَنِّي بِهِ -سبحانه- أَنَّهُ بَلَغَ مِنْ لُطْفِهِ أَنْ وَصَّى وَلَدِي إذَا كَبِرْت فَقَالَ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣]، فَأَرْجُو إذَا صِرْتُ عِنْدَهُ رَمِيمًا أَنْ لَا يَعْسِفَ؛ لِأَنَّ أَفْعَالَهُ تُشَاكِلُ أَقْوَالَهُ. الآداب الشرعية ٢/ ١٢٧.

ج- الموازنة بين الخوف والرجاء[1]:

* قال **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ١.

* وعن عبد الله الشامي قال: أتيت **طاووسًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦) فخرج إليَّ ابنه شيخ كبير فقلت: أنت طاووس؟ فقال: أنا ابنه، قلت: فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرّف؟ فقال: إن العالم لا يخرف، فدخلت عليه فقال لي طاووس: سل وأوجز، قلت: إن أوجزت أوجزت لك، قال: تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا، التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؟ قلت: نعم! قال: خف الله تعالى مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحب للناس ما تحب لنفسك. تهذيب الحِلْية ٣٠/ ٢.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: الرجاء والخوف مطيتا

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القلب في سيره إلى الله بمنزل الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان: فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر. ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ١٤٥.

المؤمن. الزهد لأحمد: ٤٥٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٨): الخوفُ أفضل من الرَّجاء ما دام الرجلُ صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرَّجاء أفضل. تهذيب السِّير ٢/ ٧٧٧.

* وعن المزني قال: دخلت على **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) في علّته التي مات فيها، فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ من الدّنيا راحلًا، ولإخواني مفارقًا، ولكأس المنيّة شاربًا، ولسوء أعمالي ملاقيًا، وعلى الله تعالى واردًا، فلا أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنّيها، أو إلى النار فأعزيها؟ ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي … جعلت الرجا من نحو عفوك سُلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته … بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل … تجودُ وتعفو منةً وتكرُّما
فإن تنتقم مني فلستُ بآيس … ولو دخلت نفسي بجرمي جهنَّما
فلولاك لم يَغْوَ بإبليس عابدٌ … فكيف وقد أغوى صَفِيَّك آدما
وإني لآتي الذنب أعلمُ قَدره … وأعلم أن الله يعفو ترحُّما

د- ما جاء فيمن يُصعق عند الموعظة، وموقف السلف من ذلك[1]:

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذي عليه جمهور العلماء أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه، وإن كان حال الثابت أكمل منه؛ ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا فقال: قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشي عليه ولو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد، فما رأيت أعقل منه، ونحو هذا. وقد نقل عن الشافعي أنه أصابه ذلك، وعلي بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة، وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه..

فهذا الذي يصعق صعق موت، أو صعق غشي، فإن ذلك إنما يكون لقوة الوارد، وضعف القلب عن حمله، وقد يوجد مثل هذا في من يفرح أو يخاف أو يحزن أو يحب أمورا دنيوية، يقتله ذلك أو يمرضه أو يذهب بعقله. ومن عباد الصور من أمرضه العشق أو قتله أو جننه، وكذلك في غيره، ولا يكون هذا إلا لمن ورد عليه أمر ضعفت نفسه عن دفعه، بمنزلة ما يرد على البدن من الأسباب التي تمرضه أو تقتله، أو كان أحدهم مغلوبا على ذلك. =

* عن حصين بن عبد الرحمن قال: قلت **لأسماء بنت أبي بكر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا (ت: ٧٣): كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن؟ قالت: كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عَزَّوَجَلَّ تدمع عيونهم، وتقشعر جلودهم، فقلت لها: إن ههنا رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غشي عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. تلبيس إبليس: ٢٨٨.

* وعن عكرمة قال: سألت **أسماء بنت أبي بكر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف؟ قالت: لا ولكنهم كانوا يبكون. تلبيس إبليس: ٢٨٨.

* ومر **ابن عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٧٣) برجل ساقط من العراق فقال: ما شأنه؟ فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا قال: إنا لنخشى الله عَزَّوَجَلَّ وما نسقط. تهذيب الحِلْية ١/٢٢١.

= فإذا كان لم يصدر منه تفريط ولا عدوان، لم يكن فيه ذنب فيما أصابه، فلا وجه للريبة. كمن سمع القرآن السماع الشرعي، ولم يفرط بترك ما يوجب له ذلك، وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفنا، ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها؛ فإنه إذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما، بل معذورا..

ولكن من لم يزل عقله، مع أنه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه فهو أفضل منهم. وهذه حال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وهو حال نبينا ﷺ فإنه أسرى به إلى السماء وأراه الله ما أراه، وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله، فحاله أفضل من حال موسى ﷺ الذي خر صعقا لما تجلى ربه للجبل وحال موسى حال جليلة علية فاضلة، لكن حال محمد ﷺ أكمل وأعلى وأفضل. مجموع الفتاوى١١/ ٨-٩.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُٱللَّهُ: فإن قال قائل: فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه؟ فالجواب: إن أول الوجد انزعاجٌ في الباطن، فإن كف الإنسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه فبعد عنه، كما كان أيوب السختياني إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال: ما أشد الزكام.

وإن أهمل الإنسان ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه. تلبيس إبليس: ٢٩١.

* وعن عامر بن **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: جئت إلى أبي فقال لي: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقواما ما رأيت خيرا منهم يذكرون الله عَزَّ وَجَلَّ فيرعد أحدهم حتى يُغشى عليه من خشية الله عَزَّ وَجَلَّ فقعدت معهم، رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا، أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر؟ فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم. المعجم الكبير للطبراني: ١٨/ ٣٦٥.

* وسئل **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) عن من يستمع القرآن فيصعق فقال: ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فإن سقطوا فهم كما يقولون. تهذيب الحِلْية ٣٨٧/ ١.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧) لابنه وقد سقط: يا بني إن كنت صادقا لقد فضحت نفسك، وإن كنت كاذبا فقد أهلكت نفسك. تلبيس إبليس: ٢٩٠.

* وكان رجلٌ يرعد عند الذكر فقال له **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦): إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتد بك، وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من هو خير منك. شعب الإيمان للبيهقي ١٥/ ١١.

هـ- فوائد أخرى:

* **عن ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) أنه قال: لا يصيب الرجل حقيقة الإيمان حتى يرى الناس كأنهم حمقى في دينهم. الزهد لأبي داود (٢٧٥)، الزهد لابن المبارك (٢٨١).

* وعن **خالد بن معدان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤): «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر، ثم يرجع إلى نفسه فتكون هي أحْقر حاقِر».[1] الزهد لابن المبارك (٢٨٠).

---

(١) ومقصود ابن عمر وخالد بن معدان أنّ الناس مهما عملوا واجتهدوا فهم مقصرون في حق الله، ولم يقوموا بحقه حقّ القيام.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ [الحاقة:١٩-٢٠] قال: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل. تهذيب الحِلْية ١/٣٣١.

* وعن معاوية بن قرة قال: دخلت على **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩)، فقلت: ما عندي كبير عمل، إلا أني أرجو الله وأخاف منه، قال: ما شاء الله! مَنْ رَجَا شَيْئًا طَلَبَهُ، وَمَنْ خَافَ شَيْئًا هَرَبَ مِنْهُ، مَا أَدْرِي مَا حَسْبُ رَجَاءِ امْرِئٍ عَرَضَ لَهُ بَلَاءٌ لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ لِمَا يَرْجُو، وَلَا أَدْرِي مَا حَسْبُ خَوْفِ امْرِئٍ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ لَمْ يَدَعْهَا لِمَا يَخْشَى.

قال معاوية: فإذا أنا قد زكيت نفسي وأنا لا أعلم. الحِلْية ٢/ ٢٩٢.

* وعن ابن عون قال: ما رأيت أحدا كان أعظم رجاء لهذه الأمة من **محمد ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، ولا أشد خوفًا على نفسه منه.[١] ابن أبي الدنيا ١/ ١٠٠.

* وعن **أبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: من أعظم خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد خوفا على نفسه وأرجاه لكل مسلم.[٢] ابن أبي الدنيا ١/ ٩٧.

---

(١) هذا هو المنهج الذي ينبغي أن يأخذ به كلّ مسلم، وبعض الناس على عكس ذلك.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من علامات الإنابة: ترك الاستهانة بأهل الغفلة، والخوف عليهم، مع فتحك باب الرجاء لنفسك، فترجو لنفسك الرحمة وتخشى على أهل الغفلة النقمة، ولكن ارجُ لهم الرحمة واخشَ على نفسك النقمة، فإن كان لابد مستهينًا بهم ماقتًا لهم: فكن لنفسك أشد مقتًا منك لهم، وكن أرجى لهم لرحمة الله منك لنفسك. مدارج السالكين ٢/ ١٣.

حال السلف في التعامل مع نسائهم، ونصحهم وتوجيههم للزوج والزوجة

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) لرجل همَّ بطلاق امرأته: لِم تُطَلِّقُها؟ قال: لا أُحِبُّها قال: أوكُلُّ البيوتِ بُنِيَتْ على الحبّ! وأين الرعايةُ والتذمُّمُ![1]. عيون الأخبار ٣/ ١٨.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النساءُ عَوْرَةٌ فاستروها بالبيوت، وداووا ضَعْفَهنّ بالسكوت. عيون الأخبار ٤/ ٣٦٥.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أُعطي عبد مؤمن شيئا بعد الإيمان بالله أفضل من امرأة ولود، ودود، حسنة الخلق.

ولا أصاب عبدٌ شيئًا بعد الكفر بالله أشدّ عليه من امرأة سلَقَة[2]، لها لسان حديد، سيئة الخلق. الزهد لهناد (١٢٦٧).

* وعن سلمان بن جبير مولى ابن عباس وقد أدرك أصحاب رسول الله قال: ما زلت أسمع حديث **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا فإنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيرا، فمر بامرأة مغلَّقٌ عليها بابها وهي تقول، فاستمع لها عمر:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه ... وأرَّقني أن لا حبيب أُلاعبه

---

(١) قال في الحاشية: التذمم للصاحب: أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه.

(٢) أي: بذيئة اللسان، تؤذي زوجها برفع صوتها وصراخها وغلظة ألفاظها.

يقال: سلَقَه بالكلام: آذاه، وهو شدة القول باللسان، قال الله تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب:١٩]. مختار الصحاح (١٥٢).

فوالله لولا الله لا شيء غيره ... لحرك من هذا السرير جوانبه

يلاعبني طورا وطورا كأنما ... بدا قمرٌ في ظلمة الليل حاجبه

ولكنني أخشى رقيبا موكَّلا ... بأنفسنا لا يَفْترُ الدهرُ كاتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت: أهان على ابن الخطاب وحشتي ببيتي، وغيبة زوجي، وقلة نفقتي.

فقال لها: رحمك الله، فلما أصبح بعث لها نفقة وكسوة، وكتب إلى عامله يسرح لها زوجها. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٢.

* وسأل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنته حفصة: كم تصبر المرأة عن الرجل؟ قالت: ستة أشهر، فقال: لا جرم لا أجهز رجلا أكثر من ستة أشهر. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٢.

* وقال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أنفق رجل على نفسه وأهله نفقة إلا له أجرها، وليبدأ الرجل بمن يعول، ثم الأقرب فالأقرب، فإن فَضُل فليبدأ به. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٥.

* وكان **لعلي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) امرأتان، فإذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم، وإذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٥.

* وعن **حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: أَقَرّ ما أكون عينًا، حين يشكو إلي أهلي الحاجة. تهذيب الحِلْية ١/٢٠٦.

* وكان **لِمعاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) امرأتان، فإذا كان عند أحدهما لم يتوضأ من بيت الأخرى.

وجاءت إليه امرأة فقالت: إنك رسولُ رسولِ الله حقًّا، ما حق الزوجة على زوجها؟ قال: حقها عليه: ألا يضرب وجهها، ولا يقبحه، وحقها عليه: أن يطعمها مما يأكل، ويكسوها مما يلبس، وحقها عليه: أن لا يهجرها في بيتها. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٥.

فماتتا في طاعون أصابهم في يوم واحد، فقدَّمهما إلى الحفرة، ثم أقرع بينهما أيهما يدخل الحفرة قبل الأخرى. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٦.

* وعَنْ **عَبْدِ اللهِ بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أنه قَالَ: «إِنَّمَا النِّسَاءُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا، وَمَا بِهَا مِنْ بَأْسٍ، فَيَسْتَشْرِفُ لَهَا الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: إِنَّكِ لَا تَمُرِّينَ بِأَحَدٍ إِلَّا أَعْجَبْتِيهِ، وَمَا عَبَدَتِ امْرَأَةٌ رَبَّهَا بِمِثْلِ أَنْ تَعْبُدَهُ فِي بَيْتِهَا». المعجم الكبير للطبراني (٩٤٨٠).

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) أنه قال: النساء عورة، خُلقن من ضعف، فاستروا عوراتهن بالبيوت. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٥٠.

* وسألته امرأة فقالت: ما يحل لي من بيت زوجي؟ فذكر الخبز والتمر ونحو ذلك، قالت: فالدراهم؟ قال ابن عباس: أتحبين أن يأخذ حليك؟ قالت: لا، قال: فلا تأخذي من دراهمه. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٧.

* وعن ثابت بن عبيد قال: ما رأيت أحدا أفكه في بيته، ولا أحلم في مجلسه من **زيد بن ثابت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٥). ابن أبي الدنيا ٨/ ١٢٨.

* وكان **الزِّبْرِقان بن بدر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٥) إذا زوَّج ابنةً له دنا من خِدْرِها وقال: أتسمَعين؟ كوني له أَمَةً يكن لكِ عَبْدًا. عيون الأخبار ٤/ ٣٦٤.

* وقال **سفيان الثوريُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): إذا أردتَ أن تتزوّج فأهْدِ للأمّ. عيون الأخبار ٣/ ١٢٤.

* وقال **الشاعر**:

أرى صاحب النسوان يحسب أنها ... سواءٌ وبَوْنٌ[1] بينهن بعيد

---

(١) أي: فرق.

فمنهنّ جناتٌ تَفيء ظلالها ومنهن نيرانٌ لهن وَقود

أدب الدين (٢٥٦).

* وقال **أبو الأسود الدؤلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٩) لابنته: إيّاك والغَيْرة فإنها مفتاحُ الطّلاقِ، وعليكِ بالزِّينةِ، وأزينُ الزينةِ الكُحْل؛ وعليكِ بالطِّيبِ، وأطيبُ الطِّيبِ إسباغُ الوضوء؛ وكوني كما قلتُ لأُمك في بعض الأحايين:

خُذِي العفوَ مني تَستدِيمي مَودّتِي ولا تَنْطِقي في سَوْرتي حين أغضَبُ

فإني وجدتُ الحبَّ في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يَلْبَثِ الحبُّ يذهبُ

عيون الأخبار ٤/ ٣٦٤.

وقال **بعضهم**:

فإن تسألوني بالنساء فإنّني خبيرٌ بأدواء النساء طبيبُ

إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ مالُه فليس له في وُدّهنّ نَصِيبُ

يُرِدْن ثراءَ المال حيث علمْنَه وشرخُ الشباب عندهنّ عجيبُ

عيون الأخبار ٤/ ٣٣٤.

* وقال **أبو سنان ضرار بن مرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): قد سقيت أهلي اليوم وعلفت الشاة، وكان يقول: خيركم أنفعكم لأهله. تهذيب الحِلْية ٢/ ١٥١.

* وقالت امرأة **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلموا أمراءكم، أصلحك الله، عافاك الله.[1] تهذيب الحِلْية ٢/ ١٨٦، ابن أبي الدنيا ٨/ ١٢٢.

---

(١) حقّ الزوج على زوجته عظيم جدا، فهو أعظمُ الناس حقًّا عليها، وأَوْلى بالطاعة حتى من أبَويها.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المرأة إذا تزوجت كان زوجها أمْلك بها من أبويها، وطاعة زوجها عليها أوجب».

فإذا رفَقت به وأكرمته وصبرت عليه لله: ألان الله قلبه عليها، وأثابها من الأجر مالا يخطر على بالها.

* وعن يحيى بن يحيى قال: كنت عند **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨) إذ جاء رجل فقال: يا أبا محمد، أشكو إليك من فلانة - يعني امرأته - أنا أذل الأشياء عندها وأحقرها، فأطرق سفيان مليًّا ثم رفع رأسه فقال: لعلك رغبت إليها لتزداد عزا فقال: نعم يا أبا محمد، قال: من ذهب إلى العز ابتلي بالذل، ومن ذهب إلى المال ابتلي بالفقر، ومن ذهب إلى الدين يجمع الله له العز والمال مع الدين، ثم أنشأ يحدثه فقال: كنا إخوة أربعة، محمد وعمران وإبراهيم وأنا، فمحمد أكبرنا، وعمران أصغرنا، وكنت أوسطهم، فلما أراد محمد أن يتزوج رغب في الحسب فتزوج من هي أكبر منه حسبًا فابتلاه الله بالذل، وعمران رغب في المال فتزوج من هي أكثر منه مالًا فابتلاه الله بالفقر، أخذوا ما في يديه ولم يعطوه شيئا.

فبقيت في أمرهما، فقدم علينا معمر بن راشد فشاورته وقصصت عليه قصة إخوتي، فذكرني حديث يحيى بن جعدة وحديث عائشة، فأما حديث يحيى بن جعدة قال النبي ﷺ: «**تنكح المرأة على أربع، على دينها وحسبها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك**». وحديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة» فاخترت لنفسي الدين وتخفيف الظهر اقتداء بسنة نبي الله ﷺ، فجمع الله لي المال مع الدين. تهذيب الحِلْية ٤٣٦/ ٢.

* وسُئل **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) عن المرأة تصوم فيمنعها زوجها ترى لها أن تصوم؟ قال: لا تصوم ولا تحدث في نفسها من صلاة ولا صيام إلا أن يأذن لها، إلا الواجب الفرض، فأما غير ذلك فلا تصوم إلا بإذنه.

وتطيعه في كلّ ما أمرها به من الطاعة. الآداب الشرعية ١/ ٣٢٩.

* وكانت **لأبي بكر ابن اللباد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٣) امرأة سليطة، تؤذيه بلسانها، فقال له أصحابه: طلقها، ونحن نؤدي حقها، فقال: أخشى إن طلقتها أن يُبْتَلى بها مسلم، ولعل الله دفعَ عني بمقاساتها بلاءً عظيمًا.

وكان يقول: لكلِّ مؤمن محنة وهي محنتي. ترتيب المدارك (٣/ ٢٥٧).

* ورُمِي ببغداد في سُوقٍ بصبيّ، وعند رأسه كيسٌ فيه مائةُ دينار ورُقعةٌ فيها: هذا الشقيُّ ابن الشقيّة، رحم الله مَنِ اشترى له بهذا الذهب جاريةً تربيه؛ وفي آخر الرُّقعة: هذا جزاءُ من عضَل[1] ابنتَه. عيون الأخبار ٤/ ٣٩٦.

(١) عضل المرأة عن الزواج: حبسها عنه.

عناية السلف بالأولاد

أ- الحرص على تربيتهم وتعليمهم، والصبر على ذلك[١]:

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) في هذه الآية ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦]: علموهم وأدبوهم. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٧.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْقُدْرَةِ مِن الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْمُرُوا بِالصَّلَاةِ كُلَّ أَحَدٍ مِن الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ حَتَّى الصِّبْيَانَ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لِبَاسُ الْحَرِيرِ لِلصِّبْيَانِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا: فِيهِ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ، لَكِنْ أَظْهَرُهُمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ؛ فَإِنَّ مَا حَرُمَ عَلَى الرَّجُلِ فِعْلُهُ حَرُمَ عَلَيْهِ أَنْ يُمَكِّنَ مِنْهُ الصَّغِيرَ، بَل عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالصَّلَاةِ إذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَيَضْرِبهُ عَلَيْهَا إذَا بَلَغَ عَشْرًا، فَكَيْفَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُلْبِسَهُ الْمُحَرَّمَاتِ؟ وَقَد رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى صَبِيٍّ لِلزُّبَيْرِ ثَوْبًا مِن حَرِيرٍ فَمَزَّقَهُ وَقَالَ: لَا تُلْبِسُوهُم الْحَرِيرَ. وَكَذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ مَزَّقَ ثَوْبَ حَرِيرٍ كَانَ عَلَى ابْنِهِ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا حَرُمَ عَلَى الرِّجَالِ الْبَالِغِينَ فَعَلَى الْوَلِيِّ أَنْ يُجَنِّبَهُ الصِّبْيَانَ. ا.هـ

يُنظر: مجموع الفتاوى: (٣/ ٤٢٩)، (٢٢/ ١٤٣)، (٢٩/ ٢٩٨)، (٣٠/ ٥١).

قلت: فلا يجوز إلباس البنات الصغيرات المميزات لباسًا قصيرًا أو ضيّقًا أو شفّافًا.

ويجب على ولي أمر الصبي المميز الذي بلغ سبع سنين أنْ يأمره بالصلوات في أوقاتها، وقد فرط بعض الآباء والأمهات في هذا الأمر، والله المستعان.

ولما أخذ الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه قال رسول الله ﷺ له: كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟ رواه مسلم (١٠٦٩).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا الحديث ما يدل على أن الصغار يمنعون مما يحرم على الكبار المكلَّفين حتى يُدرَّبوا على آداب الشريعة، ويتأدبوا بها ويعتادوها.

وعلى هذا: فلا يلبس الذكور الصغار الحرير، ولا يحلون الذهب، ويخاطب الأولياء بأنْ يجنبوهم ذلك، كما يخاطبون بأن يجنبوهم شرب الخمر وأكل ما لا يحل. المفهم: ٣/ ١٢٣.

* ووقف **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) على حلَقة من قريش فقال: ما لكم قد طرحتم هذه الأُغَيلِمةَ؟ لا تفعلوا، وأوسعوا لهم في المجلس، وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه، فإنهم صغار قوم أوْشَك أن يكونوا كبار قوم، وقد كنتم صغار قوم، فأنتم اليوم كبار قوم. شرف أصحاب الحديث: ٦٥.

* وعن عكرمة قال: كان **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٧) يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن. مسند الدارمي (٥٧٢).

* وقال **بعض الحكماء**: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال.

* وقال **بعض الشعراء**:

إنّ الغصـون إذا قومتهـا اعتدلـت ... ولا يليـن إذا قومتـه الخَشَـبُ

قـد ينفع الأدبُ الأحداثَ في مَهَلٍ ... وليـس ينفـع عنـد الشَّـيْبة الأدبُ

أدب الدين (٣٧٠).

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: كان يُعلَّم الصبي الصلاة إذا عرف يمينه من شماله. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٣.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجل: يا هذا أحسن أدب ابنك؛ فإنك مسؤول عنه، وهو مسؤول عن برِّك. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٨.

* وعن **الرُّبيّع بنت معوذ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٥) قالت: أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائما فليصم، قالت: فكنا نصومه بعدُ، ونُصَوِّم صبْياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار. صحيح البخاري: ١٩٦٠، صحيح مسلم: ١١٣٦.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: ينبغي للرجل أن يُكرِهَ وَلَدَهُ على العلم، فإنه مسؤول عنه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٩.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: من حق الولد على الوالد: أن يحسن أدبه. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٨.

* وقال بعض السلف: العلم في صغر كالنقش في الحجر. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٣.

* وعن **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) أنه كان يجمع بنيه ويقول: يا بني تعلموا، فإن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار آخرين، وما أقبح على شيخ يسأل ليس عنده علم. مسند الدارمي (٥٧١).

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأمر بنيه بالصيام إذا أطاقوه، وبالصلاة إذا عقلوا. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٣.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: ما ضرب المعلمُ غلاما فوق ثلاث فهو قصاص. ابن أبي الدنيا ٨/ ٨٤.

* وعن **ابن شوذب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٦) أنه كره ضرب المعلم الصبيان، وقال: يضرب من لا ذنب له!. ابن أبي الدنيا ٨/ ٨٤.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يعلمون الصبي الصلاة إذا عدَّ عشرين. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٣.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): أدِّب أهلك أو من وُلِّيت أمره على أدبك وخلقك[1]، حتى يتأدبوا على الذي أنت عليه؛ ليكونوا لك عونًا على طاعة الله. ترتيب المدارك (١/ ٤٢٠).

---

(١) أي: كن قدوة صالحة يقتدون بك.

* وكان له ابنة تحفظ علمه -يعني الموطأ-، وكانت تقف خلف الباب، فإذا غلط القارئ نَقَرت الباب فيفطن مالك فيرد عليه.

وكان ابنه محمد يجيء وهو يحدِّث، وعلى يده باشق[1]، ونعل كيسانية، وقد أرخى سراويله، فيلتفت مالك إلى أصحابه ويقول: إنما الأدب أدب الله، هذا ابني وهذه ابنتي!.

قال الفرويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا نجلس عنده وابنه يدخل ويخرج ولا يجلس، فيُقبل علينا ويقول: إن مما يهون عليّ أن هذا الشأن لا يورَّث، وأن أحدًا لم يخْلُفْ أباه في مجلسه إلا عبدالرحمن بن القاسم. ترتيب المدارك (١/ ٩٥).

* ومر رجل **بالأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) وهو يحدّث الصبيان، فقال له: تحدث هؤلاء الصبيان؟ فقال الأعمش: هؤلاء الصبيان يحفظون عليك دينك. [شرف أصحاب الحديث: ٦٤].

* وقال **بعض السلف**: لا تزال هذه الأمة بخير ما تعلم ولدانُها القرآن. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٥.

* وقال **إبراهيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥): جَنِّبوا أولادكم قرناء السوء، قبل أن تصبغوهم في البلاء، كما يصبغ الثوب. ذم الهوى: ١٠٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أول فساد الصبيان بعضهم من بعض. ذم الهوى: ١٠٢.

* وبلغ **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) أن ابنًا له اشترى فصًّا بألف درهم فتختم به، فكتب إليه عمر: عزيمة مني إليك لما بعت الفص الذي اشتريت بألف درهم وتصدقت بثمنه، واشتريت فصًّا بدرهم واحد ونقشت عليه: رحم الله امرأ عرف قدره والسلام. تهذيب الحِلْية ٢٢٥/ ٢.

---

(١) نوع من جنس البازي، من فصيلة العُقاب النَّسْريّة، وهو من الجوارح، يشبه الصقر ويتميّز بجسم طويل، ومنقار قصير بادي التّقوّس.

* وكتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مؤدب ولده: خذهم بالجفاء، فهو أمنع لإقدامهم، وتركِ الصُّبْحَة[١]، فإن عادتها تُكسب الغفلة، وقلةِ الضحك، فإن كثرته تميت القلب، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي، التي بَدْؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من حملة العلم أنّ حضور المعازف، واستماع الأغاني، واللهج بهما، ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب بالماء، وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن، فإذا فرغ منه تناول نَبْله وقوسه، فرمى سبعة أرشاق، ثم انصرف إلى القائلة، فإن ابن مسعود كان يقول: يا بنيَّ قيلوا فإن الشياطين لا تقيل. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٥.

* وعن **علي بن عاصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠١) أنه قال: دفع إليّ أبي مائة ألف درهم، وقال: اذهب فلا أرى وجهك إلا بمائة ألف حديث. المنتظم ١٠٣/ ١٠.

* ودخل **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) يومًا إلى بعض حجر هارون الرشيد واستأذن له عليه فأقعده الخادم عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد، قال له: يا أبا عبد الله، هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم، فلو أوصيته، فأقبل على أبي عبد الصمد فقال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك فإن أعينهم مغفورة[٢] بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تستقبحه، علمهم كتاب الله، ولا تُكْرِههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم زدهم من الشعر أعفّه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنّهم من علم إلى غيره حتى يتقنوه، فإن ازدحام الكلام في المسمع مضلّة للفهم. المنتظم ١٣٩/ ١٠، الحلْية ٩/ ١٤٧.

* وتفقد **هشام بن عبد الملك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٥) بعض ولده لم يحضر

---

(١) هي النوم أول النهار؛ لأنه وقت الذكر، ثم وقت طلب الكسب. النهاية (٣/ ٧).

(٢) في الحلية وصفة الصفوة للمؤلف: معقودة، وهي الصواب.

الجمعة، فقال له: ما منعك؟ فقال: نَفَقَتْ دابتي، قال: وعجزت عن المشي فتركت الجمعة؟! فمنعه الدابة سنة. المنتظم ٩٨/ ٧.

* وكان **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٨) قد وكّل الفراء يلقن ابنيه النحو، فلما كان يومًا أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له، فتنازعا أيهما يقدمه، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردًا، فقدماها، وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر، فرفع ذلك إليه في الخبر، فوجّه إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له: منْ أعز الناس؟ قال: ما أعرف أعز من أمير المؤمنين قال: بلى، من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى رضي كل واحد منهما أن يقدم فردًا. المنتظم ١٧٩/ ١٠.

* وقال الميموني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت **أبا عبد الله أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): أيهما أحب إليك أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا، بالقرآن، قلت: أعلمه كله؟ قال: إلا أن يعسر فتعلمه منه، ثم قال لي: إذا قرأ أولا تعود القراءة ثم لزمها. طبقات الحنابلة (٢/ ٩٥).

قال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلى هذا أتباع الإمام أحمد إلى زمننا هذا.(١) الآداب الشرعية ٢/ ٢٥.

* وقَالَ **ابن نجا الأنصاري الواعظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٩): حفَّظني خالي مجلسَ وعظ، وعمري يومئذ عشر سنين، ثم نصب لي كرسيًّا في داره، وأحضر لي جماعته، وقال: تكلَّم، فتكلمت، فبكى.(٢).

ونشأ له ولد حسن الصورة، فلما بلغ أخذ في سبيل اللهو، فدعا عليه، فمات، فحضر الناس والدولة لأجلِه، فلما وضعوا سريره في المصلى نصبوا للشيخ كرسيًّا

---

(١) وإلى زمننا هذا كذلك، والحمد لله.

(٢) ما أجمل تحفيز الصغار وتنمية مهاراتهم.

إلى جانبه، فصعد عليه، وحمد الله تعالى، وقال: اللهم إن هذا ولدي بلغ من العمر تسع عشرة سنة، لم يجر عليه فيها قلم إلا بعد خمس عشرة سنة، بقي له ثلاث سنين، نصفها نوم، بقي عليه سنة ونصف، قد أساء فيها إلي وإليك، فأما جنايته عليّ فقد وهبتها له، بقي الذي لك فهبه لي، فصاح الناس بالبكاء، فنزل وصلى عليه. ذيل الطبقات (٢/ ٥٢٩-٥٣٥).

* وكان الفقيه الإمام **أبو محمد ابن التبّان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] (ت: ٣٧١) كثير الدرس، ذَكَر أنه درس كتابًا ألف مرة، إلى أن قال لي أبي ذات يوم: يا بني ما يكون منك؟ لا تعرف صنعة، واشتغلت بالعلم ولا شيء عندك، فلما كان ذات ليلة سمعته يقول لوالدتي: عرفتِ أني عُرِفْت اليوم بابني؟ وذلك أني حضرت إملاكًا[٢] في مسجد -سماه- فوجدته ممتلئًا بالناس، ولم أجد مجلسًا، فقام لي رجل من موضعه وأجلسني فيه، فسأله إنسان عني، فقال له: هذا والد الشيخ أبي محمد.

فرجع وحرّض ابنه على طلب العلم، والتزم القيام بشأنه من يومئذ.[٣] ترتيب المدارك (٤/ ٥٩).

ب- فضل الأولاد:

* عن **أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: إن الرجل لتُرفع له الدرجة فيقول: يا

---

(١) كان من العلماء الراسخين، والفقهاء المبرزين، ضربت له أكباد الإبل من الأمصار؛ لعلمه بالذب عن مذهب أهل الحجاز ومصر ومذهب مالك، وكان من أحفظ الناس بالقرآن والتفنن في علومه، والكلام على أصول التوحيد، مع فصاحة اللسان، وكان مستجاب الدعاء، رقيق القلب غزير الدمعة.

(٢) الإملاك: التزويج.

(٣) الوالدان يرفعهما الله بعلم ابنهما في الدنيا، ويرفعهما أكثر وأشرف في الآخرة إذا سعيا في تعليمه ما ينفعه في دينه ابتغاء وجه الله، فحريّ بكل مؤمن عاقل أن يسعى جاهدا في تعليم أولاده أمور دينهم، ليرفعهم الله في الدنيا والآخرة.

رب أنَّى لي هذه؟ فيقال له: باستغفار ولدك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٥٧.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) لرجل: لك عيال؟ فقلت: نعم، قال: روعة من روعة عيالك أفضل مما أنا فيه. تهذيب الحِلْية ٤٨٦/ ٢.

ت- الصبر على فَقدِ الولد:

* قال محمد بن عيسى الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما بلغه: إن عبدالرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مات له ابن، فجزع عليه جزعًا شديدًا، فبلغ ذلك **محمد بن إدريس الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) فكَتب إليه: اعلم أن أمضَّ[1] المصائب فَقْدُ سرورٍ مع حرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا على اكتسابِ وِزر؟ فأقول:

إني مُعزّيـك لا أني علـى ثقـةٍ مـن الخلـود ولكـن سـنّة الدِّيـن
فمـا المعـزَّى بباق بعـد صاحِبِـه ولا المعزِّي ولـو عاشـا إلـى حين

قال: فكانوا يتهادونه بينهم بالبصرة. طبقات الشافعيين (١/ ٦٨).

* وقال مُحَمَّد بن خلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **لإبراهيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥) ابنٌ، وكان له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن، ولقَّنه من الفقه شيئًا كثيرًا، قال: فمات فجِئتُ أعزيه، فقال لي: كنت أشتهي موت ابني هذا!.

قلت: يا أبا إِسْحَاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فِي صبيّ قد أنْجَب[2] ولقَّنته الحديث والفقه؟!.

قَالَ: نعم، رأيتُ فِي النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانا بأيديهم قلالٌ فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكأن اليوم يومٌ حارٌّ شديدٌ حرُّه، فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، فنظر إليّ وقال: لستَ أبي، فقلت: إيش أنتم؟ فقال: **نحن الصبيان الذين متنا فِي دار الدنيا**، فخلَّفْنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء، قَالَ:

(١) أشدّ.

(٢) أي: صار نجيبا ذكيًا.

فلهذا تمنيت موته. طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٧-٢٢٨).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): مات ولدي عَقيل، وكان قد تَفقَّه وناظَر وجَمَع أدَبًا حَسَنًا، فتعَزّيتُ بقصة عمرو بن عبد ودّ، الذي قتله علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقالت أمّه ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... ما زلتُ أبكي عليه دائم الأبدِ
لكن قاتله من لا يُقاد به ... من كان يُدعى أبوه بيضةَ البلدِ

فأَسْلاها وعزّاها جلالةُ القاتل وفخرها بأن ابنها مقتولُه، فنَظَرتُ إلى قاتِلِ ولدي «الحكيمِ المالك»، فهانَ عليَّ القتل والمقتول لجلالة القاتل. ذيل الطبقات (١/ ٣٥٨).

* وقال صاحب سيرةِ **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): كنا يوما عنده والمجلس غاصٌّ بولاة الدين والدنيا، والأعيان الأماثل وابن شافع يقرأ عليه الحديث، إذ فَجَأنا من باب السِّتر وراء ظهر الوزير صُراخ بشع وصياح يرتفع، فاضطرب له المجلس، وارتاع الحاضرون، والوزير ساكنٌ ساكت، حتى أنهى ابن شافع قِرَاءَةَ الإسناد ومتنه، ثم أشار الوزير إلى الجماعة على رِسلكم، ثم قام ودخل إلى السِّتر ولم يَلبث أن خَرج، فجلسَ وتقدَّم بالقراءة، فدعا له ابن شافع والحاضرون، وقالوا: قد أزعجنا ذلك الصياح، فإن رأى مولانا أن يعرّفنا سببه، فقال الوزير: حتى ينتهي المجلس.

وعاد ابن شافع إلى القِراءةِ حتى غابت الشمس، وقلوب الجماعة متعلِّقة بمعرفة الحال، فعاودوه، فقال: كان لي ابنٌ صغير مات حين سمعتم الصياح، ولولا تعيُّن الأمر علي بالأمر بالمعروف في الإنكار عليهم ذاك الصياح؛ لما قمتُ عن مجلس رَسُولُ اللهِ ﷺ، **فعَجِبَ الحاضرون مِن صَبره**. ذيل الطبقات (٢/ ١١٣ - ١٦٩).

ج- فضل الإنفاق عليهم:

* عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**» قَالَ **أَبُو قِلَابَةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤): وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ، وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؟.[1] صحيح مسلم (٩٩٤).

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١): لا يقع موقعَ الكسب على العيال شيءٌ، ولا الجهادُ في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ. صفة الصفوة ٤/ ٣٧٥.

* وقال **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣): ما ترك عبد مالًا هو فيه أعظم أجرًا، من مال يتركه لولده يتعفف به عن الناس. تهذيب الحِلْية ٢/١١٢.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: المقتر على عياله خائن. ابن أبي الدنيا ٨/ ٩٠.

* وقيل له رَحِمَهُ اللَّهُ: الرجل ينفق على أهله النفقة لو شاء اكتفى بدونها، فقال:

---

(١) فشراء المسلم ما يحتاجه لأهلِه من غير إثم ولا سرَفٍ: صدقةٌ يُؤجر عليها، بل من إنفاقُه على نفسِه واشراؤه ما يحتاجه صدقة!

جاء في صحيح مسلم (٩٩٧) أنَّ رجلًا أراد أنْ يتصدّق بمالِه فقال له رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا.**

فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ.

فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ.

فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا» يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ.

فما أكرم الله وأعظم فضله، وأحبّه للإحسان والجود، فقد جعل إنفاقنا على أنفسنا وأهلنا -وهو أمرٌ محبوب للنفس- صدقة يأجرنا عليها، بل إنَّ أحدنا يأتي شهوته فيُثيبه ويأجره!

فحريٌّ بالمؤمن أن يحتسب الأجر في كل شيء، وأنْ يزداد لله محبةً وتعظيمًا وحمدًا على جزيل عطائه، وعظيم فضله.

أيها الرجل أوسع على نفسك كما وسَّع الله عليك. ابن أبي الدنيا ٨/ ٩١.

* وعن مسلم قال: لقيني **معاوية بن قرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) وأنا جاءٍ من الكلأ، فقال: ما صنعت؟ قلت: استبرأت لأهلي كذا وكذا، قال: وأصبته من حلال؟ قال: قلت: نعم، قال: لَأن أغدو فيما غدوت فيه كل يوم: أحب إلي من أن أقوم الليل وأصوم النهار. ابن أبي الدنيا ٨/ ٩١.

د- تحفيزُهم وعدم احتقارهم:

* قال **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يوما لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ [البقرة:٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر، فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم.

فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا أخي قل ولا تحقِر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعلم بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله. صحيح البخاري (٤٢٦٤).

* وعن ابْن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر:١-٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم، لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا.

فقال لي: يا ابن عباس، أكذلك قولك؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر:٣].

قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. صحيح البخاري (٤٠٤٣).

* وعن يوسف بن الماجشون قال: قال لنا **ابن شهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) -أنا وابن أخي وابن عم لي ونحن غلمان أحداث نسأله عن الحديث-: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب، كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم. تهذيب الحِلْية ٢٤/ ٢.

* وحكى الأصمعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قلت **لغلام** حدث من أولاد العرب كان يحادثني فأمتعني بفصاحة وملاحة: أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق؟ قال: لا والله، فقلت: ولم؟ قال: أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى علي حمقي[١].

وقد قال **الشاعر**:

رأيت العقل لم يكن انتهابا ... ولم يُقْسمْ على عدد السنينا
ولو أن السنين تقاسَمَتْه ... حوى الآباءُ أنصبةَ البَنِينا

أدب الدين (٤٧).

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كان الغلام إذا حَذِق قبل اليوم نحروا جزورا، وصنعوا طعاما للناس. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٦.

* وعن يحيى بن صالح العبدي، قال: أتيت **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنا غلام، فقعدت بعيدا من الحلقة فقال لي: يا بني ادن ما لك قعدت بعيدا؟ قال: قلت: يا أبا سعيد، إني حسَّنْتُ الحُصُر قال: لا تفعل إذا جئت فاجلس إلى جنبي، قال: كنت آتيه فيقعدني إلى جنبه ويمسح رأسي ويملي علي الحديث. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٣.

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فانظر إلى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه، واستنبط بجودة قريحته ما لعله يدق على من هو أكبر منه سنًّا، وأكثر تجربة.

هـ العدل بينهم:

* عن **إبراهيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦): قال كانوا يستحبون أن يسووا بين أولادهم حتى في القُبَل. ابن أبي الدنيا ٨/ ٢٤.

* وعن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) أنه ضم ابنا له وكان يحبه، فقال: يا فلان والله إني لأحبك، وما أستطيع أن أوثرك على أخيك بلقمة. ابن أبي الدنيا ٨/ ٢٤.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان كُتب من الظلمة. ابن أبي الدنيا ٨/ ٨٤.

و- تزويج الأبناء والبنات[1]:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لا ينبغي لذوات الأحساب تزوُّجُهُنَّ إلا من الأكفاء. ابن أبي الدنيا ٨/ ٣٩.

* وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا يُكرِهنَّ أحدٌ ابنته على الرجل القبيح؛ فإنهن يحببن ما تحبون. مسند سعيد بن منصور (٨١١).

---

(١) يجب على الوليّ أن يسعى في تزويج من يعول من البنين والبنات، ولا يجوز أنْ يردّ الكفء إذا تقدم لخطبة البنت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من صور العضل: إذا امتنع الخطاب من خطبتها لشدة الولي. الإنصاف ٨/ ٧٥.
وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِذَا رَضِيَتْ -الْمَرْأَةُ الْبَالِغُ- رَجُلًا وَكَانَ كُفُؤًا لَهَا وَجَبَ عَلَى وَلِيِّهَا -كَالْأَخِ ثُمَّ الْعَمِّ- أَنْ يُزَوِّجَهَا بِهِ.
فَإِنْ عَضَلَهَا وَامْتَنَعَ مِن تَزْوِيجِهَا: زَوَّجَهَا الْوَلِيُّ الْأَبْعَدُ مِنْهُ أَو الْحَاكِمُ بِغَيْرِ إذْنِهِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ.
فَلَيْسَ لِلْوَلِيِّ أَنْ يُجْبِرَهَا عَلَى نِكَاحِ مَن لَا تَرْضَاهُ، وَلَا يَعْضُلَهَا عَن نِكَاحِ مَن تَرْضَاهُ إذَا كَانَ كُفُؤًا بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ، وَإِنَّمَا يُجْبِرُهَا وَيَعْضُلُهَا أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالظَّلَمَةُ الَّذِينَ يُزَوِّجُونَ نِسَاءَهُم لِمَن يَخْتَارُونَهُ لِغَرَضٍ، لَا لِمَصْلَحَةِ الْمَرْأَةِ، وَيُكْرِهُونَهَا عَلَى ذَلِكَ أَو يُخْجِلُونَهَا حَتَّى تَفْعَلَ.
وَيَعْضُلُونَهَا عَن نِكَاحِ مَن يَكُونُ كُفُؤًا لَهَا لِعَدَاوَةٍ أَو غَرَضٍ.
وَهَذَا كُلُّهُ مِن عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَهُوَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَحْرِيمِهِ. مجموع الفتاوى (٣٢/ ٥٢-٥٣).

* وقالت **أسماء بنت أبي بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٣): إنما النكاح رِقّ، فلينظر أحدكم أين يَرِقُّ عتيقته. مسند سعيد بن منصور (٥٩١).

* وقال **سعيد بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٧): إذا علمت ولدي القرآن، وحجَّجته، وزوجته، فقد قضيت حقه، وبقي حقي عليه. ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٩.

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): ثلاث ليس عندي فيهن أناة: الضيف إذا نزل بي أن أعجل له ما كان، والجنازة لا أحبسها، والأيم إذا عرَض لها رغبةٌ أنْ أزوجها. الزهد ابن المبارك (١٠٩٤)، ابن أبي الدنيا ٨/ ٤١.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: من زوج فاسقا فقد قطع رحمه. ابن أبي الدنيا ٨/ ٣٩.

* وقال رجل **للحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): إن لي بُنَيّة وإنها تُخْطَب، فمِمَّن أُزَوِّجها؟ فقال: زوجها ممن يتقِي اللهَ، فإن أحبّها أكرمها، وإن أبغضها لم يَظْلِمها. ابن أبي الدنيا ٨/ ٣٩.

* وعن ابن جريج قال: قلت **لعطاء** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): أبو بِكْرٍ دعاها إلى رجل، فهويت غيره؟ قال: يلحق بهواها. ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٠.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كان يقال: حق الولد على والده: أن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ، وأن يحججه، وأن يحسن أدبه. ابن أبي الدنيا ٨/ ٥٠.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:١١٨) قال: كان يقال: إذا بلغ الغلام فلم يزوجه أبوه، فأصاب فاحشة: أثِم الأب. ابن أبي الدنيا ٨/ ٥٠.

* ورُمِي ببغداد في سُوقٍ بصبيّ، وعند رأسه كيسٌ فيه مائةُ دينار ورُقعةٌ فيها: هذا الشقيُّ ابن الشقيّة، رحم الله مَنِ اشترى له بهذا الذهب جاريةً تربيه؛ وفي آخر الرُّقعة: هذا جزاءُ من عضَل[1] ابنتَه. عيون الأخبار ٤/ ٣٩٦.

---

(١) عضل المرأة عن الزواج: حبسها عنه.

* وروي عن **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) أنه قَالَ: إِذَا أرادَ الرَّجلُ أن يُزوِّج رجلًا فأرادَ أن تجتمع لَهُ الدنيا والدين؛ فليبدأ فيَسأل عن الدنيا، فإن حُمِدتْ سَأل عن الدين، فإن حُمِد فقد اجتمعا، فإن لم يُحْمد كَانَ فِيهِ ردّ الدنيا من أجل الدين.

ولا يَبدأ فيسأل عن الدِّين، فإن حُمِد سَأَلَ عن الدنيا، فإن لم يُحْمد كَانَ فِيهِ ردُّ الدين لأجل الدنيا.[1] طبقات الحنابلة (٣/ ٢٩٦).

ل- العطف عليهم، ومحبتهم، ومداعبتهم:

* قال البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَخَلْتُ مَعَ **أَبِي بَكْرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: «كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟ وَقَبَّلَ خَدَّهَا». سنن أبي داود (٥٢٢٢).

* وعن عقبة بن الحارث قال: خَرَجْتُ مَعَ **أَبِي بَكْرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِلَيَالٍ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ، فَمَرَّ بِحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَلْعَبُ مَعَ غِلْمَانٍ، فَاحْتَمَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

بِأَبِي شِبْهُ النَّبِيِّ ... لَيْسَ شَبِيهًا بِعَلِيِّ

قَالَ: وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ. مسند الإمام أحمد (٤٠)، وصحح إسناده محققوه.

* وكان **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) إذا لقي ابنه سالما قبَّله، ويقول: شيخ يقبل شيخا. ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٤.

* وعن أبي واثلة أن معاوية دخلته موجدة على ابنه يزيد، فأرِق لذلك ليلته، فلما أصبح بعث إلى **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) فأتاه، فلما دخل عليه قال له: يا أبا بحر كيف رضاك على ولدك، وما تقول في الولد؟.

(١) أي حين يطلب الرجل من ولي المرأة الزواج من موليته كابنته وأخته مثلًا، فليبدأ الولي بالسؤال عن الرجل في أمور الدنيا، فإن رضي بها، سأل عن أمر الدِّين، لا العكس، لأنه يريد الأمرين، فلا يردّه وقد رضي دينه.

قال: فقلت في نفسي: ما سألني أمير المؤمنين عن هذه إلا لموجدة دخلته على يزيد، فحضرني كلام لو كنت زوَّقت فيه سنة لكنت قد أجدت.

فقلت: يا أمير المؤمنين هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن غضِبوا يا أمير المؤمنين فأرضهم، وإن طلبوك فأعطهم، يمحضوك ودهم، ويلطفون جهدهم، ولا تكن علهم ثقلا لا تعطيهم إلا نزرا، فيملوا حياتك، ويكرهوا قربك.

قال: لله درك يا أحنف، والله لقد بعثت إليك وإني من أشد الناس موجدة على يزيد، فلقد سللت سخيمة قلبي. ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٥.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: بِرَّ ولدك؛ فإنه أجدر أن يبرك، وإنه من شاء عق ولده. ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٤.

* وعن ربيعة بن كلثوم قال: رآني **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) وأنا صبي فقبلني. ابن أبي الدنيا ٨/ ٦٤.

* ومات الشيخ **ناصر الدين ابن زريق** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠٣) أسفًا على ولده أحمد، الذي أسره اللَّنْكيّةُ وهو شابٌّ له نحو العشر في رمضان قبل إكمال الخمسين.

ولما مات ولد الشيخ شمس الدين النابلسي رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٢٧-٧٩٧) حصل له اختلاط، وسُلب عقلُه، واستمرّ على ذلك إلى أن مات.[1] السحب الوابلة (٣/ ٩٣٠، ٩٤٢).

---

(١) كثيرا ما يُصاب الأب وتُصاب الأم بمرض أو فقد عقل أو موت بسبب موت الولد أو إصابته أو ضياعه، ولا يكاد يحدث ذلك للولد عندما تكون المصيبة في الأب أو الأم، وهذا يدل على كمال شفقتهما وحنانهما، فالواجب على الأولاد تقوى الله في آبائهم وأمهاتهم، وأن يزيدوا في برهم والإحسان إليهم.

م- التسليم على الصبيان:

* عن عثمان بن إبراهيم قال: رأيت **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) يمر بنا ونحن صبيان فيسلم علينا. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧١.

* وعن بشر بن حرب قال: خرجت مع **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى السوق، فجعل لا يمر على صغير ولا كبير إلا قال: سلامٌ عليكم، سلامٌ عليكم. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧١.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) أنه كان يسلم على الصبيان. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧١.

* ومرّ ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٣) بصبيان فسلّم عليهم، وحدّث ثابتٌ أنه كان يمشي مع أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) فمر بصبيان فسلم عليهم، وحدّث أنس أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ فمر بصبيان فسلم عليهم. صحيح مسلم (٢١٦٨).

* وكان **الحسن** (ت: ١١٠) **وعروة** (ت: ١٠٠) رَحِمَهُمَا اللَّهُ يسلّمان على الصبيان. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧١.

* وعن حبش بن الحارث قال: رأيت **عمرو بن ميمون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٥) مر علينا ونحن في الكُتَّاب فسلم علينا، فنقبل له عمدا، فيمر علينا فيسلم علينا. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٠.

ن- مداعبة الصبيان، والرخصة في لعبهم:

* عن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) أنه دخل منزله، وصبيان يلعبون فوق البيت، فنهاهم رجل معه، فقال الحسن: دعهم فإن اللعب ربيعهم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣١.

* وذَكَر له رَحِمَهُ اللَّهُ رجلٌ بنتا له وكلب له أو جرو يلعب فقال: دعه، فلعب معه. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٢.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا يرخصون للصبيان في اللعب كله إلا بالكلاب. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٢.

* وعن زيد بن السائب، قال: رأيت الصبيان يلعبون بالجوز والعكامة و**خارجة بن زيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) ينظر ولا ينهاهم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٢.

ز- العناية بالأيتام، وتأديبهم:

* عن **أبي الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: اتقوا دمعه اليتيم ودعوة المظلوم؛ فإنهما يسيران بالليل والناس نيام. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٥.

* وضرب **ابن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) عبيده الأيتام في حجره يقول: أبطأتم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٩.

* وكان **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) يضرب يتيما له عنده واليتيم يقول: لا ترحم هذا اليتيم؟ اتق الله في هذا اليتيم، وميمون يضرب ويقول: اللهم أصلح هذا اليتيم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٩.

* وقيل **لِابْنِ سِيرِينَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): عِنْدِي يَتِيمٌ، قَالَ: اصْنَعْ بِهِ مَا تَصْنَعُ بِوَلَدِكَ، اضْرِبْهُ مَا تَضْرِبُ وَلَدَكَ. الأدب المفرد (١٤٠).

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قال: كن لليتيم كالأب الرحيم، ورُدَّ المسكين برحمة ولين. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٦.

* وعن **فرقد السبخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١) قال: ما خلق مائدة أعظمَ شرفا من مائدة يُطعم عليها يتيم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٦.

* وعن الليث بن سعد، أن **عميرة بن أبي ناجية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣) حدثه قال: أخذت يتيما من قريش فانقلبت به إلى منزلي وأطعمته ودهنته ووهبت له فلوسا وقلت: اللهم أشرك أمي معي فيما صنعت بهذا اليتيم، قال: ثم نمت فرأيت أمي

أقبلت مُلْتبسة على أحسن ما كانت، معها ذلك اليتيم، حتى وقفت ثم قالت: أيْ بني لو رأيت ما صنع بي هذا الغلام منذ اليوم؟ قال الليث: تقول: أصبت به خيرا للذي كان من عميرة ابنها لليتيم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٧.

ي - فوائد أخرى:

* كتب **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إلى بعض إخوانه -وخاف عليه حب ولده-: أما بعد يا أخي، فإنك لست في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلَك، وستكونُ أهلٌ بعدَك، وإنما تَجْمع لمن لا يحمدك، وتصير إلى من لا يعذرك، وإنما تجمع لأحد رجلين: إما محسن فيسعد بما شقيت له، وإما مفسد فيشقى بما جمعت له، وليس واحد منهما أهلا أن تؤثره على نفسك، ثِق لمن مضى منهم رحمةُ الله، ولمن بقي منهم رزقُ الله، والسلام. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٠٤.

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٧) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور:٢١] قال: المؤمن ترفع له ذريته وإن كان دونه في العمل، فيقر الله عَزَّ وَجَلَّ به عينه. ابن أبي الدنيا ٨/ ٨٥.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ [الفرقان:٧٤]: أما إنه لم يكن قرة أعين أن يرونه صحيحا جميلا، ولكن أن يرونه مطيعا لله عَزَّ وَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ٨/ ٩٩.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) في قوله تعالى: ﴿هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾: في طاعة الله وما شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى حبيبه في طاعة الله. صحيح البخاري (٦/ ١٠٩).

* وقال رجل عند **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لآخر: ليهنك الفارس، فقال الحسن: لعله لا يكون فارسا، لعله يكون بقالا، أو جمَّالا، ولكن قل: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، بلغ أشده، ورُزقت بره. ابن أبي الدنيا ٨/ ٥٥.

* ورأى **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) رجلًا يُسيء صلاته، فقال: ما أرحمني لعياله! فقيل له: يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟ قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون. صفة الصفوة ٣/ ٢٠٤.

* ولما كانت الصرعة التي هلك فيها **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٩) دخل عليه مسلمة بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم عيلة لا شيء لهم، فلو أوصيت بهم إليّ وإلى نظرائي من أهل بيتك. فقال: أسندوني، ثم قال: ما منعتهم حقًّا هو لهم، ولم أعطهم ما ليس لهم، وإن وصيتي فيهم و﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف:١٩٦] بنيّ أحد رجلين: إما رجل يتقي الله فيجعل الله له مخرجًا، وإما رجل مكب على المعاصي فلم أكن أقويه على معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرًا، فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى، ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركتهم عيلة لا شيء لهم، وإني بحمد الله قد تركتهم بخير، أي بنيّ إن أباكم مثل بين أمرين: أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، أو تفتقروا ويدخل الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه، قوموا عصمكم الله. المنتظم ٧١/ ٧.

* وقيل **لبعضهم**: أيّ ولدك أحبّ إليك؟ قال: صغيرُهم حتى يكبَر، ومريضُهم حتى يَبْرَأ، وغائبُهم حتى يَقدَم. عيون الأخبار ٣/ ٩٦.

* وكان يقال: ابنُك ريحانُك سَبْعًا، وخادمك سبعًا، ثم عدوٌّ أو صديق. عيون الأخبار ٣/ ٩٨.

* وقال **بعضهم**:

وإنمـــا أولادُنــــا بينَنــــا ... أكبادُنـا تمشِـي علـى الأرضِ

لـو هبّـتِ الريـحُ علـى بعضهـم لامتنعـتْ عينـي مـن الغَمْـضِ

عيون الأخبار ٣/ ٩٩.

* وكان **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إذا هنأ بمولود قال: جعله الله مباركا عليك وعلى أمة محمد. ابن أبي الدنيا ٨/ ٥٥.

عناية السلف بالجار، وما قيل في ذلك(١)

* قال سُفْيَان الثَّوْرِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): إذا اشتريت شيئًا لا تريد أن تنيل جارك منه فواره. تهذيب الحِلْية ٢/٤٠٥.

* وأراد جار لأبي حمزة السكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٨) أن يبيع داره، قال: فقيل له: بكم تبيعها؟ قال: بألفين ثمن الدار، وألفين حق جوار أبي حمزة قال: فبلغ ذلك أبا حمزة، فوجَّه إليه بأربعة آلاف، وقال: خذها ولا تبع دارك. المنتظم ٨/٣٠٢.

(١) كَانَ مِنْ أَخْلَاقِ الْعَرَبِ حِمَايَةُ الْجَارِ وَالدِّفَاعُ عَنْهُ، حَتَّى صَارُوا يُسَمُّوْنَ النَّصِيرَ جَارًا، وَمِنْهُ قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال:٤٨]. يُنظر: تفسير المنار ١٠/ ١٦٨.

المواساة وتفريج الكُرب

* عن **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا لله كساه الله، ومن أطعم لله أطعمه، ومن سقى لله سقاه، ومن عمل لله أغناه الله. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٦٥.

* وجاء رجل إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسأله أن يذهب معه في حاجة، فقال: إني معتكف، فأتَى **الحسن بن علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) فأخبره، فقال الحسن: لو مشى معك في حاجتك أحب إلي من اعتكاف شهر. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٨٥.

* وقيل **لمحمد بن المنكدر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠): أيُّ الدنيا أعجب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٦٦.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): لأن أقضي لمسلم حاجة أحب إلى من أن أصلى ألف ركعة. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٧٠.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن أقضي لأخ حاجة أحبُّ إلى من أن أعتكف شهرين. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٧٠.

* وقال **عبدالله بن جعفر بن أبي طالب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠): ليس الجواد الذى يعطيك بعد المسألة، ولكن الجواد الذى يبتدئ. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٧١.

* وقال **عبيد الله بن عباس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٧): إن أفضل العطية ما أعطيت

الرجل قبل المسألة، فإذا سألك: فإنما تعطيه ثمن وجهه حين بذله إليك. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٧٠.

* وجاء رجل إلى **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٩)، فشكا إليه ضيقًا من حاله ومعاشه واغتمامًا منه بذلك، فقال له يونس: أيسرّك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف؟ قال: لا قال: فسمعك الذي تسمع به يسرّك به مائة ألف؟ قال: لا قال: فؤادك الذي تعقل به يسرك به مائة ألف؟ قال: لا قال: فيَداك يسرك بهما مائة ألف؟ قال: لا قال: فرجلاك؟ قال: فذكّره نِعَمَ الله عَزَّوَجَلَّ عليه، فأقبل عليه يونس، فقال: أرى لك مئين ألوفًا، وأنت تشكو الحاجة. صفة الصفوة ٣/ ٢١٨.

* ولما ماتت أم صالح رَحِمَهَا اللَّهُ - زوجة أحمد بن حنبل - قال **أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) لامرأة عندهم: اذهبي إلى فلانة ابنة عمي فاخطبيها لي من نفسها، قال: فأتتها فأجابته، فلما رجعت إليه قالت: كانت أختها تسمع كلامك قال: وكانت بعين واحدة؟ قالت: نعم، قال: فاذهبي واخطبي تلك التي بعين واحدة فأتتها فأجابته وهي أم عبد الله. المنتظم ٢٨٨/ ١١.

* وكان رجل من تجار المدينة يخالط **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٨)، ويعرفه محسن الحال، فتغيرت حالته فجعل يشكو ذلك إلى جعفر بن محمد، فقال جعفر:

فلا تجزع إذا أعسرت يومًا ... فقد أيسرت في الزمن الطويل
ولا تيأس فإن اليأس كفر ... لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل

قال: فخرجت من عنده وأنا أغنى الناس. ابن أبي الدنيا ٢/ ١٤٥.

* وقال **أحمد بن مهدي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٧): جاءتني امرأة ببغداد ليلة من الليالي، فذكرت أنها من بنات الناس وأنها امتحنت بمحنة، وقالت: أسألك بالله

أن تسترني، فقلت: وما محنتك؟ قالت: أكرهت على نفسي وأنا حبلى، وذكرت للناس أنك زوجي، وأن ما بي من الحبل منك فلا تفضحني، استرني سترك الله عَزَّوَجَلَّ، فسكت عنها ومضت فلم أشعر حتى وضعت، وجاء إمام المحلة في جماعة من الجيران يهنئوني بالولد، فأظهرت لهم التهلل ووزنت في اليوم الثاني دينارين ودفعتهما إلى الإمام، فقلت: ادفع هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود فإنه سبق ما فرق بيني وبينها، وكنت أدفع في كل شهر إليها دينارين على يد الإمام، وأقول: هذه نفقة المولود، إلى أن أتى على ذلك سنتان، ثم توفي المولود فجاءني الناس يعزونني، فكنت أظهر لهم التسليم والرضا، فجاءتني المرأة ليلة من الليالي بعد شهر ومعها تلك الدنانير التي كنت أبعث لها بيد الإمام فردتها، وقالت: سترك الله عَزَّوَجَلَّ كما سترتني، فقلت: هذه الدنانير كانت صلة مني للمولود، وهي لك فاعملي فيها ما تريدين. المنتظم ٢٨٤-٢٨٥/ ١٣.

* وجاء رجل إلى **الحسن بن سهل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٦) يستشفع به في حاجة فقضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن: علام تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاة، كما أن للمال زكاة؟[1] ثم أنشأ الحسن يقول:

فُرِضَتْ عليّ زكاةُ ما ملكت يدي ... وزكاةُ جاهي أنْ أُعين وأشفعا

فإذا ملكْتَ فَجُدْ وإنْ لم تستطع ... فاجْهَدْ بوسعك كلِّه أنْ تنفعا

المنتظم ٢٤٠/ ١١.

* وعن شقيق بن إبراهيم قال: بينا نحن ذات يوم عند **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠)، إذ مر به رجل من الصُّناع، فقال إبراهيم: أليس هذا فلانًا؟ قيل: نعم!

(١) وللعلم زكاة، فلا ينبغي للعالم وطالب العلم والمعلِّم أنْ يشعر بأنه مُحسنٌ على من علّمه وأفتاه، بل ينبغي أنْ يرى أنّ الطلاب الذين حضروا عنده يتعلّمون منه، والسائلين الذين يستفتونه هم المحسنون إليه، لأنهم أعانوه على زكاة علمِه، وبضاعةُ العالم وطالب العلم علمُه، فإذا لم يقصده الطلاب والسائلون كسدت بضاعتُه، فأيّ فضل لهم عليه!

فقال لرجل: أدركه فقل له: قال لك إبراهيم: مالك لم تسلم؟ قال: لا والله، إن امرأتي وضعت وليس عندي شيء فخرجت شبه المجنون، فرجعت إلى إبراهيم وقلت له: فقال: إنَّا لله، غفلنا عن صاحبنا، حتى نزل به الأمر! فقال: يا فلان ائت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين وادخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار الآخر إليه، فدخلت السوق وأوقرت بدينار من كل شيء وتوجهت إليه فدققت الباب، فقالت امرأته: من هذا؟ قلت: أنا أردت فلانًا، قالت: ليس هو هنا، قلت: فمري بفتح الباب، وتنحي، قال: ففتحت الباب فأدخلت ما على البعير وألقيته في صحن الدار وناولتها الدينار، فقالت: على يدي من هذا؟ قلت: قولي على يد أخيك إبراهيم بن أدهم، فقالت: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم. تهذيب الحِلْية ٤٧٦/ ٢.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذهب السخاء والكرم والجود والمواساة، فمن لم يواس الناس بماله وطعامه وشرابه، فليواسهم ببسط الوجه والخلق الحسن، لا تكونون في كثرة أموالكم تتكبرون على فقرائكم، ولا تميلون إلى ضعفائكم، ولا تنبسطون إلى مساكينكم. تهذيب الحِلْية ٤٧٧/ ٢.

* وعن مضاء بن عيسى قال: ما فاق **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصحابه بصوم ولا صلاة، ولكن بالصدق والسخاء. تهذيب الحِلْية ٤٧٨/ ٢.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

سيُفتح بابٌ إذا سدّ باب ... نعم وتهون الأمور الصِّعاب

ويتَّسع الحال من بعد ما ... تضيق المذاهب فيها الرِّحاب

مع الهمّ يُسْران هوِّنْ عليك ... فلا الهمّ يجدي ولا الاكتئاب

فكم ضِقْت ذرعًا بما هِبْتَه ... فلم يُر من ذاك قدرٌ يُهَاب

ديوان الشافعي (٣٧).

* وحضر يومًا بين يدي القاضي **أبي عمر محمد بن يوسف** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢٠) رجلٌ يدَّعي قِبَل الآخر مائة دينار، ولم تكن له بينة، فتوجهت اليمين على المطلوب بنفي ما زعمه الطالب، فأخذ الخصم الدواة وكتب:

وإني لـذو حَلِـفٍ فاجـر إذا ما اضْطُررت وفي الحال ضيق

وهـل مِن جناحٍ على معسر يدافـع بـالله مـا لا يطيـق

فأمر القاضي بإحضار مائة دينار ودفعها عنه، فعجب الراضي بالله (ت: ٣٢٩) من أدب الرجل وكرم القاضي، وبحث عن الناظم؛ فلما وجده أمر له بألف دينار، وخمس خِلَع، ومركوب حسن، وملازمة دار السلطان. [تاريخ قضاة الأندلس (٣٦)].

* وحدَّث بعض أصحاب **القاضي عبدالله بن طالب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٥) أنه ركب معه إثر سماء وهو على حمار، فعرض له في طريقه ماءُ مستنقع، فأتى صبيٌّ يرعى غنمًا فأخذ بلجام حماره فجوَّزه الماء، فقال للغلام: من مولاك؟ قال: فلان، فنزل ابن طالب في مسجد، ثم قال للغلام: اذهب فجئني بمولاك، فجاءه.

فقال له: بكم اشتريت هذا الغلام؟ فقال: بعشرة دنانير، قال: فخذها وأعتقه، وولاؤه لك، وعَدَّها له، وكتب عتق الغلام، ثم قال لمولاه: قد وجب أن تجري له على رعايته لغنمك أجرة، فأجرى له دينارين في كل سنة، فقال ابن طالب: الزم مولاك، ولا تقطعنا، فإنا نواسيك.[1] ترتيب المدارك (٢/ ٣١٠).

* وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْك صَنِيعَةً مِـنْ جَاهِـهِ فَكَأَنَّهَـا مِـنْ مَالِـهِ

الآداب الشرعية ٢/ ١٢١.

---

(١) الصادق المخلص يرى خدمة الناس له معروفا منهم، لا واجبا عليهم، مهما كبر منصبه، وعلا شأنه.

عناية السلف بالفقراء والمساكين(١)

* قال أسلم: خرجتُ ليلةً مع عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) إلى ظاهرِ المدينة، فلاحَ لنا بيتُ شعْرٍ فقصدْناه، فإذا فيه امرأةٌ تمْخضُ وتَبْكي، فسألها عمرُ عن حالها، فقالت: أنا امرأةٌ غريبةٌ وليس عندي شيءٌ. فبكى عمر وعاد يُهَرْوِلُ إلى بيته، فقال لامرأتِه أمِّ كلثوم بنت عليٍّ بن أبي طالب: هل لك في أجرٍ ساقه الله إليكِ؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمَل على ظهره دقيقًا وشحمًا، وحملت أمُّ كلثوم ما يصلحُ للولادةِ وجاءا، فدخلَت أمُّ كلثوم على المرأةِ، وجلس عمرُ مع زوجها- وهو لا

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: حب المساكين أصل الحب في الله تعالى؛ لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله، فلا يحبون إلا لله عَزَّوَجَلَّ والحب في الله من أوثق عرى الإيمان، ومن علامات ذوق حلاوة الإيمان، وهو صريح الإيمان، وهو أفضل الإيمان، وهذا كله مروي عن النبي ﷺ أنه وصف به الحب في الله تعالى. الجامع المنتخب/ ٧٧

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: **واعلم أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة:**

منها: أنها توجب إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الإحسان إليهم لمحبتهم لا يكون إلا لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبًا.

ومنها: أنها تزيل الكبر، فإن المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين.

ومنها: أنه يوجب صلاح القلب وخشوعه.

ومنها: أن مجالسة المساكين توجب رضا من يجالسهم بزرق الله عَزَّوَجَلَّ وتعظم عنده نعمة الله عَزَّوَجَلَّ بنظره في الدنيا إلى من دونه، ومجالسة الأغنياء توجب التسخط بالرزق، ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه. وقد نهى الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ عن ذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه:١٠١] الجامع المنتخب/ ٨٥-٨٨

يعرفُه - يتحدَّث، فوضعت المرأةُ غلامًا، فقالت أمُّ كلثومٍ: يا أمير المؤمنين بَشّرْ صاحبَك بغلامٍ. فلمَّا سمع الرجلُ قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذرُ إلى عمر، فقال عمرُ: لا بأس عليك، ثم أوصلَهم بنفقةٍ وما يُصلحُهم وانصرف.

* وقال أسلمُ: خَرَجْنَا مَعَ **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى حَرَّةَ وَاقِمٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِصِرَارٍ إِذَا نَارٌ، فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ، إِنِّي لَأَرَى هَا هُنَا رَكْبًا قَصَّرَ بِهِمُ اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ، انْطَلِقْ بِنَا، فَخَرَجْنَا نُهَرْوِلُ حَتَّى دَنَوْنَا مِنْهُمْ، فَإِذَا بِامْرَأَةٍ مَعَهَا صِبْيَانٌ صِغَارٌ وَقِدْرٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى نَارٍ وَصِبْيَانُهَا يَتَضَاغَوْنَ، فَقَالَ عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَصْحَابَ الضَّوْءِ، وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ: يَا أَصْحَابَ النَّارِ، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فَقَالَ: أَدْنُو؟، فَقَالَتِ: ادْنُ بِخَيْرٍ أَوْ دَعْ، فَدَنَا فَقَالَ: مَا بَالُكُمْ؟ قَالَتْ: قَصَّرَ بِنَا اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ، قَالَ: فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَةِ يَتَضَاغَوْنَ؟ قَالَتِ: الْجُوعُ، قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْقِدْرِ؟ قَالَتْ: مَا أُسْكِتُهُمْ بِهِ حَتَّى يَنَامُوا، وَاللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَحِمَكِ اللهُ، وَمَا يُدْرِي عُمَرَ بِكُمْ؟ قَالَتْ: يَتَوَلَّى عُمَرُ أَمْرَنَا ثُمَّ يَغْفُلُ عَنَّا قال: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا، فَخَرَجْنَا نُهَرْوِلُ حَتَّى أَتَيْنَا دَارَ الدَّقِيقِ، فَأَخْرَجَ عِدْلًا مِنْ دَقِيقٍ وَكَبَّةً مِنْ شَحْمٍ، فَقَالَ: احْمِلْهُ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا أَحْمِلُهُ عَنْكَ، قَالَ: أَنْتَ تَحْمِلُ عَنِّي وِزْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَحَمَلْتُهُ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَيْهَا، نُهَرْوِلُ، فَأَلْقَى ذَلِكَ عِنْدَهَا وَأَخْرَجَ مِنَ الدَّقِيقِ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: ذُرِّي عَلَيَّ، وَأَنَا أُحَرِّكُ لَكِ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ تَحْتَ الْقِدْرِ ثُمَّ أَنْزَلَهَا، فَقَالَ: أَبْغِينِي شَيْئًا، فَأَتَتْهُ بِصَحْفَةٍ فَأَفْرَغَهَا فِيهَا ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لَهَا: أَطْعِمِيهِمْ وَأَنَا أُسَطِّحُ لَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى شَبِعُوا، وَتَرَكَ عِنْدَهَا فَضْلَ ذَلِكَ، وَقَامَ وَقُمْتُ مَعَهُ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، كُنْتَ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُ: قُولِي خَيْرًا إِذَا جِئْتِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَدَّثِينِي هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ تَنَحَّى نَاحِيَةً عَنْهَا ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا فَرَبَضَ مَرْبَضًا، فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ لَنَا شَأْنًا غَيْرَ

هَذَا، وَلَا يُكَلِّمُنِي حَتَّى رَأَيْتُ الصِّبْيَةَ يَصْطَرِعُونَ ثُمَّ نَامُوا وَهَدَأُوا، فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ، إِنَّ الْجُوعَ أَسْهَرَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَنْصَرِفَ حَتَّى أَرَى مَا رَأَيْتُ. فضائل الصحابة للإمام أحمد (٣٨٢).

* وخرج **عمر بن الخطاب** في سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتًا ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع!. تهذيب الحِلْية ٦٩/ ١.

* وكان **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) يعمل بيديه، فإذا أصاب شيئًا اشترى به لحمًا -أو سمكًا- ثم يدعو المُجذَّمين[1] فيأكلون معه. تهذيب الحِلْية ١/١٦١.

* وجاء مسكين أعمى إلى **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) وقد ازدحم الناس عنده، فناداه: يا أبا عبد الرحمن! أدنيت أرباب الخز واليمنية، وأقصيتني لأجل أني مسكين، فقال له: أدن، فلم يزل يدنيه، حتى أجلسه إلى جانبه وبقربه. الجامع المنتخب/ ٨٢.

* وكان **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا وَعَلَى خِوَانِهِ يَتِيمٌ. الأدب المفرد (١٣٦)، وصححه الألبانيّ.

* وقال **جابر بن زيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٣): لأن أتصدق بدرهم على يتيم أو مسكين، أحب إلي من حجة بعد حجة الإسلام. تهذيب الحِلْية ٤٦٢/ ١.

* وكانت قيمة ثياب **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨) أربعة آلاف وكان

---

(١) الجُذَام: هو داء الجرب، ورجل مُجَذَّم: نَزلَ به الجُذَام وأصله من الجَذْم وهو القَطْع.

يجالس الفقراء والمساكين يحدثهم، ويقول: إنه يعجبهم ذلك. تهذيب الحِلْية ١/٣٧١.

* وكان **علي بن حسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) إذا ناول السائل الصدقة قبله ثم ناوله. الزهد لأحمد: ٣٠٦.

* وعن ابن أبي ودَاعة قال: كُنت أجالس **سعيدَ بن المسيِّب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤)، ففقدني أيّاما، فلما جئتُه قال: أين كنتَ؟ قلت: تُوُفِّيت أهلي فاشتغلتُ بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثتَ امرأةً؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يُزوِّجني وما أملِكُ إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتَفعل؟ قال: نَعَمْ، ثم تحمَّد، وصلى على النبي ﷺ، وزوَّجَني على درهمين -أو قال: ثلاثة- فقمتُ وما أدري ما أصنَعُ من الفَرح فصرتُ إلى منزلي وجعلتُ أتفكَّر فيمن أستدين.

فصلَّيت المغربَ، ورجعتُ إلى منزلي، وكنتُ وحدي صائمًا، فقَدَّمتُ عشائي أُفطِر، وكان خُبزًا وزَيتًا، فإذا بابي يُقرع، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: سعيد، فأَفْكَرْتُ في كلِّ من اسمُه سعيد إلاَّ ابن المسيِّب، فإِنَّه لم يُر أربعين سنة إلا بين بَيتِه والمسجد، فخرجتُ، فإذا سعيد، فظننت أنَّه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ قال: لا، أنتَ أحقُّ أن تؤتى، إنَّك كُنتَ رجُلًا عَزَبًا فتزوَّجتَ، فكرهتُ أن تبيتَ الليلةَ وحدَك، وهذه امرأتُك، فإذا هي قائمةٌ مِن خلفِه في طُوله، ثم أخَذَ بيدِها فدفعها في الباب، وردَّ الباب، فسقطت المرأةُ مِنَ الحياء، فاستوثقتُ مِنَ الباب ثم وضعتُ القصعة في ظِلِّ السراج لكي لا تراه، ثم صعدتُ إلى السطح فرمَيتُ الجيران، فجاؤوني فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتُهم. ونزلوا إليها، وبلَغَ أُمِّي، فجاءت وقالت: وجهي مِن وجهكَ حرامٌ إن مَسِسْتَها قَبْلَ أن أصلِحَها إلى ثلاثة أيام، فأقمتُ ثلاثًا ثم دخلتُ بها، فإذا هي من أجملِ الناس، وأحفظِ الناسِ لكتابِ

الله، وأعلمِهم بسنَّةِ رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحقِّ زوج. فمكثتُ شهرًا لاَ آتي سعيدَ بن المسيِّب. ثم أتيتُه وهو في حَلقَتِه، فسلمْتُ، فردَّ عليَّ السلام ولم يُكَلِّمْني حتَّى تقوَّض المجلس، فلما لم يبْقَ غيري قال: ما حالُ الإنسان؟ قلتُ: خيرٌ يا أبا محمد، على ما يُحِبُّ الصديق، ويكرَهُ العدوُّ.

فانصرفتُ إلى منزلي، فوجَّه إليَّ بعشرين ألف درهم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٥.

* وكان **زبيد اليامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٢) إذا كانت ليلة مطيرة أخذ شعلة من النار فطاف على عجائز الحي فقال: أَوَكَفَ[1] عليكم بيت؟، أتريدون نارًا؟، فإذا أصبح طاف على عجائز الحي: ألكم في السوق حاجة أو تريدون شيئًا؟ المنتظم ٢٢٢/ ٧.

* وكتبت حَجَبَةُ بيت الله الحرام إلى **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) أنْ يأمرَ للبيت بكسوة، كما يفعل من كان قبله، فكتب إليهم: إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة، فإنهم أولى بذلك من البيت. تهذيب الحِلْية ٢٢٥/ ٢.

* وكان **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): يعظم المساكين، ويجفُو أهل الدنيا، فكان الفقراء في مجلسه هم الأغنياء، والأغنياء هم الفقراء.[2] الجامع المنتخب/ ٨٢.

---

(١) وكَف البيتُ: هَطَل وقطَر، وكذلك السطْح، ومصدره الوَكِيف والوَكْف. لسان العرب، مادة: وَكَفَ.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان النبي ﷺ وخلفاؤه يعدلون بين المسلمين، غنيهم وفقيرهم في أمورهم، ولما طلب بعض الأغنياء من النبي ﷺ إبعاد الفقراء نهاه الله عن ذلك. وأثنى عليهم بأنهم يريدون وجهه، فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾الآية [الأنعام:٥٢]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف:٢٨] ولما طلب بعض الفقراء من النبي ﷺ مالا يصلح له نهاه عن ذلك، وقال: (يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم). وكانوا يستوون في مقاعدهم عنده، وفي الاصطفاف خلفه، وغير ذلك. ومن اختص منهم بفضل عرف النبي ﷺ له ذلك الفضل، كما قنت للقراء السبعين، وكان يجلس مع أهل الصفة، وكان أيضًا لعثمان وطلحة والزبير وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير وعباد بن بشر ونحوهم، من سادات المهاجرين والأنصار الأغنياء منزلة ليست لغيرهم من الفقراء، وهذه سيرة المعتدلين من الأئمة في الأغنياء والفقراء. وهذا هو العدل =

* وقال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غمًا مني، فإن رأيت رجلًا أحسن ثيابًا مني وأطيب ريحًا مني غمني ذلك، فصحبت الفقراء فاسترحت. تهذيب الحِلْية ٩٥/ ٢.

* وعن **عمرو بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٦) قال: كانوا يكرهون أن يعطي الرجل صبيه الشيء، فيجيء به فيراه المسكين، فيبكي على أهله، ويراه الفقير فيبكي على أهله. تهذيب الحِلْية ١٥٥/ ٢.

* وعن **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) قال: نعم القوم السُّؤَّال، يحملون زادنا إلى الآخرة، يجيء إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون بشيء؟ تهذيب الحِلْية ٤٨٩/ ٢.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٧): من ادعى ثلاثًا بغير ثلاث فهو كذاب، من ادعى حب الله بغير ورع عن محارمه فهو كذاب، ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى حب النبي ﷺ من غير حب الفقراء فهو كذاب. تهذيب الحِلْية ٥٠٥/ ٢.

* وعن المرُّوذي، قال: لم أر الفقيرَ في مجلس أعزَّ منه في مجلس **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١)، كان مائلًا إليهم، مقصرًا عن أهل الدنيا، وكان فيه حِلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثيرَ التواضعِ تَعْلوه السكينةُ والوقارُ، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٩.

=والقسط الذي جاء به الكتاب والسنة، وهي طريقة عمر بن عبد العزيز، والليث بن سعد، وابن المبارك ومالك وأحمد بن حنبل وغيرهم، في معاملتهم للأقوياء والضعفاء والأغنياء والفقراء.
وفي الأئمة كالثوري ونحوه من كان يميل إلى الفقراء، ويميل على الأغنياء مجتهدًا في ذلك طالبًا به رضا الله، حتى عتب عليه ذلك في آخر عمره، ورجع عنه.
وفيهم من كان يميل مع الأغنياء والرؤساء: كالزهري، ورجاء بن حيوة، وأبي الزناد، وأبي يوسف ومحمد وأناس آخرين، وتكلم فيهم من تكلم بسبب ذلك. ولهم في ذلك تأويل واجتهاد، والأول هو العدل والقسط، الذي دل عليه الكتاب والسنة. مجموع الفتاوى ١١/ ٦٠-٦١.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القلوب ظروف، فقلب مملوء إيمانًا وعلامته الشفقة على جميع المسلمين والاهتمام بما يهمهم، ومعاونتهم على مصالحهم. وقلب مملوء نفاقًا وعلامته الحقد والغل والغش والحسد. تهذيب الحِلْية ٤٦٥/ ٣.

* ووَقَفَ **محمد بن حسين أبي شجاع الوزير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨٨) الوقوف، وبنى المساجد، وأَكْثَرَ الإنعام على الأرامل واليتامى، وكان يبيع الخطوط الحسنة، ويتصدق بثمنها ويقول: أَحَبُّ الأشياء إليّ الدينار والخط الحسن، فأنا أخرج لله محبوبي، ووقع مرض في زمانه، فبعث إلى جميع أصقاع البلد أنواع الأشربة والأدوية، وكان يخرج العُشر من جميع أمواله النباتية على اختلاف أنواعه، وعُرِضت عليه رقعة من بعض الصالحين يذكر فيها: أن امرأة معها أربعة أطفال أيتام، وهم عُراة جياع، فقال للرجل: امض الآن إليهم، واحمل معك ما يصلحهم، ثم خلع أثوابه وقال: والله لا لبستها ولا دفئت حتى تعود وتخبرني أنك كسوتهم وأشبعتهم، فمضى وعاد فأخبره وهو يرعد من البرد.

حكى حاجبه الخاص به قال: استدعاني ليلة، وقال: إني أمرت بعمل قطائف، فلما حضر بين يدي ذكرت نفوسًا تشتهيه فلا تقدر عليه، فنغّص ذلك عليّ أكله، ولم أذق منه شيئًا فاحمل هذه الصحون إلى أقوام فقراء، فحملها الفرّاشون معه، وجعل يطرق أبواب المساجد بباب المراتب، ويدفع ذلك إلى الأضراء المجاورين بها.[1] المنتظم ٢٢-٢٣/ ١٧.

(١) روى أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧١) عن وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: اتخذوا اليد عند المساكين، فإن لهم يوم القيامة دولة! وهذا لا يصح عنه، في سنده: أصرم بن حوشب الهمداني، وهو متروك الحديث.

وقد شنع شيخ الإسلام ابن تيمية على من قال هذه المقولة؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الحديث الآخر وهو قوله: (اتخذوا مع الفقراء أيادي فإن لهم دولة وأي دولة!) فهذا - أيضًا - كذب، ما رواه أحد من الناس، والإحسان إلى الفقراء الذين ذكرهم الله في القرآن، قال الله فيهم: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١] إلى قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ =

* وكان منزل الشيخ **علي المحمد المطلق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠٣) كالمدرسة ليلًا ونهارًا، فلا يجلس مجلسًا من ليل أو نهار إلا ويكون فيه قراءة وتعليق، أو بحث ومذاكرة.

وكان منزله منذ أن كانت أحواله المادية متوسطة مرتادًا لطلبة العلم والغرباء والضَّعَفة والمساكين، لا يستأثر بشيءٍ من طيِّب الطعام دُونَهم، ولمَّا وسَّع الله عليه رِزْقَه صار في بيته أمكنةٌ للغرباء، وكنتُ أجد عنده كلَّما زرتُ منزله العشرات من الفقراء والمساكين والمُعْوزين، وكان يقرِّبهم ويتواضع لهم ويعطيهم، ويبْقى بعضهم عنده الأيامَ الطويلة، بل الأشهُرَ، وربَّما بقي عنده بعضهم السَّنةَ والسنتَين، وقد يخصِّص لبعضهم مُرتَّبات شهرية، واستمرَّ على ذلك حتى توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وله مائدة تقدَّم ثلاثَ مرَّات في اليوم والليلة في حضوره وغيابه، وإذا سافر من بلد إلى بلدٍ كالمدينة ومكة والشام ومصر يصحب معه بعضَ هؤلاء الفقراء، ولم أرَ في زمننا مثلَه في التواضع للفقراء والمساكين والعطف عليهم.

=أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٣]، وأهل الفيء وهم الفقراء المجاهدون الذين قال الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ الآية [الحشر:٨]. والمحسن إليهم وإلى غيرهم عليه أن يبتغي بذلك وجه الله، ولا يطلب من مخلوق لا في الدنيا ولا في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل:١٧-٢١]، وقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الإنسان:٨-٩].

ومن طلب من الفقراء الدعاء أو الثناء خرج من هذه الآية..

وقول القائل: لهم في الآخرة دولة وأي دولة!، فهذا كذب، بل الدولة لمن كان مؤمنًا تقيًّا، فقيرًا كان أو غنيًّا..

فمن أحسن إلى مخلوق يرجو أن ذلك المخلوق يجزيه يوم القيامة كان من الأخسرين أعمالًا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، بل إنما يجزي على الأعمال يومئذ الواحد القهار. مجموع الفتاوى ١١/ ٥٤-٥٥.

قال له مرةً أحدُ خواصِّه: يا شيخ علي، إنَّك تدعو بعض الكبراء، فلماذا لا تضع طعامًا وسفرة خاصة لهؤلاء الفقراء؟ فقال: إنَّ هذه عادة لا يمكن أن نغيِّرها، وعلى الذي لا يرغب الأكل معهم عدم إجابة دعوتنا.

وقال له مرة أحد أبنائه عندما زاد عليه السُّكَّر: يا والدي، ألا نضع لك طعامًا خاصًا خاليًا من النَّشَويَّات التي لا تتلاءم مع مرض السكر؟ فقال: يا بُني، لا يمكن أن أنفرد بطعام خاصٍّ عن هؤلاء فتنكسر خواطرهم، ويظنوا أنَّ في طعامي ميزةً عن الذي يأكلون.

وكان جوادًا كريمًا، يُعطي من المال ما لا يتصوره إلَّا مَن يُجالِسه، فلا تمضي ساعةٌ من ليل أو نهار هو فيها جالس إلا ويأتيه من يسأل فيعطيه على قَدْر حاله، وكان يعطي بعض المستحقِّين عشرات الألوف من الريالات.

وقد دخل عليَّ مرةً رجلٌ معه (شيك)، فقال لي: هذه وُرَيقة أعطانيها الشيخ علي المطلق، لا أدري ما فيها، ولم أُطلِع عليها أحدًا غيرك، فقرأت الشيك، فإذا فيه حوالة بمئة ألف ريال على أحد البنوك!.

لمَّا أخبرتُ الرجل كاد أن يُغمى عليه من الفرح؛ لأنَّه لم يُصدِّق ولم يتصوَّر ما في هذه الورقة، وقال: إنَّني ذكرتُ له أنَّني قد اشريتُ بيتًا فأعطاني هذه الورقة، ولم أعلم ما فيها حتى أخبرتني.

وكلُّ من دَخَل عليه تصوَّر أنَّه أعزُّ الناس عنده، فهو يرحِّب بكلِّ زائر.

وقد أُدخل أحدَ المستشفيات بدمشق، وكان معه ابنه أحمد يُلازِمه ليلًا ونهارًا، فكان وهو في شدَّةِ المرض يأمُرُه بقراءة القرآن ويشرح له بعض المعاني، حتى غرغرت رُوحُه وفاضت رَحِمَهُ ٱللَّهُ. علماء نجد (٥/ ٢٢٥-٢٢٦).

المسارعة إلى فعل الخيرات(١)

* قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر (ت: ١٣) الليلة كذلك في الأمر من أمور المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته، فلما كدنا نعرفه، قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يقرأ القرآن رطبًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد.

قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول له: سل تُعْطَهْ، سل تُعْطَهْ.

(١) ينبغي للمؤمن ألا يدعَ بابًا فيه خيرٌ وبرٌّ إلا طرقَه، ولْيقض وقته بما يُرضي الله تعالى، فقد ثبت أن من الناس يوم القيامة مَن يمرُّ على الصراط كَمَرِّ الرِّيح، ومنهم من يمرُّ كَمَرِّ الطَّيْر، قال ﷺ: تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: يَا رَبِّ! سَلِّمْ.. سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إلا زَحْفًا.
قَالَ: وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْردسٌ فِي النَّارِ). رواه مسلم (١٩٥)
وقوله: (تجري بهم أعمالهم)، يعني: أنَّ سُرْعة مَرّهم على الصراط بقدر أعمالهم.
فكأنَّ أعمال الناس هي التي يجري بهم في الصراط، فمن عمل عملا قليلا جرى به ببطء، ومن عمل عملا كثيرا خالصًا صالحا: جرى به بسرعة.
فينبغي لكل مؤمن أن يملأ حياته بالأعمال الصالحة والخير والبر، وإن من أشد الحسرات، يوم أن يمر الرجل على الصراط زحفًا، ويرى رجالا يمرون بين يديه كالبرق، فسيتحسر أشدّ الحسرة على تلك الحياة التي لم يعمل فيها لأجل هذا اليوم، ثم لا يدري هل تخدُشه تلك الكلاليب؟ وهل تُمسكه وتقذف به في النار؟
اللهم ارحمنا ونجنا من النار.

قال عمر: قلت: والله لأغدونَّ عليه، فلأبشّرنّه، قال: فغدوت عليه فبشّرته، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره، ولا والله ما سابقته إلى خيرٍ قطّ إلا سبقني إليه. مسند الإمام أحمد: ١٧٠، وصحح إسناده محققوه.

* وقال أيضًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق وقد وافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، ثم جئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟، قلت: مثله.

وأتى أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أُسابقك إلى شيء أبدًا.[1] سنن أبي داود

---

(١) فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: فكان ما فعله عمر: من المنافسة والغبطة المباحة، لكن حال الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أفضل منه وهو أنه خال من المنافسة مطلقًا لا ينظر إلى حال غيره.

وكذلك موسى ﷺ في حديث المعراج حصل له منافسة وغبطة للنبي ﷺ حتى بكى لما تجاوزه النبي ﷺ فقيل له: ما يبكيك: فقال: (أبكي، لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي)، أخرجاه في الصحيحين...

وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان مشبهًا بموسى، ونبينا حاله أفضل من حال موسى، فإنه لم يكن عنده شيء من ذلك.

وكذلك كان في الصحابة أبو عبيدة بن الجراح ونحوه، كانوا سالمين من جميع هذه الأمور، فكانوا أرفع درجة ممن عنده منافسة وغبطة، وإن كان ذلك مباحًا؛ ولهذا استحق أبو عبيدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يكون أمين هذه الأمة، فإن المؤتمن إذا لم يكن في نفسه مزاحمة على شيء مما اؤتمن عليه، كان أحق بالأمانة ممن يخاف مزاحمته؛ ولهذا يؤتمن على النساء والصبيان الخصيان، ويؤتمن على الولاية الصغرى من يعرف أنه لا يزاحم على الكبرى، ويؤتمن على المال من يعرف أنه ليس له غرض في أخذ شيء منه، وإذا اؤتمن من في نفسه خيانة شبه بالذئب المؤتمن على الغنم، فلا يقدر أن يؤدي الأمانة في ذلك لما في نفسه من الطلب لما اؤتمن عليه...

فالحاسد المبغض للنعمة على من أنعم اللّه عليه بها ظالم معتد، والكاره لتفضيله المحب لمماثلته منهي عن ذلك إلا فيما يقربه إلى اللّه، فإذا أحب أن يعطي مثل ما أعطى مما يقربه إلى اللّه فهذا لا بأس به، وإعراض قلبه عن هذا بحيث لا ينظر إلى حال الغير أفضل. مجموع الفتاوى١٠/ ٦٨-٧٠.

(١٦٧٨)، سنن الترمذي وصححه (٣٧٥٧) وحسنه الألباني.

* وكانَ **ابْنُ عُمَرَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ». صحيح البخاري (٦٤١٦).

* وقَالَ سَعِيدُ ابْنُ مَرْجَانَةَ -صَاحِبُ **عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٩٠)-: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ**»، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ حِينَ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَذَكَرْتُهُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَأَعْتَقَ عَبْدًا لَهُ قَدْ أَعْطَاهُ بِهِ ابْنُ جَعْفَرٍ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ. صحيح البخاري (٢٥١٧)، صحيح مسلم (١٥٠٩).

* وعن **خالد بن مَعدان** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: إذا فتح أحدُكم باب خيرٍ فليُسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلقُ عنه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٢.

* وقال **الشاعر**:

إذا أنْت لَمْ تَزْرعْ وأبْصَرْتَ حاصدًا ... نَدِمْتَ على التَّفْرِيطِ فِي زَمنِ الْبَذْرِ

المجالسة وجواهر العلم (٨٠).

* وقيل **لرجل من عبد القيس**: أوص، قال: أنذركم سوف. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٨.

* وقال **بعضهم**: الدنيا ساعة، فاجعلها طاعة. أدب الدين (١٩٩).

* وعن شعبة قال: ما وعدت **أيوب** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٣١) موعدًا إلا وجدته قد سبقني إليه. تهذيب الحِلْية ١/٤٣١.

* وقال **حبيب أبو محمد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١١٩): لا تقعدوا فراغًا، فإن الموت يطلبكم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٢١.

* وقال **بعضهم**: من أخّر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها.

* وقال **بعض الشعراء**:

إذا هبَّت رياحك فاغْتنمها فإنّ لكل خافِقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها فما تدري السكونُ متى يكون

أدب الدين (٣٢٥).

* ونزل **روح بن زنباع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٤) منزلا بين مكة والمدينة في حر شديد، فانقض عليه راع من جبل، فقال له: يا راعي هلُمَّ إلى الغذاء، فقال: إني صائم، قال: إنك لتصوم في هذا الحر الشديد؟!، قال: أفأدع أيامي تذهب باطلًا؟، فقال روح: لقد ضننت بأيامك يا راعي إذ جاد بها روح بن زنباع. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٤٦.

* وقال **الشاعر**:

اغتنم في الفراغ فضل ركوعٍ فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيت من غير سُقم ذَهَبَتْ نفسُه الصحيحةُ فلته

ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٥٢.

* وقال **الشاعر**:

وأفْضَلُ النَّاسِ ما بَيْنَ الْورَى رَجُلٌ تُقْضَى على يَدهِ لِلنَّاسِ حاجَاتُ
لا تَمْنعَنَّ يدَ الْمعْرُوفِ عن أحَدٍ ما دُمْتَ مُقْتدرًا فَالسَّعْدُ تاراتُ
واشْكُرْ فضائِلَ صُنْعِ الله إذْ جُعلَتْ إليكَ لا لكَ عندَ النَّاسِ حاجاتُ
قَد ماتَ قَومٌ وما ماتَتْ مكارِمُهُمْ وعاشَ قَومٌ وهُم في النَّاسِ أمْواتُ

* وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): كل شيء من الخير يُبادَر فيه.

وشاوره رجلٌ في الخروج إلى الثغر فقال له: بادر بادر. الآداب الشرعية ٢/ ١٦٤.

* وقال أَحْمَد بْن ملاعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ مالا أحصيه -وكان يكون هو المؤذن- فإذا قَالَ: «الله أكبر الله أكبر» قليلا قليلا قال: «الله أكبر الله أكبر»، كلما قَالَ كلمة قَالَ مثلها قليلا قليلا، حتى يفرغ من الأذان إلى آخره.[1] طبقات الحنابلة (١/ ١٩٥).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله إنْ كان لينبغي للرجل المسلم اليوم أنْ يزيده ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله جدًّا واجتهادا، ثم بكى. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٤.

* وقال **الشاعر**:

الخير أنفعه للناس أعجلُه وليس ينفع خيرٌ فيه تطويل

* وقال **بعض السلف**: لما بان للأكياس[2] أعلى الدارين منزلة طلبوا العُلُوّ بالعُلُوّ من الأعمال، وعلموا أن الشيء لا يدرك إلا بأكثر منه؛ فبذلوا أكثر ما عندهم؛ بذلوا والله المهج رجاء الراحة لديه، والفرج في يومٍ لا يخيب له فيه طالب. المجالسة وجواهر العلم (٢٠٠).

* وصدق **القائل**:

أرى أناسًا بأدنى الدِّين قد قنِعوا ولا أراهمْ رضوا في العيش بالدُّون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوكُ بدنياهم عن الدِّين

المجالسة وجواهر العلم (٢١٠).

---

(١) كان الإمام أحمد على جلالته ومكانته يحرص كل الحرص على أن يَرفع الأذان؛ لعلمه بفضله وشرفه، وبعض الناس يترفع عن ذلك، ويرى أن الأذان لصغار السن أو قليلي العلم، والله المستعان.

(٢) أي: العقلاء.

حال السلف مع الطعام والشراب(١)

أ- التقليل من الأكل، والحث على ذلك(٢):

* قال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): أيها الناس، إياكم والبطنة من الطعام، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد، مورثة للسقم، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أدنى من الإصلاح، وأبعدَ من السَرَف، وأقوى على عبادة الله، وإنه لن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٢.

* وكان **عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) يصنع للناس طعام الأمراء، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٢٤.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا الْأَكْلُ وَاللِّبَاسُ: فَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ خُلُقُهُ فِي الْأَكْلِ أَنَّهُ يَأْكُلُ مَا تَيَسَّرَ إذَا اشْتَهَاهُ، وَلَا يَرُدُّ مَوْجُودًا وَلَا يَتَكَلَّفُ مَفْقُودًا.. فَلَمْ يَكُن إذَا حَضَرَ لَوْنَانِ مِنَ الطَّعَامِ يَقُولُ: لَا آكُلُ لَوْنَيْنِ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِن طَعَامٍ لِمَا فِيهِ مِن اللَّذَّةِ وَالْحَلَاوَةِ..
وَكَذَلِكَ اللِّبَاسُ: كَانَ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ وَالْعِمَامَةَ وَيَلْبَسُ الْإِزَارَ وَالرِّدَاءَ، وَيَلْبَسُ الْجُبَّةَ وَالْفَرُّوجَ، وَكَانَ يَلْبَسُ مِن الْقُطْنِ وَالصُّوفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ..
فَسُنَّتُهُ فِي ذَلِكَ تَقْتَضِي أَنْ يَلْبَسَ الرَّجُلُ وَيَطْعَمَ مِمَّا يَسَّرَهُ اللهُ بِبَلَدِهِ مِن الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ، وَهَذَا يَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ الْأَمْصَارِ. مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣١٠-٣١١).

(٢) قال ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: والذهن الصحيح أشرف من تبديده وتعطيله بالقدر الحقير من طعام يؤول أمرُه إلى ما قد عُلم، ولو لم يكن من آفات كثرة الطعام والشراب إلا الحاجة إلى كثرة دخول الخلاء لكان ينبغي للعاقل اللبيب أن يصون نفسه عنه.
ومن رام الفلاحَ في العلم وتحصيلَ البغية منه مع كثرة الأكل والشرب والنوم فقد رام مُستحيلًا في العادة.. تذكرة السامع والمتكلم: ١٦٨.
وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: إصلاحُ البدن سببٌ لإصلاح الدين. [صيد الخاطر: ١٢٠].

* وعن **علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) قال: أهلك ابن آدم الأجوفان: البطن والفرج. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩١.

* وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: صنعت **لابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٧) وأصحابه ألوانا من الطعام والخبيص، فقال لي: يا سعيد إنا قوم عرب، فاصنع لنا مكان هذه الألوان الثريد(١)، ومكان هذه الأخبصة الحيس(٢)، ولولا أنك رجل منا أهل البيت ما قلت لك. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٢٤.

* وعن **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) قال: ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت؛ الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع. تهذيب الحِلْية ١/١٨٥.

* وعن **عبادة بن الصامت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) قال: إنما البطن هاتِ هاتِ، كفاكم ما سده عنكم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٨٣.

* وأُتي **لعبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) بجوارش، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يهضّم الطعام، قال: إنه ليأتي عليّ الشهر ما أشبع فيه، فما أصنع بهذا؟ الزهد لأبي داود (٢٦٣).

* وعن **أبي جعفر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) قال: إذا امتلأ البطن طغى الجسد. ابن أبي الدنيا ٤/ ٨٣.

* وقال **مَالِك بْن دِينَارٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) لرجل: لَا تَبِيتَنَّ وَأَنْتَ شَبْعَانُ وَدَعِ الطَّعَامَ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ.

فَقَالَ الرجل: هَذَا وَصْفُ أَطِبَّاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا!.

---

(١) الثريد: الطعام الذي يصنع بخلط اللحم والخبز المفتت مع المرق، وأحيانا يكون من غير اللحم.

(٢) الحيس: طعام يطبخ فيه تمر ولبن مجفف، ويضاف لهما السمن.

فَقَالَ مُحَمَّد بْنُ وَاسِعٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): «نَعَمْ، وَوَصْفُ أَطِبَّاءِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ».

فَقَالَ مَالِكٌ: دَوَاءٌ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٨٧، الحلْية ٢/ ٣٥١.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إنما بطن أحدكم كلب، ألق إلى ذا الكلب كسرة ورأس جوافة يسكت عنك، ولا تجعلوا بطونكم جربا للشيطان يوعى فيها إبليس ما شاء. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩١.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: والله لقد أدركنا أقواما وصحبنا طوائف منهم، ما أمر أحدهم في بيته بصنعة طعام له قط، وما شبع أحدهم من طعام حتى مات، ما عدا أن يقارب شبعه أمسك. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩١.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد كان المسلم يُعار أن يقال له: إنك لبطين. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٤.

* ودعا رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلا إلى طعامه فقال: قد أكلت، ولست أقدر أن أعود، قال: سبحان الله! أوَ يأكل المؤمن حتى لا يستطيع أن يعود؟. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٨٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا ابن آدم كل في ثلث بطنك، واشرب في ثلثه، ودع ثلث بطنك يتنفس ويتفكر. جامع العلوم والحكم/ ٥٥٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت بلية أبيكم آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أكلة، وهي بليتكم إلى يوم القيامة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٥.

* وقال **بعضهم**:

وَإِنَّك مهما تُعْطِ بَطْنك سُؤْلَه وفرجك نالا مُنْتَهى الذَّم أجمعا

شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/ ٣٣٣.

* وقال **يوسف بن أسباط** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٩): الجوع يرق القلب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٥.

* وقال **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) لرجل: ترى هذا البطن؟ إنْ أهنته أكرمك، وإن أكرمته أهانك.(١) ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من ملك بطنه، ملك الأعمال الصالحة كلها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٦.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان يقال: كثرة الطعام تميت القلب، كما أن كثرة الماء تميت الزرع. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٦.

* وعن **عمرو بن قيس المُلائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٦) قال: وإياكم والبطنة، فإنها تقسي القلب. الزهد للمعافى (٣٠٧).

* وقال **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٢): أول ما يعمل فيه العبد المؤمن بطنه، فإن استقام له بطنه استقام له دينه، وأن لم يستقم له بطنه لم يستقم له دينه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٦.

* وعن **صفوان بن سليم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢) قال: ليأتين على الناس زمان، تكون همة أحدهم فيه بطنه، ودينه هواه. ابن أبي الدنيا ٤/ ١١٦.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): بؤسا لمن كان بطنه أكبر همه. ابن أبي الدنيا ٤/ ١١٧.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): لو كنت آكل كل ما أشتهي ما ساويت حشفة. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٣٢.

* وقال سليمان بن عبد الملك **لسالم بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦): أيَّ شيء تأكل؟ قال: الخبز والزيت، وإذا وجدتُ اللحم أكلته، فقال له: أوَ تشتهيه؟ قال: **إذا لم أشتهِهِ تركتُه حتى أشتهيَه**. الزهد لأبي داود (٤٢٩).

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإذا أكرمت بطنك وأكلت ما اشتهاه كان سببا في كسلك ومرض بدنك، فأهانك بالبحث عن العلاج، وكثرة الآلام والأوجاع، وإذا أهنته ولم تأكل كل ما اشتهاه ولم تشبع في كل طعام تأكله أكرمك، وكان سببا في صحة بدنك وسلامة عقلك ودينك.

* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): إن النَّفْسَ إذا جاعَتْ وعطشت صفا القلب ورقّ، وإذا شبعت ورَويَتْ عميَ القلبُ. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لكل شيءٍ صَدَأٌ، وصَدَأُ القلبِ الشِّبَعُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٦٥.

* وقال مسعر بن كِدام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٥):

وجدت الجوع يطردُه رغيفٌ ... وملءُ الكف من ماء الفرات
وقِلُّ الطُعم عونٌ للمصلي ... وكَثْرُ الطعم عون للسبات

تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٢٣.

* وعن عبد الواحد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٧) قال: من قوي على بطنه قوي على دينه، ومن قوي على بطنه قوي على الأخلاق الصالحة، ومن لم يعرف مضرته في دينه من قبل بطنه، فذاك رجل في العابدين أعمى. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٠١.

* وعن عمرو بن الأسود العبسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧١) أنه كان يدع كثيرًا من الشبع مخافة الأشر. جامع العلوم والحكم/ ٥٥٣.

* وعن محمد بن واسع رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: من قلّ طعامه، فهم، وأفهمَ، وصفا، ورقّ وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد. ابن أبي الدنيا ٤/ ٨٧، جامع العلوم والحكم/ ٥٥٣.

* وقال المروزي: جعل أبو عبد الله -يعني الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)- يعظِّم أمر الجوع والفقر، فقلت له: يؤجر الرجل في ترك الشهوات، فقال: وكيف لا يؤجر وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: ما شبعت منذ أربعة أشهر؟.

قلت لأبي عبد الله: يجد الرجل من قلبه رقة وهو شبع؟.

قال: ما أرى. جامع العلوم والحكم / ٥٥٣.

* وقال **سهل بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣): البطنة أصل الغفلة. تهذيب الحِلْية ٣٣٤/ ٣.

* وكان **الشيخ تقي الدين ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) قليل تناول الطعام والشراب، وينشد كثيرًا:

لها أحاديث من ذكراك تَشغلُها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

الآداب الشرعية ٢/ ٢٤٣.

ب- أكلُ الحلال، والحذر من أكل الحرام:

* قال **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): لو قمتَ قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك؟ حلال أو حرام؟. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٦.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل وتصوم بالنهار. تهذيب الحِلْية ٤٨٩/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ هلكة قرية: أظهر فيها الربا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٢١.

ج- ترك التكلف والمباهاة في إكرام الناس:

* عن الأحنف بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنا نحضر طعام **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣)، فيطعمنا الخبز واللبن، والخبز والزيت، والخل وأقل من ذلك القديد[1]، وأقل من ذلك اللحم الغريض. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٣.

* ودعا رجل **عليّ بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) إلى طعام، فقال: نأتيك على ألاّ تتكلّف ما ليس عندك، ولا تدّخر عنا ما عندك. عيون الأخبار ٣/ ٢٣١.

* وعن شقيق قال: دخلت أنا وصاحب لي على **سلمان الفارسي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) القديد: اللحم المقطع والمملح المجفف في الشمس.

(ت: ٣٣)، فقرب إلينا خبزا وملحا، وقال: لو لا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف لتكلفنا لكم. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٢٤.

* وعن شعيب بن الحبحاب قال: جاءنا **أبو العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ت: ٩٣) يومًا إلى منزلنا فأردنا أن نتكلف له فقال: أطعمونا من طعام البيت ولا تتكلفوا. الزهد لأحمد: ٥٠٨.

* وعن **الأصمعيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٦)، قال: سُئل أقَرى أهل اليمامةِ للضيف: كيف ضبطتم القِرَى؟ قال: بأنا لا نتكلّف ما ليس عندنا. عيون الأخبار ٣/ ٢٣٤.

التوكل والاعتماد على الله

* لقي **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) ناسًا من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، فقال: بل أنتم المتَّكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض، ويتوكل على الله. ابن أبي الدنيا ١/ ١٤٠.

* وعن سعيد بن المسيب، أن **سلمان الفارسي** (ت: ٣٣) **وعبد الله بن سلَام** (ت: ٤٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا التقيا، فقال أحدهما لصاحبه: إن لقيت ربك قبلي فالقني وأعلمني ما لقيت، وإن لقيته قبلك لقيتك فأخبرتك، فتوفي أحدهما، ولقي صاحبه في المنام، فقال له: توكل وأبشر، فإني لم أر مثل التوكل، قال ذلك ثلاث مرار. الزهد لابن المبارك (٤٠٥).

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٣) قال: اجتمع إليّ **أصحاب محمد** ﷺ فقالوا: يا أبا العالية، لا تتَّكل على غير الله فيكلك الله إلى من توكلت عليه. ابن أبي الدنيا ١/ ١٨٢.

* وعن **سعيد بن جُبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: التوكُّل على الله جِماعُ الإيمان. الزهد لهناد (٥٣٤).

* وكان يدعو: اللهم إني أسألك صدقَ التوكُّل عليك، وحُسنَ الظنِّ بك. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٥.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٧): لي أربعةُ نسوة، وتسعةُ أولاد، ما طمع شيطانٌ أن يُوسوسَ إليَّ في أرزاقهم. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٦٠.

* وسأله رجل على ما بنيت أمرك هذا في التوكل على الله؟ قال: على خِصَال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأَنَّت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غَيْرِي، فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة، فأنا أُبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنتُ، فأنا مُستَحْيٍ منه. صفة الصفوة ٤/ ٣٩١.

* وقال **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩): تَوَكلْ تَوَكُّل رجلٍ لا يصيبه إلا ما كتبَه الله عَزَّوَجَلَّ له. تهذيب الحِلْية ٣٩٤/ ١.

* وقال **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢): الجنين في بطن أمّه لا يطلُب ولا يحزَن ولا يغتمّ، فيأتيه الله برزقه من قِبَل سُرّته، وغذاؤه في بطن أمه من دم حيضها، فمن ثَمّ لا تَحيض الحامل، فإذا سقط استهَلّ استهلالة إنكارًا لمكانه، وقُطِعت سُرّته وحَوّل الله رزقه إلى ثدي أمّه ثم حوله إلى الشيء يُصْنع له ويَتناوله بكفّه، حتى إذا اشتدّ وعقل قال: أين لي بالرزق! يا ويحك! أنت في بطن أمك وفي حِجْرها تُرْزَق حتى إذا عَقَلتَ وشَبَبت قلتَ: هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق! ثم قرأ: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد:٨]. عيون الأخبار ٧٣٠/ ٢.

* وعن **أبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) أنهم أتوه فقالوا له: يا أبا حازم أما ترى قد غلا السعر؟ فقال: وما يغمكم من ذلك، إن الذي يرزقنا في الرخص، هو الذي يرزقنا في الغلاء. تهذيب الحِلْية ٥٢٦/ ١.

* وقيل **للفضيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): تَحُدُّ لي التوكل؟ فقال: كيف تتوكل عليه وأنت يختار لك فتسخط قضاءه؟.

أرأيت لو دخلت بيتك، فوجدت امرأتك قد عميت، وابنتك قد أقعدت، وأت قد أصابك الفالج، كيف كان رضاك بقضائه؟.

قال: كنت أخاف ألا أصبر.

قال: فكيف لا، حتى يكون عندك واحدًا ترضى بكل ما صنع في العافية والبلاء. ابن أبي الدنيا ١/ ١٤٢-١٤٣.

* وسئل **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) عن التوكل فقال: الرضا عن الله. ابن أبي الدنيا ١/ ١٤٤.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن العز والغنى يجولان في طلب التوكل، فإذا ظفرا أوطنا، وأنشد:

يجول الغنى والعز في كل موطن ... ليستوطنا قلب امرئ إن توكلا

ابن أبي الدنيا ١/ ١٤٢، تهذيب الحِلْية ٢/٣٤٨.

* وقال **بعض الحكماء**: التوكل على ثلاث درجات، أولاها: ترك الشكاية، والثانية: الرضى، والثالثة: المحبة، فترك الشكاية درجة الصبر، والرضى سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به، فالأولى للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين. ابن أبي الدنيا ١/ ١٦١.

* وجاء رجل إلى **أحد السلف** يسأله أن يكلم الأمير في حاجة، فبكى ثم قال: أي أخي، اقصد الله في أمرك تجده سريعًا قريبًا، فإني ما ظاهرت أحدًا في أمر أريده إلا الله عَزَّوَجَلَّ فأجده كريمًا قريبًا لمن قصده وأراده وتوكل عليه. ابن أبي الدنيا ١/ ١٦٥.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): كيف أخاف الفقر ولمولاي ما في السموات وما في الأرض وما فيهما وما تحت الثرى. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٦٩.

* وعن أبي خير إسحاق العزاوي قال: زحف إلينا أزدمهر عند مدينة الكرخ في ثمانين فيلًا، فكادت تنفض الخيول والصفوف، فكرب لذلك **محمد بن القاسم**

رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٨)، فنادى عمرانَ بنَ النعمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمير حمص، وأمر الأجناد فنهضوا بما استطاعوا، فلما أعيته الأمور نادى مرارًا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فكف الله الفيلة بذلك، وسلط الله عليها الحر فأنضجها، ففزعت إلى الماء، فما استطاع سوَّاسها ولا أصحابها حبسها، وحملت الجند عند ذلك، فكان الفتح بإذن الله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٩٥-٩٦.

* وسُئِلَ **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) عن التَّوكل فقال: هو قطع الاستشراف، باليأس من الخَلْق. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥٦).

* وقيل له: أيّ شيء صدق التوكل على الله؟ قال: أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيبه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلًا.[1] جامع العلوم والحكم / ٥٧٠.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بعد أن ساق جملةً من الآثار-: فمن كان له قوّة على مثل هذه الأمور، فعمل بمقتضى قوّته ولم يضعفه عن طاعة الله، فلا حرج عليه، ومن كلف نفسه ذلك حتى أضعفها عن بعض الواجبات، فإنه ينكر عليه ذلك. وكان السلف ينكرون على عبد الرحمن بن أبي غنم حيث كان يترك الأكل مدة حتى يعاد من ضعفه..

فمن رزقه الله صدق يقين وتوكل، وعلم من الله أنه يخرق له العوائد، ولا يحوجه إلى الأسباب المعتادة في طلب الرزق ونحوه، جاز له ترك الأسباب، ولم ينكر عليه ذلك، وحديث عمر هذا الذي نتكلم عليه -لَو أَنَّكُم تَوكَّلُون على اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَما يَرزُقُ الطَّيرَ، تَغدُو خِماصًا، وتَروحُ بِطانًا- يدلّ على ذلك، ويدلُّ على أنَّ النَّاس إنَّما يُؤتون منْ قلَّة تحقيق التوكُّل، ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم= =ومساكنتهم لها، فلذلك يُتعبون أنفسَهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلاّ ما قُدِّر لهم، فلو حقَّقوا التوكلَ على الله بقلوبهم، لساق الله إليهم أرزاقهم مع أدنى سببٍ، كما يسوقُ إلى الطَّير أرزاقها بمجرَّدِ الغدوِّ والرواح، وهو نوعٌ من الطَّلب والسَّعي، لكنه سعيٌ يسيرٌ..

ومن هذا الباب من قوي توكله على الله ووثوقه به، فدخل المفاوز بغير زاد، فإنه يجوز لمن هذه صفته دون من لم يبلغ هذه المنزلة، وله في ذلك أسوة بإبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث ترك هاجر وابنها إسماعيل بواد غير ذي زرع، وترك عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، فلما تبعته هاجر وقالت له:=

* وقال بعضهم:

سهــرت أعيــن ونامــت عيون　　لأمــور تكــون أو لا تكــون
فاطْرد الهمّ ما استطعت عـن النفـ　　ـس فحِمْلانُـك الهمـومَ جنـون
إنَّ ربًّــا كفــاك بالأمس مــا كــا　　ن سـيكفيك في غـد مــا يكــون

طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٧).

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): المتوكل لا يتوكل على الله ليُكفى، لو حلّت هذه[1] في قلوب المتوكلة لضجوا إلى الله بالندم والتوبة، ولكن المتوكل تَحِلُّ بقلبه الكفايةُ من الله عَزَّوَجَلَّ.[2] الحث على التجارة للخلال (١٧٩).

* وعن مؤمل المغازلي قال: كنت أصحب **محمد السمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦١) فسافرت معه حتى بلغنا ما بين تكريت وموصل، فبينا نحن في برية نسير، إذ زأر السبع من قريب، فجزعت وتغيرت، وظهر ذلك على صفتي، وهممت أبادر،

= إلى من تدعنا؟ قال لها: إلى الله، قالت: رضيت بالله، وهذا كان يفعله بأمر الله ووحيه، فقد يقذف الله في قلوب بعض أوليائه من الإلهام الحقّ ما يعلمون أنه حقّ ويثقون به..

وقد أجاز العلماء التوكل على الصدق..

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا يرخص في ترك السبب بالكلية إلا لمن انقطع قلبه عن الاستشراف إلى المخلوقين بالكلية. جامع العلوم والحكم / ٥٦٨ - ٥٧١.

(١) أي: هذه النيّة.

وفي الأصل: الفضة!

وفي الآداب الشرعية: القصة!

(٢) أي: يقذف الله في قبله اليقين بأنه كافيه؛ لقوة توكّله عليه ورضاه به.

قال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولم يذكر الخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يخالف كلام بشر لا من عنده ولا من عند غيره، فبشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من توكل ليُكفى لم يُخلص التوكل لله فيقدح فيه ويكون لغير الله، ونظيره: من اتقى الله ليجعل الله له مخرجا، ومن اتقى الله ليجعل له فرقانا، ومن تواضع ليرتفع. ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»، ولهذا قال بعضهم لبعض: من تواضع ليرتفع: لا يرتفع بالتواضع، أي لا يقصد هذا.

فضبطني محمد وقال: يا مؤمل، التوكل ها هنا ليس في مسجد الجامع. تهذيب الحِلْية ١٣/٤٣١.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال القاضي ابن خلكان: كان **أبو الحسن المصري النحوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٩) بمصر إمام مصره في النحو، وله المصنفات المفيدة، من ذلك «مقدمته» و«شرحها» و«شرح الجمل» للزجاجي قال: وكانت وظيفته بمصر أنه لا تكتب الرسائل في ديوان الإنشاء إلا عُرِضت عليه، فيصلح منها ما فيه خلل، ثم تنفذُ إلى الجهة التي عينت لها، وكان له على ذلك معلوم وراتب جيدٌ، قال: فاتفق أنه كان يأكُل يومًا مع بعض أصحابه طعامًا، فجاء قطٌّ فرموا له شيئًا، فأخذه وذهب سريعًا، ثم أقبل فرموا له شيئًا آخر، فانطلق به سريعًا، ثم جاء فرموا له شيئًا أيضا، فعلموا أنه لا يأكل هذا كله، فتتبعوه فإذا هو يذهب به إلى قط آخر أعمى في سطح هناك، فتعجبوا من ذلك، فقال الشيخُ: يا سبحان الله! هذا حيوانٌ بهيم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره، أفلا يرزقني وأنا عبده ثم ترك ما كان له من الراتب وجمع حواشيه وأقبل على الاشتغال والملازمة في غرفة في جامع عمرو بن العاص، إلى أن مات وقد جمع تعليقةً في النحو قريبًا من خمسة عشر مجلَّدا.[1] البداية والنهاية ١٢/ ٣٦٨.

* وقال الوزير **ابن هبيرة** (ت: ٥٦٠): تدبرت قوله تعالى: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩] **فرأيت لها ثلاثة أوجه:**

أحدها: أن قائلها يتبرأ من حوله وقوته، ويُسَلِّم الأمر إلى مالكه.

---

(١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واشتهر في سنة ٧٦٢ أن بقرة كانت تجيء من ناحية باب الجابية تقصد جراء لكلبة، قد ماتت أمهم وهي في ناحية كنيسة مريم في خرابة، فتجيء إليهم فتنْسَطِحُ على شقِّها فترْضعُ أولئك الجراءُ منها، تكرر هذا منها مرارًا، وأخبرني المحدِّثُ المفيدُ التقي نورُ الدِّين أحمدُ بنُ المقصوصِ بمشاهدته ذلك. البداية والنهاية ١٢/ ٣٦٨.

والثاني: أنه يعلم أن لا قوة للمخلوقين إلا بالله، فلا يخاف منهم إذ قواهم لا تكون إلا بالله، وذلك يوجب الخوف من الله وحده.

والثالث: أنه ردٌّ على الفلاسفة والطبائعيين الذين يدَّعون القوى في الأشياء بطبيعتها، فإن هذه الكلمة بينت أن القوي لا يكون إلا بالله. ذيل الطبقات (٢/ ١٤٣).

اليقين بالله(١)

* عن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم، ولمثقال ذرة من برٍّ من صاحب تقوى ويقين أفضل وأرجح وأعظم من أمثال الجبال عبادةً من المغترّين. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣.

* **وقال ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحدًا على رزق الله، ولا تلم أحدًا على ما لم يؤتك الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بقسطه وعلمه وحلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٥.

* وعن **خالد بن معدان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: تعلموا اليقين كما تعلموا

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: اليقين: استقرار الإيمان في القلب علمًا وعملًا.
وقال في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم:٦٠]: فإن الخفيف لا يثبت بل يَطِيشُ، وصاحب اليقين ثابت، يقال: أيقنَ، إذا كان مستقرًا، فقد يكون علم العبد جيّدًا، لكن نفسه لا تصبر عند المصائب بل تطيش.
وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن أُعْطِيَ الصَّبْرَ وَالْيَقِينَ: جَعَلَهُ اللهُ إِمَامًا فِي الدِّينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤].
فبالصبر تُترك الشهوات، وباليقين تُدفع الشبهات. مجموع الفتاوى (٦/ ٢١٥)، اقتضاء الصراط المستقيم: ٥٣، جامع المسائل: ٣/ ٢٦٠
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: اليقين: هو العلم الثابت الراسخ في القلب. مجموع رسائل ومسائل ابن القيم ص: ٢٢.

القرآن، حتى تعرفوه فإني أتعلمه. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٢.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): يا أبن آدم، إن من ضعف يقينك: أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٦.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما أيقن عبد بالجنة والنار حق يقينهما إلا خشع ووجل، وذل واستقام، واقتصد حتى يأتيه الموت. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): عباد الرحمن، اعلموا أنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال، في دار زوال لدار مقام، ودار حزن ونصب لدار نعيم وخلد، ومن لم يعمل على اليقين فلا يتعن. السنن الصغير للبيهقي (١٢).

* وعن **عامر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) قال: الشكر نصف الإيمان، والصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٤.

* وقال شيخ الإسلام **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) في معرض كلامه عن مناظرته للصوفية، الذين يمشون على الجمر والنار، ويزعمون أن ذلك كرامةٌ من الله لهم، ودليلٌ على صحة منهجهم: ذُكِرَ لِي أَنَّهُ جَاءَهُمْ بَعْضُ أَكَابِرِ غِلْمَانِ الْمُطَاعِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حُضُورِهِمْ لِمَوْعِدِ الِاجْتِمَاعِ، فَاسْتَخَرْت اللهَ تَعَالَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَاسْتَعَنْته وَاسْتَنْصَرْته وَاسْتَهْدَيْته وَسَلَكْت سَبِيلَ عِبَادِ اللهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي قَلْبِي أَنْ أَدْخُلَ النَّارَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إلَى ذَلِكَ، وَأَنَّهَا تَكُونُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى مَنْ اتَّبَعَ مِلَّةَ الْخَلِيلِ(١)، وَأَنَّهَا تُحْرِقُ أَشْبَاهَ الصَّابِئَةِ أَهْلَ الْخُرُوجِ عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ..

وَكَانُوا لِفَرْطِ انْتِشَارِهِمْ فِي الْبِلَادِ وَاسْتِحْوَاذِهِمْ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْأَجْنَادِ؛ لِخَفَاءِ نُورِ الْإِسْلَامِ وَاسْتِبْدَالِ أَكْثَرِ النَّاسِ بِالنُّورِ الظَّلَامَ، وَطُمُوسِ

---

(١) ما أعظم توكُّله على الله ويقينه وثقته بالله تعالى!

آثَارِ الرَّسُولِ فِي أَكْثَرِ الْأَمْصَارِ، وَدُرُوسِ حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ فِي دَوْلَةِ التَّتَارِ، لَهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعٌ هَائِلٌ، وَلَهُمْ فِيهِمْ مِنَ الِاعْتِقَادِ مَا لَا يَزُولُ بِقَوْلِ قَائِلٍ.

قَالَ الْمُخْبِرُ: فَغَدَا أُولَئِكَ الْأُمَرَاءُ الْأَكَابِرُ وَخَاطَبُوا فِيهِمْ نَائِبَ السُّلْطَانِ بِتَعْظِيمِ أَمْرِهِمْ..

قُلْت لِلْأَمِيرِ: وَأَنَا قَدْ اسْتَخَرْت اللهَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ إنْ دَخَلُوا النَّارَ أَدْخُلُ أَنَا وَهُمْ، وَمَن احْتَرَقَ مِنَّا وَمِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَكَانَ مَغْلُوبًا، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ نَغْسِلَ جُسُومَنَا بِالْخَلِّ وَالْمَاءِ الْحَارِّ.

فَقَالَ الْأَمِيرُ: وَلِمَ ذَاكَ؟.

قُلْت: لِأَنَّهُمْ يَطْلُونَ جُسُومَهُمْ بِأَدْوِيَةٍ يَصْنَعُونَهَا مِنْ دُهْنِ الضَّفَادِعِ وَبَاطِنِ قِشْرِ النَّارَنْجِ وَحَجَرِ الطَّلْقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِن الْحِيَلِ الْمَعْرُوفَةِ لَهُمْ، وَأَنَا لَا أَطْلِي جِلْدِي بِشَيْءٍ، فَإِذَا اغْتَسَلْت أَنَا وَهُمْ بِالْخَلِّ وَالْمَاءِ الْحَارِّ بَطَلَت الْحِيلَةُ وَظَهَرَ الْحَقُّ، فَاسْتَعْظَمَ الْأَمِيرُ هُجُومِي عَلَى النَّارِ، وَقَالَ: أَتفعلُ ذَلِكَ؟ فَقُلْت لَهُ: نَعَمْ[1]، قَد اسْتَخَرْت اللهَ فِي ذَلِكَ، وَأَلْقَى فِي قَلْبِي أَنْ أَفْعَلَهُ، وَنَحْنُ لَا نَرَى هَذَا وَأَمْثَالَهُ ابْتِدَاءً؛ فَإِنَّ خَوَارِقَ الْعَادَاتِ إنَّمَا تَكُونُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا لِحُجَّةٍ أَوْ حَاجَةٍ، فَالْحُجَّةُ لِإِقَامَةِ دِينِ اللهِ، وَالْحَاجَةُ لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِن النَّصْرِ وَالرِّزْقِ الَّذِي بِهِ يَقُومُ دِينُ اللهِ، وَهَؤُلَاءِ إذَا أَظْهَرُوا مَا يُسَمُّونَهُ إشَارَاتِهِمْ وَبَرَاهِينَهُمْ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُبْطِلُ دِينَ اللهِ وَشَرْعَهُ وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَنْصُرَ اللهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَقُومَ فِي نَصْرِ دِينِ اللهِ وَشَرِيعَتِهِ بِمَا نَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَرْوَاحِنَا وَجُسُومِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَلَنَا حِينَئِذٍ أَنْ نُعَارِضَ مَا يُظْهِرُونَهُ مِنْ هَذِهِ المخاريق بِمَا يُؤَيِّدُنَا اللهُ بِهِ مِن الْآيَاتِ.

وَلِيُعْلَمَ أَنَّ هَذَا مِثْلُ مُعَارَضَةِ مُوسَى لِلسَّحَرَةِ لَمَّا أَظْهَرُوا سِحْرَهُمْ أَيَّدَ اللهُ مُوسَى بِالْعَصَا الَّتِي ابْتَلَعَتْ سِحْرَهُمْ. مجموع الفتاوى ١١/ ٤٥٥- ٤٦٠.

(١) هذا يدل على عظيم إيمانه وثقته بالله تعالى، وهذه المنزلة قلّ مَن يصل إليها.

المحبة

أ- محبة الناس بعضهم لبعض:

* عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: إن الله تعالى يؤلف بين القلوب، وإذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء أبدا، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال:٦٣]. الزهد لابن المبارك (٣٤٦).

* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبرّ ولا تنقص بالجَفاءِ. الزهد للخطيب (٦٧).

* وَسُئِلَ أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) عَنِ الْحُبِّ فِي اللهِ؟ فَقَالَ: هُوَ أَنْ لا تُحِبَّهُ لِطَمَعِ دُنْيَا. أخبار الشيوخ (٣٧٣).

ب- محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد، وأسباب ذلك[1]:

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتَّدبر والتَّفهم لمعانيه وما أُريد به. كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتَّسَنُّم إلى محابه وإن صعب المُرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة. =

* عن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب. الزهد لأبي داود (١٤٩).

* وعن **عامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) أنه كان يقول: أحببت الله عَزَّ وَجَلَّ حبًّا سهل عليَّ كل مصيبة، ورضاني في كل قضية، فما أبالي مع حبي إياه، ما أصبحت عليه. تهذيب الحِلْية ٣٠٢/ ١.

* وقال **مطرف بن عبد الله بن الشخير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): إن أحب عباد الله إلى الله الشكور الصابر الذي إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر. الزهد لأحمد: ٤١٣.

* وعن **عبيد بن عمير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٧) قال: إن الدنيا هينة على الله تعالى أن يعطيها من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب. تهذيب الحِلْية ٨/ ٢.

* وعن **أبي يزيد البسْطامي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٠) قال: هذا فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أمِنتُكَ؟ ليس العَجَبُ من حبي لك، وأنا عبدٌ فقير، إنما العَجَبُ من حُبّك لي، وأنت مَلِكٌ قدير. السِّيَر (١٣/ ٨٦).

* وقال **بعض السلف**: شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع، ففقدوا لذاذة الطعام والشراب والشهوات؛ لأنهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة، فقطعتهم عن كل لذة.[1]

= **السادس**: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها: انكسار القلب بكُلِّيَّته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم خَتم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما يُنتقى أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدا لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مُباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّ وَجَلَّ. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٤٤٨-٤٤٩.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: النُّفُوسُ قَد تَدَّعِي مَحَبَّةَ اللهِ، وَتَكُونُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَحَبَّةَ =

المنتظم ٣٠٢/ ١١.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): قال **حكيم من الحكماء**: إني لأستحيي من ربي عَزَّوَجَلَّ أن أعبده رجاء ثواب الجنة[١]، فأكون كالأجير إن أُعطي أجرا عمل، وإلا لم يعمل، وإني لأستحيي من ربي عَزَّوَجَلَّ أن أعبده مخافة النار[٢]، فأكون كعبد السوء، إن رهب عمل، وإن لم يرهب لم يعمل.

ولكني أعبده كما هو له أهل، ويستخرِج مني حبُّ ربي عَزَّوَجَلَّ ما لم يستخرِج منّي غيرُه.[٣] الزهد لابن المبارك (٢٠٦).

* وقال **الشاعر**:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه … هـذا محـال في القيـاس بديـع

لـو كان حبـك صادقـا لأطعته … إن المحـب لمن يحـب مطيع

وفي كل يـوم يبْتديـك بنعمـة … منـه وأنـت لشكـر ذاك مضيِّـع

ت- محبة النبي ﷺ وتعظيمه:

* دخل **أبو بكر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ١٣) يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل **عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٣)، فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجمًا[٤] ساكتا.

=شِرْكٍ، تُحِبُّ مَا تَهْوَاهُ، وَقَدْ أَشْرَكْتَهُ فِي الْحُبِّ مَعَ اللهِ، وَقَدْ يَخْفِي الْهَوَى عَلَى النَّفْسِ؛ فَإِنَّ حُبَّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ.

وَهَكَذَا الْأَعْمَالُ الَّتِي يَظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يَعْمَلُهَا لِلَّهِ، وَفِي نَفْسِهِ شِرْكٌ قَد خَفِيَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَعْمَلُهُ: إِمَّا لِحُبِّ رِيَاسَةٍ، وَإِمَّا لِحُبِّ مَالٍ، وَإِمَّا لِحُبِّ صُورَةٍ. مجموع الفتاوى (٨/ ٣٥٩-٣٦٠).

(١) أي: فقط.

(٢) أي: فقط.

(٣) فيه ذم العبادة على وجه الرجاء وحده أو على وجه الخوف وحده، قال ابن رجب: وهذا حسن. التخويف من النار: (٢٤).

(٤) أي اشتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام من كثرة مطالبة نسائه له بالنفقة.

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأقولنّ شيئا أُضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة(١) سألتني النفقة، فقمت إليها، فوَجْأت عنقها(٢)، فضحك رسول الله ﷺ وقال: هنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟! فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده». «صحيح مسلم» (١٤٧٨).

* وقال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى(٣)، ويقولون: طلّق رسول الله ﷺ نساءه.

قال: فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعدا على أسكفة المشربة(٤)، فناديت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي فلم يقل شيئا، ثم قلت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي فلم يقل شيئا، ثم رفعت صوتي، فقلت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ؛ فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أني جئت من أجل حفصة، **والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها**، ورفعت صوتي، فأومأ إليّ أن ارقه، فدخلت على رسول الله ﷺ. «صحيح مسلم» (١٤٧٩).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: والله لأنت أحب إليّ من نفسي. صحيح البخاري (٦٢٥٧).

* ولما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر شاور الصحابة حين بلغه إقبال أبي

(١) يعني زوجته.

(٢) أي طعنت عنقها.

(٣) حُزنًا لحزنه، وهمًّا لهمّه، من شدة محبتهم وتعظيمهم له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

(٤) هي العتبة السفلى التي توطأ.

سفيان، فتكلم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعرض عنه، ثم تكلم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعرض عنه، فقام **سعد بن عبادة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥) فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نُخِيضَهَا البحر لأَخَضْناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْكِ الْغِمَادِ[1] لفعلنا. صحيح مسلم (١٧٧٩).

* وقال **عمرُو بنُ العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه. صحيح مسلم (١٢١).

* ولما جاء عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ زمن الحديبية ليفاوضه على الصلح، جعل يرمق **أصحاب النبي** ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدّون إليه النظر تعظيما له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إنْ[2] رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم **أصحاب محمد** ﷺ محمدا، والله إنْ[3] تنخم[4] نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدّون إليه النظر تعظيما له. صحيح البخاري (٢٧٣١).

---

(١) موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل.

(٢) أي: ما.

(٣) أي: ما.

(٤) أي: تفل وبزق.

* ولما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، **وأبو طلحة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) بين يدي النبي ﷺ مُجَوِّبٌ به عليْه بِحجَفَةٍ له[١]، وكان أبو طلحة رجلا راميًا شديد القدّ[٢]، يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثا، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل[٣]، فيقول: «انشرها لأبي طلحة»، فأَشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فقال أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، لا تُشرف[٤]، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك. [٥] صحيح البخاري (٣٨١١)، صحيح مسلم (١٨١١).

* وقال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا **بغلامين** من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه. صحيح البخاري (٣١٤١)، صحيح مسلم (١٧٥٢).

* وعن **عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قال: ما مسست فرجي بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ. الزهد لأحمد: ٢٧٧.

* وقال البزَّارُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٩): كَانَ **شيخ الإسلامِ ابن تيمية** (ت: ٧٢٨)

---

(١) مترس عليه بنفسه يقيه من ضربات المشركين ونبالهم بترس من الجلد.

(٢) هو السير من جلد مدبوغ والمعنى أن وتر قوسه شديد في النزع والمد.

(٣) الكنانة المملوءة بالنبل.

(٤) أي: لا تنظر.

(٥) أي: أقف بين يديك بحيث إذا جاء السهم يصيب نحري ولا يصيب نحرك والنحر الصدر وأسفل العنق.

لَا يذكر رَسُول الله ﷺ قطّ إلا وَيُصلي وَيسلم عَلَيْهِ، وَلَا وَالله مَا رَأَيْت أحدا أشد تَعْظِيمًا لرَسُول الله ﷺ وَلَا أحرص على اتّبَاعه وَنصر مَا جَاءَ بِهِ مِنْهُ، حَتَّى إِذا كَانَ أورد شَيْئا من حَدِيثه فِي مَسْأَلَة وَيرى أنه لم ينسخه شَيْء غَيره من حَدِيثه، يعْمل بِهِ وَيقْضِي ويفتي بِمُقْتَضَاهُ، وَلَا يلْتَفت إِلى قَول غَيره من المخلوقين كَائِنا من كَانَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كل قَائِل إِنَّمَا يحْتَج لقَوْله لَا بِهِ، إلا الله وَرَسُوله. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٢٨).

حفظ اللسان(١)

أ- حفظ اللسان من كثرة الكلام، ومن الكلام الذي لا ينفع:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): رَحِمَ الله امرَأً أمسكَ فضلَ القول وقدّمَ فضلَ العمل. عيون الأخبار ٣٨٠/ ١.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): والله الذي لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شيءٌ أحوج إلى طول سجن من اللسان. الزهد لأبي داود (١٥١)، الزهد لابن المبارك (٣٦٨).

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: آفات اللسان أسرع الآفات للإنسان، وأعظمها في الهلاك والخسران، فالأصل: ملازمة الصمت إلى أن تتحقق السلامة من الآفات، والحصول على الخيرات. المفهم: ٥/ ٢٠٠.

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن الكلام ترجمانٌ يعبّر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بوادره، ولا يُقْدر على رد شوارده، فحق على العاقل أن يحترز من زَلَله بالإمساك عنه أو بالإقلال منه..

واعلم أن للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يعْرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها، **وهي أربعة:**

فالشرط الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.

والشرط الثاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فُرْصته.

والشرط الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته.

والشرط الرابع: أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

فهذه أربعة شروط، متى أخل المتكلم بشرط منها فقد أوْهن فضيلةَ باقيها. أدب الدين (٤٤٢- ٤٤٣)

* وعن عبد الله بن مرداس قال: كان **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطبنا كل خميس، فيتكلم بكلمات، فيسكت حين يسكت، ونحن نشتهي أن يزيدنا. أخرجه الحاكم: ٥٣٨٥.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) أنه كان يقول: من لم ير أن كلامه من عمله، وأن خلقه من دينه: هلك وهو لا يشعر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢١.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنذركم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٢.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): أَنْصِفْ أُذُنَيْكَ مِن فِيكَ، فإنّما جُعُلَ لك أُذُنَانِ اثنتان وفَمٌ واحدٌ، لتَسْمَعَ أكثرَ ممّا تقول. عيون الأخبار ٥٧٣ / ٢.

* وقال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): اللسان قوام البدن، فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم يقم له جارحة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٦٣.

* وتكلّم رجل عند **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): فَهَذَرَ، فلمّا أطال قال: أأسكتُ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: وهل تكلّمتَ!. عيون الأخبار ٥٧١ / ٢.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣) قال: إنّ أحقّ ما طهر المسلم لسانه. الزهد لأبي داود (٢٧٢).

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): حَتْفُ الرجلِ مخبوءٌ تحت لسانه. عيون الأخبار ٣٨١ / ١.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: جنِّبوا مجالسَنا ذِكرَ النِّساء والطعام، إني أبغِضُ الرجلَ يكونُ وصَّافًا لفَرجه وبطنه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٥٣.

* وعن الحسن قال: ذكروا شيئًا عند معاوية فتكلموا فيه، **والأحنف بن قيس**

رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساكت، فقالوا: مالك لا تتكلّم يا أبا بحر؟ قال: أخشى الله إن كذبتُ، وأخشاكم إن صدقت. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٢١.

* وعن **مطرف بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) قال: من صفا عمله صفا لسانه، ومن خَلَّط خلط له. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٤.

* وقال **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٣.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمعت الأطباء أن رأس الطب الحِمْية، وأجمعت الحكماء أن رأس الحكمة الصمت.[1] ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣٦.

* وقال أيضا: إن الرجل ليصمت فيجتمع إليه لُبُّهُ. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٩.

* وأثنى رجل على رجل فقال له **بعض السلف**: وما علمك به؟ قال: رأيته يتحفظ في منطقه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٥٠.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر: فإن كان كلامه له تكلم، وإن كان عليه أمسك عنه، والفاجر إنما لسانه رِسلا رِسلا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٥٠.

* وعن أبي الأشهب عن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يقولون: لسان الحكيم وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول رجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع إلى قلبه، ما جرى على لسانه تكلم به.

---

(١) ليس المقصود بالصمت والسكوت في كلام السلف الصالح: مجرد السكوت حتى عن ذكر الله تعالى، فهذا ليس محمودًا أبدًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السُّكُوتُ بِلَا قِرَاءَةٍ وَلَا ذِكْرٍ وَلَا دُعَاءٍ لَيْسَ عِبَادَةً وَلَا مَأْمُورًا بِهِ، بَل يَفْتَحُ بَابَ الْوَسْوَسَةِ، فَالِاشْتِغَالُ بِذِكْرِ اللهِ أَفْضَلُ مِن السُّكُوتِ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِن أَفْضَلِ الْخَيْرِ. مجموع الفتاوى (٢٣/ ٢٨٥-٢٨٦).

قال **أبو الأشهب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٥): كانوا يقولون: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه. الزهد لأحمد: ٤٦١، الزهد لابن المبارك (٣٧٣).

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من كثر كلامه كثر كذبه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٧.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا ابن آدم بُسِطتْ لك صحيفةٌ، ووكِّل بك ملكان كريمان يكتبان عملك، فأكثر ما شئت أو أقل. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٤.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد أدركت أقواما، إن كان الرجل منهم ليجلس مع القوم فيرون أنه عيي[1]، وما به من عِيّ، إنه لفقيه مسلم. الزهد لوكيع (٨٠).

* وقيل في **منثور الحكم**: إذا تم العقل نقص الكلام. أدب الدين (٤٤٩).

* وقال **بعض السلف**: إن الرجل ليطغى في كلامه كما يطغى في ماله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٢.

* وعن **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩) قال: خصلتان إذا رأيتهما في الرجل فاعلم أن ما وراءهما خير منهما: إذا كان حابسا للسانه، يحافظ على صلاته. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٢.

* وقال **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩): خصلتان إذا صلَحتا من العبد صلح ما سِواهما من أمره: صلاتُه ولسانه[2]. صفة الصفوة ٣/ ٢١٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنك تكاد تعرف ورع الرجل في كلامه إذا تكلّم. صفة الصفوة ٣/ ٢١٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال، إلا رأيت ذلك صلاحًا في سائر عمله. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٠.

---

(١) أي: عاجز عن الكلام.

(٢) لقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥] وقول الرسول ﷺ «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة**».

* وكان **عبد الله بن أبي زكريا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) إذا كان في مجلس فخاض جلساؤه في غير ذكر الله، فكأنه ساهٍ، وإذا أخذوا في ذكر الله كان أشد القوم استماعا إليه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٢.

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١):

تعاهد لسانك إن اللسان ... سريعٌ إلى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد ... يَدلّ الرجال على عقله

ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٦٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عجبت من اتفاق الملوك الأربعة كلهم على كلمة:

قال كسرى: إذا قلتُ ندمت، وإذا لم أقل لم أندم.

وقال قيصر: أنا على رد ما لم أقُل، أقْدر مني على ردِّ ما قُلت.

وقال ملك الهند: عجِبت لمن تكلَّم بكلمة إن هي رفعت تلك الكلمة ضرَّته، وإن هي لم تُرفع لم تنفعه.

وقال ملك الصين: إن تكلمتُ بكلمةٍ مَلكتني، وإن لم أتكلَّم بها ملكتُها. الآداب الشرعية ١/ ٣٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال بعضهم في تفسير العزلة: هو أن يكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت.[1] ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٣.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن دعت الحاجة إلى خلطة الناس في فضول المباحات: فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس: طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك.

فإن أعجزته المقادير عن ذلك: فَلْيسُلّ قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرا غائبا، قريبا بعيدا، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم ورقى به إلى الملأ الأعلى، وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، فبين العبد وبينه: أن يصدق الله ويُديم اللّجأ إليه. مدارج السالكين ١/ ٤٥٤.

* وقال **الأوزاعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧): إنَّ المؤمن يقولُ قليلًا، ويعملُ كثيرًا، وإنَّ المنافقَ يتكلَّمُ كثيرًا، ويعملُ قليلًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٤.

* وقال **بعض السلف**: إنما لساني سبع إن أرسلْتُه خفت أن يأكلني. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٣.

* وكان يقال: كثرة الكلام تذهب بالوقار. ابن أبي الدنيا ٧/ ٦٠.

* وقال **داود الطائي** (ت: ١٧٠): حفظ اللسان أشدُّ الأعمال وأفضلُها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٦١.

* وقال **الشاعر**:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده ... ولم يبق إلا صورة اللحم والدم
وكائنْ ترى من ساكتٍ لك معجِبٍ ... زيادته أو نقصه في التكلم

ابن أبي الدنيا ٧/ ٦٥.

* وعن **أبي حيان التيمي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٥) قال: كان يقال: ينبغي للعاقل أن يكون أحفظ للسانه منه لموضع قدمه. ابن أبي الدنيا ١/ ٢١١.

* وتكلم **ابنُ السَّمَّاك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٣) يومًا **وجاريةٌ** له تسمع كلامه، فلما دخل إليها قال: كيف رأيتِ كلامي؟ قالت: ما أحسَنَه لولا أنَّك تُكثر تَرْدَادَه! قال: أُرَدِّده حتّى يَفْهَمَه مَن لم يَفْهَمْه قالت: إلى أن يَفْهَمه من لم يَفْهَمْه قد ملَّه مَن فَهمه! عيون الأخبار ٥٧٥ / ٢.

* وقال **بعضهم**:

إذا تحدَّثْتَ في قومٍ لتُؤْنِسَهم ... بما تُحدِّثُ من ماضٍ ومن آتِ
فلا تَعُد لحديثٍ إنَّ طبعَهُمُ ... مُوَكَّل بمُعاداةِ المُعاداتِ

البداية والنهاية ١٢/ ٥٧.

* وقال رجل للربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠): قُتل ابن فاطمة، فاسترجع ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٤٦﴾ [الزمر:٤٦] قال: ما تقول؟ قال: ما أقول؟ إلى الله إيابهم وعليه حسابهم. صفة الصفوة ٣/ ٤٢.

* وقال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧) وابن المبارك رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ (ت: ١٨١): أشد الورع في اللسان. ابن أبي الدنيا ١/ ٢١٠، ١/ ٢١١.

* وقال الحسن بن حي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٨): إني لأعرف رجلًا يعدُّ كلامه، فكانوا يرون أنه هو[1]. ابن أبي الدنيا ١/ ٢١١.

* وقال بعضهم:

يَمُوتُ الفتى من عَثْرةٍ بلسانِهِ ... وليس يموتُ المرءُ من عَثْرة الرِّجْلِ
فعثرتُه من فِيهِ تَرْمِي برأسهِ ... وعثرتُه بالرِّجْل تَبْرا على مَهْلِ

عيون الأخبار ٥٧٧/ ٢.

* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): إن أردت أن تلبس ثوب الوقار والجمال، وتتحلّى بحِلْية المودة عند العامة: فكن عالمًا كجاهل، وناطقا كعَيِيٍّ.

فأما العلم: فيُرشدك.

وأما قلة ادعائه: فتنفي عنك الحسد.

وأما المنطق إذا احتجت إليه: فيُبلِّغك حاجتك.

وأما الصمت: فيُكْسبك المحبة والوقار. الأدب الكبير (٩٦).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن غُلبت على الكلام وقتًا فلا تُغْلبن على السكوت، فإنه لعله يكون أشدَّهما لك زينة، وأجلَبَهما إليك مودةً، وأبقاهما للمهابة، وأنْفاهما للحسد. الأدب الكبير (١١٢).

---

(١) لعل مقصود الفضيل والحسن بن حي: الكلام في أمور الدنيا، لا ما يتعلق بأمور الآخرة، كالتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): إني لأدع كثيرًا من الكلام مخافة المباهاة. الزهد لأحمد: ٥٠٥.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقتربوا منه؛ فإنه يُلقّن الحكمة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٤٨.

* وعن أبي عبد الله الحربي قال: سمعت **بعض العلماء** ممن قدم على **عمر ابن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: الصامت على علم كالمتكلم على علم، فقال عمر: إني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالا؛ وذلك أن منفعته للناس، وهذا صمته لنفسه، قالوا: يا أمير المؤمنين فكيف بفتنة المنطق؟ قال: فبكى عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكاء شديدا.[1] ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٤٥.

* وقيل **لسُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): إذا أخذت في الحديث نشطتَ وأنكرتُك، وإذا كنتَ في غير الحديث كأنك ميت؟.

قال: أما علمت أن الكلام فتنة؟ تهذيب الحِلْية ٤٠٤/ ٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: الصمت زين العالِم، وستر الجاهل. تهذيب الحِلْية ٤٠٩/ ٢.

* وعن خالد الحذاء قال: كنا نأتي **أبا قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤)، فإذا حدثنا بثلاثة أحاديث قال: قد أكثرت. تهذيب الحِلْية ٣٩٣/ ١.

* وقال **بعضهم**:

إن كانَ في العِيِّ آفاتٌ مُقَدَّرةٌ ... ففي البلاغة آفاتٌ تُساوِيها

عيون الأخبار ٥٧١/ ٢.

---

(١) بكى لعلمِه أنه لا يسلم أحدٌ من فتنة المنطق إلا من شاء الله، فقلّ من تكلّم في موعظة، أو خطبة، أو في بحث مسألة من مسائل العلم، أو في ردٍّ على خطأ عالم أو طالب علم إلا شابهُ شيءٌ من فتنة الكلام، فيجب على كلّ من تكلّم أن يستحضر الإخلاص والورع في كلامه، وما كان من الحديث لغير الله فعاقبته الندم.

* ونازع **ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) رجل، فقال: لولا أن يُكتب عليَّ لقلت[1]. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٠.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٧): لو أن صاحب خَبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحْتَرَزْتَ منه، وكلامُك يُعْرض على الله تعالى فلا تحترِز! صفة الصفوة ٤/ ٣٩١.

* وعن سعدون الرازي أنه قال: كنت مع **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان يتكلم، فقل كلامه فقيل له: قد كنت تتكلم فينتفع بك الناس؟ قال: إني لا أحب أن أتكلم بكلمة قبل أن أستعد جوابها لله، فإذا قال الله تعالى لي يوم القيامة: لم قلت كذا؟ قلت: يا رب لكذا. المنتظم ٢٥٥/ ١١.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨) قال: قال **لقمان** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لابنه: يا بني ما ندمت على الصمت قط، وإن كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب. الزهد لأحمد: ١٢٦-١٢٧.

* وكان يقال: إذا فَاتَك الأدب فالزم الصَّمتَ. عيون الأخبار ٥٧٣ / ٢.

* وقال **بعضهم**: لا يَجْتَرِئ على الكلام إلا فَائِقٌ أو مَائِقٌ[2]. عيون الأخبار ٥٧٣ / ٢.

* وقال **أكثم بن صيفِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩): مَقْتَلُ الرجلِ بين فَكّيهِ. عيون الأخبار ٣٨١/ ١.

* وقال **أبو الحسن القطان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٥): أصبتُ ببصري، وأظنُّ أني عوقبتُ بكثرة كلامي أيام الرِّحلة.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): صدق والله، فقد كانوا مع حُسْن القصْدِ،

---

(١) أي: لو أن الملائكة لا تكتب ما أقول: لرددت عليك.

(٢) قال في الحاشية: الفائق: الأديب العالم. والمائق: الهالك حمقًا وغباوة.

وصحَّةِ النيَّةِ -غالبًا- يخافونَ من الكلام، وإظهار المعرفة والفضيلة[1]، واليوم يكثرون الكلام مع نقصِ العلْمِ، وسوء القصْد. ثم إن الله يفضحهم ويلُوحُ جهلُهم وهواهُم واضطرابُهم فيما علموه. فنسألُ الله التوفيقَ والإخلاص. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٥٠.

* وقيل **لإبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): إن فلانًا يتعلم النحو، فقال: هو إلى أن يتعلم الصمت أحوج. تهذيب الحِلْية ٤٨٣/ ٢.

* وقال **أبو بكر بن عياش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣): أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى بالسلامة عافية، وأدنى ضرر النطق الشهرة، وكفى بالشهرة بلية. تهذيب الحِلْية ٨١/ ٣.

* وقال **بعضهم**: إني لأكره أن يكون مقدارُ لسان الرجلِ فاضلًا عن مقدار علمه، كما أكره أن يكون مقدارُ علمه فاضلًا على مقدار عقله.

وهذا كلام شريف نافع فاحفظوا لفظه، وتدبروا معناه. البيان والتبيين ١/ ٦٢.

* وكان **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): يكره كثرة الكلام ويعيبه، وكان يقال: نعم الرجل فلان إلا أنه يتكلم كلام شهر في يوم.

وعندما يُكثَر عليه بالسؤال يَكفّ، ويقول: حسبكم، مَن أكثَرَ أخطأ.

وكان يعيبُ كثرة ذلك وقال: يتكلم كأنه جمل مُغْتلم، ويقول هو كذا، هو كذا، يهدر في كل شيء! ترتيب المدارك (١/ ١٤٢، ١٨٠).

* وقال **بعض البلغاء**: الزم الصمت فإنه يكسبك صفْو المحبة، ويؤمّنك سوء المغبّة، ويُلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مَؤُونة الاعتذار. أدب الدين (٤٤٢).

---

(١) ومن إظهار المعرفة والفضيلة الذي كان السلف الصالح يخافون منه: التحدث بكثرة ما قرأ أو قُرئ عليه من الكتب، وكثرة التحدّث عن الرحلات في العلم والدعوة، وكثرة طلابِه ومن يحضر عنده، والمؤمن ينبغي له ألا يتكلّم عن نفسه إلا عند الحاجة والضرورة.

* وكان إمامنا -**الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)- يتعجب من **بدر المغازلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٢) ويقول: مَن مِثل بدر؟ قد ملك لسانه.[١] طبقات الحنابلة (١/ ١٨٩).

* وقال حمدان بن ذي النون: ما رأتْ عيني مثل **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي ورعه وحفظه لسانه. طبقات الحنابلة (١/ ٤٠٦).

* ولم يكن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) يخوض في شيْء مما يخوض فيه الناسُ من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلْم تكلم. صفة الصفوة ٢/ ٦٠٥.

* وقال **عطاء بن أبي رباح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، أتنكرون أن عليكم حافظين، أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أملى صدر نهاره، كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه. الصمت لابن أبي الدنيا (٧٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن تقرأه، أو تأمر بمعروف أو تنهى عن منكر، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها، أتنكرون: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار:١٠-١١] ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق:١٧-١٨] أما يستحي أحدكم أنه لو نُشرت عليه صحيفته التي أملى صَدْرَ نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه!. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٢.

---

(١) كثيرا ما يثني الإمام أحمد على طلابه النجباء، وهذا خلق عظيم، فينبغي للشيخ والمعلم أن يحرص عليه.

وانظر إلى تعجب الإمام من حفظ (بدرٍ) للسانه، وهذا يدل على أن ذلك من أصعب الأمور، وحريّ بالعاقل الناصح لنفسه أن يحفظ لسانه، مع أن الإمام كان من أحفظ الناس للسانه.

* وعن محمد بن إسحاق أنه قال: جاء أعرابي إلى **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، فقال: أنت أعلم أو سالم؟ قال: ذاك منزل سالم، فلم يزد عليها حتى قام الأعرابي.

قال **ابن إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١): كره أن يقول: هو أعلم مني فيكذب، أو يقول: أنا أعلم منه فيزكي نفسه. الحِلْية ٢/ ١٨٤.

* وقال **بعضهم**:

ومِمّـا كانـتِ العلمـاءُ قالـتْ لسـانُ المرءِ مـن خَـدَمِ الفُؤادِ

عيون الأخبار ٣/ ١٦٨.

* وقال مَرَّةً رجلٌ: ما أشدَّ البردَ اليوم، فالتفتَ إليه **المُعافى بن عمران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤)، وقال: استدفأتَ الآن؟ لو سكتَّ لكان خيرًا لك.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٤٨): قولُ مثلِ هذا جائزٌ، لكنهم كانوا يكرَهون فُضولَ الكلام، واختلف العلماءُ في الكلام المباح، هل يكتُبه المَلَكان، أم لا يَكتُبان إلا المستحَبَّ الذي فيه أجرٌ، والمذمومَ الذي فيه تَبِعَة؟ والصحيحُ كتابةُ الجميعِ لعموم النَّصِّ في قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، ثم ليس إلى الملكين اطِّلاعٌ على النِّيات والإخلاص، بل يكتُبانِ النُّطْقَ، وأما السَّرائرُ الباعثةُ للنُّطقِ، فالله يتولاَّها. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٠٠.

* ولَمَّا عزم علي بن حمُّود الحسني على القيام على المستعين طالبًا لدم هشام، أحدث بسبتة أشياء لم تكن فيها، فأنكر الناس عليه ذلك، وفزعوا إلى الفقيه **أبي محمد ابن عبُّود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقالوا له: ترى ما أحدث هذا الرجل؟ فقال لهم: لا عليكم، نحن أدخلناه ونحن أخرجناه، فبَلَغه ذلك، فهبط إلى دار الصناعة، ووجَّه وراءه ووراء ولده، فلمَّا أُحضر بين يديه قال له: أنت القائل كذا وكذا؟ -والسيوف

مصلتة على رأسه- لا عشتَ أبدا أنت ولا ولدك، قال الرجل: حسبي الله، عسى يُقدّم ولدي، ليكون في صحيفتي، فتوضَّآ وصلَّيا، فقُتل الولد ثم الوالد.(١) ترتيب المدارك (٤/ ٤١٥-٤١٦).

* وقال **بعض الحكماء**: عقل المرء مخبوء تحت لسانه.

وقال **بعض البلغاء**: احبس لسانك قبل أن يُطيل حبسك أو يتلف نفسك، فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب، ويسرع إلى الجواب. أدب الدين (٤٤٥).

* وَكَانَ **أبو الحسن بن بشار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٣) إِذَا أراد أن يخبر عن نفسه شيئًا قَالَ: أعرف رجلًا حاله كذا وكذا، فَقَالَ ذات يوم: أعرف رجلًا منذ ثلاثين سَنَة ما تكلَّمَ بكلمةٍ يَعتذِرُ منها. طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٩).

* وكان **ابْن دَقِيق الْعِيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٠٢) يَقُول: مَا تَكَلَّمت بِكَلِمَةٍ وَلَا فعلتُ فعلًا إِلَّا وأعددتُ لَهُ جَوَابا بَين يَدي الله تَعَالَى. طبقات الشافعية (٢/ ٢٤).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤):

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يقتلنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيلِ لسانه ... كانت تهاب لقاءَه الشجعان

ديوان الشافعي (١٦٥).

* وقال **الشاعر**:

عجبتُ لإزْراء الْعَيِيِّ بنفسه ... وصمتِ الّذي قد كان للقول أعلما

وفي الصمت ستر للْعَيِيِّ(٢) وإنّما ... صحيفةُ لُبِّ المرء أنْ يتكلما

---

(١) رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وانظر كيف أدت كلمة صدرت منه إلى قتله وقتل ولده، وكان غنيّا عنها، فما أحرى المؤمن بأن حفظ لسانه.

(٢) العييّ: العاجز عن الكلام.

* وقال آخر:

وزن الـكلامَ إذَا نَطقـتَ فإنَّمَـا يُبْدِي عُيُوبَ ذوِي الْعُقولِ الْمَنْطِقُ

* وقال آخر:

فـإنْ لَـمْ تَجِـدْ قَـولًا سَـديدًا تَقولُـهُ فَصمْتُـكَ عَـن غَيـرِ السَّـدادِ سَـدادُ

أدب الدين (٤٤٧، ٤٤٩).

ب- حفظ اللسان من الغيبة وتتبع الزلات والهفوات والسقطات(١):

* كان **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يقول: لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس؛ فإنه بلاء، وعليكم بذكر الله فإنه رحمة. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٣٧.

* ومَرَّ **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) على بغل ميت فقال: لأن يأكل أحدكم من لحم هذا البغل حتى يمتلئ بطنه خيرٌ له مِن أنْ يأكل لحم رجل مسلم. الزهد لهناد (١١٧٤)، الزهد لوكيع (٤٣٣).

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٥٧.

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): ما ذكرت أحدا بسوء بعد أن يقوم من عندي. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٣٩.

* وعن **خالد الربعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٣) قال: دخلت المسجد فجلست إلى قوم فذكروا رجلا فنهيتهم عنه فكفوا، ثم جرى بهم الحديث حتى عادوا في ذكره

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الفوائد (١٥٩): ومن العجيب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والربا، والزنا، وشرب الخمر، ومن النظر إلى المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا ينزل بها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل تورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الناس الأحياء والأموات، لا يبالي ما يقول.

فدخلت معهم في شيء من أمره فلما كان من الليل رأيت في المنام كأن شيئا أسود يشبه الرجل إلا أنه طويل جدا معه طبق خلاف أبيض عليه لحم خنزير، فقال: كل، قلت: آكل لحم خنزير والله لا آكله، فأخذ بقفاي وقال: كل، وانتهرني انتهارةً شديدة، ودسه في فمي، فجعلت ألوكه ولا أسيغه وأَفْرَق[1] أن ألقيه، واستيقظت، قال: فمحلوفه لقد مكثت ثلاثين يوما وثلاثين ليلة ما آكل طعاما إلا وجدت طعم ذلك اللحم في فمي. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٣٠.

* وقال مولى لعمرو بن عتبة بن أبي سفيان: رآني **عمرو بن عتبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥) وأنا مع رجل وهو يقع في آخر فقال لي: ويلك! ولم يقلها لي قبلها ولا بعدها، نزِّه سمعك عن استماع الخنا كما تُنزه لسانك عن القول به، فإن المستمع شريك القائل، وإنما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو رُدَّت كلمة السفيه في فيه لسعد بها رادها، كما شقي بها قائلها. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٦٥.

* وعن **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: إذا قلت ما في الرجل وأنت تعلم أنه يكره ذلك فقد اغتبته، وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهته. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أحسب أحدًا تفرّغ لعيب الناس، إلا من غفلةٍ غَفلها عن نفسه. صفة الصفوة ٣/ ٧٠.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): يصوم الرجل عن الحلال الطيب، ويفطر على الحرام الخبيث، لحم أخيه - يعني اغتيابه -. تهذيب الحِلْية ١/٤٥٥.

* وأنشد بعضهم:

لا تلتمسْ من مساوي الناس ما سَتروا ... فيكشف الله سترًا مِن مساويكا

---

(١) أي: أخاف.

واذكرْ محاسن ما فيهم إذا ذُكروا ولا تَعِب أحدًا منهم بما فيكا

الآداب الشرعية ١/ ١٩٥.

* وقيل **للربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠): ألا تذكر الناس؟ فقال: ما أنا عن نفسي براضٍ، فأتفرّغَ من ذمها إلى أن أذمّ الناس، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس، وأمِنوه على ذنوبهم. صفة الصفوة ٣/ ٤٠.

* وقال **مطرف بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): «لو كنت راضيًا عن نفسي لقلَيْتكم، ولكني لست عنها براض».(١) الزهد لابن المبارك (٢٨٢).

* وعن **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧)، قال: سمعت **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩) يقول: يقال يوم القيامة للعبد: قم إلى فلان فخذ حقك منه، فيقول: يا رب ما أعرف لي عنده من حق، فيقال: بلى إنه ذَكَرك يوم كذا بكذا، ويوم كذا بكذا.

قال الأوزاعي: أفناصح لنفسه من يُقضى من حسناته غدًا، وهو ينظر إلى ذل خاشع، يودُّ لو كان بينه وبين أَخِلَّائِه أمدًا بعيدًا؟ ابن أبي الدنيا ٢/ ٧٧.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: كفارة أكلك لحم أخيك: أن تثني عليه، وتدعو له بخير. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤١٨.

* وسمع **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) رجلا يغتاب رجلا فقال: إياك والغيبة، فإنها إدام كلاب الناس. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٢٠.

* وسمع **قتيبة بن مسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) رجلا يغتاب رجلا فقال: أما والله لقد تلمظت(٢) بمضغة طالما لفظتها الكرام. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٠٢.

* وعاب رجلٌ رجلًا عند **بعض أهل العلم**، فقال له: قد استدللتُ على كثرة

---

(١) أي: لستُ راضيًا عن نفسي فكيف أتفرغ لعيبكم ومقت المقصر منكم؟

(٢) اللَّمظ: هو الأخذ باللسان مما يبقى في الفم والأسنان.

عيوبك بما تكثر من عيوب الناس؛ لأنّ الطالب للعيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها. المجالسة وجواهر العلم (١١٣).

* وصدق الشاعر:

وأجْرَأُ مَـنْ رَأَيْـتُ بظَهْـر غَيْـبٍ   على عَيْـبِ الرِّجَـالِ ذوُو العُيـوبِ

الكامل في اللغة / ٦٥١.

* وقال سفيانُ بن حسين: ذكرتُ رجلًا بسوءٍ عند **إياس بن معاوية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢١)، فنظر في وجهي وقال: أغزوْتَ الرومَ؟ قلتُ: لا قال: فالسِّنْدَ والهندَ والترْكَ؟ قلتُ: لا قال: أفسلِمَ منك الرومُ والسِّنْدُ والهندُ والتركُ، ولم يسْلَمْ منك أخوكَ المسلمُ؟! قال: فلم أعُدْ بعدَها.[1] البداية والنهاية ١٠/ ٤٦.

* وقال **ميمون بن سياه**[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تذاكروا عندي رجلًا من هؤلاء السلاطين، فوقعوا فيه، ولم أذكر منه خيرًا ولا شرًا، فانقلبتُ إلى بيتي، فرقدت فرأيت فيما يرى النائم، كأن بين يديّ جيفةَ زنجيّ ميّت منتفخٌ منتن، وكأن قائمًا على رأسي يقول لي كلْ، قلت: يا عبد الله ولِمَ آكل؟ قال: بما اغتِيبَ عندك فلان، قال: قلت: ما ذَكرت منه خيرًا ولا شرًا. فقال: ولكنك استمعت ورضيتَ. صفة الصفوة ٣/ ١٦٤.

(١) إذا رأى المسلم أحدَ العلماء أو المصلحين وقع في زلَّةٍ وهو ممَّن له سابق فضلٍ وخير، فالواجب أنْ يَكفّ لسَانَه عن الوقوع في عرضه، مع بيَان الخطأ الذي وقع به بأسلوبٍ لطيف.
ومِن أعظم سمات أهل السنة والجماعة: الأخذُ بحسن الظن، وعدمُ تتبع الزلات، والْتماسُ الأعذار لمن ظاهره الصلاح، وسترُ العيوب لا فضحُها.
ومن سمات المبتَدِعَة وأهلِ الأهواء: القدحُ في كلِّ من يُخالفهم، ولو كان مما يسوغُ أو يُعذَرُ الاجتهاد فيه، وتتبعُ الزلات والعثرات، والقدحُ في النيات.
وقد أجمع علماءُ الأمة سلفُهَا وخلَفُها، على أنَّ مَن عُرف عنه الخيرُ والصلاح لا يجوز القدحُ فيه إلا بدليلٍ وبرهانٍ قاطعٍ، فإنْ ثبت بالدليل خطؤه وزللُهُ، في أمرٍ يسوغُ أو يُعذَرُ الاجتهاد فيه، فلا يجوز أيضًا سبُّه والطعنُ فيه، بل يجب أنْ يُردَّ خطؤه ولا يُقدَحُ في شخصه.

(٢) البصري أبو بحر، تابعي عابد، ولم أجد تاريخ وفاته.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٥٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنك لن تجد حقيقة الإيمان ما كنت تعيب الناس بعيب هو فيك، حتى تبْرأ بذلك العيب من نفسك فتُصلحه، فلا تُصلح عيبًا إلا ترى عيبًا آخر، فيكون شغلُك خاصةَ نفسك. الزهد للخطيب (٨٢).

* وكانوا إذا ذكروا عند **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) رجلًا بسيّئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم. صفة الصفوة ٣/ ١٧١.

* وعن **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ظُلمٌ لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم، وتكتُم خَيْره.[1] صفة الصفوة ٣/ ١٧٣.

* وذكر رجلًا فقال: ذاك الأسود، ثم قال: أستغفر الله أخاف أن أكون قد اغتبته. الزهد لهناد (١١٩١)، الزهد لوكيع (٤٣٤).

* وقال **بكر المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): إذا رأيتم الرجل موكّلًا بعيوب الناس ناسيًا لعيبه، فاعلموا أنه قد مُكِرَ به. صفة الصفوة ٣/ ٢٠١، ابن أبي الدنيا ٧/ ١٣٩.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): كفى بالمرء شرًا أن لا يكون صالحًا ويقعَ في الصالحين. صفة الصفوة ٣/ ٢٠١.

* وقيل **لبعض السلف**: إن فلانًا يقع فيك، قال: لأغيظن مَن أمره، يغفر الله لي وله، قيل له: من أمره؟ قال: الشيطان. الزهد لابن المبارك (٦٢٢)، صفة الصفوة ٣/ ٤٩.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): ربما قال الرجلُ: لا إله إلا

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام:١٥٢]، فليس من العدل أنْ يذكر الإنسان أسوأ ما يعلم عن الجماعة الفلانية، أو الشيخ الفلانيّ، وهم من المسلمين أهل السنة، ويكتم ما يعلم فيه من الخير، وما أعزّ الإنصاف!.

الله؛ أو سبحان الله فأخشَى عليه النارَ، قيل: وكيف ذاك؟ قال: يُغتابُ بين يديه ويُعْجِبه ذلك فيقول: لا إله إلا الله، وليس هذا موضعَه، إنّما موضعُ هذا أن يَنصَحَ له في نفسه ويقول له: اتّقِ الله.(١) عيون الأخبار ٤١١ / ٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مِن النَّاسِ مَن يَغْتَابُ مُوافَقَةً لِجُلَسَائِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَشَائِرِهِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ الْمُغْتَابَ بَرِيءٌ مِمَّا يَقُولُونَ، أَو فِيهِ بَعْضُ مَا يَقُولُونَ، لَكِن يَرَى أَنَّهُ لَو أَنْكَرَ عَلَيْهِم قَطَعَ الْمَجْلِسَ وَاسْتَثْقَلَهُ أَهْلُ الْمَجْلِسِ وَنَفَرُوا عَنْهُ، فَيَرَى مُوافَقَتَهُم مِن حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ وَطِيبِ الْمُصَاحَبَةِ، وَقَد يَغْضَبُونَ فَيَغْضَبُ لِغَضَبِهِم فَيَخُوضُ مَعَهُمْ.

وَمِنْهُم مَن يُخرِجُ الْغِيبَةَ فِي قَوَالِبَ شَتَّى:

أ- تَارَةً فِي قَالِبِ دِيَانَةٍ وَصَلَاحٍ، فَيَقُولُ: لَيسَ لِي عَادَةً أَنْ أَذْكُرَ أَحَدًا إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا أُحِبُّ الْغِيبَةَ وَلَا الْكَذِبَ، وَإِنَّمَا أُخبِرُكُم بِأَحْوَالِهِ، وَيَقُولُ: وَاللهِ إِنَّهُ مِسْكِينٌ، أَو رَجُلٌ جَيِّدٌ، وَلَكِنْ فِيهِ كَيْت وَكَيْت، وَرُبَّمَا يَقُولُ: دَعُونَا مِنْهُ اللهُ يَغْفِرُ لَنَا وَلَهُ، وَإِنَّمَا قَصْدُهُ اسْتِنْقَاصُهُ وَهَضْمًا لِجَانِبِهِ، وَيُخْرِجُونَ الْغِيبَةَ فِي قَوَالِبَ صَلَاحٍ وَدِيَانَةٍ، يُخَادِعُونَ اللهَ بِذَلِكَ كَمَا يُخَادِعُونَ مَخْلُوقًا، وَقَد رَأَيْنَا مِنْهُم أَلْوَانًا كَثِيرَةً مِن هَذَا وَأَشْبَاهِهِ.

ب- وَمِنْهُم مَن يَرْفَعُ غَيْرَهُ رِيَاءً فَيَرْفَعُ نَفْسَهُ، فَيَقُولُ: لَو دَعَوْت الْبَارِحَةَ فِي صَلَاتِي لِفُلَانٍ؛ لِمَا بَلَغَنِي عَنْهُ كَيْت وَكَيْت لِيَرْفَعَ نَفْسَهُ وَيَضَعَهُ عِنْدَ مَن يَعْتَقِدُهُ.

أو يَقُولُ: فُلَانٌ بَلِيدُ الذِّهْنِ قَلِيلُ الْفَهْمِ؛ وَقَصْدُهُ مَدْح نَفْسِهِ وَإِثْبَات مَعْرِفَتِهِ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ.

ج- وَمِنْهُم مَن يَحْمِلُهُ الْحَسَدُ عَلَى الْغِيبَةِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَبِيحَيْنِ: الْغِيبَةِ وَالْحَسَدِ، وَإِذَا أَثْنَى عَلَى شَخْصٍ أَزَالَ ذَلِكَ عَنْهُ بِمَا اسْتَطَاعَ مِن تَنَقُّصِهِ فِي قَالِبِ دِينٍ وَصَلَاحٍ، أَو فِي قَالِبِ حَسَدٍ وَفُجُورٍ وَقَدْحٍ؛ لِيُسْقِطَ ذَلِكَ عَنْهُ.

د- وَمِنْهُم مَن يُخْرِجُ الْغِيبَةَ فِي قَالِبِ تمسخر وَلَعِبٍ لِيُضْحِكَ غَيْرَهُ بِاسْتِهْزَائِهِ وَمُحَاكَاتِهِ وَاسْتِصْغَارِ الْمُسْتَهْزَأ بِهِ.

هـ- وَمِنْهُم مَن يُخرِجُ الْغِيبَةَ فِي قَالِبِ التَّعَجُّبِ، فَيَقُولُ: تَعَجَّبْت مِن فُلَانٍ كَيْفَ لَا يَفْعَلُ كَيْت وَكَيْت، وَمِن فُلَانٍ كَيْفَ وَقَعَ مِنْهُ كَيْت وَكَيْت، وَكَيْفَ فَعَلَ كَيْت وَكَيْت، فَيُخْرِجُ اسْمَهُ فِي مَعْرِضِ تَعَجُّبِهِ.

و- وَمِنْهُم مَن يُخرِجُ الِاغْتِمَامَ فَيَقُولُ: مِسْكِينٌ فُلَانٌ غَمَّنِي مَا جَرَى لَهُ وَمَا تَمَّ لَهُ، فَيَظُنُّ مَن يَسْمَعُهُ أَنَّهُ يَغْتَمُّ لَهُ وَيَتَأَسَّفُ وَقَلْبُهُ مُنْطَوٍ عَلَى التَّشَفِّي بِهِ، وَلَو قَدَرَ لَزَادَ عَلَى مَا بِهِ، وَرُبَّمَا يَذْكُرُهُ عِنْدَ أَعْدَائِهِ لِيَشْتَفُوا بِهِ.

وَهَذَا وَغَيْرُهُ مِن أَعْظَمِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَالْمُخَادَعَاتِ لِلَّهِ وَلِخَلْقِهِ.

ي- وَمِنْهُم مَن يُظْهِرُ الْغِيبَةَ فِي قَالِبِ غَضَبٍ وَإِنْكَارِ مُنْكَرٍ، فَيُظْهِرُ فِي هَذَا الْبَابِ أَشْيَاءَ مِن زَخَارِفِ الْقَوْلِ وَقَصْدُهُ غَيْرُ مَا أَظْهَرَ. مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣٦-٢٣٨)

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨): الغيبة أشد من الدَّين، الدين يُقضى والغيبة لا تقضى. تهذيب الحِلْية ٢/٤٢٨.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: السلام عليكم، يقول: أنت مني سالم، وأنا منك سالم، ثم يدعو له ويقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فلا ينبغي لهذين إذ سلم بعضهما على بعض، أن يذكره من خلفه بما لا ينبغي له من غيبة أو غيرها. تهذيب الحِلْية ٢/٤٣٢.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

إِذا شئتَ أنْ تحيا سليمًا من الأذى ... ودِيُنك موفورٌ وعِرْضُكَ صيِّنُ
فلا يَنْطقنْ منكَ اللسانُ بَسوْأةٍ ... فكلُّك سَوْءاتٌ وللناسِ أعينُ
وعيناكَ إِنْ أبدتْ إِليك معايبًا ... فصُنْها وقُلْ يا عينُ للناسِ أعينُ
وعاشرْ بمعروفٍ وسامحْ من اعتدى ... ودافعْ ولكن بالتي هي أَحْسَنُ

ديوان الشافعي (١٦٤).

* وقيل **للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): رجل أجازه إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيمَ بألف درهم، قَالَ: لا تُسَمِّين أحدًا.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ٥٧٤).

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَا تَكَلَّمَ أَحَدٌ فِي النَّاسِ إِلَّا سَقَطَ وَذَهَبَ حَدِيثُهُ، قَدْ كَانَ بِالْبَصْرَةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْأَفْطَسُ كَانَ يَرْوِي عَنْ الْأَعْمَشِ وَالنَّاسِ، وَكَانَتْ لَهُ مَجَالِسُ وَكَانَ صَحِيحَ الْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَا يَسْلَمُ عَلَى لِسَانِهِ أَحَدٌ فَذَهَبَ حَدِيثُهُ وَذِكْرُهُ. الآداب الشرعية ٢/ ١٠٢.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

وأُكْبِرُ نَفسي عَن جَزاءٍ بِغِيبَةٍ ... وكلُّ اغتِيابٍ جُهدُ مَن ما لَه جُهدُ[2]

ديوان المتنبي (٦٥).

---

(١) إنما نهاه عن التسمية مخافة الغيبة.

(٢) يقول: أرفع نفسي عن مجازاة أحد بغيبة إذا اغتابني، وإنما يفعل ذلك من لا يقدر على المواجهة، والعاقل يواجه من يسبه ويغتابه باللطف والرفق، ولا يجبن فيغتابه في غَيْبَته.

* وقال **الموفق ابن قدامة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢٠) عن **أحد علماء** زمانه ممن ابْتُلي بتتبّع عيوب الناس -وخاصة أهل العلم والصلاح-: ظننتُ أَنَّهُ يَكُون فِي الفتوى مُبرِّزًا عَلَى أَبيهِ وغيره، إِلَى أَن رأيتُ لَهُ فتاوى غيرُه فِيهَا أسدُّ جوابًا، وأكثر صوابًا، وظننتُ **أَنَّهُ ابتُلي بِذَلِكَ لمحبته تخطِئَة النَّاس، واتباعه عيوبهم، ولا يَبعُدُ أَن يُعاقِبَ اللهُ العبدَ بجنسِ ذَنبه**، وقَدْ شَغَل كثيرًا مِن زمانه بالرَّدِّ على النَّاس فِي تصانيفهم، وكشفِ مَا استتر مِن خطاياهم، ومحبة بيان سَقَطاتهم، ولا يَبلغُ العبدُ حقيقةَ الإِيمان حَتَّى يُحِب للناس ما يُحِب لنفسه، أَفتَراه يُحب لنفسه بعد موته مَن يَنتصِب لكشف سَقَطاته، وعيبِ تصانيفِه وإظهارِ أخطائه؟.

وكما لا يُحب ذَلِكَ لنفسه، ينبغي أَن لا يُحبّه لغيره، سِيَّما للأئمة المتقدِّمين، وَالْعُلَمَاء المبرزين، وَقَدْ أرانا الله تَعَالَى آيةً فِي ذهابه عَنِ الصواب فِي أشياء تظهر لمن هُوَ دونه. ذيل الطبقات (٣/ ٤٣١).

* وترجم ابن السمعاني الحافظ لأحد العلماء في كتابه، فقال: حافظ ثقة، ديِّنٌ خيِّر، مُتقن متثبت، وله حظ كامل من اللغة، ومعرفة تامة في المتون والأسانيد، كثير الصلاة، دائم التلاوة للقرآن الكريم، مواظب على صلاة الضحى، **غير أنه يحب أن يقع في الناس، ويتكلم في حقهم**.(1) ذيل الطبقات (٢/ ٥٦).

* وقال الشاعر:

وَمَا عَبَّرَ الْإِنْسَانُ عَنْ فَضْلِ نَفْسِهِ ... بِمِثْلِ اعْتِقَادِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ فَاضِلِ
وَإِنَّ أَخَسَّ النَّقْصِ أَنْ يَتَّقِيَ الْفَتَى ... قَذَى النَّقْصِ عَنْهُ بِانْتِقَاصِ الْأَفَاضِلِ

الآداب الشرعية ٢/ ٧٧.

* وقال **أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠): أرجو

---

(١) وهذه صفة قبيحة، ومثله في هذا الزمان كثير، تجد بعضهم مبرّزا في العلم، ولكنه أشغل نفسه وغيره في الكلام في الناس، والقَدح والسب واللمز، نعوذ بالله من حالهم وأخلاقهم.

أن ألقى الله ولا يحاسبني أنِّي اغتبتُ أحدًا.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن نظر في كلامه في الجرحِ والتعديل علم وَرَعه في الكلامِ في الناس، وإنصافَه فيمن يُضعِّفه، فإنه أكثر ما يقولُ: منكر الحديث، سكتُوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقلَّ أن يقول: فلانٌ كذَّاب، أو كان يضَعُ الحديث، حتى إنه قال: إذا قلتُ فلان في حديثه نظر، فهو متَّهم واهٍ، وهذا معنى قوله: لا يحاسبُني الله أني اغتبت أحدًا، وهذا هو واللهِ غايةُ الورع. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠١٥.

* وقال محمدُ بن أبي حاتم: سمعت **البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حلٍّ يا أبا معشر، فقال: من أيِّ شيء؟ قال: رويتُ يومًا حديثًا فنظرتُ إليك، وقد أعجبتَ به، وأنت تُحرِّك رأسَكَ ويدَكَ، فتبسَّمتُ من ذلك قال: أنتَ في حِلٍّ، رحمك اللهُ يا أبا عبد الله. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠١٦.

* وقال **حمدون بن أحمد القصار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧١): لا تُفش على أحدٍ ما تحبّ أن يكون مستورًا منك. صفة الصفوة ٤/ ٣٦٣.

* وجاء رجل إلى **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) فقال: يا أبا يحي ذُكر لي أنك ذكرتني بسوء، قال: أنت إذن أكرم علي من نفسي.(١) ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٧.

* وأغلظ رجل **للمهلب بن أبي صفرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢)، فسكت، فقيل له: أربا عليك، قال: لم أعرف مساوئه فكرهت أن أبهته بما ليس فيه. المنتظم ٦/٢٤٣.

* وكتب **أشهب بن عبدالعزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) إلى رجل كان يقع فيه: إنه لم يمنعني أن أكتب إليك أن تتزايد مما أنت فيه إلا كراهية أن أعينك على معصية الله،

---

(١) لأنه إذا اغتابه سُيعطيه الحسنات التي جمعها لنفسه، وأتعب زمانه في تحصيلِها، فهل يفعل هذا عاقل؟

واعلم أني أرتع في حسناتك كما ترعى الشاة الخَضِر.[١] ترتيب المدارك (١/ ٤٨٢).

* وقال **أبو سنان الأسدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٤): إذا كان طالبُ العلم قبل أنْ يتعلَّمَ مسألةً في الدين يتعلم الوقيعة في الناس، متى يُفْلح؟.

وكان لا يتكلم أحدٌ في مجلسه بغيبةٍ في أحد، فإذا تكلم بذلك نهاه وأسكته. ترتيب المدارك (٢/ ١٢٣).

* وكان بين **أحد السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبين رجل خصومة، فأسمعه الرجل ما يكرهه، فلقيه رجاء بن حيوة فقال: بلغني أنه كان منه إليك، قال له: لولا أن تكون غيبة مني لأخبرتك بالذي قال لي. تاريخ دمشق ٢٦/ ٢١٧.

* وقال أبو الحسن القابسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما خرجنا عن **أبي إسحاق الجُبْنَيَانِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩) هربت من يد صبي دابة كان يمسكها لنا، فقلت: أَعْطَوْها لصبيٍّ لا يقوم بها فضاعت، فقال لي أبو إسحاق: قد اغتبته، فقلت له: وصفته بحاله وقلَّة مقدرته، وفي السنّة ما يبيح ذلك، فقال: وأين هو؟ قلت: قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للتي شاورته في النكاح: أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، فقال لي: ليس في هذا حجة؛ لأن المستشار مؤتمن، وأيضًا: فإنما مشاورته لتُنْكح، فرأيُه يُدْخلها في النكاح أو يصرفها عنه، وليست مسألتنا كذلك.

ثم قال لي: أرأيت هذا الصبي، لو سمعك أليس كانت توجعُه نفسُه؟ وأيهما كان أحب إليك: تجد ذلك في صحيفتك أو لا تجده؟.

فقلت له: صدقت.[٢] ترتيب المدارك (٤/ ٥٤).

* وكان رجلٌ فيه حِدَّة، وكان له على الشّيخ **أبي محمد مكّيّ بن أبي طالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٣٧) تسلُّط، كان يدنو منه إذا خطب فيغمزه ويُحْصِي عليه سَقَطاته،

---

(١) يا لها من موعظة بليغة، ورسالة مؤثرة لكل من لوّث لسانه بالغيبة وأعراض الناس.

(٢) نبّه الشيخ على غيبةٍ لا يكاد يسلم منها أحد.

وكان الشّيخ كثيرا ما يتلعثم ويتوقّف، فجاء ذلك الرّجل في بعض الْجُمَع وجعل يُحِدّ النَّظر إلى الشّيخ ويغمزه، فلمّا خرج ونزل معنا في موضعه، قال: أمِّنوا على دعائي، ثمّ رفع يديه وقال: اللهمَّ اكْفِنِيه، اللهمَّ اكْفِنِيه، اللَّهُمَّ اكفنيه، فأمَّنّا، قال: فأُقْعِد ذلك الرّجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم.(١) [تاريخ الإسلام (٩/ ٥٧٠)].

* وقال الشيخ **عبدالله بن أحمد بن مشرّف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥٣).

ألا إنّ مَن أهدى إليك إساءةً ... حقيقٌ بأنْ يُجزَى بحسنى ويُكرَما

أليس الذي أهدى إليك متاعه ... تُجازيه بالإحسان منه وأعظما

فكيف بمن أعطاك مِن حَسَناته ... فقد كان أولى بالجزاء وألزما

علماء نجد (٤/ ٢٧).

ت- حفظ اللسان من النميمة(٢):

* عن **أبي الدرداء**، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: أيما رجل أشاع على رجل كلمة

---

(١) ما أكثر هذا الصنف من الناس، الذين كانوا ومازالوا من أعظم أسباب تثبيط الهمم، وفتورِ العزائم.
وانظر إلى أثر هذا الرجل على الشيخ أبي محمد مكي المقرئ شيخ الأندلس، حيث كان كثيرا ما يتلعثم ويتوقَّف بسبب كثرة انتقاده وتتبُّع سَقَطاته.

(٢) معنى النميمة: هي نقل الكلام بقصد الإفساد.
وحقيقة النميمة: إفشاء السر، وهتك الستر عما يُكره كشفه.
ومن حُملتْ إليك النميمة، **فيجب عليه تجاه النمام الناقل للكلام عدَّة أمور:**
أولًا: ألا يُصدقه، لأن النمام فاسق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الحجرات: ٦].
ثانيًا: أن يزجرَهُ عن ذلك وينصحه، ويُقَبِّحَ لَهُ فِعْله ويُشنِّع عليه عمله السيء.
ثالثًا: أن يُبغضه في الله تعالى إنْ لَمْ يَنْزَجِر.
رابعًا: ألا يظن بأخيه السوء، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢].
خامسًا: ألا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام، ولا يحكِ نميمته فيقول: قد حُكي لي كذا وكذا، فيكون به نمامًا ومغتابًا.

وهو منها بريء لِيَشِينه بها في الدنيا: كان حقا على الله أن يُذيبه بها يوم القيامة في النار. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٧١.

* وعن **علي** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) قال: الناقل الكلمة الزور، والذي يَمُد بحبلها: في الإثم سواء. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٩٩.

* وعن **كعب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: اتقوا النميمة؛ فإن صاحبها لا يستريح من عذاب القبر. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٠٥.

* وعاتب مُصْعَب بن الزبير **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢) على شيءٍ بلغه عنه، فاعتذرَ إليه الأحنفُ مِن ذلك ودَفَعه: فقال مُصعَبٌ: أَخبرني بذلك الثِّقَةُ: فقال الأحنفُ: كلاَّ أيها الأميرُ، إن الثقةَ لا يُبَلِّغُ. عيون الأخبار ٤١٧ / ٢.

* وقيل **لعطاء** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٠): الرجل يمر بالقوم فيقذفه بعضهم، أُخبره؟ قال: لا، المجالس بالأمانة. الزهد لهناد (١٢٢٢).

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٩): يفسد النمام في ساعة، ما لا يفسد الساحر في شهر. تهذيب الحِلْية ٤٥٦/ ١.

* وعن عَطَاء بن السائب قال: قَدِمت مِنْ مكة فلقيني **الشعبيُّ** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٣) فقال: يا أبا زيد أَطْرِفْنَا مما سمعتَ؛ قلتُ: سمعتُ **عبدَ الرحمن بن عبد الله بن سَابِط** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨) يقول: لا يسْكنُ مكّةَ سافِكُ دمٍ، ولا آكلُ رِبًا، ولا مَشَّاءٌ بنميم، فعجبتُ منه حين عَدَلَ النميمة بسَفْكِ الدماء وأَكْلِ الرِّبا، فقال الشعبيّ: وما يُعجِبُك من هذا! وهل تُسفَكُ الدِماءُ وتُركبُ العظَائمُ إلا بالنميمة! عيون الأخبار ٤١٧ / ٢.

* وقال **بعضهم**:

ومَـنْ يُطِـعِ الواشِـينَ لا يترُكُـوا لـه صَديقًـا وإن كانَ الحبيـبَ المقرَّبَـا

عيون الأخبار ٤١٧/ ٢.

* وقال **ذو الرياستين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٢): قبولُ السَّعايةِ شرٌّ من السّعايةِ، لأن السعايةَ دَلالةٌ والقبولَ إجازةٌ، وليس مَنْ دلّ على شيءٍ كمن قَبلَ وأجازَ، فامْقُتِ الساعِيَ على سِعَايتِهِ وإن كان صادقًا لِلُؤْمِه في هَتْكِ العورةِ وإضاعةِ الحرمةِ مُبَارزةً لله بقول البهتان والزور، وعاقبْهُ إن كان كاذبًا لجمعه بين هتْك العورة وإضاعة الحرمة. عيون الأخبار ٤٢١ / ٢.

* ووَشَى وَاشٍ برجلٍ على **الإسكندر**: فقال له: أَتُحِبُّ أن أقبلَ منك ما قُلتَ فيه على أن نَقبلَ منه ما قال فيك؟ قال: لا قال: فَكُفَّ عن الشرِّ يَكُفُّ عنك الشَّرُّ. عيون الأخبار ٤٢٢ / ٢.

* وقال **بعضهم**:

إذا الواشي نَعَى يومًا صديقًا ... فلا تدع الصديق لقول واشي

* وساوم رجل بعبد فقال مولاه: إني أبرأ إليك من النميمة، قال: نعم أنت بريء منها، قال: فاشتراه فجعل يقول لمولاه: إن امرأتك تبغي وتفعل وإنها تريد أن تقتلك، ويقول للمرأة: إن زوجك يريد أن يتزوج عليك ويتسرى عليك، فإن أردت أن أعطفه عليك فلا يتزوج عليك ولا يتسرى فخذي الموسى فاحلقي الشعر من حلقه إذا نام، وقال للزوج: إنها تريد أن تقتلك إذا نمت، قال: فذهب فتناوم لها وجاءت بالموسى لتحلق شعرة من حلقه، فأخذ بيدها فقتلها فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٠٣.

* وقال **الشاعر**:

لي حيلةٌ فيمن يَنِمّ ... وليس في الكذاب حيله
من كان يخلُق ما يقو ... ل فحيلتي فيه طويله

طبقات الشافعيين (١/ ٢١٦).

ث- ذم ذي اللسانين والحذر منه:

* عن مالك بن أسماء بن خارجة قال: كنت مع **أبي أسماء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢)، إذ جاء رجل إلى أمير من الأمراء، فأثنى عليه وأطراه، ثم جاء إلى أبي أسماء فجلس إليه في جانب الدار، فجرى حديثهما، فما برح حتى وقع فيه، فقال أسماء: سمعت **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢)، يقول: إن ذا اللسانين في الدنيا له يوم القيامة لسانان من نار. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٠٨.

* وقَالَ أُنَاسٌ **لِابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا، فَنَقُولُ لَهُمْ خِلاَفَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا». صحيح البخاري (٧١٧٨).

ج- حفظ اللسان من الكذب[1]:

* عن **أبي بكر الصديق** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) قال: إياكم والكذب؛ فإنّ الكذب مجانبُ الإيمان. الزهد لابن المبارك (٦٨٧).

* وقال **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): أحبكم إلينا ما لم نركم: أحسنكم اسما، فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا: أحسنكم خلقا، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا: أصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٨.

* وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا تجد المؤمن كذابا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٩.

* وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول في خطبته: ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ اللسان الكذوب بمنزلة العضو الذي قد تعطَّل نفعه، بل هو شرٌّ منه، فشرُّ ما في المرء لسانٌ كذوب؛ ولهذا يجعل الله سبحانه شعارَ الكاذب عليه يوم القيامة وشعارَ الكاذب على رسوله سوادَ وجوههم.
والكذبُ له تأثيرٌ عظيمٌ في سواد الوجه، ويكسوه بُرْقُعًا من المقت يراه كلُّ صادق، فسِيْما الكاذب في وجهه ينادى عليه لمن له عينان، والصادق يرزقه الله مهابة وجلالة، فمن رآه هابه وأحبَّه، والكاذب يرزقه إهانةً ومقتًا، فمن رآه مقتَه واحتقره. إعلام الموقعين: ١/ ١٢٢.

يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٩.

* وكَانَ **عبد الله بن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٢) يَقُولُ: إِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ مِنْهُ جِدٌّ وَلَا هَزْلٌ، وَلَا يَعِدُ الرَّجُلُ صَبِيًّا ثُمَّ لَا يُنْجِزُ لَهُ. مسند الإمام أحمد (٣٨٩٦)، الأدب المفرد (٣٨٧) وصححه الألباني.

* وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إن الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه، ثم يرجع وما معه منه شيء، يأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا ويقول له: إنك لذيت وذيت[1]، فيرجع وقد أسخط اللهَ عليه. الزهد لابن المبارك (٣٦٦).

* وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى ما يكون للفجور في قلبه موضع إبرة يستقر فيها، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى ما يكون للبِرِّ في قلبه موضع إبرة يستقر فيها. الزهد لهناد (١٣٦٦).

* وقال **ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص** (ت: ٦٠) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: كل الخلال يُطبع عليها المؤمن إلا الكذب والخيانة، فلا تجد المؤمن خائنًا ولا كاذبًا. الزهد لابن المبارك (٧٧٧)، الزهد لهناد (١٣٧٠).

* وعن **عائشة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: ما كان من خُلق أشد عند أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب، فما ينحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٧.

* وقال **أبو هريرة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٩): من قال لابنه هاه يريه أنه يعطيه شيئا فلم يعطه كتبت كذب. الزهد لابن المبارك (٣٥٩).

* وقال **سمرة بن جندب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٨): لأن أقول: لا، أحب إليَّ من أن أقول: نعم، ثم لا أفعل. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٩٢.

(١) أي: يمدحه بما ليس فيه، أو يبالغ في مدحه فيغتر ويُعجَب بنفسه.

* وكان يقال: إن **ربعي بن حراش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) لم يكذب كذبا قط، فأقبل ابناه من خراسان قد تأجَّلا، فجاء العريف إلى الحجاج فقال: أيها الأمير إن الناس يزعمون أن ربعي بن حراش لم يكذب قط، وقد قدم ابناه من خراسان وهما عاصيان، فقال الحجاج: علي به، فما جاء قال: أيها الشيخ! قال: ما تشاء؟ قال: ما فعل ابناك؟ قال: المستعان الله خلَّفتهما في البيت، قال: لا جرم والله لا أسوؤك فيهما، هما لك. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٩.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: يُعدّ من النفاق: اختلاف والعمل، واختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج، وأصل النفاق والذي بني عليه النفاق: الكذب. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٨.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكذب جماع النفاق. الزهد لأحمد: ٤٧١.

* وقال **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩): كل خَلَّةٍ يُرجى تركها يوما ما إلا صاحب الكذب. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٠١.

* وقال **حذيفة المرعشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٧): لأن أدع لله كذبة أحب إلي من أن أحج حجة. تهذيب الحِلْية ٦٥/ ٣.

* وكان **سمنون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٨) يتكلم في المحبة، ثم سمى نفسه الكذاب لموضع دعواه في قوله:

ليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فامتحنّي

فامتحن بحصر البول، فصار يدور في المكاتب، ويقول للصبيان، ادعوا لعمكم المبتلى بلسانه. المنتظم ١٢١/ ١٣.

* وكان يقال: لكل شيء حِلية، وحلية المنطق الصدق. المجالسة وجواهر العلم (٢٩٩).

* وقال **بعض البلغاء**: الصادق مصان جليل، والكاذب مُهانٌ ذليل.

وقال **بعض الأدباء**: لا سيف كالحق، ولا عون كالصدق.

* وقال **بعض الشعراء**:

ومـا شـيءٌ إذا فكـرت فيـه ... بأذْهـب للمـروءة والجمـال

مـن الكـذب الذي لا خير فيه ... وأبعـدَ بالبَهـاء مـن الرجـال

وقال **الشاعر**:

إذا عُرف الكذاب بالكِذب لم يكدْ ... يُصدَّق في شيء وإن كان صادقا

أدب الدين (٤١٨، ٤٢٤).

* وقال **إياس بن معاوية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢١)، إن الكذب عندي من يكذب فيما لا يضره ولا ينفعه، فأما رجل كذب كذبة يرد عن نفسه بها بليَّة، أو يجر إلى نفسه بها معروفا، فليس عندي بكذاب. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٨.

* وقال **إبراهيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦): ما كانوا يرخصون في الكذب في جِدٍّ ولا هزل. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٠٣.

* وكانت ترمص عينا **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤)، حتى بلغ الرمص خارج عينيه، فيقال له: لو مسحت هذا الرمص؟ فيقول: فأين قولي للطبيب وهو يقول لي: لا تمس عينك، فأقول لا أفعل!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢١٢.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يُخرج أحدُهما صاحبه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢١٣.

* وقال **يزيد بن ميسرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): إن الكذب يَسقي باب كل شر، كما يسقي الماء أصول الشجر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢١٤.

* وقال **ابن السماك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣): أول عقوبة الكذب من كذبه: أنه يُرد عليه صدْقُه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٠.

* وقيل **لبعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: أرأيت من يكذب الكذبة هل يسمى فاسقا؟ قال: نعم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٠.

* وعن أبي عاصم قال: سألت **ابن عون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠) فقلت: حدثني بهذا الحديث إنْ خَفَّ عليك.

قال: لا تقل إنْ خَفَّ عليك، فقلت: لمه؟ قال: أكره أن أحدثك ولا يخفّ علي فيكون خلافًا لما سألتَ. تهذيب الحِلْية ٤٤٤/ ١.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): رأس الذنوب الكذب: هو يؤسسها، وهو يتفقدها، ويثبتها.

ويتلوَّن ثلاثة ألوان: بالأمنية، والجحود، والجدل.

يبدو لصاحبه بالأمنية الكاذبة فيما يزين له من الشهوات، فيشجعه عليها بأن ذلك سيخفى.

فإذا ظهر عليه قابَله بالجحود والمكابرة.

فإن أعياه ذلك ختم بالجدل، فخاصم عن الباطل، ووضع له الحجج، والتمس به التثبت، وكابر به الحق حتى يكون مسارعًا للضلالة، ومكابرًا بالفواحش. الأدب الصغير (٣٥).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إنّ الكذاب لا يكون أخًا صادقًا؛ لأن الكذب الذي يجري على لسانه إنما هو من فُضُول كذب قلبه، وإنما سمّي الصديق من الصدق، وقد يُتّهم صدق القلب وإن صدق اللسان، فكيف إذا ظهر الكذب على اللسان؟ الأدب الكبير (١٠٠).

* وقال **بعض حكماء العرب**: إني امتحنت خصال الناس فوجدت أشرفها صدق اللسان، ومن عَدِم فضيلة الصدق من منطقه فقد فُجع بأكرم أخلاقه. المجالسة وجواهر العلم (٤٥٦).

* وسُئِل **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) عَنِ الرجل يُعرف بكذبةٍ واحدة، هل يكون فِي موضع العدالة؟ قَالَ: لا، الكذب أشد من ذلك، فقيل له: فإذا تاب عنه بعد ذلك وطال عليه الأمد؟ قَالَ: إن كان قد تاب وظهَرت منه التوبة، وعُرف منه الرجوع، الكذب شديد. طبقات الحنابلة (٢/ ١٢٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أكذب الناس: السُّؤَّال والقُصَّاص.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٣).

هـ- حفظ اللسان من المسابة والمشاتمة:

* لعن رجلٌ شيئا فخرج **ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) من البيت، فقال: إذا لُعن شيء دارت اللعنة، فإن وجدت مساغا قيل لها: اسلكيه، فإن لم تجد مساغا قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فخفت أن ترجع وأنا في البيت. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٢٨.

* وعن **كعب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: من لعن شيئا من غير ذنب لم تزل اللعنة تَردَّد بين السماء والأرض حتى تلزم تَرقُوة صاحبها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٠.

* وكان **أبو الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) مضطجعا بين أصحابه، وقد غطى وجهه، فمر عليه قِسٌّ سمين، فقالوا: اللهم العنه، ما أغلظ رقبته! فقال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من ذا الذي لعنتم آنفا؟ فأخبروه، فقال: لا تلعنوا أحدا، فإنه ما ينبغي للعان أن يكون عند الله صدِّيقا يوم القيامة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٠.

* وقيل إنَّ رجلًا خاصم **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢) قال: لئِن قلتَ واحدة، لتسمعَنَّ عشرًا، فقال: لكنَّك إن قلت عشرًا لم تسمَع واحدة. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٥٢.

---

(١) السُّؤَّال: الذين يسألون الناس المال، والقُصَّاص: الذين يقصّون على الناس الحكايات والأخبار.

* وقال بعضهم:

والقولُ يَنفُذُ ما لا تَنفُذُ الإبَرُ

* وقال بعضهم:

وجَرْحُ اللّسانِ كَجَرْحِ اليدِ

عيون الأخبار ٢/ ٤٢٠-٤٢١.

وقال الآخر:

وَقَـدْ يُرْجَـى لجُـرْحِ السَّـيْفِ بُـرْءٌ　　　وَلاَ يُرْجَـى لِمَـا جَـرَحَ اللِّسَـانُ

وقال الآخر:

جِراحـاتُ السّـيوف لهـا الْتِئـامٌ　　　ولا يَلْتـام مـا جَـرَح اللّسـان

وقال الآخر:

وجَـرْحُ السَّـيْفِ يَدْمَـى ثُـمَّ يَبْـرا　　　وجَـرْحُ الدَّهْـرِ مـا جَـرَحَ اللِّسـانُ

* وقال **أبو جعفر محمد بن علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): سلاح اللئام قبيح الكلام. صفة الصفوة ٢/ ٤٥٨.

* وقال عاصم بن أبي النّجود: ما سمعتُ **أبا وائل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) سبَّ إنسانًا قطُّ، ولا بهيمة. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٦٩.

* وكان رجل عند **أبي وائل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجعل يسبّ الحجاج ويذكر مساوئه فقال: لا تسبّه، وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي، فغفر له. الزهد لهناد (٩٣١).

* وعن **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) قال: من استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرتُه، ومن استخفَّ بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبت مُروءتُه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٩.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): قلَّ ما ذَكَرَ الشيطانَ قومٌ إلا حضرهم،

فإذا سمع أحدا يلعنه قال: لقد لعنت مُلعَّنا، ولا شيء أقطع لظهره من: لا إله إلا الله. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣١.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا يقولون: إذا قال الرجل للرجل: يا كلب، يا حمار، يا خنزير، قال الله تعالى يوم القيامة: أتراني خلقته كلبا أو حمارا أو خنزيرا؟ الزهد لهناد (١١٩٦).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): إذا كنت في جماعة قوم فلا تَعُمّن جيلًا[1] من الناس، أو أمة من الأمم بشتم ولا ذم؛ فإنك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك ولا تعلم.

ولا تذمنّ مع ذلك اسمًا من أسماء الرجال أو النساء، بأن تقول: إن هذا لقبيح من الأسماء، فإنك لا تدري لعل ذلك غير موافق لبعض جلسائك في بعض أسماء الأهلين والحَرم، ولا تستصغرنّ من هذا شيئًا، فكلُّ ذلك يجرح في القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد. الأدب الكبير (١٢٤).

ع- حفظ اللسان من السخرية:

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لو سخرتُ من كلبٍ لخشيت أن أُحوّل كلبًا. صفة الصفوة ١/ ١٩١.

* وقال **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦): إني لأرى الشيء مما يُعاب، ما يمنعني أن أتكلّم به إلا مخافة أن أُبتلى به. الزهد لوكيع (٣١٣)، الزهد لهناد (١١٩١).

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يقولون: من رمى أخاه بذنب قد تاب إلى الله جل وعز منه: لم يمت حتى يبتليه الله به. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤١٥.

* ومن الأمثال: البلاء مُوَكَّلٌ بالمنطق. مجمع الأمثال للميداني ١/ ٢٦.

---

(١) الجيل: الصنف من الناس، وأهل الزمان الواحد.

* وصدق القائل:

احفـظ لسـانك لا تقـول فتُبْتلـى ... إن البـلاء موكّـل بالمنطـق

* وقال الشاعر:

أعيرتني بالنقص والنقص شامل ... ومن ذا الذي يُعطى الكمال فيكمل

وأشـهد أني ناقـصٌ غيـر أننـي ... إذا قِيـس بـي قـوم كثيـر تقلّلـوا

تفاضَلَ هذا الخلقُ بالفضل والحِجا ... ففـي أيِّمـا هذيـن أنـت مُفَضَّـل

ولـو منـح الله الكمـال ابـن آدم ... لخلـده والله مـا شـاء يفعـل

أدب الدين (٢١٢).

و- حفظ اللسان من القول على الله بلا علم، والورعُ في الفتيا والنقلِ عن النبي ﷺ(١):

* عن ميمون بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان **أبو بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم، فإن لم يجد في الكتاب نظر: هل كانت من النبي ﷺ فيه سنة؟ فإن علِمها قضى بها، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين، فقال: أتاني كذا وكذا، فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ فلم أجد في ذلك شيئا، فهل تعلمون أن نبي الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما قام إليه الرهط فقالوا: نعم، قضى فيه بكذا وكذا، فيأخذ بقضاء رسول الله ﷺ.

وكان **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء؟ فإن وجد أبا بكر قد قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم، فإذا اجتمعوا على الأمر قضى بينهم. السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٣٦٧).

(١) قال الحافظ المزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو سكت من لا يدري لاستراح وأراح، وقل الخطأ وكثر الصواب. ا.ه تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤/ ٣٦٢).

* وعن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ﴾ [البقرة:٢٦٦]؟ قَالُوا: الله أَعْلَمُ، فَغَضِبَ وَقَالَ: «قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ».[1] صحيح البخاري (٤٥٣٨).

* وسئل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) عن مسألة فقال: لا علم لي بها، فلما أدبر الرجل قال لنفسه: نِعْم ما قال ابن عمر، سُئل عما لا يعلم فقال: لا علم لي به. مسند الدارمي (١٨٥).

* وعن نافع أن رجلًا سأل عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مسألة فطأطأ رأسه، ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته، فقال له: يرحمك الله أما سمعت مسألتي؟ قال: بلى، ولكنكم كأنكم ترون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اترُكنا رحمك الله حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا، وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به. صفة الصفوة ١/ ٢٦٨.

* وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن شيء فقال: لا أدري، ثم قال: أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسورا في جهنم، أن تقولوا: أفتانا بهذا ابن عمر؟. الزهد لابن المبارك (٤٤).

* وعن عبيد بن جريج قال: كنت أجلس بمكة إلى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فما يقول فيما يُسأل: «لا علم لي»، أكثر مما يُفتي به. مسند الدارمي (١٥٧).

* وعن جابر بن زيد أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لقيه في الطواف فقال له: يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة، فلا تُفْت إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت. مسند الدارمي (١٦٦).

---

(١) وذلك لأنَّ المسؤول عندما يُجيب بلا أعلم، يُجيب بجوابٍ واضحٍ قاطع، وهو دليلٌ على صدقه وتواضعه، وأما الإجابةُ بـ (الله أعلم) فليست إجابة قاطعة؛ لأن الله يعلم جميع الأشياء، ومن يُجيب بذلك قد يكون لشعوره بالحرج بأنه لا يعلم، وقد تكون المسألة التي سُئل عنها يسيرةً سهلة، فمن التواضع والتجرُّدِ أنْ يُجيب المسلم بـ (لا أعلم) حين لا يعلم.

* وقال **عَبْدُ اللهِ بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ، مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص:٨٦]. صحيح البخاري (٤٧٧٤)، صحيح مسلم (٢٧٩٨).

* وسئل عن شيء فقال: إني لأكره أن أحل لك شيئا حرمه الله عليك، أو أحرم ما أحله الله لك. مسند الدارمي (١٤٨).

* وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الذي يُفتي الناس في كل ما يُستفتى لمجنون. مسند الدارمي (١٧٦).

* وصح عن **ابن مسعود وابن عباس** (ت: ٦٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما قالا: من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه فهو مجنون. أعلام الموقعين ١/ ٥١٦.

* وعن عمرو بن ميمون رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنت لا تفوتني عشية خميس إلا وآتي فيها **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فما سمعته يقول لشيء قط: قال رسول الله، حتى كانت ذات عشية فقال: قال رسول الله ﷺ، قال: فاغرورقت عيناه وانتفخت أوداجه، فأنا رأيته محلولةً أزرارُه، وقال: أو مثله، أو نحوه، أو شبيهٌ به. مسند الدارمي (٢٧٨).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ، ثم ارتعد، ثم قال: نحو ذلك. مسند الدارمي (٢٨٩).

* وكان **أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قليل الحديث عن رسول الله ﷺ، وكان إذا حدث عن رسول الله ﷺ قال: أو كما قال رسول الله ﷺ. مسند الدارمي (٢٨٤).

* وسُئل **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) عن حديث، فقيل له: إنه يُرفع إلى النبي ﷺ.

فقال: لا، على من دون النبي ﷺ أحب إلينا، فإن كان فيه زيادة أو نقصان كان على من دون النبي ﷺ. مسند الدارمي (٢٧٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أدري» نِصفُ العلم. مسند الدارمي (١٨٦).[١].

* وعن عمر بن أبي زائدة قال: ما رأيت أحدا أكثر أن يقول إذا سئل عن شيء «لا علم لي به» من **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ. مسند الدارمي (١٣٤).

* وقيل **للشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيف كنتم تصنعون إذا سئلتم؟ قال: كان إذا سئل الرجل قال لصاحبه: أفْتهم، فلا يزال حتى يرجع إلى الأول.[٢] مسند الدارمي (١٣٨).

* وعن ابن أبي ليلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أدركت عشرين ومائة من **أصحاب** النبي ﷺ، فما كان منهم محدّث إلا ودّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مُفْتٍ إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا.[٣] الزهد لابن المبارك (٥١)، مسند الدارمي (١٣٧).

* وقال **محمد بن عجلان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): إذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (١٦٦)، وصححه ابن حجر. موافقة الخُبر الخَبر (١/ ٢٣).

* وقال **بعض الحكماء**: لا تقل فيما لا تعلم؛ فتُتَّهم فيما تعلم. المجالسة وجواهر العلم (٣٠١).

---

(١) وذكر هذا الأثر ابن عبد البرّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونسبه لأبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصحّحه. الانتقاء في فضائل الثلاثة (٣٨).

ولم أجده مرويًّا عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فأين هذا ممن يُبادر إلى الإفتاء، ويجد في نفسه غضاضة إذا استُفتي غيره وهو حاضر، ويأنف أن يُحيل السائل إلى من هو أعلم منه.

(٣) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتى. أعلام الموقعين ١/ ٣٨.

* وكان **ابن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) إذا سُئِل عن الحَلالِ والحَرام، تغيَّر لونُه حتى تقول: كأنَّه ليس بالذي كان. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٦٩.

* وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يفتي في الفرج بشيء فيه اختلاف. مسند الدارمي (١٥٤).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن يموت الرجل جاهلا خير له من أن يقول ما لا يعلم. أعلام الموقعين ١/ ٥١٦.

* وقال **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): لأن يعيش الرجل جاهلا بعد أن يعلم حق الله عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم.

إنا والله ما نعلم كل ما تسألون عنه، ولو علمنا ما كتمناكم، ولا حل لنا أن نكتمكم. مسند الدارمي (١١٢-١١٣).

* وقيل **للقاسم بن عبيد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ: إنه قبيح على مثلك عظيم أن تُسأل عن شيء من أمر هذا الدين، فلا يوجد عندك منه علم ولا مخرج.

فقال: أعظم من ذلك -والله- عند الله وعند من عقل عن الله: أن أقول بغير علم، أو أُخبر عن غير ثقة. مقدمة صحيح مسلم.

* وعن **ابن المنكدر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: إن العالم يدخل فيما بين الله وبين عباده، فليطلب لنفسه المخرج. مسند الدارمي (١٣٩).

* وقال بعضهم:

رأيتُ اللسانَ على أهله ... إذا ساسه الجهلُ لَيْثًا مُغِيرَا

عيون الأخبار ٣٨٠/ ١.

* وقال **عبد الله بن يزيد بن هُرْمُز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٨): ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول: «لا أدري»، حتى يكونَ ذلك أصلًا يَفْزَعُونَ إليه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٢٩.

* وعن مروان بن محمد قال: سمعت **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٩٨)،

وسأله رجل عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال له: يا أبا محمد إنها قد كانت، فقال له سفيان، فإذا قد كان: قد كانت، وأنا لا أدري فايش يعمل. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٤٠.

* وقال **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠): ليتّق أحدكم أن يقول أحلّ الله كذا وحرّم كذا، فيقول الله: كذبت لم أحل كذا ولم أحرّم كذا. جامع العلوم والحكم / ٣٧٥.

* وسُئل **سُحنون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠): أيَسعُ العالِمَ أن يقول: لا أدري فيما يدري؟ قال: أمَّا ما فيه كتابٌ أو سنةٌ ثابتة فلا، وأما ما كان من هذا الرأي، فإنَّه يَسعُهُ ذلك، لأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطِئ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٨٢.

* وقال **مسروق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣): لأن أفتي يومًا بعَدلٍ وحقٍّ، أحبُّ إليَّ مِن أن أغزُوَ سنة. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٤٥.

* وعن حَنظلة بن أبي سفيان قال: ما رأيتُ عالمًا قطُّ يقول: لا أدري أكثرَ مِن **طاووس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦). تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٧٨.

* وقال **الأشعث**: كان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) إذا سئل عن شيءٍ من الفقه، الحلال والحرام، تغيّر لونه، وتبدّل حتى كأنه ليس بالذي كان.(١) صفة

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَنْبَغِي لِلْمُفْتِي الْمُوَفَّقِ إذَا نَزَلَتْ بِهِ الْمَسْأَلَةُ أَنْ يَنْبَعِثَ مِنْ قَلْبِهِ الِافْتِقَارُ الْحَقِيقِيُّ الْحَالِيُّ لَا الْعِلْمِيُّ الْمُجَرَّدُ إلَى مُلْهِمِ الصَّوَابِ، وَمُعَلِّمِ الْخَيْرِ، وَهَادِي الْقُلُوبِ، أَنْ يُلْهِمَهُ الصَّوَابَ، وَيَفْتَحَ لَهُ طَرِيقَ السَّدَادِ، وَيَدُلَّهُ عَلَى حُكْمِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَمَتَى قَرَعَ هَذَا الْبَابَ فَقَدْ قَرَعَ بَابَ التَّوْفِيقِ، وَمَا أَجْدَرَ مَنْ أَمَّلَ فَضْلَ رَبِّهِ أَنْ لَا يَحْرِمَهُ إيَّاهُ، فَإِذَا وَجَدَ مِنْ قَلْبِهِ هَذِهِ الْهِمَّةَ فَهِيَ طَلَائِعُ بُشْرَى التَّوْفِيقِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُوَجِّهَ وَجْهَهُ وَيُحَدِّقَ نَظَرَهُ إلَى مَنْبَعِ الْهُدَى وَمَعْدِنِ الصَّوَابِ وَمَطْلَعِ الرُّشْدِ، وَهُوَ النُّصُوصُ مِنْ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ الصَّحَابَةِ، فَيَسْتَفْرِغُ وُسْعَهُ فِي تَعَرُّفِ حُكْمِ تِلْكَ النَّازِلَةِ مِنْهَا، فَإِنْ ظَفِرَ بِذَلِكَ أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ بَادَرَ إلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورُ اللهِ يَقْذِفُهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، وَالْهَوَى وَالْمَعْصِيَةُ رِيَاحٌ عَاصِفَةٌ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ أَوْ تَكَادُ، وَلَا بُدَّ أَنْ تُضْعِفَهُ.
وَشَهِدْت شَيْخَ الْإِسْلَامِ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ إذَا أَعْيَتْهُ الْمَسَائِلُ وَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ فَرَّ مِنْهَا إلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِاَللهِ وَاللَّجَأِ إلَيْهِ، وَاسْتِنْزَالِ الصَّوَابِ مِنْ عِنْدِهِ، وَالِاسْتِفْتَاحِ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ، فَقَلَّمَا يَلْبَثُ الْمَدَدُ الْإِلَهِيُّ أَنْ يَتَتَابَعَ عَلَيْهِ مَدًّا، وَتَزْدَلِفُ الْفُتُوحَاتُ الْإِلَهِيَّةُ إلَيْهِ بِأَيَّتِهِنَّ=

الصفوة ٣/ ١٧٢.

* وعن زبيد اليامي قال: ما سألت **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) عن شيء إلا عرفت الكراهية في وجهه، يقول: أرجو أن تكون وعسى. مسند الدارمي (١٣٣).

* وقال الأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما سمعت **إبراهيم النخعي** يقول قطّ: حلال ولا حرام، إنما كان يقول: كانوا يتكرهون، وكانوا يستحبون. مسند الدارمي (١٩٠).

* وقال **بعضهم**:

إذا ما علِمْتَ الشَّيءَ جَزْمًا فقلْ بهِ ... ولا تَقلِ الشَّيءَ الذي أنْتَ جاهلُهْ

فمنْ كانَ يَهْوى أنْ يُرى مُتَصَدِّرًا ... ويَكْرهُ (لا أدْري) أُصِيبَتْ مَقاتِلُهْ

* وعن ابن مهدي قال: سأل رجل **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) عن مسألة، فقال: لا أحسِنها، فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعتَ إلى مكانك وموضعك فأخبرْهم أني قلتُ لك: لا أحسِنها. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٤.

* وعن ابن وهب قال: لو شئت أن أملأ ألواحي من قول **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا أدري، فعلت. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٥٦.

* وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيت رجلًا جاء إلى **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسأله عن شيء أيامًا ما يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج قال: فأطرق طويلًا ثم رفع رأسه وقال: ما شاء الله يا هذا! إني إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير، وليس أحسن مسألتك هذه. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٥٦.

= يَبْدَأُ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ وُفِّقَ هَذَا الافْتِقَارَ عِلْمًا وَحَالًا، وَسَارَ قَلْبُهُ فِي مَيَادِينِهِ بِحَقِيقَةٍ وَقَصْدٍ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ، وَمَنْ حُرِمَهُ فَقَدْ مُنِعَ الطَّرِيقَ وَالرَّفِيقَ، فَمَتَى أُعِينَ مَعَ هَذَا الافْتِقَارِ بِبَذْلِ الْجُهْدِ فِي دَرْكِ الْحَقِّ فَقَدْ سَلَكَ بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. أعلام الموقعين ٢/ ٤٩٧.

* وقال ابن وهب: سمعت **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أدركت علماءنا يقول أحدهم إذا سئل: أكره هذا، ولا أحبه، ولا يقول حلال ولا حرام. جامع العلوم والحكم / ٣٧٥.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت أحدا أقتدي به يقول في شيء: هذا حلال وهذا حرام، وما كانوا يجترئون على ذلك، وإنما كانوا يقولون نكره كذا، ونرى هذا حسنا، فينبغي هذا، ولا نرى هذا، ولا يقولون حلال ولا حرام، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يونس:٥٩] الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله. أعلام الموقعين ١/ ٤٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العجلة في الفتوى نوع من الجهل والخرق» قال: وكان يقال: «التأني من الله والعجلة من الشيطان. أعلام الموقعين ١/ ٥١٦.

* وقَالَ أَبُو مُصْعَبٍ: «قَالَ لَنَا المغيرة: تعالوا نجتمع ونستذكر كل ما بقي علينا ما نُرِيدُ أَنْ نَسْأَلَ عَنْهُ مَالِكًا.

فَمَكَثْنَا نَجْمَعُ ذَلِكَ، وَكَتَبْنَاهُ فِي قُنْدَاقٍ[1] وَوَجَّهَ بِهِ الْمُغِيرَةُ إِلَيْهِ، وَسَأَلَهُ الْجَوَابَ، فَأَجَابَهُ فِي بَعْضِهِ وَكَتَبَ فِي الْكَثِيرِ مِنْهُ: لَا أَدْرِي.

فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: يَا قَوْمِ! لَا وَاللهِ مَا رَفَعَ اللهُ هَذَا الرَّجُلَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُسْأَلُ عَنْ هَذَا فَيَرْضَى أَنْ يَقُولَ: لَا أَدْرِي؟ ».

وَالرِّوَايَاتُ عَنْهُ فِي لَا أَدْرِي وَ«لَا أُحْسِنُ»: كَثِيرَةٌ؛ حَتَّى قِيلَ: لَوْ شَاءَ رَجُلٌ أَنْ يَمْلَأَ صَحِيفَتَهُ مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ «لَا أَدْرِي» لَفَعَلَ قَبْلَ أَنْ يُجِيبَ فِي مَسْأَلَةٍ.

---

(١) بضم القاف: صحيفة الحساب.

* وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرةً عن نيِّفٍ وعشرين مسألةً فما أجابَ منها إلا في واحدة!.

* وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ قَالَ لِلسَّائِلِ: «انْصَرِفْ حَتَّى أَنْظُرَ فِيهَا»، فَيَنْصَرِفُ وَيُرَدِّدُ فِيهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَبَكَى وَقَالَ: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ لِي مِنَ الْمَسَائِلِ يَوْمٌ، وَأَيُّ يَوْمٍ؟».

* وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا شَيْءٌ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْقَطْعُ فِي حُكْمِ اللهِ، وَلَقَدْ أَدْرَكْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ بِبَلَدِنَا وَإِنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ كَأَنَّ الْمَوْتَ أَشْرَفَ عَلَيْهِ.

وَرَأَيْتُ أَهْلَ زَمَانِنَا هَذَا يَشْتَهُونَ الْكَلَامَ فِيهِ وَالْفُتْيَا، وَلَوْ وَقَفُوا عَلَى مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ غَدًا لَقَلَّلُوا مِنْ هَذَا، وَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَعَلِيًّا وَعَامَّةَ خِيَارِ الصَّحَابَةِ كَانَتْ تَرِدُ عَلَيْهِمُ الْمَسَائِلُ وَهُمْ خَيْرُ الْقَرْنِ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانُوا يَجْمَعُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَسْأَلُونَ، ثُمَّ حِينَئِذٍ يُفْتُونَ فِيهَا، وَأَهْلُ زَمَانِنَا هَذَا قَدْ صَارَ فَخْرُهُمُ الْفُتْيَا؛ فَبِقَدْرِ ذَلِكَ يُفْتَحُ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ». الموافقات للشاطبي ٥/ ٣٢٨، ترتيب المدارك للقاضي عياض ١/ ١٨٣.

* وقال الإمام **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) في إحدى المسائل الفقهية: «هَذَا مِمَّا أَسْتَخِيرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ»!.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ راوي كتاب الأم عن الشافعي: وَقَد اسْتَخَارَ اللهَ تَعَالَى فِيهِ.[1] الأم للشافعي: ٥/ ٢٤١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس لأحد أبدًا أن يقول في شيء حلَّ ولا حرُم إلا من جهة العلم. وجهةُ العلم الخبرُ: في الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس.[2] ا.هـ

---

(١) وقد توقف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الأم في إحدى عشرة مسألة ويقول فيها: أَسْتَخِيرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِيها!

(٢) تأمل كيف يتورّع هؤلاء الأئمة عن القول على الله بلا علم، وعن تحريم ما ليس فيه نصّ صريح.
وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في قوله تعالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا=

الرسالة للشافعي: ٧٦.

* وقال **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): أما الحديث فقد استرحنا منه، وأما المسائل فقد عزمتُ إن سألني أحد عَنْ شيء أن لا أجيبه. طبقات الحنابلة (١/ ١٣٩).

* وقال أبو طالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألتُ **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ الخُفَّاش يكون فِي المسجد يبول فيصيب الرجل، فقال: أرجو أن لا يضره.

قلتُ: إن كان كثيرًا نجسٌ؟.

قَالَ: **ما أدري**.

قلت: أليس البول قليله وكثيره يُغسل؟ قَالَ: ذاك بول الإنسان.

قلت: هذا لا يؤكل لحمه يُغسل؟.

= حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل:١١٦]: فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ بِالْوَعِيدِ عَلَى الْكَذِبِ عَلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِ، وَقَوْلِهِمْ لِمَا لَمْ يُحَرِّمْهُ: هَذَا حَرَامٌ، وَلِمَا لَمْ يَحِلَّهُ: هَذَا حَلَالٌ، وَهَذَا بَيَانٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَقُولَ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ إِلَّا بِمَا عَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَحَلَّهُ وَحَرَّمَهُ. ا.هـ أعلام الموقعين: ١/ ٤٢-٤٣.

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وأمّا الْمُتقدِّمون من السلف، فإنَّهم لم يكن من شأنهم فيما لا نص فيه صريحًا، أنْ يقولوا هذا حلال وهذا حرام، ويتحامون هذه العبارة، خوفًا مما في الآية من قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾. ا.ه الاعتصام: ٣٣٣.

وتأمل كيف يتورع سلفنا الصالح عن الجزم بصواب آرائهم واجتهاداتهم المبنيّة على الظن.

والشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كرر في كتابه الرسالة قول: «إن شاء الله»، «والله أعلم»: ستّا وثمانين مرة في المسائل والآراء التي يرجح فيها.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المستدرك والفتاوى توقف في ست عشرة مسألة.

والعلامة محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشرح الممتع توقف في: أكثر من خمس عشرة مسألة.

ثم تجد بعض طلاب العلم وغيرهم من المتجرئين في الفتوى: لا يتردد في أيّ مسألةٍ!

وربما جاء بالأغاليط والأقوال الغريبة والشاذة!

قَالَ: إن كان كثيرًا يُغسل.[١] طبقات الحنابلة (١/ ٨٣).

* وسأله رجل فقال له: سَلْ مَن يَعلم، سَلْ من يعلم. طبقات الحنابلة (١/ ٤٢٤).

* وقال الشيخ عطية سالم عن شيخه العلامة **محمد الأمين الشنقيطي** (ت: ١٣٩٣) رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: ومما لُوحظ عليه في سنواته الأخيرة تباعده عن الفتيا، وإذا اضطر يقول: لا أتحمل في ذمتي شيئًا، العلماء يقولون: كذا وكذا.

وسألته مرة عن ذلك، فقال: إن الإنسان في عافية ما لم يبتل والسؤال ابتلاء؛ لأنك تقول عن الله ولا تدري أتصيب حكم الله أم لا، فما لم يكن عليه نص قاطع من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وجب التحفظ فيه.

ويتمثل بقول الشاعر:

إذا ما قتلت الشيء علما فقل به ... ولا تقل الشيء الذي أنت جاهله

فمن كان يهوى أن يرى متصدرا ... ويكره لا أدري أصيبت مقاتله

ا.هـ

أضواء البيان (٩/ ٥٠٤).

ي- حفظ اللسان من التكلم فيما لا يعني:

* دُخل على **أبي دجانة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ١١) وهو مريض، ووجهه يتهلّل، فقال: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنين: لم أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليما. ابن أبي الدنيا ٧/ ٨٧.

* وقال رجل **للأحنف** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٢) وأراد عيبَه: بم سدّت قومك؟ قال: بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك. عيون الأخبار ٢٥٨ / ١.

(١) تورّع الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ عن الجزم بأن بول ما لا يُؤكل لحمه نجس، بل اكتفى بالأمر بغسله، وكان رَحِمَهُٱللَّهُ لا يكاد يقول عن شيء بأنه حرام أو واجب أو نجس ونحو ذلك إلا إذا ورد به النصّ.

* وقال **عبد الله بن أبي زكريا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧): عالجت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة قبل أن أقدر منه على ما أريد.

وكان لا يدع أحدًا يغتاب في مجلسه أحدًا، يقول: إن ذكرتم الله أعنّاكم، وإن ذكرتم الناس تركناكم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٠، المنتظم ١٨١/ ٧.

* وروي أن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال **لرجل**: ما بقي من حلمك؟ قال: لا يعنيني ما لا يعنيني. ابن أبي الدنيا ٧/ ٨٩.

* وقال **بعض الحكماء**: بترك ما لا يعنيك تدرك ما يعْنيك. أدب الدين (٩٤).

* وقال **بعض السلف**: من تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه.[1] الزهد للبيهقي (٢٨٦).

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): تكلمتَ فيما لا يعنيك فشغلك عما يعنيك، ولو شغلك ما يعنيك تركت ما لا يعنيك. تهذيب الحِلْية ٢٧/ ٣.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): لا يَصلح الرجل حتى يترك ما لا يعنيه، فإذا كان كذلك أوشكَ أن يفتح الله في قلبه. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وقال **معروف الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): كلام العبد فيما لا يعنيه، خذلان من الله تعالى. تهذيب الحِلْية ١٠٢/ ٣.

* وقال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧): كنا نسأل محمد بن عبد الباقي عن مولده، فقال: أقبلوا على شأنكم، فإني سألت القاضي أبا المظفر هناد بن إبراهيم النسفي عن سنه، فقال: أقبل على شانك، فإني سألت أبا الفضل محمد بن أحمد الجارودي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا بكر محمد بن علي بن زحر المنقري عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا أيوب

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمن تكلّف ما لا يعنيه من الحديث في الناس والقدح في الآخرين -لاسيما أهل الخير والعلم- ضيّع ما يعنيه من صلاح نفسه ومعرفة عيُوبها.

الهاشمي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت البويطي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، ثم قال لي: ليس من المروءة أن يخبر الرجل عن سنه. المنتظم ١٣/ ١٨.

* وقال **بعض السلف**: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه. تهذيب الحِلْية ٣/٤٥٣.

ل- كلام السلف في تفضيل السكوت على الكلام أحيانًا، والعكس:

* وعن **عبيد الله بن أبي جعفر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٦) قال: إذا كان المرءُ يحدث في مجلس فأعجبه الحديث، فليمسك، وإذا كان ساكتًا، فأعجبه السكوتُ فليتحدَّث.[1] تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٢٥، ابن أبي الدنيا ٧/ ٨٠.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٢٧): إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلَّم. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٨٦.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): الصبر هو الصمت، والصمت من الصبر، ولا يكون المتكلم أورع من الصامت، إلا رجل عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه. تهذيب الحِلْية ٣/ ٩٢.

* وسأل **ابنُ دقيق العيد** الشافعيُّ (ت: ٧٠٢) ابنَ المنيِّر المالكيّ (ت: ٦٨٣) رَحِمَهُمَا اللَّهُ يوما عن الحجّة في كون عمل أهل المدينة حجّة؟ فقال: وهل يتّجه غير

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا حسن، فإن من كان كذلك كان سكوته وحديثه لمخالفة هواه وإعجابه بنفسه، ومن كان كذلك كان جديرًا بتوفيق الله إياه وتسديده في نطقه وسكوته، لأن كلامه وسكوته يكون لله عَزَّوَجَلَّ.
وبكلّ حال فالتزام الصمت مطلقًا واعتقاده قربة إما مطلقًا أو في بعض العبادات، كالحج والاعتكاف والصيام منهيّ عنه. جامع العلوم والحكم / ١٧٨

هذا! وذكر كلاما طويلا، فلم يتكلم ابنُ دقيق العيد معه، فلمّا خرج سُئل عن ترك الكلام معه، فقال: رأيت رجلًا لا يُنْتَصَف منه[(١)] إلا بالإساءة إليه.[(٢)] طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٩١).

م - حفظ اللسان من التقعر بالكلام[(٣)]:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إن شقاشق الكلام من شقاشق

---

(١) يُقال: انتصف منه: إذا استوفى حقه منه كاملًا، حتى صار كلٌّ على النّصف سواء. تاج العروس (٢٤/ ٤١٤)

(٢) يا لها من حكمة تزن جبال الذهب، فمن الحِكمة إذا جرى جدال بينك وبين أحد فيه حدّة وانتصار لقوله، وتهجَّمَ عليك تصريحا أو تلميحا؛ ألا تتمادى في الجِدال؛ لأنك لن تتغلب عليه إلا بالإساءة، بزجره على حدّته، أو على تسفيهه لك أو لحجحك، أو على بذاءته وسوء خلقه في جداله.

(٣) قال الجاحظ: كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميًا، ولا ساقطًا سوقيًا؛ فكذلك لا ينبغي أن يكون وحشيًا، إلا أن يكون المتكلم به بدويًا أعرابيًا؛ فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي.
وقال أيضا: أفضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه ظاهرًا في لفظه، وكان الله قد ألبسه من ثياب الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا، واللفظ بليغًا، صحيح الطبع، بعيدًا من الاستكراه، منزهًا عن الاختلال، مصونًا عن التكلف: صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة: كساها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة. البيان والتبيين: ١/ ٥٩، ٦١ دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى.
وقال ابن رشيق: الوحشي من الكلام: ما نفر عنه السمع، والمتكلف: ما بعد عن الطبع، والركيك: ما ضعفت بنيته، وقلت فائدته، واشتقاقه من الركة، وهي المطر الضعيف، وقيل: من الرك، وهو الماء القليل على وجه الأرض.
وإذا كانت اللفظة خشنة مستغربة: لا يعلمها إلا العالم المبرز، والأعرابي القح؛ فتلك وحشية، وكذلك إن وقعت غير موقعها، وأتى بها مع ما ينافرها، ولا يلائم شكلها. (العمدة) مكتبة الناشر بالقاهرة، الطبعة الأولى ١/ ٤٢).
وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: البلاغة ليست على معانٍ مفردة، ولا ألفاظًا عارية، وإنما البلاغة أن تكون المعاني الصحيحة مستودعةً في ألفاظ فصيحة.
فتكون فصاحة الألفاظ مع صحة المعاني هي البلاغة. أدب الدين والدنيا (٤٥١).

الشيطان. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣١٣.

* وقال الأصمعي: كنت إذا سمعت **أبا عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٤) يتكلم، ظننته لا يعرف شيئا، كان يتكلم كلاما سهلا. السِّيَر ١١/ ٤٩٧.

* وقال **إبراهيم بن المهدي** (ت: ٢٢٤) لعبد الله بن صاعد كاتبه رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: إياك وتتبع الوحشي من الكلام طمعًا في نيل البلاغة؛ فإن ذلك هو العي الأكبر، عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السُّفَّل. العمدة لابن رُشيق ١/ ٢٠٢.

ز- مَن تجوز غيبته[١]:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): ليس لفاجر حرمة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨٠.

* وكان رجل قد خرج مع يزيد بن المهلب فكان **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) إذا ذكره هرَّته.[٢] ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨٠.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ثلاثة لا غيبة لهم: الإمام الخائن، وصاحب الهوى الذي يدعو إلى هواه، والفاسق المعلن فسقه. الزهد لأحمد: ٤٨٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس بينك وبين الفاسق حرمة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس لمبتدع غيبة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا ظهر فجوره فلا غيبة له، نحو المخنث، ونحو الحرورية. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٥٤.

---

(١) وقد جمع محمد بن عوجان المواضع التي تباح فيها الغيبة ببيتين، فقال:

القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومعرف ومحذر

ولمظهر فسقًا ومستفت ومن ... طلب الإعانة في إزالة منكر

انظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ١/ ١

(٢) أي: طعن فِيهِ.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ١٠٠): ثلاثة ليس لهم غيبة: الظالم، والفاسق، وصاحب البدعة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧٧.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا لا يرونها غيبة ما لم يُسمَّ صاحبها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧٧.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاث كانوا لا يُعدونَهنَّ من الغيبة: الإمام الجائر، والمبتدع، والفاسق المجاهر بفسقه. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٥١.

* وكان **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) لا يرى غيبةً للمبتدع. مسند الدارمي (٤٠٨).

ط- حفظ اللسان من إخلاف الوعد:

* لما حضرت **عبد الله بن عمرو** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) الوفاةُ قال: إنه كان خطب إلي ابنتي رجلٌ من قريش، وقد كان مني إليه شبيهٌ بالوعد، فو الله لا ألقى الله بثلث النفاق، اشهدوا أني قد زوجتها إياه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٦٩.

* وكان أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقولون: إذا وعَد **ابن مسعود** (ت: ٣٢) فقال: إن شاء الله: لم يخلف. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٧٢.

* وعن عبد ربه القصاب قال: واعدت **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) أن أشتري له أضاحيَّ فنسيت وعده بشغلٍ، ثم ذكرت بعدُ فأتيته قريبا من نصف النهار، وإذا محمد ينتظرني، فسلمت عليه، فرفع رأسه، فقلت: شُغِلتُ! - وكان قد عنفني أصحابي في المجيء إليك وقالوا: قد ذهب ولم يقعد إلى الساعة- فقال: لو لم تجيء حتى تغرب الشمس ما قمت من مقعدي هذا إلا للصلاة أو حاجة لابد منها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٧٠.

* وكان **يقال**: إذا سُئلت فلا تَعِد، وقل: أسمع ما تقول، فإن يُقدَّر شيءٌ يكن. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٧١.

* وعن شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما واعدت **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) موعدا قط إلا قال لي حين يريد أن يفارقني: ليس بيني وبينك موعد، فإذا جئتُ وجدتُه قد سبقني. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٧٢.

* وقَالَ **الناظم**:

مَـنْ قَــالَ لا فِــي حَاجَــةٍ　　مَطْلُوبَــةٍ فَمَــا ظَلَــمْ
وَإِنَّمَــا الظَّالِــمُ مَــنْ　　قَــالَ لا بَعْــدَ نَـعَــمْ

الآداب الشرعية ٢/ ١٢٤.

ن- حفظ اللسان من الفظاظة والحدّة:

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): من لانت كلمته وجبت محبته. الكامل في اللغة / ٩٧.

* وقال **بعض السلف**: ما تكلم الناس بكلمة شديدة إلا وإلى جنبها كلمة هي ألين منها تجزئ مجزأتها. مكارم الأخلاق للخرائطي (١٤٩).

* وقال **أَبُو الْعَالِيَةِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قوله تعالى في الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]: أي: قُولُوا لَهُمُ الطَّيِّبَ مِنَ الْقَوْلِ، وَجَازُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَا تُحِبُّونَ أَنْ تُجَازَوْا بِهِ. (١) تفسير القرطبي (٢/ ٢٣٣).

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): **مكتوب في الحكمة**: ليكن وجهك منبسطا، وكلمتك لينة: تكن أحب إلى الناس من الذي يعطيهم العطاء.

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذَا كُلُّهُ حَضٌّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فينبغي للإنسان أن يكون قول لِلنَّاسِ لَيِّنًا، وَوَجْهُهُ مُنْبَسِطًا طَلْقًا، مَعَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالسُّنِّيِّ وَالْمُبْتَدِعِ، مِنْ غَيْرِ مُدَاهَنَةٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَهُ بِكَلَامٍ يَظُنُّ أَنَّهُ يُرْضِي مَذْهَبَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٤]، فَالْقَائِلُ لَيْسَ بِأَفْضَلَ مِنْ مُوسَى وَهَارُونَ، وَالْفَاجِرُ لَيْسَ بِأَخْبَثَ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَقَدْ أَمَرَهُمَا اللهُ تَعَالَى بِاللِّينِ مَعَهُ. تفسير القرطبي (٢/ ٢٣٣).

* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

لا خَيْـلَ عِنـدَكَ تُهْديهَـا وَلا مـالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ[1]

ديوان المتنبي (١٩٢).

* وقال **بعض الحكماء**: الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوانح. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٧.

ش- حفظ اللسان من السؤال عما لم يقع:

* جاء رجل يوما إلى **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣)، فسأله عن شيء لا أدري ما هو، فقال له: ابن عمر: لا تسأل عما لم يكن، فإني سمعت **عمر بن الخطاب** رضوان الله عليه (ت: ٢٣) يلعن من سأل عما لم يكن. مسند الدارمي (١٢٣).

* وقال **عمر** رضوان الله عليه على المنبر: أُحرّج بالله على رجل سأل عما لم يكن، فإن الله قد بيّن ما هو كائن. مسند الدارمي (١٢٦).

* وعن مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنت أمشي مع **أبيّ بن كعب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٠) فقال فتى: ما تقول يا عماه كذا وكذا؟ قال: يا ابن أخي، أكان هذا؟ قال: لا، قال: فأعفنا حتى يكون. مسند الدارمي (١٥٢).

* وقال الصلت بن راشد: سألت **طاووسا** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) عن مسألة فقال لي: كان هذا؟، قلت: نعم، قال: آلله، قلت آلله.

ثم قال: إن أصحابنا أخبرونا عن **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) أنه قال: يا أيها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله، فيُذهب بكم هاهنا وهاهنا، فإنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سُئل سُدّد، وإذا قال وُفق. مسند الدارمي (١٥٥).

---

(١) يقول لنفسه: ليس عندك خيل ولا غيرها من الأموال تهديها للذي تحبّ، مكافأة على إحسانه، فأنت قادر على مدحه، فساعده بالقول الجميل، إن لم يساعدك الحال على الأجر الجزيل..

* وسُئل **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) عن رجل أدركه رمضانان، فقال: أكان أو لم يكن؟ قال: لم يكن بعد، قال: اترك بليّته حتى تنزل. مسند الدارمي (١٥٦).

ك- فوائد أخرى:

* عن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ما في المؤمن بضعة أحب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من لسانه، به يدخله الجنة، وما في الكافر بضعة أبغض إلى الله عَزَّوَجَلَّ من لسانه، به يدخله النار. تهذيب الحِلْية ١٧٦/ ١.

* وعن **سلمان الفارسي** (ت: ٣٣) قال: أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلامًا في معصية الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١٦٣/ ١.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠): ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظًا للسانه منه لموضع قدميه. تهذيب الحِلْية ٥١٩/ ١.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): لا تسأل أحدًا في يوم واحد أكثر من حاجة واحدة. تهذيب الحِلْية ٤٠٥/ ٢.

* وعن **ابن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٩٨) قال: انتهى **حكيم** إلى قوم يتحدثون، فوقف عليهم وسلم عليهم فقال: تحدثوا بكلام قوم يعلمون أن الله يسمع كلامهم، والملائكة يكتبون. تهذيب الحِلْية ٤٤٢/ ٢.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): القلوب كالقدور في الصدور تغلي بما فيها، ومغارفها ألسنتها فانتظر الرجل حتى يتكلم، فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه، من بين حلو وحامض وعذب وأجاج، يخبرك عن طعم قلبه اغترافُ لسانه. تهذيب الحِلْية ٢٦٥/ ٣.

* وقال **الجنيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٧): الورع في الكلام أشد منه في الاكتساب. تهذيب الحِلْية ٣٨٠/ ٣.

* وقال **بَعضُ الْحُكماءِ** لِبنيهِ: أصلحوا ألسنتكم، فإنّ الرجل تنوبه النائبة، فيستعير دابةَ أخيه وثوبَ أخيه، ولا يجد أحدًا يعيره لسانه. أخبار الشيوخ (٣٤٩).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): اعلم أن لسانك أداة مُغلّبة، يتغالب عليه عقلك، وغضبك، وهواك، وجهلك، فكل غالب عليه مُسْتمتِع به، وصارفه في محبته، فإذا غلب عليه عقلك فهو لك، وإن غلب عليه شيءٌ من أشْبَاه ما سميت لك فهو لعدوك.

فإن استطعت أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك، لا يستولي عليه أو يشاركك فيه عدوك فافعل. الأدب الكبير (١٠١).

الأمانة، والمسؤولية[1]

* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): توشك القرى أن تخرب وهي عامرة، قيل: كيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجارها أبرارها، وساد[2] القبيلَ منافقوها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٠.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو مات جمل ضائعًا على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عَزَّوَجَلَّ عنه.[3] المنتظم ٤/ ١٤١.

* وحينما طعنه أبو لؤلؤة المجوسيّ نادى ابنه عبدالله فقال: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلاَ تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ. صحيح البخاري (٣٧٠٠).

---

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو لم يكن من ذمّ الخيانة إلا ما يجده الخائن في نفسه من المذلة لكفاه زاجرا، ولو تصور عقبى أمانته وجدوى ثقته لعلم أنّ ذلك من أربح بضائع جاهه، وأقوى شفعاء تقدُّمه، مع ما يجده في نفسه من العز ويقابَل عليه من الإعظام. أدب الدين (٥٢٧).

(٢) في الأصل: وسار، ولا معنى لها، والمثبت من جمع الأحاديث للسيوطي.

(٣) قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾ [النمل:٢٠] قَالَ عُلَمَاؤُنَا: هَذَا يَدُلُّ مِنْ سَلِيمَانَ عَلَى تَفَقُّدِهِ أَحْوَالَ الرَّعِيَّةِ، وَالْمُحَافَظَةَ عَلَيْهِمْ، فَانْظُرُوا إِلَى الْهُدْهُدِ وَإِلَى صِغَرِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْهُ حَالُهُ، فَكَيْفَ بِعَظَائِمِ الْمُلْكِ؟ وَيَرْحَمُ اللهُ عُمَرَ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى سِيرَتِهِ قَالَ: «لَوْ أَنَّ سَخْلَةً بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ أَخَذَهَا الذِّئْبُ لَيُسْأَلُ عَنْهَا عُمَرُ، فَمَا ظَنُّكَ بِوَالٍ تَذْهَبُ عَلَى يَدَيْهِ الْبُلْدَانُ، وَتَضِيعُ الرَّعِيَّةُ، وَتَضِيعُ الرُّعْيَانُ!. أحكام القرآن ٣/ ٣٦٦.

* وتقرقر بطن **عمر** وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان قد حرَّم على نفسه السمن، قال: فنقر بطنَه بأصبعه وقال: تقرقر ما تقرقر، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس. تهذيب الحِلْية ٦٩/ ١.

* ولَمَّا قدم عتبةُ بن فرقد أذربيجان، جيء بالخبيص[1] فذاقه فوجده حلوًا، فقال: لو صنعتم لأمير المؤمنين **عمر** من هذا، فجعل له سَفَطَين[2] عظيمين، ثم حملهما على بعير مع رجلين فبعث بهما إليه، فلما قدما على عمر قال: أيّ شيء هذا؟ قال: هذا خبيص، فذاقه فإذا هو حلو، فقال: أكُلّ المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ قالوا: لا، قال: فردهما، ثم كتب إليه: أما بعد، فإنه ليس من كدك ولا من كد أبيك، ولا من كدّ أمك، أشْبِع المسلمين مما تشبع منه في رحلك. مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٩١٧)، وأصله في صحيح مسلم (٢٠٦٩).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنا ننحر كل يوم جزورا، فأما ودَكها وأَطْيابها فلمن حضرنا من آفاق المسلمين، وأما عنقها فلآل عمر يأكل هذا اللحم الغليظ، ويشرب هذا النبيذ الشديد، يَقْطَعه في بطوننا أنْ يؤذينا. الزهد لهناد (٦٩٥).

* وعن معاوية بن خُدَيْج قال: بعثني عمرو بن العاص إلى **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفتح الإسكندرية، فقدمت المدينة في الظهيرة فأنخت راحلتي بباب المسجد ثم دخلت المسجد إذ خرجت جارية من منزل عمر فرأتني ساحبًا علي ثياب السفر فانصرفت فقالت: أجب أمير المؤمنين فذكر الحديث، قال: يا جارية هل من طعام فأتت بخبز وزيت قال: كل فأكلت على حياء قال: كل، فإن المسافر يحب الطعام ثم قال: يا جارية هل من تمر؟ فأتتني بتمر في طبق، قال: كل، فأكلت على حياء ثم قال: ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ قال: قلت: إن أمير

(١) الخَبيصُ: المَعْمُولُ مِنَ التَّمْرِ والسَّمْنِ.

(٢) السَّفَط: وِعَاءٌ مصنوع من أغصان الشجر أو القصب، تُوضع فيه الفاكهةُ ونحوُها.

المؤمنين قائل، قال: بئس ما قلت: أو بئس ما ظننت لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟!! الزهد لأحمد: ٢٣٤.

* وكان معيقيب على بيت مال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكنس بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا، فدفعه إلى ابنٍ لعمر، قال معيقيب: فانصرفت إلى بيتي فإذا رسول عمر قد جاءني يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده فقال لي: ويحك يا معيقيب أوجدت علي في نفسك شيئًا؟ قال: قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟.

قال: أردت أن تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم. ابن أبي الدنيا ١/ ١٣٦-١٣٧.

* وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «حججت مع **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فما رأيته ضرب فُسْطاطًا[1] حتى رجع.

قيل له: كيف كان يصنع؟ قال: كان يستظلّ بالنِّطع[2] والكساء. الزهد لأبي داود (٨٣).

* وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أقبلت فإذا الناس قعود بين أيديهم قِصاع، فدعاني **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأتيته، فدعا بخبز غليظ وزيت، فقلت له: أتمنعني أن آكل الخبز واللحم ودعوتني إلى هذا؟ قال: إنما دعوتك على طعامي، وهذا طعام المسلمين. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٨٦.

* وأُتِيَ له بخبز وزيت، فمسح على بطنه، وجعل يأكل ويقول: والله لَتُمَرَّرَنَّ أيها البطن على الخبز والزيت ما دام السمن يباع بالأوَاق. الزهد لأبي داود (٧٥).

* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: قدم على أمير المؤمنين **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفدٌ من

---

(١) أي: خيمة.

(٢): أي: البِسَاط من الْجلد.

أهل البصرة مع أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: فكنا ندخل عليه، وله كل يوم خبز يلت، وربما وافيناه ما دوم بسمن، وأحيانا بزيت، وأحيانا باللبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دقت، ثم أغلي بماء، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل.

فقال لنا يوما: إني والله لقد أرى تعذيركم، وكراهيتكم طعامي، وإني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاما، وأرقكم عيشا، ولكني سمعت الله تعالى عير قوما بأمر فعلوه، فقال ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠].

فقال أبو موسى الأشعري: لو كلمتم أمير المؤمنين، ففرض لكم من بيت المال طعاما تأكلونه، فكلموه، فقال: يا معشر الأمراء، أما ترضون لأنفسكم ما أرضى لنفسي.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن المدينة أرض العيش بها شديد، ولا نرى طعامك يُغشى، ولا يؤكل، وإنا بأرض ذات ريف، وإن أميرنا يُغشى، وإن طعامه يؤكل.

فنكّس عمر ساعة، ثم رفع رأسه فقال: قد فرضت لكم من بيت المال شاتين وجريبين. الزهد لابن المبارك (٥٣٤).

* ولما أَجْدب الناسُ على عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما أكل سميناً ولا سمناً حتى أكل الناس. الزهد لابن المبارك (٥٣٤).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه لا أجده يحلّ لي أكل مالكم إلا عما كنت آكلا من صلب مالي: الخبز والزيت، والخبز والسمن. الزهد لهناد (٦٩٠).

* وعن إبراهيم النخعي قال: كان عند **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل يريد أن يستعمله، فجاء ابنٌ لعمر، فقبّله، فقال الرجل: إن لي منهم أربعة أو خمسة ما قبلت منهم صبيا قط، فقال عمر: أنت بالمؤمنين أقل رحمة، لا تل لي على عمل أبدا. الزهد لوكيع (٥٠٢).

* وقدم الشام، فتلقاه أمراء الأجناد، وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين

أخي؟ قالوا: من؟ قال: **أبو عبيدة** (ت: ١٨): قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه، وسأله، ثم قال للناس: انصرفوا عنا، فسار معه حتى أتى منزله، فنزل عليه، فلم ير في بيته إلا سيفه، وترسه، ورحله، فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو اتخذت متاعا؟.

قال أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلّغنا المقيل. الزهد لابن المبارك (٥٤١).

* وعن أبي صالح الحنفي قال: دخلت على **أم كلثوم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٩) فقالت: ائتوا أبا صالح بطعام، فأتوني بمرقة فيها جنوب، فقلت: أتطعموني هذا وأنتم أمراء؟!.

قالت: كيف لو رأيت أمير المؤمنين **عليًّا** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) وأتي بأترج فأخذ الحسن أو الحسين منها أترجةً لصبي لهم، فانتزعها من يده وقسمها بين المسلمين. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٨.

* ولما ولي **عياض بن غنم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠) قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته، فلقيهم بالبِشْر، وأنزلهم، وأكرمهم، فأقاموا أيامًا، ثم كلموه في الصلة، وأخبروه بما لقوا من المشقة في السفر رجاء صلته، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير وكانوا خمسة فردّوها وتسخّطوا ونالوا منه. فقال: أي بني عم والله ما أنكر قرابتكم ولا حقكم ولا بُعْد شقّتكم، ولكن والله ما حصلتُ إلى ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي، وببيع ما لا غنى بي عنه، فاعذروني قالوا: والله ما عذرك الله فإنك والي نصف الشام وتعطي الرجل منا ما جهْده أن يبلّغه إلى أهله؟ قال: فتأمروني أسرق مال الله؟ فوالله لأن أشق بالمنشار أحب إلي من أن أخون فلسًا أو أتعدى.[1] صفة الصفوة ١/ ٣٢١.

(١) فكيف بمن سرق الملايين، وتعدى على أموال المسلمين وأراضيهم!

* وكان **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) يقسم تفاح اَلْفيء، فتناول ابنٌ له صغيرٌ تفاحة، فانتزعها مِن فِيه فأوجعه، فسعى إلى أمه مستعْبرًا، فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحًا، فلما رجع عمر وجد ريح التفاح، فقال: يا فاطمة هل أتيتِ شيئًا من هذا الفيء؟ قالت: لا. وقصّت عليه القصة، فقال: والله لقد انتزعتها من ابني لكأنما نزعتها عن قلبي، ولكن كرهتُ أن أُضَيِّع نصيبي من الله عَزَّوَجَلَّ بتفاحةٍ من فيء المسلمين.[1] صفة الصفوة ٢/ ٤٦٥.

* وقال مولى **لعمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ له حين رجع من جنازة سليمان: ما لي أراك مغتما؟ فقال عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لمثل ما أنا فيه يُغتم، ليس أحد من أمة محمد ﷺ في شرق ولا غرب إلا وأنا أريد أن أودي إليه حقه غير كاتب إليَّ فيه ولا طالبه مني. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٧٠.

* ولما قدمَ **عمرُ بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ المدينة واليًا، فصلَّى الظهر دعا بعشرة: عروة، وعُبيد الله، وسليمان بن يسار، والقاسِم، وسالمًا، وخارجة، وأبا بكر بن عبد الرحمن، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة، وعبد الله بن عامِر بن ربيعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني دعَوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكونُ فيه أعوانًا على الحق، ما أريدُ أن أقطع أمرًا إلاَّ برأيكم، أو برأي مَنْ حضر منكم، فإن رأيتُم أحدًا يتعدَّى، أو بلغكم عن عاملٍ ظُلامة، فأُحرِّجُ بالله على مَنْ بلغه إلاَّ أبلغني، فجَزَوْهُ خيرًا، وافترقوا.[2] تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٦.

---

(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يخاف أنْ يضَيِّع نصيبه من الله عَزَّوَجَلَّ بتفاحةٍ واحدة من فيء المسلمين! فكيف بنصيب من ضيّع الأموال العظيمة، وحرمها أهلها، واسْتأثر هو وخاصّته بها! سيقف كلّ مسؤول أمام الله تعالى وسيسأله عن كلّ صغير وكبير.

(٢) الواجب على من ولي أمر المسلمين مِن الولاة والأمراء والوزراء أنْ يُقربوا أهل العلم والفضل والأمانة، وأن يجعلوهم أصحاب مشورتهم، ويسمعوا لنُصْحهم، حتى يسود العدل، ويحفظ الله البلاد والعباد من الفتن، وتسلّطِ الأعداء عليهم.

* وكان **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يحمل على البريد إلا في حاجة المسلمين، وكتب إلى عامل له يشتري له عسلًا ولا يُسَخِّر فيه شيئًا، وأن عامله حمله على مركبةٍ من البريد، فلما أتى قال: على ما حمله؟ قالوا: على البريد، فأمر بذلك العسل فبيع وجعل ثمنه في بيت مال المسلمين، وقال: أفسدت علينا عسلك. تهذيب الحِلْية ٢/ ٢٢١.

* وعرض **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) حمارًا له على البيع، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيتُه لك لم أبِعْه. صفة الصفوة ٣/ ١٩٣.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينًا للخَوَنة. صفة الصفوة ٣/ ٢٠١.

* وعن غسان بن المفضل قال: جاءت امرأة بِمِطْرَف خزّ(١) إلى **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩)، فألقته إليه ليعرضه في السوق فنظر إليه. فقال لها: بكم؟ قالت: بستين درهمًا قال: فألقاه إلى جاره. فقال: كيف تراه؟ قال: بعشرين ومائة قال: أرى ذلك ثمنه أو نحوًا من ثمنه قال: فقال لها: اذهبي فاستأمري أهلك في بيعه بخمسة وعشرين ومائة قالت: قد أمروني أن أبيعه بستين قال: ارجعي إليهم فاستأمريهم. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٣٦.

* وجاءت **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩) امرأةٌ بجبّة خز، فقالت له: اشترِها فقال: بكم تبيعينها؟ قالت: بخمسمائة قال: هي خير من ذلك قالت: بستمائة قال: هي خير من ذلك، فلم يزل يقول: هي خير من ذلك حتى بلغت ألفًا، وقد بذلَتْها بخمسمائة. صفة الصفوة ٣/ ٢١٨.

* وكانَ يَشْتَرِي الإبريْسمَ مِن البصْرةِ، فيبْعثُ به إلى وكيْلِه بالسُّوْسِ، فإنْ

---

(١) المطرف: الثوب الذي في طرفيه علمان. والخزّ: ثياب تنسج من صوف.

كتَبَ وكِيلُه إلَيهِ: إنَّ المَتاعَ عندهُم زائدٌ، لَمْ يَشترِ مِنهم أبدًا حتَّى يُخْبرهُم أنَّ وكِيله كتَبَ إليهِ أنَّ المَتاعَ عندهُم زائدٌ. السِّير ٦/ ٢٨٩.

* وعن وكيع: حدثني أبي قال: كنت جالسًا مع **زبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٢) فأتاه رجل ضرير يريد أن يسأله. فقال له زبيد: إن كنت تريد أن تسألني عن شيء فإن معي غيري[١]. تهذيب الحِلْية ١٣٤/ ٢.

* وعن عبيد بن غنام أنه قال: حدثني أبي قال: مرض **حفص بن غيّاث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٦)- القاضي- خمسة عشر يومًا فدفع إليّ مائة درهم فقال: امض بها إلى العامل وقل له: هذه رزق خمسة عشر يومًا لم أحكم فيها بين المسلمين لا حظ لي فيها. المنتظم ٣٢/ ١٠.

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): مكتوب في الحكمة: لا تخن الخائن، خيانته تكفيه. الزهد لأحمد: ٢٠٩.

* وجاء رجل إلى **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧) فقال: يا أبا عمرو، هذا كتاب صديقك وهو يقرأ عليك السلام، فقال: متى قدمت؟ قال: أمس، قال ضيَّعت أمانتك.

قال الشاعر:

إذا أنت حَمَّلت الأمانة خائنًا ... فإنك قد أسندتها شرّ مُسْنَد[٢]

الآداب الشرعية ١/ ٤١.

* وقال ابن وضاح: كان سعيد الخير -عمُّ الأمير الحكم بن هشام بن عبدالرحمن ابن معاوية- وكَّل وكيلًا يخاصم له عند **محمد بن بشير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:

---

(١) أخبره بذلك حتى لا يظن هذا الضرير أنه ليس عنده أحد فيقول ما في خاطره وهو لا يريد أن يسمع كلامه غير زبيد.

(٢) المشهور في كتب الشعر والأدب:

إِذا أَنْت حمّلتَ الخؤون أَمَانَة ... فَإِنَّك قد أسندتها شرّ مُسْنَد

١٩٨) في مطلب، قِيم به عنده عليه، وكانت في يد سعيد وثيقة فيها شهادات جماعة من العدول، أتى الموت عليهم ما عدا شاهدًا واحدًا من أهل القبول، مع شهادة الأمير الحكم ابن أخيه، فاضطر عمّه إليها في خصومته.

فدخل سعيد على الأمير وعرَّفه حاجته إلى شهادته، وكان الحكم معظِّمًا لعمِّه، فقال له: يا عم، أعفني من هذه الكلفة، فقد تعلم أنا لسنا من أهل الشهادة عند حكامنا؛ إذ الْتَبَسْنا من فتن هذه الدنيا بما لا نرضى به عن أنفسنا، ولا نلومهم على مثل ذلك فينا(١)، ونخشى أنْ تُوقفنا مع هذا القاضي موقفَ خزيٍ نفديه بملكنا، فَسِرْ في خصامك حيثما صيّرك الحق، وعلينا خُلْف ما ينقصك وأضعافه.

فلجّ(٢) سعيد في ذلك وعزم عليه، إلى أنْ وجَّه شهادته مع فقيهين يؤدِّياهما إلى القاضي، فأدَّياها إليه، فقال لهما: قد سمعت منكما فقوما راشدين.

وجاءت دولةُ وكيلِ سعيد الخير، فتقدم مدِلًا واثقًا، فقال أيها القاضي: قد نقلت إليك شهادة الأمير، فما تقول؟.

فأخذ كتاب الشهادة وأعاد النظر فيها، ثم قال: هذه شهادة لا تَعْمل عندي، فجئني بغيرها.

فمضى الوكيل إلى سعيد فأعلمه، فركب من فوره إلى الحَكم، فقال: ذهب سلطاننا، وأهينت عزَّتنا، بتجري قاضيك الحروري(٣) على ردّ شهادتك! هذا ما لا يجب أن نتحمله عليه.

وأَكْثَر من هذا وأغرى بابن بشير، والأمير مطرق.

فلما فرغ من كلامه، قال له: يا عم، هذا ما قد ظننته، وقد آن لك أن تُقْصِر عنه بالحق، فالحقّ أولى بك.

---

(١) هذا يدل على رجاحة عقلِه.

(٢) أي: ألحّ.

(٣) أي: الخارجي، وهذا ديدن الضعفاء في رمي من خالفهم بأقبح الأوصاف، وأبشع التُّهم.

والقاضي قد أخلص يقينه لله، وفعل ما يجب عليه ويلزمه، ولو لم يفعل ما فعله لأَجَال[١] الله بصيرتنا فيه، فأحسن الله جزاءه عنا، وعن نفسه، ولست أعترض للقاضي بعدُ فيما احتاط لنفسه.[٢].

قال ابن حارث: إن حظيَّةً[٣] للأمير الحكم بات عندها في بعض الليالي، فافتقدته في بعض الليل، ولم تصبه، فهاجت غيرتها وقامت تقفو أثره، فأصابته قائمًا تحت شجرة في الحائط يصلي ويدعو ويجتهد، فلما انصرف إلى مرقده ألّحت عليه في السبب الموجب لذلك، وظنت أنَّ أمرًا طرقه، فقال: ما ذاك إلا أن محمد بن بشير القاضي مات فأشفقت من فقده، وأعجزني الاعتياض منه، فقد كنت جعلته فيما بيني وبين الله في أحكام الناس، فاستندت منه إلى ثقة؛ إذ كانت نفسي مستريحة إلى عدله، فناجيت الله تعالى ودعوته دعوة مضطر إلى إجابته، في أن يحسن عزائي عنه، ويجعل عِوَضي منه. ترتيب المدارك (١/ ٥٣٠-٥٣١).

* وسافر الشيخ **إبراهيم بن محمد الجردان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩٩) للعمرة، وبعد أدائها عاد من مكة إلى بريدة يوم الخميس ليخطب ويصلي الجمعة إمامًا في مسجده على أن يعود يوم السبت لمكة.

قال الشيخ **عبدالله البسام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٣): ومن هذا يتضح حرصه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الخطابة يوم الجمعة، وعدم الاعتماد على الغير؛ لمعرفته بحرص الكثير من المصلين على سماع خطبته والصلاة خلفه، فعاد يوم السبت إلى مكة. علماء نجد (١/ ٣٥٠).

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبرني الشيخ **صالح بن عبدالله الزغيبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٢) أنه في مدة إمامته في المسجد النبوي التي تجاوزت عشرين سنة لم يتخلّف أبدًا، وكان لا يُنيب أحدًا. علماء نجد (٢/ ٤١٩).

---

(١) أي: أدار وصرف.

(٢) يا له من ردّ صدر من عاقل حكيم، وليت كلّ مسؤول يفهمه ويعيه.

(٣) المرأة الحظيّة: هي التي تُفضَّل على غيرها في المحبَّة.

الثبات على الدين والتضحية لأجله

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لا تكونن إمَّعة قالوا: وما الإمَّعة؟ قال: يقول: أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطِّننّ أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر. المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٥٢).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا اشتد البلاء فلا يقولنّ أحدكم: لي بالناس أسوة. الزهد لأبي داود (١٤٢).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ، فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا **بِلَالٌ بِلَالٌ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠)، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ. مسند الإمام أحمد (٣٨٣٢) وحسّن إسناده محققوه.

* وسأل عمر بلالًا عمَّا لقي من المشركين، فقال **خباب بن الأرتّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧): يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري، فقال عمر: ما رأيت كاليوم، قال: أوقدوا لي نارًا فما أطفأها إلا ودك ظهري. تهذيب الحِلْية ١٢٨/ ١.

* وعن سعيد بن المسيب قال: لما أقبل **صهيب بن سنان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٨) مهاجرًا نحو النبي ﷺ، فاتبعه نفر من قريش، نزل عن راحلته، وانتثل ما في كنانته،

ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلًا، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وثيابي بمكة وخليتم سبيلي؟ قالوا: نعم! فلما قدم على رسول الله ﷺ المدينة قال: (ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى) قال: ونزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧] الآية. تهذيب الحِلْية ١٣٢/ ١.

* وقال **محمد ابن الحنفية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨١): إن الله عَزَّوَجَلَّ جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٥.

* وكان **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) يقول: ليس العجب ممن عطب كيف عطب، إنما العجب ممن نجا كيف نجا. الكامل في اللغة / ١٥٥.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): مر رجل من العباد على رجل فوجده مهموما، فقال: ما شأنك؟ فقال: أعجبني أمر فلان، قد بلغ من العبادة ما قد علمت، ثم رجع إلى أهل الدنيا، فقال: لا تعجب ممن يرجع، ولكن اعجب ممن يستقيم. الزهد لابن المبارك (٤٩٤).

* وعنه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: مر رجل **عابد** على رجل عابد، فقال: مالك؟ قال: أعجب من فلان، إنه كان قد بلغ من عبادته ومالت به الدنيا فقال: لا تعجب ممن تميل به ولكن اعجب ممن استقام. الزهد لأحمد: ١٣٠- ١٣١.

* وقيل لابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: بم ارتفع **ابن عون** (ت: ١٦٠)؟ قال: بالاستقامة.[1] تهذيب الحِلْية ٤٤٤/ ١.

* **وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨): «كَانَ يُقَالُ: اسْلُكُوا سُبُلَ الْحَقِّ، وَلَا تَسْتَوْحِشُوا مِنْ قِلَّةِ أَهْلِهَا».[الحِلْية (٧/ ٣٠٦)].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة. مدارج السالكين ٢/ ٣٣٩.

* وعن **عطاء بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: تبدّى إبليس لرجل عند الموت، فقال: نجوت مني!.

قال: ما أمِنتك بعدُ. الزهد لابن المبارك (٢٩٣).

* وعن عبد الله بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) قال: لمّا حضرتْ أبي الوفاةُ جلستُ عنده، وبيدي الخرقة لأشدّ بها لحييْه، فجعل يَعرق، ثم يَفيق، ثم يفتح عينيه، ويقول بيده هكذا: لا بعد لا بعد، ففَعل هذا مرّة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبة أيّ شيء هذا قد لهجْتَ به في هذا الوقت؟ تعرق حتى نقول: قد قضيت، ثم تعود، فتقول: لا بعد لا بعد.

فقال لي: يا بنيّ ما تدري ما قلت؟ قلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاضّ على أنامله يقول لي: يا أحمد فتّني، فأقول: لا بعد لا بعد حتى أموت. صفة الصفوة ٢/ ٦١٥.

* وعن ميمون بن الأصبغ قال: كنت ببغداد، فسمعتُ ضجّةً، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُمتحن، فدخلت، فلما ضُرِب سوطًا قال: بسم الله، فلما ضُرب الثاني قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله، فلما ضُرب الثالث قال: القرآن كلام الله غيرُ مخلوق، فلما ضُرب الرابع قال: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١]، فضُرب تسعة وعشرين سوطًا. صفة الصفوة ٢/ ٦١١.

* وقال إسحاق بن راهويه: لولا **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبذلُ نفسِه لِمَا بَذَلَها له لذهب الإسلام. تهذيب الحِلْية ١٤٠/ ٣.

* وقَالَ الحسن بْن عرفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت عَلَى **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد المحنة فقلت له: يا أبا عبدالله قمتَ مقام الأنبياء.

فقال لي: **اسكت**[1]، فإني رأيتُ الناس يبيعون أديانهم، ورأيتُ العلماء ممن

---

(١) أمره بالسكوت كراهةً لسماعه المدح؛ هضمًا لنفسه وخوفًا عليها، وإلا فلا محذور في ذلك، قال=

كان معي يقولون ويميلون، فقلت: مَن أنا؟ وما أنا؟ وما أقول لربي غدًا إذا وقفتُ بين يديه جَلَّجَلَالُهُ فقال لي: بعتَ دينك كما باعه غيرك؟.

ففكرتُ فِي أمري، ونظرتُ إلى السَّيف والسوط فاخترتهما وقلت: إنْ أنا مُت صِرتُ إلى ربي عَزَّوَجَلَّ، فأقول: دُعيتُ إلى أنْ أقول فِي صفةٍ من صفاتك مخلوقة فلم أقل، فالأمر إليه، إن شاء عذب وإن شاء رحم.

فقلت: وهل وجدتَ لأسواطهم ألَمًا؟ قَالَ لي: نعم، وتجلّدت إلى أن تجاوزَت العشرين، ثم لم أدْر بعد ذلك، فلما حُلَّ العقَابان كأني لم أجد له ألمًا، وصلَّيت الظهر قائمًا.

قَالَ الحسن: فبكيتُ، فقال لي: ما يُبكيك؟ قلت: بكيت مما نزل بك، قَالَ: أليس لم أَكْفُر؟ ما أبالي لو تَلِفْت. طبقات الحنابلة (١/ ٣٧٥-٣٧٨).

* وذكر يَحْيَى بْن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أَحْمَدَ بْن نصر الخزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣١) فترحم عليه وقال: قد ختم له بالشهادة.

وقتل فِي خلافة الواثق؛ لامتناعه عَنِ القول بخلق القرآن، سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وكان قد أخذه الواثق فقال له: ما تقول فِي القرآن؟ فقال: كلام الله، قَالَ: أَفَتَرى ربك يوم القيامة؟ قَالَ: كذا جاءت الرواية به، فدعا الواثق بالصمصامة وقال: إذا قمتُ إليه فلا يقومن أحد معي، فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربًا لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ثم أمر بالنطع فأُجلس عليه وهو مقيد، وأمر بشد رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدوه، ومشى إليه حتى ضرب

= الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): لا بأس أن يحب الرجل أن يُثنى عليه صالحا ويُرى في عمل الصالحين، إذا قَصَدَ به وجه الله تعالى.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ليس من الرياء أن يَفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته، لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة، وليس من الرياء أيضا أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، بل ذلك دليل على إيمانه). مجموع فتاواه (٢/ ٢٩، ٣٠).

عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد، فنصب فِي الجانب الشرقي أياما وفي الجانب الغربي أياما.

قَالَ جعفر بن محمد الصائغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بصر عيني وإلا فعميتا، وسمع أذني وإلا فصمتا أَحْمَد بْن نصر الخزاعي حيث ضربت عنقه يقول رأسه: لا الله إلا الله.

وذكره الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما كان أسخاه، لقد جاد بنفسه.

وقال إِبْرَاهِيم بْن إِسْمَاعِيلَ بْنِ خلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيته فِي المنام وعليه السندس والاستبرق وعلى رأسه تاج، فقلت له: ما فعل الله بك يا أخي؟ قَالَ: غفر لي وأدخلني الجنة. طبقات الحنابلة (١/ ١٩٨-٢٠٣).

* وقال الربيع بن سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت على **البويطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣١) أيام المحنة[١]، فرأيته مقيَّدًا إلى أنصاف ساقيه، مغلولةً يداه إلى عنقه.. وهو يقول: إنما خلق الخلق بكن، فإذا كانت مخلوقة، فكل مخلوق خلق بمخلوق، ولئن أُدخِلتُ عليه[٢] لأصدُقَنَّه - يعني الواثق -، ولأموتَنَّ في حديدي هذا، حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قومٌ في حديدهم.[٣].

قال الربيع: وكتب إليَّ من السجن يقول: إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خُلُقَك مع أهل حلقتك، واستوصِ بالغرباء خاصة خيرًا، فكثيرًا ما كنت أسمع الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتمثل بهذا البيت[٤]:

---

(١) أي: محنة القول بخلق القرآن، التي تزعمها المعتزلة بتحريضٍ من القاضي أحمد بن أبي دؤاد.

(٢) أي: المأمون.

(٣) كم ثبت وصبر وضحى علماء المسلمين، ولم يقبلوا التنازل عن دينهم أو تحريف حرف منه رغبة ولا رهبة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا، فلولا توفيق الله ثم صبرهم وثباتهم لما وصلنا الدين نقيًا كما أُنزل.

(٤) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا البيت: وغلط هذا القائل؛ فإن ذلك لا يصلح إلا لله وحده؛ فإنه كلما أهان العبد نفسه له أكرمه وأعزه، بخلاف المخلوق، فإنك كلما أهنت نفسك له ذللت عند الله وعند أوليائه وهِنتَ عليه. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٨.

أُهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولا تُكْرَم النفس التي لا تُهِينُها

المنتظم ١١/ ١٧٥.

* وقال أبو عمر المستملي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقْرأ علينا كتاب **البويطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إليه، وإذا فيه: والذي أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث، لعل الله يخلصني بدعائهم، فإني في الحديد، وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة، قال: فضج الناس بالبكاء والدعاء له.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبلغني أنه كان يغتسل يوم الجمعة، ويتطهر، ويتطيب، ويلبس ثيابه، ثم يخرج إلى باب السجن إذا سمع النداء فيرده السجان، ويقول له: ارجع يرحمك الله، فيقول: اللهم إني أجبت داعيك فمنعوني. طبقات الشافعيين (١/ ١٦٠)، المنتظم ١١/ ١٧٥.

* وقال **عبد العزيز بن أبي رواد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٩): كان يقال: القول بالحق والصبر عليه يُعْدَل بأعمال الشهداء. ابن أبي الدنيا ٤/ ٦٠.

* وقال **شيخ الإسلام الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١): عُرِضتُ على السيف خمسَ مرات لا يقال لي: ارجعْ عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عمّن خالفك، فأقول: لا أسكُتُ. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٤٣٧.

* وقال **أبو الوفاء ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: من صدَر اعتقادُه عن برهانٍ لم يبق عنده تلوُّنٌ يراعي به أحوال الرجال، ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؟ الآداب الشرعية ١/ ٢٠١.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا يعظم عندكَ بَذْلُك نفسك في ذاتِ الله فهي التي بذلتها بالأمس في حبِّ مغنية، وخاطرتَ بها في الأسفار لأجل زيادة الدنيا. فلما جئت

إلى طاعة الله تعالى عظمت ما بذلتَه، والله ما يحسن بذل النفس إلا لمن إذا أباد أعاد، وإذا أعاد أفاد، وإذا أفاد خلد فائدته على الآباد، وذاك الله الذي يحسن فيه بذل النفوس، وإبانة الرؤوس.. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).

* وقال **القاضي أَبُو بَكْرِ بن أبي طاهر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٣٥): أسرَتْني الروم، وبقيتُ في الأسر سنة ونصفًا، وكان خمسة أشهر الغل في عنقي، والسَّلاسل على يدي ورِجلي.

وكانوا يقولون لي: قل: المسيح ابن الله حتى نفعل ونصنع في حقك، فامتنعتُ وما قُلت. ذيل الطبقات (١/ ٤٣٨).

* ولما عُقِد مجْلِس **لِابْنِ تَيْمِية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) عُيِّن الشَّيْخ صفي الدَّين لمناظرته، فَلَمَّا وَقع الْكَلَام قَالَ لَهُ الصفي: أَنْت عُصْفُور تطير من هَا هُنَا وَهَا هُنَا.[1] طبقات الشافعية (٢/ ٢٤).

(١) لاقى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خصومه الأشاعرة والمعتزلة من الإهانة والاستهزاء الشيء العظيم، فصَبر وثبت حتى أظهره الله عليهم، ونشر علومه رُغم سعيهم في إتلافها.

أحوال المنتكسين

* قيل **لكرز بن وبرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٩): من ذا الذي يبغضه البر والفاجر؟ قال: العبد يكون من أهل الآخرة ثم يرجع إلى الدنيا. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٢٨.

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **بشر المريسي** (ت: ٢١٨) من كبار الفقهاء، ونَظَر في الكلام، فَغَلب عليه، وانسلَخَ من الوَرَع والتقوى، وجَرَّد القولَ بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عينَ الجَهمِيَّة في عصره وعالِمَهُم، فمقته أهلُ العلم، وكفّره عِدَّةٌ.

ذكره النديم، وأطنب في تعظيمه، وقال: كان دَيِّنًا وَرِعًا متكلِّمًا. ثم حكى أنَّ البلخي قال: بلغَ من وَرَعِه أنه كان لا يَطأُ أهلَهُ ليلًا مخافَةَ الشُّبهَةِ ولا يتزَّوج إلا من هي أصغرُ منه بعشر سنين مخافَة أن تكونَ رضيعَتَه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٦٧.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الملحد، عدوُّ الدين، **أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الرِّيوندِي** (ت: ٢٩٨) صاحبُ التصانيف في الحطِّ من المِلَّة، وكان يلازم الرَّافضة والملاحدة، فإذا عُوتِبَ قال: إنما أريدُ أن أعرفَ أقوالَهم.

قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عجبي كيف لم يُقتل! وقد صنَّف الدَّامغَ يدمغُ به القرآن، والزُّمُرُّدة يُزري فيه على النُّبوَّات.

وقال ابن الجوزي: فيه هذيان بارد لا يتعلَّق بشبهة! يقول فيه: إن كلام أكثم ابن صيفي فيه ما هو أحسنُ من سورة الكوثر! وإن الأنبياء وقعوا بطَلاسِم! وألَّف لليهود والنَّصارى يحتجُّ لهم في إبطال نبوَّةِ سيِّدِ البشر.

قال البلخي: لم يكن في نظراء ابن الراوندي مثلُه في المعقول، وكان أوّل أمره حَسَنَ السِّيرة، كثيرَ الحياء، ثم انسلَخَ من ذلك لأسباب وكان علمُهُ فوقَ عقله.

لعَنَ الله الذَّكاء بلا إيمان، ورضي الله عن البلادَةِ مع التَّقوى[1]. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٣٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **عمران بن حطَّان بن ظبْيان** (ت: ٨٤)، السَّدوسي البصريّ، من أعيان العُلماء، لكنَّه مِن رؤوس الخوارج.

عن ابن سيرين قال: تزوج عمران خارجيَّة وقال: سأردُّها، قال: فصرفته إلى مذهبها.

ومن شعره في مصرع عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها … إلا لِيَبْلُغَ من ذي العرشِ رضوانا

إنِّـي لأذكُـرُهُ حينًـا فأحسـبُهُ … أوفى البريَّـة عنـدَ الله ميزانـا

تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨١.

* وعن عبدة بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: خرجنا في سرية إلى أرض الروم، فصحبنا **شاب** لم يكن فينا أقرأ للقرآن منه، ولا أفقه ولا أفرض، صائم النهار، قائم الليل، فمررنا بحصن فمال عنه العسكر، ونزل بقرب الحصن، فظننا أنه يبول، فنظر إلى امرأة من النصارى تنظر من وراء الحصن، فعشقها فقال لها بالرومية: كيف السبيل إليك؟ قالت: حين تنصَّر ويفتح لك الباب وأنا لك قال: ففعل فأدخل الحصن، قال: فقضينا غزاتنا في أشد ما يكون من الغم، كأن كل رجل منا يرى ذلك بولده من صلبه، ثم عدنا في سرية أخرى، فمررنا به ينظر من فوق الحصن مع النصارى، فقلنا: يا فلان، ما فعلت قراءتك؟ ما فعل علمك؟ ما فعلت

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فليحذر كل من رزقه الله ذكاء وفهما أن يغتر ويُعجب بهذا الذكاء. بل يجب عليه أن يعرف أن الفضل لله وحده، ويسأل الله أن لا يزيغ قلبه وأن يثبته على الدين.

صلواتك وصيامك قال: اعلموا أني نسيت القرآن كله ما أذكر منه إلا هذه الآية: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾ [الحجر:٢ -٣]. المنتظم ٢٠٣/ ١٢.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو -أي **أحمد بن كليب الشاعر** (ت: ٤٢٦)- أحد من هلك بالعشق، روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين المغتر عشق غلاما يقال له «أسلم» من بني خالد، وكان فيهم وزارة -أي كانوا وزراء للملوك وحجابًا- فأنشد فيه أشعارًا تحدث الناس بها، وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم في مجالس المشايخ، فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استحى من الناس، وانقطع في داره، وكان لا يجتمع بأحد من الناس، فازداد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضًا شديدًا بحيث عاده منه الناس، ولا يدرون ما به، وكان في جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء فسأله عن مرضه، فقال: أنتم تعلمون ذلك، ومن أي شيء مرضي، وفي أي شيء دوائي لو زارني أسلم ونظر إليَّ نظرة، ونظرته نظرة واحدة برأت، وإلا فأنا هالك، فرأى ذلك العالم أن من المصلحة أن لو دخل عليه أسلم، وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة مختفيا، ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته فانطلقا إليه فلما دخلا دربه تغيَّر الغلام، واستحى من الدخول عليه، ورجع، فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه فأبى وانصرف، فدخل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه، وقد كان غلامه دخل عليه قبل ذلك، وبشره بقدوم أسلم عليه، ففرح بذلك جدا، فلما تحقق رجوعه عنه اختلط كلامه واضطرب في نفسه، وقال لذلك الرجل الساعي بينهما: اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عني ما أقول، ثم أنشده:

أسلم ياراحة العليل ... رفقا على الهائم النحيل

وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليلِ

فقال له الرجل: ويحك اتق الله تعالى ما هذه العظيمة، فقال: قد كان، فخرج الرجل من عنده فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا على ذلك.

وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء، ولولا أنَّ هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبيه لذوي البصائر والعقول أن يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد. البداية والنهاية ١٢/١٠٦.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن عبيد الله الزَّاغُوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يحكي أنّ رجلًا اجتاز بباب امرأة نصرانية، فرآها فهوِيَها من وقته، وزاد الأمرُ به حتى غلَب على عقْله، فحُمِل إلى المارِسْتان[1]، وكان له صديق يتردّد إليه ويترسّل بينه وبينها، ثم زاد الأمر به، فقالت أمُّه لصديقه: إنِّي أجيء إليه ولا يُكلّمني، فقال: تعالي معي. فأتَتْ معه، فقال له: إنّ صاحبتك قد بعثت إليك برِسَالة، فقال: كيف؟ فقال: هذه أمك تؤدي رسالتها، فجعلت أمُّه تحدِّثه عنها بشيء منَ الكذب، ثم إنه زاد الأمر عليه، ونزل به الموت، فقال لصديقه: قد جاء الأجلُ وحان الوقت، وما لقِيت صاحبتي في الدنيا، وأنا أُريد أن ألقاها في الآخرة، فقال له: كيف تصنع؟ قال: أرْجِع عن دين محمدٍ، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم، فقال ذلك ومات! فمضى صديقُه إلى تلك المرأة، فوجدها مريضة، فدخل عليها وجعل يحدّثها، فقالت: أنا ما لقيت صاحبي في الدنيا، وأريدُ أن ألقاه في الآخرة، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأنا بريئة من دين النّصرانية، فقام أبوها فقال للرجل: خذوها الآن فإنها منكم، فقام الرجل ليخرج، فقالت له: قف ساعة، فوقف، فماتت. ذم الهوى: ٣١٥.

(١) أي: دار المرضى.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبلغني عن رجل كان ببغداد، يقال له **صالح المُؤَذِّن**، أذَّن أربعين سنة، وكان يُعرَف بالصّلاح، أنه صعد يومًا إلى المنارة ليؤذِّن، فرأى بنتَ رجلٍ نصرانيّ كان بيته إلى جانبِ المسجد، فافتَتَنَ بها، فجاء فطرَق الباب، فقالت: مَن؟ فقال: أنا صالحُ المؤذِّن، ففتَحت له، فلما دخل ضمّها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات، فما هذه الخيانة؟! فقال: إنْ وافَقْتيني على ما أريد وإلاّ قتلتُكِ، فقالت: لا، إلا أن تترك دِينك، فقال: أنا برئ من الإسلام، ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فقالت: إنّما قلتَ هذه لتقضي غرَضك ثم تعود إلى دينك، فكلْ من لحم الخنزير، فأكل، قالت: فاشرَبِ الخمر، فشرب، فلما دبَّ الشّراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتًا وأغلقَت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوَّجني منك، فصعد فسقط فمات، فخرجتْ فلفَّتْه في مَسْح، فجاء أبوها فقصّت عليه القصّة، فأخرجه في الليل فرَماه في السِّكة، فظهر حديثُه، فرُمي في مزبلة!.[1] ذم الهوى: ٣١٥.

---

(١) للثبات على الهداية والاستقامة عدّة أسباب، منها:

السبب الأول: الدعاء الصادق بالثبات على الدين، فإذا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»! فغيرُه أحوج بالإكثار من هذا الدعاء.

السبب الثاني: البعدُ عن مواقع الفتن والشهوات، قال بعض السلف: مَن أعطى أسباب الفتنة من نفسه أولًا: لم ينج أخيرًا وإن كان جاهدًا. ذم الهوى: ١٤٤

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتنة، وقلَّ أنْ يقاربها إلا من يقع فيها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. صيد الخاطر/ ٢١٧

فجلّ من انتكس وارتدّ عن الإسلام كان بسبب تساهلِه أوّل الأمر في التعرض للفتن.

فمَن قلَّب مواقع الشبكةِ العنكبوتية، ومقاطع الفيديو وغيرها، ليستمتع ويبحث عن الغرائب والعجائب، فلا بد أن تظهر له صورٌ فاتنة، ومقاطعُ فاضحة، وشبهاتٌ مُضلّلةٌ، ومع الأيام يعتادُ على ذلك، ويستمرئُ هذا الشيء، ويُصاب بالفتنة وهو لا يشعر، فيصعب عليه التخلص من هذه الفتن والشهواتِ والشبهات. =

* وقال إِبْرَاهِيم بن محمد بْن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حضرتُ أَحْمَد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) وقد أُدخل عَلَى الخليفة، وعنده ابن أبي دُؤاد وأبو عبد الرحمن أَحْمَد بْن يَحْيَى بْن عبدالعزيز الشافعي[(١)]، فأُجلِسَ بين يدي الخليفة، فقال لأبي عبدالرحمن: أيّ شيء تحفظ عَنِ الشافعي فِي المسح؟[(٢)].

قَالَ ابن أبي دؤاد: انظروا رجلًا هو ذا يَقدُم لضَربِ العنق، يناظر فِي الفقه!.

هذا أبو عبدالرحمن كان يأخذ عَنِ الشافعي من القديم، ثم تغيَّر وذهبَ إلى الاعتزال.[(٣)] طبقات الحنابلة (١/ ٢٥٠).

= قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما استُعين على التخلص من الشر، بمثل البعد عن أسبابه ومظانه. ا.ه عدة الصابرين / ٨٦.

السبب الثالث: صدق النيّة في طلب الهداية والاستقامة، فالذي انتكس إنما انتكس لِأَنَّ نيَّتَه في الالتزام لم تكن صادقة وخالصة لله.

السبب الرابع: الْإِيمَانُ الصادق، المبنيُّ على العلم بالله ودينه، أما الإيمان والصلاح الناشئ عن التقليد: فإنه لا يكفي لثبات الإنسان، بل لابد من العلم الشرعي المؤصل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُؤْتَى إيمَانًا مَعَ نَقْصِ عِلْمِهِ، فَمِثْلُ هَذَا الْإِيمَانِ قَدْ يُرْفَعُ مِنْ صَدْرِهِ.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ الْعِلْمَ مَعَ الْإِيمَانِ فَهَذَا لَا يُرْفَعُ مِنْ صَدْرِهِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَرْتَدُّ عَنْ الْإِسْلَامِ قَطُّ، بِخِلَافِ مُجَرَّدِ الْقُرْآنِ أَوْ مُجَرَّدِ الْإِيمَانِ فَإِنَّ هَذَا قَدْ يَرْتَفِعُ، فَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ.

لَكِنْ أَكْثَرُ مَا نَجِدُ الرِّدَّةَ فِيمَنْ عِنْدَهُ قُرْآنٌ بِلَا عِلْمٍ وَإِيمَانٍ، أَوْ مَنْ عِنْدَهُ إيمَانٌ بِلَا عِلْمٍ وَقُرْآنٍ.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ وَالْإِيمَانَ فَحَصَلَ فِيهِ الْعِلْمُ فَهَذَا لَا يُرْفَعُ مِنْ صَدْرِهِ». مجموع الفتاوى: ١٨/ ٣٠٥

السبب الخامس: اختيار الصحبة الصالحة، وقضاء الوقت معهم، والبعدُ عن الفراغ والصحبة السيّئة.

اللهم ثبّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

(١) قال عَليّ بْن عُمَر الدارقطني: أَبُو عَبْد الرحمن الشافعي المتكلم البغدادي: كَانَ من كبار أصحاب الشافعي الملازمين له ببغداد، ثم صار من أصحاب ابْن أَبِي دؤاد واتبعه عَلَى رأيه. [تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/ ٤١٠).

(٢) المؤمن لا يزداد عند المحن والشدائد إلا قوة وثباتا وعزّة ويقينا وإيمانا.

(٣) حينما صحب المبتدع ابن أبي دؤاد انتكس وترك ما عليه شيخه الإمام الشافعي، فإياك وصحبة المبتدعة والفساق والبطالين.

* وقرأ **إِبْرَاهِيم بن بكْروس** (ت: ٦١١) الفقيه الْقُرْآن عَلَى عمِّه، وسمع الْحَدِيث من أَبيهِ وعمِّه، وجماعة كثيرة من المتأخرين، واشتغل بالمذهب عَلَى أَبيهِ وعمه، وبالخلاف عَلَى أَبِي الفتح بن المنّيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولازمه مدةً لسماع دَرسه، حَتَّى برع وأفتى وناظر، ثُمَّ أَقبَل عَلَى إلقاء الدروس، ووُلي نظر وُقوف الجامع.

ثُمَّ ولي النيابة بباب النوبي سنة أربع وستمائة، فغيّر لباسه، وتغيرت أحواله، وأساء السيرة بكثرة الأذى، والمصادرة، والجنايات لِلنَّاسِ، والسعي بهم، وَلَمْ تكن تأخذه فِي ذَلِكَ لومة لائم.

قَالَ ابْن الساعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنِي عبدالعزيز الناسخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أَنَّهُ وَعظ ابْن بكروس يومًا، فَقَالَ لَهُ: يا شيخ: أعلمُ أني فَرشت حصيرًا فِي جهنم!.

قَالَ: فقمتُ متعجبًا من قَوْله.

وَلَمْ يزل عَلَى ذَلِكَ، إِلَى أَن قُبض عَلَيْهِ سنة إحدى عشرة وستمائة، وضرب حَتَّى تلف. ذيل الطبقات (٣/ ١٤٩-١٥٠).

* وقال ابن الفرضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **أحمد بن عبدالله بن عروس** (ت: ٣٦٦) فقيه بلده، وكُتِب عنه.

قال ابن الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان الخليفة يُصرِّفه في الأمانات.

قال ابن حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أولا مرجوًّا، قرأ الحديث والفقه، وسلك سبيل العلماء.

وليَ القضاء ببعض النواحي، ثم صحب ابن أبي عامر، فتجرّد لطلب دنياه، وتحوَّل عن طبقته(١)، فلحق أهلَ الخدمة(٢)، ونال الوزارة وتقلّد المدينة، وارتكب الجرائم، وأغرق في ظلم العباد.

---

(١) وهي طبقة العلماء الربانيين.

(٢) أي: خدمة الأمير ابن عامر، فشتان بين كونه في خدمة دين رب العالمين، وبين خدمة مخلوق مسكين!

فلم تطل مدته حتى اخْترمته المنية في شهر رمضان من سنة ست وستين وثلاثمائة.

وترك من المال ما لا كفاية له مما غلَّه، فحاز ابن أبي عامر أكثره.(١) ترتيب المدارك (٤/ ٢٤٠-٢٤١).

* وكان الشيخ **خضر الكردي** (ت: ٦٧٦) شيخ الملك الظاهر بيبرس ينسب إليه أحوال ومكاشفات، ولكنه لما خالط الناس افتتن ببعض بنات الأمراء، وكان يقول عن الملك الظاهر وهو أمير: إنه سيلي الملك، فلهذا كان الملك الظاهر يعتقده ويبالغ في إكرامه بعد أن ولي المملكة، ويعظمه تعظيما زائدا، وينزل إلى عنده إلى زاويته في الأسبوع مرة أو مرتين، ويستصحبه معه في كثير من أسفاره، ويكرمه ويحترمه ويستشيره، فيشير عليه برأيه ومكاشفات صحيحة مطابقة إما رحمانية أو شيطانية، أو حال أو استفادة، لكنه افتتن لما خالط الناس ببعض بنات الأمراء، وكن لا يحتجبن منه، فوقع في الفتنة.

وهذا في الغالب واقع في مخالطة الناس، فلا يسلم المخالط لهم من الفتنة، ولا سيما مخالطة النساء مع ترك الاحتجاب، فلا يسلم العبد البتة منهن.

فلما وقع ما وقع فيه حُوقق فاعترف، فأمر بسجنه. البداية والنهاية (١٧/ ٥٣٨).

---

(١) تأمل: كان هذا الرجل فقيه بلده، وولي القضاء، وسلك سبيل العلماء، ثم أخلد إلى الدنيا واتبع هواه فطلب الإمارة ونالها، فظلم وتجبّر وارتكب الجرائم وأغرق في ظلم الناس!

فكم بين الحالين!

وماذا عن أمواله الكثيرة التي جمعها ظلما وجورا؟ أُخذت كلها منه، وسيُحاسب عليها كلّها، فما أعظمها من خسارة، وما أشأمها من تجارة.

وسبب نكوصه وهبوطه من مرتبة أهل الدين والعلم إلى حضيض أهل البغي والظلم: حبّ الدنيا، التي صاد الشيطان بها من كان ما بينه وبين الجنة إلا خروج نفسه من جسده، فكبّلها بحبال لذاتها، وألقى عليها شراك مناصبها، وأغرقها بدنس شهواتها.

فاللهم لا تعظّم في قلوبنا دنيا قد حقّرتها، ولا تملأ في نفوسنا حبّ حياة قد زهّدتنا فيها.

* ومن تلاميذ الشيخ عبدالعزيز بن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٥٩): **عبدالله بن علي القصيمي** (ت: ١٤١٦) صاحب «الأغلال».[١].

ومن المكاشفات الغريبة أنّ الشيخ عبدالعزيز بن بشر قد تفرّس شرّ الإلحاد بتلميذه عبدالله القصيمي من حين كان يأخذ عنه في الأحساء، فصدق حدسه فيه.

وقد اجتمع كلٌّ من الشيخ عبدالله بن علي اليابس والشيخ عبدالعزيز بن راشد وعبدالله القصيمي، وعقدوا العزم على السفر إلى الهند لأخذ الحديث وعلومه عن علمائه، فمرُّوا بالأحساء، فأقاموا فيه للقراءة على قاضيه عبدالعزيز بن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وبعد فترة غير قليلة توجّهوا إلى بغداد في طريقهم إلى الهند، فأقاموا فيه للأخذ على علمائه، وأشهرهم السيد شكري الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولأمور سياسية عدلوا عن الهند، وتوجّهوا إلى مصر، فالْتحق الثلاثة بالأزهر، فأخذوا عن علمائه واستفادوا منهم فائدة كبرى، فكان الثلاثة من كبار العلماء، ولم تتأثر عقيدتهم السلفية بشيء، بل ظلوا على تمسُّكهم بعقيدة السلف الصالح، يُوالونها ويدعون إليها ويُدافعون عنها، وهذا لم يردّهم عن الاستفادة مما عند الأزهريين من علم التفسير والحديث وأصولهما، ومن توسُّعٍ في علوم اللغة العربية.

وكان من أشدهم مدافعة ومهاجمة وردودا على المنحرفين -ولاسيما

---

(١) هو عبدالله بن علي النجـــدي القصيمي ولد في عام ١٩٠٧م، وتوفي ١٩٩٦م/ ١٤١٦هـ، قدم أجداده إلى نجد مع جيش إبراهيم باشا عندما هاجمها. وكتابه «هذي هي الأغلال» ثار فيه على كل شيء عُرف عن المسلمين، لا فرق عنده بين عادات وتقاليد وخرافات وعقائد، وأثار الكتاب ضجَّة عنيفة في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، وما إن وصل خبر الكتاب إلى الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى بادر بإرسال برقية إلى الشيخ فوزان السابق رَحِمَهُ ٱللَّهُ يطلب فيها منه أن يُعلن براءاته في الصحف من القصيمي.

الشيعة- هو عبدالله القصيمي، صاحب القلم السيّال، والحجة القوية، واللسان الذرب، فكبتهم بكتاباته العظيمة، وبرسائله «البروق النجدية»، وغيرها، إلا أنه انحرف -والعياذ بالله- بعد ذلك، وصار من أكبر الملاحدة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].(١) علماء نجد (٣/ ٣٤٢)، (٤/ ٢٦٠-٢٦١).

---

(١) تأمل كيف كان القصيمي من كبار العلماء، وكيف كان أشدهم ردودا على المبتدعة، ومع ذلك انسلخ انسلاخًا كاملًا من الدين! نعوذ بالله من ذلك.

فاجعل جلّ وأكبر اهتمامك في صلاح سريرتك، وصلاح قلبك، بتجريد الإخلاص لله في كل أقوالك وأعمالك.

وقد عُرف عن القصيمي بحبه للبروز والظهور والغلبة على الآخرين، وغروره وعُجبه بنفسه، وقد قال من اطلع على كثير من كتبه قبل إلحاده: «من يقرأ كتب القصيمي خصوصًا القديمة يلحظ بوضوح وجلاء نبرة الإعجاب بالنفس».

التوبة والرجوع إلى الله(١)

* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): جالسوا التوابين فإنهم أرق شيء أفئدة.(٢) تهذيب الحِلْية ١/٧١.

---

(١) صاحبُ الإيمان الصحيح يرى أنَّ له نسبةً إلى الرب العظيم خالق السماوات والأرض، وأنه سنده ومُمِدُّه، وعند ذلك تعلو نفسه وترتفع كما قيل:

قومٌ يُخَالِجهم زَهْوٌ بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه

ومن كان يشعر لنفسه بقيمةٍ، أو يجد لها حقًّا في أنْ تعز وتكرم: تراه إذا خلا بنفسه وتذكر أنه أَلَمَّ بنقيصةٍ أو معصيةٍ: يتألم ويتململ ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

وإذا تذكر أنَّ قلبه الذي تشرف بمعرفة الله تعالى، وأن شرف تلك المعرفة خلَّصه من العبودية لغيره، وصيَّره مربوبًا لربِّ العالمين وحده: لم ير من اللائق بمثل هذا الاختصاص أنْ يُقابل الإحسان بالإساءة، وأنْ يرتكب ما يكون سببًا لانتقال من عزّة العبوديّة له، إلى ذلّ العبوديّة لغيرِه.

والقاعدة تقول: كلُّ من أعرض عن شيء من الحق وجحده: وقع في باطل مقابل لما أعرض عنه من الحق وجحده ولابد، حتى في الأعمال: من رغب عن العمل لوجه الله وحده ابتلاه الله بالعمل لوجوه الخلق، فرغب عن العمل لمن ضَرُّه ونفعه وموته وحياته وسعادته بيده فابتُلِيَ بالعمل لمن لا يملك له شيئا من ذلك.

وكذلك من رغب عن الإنفاق في طاعة الله: ابتُلي بإنفاقه لغير الله وهو راغم.

ومن رغب عن التعب لله ابتلي بالتعب في خدمة الخلق ولابد.

ومن رغب عن الهدى بالوحي ابتُلي بكِناسة الآراء وزِبالة الأذهان ووسخ الأفكار.

فالعاقل لا يرغب عن ربّه وخالقِه، ومن لا مفرّ له عن لقائه والوقوف بين يديه.

يُنظر: تفسير المنار ١/ ٣٠١، مدارج السالكين ١/ ١٦٥.

(٢) الذي في صفة الصفوة ٣/ ٧١: أن هذا القول هو من قول عون بن عبد الله.

* وقال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): إني لأرجو أن يكون توبة العبد من ذنبه: ندامته عليه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٨٨.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): أربع آيات في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ أحب إليّ من حمر النعم وسودها، إذا مرّ بهن العلماء عرفوهن، قالوا له: في أي سورة؟ قال:

١- في سورة النساء قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

٢- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [النساء: ٦٤].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء: ١١٠] الزهد لهناد (٩٠٣).

* وقال زاذان رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت غلاما حسن الصوت، جيد الضرب بالطنبور، فكنت مع صاحب لي وعندنا نبيذ وأنا أُغنِّيهم، فمر **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فدخل فضرب الباطية[1] بددها وكسر الطنبور، ثم قال: لو كان ما يسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن كنت أنت أنت، ثم مضى، فقلت لأصحابي: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مسعود، فأُلقي في نفسي التوبة، فسعيت أبكي، وأخذت بثوبه، فأقبل علي فاعتنقني وبكى وقال: مرحبا بمن أحبه الله، اجلس، ثم دخل وأخرج لي تمرا. تهذيب السِّير ١/ ٤٩٨.

---

(١) قال في الحاشية: الباطية: هو كل إناء يجعل فيه الخمر.

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قال: طُوبى لمن وَجد في كتابه استغفارا كثيرا. الزهد لهناد (٩٢٣).

* وعن **عبد الله بن عون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠) قال: لو أن رجلًا انقطع إلى هؤلاء الملوك في الدنيا لانتفع، فكيف بمن ينقطع إلى من له السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها، والموعظة إلى قلوبهم سريعة، وهم إلى الرقة أقرب، فداووها من الذنوب بالتوبة، فلرب تائب دعته توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها، وجالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب. تهذيب الحِلْية ٩٨/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: اهتمام العبد بذنبه داع إلى تركه، وندمه عليه مفتاح للتوبة، ولا يزال العبد يهتم بالذنب يصيبه حتى يكون أنفع له من بعض حسناته. تهذيب الحِلْية ٩٨/ ٢.

* وقالت **رابعة العدوية** رَحِمَهَا اللَّهُ (ت: ١٨٠): أستغفر الله مِنْ قلَّةِ صدقي في قولي: أَسْتَغْفر الله. صفة الصفوة ٤/ ٢٩٢.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): للتائب فخرٌ لا يعادله فخر، فرح الله بتوبته. صفة الصفوة **٣/ ٣٤٢**.

* وعن **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) أنه قال لأصحابه: تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا قال: الدّاءُ الذّنُوبُ، والدواءُ الاستغفارُ، والشفاءُ أن تتوب فلا تعود. صفة الصفوة ٣/ ٤٢.

* وقال بعضهم: -البداية والنهاية ١٢/ ٦٣-.

أَسيرُ الخَطايا عندَ بابِك واقفُ ... على وَجَلٍ مما به أنت عارفُ

يَخَاُف ذُنوبًا لـم يَغِبْ عنك غيبُها ... ويَرْجُـوك فيهـا فهـو راجٍ وخائـفُ
ومَـن ذا الـذي يُرْجَى سـواك ويُتَّقَى ... ومـا لـك في فَصْـلِ القَضـاء مُخالفُ
فيـا سيِّدي لا تُخْـزِني في صَحِيفتي ... إذا نُشرت يومَ الحساب الصَّحائِفُ
وكُنْ مُؤْنِسي في ظُلْمة القَبْرِ عندَ ما ... يَصُدُّ ذَوُو القُرْبَى ويجْفُو المُؤالَفُ
لئن ضاق عني عَفْوُك الواسعُ الذي ... أُرَجِّـي لإِسْـرافي فـإنِيَ تالِـفُ

*وقال بعضهم: البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٧.

إذا مـا خلـوت الدهـر يومًا فـلا تقلْ ... خلـوت ولكـنْ قُـل علـيَّ رقيـبُ
ولا تحسـبنَّ الله يغفـل سـاعةً ... ولا أنّ مـا تُخفـي عليـه يغيـبُ
لهونـا لعمـر الله حتـى تتابعـتْ ... ذنـوبٌ علـى آثارهـن ذنـوب
فيـا ليـت أن الله يغفـر مـا مضـى ... ويـأذن في تـوباتنـا فنتـوب

* وقال **بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): إن أنتم تكثرون من الذنوب، فاستكثروا من الاستغفار، فإن الرجل إذا وجد في صحيفته بين كل سطرين استغفارًا سره مكان ذلك. تهذيب الحِلْية ٣٧٢/ ١.

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) أنه قيل له: من أعبد الناس؟ قال: رجل اجترح من الذنوب، فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله. تهذيب الحِلْية ١٠٥/ ٢.

* وعن سعيد الجريري قال: قلت **للحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): يا أبا سعيد الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، حتى متى؟ قال: ما أعلم هذا إلا أخلاق المؤمنين. تهذيب الحِلْية ٣١٥/ ٢.

* وعن **أبي قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: إن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم الدين، فقال: وعزتك لا أخرج من جوف - أو من قلب - ابن آدم ما دام فيه الروح قال: وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما دام فيه الروح. تهذيب الحِلْية ٣٩٢/ ١.

* وعن **طَلق بن حبيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) قال: إنَّ حقوق الله أعظمُ مِن أن يقومَ بها العباد، وإنَّ نعم الله أكثر من أن تُحصى، ولكن أصْبِحوا تائبين، وامْسُوا تائبين. تهذيب السِّير ٢/ ٥٦٧.

* وقال: المتنبِّي:

يا من ألوذ به فيما أؤمِّلُه ... ومن أعوذ به مما أحاذرُهُ

لا يجبُرُ الناسُ عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابرُهُ

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد بلغني عن شيخنا العلاَّمة **أبي العباس أحمد ابن تيميّةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): أنه كان ينكرُ على المتنبِّي هذه المبالغة ويقول: إنما يصلحُ هذا لجناب الله عَزَّوَجَلَّ.

وأخبرني العلاّمة شمس الدِّينِ ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه سمع الشيخ يقول: ربما قلتُ هذين البيتيْن في السجود. البداية والنهاية ١١/ ٣٣٢.

* وعن **عمر بن ذر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣) قال: كُلُّ حزن يبلى إلا حزن التائب عن ذنوبه. تهذيب السِّير ٢/ ٦٦٠.

* وكان **الفُضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): شاطرًا يقطعُ الطريقَ بين أَبيوَرْد وسَرْخس، وكان سببُ توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تاليًا يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد:١٦] فلَما سَمِعها، قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع، فآواه الليلُ إلى خَرِبة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبحَ فإن فُضيلًا على الطريق يقطعُ علينا.

ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقومٌ من المسلمين ها هنا

يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدعَ، اللهمَّ إني قد تبتُ إليك، وجعلتُ توبتي مجاورة البيت الحرام. تهذيب السِّير ٢/ ٧٧٣.

* وقال الإمام **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤):

ولَمّا قسا قلبي وضاقت مذاهِبي جعلتُ رجائي نحو عفوكَ سُلّما

تعاظَمَنِي ذنبِي فلمّا قرنتهُ بعفوكَ ربّي كان عفوكَ أعظَما

فمازلتَ ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تَزَل تجودُ وتعفو مِنّةً وتكرُّما

ديوان الشافعي/ ١٢٠.

* وقال ابن أبي الطيب: حَدَّثَنِي جَعْفَر الصائغ أنه كان فِي جوار **أَحْمَدَ بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) رجلٌ، وكان ممن يُمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يومًا إلى مجلس أَحْمَد بن حنبل فسلَّم عليه، فكأنَّ أحمد لم يرده عليه مَردًّا تامًا وانقبض عنه، فقال له: يا أبا عبدالله لم تنقبِض عني؟ فإني قد انتقلت عما كنتَ تعهد مني برؤيا رأيتها، قَالَ: وأي شيءٍ رأيت؟ قَالَ: رأيت النَّبِيّ ﷺ فِي النوم كأنه عَلَى علوٍّ من الأرض، وناس كثير أسفل منه جلوس، فيقوم رجل إليه فيقول: ادع لي، فيدعو له، حتى لم يبقَ من القوم غيري، فأردتُ أن أقوم فاستحييت من قبيح ما كنتُ عليه، فقال لي: يا فلان لم لا تقوم إلي تسألني أدعو لك؟ قلتُ: يا رَسُول اللهِ يقطعني الحياء لقبح ما أنا عليه، فقال: إن كان الحياء فقُم فسلني أدعو لك، فإنك لا تسبُّ أحدًا من أصحابي، فقمتُ فدعا لي، فانتبهت وقد بغَّض الله إلي ما كنتُ عليه، قَالَ: فقال لنا أَبُوعبدالله: يا جَعْفَر، يا فلان، حدثوا بهذا واحفظوه فإنه ينتفع به.[1] طبقات الحنابلة (١/ ٣٣٨).

---

(١) لعلنا نستفيد فائدتين: معاملة العاصي بما هو أهله، مع تحري حسن معاملته رجاءَ حيائه وتوبته، والثانية: أن المعصية يرجى الإقلاع عنها، أما البدعة فالتوبة منها صعبة.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكروا أن **أبا نواس** (ت: ١٩٩) لما أراد الإحرام بالحج قال: البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٦.

إلهنـــا مـــا أعدلـــك	مليـــك كـــل مـــن ملـــكْ
لبيـــك قـــد لبيـــت لـــك	لبيـــك إن الحمـــد لـــكْ
والملـــك لا شـــريك لـــك	مـــا خـــاب عبـــدٌ ســـألكْ
لبيـــك إن الحمـــد لـــك	والملـــك لا شـــريك لـــكْ
أنـــت لـــه حيـــث سلـــكْ	لـــولاك يـــا رِبـــي هلـــكْ
لبيـــك إن الحمـــد لـــكْ	والملـــك لا شـــريك لـــكْ
والليـــل لمـــا أن حلـــكْ	والسابحـــات في الفلـــكْ
علـــى مجـــاري المنسلـــك	كـــلُّ نبـــيٍّ وملـــكْ
وكـــلُّ مـــن أهـــلَّ لـــك	سبـــح أو صلـــى فلـــكْ
لبيـــك إنَّ الحمـــد لـــكْ	والملـــك لا شـــريك لـــكْ
يـــا مخطئًـــا مـــا أغفلـــك	عجـــلْ وبـــادرْ أملـــكْ
واختـــمْ بخيـــر عملـــكْ	لبيـــك إن الحمـــد لـــك

* وعن **شقيق بن إبراهيم البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٤) قال: علامةُ التَّوبة البُكاءُ على ما سلف، والخوفُ من الوقوع في الذَّنب، وهِجرانُ إخوانِ السُّوء، وملازمةُ الأخيار. السِّير ٨/ ٧٢.

* وقال بعضهم: - البداية والنهاية ١٢/ ١٤٥-.

يا مَن يرى مَدَّ البَعوضِ جَناحَها	**في ظُلمـةِ الليـلِ البَهيـم الأَليَـلِ**
ويَـرَى مَنَـاطَ عُروقِهـا في نحرِهـا	**والمـخَّ في تلـك العظـامِ النُّحَّـلِ**
امنـن علـيَّ بتوبـةٍ تَمْحُـو بهـا	**مـا كان منـي في الزمـانِ الأوَّلِ**

التأمّل والتفكر(١)

* عن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: تفكّر ساعة خير من قيام ليلة. الزهد للإمام أحمد ٢٦٢.

* وسئلت أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما كان أفضل عمل **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قالت: التفكر والاعتبار. الزهد لأحمد: ٢٥٦، الزهد لابن المبارك (٢٧٢).

* وعن محمد بن واسع: أن رجلًا من البصرة ركب إلى أم ذر بعد وفاة **أبي ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يسألها عن عبادة أبي ذر، فأتاها فقال: جئتك لتخبريني عن عبادة أبي ذر قالت: كان النهار أجمع خاليًا يتفكر. تهذيب الحِلْية ١٣٩/ ١.

* وعن عصام بن يزيد قال: ربما كان يأخذُ **سفيانُ الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) في التفكر، فينظر إليه الناظر فيقول: مجنون. تهذيب الحِلْية ٣٧٣/ ٢.

---

(١) أمر الله تعالى بالتفكر في خلق النفس والسموات والأرض في آيات كثيرة جدًّا، منها: قولُه تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس:١٠١]، وقولُه تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ﴾ [العنكبوت:٢٠]، وقولُه تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج:٤٦] وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧﴾ [الغاشية:١٧].

إلى غَيْرِ ذلكَ مِن الآياتِ الْكثيرةِ، وإكْثارُ القُرآنِ منْ شيْءٍ دليلٌ على تَعْظيمِ شأْنِه ووُجوبِ الاهْتِمامِ بهِ.

قال العلامة محمد رشيد رضا: فالقُرْآنُ الكريمُ يُلِحُّ أَشَدَّ الْإِلْحاحِ بالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ، وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّذَكُّرِ، فَلَا تَقْرَأُ مِنْهُ قَلِيلًا إِلَّا وَتَرَاهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ الْأَكْوَانَ، وَيَأْمُرُكَ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَاسْتِخْرَاجِ أَسْرَارِهَا، وَاسْتِجْلَاءِ حُكْمِ اتِّفَاقِهَا وَاخْتِلَافِهَا. ا.ه تفسير المنار: ١/ ٢٠٨.

ومن يُوَفّق للتفكر في خلق الله تعالى في الكون وفي بدن الإنسان وفي الأرض: سيجد عبرًا عظيمة، وآيات جليلة، تزيدُه إيمانًا، وتعظيمًا لله جل في علاه، وستتجلى له عظمته وقوته وسطوته من خلال آياته.

* وعن إسحاق بن إبراهيم قال: سمعت **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨) يقول: الفكرة نور تدخله قلبك.

قال: وبلغني عن سفيان بن عيينة قال: التفكر مفتاح الرحمة، ألا ترى أنه يتفكر فيتوب؟ تهذيب الحِلْية ٢/٤٤٣.

* وعن عبد الأعلى بن زياد قال: رأيت **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) يومًا قائمًا على شاطئ الفرات مبهوتًا، فقلت: ما يوقفك ها هنا يا أبا سليمان؟ قال: أنظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى. تهذيب الحِلْية ٢/٤٦٦.

* وعن يوسف بن سعيد بن مسلم قال: قلت لعلي بن بكار: كان **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) كثير الصلاة؟ قال: لا ولكنه صاحب تفكر يجلس ليله يتفكر. تهذيب الحِلْية ٢/٤٨٣.

* وقيل **لإبراهيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنك لتطيل الفكرة، قال: الفكرة مخ العمل. تهذيب الحِلْية ٣/٢٦.

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): ولو أن رجلًا كتب جميع العلم لم ينتفع به حتى يكون فيه خصلتان: حتى يكون فعلُه التفكرَ والعِبر، وقلبُه فارغًا للتفكر وعينُه فارغةً للعِبر، كلما نظر إلى شيء من الدنيا كان له عبرة.

والمؤمن مشغول بخصلتين، والمنافق مشغول بخصلتين، المؤمن بالعِبر والتفكر، والمنافق مشغول بالحرص ولأمل.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: متى أغفل العبد قلبه عن الله، والتفكر في صنعه ومنته عليه ثم مات مات عاصيا؛ لأن العبد ينبغي له أن يكون قلبه أبدًا مع الله، يقول: يا رب أعطني الإيمان، وعافني من البلاء واستر لي عيوبي، وارزقني، واجعل

نعمك متوالية علي، فهو أبدًا متفكر في نعم الله عليه، فالتفكر في منّة الله شكر، والغفلة عنه سهو. تهذيب الحِلْية ٢/٥٠٢.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. تهذيب الحِلْية ٣/٢٦.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. الزهد لأحمد: ٤٦٢.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): أبناء الدنيا يجدون لذة الكلام، وأبناء الآخرة يجدون لذة المعاني. تهذيب الحِلْية ٣/٢٦٥.

* وقَالَ **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): سبحانك، ما أغفل هذا الخلق عمّا أمامهم! ذيل الطبقات (١/ ٣٠١).

العزلة، وأهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم

أ- اعتزال الناس وعدم الإكثار من مخالطتهم والحذر منهم[(١)]:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): خذوا بحظكم من العزلة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٣.

* وعن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: نعم صومعة المرء المسلم بيته،

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وكلما طالت المخالطة: ازدادت أسباب الشر والعداوة وقويت. وبهذا السبب كان الشر الحاصل من الأقارب والعُشراء: أضعافَ الشر الحاصل من الأجانب والبُعَداء. مفتاح دار السعادة ١/ ٤٢٧-٤٢٨.

وقال أيضًا: فكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية؟ وهل آفة الناس إلا الناس؟ وهل كان على أبي طالب عند الوفاة أضر من قرناء السوء؟. والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير ويعتزلهم في الشر وفضول المباحات. فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم: فالحذر الحذر: أن يوافقهم، وليصبر على أذاهم، فإنهم لابد أن يؤذوه. وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات: فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس: طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك.

فإن أعجزته المقادير عن ذلك: فَلْيسُلّ قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرا غائبا، قريبا بعيدا، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم ورقى به إلى الملأ الأعلى، وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، فبين العبد وبينه: أن يصدق الله ويُديم اللّجأ إليه. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٣٩.

يكف فيه بصره وسمعه وفرجه، وإياكم ومجالس الأسواق؛ فإنها تُلغي[1] وتُلهي. الزهد لأبي داود (٢٠٣)، الزهد لوكيع (٢٥١).

* وعن **طلحة بن عبيد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) - وكان من دهاة قريش - قال: أقلُّ لعيب المرء أنْ يُكثر الجلوس في بيْتِه. الزهد لأبي داود (١٢١)، صححه ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في المطالب العالية (١٢/ ١٢٩).

* وعن **عثمان بن أبي العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥١) أنه قال: لولا الجمعة والجماعة لبنيت في أعلى داري هذه بيتًا فلم أخرج منه حتى أخرج إلى قبري. الزهد لأحمد: ٢٨١، الزهد لأبي داود (٣٣٣).

* وقال **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠): خالطت الناس خمسين سنة، فما وجدت رجلًا غفر لي ذنبًا فيما بيني وبينه، ولا وَصلني إذا قطعته، ولا سترَ علي عورة، ولا أمِنته إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: كان يقال: الحكمة عشرة أجزاء، فتسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس، فعالجت نفسي على الصمت، فلم أجدني أضبط كل ما أريد منه، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٢، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٣٧.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١): من أراد أن يَسلم دينُه، ويستريح قلبه وبدَنه، ويقلّ غمّه، فليعتزل الناس، لأن هذا زمان عزلة ووحدة. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: مِن قلة الصدق كثرة الخُلَطاء. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وعن **ابن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: العزلة عبادة. صفة الصفوة ٣/ ١٧٤، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٣.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢) قال: إن كان الفضل في الجماعة، فإن

---

(١) أي: تبعث على اللغو، وهو الكلام الذي لا يُفيد ولا ينفع.

السلامة في العزلة. تهذيب الحِلْية ١٨٢/ ٢، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٥.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١١٨) قال: كان المؤمن لا يُرى إلا في ثلاثة مواطن: في مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة لا بأس بها. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٢٠.

* وقال **بعض العقلاء**: إن الرجل ليجفوني، فإذا ذكرت استغنائي عنه وجدت لجفائه بردا على كبدي. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥١٠.

* وعن **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) أنه كان يقول: احترسوا من الناس بسوء الظن.[١] الزهد لأحمد: ٤١٧.

* وقيل **لابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): إذا صلّيتَ معنا لم تجلس معنا؟ قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتّابعين!.

قالوا: ومن أين الصحابة والتابعون؟.

قال: أذهب أنظرُ في علمي فأدرِكُ آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس، والبُعد من كثير من الناس أقربُ إلى الله، وفرّ من الناس كَفِرَارِك من أسد، وتمسّك بدينك يسلَمْ لك مَجهودُك. الحِلْية (٨/ ١٦٥).

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُكثر الجلوسَ في بيته، فقيل له: ألا تستوحِشُ؟ فقال: كيف أستوحشُ وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟!. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٦.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ[٢] ....

ديوان المتنبي (٢٢٨).

---

(١) وهو مرويٌّ عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال بعضُ العلماء: المعنى: احْترس بسوء الظن بنفسك لا بالناس، أي اتهم نفسك بأنك لا تنصفهم من نفسك في معاملاتهم.

وقال بعضهم: المعنى: احْترس بسوء الظن بالناس، إذا كان المظنون به ظاهر الفسق. وكلا المعنيين صحيح.

(٢) لأنك لا تخشى غوائله ويؤدبك بآدابه، ويؤنسك عند الوحشة بحكمه. معجز أحمد (٤٠٤).

* وعن يزيد بن توبة قال: قال لي **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): إني لأفرح إذا جاء الليل ليس إلا لأستريح من رؤية الناس. تهذيب الحِلْية ٣٧٢/ ٢.

* وعن عطاء بن مسلم الخفاف قال: قال لي **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): يا عطاء احذر الناس واحذرني، فلو خالفت رجلًا في رُمَّانة، فقال: حامضة وقلتُ: حلوة، أو قال: حلوة وقلتُ: حامضة، لخشيت أن يشيط بدمي. تهذيب الحِلْية ٣٧٥/ ٢، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٨.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠): حب لقاء الناس من حب الدنيا، وتركهم من ترك الدنيا. تهذيب الحِلْية ٤٨٥/ ٢.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٢٧): حب لقاء الناس حب الدنيا، وترك لقاء الناس ترك الدنيا. تهذيب الحِلْية ٩٤/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: من عامل الله بالصدق استوحش من الناس. تهذيب الحِلْية ٩٧/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ازهد في الناس، فعن معرفة مني بهم زهدت فيهم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٤٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): من استوحش من الوحدة واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء. تهذيب الحِلْية ٢٧/ ٣، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: من خالط الناس لم يسلم، ولم ينج من إحدى اثنتين:

- إما أن يخوض معهم إذا خاضوا في باطل.

- وإما أن يسكت إذا رأى منكرا أو سمعه من جلسائه، فلا يغير؛ فيأثم، ويَشْرَكهم فيه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٦.

* وقال الإمام **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): كان الناس الذين مضوا يحبون العزلة والانفراد من الناس. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥١٣.

* وكان **حبيب أبو محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٩) يخلو في بيته، فيقول: من لم تقر عينه بك فلا قرت، ومن لم يأنس بك فلا أنس. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٢٠.

* وقال **بعض السلف**: من عاشر الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم[1]. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٤٢.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه خيرًا في أمر دينك: ففر منه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٣٣.

* وقال **محمد بن أسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٢): مالي ولهذا الخلق! كنتُ في صلب أبي وحدي، ثم صرت في بطن أمي وحدي، ثم دخلت إلى الدنيا وحدي، ثم تقبض روحي وحدي، فأدخل في قبري وحدي، فيأتيني منكر ونكير فيسألاني وحدي، فأصير إلى حيث صرت وحدي، وتوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي، وإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدي، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي، فما لي والناس!. المنتظم ٣٠٣/ ١١.

* وسُئل **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): لم لا تصحب الناس؟ قَالَ: لوحشة الفراق. طبقات الحنابلة (٢/ ١٧).

* وعن عبد الله بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان أبي أصبر الناس على الوحْدة، لم يرَه أحد إلاّ في مسجد، أو حضور جنازة، أو عيادة مريض. وكان يكره المشْي في الأسواق. صفة الصفوة ٢/ ٦١٠.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عجبت لمن عرف الطريق إلى ربه، كيف يعيش

---

(١) في الأصل: راياهم، وهو خطأ، والتصحيح من المصادر الأخرى؛ ككتاب العزلة والانفراد للمؤلف ابن أبي الدنيا.

مع غيره.[1] تهذيب الحِلْية ٤٥٨/ ٣.

* ومَا أحْسنَ قَولَ **الْجُنيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧). مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة. فتح الباري ١١/ ٤٠٢.

* وقالَ **الْخطَّابيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٨): لو لم يكن في العزلة إلا السلامة من الغيبة ومن رؤية المنكر الذي لا يَقْدر على إزالته لكان ذلك خيرًا كثيرًا. فتح الباري ١١/ ٤٠٢.

* وقالَ **الْقُشيريُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٤): طريق من آثر العزلة أن يعتقد سلامة الناس من شره لا العكس فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه وهي صفة المتواضع والثاني شهوده مزية له على غيره وهذه صفة المتكبر. فتح الباري ١١/ ٤٠٤.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

خَليلُكَ أنتَ لا مَن قُلتَ خِلّي وإنْ كَثُرَ التّجَمّلُ والكَلامُ[2]

ديوان المتنبي (٢٢٨).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): كان الوزير **أبو شجاع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧٢) كثير البر للخلق، كثير التلطف بهم، فقدم من الحج وقد اتفق نفور العوام نفورًا أريقت فيها الدماء، وانبسطوا حتى هجموا على الديوان، وبطشوا بالأبواب والستور، فخرج من الخليفة إنكار عليه، وأمره أن يلبس أخلاق السياسة لتنحسم مادة الفساد، فأدَّب وضرب وبطش، فانبسطت فيه الألسنة بأنواع التهم، حتى قال قوم: ها هو إسماعيلي، وهبط عندهم ما تقدم من إحسانه.

قال **ابن عقيل**: فقلت لنفسي: أفلسي من الناس كل الإفلاس، ولا تثقي بهم،

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) يقول: ليس لك صديق في الحقيقة إلا نفسك، فأنت صديق نفسك، لا من تسميه خليلًا، وإن كثرت مجاملته، وأظهر لك الود بالكلام. معجز أحمد (٨٦)

فمن يقدر على إحسان هذا إليهم وهذه أقوالهم عنه. المنتظم ٢٥/ ١٧.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: متى حدَّثَتْك نفسُك وفاءَ الناس فلا تصدّق، هذا ابنُ رسول الله ﷺ (١) أكثرُ الناس حقوقًا على الخلق، فقتلوا أصحابه وأهلكوا أولاده. الآداب الشرعية ١/ ٢٠٥.

ب- أهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم، وقطع منتهم(٢):

* عن أم الدرداء قالت: قال لي **أبو الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لا تسألي الناس شيئًا، قالت: فقلت: فإن احتجت؟ قال: فإن احتجت فتتبعي الحصادين فانظري ما سقط منهم فاخبطيه ثم اطحنيه ثم كليه ولا تسألي الناس شيئًا. الزهد لأحمد: ٢٦٦.

* وقال **الشاعر**:

لا تحسبن الموت موت البلى ... فإنما الموت سؤال الرجال

---

(١) الحسين بن عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سؤال الناس مع القدرة على الكسب: حرام بلا نزاع؛ فمن حج على أن يسأل مع إمكان القعود فهو عاص، فقد جاء بضعة عشر حديثا في النهي عن المسألة.

ويجوز سؤالهم إذا كان للسائل حقّ، كسُؤالِ الْعلم؛ فإنَّ الله أمرَ بسُؤالِ أهل الْعلمِ كمَا في قوْله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل:٤٣].

وكسُؤالِ من له عند غيره حقٌّ؛ كالأمانات، فلصاحبها أن يسألها ممن هي عنده وكسؤال النفقة لمن تجب عليه، وكسُؤالِ المسافر الضيافة لمن تجب عليه، كما استطعم موسى والخضر أهل القرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَعْظَمُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ قَدْرًا وَحُرْمَةً عِنْدَ الْخَلْقِ: إِذَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَيْهِمْ بِوَجْه مِن الْوُجُوهِ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ مَعَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ: كُنْتَ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ عِنْدَهُمْ، وَمَتَى احْتَجْتَ إِلَيْهِمْ -وَلَوْ فِي شَرْبَةِ مَاءٍ- نَقَصَ قَدْرُكَ عِنْدَهُمْ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ؛ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَلَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ..

فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ: أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَأَفْقَرُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ.

وَالْخَلْقُ أَهْوَنُ مَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ: أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَيْهِمْ».

يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٨١-١٩٣) (١/ ٣٩-٤٠)، مختصر الفتاوى (٥٧٥).

كلاهما موت ولكنَّ ذا أشدُّ مِن ذاك لِذُلِّ السؤال

ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٥١.

* وقال الشاعر:

لاتخضعنّ لمخلوقٍ على طمع فإنّ ذاك مضرٌّ منك بالدين

واسترزقِ الله مما في خزائنه فإنما هو بين الكاف والنون

أدب الدين (٥٢٩).

* وقال **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) لعلي بن الحسن فيما يوصيه:

يا أخي، عليك بالكسب الطيب، وما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه، فالذي يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى، ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه.

ويا أخي، إن تناولت من الناس شيئًا قطعتَ لسانك، وأكرمتَ بعض الناس، وأهنتَ بعضهم، مع ما ينزل بك يوم القيامة، فإنَّ الذي يعطيك شيئًا من ماله فإنما هو وسخه، وتفسير وسخه تطهير عمله من الذنوب.

وإن أنت تناولت من الناس شيئًا: إن دعوك إلى منكرٍ أجبتَهم، وإن الذي يأكل أوساخ الناس كالرجل له شركاء في شيء ينبغي له أن يُقاسمهم.

يا أخي، جوعٌ وقليلٌ من العبادة خيرٌ من أن تشبع من أوساخ الناس وكثيرٍ من العبادة.

وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ**»[1].

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: من عمل منكم حمدناه، ومن لم يعمل اتهمناه، وقال: يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم ولا تزيدوا الخشوع على ما في

---

(١) رواه البخاري (٢٣٧٤).

القلب، اسْتَبِقوا في الخيرات، ولا تكونوا عيالًا على الناس، فقد وضح الطريق.

وقال علي بن أبي طالب: إن الذي يعيش من أيدي الناس كالذي يغرس شجرة في أرض غيره.

فاتق الله يا أخي، فإنه ما نال أحد من الناس شيئًا إلا صار حقيرًا ذليلًا عند الناس، والمؤمنون شهود الله في الأرض، وإياك أن تكسب خبيثًا فتنفقه في طاعة الله، فإنَّ تركَه فريضةٌ من الله واجبة، وإنه طيب لا يقبل إلا طيبًا، أرأيتَ رجلًا أصاب ثوبه بول ثم أراد أن يطهره فغسله ببول آخر؟ أترى كان ذلك يطهره؟ كلا! إن القذر لا يطهر إلا بطيب، فكذلك لا تُمحى السيئة إلا الحسنة، وإنَّ الحرام لا يُقبل في شيءٍ من الأعمال. تهذيب الحِلْية ٤٠٨/ ٢.

* وعن قتادة قال: وجدت **خليد بن عبد الله العصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] قال: تلقى المؤمن عفيفًا سؤولًا، وتلقاه غنيًّا فقيرًا.

قال: تلقاه عفيفًا عن الناس، سؤولًا لربه عَزَّوَجَلَّ ذليلًا لربه، عزيزًا في نفسه، غنيًّا عن الناس، فقيرًا إلى ربه.

قال **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١١٨). تلك أخلاق المؤمن، هو أحسن معونة وأيسر الناس مؤونة. الزهد لأحمد: ٤١٠.

* وعن عبد الله بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: حدثني علي بن الجهم بن بدر قال: كان لنا جار فأخرج إلينا كتابًا فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: نعم، هذا خط أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)، فقلنا له: كيف كتب ذلك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقصدنا أحمد بن حنبل أيامًا فلم نره، ثم جئنا إليه لنسأل عنه، فقال لنا أهل الدار التي هو فيها: هو في ذلك البيت، فجئنا

(١) من العُباد الزهاد، ولم أقف على تاريخ وفاته.

إليه، والباب مردود عليه، وإذا عليه خُلْقان[١]، فقلنا له: يا أبا عبد الله ما خبرك لم نرك منذ أيام؟ فقال: سُرقت ثيابي، فقلت له: معي دنانير، فإن شئت خذ قرْضا، وإن شئت صلة، فأبى أن يأخذه، وقال: اشتر لي ثوبًا واقطعه بنصفين، فأومى أنه يأتزر بنصف ويرتدي بالنصف الآخر، وقال: جئني ببقيَّته، ففعلت وجئت بوَرق وكاغَد[٢] فكتب لي، فهذا خطه. تهذيب الحِلْية ٣/١٤٢.

* وحُمل إلى الحسن بن عبد العزيز ميراثه من مصر مائة ألف دينار، فحَمَل إلى **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار، فقال: يا أبا عبد الله، هذه من ميراثٍ حلالٍ، فخذها واستعن بها على عيلتك[٣]، قال: لا حاجة لي بها أنا في كفاية فردها ولم يقبل منها شيئًا. تهذيب الحِلْية ٣/١٤٢.

* وعن عبد الله بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يومًا، ما ذاق إلا مقدار ربع سويق، كل ليلة كان يشرب شربة ماء، وفي كل ثلاث ليال يستف حفنة من السويق، فرجع إلى البيت ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر، ورأيت موقيه دخلتا في حدقتيه. تهذيب الحِلْية ٣/١٤٣.

* وعن إسحاق بن موسى الأنصاري قال: دفع إليّ المأمون مالًا أقسمه على أصحاب الحديث، فإن فيهم ضعفاء، فما بقي منهم أحد إلا أخذ إلا **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه أبى. تهذيب الحِلْية ٣/١٤٤.

ج- أقوال بعض السلف في تفضيل مخالطة الناس، وتوجيههم لمن خالطهم:

* جاء رجل إلى **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) فقال: إني قد حدثت نفسي أن لا أخالط الناس فما ترى؟ قال: لا تفعل، إنه لا بد للناس منك، ولا بد لك

(١) جمع خَلَق، وهو الثوب البالي القديم.

(٢) أي: قرطاس.

(٣) أي: حاجتك وفقرك.

منهم، لك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصم سميعا، أعمى بصيرا، سكوتا نطوقا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٤.

* وذكروا عند **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عبادة بني إسرائيل وسياحتهم قال: فقال وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من خالط الناس فورع وصبر على أذاهم كان أفضل عندي. الزهد لأحمد: ٦١٧.

* وقال **الشافعيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): الانْقباضُ عن الناس مكسبَةٌ للعداوةِ، والانبساطُ إليهم مَجلَبَةٌ لقُرناء السوء، فكُن بين المنقبض والمنبسط. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٣.

* وقال **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): يروى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**الذي يخالِطُ الناس ويصبر عَلَى أذاهم**»[1]، من يصبر عَلَى أذاهم؟ طبقات الحنابلة (١/ ٣٧٢).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كانت الفِتنة فلا بأس أن يعتزل الرجل حيثُ شاء، وأما إذا لم تكن فتنة فالأمصار خير. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٤٣).

* وسُئل **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): فقيل له: ما تقول في عزلة الجاهِل؟.

فقال: خبالٌ ووبال، تضرُّه ولا تنفعه.

فقيل له: فعُزلة العالِم؟ قَالَ: مَا لَكَ ولها، معها حِذَاؤها وسِقاؤُها، تَرِد الماء وترعى الشجر، إلى أن يلقاها ربها. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).

---

(١) لفظ الحديث: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجرًا من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». رواه أحمد (٢٣٠٩٨)، وغيره.

حال السلف عند الموت(١)

أ- قصص وأخبار:

* لما احتُضر **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) جاءت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتمثَّلت بهذا البيت:

مـن لـم يـزل دمعـه مُقنَّعـا فإنـه لا بـدّ مـرةً مدْفُـوق

فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بل ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق:١٩]. الزهد لأبي داود (٦١).

* ودخلوا عليه في مرضه فقالوا: يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي، قالوا: ما قال؟ قال: إني فعال لما أريد. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣١٢.

* وعن ابن عمر قال: كان رأس **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي على الأرض، قال: فقلت: وما عليك

---

(١) الموت مصيبة وأيّ مصيبة! قال تعالى: ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [المائدة:١٠٦]، ولو لم يكن من مصيبة الموت إلا أنّ الأعمال الصالحة التي كانت تُرفع تنقطع وتتوقف!

إلا مَنْ مَنَّ الله عليه بأسبابِ دوامها، كالولد الصالح الذي يدعو له، والعلم الذي يُنتفع به، والصدقة الجارية، ومَن سنّ سنة حسنة فعمل الناس بها.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: الَّذِي يَحْصلُ لِلْمُؤْمنِ منَ الْبشْرى، ومسَرَّةِ الْملائكةِ بلقائِه، ورفْقهم بهِ، وفرَحِهِ بلقاءِ ربِّهِ: يُهوِّنُ عليه كُلَّ ما يَحصلُ لهُ منْ ألَمِ الْموتِ، حتَّى يصيرَ كأنَّهُ لا يُحسُّ بشيءٍ منْ ذلك. ا.هـ فتح الباري ١١/ ٣٦٥.

كان على فخذي أم على الأرض؟ قال: ضعه على الأرض، قال: فوضعته على الأرض، فقال: ويلي وويل أمي إن لم يَغْفِرْ لي ربي. الزهد لأبي داود (٤٤).

* وعن عثمان بن عفان قال: دخلت على **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين طعن، ورأيته في التراب، فذهبت أرفعه، فقال: دعني، ويلي وويل أمي إن لم يغفر لي، وويلي وويل أمي إن لم يغفر لي. الزهد لأحمد: ٢٣٨.

* وبعث النبي ﷺ سبعين من القرّاء إلى بني عامر فلما قدموا: قال لهم **حرام ابن ملحان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤): أتقدّمكم، فإن أمّنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ وإلا كنتم منّي قريبًا، فتقدم فأمّنوه، فبينما يحدّثهم عن النبي ﷺ إذ أَوْمؤوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه، فقال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة. صحيح البخاري (٣٨٦٥)، صحيح مسلم ٦٧٧).

* وعن زياد مولى ابن عباس، قال: حدَّثني من دخل على **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) في مرضه الذي مات فيه، فقال: لولا أني أرى هذا اليوم آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، ثم مات رَحِمَهُ اللَّهُ. المنتظم ١٠٦/ ٥.

* وعن سلم بن بشير بن حجل قال: بكى **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) في مرضه، فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرّة؟ قال: أما إني ما أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي لبعد سفري، وقلة زادي، وإني أصبحت في صعود مهبطه على جنة ونار، فلا أدري أيهما يُسْلك بي. «الزهد الكبير للبيهقي» (٢٢١).

* ولما حضر **معاذَ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) الوفاةُ قال: انظروا أصبحنا؟

فأتي فقيل: لم نصبح، حتى أُتي في بعض ذلك فقيل له: قد أصبحت، فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها النار، مرحبًا بالموت مرحبًا، زائر مُغَيَّب، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، إنك لتعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لِكَرْي الأنهار، ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُكَب عند حِلَق الذِكر. صفة الصفوة ١/ ٢٣٤.

* ولما احتُضر **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) جعل يقول: مَن يَعملُ لمثل يومي هذا؟ من يعملُ لمثل مضجعي هذا؟. الزهد لأبي داود (١٩٤).

* واجتهد **أبو موسى الأشعريُّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: لو أمسكت ورفقتَ بنفسك؟ قال: إنَّ الخيل إذا أُرسِلَت فقاربت رأس مَجراها، أَخْرَجَتْ جميعَ ما عندها، والَّذي بقي من أَجَلي أقلُّ من ذلك. تهذيب السِّيَر ١/ ٢٨١.

* ودعا **أبو موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتيانه حين حضرته الوفاة، فقال: اذهبوا واحفروا وأوسعوا، وأعمقوا فجاؤوا فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا، فقال: وَاللهِ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْمَنزِلَتَيْنِ، إِمَّا لَيُوَسَّعَنَّ عَلَيَّ قَبْرِي حَتَّى تكُونَ كُلُّ زَاوِيَةٍ مِنْهُ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، ثُمَّ لَيُفْتَحَنَّ لِي بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَلَأَنْظُرَنَّ إِلَى أَزْوَاجِي وَمَنَازِلِي وَمَا أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لِي مِنَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ لَأَكُونَنَّ أَهْدَى إِلَى مَنْزِلِي مِنِّي الْيَوْمَ إِلَى بَيْتِي، ثُمَّ لَيُصِيبُنِي مِنْ رِيحِهَا وَرَوْحِهَا حَتَّى أُبْعَثَ، وَلَئِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى - وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا - لَيُضَيَّقَنَّ عَلَيَّ قَبْرِي حَتَّى يَكُونَ فِي أَضْيَقِ مِنَ الْقَنَاةِ فِي الزَّجِّ، ثُمَّ لَيُفْتَحَنَّ لِي بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ جهَنَّمَ فَلَأَنْظُرَنَّ إِلَى سَلَاسِلِي وَأَغْلَالِي وَقُرَنَائِي، ثُمَّ لَأَكُونَنَّ إِلَى مِقْعَدِي مِنْ جَهَنَّمَ أَهْدَى مِنِّي الْيَوْمَ إِلَى بَيْتِي، ثُمَّ لَيُصِيبُنِي مِنْ سَمُومِهَا وَحَمِيمِهَا

حَتَّى أُبْعَثَ.[١] تهذيب الحِلْية ٢٠١/١.

* وقال **عمرُو بنُ العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): عجبًا لمن نزلَ به الموتُ، وعقلُه معه كيف لا يصفُه؟ فلما نزلَ به الموتُ، ذكَّره ابنُه بقوله، وقال: صِفْهُ، قال: يا بُنَيَّ! الموت أجلُّ من أن يُوصف، ولكني سأصفُ لك، أجدني كأن جبال رضْوى على عُنُقي، وكأن في جوفي الشوك، وأجدني كأنَّ نفَسِي يخرجُ من إبرة. تهذيب السِّير ١/ ٣٣٧.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث احتُضر: اللهم أمرتنا بأمور، ونهيت عن أمور، فتركنا كثيرا مما أمرت، ووقعنا في كثير مما نهيت، اللهم لا إله إلا أنت، ثم أخذ بإبهامه، فلم يزل يهلل حتى فاض. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦٨.

* وبكى وهو في سياقة الموت طويلا وحوله وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكذا؟ أما بشرك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكذا؟.

فأقبل بوجهه فقال: إنّ أفضل ما نُعِدّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.[٢].

إني قد كنت على أطباق ثلاث. لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مني. ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته. فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار.

فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال فقبضت يدي، قال «مالك يا عمرو؟» قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يُغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟».

---

(١) حقٌّ على كلّ عاقل أن يستعد لما بعد الموت، بأنْ يعمر أوقاته بالطاعات والقربات، وأن يكفّ عن المعاصي، فالقبر أول منازل الآخرة، فإما أن يُنعّم فيه أو يُعذّب.

(٢) في كتاب الزهد لابن المبارك (٤١٦): تركت أفضل من ذلك كله: شهادة أن لا إله إلا الله..

وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة.

ثم وَلينا أشياء ما أدري ما حالي فيها.

فإذا أنا مت، فلا تصبحني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا.

ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور، ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي. صحيح مسلم (١٢١).

* ولما حضرت **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) الوفاةُ جعلوا يديرونه في القصر فقال: هل بلغنا الخضراء؟ فصرخت ابنته رملة! فقال: ما أصرخك؟ قالت: نحن ندوِّر بك في الخضراء، وتقول هل بلغت الخضراء بعد؟ فقال: إنْ عزُب عقلُ أبيك فطالَمَا وقَر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣١٩.

* ولما نزل به الموت قال: ليتني كنت رجلا من قريش بذي طِوى، وأني لم آلِ[1] من هذا الأمر شيئا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢١.

* وقال **بلال** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠) حين حضرته الوفاة: غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبَه، وتقول امرأته: واويلاه، يقول: وافرحاه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧١.

* وبكى **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) عند الموت فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي ضنًّا بدنياكم، ولا جزعا من الموت، ولكن قلةُ الزاد، وبعد المفاز. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٨.

* وقال أنس بن سيرين: شهدت **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) وحضره

---

(١) أي أتولّ ولاية.

الموت، فجعل يقول: لقنوني: لا إله إلا الله، فلم يزل يقولها حتى قبض. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٠٧.

* ولما أن حضر **الحسن بن علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) الموتُ بكى بكاء شديدا، فقال له الحسين: ما يبكيك يا أخي؟ وإنما تقدم على رسول الله ﷺ وعلى علي وفاطمة وخديجة، وهم ولدوك، وقد أجرى الله لك على لسان نبيه أنك سيد شباب أهل الجنة، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت الله على قدميك خمس عشرة مرة حاجًّا؟، وإنما أراد أن يطيب نفسه، فو الله ما زاده إلا بكاء وانتحابا، وقال: يا أخي إني أقدم على أمر عظيم، وهول لم أقْدَم على مثله قط!.(١) ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٩.

* وعن **رجل من أصحاب رسول الله** ﷺ، أنه لما حضره الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أما إني لا أبكي على الدنيا، ولكني أبكي أني أخاف أن أكون كنت أقول قولا أحسبه هينا، وهو عند الله عظيم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٦.

* وبكى **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) عند موته فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أنتظر من الله رسولًا يبشرني بالجنة أو بالنار!. الزهد لابن المبارك (٤١٣)، ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣٩.

* ولما احتضر **عبد الرحمن بن الأسود** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٩) بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أسفًا على الصوم والصلاة، ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٨.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ لما حضره الموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [آل عمران:١٨٥] ألا إن الأعمال محظورة، والأجور

---

(١) نعم والله! إنه أمر عظيم، وهولٌ لم يقْدم الحيّ على مثله قط، اللهم أحسن ختامنا، واجعل قبورنا رياضًا من رياض الجنة.

مكملة، ولكل ساع ما يسعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت، ثم بكى وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدي الله موقفه، والنار غدا مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لوقوفك بين يدي ربك؟.

ثم بكى، فقيل له: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: أبكي والله على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار، ثم بكى وقال: من يصلي لك يا يزيد؟ ومن يصوم؟ ومن يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك؟ ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ ويحكم يا أخوتاه لا تغترن بشبابكم، فكأنْ قد حل بكم ما حل بي من عظيم الأمر، وشدة كرب الموت، النجاء النجاء، الحذر الحذر، يا إخوتاه المبادرة رحمكم الله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٧.

* وحضرت الوفاةُ **رجلا من عِلْيَة هذه الأمة**، فجزع جزعا شديدا، وبكى بكاء كثيرا، فقيل له في ذلك فقال: ما أبكي إلا على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم، ويصلي له المصلون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم، فذاك الذي أبكاني. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٨.

* وقال **سليمان التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣): دخلت على رجل من أصحابي وهو بالموت، فرأيت من جزعه شيئا ساءَني، فقلت له: ما هذا الجزع؟ فقال: وما لي لا أجزع؟ ومن أحق بذلك مني؟ والله لو أتتني المغفرة من الله للحقني الحياء من الله فيما أفضيت به إليه. الزهد لابن المبارك (١١٤٨).

* وحضرَ الموتُ **رجلا من الصالحين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فبكى فقيل له: علام تبكي، فإنما هي الدنيا التي تعرفها!، فقال: ليس عليها أبكي، ولكني والله أبكي على فراق الذكر ومجالس أهله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٠.

* ولَمَّا احتُضِر **عامر بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) بكى، فقيل: ما يُبكيك؟

قال: ما أبكي جَزعًا من المَوت، ولا حِرصًا على الدُّنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجِر وعلى قيام ليالي الشتاء.(١) الزهد لابن المبارك (٢٦٥).

* وسمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ المؤذن وهو يجود بنفسه، ومنزله قريب من المسجد، فقال: خذوا بيدي، فقيل له: إنك عليل، فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب، فركع مع الإمام ركعةً، ثم مات. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٢.

* وعن الحسن بن صالح بن حيّ أنه قال: قال لي أخي **علي بن صالح بن حيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٤) في الليلة التي توفي فيها: اسقني ماء، وكنت قائمًا أصلي، فلما قضيت الصلاة أتيته بماء فقلت: يا أخي، فقال: لبيك، فقلت: هذا ماء، فقال: قد شربت الساعة، فقلت: من سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك؟ قال: أتاني جبريل الساعة بماء فسقاني وقال لي: أنت وأخوك وأبوك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وخرجت روحه رحمة الله عليه. كرامات الأولياء للخَلّال (٤٣).

* وكان **عبد الرحمن بن أبان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) يشتري أهل البيت ثم يأمر بهم فيكسون ويذهبون، ثم يعرضون عليه فيقول: أنتم أحرار لوجه الله أستعين بكم على غمرات الموت.

فمات وهو قائم في مسجده. المنتظم ٧/ ١٢٢.

* ولما حُضِر **صفوان بن سليم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢) حضره إخوانه، فجعل يتقلب، فقالوا: كأن لك حاجة قال: نعم، فقالت ابنته: ما له من حاجة، إلا أنه يريد

---

(١) كان كثيرٌ من السلف الصالح يبكي عند الموت، فيُقال لهم: ما يبكيكم؟ فيقولون: ما نبكي جزعا من الموت، ولا حرصا على الدنيا، ولكن نبكي على قيام ليالي الشتاء!
فكم فرّط الكثير من المسلمين في قيام ليالي الشتاء الطويلة، التي طالما بكى على فراقها الصالحون حتى عند الموت، وتحسروا على لذاتها والدمعات التي سُكبت فيها.

أن تقوموا عنه فيقوم فيصلي، فقام القوم عنه، وقام إلى مسجده فصلى، فوقع، فصاحت ابنته، فدخلوا عليه فحملوه ومات. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٧.

* وعن فضالة بن دينار قال: حضرت **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) وقد سُجي للموت، فجعل يقول: مرحبا بملائكة ربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: وشممت رائحة طيبة لم أشمم مثلها، قال: ثم شَخَصَ ببصره فمات. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٩.

* وأتى صفوان بن سليم **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) وهو في الموت، فقال: يا أبا عبد الله كأني أراك قد شق عليك الموت؟!، فما زال يهون عليه الأمر ويتجلى عن محمد، حتى لكأن وجهه المصابيح، ثم قال له محمد: لو ترى ما ألاقيه: لقرت عينك! ثم قضى. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٨.

* وعن سعيد بن عبد العزيز قال: لا نعلم أحدًا رأى حور العين عيانًا إلا في المنام إلا ما كان من **أبي مخرمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإنه دخل يومًا لحاجته فرأى حوراء في قبتها وعلى سريرها فلما رآها صرف وجهه عنها، قالت: إليَّ يا أبا مخرمة فإني أنا زوجتك وهذه زوجة فلان، قال: فانصرف إلى أصحابه فأخبرهم فكتبوا وصاياهم فلم يكتب أحد وصيته إلا استشهد. الزهد لأحمد: ٣١٠.

* وقال **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) لما حضره الموت: اللهم خِرْ لي في الذي قضيته علي من أمر الدنيا والآخرة، وأمرهم بأن يحملوه إلى قبره، فختم فيه القرآن قبل أن يموت!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤١.

* ولما احتضر **العلاء بن زياد العدوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كنت والله أحب أن أستقبل الموت بالتوبة، قيل له: فافعل رحمك الله، فدعا بطهور فتطهر، ثم دعا بثوب له جديد فلبسه، ثم استقبل القبلة، فأومأ

برأسه مرتين أو نحو ذلك، ثم اضطجع فمات!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤١.

* وقال أبو جعفر التُّسْتَري: حضرنا **أبا زرعة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦٤) وكان في السَّوْق[١]، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شَاذَان، وجماعة من العلماءِ، فذكروا حديث التَّلقين، وقولَه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَقِّنوا موْتاكم لا إله إلا الله»[٢]. فاستحْيَوْا من أبي زرعة وهابوا أن يلقِّنوه، فقالوا: تعالَوْا نذكر الحديث، فقال محمد بن مسلم: أنبأ الضحاك بن مخلد، عن عبد الحميد بن جعفر بن صالح ولم يجاوز، والباقون سكتوا فقال أبو زرعة وهو في السَّوْقِ: حدثَنَا بندار قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي غريب، عن كثير بن مرّة الحضرمي، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله »[٣] وتُوفّي رَحِمَهُ اللَّهُ. صفة الصفوة ٤/ ٣٣٩.

* وكان **الأسودُ بن يزيد النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥) يجتهد في العبادة، ويصومُ حتى يخضَرَّ ويصفرَّ، فلما احتُضِر بكى، فقيل له: ما هذا الجَزَعُ؟ فقال: مالي لا أجزعُ، والله لو أُتِيتُ بالمغفرةِ من الله لأهمَّني الحياءُ منه ممَّا قد صنعْتُ، إن الرجل ليكون بينَهُ وبين آخرَ الذَّنبُ الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحيًا منه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٤٠.

* واحتضر **سيبويه النحوي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٠)، فوضع رأسه في حجر أخيه، فقطرت قطرة من دموع أخيه على خده، فأفاق من غشيه، فقال:

أُخَيَّيــن كنــا فــرَّق الدهــرُ بيننــا إلى الأمد الأقصى فمن يأمنُ الدهرا

ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٩.

---

(١) أي يحتضر.

(٢) رواه مسلم (٩١٦).

(٣) رواه أبو داود (٣١١٦).

* وعن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزع؟ قال: أخشى آيةً من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر:٤٧] فإني أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب. صفة الصفوة ٢/ ٤٨١.

* وكان **ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠)؟ يقول عند الموت: السنّة، السنّة، وإيّاكم والبدع، حتى مات. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* واحتضر **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١)، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئًا من الأرض فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت. تهذيب الحِلْية ٣٧٨/ ٢.

* ولما حضرت **مسعرًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٢) الوفاة، دخل عليه سفيان الثوري، فوجده جزعًا، فقال له: لم تجزع؟ فوالله لوددت أني مت الساعة، فقال مسعر: أقعدوني فأعاد عليه سفيان الكلام فقال: إنك إذًا لواثق بعملك يا سفيان، لكني والله لكأني على شاهق جبل، لا أدري أين أهبط[1]، فبكى سفيان فقال: أنت أخوف لله عَزَّوَجَلَّ مني. تهذيب الحِلْية ٤٢٠/ ٢.

* وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار.

فقلت له يوما: يا أمير المؤمنين، ألا أخرج عنك عسى أن تُغْفي شيئا، فإنك لم تنم؟.

---

(١) وصفٌ دقيق لحال فراق الروح من عالَم الدنيا إلى عالَم الآخرة.

قالت: فخرجت عنه إلى جنب البيت الذي هو فيه، فجعلتُ أسمعه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣] يرددها مرارا، ثم أطرق، فلبث طويلا لا أسمع له صوتا، فدخلت عليه، فوجدته ميتا، قد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينه. الزهد لابن المبارك (٨٣٦)، ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٥.

* وقال رجاءُ بنُ حيْوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **عمرُ بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أوصى إليَّ أن أغسِّله وأكفِّنه، وأدفنَه فإذا حللتُ عقدةَ الكفَنِ، أن أنظُرَ في وجهه، قال: فلمَّا فعلتُ ذلك إذا وجهُه كالقراطيسِ بياضًا، وكان قد أخبرني أنَّه دفن ثلاثةً من الخلفاء فيحُلُّ عن وجوههم فإذا هي مسودَّةٌ. البداية والنهاية ٩/ ٣٥٩.

* وعن محمد بن **ثابت البناني** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ قال: ذهبت ألقِّن **أبي** (ت: ١٣٣) عند الموت فقال: يا بني خل عني، فإني في وردي السابع، كأنه يقرأ ونفسه تخرج. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٢.

* وقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) وهو في الموت: يا إخوتاه! تدرون أين يُذهب بي؟ يُذهب بي والله الذي لا إله إلا هو إلى النار، أو يعفو عني!.

وجعل يقول: وما يُغني عني ما يقول الناس إذا أُخذ بيدي ورجلي فأُلقيت في النار؟. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٦.

* ودخلوا على **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) وهو في الموت، فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دُؤوب أبي يحيى.

ورفع رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٦، ٣٧١.

* وكان **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا جاء الليل قال: ذهب من عمري يوم كامل،

فإذا أصبح قال: ذهبت ليلة كاملة من عمري، فلما احتضر بكى وقال: قد كنت أعلم أن لي مِن كرِّكُما علي يوما شديدا كربه، شديدا غُصَصه، شديدا غمه، فلا إله إلا الذي قضى الموتَ على خلقه، وميزه عدلا بين عباده، ثم جعل يقرأ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:٢] ثم تنفس فخرجت نفسه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٩.

* ونزل الموت **برجل** من أهل المدينة فجزع، فقيل له: أتجزع؟ فقال: ولم لا أجزع؟ فوالله إن كان رسولُ أمير المدينة لَيأتيني فأفزع لذلك، فكيف برسول رب العالمين؟!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٤.

* وقال **عطاء السليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) عند الموت: اللهم ارحم في الدنيا غُربتي، وارحم عند الموت صَرعتي، وارحم في القبر وَحدتي، وارحم مقامي بين يديك يوم النشور. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٩.

* ومرض **جليس للحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، فسأل عنه فقيل: مريض وقد أحب أن تأتيه، فأتاه فدخل عليه، وإذا الرجل لما به فقال: إنَّ أمرًا[1] يصير إلى هذا لأهلٌ أنْ يُزهد فيه، ثم قال: إنَّ أمرًا[2] أهونه هذا لأهل أنْ يُتقى. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦٠.

* وصدق **القائل**:

إن عيشا يكون آخره الموتُ   لعيشٌ معجَّلُ التنغيصِ

* وعن ثابت قال: دخلت أنا والحسن على **صفوان بن محرز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤) نعوده وهو ثقيل، فقال: إنه من كان في مثل حالي ملأت الآخرة قلبه، وكانت الدنيا أصغر في عينه من الذباب.[3] ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٠.

---

(١) أي: الدنيا.

(٢) أي: الآخرة.

(٣) فينبغي للمؤمن أن يُوقن بهذا في صحته فينفعه ذلك، قبل أن يُوقن به عند موتِه فلا ينفعه ولا يستفيد بوقوفِه على هذه الحقيقة التي أَكْثر الله تعالى من بيانها في كتابه.

* ولما حضرتِ الوفاةُ الشيخَ **الكاساني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٨٧) شرع في قراءة سورة إبراهيم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧] فخرجت روحه عند فراغه من قوله: ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾. طبقات الحنفية (٢٤٥).

* وقال **أبو علي الحسن بن نصر السّوسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٤) ليلة من الليالي لابنه في مرضه الذي توفي فيه: يا بني، اربط لي حبلًا في السقف، لعلي أقدر أصلي قائمًا، قال: ففعلت، وحملناه حتى وقف، وغُلب ولم يستطع القيام فبكى، وقال: واحزناه، حيل بيني وبين طاعة ربي، فذكرت له الصلاة جالسًا، فقال: يا بني، العمر قصير، والعمل قليل، وإنما أردت أن أعمل أكثر مما عملت، ولَمَّا أطال به المرض قال لزوجته: قد تولَّيتِ مني خيرًا، فاصبري، فما أشك أن أجلي قد اقترب، فإني سمعت هاتفًا من هذا الطاق يقول: أحْسِنْ غدًا صلاة الظهر يفرج عنك، فمات ذلك الوقت. ترتيب المدارك (٣/ ٣١٨).

* وجَدَّ **الفخر ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢٢) فِي الاشتغال والبَحث، ثم أخذ في التدريس والوعظ والتَّصنيف، وشرع في إلقاء التفسير بُكرة كل يومٍ، بجامع حران في سنة ثمان وثمانين، وواظبَ على ذلك حتى قرأ الْقُرْآن الكريم خمس مرات، انتهى آخرها إِلى سنة عشر وستمائة، فكان مجموع ذَلِكَ فِي ثَلاث وعشرين سنة، ذكر ذَلِكَ فِي أول تفسيره الذي صنَّفه.

وَكَانَ الشيخ فخر الدين رجلًا صالحًا..

قرأتُ بخط ولده: لما مَات الوالد كَانَ فِي الصلاة؛ لأني ذكرته بصلاة العصر، وأخذته إِلَى صدري، فكبَّر وجَعَل يُحرّك حاجِبه وشفتيه بالصلاة، حَتَّى شَخَصَ بصره.

وَقَدْ ذكر ولده لَهُ منامات صالحة رُئيت لَهُ بَعْد وفاته.

منها: أَن رجلًا حدَّثه أَنَّهُ رأى والده الشيخ فخر الدين جالسًا عَلَى تَختٍ(١) عالٍ، وعليه ثياب جميلة، فَقُلْتُ لَهُ: يا سيِّدي مَا هَذَا؟ فقرأ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الإنسان:١٣].

ورأى آخر الشيخ الفَخر في المنام.. قال: فَقُلْتُ للشيخ الفخر: يا سيدي أخبرني، الْمَوْت كَيْفَ هُوَ؟.

قَالَ: والله الْمَوْت وقت حضوره صعبٌ شديد، وبعد الْمَوْت كلّه هين.

ثُمَّ قَالَ لي: الصلاة يا عبدالله، مَا شَيْء أفضل منها، **فمَن واظبَ عَلَيْهَا وحافظ عَلَى السُّنّة، والجماعة؛ مَا يلقى إلا الخير الكثير.**

قَالَ: وأخبرني رجل سمّاه -وَكَانَ فِيهِ دين وصلاح- قَالَ: رأيتُ فِي النوم قائلًا يَقُول: الشيخ الفَخر كَانَ صادقا مَعَ الله، ثُمَّ قَالَ: الشيخ الفخر كَانَ من الصديقين، قَالَ: وبعدُ رأيت كأنني دخلتُ إِلَى الجامع، فَإِذَا الشيخ عَلَى الكرسي يتكلم، وَهُوَ يردد هذه الأبيات:

طوبى لعبد أحبَّ مولاه — إِذَا خلا فِي الظلام ناجاه

قَدْ كشف الحُجُبَ عَن بواطنه — فنورُ مولاه قَدْ تَغَشَّاه

يَقُول يا غايتي ويا أملي — مَا خابَ عَبْدٌ تكون مولاه

وَكَانَ من عادَتِه فِي مجالسه أَيَّام حياته يرددها كثيرًا فِي كلامه فِي الوعظ، قَالَ: فطربتُ لسماعِ صوته فِي المنام. ذيل الطبقات (٣/ ٣٢٣-٣٣٥).

* **وقال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥): أخبرني بَعْض أقارب **فخر الدين بن البعلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٣٢) -وَكَانَ يخدمه فِي مرضه الذي توفي فِيهِ- قَالَ: آخر مَا

---

(١) أي: سرير.

سمعت عِنْدَ موته أَن قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (من كَانَ آخر قَوْله لا إله إلا الله) ثُمَّ مَات. ذيل الطبقات (٥/ ٣٩).

* وجمع **القاضي ابن الصائغ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٨٣) أهله عند احتضاره، وتوضأ وصلى بهم، وقال: هلِّلوا معي، وبقي يُهلل معهم ساعة حتى تُوفي، وذكروا أن آخر كلامه لا إله إلا الله، فرحمه الله. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٦، طبقات الشافعيين (٢/ ٣٦٠).

* وعن جعفر قال: شهدت **أبا عمران الجوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) وهو في الموت، قال: فدخل عليه أيوب السختياني فقال لابنه: لقن أباك: لا إله إلا الله، فقال أبو عمران لابنه: ما يقول؟ قال: يقول: لقن أباك، فقال أبو عمران: يا أيوب إنها أمامي لا أعرف غيرها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٢.

* ودخلوا على **ورقاء بن عمر** [1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو في الموت فجعل يهلل ويكبر ويذكر الله، وجعل الناس يدخلون عليه أرسالا يسلمون فيرد عليهم ويخرجون، فلما كثروا عليه أقبل على ابنه فقال: يا بني اكفني رد السلام على هؤلاء، لا يشغلوني عن ربي. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٤.

* وعن سيار بن سلامة قال: دخلت على **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) في مرضه الذي مات فيه، فقال: إن أحبَّه إلي أحبُّه إلى الله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٤.

* وعن مالك بن أنس قال: كان **عمر بن حسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهل الفضل والفقه والمشورة في الأمور والعبادة، وكانت القضاة تستشيره، قال مالك: ولقد أخبرني من حضره عند الموت فسمعه يقول: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ [الصافات:٦١] فقيل لمالك: أتراه قال هذا لشيء عاينه؟ قال: نعم!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٦.

---

(١) الإمام الثقة العابد، أبو بشر اليشكري، ولم أقف على تاريخ وفاته.

* وحضرت **إبراهيم بن هانئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٥) الوفاة، فقال لابنه إسحاق: أنا عطشان، فجاءه بماء، فقال: غابت الشمس؟ قال: لا قال: فَردّه، ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، ثم خرجت روحه. المنتظم ١٩٨/ ١٢.

* لما تغير الحال على **أبي عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠) وقت وفاته مزق ابنه أبو بكر قميصًا كان عليه، ففتح أبو عثمان عينيه وقال: يا بني خلاف السنة في الظاهر، رياءٌ باطنٌ في القلب. تهذيب الحِلْية ٣٦٤/ ٣.

* وعن أبي محمد الحريري أنه قال: كنت واقفًا على رأس **الجُنَيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧) وقت وفاته وهو يقرأ القرآن، فقلت: يا أبا القاسم أرفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد ما رأيت أحدًا أحوج إليه مني في هذا الوقت وهو يطوي صحيفتي. المنتظم ١١٩/ ١٣.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال: أسندته ـ أي **عبد الأول بن عيسى الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٥٣) ـ إلي فمات فكان آخر كلمة قالها: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس:٢٦-٢٧]. ومات. المنتظم ١٢٧/ ١٨.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني شيخنا أبو الفضل بن ناصر عن **عبدالله بن إبراهيم الخبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨٩)، قال: كان يكتب المصاحف فبينا هو يومًا قاعدًا مستندًا يكتب وضع القلم من يده واستند، وقال: والله إن كان هذا موتًا فهذا موت طيب ثم مات. المنتظم ٣٤/ ١٧.

* وعن محمد بن إبراهيم قال: حضرت وفاة **الشبلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٤) فأمسك لسانه وعرق جبينه، فأشار إلى وضوء الصلاة فوضأته ونسيت التخليل، تخليل لحيته، فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته يخللها، فبكيت وقلت:

أي شيء يتهيأ أن يقال لرجل لم يذهب عليه تخليل لحيته في الوضوء عند نزوع روحه وإمساك لسانه وعرق جبينه؟. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٦١ ٣.

* وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن بشر النهشلي قال: دخلنا على **أبي بكر النهشلي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٦) وهو في الموت، وهو يومئ برأسه يرفعه ويضعه، وكأنه يصلي، فقال له بعض أصحابه: في مثل هذه الحال رحمك الله؟ قال: إني أبادر طي الصحيفة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢.

ب- أهمية تذكر الموت والاستعداد له:

* قالت صفية بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إن امرأة اشتكت إلى **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قساوة القلب، فقالت: أكثري من ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت، فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٤٢.

* وقال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): من ارتقب الموت سارع في الخيرات. ابن أبي الدنيا ٢/ ٩٢.

* وقال **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): إذا مات الميت قالت الملائكة: ما قدم؟ ويقول الناس: ما ترك؟ الزهد لأبي داود (٢٥٢).

* وجاء رجل إلى **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) فقال: أوصني، قال: اذكر الله في السراء والضراء، وإذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدهم، وإذا أشرفت نفسك على شيء من الدنيا، فانظر إلى ما تصير. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٣.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أكثر عبد ذكر الموت، إلا قل فرحه وقل حسده. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٤.

* وعن **رجاء بن حيوة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢) قال: ما أكثر عبدٌ ذكر الموت إلا ترك الفرح والحسد. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٩.

* وروي عن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) أنه قال: لو فارقَ ذِكر الموتِ قلبي، لخِشيتُ أن يفسد عليَّ قلبي. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٦.

* وقال **مطرّف بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موتَ فيه. صفة الصفوة ٣/ ١٥٩.

* وصدق **القائل**:

وكُلُّ سَـلامَةٍ تَعِـدُ الْمَنَايَـا … وكُلُّ عِمـارَةٍ تَعِـدُ الخَرابَـا

وكُلُّ مُمَلَّـكٍ سَـيَصِير يَوْمًـا … ومـا مَلَكَـتْ يَـداهُ مَعًـا تُرابَـا

كَأَنَّ مَحَاسِـنَ الدّنْيـا سَـرابٌ … وأيُّ يَـدٍ تَنَاوَلـتِ السـرَّابَا

فَيا عَجَبًا تَمُوتُ وأَنتَ تَبْني … وتَتَّخِـذُ الْمَصانِـعَ والقِبَابَـا

أَرَاكَ وكُلَّمَـا فَتَّحْـتَ بَابًـا … مِنَ الدّنْيا فَتحْتَ عَلَيْكَ نَابَا

أَلـمْ تَـرَ أنّ غُـدْوَةَ كُلِّ يَـوْمٍ … تَزِيْـدُكَ مِـن مَنِيَّتِـكَ اقْتَرَابـاَ

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): أكثر من ذكر الموت، فإنك لا تكون في واسع من الأمر إلا ضيَّقه عليك، ولا تكون في ضيق من الأمر إلا وسَّعه عليك. الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (٧٩).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما عُزي على ابنه عبد الملك: إن الموت أمرٌ كنّا وطّنّا أنفسنا عليه، فلما وقع لم نستنكره. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤١٠.

* وقال الإمام الحافظ **البخاريُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٦):

اغتنم في الفراغ فضلَ ركوع … فعسى أن يكون موتُك بغتة

كم صحيح رأيتُ من غير سُقْم … ذَهَبَتْ نفسُه الصحيحةُ فلتة

وكانَ من الْعجائِب أنه هُوَ وقع لهُ ذَلك، حيث تهيَّأ لركُوب دابّتِه في آخر حياتِه، وَلبس خُفَّيْه وعمامته، فَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرسلوني فقد ضعفت، فَدَعَا بدعواتٍ

* وقال الشاعر:

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمِ اليَقِين بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٍ
فَلِمْ لا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ؟[1]

نفح الطِّيب: ٢/ ٧٤.

* وكتب **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بعض أهل بيته: أما بعد، فإنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك أو نهارك بغَّض إليك كل فانٍ، وحبب إليك كل باق، والسلام. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٣.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): عجبًا لِمَن يعلم أن الموت مَصيره، والقبر مورده، كيف تقرُّ بالدنيا عينُه؟ وكيف يطيب فيها عيشه؟ ثم يبكي. صفة الصفوة ٣/ ١٩٨.

* وقَالَ **الشَّاعرُ**:

نَرُوحُ ونَغْدُو لِحاجاتِنَا وحاجَةُ مَنْ عاشَ لا تَنْقَضي
تَمُوتُ مع الْمَرءِ حاجاتُهُ وتَبقى لـه حاجَةٌ ما بَقي

أدب الدين (٨٧).

* وعن عبد الواحد بن صفوان قال: كنا مع **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) في جنازة، فقال: رحم الله امْرأً عمل لمثل هذا اليوم، إنكم اليوم تقدرون على ما

---

(١) الحياة الدنيا كساعة بالنسبة للحياة الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:٤٥]، وكما قال سبحانه: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف:٣٥].

فالعاقل يستغلّ هذه الساعة القصيرة، ولا يُضيعها فتضيع عليه آخرته الباقية التي لا نهاية لها.

لا يقدر عليه إخوانكم هؤلاء من أهل القبور، فاغتنموا الصحة والفراغ قبل يوم الفزع والحساب. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٤.

* وعن مالك بن دينار قال: كنا مع **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جنازة، فسمع رجلًا يقول لآخر: من هذا الميت؟ فقال الحسن: هذا أنا وأنت رحمك الله، أنتم محبوسون على آخرنا حتى يلحق آخرنا بأولهم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٨.

* وأنشد **أبو العباس بن أبي العرب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٥):

الموت لابدّ آتٍ فاستعدّ له ... إنّ اللبيب بذكر الموت مشغولُ

وكيف يلهو بعيشٍ أو يلذُّ له ... مَنِ التُّرابُ على العينين مجعول

ترتيب المدارك (٢/ ٣٩٧).

* وقيل **لأبي الفضل يوسف بن مسرور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٥) فلان يتكلّم فيك، فقال: إنما مثلي ومثله كمثل رجل حُمل لضرب عنقه، فقذفه رجل في الطريق، فقال لنفسه: أنتَ تُحمل للقتل، تَسأل عمن يقذفك؟ وأنا سائر إلى الموت، لا أدري متى يأتيني، أسأل عمن يتكلّم فيّ؟ في الموت ما يُشغلني عن ذلك. ترتيب المدارك (٣/ ١١٨).

* وقال **بعض السلف**: قصّر أملك فإن العمر قصير، وأحسن سيرتك فالبِرُّ يسير.

وقال **الشاعر**:

نسير إلى الآجال في كل ساعة ... وأيامنا تُطوى وهن رواحل

ولم نر مثل الموت حقًّا كأنه ... إذا ما تخطته الأمانيُّ باطل

ترحّل عن الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام تُعدُّ قلائل

أدب الدين (٢٠٣).

* وقال الشاعر:

تَـزَوَّدْ مِـنَ الدُّنْيَـا فَإِنَّـكَ ظَاعِـنٌ ... وَإِنَّـكَ مِثْـلُ الرَّكْـبِ سَـوْفَ تَسِـيرُ

وقال الآخر:

تَـزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَـا بِـزَادٍ مِـنَ التُّقَـى ... فَـكُلٌّ بِهَـا ضَيْـفٌ وَشِيـكٌ رَحِيلُـهُ

* وقال الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصيدته التي يرثي فيها ولده:

حكـم المنيـة في البريـة جـار ... مـا هـذه الدنيـا بـدار قـرار

بينمـا يـرى الإنسـان فيهـا مخبِـرًا ... حتـى يُـرَى خبـرًا مـن الأخبـار

طُبِعت على كـدر وأنـت تريدهـا ... صفـوًا مـن الأقـذار والأكـدار

ومُكَلِّـف الأيـام ضـد طباعهـا ... متطلـبٌ في المـاء جـذوة نـار

كان الشيخ تقي الدين ابن تيمية (ت: ٧٢٨): يتمثل كثيرًا بالبيت الثالث والرابع. الآداب الشرعية ٢/ ١٧١.

* وقال معروف الكرخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): رأيتُ أَحْمَد بن حنبل (ت: ٢٤١) فتى عليه آثار النسك، سمعتُه يقول كلامًا جمع فيه الخير، سمعتُه يقول: مَن عَلِم أنه إذا مات نُسي أحسن ولم يُسِئ. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٧٨).

ج- ما قيل في الموت ورهبته:

* عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) أنه سئل عن نفْسَين اتفق موتهما في طرفة عين، واحد في المشرق، وواحد في المغرب، كيف قدرة ملك الموت عليهما؟ قال: ما قدرة ملك الموت على أهل المشارق والمغارب، والظلمات والهواء، والبحور، إلا كرجل بين يديه مائدة، يتناول من أيها شاء. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٦٤.

* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إن المؤمن ليعمل السيئة فيشدد

عليه بها عند موته ليكون بها[١]، وإن الفاجر ليعمل الحسنة، فيخفف بها عليه عند موته ليكون بها.[٢] الزهد لوكيع (٩٢).

* وعن **زيد بن أسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) قال: إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغها بعمله شُدد عليه الموت، ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا في الدنيا يهون عليه الموت، ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا، ثم يصير إلى النار. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٥٠.

* وسأل بعض ولاة المدينة **إبراهيم بن يزيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) عن ملك الموت، كيف يقبض روحا في الهند وروحا في أقصى المغرب، وآخر بمصر، وآخر بالعراق في وقت واحد؟.

فقال له إبراهيم: لما صعب عليك عرض هؤلاء الحرس والأعوان بين يديك حسبتَ أمر الخالق عليه وقدرته، وسأمثل لك مثلا: الشمس تطلع على كل بلد في حين واحد، فلو أُمِرَت بقبض الأرواح في جميعها لكانت تقدر؟ قال: نعم، قال: فكذلك ملك الموت، أُعْطي من القدرة مثل ذلك. ترتيب المدارك (٢/ ٤١١).

* وقيل **لكعب الأحبار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢): أخبرني عن الموت فقال: هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم، وليس منه عرق ولا مفصل إلا فيه شوك، ورجل شديد الذراعين فهو يعالجها ينزعها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٥١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وغمومها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٥١.

---

(١) أي: ليكون تشديد الموت عليه تكفيرا لسيئته.

(٢) أي: ليكون تخفيف الموت عليه مُكافأةً على حسنته..

* وقال الشاعر:

ومؤمـلٍ والمـوت دون رجائـه ومحـاذرٍ أكفانـه لـم تُغـزل

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٩.

وقال الشاعر:

هبك قد نلت كل ما تحمل الأر ض فهل بعد ذاك إلا المنيه؟

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٢٠.

* وكان **العلاء بن زياد العدوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه تعالى نفسه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ.(١) تهذيب الحِلْية ٣٧٩/ ١.

* وقال الشاعر:

وقِفْ بالقصور على دجلةَ حزينا فقل: أين أربابها

وأين الملوك ولاة العهو د رقاة المنابر غُلابُّها

تجيبك آثارهم عنهُمُ إليك، فقد مات أصحابها

ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): لقد نغص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة الدنيا وزهرتها، فبينما هم فيها كذلك وعلى ذلك، أتاهم حادٍ من الموت فاخترمهم مما هم فيه، فالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت، ويذكره في الرخاء، فيُقَدِّم لنفسه خيرًا يجده بعدما يفارق الدنيا وأهلها، ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء، فقام. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٠٤.

* وعن عبد العزيز أبي مرحوم، قال: دخلنا مع **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:

---

(١) وإذا كان بين المقابر وحده، والقبر الذي قد جُهِّز بين يديه: كان أنفع وأخشع للقلب.

١١٠) على مريض نعوده، فلما جلس عنده قال: كيف تجدك؟ قال: أجدني أشتهي الطعام، فلا أقدر أن أسيغه، وأشتهي الشراب فلا أقدر على أن أتجرعه، قال: فبكى الحسن، وقال: على الأسقام والأمراض أُسِّست هذه الدار، فهبك تصح من الأسقام، وتبرأ من الأمراض، هل تقدر على أن تنجو من الموت؟ قال: فارتُج البيت بالبكاء. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٢٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمَلْفُوفُ نَزَلَ تَرَى وَأُيْتِمَتِ. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٥١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فضح الموتُ الدُّنيا، فلم يَترك فيها لِذي لُبٍّ فرحًا. تهذيب السِّير ٢/ ٥٦٣.

* وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: أصبت رقعة في الجنازة فيها مكتوب: وهَبْتم همكم للدنيا، وتناسيتم سرعة حلول المنايا، أما والله ليحلنَّ بكم من الموت يوم مظلم، ينسيكم طول معاشرة النعمة، ولتندمن ولا تنفعكم الندامة، الحذر! الحذر! الحذر! قبل بُغْتان المنايا، ومجاورة أهل البلى. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٥٨.

* **وقال الشاعر:**

فلو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا ... ونسأل بعده عن كل شي

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٠.

* وقال رجل **لبعض السلف**: أوصني، قال: عسكر الموتى ينتظرونك. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٢.

* وسئل **عكرمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥): أيبصر الأعمى ملك الموت إذا جاء يقبض روحه؟ قال: نعم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٦١.

وعن **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) قال: «ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت». الزهد لابن المبارك (٢٥٩).

* وقال **الشاعر**:

الموت بابٌ وكل الناس داخله ... فليت شعريَ بعد الباب ما الدار
الدار جناتُ عدن إنْ عملت بما ... يرضي الإله وإن خالفت فالنار
هما محلان ما للناس غيرُهما ... فانظر لنفسك ماذا أنت مختار

أدب الدين (٢٠٧).

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): ما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده، حتى إذا كان آخر مرض يمرضه، أتاه ملك الموت، فقال: أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به، وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا. تهذيب الحِلْية ١٢/ ٢.

* وقال **الشاعر**:

لو كنت تعقل يا مغرور ما رَقَأت ... دموعُ عينك من خوف ومن حذر
ما بال قوم سهام الموت تخطفهم ... يفاخرون برفع الطين والمدر

ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٥.

* وعن **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: ما أحد يُنزل الموت حقَّ منزلته، إلا عدّ غدًا ليس من أجله، كم من مستقبل يومًا لا يستكمله؟ وراجٍ غدًا لا يبلغه؟ لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره. تهذيب الحِلْية ٩٥/ ٢.

* ومر **بعض السلف** بقوم يسوون نعشًا لميت، فقال: من هذا الغريب بين أظهركم؟.

قالوا: ليس بغريب بل هو قريب حبيب.

فبكى وقال: ومن أغرب من الميت بين الأحياء!!.

فبكى القوم جميعًا. تهذيب الحِلْية ٣٤٣/ ٢، ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٤٨.

* وعن إبراهيم بن الأشعث قال: كنا إذا خرجنا مع **الفضيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧) في جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكي حتى لكأنه يودع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر فيجلس، فكأنه بين الموتى جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.[1] تهذيب الحِلْية ٣/ ٣.

* وعن عبد الرحمن بن عمر قال: سمعت **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨)، وسئل عن الرجل يتمنى الموت، قال: ما أرى بذلك بأسًا، إذ يتمنى الموت الرجل مخافة الفتنة على دينه، ولكن لا يتمنى الموت من ضرٍّ به أو فاقة أو شيء مثل هذا.

ثم قال عبد الرحمن: تمنى الموت أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومن دونهما.

وسمعته ونحن مقبلون من جنازة عبد الوهاب فقال: إني لأشم ريح فتنة، إني لأدعو الله أن يسبقني بها.

وسمعته يقول: كان لي أخوان فماتوا ودفع عنهم شر ما نرى، وبقينا بعدهم، وما بقي لي أخ إلا هذا الرجل - يحيى بن سعيد - وما يغبط اليوم إلا مؤمن في قبره. تهذيب الحِلْية ١١٥/ ٣.

* وقال **الشاعر**:

تَرى الْمَرءَ يَبْكيهِ الَّذي عاشَ بَعْدهُ ... ومَوْتُ الَّذي يَبكي عليه قَريبُ

المجالسة وجواهر العلم (٣٢٢).

---

(١) نُقل عن الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: لو خفت الموت ما نفعك طعام أو شراب ولا شيء من الدنيا، ولو عرفت الموت حق معرفته ما تزوجت ولا طلبت الولد!

وهذا الكلام -إن صح- مردود، فإنّ النبيّ ﷺ إمام المتقين وأعرف الناس برب العالمين، تزوج ورزق الولد وتسرى وأكل الطيب، مع أنه رأى النار والجنة عيانًا ودخل الجنة، وهو أخوف الناس من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

د- ما قيل في الجنائز والمقابر والاحتضار(١):

* عن **أبي هريرة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٩) قال: إذا وضع الكافر في قبره فيرى مقعده من النار، قال: (رب ارجعون)، حتى أتوب وأعمل صالحًا، فيقال: قد عُمِّرت ما كنت معمرًا، فيضيق عليه قبره، فهو كالمنهوش ينام ويفزع، تهوي إليه هوام الأرض، حياتها وعقاربها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٧٨.

* وخرج **أبو الدرداء** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٢) إلى جنازة، وأتى أهلُ بيت الميت يبكون عليه، فقال: مساكين، موتى غدٍ يبكون على ميت اليوم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٨.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: إن كانوا يشهدون الجنازة فيظلون الأيام محزونين، يُعرف ذلك فيهم. الزهد لابن المبارك (١٨٦).

قال: وإنكم في جنائزكم تتحدثون بأحاديث دنياكم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٣.

* وعن **الأعمش** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٤٨) قال: إن كنا لنشهد الجنازة، فلا ندري أيّهم يُعزّى من حزن القوم. الزهد لوكيع (٢٠٨)، ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٣.

* وقال رَحِمَهُٱللَّهُ: أدركت الناس وإذا كانت فيهم جنازة جاءوا فجلسوا صموتا

---

(١) من المخالفات الشرعية في المقابر:

١- الكلام في أمور الدنيا، ووصل الحال ببعضهم إلى أنه يرد على جوّاله، وبعضهم مشغول بالسلام على الأصدقاء، وبعضهم مستغرقٌ في الضحك!

وهذا يدلّ على الغفلة والجهل وقسوة القلب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا لم يخشع القلب في هذا المكان فمتى يخشع؟ وإذا لم يتعظ في هذا الموطن فمتى يتعظ؟

٢- رفع الصوت ولو بالوعظ والنصيحة، فقد روى الإمام أحمد (١٨٦١٤) عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، فجلس على القبر وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير.

فقوله: كأن على رؤوسنا الطير: قال العلماء: هو كناية عن السكون والوقار، وعن إطراقهم رؤوسَهم، وسكوتَهم، وعدم التفاتهم يمينا وشمالا؛ لأن الطير لا يكاد يقع إلا على شيء ساكن.

لا يتكلمون، فإذا وُضعت نظرت إلى كل رجل واضعا حبوته على صدره، كأنه أبوه أو أخوه أو ابنه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٧.

* وتوفي محمد بن عمر بن **لُبانة** رَحِمَهُمَاٱللَّهُ (ت: ٣١٤) وتزاحم الناس على نعشه، فقال أبوه: لو تزاحموا على علمه لا على نعشه!.

فسُمعت منه، وكُتبت عنه. ترتيب المدارك (٣/ ١٢٩).

* وسمع **أبو قلابة** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قاصّا رافعًا صوته في جنازة فقال: إنْ كانوا ليعظّمون الموت بالسكينة. الزهد لوكيع (٢٠٩)، الزهد لأحمد: ٥١٠.

* وكان **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٢٩) إذا حضر جنازة لم يتعش تلك الليلة، ولم يقدر أحد من أهله أن يكلمه من شدة حزنه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٣.

* وقال **صالح المري** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٧٢): أدركت بالبصرة شبابا وشيوخا يشهدون الجنائز، يرجعون منها كأنهم نشروا من قبورهم، فيُعرف فيهم والله الزيادة بعد ذلك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٣.

* وعن **محمد بن واسع** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٢٣) أنه حضر جنازة، فلما رجع إلى أهله أُتي بغدائه فبكى، وقال: هذا يوم منغَّصٌ علينا نهاره، وأبى أن يطعم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٤.

* وعن **سلام بن أبي مطيع** رَحِمَهُٱللَّهُ قال: شهدت **قتادة** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١١٨) في جنازة فلم يتكلم حتى انصرف، وشهدت **الحريري** رَحِمَهُٱللَّهُ في جنازة فلم يزل يبكي حتى تفرق القوم، وشهدت **محمد بن واسع** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٢٣) في جنازة فلم يزل مقنّع الرأس، مطرقا، ما يلتفت يمينا ولا شمالا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٤.

* وقيل **لسفيان بن عيينة** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت ١٩٨): لأي شيء كان يُستحب خفض الصوت عند الجنائز؟ قال: شبهوه بالحشر إلى الله، أما سمعته يقول: ﴿وَخَشَعَتِ

ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه:١٠٨]. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٧.

* وكان **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) في جنازة، فرأى رجلا يحدث صاحبه ويتبسم إليه، فقال: يا سبحان الله! أما كان في الذي بين يدك مشتغل عن التبسم؟! قال الحسن: كانوا يعظمون الموت أن يُرفع عنده صوت. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن قط، ليلة تبيت مع أهل القبور لم تبت قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوما يأتيك البشير من الله إما بالجنة وإما بالنار، ويوما تُعطى كتابك إما بيمينك وإما بشمالك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٨١.

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) أنه كره رفع الصوت عند الجنازة، وعند قراءة القرآن، وعند القتال. الزهد لوكيع (٢١٢).

* وعن **أيوب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قال: كان يقال: من كرامة الميت على أهله تعجيله إلى حفرته. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٩٨.

* وكان **عمرو بن عتبة بن فرقد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥) يخرج على فرسه ليلًا، فيقف على القبور فيقول: يا أهل القبور قد طويت الصحف، وقد رفعت الأعمال، ثم يبكي ويصف بين قدميه حتى يصبح، فيرجع فيشهد صلاة الصبح. تهذيب الحِلْية ٢/ ٧٣.

* وقال **مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ** (ت: ١٣١):

أتيت القبورَ فناديتُهـ ــنَّ أين المعظَّم والمحتقَرْ
وأين المُدِلُّ بسلطانه وأين المزكَّى إذا ما افتخَرْ

قال: فنوديت من بينها ولا أرى أحدًا:

تفانَوْا جميعًا فما مُخبِرٌ وماتوا جميعًا وماتَ الخبَرْ

تـروحُ وتغـدو بنـاتُ الـثرى ... وتُمْحَى محاسنُ تلك الصُّوَرْ
فيا سائلي عـن أناسٍ مَضَـوْا ... أَمَـا لـك فيمـا تـرى مُعتبَـرْ

قال: فرجعت وأنا أبكي. عيون الأخبار ٦٧٩/ ٢.

* وعن محمد بن كعب قال: أتيت **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) وهو خليفة، فلما دخلت عليه أدمت النظر إليه، فقال: إنك لتنظر إلي نظرا ما كنت تنظره إلي بالمدينة -لما كان واليًا عليها- قلت: أجل يا أمير المؤمنين، أعجبني ما كَلَّ من جسمك، وتغير من لونك، ورث من شعرك، فقال: كيف لو رأيتني بعد ثلاث في القبر، وقد سقطت حدقتي على وجنتي، وخرج الصديد والدود من منخري وفمي، كنت أشد لي نكرة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٨٠.

* ووُجد على قبر مكتوب:

أنـــا في القبـــر وحيـــدا ... قـــد تبـــرأ الأهـــل منـــي
أسلمـــتوني بـــذنـــوبـــي ... خبـــت إن لـــم يعـــف عنـــي

ابن أبي الدنيا ٦/ ١١٥.

* وكان على قبر مكتوب:

عشـــت دهـــرا في نعيـــمٍ ... وســـرورٍ واغتبـــاطٍ
ثـــم صـــار القبـــر بيتـــي ... وثـــرى الأرضِ بســـاطـي

ابن أبي الدنيا ٦/ ١١٥.

* ودخل قوم قصرا قد خرب، فإذا بفنائه قبر، وعلى بعض حيطان القبر مكتوب:

يـا مـن يعلـل باللـذات مُهْجَتـه ... أمـا ترى قبر رب القصر مهجورًا؟

ابن أبي الدنيا ٦/ ١١٥.

* وقال الشاعر:

باتوا على قُلَلِ الجبال تَحْرُسُهُمْ غُلْبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَمْنَعْهُمُ القُلَلُ
وَاسْتُنْزِلُوا مِن أعَالِي عِزِّ مَعْقِلِهِمْ فأُسْكنُوا حُفْرَةً يا بِئْسَ ما نَزَلُوا
ناداهُمْ صارِخٌ من بَعْد ما دُفِنُوا أيْن الأسِرَّةُ والتِّيجانُ والْحُلَلُ
أين الوجوهَ التي كانت مُحجَّبَةً من دُونها تُضْرَبُ الأستارُ والكُلَلُ
فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنهُم حين ساءَلَهُمْ تِلك الوُجوهُ عليها الدُّودُ يَقتَتِلُ
قَد طالَ ما أكَلُوا دَهْرًا وما نَعِمُوا فأصْبَحُوا بَعْد ذلك الأكْلِ قَد أُكِلُوا

المجالسة وجواهر العلم (٢١).

* ومر **صالح المري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٢) بقصر خرب، بفنائه قبران، وأسود جالس عندهما، فقال: يا صالح هذان ربا هذا القصر صارا إلى ما ترى!، وعلى القبر مكتوب:

يا أيها الركب سيروا اليوم واعتبروا فعن قليل تكونوا مثلنا عِبَرا
كنا وكانت لنا الدنيا بلذتها فما اعتبرنا وما كنا لنَنْزَجِرا
حتى رمانا الردى منه بأسهمه فلم يُبَقِّ لنا عينًا ولا أثرا

ابن أبي الدنيا ٦/ ١١٥.

* وقال **الشاعر**:

مُلْكُ المدائن بالآفاق خاويةٌ أمْسَتْ خرابا وذَاقَ الموتَ بانيها
أين الملوك التي عن حظّها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

ابن أبي الدنيا ٦/ ١١٩.

* وقَالَ رجل **للإمام أحمد بْن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): أوصني؟ فقال له: انظر إلى أحبّ ما تريد أن يجاورك فِي قبرك فاعمل به. طبقات الحنابلة (١/ ١٩٢).

* ووُجد على قبر مكتوب: قهرنا مَنْ قهرنا فصرنا للناظرين عبرة. أدب الدين (٢٠٥).

* وقال الشاعر:

وَمَا نَحْنُ إلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا أَقَمْنَا قليلًا بَعْدهُمْ وتَقَدَّمُوا

المجالسة وجواهر العلم (٥٤٨).

ل- القبر راحة المؤمن:

* عن أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: **كان أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إذا مات الرجل على الحال الصالحة، قال: هنيئًا لك، يا ليتني كنت مكانك، فقالت أم الدرداء له في ذلك، فقال: هل تعلمين أن الرجل يصبح مؤمنًا، ويمسي منافقًا، يسلب إيمانه وهو لا يشعر، فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصيام. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٠٧.

* وعن **أبي أيوب الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قال: إذا قُبضت نفسُ العبد تلقاه أهل الرحمة من عباد الله كما يَلْقون البشير في الدنيا، فيقبلون عليه ليسألوه، فيقول بعضهم لبعض: أنْظِروا أخاكم حتى يستريح، فإنه كان في كرب، فيقبلون عليه فيسألونه ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوا عن الرجل قد مات قبله قال لهم: إنه قد هلك، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربّية، قال: فيَعْرض عليهم أعمالهم، فإذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا، وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا سوءا قالوا: اللهم راجع بعبدك.[1] الزهد لابن المبارك (١٤٩).

---

(١) وروى النسائي (١٨٣٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ حديثا ذكر فيه سؤال الأموات بعضهم لبعض. وصححه الألباني وغيره. =

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) قال: إذا مات الميت استقبله ولده كما يُستقبل الغائب. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٨٢.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): إن الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٩١.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس:٦٤]، قال: يعلم أين هو قبل أن يموت. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٩٤.

* وغسل **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) رجلا فقال: أما إنه الآن يرى ما نصنع به. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٥.

* وقال **مسروق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣): ما من بيت خيرٌ للمؤمن من لحد، قد استراح فيه من هموم الدنيا، وأمن عذاب الله. الزهد لوكيع (٨٧)، ابن أبي الدنيا ٦/ ٨٧.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): نعم المنزل القبر لمن أطاع الله. ابن أبي الدنيا ٦/ ٨٧.

هـ- تلقين المحتضر الشهادة:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): احضروا موتاكم وذكروهم،

= قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأرواح قسمان:
أرواح معذَّبة، وأرواح منعَّمة.
فالمعذَّبة في شغلٍ مما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي.
والأرواحُ المنعَّمةُ المرسَلَةُ غيرُ المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كلُّ روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها.
وروحُ نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى.
وقد تواترت المرائي بذلك.. وجاءت سنَّةٌ صريحةٌ بتلاقي الأرواح وتعارُفِها.
الروح: ١/ ٤٤ - ٥٠.

فإنهم يرون ما لا ترون، ولقنوهم شهادة أن لا إله إلا الله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٠٥.

* وقال **عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥): إذا احتضر الميت فلقنوه: لا إله إلا الله، فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٠٤.

* وقال الحسن بن الربيع: سمعت **ابن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١) حين حضرته الوفاة وأقبل نُصَير يقول له: يا أبا عبد الرحمن قل: لا إله إلاَّ الله، فقال له: يا نُصَير قد تَرى شدّة الكلام عليَّ، فإذا سمعتَني قُلتُها فلا تردّها عليّ حتى تَسْمَعني قد أحدثتُ بعْدها كلامًا، فإنما كانُوا يستحبّون أنْ يكُون آخر كلام العَبْد ذلك. صفة الصفوة ٤/ ٣٨٠.

ن- ذكر مَن تُوفي فجأةً وكان بحال طاعة:

* توفي شرف الدين أَبُو مُحَمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ فجأةً وَهُوَ يتوضأ للمغرب. ذيل الطبقات (٥/ ٣٤).

* وتوفي أَبُو الحسن العكبري رَحِمَهُ اللَّهُ فجأةً فِي الصلاة، فِي شهر رمضان، سنة ثمان وستين وأربعمائة. طبقات الحنابلة (٣/ ٤٣٥).

* وتوفي الْمَزْرقي المقرئ رَحِمَهُ اللَّهُ ساجدًا، سنة سبع وعشرين وخمسمائة. معرفة القراء (٢/ ٩٣٨).

* وتوفي إسماعيل بن عللي الحنفي الزاهد رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يتبَّسم. تاج التراجم (٦٦).

* وتوفي سعد بن عثمان بن مرزوق رَحِمَهُ اللَّهُ سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ساجدًا في صلاته..

وذكر ابن النجار رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان قد قرأ يومًا في الصلاة التي توفي فيها: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٨،٨٩]. ذيل الطبقات (٢/ ٤١٧- ٤٢١).

* وكان موت أبي علي الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجأة؛ فإنه دخل إلى بيته ليتوضأ لصلاة الظهر، فقاء فمات، وكان قد تزوَّج وعزم تلك الليلة على الدخول بزوجته. ذيل الطبقات (٢/ ٣٩).

* وكانت وفاة العلامة أبي سعد الإسماعيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الجمعة في صلاة المغرب، وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥] ثم فاضت نفسه. طبقات الشافعيين (١/ ٢٧٨).

* وذكر الحافظ بن موسى المديني أن الْحَاكِم أَبَا عبدالله رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ (ت: ٤٠٥) دخل الحمام، واغتسل وخرج، فقال: آه، وقبض روحه، وهو متزر، ولم يلبس القميص بعد. طبقات الشافعيين (١/ ٣١٧).

* ولم يزل الحافظ الكبير الدمياطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦١٣-٧٠٥) في إسماع الحديث إلى أن أدركته وفاته وهو صائم في مجلس الإملاء غشي عليه فحمل إلى منزله فمات من ساعته. [البداية والنهاية (١٨/ ٦١)].

* وتوفي أَبُو بكر الخيّاط المقرئ البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٧٦-٤٦٧)، في الصلاة في رمضان. طبقات الحنابلة (٣/ ٤٣٣).

* وتوفي عبدالعزيز بن أبي حازم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمدينة في سجدة سجدها بالروضة بمسجد النبي ﷺ يوم الجمعة، في آخر سجدة منها. ترتيب المدارك (١/ ٣٢١).

* ولما انصرف أبو مروان بن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من صلاة العشاء بمسجده آوى بعد حين إلى فراشه فقُبض أسهل قبض، لم يعلم به ضجيعه حتى جفّ. ترتيب المدارك (٤/ ٣٩٠).

* ومات محمد بن شجاع رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساجدا في صلاة العصر. تاج التراجم (١٩١).

وممن تُوفُّوا فجأةً(١)

١- المقرئ المعروف بالدهان رَحِمَهُ ٱللَّهُ. معرفة القراء (٣/ ١٣٣٩).

٢- أبو محمد التُّونيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. معرفة القراء (٣/ ١٤١٦).

٣- الإمام العلامة ابن جبارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ. معرفة القراء (٣/ ١٤٨٤).

٤- الإمام المقرئ اللبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ. معرفة القراء (٣/ ١٥٠٠).

٥- أبو عبدالله البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعيين (١/ ٢١٤).

٦- أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٢).

٧- الحافظ السِّلَفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعيين (٢/ ١٩٩).

٨- ضياء الدين الطوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ١٣).

٩- أَبُو الْعَبَّاس ابْن صصرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٤٢).

١٠- تَقِيّ الدَّين الأيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٤٨).

١١- القاضي ابن البارزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٥٨).

١٢- ابن سيّد الناس رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٨١).

١٣- أبو عبدالله المرّاكشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ١٢٧).

١٤- الإمام العلامة أبو محمد الإسنوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ١٧٣).

١٥- إِبْرَاهِيم بن عبد الرَّحِيم الْكِنَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٢١٢).

---

(١) كنت قد قيّدت مَن ماتَ فجأةً بلا سببٍ ظاهر، وهناك غيرهم ممن لم يتيسَّر لي تقييده، وأكثرَ منهم من يُذكر في الكتب، وقد كثر في زماننا موت الفجأة، والعاقل يستعد للموت الذي قد يُباغته، نسأل الله حُسنَ الخاتمة.

١٦- الشيخ فخر الدين البرماوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٢٧٤).

١٧- القاضي إسماعيل بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ترتيب المدارك (٢/ ٢٩٠).

١٨- القاضي هارون بن إبراهيم بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ترتيب المدارك (٣/ ٢٣٢).

١٩- القاضي أبو عمر أحمد بن عبد الملك الإشبيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ترتيب المدارك (٤/ ١٩٤).

٢٠- ابن الضُّحى رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ترتيب المدارك (٤/ ٢٢٨).

٢١- أحمد بن أيوب بن أبي الربيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ترتيب المدارك (٤/ ٣١٨).

٢٢- إبراهيم بن محمد الضويان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صاحب كتاب: منار السبيل في شرح الدليل. علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٣٦٦).

٢٣- الشيخ حسن بن عبدالله بن حسن آل شيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يوقع معاملات وزارة التعليم العالي عام (١٤٠٧). علماء نجد (٢/ ٣٧).

٢٤- الشيخ راشد بن عبد اللطيف آل مبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ. علماء نجد (٢/ ١٤٣).

٢٥- شيخ المحدثين أبو محمد الدمياطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لم يحصل له مرض، بل حضر الميعاد وأصابه عقب ذلك غشي، فحمل إلى منزله، فمات ساعته، سنة خمس وسبع مائة. طبقات الشافعيين (٢/ ٣٧٤).

٢٦- وقُدّم إلى الخليفة المقتدي بأمر الله الطعام فتناول منه على العادة وهو في غاية الصحة، ثم غسل يده وجلس ينظر في العهد بعدما وقع عليه، وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار قالت: فنظر إلي وقال: من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن؟ قالت: فالتفت فلم أر أحدا ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قواه وسقط إلى الأرض، قالت: فظننت أنه غشي عليه فحللت أزرار ثيابه فإذا هو لا يجيب داعيا، فأغلقت عليه الباب وخرجت. البداية والنهاية (١٦/ ١٤٠).

الشوق إلى لقاء الله وجنته

أ- أحوالهم وأقوالهم في الشوق إلى لقاء الله وجنته:

* عن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤١٢.

* وعَن عَائِشَةَ أَنَّ **سَعْد بن معاذ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥) قال -وتحجر كلْمه للبُرْء[1]- اللهم إنك تعلم أن ليس أحدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أن أجاهد فيك من قوم كذَّبوا رسولك ﷺ، وأخرجوه، اللهم فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني أجاهدهم فيك، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كنتَ وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها، واجْعل موتي فيها.

فانْفَجَرَ مِن لَيلتِهِ، فَما زال يَسيلُ حتَّى ماتَ. صحيح البخاري (٤١٢٢)، صحيح مسلم (١٧٦٩).

* ودُخل على **مكحول** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢) في مرضه الذي مات فيه، فقيل له: أحسن الله عافيتك أبا عبد الله؟ فقال: الإلحاق بمن يُرجى عفوه، خير من البقاء مع من لا يؤمن شره. تهذيب الحِلْية ١٨٠/ ٢.

* ولما ثَقُل **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) دُعي له طبيب، فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سقي السم، ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره إليه فقال: ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم؟ قال: فتعالج يا أمير المؤمنين، فإني

---

(١) أي يبس جرحه وكاد أن يبرأ.

أخاف أن تذهب نفسك، قال: ربي خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته، اللهم خِر لعمر في لقائه، فلم يلبث إلا أياما حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٦.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): ما نفس تخرج أحب إليّ من نفسي، ولو كانت في يدي لأرسلتها. تهذيب الحِلْية ٣٧٣/ ٢.

ب- حال بعض السلف الذين يرغبون طول العمر للزيادة في العمل:

* قال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله، لولا أن أضع جبهتي لله، أو أجلس في مجالس يُنتقى فيها طيب الكلام كما ينقى جيد التمر، أو أن أسير في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٧١/ ١.

* وعن **أبي الدرداء** (ت: ٣٢)، أنه قال: لولا ثلاث خلال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا. فقلت: وما هن؟ فقال: لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي، في اختلاف الليل والنهار، يكون تقدمة لحياتي، وظمأ الهواجر، ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة، وتمام التقوى أن يتقي الله عَزَّ وَجَلَّ العبد، حتى يتقيه في مثل مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما، يكون حاجزًا بينه وبين الحرام. إن الله تعالى قد بين لعباده الذي هو يصيرهم إليه، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة:٧-٨] فلا تحقرن شيئًا من الشر أن تتقيه، ولا شيئًا من الخير أن تفعله[1]. تهذيب الحِلْية ١٦٩/ ١.

* ولما بلغ **مصلح الدين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٩٠) عقد الثمانين قَالَ: أسأل الله أن **يمهلني إلى التسعين، وأن يوفقني كلّ يومٍ لختمة،** فاستُجيبت دعوته، فكان يختم كل يومٍ ختمة. ذيل الطبقات (٢/ ٤٠٦).

---

(١) وقد تقدم في باب: «حال السلف عند الموت» تأسف كثير من السلف عند الموت على فراق قيام الليل والصيام والذكر ونحوها من الطاعات.

حال بعض الملوك والأمراء والمذنبين عند الموت

* قال **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): وهو في الموت: اللهم لا ذو قوة فأنتصر، ولا ذو براءة فأعتذر، اللهم إني مقرٌّ، مذنب، مستغفر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣٠.

* ولما **حضرت عبدَ العزيز بن مروان** (ت: ٨٥) الوفاةُ قال: ائتوني بكفني الذي تكفنوني فيه، فلما وضع بين يديه، ولأَّهُم ظهره، فسمعوه وهو يقول: أفٍّ لكِ[1]، أفٍّ لكِ، ما أقصر طويلك، وأقل كثيرك. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣١.

* ولَمَّا أتاه البشير يُبشِّرُهُ بماله الواصل في العام، فقال: مالك؟ قال: هذه ثلاث مئة مُدي من ذهَب قال: مالي وله، لَوَدِدتُ أنَّه كان بعرًا حائلًا بِنَجد.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا قولُ كلِّ ملكٍ كثيرِ الأموال، فهلاّ يُبادر ببذله؟. تهذيب السِّير ١/ ٤٩٠.

* ولما احْتُضر **بشر بن مروان** (ت: ٧٣) قال: والله لوددت أني كنت عبدا حبشيا لأسوأ أهل البادية مَلَكةً، أرعى عليهم غنمهم، وأني لم أكن فيما كنت فيه.

* ومرض **عبد الملك بن مروان** (ت: ٨٦) فجعل في مرضه يذم الدنيا ويقول: إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقليل، وأنا منك لفي غرور.

ونظر إلى غسال يلوي ثوبًا بيده، فقال: لوددت أني كنت غسالًا آكل من كسب يدي ولم آل شيئًا من هذا الأمر.

فبلغ ذلك أبا حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا احتضروا يتمنون ما نحن فيه، وإذا احتضرنا لم نتمن ما هم فيه.

(١) أي: الدنيا.

وقال سفيان: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم. المنتظم ٦/ ٢٧٣، ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٢، ٥/ ٣٣١.

* ولما احتُضر **هشام بن عبد الملك** (ت: ١٢٥) أبصر أهله يبكون حوله، فقال: جاد عليكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جَمع وتركتم عليه ما حَمل، ما أعظم متقلَّب هشام إن لم يغفر له!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٨.

* وجعل **المنتصر** (ت: ٢٤٨) يقول وهو يكيد بنفسه وقائل يقول: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال: ليس إلا هذا؟ لقد ذهبت الدنيا والآخرة!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٩.

* وجعل **هارون** (ت: ١٩٣) أمير المؤمنين يقول وهو في الموت: واسوءتاه من رسول الله ﷺ!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٩.

* وعن عكرمة بن خالد، أنه دخل على **أحد الأمراء** يعوده، فرآه ثقيلا فقال له: اتق الله وأكثر ذكره، فولى بوجهه إلى الجدار فلبث ساعة، ثم أقبل علي فقال: يا أبا خالد ما أُنكر ما تقول، ولوددت أني كنت عبدا مملوكا لبني فلان بن كنانة- أشقى أهل بيت من كنانة- وأني لم ألِ من هذا العمل شيئا قط. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٨١.

* وقال الربيع بن برة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت بالشام **رجلا** يقال له وهو في الموت: قل لا إله إلا الله، فقال: اشرب واسقه!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦١.

* وقيل **لرجل** وهو في الموت: قل لا إله إلا الله، قال: هيهات! حيل بيني وبينها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦١.

* وقال عبد العزيز بن أبي رواد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حضرت **رجلا** في النزع فجعلت أقول له: قل لا إله إلا الله، فكان يقول، فلما كان في آخر ذلك قلت له: قل لا إله إلا الله، قال: كم تقول؟ إني كافر بما تقول، وقُبض على ذلك، فسألت امرأته عن أمره

فقالت: كان مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب فإنما هي أوقعته.(١) جامع العلوم والحكم/ ٧٨، ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٠.

* وعن زرقان بن أبي داود قال: لما احتضر **الواثق** (ت: ٢٣٢) جعل يردد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الخلق مشتركُ — لا سُوْقَةٌ منهمُ يبقى ولا ملك
ما ضرَّ أهلَ قليلٍ في تَفَاقُرِهم — وليس يُغني عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط فطويت، وألصق خده بالأرض، وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم مَنْ قد زال ملكه. المنتظم ١٨٥/ ١١.

* واحتُضر رجلٌ فقيل له: قل لا إله إلا الله فقال:

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي — فبداء الهوى يموت الكرام

ثم قال: يا من لا يموت أرحم من يموت، ثم لم يلبث أن مات!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٤.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: لمَّا احتضر **عضد الدولة** (ت: ٣٧٢) جعل يتمثل بقول القاسم بن عبيد الله:

قتلت صناديد الرجال فلم أدع — عدوًا ولم أُمْهل على ظَنِّه خَلْقا

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في قول رسول الله ﷺ: «**إنّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**»: زاد البخاري في رواية له: «**إنما الأعمال بالخواتيم**». وقوله: «**فيما يبدو للناس**» إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأنّ خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة. جامع العلوم والحكم / ٧٨.

وأخليت دور الملك من كل نــازل فشـردتهم غربـا وبددتهـم شرقــا
فلمـا بلغـت النجـم عـزًا ورفعــة وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقا
رماني الردى سهمًا فأخمد جمرتي فهـا أنـا ذا في حفرتـي عاطـلا ملقـى
فأذهبــتُ دنيـايَ ودينـيْ سفاهــةً فمن ذا الذي مني بمصرعة أشقى

ثم جعل يقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ [الحاقة:٢٨-٢٩] فرددها إلى أن توفي. المنتظم ٢٩٥/ ١٤.

* وقال أيضًا: قال علماء السير: لما احتضر **محمد المعتصم بن الرشيد** (ت: ٣٢٧) جعل يقول: ذهبت الحِيَلُ ولا حيلة، ولو علمت أن عمري قصير هكذا ما فعلت. المنتظم ١٢٨/ ١١.

* وقال **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قيل **لبعضهم**: قل: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله) فقال: آه آه، لا أستطيع أن أقولها. وقيل **لآخر**: قل (لا إِلَه إِلا الله) فقال:

يا رُبَّ قائلة يومًا وقد تعبت كيف الطريق إلى حمام منجاب؟

ثم قضى. وقيل **لآخر**: قل (لا إِله إِلا الله) فجعل يهذي بالغناء، ويقول: تاتنا تنتنا، حتى قضى. وقيل **لآخر** ذلك، فقال: ما ينفعني ما تقول، ولم أدَعْ معصية إلا ركبتها، ثم قضى ولم يقلها. وقيل **لآخر** ذلك، فقال: وما تغني عني وما أعرف أني صليت لله صلاة؟ ولم يقلها. وقيل **لآخر** ذلك، فقال: هو كافر بما تقول، وقضى.

وقيل **لآخر** ذلك، فقال: كلما أردت أن أقولها ولساني يمسك عنها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأخبرني من حضر بعض **الشحاذين** عند موته، فجعل يقول: فلس لله، فلس لله، فلس لله، حتى قضى. وأخبرني بعض التجار عن **قرابة** له أنه احتضر وهو عنده، وجعلوا يلقنونه (لا إِله إِلا الله) وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا

مشترى جيد، هذه كذا، حتى قضى.(١) الداء والدواء / ٩٧-٩٨.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد سمعت بعض من كنت أظن فيه كثرة الخير وهو يقول في ليالي موته: ربي هو ذا يظلمني.(٢) صيد الخاطر/ ٩٥.

---

(١) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسبحان الله! كم شاهد الناس من هذا عبرًا؟ والذي يخفي عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم، فإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوّته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان، واستعمله فيما يريده من معاصي الله، وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى، وعطّل لسانه عن ذكره، وجوارحه عن طاعته، فكيف الظن به عند سقوط قواه، واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع؟ وجمَعَ الشيطان له كل قوّته وهمّته، وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته فإن ذلك آخر العمل، فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت، وأضعف ما يكون هو في تلك الحال، فمن ترى يَسلم على ذلك؟ فهناك ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فكيف يوفق بحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره واتبع هواه، وكان أمره فُرُطا؟ فبعيد مِن قلبٍ بعيدٍ من الله تعالى، غافل عنه، متعبد لهواه، أسير لشهواته، ولسانه يابس من ذكره، وجوارحه معطلة من طاعته، مشتغلة بمعصيته: أن يوفق للخاتمة بالحسنى. الداء والدواء / ٩٨.

(٢) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلم أزل منزعجا بتحصيل عدة ألقى بها ذلك اليوم.

وقال أيضًا: ولا بد من لقاء البلاء ولو لم يكن إلا عند صرعة الموت فإنها إن نزلت والعياذ بالله فلم تجد معرفة توجب الرضى أو الصبر أخرجت إلى الكفر.

الرؤى والمنامات(١)

* عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت جارًا **لعمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣)، فما رأيت أحدًا من الناس كان أفضل من عمر؛ إن ليله صلاة، وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس. فلما توفي عمر سألت الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرنيه في النوم، فرأيته في النوم مقبلًا متشحًا من سوق المدينة، فسلمت عليه وسلم علي ثم قلت: كيف أنت؟ قال: بخير، فقلت له: ما وجدت؟ قال: الآن فرغت من الحساب، ولقد كاد عرشي يهوي بي لولا أني وجدت ربًّا رحيمًا. تهذيب الحِلْية ٧٤/ ١.

* وعَنِ **ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذَا رَأَى رُؤْيَا، قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ

(١) الرؤى لا تثبت حكمًا شرعيًّا جديدًا، ولكن يُمكن أنْ تؤكِّد عليه؛ لأن الله -تعالى- أكمل الدين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**».

لكنَّ لها منافعَ عظيمة، وأسرارًا لطيفة، **ومِن أهمِّ منافعها وثمارها:**

١- البشرى بما يرد على الإنسان من خير.

٢- الإنذار بما يتوقعه من شر.

٣- الاطلاع على الحوادث في العالم قبل وقوعها.

٤- أنها سببٌ في هداية ضال، وتعليم جاهل، وإسلام كافر.

٥- اسْتصلاح أحوالِ الناس والنجاةُ بهم من الهلكة، فكم تغيرت حال مِصْرَ، بعد تعبير يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لرؤيا الْمَلِك!

ولقد كانت رؤيا ملك مصر بعد إيمانه بها وبعد أنْ نفَّذ مقتضاها: منجاةً لشعبٍ بكامله مما ينتظره مِن مآسٍ وويلات.

ﷺ، قَالَ: وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزَبًا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ، عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا. صحيح البخاري (١١٢١) صحيح مسلم (٢٤٧٩).

* وقال أبو مُعَاوِيَةَ: رَأَيْتُ **الثَّوْرِيَّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) فِي النَّوْمِ، وَهُوَ فِي بُسْتَانٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَوْ يَقْرَأُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٧٤﴾ [الزمر ٧٤]. أخبار الشيوخ (١٠٣).

* وعن بشر بن المفضل قال: رأيتُ **بشر بن منصور** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٠) في المنام، فقلت: ما صَنعَ الله بك؟ قال: وجدتُ الأمرَ أهونَ مما كنت أحملُ على نفسي. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٤.

* وقال محمد بن فضيل بن عياض: رأيت **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١) في المنام، فقلت: أيّ الأعمال وجدتَ أفضل؟ قال: الأمر الذي كنتُ فيه. قلت: الرّباطُ والجهاد؟ قال: نعم.

قلت: فأيّ شيءٍ صَنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة، وكلّمَتني امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحُور العِين. صفة الصفوة ٤/ ٣٨١.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنت آتي قبر أبي كثيرا، قال: شهدت جنازة، فلما قُبر صاحبها تعجلَتْ لي حاجة ولم آت قبر أبي، فأريته في النوم، فقال: يا بني لم لم تأتيني؟ قال: قلت: يا أبت وإنك لتعلم بي؟ قال: إي والله يا بني، إنك لتأتيني

فما أزال أنظر إليك من حين تطلع القنطرة حتى تقعد إلي، وتقوم من عندي فما أزال أنظر إليك موليا حتى تجوز القنطرة.[1] ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٩.

* وكان الرجل إذا سأل **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) عن الرؤيا قال: اتّق الله عَزَّوَجَلَّ في اليقظة، ولا يضرك ما رأيت في المنام. صفة الصفوة ٣/ ١٧٥.

* وعن إسماعيل بن طاهر البلخي قال: رأيت **سليمان الشاذكوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٤) في النوم، فقلت: ما فعل الله بك يا أبا أيوب؟ فقال: غفر الله لي.

قلت: بماذا؟ قال: كنت في طريق أصبهان أمر إليها فأخذتني مطرة، وكانت معي كتب، ولم أكن تحت سقف ولا شيء، فانكببت على كتبي حتى أصبحت وهدأ المطر، فغفر لي الله بذلك. المنتظم ٢١٤/ ١١.

* وعن مالك بن دينار قال: رأيت **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩).في منامي، بعد موته بسنة، فسلمت عليه فلم يرد علي السلام، فقلت: لم لا ترد عليّ السلام؟ قال: أنا ميت فكيف أرد السلام، فقلت: ماذا لقيت يوم الموت؟ قال: لقد لقيت

(١) ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أَنّ أَرْوَاح الْأَحْيَاء تتلاقى فِي النّوم، كَمَا تتلاقى أَرْوَاح الْأَحْيَاء والأموات. الروح: ٣٢.

بل إنّ روح النائم قد تلْتقي مع روح اليقظان، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: فَإِن قيل: فالنائم يرى غَيره من الْأَحْيَاء يحدثه ويخاطبه، وَرُبمَا كَانَ بَينهمَا مَسَافَة بعيدَة، وَيكون المرئيُّ يقظان، روحُه لم تفارق جسده، فَكيف الْتقت روحاهما؟

قيل: هَذَا إِمَّا أَن يكون مثلًا مَضْرُوبًا ضربه ملك الرُّؤْيَا للنائم، أَو يكون حَدِيث نفس من الرائي، تجرد لَهُ فِي مَنَامه.

وَقد تتناسب الروحان وتشتد علاقَة إحداهما بِالْأُخْرَى، فيشعر كلٌّ مِنْهُمَا بِبَعْض مَا يحدث لصَاحبه، وَإِن لم يشْعر بِمَا يحدث لغيره لشدَّة العلاقة بَينهمَا، وَقد شَاهد النَّاس من ذَلِك عجائب. ا.ه الروح: ٣٢

وأرواح الأحياء تتلاقى أيضًا، قال ﷺ: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**». رواه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٦٣٨).

أهوالًا وزلازل عظامًا شدادًا، قلت: وماذا كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟ قبل منا الحسنات، وعفا لنا عن السيئات، وضمن عنا التبعات. تهذيب الحِلْية ٣٩٦/ ١.

* وقال أحمد بن أبي الحواريّ: قال لي **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٥): يا أحمد إني محدّثك بحديث فلا تحدّث به أحدًا حتى أموت: نمت ذات ليلةٍ عن وِرْدِي فإذا أنا بحوراءَ تنبّهني وتقول: يا أبا سليمان تنام وأنا أُربَّى لك في الخدور منذ خمسمائة عام؟. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٢.

* وعن أبي بيان الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله، **محمد بن إدريس الشافعي** (ت: ٢٠٤) ابن عمك، هل نفعته بشيء؟ أو خصصته بشيء؟ قال: نعم، سألت الله تعالى أن لا يحاسبه، فقلت: بماذا يا رسول الله؟ قال: إنه كان يصلي عليّ صلاة لم يصل بمثل تلك الصلاة أحد، فقلت: وما تلك الصلاة؟ قال: كان يصلي عليّ اللهم صلى على محمد كلما ذكره الذاكرون، وصل على محمد كلما غفل عنه الغافلون. المنتظم ١٣٨-١٣٩/ ١٠.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد رأى **أبا نواس** بعضُ أصحابه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بأبيات قلتها في النرجس:

تفكر في نبات الأرض وانظر … إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات … بأبصار هي الذهب السبيك

على قصب الزبرجد شاهدات … بأن الله ليس له شريك

وفي رواية عنه أنه قال: غفر لي بأبيات قلتها وهي تحت وسادتي، فجاؤوا فوجدوها برقعة في خطه:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة … فلقد علمت بأن عفوك أعظم

أدعـوك ربـي كمـا أمـرت تضرعـا	فـإذا رددت يـدي فمـن ذا يرحـم
إن كان لا يرجوك إلا محسن	فمن الذي يرجو المسيء المجرم
مالـي إليـك وسـيلة إلا الرجـا	وجميـل عفـوك ثـم إني مسلـم

البداية والنهاية ١٠/ ٣٠٨.

* وقال الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: روينا بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان قال: سمعت **البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٦) يقول «رأيت النبي ﷺ وكأني واقفٌ بين يديه، وبيدي مروحةٌ أذبُّ بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: «أنت تذبُّ عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح». فتح الباري: ١/ ٧.

* وكان الشيخ عبدالله بن منصور آل زامل رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وكان من الأتقياء الصالحين- يكره الشيخ المقرئ الفقيه النحويّ **عبدالله بن عائض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٢٤٩-١٣٢٢)؛ لِمَا يسمع من أعداء ابن عائض المغرورين، فرأى في المنام النبي ﷺ فقال له: بشّر أول من يدخل المسجد الجامع بالجنة -وذلك في آخر الليل-، فذهب عبدالله آل زامل إلى المسجد، فكان أول داخل هو الشيخ ابن عائض، فسكتَ عنه ولم يبشّره، ولم يزل هكذا ثلاث ليال، ثم قابله في الثالثة وأكبّ عليه يُقبّله، ويطلب منه السماح ويبشّره بهذه الرؤيا المتكررة.[1] علماء نجد (٤/ ١٤٢).

(١) فإياك ومعاداة من ظاهره الصلاح، مهما بلغك عنه من كلام، ما لم تتحقق بنفسك حقيقة ما يُقال عنه، فربما كان مِن أولياءِ الله، وممن رضي الله عنه وأحبه، فهل يليق أن تعادي من يحب ربك؟

أهوال يوم القيامة، والحساب

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إن الفجار ليُلْجمهم العرق يوم القيامة قبل الحساب.

قيل له: أين المؤمنون؟.

قال: على كراسي قد ظلل عليهم بالغمام ما طول ذلك اليوم عليهم إلا كأمر الساعة من نهار. الزهد لهناد (٣٢٥).

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) في قول الله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٤]: كل آدمي في عنقه قلادة، تكتب فيها نسخةُ عمله، فإذا طويت قُلِّدها، فإذا بعث نُشرت له، وقيل: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٤].

يا ابن آدم، أنصفك من خلقك، جعلك حسيب نفسك. الزهد لهناد (١١٨٥).

الجنة ونعيمها (١)

* عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: إذا سكن أهل الجنة: نَوَّر سقفَ مساكنهم نورُ عرشه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٢٠.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الظل الممدود: شجرة في الجنة على ساق، قدرَ ما يسير الراكب المُجِد في ظلها مائة عام في كل نواحيها، قال: فيخرج إليها أهلُ الجنة، أهلُ الغرف وغيرُهم، فيتحدثون في ظلها، فيشتهي بعضهم، ويذكر لَهْوَ الدنيا، فيرسل الله ريحا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٢٨.

* وصدق الناظم:

قال ابن عباس ويرسل ربنا ريحا تهز ذوائب الأغصان

فتثير أصواتا تلذ لمسمع الإ نسان كالنغمات بالأوزان

يا لذة الأسماع لا تتعوضي بلذاذة الأوتار والعيدان

نونية ابن القيم ٣٢٥.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نخل الجنة: جذوعها زمرد أخضر، وكُرُبها ذهب

(١) لن تجد وصفًا للجنة أجمع وأعظم من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧]» رواه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.
اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى من الجنة.

أحمر، وسعفها كسوة أهل الجنة، منها مُقَطَّعاتهم وحللهم. الزهد لهناد (١/ ٩١).

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الرمانة من رمان الجنة يجتمع حولها بشر كثير يأكلون منها، فإن جرى على ذكر أحدهم شيء يريده وجده في موضع يده حيث يأكل. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٦.

* وقال **البراء بن عازب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧١) في هذه الآية ﴿قطوفها دانية﴾ قال: يتناولونها وهم نيام وهم جلوس، وعلى أيّ حال شاؤوا. الزهد لهناد (١/ ٩٢).

* وصدق الناظم:

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم ... ولحومُ طيرٍ ناعم وسمان

وفواكهٌ شتى بحسب مُنَاهم ... يا شبعةً كملت لذي الإيمان

لحمٌ وخمرٌ والنسا وفواكهٌ ... والطِيب مع رَوْحٍ ومعْ ريحان

نونية ابن القيم ٣٢٧.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) في قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١] قال: الكوثر نهر في الجنة، حافتاه قصب الذهب، مجراه على الدُّرّ والياقوت، ماؤه أشد بياضا من الثلج، وأشد حلاوة من العسل، تربته أطيب من ريح المسك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٣٤.

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض؟ لا والله، إنها سائحة على وجه الأرض، إحدى حافتيها اللؤلؤ، والأخرى الياقوت، وطينه المسك الأذفر.

قيل: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خِلط له. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٣٤.

* وصدق الناظم:

أنهارها في غير أخدود جرت ... سبحان ممسكها عن الفيضان

من تحتهم تجري كما شاؤوا مفجـ ـــرة وما للنهر من نقصان
عسل مصفى ثم ماء ثم خمـ ـــر ثم أنهار من الألبان
والله ما تلك المواد كهذه لكن هما في اللفظ مجتمعان

نونية ابن القيم ٣٢٦.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن:٦٦] قال: بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٣٥.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣٥] قال: يتجلى لهم كل جمعة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٠.

* وقال **أبو موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) وهو يخطب على منبر البصرة: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة، فيقول: يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحلي والحلل، والثمار والأنهار، والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم أنجزنا ما وعدنا، ثم يقول الملك: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئا مما وُعدوا، فيقولون: نعم، فيقول: قد بقي لكم شيء، إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] ألا إن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم. البعث والنشور للبيهقي (٢٦٢).

* وعن **أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) قال: إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة، فيجيء الإبريق فيقع في يده فيشرب، ثم يعود إلى مكانه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٨.

* وعن **عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) قال: في الجنة عِتاق الخيل، وكِرام النجائب، يركبها أهلها. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٧٠.

* وقال رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: العنقود -يعني في الجنة-: أبعد من صنعاء -وهو بعمّان بالشّام-. الزهد لهناد (٩٤).

* وقال **ابن أبي ليلى** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٩٠): فما ظنكم بهم حين ثقلت موازينهم، وحين صارت الصحف في أيمانهم، وحين جاوزوا جسر جهنم، وأدخلوا الجنة، وأعطوا ما أعطوا من الكرامة والنعيم، كأن لم يكن شيئا رأوه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٠-٣٤١.

* وقال **ثابت البناني** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٣٣): لقد أُعطي أهل الجنة خصالا، لو لم يُعطوها لم ينتفعوا بها، يشبُّون فلا يهرمون أبدا، ويشبعون فلا يجوعون أبدا، ويكسون فلا يعرون أبدا، ويَصِحُون فلا يسقمون أبدا، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلبٌ واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣١٨.

* وعن **عطاء بن يسار** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: في الجنة نخل من ذهب، جذوعها من ذهب، وسعفها كأحسن حلل رآه الناس، وشماريخها وعراجينها من ذهب، وثمرها مثل القِلال[1]، وأشد بياضا من اللبن والفضة، وأطيب من المسك، وأحلى من السكر، وألين من الزبد والسمن. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٢٩.

* وعن **عبد الرحمن بن زيد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٨٢) قال: وُصِفَ أهلُ الجنة بالضحك والسرور والتفكه، حتى يُعلم أن حلواتِ الدنيا مراراتُ الآخرة، ومراراتِ الدنيا حلواتُ الآخرة. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٨٧.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٠٤) في قوله تعالى ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان:١٤]: إذا قام ارتفعت، وإذا قعد تدلَّت حتى يتناولها، وإذا اضطجع تدلت، فذلك تذليلها. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٥.

---

(١) الْقِلَال: بِكَسْرِ الْقَاف جَمْع قُلَّة، وَهِيَ الجَرَّة الْكَبِيرَة الَّتِي يُقِلّهَا الرَّجُل بَيْن يَدَيْهِ، أَيْ يَحْمِلهَا.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن:٧٢]: «أنفسهن وأبصارهن وقلوبهن مقصورات على أزواجهن لا يُردن غيرهم في خيام اللؤلؤ». الزهد لهناد (١/ ٥٦).

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلى. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٥٨.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) في قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال:٤] قال: بعضهم أفضل من بعض، فيرى الذي فُضِّلَ: به فضيلة، ولا يرى الذي أسفل منه: أنه فُضِّل عليه أحد من الناس. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٥٩.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥﴾ [مريم:٨٥] قال: على النجائب عليها الرِحَال. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٧٠.

* وقال **الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤): لسان أهل الجنة عربي. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٦٣.

* وقال له رجل: هل في الجنة من سماع؟ فإنه حبب إلي السماع قال: أي والذي نفس ابن شهاب بيده، إن في الجنة لشجرا حَمْله اللؤلؤ والزبرجد، تحته جواري ناهدات، يتغنين بالقيان، يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت. فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا، فأجبن الجواري، فلا يدري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٧٣.

* وعن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن مجالس اللهو، ومزامير الشيطان، أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تحمدي وتمجيدي. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٧٤.

النار وعذابها[1]

* عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) في قوله: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل:٨٨]، قال: عقارب أنيابها كالنخل الطوال. الزهد لأسد بن موسى (٢٨).

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]: في توابيت من حديد مبهمة[2] عليهم. الزهد لهناد (١٦١).

* وقال رجل لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدثنا عن النار كيف هي؟ قال: لو رأيتها لزال قلبك من مكانه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١١.

* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: لو أن دلوا من غساق[3] يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٦.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو أن قطرة من زقوم جهنم أُنزلت إلى الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٧.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ونادوا يا مالك) قال: يمكث عنهم ألف سنة ثم يجيبهم: (إنكم ماكثون). الزهد لأسد بن موسى (١٦).

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يستغيث أهل النار من الحر، فيُغاثُون بريح بارد، يصدع العظم بردُها، فيسألون الحر. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٧.

---

(١) ثبت في الصحيحين (البخاري ٦٥٦١، ومسلم ٢١٢) أنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ. فإذا كان هذا أهون أهل النار فكيف بغيره! اللهم نجنا من النار يا أرحم الراحمين.

(٢) أي: مقفلة عليهم لا يهتدون لمكان فتحها.

(٣) الغساق: بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل الزمهرير.

* وقال أيضا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف:٥٠] قال: ينادي الرجل أخاه: يا أخي، قد احترقت فأغثني، فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[الأعراف:٥٠]. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥١.

* وعن **أبي الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: يُرسل على أهل النار الجوع، حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، قال: فيستغيثون، فيغاثون بالضريع الذي (لا يسمن ولا يغني من جوع)، قال: فيستغيثون، فيغاثون بطعام ذي غصة، قال: فيذكرون أنهم يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، قال: فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنا من وجوههم شوى وجوههم، وإذا دخل بطونهم قطع ما في بطونهم، فيقولون: كلموا خزنة النار، فيقولون: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾ [غافر:٤٩]، فيجيبونهم: ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾ [غافر:٥٠]. فيقولون: كلموا مالكا فيقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ [الزخرف:٧٧] فيجيبهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ [الزخرف:٧٧]، فيقولون: ادعوا ربكم، فإنه ليس أحدٌ خيرا لكم من ربكم. فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون:١٠٧]، قال: فيجيبهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون:١٠٨]، قال: فعند ذلك ييأسون من كل خير، ويأخذون في الشهيق والويل والثبور. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٧.

* وعن **عبد الله بن عمرو** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: أهل النار مكبلون بأصفاد النار، معلقون بشجر في النار، وإن جلودهم لتقطر بصهارة الحميم، خالدين فيها، لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب عظيم، ولو أن رجلا أُخرج من أهل النار إلى الدنيا، لمات أهل الدنيا من وحشة منظره ونتن ريحه، ثم بكى عبد الله بن عمرو بكاء شديدا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٦.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن أهل النار نادوا: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ قال: فخلى عنهم أربعين عاما ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ قال: فخلى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ قال: فلم ينبس القوم بعد ذلك بكلمة، إن كان إلا الزفير والشهيق. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٣٦.

* وعن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: «يؤتى بالصراط، حدُّه كحدّ الموسى، فتقول الملائكة: يا ربنا من يجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، قال: فيقولون: ربنا ما عبدناك حق عبادتك. الزهد لأسد بن موسى (٣٨).

* وعن أبي حمزة قال: كنت أمشي مع **رباح القيسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٦) فمر بصبي يبكي، فوقف عليه يسأله ما يبكيك يا بني؟ وجعل الصبي لا يحسن يجيبه ولا يرد عليه شيئا، فبكى ثم التفت إلي فقال: يا أبا حمزة ما لأهل النار راحة ولا معول إلا البكاء، وجعل يبكي. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢١٨.

* وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **بعض الواعظين** يقول إذا حدث بهذا: أنت تحتمل محاورة مالك؟ ومالك المسلط على ما هنالك، مالك إن زجر النار التهبت حريقا لزجره، وتوقدت مستعرة انصياعا لأمره، واحتدمت تلظيا على العصاة من غضبه، ومتى يرضى من غضب عليهم لغضب ربه؟ إذا غضب مالك على النار أكل بعضها بعضا، ولم تَخْبُ من الاستعار على المعذبين خيفة غضبه.

ومتى يرضى من فطره الله على طَوَال الغضب عليهم، ومن تعبَّد اللهَ بما يوصَل من أليم الهوان إليهم؟ استغاثوا بمن لا يرحمهم من ضرٍّ أصابهم، ولا يرثي لهم من جهدِ بلاءٍ نزل بهم، يدعون مالكا وقد شوَّهتهم النار غير مرة فأنضجتهم، ثم جددوا لها خَلْقا مستأنَفا فأكلتْهم، ويلك أيها المستغيث بمالك، إنَّ مالكا اشتدت سَوْرَة غضبه، فهو دائبٌ يشتفي ممن أقدم صُرَاحا على معصية ربه، فلا تسل عن

جَهدٍ يلاقونه بشدَّته، وطعامِ زقومٍ اعترض في حلوقهم بِحرِّه وخشونته، وصديد لم يسيغوه إذا جرعوه على كراهته، ولقد نادوا بالويل عند أول نفحة من عذاب ربهم مستهم، وأقروا بالظلم حين قرنوا بندامتهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٣٦-٤٣٧.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الغاشية:٢،٣] قال: لم تخشع لله في الدنيا، فأخشعها وأنصبها في النار، فذلك عملها. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٧.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥﴾ [الفرق:٦٥] قال: الغرام: اللازم الذي لا يفارق صاحبه أبدا، وكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤٤.

* وعن **أبي عمران الجوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨) قال: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أُمر الله بكل جبار عنيد، وبكل شيطان، وبكل من كان يخاف الناسُ شرَّه في الدنيا، فأوثقوا في الحديد، ثم أُمر بهم إلى النار، ثم أُوصد عليهم، ولا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا، ولا والله لا ينظرون إلى أديم السماء أبدا، ولا والله ما تلتقي جفون أعينهم على غُمْضٍ نوم أبدا، ولا والله لا يذوقون فيها برد شراب أبدا، ثم يقال لأهل الجنة: فَتِّحوا الأبواب، ولا تخافوا شيطانا ولا جبارا، وكلوا اليوم: ﴿وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة:٢٤] قال: أبو عمران الجوني: هي والله أيامكم هذه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٣.

* وقال **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) في قوله: ﴿فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة:٣٢] قال: بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٥.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) في قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦﴾ [إبراهيم:١٦] قال: ماء يسيل من لحمه وجلده. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحجر:٤٤]: هي والله منازل بأعمالهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٠١.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: إن في النار لزمهريرا يعذبون به، فيهربون منها إلى ذاك الزمهرير، فإذا وقعوا حطم عظامهم حتى تسمع لها نقيضا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٢.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعارج:١٦] قال: نزع الجلد واللحم عن العظم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٨.

* وعن **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) قال: إن أهل النار الذين هم أهلها لا يهدؤون، ولا ينامون، ولا يموتون، يمشون على النار، ويجلسون على النار، ويشربون من صديد أهل النار ويأكلون من زقوم النار، لُحفهم نار، وفرشهم نار، وقمصهم نار وقطران، ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم:٥٠]، ثم بكى. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُسِيَ أهل النار، والعُرْيُ كان خيرا لهم[(١)]، وأُعطوا الحياة، والموت كان خيرا لهم[(٢)]. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٣٩.

* وعن **مقاتل بن حيان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٠) قال: إن أهل النار لا يخرج لهم نفس، إنما تَرَدَّد أنفاسهم في أجوافهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٣٤.

---

(١) قال تعالى عن أهل النار: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم:٥٠]، أي: قمصهم التي يلبسونها، واحدها: سربال.

(٢) قال تعالى عن أهل النار: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا﴾ [الزخرف:٧٧].

قلت: فلْيتعّظ من لبس ما حرم الله عليه واستمتع به في هذه الحياة الفانية، فإنه سيتمنى أن يكون عاريًا حينما يُلبس ثيابًا من نار إلا أن يعفو الله.

ولْيتعظ من أصبحت هذه الحياة همّه وغايته، ولم يُراع حق الله وشرعه في سبيل الحصول على متاع الدنيا والمناصب والملك والمال، فسيأتي يوم يتمنى فيه الموت ولا يجده، لِمَا يجده من مرارة الحياة.

* وعن **السدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٧) في قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [إبراهيم:١٦] قال: إذا سال من جلودهم سال حتى يسيل منه القيح والدم، ثم يُكلَّف شربه، فلا يكاد يسيغه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٣٨.

* وعن رجاء بن ميسور قال: كنا في مجلس **صالح المري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢) وهو يتكلم، فقال لفتى بين يديه: اقرأ يا فتى! فقرأ الفتى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر:١٨] فقطع صالح عليه القراءة، وقال: كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؟ إنك والله لو رأيت الظالمين، وأهل المعاصي، يساقون في السلاسل والأنكال، إلى الجحيم، حفاة عراة، مسودةً وجوههم، مزرقةً عيونهم، ذائبةً أجسادهم، ينادون: يا ويلنا، يا ثبورنا، ماذا نزل بنا؟! ما ذا حل بنا؟! أي يُذهب بنا؟! ماذا يُراد منا؟! والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يجرون على وجههم ويسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مقرنين، من بين باك دمًا بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت.

إنك والله لو رأيتهم على ذلك، لرأيت منظرًا لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرارٍ قدمُك!.

ثم نحب وبكى، وبكى الناس. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٩٦.

* وقال **بعض السلف**: بلغنا أن أهل النار يبكون الدموع حتى تفنى، ثم يبكون الدماء، فيقول لهم الخزنة: يا معشر الأشقياء، لو كان هذا في الدار المقبولِ فيها العملُ، كان نعم الذخرُ لكم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤٥.

* وقال **بعض السلف** في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة:٨٢] قال: الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت

الدنيا وصاروا إلى الله استأنفوا بكاء لا ينقطع عنهم أبدا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤٦.

* وعن **عبد الأعلى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: ما جلس قوم مجلسا فلم يذكروا الجنة والنار إلا قالت الملائكة: أغفلوا العظيمتين. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٩٩.

* وعن **سليمان التيمي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٣) قال: في قوله: ﴿خُذُوهُ﴾ [الدخان:٤٧]، قال: لا يضع يده على شيء إلا دقه، فيقول: أما ترحمني؟ فيقول: كيف أرحمك وأرحم الراحمين لم يرحمْك؟. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥٢.

* وقال **محمد بن كعب القرظي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨): بلغني: «أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر:٤٩] سألوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب، فرد عليهم الخزنة: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [غافر:٥٠]، فردت عليهم الخزنة: ﴿فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر:٥٠] ولما يئسوا مما عند الخزنة، ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ﴾ [الزخرف:٧٧] وهو عليهم، وله مجلس في وسطها، وجسور تمر عليه ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فقالوا: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]. سألوا الموت، فمكث عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة، والسنة ستون وثلاثمائة يوم، والشهر ثلاثون يوما، واليوم ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج:٤٧] لحظ إليهم بعد الثمانين: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف:٧٧] فلما سمعوا ما سمعوا مما قبله، قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون، فهلموا فلنصبر، فلعل الصبر ينفعنا، كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا. فأجمعوا رأيهم على الصبر».

قال: «فتصبروا، فطال صبرهم، ثم جزعوا، فنادوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم:٢١] -أي: ملجأ- فقام إبليس عند ذلك فخطبهم: ﴿إِنَّ

ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾ [إبراهيم:٢٢]، يقول: بمغن عنكم شيئا. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾ ر فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر:١٠-١١] فرد عليهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾» [غافر:١٢] قال: «هذه واحدة».

قال: «**فنادوا الثانية:** ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة:١٢] فرد عليهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة:١٣] يقول: لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ [السجدة:١٣-١٤] يقول: بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا. ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ﴾ [السجدة: ١٤]: إنا تركناكم، ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٤] **فهذه اثنتان**».

قال: «**فنادوا الثالثة:** ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ﴾ [إبراهيم:٤٤] فرد عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم:٤٤-٤٦]» قال: «**هذه الثالثة**».

قال: «**ثم نادوا الرابعة:** ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [فاطر:٣٧]» قال: «﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر:٣٧]. فمكث عنهم ما شاء الله، ثم ناداهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم

بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ [المؤمنون:١٠٥]. فلما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحما ربنا. وقالوا عند ذلك: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون:١٠٦] أي الكتاب الذي كتبت علينا. ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون:١٠٦-١٠٧] فقال عند ذلك: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون:١٠٨]. فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم، وأقبل بعضهم على بعض، ينبح بعضهم في وجه بعض، وأطبقت عليهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥٤.

* وقال **بعض السلف** في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الزمر:٢٤]: تشد أيديهم وأرجلهم، فكلما جاءهم نوع من العذاب، اتقوه بوجوههم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥٨.

* وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) قال: إذا أحس أهل النار في النار بضرب المقامع انغمسوا في حياض الجحيم فيذهبون سفالًا سفالًا كما يغرق الرجل في الماء في الدنيا يذهب سفالًا سفالًا. الزهد لأحمد: ٥٣٤.

تقلبُ الأحوال، وفُجاءة النِّقَمْ

* عن **محمد بن الفضل الجرجاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٣) أنه تحدث في وزارته للمعتصم قال: كنت أتولى ضياع **عجيف** - وهو أحد القواد - فرفع عليّ أنني جئت وأخربت الضياع، فأنفذ إليّ، فأُدخلت عليه وهو يطوف في داره على ضياع فيها، فلما رآني شتمني وقال: أخربت الضياع، ونهبت الارتفاع والله لأقتلنك، هاتوا السيَّاف. فأحضرت ونحيت للضرب، فلما رأيت ذلك ذهب عقلي وبُلت على ساقي، فنظر كاتبه إلي فقال: أعزّ الله الأمير، أنت مشتغل القلب بهذا البناء وضرب هذا أو قتله في أيدينا ليس يفوت فتأمر بحبسه، وانظر في أمره، فإن كانت الرقعة صحيحة فليس يفوتك عقابه، وإن كانت باطلة لم تستعجل الإثم وتنقطع عما أنت بسبيله من المهم. فأمر بي إلى الحبس فمكثت أيامًا، وقتل المعتصم عجيفًا، فاتصل الخبر بكاتبه فأطلقني: فخرجت وما أهتدي إلى حبة فضة فما فوقها، فقصدت صاحب الديوان بسر من رأى فسُرَّ بإطلاقي، وقلَّدني عملًا فنزلت دارًا، فرأيت مستحمها غير نظيف، فإذا تل فجلست أبول عليه، وخرج صاحب الدار فقال لي: أتدري على أي شيء بُلت؟ قلت: على تل تراب. فضحك وقال: هذا رجل من قوَّاد السلطان يُعرف بعجيف سخط عليه، وحمله مقيدًا، فلما صار ها هنا قتل، وطُرح في هذا المكان تحت حائط، فلما انصرف العسكر طرحنا الحائط ليواريه من الكلاب، فهو والله تحت هذا التل التراب.

قال: فعجبت من بولي خوفًا منه ومن بولي على قبره. المنتظم ١١ / ٨٥-٨٦.

* وعن **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء. ابن أبي الدنيا ٦/ ١٨.

* وخرج زياد حتى أتى **حُرَقة بنت النعمان بن المنذر**، فقال: أخرجوها إلي، وقد لبست المُسوح، فخرجت، فقال حَدِّثِينِي عن أهلك؟ قالت: أصبحنا وما في العرب أحد إلا يرجونا أو يخافنا، وأمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا. ابن أبي الدنيا ٦/ ١٨.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: مررت بدار من دور الكوفة، فسمعت جارية تنادي من داخل الدار.

ألا يـا دار لا يدخلـك حُـزن ولا يَذهـبْ بسـاكنك الزمـان

ثم مررت بالدار فإذا الباب وقد علته كآبة ووحشة، فقلت: ما شأنهم؟ قالوا: مات سيدهم، مات رب الدار، فوقفت على باب الدار فقرعته، وقلت: إني سمعت من ههنا صوت جارية تقول:

ألا يـا دار لا يدخلـك حُـزن ولا يَذهـبْ بسـاكنك الزمـان

فقالت امرأة من الدار وبكت: يا عبد الله إن الله تعالى يُغيِّر ولا يُغَيَّر، والموت غاية كل مخلوق، فرجعت والله من عندهم باكيا. ابن أبي الدنيا ٦/ ١٩.

* ودخل محمد بن زيدان الكاتب يوما على **يحيى بن خالد بن برمك** (ت: ١٩٠)، فرآه مهموما مفكرا، ينكت في الأرض، فقلت: أصلحك الله قد طال فكرك، ففيم ذاك، هذا ابنك الفضل على خراسان، وجعفر على العراق، ومحمد على اليمن، وموسى على الجبال، وأنت فيما أنت فيه، فقال: ويحك ففي هذا

كان فكري، ولِما نحن فيه كَثُر همي، أنا علمت أن جدي برمك كان ينزل النُّوبَهار، وكان يقدم في كل سنة على هشام بن عبد الملك، فكان يألف دهْقانا بالجبل ينزل عليه ذاهبا وينزل عليه راجعا، وكان في دنيا عريضة، وأمْرٍ واسع جدا، فقال له جدي مرة في بعض نزوله عليه: إنك من الدنيا لفي أمر واسع وخير كثير، هؤلاء ولدك قد ساووك، وأموالك منتشرة، وجاهك عريض، قال: وما ينفعني من ذلك وقد تكدر كل ما أنا فيه بصاحبتي أم أولادي، هي الدهر باكية ليلها ونهارها، فما أتهنى بشيء مما أنا فيه، قلت: أفتأذن لي في كلامها؟ قال: نعم شأنك وذاك، فقلت: يا هذه إنكم من الدنيا في سعد، ومن العيش فيما أنتم فيه، وقد أفسدت ذاك على صاحبك بطول بكائك، ودوام حزنك، فمم ذاك؟ قالت: نحن أهل بيت لم نصب بمصيبة، ولم تنزل بنا جائحة، ولم نُثكَل ولدا، فقد علمت أن هذا لا يتم على ما أرى، ونفسي متوقعة أمرا ينزل بنا، فطول بكائي ودوام حزني لذلك، فقلت لها: فلم تعجلين البكاء دعي الأمر حتى يقع؟ قالت: إن نفسي تأبى أن تسكن مع تغير ما تعلم، قال: فارتحلت من عندهم إلى هشام، ثم رجعت فمررت بهم، فإذا الأعراب والأكراد قد أغاروا عليهم، فقتلوا الدهقان وولده، وأخذوا أموالهم، وأخربوا ضياعهم، فأتيت المرأة فتوجعت لها مما نزل بهم، فقالت: أبا فلان قد حل بنا ما كنا نتوقع، فهل عندك من شيء؟ فقال يحيى بن خالد: ويحك فإنما طال فكري للأمر الذي نحن فيه.

قال: فما لبث البرامكة أن حل بهم ما حل. ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٦.

* وعن نابل بن نجيح قال: كان باليمامة **رجلان** ابنا عم، فكثر مالهما، فوقع بينهما ما يقع بين الناس، فرحل أحدهما عن صاحبه، قال: فإني ليلة قد ضجرت برغاء الإبل والغنم والكثرة، إذ أخذت بيدي صبيًا لي وعلوت في الجبل، فأنا

كذلك إذ أقبل السيل، فجعل مالي يمر بي ولا أملك منه شيئا، حتى رأيت ناقة لي قد علق خطامها بشجرة، فقلت: لو نزلت إلى هذه فأخذتها لعلي أنجو عليها أنا وبُنيَّ هذا، فنزلت فأخذت الخطام وجذبها السيل، فرجع علي غصن الشجرة فذهب ماء إحدى عيني، وأفلت الخطام من يدي، فذهبت الناقة، ورجعت إلى الصبي فوجدته قد أكله الذئب، فأصبحت لا أملك شيئا، فقلت: لو ذهبت إلى ابن عمي لعله يعطيني شيئا، فمضيت إليه، فقال لي: قد بلغني ما أصابك، والله ما أحببت أنه قد أخطأك، فكان ذلك أشد مما أصابني، فقلت: أمضي إلى الشام فأطلب، فلما دخلت إلى دمشق إذا الناس يتحدثون أن عبد الملك بن مروان أصيب بابن له، فاشتد حزنه عليه، فأتيت الحاجب فقلت: إني أحدث أمير المؤمنين بحديث يعزيه عن مصيبته هذه، فقال: أذكر ذلك له وذكره، فقال: أدخله فأدخلني فحدثته بمصيبتي، فقال: قد عزَّيتني بمصيبتك عن مصيبتي، وأمر لي بمال فعدت وتراجَعَت حالي. ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٧.

الأمل

أ- ما قيل في الأمل وأنه غريزة في الإنسان:

* عن **أبي عثمان النهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:٩٥) قال: بلغت نحوًا من ثلاثين ومائة سنة، ما من شيء إلا قد عرفت النقص فيه إلا أملي كما هو. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٠٨.

* وكَانَ **المُفَضَّلُ بن فضالة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١). السِّير ٧/ ٢٢٤.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: لولا السهو والأمل ما مشى المسلمون في الطريق. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٠٩.

* وقال **مطرف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله مَنَّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولو لا الغفلة ما تهنَّؤوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٠٩.

ب- الحث على قصر الأمل(١):

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): إن أخوف ما أخاف عليكم

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قصر الأمل: هو من أنفع الأمور للقلب، وبناؤه على أمرين: تيقن زوال الدنيا ومفارقتها، وتيقن لقاء الآخرة وبقائها ودوامها، ثم يقايس بين الأمرين، ويوثر أولاهما بالإيثار. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٣٢.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طول الأمل داء عضال ومرض مزمن، ومتى تمكّن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه، ولم يفارقه داءٌ ولا نجع فيه دواء، بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء.

وحقيقة الأمل: الحرصُ على الدنيا والانكباب عليها، والحبُّ لها والإعراض عن الآخرة. تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٦-١٧٨).

اثنتين: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى: فيصد عن الحق، وأما طول الأمل: فينسي الآخرة، ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل. الزهد لوكيع (١٩١)، صحيح البخاري، باب: فِي الأَمَلِ وَطُولِهِ.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ما منكم إلا ضيف وماله عاريّة، فالضيف مرتحل، والعاريّة مؤدّاة إلى أهلها. أخرجه الطبراني: ٨٤٥٥.

* وقال **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) لابنه: يا بني إذا صليت فصلِّ صلاة مودّع لا تظن أنك تعود إليها أبدًا، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين، حسنةٍ قدَّمها، وحسنةٍ أخّرها. صفة الصفوة ١/ ٢٣١.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تُطوى من ورائكم. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١١.

وقالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أَطالَ عَبْدٌ الأَمَلَ إِلَّا أساءَ العملَ[1]. قصر الأمل لابن أبي الدنيا (٥٠١).

* وقال **الفُضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): إنما أمس مثلٌ، واليومَ عملٌ، وغدًا أملٌ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٤.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: ما نمت نومًا قط، فحدثت نفسي أني أستيقظ منه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١١.

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: صدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالأمل يُكسل عن العمل، ويورث التراخي والتّواني، ويُعقب التشاغل والتقاعس، ويُخْلد إلى الأرض، ويُميل إلى الهوى.
وهذا أمر قد شُوهد بالعيا، فلا يُحتاج إلى بيان، ولا يُطْلب صاحبه ببرهان، كما أنّ قصر الأمل يبعث على العمل، ويحثّ على المسابقة. تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٦-١٧٨).

* وكان **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) إذا أراد أن ينام قال لأهله: أستودعكم الله فلعلها أن تكون منيّتي التي لا أقوم منها وكان هذا دأبه إِذا أراد النوم. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

* وكانت **امرأة** متعبدة بمكة إذا أمست قالت: يا نفس، الليلة ليلتك، لا ليلة لك غيرها، فاجتهدت، فإِذا أصبحت قالت: يا نفس اليوم يومك، لا يوم لك غيره فاجتهدت. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

* وقال **بكر المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): إذا أردت أن تنفعك صلاتك فقل: لعليِّ لا أصلي غيرها. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

* وقال **معروف الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): نعوذ بالله من طول الأمل، فإِنه يمنع خير العمل. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

* وطرق بعضهم باب أخٍ له فسأل عنه فقيل له: ليس هو في البيت، فقال: متى يرجع؟ فقالت له جارية من البيت: من كانت نفسه في يد غيره من يعلم متى يرجع؟ جامع العلوم والحكم / ٥٠٣-٥٠٤.

* **ولأبي العتاهية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣) من جملة أبيات:

ومـا أدري وإن أمّلـت عُمـر ... العلّي حين أُصْبِحُ لستُ أمسي

ألـم تـرَ أنّ كلّ صبـاح يـوم ... وعُمرك فيه أقصر منه أمس

وهذا البيت الثاني أخذه مما روي عن **أبي الدرداء** (ت: ٣٢) **والحسن** (ت: ١١٠) أنهما قالا: ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك، ومما أنشد بعض السلف:

إنـا لـنفـرح بالأيـــام نـقـطـعـهـــا ... وكلُّ يـوم مضى يـدني مـن الأجـل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا ... فإِنمـا الربـح والخسـران في العمـل

جامع العلوم والحكم / ٥٠٣-٥٠٤.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العباء. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٠.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقال: من قَصُر أمله هان عليه عيشه.

قال سفيان: يعني في المطاعم والملابس. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١١.

* وقال **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): لو أملت أن أعيش شهرًا: لرأيتُني قد أتيتُ عظيمًا!، وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلق في ساعات الليل والنهار. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٢.

* وعن **شميط بن عجلان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٦) قال: إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة: فقد مضى أمسُ بما فيه، وغدا أملٌ لعلك لا تدركه، إنك إن كنت من أهل غد فإن غدا يجيء برزق غد، إن دون غد يوما وليلة تُخترم فيه أنفس كثيرة، لعلك المخترم فيها. كفى كلّ يوم همُّه.

ثم قد حَمَلْتَ على قلبك الضعيف همَّ السنين والأزمنة، وهمَّ الغلاء والرخص، وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهمَّ الصيف قبل أن يجيء الصيف، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف لآخرته؟.

كلُّ يوم يَنقصُ من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تَسْتوفي رزقك وأنت لا تحزن!.

أُعطيتَ ما يكفيك فأنت تطلب ما يُطغيك؟ لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع!.

وكيف لا يَستَبينُ بعالمٍ جهلُه وقد عجَز عن شكر ما هو فيه، وهو مغترٌّ في طلب الزيادة؟ أم كيف يعمل للآخرة من لا تَنْقطع من الدنيا شهوتُه، ولا تَنْقضي منها نهمتُه؟.

فالعَجب كلُّ العَجب لمن يصدِّق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور!.[1]

ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٦.

---

(١) هذا الكلام يُكتب بماء الذهب، حريّ به يُحفظ ويسمعه الناس.

* وعن إبراهيم بن نَشِيط قال: قال لي **أبو زرعة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩١): لأقولنَّ لك قولًا ما قلته لأحد سواك: ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة فحدثت نفسي أن أرجع إليه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٨.

* وبينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام، إذ أُتي بحجر منقور، فطلب من يقرؤه، فأُتي **بوهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤)، فقرأه، فإذا فيه: ابن آدم، إنك لو رأيت قريب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصَّرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدًا ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الولد القريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة، فبكى سليمان بكاء شديدًا. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٨.

* وعن **يزيد الرقاشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: إلى متى نقول: غدًا أفعل كذا، وبعد غد أفعل كذا، وإذا أفطرت فعلت كذا، وإذا قدمت من سفري فعلت كذا؟!.

أغفلت سفرك البعيد، ونسيت ملك الموت؟.

أما علمت أن دون غد ليلة تُخترم فيها أنفس كثيرة؟.

أما علمت أن ملك الموت غيرُ مُنتظر بك أملك الطويل؟.

أما علمت أن الموتَ غايةُ كل حي؟.

ثم يبكي حتى يبل عمامته، ثم يقول: أما رأيته صريعًا بين أحبابه لا يقدر على رد جوابهم، بعد أن كان جدلًا خصمًا، سمحًا كريمًا عليهم؟.

أيها المغتر بشبابه! أيها المغتر بطول عمره!.

ثم يبكي حتى يبل عمامته. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٢٣.

* وقال الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يا أيها[١] ذا الذي قد غره الأمل ... ودون ما يأمل التنغيص والأجل
ألا ترى أنما الدنيا وزينتُها ... كمنزلِ الرَّكبِ دارًا ثَمَّة ارتحلوا
حُتوفها رَصَد وعيشها نكد ... وصفوها رَنَقٌ[٢] وملْكها دُول
المرء يَشقى بما يسعى لوارثه ... والقبر وارثُ ما يسعى له الرجل

ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٢٣.

* وقال بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدًّا!

وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملًا!

وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفًا!

فعلام تُعرِّجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟

الموت؟

فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشر.

يا إخوتاه، سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٣٧.

---

(١) في الأصل: يا أيهذا، وهو خطأ.

(٢) أي: كَدَرٌ.

ذم الطمع والبخل (١)

* قال **أبو بكرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣): أَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ البُخْلِ؟. صحيح البخاري (٤٣٨٣).

* وكانَ **عُمرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يقُولُ علَى المِنبَر: «أَيُّها النَّاسُ إنَّ الطَّمعَ فَقْرٌ، وإنَّ اليأسَ غِنًى، وإنَّ الإنْسانَ إذا يَئِسَ من الشّيْءِ اسْتغْنى عنه». الزهد لابن المبارك (٥٨٦)، القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا (١٨٧) واللفظ له.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ويل لكل جمّاع فاغرٍ فاه كأنه مجنون، يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله عَزَّ وَجَلَّ، لو يستطيع لوصل الليل بالنهار، ويله من حساب غليظ وعذاب شديد. الزهد لأحمد: ٢٦٧.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): مصيبتان لم يسمع الأوّلون والآخرون بمثلهما في ماله عند موته، قيل: ما هما؟ قال: يُؤْخَذُ منه كلُّه ويُسْأَل عنه كله. الزهد للخطيب (٦١).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا كان عندك ما أعطى الله عَزَّ وَجَلَّ نوحًا وإبراهيم

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصّدْرِ: الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ، فَإِنّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحُ النّاسِ صَدْرًا، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلُ الّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ، أَضْيَقُ النّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَعْظَمُهُمْ همّا وَغَمّا.
وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي الصّحِيحِ، مَثَلًا لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، أي دِرعان، كُلّمَا هَمّ الْمُتَصَدّقُ بِصَدَقَةٍ، اتّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ، وَكُلّمَا هَمّ الْبَخِيلُ بِالصّدَقَةِ، لَزِمَتْ كُلّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، وَلَمْ تَتّسِعْ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَثَلُ انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَصَدّقِ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ، وَمَثَلُ ضِيقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ. زاد المعاد ٢/ ٢٤.

وموسى وعيسى ومحمدًا عليهم الصلاة والسلام: لا تراه شيئًا[١]، وإنما تريد ما أعطى الله نمرود وفرعون وهامان[٢] فمتى تفلح؟. صفة الصفوة ٤/ ٤٨٤.

* وقال **عليُّ بن الحُسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): إنِّي لأستحي من الله أن أرى الأخ من إخواني، فأسألَ الله لهُ الجَنّة وأبخَلَ عليه بالدُّنيا، فإذا كان غدًا قيل لي: لَو كانتِ الجَنَّة بيدِك لَكُنتَ بها أبخل وأبخل. تهذيب السِّير ٢/ ٥١٩.

* وقال **بنانُ الحمّال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٦): الحرُّ عبد ما طَمِع، والعبدُ حرٌّ ما قَنع. تهذيب السِّير ٣/ ١١٦٩.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور، ولو قيل: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل، ولو قيل: ما غايتك قال: الحرمان. تهذيب الحِلْية ٣٥٨/ ٣.

* وقال **الشاعر**:

إذا كنت جمَّاعا لمالك ممسكا ... فأنت عليه خازنٌ وأمين

تؤدّيه مذموما إلى غير حامد ... فيأكله عفوا وأنت دفين

أدب الدين (٢٩٨).

* وقال **الآخر**:

وما ضاع مال ورث الحمد أهله ... ولكن أموال البخيل تضيع

أدب الدين (٣٠٤).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

ولا ترجُ السماحةَ من بخيلٍ ... فما في النارِ للظمآنِ ماءُ

ديوان الشافعي (٣٢).

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): ما أقبحَ بالعالمِ الداعي إلى الله الحرصَ وجمعَ المال!. تهذيب السِّير ٣/ ١٣٥١.

---

(١) أعطاهم الإيمان والعمل الصالح.

(٢) أعطاهم المال ومتاع الدنيا.

فوائد الطاعة والأعمال الصالحة، وتوجيهات السلف في ذلك[1]

أ- محبة الله للمطيع، وتحبيب الناس له، وتيسير أموره:

* قال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، وحبّبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله وبغّضه إلى خلقه. الزهد لوكيع (٥٢٤)، الزهد لأبي داود (٢١٠).

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف:٨٢]: حفظهما بصلاح أبيهما، ولم يَذكر منهما صلاحا. الزهد لأبي داود (٢٩٢)، الزهد لابن المبارك (٣١٥).

* وعن إسماعيل بن عبيد الله، قال: بينا **أبو ثعلبة الخُشَني** (ت: ٧٥)، **وكعب الأحبار** (ت: ٣٣) رَحِمَهُمَا اللَّهُ جالسين، إذ قال أبو ثعلبة: يا أبا إسحاق، ما من عبد

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَزْهَدَ فِي قَلِيلٍ مِنْ الْخَيْرِ أَنْ يَأْتِيَهُ، وَلَا فِي قَلِيلٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَجْتَنِبَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْحَسَنَةَ الَّتِي يرحمه الله بِهَا، وَلَا السَّيِّئَةَ الَّتِي يَسْخَطُ عَلَيْهِ بِهَا. فتح الباري ١١/ ٣٩٠.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لطيفة عجيبة في هذا الباب فقال: كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ مَأْمُورٌ بِشُهُودِ الْقَدَرِ وَتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ: فَهُوَ مَأْمُورٌ بِذَلِكَ عِنْدَمَا يُنْعِمُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، فَيَشْهَدُ قَبْلَ فِعْلِهَا حَاجَتَهُ وَفَقْرَهُ إلَى إعَانَةِ اللهِ لَهُ، وَتَحَقُّقِ قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة:١١].

فَشُهُودُ الْقَدَرِ فِي الطَّاعَاتِ مِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِلْعَبْدِ، وَغَيْبَتُهُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَضَرِّ الْأُمُورِ بِهِ. مجموع الفتاوى ٨/ ٣٣٠.

تفرَّغَ لعبادة الله إلا كفاه الله مؤونة الدنيا، قال كعب: فإنَّ في كتاب الله المُنزلِ: مَن جعلَ الهُمُوم هَمًّا واحدًا، فجعله في طاعة الله، كفاه الله ما همَّه، وضمن السماوات والأرض، فكان رزقُه على الله وعملُه لنفسه، ومن فَرَّقَ همومه، فجعل في كل واد همًّا، لم يُبالِ الله في أَيِّها هلك.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مِن التَفَرُّغ للعبادة السعيُ في السببِ، ولاسيما لمن له عِيال، قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَفْضَلَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِ يَمِينِه**».

أما من يعجزُ عن السبب لضعف، أو لِقلةِ حيلة، فقد جعل الله له حظًّا في الزكاة. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٠٥.

* وعن **كعب الأحبار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما استقر لعبد ثناء في الأرض حتى يستقر في السماء.[1] الزهد لابن المبارك (٤٢٨)، الزهد لأبي داود (٣٧٤).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أحببتم أنْ تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ماذا يتبعه من حسن الثناء. الزهد لأبي داود (٣٨٢).

* وقال رجل **للحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): أوصني، قال: «أَعِزّ أمر الله يعزك الله».

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): على قدر خوفك من الله يَهابك الخلق، وعلى قدر حبّك لله يحبك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل الخلق بأمرك. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٣.

* وقال **هَرِمُ بن حيَّان** (ت: ٤٦) **ومحمد بن واسع** (ت: ١٢٣) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: ما أقبلَ عبدٌ بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتّى يرزُقَهُ وُدَّهم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٤١، تهذيب الحِلْية ١/ ٤١٠.

(١) فإذا وضع الله القبول للإنسان عند أهل الصلاح والخير والإيمان، ومدحوه وأثنوا عليه: كان هذا علامة على أن الله وضع له القبول عند ملائكته، وعلامة على محبة الله له.

* وعن موسى بن أعين قال: كنا نرعى الشاء بكرمان في خلافة **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١)، وكانت الوحوش والذئاب ترعى في موضع واحد، فبينا نحن ذات ليلة، إذ عرض الذئب لشاة، فقلنا: ما نرى الرجل الصالح إلا مات. فحسبوا فوجدوه مات تلك الليلة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٠٣.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): من أطاع مَن فوقه أطاعه مَن دونه، ومن خاف الله، خافه كلّ شيء. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وسُئل **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): ما كان بدء أمرك؟.

قال: كنت رجلا عيَّارا[1] فجُزت يوما فإذا أنا بقرطاس في الطريق، فرفعته فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم»، فمسحته وجعلته في جيبي، وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالِية [2]، ومسحته في القرطاس، فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلا يقول لي: يا بشر بن الحارث رفعت اسمنا عن الطريق، وطيَّبته، لأطيِّبن اسمك في الدنيا والآخرة ثم كان ما كان. تهذيب الحِلْية ٨٩/ ٣.

* وقال **إبراهيم الخواص** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩١): على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين. فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] تهذيب الحِلْية ٤٢١/ ٣.

* وقال الفقيهُ أبو الفَتْحِ الأشتريُّ معيدُ النِّظاميَّةِ ببَغدادَ، وكان قد جمعَ سيرةً مختصرةً **لنور الدين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٩) قال: وكان يحافظُ على الصلوات في أوقاتِها في جماعةٍ بتَمام شروطِها وأركانِها ورُكوعِها وسجودها، وكان كثيرَ الصلاةِ بالليلِ، والابتهال إلى الله عَزَّوَجَلَّ في أموره كلِّها.

---

(١) العيار: اللص الماهر في السرقة.

(٢) نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن.

قال: وبلَغَنا عن جماعةٍ من الصوفيَّةِ مَّمن يُعْتمدُ على قوْلِهم أنَّهم دخلَوا بلادَ القدسِ للزيارة أيامَ الفَرنْجِ، فسُمع الكفارُ يقولون: ابنُ القَسِيمِ يعْنُونَ نورَ الدينِ له مع الله سرٌّ؛ فإنَّه ما يظْفَرُ علينا بكَثْرَةِ جُنْدِه وجيْشه، وإنَّمَا يظفَرُ علينا بالدعاء وصلاة الليلِ، فإنّه يصلِّي بالليل، ويرفع يده إلى اللهِ ويدعو، فاللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يستجيبُ له دعاءه ويُعْطِيه سُؤْلَه، وما يرُدُّ يده خائبةً، فيظفَرُ علينا.

قال: فهذا كلامُ الكفارِ في حقِّه رَحِمَهُٱللَّهُ. البداية والنهاية ١٢/ ٣٦٥.

ب- اللذة، والأنس، وانشراح الصدر(١):

* قال **مالك بن دينار** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٣١): خَرج أهلُ الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيبَ شيءٍ فيها، قالوا: وما هو؟ قال: معرفة الله عَزَّوَجَلَّ. صفة الصفوة ٣/ ٢٠١.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: تفقدوا الحلاوة في الصلاة وفي القرآن وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق.(٢) تهذيب الحِلْية ٣٠٤/ ٣.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: أعلى حالات الإنسان وأشرفُها: إيثارُ إلهه ومعبوده وفاطره بالمحبة والطاعة وابتغاء الوسيلة إليه، والقرب والتودد إليه، كما يتودّد المحبُّ الصادق الذي لا غنى له عن محبوبه إليه؛ فمحبوبه أحبُّ شيء إليه، وهو أفقر شيء وأحوجه إليه؛ فلا يزال ناظرا إليه بقلبه، لا يلهيه عنه شيء، ليس له همٌّ إلا في مرضاته، ولا حديثَ نفس إلا به؛ إنْ نطق نطق به، وإنْ سكت سكت به، وإن غضب فلأجله؛ وإن رضي فلأجل رضاه.

وهذا في سرورِه ونعيمِه وبهجته ولذته في الدنيا كأهل الجنة في الآخرة، فبين نعيم هذا ونعيم أهل الدنيا بدنياهم أعظم تباين. مجموع رسائل ومسائل ابن القيم ص: ٩١.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: سمعت شيخ الإسلام يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحا: فاتهمه، فإن الرب شكور.

يعني أنه لابد أن يُثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول. مدارج السالكين ٢/ ٢٧٣.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الله يرزق العبد حلاوة ذكره، فإن فرح به وشكره آنسه بقربه، وإن قصر في الشكر أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته به. تهذيب الحِلْية ٣/٤٥٣.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قيل له: ما النعيم؟ قال: طيب النفس، قيل: فما الغنى؟ قال: صحة الجسد. الزهد لأحمد: ٦٤٨.

* وقال ابن بشار: خرجت أنا و**إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) وأبو يوسف الغسولي، فمررنا بنهر يقال له: نهر الأَرْدُن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملأها، ثم قال: بسم الله، وشرب الماء، ثم قال: الحمد لله.

ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب.

فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطؤوا الطريق المستقيم.

فتبسم ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟. الزهد للخطيب (١٣٣).

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النّعيم والراحة في الدنيا والآخرة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا عن حج، ولا عن صدقة، ولا عن صلة رحم، ولا عن مواساة.

نحن -والله- الملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجّلوا الراحة في الدنيا، لا نبالي على أيِّ حال أصبحنا وأمسينا، إذا أطعنا الله. الزهد للخطيب (١١٠).

* وقال **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٩): ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١/٣٩٥.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الله تعالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل:٩٧] لنرزقنه طاعة يجد لذتها في قلبه. تهذيب الحِلْية ٨٤/ ٣، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٣٧.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل لهم نصيبهم من كل كائن. تهذيب الحِلْية ٣٦٦/ ٣.

* ولَمَّا ركِب **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) على باب الحبس قال له رجل: يا سيدي هذا مقام الصبر!.

فقال: بل هذا مقام الحمد والشكر، والله إنه نازل على قلبي من الفرح والسرور شيء لو قُسم على أهل الشام ومصر لفضل عنهم، ولو أن معي في هذا الموضع ذهبًا وأنفقته ما أديت عشر هذه النعمة التي أنا فيها. الجامع لسيرة شيخ الإسلام ١/ ١٥٠.

* وقال بعض أقاربه: كان في بداية أمره يخرج أحيانا إلى الصحراء يخلو عن الناس لقوة ما يرد عليه، فتبعته يوما فلما أصحر تنفس الصعداء، ثم جعل يتمثل بقول الشاعر، وهو لمجنون ليلى في قصيدته الطويلة:

وأخرج من بين البيوت لعلني ... أحدث عنك النفس بالسر خاليا

وكان يتمثل كثيرا:

عَوى الذِّئبُ فَاستَأنَستُ بِالذِّئبِ إِذ عَوى ... وصوت إنسان فكدت أطير

وكان يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخل جنة الآخرة.

ويقول: العارف يسير إلى الله عَزَّوَجَلَّ بين مشاهدة المنة[1] ومطالعة عيب النفس. مدارج السالكين ٣/ ٥٩، الرد الوافر/ ٦٩.

(١) أي: منّة الله تعالى عليه في نفسِه وأهلِه وصلاحِه وسائِر أموره، وإذا شاهد ذلك: تخلّص من العجب والكبر.

* وأرسل رسالةً لأصحابه وهو محبوس في حَبْسِ الإسكندرية يقول فيها: إِنِّي -وَاللهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ- فِي نِعَمٍ مِن اللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا فِي عُمْرِي كُلِّهِ، وَقَدْ فَتَحَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى مِنْ أَبْوَابِ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ وَخَزَائِنِ جُودِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا لَمْ يَكُنْ بِالْبَالِ، وَلَا يَدُورُ فِي الْخَيَالِ.

وقال وهو في الحبس كذلك: أَنَا فِي نِعْمَةٍ مِن اللهِ سَابِغَةٍ وَرَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ أَعْجِزُ عَنْ شُكْرِهَا. مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٢٤٩، ٢٨/ ٣٠.

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ورأيت **شيخ الإسلام ابن تيمية** -قدس الله روحه- في المنام وكأني ذكرت له شيئا من أعمال القلوب. وأخذت في تعظيمه ومنفعته -لا أذكره الآن- فقال: أما أنا فطريقتي: الفرح بالله والسرور به أو نحو هذا من العبارة.

وهكذا كانت حاله في الحياة يبدو ذلك على ظاهره، وينادي به عليه حاله.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بَذَلْتُ لهم مِلْءَ هذه القلعة ذهبًا ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شاء الله.

وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه.

ولما أُدْخل إلى القلعة وصار داخل السور نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد:١٣] [١٣/ ٥٧].

وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا، وأقواهم قلبا، وأسرهم نفسا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه: فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحا، وقوة ويقينا وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. مدارج السالكين: ٣/ ٥٩-٦٠.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ وهو محبوس بسبب تصنيفه العقيدة الواسطية: أَنَا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَخَافُ؟ إنْ قُتِلْت كُنْت مِنْ أَفْضَلِ الشُّهَدَاءِ، وَكَانَ عَلَيَّ الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ عَلَى مَنْ قَتَلَنِي اللَّعْنَةُ الدَّائِمَةُ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ.

لِيَعْلَمَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنِّي إنْ قُتِلْت: لِأَجْلِ دِينِ اللهِ.

وَإِنْ حُبِسْت: فَالْحَبْسُ فِي حَقِّي مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ.

ووالله مَا أُطِيقُ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيَّ فِي هَذَا الْحَبْسِ، وَلَيْسَ لِي مَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيْهِ، لَا أَقْطَاعِي، وَلَا مَدْرَسَتِي، وَلَا مَالِي، وَلَا رِيَاسَتِي، وَجَاهِي.

وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَيْكُمْ إذَا ذَهَبَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِن الرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ، وَفَسَدَ دِينكُمْ الَّذِي تَنَالُونَ بِهِ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا كَانَ مَقْصُودُ الْعَدُوِّ الَّذِي أَثَارَ هَذِهِ الْفِتْنَةَ.[1] مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٢١٥-٢١٦.

(١) إنّ هذه السعادة التي يشعر بها هؤلاء الأئمة والصالحون، واللذة والحلاوة والأنس، لم تكن=

ج- الذلّ عند الطاعات، والعزّ عند المعاصي:

* قال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): كانوا يقولون: ذلوا عند الطاعة، وعزوا عند المعصية.(١) تهذيب الحِلْية ٩٧/ ٢.

* وكان **سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) يكتب إلى إخوانه بأربعة أحرف: ذل عند الطاعة، واستعص عند المعصية، وجالس الناس على قدر تقواهم، ولا تصلح القراءة إلا بالزهد. الزهد للبيهقي (٢٨٤).

* وقال **بعض السلف**: العارف لا يلزم حالة واحدة ولكن يلتزم من ربه في الحالات كلها.(٢) الزهد الكبير للبيهقي (٢٩٨).

=لولا الإيمان الذي نور قلوبهم، والعلم الذي قوّى عزائمهم، وهما ركنا السعادة النعيم، الذي يُشبه نعيم الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ يُشْبِهُ نَعِيمَ الْآخِرَةِ إلَّا نَعِيمَ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ. مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣١.

(١) أي: ينبغي للمؤمن أنْ يكون ذليلا لله عند قيامه بالطاعة، حتى لا يُصاب بالعجب والغرور، وأن يكون عزيزًا عندما يوسوس له الشيطان بالمعصية، فإنّ من الذل والصّغار أن ينقاد له، ومن العز وكبر النفس أن يعصيه ويُخالف هواه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: من الناس من يتقيَّد بلباس لا يلبس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مِشية لا يمشي غيرها، أو بزيٍّ وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لَا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه، فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظَّفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه، قد قيدتهم العوائد والرسوم والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل.

وقال عن أهل الصدق والإيمان والاستقامة: لم يتقيَّدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيُعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة: فلا يُعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم، ولا إشارة، ولا اسم، ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سُئل عن شيخه قال: الرسول، وعن طريقه قال: الإتباع، وعن مذهبه قال: تحكيم السنة، وعن مقصوده ومطلبه قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. ا.ه مدارج السالكين ٣/ ١٧٤-١٧٦.

أضرار المعصية

أ- شؤم المعصية وما ينتج عنها[1]:

* قال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان تعلّمه، للخطيئة يعملها. الزهد لوكيع (٢٦٩).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن بهلاكها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣١.

* وعن جبير بن نفير قال: لما فتحت قبرس فرق بين أهلها فبكى بعضها إلى بعض، فرأيت **أبا الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله عَزَّ وَجَلَّ إذا تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله، فرأيتهم كما ترى. صفة الصفوة ١/ ٣٠٣.

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: من أسخط الناس برضا الله كفاه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس. الزهد لأحمد: ٣٠٣.

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الجواب الكافي عددًا من أضرار المعاصي، منها:
حرمان العلم، حرمان الرزق، الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس ولاسيما أهل الخير منهم، تعسير أموره عليه، حرمان الطاعة، هوان العاصي على ربه، تورث الذل، تفسد العقل، تطبع على القلب، تجلب الفساد في الأرض، تطفئ الغيرة، تذهب الحياء، تنسي الله جَلَّ جَلَالُهُ عبده، تضعف القلب، تزيل النعم، تلقي الخوف الرعب في القلب، تسقط الكرامة، تمحق البركة، تجعل صاحبها من السفلة، تجرئ على الإنسان أعداءه، تضعف العبد أمام نفسه

* وعن أنس بن مالك أنه دخل على **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورجل معه، فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة، فقالت: إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمر، وضربوا بالمغاني، وغار الله عَزَّوَجَلَّ في سمائه، فقال للأرض تزلزلي بهم. فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم، قال: قلت: يا أم المؤمنين أعذاب لهم؟ قالت: بل موعظة ورحمة وبركة للمؤمنين، ونكال وعذاب وسخط على الكافرين.

قال أنس: ما سمعت حديثا بعد رسول الله ﷺ أنا أشد فرحا مني بهذا الحديث. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣٣.

* وعن **حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: ما استخف قوم بحق الله عَزَّوَجَلَّ إلا بعث الله عَزَّوَجَلَّ عليهم من يستخف بحقهم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤١.

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: كاد الضب يموت في حجره هزلا من ظلم بني آدم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٠١.

* وقال **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٠١.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) أنه قال: يا صاحب الذنب لا تأمننّ سوء عاقبته، وَلَما يتْبع الذنبَ أعظمُ من الذنب إذا عملْتَه، قلَّة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظمُ من الذنب الذي صنعته، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك أعظم من الذنب، وفرَحك بالذنب إذا عملته أعظم من الذنب، وحُزْنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حركتْ ستْر بابِك وأنت على الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظمُ من الذنب إذا عملتَه. صفة الصفوة ١/ ٣٧٢.

* وقال **كعب الأحبار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢): إذا رأيت السيوف قد عريت، والدماء

قد اهريقت، فاعلم أن أمر الله قد ضيع في الأرض فانتقم الله من بعضهم لبعض، وإذا رأيت قطر السماء قد منع فاعلم أن الزكاة قد منعت فمنع الله ما عنده، وإذا رأيت الوباء قد فشا فاعلم أن الزنا قد فشا. تهذيب الحِلْية ٢٥٦/ ٢.

* وقال **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): ما أكرمت العبادُ أنفسها بمثل طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ولا أهانتْ أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نصرةً من الله عَزَّوَجَلَّ أن يرى عدوّه يعمل بمعصية الله. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٨.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): لا يُحْسِن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يُعْور فيما بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ إلا أعْوَرَ فيما بينه وبين العباد، **ولمُصانَعةُ وجهٍ واحدٍ أيسرُ من مصانعة الوجوه كلّها**(١)، إنك إذا صانعت هذا الوجه مالت الوجوه كلها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شَنِئتْك الوجوه كلّها. صفة الصفوة ٢/ ٤٨٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيت الله عَزَّوَجَلَّ يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذرْه. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٣، صفة الصفوة ٢/ ٤٨٩.

* وعن **مسعر بن كدام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٥): قال: بلغني أن ملكا أُمر أن يخسف بقرية، فقال: يا رب فيها فلان العابد، فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ، فإنه لم يتمعرْ وجهه في ساعة قط.(٢) ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣٣.

---

(١) ما أعظم هذه العبارة! وما أشرف معناها، فمن صانع وداهن الناس فلن يرضوا عنه مهما عمل وأنفق وصانع، فالناس مختلفون في طباعهم وأمزجتهم وأهوائهم، وأكثرهم سريع التقلّب، كثير التغيّر، فمصانعتهم ومجاملتهم عسير ومستحيل.
ولكن من السهل النافع: إرضاء الله تعالى والإقبال عليه، فهو الغفور الذي يغفر الزلة، والشكور الذي يشكر الحسنة، والسّتّير الذي يستر العيب.
وأما الناس فلا يكادون يشكرون المعروف، ولا يسترون القبيح، ولا يغفرون الزلة، ولا ينظرون للنوايا الحسنة إلا من شاء الله، فهل يلتفت عاقل إليهم ويترك الالتفات إلى الله؟

(٢) تقدم قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في حق مَن لا يغار إذا انتُهكت محارم الله، ولا يغضب لله، ولا =

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

صفة الصفوة ٣/ ٩٢.

* وقيل **لوهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): أيجد طعم العبادة من يعصي الله؟ قال: لا ولا من يهم بالمعصية. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٣.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): من خان الله عَزَّوَجَلَّ في السرِّ هتكَ سِرَّه في العلانية. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٥.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى:٣٠]، ونسيان القرآن من أعظم المصائب». الزهد لابن المبارك (٧٥).

* وعن **خالد بن معدان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: من اجترأ على الملاوِم[١] في موافقة الحق ردّ الله تلك الملاوِم حمدًا، ومن التمس المحامد في مخالفة الحق ردّ الله عليه تلك المحامد ذمًّا. الزهد لأبي داود (٣٩٧).

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): نضحك ولعل الله قد اطّلع على بعض أعمالنا، فقال: لا أقبل منكم شيئًا. صفة الصفوة ٣/ ١٦٥.

* وقال له شاب: أعياني قيام الليل فقال: قيّدتْك خطاياك. صفة الصفوة ٣/ ١٦٦.

=يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يجاهد في سبيل الله-: فهذا فاسق مارق، بل كافر وإن أظهر الإسلام فهو منافق، وإن كان له نصيب من الزهد والعبادة ما كان فيه.. الاستقامة: ٣٥٠

(١) جمع ملامة.

* وكتب **رجل** إلى أخ له: إنّك قد أوتيتَ علمًا فلا تُطْفِئَنّ نورَ علمك بظُلْمة الذنوب فتَبْقَى في الظلمة يومَ يسعى أهلُ العلم بنور علمهم. عيون الأخبار ٥٢٤ / ٢.

* وقال **سليمان التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣): الحسنة نور في القلب وقوة في العمل، والسيئة ظلمة في القلب وضعف في العمل. تهذيب الحِلْية ٤٤١/ ١.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): إنما عصَى الله عَزَّوَجَلَّ من عَصَاه لِهوَانهم عليه، ولو كَرُموا عليه لحجزهم عن مَعَاصيه. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه، فأغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك، كيف ترى تكون حالك؟. صفة الصفوة ٢/ ٥٤٦.

* وعن داود بن مهران قال: وقفت على **فضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وأنا غلام فسلمت عليه- وعيناه مفتوحتان وأنا أظن أنه ينظر إليَّ - فمكث طويلًا ثم أطرق فقال: منذ كم أنت ههنا يا بني؟ قلت: منذ طويل، قال: أنت في شيء ونحن في شيء. ثم قال: حدثنا سليمان بن مهران -وكان لا يقول الأعمش- عن سالم بن أبي الجعد عن **أبي الدرداء** قال: حذر[1] امرؤ أن تبغضه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: أتدري ما هذا؟ قلت: لا، قال: العبد يخلو بمعاصي الله عَزَّوَجَلَّ، فليقلي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر. تهذيب الحِلْية ١٧٢/ ١.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله، فيجيء إخوانه فيرون أثر ذلك عليه. تهذيب الحِلْية ٣٠٢/ ٣.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان حبر من أحبار بني إسرائيل يقول: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني، فأوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل قل له:

---

(١) لعل الصواب: ليحذر، كما رواه أبو نعيم في موضع آخر في الحلية (٧/ ٣٠٠)، وعند أبي داود في الزهد (٢٢٠) بلفظ: أُحذّر.

كم أعاقبك وأنت لا تدري، ألم أسلبك حلاوة مناجاتي؟. تهذيب الحِلْية ٣١٩/ ٣.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): لا تغترّ بتأخير عقوبة الله تعالى عنك، وإنما يُعَجِّلُ مَن يخاف الفوت.(١) ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٩٧.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): إن الفتنة والله ما هي إلا عقوبة من الله عَزَّوَجَلَّ تحل بالناس. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣٥.

* وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قال: قرأت في الحكمة أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: أنا ملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، ولا تشغلوا أنفسكم بسب(٢) الملوك، ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن لله تعالى عقوباتٍ، فتعاهَدوهنّ من أنفسكم في القلوب، والأبدان، وضنكٍ في المعيشة، ووهنٍ في العبادة، وسخطةٍ في الرزق. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٩، صفة الصفوة ٣/ ٢٠٤.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله عَزَّوَجَلَّ إذا غضب على قوم: سلط عليهم صبيانهم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٦.

* وعن **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧) قال: إن أول ما استنكر الناس من أمر دينهم: لعب الصبيان في المساجد. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٦.

* وعن **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: الذنب على الذنب يميت القلب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٦.

---

(١) أي: إنما يُعَجِّلُ بالعقوبة مَن يخاف فوت الجاني والمخطئ، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يُعَجِّل فيها.

(٢) في الأصل: بسبب، وفي كتاب العقوبات والتوبة للمصنف والحلية: بسبّ، وهو الأظهر.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما نزل بلاء إلا نزلت معه رحمة، فيكون ناس في الرحمة وناس في البلاء. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٧.

* وقال **حماد بن سلمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٧): ليست اللعنة سوادًا يُرى في الوجه، إنما هي ألَّا تخرج من ذنب إلا وقعت في ذنب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٥٠.

* وقال **سليمان بن معتمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣): إن الرجل ليذنب الذنب في السر، فيصبح وعليه مذلته. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٥.

* وسُئِلَ **سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) عَن غَمٍّ لَا يُعْرَفُ سَبَبُهُ؟.

قَالَ: هُوَ ذَنْبٌ هَمَمْت بِهِ فِي سِرِّك وَلَمْ تَفْعَلْهُ فَجُزِيت هَمًّا بِهِ.[١] مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/ ١١١).

* وقال الإمام **مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): أول المعاصي الكبر والحسد والشح، حسد إبليس وتكبر، فقال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف:١٢]، وقال الله تعالى: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف:١٩] فشح آدم حتى أكل منها. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وقالَ **الإمامُ أحْمدُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): إنْ أحْبَبْتَ أنْ يَدومَ اللهُ لك علَى ما تُحبُّ فدمْ له على مَا يُحبُّ، والْخيرُ فيمنْ لا يرى لِنفسهِ خيرًا. الآداب الشرعية ٢/ ٢٤.

* وقال **أبو الحسين بن سمعون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧): رأيتُ المعاصي نَذَالة، فتركتُها مُروءة، فاستَحالَت[٢] دِيانة. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٧٩).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَالذُّنُوبُ لَهَا عُقُوبَاتٌ: السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ. مجموع الفتاوى (١٤/ ١١١).

قلت: يعني أن ذنوب السر كالحسد وسوء الظن: تكون العقوبة عليها من جنسها، أي في القلب والباطن، وأما ذنوب العلانية كالسرقة والغيبة والفاحشة، فتكون عقوبتها علانيةً، إما بالفضيحة، وإما بالأمراض والأوجاع الجسدية، وإما بالفقر وإما بالانتكاسة والعياذ بالله.

(٢) أي: تحوّلت.

ب- ما قيل في المعاصي، والحذر منها، وفضل من تجنبها:

* قال **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): إذا أسأت سيئة في سريرة، فأحسن حسنة في سريرة، وإذا أسأت سيئة في علانية، فأحسن حسنة في علانية لكي تكون هذه بهذه. صفة الصفوة ١/ ٢٥٨.

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: من سرّه أن يسبق الدّائب المجتهد فليكف نفسه عن الذنوب؛ فإنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب. الورع لابن أبي الدنيا (٤١).

* وسئل **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) عن الرجل يجتهد في العمل ويصيب من الذنوب، ورجل لا يجتهد ولا يذنب؟ قال: السلامة أحبُّ إليّ. الزهد لأبي داود (٢٩٠).

* وكان **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢) إذا أتى خربة وقف عليها ثم قال: يا خربة أين أهلك؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم، انقطعت الشهوة وبقيت الخطيئة، ابن آدم ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة. الزهد لأحمد: ٦٥١.

* وقال **بعض السلف**: لترك دانق[1] مما يكره الله، أحب إلي من خمس مائة حجة. ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٩.

* وعن معاوية بن قرة قال: تذاكروا عند **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) أي الأعمال أفضل، قال: فكأنهم اتفقوا على قيام الليل.

فقلت أنا: ترك المحارم.

فانتبه الحسن لها فقال: تم الأمر تم الأمر. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٠.

* وعنه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه. ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٦.

(١) الدانق: سدس درهم، وهو مال يسير جدا.

* وقال **سهل بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣): ليس مَن عمِل بطاعة الله صار حبيبَ الله، ولكن من اجتنب ما نهى عنه الله صار حبيب الله.

ولا يجتنب الآثام إلا صديق مقرب.

وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر. تهذيب الحِلْية ٣٣٧/ ٣.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): إن لم تعمل فلا تعص. تهذيب الحِلْية ٩٧/ ٣.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١١٨) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ [البقرة:١٦٨] قال: كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٨٧.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الأقفال، والأقفال أشد ذلك. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٩٣.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة ولكن إذا عمل المنكر جهارًا استحقوا العقوبة كلهم. الزهد لأحمد: ٤٩٦.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): إن المعصية إذا أُخفيت لم تضرّ إلاَّ صاحبها، وإذا أُعلنت فلم تُغير ضَرّتِ العامَّة. الزهد لابن المبارك (١٠٦١)، صفة الصفوة ٤/ ٤٣٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تَنْظر إلى صِغر الخَطيئة، ولكن انظر مَن عصَيْت. الزهد لابن المبارك (٦٤).

* وعن **مكحول الدمشقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: أرق الناس قلوبًا أقلهم ذنوبًا. الزهد لأحمد: ٦٤١.

* وقال رجل **لحاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٧): ما تشتهي؟ قال: أشتهي عافية يومي إلى الليل، فقيل له أليست الأيام كلها عافية؟ قال: إن عافية يومي أن لا أعصي الله فيه. تهذيب الحِلْية ٥١٤/ ٢.

* وقال عليُّ بن خَشْرم: ما رأيتُ بيد **وكيع بن الجراح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧) كتابًا قطُّ، إنما هو حِفظٌ، فسألتُهُ عن أدوية الحِفظِ، فقال: إن علَّمتُك الدواءَ استعملتَه؟ قلتُ: إِي واللهِ؟ قال: تركُ المعاصي، ما جَرَّبتُ مثلَه للحفظ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٠.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المعَاصِي

وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... ونورُ الله لا يُهْدَى لعاصي

ديوان الشافعي (١٠٦).

* وكان **يزيد الرقاشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) يقول: يا معشر الشيوخ الذين لم يتركوا الذنوب حتى تركتهم، فيا ليتهم إذ ضعفوا عنها لا يتمنون أن تعود لهم القوة عليها حتى يعملوا بها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٦٥.

* وعن علي بن زيد قال: خطبنا **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) فقال: أرى أفضل العبادة: اجتناب المحارم، وأداء الفرائض. ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٦.

ج- نظرة السلف للمعصية وللعاصي(1):

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة مشاهد يشهدها المؤمن في المعصية، منها:
١- مشهد الحكمة: وهو مشهد حكمة الله في تقديره على عبده ما يبغضه سبحانه، ويكرهه ويلوم ويعاقب عليه، وأنه لو شاء لعصمه منه، ولحال بينه وبينه، وأنه سبحانه لا يُعصى قَسْرًا، وأنه لا يكون في العالم شيء إلا بمشيئته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقد قال تعالى لملائكته لما قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فأجابهم سبحانه بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة: ٣٠].
فكم من آية في الأرض بينه دالة على الله، وعلى صدق رسله، وعلى أن لقاء الله حق: كان سببها معاصي بني آدم وذنوبهم، كآيته في إغراق قوم نوح، وعلو الماء على رؤوس الجبال حتى أغرق جميع أهل الأرض، ونجّى أولياءَه وأهل معرفته وتوحيده، وكذلك إهلاكه قوم عاد، وثمود، وفرعون وقومه، لولا كفرهم ومعاصيهم لم تظهر تلك الآيات والعجائب. =

....

= وكذلك إظهاره سبحانه ما أظهر من جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم بسبب ذنوب قومه ومعاصيهم.
وكذلك اتخاذ الله تعالى الشهداء والأولياء والأصفياء من بني آدم، بسبب صبرهم على أذى بني آدم من أهل المعاصي والظلم، ومجاهدتهم في الله.
ويكفي من هذا مثال واحد: وهو أنه لو لا المعصية من أبي البشر بأكله من الشجرة: لما ترتب على ذلك ما ترتب من وجود هذه المحبوبات العظام للرب تعالى، من امتحان خلقه وتكليفهم، وإرسال رسله، وإنزال كتبه، وإظهار آياته وعجائبه.
٢- مشهد التوحيد: وهو أن يشهد انفراد الرب تعالى بالخلق والحكم، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته.
٣- مشهد التوفيق والخذلان: وقد أجمع العارفون بالله على أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك.
فمتى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه: علم شدة ضرورته وحاجته إلى التوفيق في كلِّ نَفَس، وكل لحظة، وطرفة عين.
٤- مشهد الرحمة: فإن العبد إذا وقع في الذنب خرج من قلبه تلك الغلظة والقسوة، والكيفية الغضبية التي كانت عنده لمن صدر منه ذنب، حتى لو قدر عليه لأهلكه، وربما دعا الله عليه أن يهلكه ويأخذه غضبا منه لله، فلا يجد في قلبه رحمة للمذنبين الخاطئين، ولا يراهم إلا بعين الاحتقار والازدراء، ولا يذكرهم إلا بلسان الطعن فيهم والعيب لهم والذم، فإذا جرت عليه المقادير وخُلِّيَ ونفسه: استغاث الله، والتجأ إليه، ودعاه دعاء المضطر، فتبدلت تلك الغلظة على المذنبين: رقة، وتلك القساوة: رحمة ولينا، مع قيامه بحدود الله، وتبدَّل دعاؤه عليهم دعاءً لهم، فيورثه ذلك:
٥- مشهد الضعف والعجز وأنه عاجز عن حفظ نفسه، وأنه لا قوة له ولا قدرة ولا حول إلا بربه. والعبد مُلقى بين الله وبين أعدائه من شياطين الإنس والجن، فإن حماه منهم وكفَّهم عنه: لم يجدوا إليه سبيلا، وإن تخلى عنه ووكَلَه إلى نفسه طرفة عين، فهو نصيب من ظفر به منهم، وفي هذا المشهد يعرف نفسه حقًّا ويعرف ربه. فحينئذ يطلع منه على:
٦- مشهد الذل والانكسار، والخضوع والافتقار لله تعالى: فيحصل لقلبه كسرة خاصة لا يشبهها شيء، فحينئذ يستكثر في هذا المشهد ما مِن ربِّه إليه مِن الخير، ويرى أنه لا يستحق قليلا منه ولا كثيرًا.
فإذا استبصر في هذا المشهد، وتمكن من قلبه، ترقّى منه إلى: =

* قيل **لبعض السلف**: مالك إذا رأيت العاصي لا تحقد عليه، وتقبح فعله وتهجره؟ فقال: لأني أنظر إلى الصانع في الصنع فيهون علي المصنوع. تهذيب الحِلْية ٣٦٢/ ٣.

* وكان رجلٌ على حالٍ حسنة، فأذنب ذَنْبًا، فرفضه أصحابه ونبذوه، فبلغ **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦)، فقال: تداركُوه وعِظُوه ولا تدَعوه. صفة الصفوة ٣/ ٦١.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم؛ ومن نظر إليهم بعين الله عذرهم فيما هم فيه، وقل اشتغاله بهم. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ٣.

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): لولا الظلم الجائر: ما حصلت الشهادة للشهيد، ولولا أهل المعاصي ما بانت بلوى الصابر في الأمر بالمعروف، ولو كان المجرمون ضعفاءَ لقُهروا فلم يحصل ذلك المعنى.[1] ذيل الطبقات (٢/ ١٥٧).

= ٧- مشهد العبودية والمحبة، والشوق إلى لقائه، والفرح والسرور به، فتقر به عينه، ويسكن إليه قلبه، وتطمئن إليه جوارحه، ويستولي ذكرُه على لسانه وقلبه، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات مكان حركاتها بالمعاصي، فإن هذه الكسرة لها تأثير عجيب في المحبة لا يُعبر عنه.

وكان شيخ الإسلام يقول: من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ١/ ٦٩٠-٧٤٢

(١) فوجود الكفار والمعاصي والفساق نعمة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كفر الكافر نعمة في حق المؤمنين، فإنه لولا وجود الكفر والفسوق والعصيان، ولولا وجود شياطين الإنس والجن: لم يحصل للمؤمنين من بغض هذه الأمور ومعاداتها ومجاهدة أهلها ومخالفة الهوى فيها، ما ينالون به عليّ الدرجات وعظيم الثواب».

فلا ينبغي النظر دائما لما يحدث من كفر وظلمٍ بعين الأسى والحزن والشؤم، فلله في تقدير ذلك حكم عظيمة لا يُمْكن حصرها.

د- الستر على العاصي، وعدم إفشاء معصيته:

* كان شرحبيل بن السّمط على جيش فقال: إنكم نزلتم أرضا فيها نساء وشراب، فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا حتى نطهره، فبلغ ذلك **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فكتب إليه: «لا أم لك، تأمر قومًا ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم! الزهد لوكيع (٤٥٥)، الزهد لهناد (٢/ ٦٤٦).

* وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت(1) امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها(2)، فاقض فيّ ما شئت، فقال له **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد سترك الله، لو سترت نفسك. صحيح مسلم (٢٧٦٣).

* وعن طارق بن شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أن رجلا خطب إليه ابنة له، وكانت قد أَحْدَثت له، فجاء إلى **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فذكر ذلك له فقال عمر: ما رأيت منها؟ قال: ما رأيت إلا خيرا، قال: فزوجها ولا تخبر. مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٠٦٨٩).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كان يقال: من سمع بفاحشة فأفشاها كان فيها كالذي بدأها. الزهد لوكيع (٤٥)، الزهد لهناد (١٤٠١)، ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٠٠.

---

(١) أي تناولها واستمتع بها.

(٢) المراد بالمس الجماع، ومعناه: استمتعت بها بالقبلة والمعانقة وغيرهما من جميع أنواع الاستمتاع إلا الجماع.

محاسبة النفس[1]

أ- أهمية وفضل محاسبة النفس:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة:١٨]. تهذيب الحِلْية ٧٢/ ١.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١): من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه. صفة الصفوة ٢/ ٦٣٠.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن المؤمن قوّام على نفسه يحاسب نفسه لله عَزَّوَجَلَّ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا

---

(١) **محاسبة النفس لها ثلاثة أركان:**

أحدها: أن تقايس بين نعمة الله عليك وجنايتك، فحينئذ يظهر لك التفاوت، وتعلم أنه ليس إلا عفوه ورحمته أو الهلاك والعطب.

وبهذه المقايسة يظهر لك أن نفسك منبع كل شر، وأساس كل نقص، وأن حَدَّها: الجاهلة الظالمة، وأنه لو لا فضل الله ورحمته بتزكيته لها ما زكت أبدا.

ثم تقايس بين الحسنات والسيئات فتعلم بهذا أيهما أكثر وأرجح قدرا وصفة.

الركن الثاني: أن تميز بين مالك وما عليك، وإعطاء كل ذي حق حقه، فالذي لك: هو المباح الشرعي، والذي عليك: عبادة الله والتزام الطاعة واجتناب المعصية.

الركن الثالث: أن تعرف أنَّ كل طاعة رضيتها منك فهي عليك، وكل معصية عَيّرْت بها أخاك فهو أعظم إثما من ذنبه وأشد من معصيته، لما فيه من صَولة الطاعة، وتزكية النفس وشكرها.

يُنظر: مدارج السالكين لابن القيم ١/ ١٨٩.

أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يَفجَؤُه الشيءُ يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك لَمن حاجتي، ولكنْ والله ما من صلةٍ إليك، هيهات هيهات، حِيلَ بيني وبينك. ويفرط منه الشيء، فيرجع إلى نفسه، فيقول: ما أردت إلى هذا. مالي ولهذا؟ والله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله، إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن، وحال بينهم وبين هلكتهم. إن المؤمن أسيرٌ في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله عَزَّوَجَلَّ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه. صفة الصفوة ٣/ ١٦٥ - ١٦٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الرجل كان يشاك الشوكة يقول: إني لأعلم أنك بذنب وما ظلمني ربي عَزَّوَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٤٧٧.

* وقال **مسروق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣): المرء حقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، فيذكر ذنوبه، فيستغفر الله تعالى منها. مسند الدارمي (٣٢٣).

* وقال **بعضهم**: خير الناس للناس خيرهم لنفسه. الكامل في اللغة / ١٨٦.

* وقال **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): إني لأعرف الذنْب الذي حُمل به عليّ الدَّيْنُ ما هو، قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس.

* فحدَّثت به **أبا سليمان الدّاراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥)، فقال: قلّتْ ذنوبهم، فعرفوا من أين يؤتَوْن، وكثرت ذنوبي وذنوبك، فليس ندري من أين نُؤتى؟.[1] صفة الصفوة ٣/ ١٧٤.

* وقال **بعضهم**:

يا من يسوِّف بالأعمال مرتقبا ... وقتَ الفراغ وقد ألهته أشغال

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان السلف لقلة ذنوبهم يعدونها. مجموع رسائل ابن رجب ١/ ٣٦٤.

سِرْ أعرجًا أو كسيرًا غيرَ منتظر لصحةٍ فمرَجِّيْ ذاك بطّال

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٣١).

* وقال **ابن المُقفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): من أشد عيوب الإنسان خفاءُ عيوبه عليه؛ فإنَّ من خفي عليه عيبُه خفيت عليه محاسن غيره، ومن خفي عليه عيب نفسه ومحاسن غيره فلن يُقلع عن عيبه الذي لا يَعْرف، ولن ينال محاسن غيره التي لا يبصرها أبدًا. الأدب الصغير (٤٣).

ب- توجيهات ونصائح في محاسبة النفس:

* قال **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠): إذا تكلمتَ فاذكرْ سَمْعَ الله إليك، وإذا هممتَ فاذكر عِلْمَه بك، وإذا نظرتَ فاذكر نظَره إليك، وإذا تفكرْت فاذكُر اطّلاعه عليك، فإنه يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦﴾ [الإسراء:٣٦]. صفة الصفوة ٣/ ٤٦.

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: لا يكونُ الرجلُ تقيًا حتَّى يكونَ لِنفسه أشدَّ محاسبةً مِن الشريكِ لشريكه، وحتَّى يعلَمَ من أين مَلْبسُهُ ومَطْعَمُهُ ومَشْرَبُهُ. الزهد لنهاد (١٢٢٨)، تهذيب السِّيَر ٤/ ٤١٤ واللفظ له.

* وعن **فضيل بن زيد الرقاشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠) -وكان غزا مع عمر سبع غزوات- قال: لا يلهينك الناس عن ذات نفسك، فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطع النهار بكيت وكيت، فإنه محفوظ عليك ما قلت. الزهد لوكيع (٢٧٤).

* وقال **ابن المُقفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): على العاقل أن يُحصي على نفسه مساويها في الدين، وفي الأخلاق، وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدره، أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفًا من إصلاح الخلّة والخلتين والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر.

فكلما أصلح شيئًا محاه، وكلما نظر إلى محوٍ استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكْتأب.[(١)] الأدب الصغير (١٦-١٧).

ج- قصص ووقائع في محاسبة النفس:

* رأى عمر **أبا بكر** (ت: ١٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو مدل لسانه آخذه بيده فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ فقال: وهل أوردني الموارد إلا هذا. الزهد لأحمد: ٢١٨، الزهد لابن المبارك (٣٥٣)، الموطأ: ٣٦٢١.

* وعن أنس بن مالك قال: سمعت **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يومًا- وخرجت معه حتى دخل حائطًا فسمعته وهو يقول وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط-: عمر أمير المؤمنين بخ بخ والله بُنَيَّ الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك. الزهد لأحمد: ٢٢٣، الزهد لأبي داود (٧٣).

* وعن سلمة بن منصور، عن مولىً لهم كان يصحب **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) قال: كنت أصحبه، فكان عامّةُ صلاته بالليل الدعاءَ.

وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول: يا حُنيف ما حملك على ما صنعت يومَ كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟. صفة الصفوة ٣/ ١٤٠.

* وقال الجنيد: قال لي **محمد السمين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦١): كنت في وقت من الأوقات أعمل على الشوق[(٢)]، وكنت أجد من ذلك شيئًا أنه به مشتغل، فخرجت إلى الغزو، وهذه الحالة حالي، وغزا الناس، وغزوْت معهم. فكثر العدوّ على المسلمين، وتقاربوا، والتقوا، ولزم المسلمين من ذلك خوف لكثرة الروم.

قال محمد: فرأيت نفسي في ذلك الموطن وقد لحقها روع، فاشتد ذلك عليّ، وجعلت أوبّخ نفسي، وألومها، وأقول لها: كذّابة تدّعين الشوق، فلما جاء الموطن

(١) هذه طريقة ناجحة مجرّبة.

(٢) أي: الشوق إلى الله وإلى الجنة.

الذي يؤمل في مثله الخروج[1] اضطربت وتغيرت؟ صفة الصفوة ٢/ ٦٤١.

* وقال **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): مثّلتُ نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثّلتُ نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أيَّ شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أُرَدّ إلى الدنيا فأعمل صالحًا، قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي. صفة الصفوة ٣/ ٦٢.

* واستطال رجلٌ على **أبي معاوية الأسود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٨) فقال: أستغفر الله من الذنب الذي سُلِّطتَ به عليّ. عيون الأخبار ٣٢٦/ ١.

* ومر **حسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١) بغرفة فقال: مذ كم بنيت هذه؟ قال: ثم رجع إلى نفسه فقال: وما عليك مذ كم بنيت، تسألين عما لا يعينك. تهذيب الحِلْية ٤٧٢/ ١.

* وكان رجلٌ يتبع **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١)، فيجده أبدًا يخرج من لبنة رقعةً ينظر فيها، فأحب أن يعلم ما فيها، فوقع في يده الرقعة، فإذا فيها مكتوب: سفيان اذكر وقوفك بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٣٧٤/ ٢.

* ورُوي عن المرُّوذي قال: قلتُ **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): كيف أصبحتَ؟ قال: كيف أصبح مَن ربُّه يُطالبُه بأداء الفرائض، ونبيُّه يُطالبه بأداء السُّنة، والملَكان يطلُبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليسُ يُطالبه بالفحشاء، ومَلَكُ الموت يُراقب قبضَ روحه، وعِياله يُطالبونه بالنفقة؟!. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٣٠.

* وعن **أبي سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥) أنه قال: سمعت أبا جعفر المنصور يبكي في خطبته يوم الجمعة. الحِلْية ٩/ ٢٧٢.

(١) من الدنيا.

❊ وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): خفيت عليّ علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة نبكر إلى الجمعة، ولنا أماكن قد عرفت بنا، لا نكاد أن نخلو عنها، فمات رجل من جيراننا يوم جمعة، فأحببت أن أشيع جنازته، فشيعتها وأضحيت عن وقتي، ثم جئت أريد الجمعة، فلما أن قربت من المسجد، قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أضحيت، وتخلفت عن وقتك، فشق ذلك عليّ، فقلت لنفسي: أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري؟ فتركت ذلك المكان الذي كنت آتية، فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا أو نحوه. تهذيب الحِلْية ٣/٢٩٠.

❊ وحدَّث أبو القاسم أحمد بن يوسف - معلّم الخليفة هشام - قال: لَمَّا انصرفتُ من الحج صيّرني ولي العهد الحكم لمقابلة كتبه، وأجرى لي على ذلك رزقًا، فأتاني **أبو بكر ابن السَّليم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٦٧) وهو يومئذ معتزل عن السلطان، على غاية من التقشف، فقعد عندي، وأقبل يعذلني ويقول: يا أبا القاسم بعد طلب العلم، وتقييد الحديث، والرحلة فيه، ركنت إلى هؤلاء القوم، واستهوتك دنياهم!.

فقلت له: وما الذي وليت لهم؟ إنما هي كتب علم، لمثلها كان سَعْيِي، أصححها لهم بأجرة.

فقال لي: لا تقل هذا، فقد اعْتَقَلَتْك حبالهم فلن تفلتها، ومِن هنا يزفُّونك إلى غيره، ولا يمكنك خلافهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون على عظم المصاب بك، ثم مدّ يده إلى كمه، وأخرج منه حجرين، وقال لي: خذهما واضرب بهما صدرك، ونُح على نفسك، سلام عليك.

وخرج عني، وتركني أبكي على نفسي، فما مضت إلا الأيام حتى صار إلى

منزلتي، ثم ارتقى إلى الشورى، ثم إلى المظالم، ثم إلى قضاء الجماعة، فانتهى الغاية.

فأردت مقارضته[١]، فأمرت جارًا لي من الصّخّارين[٢] بحمل حجرين ضخمين، وبعثتُ معه غلامًا بعد صلاة العتمة، حتى أنزلهما باب القاضي ابن السليم، وأسندهما إلى مصراعيه.

فلما قام القاضي لصلاة الفجر وفتَح بابه سحرًا، ألفَى الحجرين مسندين إليه، فبقي مفكرًا، ومضى إلى المسجد مشغول البال، إلى أن دخلتُ عليه غدوة، فما هو إلا أن رآني اهتدى إلى وجه القصة، فقرّبني وقال لي: أنت صاحبه؟ فقلت: هما الحجران اللتان دفعت إليّ، رفعتُهما عندي حتى كبُرتا وصرفتهما إليك؛ إذ كَبُرت حالك، فبكى، وقال: هو حقُّك، والبادئ أظلم، فإنّا لله وإنا إليه راجعون على عظم مَنْشَبِنا، وخسرانِ صفقتنا.[٣] ترتيب المدارك (٤/ ٨٦).

د- أهمية معرفة عيوب النفس وآفاتها، وترك عيب الناس:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٣): لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فإنه بلاء، وعليكم بذكر الله فإنه رحمة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٥٩.

* وقال أيضا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أحبُّ الناسِ إليَّ مَنْ أَهْدَى إليَّ عُيوبِي. عيون الأخبار ٤١٠ / ٢.

* وقيل **لبعض الحكماء**: أتحب أن تُهدى إليك عيوبك؟ قال: نعم، من ناصح. أدب الدين (٣٨٤).

---

(١) أي: مجازاته.

(٢) أي: الذين يعملون في الصخور.

(٣) كان ابن السليم راسخًا في العلم، مجتهدًا في طلبه، عالمًا بالحديث والفقه، وكان مع علمه من أهل الزهد والبر، وقد طال هربه من السلطان إلى أنشبه المقدار، فنال رئاسة الدين والدنيا بالأندلس، فما تغيّر عن هدية ولا غرته الدنيا بوجه.
ويُستفاد من هذه القصة أنَّ البلاء مُوَكَّلٌ بالمنطق.

* وقال **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): انتهى **عجبي إلى ثلاث:**

١- المرء يفر من القدر وهو لاقيه.

٢- وهو يبصر في عين أخيه القذى[1] فيعيبه ويكون في عينه الجِذْع[2] فلا يعيبه.

٣- ويكون في دابته الصَّعَر[3] فيقومها بجهده، ويكون فيه الصَّعَر فلا يقوم نفسه. الزهد لابن المبارك (١١٢٢).

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لا تكلفوا الناس ما لم يكلفوا، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم، ابن آدم عليك نفسك؛ فإنه من تتبع ما يرى في الناس يطل حزنه، ولا يشف غيظه. تهذيب الحِلْية ١٦٨/ ١.

* وقال **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه. الزهد لأحمد: ٣٢٣.

* وكان **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨) يقول: عليكم بأمر إن أصبتم أجرتم وإن أخطأتم لم تأثموا، وإياكم وكل أمر إن أصبتم لم تؤجروا، وإن أخطأتم أثمتم.

قيل: ما هو؟ قال: سوء الظن بالناس فإنكم لو أصبتم لم تؤجروا وإن أخطأتم أثمتم. تهذيب الحِلْية ٣٧١/ ١.

* وقال **مكحول** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢): رأيت رجلًا يصلي، وكلما ركع وسجد بكى، فاتهمته أنه يرائي ببكائه فحرمت البكاء سنة. تهذيب الحِلْية ١٨٢/ ٢.

* وعن عبد الرحمن بن **زيد بن أسلم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٢) قال: كان أبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٦) يقول: أي بنيّ كيف تعجبك نفسك؟ وأنت لا تشاء أن ترى من عباد الله من هو خير منك إلا رأيته، يا بني لا ترى[4] أنك خير من أحد يقول لا إله إلا

(١) القذى: جمع القذاة، وهي مَا يتكوَّن فِي الْعين من رمص وَغَمص وَغيرهمَا.

(٢) أي: غُصن الشجرة.

(٣) الصعر: داء في العنق لا يستطاع معه الالتفات.

(٤) كذا في الأصل، وفي مختصر تاريخ دمشق: « تر » وهو الصواب؛ لأن «لا» الناهية تجزم الفعل بعدها.

الله، حتى تدخل الجنة ويدخل النار، فإذا دخلت الجنة ودخل النار تبين لك أنك خير منه. تهذيب الحِلْية ١٧/ ٥١٧.

* وعن **محمد بن كعب القرظي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) قال: إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا جعل فيه ثلاث خصالٍ: فقهًا في الدين، وزهادةً في الدنيا، وبصرًا بعيوبه. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٣.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): ذِكْرُك حسناتِك ونِسيانُك سيِّئاتك غِرّة. صفة الصفوة ٤/ ٤٣٥.

* وقال **الشاعر**:

يمنعني من عيبِ غيريْ الذي ... أعرفه عنديْ من العيْب

عيبي لهم بالظنِّ مني لهم ... ولست من عيبي فِي ريب

طبقات الحنابلة (٢/ ٢٩).

* وكان يقال: مَنْ رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه. عيون الأخبار ٣٢٦/ ١.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): يا بن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيبًا إلا وجدت عيبًا آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحبُّ العباد إلى الله تعالى من كان كذلك. صفة الصفوة ٣/ ١٦٥، ابن أبي الدنيا ٧/ ١٣٨.

* وقال **بعض السلف**: إني لأعظ وما أرى للموعظة موضعًا، وما أريد بذلك إلا نفسي. تهذيب الحِلْية ٥٢٧/ ١.

* وقال ابن المنكدر **لأبي حازم** (ت: ١٤٠) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: يا أبا حازم ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير، ما أعرفهم وما صنعت إليهم خيرًا قط.

قال له أبو حازم: لا تظن أن ذلك من عملك؟ ولكن انظر الذي ذلك من قبله فاشكره. تهذيب الحِلْية ٥٢٠/ ١.

* وقال **إياس بن معاوية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢١): كل رجل لا يعرف عيبه فهو أحمق، قالوا: يا أبا واثلة ما عيبك؟ قال: كثرة الكلام. تهذيب الحِلْية ٤٧٦/ ١.

* وقال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): ما أحسب أحدًا تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه. تهذيب الحِلْية ٩٨/ ٢.

* وقال **محمد بن علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): كفى بالمرء عيبًا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، تهذيب الحِلْية ٥١٠/ ١.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: من أعز نفسه[1]: أذلّ دينه، ومن أذل نفسه[2]: أعز دينه. تهذيب الحِلْية ١٠/ ٢.

* وعن **عمرو بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٦) قال: إذا شغلت بنفسك ذهلت عن الناس، وإذا شغلت بالناس ذهلت عن ذات نفسك. تهذيب الحِلْية ١٥٤/ ٢.

* وروي عن **بعض السلف** أنه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدركت قومًا كانت لهم عيوب، فكفوا عن عيوب الناس، فنسيت عيوبهم أو كما قال. جامع العلوم والحكم / ٤٥١.

* وقال **بعض السلف**: لولا أن تكون مدحة لذممت لكم نفسي. الزهد لأحمد: ٥٢٤.

* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٣/ ١٠٣-:

---

(١) بالتكبر والعجب، أو بالانتقام لها، وعدمِ مسامحة من أخطأ عليها.

(٢) بالتواضع وهضم النفس، وعدم الانتقامِ لها، ومسامحة من أخطأ عليها، والقيام بطاعة الله بذلٍّ وخشوع وخضوع.

وتعـذِر نفسَـك إمّـا أسـأتَ　　وغيـرَك بالعـذرِ لا تعـذِر
وتُبْصـر في العيـن منه القـذى　　وفي عينـك الجِـذع لا تُبْصِـر

* وعن **أبي قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: إذا كان الإنسان أعلم بنفسه من الناس، فذاك قَمِن[1] أن ينجو، وإذا كان الناس أعلم به من نفسه، فذاك قَمِن أن يهلك. تهذيب الحِلْية ٣٩٢/ ١.

* وقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): من مقت نفسه في ذات الله أمَّنَه من مقته. تهذيب الحِلْية ٤١٤/ ١.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٤١٦/ ٢.

لاتَلتمِسْ مِن مَسَاوي الناس ماسَتَروا　　فَيَكْشِفَ الله سِترًا عـن مَسَـاوِيكَ
واذكـر مَحاسِنَ مـا فيهم إذا ذُكِـروا　　ولا تَـعِبْ أحـدًا منهـم بمـا فيـكَ

عيون الأخبار ٤١٦/ ٢.

* وعن حماد بن زيد قال: رجعنا من جنازة فدخلنا على **عطاء السليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦)، فلما رآنا كأنه خاف أن يدخله شيء - أي لكثرتنا-، فقال: اللهم لا تمقتني، ثم قال: سمعت جعفر بن زيد العبدي يقول: مر رجل فجلس فأثنوا عليه خيرًا فلما جاوزهم قام وقال: اللهم إن كان هؤلاء يعرفوني فأنت تعرفني.[2] تهذيب الحِلْية ٣٢٣/ ٢.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) لمُزَاحمٍ مولاه: إن الوُلاةَ جَعلوا العيونَ على العوّام وأنا أجعَلُكَ عيني على نفسي، فإن سمعتَ مِنّي كلمةً تَربأُ بي عنها أو فَعَالًا لا تُحبّه فعِظْني عنده وانْهَني عنه. عيون الأخبار ٤١٦ / ٢.

(١) أي جديرٌ.

(٢) هذه هي أخلاق السلف الصالح، أصحابِ القلوب السليمة، ولو حصل مثل هذا لكثير من الناس لفرح وأُعجب بنفسه، ورأى أنّ هذا يدلّ على مكانتِه وشرفِه وربما صلاحِه كذلك.

* وقال بعضهم:

ابدأ بنفسك فَانْهَهَا عن غَيِّها | فإذا انتهت عنه فأنت حَكِيمُ
فَهناكَ تُعذرُ إن وَعَظْتَ ويُقتَدَى | بالقول منك ويُقْبَلُ التّعليمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتِيَ مثلَه | عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

عيون الأخبار ٢/٤١٦.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك. تهذيب الحِلْية ٢/٣٧٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الظن ظنان، فظن فيه إثم، وظن ليس فيه إثم، فأما الظن الذي فيه إثم فالذي يتكلم به، وأما الظن الذي ليس فيه إثم، فالذي لا يتكلم به. تهذيب الحِلْية ٢/٣٧٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نسمع التشديد فنخشى، ونسمع اللين فنرجوه لأهل القبلة، ولا نقضي على الموتى ولا نحاسب الأحياء، ونكل ما لا نعلم إلى عالمه، ونتهم رأينا لرأيهم.(١) تهذيب الحِلْية ٢/٣٨٤.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: كان **رجل** يقول: علمي بصالح نفسي علمي بفسادها، وبحسب امرئ من الشر أن يرى من نفسه فسادًا: لا يُصلحها.(٢) تهذيب الحِلْية ٢/٤٢٥.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): يكون شغلك في نفسك، ولا يكون شغلك في غيرك، فمن كان شغله في غيره فقد مُكر به. تهذيب الحِلْية ٣/٢٠.

* وعن **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كنا نتحدث أن أكثر الناس خطايا أفرغهم لذكر خطايا الناس. ابن أبي الدنيا ٧/١٠١.

---

(١) يا له من منهج ما أعظمه، فحريٌّ بالمؤمن أن يأخذ به.

(٢) ينبغي أن يتنبه لهذا الكلام المتين: من إذا نُبه على بعض عيوبه، قال: هذا ما اعتدت عليه، أو هذا طبعي ومن الصعب تغييره، أو نحوًا من هذا الكلام.

* وقال **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): ما تكلم أحدٌ في الناس إلا سَقَط. بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد (٨).

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): ألق حسن الظن على الخلق، وسوء الظن على نفسك، لتكون من الأول في سلامة، ومن الآخر على الزيادة. تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٦٥.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): إن في النفس لشغلًا عن الناس. تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٦٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مِن علامة الاستدراج، العمَى عن عيوب النفس.[1] صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقوى القوةِ غَلَبَتُك نفسَك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تفتش عن مساوئ الناس، ورداءة أخلاقهم، ولكن فتش وابحث في أخلاق الإسلام ما حالُك فيه، حتى تسلم ويعظم قدره في نفسك وعندك. تهذيب الحِلْية ٣/ ٣٣٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يطلع على عثرات الخلق إلا جاهل، ولا يهتك ستر ما اطلع عليه إلا ملعون. تهذيب الحِلْية ٣/ ٣٣٦.

* وسئل **أبو العباس بن عطاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٩) عن أقرب شيء إلى مقت الله والعياذ بالله، فقال: رؤية النفس وأفعالها، وأشد من ذلك مطالبة الأعواض عن

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فعلامَةُ السَّعادَةِ أنْ تكونَ حسناتُ العَبدِ خَلْفَ ظَهرِه، وسيِّئاتُهُ نُصبَ عَيْنَيْهِ، وعلامَةُ الشقاوَةِ أن يَجعَلَ حَسناتِهِ نُصْبَ عينيهِ وسيِّئاتِهِ خَلْفَ ظَهرِهِ، واللهُ المُستعانُ. مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٩٥.
وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فطُوبى لِمَن شغَلهُ عَيبُهُ عن عُيوبِ النَّاسِ وَويلٌ لمن نَسِيَ عَيبَهُ وتفرَّغَ لِعُيوبِ النَّاسِ. مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٩٧.

أفعالها.(١) تهذيب الحِلْية ١/٤٠١/ ٣.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تزن الخلق بميزانك، وزن نفسك بميزان المؤمنين، لتعلم فضلهم وإفلاسك.(٢) تهذيب الحِلْية ٢/٤٤٢/ ٣.

و- مجاهدة النفس:

* قال **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢): أرأيتم نفسًا إذا أكرمتُها ونعمتُها ذمتني غدًا عند الله، وإن أنا أهنتُها وأنصبتُها وأعملتُها مَدَحَتْني عند الله غدًا؟ قالوا: مَن تِيك يا أبا مسلم؟ قال: تِلكَ واللهِ نفسي. صفة الصفوة ٤/ ٤٢٩.

* وقال **قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨): ابن آدم إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا بنشاط، فإنَّ نفسك إلى السَّآمة وإلى الملل أميل، ولكنَّ المؤمنَ هو المتحامل،

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات:

١- رؤيته وملاحظته، والذي يُخلصه من هذه البلية: مشاهدته لمنة الله عليه وفضله وتوفيقه له وأنه بالله لا بنفسه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١] وقال أهل الجنة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا﴾ [لأعراف: ٤٣].

٢- طلب العوض عليه، والذي يخلصه من هذه البلية: علمه بأنه عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته سيده عوضا ولا أجرة.

٣- رضاه به وسكونه إليه، **والذي يخلصه من هذه البلية أمران:**

أ- مطالعة عيوبه وآفاته، وتقصيره فيه، وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان، فقلَّ عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قلَّ، وللنفس فيه حظ.

ب- علمه بما يستحقه الرب من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة وشروطها، وأن العبد أضعف وأعجز وأقل من أن يوفيها حقًا، وأن يرضا بها لربه، والعارف لا يرضا بشيء من عمله لربه، ويستحي من مقابلة الله بعمله. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٣١٦

(٢) عبارة عظيمة، ومعناها: لا تُقارن نفسك بأهل زمانِك، فترى نفسك أفضلهم أو من أفضلهم وأصلحهم وأعلمهم، ولكن قارن نفسك بالصحابة والتابعين والسلف الصالح، لتعلم فضلهم وإفلاسك، وصدقهم في دينهم وإيمانهم وضعفك، وعلمهم بربهم وبدينه وجهلك.

والمؤمنَ المتقوِّى[1]، وما زال المؤمنون يقولون ربنا ربنا في السر والعلانية حتى استجاب لهم. تهذيب الحِلْية ٤٠٨/ ١.

وصدق **أبو تمام** (ت: ٢٣١) حين قال:

بَصُرتَ بِالراحَةِ الكُبرى فَلَم تَرَها تُنالُ إِلّا عَلى جِسرٍ مِنَ التَّعَبِ

ديوان أبي تمام ١/ ٤٥.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): يقولون الجهاد! أنا من نفسي في جهاد.[2] تهذيب الحِلْية ٤٢٠/ ١.

* وصدق **القائل**:

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَه الأُزُرَا
فَكَابَدُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرَا

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنّ الذي تعوّد على حبّ الراحة، والخلود إلى الخمول: يعتاد على الكسل والخور، فلا يكاد يعمل شيئًا إلا بمشقة عظيمة، ولا يكاد يصرف نفسه عن أمر محظور شرعًا أو عرفًا أو طبًّا إلا بصعوبة بالغة.
ويجد نفسه تتثاقل عن فعلِ الطاعات والأعمال الفاضلة والنافعة الدينية والدنيوية، حتى ولو تيقن نفعها ومصالحها، والمفاسد التي ستواجهه إن تكاسل عنها.
فهذا شيء من التعب الذي يُواجهُه كلّ من أحب الراحة، وقدّمها على الحزم والعمل.
وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدْرَك بالنعيم، وأن من رافق الراحة فارق الراحة، فإنه على قدر التعب تكون الراحة.
وقد أثبتت التجارب أنّ حُبّ الرَّاحةِ يَجلِبُ التَّعبَ.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليه، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها كان نهيه عبادة للّه، وعملًا صالحًا، وثبت عنه ﷺ أنه قال: (**المجاهد من جاهد نفسه في ذات اللّه**)، فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي ويدعو إليها، وهو إلي جهاد نفسه أحوج، فإن هذا فرض عين وذاك فرض كفاية، والصبر في هذا من أفضل الأعمال، فإن هذا الجهاد حقيقة ذلك الجهاد، فمن صبر عليه صبر على ذلك الجهاد. كما قال: (والمهاجر من هجر السيئات). مجموع الفتاوى ١٠/ ٣١٣.

لا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبرَا

أمالي القالي ١/ ١١٣.

* وقال: **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠): كابدتُ نفسي أربعين سنة حتى استقامت.[١] صفة الصفوة ٢/ ٤٧٩.

* وسأل رجلٌ **ابنَ المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١) عن الرباط فقال: رابط بنفسك على الحق، حتى تقيمها على الحق، فذلك أفضل الرباط. تهذيب الحِلْية ٣/ ٤٠.

* وقال **أبو يزيد البسطامي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٠): دعوت نفسي إلى الله فأبت عليَّ واستصعبت، فتركتها ومضيت إلى الله.[٢] تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٤٨.

* وقال **الجنيد** (ت: ٢٩٨): الإنسان لا يعاب بما في طبعه إنما يعاب إذا فعل بما في طبعه.[٣] تهذيب الحِلْية ٣/ ٣٨١.

---

(١) وبعض الناس يُكابد نفسَه بضعة أيام في قيام الليل أو طلب العلم أو التحلّم والتخلّق وغيرها من العبادات والأخلاق الحميدة، ثم يفتر ويملّ ويعجز، ويقول: حاولت ولكنه شاقٌّ عليّ، أو هذا طاقتي وقدرتي!

(٢) أي: دعوتها إلى القيام بالعبادات طواعية ورغبة، بحيث يقوم بها وهو منشرح الصدر، مُتلذِّذًا بها، ويجد نفسَه تنقاد لها، لكنها أبت وعصت، وعجز عن ذلك، فتركها ومضى لله تعالى، وقام بالعبادات على مشقةٍ وتعب وعناء.

وهذا هو الذي ينبغي على كلّ مؤمن صاحب همة وصدق مع الله، ومَن عامل الله على حسب رغبات النفس وشهواتها: لم يصدق مع الله، ولن يبلغ المنازل العالية في الدنيا والآخرة.

وكم من داعية بدأ في الدعوة ثم تركها، وكم من شيخ بدأ في درس ولم يُكملْه، وكم من طالب علم بدأ في قراءة كتاب فلم يُتمّه، وبدأ في حضور درسِ علمٍ فانقطع، وذلك بسبب ما يُوجه هؤلاء من الفتور وعدم استمرار النشاط الذي حصل في بادئ الأمر، وهؤلاء شاؤوا أم أبوا: إنما دفعهم على العمل ما وجدوه من الأنس والنشاط في البداية، فإذا انقطع انقطعوا، وليس هذا دأب أهل الصدق والإخلاص مع الله تعالى، والمؤمن لا يُعامل الله تعالى بحسب شهواته ورغباته، بل يعمل لله ولو كرهت نفسُه ذلك، إذا كان العمل مما يُرضي الله تعالى.

(٣) قيل لبعض حكماء العجم: بماذا ينتقم الإنسانُ من عدوّه؟ قال: بأن يزداد فضلًا في نفسه.

الإخوة والصحبة

أ- فضل الإخوة والصحبة في الله، والإحسان إليهم[(١)]:

* قال **أبو بكر الصديق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣): إن دعاء الأخ لأخيه في الله عَزَّوَجَلَّ يستجاب. الزهد لأحمد: ٢١٧.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إن من الإيمان أن يحب الرجل الرجل ليس بينهما نسب قريب ولا مال أعطاه إياه ولا محبة إلا لله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٦.

* وعن **أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) قال: من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله استكمل الإيمان. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٧.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: أَحِبَّ في الله، وأَبْغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك، ولا يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٧.

* وعن **كعب الأحبار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢) قال: رب قائم مشكور له، ورب نائم

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا أَحْبَبْت الشَّخْصَ لِلَّهِ كَانَ اللهُ هُوَ الْمَحْبُوبَ لِذَاتِهِ، فَكُلَّمَا تَصَوَّرْته فِي قَلْبك تَصَوَّرْت مَحْبُوبَ الْحَقِّ فَأَحْبَبْته فَازْدَادَ حُبُّك لِلَّهِ، كَمَا إذَا ذَكَرْت النَّبِيَّ ﷺ وَالْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَصْحَابَهُمْ الصَّالِحِينَ، وَتَصَوَّرْتهمْ فِي قَلْبك، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْذِبُ قَلْبَك إلَى مَحَبَّةِ اللهِ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ وَبِهِمْ، إذَا كُنْت تُحِبُّهُمْ لِلَّهِ فَالْمَحْبُوبُ لِلَّهِ يَجْذِبُ إلَى مَحَبَّةِ اللهِ، وَالْمُحِبُّ لِلَّهِ إذَا أَحَبَّ شَخْصًا لِلَّهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَحْبُوبُهُ، فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَجْذِبَهُ إلَى اللهِ تَعَالَى، وَكُلٌّ مِنْ الْمُحِبِّ لِلَّهِ وَالْمَحْبُوبِ لِلَّهِ يُجْذَبُ إلَى اللهِ. مجموع الفتاوى: ١٠/ ٦٠٩-٦١٠.

مغفور له، وذلك أن الرجلين يتحابان في الله، فقام أحدهما يصلي، فرضي الله صلاته ودعاءه، فلم يرد عليه من دعائه شيئًا، فذكر أخاه ذلك في دعائه من الليل، فقال: يا رب أخي فلان اغفر له فغفر الله له وهو نائم. تهذيب الحِلْية ٢٥٣/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: مثل الذي يشكو إلى أخيه كمثل الذي يغسل إحدى يديه بالأخرى. الزهد ابن المبارك (٨٢٣).

* وصدق **القائل**:

ولا بدَّ من شكوى إلى ذي مروءةٍ　　　يواسيك أو يُسْليك أو يتوجَّع

ديوان ابن نباتة المصري (٢٩٥).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): من المعونة على تسلية الهموم، وسكون النفس: لقاء الأخ أخاه، وإفضاءُ كلّ واحد منهما إلى صاحبه ببثّه.

وإذا فُرِّق بين الأليف وأليفه: فقد سُلب قراره، وحُرم سروره.. الأدب الصغير (٢٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء، وعُدّة[1] في الشدة، ومعونة على خير المعاش والمعاد[2]، فلا تفرّطن في اكتسابهم، وابتغاء الوُصلات والأسباب إليهم.[3] الأدب الكبير (١٠٢).

* وقال **محمد بن سوقة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): ما استفاد رجل أخًا في الله إلا رفعه الله بذلك درجة. تهذيب الحِلْية ١٢٩/ ٢.

* وعن **عليِّ بن الحُسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قال: فَقد الأحبَّةِ غُربة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٤.

---

(١) العدة: ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح.

(٢) المعاش والمعاد: الحياة الدنيا والآخرة.

(٣) الوصلة: الاتصال، الأسباب، جمع سبب: وهو كلّ ما ربط به شيء بآخر من حبل ونحوه.

* وعن واصل مولى ابن عيينة قال: كنت مع **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) بمرو، فأتاه عطاء بن مسلم ومعه ابنه عثمان، فقال عطاء لمحمد: أي عمل في الدنيا أفضل؟ قال: صحبة الأصحاب، ومحادثة الإخوان إذا اصطحبوا على البر والتقوى، فحينئذ يذهب الله بالخلاف من بينهم فواصلوا وتواصلوا ولا خير في صحبة الأصحاب ومحادثة الإخوان إذا كانوا عبيد بطونهم، لأنهم إذا كانوا كذلك ثبَّط بعضهم بعضًا عن الآخرة. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩٩-٤٠٠.

* وعن **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩) قال: لا يُؤذن للأسفل بزيارة الأعلى، إلا من كان يزور في الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يُؤذن له يزور من الجنة حيث يشاء. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٥٨.

* وقال **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): قد جعل الله في الصديق البارّ عِوَضًا عن الرَّحِم المُدْبِرة. عيون الأخبار ٣/ ٩٠.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: من أحب رجلًا صالحًا فإنما أحب الله. تهذيب الحِلْية ١٨١/ ٢.

* وقال **محمد بن يوسف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٠) - وذكر الإخوان - فقال: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقسمون ميراثك، وهو قد تفرد بجدثك[1]، يدعو لك وأنت بين أطباق الأرض. تهذيب الحِلْية ٥٤/ ٣.

* وعن **أبي زرعة بن عمرو بن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩١) قال: ما تحاب رجلان في الله عَزَّوَجَلَّ إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه. الزهد للإمام أحمد/ ٦٣٠.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١١٨) قال: وجوه المتحابين من نور. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٨.

---

(١) أي: قَبْرك.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُحِبُّ في الله؟.

قال: إنما أحببت ربك. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٨.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): أخٌ لكَ كُلَّما لَقيكَ ذكَّركَ بِحظِّك من الله خيرٌ لك من أخٍ لك كُلَّما لقِيكَ وضعَ في كفِّك دينارًا. الحِلْية ٥/ ٢٢٥.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): ليس سرورٌ يعدل صُحبة الإخوان، ولا همٌّ يعدِل فراقهم. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقيل **للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): ما الحب فِي الله؟ قَالَ: هو أن لا تحبه لطمعٍ فِي دنياه. طبقات الحنابلة (١/ ١٣٩).

* وقَالَ **أبو عمر مُحَمَّد بن عبد الواحد الزاهد** غلام ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٥): تَركُ قَضاءِ حقوق الإخوان مَذَلَّة، وفي قَضاء حقوقهم رِفعَة، فاحمدوا الله عَلَى ذَلِكَ، وسارعوا إلى قضاء حوائجهم ومسارِّهم؛ تُكَافَؤوا عَلَيْهِ. طبقات الحنابلة (٣/ ١٢٨).

* وقال **الشاعر**:

مـا في زمانـك مـن يعـزّ وجـوده إنْ رمتـه إلا صديـق مخلـص[١]

وقال **الآخر**:

ما ضاع من كان لـه صاحب يَقْـدر أن يصلـح مـن شـأنه

فإنمـــا الدّنيـــا بسُكَّانهـا وإنمـــا المـــرء بإخوانـــه

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٩١، ٤٣٧).

---

(١) من أنفس وأندر المكاسب في هذه الحياة، ولو حزت الدنيا كلها بدونه كانت ناقصة: الصديق المخلص الوفي الذي يبحث عن رضاك، ويسارع إلى لقاك، ويُقربك إلى مولاك، ويستر عيبك، ويلتمس عذرك، ويتحاشى سخطك، ومع هذا فهو رهن إشارتك.

والصداقة مراتب، وهذه أعلاها.

ب- أقوال وآراء بعض السلف الذين يرون الإكثار من الإخوان والأصحاب:

* قال **وهبُ بن مُنبِّه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): استكثر من الإخوان ما استطعت، فإن استغنيت عنهم لم يضُرُّوك، وإن احتجت إليهم نفعوك. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٤.

* وقال **الصعلوكي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٠٤): إنا نحتاج إلى إخوان العُشرة لوقت العُسْرة. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٣٣٧.

* وكان يقال: أعجزُ الناس مَنْ فرَّط في طلب الإخوان، وأعجزُ منه مَنْ ضَيَّع مَنْ ظَفِر به منهم. عيون الأخبار ٣/ ٥.

* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٣/ ٥-.

لعمرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ … ولكنَّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

* وكان يقال: الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شِمَالٍ. عيون الأخبار ٣/ ٦.

* وقال **إبراهيمُ النَّخَعيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦): إنَّ المعرفةَ لتنفعُ عند الأسد الهصورِ والكلبِ العقورِ فكيف عند الكريم الحسيب! عيون الأخبار ٣/ ٢٠.

* وقال **فرقد السبخي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١): الغريب من ليس له حبيب. تهذيب الحِلْية ٤٤٦/ ١.

ج- أقوال وآراء بعض السلف الذين لا يرون الإكثار من الإخوان والأصحاب:

* عن **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) قال: إذا كثر الأخلاء كثر الغرماء. قيل لموسى-الراوي-: ما الغرماء؟ قال: الحقوق. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٣٢.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠): إياك وكثرة الإخوان والمعارف. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٣٢.

* وقال **الحميدي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢١٩):

لقاء الناس ليس يفيد شيئًا … سوى الهَذَيان من قيلٍ وقال

فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حالِ

تهذيب السِّيَر ٤/ ١٤٦٩.

* وقال **بشر بن منصور** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٠): أقل من معرفة الناس؛ فإنك لا تدري ما يكون، فإن كان شيء (يعني: فضيحة في الدنيا) كان من يعرفك قليل.(١) ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٢٠.

د- قصص ومواقف في الإحسان إلى الأخ والصديق:

* عن أُمِّ الدرداء قالت: كان **لأبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) ست وثلاث مئة خليل في الله، يدعو لهم في الصلاة، فقلتُ له في ذلك، فقال: إنه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب إلاَّ وَكَّلَ الله به ملكين يقولان: ولك بمثل، أفلا أرغبُ أَنْ تدعُو لي الملائكة؟. تهذيب السِّيَر ١/ ٢٧٣.

* وقال كَعْبُ بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حَدِيثه حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ

---

(١) الذي يظهر أنه ليس بين القولين اختلاف، فإن الذين لا يرون الإكثار من الأصدقاء لا يقصدون الأصدقاء الأوفياء الصالحين.

بل يعنون المعارف والعلاقات العامة، التي يُتَّخذُ منها الصديقُ الذي لم يُسْتَوثَقْ من إخلاصِه، ولم يُختبَرْ دينُه ووفاؤُه.

فهؤلاءِ أقلُّ ضررٍ يجنيه الْمُكثر منهم أنهم يُرهقونه بزياراتهم، ويُثْقِلونه بِمَطالبهم.

والذين يرون الإكثار منهم لا يقصدون إلا الأصدقاء الناصحين الصالحين.

والقاعدةُ العامة في التعامل مع هذين النوعين: ما قاله أحدُ الحكماء العقلاء: «الإخوان صنفان: إخوانُ الثقة، وإخوان المكاثرة؛ فأما إخوان الثقة فهم الكهف والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من صاحبك على حدِّ الثقة فابذل له مالك ويدك، وصاف من صافاه، واكتم سِرَّه وغيبه، وأظهرْ منه الحسن.

واعلم أنهم أقلُّ من الكبريت الأحمر.

وأما إخوان المكاثرة فإنك تُصيب منهم لذَّتك، فلا تقطعن ذلك فيهم، ولا تَطْلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان». يُنظر: التذكرة الحمدونية، لابن حمدون: ٢/ ٣٤.

غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ: وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ **طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) يُهَرْوِلُ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، لَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. صحيح البخاري (٤٤١٨).

* وكان سبب حبْس **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠): أن الحجاج طلب إبراهيم النخعي، فجاء الذي طلبه، فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، فأخذه وهو يعلم أنه إبراهيم النخعي. فلم يستَحِل أن يدله عليه، فجاء به الحجاج، فأمر بحبسه في الدّيماس، ولم يكن لهم ظلٌّ من الشمس ولا كِنٌّ مِن البَرْد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم، فجاءته أمه في الحبس، فلم تعرفه حتى كلمها، فمات في السجن. صفة الصفوة ٣/ ٦٣.

* وطلب ابن أخي **محمد بن سوقة** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠) منه شيئًا فبكى، فقال له: والله يا عَمّ لو علمت أن مسألتي تبلغ منك هذا ما سألتك، قال: ما بكيت لسؤالك، إنما بكيت؛ لأني لم أبتدئك قبل سؤالك. صفة الصفوة ٣/ ٨٢.

* وعن **مطرِّف بن الشخير** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥) أنّه قال لِبعض إخوانه: يا أبا فلان إذا كانت لك حاجةٌ فلا تُكلِّمني واكتبها في رُقْعة فإني أكرهُ أن أرى في وجهك ذُلَّ السؤال. تهذيب السِّير ٣/ ١٦٠.

* وأقام **طاووسٌ** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٦) على رفيق له مريض حتى فاته الحج. تهذيب الحِلْية ٣٠/ ٢.

* وعن جرير بن حازم قال: كنا عند **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) فقال ابنه: خففوا عن الشيخ فإنه لم يطعم وقد انتصف النهار، فانتهره الحسن وقال: مه

دعهم فوالله إن كان الرجل من المسلمين ليزور أخاه فيتحدثان ويذكران ربهما حتى يمنعه قائلته. الزهد لأحمد: ٤٧٥.

* وقال **يعقوبُ بن شيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٢): أظَلَّ العيدُ رجلًا، وعِنْده مئة دينار لا يملكُ سواها، فكتب إليه صديق يسترعي منه نفقة، فأنفذ إليه بالمئة دينار، فلم يَنْشَبْ أن وردَ عليه رقعةٌ من بعض إخوانه يذكرُ أنَّه أيضا في هذا العيد في إضاقة، فوجَّه إليه بالصُّرَّة بعينها قال: فبقي الأول لا شيء عنده، فاتفق أنَّه كتبَ إلى الثالث وهو صديقُه يذكرُ حاله، فبعثَ إليه الصُّرة بخَتْمِها قال: فعرفَها، وركبَ إليه، وقال: خبِّرني ما شأنُ هذه الصُّرة؟ فأخبره الخبر، فركبا معًا إلى الذي أرسلها، وشرحوا القصة، ثم فتحوها واقتسموها.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): إسنادها صحيح. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٦٢.

* وقال **الشاعر**:

خِلٌّ إذا جِئْتَهُ يومًا لِتسألَهُ أعْطَاك ما مَلَكَتْ كَفَّاهُ واعْتَذَرَا

يُخْفِي صنائِعَهُ وَاللهُ يُظْهِرُهَا إنَّ الْجمِيلَ إذا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَا

أدب الدين (٣٢٧).

* وكان **عامر بن عبد القيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) إذا فصل غازيًا وقف يتوسم الرفاق، فإن رأى رفقة توافقه قال: يا هؤلاء، إني أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خلال، فيقولون: وما هي؟ قال:

١- أكون لكم خادمًا لا ينازعني أحدٌ منكم الخدمة.

٢- وأكون مؤذّنا لا ينازعني أحد منكم الأذان.

٣- وأُنفق عليكم بقدر طاقتي.

فإذا قالوا له: نعم، انْضم إليهم، وإن نازعه أحدٌ منهم شيئًا من ذلك، ارتحل منهم إلى غيرهم. الزهد لابن المبارك (٨١٦).

* وكان **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري له، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته، عليها اسمه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٦.

* وقال **الشاعر**:

وتركي مواساة الأخلاء بالذي　　　تنال يدي ظلمٌ لهم وعقوق

وإني لأستحيي من الناس أن أرى　　　بحال اتساع والصديق مضيق

المنتظم ٦٢/ ٩.

* وعن جعفر قال: حدثنا بعض أصحابنا قال: كان **مورق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) يتجر فيصيب المال، فلا تأتي عليه جمعة وعنده منه شيء، يلقى الأخ فيعطيه أربعمائة خمسمائة ثلاثمائة، فيقول: ضعها عندك حتى نحتاج إليها ثم يلقاه بعد ذلك فيقول: شأنك بها. فيقول الأخ: لا حاجة لي فيها. فيقول: إنا والله ما نحن بآخذيها أبدًا فشأنك بها. وقال: كره أن يعطيهم على وجه الصدقة. تهذيب الحِلْية ٣٧٤/ ١.

* وعن الأعمش قال: ربما دخلنا على **خيثمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) فيخرج السلة من تحت السرير فيها الخبيص والفالوذج، فيقول: ما أشتهيه، كلوا أما إني ما جعلته إلا لكم، وكان يصر الدراهم وكان موسرًا فإذا رأى الرجل من أصحابه منخرق القميص أو الرداء أو به خلة؛ تَحيَّنه، فإذا خرج من الباب خرج هو من باب آخر حتى يلقاه فيعطيه، فيقول: اشتر قميصا، اشتر رداء، اشتر حاجة كذا. تهذيب الحِلْية ٦٣/ ٢.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ١٢٩/ ١

وإذا رأيتَ شقيقه وصديقه   لم تدرِ أيُّهما أخو الأرحام

* وعن مصعب بن أحمد بن مصعب قال: قدم **أبو محمد المروزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٠) على بغداد يريد مكة، فكنت أحب أن أصحبه، فأتيته فاستأذنته في الصحبة، فلم يأذن لي في تلك السنة، ثم قدم سنة ثانية وثالثة فأتيته فسلمت عليه وسألته فقال: اعزم على شرط يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر: فقلت: أنت الأمير! فقال: يا أبا محمد لا! بل أنت الأمير! فقلت: أنت أسن وأولى! فقال: نعم، ولا يجب أن تعصيني! فقلت: نعم! فخرجت معه، فكان إذا حضر الطعام يؤثرني فإذا عارضته بشيء قال: ألم أشترط عليك أن لا تخالفني؟ فكان هذا دأبنا، حتى ندمت على صحبته لما يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخلنا مكة. المنتظم ١٨-١٩/ ١٣.

* وقال بعض الشعراء:

همومُ رجالٍ في أمور كثيرة   وهمي من الدنيا صديقٌ مساعد
نكون كرُوحٍ بين جسمين قُسِّما   فجسماهما جسمان والرُّوح واحد

أدب الدين (٢٦٢).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): إذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه، إما بالمؤاساة[١]، فتُشاركه في البلية، وإما بالخذلان، فتحتمل العار.

فالتمس المخرج عند أشباه ذلك، وآثر مروءتك على ما سواها.

فإن نزلت الجائحة[٢] التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها: فأجمل[٣]، فلعل الإجمال يسعك، لقلة الإجمال في الناس. الأدب الكبير (١٠١).

و- الصبر عليهم، والتجاوز عن تقصيرهم، والتماس العذر لهم[٤]:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لا تظنَّ بكلمة خرجت من فيِّ مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٦.

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤-٣٥] قال: الرجل يشتمه أخوه، فيقول: إن كنتَ صادقا فغفر الله لي، وإن كنتَ كاذبا فغفر الله لك. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٥.

---

(١) آسى فلانا: أي: عزّاه وسلاَّه، وشاطره الأسى.

(٢) أي: النازلة العظيمة.

(٣) أي: اصنع الجميل، ولو بالكلام الطيب الذي يسليّه ويشرح صدره ويُذهب غمّه.

(٤) ما أحوجنا لهذا الخُلُق، فبِه يسلمُ الصديقُ من التَّحامل على صديقِه، ويسلمُ الخاطرُ من الْمُكدِّرات والْمُنغِّصات.

ومـن يبـغ الصديـق بغيـر عيـبٍ ... سـيبقى الدهـرَ ليـس لـه صديـق

وأيُّ جوادٍ لا يكبو، وأيُّ صارمٍ لا ينبو؟

والصديق إذا لم يكن مع صديقه كما قال الشاعر:

كنْ كيفَ شئتَ فإنَّني بكَ واثقٌ ... ولئـنْ ذمَمْتُـكَ إنَّنـي لـكَ حامـدُ

فليس هو الصديق الواثق من صديقه، الذي قد وثق من باطنه كما وثق من ظاهره.

* وكان بين **سعد بن أبي وقاص** (ت: ٦٠) **وخالد بن الوليد** (ت: ١٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كلام، فذهب رجلٌ يقع في خالد عند سعد، فقال: مه، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٩٨.

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): ما بلغني عن أخٍ مكروهٌ قطّ إلا أنزلْته إحدى ثلاث منازل: إن كان فَوقي عرفتُ له قدْره، وإن كان نظيري تفضّلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به، هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرضُ الله واسعة.(١) صفة الصفوة ١/ ٣٧١.

* وعن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) قال: إذا سمعت كلمةً من مسلم فاحملها على أحسن ما تجد، حتى لا تجد محملا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٥.

* وعن **أبي قلابة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: إذا بلغك عن أخيك شيْء تكرهه، فالتمس له العذْر جُهدَك، فإن لم تجد له عذرًا، فقل في نفسك: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه. صفة الصفوة ٣/ ١٦٨، ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٥.

* وقال بعضهم:

إذا رأيتُ ازْورارًا من أخي ثقةٍ ... ضاقتْ عليّ برُحْبِ الأرض أوطاني

فإن صددتُ بوجهي كي أكافئه ... فالعين غَضْبَى وقلبي غيرُ غضبان

عيون الأخبار ٣/ ١١٢.

* وعن **عطاء الخراساني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: تعاهدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، وإن كانوا مشاغيل فأعينوهم، وإن كانوا نسوا فذكروهم، وكان يقال: امش ميلًا وعد مريضا، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثًا وزر أخًا في الله. تهذيب الحِلْية ١٨٥/ ٢.

---

(١) ويا لها من سيرة ما أعظمها وأكملها، ومن سار عليها سلم من أذى الناس وسلموا من أذاه، وقد سار عليها كثير من أصحاب العقول الكبيرة، كالأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ كما في تهذيب السِّيَر ١/ ٤٥١

* وعن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، واحذر أن تسمي له الْمُبَلِّغ، فإن أنكر ذلك، فقل له: أنت أصدق وأبر لا تزيدن على ذلك شيئًا، وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهًا لعذر، فاقبل منه، وإن لم تر ذلك، فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهًا لعذر وضاق عليك المسلك، فحينئذ أثبتها عليه سيئة، ثم أنت في ذلك بالخيار: إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠] فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدّها، ثم ابدر له إحسانًا بهذه السيئة، ولا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه.

يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به، فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل.[1] صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٣/ ٢١.

أُغَمِّضُ للصديق عن المساوي ... مخافةَ أن أعيشَ بلا صديقِ

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٣/ ٢١.

ومن لا يُغَمِّضْ عينَه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ

ومَن يَتَتَبَّعْ جاهِدًا كلَّ عثرةٍ ... يَجِدْها ولا يَسلَمْ له الدهرَ صَاحِبُ

* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٣/ ٢١-:

---

(١) ما أجلّ كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا، وما أحرى كلّ إنسان بأن يحفظه ويعمل به.

إذا ما صديقي رابَني سُوءُ فِعلِهِ ولـم يَـكُ عمّـا سـاءني بمُفِيـقِ
صبرت على أشياء منه تريبني مخافـة أن أبقـى بغيـر صديـق

* وقيل **لخالد بن صفوان**[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيّ إخوانك أحبُّ إليك؟ قال: الذي يَغفِرُ زَلَلي، ويَقبَلُ عِلَلي، ويَسُدُّ خللي. عيون الأخبار ٣/ ٢٢.

* وقال الشاعر:

أخُوكَ الَّذِي إنْ سُؤْتَهُ قالَ إنَّنِي أسـأْتُ وإنْ عَاتَبْتَـهُ لانَ جَانِبُـهُ
فَعِشْ واحِدًا أو صِلْ أخَاكَ فإنَّهُ مُقَـارِفُ ذنـب مَـرَّةً وَمُجَانِبُـهُ
إذا أنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرارًا علَى الْقذَى ظَمِئْتَ وأيُّ النَّاسِ تَصفُو مَشارِبُهُ

المجالسة وجواهر العلم (٥١٩).

* ويُروى عن **رجاء بن حيوة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: مَن لَم يُؤاخ إلاَّ من لا عيب فيه قلَّ صديقُه، ومَن لم يَرْضَ مِن صديقه إلاَّ بالإخلاص له دام سُخْطُهُ، ومن عاتب إخوانه على كُلِّ ذنب كثُرَ عدوُّه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٨.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): المؤمنُ لا يَحيفُ على مَنْ يُبغِضُ ولا يأثمُ فيمن يحبّ. عيون الأخبار ٣/ ١٤.

* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٣/ ١٥-:

وعيـنُ السّـخطِ تُبصِـرُ كلَّ عيـبٍ وعيـنُ أخي الرضـا عـن ذاك تعْمى

* وقال بعضهم: - عيون الأخبار ٣/ ١٦ -:

وعيـنُ الرّضـا عـن كلّ عيـبٍ كليلةٌ ولكنّ عين السُّخطِ تُبدِي المساوِيَا

* وتوفي ابنٌ **ليونس بن عبيد** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ (ت: ١٣٩) تعالى فقيل له: إنَّ ابن عون لم يأتك!.

(١) العلامة، البليغ، فصيح زمانه، أبو صفوان المنقري، الأهتمي، البصري وقد وفد على عمر بن عبد العزيز، ولم أظفر له بوفاة، إلا أنه كان في أيام التابعين. السِّيَر (٦/ ٢٢٦).

فقال: إنا إذا وثقنا بمودةِ أخٍ لا يضرنا ألا يأتينا!.[١] شعب الإيمان (٨٠٤١).

* وحكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها **طلحة بن عبد الله بن عوف**[٢] الزهري -وكان أجود قريش في زمانه-: ما رأيت قوما ألأم من إخوانك، قال: ولم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك. لزوجها.

قال: هذا والله من كرمهم، يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم.[٣] أدب الدين (٢٨٩).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): اجعل غاية نيّتك في مؤاخاة من تؤاخي، ومواصلة من تواصل، توطينَ نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك، وإن ظهر لك منه ما تكره، فإنه ليس كالمملوك تعتقه متى شئت، أو كالمرأة التي تطلقها إذا شئت، ولكنه عرضك ومروءتك، فإنما مروءة الرجل إخوانه وأخدانه.[٤] الأدب الكبير (٩٩).

ل- نصائح وتوجيهات للصديق:

* **عن بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) قال: تذلل المرء لإخوانه[٥]،

(١) يا له من جوابٍ سديد، وردٍّ رشيد، من رجلٍ فَقَد صاحبَه في أحْلك الظروف، وهو موتُ ابنه وفلذةِ كبده، ومع ذلك لم يحملْ عليه في خاطره، ولم تَنْزلْ مودَّتُه من قلبه، ولم تَهتزَّ ثقتُه به من نفسه.

(٢) في الأصل: طلحة بن عبد الرحمن بن عوف، وهو خطأ.

(٣) قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فانظر كيف تأوَّل بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا، وظاهر غدرهم وفاء.

وهذا محض الكرم ولباب الفضل، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأوَّلوا الهفوات من إخوانهم. أدب الدين (٢٨٩)

(٤) أي: أصحابه.

(٥) بتواضعه لهم، ومغفرته لزلاتهم، وتجاوزه عن تقصيرهم، ومبادرته بطلب العفو والمسامحة عند الاختلاف.

تعظيم له في أنفسهم. تهذيب الحِلْية ١/٣٧١.

* وقالت أعرابية لابنها: يا بنيّ، إياك وصُحْبةَ مَن مودّته بِشْرُهُ فإنه بمنزلة الريح. عيون الأخبار ٣/ ٨٠.

* وقال بعضهم:

إنَّ الهديَّـــةَ حُلـــوةٌ ... كالسِّـحر تَجتَلِـبُ القلوبَـا

تُدنِـي البغيـضَ مـن الهـوى ... حتـــى تُصَيِّـــرَه قريبَـــا

عيون الأخبار ٣/ ٤١.

* وعن عبد الله بن طاووس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦) قال: قال لي أبي: يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم، وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣١.

* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعْه فلا تضرّه، وإن لم تُفرحْه فلا تغمّه، وإن لم تمدحْه فلا تذمّه. الزهد للخطيب (١١٤).

* وقال بعضهم:

إذا شِئتَ أن تُقْلَى فَـزُرْ متتابِعًا ... وإن شئت أن تزداد حُبًّا فزُرْ غِبًّا

عيون الأخبار ٣/ ٣٣.

* وقال بعضهم:

أَقْلِـــل زيارتــك الصّديــ ... ــقَ يـراك كالثـوب استجدَّهْ

إنّ الصـديـــق يُمِلُّـــه ... أَلاَّ يـــزالَ يـــراك عنــدَهْ

عيون الأخبار ٣/ ٢٣.

* وعن جعفر بن برقان قال: قال لي ميمون بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧): يا

جعفر! قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره.[(١)] تهذيب الحِلْية ٢/٥٤.

* وصدق **الشاعر**:

مَن بات يَكتمك العيب الذي فيكَ ... وقـد رمـى بـك في تيهـاءَ مهلكـةٍ

* وقال بعضهم:

من عفّ خفّ على الصَّديقِ لقاؤه ... وأخـو الحوائـج وجهُـه مَمْلـولُ

عيون الأخبار ٣/ ١٩٣.

* وقال **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): لا تكرم أخاك بما يكره. الزهد لأحمد: ٥١٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يقولون: لا تكرم صديقك بما يشق عليه. الزهد لأحمد: ٥١٥.

* وكان يقول:

إنـك إن كلفتـني مـا لـم أطـق ... سـاءك مـا سـرك منـي مـن خلـق

تهذيب الحِلْية ١/٣٩٠.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيرًا فانبذ عنك صحبته. تهذيب الحِلْية ٢/٣٣٤.

---

(١) إنَّ من يُخْبِرُ صديقه عن عيبه: مُحسنٌ إليه، ومن يُنبِّهه على أخطائه: مُتفضِّلٌ عليه، فلا ينبغي أن يُقابله بالحنق والغضب، فأين نَجدُ في هذا الزمان من يُنبهنا على أخطائنا، ويُصارحُنا بِعُيُوبِنا، فهذا هو الناصح حقًّا.

وليس الصديق الوفيّ، الذي يراك غارقًا في عيوبك، غافلًا عن أخطائك، وهو ساكتٌ لا يُحرك ساكنًا.

وما قيمةُ الصديقِ إذا لم يكن مرآةً صافيةً لصديقه، ولم يُخبرْه بعيوبه ليُصلحها، وأخطائه ليُصحِّحها.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: اصحب من شئت ثم أغضبه ثم دسَّ إليه من يسأله عنك. تهذيب الحِلْية ٣٧٥/ ٢.

* وقال **بعض الحكماء**: لا تكن في الإخاء مكثرا ثم تكون فيه مدبرا؛ فيعرف سَرَفك في الإكثار بجفائك في الإدبار. المجالسة وجواهر العلم (١٨٠).

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): كان يقال: أن يكون لك عدو صالح، خير من أن يكون لك صديق فاسد، لأن العدو الصالح يحجزه إيمانه أن يؤذيك أو ينالك بما تكره، والصديق الفاسد لا يبالي ما نال منك. تهذيب الحِلْية ٤٣٢/ ٢.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): عليك بمجالسة من يزيد في علمك قولُه، ويدعوك لحال الآخرة فعلُه، وإياك ومجالسة من يعلِّلُك قولُه، ويعيبك دينه، ويدعوك إلى الدنيا فعلُه. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وقال **الشاعر**:

وجدت قريب الوُدِّ خيرًا وإن نأى ... من الأبعد الوُدِّ القريب المناسب

ورُبَّ أخٍ لم يُدْنِه منك والدٌ ... أبَرُّ من ابن الأم عند النوائب

ورُبَّ بعيدٍ حاضرٌ لك نفعه ... ورُبَّ قريبٍ شاهدٍ مثلُ غائب

الآداب الشرعية ١/ ٣٣٩.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): لا تقصر في حق أخيك اعتمادًا على مودَّته. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس بأخيكَ مَن احتَجتَ إلى مداراته. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من صَدَق في أخوة أخيه قَبِل عِلَله، وسدَّ خَلَله، وغفر زَلَله. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقَالَ **أَبُو عبيد الْقَاسِم بن سلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤): زُرت **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)، فلما دخلتُ عليه بيته؛ قام فاعْتنقني وأجلسني فِي صَدر مجلسه، فقلت: يا أبا عبدالله أليس يقال: صاحب البيت أو المجلس أحقُّ بصدر بيته أو مجلسه؟.

قَالَ: نعم، **يَقْعد ويُقْعِد مَن يُريد.**

فقلتُ فِي نفسي: خُذ إليك أبا عبيد فائِدة.

ثم قلتُ: يا أبا عبدالله لو كنت آتيك عَلَى حقِّ ما تستحقّ لأتيتك كل يوم.

فقال: لا تقل ذاك، فإن لي إخوانًا ما ألقاهم فِي كل سنة إلا مرة، أنا أوثق فِي مودتهم ممن ألقى كل يوم.

قلتُ: هذه أخرى يا أبا عبيد.

فلمَّا أردتُ القيام؛ قام معي، قلت: لا تفعل يا أبا عبدالله.

فقال: قَالَ الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **مِن تمام زيارة الزائر أنْ يَمشي معه إلى باب الدار، ويُؤْخَذ بِرِكابه.**

قلتُ يا أبا عبيد: هذه ثالثة. طبقات الحنابلة (٢/ ٢١١).

* وقال يَحْيَى بن أكثم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٢) ذاكرتُ **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا، بعض إخواننا **وتغيره علينا**، فأنشأ أَبُو عبدالله يقول:

وليس خليلي بالملول ولا الذي ... إذا غبت عنه باعني بخليل
ولكنْ خليلي من يدوم وصاله ... ويحفظ سري عند كل دخيل

طبقات الحنابلة (٢/ ٥٤٧).

* وقَالَ الحسن بن ثواب: كنتُ إذا دخلت إلى **أبي عبدالله -الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول لي: إني أفشي إليكَ ما لا أُفشيه إلى ولدي ولا إلى غيرهم، فأقول

له: لك عندي ما قَالَ الْعَبَّاس لابنه عبدالله: إن عُمَر بْن الخطاب يكرمك ويقدمك فلا تفشين له سرًا، فإن أمت فقد ذهب، وإن أعش فلن أحدث بها عنك يا أبا عبدالله، فيفشي إليه أشياء كثيرة.[١] طبقات الحنابلة (١/ ٣٥٣).

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٠): اصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها، واحذر أن تحرقك. تهذيب الحِلْية ٥٠٧/ ٢.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١): لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار.[٢] تهذيب الحِلْية ٢٨٩/ ٣.

* **وقال الشاعر:**

أنفقْ مِنَ الصبرِ الجميلِ فإنهُ ... لمْ يَخشَ فَقرًا مُنْفِقٌ مِنْ صَبرِهِ
واحلمْ وإنْ سفهَ الجليسُ وقلْ لهُ ... حُسْنَ المَقَالِ إذَا أتَاكَ بِهُجْرِهِ
وَأحَبُّ إخْوَانِي إليّ أبَشُّهُم ... بصديقهِ في سرهِ أو جهرهِ
يَاربِّ مضطغنِ الفؤادِ لقيتهُ ... بِطَلاقَةٍ فَسَلَلْتُ مَا في صَدْرِهِ

ديوان أبي نواس / ٢٠١.

---

(١) يفشي الصديق إلى صديقه إليه أسراره ما لا يفشيه إلى أقرب الناس إليه، وهذا يدل على أن الصديق الوفي أقرب الناس إلى صديقه.

(٢) ما أجمل هذه الوصية العظيمة، **المشتملة على نصيحتين:**

الأولى: لا تُجالس ولا تُصاحب جلساء السوء، فإنك لا محالة آخذٌ من طبعهم، ومُقتدٍ بسلوكهم وفجورهم.

واحذرْ معاشَرةَ الدنيءِ فإنها... تُعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ

الثانية: لا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار، وما أجمل أنْ يعيَ هذا الكلام ويفهمَه أولئك الأخيارُ الصالحون، الذين انْشغلوا بأصدقائهم عن العلم وتحصيله، وعن الخلوة بالله ولذةِ الأنسِ به، وعن حقوقِ الأهل والوالدين، فحال الكثير منهم كحال الشمعة، تُضيء للناس وتنفعهم، لكنها في الْمُقابل تُحرق وتُفني نفسها، ولا بدّ مع الأيام أنْ ينطفئَ ضوءُ الشمعة.

* وقال الشاعر:

وإذَا صَاحَبْتَ فاصْحَبْ ماجِدًا ذا حَيَاءٍ وعفَافٍ وكَرَمْ)
قَولُهُ لِلشَّيءِ لا إنْ قُلتَ لا وإذَا قُلْتَ نَعمْ قالَ نَعمْ

المجالسة وجواهر العلم (٤٧٨).

* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): إذا أقبل إليك مُقبل بودّه فسرك ألا يدبر عنك، فلا تُنْعِمِ الإقبال عليه[١]، والتفتّح له، فإنَّ الإنسان طبع على ضرائبِ[٢] لؤم، فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به، ويلصق بمن رحل عنه، إلا من حفظ بالأدب نفسه، وكابر طبعه. الأدب الكبير (٩٦).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَطِّنْ نفسك في صحبةِ مَن صاحبت من الناس على أنْ تقبل منه العفو، غيرَ معاتب، ولا مُسْتبطئ، ولا مستزيد؛ فإنّ المعاتَبة مقطعةٌ للودِّ، وإن الاستزادة من الجشع، وإنّ الرضا بالعفو والمسامحة في الخلق مقرِّب لك كلّ ما تتوق إليه نفسك، مع بقاء العرض والمودة والمروءة. الأدب الكبير (١١٦).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تلتمس غلبة صاحبك والظفر عليه عند كلِّ كلمة ورأي، ولا تجترئنّ على تقريعه[٣] بظفرك إذا استبان، وحجتك عليه إذا وضحت. الأدب الكبير (١١٧).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ليعلم صاحبك أنك تُشْفِق عليه وعلى أصحابه، وإياك إنْ عاشرك امرؤٌ أو رافَقَكَ أن لا يرى منك بأحدٍ من أصحابه وإخوانه رأفة، فإن ذلك يأخذ من القلوب مأخذًا، وإنَّ لُطْفَك بصاحِبِ صَاحِبِكَ أحسنُ عنده موقعًا من لطفك به في نفسِه. الأدب الكبير (١٢٠).

---

(١) أي: لا تبالغ في الإقبال عليه.

(٢) أي: طبائع.

(٣) أي: لومه وتعنيفه.

ي- فوائد أخرى:

* سمع **عمر بن الخطّاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) رجلا يثني على رجل فقال: أسافرت معه؟ قال: لا.

قال: أخالطته؟ قال: لا.

قال: والله الذي لا إله غيره ما تعرفه.(١) ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٢٩.

* وقال رجل **لأبي الدَّرْداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إن فلانًا يُقْرِئك السلام؛ فقال: هديّةٌ حسنة ومَحْمَل خفيف. عيون الأخبار ٣/ ٤٧.

* وقال **أبو أيوب الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢): من أراد أن يكثر علمه، ويعظم حلمه؛ فليجلس في غير مجلس عشيرته. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥١٩.

* وقال **بعضهم**:

فأنت أخِي ما لم تكن ليَ حاجةٌ ... فإن عرضَتْ أيقنتُ أن لا أخا ليا

عيون الأخبار ٣/ ٨٦.

---

(١) أشار عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أنه لا ينبغي أنْ نحكم على أحدٍ بأنه صديقٌ صادقٌ مُخلص، ولا نثني عليه ثناءً مُطلقًا، ولا نخْلِص له الوُدَّ والمحَبَّة، **حتى نُجرِّبه في أربعةِ أمورٍ أو بعضها:**

الأمر الأول: في السفر، فكم مَنْ صديقٍ مُعجَبٍ بصديقه أيّما إعجاب، ويَمْدحُه بإطراءٍ وإسهاب، فما إنْ سافر معه، وأسفر عن أخلاقه ودقائق طِباعه، حتى عاد من سفره ذامًّا له، كارهًا مُجالسته، بل بعضهم لم يُكمل سفره وعاد إلى وطنه.

الأمر الثاني: ائتمانُه على سرٍّ أو مالٍ أو غير ذلك من أنواع الأمانات، فالصديق المخلص لا يخون ولا يغدر.

الأمر الثالث: حال الخصومة وسوء التفاهم، فبعض الناس قمةٌ في الأخلاق والبشاشة والأدب، ولكنْ حينما يرى أمرًا لا يُعجبه من صديقه، أو حصل نقاشٌ أو خلافٌ أو خصامٌ تبدَّلتْ أخلاقه الحسنة، وأصبح مُرّ المذاق، عسِر الأخلاق، سريعَ الشقاق.

الأمر الرابع: كثرةُ المخالطة، فكم مِن إنسانٍ يُغريك مَظهرُه، ويسحرك لسانه، فتطمع في صُحبته، فما إنْ تُخالطه وتُكثر من مُجالسته حتى تفوحَ منه ريحٌ نتنةٌ، ويغورَ طيبُ فعاله وأقواله ليَطفَحَ قُبحُه وسوءُ خِلالِه.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): كنت أنظر إلى الأخ من إخواني بالعراق فأعمل على رؤيته شهرًا.

وقال: إنما الأخ الذي تعِظك رؤيته قبل أن يعظك بكَلامه. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٤.

* وعن عبد الله بن الوليد قال: قال لنا **أبو جعفر محمد بن علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): يُدخل أحدكم يَده كيسَ صاحبه، فيأخذ ما يريد؟ قال: قلنا: لا قال: فلستم إخوانًا كما تزعمون.[1] صفة الصفوة ٢/ ٤٦٠.

* وكان يقال: لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له. عيون الأخبار ٣/ ٢٣.

* وقال **بعضهم**:

لعمرك ما وُدُّ اللسان بنافعٍ … إذا لم يكن أصلُ المودّة في القلب

عيون الأخبار ٣/ ٨١.

* وقال **بعضهم**:

ولا خير في وُدٍّ إذا لم يكن له … على طول مرّ الحادثات بقاءُ

عيون الأخبار ٣/ ٨٢.

* وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قال: كل جليس لا تستفيد منه خيرًا فاجتنبه. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٢٥.

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الْإِذنَ الْعُرفِيَّ فِي الِاسْتِبَاحةِ، أو التَّمَلُّك، أَوْ التَّصرُّفِ بِطَرِيقِ الوَكالةِ، كالْإِذنِ اللَّفظِيِّ. وعلَى هذَا يُخرَّجُ مُبايَعةُ النَّبيِّ ﷺ عَن عُثْمَانَ بن عَفَّانَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَكَانَ غَائِبًا، وَإِدْخَالُهُ أَهْلَ الْخَنْدَقِ إلَى مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَمَنْزِل جابرٍ بِدُونِ اسْتِئْذَانِهِمَا؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمَا رَاضِيَانِ بِذَلِكَ.
وَكَذلِكَ ما يُؤْثَرُ عَن الْحَسنِ الْبَصرِيِّ أنَّ أَصْحَابَهُ لَمَّا دخَلُوا مَنزِلَه وأكَلُوا طَعامَهُ قالَ: «ذَكَّرْتُمُونِي أخلَاقَ قَومٍ قَد مَضوا»، وكَذلِكَ مَعنَى قَولِ أَبِي جَعفر: «إنَّ الْإِخْوانَ مَنْ يُدخِلُ أَحَدُهُم يَدهُ إلَى جَيبِ صاحِبِهِ فيأْخُذُ مِنه ما شاءَ». القواعد النورانية: ١٧٥.

* وعن **الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) قال: إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٠٧.

* وجاء رجل إلى **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): يريد صحبته، فقال له إبراهيم: ما معك؟ فأخرج دراهم فأخذ منها إبراهيم دراهم فقال: اذهب فاشتر لنا موزًا، فقال الرجل: موزًا بهذا كله؟ فقال إبراهيم: ضم دراهمك وامض، ليس تقوى على صحبتنا. تهذيب الحِلْية ٤٧٨/ ٢.

* وقال له رجل: قصدتك يا أبا إسحاق من خراسان لأصحبك، فقال له إبراهيم: على أن أكون بمالك أحق به منك، قال: لا، قال إبراهيم: قد صدقتني فنعم الصاحب أنت. تهذيب الحِلْية ٤٨٩/ ٢.

* وقال **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٨): الإخوانُ ثلاثُ طبقاتٍ: طبقةٌ كالغذاء لا يُستغنَى عنه، وطبقةٌ كالدواء لا يُحتاجُ إليه إلا أحيانًا، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبدًا.[1] عيون الأخبار ٣/ ٧.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: ثلاثٌ يُصْفِينَ لكَ ودَّ أخيكَ: أن تبدأَه بالسلام إذا لقِيتَه، وتوسعَ له في المجلس، وتَدْعُوَهُ بأحبّ أسمائه إليه.

وثلاثٌ من العيّ: أن تعيبَ على الناس ما تأتي، وأن تَرَى من الناس ما يخفَى عليكَ من نفسكَ، وأن تُؤذِيَ جليسك فيما لا يَعْنِيك. عيون الأخبار ٣/ ١٣.

* وقال **بعضهم**:

وإخــوانٌ حســبتُهمُ دروعــا ... فكانُوهــا ولكــن للأعــادي

وخِلْتهــمُ ســهاما صائبــاتٍ ... فكانوهــا ولكــن في فــؤادي

---

(١) قيل لبعض حكماء العجم: أخوك أَحَبُّ إليك أم صديقُكَ؟ قال: إنما أُحِبُّ أخي إذا كان صديقًا. عيون الأخبار ٣/ ١٠.

وقالوا قد صَفَتْ منّا قلوبٌ ... لقد صدقوا ولكنْ عن ودادي

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٢٦).

* وشكا إلى **أبي ميسرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٧) بعضُ إخوانه بُعْدَ عهده به، فقال: إنما فائدة الاجتماع الدعاء، فإذا ذكرتني دعوتَ لي، وإذا ذكرتك دعوتُ لك، فكأنّا التقينا، ولم نلتق. ترتيب المدارك (٣/ ٣١٢).

* وقال **أبو تمام الطائي** (ت: ٢٣١) في التأخر عن عيادة المريض:

ولئن جفوتك في العيادة إنني ... لبقاءِ جسمك في الدعاء لجَاهد

ولربما ترك العيادةَ مشفقٌ ... وطَوى على غلِّ الضمير العائد

الآداب الشرعية ١/ ٢٥٨.

* وأنشد **أبو بكر الشاشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٢٧) في الاعتذار عن الإقلال من الزيارة:

إنِّي وإن بَعدت دَاري لمقترب ... مِنْكُم بمحض مُوالَاةٍ وإخلاص

وَرُبَّ دَانٍ وَإنْ دامَت مودته ... أدنى إلى الْقلب منْهُ النازحُ القاصي

طبقات الشافعيين (٢/ ٩٦).

* وكان يقال: لا يكن حُبُّك كَلَفًا ولا بُغضُكَ تَلَفًا. أي: لا تسرف في حبك وبغضك. عيون الأخبار ٣/ ١٣.

* وقال بعضهم:

أبلغْ أخًا ما تولّى اللهُ صحبتناَ ... أنّي وإن كنتُ لا ألقاهُ ألقاهُ

وأن طَرْفي موصولٌ برؤيته ... وإن تباعدَ عن مثوايَ مَثواهُ

اللهُ يعلَمُ أني لستُ أذكره ... وكيف أذكره إذ لستُ أنساهُ

عيون الأخبار ٣/ ٣٤.

تقوى الله وأثرها على المسلم(١)

* قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، فإنه لن يقلَّ عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل يتقبل؟ تهذيب الحِلْية ١/ ٨١.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: التقوى: هي اجتناب ما نهى الله عنه، والمتقي ميسرة عليه أمور دنياه وآخرته، وتارك التقوى وإن يسرت عليه بعض أمور دنياه تعسر عليه من أمور آخرته بحسب ما تركه من التقوى، وأما تيسير ما تيسر عليه من أمور الدنيا فلو اتقى الله لكان تيسيرها عليه أتم، ولو قدر أنها لم تتيسر له فقد يسر الله له من الدنيا ما هو أنفع له مما ناله بغير التُّقَى، فإن طيب العيش ونعيم القلب ولذة الروح وفرحها وابتهاجها من أعظم نعيم الدنيا وهو أجل من نعيم أرباب الدنيا بالشهوات واللذات، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق:٤] فأخبر أنه ييسر على المتقي مالا ييسر على غيره، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] وهذا أيضا ييسر عليه بتقواه، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾ [الطلاق:٥] وهذا يتيسر عليه بإزالة ما يخشاه وإعطائه ما يحبه ويرضاه، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٢٩] وهذا يتيسر بالفرقان المتضمن النجاة والنصر والعلم والنور الفارق بين الحق والباطل، وتكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وذلك غاية التيسير، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٨٩﴾ [البقرة:١٨٩] والفلاح غاية اليسر، كما أن الشقاء غاية العسر، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد:٢٨] **فضمن لهم سبحانه بالتقوى ثلاثة أمور:**

أحدها: أعطاهم نصيبين من رحمته، نصيبا في الدنيا ونصيبا في الآخرة، وقد يضاعف لهم نصيب الآخرة فيصير نصيبين.

الثاني: أعطاهم نورا يمشون به في الظلمات.

الثالث: مغفرة ذنوبهم، وهذا غاية التيسير، فقد جعل سبحانه التقوى سببا لكل يسر، وترك التقوى سببا لكل عسر. التبيان في أقسام القرآن: ٢/ ٥٨.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) في قوله تعالى: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢]: يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر. الزهد لأبي داود (١٤٧).

* وجاء سائل إلى **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، فقال لابنه: أعطه دينارًا، فلما انصرف قال له ابنه: تقبَّل الله منك يا أبتاه. فقال: لو علمتُ أن الله يقبل مني سجدة واحدة، وصدقة درهمٍ لم يكن غائب أحبَّ إلي من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ إنما يتقبل الله من المتقين. صفة الصفوة ١/ ٢٧٣.

* وعن نافع أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقي **راعيا** بطريق مكة قال له: بعني شاة؟ قال: ليست لي، قال له: فتقول لأهلك أكلها الذئب؟ قال: فأين الله؟.

قال: اسمع، وافِني هاهنا إذا رجعت من مكة، ومُرْ مولاك يوافيني هاهنا، فلما رجع لقي ربّ الغنم واشترى منه الغنم، واشترى منه الغلام، فأعتقه ووهب له الغنم. الزهد لأبي داود (٢٦٢).

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) أنها كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنك إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا، فاتق الله. الزهد لأبي داود (٢٨١).

* وقال **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم: من صبر على البلاء، ورضي بالقضاء، وشكر النعمة، وذلّ لحكم القرآن. الزهد لأبي داود (٣٢٥).

* وعن إبراهيم بن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُمَا اللَّهُ قال: شهدت **أبي (ت: ١٩٣)** عند الموت فبكيت، فقال: يا بني ما تبكي؟ فما أتى أبوك فاحشة قط. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٨٠.

* وقيل **لسُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): أرى الناس يقولون سفيان الثوري، وأنت تنام الليل، فقال لي: اسكت، مِلاكُ هذا الأَمر التقوى. صفة الصفوة ٣/ ١٠٣.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١١٨) قال: من يتق الله يكن الله معه، ومن يكن الله عَزَّوَجَلَّ معه فمعه الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضلّ. صفة الصفوة ٣/ ١٨٥.

* ولَمَّا كانَت فِتنَةُ ابن الأشعث قال **طلق بن حبيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢): اتَّقُوها بالتقوى.

فقيل له: صف لنا التقوى؟ فقال: التقوى عَمَلٌ بطاعة الله، على نور من الله، رجاءَ رحمة الله، وتركُ معصية الله، على نور من الله، خيفةَ عقاب الله. الزهد لابن المبارك (١٠٥٤).

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): أبدعَ وأوجزَ، فلا تقوى إلاَّ بعَمَل، ولا عمل إلاَّ بتروٍّ من العِلم والاتِّباع، ولا ينفعُ ذلك إلاَّ بالإخلاص لله. لا ليقال فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابُها إلى معرفتها، ويكونُ التَّركُ خَوفًا من الله، لا لِيُمدَحَ بتركها، فمن داوم على هذه الوصيَّة فقد فاز. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٦٦.

* وعن سلام بن أبي مطيع أو غيره قال: ما كان **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩) بأكثرهم صلاةً ولا صومًا، ولكن لا والله ما حضر حق لله إلا وهو مُتهَيِّئ له. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٥٢.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات سَدًّا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٨٦.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): إنما سموا المتقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى. تهذيب الحِلْية ٢/٤٣٤.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): التقيُّ مُلْجَم، لا يستطيع كل ما يريد. شعب الإيمان (٥٤٠٤).

* وعن **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): قال: ما أخرج الله عبدًا من ذل المعاصي إلى عز التقوى، إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس. تهذيب الحِلْية ٤٦٦/ ٢.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): لو مر المطيعون بالمعاصي مطروحة في السكك ما التفتوا إليها. تهذيب الحِلْية ١٩٢/ ٣.

* وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: دخلت البصرة لأسمع من حماد بن زيد، فقدمتُ فإذا هو قد مات، فشكوت ذلك إلى **عبد الرحمن بن مهدي** (ت: ١٩٨)، فقال: مهما سُبِقْتَ به فلا تُسْبَقَنَّ بتقوى الله. معرفة القراء (١/ ٣٦٥).

* وقال عبدالله بن عبد الحكم للشافعي (ت: ٢٠٤) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: إن أردتَ أن تسكن البلد -يعني مصر- فليكن لك قوتُ سَنَة، ومجلسٌ من السلطان تتعزَّزُ به، فقال له الشافعي: يا أبا محمد، من لم تُعزّه التقوى فلا عِزَّ له، وقد ولدتُ بِغَزَّة، ورُبّيت في الحجاز، وما عندنا قوتُ ليلة، وما بِتنا جياعًا قَط. طبقات الشافعيين (١/ ٦٢).

* وقال **الإمام أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): الزم التقوى قلبك، واجعل الآخرة أمامك. طبقات الحنابلة (٢/ ١٣٤).

* وقالَ **أبُو زُرعةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤): كُلُّ مَنْ لَم يَتكَلَّم فِي هذا الشَّأنِ[1] عَلَى الدِّيانةِ فإنَّمَا يُعطِبُ نَفسَهُ، وكانَ الثَّوريُّ ومالِكٌ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ يتكَلَّمُونَ فِي النَّاس عَلَى الدِّيانَةِ فَيَنفذُ قَولُهُم، وكلُّ من لَم يَتكلَّمْ فِيهمْ عَلَى غَير الدِّيانَةِ يَرجعُ الأمرُ عليهِ. الآداب الشرعية ٢/ ١٠٢.

---

(١) أي: جرح الرواة وتعديلهم.

ما قيل في الحكمة والحكماء(١)

* قال **بعض الحكماء من الصحابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تقول الحكمةُ: مَن التمسني فلم يَجِدْنِي فَليفْعَلْ بأحسنِ ما يعْلم، وليترك أقبح ما يَعلم، فإذا فَعَلَ ذلك فأَنَا معه وإن لم يَعرِفْني. عيون الأخبار ٥٢٠ / ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): العلماء كثير والحكماء قليل، وإنما يراد من العلم الحكمة، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا. تهذيب الحِلْية ١٢/ ٣.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الحكمة حكمتان: علمية، وعملية. فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بِمُسَبباتها خَلْقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا، والعملية: هي وضع الشيء في موضعه.

وكل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة، وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه: الإخلال بها.

فأكمل الناس: أوفرهم منها نصيبا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال: أقلهم منها ميراثا.

ولها ثلاثة أركان: العلم، والحلم، والأناة.

وآفاتها أضدادها: الجهل، والطيش، والعجلة.

فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عَجول. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين٣/ ٣٥٠-٣٥٣

والعقلاء يتفاوتون حسب صحة عقولهم وكمالها، فكلّ من يعي الكلام ويعرف الخير ويعمل به، ويعرف الشرّ ويجتنبه: فهو عاقل.

وإذا كمل الإنسان في عقله يُسمى حكيما، فكل حكيم عاقل، وليس كل عاقل حكيمًا.

الاعتذار والرجوع إلى الحق(١)

* كان أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) يَقُولُ: مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا أَفْطَرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

---

(١) من طبيعةِ البشر النَّقصُ والخطأ، ولم يجعل الكمال إلا له وحده سبحانه، ولقد أوجد الله تعالى أنواعًا كثيرةً من العلاج، من بينها التَّناصُح والتذكير بين الناس، فإذا فعلوا ذلك قلَّت الأخطاء العيوب، وصَلُحَتِ الخواطرُ والقلوب.
ولقد ضرب سلفنا الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ، أروعَ الأمثلةِ في قبول الحقّ من أيِّ أحدٍ كان، والرُّجوعِ إليه، وعدمِ الحرج من ذلك.
لعلمهم بأنَّ عدمَ الاعترافِ بالحق: هو الكِبْر بعينه، كما قال ﷺ: (**الكِبْر بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ الناسِ**).
فالمتكبر يرد الحق، ويُعرض عنه ولا يقبله؛ لأنه معتدٌّ برأيه، جازمٌ بصواب عمله، ومع ذلك يحتقر الناس ويزدريهم؛ لأنه يرى نفسه فوقهم.
إنَّ من يُذَكِّرُنا بأخطائنا، ويُنَبِّهُنا على عُيوبنا، قد أسدى لنا معروفًا عظيمًا، فجزاؤه أن نشكرَه ونُثنيَ عليه، ونأخذَ بقوله ونعملَ به، فهذا من علامةِ الإيمان وصفاءِ القلب.
قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: من علامات الخشوع: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُولِفَ وَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ: اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ. مدارج السالكين ١/ ٥١٦.
وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا تَصِحُّ لَكَ دَرَجَةُ التَّوَاضُعِ، حَتَّى تَقْبَلَ الْحَقَّ مِمَّنْ تُحِبُّ، وَمِمَّنْ تُبْغِضُ، فَتَقْبَلُهُ مِنْ عَدُوِّكَ، كَمَا تَقْبَلُهُ مِنْ وَلِيِّكَ. مدارج السالكين ٢/ ٣٢١.
فالحق يُقبل من أيِّ أحد، لِكونه موافقًا للدليل، فلا أثر للمتكلم به في قبوله أو رفضه.
وقال ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ: «القاصد لوجه الله تعالى لا يخافُ أن يُنقد عليه خللٌ في كلامه، ولا يهابُ أن يُدل على بطلان قوله، بل يُحِبُّ الحقَّ من حيث أتاه، ويقبل الهُدى ممن أهداه، بل المخاشنةُ بالحق -أي: التعامل بِخُشُونَة في الحق- والنصيحة أحبُّ إليه من المداهنة على الأقوال القبيحة، وصديقك مَنْ صَدَقَكَ لا من صدَّقك». العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم/ ٢٤.

* فسُئلَت **عَائِشَةُ** (ت: ٥٨) **وَأُمِّ سَلَمَةَ** (ت: ٦١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن ذلك فقَالَتا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا ثُمَّ يَصُومُ.

فأُخبر أَبُو هُرَيْرَةَ بما قالتا فقال: هُمَا أَعْلَمُ، ورَجَعَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ. صحيح مسلم (١١٠٩).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: سئل **عبد الله بن الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٨) عن مسألة فأخطأ في الجواب، فقال له قائل: الحكم فيها كذا وكذا فأطرق ساعة، ثم قال: إذًا أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذنبًا في الحق أحب إلي من أن أكون رأسا في الباطل. البداية والنهاية ١٠/ ٢١٧.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: صنف الحافظ عبد الغني كتابا فيه أوهام الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥) رَحِمَهُمَا اللَّهُ، فلما وقف عليه **الحاكمُ** جعل يقرؤه على الناس، ويعترف لعبد الغنيِّ بالفضل، ويشكره على ذلك، ويرجعُ إلى ما أصاب فيه من الردِّ عليه، رَحِمَهُمَا اللَّهُ. البداية والنهاية ١٢/ ٧٥.

* وحكى أَبو سهل مُحَمَّد بن عمر عَن بعض مشايخ بَلخ قَالَ: دخلت بَغْدَاد، وَإِذا على الجسر رجل يُنَادي ثَلَاثَة أَيَّام يَقُول: أَلا إن القاضي **أحمد بن عمرو الخصاف** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦١) استُفتي في مسألة كذا، فأجاب بكذا وكذا، وهو خطأ، والجواب كذا وكذا، رحم الله من بلَّغها صاحبها. الجواهر المضية (١/ ٨٨).

قال **تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١٠) معلّقا على هذه القصّة: هكذا ينبغي أن يكون العلماء، وهكذا يجب أن يكون التحفظ في دين الله، والنصيحة لعباد الله، لا كعلماء زماننا[1]، الذين ليس لهم غرض إلا التفاخر

---

(١) لازال والحمد لله في الأمة من هم في غاية الورع والصدق والأمانة.

بالعلم، والتكبر به، وإظهار القوة والغلبة، فلا يبالي أحدهم إذا كان مستظهرًا في البحث على خصمه أن يكون على الحق أو على الباطل، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. الطبقات السنية (١٢٤).

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يُقرأ عند **الوزير أبي المظفر ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠) الحديث في كل يوم بعد العصر فحضر فقيه مالكي، فذكر مسألة، فخالف فيها ذلك الفقيه، فاتفق الوزير وجميع العلماء على شيء، وذلك الفقيه يخالف، فبدر من الوزير أن قال له: أحمار أنت؟! أما ترى الكل يخالفونك وأنت مُصِرّ!.

فلما كان في اليوم الثاني قال الوزير للجماعة: جرى مني بالأمس ما لا يليق بالأدب، حتى قلت له تلك الكلمة، **وها أنا فليقل لي كما قلتُ له، فلستُ بخيرٍ منكم، ولا أنا إلا كأحدِكم**، فضج المجلس بالبُكاء، وارتفعت الأصوات بالدُّعاء والثناء، وأخذ الفقيه يعتذر ويقول: أنا أولى بالاعتذار، والوزير يقول: القصاص القصاص، فقال يوسف الدمشقي: يا مولانا إذا أبى القصاص فالفداء، فقال الوزير: له حكمه، فقال الرجل: نعمك عليّ كثيرة فأيُّ حكم بقي لي؟.

قال: لا بد، قال: عليّ بقية دين مائة دينار، فقال: يُعطى مائة دينار لإبراء ذمته، ومائة لإبراء ذمتي، فأُحضرت في الحال، فلما أخذها قال الوزير: عفا الله عنك وعني وغفر لك ولي. المنتظم ١٨/ ١٦٩، ذيل الطبقات ٢/ ١١٣.

* وقال بعضهم:

لـك الحـقُّ إن تعتـبْ علـيَّ لأنني جفَـوتُ وإمّـا تَغْتفـرْ فلـك الفضـلُ

* وقال آخر:

لـو كنـتَ تعلـم مـا أقـول عذرتَني أو كنـتُ أجهـل مـا تقـول عَذَلتُكا

لكـن جهِلـتَ مقالتـي فعذلتَنـي وعلمـتُ أنـك جاهـلٌ فعَذرتُـكا

* وقال آخر:

إذا مـا امـرؤٌ مـن ذنبـه جـاء تائبًـا إليـك فلـم تَغْفِـر لـه فلـك الذنـبُ

عيون الأخبار ٣/ ١٠٦، ١٠٨.

* ووقع بين **أبي مسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢) وبين قائد له كلام، فأرْبَى عليه القائد إلى أن قال له: يا لَقِيط! فأطرق أبو مسلم، فلما سكتتْ عنه فورةُ الغضبِ ندِم وعلم أنه قد أخطأ واعتذر وقال: أيها الأمير، والله ما انبسطتُ حتى بسطتَني ولا نطقتُ حتى أنطقتَني فاغفر لي قال: قد فعلتُ. فقال: إني أحبّ أن أستوثِقَ لنفسي. فقال أبو مسلم: سبحان الله! كنتَ تُسيءَ وأُحسِن، فلما أحسنتَ أُسيء!. عيون الأخبار ٣/ ١٠٩.

* وكتب رجل إلى صديقٍ له:

لئـن سـاءني أن نلتنـي بمسـاءةٍ لقـد سـرّني أنّـي خطـرتُ ببالـكَ

عيون الأخبار ٣/ ١١٢.

* وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: كنا في جنازة فيها **عبيد الله بن الحسن العنبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يومئذ قاضي البصرة، وموضعه في قومه، وقدره عند الناس، فتكلم في شيء فأخطأ، فقلت - وأنا يومئذ حدث - ليس هكذا، يا أبي عليك بالأثر، فتزايد علي الناس، فقال عبيد الله: دعوه، وكيف هو؟ فأخبرته فقال: صدقت يا غلام، إذًا أرجع إلى قولك وأنا صاغر. تهذيب الحِلْية ٣/ ١١٢.

* ولما وَرَدَ **أبو إسماعيل الأنصاري** (ت: ٤٨١) نيسابور أخرج الإمام **أَبُو عثمان الصَّابُونِيُّ** (ت: ٤٤٩) لخاله الإمام أبي الفضل بن أبي سعد الزاهد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ مجلسًا في الحديث ليمليه بنيسابور، فنظر فيه الأنصاري ونبَّه على خللٍ في رجال

الحديث وقع فيه، فقَبِل الصابوني قوله، وعاد إلى ما قَالَ، وأحسن الثناء عليه، وأظهر السُّرور به، وهنأ أهل العصر بمكانه، وقال: لنا جمال، ولأهل السنة مكانة، وانتفاع المسلمين بعلمه ووعظه، وكان ذلك بمشهدٍ من مشايخ فيهم كثرة، وشُهرة وبصيرة. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وقال صاحب التاريخ: سمعتُ الإمام **أبا إسماعيل الأنصاري الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١) بنيسابور يقول: دخلتُ على **الإمام ناصر المروزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنيسابور، وكان مجلسه غاصًّا بتلامذته، واحتفَّ به الفقهاء، وكان يُدرِّس ويقول: رُوي عن أَبِي بَكْرٍ الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: (ربِّ زِدْنِي عِلْمًا) فقلتُ - أيد الله الشيخ الإمام -: أحديثُ عهد أنت بهذا الحديث وهو على ذكرك؟ فقال: لا، فقلتُ: كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، فقال: **صَدَقتَ ورجع إلى قولي**، وحثَّ القومَ على إثباته وتعليقه، ثم بكرتُ إليه من غَدِ هذا اليوم، **فرحَّبَ بي، وأعلى مَحَلِّي**، وأجلَسَني فوق جماعة زهاء سبعين، كنتُ بالأمس جالسًا دونهم، ومدحتُه بقصيدةٍ، ووَاظبْتُ على الاختلاف إليه، وأخذِ الفِقه عنه مُدَّة.(١) ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وأفتى **عز الدين بن عبد السلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦٠) بفتيا، ثم ظهر له أنه أخطأ، فنادى في مصر والقاهرة على نفسه: من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به فإنه خطأ. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٢٢).

* وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ الْعُثْمَانِيُّ غَيْرَ مَرَّةٍ قال: وَصَلْت الْفُسْطَاطَ مَرَّةً، فَجِئْت مَجْلِسَ الشَّيْخِ أَبِي الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:

(١) انظر إلى أدب وتواضع الشيخ كيف جعل هذا التلميذ يحبه ويُكثر من التردّد عليه للاستفادة منه، بل ويمدحه بقصيدة، ماذا لو أنكر عليه وذكر له أن عَمَله هذا سوء أدبٍ مع الشيخ، أو لم يبال به!

٤٤٨)، وَحضَرْت كَلَامَهُ عَلَى النَّاسِ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ فِي أَوَّلِ مَجْلِسٍ جلَسْت إِلَيْهِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَلَّقَ وَظَاهَرَ وَآلَى، فَلَمَّا خَرَجَ تَبِعْته وقُلْت لَهُ: سَمِعْتُك تَقُولُ: آلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَدَقْت، وَطَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَدَقْت، وَقُلْت: وَظَاهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ -لِأَنَّ الظِّهَارَ مُنْكَرٌ مِنْ الْقَوْلِ وَزُورٌ- وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ.

فَضَمَّنِي إِلَى نَفْسِهِ وَقَبَّلَ رَأْسِي وَقَالَ لِي: أَنَا تَائِبٌ مِنْ ذَلِكَ، جَزَاك اللهُ عَنِّي مِنْ مُعَلِّمٍ خيْرًا، ثُمَّ انْقَلَبْتُ عَنْهُ، وَبَكَّرْت إِلَى مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، فَأَلْفَيْته قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْجَامِعِ، وَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ مِنْ بَابِ الْجَامِعِ وَرَآنِي، نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: مَرْحَبًا بِمُعَلِّمِي، أَفْسِحُوا لِمُعَلِّمِي، فَتَطَاوَلَتْ الْأَعْنَاقُ إِلَيَّ، وَحَدَّقَتْ الْأَبْصَارُ نَحْوِي حَتَّى بَلَغت الْمِنْبَرَ، وَأَنَا لِعَظْمِ الْحَيَاءِ، لَا أَعْرِفُ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ أَنَا مِنْ الْأَرْضِ، وَالْجَامِعُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، وَأَسَالَ الْحَيَاءُ بَدَنِي عَرَقًا، وَأَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى الْخَلْقِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا مُعَلِّمُكُمْ، وَهَذَا مُعَلِّمِي -لَمَّا كَانَ بِالْأَمْسِ قُلْت لَكُمْ: آلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَلَّقَ، وَظَاهَرَ، فَمَا كَانَ أَحدٌ مِنْكُمْ فقُهَ عَنِّي وَلَا رَدَّ عَلَيَّ، فَاتَّبَعَنِي إِلَى مَنْزِلِي، وَقَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، وَأَعَادَ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأَنَا تَائِبٌ عَنْ قَوْلِي بِالْأَمْسِ، وَرَاجِعٌ عَنْهُ إِلَى الْحَقِّ - فَمَنْ سَمِعَهُ مِمَّنْ حَضَرَ فَلَا يُعَوِّلْ عَلَيْهِ، وَمَنْ غَابَ فَلْيُبَلِّغْهُ مَنْ حَضَرَ، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، وَجَعَلَ يَحْفُلُ فِي الدُّعَاءِ، وَالْخَلْقُ يُؤَمِّنُونَ.

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَانْظُرُوا رَحِمَكُمْ اللهُ، إِلَى هَذَا الدِّينِ الْمَتِينِ، وَالِاعْتِرَافِ بِالْعِلْمِ لِأَهْلِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَأَ، مِنْ رَجُلٍ ظَهَرَت رِيَاسَتُهُ، وَاشْتُهِرَتْ نَفَاسَتُهُ، لِغَرِيبٍ مَجْهُولِ الْعَيْنِ، لَا يُعْرَفُ مَنْ وَلَا مِنْ أَيْنَ، فَاقْتَدُوا بِهِ تَرْشُدُوا. أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٣٠.

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٣): حدَّثني الشيخ محمد نصيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان العلَّامة الشيخ **علي با صَبْرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدرِّس لطلابه ما بين المغرب والعشاء في جامع الشافعي بجدة، ففي إحدى الليالي جاء البحث في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعها، فنال الشيخ با صبرين منها نيلًا فاحتشد وكان من الطلبة الشيخ صالح العبدالله البسام، والشيخ مبارك آل مساعد رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فلما فرغ الدرس قاما إليه، وقالا له: هل اطَّلعت يا شيخ على كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما نِلْتَ منه ومن دعوته؟ فقال لهما: لا، إنَّني لم أطَّلع عليها، ولكني قلتُ هذا نقلًا عن مشايخي، فقالا له: ألا ترغب في الاطِّلاع على كتبه؟ فقال: بلى، فأتيَاه بنُسَخ من كتبه، فدَرَسَها نحو أسبوع، وهو لا يأتي للشيخ محمد بذِكْرٍ، لا بمَدْح ولا قَدْح.

وبعد ذلك قال للطلبة: إنَّني في إحدى الليالي السابقة نِلْتُ من الشيخ محمد ابن عبدالوهاب ودعوته، والحقُّ أنَّ كلامي لم يكن على اطِّلاع على كتبه، وإنَّما هو تقليد وحُسن ظنٍّ في مشايخنا، وقد أطْلَعَني بعض إخواننا النجديين على بعض كتبه ورسائله، فرأيتُ فيها الحقَّ والصواب، وأنا أستغفر الله تعالى عمَّا قلت، ثم صفَّ رسالة سمَّاها (هداية كُمَّلِ العبيد إلى خالص التوحيد). علماء نجد (٥/ ٣٤٧-٣٤٨).

* وصدق **القائل**:

اقبلْ معاذيرَ مَنْ يأتيكَ معتذرًا ... إنْ برَّ عندكَ فيما قالَ أو فجَرَا

فقدْ أطاعكَ مَنْ يُرضيكَ ظاهرهُ ... وقدْ أجلَّكَ مَنْ يعصيكَ مُستترا

* وقال **بعض السلف**: رُبَّ ذنبٍ أحسنُ من الاعتذار منه. التذكرة الحمدونية: ١/ ٤٥٦.

* وصدق القائل.

إذا كان وجهُ العـذرِ ليس بواضحٍ   فإنَّ اطِّراحَ العُذْر خيرٌ من العذر[1]

* وقال بعض الحكماء: أقلّ الاعتذار موجبٌ للقَبول، وكثرته ريبة. المجالسة وجواهر العلم (٤٧١).

* وقال الشاعر:

إذَا اعْتَـذَرَ الصَّدِيـقُ إلَيْـكَ يَوْمًـا   مِـنَ التَّقْصِيـرِ عُـذْرَ أخ مُقِـرِّ

فَصُنْـهُ عـنْ عِتابِـكَ واعْـفُ عنـهُ   فـإنَّ الصَّفْـحَ شـيمَةُ كُلِّ حُـرِّ

المجالسة وجواهر العلم (٥٨٨).

(١) عدمُ التصريح والوضوح بطلب المسامحة والعذر: مِمَّا ينبغي تجنُّبُه عند الاعتذار، فبعضهم ربما يقول: يا فلان، إنْ كنتُ أخطأتُ فأنا بشرٌ أُخطئ وأُصيب!

وبعضُهم يُرسل رسالةً يقول فيها: إلى كلّ من ظلمتُه أو أخطأتُ في حقِّه أرجو مسامحتي، فأنا قد سامحتُ كلَّ أحد!!

وهذا كلُّه لا يُسمى اعتذارًا ولا رجوعًا عن الخطأ، بل هو بغيضٌ ثقيلٌ.

ذم الحمقى واللئام

* قال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) لجلسائه: أخبروني بأحمق الناس؟ قالوا: رجل باع آخرته بدنياه، فقال عمر: أو أنبئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى، قال رجل باع آخرته بدنيا غيره. تهذيب الحِلْية ٢٣٢/ ٢.

* وعن **وهب بن منبه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): الأحمقُ إذا تكلَّم فضحهُ حمقُه، وإذا سكت فضحَهُ عِيُّه، وإذا عمِل أفسد، وإذا ترك أضاع، لا علمهُ يُعينُه، ولا عِلمُ غيره ينفعُه، تَوَدُّ أُمُّه أنها ثكِلَتْه، وامرأته لو عَدِمتهُ، ويتمنَّى جارُه منه الوحدة، ويجد جليسه منه الوَحشة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٥.

* وعن **كعب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢) قال: إنَّ لكل قوم كلبًا فاتَّقِه، لا يتصلنَّ بك شرُّه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٦٢.

* وقال **الشاعر**:

لَكَلْبُ الْإِنْسِ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِ ... أَضَرُّ عَلَيْكَ مِنْ كَلْبِ الْكِلَابِ
لِأَنَّ الْكَلْبَ لَا يُؤْذِي صَدِيقًا ... وَإِنَّ صَدِيقَ هَذَا فِي عَذَابِ

ابن أبي الدنيا ٢/ ٦٣.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام. تهذيب الحِلْية ٣٧٢/ ٢.

* وقال **ابن السَّمّاك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٣): هِمَّةُ العاقل في النجاة والهَرَب، وهِمَّة الأحمق في اللهو والطَّرب. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦١.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): خرجتُ إلى اليمن في **طلب كتب الفِراسة** حتى كتبتها وجمعتها، ثم لمّا حان انصرافي مررت برجلٍ في طريقي وهو محتبٍ بفناء داره، أزرق العين، ناتِئ الجبهة، سِناطٍ[١]، فقلت: هل من منزل؟ قال: نعم، قال الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وهذا النعت أخبث ما يكون في الفِراسة، فأنزَلني، فرأيتُ أكرمَ رجل، بَعَث إليَّ بعشاءٍ، وطيبٍ، وعلفٍ لدابتي، وفِراشٍ ولحاف، وجعلتُ أتقلَّب الليل أجمع؛ ما أصنع بهذه الكتب؟! إذ رأيت هذا النَّعت في هذا الحال، فلما أصبحتُ قلت للغلام: اسرج، فأسرج، فركبت ومررتُ عليه، وقلت له: إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فسل عن منزل محمد بن إدريس الشافعي، فقال لي الرجل: أمولى لأبيك أنا؟ قلت: لا، قال: فهل كانت لك عِندي نعمة؟ قلت: لا، قال: **أدِّ ما تكلَّفتُ لك البارحة**، قلت: وما هو؟ قال: اشتريتُ لك طعامًا بدرهمين، وإدامًا بكذا، وعِطرًا بثلاثة دراهم، وعَلَفًا لدابتك بدرهمين، وكِرَا[٢] الفراش واللِّحاف بدرهمين، قال: قلت: يا غلام أعطِه، فهل بقي من شيء؟ قال: كِرَا المنزل، فإني وسَّعت عليك وضيقت على نفسي، قال الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فغَبطت نفسي بتلك الكتب. طبقات الشافعيين (١/ ٢٣).

* وقال **بعض السلف**: كان يقال: إن جاريت الأحمق كنت مثله، وإن سكت عنه سلمت منه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٣.

---

(١) هو الذي لا لحية له.

(٢) أي: أجرة.

حال السلف في باب المناظرة(١)

* سئل سلمان بن ربيعة عن فريضةٍ، فخالفه عمرو بن شرحبيل، فغضب سلمان بن ربيعة ورفع صوته، فقال عمرو بن شرحبيل: والله لكذلك أنزلها الله تعالى!.

فأتيا **أبا موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) فقال: القول ما قال أبو ميسرة، وقال لسلمان: ما كان ينبغي لك أن تغضب إن أرشدك رجل، وقال لعمرو: قد كان ينبغي لك أن تساره ولا ترد عليه والناس يسمعون. تهذيب الحِلْية ٧٠/ ٢.

(١) لقد سلك سلفنا الصالح غاية الأدب في حواراتهم ومُناظراتهم، ويتجلى ذلك فيما يلي:

١- الإنصات والاستماع التام لأقوال وحجج الآخرين، ولو كان في نظر الآخر فاسدًا لا يستحق أن يُسمع له.

٢- عدمُ مُقاطعة المتحدث والْمُحاور.

٣- سؤال المتحدث بكل أدب ولطف: هل فرغ من حديثه أم لا؟، لأن المتحدث إذا لم يُكْمل حديثه لن يكون منصتًا جيدًا، ومستمعًا صحيحًا، بل ينتظر متى يكمل الآخر حديثه، حتى يكمل هو حديثه.

٤- الرد على الخصم والمناقِش بالرد الحسن الذي ليس فيه سب أو شتم أو تجريح؛ لأن الهدف من الحوار والنقاش ليس الانتقام والتشفي، بل إقناع الطرف الآخر، أو على الأقل أن يفهم وجهة نظره، سواء قبلها أم لا.

٥- الاختصار في النقاش، وعدمُ الإسهاب الممل في عرض وجهات النظر، فخير الكلام ما قلّ ودلّ.

٦- إبداء الرأي من دون الإلزام بأخذه، أو التسخط بعدم قبوله.

٧- إحسانُ الظن بالآخرين وبآرائهم، فآراء الناس قد تكون أحسن وأصوب.

* ولما دخل **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٧) بغداد اجتمع إليه أهلها فقالوا له: أنت رجل أعجمي، ليس يكلمك أحد إلا قطعته لأي معنى؟.

قال حاتم: معي ثلاث خصال، أظهر بها على خصمي، قالوا: ما هي؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أنْ لا أَتَجهَّلُ عليْه. الحِلْية ٨/ ٨٠.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): ما ناظرت أحدًا فأحببت أن يُخطئ. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفّق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفْظ، وما ناظرت أحدًا، إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة. تهذيب الحِلْية ٣/١٢٦.

* وصح عنه أنه قال: ما ناظرتُ أحدًا على الغَلَبَة.[1].

* وقال أيضا: ما عرضتُ الحُجَّة على أحدٍ فقبِلها إلا عَظُم في عيني، ولا عرضتها على أحدٍ فردَّها إلا سَقَط مِن عيني. طبقات الشافعيين (١/ ٥٨).

* وقال **مصعب بن عبدالله بن مصعب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٦):

أأقعد بعدما رجفت عظامي ... وكان الموت أقرب ما يليني
أُجادل كلَّ معترِض خصيم ... وأجعل دينه عرضًا لديني
وأترك ما علمت لرأي غيري ... وليس الرأي كالعلم اليقين
وما أنا والخصومة وهي لَبْسٌ ... تُصَرِّف في الشمال وفي اليمين

---

(١) أي ما جادلت أحدا بنيّة أن أتغلّب عليه وأُقنعه، بل بنيّة طلب الحق، فإن كان الحق معه اتبعتُه. ولو أن كلّ أحد نوى هذه النية عند النقاش والجدال: لهداه الله للحق وسدده بإذن الله.

وكان الحقُّ ليس له خفاء أغرّ كغرة الفلق المبين

ترتيب المدارك (١/ ٤١٩).

* وأُدخل رجل من الخوارج على **المأمون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢١٨)، فقال: ماحملك على خلافنا؟ قال: آية في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قال: وما هي، قال: قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤] قال له المأمون: ألك علم بأنها منزلة؟ قال: نعم قال: وما دليلك؟ قال: إجماع الأمة.

قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارض بإجماعهم في التأويل.

قال: صدقت، السلام عليك يا أمير المؤمنين. المنتظم ٥٦/ ١٠.

* وقال **المأمون** رَحِمَهُ اللَّهُ لمُرْتدٍّ إلى النصرانية: خَبِّرنا عن الشيء الذي أوحشَكَ من ديننا بعد أُنسِك به واستِيحاشِك ممّا كنتَ عليه، فإن وجدتَ عندنا دَواءَ دَائِك تعالجتَ به، وإن أَخطأَ به الشِّفَاءُ ونَبَا عن دائك الدَّواءُ كنتَ قد أعذرتَ ولم تَرْجِع على نفسك بلائمة، وإن قتلناك قتلناك بحُكْم الشريعة، وتَرْجِع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثِّقَةِ، وتَعْلم أنّك لم تُقَصِّر في اجتهاد ولم تُفَرِّط في الدخول من باب الحزم، قال المُرْتَدُّ: أوحشني ما رأيتُ من كثرة الاختلافِ فيكم، قال المأمون: لنا اختلافان: أحدُهما كالاختلاف في الأذان، والتكبير في الجنائز، والتشهُّد، وصلاة الأعياد، وتكبير التشريق، ووُجُوه القِراءات، ووجوه الفُتْيا، وهذا ليس باختلاف إنما هو تحبر وسعةٌ وتخفيف من المِحنة فمن أذّن مثنى وأقام فرادى...، ولا يَتعايَرُون بذلك ولا يتعَايبُون، والاختلافُ الآخرُ كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا، وتَأويل الحَدِيث مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عَين الخبر، فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أَنْكَرْتَ هذا الكتابَ، فقد يَنْبغي أن يكونَ اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتَّفَقًا على تأويله كما يكون متَّفقًا على تنزيله، ولا يكون

بين جميع اليهود والنصارى اختلافٌ في شيءٍ من التأويلات، وينبغي لك ألاَّ تَرْجِع إلا إلى لُغَةٍ لا اختلافَ في تأويل ألفاظها، ولو شاء الله أن يُنْزِلَ كُتُبَه ويَجْعَلَ كلامَ أنبيائِهِ وورثةِ رُسلِه لا يحتاج إلى تفسير لَفَعَل، ولكنَّا لم نَرَ شيئًا من الدِّين والدُّنيا دُفِع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمرُ كذلك لسقَطَت البَلْوَى والمِحْنةُ، وذهبت المسابقةُ والمنافسة ولم يكن تفاضلٌ، وليس على هذا بَنَى الله الدنيا.

قال المرتَدّ: أشهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلا الله، وأن المَسِيح عَبْدٌ، وأنّ محمدًا صادِقٌ، وأنك أميرُ المؤمنين حَقًّا. عيون الأخبار ٥٥٢ / ٢.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان محمد بن داود كثير المناظرة مع **أبي العباس ابن سريج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٦)، وكانا يحضران مجلس أبي عمر القاضي فتجري بينهما المفاوضة، والمناظرة حتى يعجب الناس، فتكلما يومًا في مسألة، فقال له ابن سريج: أنت بكتاب الزهرة أشهر منك بهذا! فقال له: وبكتاب الزهرة تعيرني؟ والله ما تحسن تستتم قراءته، وذلك كتاب عملناه هزلًا فاعمل أنت مثله جدًا! فلما توفي محمد بن داود في رمضان هذه السنة جلس ابن سريج للعزاء ونحَّى مخاده وقال: ما آسى إلا على تراب أكل لسان محمد بن داود. المنتظم ١٠١/ ١٣.

* وقال ابن طاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حكى لنا أصحابنا أن السلطان «ألب أرسلان» حضر هراة، وحضر معه وزيره أَبُو علي الحسن بن علي بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، فاجتمع أئمة الفريقين من أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، للشكاية من **أبي إسماعيل الأنصاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١)، ومطالبته بالمناظرة، فاستدعاه الوزير، فلما حضر قَالَ: إنّ هؤلاء القوم اجتمعوا لمناظرتك: فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك، وإن يكن الحق معهم: إما أن ترجع، **وإما أن تسكت عنهم،**

---

(١) يعني الطوسي «نظام الملك».

فقام الأنصاري وقال: أنا أناظر على ما في كَمَّيَّ، فقال له: وما في كميك؟ فقال: كتاب الله، وأشار إلى كمه اليمين، وسنة رَسُول اللهِ ﷺ، وأشار إلى كمه اليسار، وكان فيه الصحيحان، فنظر إلى القوم كالمستفهِم لهم، فلم يكن فيهم مَن يمكنه أن يُناظره من هذه الطريق.

* وقدِم مسعود بن محمود بن سبكتكين هراة سنة ثلاثين وأربعمائة، فاستحضر شيخ الإسلام **أبا إسماعيل الأنصاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال له: أتقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ يضع قَدَمَه في النار؟ فقال -أطال اللهُ بقاء السلطان المعظم- إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يتضرر بالنار، والنار لا تضره، والرسول لا يكذب عليه، وعلماء هذه الأمة لا يتزيدون فيما يَرْوُون عنه ويسندون إليه. فاستحسن جوابه، وردَّه مُكرَّمًا. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

الحكمة، وحسن التصرف، ولطف الكلام

* قال **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي، حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرةً ما انقطعت.

قيل: وكيف ذاك؟ قال: كنت إذا مدّوها خلَّيتها وإذا خلَّوْها مددتها. عيون الأخبار ٥٣ / ١.

* وفخر سُلَيم مولى زياد بزياد عنده، فقال معاوية: ما أدرك صاحبك شيئًا قطّ بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني. عيون الأخبار ٥٤/ ١.

* وقال لعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما بلغَ من دَهَائكَ يا عمرو؟ قال عمرو: لم أدخُلْ في أمرٍ قطّ فكرِهتُه إلا خرجتُ منه.

قال معاوية: لكنّي لم أدخُلْ في أمرٍ قطّ فأردتُ الخروجَ منه. عيون الأخبار ٣٢٢ / ١.

* ووقفتْ **عجوزٌ على قيس بن سعد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) فقالت: أشكو إليك قِلّة الجِرْذَانِ!.

قال: ما أحسنَ هذه الكنايةَ! امْلؤوا بيتها خبزًا ولحمًا وسمنًا وتمرًا. عيون الأخبار ٣/ ١٣٠.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١): إني لأُجْمِع أن أُخرِج للمسلمين أَمرًا من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأُخرج معه طمعًا من طمع الدنيا، فإن نفَرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا. عيون الأخبار ٥٣/ ١.

* وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يمنعك أن تنفذ لرأيك في هذا الأمر؟ فوالله ما كنت أبالي أن تغلي بي وبك القدور في إنفاذ هذا الأمر، فقال عمر: إني أروض الناس رياضة الصعب، فإن أبقاني الله مضيت لرأيي، وإن عجلت على منية فقد علم الله نيتي، إني أخاف إن بادهت[1] الناس بالتي تقول: أن يلجئوني إلى السيف، ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف. تهذيب الحِلْية ٢١٣/ ٢.

* وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدّثني الفضلُ بن محمد بن منصور بن زياد (ت: ٢٥٤) كاتب البرامكة قال: قال عبد الله بن طاهر ذاتَ يوم **لرجل** أمره بعمل: احذر أن تخطئ فأُعاقبك بكذا (لأمر عظيم) قلت له: أيها الأمير، من كانت هذه عقوبته على الخطأ فما ثوابُه على الإصابة!. عيون الأخبار ٥٩٥ / ٢.

* وعن الشعبي قال: شهدت **شريحًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٨) وجاءته امرأة تخاصم رجلًا، فأرسلت عينيها فبكت، فقلت: أبا أمية ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة، فقال: يا شعبي، إن أخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون. المنتظم ١٨٥/ ٦.

* وقال أبو العباس: كان **عبد الله بن يزيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) من عقلاء الرجال، قال له عبد الملك يومًا: ما مالك؟ فقال: شيئان لا عيلة علي معهما، الرضا من الله، والغنى عن الناس.

فلما نهض من بين يديه قيل له: هلا خبرته بمقدار مالك؟ فقال: لم يعد أن يكون قليلًا فيحقرني، أو كثيرًا فيحسدني. الكامل في اللغة / ١٨٦.

* وأتى **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) رجلًا في حاجة لرجل فقال له: أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن يأذن الله في قضائها قضيتَها وكنت

---

(١) أي: فاجأت.

محمودًا، وإن لم يأذن الله في قضائها لم تقضها وكنت معذورًا. تهذيب الحِلْية ١/٤١٦.

* وعن عيسى بن حازم قال: كنا مع **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) في بيت ومعه أصحاب له، فأتوا ببطيخ فجعلوا يأكلون ويمزحون ويترامون بينهم، فدق رجل الباب فقال لهم إبراهيم: لا يتحركن أحد، قالوا: يا أبا إسحاق تعلمنا الرياء؟ نفعل في السر شيئًا لا نفعله في العلانية؟ فقال: اسكتوا إني أكره أن يعصى الله فيَّ وفيكم[1]. تهذيب الحِلْية ٤٧٨/ ٢.

* وأحضر **هارون الرشيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) رجلًا ليولِّيَه القضاء فقال له: إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه.

قال الرشيد: فيك ثلاث خلال: لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة. ولك حلم يمنعك من العَجَلة، ومن لم يَعْجَل قلّ خطؤه. وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه، وأما الفقه فسينضم إليك من تتفقَّه به.

فَولِي فما وجدوا فيه مطعنًا. عيون الأخبار ٦٠ / ١.

* وعن **ربيعة بن أبي عبد الرحمن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) أن رجلًا قال له: انعت لي أبا بكر وعمر ما. فقال ربيعة: ما أدري كيف أنعتهما لك؟ أما هما فقد سبقا من كان معهما، وأتعبا من كان بعدهما. تهذيب الحِلْية ٥٣٣/ ١.

* وكان **لإبراهيم بن طهمان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٣) جِراية[2] من بيت المال

---

(١) قال في الحاشية: لعله أراد: أن يظن القادم إليهم ظن السوء فيهم، عند رؤيتهم وهم يلعبون؛ فيكون ذلك سبب معصيته لله تعالى بذلك الظن. ا.هـ

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث أَنَس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ: وَفِيهِ تَرْك التَّكَبُّر وَالتَّرَفُّع، وَالْفَرْق بَيْنَ كَوْن الْكَبِير فِي الطَّرِيق فَيَتَوَاقَر أَوْ فِي الْبَيْت فَيَمْزَح، وَأَنَّ الَّذِي وَرَدَ فِي صِفَة الْمُنَافِق أَنَّ سِرّه يُخَالِف عَلَانِيَته لَيْسَ عَلَى عُمُومه. ١٠/ ٧١٣-٧١٤.

(٢) أي: مبلغ من المال.

فاخرة، فسئل يومًا مسألة في مجلس الخليفة فقال: لا أدري! فقالوا له: تأخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تُحسن مسألة؟.

قال: إنما آخذه على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال ولا يفنى ما لا أحسن.

فأَعجب أميرَ المؤمنين جوابُه، وأمر له بجائزة فاخرة وزاد في جرايته. المنتظم ٨/٢٦٦-٢٦٥.

* وقال المنصور ذات يومٍ **لشبيب بن شيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٤): عظني وأوجز فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض من نفسه بأن يجعل فوقك أحدًا من خلقه، فلا ترض له من نفسك بأن يكون عبدًا له أشكر منك، فقال: والله لقد أوجزت. المنتظم ٨/٢٧٣.

* وأتى **رجلٌ** بعضَ الولاة، وكان صديقه، فتشاغل عنه، فتراءى له يومًا فقال: اعذرْني فإنّي مشغول، فقال: لولا الشغلُ ما أتيتُك. عيون الأخبار ٣/ ١٢٧.

* وقال **أبو سمَّاكٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣) لرجلٍ: لم أصنْ وجهي عن الطَّلَبِ إليك، فصنْ وجهك عن ردِّي، وضعني من كرمِك بحيثُ وضعتُ نفسي من رجائك. عيون الأخبار ٣/ ١٢٩.

* وقال عبد الملك **لرجل**: ما لي أراك واجِمًا لا تَنْطق؟ قال: أشكو إليك ثِقلَ الشَّرَف، قال: أعِينوه على حمله. عيون الأخبار ٣/ ١٣٠.

* وقال **رجل** لمعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أقْطِعْني الْبَحْرَيْن قال: إني لا أصلُ إلى ذلك قال: فاستَعمِلْني على البَصْرة قال: ما أُريدُ عَزْل عاملها قال: تأمرُ لي بألفين قال: ذاك لك.

فقيل له: ويْحَك! أرضيتَ بعد الأُولَيَيْنِ بهذا! قال: اسكتوا لولا الأُولَيَان ما أعطيتُ هذه. عيون الأخبار ٣/ ١٣٢.

* وقَالَ **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): يؤكل الطعام لثلاث: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة. طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٣).

* وذكر ابن السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن **أبا الخطاب** البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٠) جاءته فتوى في بيتين من شعر، وهما:

قُـلْ للإمـام أبـي الخطَّـاب مسـألة ... جاءتْ إليكَ ومَا يُرجى سِوَاك لَهَا
مـاذا علـى رَجُـلٍ رَام الصـلاة فمُـذْ ... لأحَـتْ لِناظـرِه ذاتُ الجمَـال لَهَـا

فكتب عليها أَبُو الخطاب:

قُـل للأديـب الـذي وافى بمسـألةٍ ... سَـرَّتْ فـؤاديَ لمَّـا أن أصَخْـتُ لَها
إنَّ الـذي فَتنتـهُ عَـنْ عبادتـه ... خَرِيدةٌ ذاتُ حُسْـن فانثنى ولها[1]
إنْ تـابَ ثـمَّ قضَـى عنـه عبادتَـه ... فرَحمَةُ الله تغشى من عَصَى ولها[2]

ذيل الطبقات (١/ ٢٧٦).

---

(١) من الْوَلَه، وهو ذَهَابُ الْعَقْلِ وَالتَّحَيُّرُ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ، وَقَدْ وَلِهَ - بِالْكَسْرِ - يَوْلَهُ وَلَهًا.
(٢) من اللهو، وهو اللعب والعبث.

حال السلف مع النعم، وشكر المُنعم

أ- حال السلف مع نعم الله وما قيل في ذلك(١):

* قال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من لم ير لله عليه نعمةً إلا في الأكل والشرب فقد قلّ فهمه، وحضر عذابه. الزهد لأبي داود (١٩٨).

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن. تهذيب الحِلْية ١/ ١٦٨.

* وعن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: خرجنا مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) في حج أو عمرة، حتى إذا كنا بشعب ضَجْنَانَ التفت عمر وقال: لقد رأيتني بهذه الشعاب في أجْمالٍ للخطاب وكان فظًّا غليظا، أحتطب عليها مرة وأَخْتبط(٢) أخرى، فأصبحت اليوم ويضرب الناس بِجَنَابِي(٣) ليس فوقي أحد إلا الله ثم قال:

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: كم من مُستَدرَج بالنعم وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه!

وأكثر الخلق عندهم: أن هذه الثلاثة:

١- النعم والرخاء والعافية.

٢- ثناء الناس.

٣- قضاء الله حوائجه وستره عليه: علامةُ السعادة والنجاح.

ذلك مبلغهم من العلم. مدارج السالكين ١/ ١٨٩

(٢) أي: أضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها.

(٣) أي: بناحيتي.

لا شيء فيما ترى إلا بشاشته يبقى الإله ويُؤْدَى المالُ والولد

الزهد لأبي داود (٩٥).

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: ما أدري أي النعمتين أفضل، أن هداني الله للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء؟ تهذيب الحِلْية ٣٦٧/ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني لأرجو أن لا يهلك عبدٌ بين نِعمتين: نعمة يحمَدُ الله عليها وذنب يستغفرُ الله منه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٩.

* وعن **عبد الملك بن أبجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٠) أنه قال: ما من الناس إلا مُبْتَلىً بعافية ليُنظر كيف شكره، أو ببليَّةٍ ليُنظر كيف صبره. المنتظم ١٢٥/ ٨.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): إن من شكر الله على النعمة أن تحمده عليها، وتستعين بها على طاعته، فما شكر الله من استعان بنعمته على معصيته. تهذيب الحِلْية ٤٣٠/ ٢.

* وكان **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) يقول إذا ابتدأ حديثه: (الحمد لله، اللهم ربنا لك الحمد كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبتَّ عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وجمعت فرقتنا، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ـ والله ـ ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمدًا كثيرًا، لك الحمد بكل نعمةٍ أنعمت بها علينا في قديمٍ أو حديثٍ، أو سرٍّ أو علانيةٍ، أو خاصةٍ أو عامةٍ، أو حيٍّ أو ميِّتٍ، أو شاهدٍ أو غائبٍ، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٦٧-٤٦٨.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إنَّ اللهَ ليُمَتِّعُ بِالنِّعمةِ ما شاءَ، فإذَا لَم يُشكَرْ قلَبها علَيهمْ عذابًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٠.

وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات:٦] قال: للكفور، يعدد المصائب وينسى النعم. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٣.

وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أكثروا ذكر هذه النعمة فإن ذكرها شكرها. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٥.

* وقال بعض السلف: ذكر النعمة يورث الحب لله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧١.

* وعن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، قال: ما قلَّب **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) بصره إلى نعمة أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها عليه إلا قال: اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفرًا، أو أكفرها بعد معرفتها، أو أنساها فلا أثني بها. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٦.

* وقال ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنشدني **محمود الوراق** (ت: ٢٢١):

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً علي ... له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا له فيه منة ... تضيق بها الأوهام والبر والبحر

ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٥.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنشدنا **محمود الوراق** في ذلك:

يا أيها الظالم في فعله ... والظلم مردود على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى ... تشكو المصيبات وتنسى النعم

ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٥.

* وكان **عنبسة بن خارجة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٠) يقول عند إفطاره: الحمد لله

الذي هداني فصمت، والحمد لله الذي رزقني فأفطرت[1]، إن تعذبني فأنا أهلٌ لذلك، وإن تغفر لي فأنت أهلٌ لذلك. ترتيب المدارك (١/ ٥١٧).

* وقال رجلٌ **لبعض السلف**: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحت بين نعمتين، لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله عَزَّوَجَلَّ فلا يستطيع أن يعيرني بها أحدٌ، ومودةٌ قذفها الله عَزَّوَجَلَّ في قلب العباد لم يبلغها عملي. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٨.

* وعن محمد بن سوقة، قال: مررت مع **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) بالكوفة على قصر الحجاج، فقلت: لو رأيت ما نزل بنا ها هنا زمن الحجاج؟! فقال: مررت كأنك لم تدع إلى ضر مسك؛ ارجع فاحمد الله تعلى واشكره، ألم تسمع إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس:١٢]. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٣.

* وقال **فضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): كان يقال: من عرف نعمة الله جل وعز بقلبه، وحمده بلسانه، لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].[2].

وقال: كان يقال: مِن شكر النعمة أنْ تحدِّث بها. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٣.

* ومر **بعض السلف** برجل به زمانةٌ[3]، فجلس يحمد الله عَزَّوَجَلَّ ويبكي، فمر به رجلٌ فقال: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: ذكرت أهل الجنة وأهل النار، فشبهت أهل الجنة بأهل العافية، وأهل النار بأهل البلاء، فذلك الذي أبكاني. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٩٢.

---

(١) فلولا هداية الله للصائم ما صام ولا صلى، ولولا فضله عليه ما طعم ولا شرب، فاستحضار ذلك يزيد في الإيمان وحب الله والإقبال عليه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشكر معه المزيد أبدًا، لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧] فمتى لم تر حالك في مزيد فاستقبل الشكر. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٥٧٨.

(٣) أي: مرض.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) في قول الله تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢﴾ [الأعراف:١٨٢]، قال: نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر.

وقال غير سفيان: كلما أحدثوا ذنبًا أحدثت لهم نعمة. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٠٤.

* وقال **بعض السلف**: قال لي **رجل**، على بعض السواحل: كم عاملته تبارك اسمه بما يكره فعاملك بما تحب؟ قلت: ما أحصي ذلك كثرةً.

قال: فهل قصدْتَ إليه في أمرٍ كَرَبَك فخذلك؟ قالت: لا والله، ولكنه أحسن إلي فأعانني.

قال: فهل سألته شيئًا قط فأعطاك؟ قلت: وهل منعني شيئًا سألته؟ ما سألته شيئًا قط إلا أعطاني، ولا استغثت به إلا أغثني.

قال: أرأيت لو أن بعض بني آدم فعل بك هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك؟ قلت: ما كنت أقدر له على مكافأة ولا جزاء.

قال: فربك أحق وأحرى أن تُدْئِب[1] نفسك له في أداء شكر نعمته عليك، وهو المحسن قديمًا وحديثًا إليك، واللهِ لَشُكْرُه أيسر من مكافأة عباده، إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رضي بالحمد من العباد شكرًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٥١١.

* وقال **بكر المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): لقيت **أخا** من إخواني من الضعفاء فقلت: يا أخي، أوصني، قال: ما أدري ما أقول، غير أنه ينبغي لهذا العبد ألا يفتر عن الحمد والاستغفار؛ فإن ابن آدم بين نعمة وذنب، ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر، ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار، قال: فأوسعني علمًا ما شئت. ابن أبي الدنيا ١/ ٥١٤.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا ابن آدم، إن أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله عليك، فغمض عينيك. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٢٤.

---

(١) أي: تعوّدها.

* وعن **كعب الأحبار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢) قال: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله، إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفع له بها درجة في الآخرة؛ وما أنعم الله على عبدٍ من نعمةٍ في الدنيا فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها لله، إلا منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقًا من النار، يعذبه إن شاء، أو يتجاوز عنه. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٢٦.

* وكتب **بعض الحكماء** إلى أخٍ له: أما بعد! يا أخي فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه، فما ندري أيها نشكر؟ أجميل ما ظهر أم قبيح ما ستر؟. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٢٧.

* وقال **ابن شوذب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٦): اجتمع قوم فتذاكروا أي النعم أفضل؟ فقال **رجل**: ما ستر الله به بعضنا عن بعض، قال: فيرون أن قول ذلك أرجح. تهذيب الحِلْية ٢٨٣/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: كن لنعمة الله عليك في دينك أشكر منك لنعمة الله عليك في دنياك. تهذيب الحِلْية ٣١١/ ٢.

* وسئل **الجنيد بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧) عن حقيقة الشكر فقال: **ألا** يُستعان بشيء من نعمه على معاصيه. تهذيب الحِلْية ٣٨٠/ ٣.

* وقال **بِشْر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): تفكرت فِي بِشر النصراني، وبِشر اليهودي، وبِشر المجوسي، ونفسي، واسمي بِشر، فقلت: ما الذي سبق منك إليه حتى **خَصَّك**؟ فتفكرت فِي تَفَضُّلِه عَلِيّ أن جعلني مِن خاصَّته وألبَسَني لِباس أحبابه. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٨٣).

* وقَالَ **ابْنُ عَقِيلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) فِي الْفُنُونِ: النِّعمُ أضْيافٌ، وقِراهَا[١]

---

(١) قَرَى الضيفَ: أضافه وأكرمه.

الشُّكْرُ، والْبلايا أضْيافٌ، وقِراهَا الصَّبْرُ، فاجْتهِدْ أنْ تَرحلَ الْأضيافُ شاكرَةً حُسن القِرى، شاهِدةً بِما تسمعُ وترى. الآداب الشرعية ٢/ ١٢٧.

ب- حال السلف مع من أحسن إليهم من الخلق[1]:

❊ قال **ابن عبّاس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): لو قال لي فرعون: بارك الله فيك، قلت: وفيك. الأدب المفرد (٣٨١) وصححه الألباني.

❊ وقال **بعضهم**:

فلو كان يستغني عن الشكر سيّدٌ ... لعِزّة مُلْكٍ أو علوّ مكانِ

لما أمر اللهُ الجليلُ بشكره ... فقال اشكروني أيها الثَّقلانِ

❊ وقال **الآخر**:

لأشكُرنَّك معروفًا هَمَمتَ به ... إنّ اهتمامَك بالمعروفِ معروفُ

ولا ألومُك إن لم يُمضِه قَدَرٌ ... فالشيءُ بالقَدرِ المحتومِ مصروفُ

عيون الأخبار ٣/ ١٦٧.

❊ وقال **بعضهم**: لا تثِقْ بشكر من تُعْطيه حتى تمنَعه، فإنّ الصابرَ هو الشاكر، والجازعَ هو الكافر. عيون الأخبار ٣/ ١٦٧.

---

(١) ما أجمل أنْ يشكر المسلم غيره على محاسن أعمالِه، ولو لم يجن منها فائدةً لنفسِه، فهذا الخُلُقُ لا يتخلق به إلا النفوس الشريفة، وقد سمى الله تعالى نفسه شاكرًا! فقال: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة:١٥٨]، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾ [النساء:١٤٧].
فقد علمنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذا أدبًا من أكمل الآداب، بما سمى إحسانه وإنعامه على العاملين شكرا لهم، مع أن علمهم لا ينفعه ولا يدفع عنه ضرا، فهل يليق بمسلمٍ أنْ يرى بعض الناس يسدي إليه معروفا ثم لا يشكره له ولا يكافئه عليه؟.
وتركنا شكر الناس وتقدير أعمالهم قدرها سواء كان عملهم النافع موجها إلينا أو إلى غيرنا من الخلق: هو جناية منا على الناس وعلى أنفسنا لأنّ صانع المعروف إذا لم يلق الشكر والتشجيع أُصيب بالإحباط والكسل -غالبًا-، فنخسره، ونخسر أعماله التي لها نفعٌ للعباد والبلاد.
يُنظر: تفسير المنار ٢/ ٤١-٤٢.

* **ويقال**: الشكر ثلاثُ منازلَ: لِمن فوقك بالطاعةِ، ولِنظيرِكَ بالمكافأةِ، ولمن دونك بالإفضال عليه. عيون الأخبار ٣/ ١٦٩.

* وفد **رجل على سليمانَ بن عبد الملك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) في خلافته؛ فقال له: ما أقدمك؟ قال: ما أقدمني عليك رَغْبَةٌ ولا رَهْبَةٌ قال: وكيف ذاك؟ قال: أما الرغبةُ فقد وصَلَتْ إلينا وفاضتْ في رحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منّا، وأما الرّهْبةُ فقد أمِنّا بعدْلِ أمير المؤمنين علينا وحُسنِ سيرتِه فينا من الظلم، فنحن وفدُ الشكر. عيون الأخبار ٣/ ١٧٠.

* وكان يقال: أوّلُ منازِل الحمدِ السلامةُ من الذمّ. عيون الأخبار ٣/ ١٧٤.

* وقال **بعض السلف**: إن الرجل ليلقاني بالصحبة الحسنة فأرى أن سأموت قبل أن أكافئه. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٧.

* وقال **بعض السلف**: إن الرجل ليلقاني بما أحب[1]، فلو حلَّ لي أن أسجد له لفعلت، الكريم يشكر القليل. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٧.

* وكان يقال: من لم يشكر صاحبه على النية: لم يشكره على حسن الصنيعة. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٩.

* وكان يقال: زكاة النعم: اتخاذ الصنائع والمعروف. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٨.

* وقال **الشاعر**:

وما النَّاسُ فِي شُكْرِ الصَّنِيعةِ عِنْدهُمْ ... وفِي كُفْرِها إلَّا كَبَعْضِ الْمزَارِعِ
فمزْرَعَةٌ طابَتْ وأضْعفَ نَبْتُهَا ... ومزْرعَةٌ أكْدَتْ على كُلِّ زارِعِ

أدب الدين (٣٣٠).

* وقال **حكيم من الحكماء**: أَشْكَرُ الناس لله عَزَّوَجَلَّ أَشْكَرُهم لعباده، ومن

---

(١) من طلاقة الوجه والحفاوة ونحوها.

لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، والمكافأة بالإحسان فريضة، والإفضال نافلة. المجالسة وجواهر العلم (٥٢٩).

ج- فوائد أخرى:

* كان **مطرف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) يقول: إن من أحب عباد الله إلى الله الصبار الشكور، الذي إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أُعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر. الزهد لوكيع (٢٠١)، الزهد لهناد (٤٤٢).

* وعن عمرو بن السكن قال: كنت عند **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨). فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال: يا أبا محمد أخبرني عن قول مطرف: «لأن أعافى فأشكر أحب إليّ من أن أبتلى فأصبر» أهو أحب إليك؟ أم قول أخيه أبي العلاء: «اللهم رضيتُ لنفسي ما رضيتَ لي».

قال: فسكت سكتة ثم قال: قول مطرف أحب إليّ، فقال الرجل: كيف وقد رضي هذا لنفسه ما رضيه الله له.

قال سفيان: إني قرأت القرآن، فوجدت صفة سليمان مع العافية التي كان فيها: (نعم العبد إنه أوابٌ)، ووجدت صفة أيوب مع البلاء الذي كان فيه (نعم العبد إنه أوابٌ)، فاستوت الصفتان، وهذا معافى، وهذا مبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا، كانت العافية مع الشكر أحب إليّ من البلاء مع الصبر.[1] تهذيب الحِلْية ٣٦٧/ ١.

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تَنَازَعَ النَّاسُ أَيُّمَا أَفْضَلُ: الْفَقِيرُ الصَّابِرُ أَوِ الْغَنِيُّ الشَّاكِرُ؟ وَالصَّحِيحُ: أَنَّ أَفْضَلَهُمَا أَتْقَاهُمَا، فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي التَّقْوَى اسْتَوَيَا فِي الدَّرَجَةِ. مجموع الفتاوى (٢١/١١)

* وقال **أبو جعفر المنصور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٨) لعبدالله بن الربيع الحارثي: إني وإياك **كمجير أم عامر**، قال: يا أمير المؤمنين وما مجير أم عامر؟ قال: خرج قوم يطلبون الصيد فلم يجدوا إلا الضبع، فألجئوها إلى خيمة أعرابي، فأرادوها فنادى: يا آل بيت فلان، فذهبوا وتركوها، فأقبل يغذّوها باللحم واللبن حتى أسمنها، فخرج لحاجته وترك أخاه في جانب الخيمة مريضا، فرجع فوجد الضبع قد ذهبت، ووجد أخاه مقطعا، فأنشأ يقول:

ومن يصنع المعروف في غير أهله ... يلاقي الذى لاقى مجيرُ أمِّ عامر
أذمَّ لها حين استجارت برحله ... لتأمن ألبان اللقاح الدرائر
فأسمنها حتى إذا ما تكلمت ... فَرَته بأنيابٍ لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من ... أراد يدَ المعروف من غير شاكر

ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٠١.

مواعظ، وخطب، ووصايا، وحِكَم

أ- مواعظ وخطب:

* لما حضر أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) الْمَوْتُ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ يَسْتَخْلِفُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: تَسْتَخْلِفُ عَلَيْنَا فَظًّا غَلِيظًا، وَلَوْ قَدْ وَلِيَنَا كَانَ أَفَظَّ وَأَغْلَظَ، فَمَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا لَقِيتَهُ وَقَدِ اسْتَخْلَفْتَ عَلَيْنَا عُمَرَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَبِرَبِّي تُخَوِّفُونَنِي، أَقُولُ: اللَّهُمَّ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ خَلْقِكَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهَا: إِنَّ «لِلَّهِ حَقًّا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ، وَإِنَّ لِلَّهِ حَقًّا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ، وَإِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْحَقَّ وَثِقَلُهُ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخِفَّتُهُ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا، وَأَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحِ مَا عَمِلُوا، وَأَنَّهُ تَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَلَا أُبَلِّغُ هَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْوَأَ مَا عَمِلُوا، وَأَنَّهُ رَدَّ عَلَيْهِمْ صَالِحَ مَا عَمِلُوا، فَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ وَآيَةَ الْعَذَابِ، لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا وَرَاهِبًا، لَا يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَنْ تَعْجِزَهُ. مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٠٥٦).

* وقال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لا تنظروا إلى صلاة امرئٍ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدث، وإلى ورعه إذا أشفى[1]، وإلى أمانته إذا ائتمن. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣٣-٢٣٤.

* وأُتي بشابّ قد سرق، فقال: والله ما سرقت قبلها قط: فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كذبت والله، ما كان الله لِيُسْلم عبدًا عند أولّ ذنب. الزهد لأبي داود (٧٤).

* وكان **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يقول: يا معشر أهل دمشق ألا تستحيون؟ تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تبلغون.

قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون، ويأملون فيطيلون، ويبنون فيوثقون. فأصبح جمعهم بورا، وأملهم غرورًا، وبيوتهم قبورًا.

هذه عاد قد ملأت ما بين عدن إلى عمان أموالًا وأولادًا، فمن يشتري مني تركة آل عاد بدرهمين؟ تهذيب الحِلْية ١٧٤/ ١.

* وعن قسامة بن زهير قال: خطبنا **أبو موسى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) بالبصرة فقال: يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لبحرت. الزهد لأحمد: ٣٥٥.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أنه كان يقول إذا قعد: إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، من زرع خيرًا يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شرًا يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يَسبق بطيءٌ بحظه، ولا يُدرِك حريصٌ ما لم يقدَّر له، فمن أعطي خيرًا فالله أعطاه، ومن وقي شرًا فالله وقاه، والمتقون سادة، والعلماء قادة، ومجالستهم زيادة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٠٦.

---

(١) قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: أشْرف على الدنيا وأقْبلت عليه.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أساخط ربّ العالمين عليه، أم راض عنه.

وثلاث أحزنّني حتى أبكينني: فراق محمد وحزْبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي ربي عَزَّوَجَلَّ، ولا أدري إلى جنة أو إلى نار. صفة الصفوة ١/ ٢٥٩.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: خمس لهن أحسن من الدُّهم الْمُوقَفة[١]:

١- لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضلٌ ولا آمن عليك الوزر.

٢- ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا، فإنه رُبَّ متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فيعنت.

٣- ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا؛ فإنَّ الحليم يقْليك، وإن السفيه يؤذيك.

٤- واذكر أخاك إذا تغيَّب عنك بما تُحِبُّ أنْ يَذْكرك به، وأَعْفِه عمَّا تحب أن يعفيك منه.

٥- واعمل عمل رجلٍ يرى أنه مجازى بالإحسان، مأخوذ بالإجرام. ابن أبي الدنيا ٧/ ٨٨.

* وعن يونس بن جبير قال: شيعنا **جندب بن عبد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦١) فلما بلغنا حصن المكاتب قلنا له أوصنا قال: أُوصِيكُمْ بِالْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ نُورُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَهَدْيُ النَّهَارِ، فَاعْمَلُوا بِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ جَهْدٍ وَفَاقَةٍ، فَإِنْ عَرَضَ بَلَاءٌ فَاجْعَلْ مَالَكَ دُونَ نَفْسِكَ، وَإِنْ جَاوَزَكَ الْبَلَاءُ فَاجْعَلْ نَفْسَكَ دُونَ دِينِكَ، فَإِنَّ الْمَحْرُوز مَنْ حُرِز دِينُهُ، وَإِنَّ الْمَسلُوبَ مَنْ سُلِبَ دِينُهُ؛ إِنَّهُ لَا فَقْرَ بَعْدَ الْجَنَّةِ، وَلَا غِنَى بَعْدَ

---

(١) بل وأحسن من خزانة أغنى رجلٍ في العالم، فيا لها مِن حِكَمٍ لا يعملُ بها إلا العقلاء الأتقياء.

النَّارِ، إِنَّ النَّارَ لَا يُفَكُّ أَسِيرُهَا، وَلَا يَسْتَغْنِي فَقِيرُهَا. الزهد لأحمد: ٣٦٠، شعب الإيمان (١٥٢٥).

* وخطب **عتبة بن غزوان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧): فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، «فإن الدنيا قد آذنت بصرم[1]، وولت حذَّاءَ[2]، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء[3]، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخيرِ ما بحضرتكم، فإنه قد ذُكر لنا أن الحجر يُلقى من شفّة جهنم، فيهوي فيها سبعين عاما، لا يدرك لها قعرا، ووالله لتملأن.

ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام.

ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرا على مصر من الأمصار.

وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما، وعند الله صغيرا.

وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت، حتى يكون آخر عاقبتها ملكا، فستَخبُرون وتجرِّبون الأمراءَ بعدنا». صحيح مسلم (٢٩٦٧).

* وعن **الأوزاعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧) أنه وعظ فقال في موعظته: أيها الناس، تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله عَزَّ وَجَلَّ الموقدة التي تطلع على الأفئدة؛ فإنكم في دارٍ، الثواءُ فيها قليلٌ، وأنتم فيها تؤجلون خلائف بعد

---

(١) أي أعلمت بانقطاعها وذهابها وقرب زوالها وقيام الساعة.

(٢) أي مسرعة الانقطاع.

(٣) البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء.

القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أعمارًا، وأمدَّ أجسامًا، وأعظم آثارًا؛ فجردُّوا الجبالَ، وجابوا الصخور، ونقبوا في البلاد مؤيدين ببطش شديدٍ، وأجسام كالعماد؛ فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدتهم، وعفت آثارهم، وأخوت منازلهم، وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحدٍ ولا تسمع لهم ركزًا؛ كانوا بلهو الأمل آمنين، لبيات قومٍ غافلين، ولصباح قومٍ نادمين.

فلا تكونوا أشباهًا لمن خدعه الأملُ، وغره طول الأجل، فتبلغ بالأماني.

فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى نُذُرَه فانتهى، وعقل مسراه فمهد لنفسه. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٣-٤٧٤.

* وعن **عبيد بن عمير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧) قال: كان لرجل ثلاثة أخلاء بعضهم أخص له من بعض، فنزلت به نازلة فلقي أخص الثلاثة به فقال: يا فلان إنه نزل بي كذا وكذا وإني أحب أن تعينني، قال: ما أنا بالذي أفعل.

فانطلق إلى الذي يليه في الخاصة فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا وأنا أحب أن تعينني، قال: فأنطلق معك حتى تبلغ المكان الذي تريد، فإذا بلغت رجعت وتركتك.

قال: فانطلق إلى أخص الثلاثة. فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا فأنا أحب أن تعينني قال: أنا أذهب معك حيث ذهبت، وأدخل معك حيث دخلت.

قال: فالأول ماله خلفه في أهل ولم يتبعه منه شيء، والثاني أهله وعشيرته ذهبوا معه إلى قبره ثم رجعوا وتركوه، والثالث هو عمله وهو معه حيث ما ذهب ويدخل معه حيث ما دخل. تهذيب الحِلْية ٨/ ٢.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): يا أهلَ التُّقى! إنَّكم لَمْ تُخلقوا

للفناء، وإنما تُنقلُونَ مِن دارٍ إلى دار، كما نُقِلتُم من الأصلاب إلى الأرحام، ومن الأرحام إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى القبور، ومِن القبور إلى الموقف، ومن الموقف إلى الخُلُود في جنة أو نار. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٤.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عبادَ الرحمن! هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئًا من أعمالكم تقبل منكم، أو شيئًا من خطاياكم غفر لكم؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ [المؤمنون:١١٥]، والله لو عجل لكم الثواب في الدنيا لاستقللتم كلكم ما افترض عليكم، أفترغبون في طاعة الله بتعجيلِ دنيا تفنى عن قريب، ولا ترغبون ولا تنافسون في جنة ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ۝٣٥﴾ [الرعد:٣٥]. تهذيب الحِلْية ٢/١٩٢.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): من يرحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يجهل يُغلب، ومن يعجل يخطئ، ومن يحرص على الشر لا يسلم، ومن لا يدع المرآء يُشتم، ومن لا يكره الشتم يأثم، ومن يكره الشر يُعصم، ومن يتبع وصية الله يحفظ، ومن يحذر الله يأمن، ومن يتولى الله يُمنع، ومن لا يسأل الله يفتقر، ومن لا يكن مع الله يخذل، ومن يستعن بالله يظفر. ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٧-٤٧٨.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): رحم الله رجلًا لم يغره كثرة ما يرى من كثرة الناس، ابن آدم إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، ابن آدم وأنت المعني وإياك يراد. تهذيب الحِلْية ١/٣٣٩.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من علامات المسلم: قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحلم في علم، وكَيس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتجمل في

فاقة، وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف في جهد، وصبر في شدة، لا ترده رغبته، ولا يبدره لسانه، ولا يغلبه فرجه، ولا يُمِيْلُه هواه، ولا يفضحه بطنه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نيته). ابن أبي الدنيا ١/ ٣٦.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: هلك الناس في حرفين: اشتغال بنافلة وتضييع فريضة، وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه، وإنما منعوا الوصول بتضييع الأصول. صفة الصفوة ٢/ ٦٣٩.

* **وقال سَهْلُ بْن عَبْدِ اللهِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٣): لَا يَعْرِفُ الرِّيَاءَ إِلَّا مُخْلِصٌ، وَلَا يَعْرِفُ النِّفَاقَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَعْرِفُ الْجَهْلَ إِلَّا عَالِمٌ، وَلَا يَعْرِفُ الْمَعْصِيَةَ إِلَّا مُطِيعٌ. شعب الإيمان (٦٤٨٠).

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١): لو أشفقت هذه النفوس على أديانها شفقتَها على أولادها، لاقت السرور في مَعادها. صفة الصفوة ٢/ ٦٣٢.

* وما أصدق قول **أبي العتاهية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢١٣):

إنَّ الشَّبابَ والفراغَ والجِدَة ... مفسدةٌ لِلمَرءِ أيُّ مَفسَدَة

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ القُوتُ ... ما أكثر القُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ

هيَ المَقادِيرُ فلُمني أَو فَذَرْ ... إنْ كُنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرْ

تهذيب السِّير ٢/ ٨٦٦.

* وعن **ميمون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧) قال: يا ابن آدم خفف عن ظهرك، فإن ظهرك لا يطيق كل الذي تحمل عليه من ظلم هذا، وأكل مال هذا، وشتم هذا، وكل هذا تحمله عل ظهرك فخفف عن ظهرك. تهذيب الحِلْية ٥٦/ ٢.

* وكان من كلام **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠): أنه يقول: أي حسرة أكبر على أمرئ من أن يرى عبدًا كان له، خوله الله إياه في الدنيا، هو أفضل منزلة

منه عند الله يوم القيامة؟ وأي حسرة على امرئ أكبر من أن يصيب مالًا فيرثه غيره، فيعمل فيه بطاعة الله تعالى، فيصير وزره عليه وأجره لغيره؟ وأي حسرة على امرئ أكبر من أن يرى من كان مكفوف البصر ففتح له عن بصره يوم القيامة وعمي هو؟. تهذيب الحِلْية ٨٩/ ٢.

* وقال **ثابتٌ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): أيُّ عبد أعظم حالًا من عبد يأتيه ملك الموت وحده، ويدخل قبره وحده، ويوقف بين يدي الله وحده، ومع ذلك ذنوب كثيرة ونعم من الله كثيرة. تهذيب الحِلْية ٤٠٥/ ١.

* وقال **بعض السلف**: إنَّ لله عبادًا أخمصوا له البطون عن مطاعم الحرام، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام، رجاء أن ينير ذلك لهم قلوبهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها، فهم في الدنيا مكتئبون، وإلى الآخرة متطلعون، نفذت أبصار قلوبهم بالغيب إلى الملكوت، فرأت فيه ما رجت من عظم ثواب الله، فازدادوا والله بذلك جدا واجتهادا عند معاينة أبصار قلوبهم ما انطوت عليه آمالهم، فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا، وهم الذين تقر أعينهم غدا بطلعة ملك الموت عليهم، قال: ثم بكى حتى بل لحيته بالدموع. تهذيب الحِلْية ٣٤٤/ ٢.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: كان يقال: إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة، لم يزدد على الكثير منها إلا شرًا. تهذيب الحِلْية ٤٣٠/ ٢.

* وعنه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كان يقال: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملًا منه، ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه، فعلمه غيره فانتفع به. تهذيب الحِلْية ٤٣٦/ ٢.

* واستعمل **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) ميمون بن مهران على الجزيرة على قضائها وعلى خراجها، فكتب إليه ميمون يستعفيه، وقال: كلفتني ما لا أطيق، أقضي بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق، فكتب عمر إليه: اجبِ من الخراج الطيب، واقض ما استبان لك، فإذا التبس عليك أمر فارفعه إليّ فإن الناس لو كانوا إذا كبر عليهم أمر تركوه، ما قام دين ولا دنيا. تهذيب الحِلْية ٥٥/ ٢.

* وحج سليمان ومعه **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فخرج سليمان إلى الطائف فأصابه رعد وبرق ففزع سليمان فقال لعمر: ألا ترى ما هذا يا أبا حفص؟ قال: هذا عند نزول رحمته، فكيف لو كان عند نزول نقمته!! تهذيب الحِلْية ٢١٩/ ٢.

* وكتب إلى يزيد بن عبد الملك: إياك أن تدركك الصرعة عند الغرة، فلا تقال العثرة، ولا تمكن من الرجعة، ولا يحمدك من خلفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به، والسلام. الزهد الكبير للبيهقي (٥٠٧).

* ودخل **سابق البربري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤١) على عمر بن عبد العزيز، فقال له: عظني يا سابق وأوجز، قال: نعم يا أمير المؤمنين وأبلغ إن شاء الله، قال: هات فأنشده:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ووافيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون شركته ... وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا

فبكى عمر. تهذيب الحِلْية ٢٢٩/ ٢.

* وقال بعضهم: البداية والنهاية ١٠ / ٣٢٩.

ما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكنْ
خلقت العباد على ما علمتَ ... ففي العلم يجري الفتى والمسنّ
فمنهم شقيٌّ ومنهم سعيدٌ ... ومنهم قبيحٌ ومنهم حسنْ

على ذا مننْتَ وهـذا خذلـتَ وهــذا أعنـتَ وذا لـم تعـنْ

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): لا تبذل وجهك إلى من يهون عليه ردك. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرفع الناس قدرًا: من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقال **بعضهم**:

وإني لأعفـو عــن ذنــوب كثيـرة وفي دونها قطعُ الحبيبِ المواصِل

وأُعرض عن ذي الذنب حتى كأنني جهلتُ الذي يأتي ولستُ بجاهل

الآداب الشرعية ١/ ٢٢١.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: كنا أجنّةً في بطون أُمّهاتنا فسَقَط من سَقَط وكنا فيمن بَقِي، ثم كنا مَرَاضع فَهَلك منا من هلك وبَقِي من بقي، وكنا أيفاعًا، وذكر مثل ذلك، ثم صِرنا شبّانا، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخًا، فما ننتظر وما نريد! وهل بَقِيت حالةٌ ننتقل إليها. عيون الأخبار ٧٣٠/ ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): تريد الجنة مع النبيين والصديقين، وتريد أن تقف الموقف مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام؟ بأي عمل وأي شهوة تركتها لله عَزَّوَجَلَّ، وأي قريب باعدته في الله، وأي بعيد قربته في الله. تهذيب الحِلْية ١٠/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ، فقال الرجل: يا أبا علي إنا لله وإنا إليه راجعون، قال له الفضيل: تعلم ما تقول؟ قال الرجل: فسره لنا يا أبا علي، قال: قولك إنا لله، تقول: أنا لله عبد وأنا إلى الله راجع، فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع، فليعلم

بأنه موقوف، ومن علم بأنه موقوف، فليعلم بأنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول، فليعد للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: [يسيرة][(١)] قال: ماهي؟ قال: تحسن فيما بقي، يغفر لك ما مضى وما بقي، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي. تهذيب الحِلْية ٢٨/ ٣.

* وقال أبو عليّ بن سُكَّرَة رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ **أبو المعالي الجيلي** القاضي (ت: ٤٩٤) شيخ الوعّاظ ومعلّمهم الوعظ بتصانيفه وتدريبه.[(٢)] طبقات الشافعيين (٢/ ٦٧).

* وجاء رجلٌ إلى **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤٠)، فسأله عن مسألتين أو ثلاثة، ثم قال: ما اليوم، وما غد، وما بعد غد؟.

فقال له سحنون مجيبًا: اليوم عمل، وغدًا حساب، وما بعد غد جزاء.[(٣)] ترتيب المدارك (٢/ ١٠٦).

* وقال **عبد الملك بن الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٢): ما أشقى من لم تَسعه رحمةُ الله التي وسعت كل شيء، وضاقت عليه الجنة التي عرضها السموات والأرض. ترتيب المدارك (٢/ ١٣٠).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقالُ: إنّ سَببَ وضْعِ الملك نور الدين محمود المكوسَ عن الناسِ أنَّ الواعِظَ **أبا عثمان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٠٠) المُنْتَجَب بنَ أبي محمدٍ الواسطيَّ -وكان مِن الصالحِين الكبارِ- أنشد نورَ الدينِ:

---

(١) في الأصل: تستره. ولعله تصحيف.

(٢) كان الوعظ علمًا يُتعلّم، وله شيوخ ومدربون، وقد كانوا في الزمن السابق أكثر منهم اليوم.

(٣) فمن عمل صالحا اليوم خفّ عليه الحساب غدا، ونال أحسن الجزاء بعد غد، ومن ضيّع العمل اليوم عسر عليه الحساب غدا، ودخل دار العذاب بعد غد، فهي أيام ثلاثة، ينبغي للعاقل أن يعد العدة لها.

مثِّلْ وقوفَك أيُّها المغْرورُ ... يومَ القيامة والسماءُ تَمُورُ
إنْ قيلَ نورُ الدينِ رُحْتَ مُسلِّمًا ... فاحذَرْ بأنْ تبقَى وما لَكَ نورُ
أَنَهيتَ عن شُربِ الخمورِ وأنتَ مِن ... كأسِ المظالمِ طافحٌ مَخْمورُ
عطَّلْتَ كاسات المُدامِ تعفُّفا ... وعليكَ كاساتُ الحرام تدورُ
ماذا تقولُ إذا نقلتَ إلى البِلى ... فرْدًا وجاءَكَ منكرٌ ونكيرُ
وتعلَّقَتْ فيكَ الخُصوم وأنتَ في ... يومِ الحساب مُسَحَّبٌ مجرورُ
وتفرَّقَتْ عنك الجنودُ وأنتَ في ... ضِيقِ اللُّحودِ مُوَسَّدٌ مقبُورُ
ووددْتَ أنكَ ما وَلِيتَ ولايةً ... يومًا ولا قال الأنامُ أميرُ
وبقيتَ بعدَ العزِّ رَهْنَ حُفَيْرَةٍ ... في عالمِ الموْتَى وأنتَ حقيرُ
وحُشِرْتَ عُرْيانًا حزينًا باكيًا ... قَلقًا وما لكَ في الأنامِ مُجيرُ
أرضيتَ أنْ تحْيَا وقلبُكَ دارِسٌ ... عَافِي الخَرابِ وجسْمُكَ المعمُورُ
أرضيتَ أنْ يحْظَى سواكَ بقُربهِ ... أبدًا وأنتَ مبعَّدٌ مهجورُ
مهِّدْ لنفسِكَ حُجَّةً تنجُو بها ... يومَ المَعادِ لعلَّكَ المعذورُ

فلمَّا سمعها الملكُ نورُ الدين بكَى، وأمرَ بوضْعِ المكوساتِ والضرائبِ في سائرِ بلادِه. البداية والنهاية ١٢/ ٣٦٤.

* وكان **ابن عقيل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣) بارعًا في الفقه وأصوله، وله في ذلك استنباطات عظيمة حسنة، وتحريرات كثيرة مستحسنة، وكانت له يد طولى في الوعظ، والمعارف، وكلامه في ذلك حسن، وأكثره مستنبطٌ من النصوص الشرعية، فيستنبط من أحكام الشرع وفضائله معارف جليلة وإشارات دقيقة.

ومن معاني كلامه يَستمد أَبُو الفرج ابن الجوزي في الوعظ.

فمن ذلك ما قاله في الفنون: لقد عظم الله سبحانه الحيوان، لا سيما ابن آدم،

حيث أباحه الشرك عند الإكراه، وخوف الضرر على نفسه، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

من قدَّم حُرمة نفسك على حُرمته، حتى أباحك أن تتوقى وتتحامَى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه، لحقيقٌ أن تُعظِّم شعائره، وتُوقِّر أوامره وزواجره.

وعصَمَ عِرضك بإيجاب الحد بقذفك، وعَصَم مالَكَ بقطع مسلم في سرقته، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك، وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقا عليك من مشقة الخلع واللبس، وأباحك الميتة سدا لرمقك، وحفظا لصحتك، وزجرك عن مضارك بحدٍّ عاجلٍ، ووعيد آجلٍ، وَخَرق العوائد لأجلك، وأنزل الكتب إليك، أيحسن بك -مع هذا الإكرام- أن تُرَى على ما نهاك منهمكًا، وعما أمرك متنكِّبًا، وعن داعيه معرضًا، ولسنته هاجرًا، ولداعي عدوك فيه مطيعًا؟ يعظمك[1] وهُوَ هُو، وتهمل أمره وأنت أنت.

هو حطَّ رُتَب عباده لأجلِك، وأهبط إلى الأرض مَن امتنع من سجدة يسجُدها لك.

هل عاديتَ خادمًا طالتْ خدمته لك لترك صلاة؟.

هل نفيته من دارك للإخلال بفرض، أو لارتكاب نهي؟.

لا يليقُ بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوان أن يُرى إلا عابدًا لله في دار التكليف، أو مجاورًا لله في دار الجزاء والتشريف، وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير مواضعها.

ومن كلامه الحسن: أنهُ وَعظ يومًا فقال: يا من يجد في قلبِهِ قَسوة، احذر أن تكون نقضتَ عهدًا؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة:١٣]. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).

---

(١) لو قال: «يُكرمك» لكان أَليق.

ب- وصايا، وتوجيهات، وحِكَم:

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): كن من خمسة على حذر؛ من لئيم إذا أكرمته، وكريم إذا أهنته، وعاقل إذا أحرجته، وأحمق إذا مازحته، وفاجر إذا مازجته. الآداب الشرعية ١/ ٢٣٥.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كونوا في الناس كالنحلة في الطير، إنه ليس من الطير شيء إلا وهو يستضعفها، ولو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة، لم يفعلوا ذلك بها.

خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم[1] بأعمالكم وقلوبكم؛ فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب. مسند الدارمي (٣٢٠).

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من تطاول تعظيمًا خفضه الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن تواضع لله تخشعًا رفعه الله عَزَّ وَجَلَّ، وإن للملك لَمَّة وللشيطان لَمَّة، فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، إذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله عَزَّ وَجَلَّ، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله عَزَّ وَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٢٩٠.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مع كل فرحة ترحة. الزهد لوكيع (٥١٦).

* وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع نوافع، فقال: اعْبُدِ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَزُلْ مَعَ الْقُرْآنِ حَيْثُ زَالَ، وَمَنْ جَاءَكَ بِالْحَقِّ فَاقْبَلْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا قَصِيًّا، وَمَنْ جَاءَكَ بِالْبَاطِلِ فَارْدُدْهُ، وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا حَبِيبًا. مسند ابن الجعد (٢٢٣٤).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه: يا بني ليسعك بيتك، واملك عليك لسانك، وابك من ذكر خطيئتك. الزهد لأحمد: ٢٨٩.

---

(١) أي: فارقوهم.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأدّ ما افترض الله عليك تكن أعْبد الناس، واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أوْرع الناس. الزهد لأبي داود (١٣٩).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تعودوا الخير، فإنما الخير بالعادة. الزهد لوكيع (٣٥).

* وعن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: لولا ثلاث صلح الناس: شحٌ مطاع، وهوى مُتَّبع، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه. الزهد لأحمد: ٢٥٨.

* وقال **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨): كيف أنتم بثلاث؟ بزلة عالم، وجدال المنافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناقكم؟.

فأما زلة العالم: فإن اهتدى فلا تقلّدوه دينكم، وإن افتُتن فلا تقطعوا عنه أناتكم.(١).

وجدال المنافق بالقرآن، والقرآن حقٌّ عليه منارٌ كمنار الطريق، لا يكاد يخفى على أحد، فما عرفتم فخذوه، وما أنكرتم فكِلوا علمه إلى عالمه.

وأما الدنيا، فمن جعل الله له الغنى في قلبه نفعته الدنيا، ومن لم يجعل الله غناه في قلبه لم تنفعه الدنيا.(٢) الزهد لوكيع (٧١)، الزهد لأبي داود (١٧٧)، وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين ١/ ٥٦٧.

* وعن **عمار بن ياسر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧) قال: ثلاث من جمعهن جمع الإيمان: الإنصاف من نفسه، والإنفاق من الإقتار، وبذل السلام للعالَم.(٣) الزهد

---

(١) أي: رفقكم وحلمكم، بنصحه وتذكيره واللين في التعامل معه.

(٢) فمن رزقه الله القناعة وجعل غناه في قلبه: كان كلّ ما جاءه من الدنيا خيرا ونفعا له في دينه ودنياه، وأحسن تصرّفه فيها، ومن حُرم القناعة والغنى في قلبه: كان كلّ ما جاءه من الدنيا شرًّا له وضررا عليه في دينه ودنياه، وأساء تصرّفه فيها، ولم يشبع من الدنيا ولو ملَكها كلّها.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما كان من جمع الثلاث مستكملا للإيمان؛ لأن مداره عليها؛ لأن العبد إذا اتصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقا واجبا عليه إلا أداه، ولم يترك شيئا مما نهاه=

لوكيع (٢٤١)، البخاري معلّقا بصيغة الجزم في باب: إفشاء السلام من الإسلام.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: خذ الحكمة ممن سمعتَ؛ فإن الرجل ليتكلم بالحكمة، وليس بحكيم، فتكون كالرّمْية خرجت من غير رامٍ. صفة الصفوة ١/ ٣٧٣.

* وقال **غنيم بن قيس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥): كنا نتواعظ في أول الإسلام بأربعة: اعمل في فراغك لشغلك، واعمل في صحتك لسقمك، واعمل في شبابك لكبرك، واعمل في حياتك لموتك. الزهد لأحمد: ٤٢٢.

* وقال **بعض السلف**: ثَمانِيةٌ مِن النَّاسِ إنْ أُهِينُوا فاللَّومُ عليهِمْ:

١- منْ أتَى مائِدةَ قَومٍ ولَمْ يُدْعَ إليها.

٢- والْمُتآمرُ علَى رَبِّ الْبيتِ فِي بيتِهِ.

٣- والدَّاخل بَيْن اثْنين فِي حدِيثهمَا ولَم يُدْخلاهُ.

٤- والْمُسْتَخفُّ بالسُّلْطانِ.

٥- والْجالِسُ مَجلسًا ليس لهُ بأهلٍ.

٦- والمُقبِلُ بِحدِيثهِ على من لا يُسْمع منهُ.

٧- وراجي العُرفِ منَ اللِّئامِ.

= عنه إلا اجتنبه، وهذا يجمع أركان الإيمان.

وبذل السلام: يتضمن مكارم الأخلاق والتواضع وعدم الاحتقار، ويحصل به التآلف والتحابب.

والإنفاق من الإقتار: يتضمن غاية الكرم؛ لأنه إذا أنفق مع الاحتياج كان مع التوسع أكثر إنفاقا، والنفقة أعم من أن تكون على العيال واجبة ومندوبة، أو على الضيف والزائر، وكونه من الإقتار يستلزم الوثوق بالله والزهد في الدنيا وقصر الأمل، وغير ذلك من مهمات الآخرة.

وهذا التقرير يقوّي أن يكون الحديث مرفوعا؛ لأنه يُشبه أن يكون كلام من أُوتي جوامع الكلم. فتح الباري (١/ ٨٣)

٨- والْمُنزِلُ حاجتَه بعدوِّه.

المجالسة وجواهر العلم (١٨٥)، المنتظم ٦/ ٩٤.

* وقال بعضهم:

فلا تعجل على أحدٍ بظلمٍ ... فإنَّ الظلم مرْتَعُه وخيم

وَلا تَفحَشْ وَإِنْ مُلِّئتَ غَيْظًا ... عَلَى أحَدٍ فَإِنَّ الفُحْشَ لُوْمُ

وَلا تَقْطَعِ أخًا لَكَ عِنْدَ ذَنْبٍ ... فَإِنَّ الذَّنْبَ يَغْفِرُهُ الكَرِيْمُ

ولكن داوِ عوْرته برقْعٍ ... كما قد يُرْقع الخَلِقُ القديمُ

وَلا تَجْزَعْ لِرَيْبِ الدَّهْرِ وَاصْبُرْ ... فَإِنَّ الصَّبْرَ فِي العُقْبَى سَلِيْمُ

فَمَا جَزَعٌ بِمُغْنٍ عَنْكَ شَيْئًا ... وَلا مَا فَاتَ تُرْجِعُهُ الهُمُومُ

المحاضرات والمحاورات للسيوطي (٢١٩).

* وقال الشاعر:

رَأَيْتُك مِثْلَ الجَوْزِ يَمْنَعُ لُبَّهُ ... صَحيحًا ويُعْطِي خَيْرهُ حِين يُكْسَرُ

* وقال الآخر:

الْمَرْءُ لا يُعْرَفُ مِقْدَارُهُ ... مَا لَمْ تَبِنْ لِلنَّاسِ أَفْعَالُهُ

أدب الدين (٣٢١، ٣٢٣).

* وقال أبو العباس ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩١): من أمثال العرب: لم يذهب من مالك ما وعظك. الكامل في اللغة / ١٨٤.

* وعن أبي حازم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: انظر الذي تحب أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وانظر الذي تكره أن يكون معك ثمَّ فاتركه اليوم. تهذيب الحِلْية ٥٢٥/ ١.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت. تهذيب الحِلْية ٥٢٥/ ١.

* وقالت **الحكماء**: من لم يرغب بثلاث بلي بست:

١- من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والخذلان.

٢- ومن لم يرغب في السلامة بلي بالشدائد والامتهان.

٣- ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة والخسران.

أدب الدين (٢٦٦).

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن الرجل ليدخل المدخل، ويجلس المجلس، أو يأكل الأكلة فيتغيَّرُ قلبه، فإياكم والدخول على أهل البسطة؛ فإن الدخول عليهم يغير قلب الرجل فيتسخط ما في يديه. الزهد لأحمد: ٤٧٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حُسْنُ السؤالِ نصفُ العلمِ، ومُداراةُ الناسِ نصفُ العقلِ، والقصدُ في المعيشة نصفُ المؤونةِ. عيون الأخبار ٣/ ٢٨.

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): إذا رأيتم خلة شر من رجل فاحذروه، وإن كان عند الناس رجل صدق، فإن لها عنده أخوات، وإذا رأيتم خلة خير من رجل فلا تقطعوا عنه إياسكم، وإن كان عند الناس رجل سوء، فإن لها عنده أخوات. تهذيب الحِلْية ١/٣٥٠.

* وعن **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: الخير من الله كثير، ولكنْ لا يبصره من الناس إلا يسير، وهو للناس من الله معروض، ولكنْ لا يبصره من لا ينظر إليه، ولا يجده من لا يبتغيه، ولا يستوجبه من لا يعلم به، ألم تروا إلى كثرة نجوم السماء فإنه لا يهتدي بها إلا العلماء. تهذيب الحِلْية ٢/٩٦.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): كان الأبرار يتواصون بثلاث؛ بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة. تهذيب الحِلْية ١/٤٢٧.

* وقال **الشاعر**:

إنَّكَ إنْ كلَّفْتَنِي ما لَمْ أُطِقْ ساءَكَ ما سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقْ

المجالسة وجواهر العلم (٥٢٢).

* وكتب **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) إلى رجل:

يا أخي، لا تغبط أهل الشهوات بشهواتهم، ولا ما يتقلبون فيه من النعمة، فإنَّ أمامهم يومًا تزِلُّ فيه الأقدام، وترعد فيه الأجسام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب، وتتطاير فيه القلوب حتى تبلغ الحناجر، فيالها من ندامة على ما أصابوا من هذه الشهوات..

ولا تتهاون بالذنب الصغير، ولكن انظر مَن عصيت؟ عصيت ربًّا عظيمًا.

وإنَّ أكيس الكيس مَن يدخل الجنة بذنبٍ عمِله فنَصَبه بين عينيه، ثم لم يزل حَذِرًا على نفسه من تلك الخطيئة، حتى فارق الدنيا ودخل الجنة، وإن أحمق الحمق من دخل النار بحسنةٍ واحدة نصبها بين عينيه، ولم يزل يذكرها ويرجو ثوابها ويتهاون بالذنوب حتى فارق الدنيا ودخل النار.

فكن يا أخي كيِّسًا حَذِرًا على ما زل منك ومضى، لا تدري ماذا يَفْعل بك ربك فيه، وما بقي من عمرك لا تدري ماذا يحدث لك فيه، فإنَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خليل الرحمن حذر على نفسه فسأل ربه فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم:٣٥] وقال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف:١٠١] وقال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ١٧﴾ [القصص:١٧] وقال شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف:١٩]، فهؤلاء أنبياؤه خافوا على أنفسهم، وإنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. تهذيب الحِلْية ٢/٣٨١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، وَإِيَّاكَ وَالْكَذِبَ وَالْخِيَانَةَ وَمُجَالَسَةَ أَصْحَابِهَا، فَإِنَّهَا وِزْرٌ كُلُّهُ، وَإِيَّاكَ يَا أَخِي وَالرِّيَاءَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَإِنَّهُ شِرْكٌ بِعَيْنِهِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُجْبَ، فَإِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا يُرْفَعُ وَفِيهِ عُجْبٌ، وَلَا تَأْخُذَنَّ دِينَكَ إِلَّا مِمَّنْ هُوَ مُشْفِقٌ عَلَى دِينِهِ، فَإِنَّ مَثَلَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مُشْفِقٍ عَلَى دِينِهِ كَمَثَلِ طَبِيبٍ بِهِ دَاءٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَالِجَ دَاءَ نَفْسِهِ وَيَنْصَحَ لِنَفْسِهِ، كَيْفَ يُعَالِجُ دَاءَ النَّاسِ وَيَنْصَحُ لَهُمْ؟ فَهَذَا الَّذِي لَا يُشْفِقُ عَلَى دِينِهِ كَيْفَ يُشْفِقُ عَلَى دِينِكَ؟.

وَيَا أَخِي، إِنَّمَا دِينُكَ لَحْمُكَ وَدَمُكَ، ابْكِ عَلَى نَفْسِكَ وَارْحَمْهَا، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَرْحَمْهَا لَمْ تُرْحَمْ.

وَلْيَكُنْ جَلِيسَكَ مَنْ يُزَهِّدُكَ فِي الدُّنْيَا، وَيُرَغِّبُكَ فِي الْآخِرَةِ، وَإِيَّاكَ وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي حَدِيثِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُمْ يُفْسِدُونَ عَلَيْكَ دِينَكَ وَقَلْبَكَ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ، وَأَكْثِرِ الِاسْتِغْفَارَ مِمَّا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَسَلِ اللهَ السَّلَامَةَ لِمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِكَ.

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِأَدَبٍ حَسَنٍ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ، وَلَا تُخَالِفَنَّ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهَا إِلَّا مَنْ هُوَ مُكِبٌّ عَلَى الدُّنْيَا، كَالَّذِي يَعْمُرُ بَيْتًا، وَيُخَرِّبُ آخَرَ.

وَانْصَحْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ إِذَا سَأَلَكَ فِي أَمْرِ دِينِهِ، وَلَا تَكْتُمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّصِيحَةِ شَيْئًا إِذَا شَاوَرَكَ فِيمَا كَانَ لِلَّهِ فِيهِ رِضًى، وَإِيَّاكَ أَنْ تَخُونَ مُؤْمِنًا، فَمَنْ خَانَ مُؤْمِنًا فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ.

وَإِذَا أَحْبَبْتَ أَخَاكَ فِي اللهِ فَابْذُلْ لَهُ نَفْسَكَ وَمَالَكَ.

وَإِيَّاكَ وَالْخُصُومَاتِ وَالْجِدَالَ وَالْمِرَاءَ، فَإِنَّكَ تَصِيرُ ظَلُومًا خَوَّانًا أَثِيمًا.

وَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، فَإِنَّ الصَّبْرَ يَجُرُّ إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَجُرُّ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَإِيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالْغَضَبَ، فَإِنَّهُمَا يَجُرَّانِ إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورُ يَجُرُّ إِلَى النَّارِ.

وَلَا تُمَارِيَنَّ عَالِمًا فَيَمْقُتَكَ، وَإِنَّ الِاخْتِلَافَ إِلَى الْعُلَمَاءِ رَحْمَةٌ، وَالِانْقِطَاعَ عَنْهُمْ سَخَطُ الرَّحْمَنِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ خُزَّانُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَصْحَابُ مَوَارِيثِهِمْ.

وَعَلَيْكَ بِالزُّهْدِ يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِ الدُّنْيَا، وَعَلَيْكَ بِالْوَرَعِ يُخَفِّفِ اللهُ حِسَابَكَ، وَدَعْ كَثِيرًا مِمَّا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ تَكُنْ سَلِيمًا، وَادْفَعِ الشَّكَّ بِالْيَقِينِ يسلَمْ لَكَ دِينُكَ.

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ تَكُنْ حَبِيبَ اللهِ.

وَابْغَضِ الْفَاسِقِينَ تَطْرُدُ بِهِ الشَّيَاطِينَ.

وَأَقِلَّ الْفَرَحَ وَالضَّحِكَ بِمَا تُصِيبُ مِنَ الدُّنْيَا تَزْدَدْ قُوَّةً عِنْدَ اللهِ.

وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ يَكْفِكَ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاكَ.

وَأَحْسِنْ سَرِيرَتَكَ يُحْسِنِ اللهُ عَلَانِيَتَكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَلَا تَكُنْ غَافِلًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ يُغْفَلُ عَنْكَ، وَإِنَّ لِلَّهِ عَلَيْكَ حُقُوقًا وَشُرُوطًا كَثِيرَةً، وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُؤَدِّيَهَا، وَلَا تَكُونَنَّ غَافِلًا عَنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَغْفُلُ عَنْكَ، وَأَنْتَ مُحَاسَبٌ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَإِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَعَلَيْكَ بِالتُّؤَدَةِ، فَإِنْ رَأَيْتَهُ مُوَافِقًا لِأَمْرِ آخِرَتِكَ فَخُذْهُ، وَإِلَّا فَقِفْ عَنْهُ حَتَّى يُنْظَرَ إِلَى مَنْ أَخَذَهُ كَيْفَ عَمَلُهُ فِيهَا، وَكَيْفَ نَجَا مِنْهَا، وَاسْأَلِ اللهَ الْعَافِيَةَ، وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ فَشَمِّرْ إِلَيْهَا، وَأَسْرِعْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهَا وَبَيْنَكَ الشَّيْطَانُ.

وَلَا تَكُونَنَّ أَكُولًا لَا تَعْمَلُ بِقَدْرِ مَا تَأْكُلُ، فَإِنَّهُ يُكْرَهُ ذَلِكَ، وَلَا تَأْكُلْ بِغَيْرِ نِيَّةٍ، وَلَا بِغَيْرِ شَهْوَةٍ، وَلَا تَحْشُوَنَّ بَطْنَكَ فَتَقَعَ جِيفَةً لَا تَذْكُرِ اللهَ.

وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَإِنَّ الطَّمَعَ هَلَاكُ الدِّينِ، وَإِيَّاكَ وَالرَّغْبَةَ،

فَإِنَّ الرَّغْبَةَ تُقَسِّي الْقَلْبَ، وَإِيَّاكَ وَالْحِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْحِرْصَ مِمَّا يَفْضَحُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَكُنْ طَاهِرَ الْقَلْبِ، نَقِيَّ الْجَسَدِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، نَقِيَّ الْيَدَيْنِ مِنَ الْمَظَالِمِ، سَلِيمَ الْقَلْبِ مِنَ الْغِشِّ وَالْمَكْرِ وَالْخِيَانَةِ، خَالِيَ الْبَطْنِ مِنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ.

كُفَّ بَصَرَكَ عَنِ النَّاسِ، وَلَا تَمْشِيَنَّ بِغَيْرِ حَاجَةٍ، وَلَا تَكَلَّمَنَّ بِغَيْرِ حُكْمٍ، وَلَا تَبْطِشْ بِيَدِكَ إِلَى مَا لَيْسَ لَكَ، وَكُنْ خَائِفًا حَزِينًا لِمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِكَ، لَا تَدْرِي مَا يَحْدُثُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَلِيَ نَفْسُكَ مِنَ الْأَمَانَةِ شَيْئًا، وَكَيْفَ تَلِيهَا وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ ظَلُومًا جَهُولًا؟ أَبُوكَ آدَمُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا وَلَمْ يَسْتَكْمِلْ يَوْمَ حَمْلِهَا حَتَّى وَقَعَ فِي الْخَطِيئَةِ.

أَقِلِ الْعَثْرَةَ، وَاقْبَلِ الْمَعْذِرَةَ، وَاغْفِرِ الذَّنْبَ، كُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، لَا تَبْغَضْ أَحَدًا مِمَّنْ يُطِيعُ اللهَ، كُنْ رَحِيمًا لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَلَا تَقْطَعْ رَحِمَكَ، وَصِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَصِلْ رَحِمَكَ وَإِنْ قَطَعَكَ، وَتَجَاوَزْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ تَكُنْ رَفِيقَ الْأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ.

وَأَقِلَّ دُخُولَ السُّوقِ، فَإِنَّهُمْ ذِئَابٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ، وَفِيهَا مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَإِذَا دَخَلْتَهَا فَقَدْ لَزِمَكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِنَّكَ لَا تَرَى فِيهَا إِلَّا مُنْكَرًا، فَقُمْ عَلَى طَرَفِهَا فَقُلْ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي، وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُ يُكْتَبُ لِقَائِلِهَا بِكُلِّ مَنْ فِي السُّوقِ -عَجَمِيٍّ أَوْ فَصِيحٍ- عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَلَا تَجْلِسْ فِيهَا، وَاقْضِ حَاجَتَكَ وَأَنْتَ قَائِمٌ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ يُفَارِقَكَ الدِّرْهَمُ، فَإِنَّهُ أَتَمُّ لِعَقْلِكَ، وَلَا تَمْنَعَنَّ نَفْسَكَ مِنَ الْحَلَاوَةِ، فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الْحِلْمِ، وَعَلَيْكَ بِاللَّحْمِ وَلَا تَدُمْ عَلَيْهِ، وَلَا تَدَعْهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنَّهُ يُسِيءُ خُلُقَكَ، وَلَا تَرُدَّ الطِّيبَ، فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الدِّمَاغِ، وَعَلَيْكَ بِالْعَدَسِ، فَإِنَّهُ يُفْرِزُ الدُّمُوعَ، وَيُرِقُّ الْقَلْبَ.

وَعَلَيْكَ بِاللِّبَاسِ الْخَشِنِ تَجِدْ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، وَعَلَيْكَ بِقِلَّةِ الْأَكْلِ تَمْلِكْ سَهَرَ اللَّيْلِ، وَعَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ يَسُدُّ عَنْكَ بَابَ الْفُجُورِ، وَيَفْتَحُ عَلَيْكَ بَابَ الْعِبَادَةِ، وَعَلَيْكَ بِقِلَّةِ الْكَلَامِ يَلِينُ قَلْبُكَ، وَعَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ تَمْلِكُ الْوَرَعَ.

وَلَا تَكُونَنَّ حَرِيصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا تَكُنْ حَاسِدًا تَكُنْ سَرِيعَ الْفَهْمِ، وَلَا تَكُنْ طَعَّانًا تَنْجُ مِنْ أَلْسُنِ النَّاسِ، وَكُنْ رَحِيمًا تَكُنْ مُحَبَّبًا إِلَى النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ تَكُنْ غَنِيًّا، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ تَكُنْ قَوِيًّا، وَلَا تُنَازِعْ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ يُحِبُّكُ اللهُ، وَيُحِبُّكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَكُنْ مُتَوَاضِعًا تَسْتَكْمِلْ أَعْمَالَ الْبِرِّ.

اعْمَلْ بِالْعَافِيَةِ تَأْتِكَ الْعَافِيَةُ مِنْ فَوْقِكَ، كُنْ عَفُوًّا تَظْفَرْ بِحَاجَتِكَ، كُنْ رَحِيمًا يَتَرَحَّمُ عَلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ.

يَا أَخِي لَا تَدَعْ أَيَّامَكَ وَلَيَالِيكَ وَسَاعَاتِكَ تَمُرُّ عَلَيْكَ بَاطِلًا، وَقَدِّمْ مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ لِيَوْمِ الْعَطَشِ، فَإِنَّكَ لَا تُرْوَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِالرِّضَى مِنَ الرَّحْمَنِ، وَلَا تُدْرِكْ رِضْوَانَهُ إِلَّا بِطَاعَتِكَ، وَأَكْثِرْ مِنَ النَّوَافِلِ تُقَرِّبْكَ إِلَى اللهِ، وَعَلَيْكَ بِالسَّخَاءِ تُسْتَرِ الْعَوْرَاتُ، وَيُخَفِّفِ اللهُ عَلَيْكَ الْحِسَابَ وَالْأَهْوَالَ، وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ الْمَعْرُوفِ يُؤْنِسْكَ اللهُ فِي قَبْرِكَ، وَاجْتَنِبِ الْمَحَارِمَ كُلَّهَا تَجِدْ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ.

جَالِسْ أَهْلَ الْوَرَعِ وَأَهْلَ التُّقَى يُصْلِحِ اللهُ أَمْرَ دِينِكَ، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِ دِينِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ، وَسَارِعْ فِي الْخَيْرَاتِ يَحُولُ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ يُزَهِّدْكَ اللهُ فِي الدُّنْيَا، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ يُهَوِّنِ اللهُ عَلَيْكَ أَمْرَ

الدُّنْيَا، وَاشْتَقْ إِلَى الْجَنَّةِ يوفِّقِ اللهُ لَكَ الطَّاعَةَ، وَأَشْفِقْ مِنَ النَّارِ يُهَوِّنِ اللهُ عَلَيْكَ الْمَصَائِبَ.

أَحِبَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ تَكُنْ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وابْغِضْ أَهْلَ الْمَعَاصِي يُحِبَّكَ اللهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ شُهُودُ اللهِ فِي الْأَرْضِ.

وَلَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا تُنَازِعْ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ.

وَانظُرْ يَا أَخِي أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ أَمْرِكَ تَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَاخْشَ اللهَ خَشْيَةَ مَنْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ مَيِّتٌ وَمَبْعُوثٌ، ثُمَّ الْحَشْرَ، ثُمَّ الْوقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ عَزَّوَجَلَّ، وَتُحَاسَبُ بِعَمَلِكَ، ثُمَّ الْمَصِيرَ إِلَى إِحْدَى الدَّارَيْنِ، إِمَّا جَنَّةٌ نَاعِمَةٌ خَالِدَةٌ، وَإِمَّا نَارٌ فِيهَا أَلْوَانُ الْعَذَابِ مَعَ خُلُودٍ لَا مَوْتَ فِيهِ، وَارْجُ رَجَاءَ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَعْفُو أَوْ يُعَاقِبُ. تهذيب الحلية ٢/٤٠٩.

* وقال الهيثم: حدثني بعض أصحاب **جعفر بن محمد الصادق** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٨): قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أن قال:

يَا بُنَيَّ اقْبَلْ وَصِيَّتِي، وَاحْفَظْ مَقَالَتِي، فَإِنَّكَ إِنْ حَفِظْتَهَا تَعِشْ سَعِيدًا وَتَمُتْ حَمِيدًا.

يَا بُنَيَّ مَنْ رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ اسْتَغْنَى، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَهُ إِلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ مَاتَ فَقِيرًا، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ اتَّهَمَ اللهَ فِي قَضَائِهِ.

وَمَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ نَفْسِهِ اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ غَيْرِهِ، وَمَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ غَيْرِهِ اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ نَفْسِهِ.

يَا بُنَيَّ مَنْ كَشَفَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ

قُتِلَ بِهِ، وَمَنِ احْتَفَرَ لِأَخِيهِ بِئْرًا سَقَطَ فِيهَا، وَمَنْ دَاخَلَ السُّفَهَاءَ حُقِّرَ، وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وُقِّرَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ.

يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ أَنْ تُزْرِيَ بِالرِّجَالِ فَيُزْرَى بِكَ.

وَإِيَّاكَ وَالدُّخُولَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ فَتَذِلَّ لِذَلِكَ.

يَا بُنَيَّ قُلِ الْحَقَّ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ تُسْتَشَارُ[1] بَيْنَ أَقْرَانِكَ.

يَا بُنَيَّ كُنْ لِكِتَابِ اللهِ تَالِيًا، وَلِلسَّلَامِ فَاشِيًا، وَبِالْمَعْرُوفِ آمِرًا، وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا، وَلِمَنْ قَطَعَكَ وَاصِلًا، وَلِمَنْ سَكَتَ عَنْكَ مُبْتَدِئًا، وَلِمَنْ سَأَلَكَ مُعْطِيًا.

وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ؛ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الشَّحْنَاءَ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِعُيُوبِ النَّاسِ فَمَنْزِلَةُ التَّعَرُّضِ لِعُيُوبِ النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْهَدَفِ[2].

يَا بُنَيَّ إِذَا طَلَبْتَ الْجُودَ فَعَلَيْكَ بِمَعَادِنِهِ؛ فَإِنَّ لِلْجُودِ مَعَادِنَ، وَلِلْمَعَادِنِ أُصُولًا، وَلِلْأُصُولِ فُرُوعًا، وَلِلْفُرُوعِ ثَمَرًا، وَلَا يَطِيبُ ثَمَرٌ إِلَّا بِأُصُولٍ، وَلَا أَصْلٌ ثَابِتٌ إِلَّا بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ.

يَا بُنَيَّ إِنْ زُرْتَ فَزُرِ الْأَخْيَارَ، وَلَا تَزُرِ الْفُجَّارَ، فَإِنَّهُمْ صَخْرَةٌ لَا يَتَفَجَّرُ مَاؤُهَا، وَشَجَرَةٌ لَا يَخْضَرُّ وَرَقُهَا، وَأَرْضٌ لَا يَظْهَرُ عُشْبُهَا.

فما ترك هذه الوصية إلى أن توفي. تهذيب الحِلْية ٥١٣/ ١.

* وعن ابن السماك قال: أوصاني أخي **داود الطائي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) بوصية: انظر أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك، واستح في قربه منك وقدرته عليك. تهذيب الحِلْية ٤٦٧/ ٢.

* وعن **أبي الجلد** رَحِمَهُ اللَّهُ[3] أن **عيسى ابن مريم** عَلَيْهِ السَّلَامُ قال للحواريين: الحق

---

(١) في الأصل: تستشان وهو تحريف كما في حاشية تهذيب الكمال ٥/ ٩٠، والمثبت من تهذيب الكمال.

(٢) أي: الغرض الذي تُصوّب السهام لرميه.

(٣) الواعظ المعروف، كان للكتب المنزلة حافظا، وبمواعظ الأنبياء وأحوالهم واعظا، وبالأذكار لهجا لافظا. الحِلْية (٦/ ٥٤).

أقول لكم ما الدنيا تريدون ولا الآخرة! قالوا: يا رسول الله فسر لنا هذا الأمر، فإنا قد كنا نرى أنا نريد إحداهما، قال: لو أردتم الدنيا لأطعتم رب الدنيا الذي مفاتيح خزائنها بيده فأعطاكم(١)، ولو أردتم الآخرة لأطعتم رب الآخرة الذي يملكها فأعطاكموها ولكن لا هذه تريدون ولا تلك. الزهد لأحمد: ١٣٧.

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٠): **لو أن رجلًا أقام مائتي سنة لا يعرف هذه الأربعة أشياء لم ينج من النار:**

أحدها: معرفة الله.

والثاني: معرفة أمر الله ونهيه.

والثالث: معرفة نفسه.

والرابع: معرفة عدو الله وعدو نفسه. تهذيب الحِلْية ٤٩٧/ ٢.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٧): الشهوة في ثلاث: في الأكل والنظر واللسان، فاحفظ اللسان بالصدق والأكل بالثقة، والنظر بالعبرة. تهذيب الحِلْية ٥١٤/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: تعهَّد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملتَ فاذْكُر نظرَ الله إليك، وإذا تكلّمتَ فاذكر سَمْع الله إليك، وإذا سكتَّ فاذكُر عِلم الله فيك. صفة الصفوة ٤/ ٣٩٢.

* وكان **لقمان** عَلَيْهِ السَّلَامُ عبدًا حبشيًّا نجارًا فقال له سيده: اذبح لي شاة، فذبح له شاة فقال له: ائتني بأطيب مضغتين فيها فأتاه باللسان والقلب، فقال: أما كان

---

(١) وقد وعد الله تعالى بذلك فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ. تفسير ابن كثير ٤/ ٦٠١.

فيها شيء أطيب من هذين؟ قال: لا، قال: فسكت عنه، ثم قال له: اذبح لي شاة، فذبح له شاة، فقال له: ألق أخبثهما مضغتين، فرمى باللسان والقلب، فقال: أمرتك أن تأتيني بأطيبهما مضغتين فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تلقي أخبثهما مضغتين فألقيت اللسان والقلب، فقال: إنه ليس شيء بأطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. الزهد لأحمد: ١٢٦.

* وقالَ الشَّاعِرُ:

إنَّ السَّعيدَ لـهُ مِـنْ غَيْـرِهِ عِظَـةٌ ... وفِـي التَّجَـارِبِ تَحْكِيـمٌ ومُعْتَبَـرُ

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

فَإِيَّـاكَ وَالْأَمْـرَ الَّـذِي إنْ تَوَسَّـعَتْ ... مَـوَارِدُهُ ضَاقَـتْ عَلَيْـك الْمَصَـادِرُ

فَمَـا حَسَـنٌ أَنْ يَعْـذُرَ الْمَـرْءُ نَفْسَـهُ ... ولَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَاذِرُ[1]

أدب الدين (٥٨٢-٥٨٣).

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): من وُقي خمسًا فقد وُقي شر الدنيا والآخرة: العجب، والرياء، والكبر، والإزراء، والشهوة. تهذيب الحِلْية ٣/١٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: كفى بالله مُحبًا، وبالقرآن مؤنِسًا، وبالموت واعظًا، وبخشية الله علمًا، وبالاغترار جهلًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٩.

* وقال **حذيفة المرعشي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٧): إنك ربما أصبت الحكمة فوق مزبلة، فإذا أصبتها فخذها. تهذيب الحِلْية ٦٤/ ٣.

---

(١) المعنى: أُحذّرك أَن تُقْدم على الْأَمر الذي إنْ سهل عليك الدخول فيه ضاق وصعب عليك الخروج منه، ولَا يمكنك إِتْمامه.
وسعة الْمَوَارِد هُنَا كِنَايَة عَن سهولة الأَمر فِي أَوَائِله، ورغبة النَّفس فِيهِ؛ لحماسها في بادئ الأمر.
فإنه لَا يحسن بِك أَن تأْتِي بالعذر لنَفسِك ولَا يعذرك أحدٌ من النَّاس.

* وعن **شميط بن عجلان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٦) قال: والله ما رأيت أبدانكم إلا مطاياكم[١] إلى ربكم عَزَّوَجَلَّ قال: فانضوها[٢] في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ بارك الله فيكم. الزهد لأحمد: ٤٣٤.

* وكان يقال: انتزاعُ العادةِ ذنبٌ محسوبٌ. عيون الأخبار ٣/ ١٥٨.

* وعن **أبي جعفر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قال: أشد الأعمال ثلاثة؛ ذكر الله على كل حال، وإنصافك من نفسك، ومواساة الأخ في المال. تهذيب الحِلْية ٥٠٧/ ١.

* ويقال: إن لله عبادًا مفاتيح للخير مغاليق للشر، ولله تعالى عباد مغاليق للخير مفاتيح للشر. تهذيب الحِلْية ٥١٨/ ١.

* وقال **سلْم بن قتيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): الشباب الصحة، والسلطان الغنى، والمروءة الصبرُ على الرجال.[٣] الكامل في اللغة / ٤١٣.

* وقال **إبراهيم الخواص** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩١): من لم تَبْكِ الدنيا عليه لم تَضْحك الآخرة إليه. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٨.

* وقيل **لحمدون بن أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧١): ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا قال: لأنهم تكلّموا لعِزّ الإسلام ونجاةِ النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلَب الدنيا ورضا الخَلْق. صفة الصفوة ٤/ ٣٦٣.

* وعن **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) قال: إذا غَلَبَت محاسِنُ الرجل

---

(١) أي: مركوبكم.

(٢) أي: أتعبوها.

(٣) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالشباب الصحة، فمن كان كبير السنّ وهو مُعافي في بدنه فهو في حكم الشباب، فكم من صغير نشأ مريضًا أو مُعاقًا؟
والسلطان الغنى، فمن كان غنيّ النفس قنوعًا، عنده قوت يومه فقد ملك السلطة.
والمروءة الصبرُ على حماقات وأذى وسياسة الرجال، وليست بلبس الثياب النفيسة، وركوب المراكب الوثيرة، وبناء القصور المشيدة.

على مساوئه لم تُذكر المساوئُ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تُذكر المحاسن. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٨.

* وقال **ميمونُ بن مِهْران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧): ثلاثة تُؤدّى إلى البَرِّ والفاجر: الأَمانَةُ، والعَهْدُ، وصِلَةُ الرَّحِم. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨١.

* وقال **خالد بن صفوان**(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاثة يُعرفُونَ عند ثلاثةٍ: الحَلِيمُ عند الغَضَب، والشُّجَاعُ عِندَ اللِّقاء، والصديق عند النَّائبة. تهذيب السِّيَر ٦/ ٦٤٣.

* وقال **أبو عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٤): كن على حذرٍ من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمتَه، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته.

وليس من الأدب أن تُجيب من لا يسألُك، أو تسألَ من لا يُجيبك، أو تُحدِّثَ من لا ينصت لك. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٦٦.

* وقال **الشاعر**:

متى أحْرجت ذا كرم تخطّى ... إليك ببعض أخلاق اللئام

أدب الدين (٢٢٨).

* وقال **عبدُ الله بنُ داود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣): مَنْ أمكنَ الناس من كلِّ ما يريدون أضَرُّوا بدينِهِ ودُنْياه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٢٧.

* وقال **الشافعيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): من تعلم القرآن عظُمت قيمتُه، ومن تكلَّم في الفقه نما قدرُه، ومن كتب الحديثَ قويت حُجَّتُه، ومن نظر في اللغة رقَّ طبعُه، ومن نظر في الحساب جزل رأيُه، ومن لم يَصُنْ نفسه لم ينفعه علمُه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٤٦.

---

(١) العلامة البليغ أبو صفوان وفد على عمر بن عبد العزيز، ولم أظفر له بوفاة، إلا أنه كان في أيام التابعين. السِّيَر ٦/ ٢٢٦.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف. المنتظم ١٣٧/ ١٠.

* وقال **الحكيم الترمذي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٠): من جَهل أوصاف العبودية، فهو بنعوت أوصاف الرَّبَّانية أجْهل. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٠٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صلاح خمسةٍ في خمسة: صلاحُ الصَّبي في المَكْتب، وصلاحُ الفتى في العِلْم، وصلاحُ الكَهْلِ في المسْجد، وصلاحُ المرأةِ في البَيْت، وصلاحُ المؤْذي في السِّجْن. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٠٠.

* ومن كلام **بُنان الحَمَّال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٦): متى يُفلح من يسرُّه ما يضرُّه؟!. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٦٩.

* وقال رجل **لأحمد بن خضرويه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠): أوصني؟ فقال: أمت نفسك حتى تحييها. المنتظم ٢٧٥/ ١١.

* وعن هشام بن حسان قال: كنت أمشي خلف **العلاء بن زياد العدوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤)، فكنت أتوقى الطين، قال: فدفعه إنسان فوقعت رجله في الطين فخاضه، فلما وصل إلى الباب وقف فقال: رأيت يا هشام؟ قلت نعم! قال: كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب فإذا وقع فيها خاضها. تهذيب الحِلْية ٣٧٩/ ١.

* وقال **بعضهم** في النبي ﷺ:

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبيِّنة ... كانت بَدَاهته تُنبِيك بالخبر

عيون الأخبار ٢٥٧/ ١.

* وكان **يقال**: ما أحسنَ الإيمانَ يَزينُه العِلْمُ، وما أحسن العَملَ يَزينُه الرفقُ، وما أُضيفَ شيءٌ إلى شيءٍ أَزْينَ مِن حلم إلى عِلمٍ ومِنْ عفوٍ إلى مَقْدِرَةٍ. عيون الأخبار ٥٢٤/ ٢.

* وقال **بعضهم**: إذا خرج الكلامُ من القلب وَقَعَ في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يُجاوِز الآذان. عيون الأخبار ٢/٥٢٤.

* وقال **بعض السلف**: كما تحب أن يكون الله غدًا فكن أنت اليوم.[١] تهذيب الحِلْية ٣/٧٢.

* وعن **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) قال: من أحب أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده. الزهد لأحمد: ٤١٧.

* وعن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قال لي **رجل** مرة وأنا شاب: خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رقّ الآخرة؛ فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبدًا.

قال أبو بكر: فما نسيتها أبدًا. تهذيب الحِلْية ٣/٨١.

* وقال **صالح المري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢): ما بينك وبين أن ترى الله عليك فيما تحب، إلا أن تعمل فيما بينك وبين خلقه فيما يحب، فحينئذ لا تفقد بره ولا تعدم في كل أمر خيره. تهذيب الحِلْية ٢/٣٠٩.

* وقال **وهب بن مُنبِّه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): المؤمن ينظرُ ليعلَم، ويتكلَّم ليفهمَ، ويسكتُ ليسلمَ، ويخلو ليغنم. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٤.

* وكتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مكحول: إنك أمرؤ قد أصبت بما ظهر من علم الإسلام شرفا، فاطلب بما بطن من علم الإسلام محبة وزلفى. تهذيب الحِلْية ٢/١٨٠.

* وقال **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): قال **رجل**: ما كنت لاعبًا فلا تلعبن بدينك. تهذيب الحِلْية ٢/٣٥٣.

* وقال **ذو النون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦): ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت

---

(١) المعنى: كما تحب أن يكون لك الله كما تحب يوم القيامة من إسعادك ورفعة درجاتك وإسكانك الجنة وإنجائك من النار: فكن أنت في هذه الحياة الدنيا كما يحب؛ بأن تعمل بطاعته وتنتهي عن معصيته.

الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنان إلا برؤيته. تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٣٣.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): اترك الدنيا قبل أن تَتْرُك، واسترض ربك قبل ملاقاته، واعمر بيتك الذي تسكنه قبل انتقالك إليه -يعني القبر-. تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٥٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما ينبسطون إليه على قدر منازلهم لديه. تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٥٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس بعارفٍ من لم يكن غاية أمله من ربه العفْو. صفة الصفوة ٤/ ٣٤١.

* ونظر رَحِمَهُ اللَّهُ يومًا إلى إنسان، وهو يقبِّل ولدًا له صغيرًا فقال: أتحبه؟ قال: نعم، قال: هذا حبك له إذ ولدْتَه، فكيف بحبِّ الله له إذ خلقه؟ تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٥٨.

* وقال **أبو الحسن النوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٥) يوصي بعض أصحابه: عشرة -وأيُّ عشرة-، **احتفظ بهن واعمل عليهن جهدك:**

فأولى ذلك: من رأيته يدعي مع الله عَزَّوَجَلَّ حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنَّ منه.

والثانية: من رأيته يركن إلى غير أبناء جنسه ويخالطهم فلا تقربنَّ منه.

والثالثة: من رأيته يسكن إلى الرئاسة والتعظيم له فلا تقربن منه، ولا ترتفق به، وإن أرفقك، ولا ترج له فلاحًا.

والرابعة: فقير رجع إلى الدنيا، إن مت جوعًا فلا تقربنَّ منه ولا ترتفق به إن أرفقك، فإن رفقه يقسي قلبك أربعين صباحًا.

والخامسة: من رأيته مستغنيًا بعلمه فلا تأمن جهله.

والسادسة: من رأيته مدعيًا حالة باطنه لا يدل عليها، ولا يشهد عليها حفظ ظاهره، فاتهمه على دينه.

والسابعة: من رأيته يرضى عن نفسه، ويسكن إلى وقته، فاعلم أنه مخدوع، فاحذره أشد الحذر.

والثامنة: مريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهة لا ترجونَّ خيره.(١).

والتاسعة: فقير لا تراه عند السماع حاضرًا فاتهمه، واعلم أنه منع بركة ذلك لتشويش سره، وتبديد همه.

والعاشرة: من رأيته مطمئنًا إلى أصدقائه وإخوانه وأصحابه، مدعيًا لكمال الخُلُق بذلك، فاشهد بسخافة عقله ووهن ديانته. تهذيب الحِلْية ٣٦٩/ ٣.

* وعن عبد الله بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنت جالسًا عند **أبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) يومًا، فنظر إلي رجلي وهما لينتان ليس فيهما شقاق، فقال لي: ما هذان الرِّجلان؟ لم لا تمشي حافيًا حتى تصير رجلين خشنتين. تهذيب الحِلْية ٣/ ١٤٥.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ولِهذا نجد مَنْ أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن، حتَّى رُبَّما كرهه.

ومن أكثر من السفر إلى زيارة المشاهد ونحوها لا يبقى لحج البيت المحرم في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة.

ومن أدمَنَ على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع.

ومَنْ أدْمَنْ على قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام. ونظائر هذا كثيرة. اقتضاء الصراط المستقيم / ٣٠٧-٣٠٨.

وقال أيضًا: فإن القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات والْتذَّ بها حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات؛ فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن. مجموع الفتاوى١١/ ٢٤٦

قلت: ويدخل في ذلك الأناشيد الإسلامية، فالميل إليها وكثرة سماعها يصدّ عن القرآن والعلم النافع غالبا.

* وكتب الحجاج إلى **المهلب بن أبي صفرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) يُعجِّله في حرب الأزارقة(١) ويُسمعه(٢)، فكتب إليه المهلب: إن البلاء كل البلاء أن يكون الرأي لمن يَمْلكه دون من يُبْصره.(٣) البيان والتبيين ١/ ١٥٧.

* وقال **أبو عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٤): خُذ الخير من أهله، ودع الشَّرَّ لأهله. معرفة القراء (١/ ٢٣٣).

* وكان نقش خاتم **أبي عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنّ امْـرَأً دنيـاه أكبـرُ همـه ... لَمُسْتَمْسِـكٌ منهـا بحبـل غـرور

معرفة القراء (١/ ٢٣٦).

* ولما حضرت **نافعًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٩) الوفاةُ قال له أبناؤه: أوصِنا، قال: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين». معرفة القراء (١/ ٢٤٧).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): تَعبَّد من قبل أن ترْأَس، فإنك إن ترأَّست لم تقدِر أن تتعبَّد.(٤) طبقات الشافعيين (١/ ٤٩-٥٠).

* **وقال الشاعر:**

ماضرَّ شمسُ الضحى والشمسُ طالعةٌ ... أن لا يَرَى ضوءَها من ليس ذا بَصَر

طبقات الشافعيين (١/ ٢١٧).

---

(١) أي: الخوارج.

(٢) أي: يُسمعه شديد الكلام واللوم.

(٣) كحال الوزارء ونحوهم، الذين يُصدرون قرارات وأنظمة دون معرفة الواقع، ودون النظرِ إلى الأمر الذي أصدروا فيه آراءهم وقراراتهم والوقوف على ذلك.

(٤) فينبغي الاعتناء بالعبادة قبل الانشغال بالرئاسة والمناصب، وإذا لم يقوَ المؤمن عليها في حال السَّعة والفراغ، فلا يكاد يقدر بعد ذلك ولو حرص.

* ومن حَكِيم قَوْل أَبي الْفَتْح البُستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٦٣) قَوْله:

أمْـرانِ مُخْتلِفـانِ لسـتَ تراهمـا   يتشوفـــان لخلطـــةٍ وتــلاق
طلبُ المعـاد مـع الرياسـة والعـلا   فـدع الـذي يَفنـى لمـا هُـوَ بَـاقِ

طبقات الشافعية (٢/ ٦٤٤).

* ومن حَكِيم قَوْله:

مـن ظـن أَن الْغَنِـيّ بِالْمَـالِ يجمعـه   فَاعْلَـم بِـأَن غنـاهُ فقـره أبـدا
فاستغن بِالْعلمِ وَالتَّقوى وَكن رجلًا   لَا يرتجي غيـر رزّاق الـورى أحـدا

طبقات الشافعية (٢/ ٦٤٧).

* وقال الشاعر:

وربمـا كان مكـروه النفـوس إلـى   محبوبهـا سـببًا مـا مثلـه سـبب

الآداب الشرعية ١/ ١٧٦.

* وجَاءَ رجلٌ إلى أبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩١) يُشاوره في الانتقال عن محلة إلى أخرى لتأذي الجوار، فقال: العرب تقول صبرك على أذى من تعرفه خيرٌ لك مِن استحداث مَن لا تعرفه.

وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) يقول هذا المعنى أيضًا. الآداب الشرعية ٢/ ١٤.

* وقال عيسى بن مسكين بن منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٥):

١- أشرف الغنى ترك الْمُنى.

٢- من قاسى الأمور علم المستور.

٣- من حصَّن شهوته صان قدره.

٤- من أطلق طرفه كثر أسفه.

٥- في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال.

٦- بحسن التأني تسهل المطالب.

٧- الحسن النية يصحبه التوفيق.

٨- كفاك أدبًا لنفسك ما كرهته لغيرك.

٩- قارب الناس في عقولهم تسلم من غوائلهم.

١٠- إنَّ ثوابك في إدخال المسرة على أخيك المسلم بإفطارك عنده أفضل من صيام يومك. ترتيب المدارك (٢/ ٣٣٥-٣٣٦).

* وقال **الماوردي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٠) في آخر كتابه أدب الدين (٥٨٤): كن أيها العاقل مُقبلا على شأنك، سِلْما لأهل دهرك، جاريًا على عادة عصرك، منقادًا لمن قدّمه الناس عليك، متحنّنًا على من قدّمك الناسُ عليه، ولا تُبَايِنهم بالعزلة عنهم فيمقتوك، ولا تجاهرهم بالمخالفة لهم فيعادوك، فإنه لا عيش لممَقْوت ولا راحة لمعادًى.

* وأنشد بعض أهل الأدب لبعضهم:

إذا اجتمع الناس في واحد — وخالفهم في الرضا واحدُ
فقد دلّ إجماعهم دونه — على عقله أنه فاسد

واجعل نصح نفسك غنيمةَ عقلك، ولا تداهنها بإخفاء عيبك وإظهار عُذرك.

فهذِّب أيها الإنسان نفسك بإنكار عيوبك؛ فإن من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤):

١- احذر خصومة الأهل، والولد، والصديق، والضعيف، واحتَجِج عليهم بالحجج. الأدب الصغير (٣٧).

٢- لا يوقعنك بلاءٌ تخلّصت منه في آخر لعلك لا تخلص منه. (٣٧).

٣- الوَرِعُ لا يَخْدَعُ، والأريب[١] لا يُخْدَعُ. الأدب الصغير (٣٧).

٤- خمول الذكر أجملُ من الذكر الذميم. الأدب الصغير (٤٣).

٥- كان يقال: قارب عدوك بعض المقاربة تنلْ حاجتك، ولا تقاربه كلَّ المقاربة فيجترئ عليك عدوك، وتذل نفسك، ويرغب عنك ناصرك.[٢].

ومثل ذلك مثل العود المنصوب في الشمس، إن أملته قليلًا زاد ظله، وإن جاوزته الحدَّ في إمالته، نقص الظل. الأدب الصغير (٤٥).

٦- الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي[٣]، والرأي بتكرار النظر وتحصين الأسرار. الأدب الصغير (٤٦).

٧- وجدنا البلايا في الدنيا إنما يسوقها إلى أهلها الحرصُ والشَّره، ولا يزال صاحب الدنيا يتقلب في بلية وتعب؛ لأنه لا يزال بخلَّةِ الحرص والشره. الأدب الصغير (٤٩).

٨- كلُّ أحدٍ حقيقٌ -حين ينظر في أمْر الناس- أنْ يتَّهم نظره بعين الريبة[٤]، وقلبه بعين المقت[٥]، فإنهما يزيِّنَان الجور[٦]، ويحمِلان على الباطل، ويقبِّحان الحسن، ويحسِّنَان القبيح. الأدب الكبير (٧٢).

٩- قلّما تقْدِر على ردِّ رجلٍ عن طريقتِه التي هو عليها بالمكابرة والمناقضة[٧]،

---

(١) أي: العاقل.

(٢) أي: لا تنصب لعدوك العداء والخصام، ولا تقترب منه قربا شديدًا بمصاحبته، بل كن بين بين، وهذا هو العقل.

(٣) أي بإدارة الرأي وإعمال الفكر.

(٤) أي: الشك والتهمة، بحيث يتهم رأيه ونظره.

(٥) أي: البغض، بحيث لا يرضا بكلّ ما يهواه ويميل إليه قلبه.

(٦) أي: الظلم وتجاوز الحد.

(٧) المكابرة: أي منازعته ومجادلته، والمناقضة: أي الردّ عليه وإبطال وتفنيد قوله.

ولكنك تقدر على أنْ تُعينه على أحسن رأيه، وتُسَدِّده فيه، وتزيّنه وتُقَوِّيه عليه.

فإذا قوِيَت منه المحاسن: كانت هي التي تكْفيك المساوئ، وإذا استحكمَت منه ناحيةٌ من الصواب كان ذلك الصوابُ هو الذي يُبَصِّره الخطأ بألْطف من تَبْصيرك، وأعدَلِ من حُكْمك، فإنّ الصواب يؤيِّد بعضُه بعضًا، ويدعو بعضُه إلى بعض، حتى تستحكم لصاحبه الأشياء، ويظهر عليها[1] بتحكيم الرأي، فإذا كانت له مكانةٌ من الأصالة اقتلع ذلك الخطأ كله.

فاحفَظْ هذا الباب وأَحْكِمه.[2] الأدب الكبير (٧٩).

١٠- ليعرف إخوانك والعامة أنك إلى أن تفعل ما لا تقول أقرب منك إلى أن تقول ما لا تفعل.

فإنَّ فضْل القول على الفعل عار وهُجنة[3]، وفَضْل الفعل على القول زينة.

وأنت حقيقٌ فيما وعدْت من نفسك أو أخبرت به صاحبك أن تَحْتَجِن[4] بعض ما في نفسك؛ إعدادًا لفضل الفعل على القول، وتحرزًا بذلك عن تقصير فعلٍ إن قَصَّر، وقلَّما يكون إلا مقصّرًا. الأدب الكبير (٩٨).

١١- تحرّزْ من سكر السلطان، وسكر المال، وسكر العلم، وسكر المنزلة، وسكر الشباب، فإنه ليس من هذا شيء إلا وهو ريح جِنّة[5] تَسْلب[6] العقل،

---

(١) أي: يتغلّب عليها.

(٢) هذه الفائدة تُساوي رحلة، وتُكتب بماء الذهب، وهي نافعة جدا لمن كان له ولد أو زوج أو طالب عنده سلوك منحرف، أو طبع رديء، فقد أرشدنا إلى أحْسن طريقةٍ في تقويم سُلوكه، وإصْلاح طبْعه.

(٣) فضل القول على الفعل: زيادته عليه، والهجنة: القبح والعيب.

(٤) أي: تدخر.

(٥) أي: جنون.

(٦) أي: ريح الجنون.

وتُذهب الوقار، وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان إلى غير المنافع. الأدب الكبير (١٠٠).

١٢- إذا كانت لك عند أحدٍ صنيعة، أو كان لك عليه طَوْل[١]، فالتمس إحياءَ ذلك بإماتته، وتعظيمَه بالتصغير له، ولا تقتصرنّ في قلة المنِّ به[٢] على أن تقول: لا أذكرُه، ولا أُصْغي بسمعي إلى من يذكره، فإن هذا قد يستحيي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم.

ولكن احذر أن يكون في مجالستك إياه، وما تكلّمه به، أو تستعينه عليه، أو تجاريه فيه، شيء من الاستطالة[٣]، فإن الاستطالة تهدم الصنيعة، وتكدر المعروف. الأدب الكبير (١٠٣).

١٣- من أقوى القوة لك على عدوك، وأعزِّ أنصارك في الغلبة له: أن تُحصي على نفسك العيوب والعورات، كما تحصيها على عدوّك، وتنظر عند كلِّ عيب تراه أو تسمعه لأحدٍ من الناس: هل قارفت ذلك العيب أو ما شَاكَله؟ أو سَلِمْت منه؟.

فإن كنت قارفت شيئًا منه: فأحصه، حتى إذا أحصيت ذلك كله فكابر[٤] عدوك بإصلاح عيوبك، وتحصين عوراتك. الأدب الكبير (١٠٩).

١٤- اعلم أنّ بعض العطية لؤم[٥]، وبعض البَيان عيٌّ[٦]، وبعض العلم جهل[٧].

---

(١) أي: فضل.

(٢) المن: هو أن تذكر لمن أحسنتهم إليه ما فعلته له من المعروف.

(٣) أي: التفضل والتعالي.

(٤) أي: اقهره وتغلّب عليه.

(٥) كمن يُعطي رياء وسمعة.

(٦) كمن يتكلّف السجع ويختار الغريب من الكلمات والعبارات.

(٧) كالعلم بالمنطق وقصص الروايات التافهة.

فإن استطعت ألا يكون عطاؤك جورًا، ولا بيانك هذَرًا[1]، ولا علمك جهلًا: فافعل. الأدب الكبير (١١٥).

١٥- لا تجالس امْرَأً بغير طريقته، فإنك إنْ أردت لقاء الجاهل بالعلم، والعييَّ بالبيان: لم تَزِدْ على أن تضيّع علمك، وتؤذي جليسك بحملك عليه ثِقَلَ ما لا يعرف، وغمّك إياه، بمثل ما يغتمُّ به الرجل الفصيح من مخاطبة الأعجمي الذي لا يفقه عنه. الأدب الكبير (١١٩).

* وقال **أبو إسحاق الجُبْنَيَانِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩):

١- خمسة تعاونوا على هلاك ابن آدم المسكين: مؤمن يحسده، وكافر يرصده، وشيطان مارد، ودنيا حاضرة، ونفس أمارة بالسوء.

٢- إذا رأيت الشَّاب قذرًا في شبيبته، فإن كَبِر يكون شيخَ سوء.

٣- إذا رأتك زوجتك وولدك وخادمك تعصي الله كان أول من يُذِلّك هم. ترتيب المدارك (٤/ ٥٤).

* وقال **الشاعر**:

إذا أنت جازيت المسيء بفعله ... فَفِعْلك من فعل المسيء قريب

الآداب الشرعية ٢/ ١٦٢.

* وقال **بعض الحكماء**: ليس غنى أغنى من سكون القلب، وليس فقر أفقر من اضطراب القلب، وليس عزّ أعز من الزهد، وليس ذل أذل من الرغبة في الدنيا والطمع، وليس شرف أشرف من اليقين، وليس درجة أعلى من الصبر، وليس حلاوة أحلى من محبة الله عَزَّوَجَلَّ، وليس مرارة أمرُّ من سخطه، وليس زين أزين من التواضع، وليس جهل أجهل من الكبر، وليس قوة أقوى من الجوع، وليس كلامٌ

---

(١) أي: ساقطا لا أثر له.

أحسنَ من قول: لا إله إلا الله. المجالسة وجواهر العلم (٣٠٢).

* وقَالَ **ابْنُ عَقِيلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) فِي الْفُنُونِ: مِنْ أَكْبَرِ مَا يُفَوِّتُ الْفَوَائِدَ تَرْكُ التَّلَمُّحِ لِلْمَعَانِي الصَّادِرَةِ عَمَّنْ لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْحِكْمَةِ، أَتَرَى يَمْنَعُنِي مِنْ أَخْذِ اللُّؤْلُؤَةِ وِجْدَانِي لَهَا فِي مَزْبَلَةٍ؟ كَلَّا، سَمِعْت كَلِمَةً بَقِيتُ مِنْ قَلَقِهَا مُدَّةً، وَهِيَ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَقُولُ عَلَى شُغْلِهَا وَتَتَرَنَّمُ بِهَا: «إنَّ لِلتَّوَانِي غَائِلَةً وَلِلْقَبِيحِ خَمِيرَةً تَبِينُ بَعْدَ قَلِيلٍ».

فَمَا أَوْقَعَهَا مِنْ تَخْجِيلٍ عَلَى إهْمَالِنَا الْأُمُورَ، غَدًا تَبِينُ خَمَائِرُهَا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. الآداب الشرعية ٢/ ٨١.

* وقال **ابن عبد البر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٣): وكان يقال: الغالب في الشَّرِّ مغلوب. الآداب الشرعية ٢/ ٩.

* وقال **ابن هبيرة الحنبلي الوزير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): ليكن غايةُ أَمَلِكَ من عدِّوكَ: الإنصافَ، فمتى طلبْته منه كان سائر الخَلْق عونًا لك، فأما أخوك وصديقك: فعاملهما بالفضل والمسامحة، لا بالعدل. الآداب الشرعية ٢/ ١٠.

* ومما يذكر من شعر **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعود فِعال الخير جمعًا فكلَّما ... تعوّده الإنسان صار له خُلْقا

ذيل الطبقات (٢/ ١٦٩).

ما قيل في العارف والمعرفة

* قال رجلٌ **لأبي سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣): طوبى للزاهدين، فقال أبو سليمان: طوبى للعارفين. تهذيب الحِلْية ١٨٨/ ٣.

* وقيل له: سهرت ليلة في ذكر النساء إلى الصباح، فتغير وجهه وغضب عليه وقال: ويحك، أما استحييت منه يراك ساهرًا في ذكر النساء؟ ولكن كيف تستحي ممن لا تعرف؟ تهذيب الحِلْية ١٨٩/ ٣.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): من حرم المعرفة لم يجد للطاعة حلاوة، ومن لا يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال، ومن زهد في الدنيا على حقيقة، كانت مؤنته خفيفة، ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات. تهذيب الحِلْية ٩٩/ ٣.

* وقال **أبو عثمان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٨): حق لمن أعزه الله بالمعرفة أن لا يذل نفسه بالمعصية. تهذيب الحِلْية ٣٦٤/ ٣.

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) يقول: العارف لا يرى له على أحد حقًّا، ولا يشهد له على غيره فضلا، ولذلك لا يعاتب ولا يطالب ولا يضارب. مدارج السالكين ٢/ ١٥٥-١٥٦.

حفظ الوقت(١)

* عن **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧) أنه قال: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يومًا فيومًا وساعة فساعة، فلا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم مع يوم.(٢) المنتظم ١٩٦/٨.

* وقال **فضيل الرقاشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك(٣)؛ فإنَّ الأمر يخلص إليك دونهم.

وإياك أن تُذهب نهارك تُقَطِّعه ههنا وههنا؛ فإنه محفوظ عليك. تهذيب الحِلْية ٤٦٦/١.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعمارة الوقت: الاشتغال في جميع آنائه بما يُقربه إلى الله أو يُعين على ذلك من مأكل أو مشرب أو منكح أو منام أو راحة، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتجنب ما يُسخطه كانت من عمارة الوقت، وإن كان فيها أتم لذة، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات.

فالمحب الصادق: ربما كان سيره القلبي في حال أكله وشربه وجماع أهله وراحته: أقوى من سيره البدني في بعض الأحيان.

وقد حكي عن بعضهم: أنه كان يَرِدُ عليه وهو على بطن امرأته حال لا يعهدها في غيرها.

ولا تعجل بالإنكار، وانظر إلى قلبك عند هجوم أعظم محبوب له عليك في هذه الحال كيف تراه؟ فكهذا حال غيرك. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ١٨٩

(٢) وكيف إذا قضى هذه الأيام الساعات في الحرام؟

(٣) كمن ينشغل بالأصدقاء أو الأهل أو اللعب المباح، عن إصلاح نفسِه وتهذيبِها وتعلّم ما ينفعه ويُقربه إلى ربّه.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): كلّ ما شغلَكَ عن الله عَزَّوَجَلَّ من أهْلٍ ومالٍ أو ولدٍ فهو عليك مَشُؤوم. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٢.

* وقال **بعض البلغاء**: من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أدّاه، أو خير أسَّسه أو علم اقْتبسه، فقد عق يومه وظلم نفسه.

وقال **بعض الشعراء**:

لقد أهاج الفراغُ عليك شغلا ... وأسبابُ البلاء من الفراغ

أدب الدين (١٠٠).

* وقيل **للمعافى بن عمران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤): ما ترى في الرجل يقرض الشعر ويقوله؟.

قال: هو عمرك فأفنه فيما شئت.[١] تهذيب الحِلْية ٧٤/ ٣.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): أعظم المصيبة على الحكيم في اليوم أن يمضي عنه، لا يأتيه فيه هدية من ربه - يعني حكمة جديدة. تهذيب الحِلْية ٢٥٩/ ٣.

* وقال **بعض السلف**: إن من إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا ينفعه. تهذيب الحِلْية ٢٩٥/ ٣.

* وقال **بعض السلف**: ليس لك من عمرك إلا نفس واحدة فإن لم تفنها فيما لك فلا تفنها فيما عليك. تهذيب الحِلْية ٤٥٤/ ٣.

* وقال **بعض السلف**: العمر قصير، والوقت ضيق، والأيام تقضى وليس في الوقت فضل. الزهد للبيهقي (٢٩٧).

---

(١) يا له من جوابٍ عجيب سديد.

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠):

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

ذيل الطبقات (٢/ ١٦٧).

* وقال **بعض السلف**: نهارك ضيفك، فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك، وكذلك ليلك. أدب الدين (١٩٦).

ذم الحسد(١)

* قال **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): كلّ الناس أستطيعُ أن أُرضِيَه إلا حاسِدَ نعمةٍ فإنه لا يُرضِيه إلا زَوالُها. عيون الأخبار ٤٠٧ / ٢.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤):

ديوان الشافعي (١٤٥).

* وقال **بعضهم**:

كُلُّ العَـدَاوةِ قـد تُرْجَـى إماتَتُهَـا   إلا عـداوةَ مَـنْ عـاداكَ مـنْ حَسَـدِ

عيون الأخبار ٤٠٧/ ٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَسَدَ مَرَضٌ مِن أَمْرَاضِ النَّفْسِ، وَهُوَ مَرَضٌ غَالِبٌ فَلَا يَخْلُصُ مِنْهُ إلَّا قَلِيلٌ مِن النَّاسِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: مَا خَلَا جَسَدٌ مِن حَسَدٍ، لَكِنَّ اللَّئِيمَ يُبْدِيهِ وَالْكَرِيمَ يُخْفِيهِ.
فَمَن وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لِغَيْرِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَهُ التَّقْوَى وَالصَّبْرَ. فَيَكْرَهُ ذَلِكَ مِن نَفْسِهِ.
وَكَثِيرٌ مِن النَّاسِ الَّذِينَ عِنْدَهُم دِينٌ لَا يَعْتَدُونَ عَلَى الْمَحْسُودِ، فَلَا يُعِينُونَ مَن ظَلَمَهُ، وَلَكِنَّهُم أَيْضًا لَا يَقُومُونَ بِمَا يَجِبُ مِن حَقِّهِ، بَل إذَا ذَمَّهُ أَحَدٌ لَمْ يُوَافِقُوهُ عَلَى ذَمِّهِ، وَلَا يَذْكُرُونَ مَحَامِدَهُ، وَكَذَلِكَ لَو مَدَحَهُ أَحَدٌ لَسَكَتُوا، وَهَؤُلَاءِ مَدِينُونَ فِي تَرْكِ الْمَأْمُورِ فِي حَقِّهِ مُفَرِّطُونَ فِي ذَلِكَ، لَا مُعْتَدُونَ عَلَيْهِ.
وَجَزَاؤُهُمْ: أَنَّهُم يُبْخَسُونَ حُقُوقَهُم فَلَا يُنْصَفُونَ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ، وَلَا يُنْصَرُونَ عَلَى مَن ظَلَمَهُم كَمَا لَمْ يَنْصُرُوا هَذَا الْمَحْسُودَ، وَأَمَّا مَن اعْتَدَى بِقَوْلٍ أَو فِعْلٍ فَذَلِكَ يُعَاقَبُ. ا.هـ [مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢٤-١٢٥).

وقال الحسين بن الفضل رَحِمَهُ اللَّهُ في سورة الفلق: إنَّ الله جمع الشرور في هذه السورة، وختمها بالحسد ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ [الفلق:٥]؛ ليُعْلم أنه أخسّ الطبائع. تفسير الثعالبي: ٤/ ٤٥٣.

* وقال **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): ما حسدت رجلًا قط، إن كان من أولياء الله فكيف أحسده على شيء من حطام الدنيا؟ تهذيب الحِلْية ٤٤٠/١.

* وقيل **للحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟ فَقَالَ: مَا أَنْسَاكَ إِخْوَةَ يُوسُفَ، وَلَكِنْ غُمَّهُ فِي صَدْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا لَمْ تَعْدُ بِهِ يَدًا وَلِسَانًا. الزهد لهنّاد ٢/ ٦٤٢.

* ويقال: إذا أراد الله أن يُسَلِّطَ على عبده عدوًّا لا يرحَمُه سلَّطَ عليه حاسدا. عيون الأخبار ٤٠٦/ ٢.

* وقال بعضهم:

حسَدُوا الفتَى إذ لم يَنَالُوا سعيَهُ ... فالقوم أعداءٌ له وخصوم

كضرائرِ الحسْناءِ قُلنَ لوَجهها ... حَسَدًا وظُلمًا إنه لذمِيمُ

عيون الأخبار ٤٠٦/ ٢.

* وقال بعضهم: الحسدُ أوّلُ ذنبٍ عُصِيَ الله به في السماءِ، يعني حسدَ إبليسَ آدمَ، وأوّل ذنب عُصِي الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم أخاه حتى قتلَه. عيون الأخبار ٤٠٨ / ٢.

* وقال الأصمعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت **أعرابيًّا** قد أتتْ له مائةٌ وعشرون سنةً، فقلت له: ما أطوَل عمرَك!.

فقال: تركت الحسدَ فَبقِيتُ. عيون الأخبار ٤٠٨/ ٢.

* وقال بعضهم:

إذا شئتَ أن تلقَى عدوَّك راغمًا ... وتقتله حُزنًا وتحرقه غمّا

فسام العلا وازدد من الفضْل إنّه ... من ازداد فضلًا زاد حاسده همّا

البداية والنهاية١١/ ٣٦٤.

* وقال بعضهم:

ألا قلْ لمن كان لي حاسدًا أتدْري على من أسأتَ الأدبْ

أســأتَ علــى الله في فعلــهِ لأنّك لم ترض لي ما وهبْ

فجــازاك عنــي بــأن زادني وسدَّ عليك وجـوه الطلـبْ

البداية والنهاية ١٢/ ٣٦.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق، والمؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط. تهذيب الحِلْية ٣/ ١٤.

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: افتقدتُ الأخلاق فإذا أشدها وبالًا على صاحبها الحسد، فإنه التأذي بما يتجدد من نعمة الله، فكلما تلذّذ المحسود بنعم الله تعالى تأذى الحاسد وتنغَّص، فهو ضد لفعل الله تعالى، ساخط بما قسمه، متمنٍّ زَوال ما منحه خلقَه، فمتى يطيبُ بهذا عيشٌ ونعمٌ تنثال انثيالا؟! الآداب الشرعية ١/ ٨٧.

* وقال **أبو القاسم التنوخي اللغوي القاضي الحنفي** (ت: ٤١٧):

وكلٌّ أداريـه علـى حسْـب حالـه سوى حاسدي فهْي التي لا أنالُها

وكيـف يـداري المرءُ حاسدَ نعمةٍ إذا كان لا يرضيـه إلاّ زوالهـا

تاج التراجم (٢٦٢).

* وقال ابن طاهر: سمعت أصحابنا بهراة يقولون: لما قدم السلطان «ألب أرسلان» هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه، ودخلوا على الشيخ **أبي إسماعيل الأنصاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١)، وسلموا عليه، وقالوا: قد ورد السلطان، ونحن على عزمٍ أن نخرج ونسلِّم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام

على الشيخ الإمام، ثم نخرج إلى هناك، وكانوا قد تواطؤوا على أنْ حملوا معهم صنمًا من الصُّفْر صغيرا، وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ، وخرجوا وخرج الشيخ من ذلك الموضع إلى خلوته.

ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري، وقالوا له: إنه مجسِّم، فإنه يترك في محرابه صنما، ويقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ على صورته، وإن يبعث السلطان الآن يجد الصنم في قبلة مسجده، فعظُم ذلك على السلطان، وبعث غلامًا ومعه جماعة، ودخلوا الدار، وقصدوا المحراب، وأخذوا الصنم من تحت السجادة، ورجع الغلام بالصنم، فوضعه بين يدي السلطان.

فبعث السلطان بغلمان، وأحضر الأَنصاري: فلما دخل رأى مشايخ البلد جلوسًا، ورأى ذلك الصنم بين يدي السلطان مطروحا، والسلطان قد اشتد غضبه، فقال له: ما هذا؟ قَالَ: هذا صنم يُعمل من الصفر شِبه اللُّعبة.

فقال: لستُ عن هذا أسألك، فقال: فعن ماذا يسأل السلطان.

قَالَ: إنَّ هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا الصنم، وأنت تقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ على صورته، فقال الأنصاري: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور:١٦]، بصوتٍ جَهْوري وصولة.

فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمر به فأُخرجَ إلى داره مُكرَمًا، وقال لهم: اصدقوني القصة، أو أفعل بكم وأفعل، وذكر تهديدًا عظيمًا، فقالوا: نحنُ في يد هذا الرجل في بليةٍ من استيلائه علينا بالعامة، وأردنا أن نقطع شرَّه عنا.

فأمر بهم، ووكل بكل واحدٍ منهم، ولم يرجع إلى منزله حتى كتب خطه بمبلغ عظيم من المال، يؤديه إلى خزانة السلطان جنَايَة، وسلموا بأرواحهم بعد الهوان العظيم.[1] ذيل الطبقات (١/ ١٢٦).

---

(١) انظر إلى التحاسد بين الأقران كيف يفعل، حتى جعلت هؤلاء -الذين هم من طلاب العلم-=

* وقال **بعض الحكماء**: يكفيك من الحاسد أنه يغتم في وقت سرورك.

وقيل في **منثور الحكم**: عقوبة الحاسد من نفسه.

وقال **الشاعر**:

اصبر على كيد الحسو د فإنّ صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

أدب الدين (٤٣٢-٤٣٣).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): ليكن مما تَصْرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألا تكون حسودًا.

فإن الحسد خلقٌ لئيم، ومن لؤمه أنه يُوكّل[1] بالأدنى فالأدنى من الأقارب، والمعارف، والخلطاء، والإخوان.

فليكن ما تُقابل به الحسد: أن تعلم أن خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك، وأنّ غُنمًا حسنًا لك أن يكون عشيرك وخليطك أفضلَ منك في العلم فتقتبس من علمه، وأفضلَ منك في القوة فيدفع عنك بقوته، وأفضل منك في المال فتُفيد من ماله، وأفضلَ منك في الجاه فتصيب من حاجتك بجاهه، وأفضلَ منك في الدين فتزداد صلاحًا بصلاحه. الأدب الكبير (١٠٦).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

وأظلم أهل الظّلم من بات حاسدًا لمن بات في نعمائه يتقلّب

ديوان المتنبي (٣٥).

* وكان **فتُّوح بن الغزَّال البَاغَانيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٤٦) من أهلها[2]، فاضلًا فقيهًا

=يفترون على الشيخ بأنه يعبد صنمًا، وقد وضعوه في بيته، رغبةً في قتل السلطان له، والسبب في ذلك أن الناس قد أقبلوا عليه وأحبوه!

(١) أي: يُلازم.

(٢) أي: من باغانة.

موسرًا خيرًا، حسن الطريقة، منظورًا إليه ببلده، رأس على مَن فيها من أهلها من العلماء بعلمه وخيره، ومكانته من السلطان.

فكان صاحب القيروان يخاطبه في أمر بلده، فحسده على ذلك كلُّ مَن كانت له بها رئاسة، مِن عربها وعجمها، فاتفقت كلمتهم على إغراء العامل به، والسلطانُ مشغول بفتنة القيروان إذ ذاك المذهلة.

فأجابهم، ووجه فيه بأمر، فقتله بالرماح بحضرتهم، وبقي مطروحًا يومين، وكان ذلك كله سنة ست وأربعين.

وعجل الله بالانتقام من الْمُغرين به، فخرج جماعة منهم صحبة الفقيه المعروف بابن عفيف من فقاء باغانة، للقاء العرب من أهلها، لشحناء وقعت بين العرب والعجم، فتغلَّبوا على العرب فقتلوهم، إلا ابن عفيف، ثم سلَّط الله العجم عليهم، فقتلوا العرب وانتقم الله للفقيه من الجميع. ترتيب المدارك (٤/ ٣٤٣-٣٤٤).

* وقال الشاعر:

وإذَا أرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضيلَةٍ ... طُوِيَتْ أتَاحَ لَهَا لِسانَ حَسُودِ
لوْلَا اشْتِعالُ النَّارِ فِيما جَاورَتْ ... ما كانَ يُعرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ

أدب الدين (٤٣٥).

* وكان الشيخ **عبدالله بن مسلم التميمي** (ت: ١٣٤١) كفيف البصر منذ صغره، لكنه يتوقّد ذكاءً وفطنةً، وقد أخذ العلم عن علماء نجد حتى أدرك إدراكًا تامًّا، وحصّل الأصول والفقه.

قال الشيخ علي الهندي: «كان آية في فقه الحنابلة، مع تحصيلٍ في سائر العلوم». ا.هـ[1].

(١) زهر الخمائل: ١٦

وأما اطلاعه على العلوم فكان واسعًا في جميع العلوم الشرعية، وكان من محفوظاته: «منتقى الأخبار»، وكان مُعاصرًا لأبناء الشيخ عبد اللطيف آل شيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويرى نفسه أكثر منهم علمًا، وأكثر مؤهلا، ومع ذلك مقامهم عند الخاصة والمسؤولين وعند العامة أكبر منه، وكان ذلك يُؤمله ويُحزنه، ويُظهر ذلك[١]، وكان عنده امرأةٌ صالحة تُهوّن عليه الأمر، ولكنه لم يُطق ذلك، فذهب إلى آل رشد في حائل وأقام عندهم، وكانت الحرب في ذلك الوقت قائمةً بين الحكومتين: آل سعود وآل رشيد، فرفع آل الرشيد مقامه وعرفوا قدْره، فلما نشب القتال بين الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأهل حائل بقيادة محمد بن طلال بن رشيد جعل الشيخ عبدالله يُحرّض المدافعين من أهل حائل على القتال ضد ابن سعود وجنده.

وكان يرمي المدافعين بأنهم خوارج يُكفّرون الناس بالذنوب، ويقول لأهل حائل: إنّ القاتل منكم سعيد، والمقتول شهيد، هكذا أخبرني بعض من شهد المعركة بين الطرفين.[٢] علماء نجد (٤/ ٣٩٤-٣٩٥).

* وفي آخر عام ١٣٦٩هـ حدث شَغَب بمناسبة تقرير بعض الأساتذة المصريين في مسجد السويطي، وذلك أنَّ أحد الطلبة نقد المقرِّر ووشى به إلى القاضي، فبعث عما حدث للمعارف، فعُزل المصري عن وظيفته، فقام بالمطالبة

---

(١) أعوذ بالله من ذلك.

(٢) انظر إلى الحسد كيف يؤول بصاحِبه، فالعاقل الحصيف يجتهد أشد الاجتهاد على إخراجه من قلبه، ويجتهد في تعويد نفسه على حب الخير للمسلمين، وإذا رأى الناس يُثنون على أحد ولو كان أقل منه علما أو منصبا أو أصغر منه فليفرح.

وكم من طالب فاق شيخه علما ونفعا وبركة، فلا يجوز للشيخ إذا رأى نبوغ أحد طلابه وإقبال الناس عليه أن يكون في صدره شيء.

ويا رُبَّ فرعٍ فاق بالبذلِ أصْله ... وإن أخَّرَتْه أزمنٌ وعُصُور

والمؤمن التقي همّه نصرة وخدمة الإسلام والمسلمين، سواء كان ذلك على يده أو على يد غيره، ولو كان أصغر منه سنًّا، أو أقل منه علما أو جاها أو منصبا.

وتفرَّق الناس إلى صنفين، فصنفٌ أيَّده وقال: لا محظور فيما قاله، وقالوا: قد سبقه السيوطي فيما قاله في (الإتقان)، ومنهم شيخنا عبدالرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وثُلَّة من الطلبة.

وصنفٌ نقدوه وشدُّوا أزْر القاضي، وطال النزاع وكثرت الوشايات والمقالات المُغْرِضة، فأورثتْ بين الشيخَين عبدالرحمن ابن سعدي والقاضي، فحاول القاضي عزله من إمامة وخطابة الجامع، وقال لشيخنا محمد العبدالعزيز المطوع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نصَّبناك إمامًا في الجامع، فقال: ما كان ينبغي لمثلي أن يحُلَّ محلَّ شيخنا، فضجَّ الناس، وأبرقوا للملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يطلبون تأييد شيخنا ابن سعدي، فأجابهم الملك لتأييده مدة حياته، فعند ذلك تَنَكَّر الناس عليه، وتعكَّر صفو الحياة، وتحزَّب الناس، فلما رأى ذلك ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وطلب الإعفاء من منصبه فأعفي.

فتعيّن مدرسا بالمعهد العلمي بالرياض، وتوالت عليه أمراض كانت تعتاده، فوافاه أجله المحتوم سنة (١٣٧٤)، وصلى عليه شيخنا عبدالرحمن ابن سعدي صلاة الغائب في عنيزة.[(١)] علماء نجد (٣/ ١١٣-١١٤).

---

(١) صفاء القلب من الحقد والحسد كرامة وهِبة من الله، فاطلبها منه.

فمع ما قام به القاضي تجاه الشيخ السعدي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وسعيه في عزله عن الإمامة والخطابة إلا أنه لم يحقد عليه، بل صلى عليه صلاة الغائب لما مات، فيا لها من قلوب ما أطهرها.

العدل وذم الظلم(١)

* اشترى **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فرسًا من رجل على أن ينظر إليه، فأخذ الفرس فسار به فعطب، فقال لصاحب الفرس: خذ فرسك؟ فقال: لا! قال: فاجعل بيني وبينك حكمًا، قال الرجل: شريح، قال: ومن شريح؟ قال: شريح العراقي، قال: فانطلقا إليه فقصا عليه القصة، فقال: يا أمير المؤمنين رد كما أخذته، أو خذ بما ابتعته، فقال عمر: وهل القضاء إلا هذا، سر إلى الكوفة، فإنه لأول يوم عرفه يومئذ. تهذيب الحِلْية ٦٩/ ٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أُمُورُ النَّاسِ تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي فِيهِ الِاشْتِرَاكُ فِي أَنْوَاعِ الْإِثْمِ: أَكْثَرُ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْمِ فِي الْحُقُوقِ وَإِن لَمْ تَشْتَرِكْ فِي إثْمٍ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: إنَّ اللهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِن كَانَت كَافِرَةً، وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِن كَانَت مُسْلِمَةً.

وَيُقَالُ: الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكُفْرِ وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِسْلَامِ.

وَقَد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ ذَنْبٌ أَسْرَعَ عُقُوبَةً مِن الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»، فَالْبَاغِي يُصْرَعُ فِي الدُّنْيَا وَإِن كَانَ مَغْفُورًا لَهُ مَرْحُومًا فِي الْآخِرَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ نِظَامُ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا أُقِيمَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِعَدْلٍ: قَامَتْ وَإِن لَمْ يَكُن لِصَاحِبِهَا فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ.

وَمَتَى لَمْ تَقُمْ بِعَدْلٍ: لَمْ تَقُمْ وَإِن كَانَ لِصَاحِبِهَا مِن الْإِيمَانِ مَا يُجْزَى بِهِ فِي الْآخِرَةِ. مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٦)

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف على حدّ، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل.

ولست تجد فسادا إلا وسبب نتيجته الخروج فيه من حال العدل إلى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والنقصان، فإنه لا شيء أنفع من العدل، كما لا شيء أضر مما ليس بعدل. أدب الدين (٢٢٥، ٢٣٠).

* وقال **لمحمد بن مسلمة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٤٣): كيف تراني يا محمد؟ فقال: أراك والله كما أحب، وكما يحب من يحب لك الخير، أراك قويًّا على جمع المال، عفيفا عنه، عادلا في قسمه، ولو ملت عدَّلناك، كما يُعدَّل السهم في الثقاف[1]، فقال عمر: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني. الزهد لابن المبارك (٤٧٣).

* ودخل **عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) على غلام له يعلف ناقة، فرأى في علفها شيئا كرهه، فأخذ بأذن غلامه فعركها، ثم ندم فقال له: خذ بأذني فاعركها، فأبى الغلام، فلم يدعه حتى أخذ بأذنه، فجعل عثمان يقول له: شد، شد، حتى ظن أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ منه، قال عثمان: واها[2] لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٥٠.

* وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ قَالَ: أَتَيْتُ **عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ[3] لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «**اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**».[4] صحيح مسلم (١٨٢٨).

---

(١) الثقاف: ما تسوى به الرماح.

(٢) كلمة تعجب تقال للشيء الطيب الحسن.

(٣) أي: الأمير على مصر، مَن قِبل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو معاوية بن خديج، بعدما تغلّب على أميرها من قِبل عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو محمد بن أبي بكر، وقد قتله معاوية.

(٤) هذا من إنصافها وعدلها، حيث ذكرت الحديث الذي فيه مدحٌ لهذا الأمير الذي قتل أخاها.

فيُستفاد من ذلك: أنَّ قول الحقِّ وذكرَ فضلِ ذي الفضل أمرٌ مُرغَّبٌ فيه مع العدو والصديق، ولا يُمْتنع منه لسبب عداوةٍ ونحوها.

* وقال **أبو الدرداء** (ت: ٣٢): إن أبغض الناس إليّ أن أظلمه الذي لا يستعين عليّ إلا بالله عَزَّوَجَلَّ. الزهد لأبي داود (٢٠١).

* وعن الزهري أن **أبا الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انتهى إلى جارية له ترعى غنما، فأعطى جاريته فرسه، ثم قال: لا يغلبك، ثم طاف في غنمه، فانفلت الفرس، فجالت[١] الغنم حتى تكسر عامتها، فجاء أبو الدرداء إليها يشتد رافعا السوط، حتى إذا دنا منها كف وقال: لولا القود[٢] لأوجعتك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٤٩.

* ودَعَا **ابْنَ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) بِغُلَامٍ لَهُ فَرَأَى بِظَهْرِهِ أَثَرًا، فَقَالَ لَهُ: أَوْجَعْتُكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَنْتَ عَتِيقٌ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ: مَا لِي فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا يَزِنُ هَذَا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**». صحيح مسلم (١٦٥٧).

* وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ **سُوَيْد بْنِ مُقَرِّنٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا فَهَرَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَ **أَبِي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَعَاهُ وَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: امْتَثِلْ مِنْهُ[٣]، فَعَفَا، ثُمَّ قَالَ: كُنَّا بَنِي مُقَرِّنٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْسَ لَنَا إِلَّا خَادِمٌ وَاحِدَةٌ، فَلَطَمَهَا أَحَدُنَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «أَعْتِقُوهَا»، قَالُوا: لَيْسَ لَهُمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا، قَالَ: «فَلْيَسْتَخْدِمُوهَا، فَإِذَا اسْتَغْنَوْا عَنْهَا فَلْيُخَلُّوا سَبِيلَهَا». صحيح مسلم (١٦٥٨).

* وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا **أَبَا الْيَسَرِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٥)، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ

---

(١) أي هاجت واضطربت.

(٢) القَوَد: القصاص ومجازاة الجاني بمثل صنيعه.

(٣) أي افعل به مثل ما فعل بك.

وَمَعَافِرِيٌّ(١)، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ.

فَقُلْتُ لَهُ أَنَا: يَا عَمِّ لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ، وَأَعْطَيْتَهُ مَعَافِرِيَّكَ، وَأَخَذْتَ مَعَافِرِيَّهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: اللهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، يَا ابْنَ أَخِي بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا -وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ- رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ».

وَكَانَ أَنْ أَعْطَيْتُهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. صحيح مسلم (٣٠٠٧).

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): لو أن جبلًا بغى على جبل لدُك الباغي. تهذيب الحِلْية ٢٢٨/ ١.

* وسمع **ابن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) رجلًا يدعو على من ظلمه، فقال: اقصِر يا هذا، لا يَرْبَح عليك ظالمك. عيون الأخبار ١١٩ / ١.

* وقال بعضهم:

ما يدخُل السجنَ إنسانٌ فتسأله ... ما بالُ سجنك إلا قال مظلومُ

عيون الأخبار ١١٩/ ١.

* وعن **حسان بن عطية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠): قال: يعذب الله الظالم بالظالم، ثم يدخلهما النار جميعًا. تهذيب الحِلْية ٢٦٨/ ٢.

* وكتب **عُمرُ بنُ عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) إلى بعض عماله: أمَّا بعدُ، فإذا دَعَتْكَ قُدْرَتُك على النَّاس إلى ظُلمِهِمْ، فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونَفَادَ ما تَأتِي إليهم، وبقَاء ما يأتُونَ إليك. تهذيب السِّير ٢/ ٥٨٩.

---

(١) البردة شملة مخططة، وقيل كساء مربع، فيه صغر يلبسه الأعراب، والمَعافري نوع من الثياب يعمل بقرية تسمى مَعافر.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا أراد أن يُعاقِبَ رجلًا حبسه ثلاثًا، ثم عاقبه كراهية أن يعجلَ في أوَّل غضبه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٩٠.

* وعن يحيى الغساني قال: لما ولاني **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ الموصل، قدمتها فوجدتها من أكبر البلاد سرقًا ونقبًا، فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد، وأسأله آخذ من الناس بالمظنة، وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه عادة الناس؟ فكتب إلي أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله.

قال يحيى: ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقله سرقًا ونقبًا. تهذيب الحِلْية ٢٠٤/ ٢.

* وعن رباح بن عبيدة قال: كنت قاعدًا عند **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه، فقال عمر: مهلًا يا رباح، إنه بلغني أن الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم عليه الفضل. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٦٩.

* وكتب بعض عمال إليه: أما بعد: فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالًا يرمها به فعل.

فكتب إليه عمر: أما بعد: فقد فهمت كتابك وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصِّنها بالعدل، ونقِّ طرقها من الظلم، فإنه مرمَّتُها والسلام. تهذيب الحِلْية ٢٢٤/ ٢.

* وقال **بعض البلغاء**: السلطان السوء يُخيف البريء ويصطنع الدنيء، والبلد السوء يجمع السُّفَّل ويورث العلل، والولد السّوء يشين السَّلف ويهدم الشرف. أدب الدين (٢٣٠).

* وقال **بعض الحكماء**: الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش. أدب الدين (٢٣١).

* وقال **الفضيلُ بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): والله ما يَحِلُّ لك أن تؤذيَ كلبًا ولا خنزيرًا بغير حقٍّ، فكيف تُؤذي مسلمًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٤.

* وقال **أبو عمران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة، أمر الله تعالى بكلّ جبار، وكلّ شيطان، وكلّ من يَخاف الناس من شرّه في الدنيا، فيُوثَقون في الحديد، ثم أُمر بهم إلى النار، ثم أوصَدَها عليهم - أي طبقها -، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدًا، ولا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبدا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدًا، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدًا.

ثم يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطانًا ولا جبارًا، وكلوا اليوم واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية. تهذيب الحِلْية ١/٤٠٢.

* وقال **بعضهم**:

تفرحُ أَن تغلبني ظالمًا … والغالبُ المظلومُ لو تعلم

* وقال آخر:

ونستعدي الأمير إذا ظُلمنا … فمن يُعْدِي إذا ظَلم الأميرُ

عيون الأخبار ١/١١٧.

* وقال **يوسف بن أسباط** (ت: ١٩٩) **والحسن البصري** (ت: ١١٠) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٥٤، تهذيب الحِلْية ٣/٥٧.

* وسمع **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٩) رجلا يدعو على رجل، فقال: كِلِ الظالم إلى ظُلمه، فإنه أسرع إليه من دعائك عليه، إلا أن يتداركه بعمل، وقَمِن أن لا يفعل.[1] الزهد لأبي داود (٣٨٦).

* وعن **محمد بن كعب القرظي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨) قال: ثلاث خصال من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر. وقرأ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس:٢٣]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح:١٠]. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٤٤.

* وجاء رجل إلى **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) فقال له: نكتب عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ منصور الطوسي (ت: ٢٥٤)؟ فقال: إذا لم تكتب عَنْ مُحَمَّدِ بن منصور فعمن يكون ذلك؟ -مرارًا- فقال له الرجل: إنه يتكلم فيك، فقال أَحْمَد: رجل صَالِح ابْتُلي فينا فما نعمل؟[2] طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥).

* وقال **الشاعر**:

أمـا والله إن الظلـم شـؤْم ... ومـا زال المسيء هـو الظلوم

إلى ديـان يـوم الديـن نمضي ... وعنـد الله تجتمـع الخصـوم

سـتعلم في المعـاد إذا التقينـا ... غدا عند المليك من الظلوم

أدب الدين (٢٢٥).

* وكان **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩) يستعمل الإنصاف، ويقول: ليس في الناس أقلّ منه، فأردتُ المداومةَ عليه. ترتيب المدارك (١/ ١٠٥).

---

(١) صدق رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومعنى كلامه: كِلْ أمر الظالم إلى ظُلمه، فإن شؤم ظلمه أسرع إليه من دعائك عليه، إلا أن يتداركه بعمل صالح أو توبة نصوح، وحريّ أن لا يفعل؛ لأنّ السيئة تجرّ السيئة.

(٢) هذا والله التجرد والإنصاف والعدل، حيث لم يمنعه ما نُقل عنه من الكلام فيه من الثناء عليه بالصلاح، والحث على الرواية عنه، والاستفادة منه.

* وقال بشر بن عمر: جئت مع مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ من منزله حتى دخل المسجد، فانتهى إلى جماعة، فوُسِّع لي في صدرها، فأبى وجلس حيث انتهى به المجلس، فقلت في نفسي: هذا رجل مُنصِف، كما لا يوسع لأحد في مجلسه لا يقعد في صدور مجالس الناس. ترتيب المدارك (١/ ١٧٤).

* وقال **محمود الوراق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢١):

اصبر على الظلم ولا تنتصر فالظلم مردودٌ على الظالمِ

وكِلْ إلى الله ظلومًا فما ربي عن الظالم بالنائمِ

* وقال آخر:

وما من يد إلا يد الله فوقها وما ظالمٌ إلا سيُبلى بأظْلَم

الآداب الشرعية ١/ ١٤٢.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): بئسَ الزادُ إلى المَعَادِ العدوانُ على العباد. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٤٩.

* وعن قحطبة بن حميد أنه قال: كنت واقفًا على رأس **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٨) يومًا وقد قعد للمظالم، فأطال الجلوس حتى زالت الشمس، وإذا امرأة قد أقبلت تعثر في ذيلها حتى وقفت على طرف البساط، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم، فأقبل يحيى عليها فقال: تكلمي. فقالت: يا أمير المؤمنين، قد حيل بيني وبين ضيعتي، وليس لي ناصر إلا الله. فقال لها يحيى بن أكثم: إن الوقت قد فات، ولكن عودي يوم الخميس قال: فرجعت، فلما كان يوم الخميس قال المأمون: أوّل من يدعى المرأة المظلومة، فدعا بها، فقال: أين خصمك؟ قالت: واقف على رأسك يا أمير المؤمنين، قد حيل بيني وبينه، وأومأت إلى العباس ابنه، فقال لأحمد بن أبي

خالد: خذ بيده وأقعده معها، ففعل، فتناظرا ساعة حتى علا صوتها عليه، فقال لها أحمد بن أبي خالد: إنك تناظرين الأمير أعزه الله بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، فأخفضي عليك، فقال له المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحق أنطقها، والباطل أخرسه، فلم تزل تناظره حتى حكم لها المأمون عليه، وأمر بردّ ضيعتها، وأمر ابن أبي خالد أن يدفع لها عشرة آلاف درهم. المنتظم ١٠/ ٦٥.

* وقال بعضهم:

وظلـمُ ذَوِي القُرْبَى أشـدُّ مَضاضـةً ... على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

عيون الأخبار ٣/ ٩١.

* وقَصَد **ملكَ شاه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٨٥) رجلان من أهل البلاد السفلى من أرض العراق، فتعلقا بركابه وقالا: نحن من أسفل واسط من قرية تعرف بالحدادية، مقطعة لخمارتكين الحلبي، صادَرَنا على ألف وستمائة دينار، وكسر ثنيتي أحدنا - والثنيتان بيده -، وقد قصدناك أيها الملك لتقتص لنا منه، فقد شاع من عدلك ما حملنا على قصدك، فإن أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك وإلا فالله الحاكم بالعدل بيننا.

وفُسِّر على السلطان ما قالاه، فنزل عن فرسه وقال: ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني إلى دار حسن - وهو نظام الملك رَحِمَهُ اللَّهُ - فأفزعهما ذلك، ولم يُقْدما عليه، فأقسم عليهما إلا فعلا، فأخذ كل واحد منهما بطرف كمه وسارا به إلى باب النظام، فبلغه الخبر، فخرج مسرعًا وقال: أيها السلطان المعظم، ما حملك على هذا؟ فقال: كيف يكون حالي غدًا بين يدي الله إذا طُولبت بحقوق المسلمين، وقد قلّدتك هذا الأمر لتكفيني مثل هذا الموقف، فإن تطرَّق على الرعية ثَلْمٌ لم يتطرق إلا بك وأنت الْمُطالَب، فانظر بين يديك، فعاد من وقته،

فكتب بعزل خمارتكين وحل إقطاعه، وردّ المال إليهما وقلع ثنيتيه إن ثبت عليه البينة، ووصلهما بمائة دينار، وعادا من وقتهما. المنتظم ٣١١-٣١٢/ ١٦.

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَمَّا تعرّض الشيخ **عثمان بن سند** (ت: ١٢٥٠) للإمام تقيّ الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعرّض بإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ردّ عليه الشيخ عثمان بن منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٨٢) ردًّا مُوجعًا مُؤلما مفحمًا بقصيدة عُرفت بـ (الرد الدامغ على من اعتقد أنّ شيخ الإسلام زائغ).

ومؤلفات الشيخ عثمان بن سند كثيرة جدًّا ومفيدة؛ لأنها ليست مجرد نقل، وإنما كتبها من علومٍ هضمها، ومعارف شَرِبها، فجاءت مؤلفاته بأفكار حرّة من معارفه الخاصة، وبمعانيه المبتكرة، وصاغها بأسلوبه الأدبي، وجُمَله البليغة، ومن هذه المصنفات[1]: (الصارم القرضاب في نحر من سبّ أكارم الأصحاب)، وهي مجموعة شعريّةٌ تضمّنت أكثر من ألفي بيت، وجميعها في الردّ على الشاعر الشيعي دِعبِل الخزاعي.

إنّ الشيخ عثمان بن سند من كبار العلماء، ونوابغ البلغاء، وفحول الشعراء، وإنه موسوعةٌ علميّة في كلّ باب من أبواب العلم، وفي كلّ فنٍّ من فنون الأدب، فهو عالمُ عصره، وعلامة مِصره.

ونحن نثني عليه وندعو له حينما تصدّى للشاعر الخبيث دِعْبل الخزاعي الذي تهجّم -قبّحه الله- على سادات الصحابة؛ أبي بكر وعمر وطلحة وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأندادهم، فهجاهم وشتمهم وازدراهم، فتصدّى له الشيخ عثمان بن سند بالردّ عليه بمجموعة شعره «الصارم القرضاب في نحر من سبّ أكارم الأصحاب»،

---

(١) وقد ذكر خمسة وأربعين مصنَّفا، ثم قال: ليتَ بعض الشباب الجادّ حاول جمع تراثه وقدّم فيه شهادة؛ فإنها ستنال إعجاب العلماء والمفكّرين.

فكان في هذا الردّ البليغ ما يَشفي العليل ويروي الغليل.

ونحن نعتب على الشيخ عثمان ونلومه -وهو النجدي الأصل، ونجد هي منبت السلفيّة- أن ينحاز مع المنحرفين عن هذه الدعوة السلفية، ويكون مع أصحاب الطرق الصوفية، ثم لا يكفيه هذا حتى تناول بالسَّبِّ والنقد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب المدرسة السلفية، مما جعل الشيخ عثمان بن منصور الناصريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يردّ عليه، وهو معاصر له، ومُجاوره في العراق مدّةَ الطلب.[١] علماء نجد (٥/ ٨٥، ١١٨-١٢٣).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

والظلم من شِيم النفوس فإنْ تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم[٢]

---

(١) هذا من عدل وإنصاف الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي سار فيه على هدي ومنهج الصحابة والسلف الصالح ومن تبعهم بإحسان، فقد ذكر محاسن الشيخ عثمان وبالغ في الثناء على جهوده، وذكر كذلك مساوئه وأخطاءه بلا زيادة ولا قذف وحطّ من قدره، مع فداحة ما قام به، حيث طعن على شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، التي امتلأ قلب الشيخ عبدالله وغيره بحبه والإعجاب بعلومه وكتبه، وملأ كتبه بالنقل عنه، والجزم القاطع أن ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المجددين المجاهدين، وأن الشيخ عثمان أخطأ خطأ لا يحتمل الصواب.

وهكذا يجب على كل مسلم أن يتعامل مع من جاء بحق وباطل، وخير وشرّ، ما لم يكن الباطل والشر غالبًا عليه، فيُحذّر منه لئلا يغتر به الناس.

وذكر الشيخ عبدالله بن بسام كذلك أنّ الأمير عبدالله بن فيصل بن فرحان طبع كتاب محمد بن علي بن سلّوم (ت: ١٢٤٦) (شرح متن البرهانية)، وصدّر له الشيخ عمر بن حسن آل شيخ، وقال الشيخ عمر عن مؤلفه ابن سلّوم: إنه ممن شَرِق بالدعوة السلفية، لكنه لا يُدرى ما آل إليه أمره.

(٢) وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء: إما عقل زاجر، أو دين حاجز، أو سلطان رادع، أو عجز صاد.

فإذا تأملتها لم تجد خامسا يقترن بها، ورهبة السلطان أبلغها؛ لأن العقل والدين ربما كانا مضعوفين، أو بدواعي الهوى مغلوبين، فتكون رهبة السلطان أشد زجرا وأقوى ردْعا. أدب الدين (٢١٨).

* وقال:

ولـم تـزل قلـة الإنصـاف قاطعـةً بين الرّجال ولو كانوا ذوي رحـم[1]

ديوان المتنبي (٢٣٩، ٢٤٨).

(١) يقول: إنهم لما لم ينصفوا في إنزالنا منازلنا ففارقناهم، لأن قلة الإنصاف تقطع بين الناس، وإن كانوا ذوي قربي.

مكائدُ الشيطان ووسوسته، والحذر منه[(١)]

* ذُكر الغِيلان[(٢)] عند **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فقال: إن أحدا لا يستطيع أن يتغير عن صورته التي خلقه الله تعالى عليه، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم من ذلك شيئا فأذِّنوا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٢٩.

* وعن **سعد بن أبي وقاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) قال: أُمرنا إذا رأينا الغول أن ننادي بالصلاة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣٢.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: لما ضرب الدينار والدرهم أخذه

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبر تعالى بأن الشيطان عدو، وخبره حق وصدق، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم، وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال جل من قائل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة:١٦٨]، وقال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨]، وقال: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء:٦٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة:٩١]، وقال: ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص:١٥]، وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر:٦]، وهذا غاية في التحذير، ومثله في القرآن كثير. تفسير القرطبي (٣/ ١٣).

ومِن أحسن من تكلم في هذا الباب، وعن مداخل الشيطان على الناس والعباد وأهل العلم: ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: تلبيس إبليس، فقد أجاد وأفاد.

(٢) الغيلان: جمع غُول، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا، أي تتلون تلونا في صور شتى، وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٦).

إبليس فوضعه على عينيه وقال: أنت ثمرة قلبي وقرة عيني، بك أطغي، وبك أكفر، وبك أدخل النار، رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدك. تهذيب الحِلْية ١/٢٣٠.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: شيطان المؤمن مهزول. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣٥.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مثل المحقَّرات من الأعمال مثل قوم نزلوا منزلا ليس به حطب ومعهم لحم، فلم يزالوا يلْقُطون حتى جمعوا ما نضَّجوا به لحمهم. الزهد لهناد (٨٩٣).

* وقال **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) عن السّوق: لا تكن أول أهلها دخولا، ولا آخرهم منها خروجا؛ فإنها حيث باض الشيطان وفرخ. الزهد لهناد (٦٧٥).

* وقال **مطرّف بن الشخير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): لو أن رجلًا رأى صيدًا والصيد لا يراه يختله أليس يوشك أن يأخذه، قالوا: بلى! قال: فإن الشيطان هو يرانا، ونحن لا نراه فيصيب منا. تهذيب الحِلْية ١/٣٦١.

* وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: وجدت العبد مُلْقى بين ربه تعالى وبين الشيطان، فإن اسْتنقَذه نجا، وإن تركه للشيطان ذهب به. الزهد لابن المبارك (٢٨٣).

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: لم ير إبليس ابن آدم ساجدًا قط إلا التطم ودعا بالويل، ثم يقول: أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فلم أسجد فلي النار. تهذيب الحِلْية ٢/ ١١.

* وقال **بعض السلف**: وجدت التسويف جندًا من جنود إبليس، قد أهلك خلقًا من خلق الله كثيرًا. تهذيب الحِلْية ٢/٢٥٩.

* وعن **الحسن بن صالح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٩) قال: إن الشَّيطانَ ليفتح للعبد تسعةً وتسعين بابًا من الخير، يريد بها بابًا من الشَّر.(١) تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٠٣.

* ودخل **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) المسجدَ فوَسْوَس إليه الشيطانُ: إنك قد أحدثتَ بعد وُضُوئك! فقال: وقد بَلَغ هذا من نصحك! عيون الأخبار ٧٣٧/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداوما في طاعة الله: ملّك ورفضك، وإذا كنت مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): لا تَجيءُ الْوساوِسُ إلَّا إلى كُلِّ قلْبٍ عامرٍ، رأيْتَ لِصًّا يأْتي الْخرابةَ يَنْقُبُها وهُو يَدْخُلُ مِنْ أيِّ الْأبوابِ شاءَ؟. تهذيب الحِلْية ٣/١٨٣.

* وشكا إليه رجلٌ الوسواس فقال: إن أردت أن ينقطع عنك فإن أحسست بها(٢) فافرح بها، فإنك إذا فرحت بها انقطع عنك، فإنه ليس شيء أبغض إليه من سرور المؤمن، وإن اغْتَمَمْت منها زادك. الحلْية (٩/ ٢٦٠).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنت لا تطيع من يحسن إليك(٣)، فكيف تُحسن إلى من يسيء إليك(٤). صفة الصفوة ٤/ ٤٨٥.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهاهنا لطيفة للشيطان لا يتخلص منها إلا حاذق، وهي أن يظهر له في مظان الشر بعض شيء من الخير ويدعوه إلى تحصيله فإذا قرب منه ألقاه في الشبكة. عدة الصابرين/ ٨٦

وقال: فكل صاحب باطل لا يتمكن من ترويج باطله إلا بإخراجه في قالب حق. إغاثة اللهفان ٢/ ٩٥

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا ينفق- أي يروج - الباطل في الوجود إلا بشوبٍ من الحق. مختصر الفتاوى المصرية: ١٥٩

(٢) أي: الوساوس.

(٣) وهو الله.

(٤) وهو الشيطان.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشيطان أشد بكاء على المؤمن إذا مات من بعض أهله، لما فاته من إفتانه إياه في الدنيا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣٨.

* وعن **الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) قال: إبليس أبو الجن، كما أن آدم أبو الإنس، وآدم من الإنس، وهو أبوهم، وإبليس من الجن وهو أبوهم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣٨.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانت شجرة تُعبد من دون الله، فجاء إنسان إليها، فقال: لأقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غضبا لله، فلقيه الشيطان في صورة إنسان، فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه التي تعبد من دون الله، قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها؟ قال: لأقطعنها، فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك، لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك، قال: فمن لي بذلك؟ قال: أنا لك، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح فلم يجد شيئا، فقام غضبا ليقطعها، فتمثل له الشيطان في صورته، فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله، قال: كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل، فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله، قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان، جئت أول مرة غضبا لله فلم يكن لي سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٤٦.

* وقَالَ إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) يصلي فقال بيده هكذا -يشير بأَصْبُعَيه-، فلما سلَّم قلت: يا أبا عبدالله ما قلتَ فِي صلاتك؟ قَالَ: كنتُ عَلَى طهارة فجاء إبليس فقال: إنك عَلَى غير طهارة، فقلتُ: شاهدين عَدلين. طبقات الحنابلة (١/ ٢٨٨).

* وقَالَ **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الهمُّ هَمّان: همّ خطرات، وهمّ إصرار.[1] طبقات الحنابلة (١/ ٣٦٥).

* وقَالَ صَالِح بْن أَحْمَد بن حنبل رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ قَالَ لي **أبي**: يا بني اعلم أن إبليس موكلٌ بالمسلمين، معه خِرْج فيه رقاع حوائج بني آدم كلهم، فإذا وَقفوا للصلاة أخرجها فعرضها عليهم، ليُخرج المصلي مِن حدّ الصلاة فيشغل قلبه، واعلم أنه قد وُكِّل بي، فإذا وقفتُ لصلاةٍ وقف بحذائي، فإذا صليتُ ركعتين قَالَ لي: يا أَحْمَد قد صلَّيْتَ ثلاثة، فأقول له بيدي: «لا» بلا كلام، فلا يَزال يقول كذلك حتى أقضي الصلاة. طبقات الحنابلة (١/ ٤٦٦).

* وأتى رجلٌ إلى **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠) فجلس حتى انصرف الناس، فأخذ في البكاء، فسأله سحنون عن سبب ذلك، فذكر له أنه رأى أمرًا استعظمه، فلم يزل به حتى ذكر له أنه رأى كأن القيامة قد قامت، وحُشر الناس، وأُتِي سحنونُ، فرأى أنه أُلقي في النار، بعد أنْ لقي من الأغلال والنكال أمرًا عظيمًا، فصبّره سحنون، فأرسل في رؤساء كنيسة النصارى، فجاء إليه منهم اثنان، فسألهم هل مات لكم ميت ممن تعظمونه؟ قالوا: نعم، قال: أفرأيتم له شيئًا؟ قالوا: نعم، رؤى كثيرة، ووصفوا فيها من الخير والترفيع، فصرفهما، وقال للرجل: هل تشك أن هؤلاء وميتهم من أهل النار؟ قال: لا، فقال له: إن الشيطان يأتي للمؤمن بما يثبّطه عن الخير، ويمقت له أهله، ويأتي إلى الكفار بما يغبط إليه حاله ويثبِّته على كفره، وقد رآك تختلف إلينا فأراد أنْ يضرّك. ترتيب المدارك (٢/ ١٠٧).

---

(١) هم الخطرات يكون من القادر، فإنه لو كان همه إصرارا جازما وهو قادر لوقع الفعل، ومن هذا الباب هم يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ الآية [يوسف:٢٤].

وأما هم المرأة التي راودته فقد قيل: إنه كان هم إصرار؛ لأنها فعلت مقدورها. [مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٧٤٠)].

* وقال بعضهم: إنّ الشيطان ليقنع من الإنسان بأن ينقله من طاعة إلى طاعة؛ ليفسخ عزمه بذلك.[١] طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢١٠).

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): **من مكايد الشيطان:**

تنفيره عباد الله من تدبر القرآن لعلْمِه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعا.

ومنها: أن يُخرج جوالب الفتن[٢] مخرج التشدد في الدين.[٣].

ومنها: أن يقيم أوثانا في المعنى تعبد من دون الله مثل أن يبين الحق، فيقول: ليس هذا مذهبنا تقليدا للمعظم عنده، قد قدمه على الحق. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٦).

---

(١) وهذا يحصل كثيرا، فتجد بعض الناس يعزم على القيام عمل نافع، ثم يفتر وينتقل إلى طاعة أخرى، وهو يرى أنه فعل الأحسن والأكمل، ولم يعلم أن مضيّه في عمله الأول حتى يتمّه أحسن وأنفع له ولغيره.

(٢) الجوالب: الآفات والشدائد، مفردها: جالِبة.

(٣) أي: يبرر أعماله التي تؤدي إلى الفتن العظيمة بتمسكه بالدين واحتياطه، كما هو حال الخوارج، حيث خرجوا على الحكام وجاهروا بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر باللسان واليد، بدعوى الغيرة على الدين، والتمسك به، فحصل من ذلك فتن أعظم من الفتن التي طلبوا إزالتها ودفعها.

النصيحة والاستشارة والاستخارة(١)

* قدم معاوية بن أبي سفيان (ت: ٦٠) على عمر بن الخطاب (ت: ٢٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو أبيض وأبضّ الناس وأجملهم، فخرج إلى الحج مع عمر بن الخطاب، فكان عمر بن الخطاب ينظر إليه، فيعجب له، ثم يضع أصبعه على متنه، ثم يرفعها عن مثل الشراك، فيقول: بخٍ بخٍ، نحن إذا خير الناس إن جمع لنا خير الدنيا والآخرة، فقال معاوية: يا أمير المؤمنين، سأحدثك إنا بأرض الحمامات والريف، فقال عمر: سأحدثك ما بك، إلطافك نفسك بأطيب الطعام، وتصبحك حتى تضرب الشمس متنك، وذوو الحاجات وراء الباب! الزهد لابن المبارك (٥٣١).

* وقال معمر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٣): كان يقال: أنصح الناس من يخاف الله عَزَّوَجَلَّ فيك. الزهد لابن المبارك (١٠٧٣).

(١) بايع بعض الصحابة -كجرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- رسولَ الله ﷺ عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِم. فبايع -أخي الكريم- ربّك جَلَّ وَعَلَا على ذلك، وانْصح لكلِّ مسلم، ولا تخفْ في الله لومةَ لائم، وإذا علم الله تعالى منك الصدق وحبّ النصح: وفَّقك وسدّدك ورفعك في الدنيا والآخرة.
واحرص على المشاورة في أمورك، وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين، وثبت في أمره، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩] [١٥٩/ ٣]، وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم. الوابل الصيب لابن القيم / ١١٢
وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: من الحزم لكل ذي لبٍّ أن لا يُبْرم أمرًا ولا يمضي عزمًا إلا بمشورةِ ذي الرأي الناصح، ومطالعةِ ذي العقل الراجح؛ فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيَّه ﷺ مع ما تكفّل به من إرْشاده، ووَعد به من تأييده، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾. أدب الدين (٤٨٣)

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): المسلم مِرْآةُ أخيه. الزهد لهناد (١٠٢٧).

* وقال **الشاعر**:

النُّصْحُ أرْخَصُ ما باعَ الرِّجَالُ فلَا ... تَرْدُدْ علَى ناصِحٍ نُصْحًا ولَا تَلُم

* وقال **الآخر**:

ولَا تَمْنحَنَّ الرَّأيَ مَنْ ليس أهلَهُ ... فلَا أنتَ مَحْمُودٌ ولا الرَّأيُ نَافِعُه

أدب الدين (٤٩٢، ٤٩٤).

* واستشار عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوم يستعملهم، فقال له **بعض أصحابه**: عليك بأهل العُذْر قال: ومن هم؟ قال: الذين إن عدلوا فهو ما رجوتَ منهم، وإن قصَّروا قال الناس: قد اجتهد عمر. عيون الأخبار ٦٠/ ١.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): استخيروا الله ولا تَخَيَّروا عليه، فكم من عبد تخيّر لنفسه أمرًا كان هلاكه فيه! أَمَا رأيتموه سأل ربّه طَرَسُوسَ[١] فأُعطِيَها فأُسِرَ فصار نَصْرانيًا.[٢] عيون الأخبار ٧٣١ / ٢.

* وكان بعض المتقدمين يكثر سؤال الشهادة فهتف به هاتف: إنك إن غزوت أسرت، وإن أُسِرْت تنصرت. فكف عن سؤاله. الجامع المنتخب/ ١٤١.

* وقال بعضهم:

ورُبَّ مُلِحٍّ على بُغيةٍ ... وفيها مَنِيّتُه لو شَعَرْ

عيون الأخبار ٣/ ٩٣.

---

(١) قال في الحاشية: طرسوس: بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وكان الزهاد والصالحون يقصدونه لأنه من ثغور المسلمين.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وليَعلم العاقل أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة كل سائل عليه، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه وشقوته. فاحذر كل الحذر أن تسأل شيئا مُعَيَّنًا خِيرته وعاقبته مغيبة عنك، وإذا لم تجد من سؤاله بُدًّا فعلِّقْه على شرط علمه تعالى فيه الخِيَرَة. وقدم بين يدي سؤالك الاستخارة. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ١/ ١٦٩.

* واستشار زياد بن عبيد الله الحارثي **عبيدَ الله بن عمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧) في أخيه أبي بكر أن يوليه القضاء، فأشار عليه به، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر، فقال أبو بكر لعبيد الله: أنشدك بالله أترى لي أن أَلِيَ القضاء؟ قال: اللهم لا.

قال زياد: سبحان الله! استشرتك فأشرت عليّ به ثم أسمعك تنهاه! قال: أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحته. عيون الأخبار ٧١/ ١.

* وكان يقال: من أُعطي أربعًا لم يُمنَع أربعًا: من أُعطي الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أُعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي المشُورة لمن يمنع الصواب، ومن أعطي الاستخارة لم يمُنع الخِيرة. عيون الأخبار ٧٢/ ١.

* وقال أعرابي: ما غُبِنْتُ قط حتى يُغبَن قومي، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا أفعل شيئًا حتى أشاورهم. عيون الأخبار ٧٣ / ١.

* وقيل لرجل من بني عَبْس: ما أكثر صوابَكم! فقال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأنا ألفُ حازم.

ويقال: ليس بين الْمَلك وبين أن يملِك رعيته أو تملكه إلا حزمٌ أو تَوَانٍ. عيون الأخبار ٧٤ / ١.

* وقال **الشاعر**:

إنَّ اللبيب إذا تفرَّق أمره ... فتَقَ الأمور مناظرًا ومشاورا

وأخو الجهالة يستبدُّ برأيه ... فتراه يعْتَسِفُ الأمور مخاطرا

الآداب الشرعية ١/ ٢٤٨.

* وقال **القاضي أبو بَكْر الأرّجانيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٤٤):

شـاوِر سـواكَ إذا نابتـكَ نائبـةٌ يومًا وإن كنتَ من أهلِ المشوراتِ

فالعيـنُ تَنظـر منهـا مـا دَنـا ونَـأى ولا تـرى نفسَـها إلَّا بمـرآةِ

طبقات الشافعيين (٢/ ١٥٧).

* وقال القاضي ابن مفرج رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا قدَّم المستنصرُ **أبا بكر ابن السَّليم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٦٧) قاضيه إلى الصلاة والخطبة، وكان ذلك ليلة الفطر، كتب إلى جماعة من ثقات إخوانه يسألهم أن يصبحوا إليه، فأتيناه، فقال: أريد أن تُحفوا بي وتشهدوا خطبتي، لتَصْدقوني على نفسي، وما يُتَعَقَّب عليّ، ففعلنا، وخطب وأبلغ، إلا أنه أهذر، وأكثر الاهتذار.

فلما انصرفنا سألَنا فأثنينا، فقال أحمد بن نصر صاحب الشرطة والسوق: يا سبحان الله، سألكم فقولوا الحق، فقلنا له: قل أنت يا أبا عُمر، قال: قعدنا ننظر خطيبًا، فإذا بهدهد يرفع رأسه ويضعه لكل كلمة[1]، وليس هذا من سمت الخطباء، فأقصِر عنه، ورتِّل كلامك[2]، وزن جسمك، فشَكَره القاضي، وتفقَّد نفسه، فلحق بالخطباء المتقدمين.[3] ترتيب المدارك (٤/ ٨٨).

* وصدق **القائل**:

وأنْفَعُ من شاوَرتَ من كانَ عاقلًا شَـفيقًا فأبْصِـرْ بعدهـا مَـن تُشـاوِرُ

* وقال **بعض البلغاء**: من حقّ العاقل أنْ يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذُّ ربما زلّ، والعقل الفرد ربما ضل.

---

(١) أي: يحرك رأسه كثيرا يمنة ويسرة، وهذا يخل بسمت الخطيب.

(٢) الرَّتَلُ: حُسْنُ تناسُقِ الشيء، ورتَّل الكلام ترْتيلًا: أَحْسَن تأليفَهُ، وترتَّل فيه: تَرسَّل وتمهَّل.

(٣) من الدلالة على عقل القاضي: طلبه من يقوّمه على أداء خطبته، وسعيه في تحسين أدائه وإلقائه، وهذا شأن العقلاء.

وكان يقال: إياك ومشاورة رجلين: شابٌّ معجبٍ بنفسه قليل التجارب في غيره، أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه.

وقيل في **منثور الحكم**: كلّ شيء يَحتاج إلى العقل، والعقل يَحتاج إلى التجارب.

وقال **بعض الحكماء**: نصف رأيك مع أخيك فشاوره ليكمل لك الرأي.

وقال **بعض الأدباء**: من استغنى برأيه ضلّ، ومن اكتفى بعقله زلّ.

وقد قيل في **منثور الحكم**: مَن أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحًا، وعند الخطأ عاذرًا، وإن كان الخطأ من الجماعة بعيدًا. أدب الدين (٤٨٤-٤٩٠).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): لا تقذفن في رُوعك[١] أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجةُ إلى رأي غيرك، فإنك لست تريد الرأي للافتخار به، ولكن تريده للانتفاع به، ولو أنك مع ذلك أردت الذكر كان أحسن الذكرَين وأفضلَهما عند أهل الفضل والعقل أن يقال: لا يتفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأي. الأدب الكبير (٦٣).

---

(١) أي: قلبك وذهنك.

ذم الغرور والعجب(١)

....

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين (١/ ١٩٥) عند قول الهروي: (وكل معصية عيرت بها أخاك فهي إليك): يحتمل أن يريد أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهي عليك، وكل معصية عَيّرْت بها أخاك فهو أعظم إثما من ذنبه وأشد من معصيته، لما فيه من صَولة الطاعة، وتزكية النفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب وأن أخاك باء به. ولعل كَسْرَتَه بذنبه، وما أحدث له من الذلة، والخضوع، والازدراء على نفسه، والتخلص من مرض الكبر، والعجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس، خاشع الطرف، منكسر القلب: أنفع له وخير من صولة طاعتك، وتكثرك بها، والمِنَّة على الله وخلقه بها.

فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله، وما أقرب هذا المُدِلّ من مَقْت الله.

فذنب تُذِل به لديه أحب إليه من طاعة تُدِل بها عليه، وإنك أن تبيت نائمًا وتصبح نادمًا خير من أن تبيت قائمًا وتصبح معجبًا، ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داءً قاتلًا هو فيك وأنت لا تشعر.

فلله في أهل طاعته ومعصيته أسرار لا يعلمها إلا هو ولا يطالعها إلا أهل البصائر فيعرفون منها بقدر ما تناله معارف البشر، ووراء ذلك مالا يطلع عليه الكرام الكاتبون، وقد قال النبي ﷺ (**إذا زنت أمة أحدكم فليقم عليها الحد ولا يثرب**) أي: لا يعير، من قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لإخوته ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف:٩٢] فإن الميزان بيد الله والحكم لله، فالسوط الذي ضرب به هذا العاصي بيد مقلب القلوب، والقصد إقامة الحد لا التعيير والتثريب، ولا يأمن كرَّات القدر وسطوته إلا أهل الجهل بالله، وقد قال الله تعالى لأعلم الخلق به: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء:٧٤] وقال يوسف الصديق: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣]. ا.هـ.

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: قلما تجد بالعلم معجبا وبما أدرك مفتخرا، إلا من كان فيه مقلا ومقصّرا؛ لأنه يجهل قدره، ويحسب أنه قد نال بالدخول فيه أكثره. =

* قال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): ذنب أفتقر به إليه أحب إليَّ من عمل أُدِلّ به عليه. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): أنا للقارئ الفاجر أخوف مني للفاجر المبرز بفجوره، إن هذا أبعدهما غرورًا. تهذيب الحِلْية ٤٢٤/ ١.

* وقال **هشام بن حسان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨): سيئة تسوؤك خير من حسنة تُعجِبك. عيون الأخبار ٣١٢/ ١.

* وقال **محمود الورّاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢١):

تصلُ الذنوبَ إلى الذنوب وترتجي ... دَرَكَ الجِنَانِ بها وفوزَ العابدِ
ونَسِيتَ أنّ الله أخرج آدمًا ... منها إلى الدنيا بذنبٍ واحدِ

عيون الأخبار ٧٤٠/ ٢.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): كيف يعجب عاقل بعمله؟

= فأما من كان فيه متوجها، ومنه مستكثرا، فهو يعلم مِن بُعد غايته، والعجز عن إدراك نهايته، ما يصدُّه عن العُجْب به.

ومما أُنذرك به من حالي أنني صنفت في البيوع كتابا جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس، وأجهدت فيه نفسي وكددت فيه خاطري، حتى إذا تهذب واستكمل وكدت أُعجب به وتصوّرت أنني أشدّ الناس اضطلاعا بعلمه، حضرني وأنا في مجلسي أعرابيان، فسألاني عن بيع عقداه في البادية على شروط تضمنت أربع مسائل لم أعرف لواحدة منهن جوابا!

فأطرقت مفكرا، وبحالي وحالهما معتبرا، فقالا: ما عندك فيما سألناك جواب، وأنت زعيم هذه الجماعة؟ فقلت: لا، فقالا: واهًا لك، وانصرفا.

ثم أتيا من يتقدّمه في العلم كثيرٌ من أصحابي فسألاه فأجابهما مسرعا بما أقنعهما وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه، فبقيت مرتبكا، وبحالهما وحالي معتبرا.

فكان ذلك زاجرَ نصيحة، ونذيرَ عظة، تذلّل لهما قِيادُ النفس، وانخفض لها جناحُ العجب، توفيقا مُنِحته ورشدا أُوتيته.

وحقٌّ على من ترك العُجب بما يحسن أنْ يدع التكلف لما لا يحسن، فقديما نهى الناس عنهما، واستعاذوا بالله منهما. أدب الدين (: ١٢٦-١٢٧)

وإنما يعد العمل نعمة من الله، إنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع، وإنما يعجب بعمله القدرية الذين يزعمون أنهم يعملون، فأما من زعم أنه مستعمل بأي شيء يعجب؟ تهذيب الحِلْية ١٨٧/ ٣.

* وقال **أبو عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠): احتقار الناس في نفسك مرض لا يُداوَى. تهذيب الحِلْية ٣٦٤/ ٣.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): لو كان الرجل يُصيب ولا يخطئ، ويُحمد في كل ما يأتي؛ داخَلَهُ العُجب. الآداب الشرعية ١/ ٤٧.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): إذا خِفت على عملك العجب؛ فاذكر رضا مَن تطلب، وفي أي نعيمٍ تَرغب، ومن أي عقابٍ تَرهب، فحينئذٍ يصغر عندك عملك. طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

* وقَالَ الْقَاضِي أَبُو طالب محمّد بن الْقَاضِي أَبِي جعفر بن البهلول رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: كنت مع أَبِي (ت: ٣١٠) فِي جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه وإلى جانبه فِي الحُقّ[1] جالس **أَبُو جعفر الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠)، فأخذ أَبِي يعظ صاحب المصيبة ويسليه، وينشده أشعارا، ويروي لَهُ أخبارا، فداخله الطبري فِي ذلك ودأب معه، ثم اتسع الأمر بينهما فِي المذاكرة، وخرجا إلى فنون كثيرة من الأدب والعلم استحسنها الحاضرون وعجبوا منها، وتعالى النهار، وافترقا.

فلمَّا جعلتُ أسير خلفه قَالَ لي أَبِي: يا بني هَذَا الشيخ الَّذِي داخلنا اليوم فِي المذاكرة من هو؟ أتعرفه؟ فقلت: يا سيدي كأنك لم تعرفه؟ فَقَالَ: لا، فقلت: هَذَا أَبُو جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، فَقَالَ: تالله ما أحسنت عشرتي يا بني! فقلت: كيف يا سيدي؟ قَالَ: ألا قلت لي فِي الحال، فكنت أذاكره غير تلك المذاكرة، هَذَا

(١) الحق: الأرض المطمئنة، ويطلق على مكان المأتم.

رجل مشهور بالحفظ، والاتساع فِي صنوف من العلم، وما ذاكرته بحسبها، قَالَ: ومضت على هَذَا مدة، فحضرنا من حُقٍّ آخر، وجلسنا، فإذا بالطبري يدخل إلى الحُقّ، فقلت لَهُ: قليلا قليلا أيها الْقَاضِي، هَذَا أَبُو جعفر الطبري قد جاء مقبلا، قَالَ: فأومأ إليه بالجلوس عنده، فعدل إليه، فأوسعت لَهُ حتى جلس إِلَى جنبه، وأخذ أبي يجاريه، فكلما جاء إِلَى قصيدة ذكر الطبري منها أبياتا، قَالَ أَبِي: هاتها يا أَبَا جعفر إِلَى آخرها، فيتلعثم الطبري فينشدها أَبِي إِلَى آخرها، وكلما ذكر أشياء من السير قَالَ أَبِي: كَانَ هَذَا فِي قصة فلان، ويوم بني فلان، مُر يا أَبَا جعفر فيه، فربما مر وربما تلعثم، فيمر أَبِي فِي جميعه حتى يشقه، قَالَ: فما سكت أَبِي يومه ذلك إِلَى الظهر، وبان للحاضرين تقصير الطبري عَنْهُ، ثم قمنا فَقَالَ لي أَبِي: الآن شفيت صدري.[1] تاريخ بغداد (٥/ ٥١).

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): نظر العامل إلى عمله بعين الثقة به في باب النجاة أضر على العصاة من تفريطهم. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٧).

* وقيل في **منثور الحكم**: إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء.

وقال **الشاعر**:

من شاء عيشًا هنيئًا يستفيد به ... في دينه ثم في دنياه إقبالا
فلينظرنّ إلى من فوقه أدبًا ... ولينظرنّ إلى من دونه مالا

أدب الدين (١٢٦).

---

(١) شفى صدره بإظهار سعة اطلاعه، وقوة حفظه، وتفوقّه في هذا على الطبري!
وهذا من أمراض القلب، ولعل الله تعالى اطلع على سريرة الطبري فعلم أنه سالم من هذه الآفة، فبارك في علمه، ونشر فضائله، بخلاف ذلك الرجل فلا يكاد يُعرف.

ما قيل في العقل والعقلاء(١)

* عن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) في قوله: ﴿قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥﴾ [الفجر:٥] قال: الرجل ذو النُّهى والعقل. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٦٩.

* وكان **ابن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) يقول: لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه. عيون الأخبار ٧٦ / ١.

* وقال **عمرو بنُ العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): ليس العاقلُ مَنْ يعرفُ الخيرَ من الشرِّ، ولكن هو الذي يعرفُ خيرَ الشرَّين. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٣٦.

---

(١) العقل في اللغة: المنع والحبس، تقولُ: عقلتُ البعير، أي منعته عن الحركة وربطّتُه.

ووجه تسمية العقل بهذا الاسم: كونه يمنع صاحبه عن سفاسف الأمور وأخطارِها، ويحبسه عن ذميم القول والفعل.

والعمل ثمرة العقل وفائدته، ولا عقل لمن لم يعمل بموجب ما دله إليه عقله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَقْلُ لَا يُسَمَّى بِهِ مُجَرَّدُ الْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ بِهِ صَاحِبُهُ، وَلَا الْعَمَلُ بِلَا عِلْمٍ؛ بَلْ إنَّمَا يُسَمَّى بِهِ الْعِلْمُ الَّذِي يُعْمَلُ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك:١٠]. ا.هـ مجموع الفتاوى: ٩/ ٢٨٦- ٢٨٧

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: والْعَقْلُ يَتَضَمَّنُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ، فَمَن عَرَفَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَلَمْ يَتَّبِعْ الْخَيْرَ وَيَحْذَرِ الشَّرَّ لَمْ يَكُن عَاقِلًا؛ وَلِهَذَا لَا يُعَدُّ عَاقِلًا إلَّا مَن فَعَلَ مَا يَنْفَعُهُ وَاجْتَنَبَ مَا يَضُرُّهُ. مجموع الفتاوى: (١٥/ ١٠٨)

والعقل يأتي ويوهب من أحد طريقين: الغريزة والفطرة، حيث ينشأ بعض الناس منذ صغره عاقلًا فطنًا.

والطريق الثاني: الاكتساب والتحصيل، وذلك عن طريق التجربة والخبرة، ومُجالسة العقلاء أو قراءة سيرهم.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر فيختار الخير، ولكن العاقل الذي يدفع بين الشرين فيختار أيسرهما. تهذيب الحِلْية ٣/١٣٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٤.

* وقال **رجل** يصف عاقلا:

بصير بأعقاب الأمور كأنما — يرى بصواب الرأي ما هو واقع

عيون الأخبار ٧٧/ ١.

* وعن **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: ليس الرجل الذي إذا وقع في الأمر تخلص منه، ولكن الرجل يتوقى الأمور حتى لا يقع فيها. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٨.

* وسئل **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): ما خيرُ ما أعطي الإنسان؟ قال: غريزة عقل.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: حُسْنُ أدب.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخٌ شفيق يستشيرُهُ.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: صَمتٌ طويل.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٨.

* وعن **مطرّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) أنه قال: ما أوتي عبدٌ بعدَ الإيمان أفضلَ من العقل.(١) صفة الصفوة ٣/ ١٥٩، ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٦٧.

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أجل الْأَشْيَاء موهبة الْعقل؛ فَإِنَّهُ الْآلَة فِي تَحْصِيل معرفَة الْإِلَه، وَبِه تضبط الْمَصَالح، وتلحظ العواقب، وتدرك الغوامض، وَتجمع الْفَضَائِل. الأذكياء: ٩.

* وقال **الشاعر**:

ويُخْبِرُنِي عنْ غائِبِ المَرءِ فِعْلُه كفى الفعلُ عمَّا غَيَّبَ المرءُ مُخبِرا

أدب الدين (١٢٨).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

لا يُـدرِكُ المَجـدَ إلاّ سَـيِّدٌ فَطِـنٌ لِمَـا يَشُـقُّ عَلـى السّـاداتِ فَعّـالُ

ديوان المتنبي (١٩٢).

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): لا يَنْبُل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: بالعفّة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم. صفة الصفوة ٣/ ٢١٠.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): إني وجدت في بعض ما أنزل الله على أنبيائه: أن الشيطان لم يكابد شيئًا أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة ألف جاهل فيسخر بهم، حتى يركب رقابهم، فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيصعب عليه حتى لا ينال منه شيئًا. تهذيب الحِلْية ٣٧/ ٢.

* وكان **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠) يقول: ليس للأمور بصاحب من لم ينظر لها في العواقب. ترتيب المدارك (٢/ ١٠٤).

* وكان **الخطيبُ البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٣) يقولُ: من صَنّف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٤١٣.

* وقال **بعض الحكماء**: من لم يحترز بعقله من عقله هلك بعقله.

قال **ابن مفلح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٦٣): وهذا كلامٌ في غايةِ الحُسنِ. الآداب الشرعية ٢/ ١٣٥.

* وقيل **لبعض الحكماء**: متى يكون الأدبُ شرًّا مِن عدمه؟ قال: إذا كَبُرَ الأدبُ ونقصَ العقلُ. عيون الأخبار ٣٨٠/ ١.

* وكانوا يكرهون أن يزيد مَنطِقُ الرجل على عقله. عيون الأخبار ٣٨٠/ ١.

* ويقال: من لم يكن عقلُه أغلبَ خصال الخير عليه كان حَتْفُه في أغلب خصال الخير عليه. عيون الأخبار ٣٨٠/ ١.

* وقيل **لقتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): أي الناس أغبط؟ قال: أعقلهم، قيل: أعلمهم؟ قال: أعقلهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٦٨.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

أفاضِلُ النّاسِ أغراضٌ لَدى الزّمَنِ ... يَخلُو مِنَ الهَمّ أخلاهم من الفِطَنِ

ديوان المتنبي (٢٥٧).

* وعن عليّ بن غنام الكلابي قال: قال **عامر بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا عَقَلَك عقْلك عما لا ينبغي فأنت عاقل.

قال **علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما سمّي العقل عقلا من عقال الإبل. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٢.

* وقال **الشاعر**:

ألا إنَّ خَيْرَ الْعَقْلِ ما حَضَّ أهْلَهُ ... علَى الْبِرِّ والتَّقْوى بَدْءًا وعَاقِبَهْ

ولا خَيْرَ في عَقْلٍ يَزيغُ عنِ التُّقَى ... ويُشْغَلُ بالدُّنْيا الَّتي هيَ ذاهِبَهْ

المجالسة وجواهر العلم (٢٩٧).

* وقال **بعض الحكماء**: أفضل العقل معرفةُ الرجل نفسه. المجالسة وجواهر العلم (٢٩٧).

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: لا تنظروا إلى عقل الرجل في كلامه ولكن انظروا إلى عقله في مخارج أموره. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٣.

* وقال **وكيع بن الجراح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧): العاقل من عقل الله عن عَزَّوَجَلَّ أمره، وليس من عقل تدبير دنياه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٣.

* وقال **بعض السلف**: جعل الله عَزَّوَجَلَّ رأس أمور العباد العقل، ودليلهم العلم، وسائقهم العمل، ومقوِّيَهم على ذلك الصبر. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٣.

* وقال **بعض الحكماء**: لا ينبغي لعاقل أن يعرض عقله للنظر في كل شيء، كما لا ينبغي أنْ يضرب بسيفه كل شيء.(١) ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٥.

* وقيل **للضحاك بن مزاحم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥): يا أبا القاسم ما أعبدَ فلانا وأورعه واقرأه!.

قال: كيف عقله؟ قيل له: نذكر لك عبادته وورعه وقراءته وتقول عقله؟.

قال: العاقل من عقل، إن الأحمق يصيب بحمقه ما لا يصيب الفاجر بفجوره. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٥.

* وقال **الشاعر**:

لكلّ امرئ شِكْلٌ من الناس مثلُه ... فأكثرهم شِكْلا أقلهم عقلا

وكلّ أناس آلفون لشِكلهم ... فأكثرهم عقلا أقلّهم شِكلا

لأنّ كثير العقل لسْتَ بواجد ... له في طريقٍ حين يسلكه مِثلا

وكلّ سفيهٍ طائشٍ إنْ فقدته ... وجدت له في كلّ ناحية عِدلا

أدب الدنيا والدين (٢٧٧).

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: فضل المَقال على الفِعال منقصة، وفضل الفِعال على المَقال مكرمة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٨.

---

(١) فإن من أضر الأشياء على العاقل أنْ يُقحم عقله في الخوض في كلّ صغير وكبير، وفيما يعنيه وما لا يعنيه، والصواب أنَّ تحكيم العقل البشري في الخوض في ذات الله وصفاته، وفيما دون ذلك من عالم الغيب كملائكته وعرشه وجنته وناره: طغيانٌ مِن العقل، وتجاوزٌ لحدوده، وقد نُهي عنه؛ صيانةً له، فإنَّ أكبر نُظَّار البشر وفلاسفتهم عقولا قد عجزوا إلى اليوم عن معرفة كُنْه أنفسهم وأنفس ما دونهم من المخلوقات، حتى الحشرات كالنحل والنمل، فأنَّى لهم أن يعرفوا كُنْه ذات الله وصفاته وأفعاله أو ملائكته؟. يُنظر تفسير المنار ١٢/ ١٣٦.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: التودد إلى الناس نصف العقل. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٦.

* وقال بعض **الخلفاء** لجلسائه: من الغريب؟ فقالوا فأكثروا، فقال: الغريب هو الجاهل، أما سمعتم قول الشاعر:

يُعَدُّ رفيعُ القوم من كان عاقلًا ... وإن لم يكنْ في قومهِ[1] بحسيبِ

إذا حلَّ أرضًا عاشَ فيها بعقلهِ ... وما عاقلٌ في بلدةٍ بغريبِ

ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٨.

* وقال **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣): لا خير في علم بلا عقل، ومِن ثَمَّ قيل: ما عَبَد الله تعالى مثل حليم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٩.

* وعن **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يرون حسن السؤال يزيد في عقل الرجل. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٩.

* وقال **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧): التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف العلم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٠.

* ودخل على **الخليل بن أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) شيخ من أهله، فقال له: لو اشتغلت بمعاشك كان أعود عليك من هذا، فأنشأ الخليل يقول:

لو كنتَ تعقل ما أقول عذرتني ... أو كنتُ أعقلُ ما تقول عذَلْتكا

لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني ... وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكا

ثم قال لأصحابه:

الرجال أربعة:

١- رجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذاك غافل فنبهوه.

٢- ورجل يدري ويدري أنه يدري؛ فذاك عاقل فاعرفوه.

---

(١) في الأصل: في فعله، وهو خطأ، وفي جميع المصادر الأخرى كمجمع الحكم والأمثال، وجواهر العرب: في قومه.

٣- ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري؛ فذاك جاهل فعلموه.[١].

٤- ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذاك مائق[٢] فاحذروه.[٣].

المجالسة وجواهر العلم (٤٤)، ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٣.

* وصدق **القائل**:

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري

أدب الدين (١٣١).

* وقالَتْ **الْحُكماءُ**: لو جَرتْ الأقْسامُ على قَدرِ العُقُولِ لم تَعِش البهائِمُ.

فنظمَهُ **أبو تمَّام** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٢٨) فقال:

يَنالُ الفتَى من عَيْشِهِ وهُوَ جاهِلُ ... ويُكْدِي الفتَى منْ دهْرِه وهُوَ عَالِمُ

ولو كانَتالأرْزاقُ تجرِي على الْحِجا ... هَلكْنَ إذًا من جَهْلِهِنَّ البهَائِمُ

أدب الدين (٨٥).

* وعن **ابن جريج** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٠) قال: قِوام المرء عقلُه، ولا دين لمن لا عقل له. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٣.

* وصدق **الشاعر**:

إذا تم عقل المرء تمت أموره ... وتمت أمانيه وتم بناؤه

* وقيل **لبعض الحكماء**: أوصنا بأمر جامع، قال: احفظوا وعُوا: **إنه ليس من أحد إلا ومعه قاضيان باطنان:**

أحدهما: ناصح.

والآخر: غاش.

---

(١) وهذا هو الجاهل البسيط، ومن السهل إقناعُه، ويتقبل النصح غالبا.

(٢) أي: أحمق.

(٣) وهذا هو الجاهل المركب، ومُجالستُه داء، والجدال معه حمق وتضييع وقت.

فأما الناصح: فالعقل.

وأما الغاش: فالهوى.

وهما ضدان، فأيهما مِلت معه وهَى الآخر.[١] ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٤.

* وقال **بعض أهل العلم**: كلام العاقل وإن كان يسيرًا: عظيمٌ. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٨.

* وكان يقال: عقل الرجل مدفون في لسانه. المجالسة وجواهر العلم (٥١٤).

* وقَالَ **بعض العرب**: أعون الأشياء عَلَى تذكية[٢] العقل التعلمُ، وأدلُّ الأشياء عَلَى عقل العاقل حسن التدبير. أمالي القالي ١/ ٢١٤.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): على العاقل أن لا يستصغر شيئا من الخطأ في الرأي، والزلل في العلم، والإغفال في الأمور؛ فإنه من استصغر الصغير أوْشك أن يجمع إليه صغيرًا وصغيرًا، فإذا الصغير كبير، وإنما هي ثُلَمٌ[٣] يَثْلِمها العجز والتضييع، فإذا لم تُسَدَّ أوشكت أن تَنْفجر بما لا يطاق.

ولم نر شيئًا قط إلا قد أُتي من قِبَل الصغير المتهاوَن به، قد رأينا الملك يُؤتى من العدو المحتَقر، ورأينا الصّحة تؤتى من الداء الذي لا يُحْفل به، ورأينا الأنهار تنبثق من الجدول الذي يستخف به.

وعلى العاقل أن يجبن عن الرأي الذي لا يجد عليه موافِقا وإن ظن أنه على اليقين.

ولا يستخف ذو العقل بأحد.

وأحق من لم يُستَخَفّ به ثلاثة: الأتقياء، والولاة، والإخوان.

---

(١) حكمة عظيمة، والعاقل لا يُحكم القاضي الغاش.

(٢) أي: فِطْنته وذكائِه ونمائِه.

(٣) الثلم: جمع ثلمة، وهي الخلل في الجدار وغيره.

فإنه من استخف بالأتقياء أهلك دينه، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته.

ولا تجد العاقل يحدّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يَعِد بما لا يجد إنجازه، ولا يرجو ما يُعَنَّف برجائه، ولا يُقْدم على من يخاف العجز عنه.

ولا عقل لمن أغْفله عن آخرته ما يجد من لذة دنياه، وليس من العقل أن يحرِمه حظُّه من الدنيا بصرُه بزوالها. الأدب الصغير (١٩-٤١).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن مِن تنكُّب[1] الأمور ما يسمى حذَرًا، ومنه ما يسمى خَوَرًا[2]، فإن استطعت أنْ يكون تجنّبك من الأمر قبل مُوَاقعتك[3] إياه فافعل، فإن هذا هو الحذر، ولا تنغمس فيه ثم تتهَيَّبه، فإن هذا هو الخَوَر، فإن الحكيم لا يخوض نهرًا حتى يعلم مقدار قعْره. الأدب الكبير (١٢٤).

(١) التنكب: التباعد.

(٢) أي: ضعفًا.

(٣) أي: مداناتك ومباشرتك.

عناية السلف بالخواطر والأفكار[١]

....

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب الكافي: وأعلى الفِكَر وأجلها وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة، **فما كان لله فهو أنواع:**

الأول: الفكرة في آياته المنزلة وتعقلها، وفهمها، وفهم مراده منها، ولذلك أنزلها الله تعالى، لا لمجرد تلاوتها بل التلاوة وسيلة.

الثاني: الفكرة في آياته المشهودة والاعتبار بها، والاستدلال بها على أسمائه وصفاته، وحكمته وإحسانه، وبره وجوده.

الثالث: الفكرة في آلائه وإحسانه، وإنعامه على خلقه بأصناف النعم، وسعة مغفرته ورحمته وحلمه.

الرابع: الفكرة في عيوب النفس وآفاتها، وفي عيوب العمل.

الخامس: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله عليه، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبدا.

فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة المعيشة الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر أسرع من مر السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبا من حياته وإن عاش فيه عاش عيش البهائم.

وما عدا هذه الأقسام من الخطرات والفكر فإما وساوس شيطانية، وإما أماني باطلة، وخدع كاذبة، بمنزلة خواطر المصابين في عقولهم من السكارى والمحشوشين والموسوسين.

واعلم أن ورود الخاطر لا يضر، وإنما يضر استدعاؤه ومحادثته، فالخاطر كالمار على الطريق فإن لم تستدعه وتركته مر وانصرف عنك، وإن استدعيته سحرك بحديثه وخدعه وغروره، وهو أخف شيء على النفس الفارغة بالباطلة، وأثقل شيء على القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة. ا.هـ

واعلم أن أجل الصناعات: صناعة العقول والأفكار، فهي الأساس لكل عمل وصناعة.

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أشرف الصناعات: صناعة الفكر، وأرذلها: صناعة العمل، لأن العمل نتيجة الفكر، وهو مدبر به. أدب الدين ص ٣٤١.

فاحرص على صناعة عقلك وأفكارك بالعلم النافع والتأمل الصحيح.

* قال **مسروق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣): من راقب الله في خطرات قلبه: عصمه الله في حركات جوارحه. صفة الصفوة ٤/ ٣٦٨.

* وقال **أبو تُراب النخشبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٤٥): احفظ همّك، فإنّه مُقَدِّمة الأشياء، فمن صحّ له هَمُّه صحّ له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله. ذم الهوى: ١٢١.

* وقيل **لسُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): أيؤاخذ العبد بالهَمَّة! قال: إذا كانت عزمًا أخذ بها. تهذيب الحِلْية ٣٦٩/ ٢.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إياكم رحمكم الله وهذه الأماني فإنه لم يعط أحد بالأمنية خيرًا في الدنيا ولا في الآخرة.(١) الزهد للإمام أحمد/ ٤٧٩.

* وقال **بعض السلف**: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال. تهذيب الحِلْية ٣٥١/ ٣.

* وقال **بعضهم**: الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال. تهذيب الحِلْية ٤٤٥/ ٣.

* وقالَ **الشاعر**:

مَـنْ كانَ مَرْعـى عَزْمـهِ وهُمُومِـهِ ... رَوضَ الأمانِـي لـم يَـزلْ مَهـزُولا

أدب الدين (٣٦٣).

* وقال **الآخر**:

ولَا تكُن عَبدَ الْمُنى فَالْمُنَى ... رُؤُوسُ أَمـوالِ المَفَالِيـسِ

الدر الفريد وبيت القصيد (١٠/ ٤٥٦).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما قَطَعَ العَبدَ عن كمالِه وفلاحِه وسعادتِه العاجِلَة والآجِلَة قاطِعٌ أعظمُ من الوَهم الغالبِ على النَّفسِ والخيالِ الذي هو مركبُها ـ بل بحرُها ـ الذي لا تنفكُّ سابحَةً فيه، وإنَّما يُقطَعُ هذا العارضُ بفكرَةٍ صحيحةٍ وعزمٍ صادقٍ يُميِّزُ به بينَ الوَهم والحقيقَةِ. مفتاح دار السعادة ١/ ٥٤٠.

* وصدق القائل:

إذا الْهَـمُّ أَمْسَـى وهْـوَ دَاءٌ فأَمْضِـهِ ... ولَسْـتَ بِمُمْضيـهِ وأنْـتَ تُعاذِلُـهُ(١)

وقُـلْ لِلْفُـؤادِ إنْ تَجِـدْ بـك ثَـورَةً ... مِنَ الرَّوعِ ابْشرْ أَكْثَرُ الرَّوعِ بَاطِلُهْ(٢)

---

(١) أي: تلومه وتُعاتبه.

(٢) ثبت أنّ سبعين إلى تسعين بالمائة من التوقعات السيئة لا تقع، وتقل نسبة وقوع وحدوث التوقعات السيئة حسب حسن ظنّ العبدِ وثقته بربه تعالى، وحسب تعاملِه مع الحدث، ورجاحة عقله، وثقتِه بنفسِه.

فإن كان حسن التعامل مع المصائب والمشاكل، راجح العقل، حسن الظنّ بربه، قويّ الثقة به ثم بنفسِه: قلّت نسبة وقوع التوقعات السيئة.

وإن كان عكس ذلك ارتفعت نسبة وقوع التوقعات السيئة.

حفظ السمع عن الحرام[1]

....

(١) ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٥٥٩٠) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ».
وإنما قال ذلك على وجه الذَّمِّ لهم وأنَّ الله مُعاقبُهم.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَنْوَاعٍ مِن اللَّهْوِ فِي الْعُرْسِ وَنَحْوِهِ، كَمَا رَخَّصَ لِلنِّسَاءِ أَنْ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ فِي الْأَعْرَاسِ وَالْأَفْرَاحِ.
وَأَمَّا الرِّجَالُ عَلَى عَهْدِهِ فَلَمْ يَكُن أَحَدٌ مِنْهُم يَضْرِبُ بِدُفٍّ وَلَا يُصَفِّقُ بِكَفٍّ، بَل قَد ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: «التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ وَالتَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ»، «وَلَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِن النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ. والمتشبهين مِن الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ».
وَلَمَّا كَانَ الْغِنَاءُ وَالضَّرْبُ بِالدُّفِّ وَالْكَفِّ مِن عَمَلِ النِّسَاءِ كَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِن الرِّجَالِ مُخَنَّثًا، وَيُسَمُّونَ الرِّجَالَ الْمُغَنِّينَ مَخَانِيثَ، وَهَذَا مَشْهُورٌ فِي كَلَامِهِمْ.
فَأَمَّا الْمُشْتَمِلُ عَلَى الشَّبَّابَاتِ وَالدُّفُوفِ المصلصلة فَمَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ تَحْرِيمُهُ. مجموع الفتاوى (١١/ ٥٦٥-٥٦٦)، (١١/ ٥٣٧).
وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامه على الحديث: ووجه الدلالة منه: أنَّ المعازف هي آلات اللهو كلها، لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك، ولو كانت حلالا لما ذمهم على استحلالها، ولمَا قرن استحلالها باستحلال الخمر والحر، وهو الفروج الحرام.
ولا ينبغي لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك، فأقل ما فيه: أنه من شعار الفساق وشاربي الخمور.
فإن مضرته وفتنته فوق مضرة شرب الخمر بكثير وأعظم من فتنته. إغاثة اللهفان ٢/ ٣٤٦- ٣٦٣.
وقد نقل أبو عمرو بن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإجماع على تحريم السماع الذي جمع الدف والشّبابة والغناء، فقال: أما إباحة هذا السماع وتحليله فليُعلم أنَّ الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحدٍ ممن يُعْتَدُّ بقوله في الإجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع.
والخلافُ المنقول عن بعض أصحاب الشافعي إنما نقل في الشبابة منفردة والدفع منفردا.
ومن تتبع ما اختلف فيه العلماء وأخذ بالرخص من أقاويلهم تزندق أو كاد. فتاوى ابن الصلاح ٢/ ٥٠٠.

* قال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): الغناء ينبت النفاق في القلب. جامع معمر بن راشد (١٩٧٣٧).

* وقال **أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣): أخبث الكسب كسب الزمارة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٨.

* وذُكِر عند **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) الغناءُ والسلوُّ عنه، فقال لهم: أخبروني، إذا مُيِّزَ أهلُ الحقّ وأهلُ الباطل ففي أيّ الفريقين يكون الغناء؟ قالوا: في فريق الباطل قال: فلا حاجة لي فيه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٤، عيون الأخبار ٤/ ٣٧٧.

* وقال **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣): لعن الله المغني والمغنى له. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٤.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): الغناء رقية الزنا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٤.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): صوتان ملعونان: مزمار عند نعمة[1]، ورنة عند مصيبة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٦.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس الدف من سنة المسلمين في شيء. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٩.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: في قول الله تعالى ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ [الإسراء:٦٤] قال: المزمار، ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء:٦٤] قال: كل راكب ركب من معصية الله فهو في خيل إبليس، وكل رِجْل سعت في معصية الله فهي في رجل إبليس. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٩.

* وكان **أصحاب ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذون بأفواه السكك يخرقون

---

(١) في الأصل: نغمة، والمثبت هو الصواب.

الدفوف التي مع الجواري، كانوا يقفون في رؤوس الدروب لإزالة هذا المنكر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٩٠.

* وسمع **ابن عقيلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) بعض الصوفية يقول: إن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حَدَاها الحادي إلى الله بالأناشيد! فقال ابن عقيل: لا كرامة لهذا القائل، إنما تحْدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده، وسنة الرسول؛ لأن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال:٢] وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت، فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله، والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق، مما يتعدد عنه فتنه، ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون. تلبيس إبليس: ٢٨١.

حفظ البصر عن الحرام[١]

* عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: إذا مرت بك امرأة فاغمض عينيك حتى تجاوزك. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٦.

* ودخل رجل مع ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) بيت رجل، فجعل الرجل

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: محبة الإنسان للشيء الجميل من الصورة والنظر إليه، وما يدخل في ذلك من قوة الحب والزيادة فيه التي تسمى العشق؛ فإن ذلك إذا خلا عن المفسدة الراجحة، مثل أن يحب الإنسان امرأته وجاريته حبا معتدلا، أو يحب ما لا فتنة فيه كحبه للجميل من الدواب والثياب، ويحب ولده وأباه وأمه ونحو ذلك من محبة الرحم، كنوع من الجمال الحب المعتدل: فهذا حسن.

أما إذا أحب النساء الأجانب أو المردان ونحو ذلك: فهذا الحب متضمن للمحبة الحيوانية، وليس في ذلك مجرد محبة الجمال، والمحبة الحيوانية مما يبغضها الله ويمقتها، وتوابعها منهيٌّ عنها مع ذلك، سواء كان مع المحبة فعل الفاحشة الكبرى، أو كانت للتمتع بالنظر والسماع وغير ذلك.

فالتمتع مقدمات الوطء، فإن كان الوطء حلالا حلت مقدماته، وإن كان الوطء حراما حرمت مقدماته، وإن كان في ذلك رفض للجمال، كما فيه رفض للذة الوطء المحرم؛ فإن ما في ذلك مما يبغضه الله ويمقت عليه أعظم مما في مجرد الجمال من الحب المتضمن، وذلك متضمن لتفويت محاب الله من التقوى والعفاف والإقبال على مصالح الدين والدنيا أعظم بكثير مما فيها من مجرد حب الجمال؛ فلهذا كانت هذه مذمومة منهيا عنها، حتى حرم الشارع النظر في ذلك بلذة وشهوة، وبغير لذة وشهوة إذا خاف الناظر الفتنة، والفتنة مخوفةٌ في النظر إلى الأجنبية الحسنة، والأمرد الحسن في أحد قولي العلماء الذي يصححه كثير من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما، وهذا قد يختلف باختلاف العادات والطبائع، وأما النظر للحاجة من غير شهوة ولا لذة فيجوز. الاستقامة: ٣١٧.

ينظر إلى امرأة في البيت، فقال له ابن مسعود: لأن تُفقأ عيناك خيرٌ لك مما أراك تصنع. الزهد لهناد (١٤٢١).

* وخرج **حسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٦) إلى العيد، فقيل له لما رجع: يا أبا عبد الله ما رأينا عيدًا أكثر نساء منه؟ قال: ما تلقتني امرأة حتى رجعت. تهذيب الحِلْية ١/٤٧١.

* وعن موسى الجهني قال: كنت مع **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) في طريق، فاستقبَلَنا امرأةٌ فنظرنا إليها جميعا، ثم إن سعيدا غض بصره ونظرت أنا، فقال: الأولى لك والثانية عليك. الزهد لهناد (١٤١٨).

* وعن **العلاء بن زياد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) قال: لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يجعل شهوة في القلب.[١] الزهد لأحمد: ٤٣٦.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: رب نظرة أوقعت في قلب صاحبها شهوة، ورب شهوة أورثت صاحبها حزنًا طويلًا. الزهد لأحمد: ٤٧٩.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): كثرة النظر إلى الباطل، تذهب بمعرفة الحق من القلب. تهذيب الحِلْية ٢/٤٨٦.

* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٤/ ٣١٢-.

وكنتَ متى أرسلتَ طرْفَك رائدًا ... لقَلْبك يومًا أتعبتْكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كُلُّه أنتَ قادرٌ ... عليه ولا عن بعضه أنتَ صابرُ

* وكان **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) يغضّ بصره، فمرّ به نسوة، فأطْرَقَ

---

(١) إذا كان مَن أتبع بصره رداء المرأة قد تجعل الشهوة في قلبِه: فكيف بمن يُقلب بصره في عورات النساء، وينظر إلى محاسنهن في مواقع التواصل وغيرها؟
فالنظر إلى النساء الفاتنات من أعظم أسباب استيلاء الشهوة على القلب، وحرمانِ نور العلم والقرآن أن يلج إليه.

حتى ظنَّ النسوةُ أنّه أعمى، فتعوَّذنَ بالله من العمى؟!. ذم الهوى: ٨٦.

* وقال أبو بكر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت **لأبي عبد الله أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): رجل تاب وقال: لو ضرب ظهري بالسياط ما دخلت في معصية الله، إلا أنّه لا يدع النّظر؟! فقال: أيّ توبة هذه!. ذم الهوى: ٨٢.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان في عصرنا **أبو الحسن بن أحمد الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا يمشي إلاّ وعلى رأسه طرْحة، ليكفّ بذلك بصره عن الانطلاق.[1] ذم الهوى: ٨٥.

* ومرّت **أعرابيّةٌ** بقوم من بني نُمَير، فأداموا النظرَ إليها، فقالت: يا بني نُمَير، والله ما أخذتم بواحدةٍ من اثنتين: لا بقول الله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور:٣٠] ولا بقول جرير:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ ... فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلاَبا

فاستحيا القومُ من كلامها وأطرقوا. عيون الأخبار ٤/ ٣٧٢.

* ويقال: ربّ طَرْفٍ أفصحُ من لسانٍ. عيون الأخبار ٤/ ٣٧٢.

* وعن **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) قال: كانوا يكرهون فضول النظر. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٤.

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم وفّقك الله، أن البصرَ صاحبُ خبرِ القلب ينقل إليه أخبار المُبْصَرَات، وينقشُ فيه صورها فيجول فيها الفِكر، فشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة.
ولما كان إطلاق البصر سببًا لوقوع الهوى في القلب، أَمَرَكَ الشرعُ بغضّ البصر عمّا يُخاف عواقبه، فإذا تعرَّضْتَ بالتّخليط وقد أُمِرْتَ بالحِمْية فوقَعْتَ إذًا في أذًى فلِمَ تضجُّ منْ أليم الألم! قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور:٣١]. ثم أشار إلى مسبب هذا السبب، ونبّه على ما يؤول إليه هذا الشر بقوله: ﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]. ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]. ذم الهوى: ٨٠.

* وعن وكيع قال: خرجنا مع **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) في يوم عيد فقال: إن أول ما نبدأ به في يومنا غض أبصارنا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٦.

* وقال **فضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): لا تنظروا إلى مراكبهم، فإن النظر إليه يطفئ نور الإنكار عليهم. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٦.

* وقال **العلاء بن زياد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): لا تتبع بصرك حسن ردف المرأة، فإن النظر يجعل الشهوة في القلب. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٧.

ذم المسكر

* قام **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) على منبر المدينة فقال: إن الخمر حرمت يوم حرمت وهي من خمسة: من العنب، والعسل، والتمر، والحنطة، والشعير، والخمرُ ما خامر العقل. صحيح البخاري (٤٦١٩)، صحيح مسلم (٣٠٣٢).

* وقال **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥): إياكم والخمر، فإنها مفتاح كل شر، أُتي رجل فقيل له: إما أن تحرق هذا الكتاب، وإما أن تقتل هذا الصبي، وإما أن تسجد لهذا الصليب، وإما أن تفجر بهذه المرأة، وإما أن تشرب هذه الكأس، فلم ير شيئا أهون عليه من شرب الكأس، فشرب الكأس، ففجر بالمرأة، وقتل الصبي، وحرق الكتاب، وسجد للصليب، فهي مفتاح كل شر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٥٤.

* وقيل **للعباس بن مرداس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) بعدما كبر: ألا تأخذ من الشراب فإنه يزيد من جرأتك ويقويك؟ قال: أُصبح سيد قومي وأُمسي سفيههم؟ لا والله، لا يدخل جوفي شيء يحول بيني وبين عقلي أبدا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٦٥.

* وقال ابن أبي الدنيا: وحدثني محمد بن عبد الله القراطيسي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: شرب **رجل** نبيذا فسكر، فنام عن العشاء الآخرة، فجعلت ابنة عم له تنبهه للصلاة، وكان لها دين وعقل، فلما ألحت عليه حلف بطلاقها البتة ألا يصلي ثلاثا، ثم عقد يمينه، فلما أصبح كبر عليه فراق ابنة عمه، فظل يومه لم يصل وليلته، ثم أصبح على ذلك، وعرضت له علة فمات، وفي نحو هذا يقول القائل:

أتأمـن أيهـا السـكران جهـلا بـأن تَفجـاك في السـكر المنيـة
فتضْحـى عِبـرة للنـاس طُـرًّا وتلقـى الله مــن شــر البريَّــة

ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٦٧.

* وقال **بعض السلف**: لو كان العقل يُشترى، لتغالى الناس في شرائه، فالعجب من أقوام يشترون بأموالهم ما يُذهب بعقولهم!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٦٧.

كتمان السر

* قال **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): ما استودعتُ رجُلًا سرًّا فأفشاه فلمتُه، لأني كنت أضيق صدرًا حين استودعته. عيون الأخبار ٨٢ / ١، ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٤٥.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٤٤.

* وكانت الحكماء تقول: سِرّك من دمك، والعرب تقول: من ارتادَ لسره موضِعًا فقد أذاعه. عيون الأخبار ٨٠ / ١.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٨٢ / ١.

إذا أنت لم تحفَظ لنفسك سرَّها ... فسرُّك عند الناس أفشَى وأضيعُ

* وكان يقال: من ضاق قلبه اتسع لسانه. عيون الأخبار ٨٢ / ١.

* وقال **ذو النون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٦): صدور الأحرار قبور الأسرار. تهذيب الحِلْية ٢٣٦/ ٣.

* وقال **بعض الأدباء**: من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ ... وَلَامَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَهُوَ أَحْمَقُ

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ ... فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

أدب الدين (٤٩٥-٤٩٦).

المزاح، وآدابه(١)

* قال **سعيد بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٧) لابنه: يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنيّ فيجترئ عليك. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٤٠.

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): من كثر كلامه وضحكه ومزاحه: قلت هيبته، ومن أكثر من شيء عُرف به. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٨.

---

(١) المزاح هو الدعابة، **وهو قسمان:**

١- مزاح منضبط، بحيث يتبسّط المازح للناس ويليّن جانبه معهم، فهذا محمود باتفاق العقلاء والعلماء، وهو من أجمل ما تحلّى به المسلم لا سيما أهل العلم والفضل.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا قُرِنَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَحْسَنُ مِنْ ظَرْفٍ إِلَى صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَسِرٍّ مَعَ اللهِ وَجَمْعِيَّةٍ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ عُنِيَ بِهَذَا الشَّأْنِ تَضِيقُ نَفْسُهُ وَأَخْلَاقُهُ عَنْ سِوَى مَا هُوَ بِصَدَدِهِ، فَتَثْقُلُ وَطْأَتُهُ عَلَى أَهْلِهِ وَجَلِيسِهِ، وَيَضِنُّ عَلَيْهِ بِبِشْرِهِ، وَالتَّبَسُّطِ إِلَيْهِ، وَلِينِ الْجَانِبِ لَهُ.

وَلَعَمْرُ اللهِ إِنَّهُ لَمَعْذُورٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ بِمَشْكُورٍ.

فَإِذَا تَمَكَّنَ الْعَبْدُ فِي حَالِهِ وَصَارَ لَهُ إِقْبَالٌ عَلَى اللهِ وَجَمْعِيَّةٌ عَلَيْهِ -مَلَكَةً وَمَقَامًا رَاسِخًا-: أَنِسَ بِالْخَلْقِ وَأَنِسُوا بِهِ، وَانْبَسَطَ إِلَيْهِمْ، فَعَكَفَتِ الْقُلُوبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ لِلُطْفِهِ وَظَرْفِهِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَنْفِرُونَ مِنَ الْكَثِيفِ - أي الثقيل - وَلَوْ بَلَغَ فِي الدِّينِ مَا بَلَغَ.

وَلِلَّهِ مَا يَجْلِبُ اللُّطْفُ وَالظَّرْفُ مِنَ الْقُلُوبِ، وَيَدْفَعُ عَنْ صَاحِبِهِ مِنَ الشَّرِّ، وَيُسَهِّلُ لَهُ مَا تَوَعَّرَ عَلَى غَيْرِهِ، فَلَيْسَ الثُّقَلَاءُ بِخَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا ثَقُلَ أَحَدٌ عَلَى قُلُوبِ الصَّادِقِينَ الْمُخْلِصِينَ إِلَّا مِنْ آفَةٍ هُنَاكَ، وَإِلَّا فَهَذِهِ الطَّرِيقُ تَكْسُو الْعَبْدَ حَلَاوَةً وَلَطَافَةً وَظَرْفًا، فَتَرَى الصَّادِقَ فِيهَا مِنْ أَحْلَى النَّاسِ وَأَلْطَفِهِمْ وَأَظْرَفِهِمْ، قَدْ زَالَتْ عَنْهُ ثَقَالَةُ النَّفْسِ وَكُدُورَةُ الطَّبْعِ، وَصَارَ رُوحَانِيًّا سَمَائِيًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ حَيَوَانِيًّا أَرْضِيًّا، فَتَرَاهُ أَكْرَمَ النَّاسِ عِشْرَةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأَلْطَفَهُمْ قَلْبًا وَرُوحًا، وَهَذِهِ خَاصَّةُ الْمَحَبَّةِ، فَإِنَّهَا تَلْطُفُ وَتَظْرُفُ وَتَنْظُفُ. ا.ه مدارج السالكين ٣/ ٧٢٩-٧٣٠

٢- مزاح غير منضبط، إما بذاته أو بصفاته أو وقته، فهذا مذموم، وما نُقل من ذمّ المزح فيُقصد به هذا القسم.

* وقال **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): لا تمازح الصبيان، فتهون عليهم ويستخفون بحقك. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٩٧، ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٨.

* وقال **بعضهم**:

أَفْدِ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً ... يُجَمُّ وَعَلِّلْهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزْحِ
ولَكِنْ إذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَزْحَ فَلْيَكُنْ ... بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ

البداية والنهاية ١١/ ٣٦٤.

* وقال **مسعر بن كدام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٥) لابنه:

إني نحلتك يا كدام نصيحتي ... فاسمع لقول أبٍ عليك شفيق
أما المُزاحة والمِراء فدعهما ... خُلُقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمَدْهما ... لمجاورٍ جارًا ولا لرفيق[1]

ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٨.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): اتقوا الله، وإيَّاي والمزاحة؛ فإنها تورث الضغينة، وتجر القبيحة، تحدثوا بالقرآن، وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٩.

* وكان يقال: لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٤١.

* وكان يقال: المزاح مسْلَبة للبهاء، مقطعة للصداقة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٤٢.

* وقال **بعض البلغاء**: من قلَّ عقله كثر هزلُه.

---

(١) الإفراطُ في المزاحِ والجدال أقْصَرُ طريقٍ لجلب العداوة، وتمزيقِ رباط الأُخوَّة والصداقة، فكم وقعت بسببهما الفرقةُ بين الأقارب والأصدقاء، وشُتِّتَ شملُ المتحابين والأخلاء، وعن طريقهما حلَّ الحزنُ والوحشةُ في القلوب، ووقع الناس في الآثام والذنوب.

وقال الشاعر:

إنَّ الْمِـزَاحَ بَـدْؤُهُ حَـلَاوَهْ　　لَكِنَّمَـا آخِـرُهُ عَـدَاوَهْ
يَحْقد مِنْهُ الرَّجُلُ الشَّـرِيفُ　　وَيَجْتَـرِي بِسُـخْفِهِ السَّـخِيفُ

أدب الدين (٥٠٢-٥٠٣).

إجمام النفس وترويحها(١)

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): إنه هذه القلوب تمَلّ كما تمل الأبدان، فالتمسوا لها من الحكمة طرفا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٥.

* وقال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): اسْتَبْق نفسك ولا تكرِهْها؛ فإنك إن أكرهت القلب على شيء عمي.(٢) ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٥.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن للقلوب شهوة وإقبالًا، وإن للقلوب فترة وإدبارًا،

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن السرور والفرح يبسط النفس ويُنَمِّيها، ويُنْسِيها عيوبَها وآفاتَها ونقائصَها، إذ لو شهدت ذلك وأبصرته: لشغلها ذلك عن الفرح.
والفرح بالنعمة قد ينسيه المُنْعِم، فيشتغل بالخِلْعة التي خلعها عليه عنه، فيطفح عليه السرور، حتى يغيب بنعمته عنه، وهنا يكون المكر إليه أقرب من اليد للفم.
ومما يدل على أن الفرح من أسباب المكر مالم يقارنه خوف: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام:٤٤]
وقال قوم قارون له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص:٧٦].
فالفرح متى كان بالله، وبما مَنَّ الله به، مقارنًا للخوف والحذر: لم يضرَّ صاحبه، ومتى خلا عن ذلك: ضره ولا بُدَّ. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٦٠٨

(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في قول ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»: ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملال، **وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين:**
إما كل يوم مع عدم التكلف.
وإما يوما بعد يوم، فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليُقبل على الثاني بنشاط، وإما يوما في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط. فتح الباري ١/ ٢١٤

فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها».[(١)] الزهد لابن المبارك (١٠٤٢)، صفة الصفوة ١/ ١٩٠ واللفظ له.

* وقال **أبو الدّرداء** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إني لأستجمُّ نفسي بشيء من الباطل ليكون أقوى لها على الحقِّ. الكامل في اللغة / ٤٨٩.

* وقال عبد الله بن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُمَا اللهُ لأبيه (ت: ١٠١) يومًا: يا أبة، إنك تنام نوم القائلة، وذو الحاجة على بابك غير نائم؟ فقال له: يا بنيَّ، إنّ نفسي مطيّتي، فإن حملت عليها في التعب حسرتها.[(٢)] الكامل في اللغة / ٤٩٠.

* وقال **بعض السلف**: روِّحوا القلوب تعي الذكر. أخبار الشيوخ (٣٤٦).

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٤): مكتوب في حكمة آل داود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يناجي فيها ربه، وساعة يلقى فيها إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذَّاتها فيما يحلّ ويَجْمُل؛ فإنَّ في هذه الساعة

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وقد أخبر النبي ﷺ (إن لكل عامل شِرَّة، ولكل شِرَّة فترة) فالطالب الجاد لا بُدَّ أن تعرض له فترة فيشتاق في تلك الفترة إلى حاله وقت الطلب والاجتهاد.
فتَخَلُّلُ الفترات للسالكين أمرٌ لازم لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تُخرجه من فرض، ولم تدخله في محرم: رُجي له أن يعود خيرًا مما كان.
وفي هذه الفترات والغيوم والحُجب التي تعرض للسالكين من الحِكم مالا يعلم تفصيله إلا الله، وبها يتبين الصادق من الكاذب. فالكاذب: ينقلب على عَقِبَيْه، ويعود إلى رسوم طبيعته وهواه، والصادق: ينتظر الفرج ولا ييأس من رَوْح الله، ويلقي نفسه بالباب طريحًا ذليلًا مسكينًا، كالإناء الفارغ الذي لا شيء فيه البتة ينتظر أن يضع فيه مالك الإناء وصانعه ما يَصلح له، فإذا رأيته قد أقامك في هذا المقام: فاعلم أنه يريد أن يرحمك ويملأ إناءك، فإن وضعت القلب في غير هذا الموضع: فاعلم أنه قلب مضيع، فسل ربه ومن هو بين أصابعه أن يرده عليك ويجمع شملك به. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٦٣٨-٦٤٠.

(٢) أي: بلغت بها أقصى غاية الإعياء.

عونًا على تلك الساعات، وفضلَ بلغة واستجماعًا للقلوب. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦، ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧١.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) أنه رخص في قمار البيض للصبيان، وكان **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) يكرهه، وكان **ابن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) لا يرى بأسا بكسر البيض الذي يتقامر به الصبيان.

قال **ابن أبي الدنيا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨١): وكذلك **الحسن** إنما رخص في هذا لأنه رأى الصبيان غير مكلفين، فلم ير لفعلهم أثرا في التحريم، بخلاف البالغين فإن قمارهم معصية، وما يكسبونه به حرام. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٩٤.

* وقال أَبُو الفرج بن الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الفقيه الزاهد **أَبُو منصور عبد العزيز بن ثابت البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٦) لَطيفًا في صُحبته، خرجنا نزور قبر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم عَدَلنا إلى الشطّ، فنزل الفقهاء يسبحون في الشط، فقالوا للشيخ أبي منصور: انزل معنا، فنزع ثوبه، ونزل يسبح معهم، **ولعبوا في الماء، فعمل مثلهم**، فقال له بعض الفقهاء: أين الشيخ محمد النعَّال يبصرك؟.

فقال: يا مسكين، الحقُّ تعالى يُبصرنا، فطاب بعض الجماعة بقوله. ذيل الطبقات (٢/ ٤٥٥).

* وقال بعضهم: التَّوقُّر في النزهة مثل التَّبذُّل في الحفلة.[١] طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ١٨٠).

(١) الحفلة: الجمع الكثير.

موقف السلف من الرخص والأخذ بها(١)

* قال **سليمان التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣): لو أخذت برخصة كل عالم - أو زلة كل عالم - اجتمع فيك الشر كله. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٤٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ لابنِه: حدثني بالرخص لعلي ألقى الله عَزَّوَجَلَّ وأنا أحسن الظنّ به. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٤٢.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة، فأما التشديد فكل إنسان يحسنه. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٦٤.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرخصة نوعان:

١- الرخصة المستقرة المعلومة من الشرع نصا، كأكل الميتة والدم عند الضرورة، فليس في تعاطي هذه الرخصة ما يوهن رغبته، ولا ينقص طلبه وإرادته البتة.

٢- رخص التأويلات واختلاف المذاهب، فهذه تتبعها حرام. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٢٥٤

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد يستدل بهذا - أي في حديث «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»- على أن الخروج من اختلاف العلماء أفضل لأنه أبعد عن الشبهة، ولكن المحققين من العلماء من أصحابنا وغيرهم على أن هذا ليس هو على إطلاقه، فإن من مسائل الاختلاف ما ثبت فيه عن النبي ﷺ رخصة ليس لها معارض، فاتباع تلك الرخصة أولى من اجتنابها... وإن كان للرخصة معارض إما من سنة أخرى أو من عمل الأمة بخلافها، فالأولى ترك العمل بها، وكذا لو كان قد عمل بها شذوذ من الناس واشتهر في الأمة العمل بخلافها في أمصار المسلمين من عهد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فإن الأخذ بما عليه عمل المسلمين هو المتعين، فإن هذه الأمة قد أجارها الله أن يظهر أهل باطلها على أهل حقها، فما ظهر العمل به في القرون الثلاثة المفضلة فهو الحق وما عداه فهو باطل. جامع العلوم والحكم: ١٤٣-١٤٤

ما قيل في الزمان(١)

* قال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): الناس بأزمنتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم. تهذيب الحِلْية ١/٣٥٠.

* وعن **مطرف بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) قال: عقول الناس على قدر زمانهم. تهذيب الحِلْية ١/٣٦١.

* وصدق **القائل**:

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا ... وما لزماننا عيبٌ سوانا

ونهجو ذا الزمانَ بغير جرم ... ولو نطق الزمانُ إذًا هجانا

* وقال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧): كان الوليد بن عبد الملك صاحب بناء واتخاذ مصانع، وكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضًا عن البناء والمصانع، فولي سليمان، وكان صاحب نكاح وطعام، وكان الناس يلتقون فيسأل الرجل الرجل عن التزويج والجواري، فلما ولي **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم؟ المنتظم ٦/٢٦٨-٢٦٩.

---

(١) صح عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُم زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**». رواه البخاري (٧٠٦٨)، والعاقل لا ينشغل بانتقاد زمانِه وعيبِه، ومقارنتِه بالأزمان الماضية.

وثبت في الواقع أنّ الناس يتوجهون غالبا على حسب توجيهات ملوكهم وحُكامهم، والعاقل لا ينبغي له أن ينجرف مع من انجرف، بل يجب عليه أن يعمر وقته بما ينفعه، ويدع تتبّع الأخبار والقيل والقال.

ما قيل في المساجد(١)

* سمع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) صوت رجل في المسجد فقال: تدري أين أنت؟ الزهد لابن المبارك (٣٨٦).

* وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨): «من رأى أن من في المسجد ليس في الصلاة إلا من كان قائما يصلي، فإنه لم يفقه». الزهد لابن المبارك (٣٩٢).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن المساجد طهرت من خمس: من أن تقام فيها الحدود،

(١) للمساجد حرمة عظيمة، ومكانة شريفة، يجب مُراعاتها، وتعاهدها وتطهيرها من الدنس، واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها.
ولا يجوز تمكينُ الأطفال من اللعب ورفعِ الأصوات الصاخبة فيها، ويتأكد ذلك: إذا كان ذلك أثناءَ صلاةِ الفريضة، **فقد اجتمع في لعبهم وصراخهم محذوران:**
الأول: امتهانُ حرمة المسجد.
والثاني: أذى المصلين وإفسادُ خشوعهم.
وقد ذكر أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ، أنه لا يجوز تعليم القرآن في المسجد، إذا كان فيه ضرر على المسجد وأهله.
قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: تعليم القرآن في المسجد لا بأس به إذا لم يكن فيه ضرر على المسجد وأهله بل يستحب تعليم القرآن في المساجد. الفتاوى الكبرى ٥/ ٣٤٢
وذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في أحداث سَنَة ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ، أنه اسْتُفْتِيَ عَلَى مُعَلِّمِي الصِّبْيَانِ أَنْ يُمْنَعُوا مِنَ الْمَسَاجِدِ صِيَانَةً لَهَا، وحفظًا لِمَكانَتِها، وَلَمْ يُسْتَثْنَ مِنْهُمْ سِوَى رَجُلٍ كَانَ فَقِيهًا شَافِعِيًّا، يَدْرِي كَيْفَ تُصَانُ الْمَسَاجِدُ، واجتهد في تربية طلابه على احترمها وعدم العبث فيها، وَاسْتَدَلَّ الْمُفْتِي بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ**».
والْخَوْخَةُ هِيَ الْبَابُ الصَّغِيرُ بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ. البداية والنهاية (١٦/ ١١٦)

وأن يقتص فيها الجراح، وأن ينطق فيها بالأشعار، أو ينشد فيها الضالة، أو تتخذ سوقا. الزهد لابن المبارك (٣٩٤).

* وعن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أنه قال: ما من رجل يغدو إلى المسجد بخير يتعلمه أو يُعَلّمه إلا كتب الله له أجر المجاهد ولا ينقلب إلا غانمًا. الزهد لأحمد: ٢٥٤-٢٥٦.

* وعن **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: يأتي على الناس زمان يجتمعون في المسجد، ليس فيهم مؤمن. الزهد لوكيع (٢٧١).

* وعن **أبي إدريس الخولاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) قال: المساجد مجالس الكرام. تهذيب الحِلْية ٢/١٦٢.

* وعن **حسان بن عطية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: كانوا يمسكون عن ذكر النساء وعن الخنا في المساجد. تهذيب الحِلْية ٢/٢٦٦.

* ورأى **عطاء بن يسار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) رجلًا يبيع في المسجد فدعاه فقال: هذه سوق الآخرة فإذا أردت البيع فاخرج إلى سوق الدنيا. الزهد لأحمد: ٥٣١.

* وعن **عمرو بن ميمون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٥) قال: المساجد بيوت الله، وحق على المزور أن يكرم زائره. تهذيب الحِلْية ٢/٧١.

العمر والشيب(١)

* عن **يحيى بن سعيد القطان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: بلغنا أنه من أهان ذا شيبة: لم يمت حتى يبعث الله عليه من يهين شيبه إذا شاب. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٠.

* ودخل قوم على **أعرابي** يعودونه، فقال له بعضهم: كم أتى عليك؟ قال: خمسون ومائة سنة، فقالوا: عمر والله، فقال: لا تقولوا ذاك، فوالله لو استكملتموها لاستقللتموها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦١.

* وقال **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): ما أسرع هذه الأيام في هدم عمرنا، وأسرع هذا العام في هدم شهره، وأسرع هذا الشهر في هدم يومه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٦.

* وكان **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) يضع يده تحت لحيته، ثم يميلها إلى وجهه، ثم ينظر إليها فيبكي، ويقول: إلهي ارحم شيبتي. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٣.

* وعن **بعض التابعين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان الرجل من أهل المدينة إذا بلغ أربعين

(١) مرحلة الشباب مرحلةٌ صعبةٌ على الإنسان، وأكثر من انحرف وافتُتن من الشباب، لضعفِ عقولهم وثوران عواطفهم، ومن تجاوزها وسَلِم من الأهواء والبدع فليحمد الله، وقد كان بعض السلف إذا رأى الشيب قال: مرحبًا بالحلم والعلم، الحمد لله الذي أخرجني من الشباب سالِمًا. وكلّما طال عمر المؤمن ازداد خيرًا ورفعةً، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا»**. رواه مسلم (٢٦٨٢)

سنة تفرغ للعبادة.[1] الزهد لهناد (٦٧١).

* واعتم[2] **شهر بن حوشب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) وهو يريد سلطانا يأتيه، ثم أخذ المرآة ينظر في وجهه وعمامته، فنظر إلى لحيته فرأى شيبةً فأخذها بيده، ثم نقض عمامته، وهو يقول: السلطان بعد الشيب، السلطان بعد الشيب.[3] ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٩.

* واعتمّ **إياس بن قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣)، وهو يريد بِشْر بن مروان، فنظر في المرآة، فإذا بشيبةٍ في ذقنه، فقال: أفلِيها يا جارية. ففلَتْها فإذا هي بشيبة أخرى، فقال: انظُروا مَن بالباب مِن قومي فأدخلوه، فأُدخلوا عليه، فقال: يا بني تميم إني قد كنت وهبتُ لكم شبيبتي فَهبوا لي شيبتي، ألا أراني حميّر الحاجات، وهذا الموت يقرب مني، ثم نقض عمامته فاعتزل يؤذن لقومه ويعبد ربه، ولم يغش سلطانًا حتى مات. صفة الصفوة ٣/ ١٥٤.

* وقد قال **أحد أمراء بني أمية**: تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياء من الناس، ثم تركتها حياء من الله، عَزَّوَجَلَّ.

وما أحسن قول **الشاعر**:

صَبا ما صَبا حتى علا الشَّيبُ رأسَهُ ... فلمَّـا عـلاهُ قـال لِلْباطِـلِ ابْطُـل

تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨١).

---

(١) أي: إذا بلغ أربعين سنة اجتهد في عبادة الله وجعَلها أهمّ أعماله، ولا يعني ذلك انقطاعه عن الناس، وتركَ شؤون أهله وولده.

وقد قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف:١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه إرشادٌ لمن بلغ الأربعين أن يُجدِّد التوبة والإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ويعزم عليها. ا.ه تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨١)

(٢) أي لبس عمامته.

(٣) والشيب يبدأ غالبا من سنّ الأربعين، فلذلك لمّا رأى الشيب تفرغ للعبادة وقلّل انشغاله بالناس، كما هو حال أكثر السلف الصالح.

* وقال **عبد الله بن داود** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢١٣): كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشَه، وكان بعضهم يُحيي الليلَ، فإذا نظر إلى الفجر قال: عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى. عيون الأخبار ٦٧٧ / ٢.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١): إن اغتممت بما يَنقُص من مالك، فابْكِ على ما ينقص من عُمرك. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وقال **بعض السلف**: إنما يحب البقاء من كان عمره له غُنْما، وزيادة في عمله، فأما من غَبن عمرَه، واستنَّ له هواه، فلا خير له في طول الحياة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٤.

* وقال **الشاعر**:

وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب في الرأس نازل

أدب الدين (٢٠٣).

* وقال **عبد العزيز بن أبي رواد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٩): من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشيء: الإسلام، والقرآن، والشيب. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٤.

* وقال **الشاعر**:

رأَيْتُ الشَّيْبَ مِنْ نُذُرِ الْمَنايا ... لِصاحِبِهِ وحَسْبُكَ مِنْ نَذيرِ

المجالسة وجواهر العلم (٥٦٦).

* وكان **أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى النحوي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٩) إذا أراد أن يقوم تمثل أبيان أبي الطيخان القيني:

حنَتْني حانياتُ الدهر حتى ... كأني خاتِلٌ يَدْنو[1] لصيدِ

قريبُ الخَطو يحسب من رآني ... -ولست مقيدا- أني بقيد

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٧٠.

---

(١) في الأصل: بدنو، وهو خطأ مطبعي.

* وقَالَ أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): ما شَبَّهتُ الشباب إلا بشيء كان فِي كُمِّي فسقط. طبقات الحنابلة (١/ ١٨٣).

* ومن شعر ابن عبيدة المقرئ النحوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٨٢):

وما شنآن الشيب من أجل لونه ... ولكنه حادٍ إلى الموت مُسرع
إذا ما بدت منه الطليعة آذنت ... بأنَّ المنايا بعدها تتطلَّع[1]

معرفة القراء (٣/ ١٠٦١).

* وقال أحمد بن أبي سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٦):

لئن كان المشيبُ أتى نذيرًا ... فإني سوف أدعوه بشيرا
فأهلًا بالمشيب لنا لباسًا ... وقارًا نستزيد به وقورا

ترتيب المدارك (٢/ ٣٥٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جزى الله طول العمر خيرًا فإنه ... هداني إلى التقوى ودل وأرشدا
ولما نحا عمري ثمانين حجة ... وأيقنت أني قد قربت من المدى
تركت تكاليف الحياة لأهلها ... وجانبتها طوعًا فجانبني الردى
رأيت حليم القوم فيهم مقدَّمًا ... ومن نال علمًا نال جاهًا وسؤددا
ويُحبَى من الزُّلفَى غدًا في معاده ... بأضعاف ما يُحبَى الذي قد تعبَّدا

ترتيب المدارك (٢/ ٣٥٤).

* وقال بعضهم:

أيام عمرك تذهب ... وجميع سعيك يكتب

---

(١) إذا بدأك الشيب فاستعد فقد دنا الرحيل.

رأى بعض السلف شيبة في لحيته، فقال لقومه: قد كنت وهبتُ لكم شبيبتي فَهبوا لي شيبتي، وهذا الموت يقرب مني، ثم انشغل بالعبادة.

ثـــم الشهيـــد عليـك　　　　منـــك فأيـــن المذهـــب

طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٤٣).

* وقال الشاعر:

ومَا شابَ رأسِي مِن سنينَ تَتابَعتْ　　　　علَـيَّ ولكِــنْ شَـيَّبَتْني الوقائـعُ

المجالسة وجواهر العلم (١٧٥).

الخاتمة

اللهم لك الحمد أن هديتني للإسلام والسنّة، وعلمتني القرآن، وحببت إليّ العلم النافع وزيّنته لي، وشرحت صدري لنشره، وذلّلت لي الطرق والسبل لذلك.

ولك الحمد على نعمة العافية، ولولاها لما قدرت على تعلّم العلم ولا على العمل به ولا على نشره.

ولك الحمد أنْ رزقْتَني بإخوةٍ ناصحين يقوِّمونني إذا اعْوَججت، وينصحونني إذا أخطأت، ويفرحون لفرحي إذا أَصَبْت، ويُعينونني على نشر العلم الذي وهبتَه لي بكرمك وجودك وإحسانك.

ولك الحمد على نعمة الفراغ، فلولاها لما وجدت الوقت الذي أتعلّم وأعمل وأُعلّم وأكتب.

ولك الحمد أن صرفت عني شياطين الإنس والجن، فلولا لطفك بصرفهم عني لآذوني وأردوني، وشغلوني عما فيه صلاح ديني ودنياي.

ولك الحمد أن أغنيتني ووسعت لي في رزقي الذي به حياة بدني، فلولاه لانشغلت بتحصيل لقمتي ولقمت أولادي عن العلم الذي به حياة روحي.

ولك الحمد على أن أعنتني على نفسي ولم تكلني إليها فهي الأمارة بالسوء، ولو وُكلت إليها لوُكلت إلى ضعف وفقر وعجز.

فلولاك ربي ما اهتدينا، ولا تصدّقنا ولا صلّينا.

الحمد لله حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، كما يُحب ربنا ويرضى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع[1]

١- القرآن الكريم.

السنة:

٢- صحيح البخاري، المطبوع ضمن شرح ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- صحيح مسلم، المطبوع ضمن شرح القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[2].

٤- سنن أبي داود.

العقيدة:

٥- اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، تعليق فضيلة الشيخ: محمد ابن صالح العثيمين. تحقيق: محمود بن الجميل. طبع: دار الأنصار للنشر والتوزيع.

---

(١) كانت قراءتي لهذه الكتب على مدى سنوات، قيّدت كثيرا مما جاء فيها، وهي أصل مادة هذا الكتاب، وهناك مصادر أخرى لم أذكرها ضمن المراجع؛ لأنها ذُكرت عرضًا ولم تكن من صلب مادة الكتاب.

وهناك مصادر رجعت لها عند الحاجة والتأكد؛ ككتب اللغة، مثل القاموس المحيط للفيروزآبادي، ولسان العرب لابن منظور، وكتب الأحاديث؛ كمسند الإمام أحمد والترمذي وغيرهما، وكتب الآثار، كمصنف بن أبي شيبة وعبدالرزاق، وغيرهما.

وإنما بيّنت هذا حتى لا يظنّ أحدٌ أنّ كل ما ذكرته في الكتاب قد قرأته، فالمتشبّع بما لم يُعْط كلابس ثوبَيْ زور، نعوذ بالله من ذلك.

(٢) قرأتهما قراءة متأنية استفدت منهما في جمع ما نُقل عن الصحابة والتابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقد ظفرت بمئات الآثار التي لم أجد بعضها في غيرهما.

٦- الشريعة للآجرى. تحقيق الشيخ: عبد الرزاق المهدي. طبع: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

٧- شرح السنة للبربهاري. تحقيق: خالد بن قاسم الرّدادي. طبع: دار السلف، دار الصميعي.

٨- عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني. تحقيق: ناصر الجديع. طبع: دار العاصمة للنشر والتوزيع.

الأدب والشعر:

٩- الكامل في اللغة والأدب للمبرد. تحقيق: د. يحي مراد. طبع: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.[١].

١٠- عيون الأخبار لابن قتيبة. تحقيق: د. محمد الإسكندراني. طبع: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

١١- البيان والتبيين، دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى.

١٢- المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن حزم.

١٣- أدب الدين والدنيا، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الثانية، قام بخدمته: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج.

١٤- ديوان الشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور أحمد شتيوي، الناشر: دار الغد الجديد.

---

(١) قرأت جزأ منه.

١٥- ديوان أبي الطيب المتنبّي (المتوفى: ٣٥٤هـ).

١٦- شرح ديوان المتنبي للواحدي (المتوفى: ٤٦٨هـ).

١٧- معجز أحمد لأبي العلاء المعري (المتوفى: ٤٤٩هـ).

١٨- الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المُقَفَّع (ت: ١٤٤)، الناشر: المكتبة العصرية، ودار صادر - بيروت.

السير والتراجم:

١٩- تهذيب سيَر أعلام النبلاء، للدكتور: محمد موسى الشريف. طبع: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، ورمزت له بـ (تهذيب السِّيَر).

٢٠- تهذيب حِلْية الأولياء، للشيخ: صالح الشامي. طبع: دار القلم، الدار الشامية، ورمزت له بـ (تهذيب الحِلْية).

٢١- صفة الصفوة لابن الجوزي، تحقيق الشيخ: الشيخ عبد الرحمن اللاذقي، والشيخ حياة شيحا اللاذقي. طبع: دار المعرفة.

٢٢- أخبار الشيوخ وأخلاقهم للمَرُّوْذِيّ (المتوفى: ٢٧٥)، حققه وقدم له وخرج نصوصه: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٢٣- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار(ت: ٧٤٩)، تحقيق: زهير الشاوش، طباعة: المكتب الإسلامي.

التواريخ:

٢٤- المنتظم لابن الجوزي. تحقيق: الشيخ محمد عبد القادر عطا، والشيخ مصطفى عبد القادر عطا. طبع: دار الكتب العلمية.

٢٥- البداية والنهاية لابن كثير. تحقيق: مجموعة من المشايخ. تحت إشراف فضيلة الشيخ مصطفى العدوي. طبع: دار ابن رجب.

شروح الأحاديث:

٢٦- الجامع المنتخب من رسائل الحافظ ابن رجب للشيخ: محمد العمري. طبع: مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد.

٢٧- جامع العلوم والحكم لابن رجب. تحقيق الشيخ: فؤاد بن علي حافظ. طبع: مؤسسة الريان.

٢٨- فتح الباري لابن حجر، الناشر: دار السلام.

٢٩- المفهم للقرطبي، حققه مجموعة من البحثين، طباعة: دار ابن كثير ودار الكلم الطيب.

السلوك، والرّقائق:

٣٠- مدارج السالكين لابن القيم. تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل. طبع: دار طيبة.

٣١- مفتاح دار السعادة لابن القيم. تحقيق: الشيخ: علي بن حسن الحلبي. طبع: دار ابن القيم، دار ابن عفان.

٣٢- ذم الهوى لابن الجوزي. تحقيق: الشيخ: خالد عبد اللطيف السبع العلمي. طبع: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

٣٣- موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا، طبع: المكتبة العصرية، بيروت، ورمزت له بـ (ابن أبي الدنيا).

٣٤- المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، للخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ورمزت له بـ (المنتخب للخطيب).

كتب أخرى:

٣٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم.

٣٦- الاستقامة لشيخ الإسلام، تحقيق: محد رشاد سالم، طبع: دار الفضيلة.

٣٧- بدائع الفوائد لابن القيم. تحقيق: علي بن محمد العمراني. طبع: دار عالم الفوائد.

٣٨- أعلام الموقعين لابن القيم، تحقيق: بشير عيون، طبع: دار البيان.

٣٩- طبع: دار الخزانة.

٤٠- تلبيس إبليس لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبع: دار المُغْني.

٤١- صيد الخاطر لابن الجوزي، تحقيق: يوسف علي، طبع: دار اليمامة.

٤٢- أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبع: دار الكتاب العربي.

٤٣- الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي. تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، طباعة: دار الكتب العلمية.

٤٤- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣)، المحقق: د.محمد سعيد أوغلي، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة.

كتب الطبقات:

كتب طبقات الحنفية:

٤٥- طبقات الحنفية، لابن الحنائي (ت: ٩٧٩)، تحقيق: سفيان بن عايش بن محمد، وفراس بن خليل مشعل.

٤٦- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله

القرشي، (ت: ٧٧٥)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي.

٤٧- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي (ت: ١٠١٠)، الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع، من المكتبة الشاملة.

٤٨- تاج التراجم، لقاسم بن قُطلُوبغا الحنفي (ت: ٨٧٩)، تحقيق: إبراهيم صالح.

٤٩- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، للفقيه المحدث محمد عبد الحي اللكنوي الهندي الحنفي (ت: ١٣٠٤)، تحقيق: أحمد الزعبي.[١].

كتب طبقات المالكية:

٥٠- ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (ت: ٥٤٤).[٢].

---

(١) مات دون سنّ الأربعين، وقد ألف أكثر من (١٠٠) كتاب، وقد اعتمد في ذكر القصص والحكايات وأقوال العلماء على من سبقه، فلم أجد فيه الجديد.

(٢) تبين خلال قراءتي لهذا الكتاب الجليل أن علماء المالكية تميز كثير منهم بالعبادة والزهد والورع، والصدع بالحق، وهناك خلق ممن لم يقل بخلق القرآن زمن المأمون والمعتصم والواثق، وقُتل منهم وسُجن وعذب الكثير، في مصر والمغرب خاصة، والشهرة صارت للإمام أحمد لإمامته وشهرته، وقربه من دار الخلافة، ومناظرته للمعتزلة والخليفة.

وذكر عشرات من أهل العلم ممن قتل وعذب وطرد على يدي الروافض أتباع بني عبيد، ومن ذلك:

أمر عبيد الله الشيعي بضرب محمد بن موسى التمار مائتي سوط فمات.

وخلع لسان عمروس، وضرب ظهر ابن معتب، وضرب ابن المدني في ظهره، وصفعه، وسجن ابن اللباد، وقتل وصلب ابن البرذون وابن هذيل، وأشياء كثيرة من جهة ترك: حيّ على خير العمل في الأذان، وترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، والفتيا بمذهب مالك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وضَرب النَّفطيُّ قاضي الشيعة محمد بن العباس الذهلي في جميع القيروان عريانًا، وصفع قفاه، حتى سال الدم من رأسه، وبُرّح عليه في الأسواق، وأطافه عريانًا على حمار إذ رُفع عنه أنه كان يفتي بمذهب مالك، ويطعن على السلطان، ثم حبس.

كتب طبقات الشافعية:

٥١- طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة. (ت: ٨٥١)، تحقيق: علي محمد عمر.

٥٢- طبقات الشافعيين، لابن كثير (ت: ٧٧٤)، تحقيق: أنور الباز، تحقيق: حسن شلبي ورفاقه.

كتب طبقات الحنابلة:

٥٣- طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، (ت: ٥٢٦)، تحقيق: د.عبد الرحمن العثيمين، الطبعة الثالثة.

٥٤- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (ت: ٧٩٥)، تحقيق: د.عبد الرحمن العثيمين، الطبعة الثانية، ورمزت له بـ (ذيل الطبقات).

٥٥- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لمحمد بن عبد الله النجدي (ت: ١٢٩٥)، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، وعبدالله بن عبد الرحمن العثيمين، تحقيق: د. طيار آلتي قولاج.[1].

٥٦- علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد الله بن بسام (ت: ١٤٢٣) الطبعة الثالثة.

---

(١) وهو كتاب جمع تاريخ علماء الحنابلة خلال خمسة قرون، وهو نفيس لولا ما أفسده بإعلان الحرب والعداء على الشيخ المجدد محمد بن الوهاب ودعوته وأولاده وأتباعه، فقد نقل عن ابن فيروز قوله عنه: طاغية العارض (٢/ ٦٧٠)، وأطلق هو هذه العبارة عليه كذلك (٣/ ٩٧٩)، وقال عن أبيه: هو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق (٢/ ٦٧٥)، وتجاهله لتراجمهم وهم حنابلة، بل من فضلائهم وأكابرهم علما ونفعا، حتى قال الدكتور عبد الرحمن بن عثيمين: إسقاطه لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيره من علماء الدعوة؛ سابقة تاريخية خطيرة، تدلّ على ما وصل إليه ابن حميد من عصبية بغيضة وعدم أمانة. (٣/ ٩٩٦).

كتب طبقات المحدِّثين:

٥٧- المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي، تحقيق: د.محمد الحبيب الهيلة.

كتب طبقات المفسرين والقرَّاء:

٥٨- طبقات المفسرين للداوودي (ت: ٩٤٥)، تحقيق: لجنة من العلماء.

٥٩- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي (ت: ٧٤٨).[١] تحقيق: د. طيار آلتي قولاج.

كتب الآثار المسندة المتقدّمة، التي انتقيتُ ما صحّ منها:

٦٠- الزهد للإمام أحمد.[٢] تحقيق: الشيخ يحيى الأزهري. طبع: دار ابن رجب.

٦١- الزهد لأبي داود، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الناشر: المشكاة.

٦٢- الزهد للمعافى الموصلي (المتوفى: ١٨٥)، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، المحقق: الدكتور عامر حسن صبري.

٦٣- الزهد لأسد بن موسى (المتوفى: ٢١٢)، المحقق: أبو إسحاق الحويني، الناشر: مكتبة التوعية الإسلامية.

(١) هذا الكتاب يُنبئ عن إمامة الذهبي في القراءات، فقد ذكر أنه قرأ على كثير من القراء، وأخذ الإجازات منهم، ورحل إليهم، وكان هذا في سن الشباب، ثم تفرغ بعد ذلك لعلم الحديث والرجال والسير، وهذا يدل على بركة الله له، حيث أمضى سنوات طويلة في علم القراءات، وسافر الأيام بل الشهور في البحث عن الشيوخ، ومع ذلك أصبح إمام في عدة فنون، فالهمة العالية لا يُعيقها عن تحقيق طموحاتها - بعد توفيق الله - أي عائق، لا السن، ولا كثرة الفنون، ولا الفقر، ولا غير ذلك.

(٢) من ضمن المراجع قبل الطبعة الرابعة.

٦٤- الزهد لابن المبارك (المتوفى: ١٨١)، المحقق: أحمد فريد، الناشر: مكتبة ابن تيمية.

٦٥- الزهد لهناد بن السري (المتوفى: ٢٤٣)، المحقق: عبد الرحمن الفريوائي، الناشر: مكتبة دار الحضارة.

٦٦- الزهد لوكيع (المتوفى: ١٩٧)، المحقق: عبد الرحمن الفريوائي، الناشر: مكتبة دار الصميعي.

٦٧- مسند الدارمي (المتوفى: ٢٥٥)، المحقق: حسين سليم الداراني، الناشر: مكتبة دار المغني.[1].

(١) مِن بداية المجلد الأول إلى كتاب الطهارة.

الفهرس

الورع ٥

أ-أهميّة الورع ومعناه: ٥

ب-قصص وأخبار السلف في الورع ٦

ج-التنبيه على الورع الصحيح والخاطئ، ومن يليق به الورع ١١

د-الورع في القضاء ١٣

الأدب والمروءة ١٤

الحياء ١٩

أ- الحياء من الله ١٩

ب- الحياء من الناس ٢٠

ج- الحياء من النفس ٢١

الكرم، والجود، والإيثار ٢٣

التواضع وذم الكبر ٣٧

هضم النفس ٥٤

الهدايا والهبات ٦٣

المدح والثناء ٦٥

أ-موقف السلف من المدح والثناء ٦٥
ب-ثناؤهم على من يستحق بلا إطراء: ٦٨
الغيرة والعفّة ٧٠
التأني والتروي، والرفق، وذم العجلة ٧١
الزهد وذم الدنيا ٧٢
أ- فضل الزهد ٧٢
ب- معنى الزهد، وأنواعه، وبيان أخطاء بعض الناس في الزهد ٧٤
ج- ذم الركون إلى الدنيا والفرح بمتاعها........................ ٨١
د- قصص الزاهدين ١٠٨
هـ- أقوال وحكم في القناعة........................ ١١٦
و- ترك ما في أيدي الناس........................ ١٢٠
الرضا........................ ١٢٥
أ- رضا العبد عن الله وعن أقداره ١٢٥
ب- رضا الله عن العبد، وأسباب ذلك ١٣٠
فضل الذكر وبيانُ أثره........................ ١٣١
الدعاء ١٣٨
أ- أهمية الدعاء، والتضرع إلى الله والتذلل له عَزَّوَجَلَّ ١٣٨
ب- الحذر من دعاء المظلوم، وذكر بعض القصص في ذلك ١٤٢
ج- قصص من أجاب الله دعاءَه........................ ١٤٧
د- نماذج من دعاء السلف........................ ١٥٩
هـ- بعض الآداب في الدعاء، وبعض الأخطاء فيه ١٦٢

الخوف والخشية والرجاء ١٦٧

أ- الخوف والخشية ١٦٧

ب- الرجاء وإحسان الظن بالله ١٨١

ج- الموازنة بين الخوف والرجاء........................ ١٨٨

د- ما جاء فيمن يُصعق عند الموعظة، وموقف السلف من ذلك ١٨٩

هـ- فوائد أخرى ١٩١

حال السلف في التعامل مع نسائهم، ونصحهم وتوجيههم للزوج والزوجة .. ١٩٣

عناية السلف بالأولاد ١٩٩

أ- الحرص على تربيتهم وتعليمهم، والصبر على ذلك........ ١٩٩

ب- فضل الأولاد........................ ٢٠٥

ت- الصبر على فَقدِ الولد ٢٠٦

ج- فضل الإنفاق عليهم........................ ٢٠٨

د- تحفيزُهم وعدم احتقارهم........................ ٢٠٩

هـ- العدل بينهم ٢١١

و- تزويج الأبناء والبنات........................ ٢١١

ل- العطف عليهم، ومحبتُهم، ومداعبتهم ٢١٣

م- التسليم على الصبيان ٢١٥

ن- مداعبة الصبيان، والرخصة في لعبهم ٢١٥

ز- العناية بالأيتام، وتأديبهم........................ ٢١٦

ي- فوائد أخرى........................ ٢١٧

عناية السلف بالجار، وما قيل في ذلك........................ ٢٢٠

المواساة وتفريج الكُرب ٢٢١

عناية السلف بالفقراء والمساكين.............................. ٢٢٦

المسارعة إلى فعل الخيرات.............................. ٢٣٥

حال السلف مع الطعام والشراب ٢٤٠

أ- التقليل من الأكل، والحث على ذلك ٢٤٠

ب- أكل الحلال، والحذر من أكل الحرام ٢٤٥

ج- ترك التكلف والمباهاة في إكرام الناس........................ ٢٤٥

التوكل والاعتماد على الله ٢٤٧

اليقين بالله.. ٢٥٤

المحبة.. ٢٥٧

أ- محبة الناس بعضهم لبعض ٢٥٧

ت-محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد، وأسباب ذلك ٢٥٧

ث-محبة النبي ﷺ وتعظيمه: ٢٥٩

حفظ اللسان ٢٦٤

أ- حفظ اللسان من كثرة الكلام، ومن الكلام الذي لا ينفع ٢٦٤

ب- حفظ اللسان من الغيبة وتتبع الزلات والهفوات والسقطات ٢٧٧

ت- حفظ اللسان من النميمة ٢٨٧

ث- ذم ذي اللسانين والحذر منه ٢٩٠

ج- حفظ اللسان من الكذب ٢٩٠

هـ- حفظ اللسان من المسابة والمشاتمة ٢٩٥

ع- حفظ اللسان من السخرية........................ ٢٩٧

و- حفظ اللسان من القول على الله بلا علم، والورعُ في الفتيا والنقلِ عن النبي ﷺ ٢٩٨
ي- حفظ اللسان من التكلم فيما لا يعني ٣٠٨
ل- كلام السلف في تفضيل السكوت على الكلام أحيانًا، والعكس ... ٣١٠
م - حفظ اللسان من التقعر بالكلام ٣١١
ز- مَن تجوز غيبته ٣١٢
ط- حفظ اللسان من إخلاف الوعد ٣١٣
ن- حفظ اللسان من الفظاظة والحدّة ٣١٤
ش- حفظ اللسان من السؤال عما لم يقع: ٣١٥
ك- فوائد أخرى ٣١٦
الأمانة، والمسؤولية ٣١٨
الثبات على الدين والتضحية لأجله ٣٢٨
أحوال المنتكسين ٣٣٥
التوبة والرجوع إلى الله ٣٤٥
التأمّل والتفكر ٣٥٢
العزلة، وأهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم ٣٥٥
أ- اعتزال الناس، وعدم الإكثار من مخالطتهم، والحذر منهم ٣٥٥
ب- أهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم ٣٦١
ج- أقوال بعض السلف في تفضيل مخالطة الناس، وتوجيههم لمن خالطهم . ٣٦٤
حال السلف عند الموت ٣٦٦
أ- قصص وأخبار ٣٦٦

ب- أهمية تذكر الموت والاستعداد له........................ ٣٨٣
ج- ما قيل في الموت ورهبته........................ ٣٨٧
د- ما قيل في الجنائز والمقابر والاحتضار........................ ٣٩٣
ل- القبر راحة المؤمن........................ ٣٩٨
هـ- تلقين المحتضر الشهادة........................ ٣٩٩
ن- ذكر مَن تُوفي فجأةً وكان بحال طاعة:........................ ٤٠٠
ومنن توفوا فجأة ٤٠٣
الشوق إلى لقاء الله وجنته ٤٠٤
أ- أحوالهم وأقوالهم في الشوق إلى لقاء الله وجنته ٤٠٤
ب- حال بعض السلف الذين يرغبون طول العمر للزيادة في العمل .. ٤٠٥
حال بعض الملوك، والأمراء، والمذنبين عند الموت........................ ٤٠٦
الرؤى والمنامات ٤١١
أهوال يوم القيامة........................ ٤١٦
الجنة ونعيمها........................ ٤١٧
النار وعذابها........................ ٤٢٢
تقلبُ الأحوال، وفُجاءة النِقَم........................ ٤٣١
الأمل ٤٣٥
أ- ما قبل في الأمل غريزة في الإنسان........................ ٤٣٥
ب- الحث على قصر الأمل ٤٣٥
ذم الطمع والبخل ٤٤١
فوائد الطاعة والأعمال الصالحة، وتوجيهات السلف في ذلك:........ ٤٤٣

أ- محبة الله للمطيع، وتحبيب الناس له، وتيسير أموره ٤٤٣
ب- اللذة، والأنس، وانشراح الصدر ٤٤٦
ج- الذلّ عند الطاعات، والعزّ عند المعاصي ٤٥١
أضرار المعصية: ٤٥٢
أ- شؤم المعصية وما ينتج عنها ٤٥٢
ب- ما قيل في المعاصي، والحذر منها، وفضل من تجنبها.......... ٤٥٩
ج-نظرة السلف للمعصية وللعاصي ٤٦١
د- الستر على العاصي، وعدم إفشاء معصيته:...................... ٤٦٤
محاسبة النفس ٤٦٥
أ- أهمية وفضل محاسبة النفس ٤٦٥
ب- توجيهات ونصائح في محاسبة النفس ٤٦٧
ج- قصص ووقائع في محاسبة النفس........................ ٤٦٨
د- أهمية معرفة عيوب النفس وآفاتها، وترك عيب الناس ٤٧١
و- مجاهدة النفس ٤٧٨
الإخوة والصحبة ٤٨١
أ- فضل الإخوة والصحبة في الله، والإحسان إليهم ٤٨١
ب- أقوال وآراء بعض السلف الذين يرون الإكثار من الإخوان والأصحاب ٤٨٥
ج- أقوال وآراء بعض السلف الذين لا يرون الإكثار من الإخوان والأصحاب ٤٨٥
د- قصص ومواقف في الإحسان إلى الأخ والصديق ٤٨٦
و- الصبر عليهم، والتجاوز عن تقصيرهم، والتماس العذر لهم ٤٩١
ل- نصائح وتوجيهات للصديق ٤٩٥

ي- فوائد أخرى ٥٠٢
تقوى الله وأثرها على المسلم ٥٠٦
ما قيل في الحكمة والحكماء ٥١٠
الاعتذار والرجوع إلى الحق ٥١١
ذم الحمقى واللئام ٥١٩
حال السلف في باب المناظرة ٥٢١
الحكمة، وحسن التصرف، ولطف الكلام ٥٢٦
حال السلف مع النعم، وشكر المُنعم: ٥٣١
أ- حال السلف مع نعم الله وما قيل في ذلك ٥٣١
ب- حال السلف مع من أحسن إليهم من الخلق ٥٣٧
ج- فوائد أخرى ٥٣٩
مواعظ، وخطب، ووصايا، وحِكَم ٥٤١
أ- مواعظ وخطب ٥٤١
ب- وصايا، وتوجيهات، وحكم ٥٥٤
ما قيل في العارف والمعرفة ٥٨٢
حفظ الوقت ٥٨٣
ذم الحسد ٥٨٦
العدل وذم الظلم ٥٩٤
مكائدُ الشيطان ووسوسته، والحذر منه ٦٠٦
النصيحة والاستشارة والاستخارة ٦١٢
ذم الغرور والعجب ٦١٧

ما قيل في العقل والعقلاء ٦٢١
عناية السلف بالخواطر والأفكار ٦٣٠
حفظ السمع عن الحرام ٦٣٣
حفظ البصر عن الحرام ٦٣٦
ذم المسكر ٦٤٠
كتمان السر ٦٤٢
المزاح، وآدابه ٦٤٣
إجمام النفس وترويحها ٦٤٦
موقف السلف من الرخص والأخذ بها ٦٤٩
ما قيل في الزمان ٦٥٠
ما قيل في المساجد ٦٥١
العمر والشيب ٦٥٣
الخاتمة ٦٥٨
المراجع ٦٦٠
الفهرس ٦٦٩

طُبِعَ لِلْمُؤَلِّف

١- حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ. (الطبعة الرابعة).

٢- مختصَر حَيَاةِ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ.

٣- إِرْشادُ السَّاجِدِ بأَسْبابِ الخِلَافِ والتَّقاطُعِ في الْمَسَاجِدِ.

٤- الإِفَاضَةُ في أَحْكَامِ الْحَيْضِ والنِّفَاس والاسْتِحَاضَةِ.

٥- كَيْفَ تُرَبِّي أولادك؟ (الطبعة الثانية).

٦- بُيُوتٌ تَئِنُّ مِنَ الْمَشاكِلِ والْخلافَاتِ، الأَسْبَابُ والْعِلاَجُ.

٧- حُقُوقُ الصَّدِيْقِ وكَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُ.

٨- آدابُ طالِبِ الْعِلْمِ وسُبُلُ بِنائِه ورُسُوخِه.

٩- الحياةُ الزّوجيّةُ السّعيْدَةُ، قَواعِدُ وَحُقُوقٌ وَعِلاجٌ لِلْمُنغّصاتِ.

١٠- عِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤَى، بَحْثٌ تَأْصِيْلِيٌّ عِلْميٌّ تَطْبِيقِيّ.

١١- الْمَعِيْنُ الْجَارِي في اسْتنباطِ الفَوائِدِ واللطَائِفِ مِنْ صَحِيْحِ الْبُخَارِي.

١٢- مَنْهَجُ الصَّحَابَةِ والسَّلَفِ الصَّالحِ فِي الْتَّعَامُلِ مَعَ فتَاوَىَ الْمُفْتِينِ والرَّدِّ عَلَى الْمُخْطِئِين.

١٣- تَهْذِيْبُ كِتَابِ الْمُوَافَقَاتِ لِلْإِمَامِ الشَّاطِبِي، مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ.

١٤- مَجالسُ شَهْرِ رَمَضَانَ.

١٥- قِصَصِي مَعَ الْمُلْحِدِيْن والْمُشَكِّكِيْن والْمُوسْوِسِيْن، معَ بَيَانِ طُرُقِ إقْنَاعِهم وَهِدايَتِهم.

١٦- الْمَسَائِلُ الْمُهِمَّةُ فِي التَّجْوِيدِ والْأَحْرُفِ السَّبْعةِ.

١٧- عِبَاراتٌ أَثَّرَتْ عَلَيَّ وَغَيَّرَتْ في حَيَاتِي.

١٨- عَبْقرِيَّةُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٩- بَوَّابَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ.

٢٠- صِنَاعَةُ طَالِبِ عِلْمٍ مَاهِرٍ. (الطبعة الثانية).

٢١- صِنَاعَةُ خَطِيبٍ مَاهِرٍ.

٢٢- الْأُنْسُ بِالله تَعَالَى.

٢٣- تَقريبُ فَتَاوى ورسائل شَيْخِ الإسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢٤- فنُّ التَّعَامُلِ واكْتِسَابِ الْأَخْلاقِ.

٢٥- الرُّقْيَةُ الشَّرْعيَّة بين باعةِ الأوهام وأصلها الشرعيّ، قصص وعبر.

٢٦- غِذَاءُ الْعُقُولِ وَصِفَاتُ الْعُقَلاَء.

٢٧- نَثْرُ الْخَوَاطِرِ.

٢٨- حَدِيْقَةُ الْمُتَنَبِّي.